

# دَوْلَةُ النِّسَاءِ

معجم ثقافي ، اجتماعي ، لغوي  
عن المرأة

تأليف

عبد الرحمن البرقوقي

منشئ مجلة البيان ورئيس قلم المراجعة بمجلس النواب سابقاً

بعناية

بِسَامِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْجَبَّارِيِّ

دار ابن حزم

المطبعة والنشر  
للطباع والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الْأُولَى

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار  
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

AL-JAFFAN & AL-JABI

Printers - publishers

JAFFAN TRADERS P.O.Box: 54170 - 3721 Limassol - CYPRUS

Fax: 357 - 5 - 591160 Phone: (05) 583345

<http://www.jaffan.com/> - E-mail: [hj@jaffan.com](mailto:hj@jaffan.com)

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - صرّ: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

# دولة النساء

معجم ثقافي ، اجتماعي ، لغوي  
عن المرأة

الحمد لله



## كلمة الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَفْضَلُ التَّسْلِيمِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . وبعد ،

فَيَقُولُ مُصْطَفَى صَادِقِ الرَّافِعِيِّ : إِنَّ مِنَ الْمَرْأَةِ مَا يُحِبُّ إِلَى أَنْ يَلْتَحِقَ بِالْإِيمَانِ ، ... وَمِنَ الْمَرْأَةِ مَا يُكْرَهُ إِلَى أَنْ يَلْتَحِقَ بِالْكُفْرِ ! . اهـ . « السحاب الأحمر » صفحة ٢٩ .

وَيَقُولُ : يَا هَذِهِ ؟ لَا أَدْرِي مَا تَقُولِينَ ، وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ الَّتِي أَعْرِفُهَا أَنَّ نَفْسَ الْمَرْأَةِ إِذَا اتَّسَخَّ كَانَ كَلَامُهَا فِي حَاجَةٍ إِلَى أَنْ يُغْسَلَ بِالْمَاءِ وَالصَّابُونِ ... وَهِيَ هَاتِ .

\* \* \*

يَقُولُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَرْقُوقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، مُؤَلِّفُ هَذَا الْكِتَابِ ، عَنْ نَفْسِهِ : وَأَنَا رَجُلٌ أَزْهَرِي النَّشْأَةَ ، أَلِفْتُ الْبَحْثَ وَالتَّقْرِيرَ وَالاسْتِقْصَاءَ ، وَلَا أَفَوْتُ عَلَى نَفْسِي شَيْئًا لَا أَعْرِفُ وَرَدَهُ مِنْ صَدْرِهِ ، وَمَنْ أَيْنَ جَاءَ وَإِنَّا ذَهَبَ . اهـ . من مقدمة « شرح ديوان حسان بن ثابت » .

أَنْشَأَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْبَرْقُوقِيُّ مَجْلَةً « الْبَيَان » ، كَانَ يُحَرِّرُهَا هُوَ وَمُحَمَّدُ أَفْنَدِي السَّبَّاعِي ، وَكَانَ لِمُصْطَفَى صَادِقِ الرَّافِعِيِّ مُهِمَّةُ الْإِشْرَافِ الْفَنِّي الْمُبَاشَرِ عَلَيْهَا ؛ حَيْثُ كَانَ بَيْنَهُمَا مَصَاهِرَةٌ ، فَمُصْطَفَى صَادِقِ الرَّافِعِيِّ زَوْجُ أُخْتِ

عبد الرَّحْمَنُ الْبَرْقُوقِي .

وما وَرَدَ في مقدمة « دَوْلَةُ النِّسَاءِ » يُغْنِي عن الإفاضة في تَرْجَمَةِ الْبَرْقُوقِي .

مؤلفاته :

- « شرح ديوان المتنبي » في أربعة أجزاء . وقد صرَّحَ محمد سعيد العريان بِنِسْبَةِ مُقَدِّمَتِهِ إِلَى مصطفى صادق الرَّافِعِي ، وتغاضى عن يَدِهِ في الشَّرْحِ والمُفْرَدَاتِ والفَوَائِدِ والتخريجات .. وما يَزَالُ مَعْرُوفاً لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَرْقُوقِي .

- « حضارة العرب [ الإسلام ] في الأندلس » ، نُشِرَتْ مَجْمُوعَةُ مَقَالَاتٍ في مجلة « البيان » .

- « شرح ديوان حسان بن ثابت » القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، المطبعة الرَّحْمَانِيَّةُ ، ١٣٤٧هـ = ١٩٢٩م . كذلك نَسَبُهُ الْبَعْضُ لِمُصْطَفَى صَادِقِ الرَّافِعِي .

- « شرح التلخيص في علوم البلاغة » .

- « أسهل المسالك في فقه الإمام مالك » .

- « الفردوس أو سياحة في الآخرة » .

- « الذخائر والعبريات » في جُزْئَيْنِ ، قال المَازِنِيُّ : وهو مُخْتَارَاتٌ مِمَّا اسْتَجَادَ مِنْ أَدَبِ الْعَرَبِ .

- « دولة النساء معجم ثقافي اجتماعي لغوي عن المرأة » وهو الكتاب الذي بين يديك .

- « الإسلام خواطر وسوانح » لهنري دي كاستري ، ترجمة أحمد فتحي

زغلول باشا ، قام بطبعه وتصحيحه عبد الرحمن البرقوقي ، القاهرة ، المكتبة التجارية ، مطبعة السعادة ، بدون تاريخ ، ١٥٤ صفحة .

- « سر تقدم الإنكليز السكسونيين » لإدمون ديمولان ، ترجمة أحمد فتحي زغلول باشا ، ضبطه وشكله وشرح بعض عباراته عبد الرحمن البرقوقي ، القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها مصطفى محمد ، المطبعة الرحمانية ، بدون تاريخ ، ٤٩٢ صفحة .

- « رسالة الغفران » لأبي العلاء أحمد بن عبد الله المعري ، قدم له العلامة محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي ، وكتب كلمة عن « رسالة الغفران » عبد الرحمن البرقوقي ، وصححه إبراهيم اليازجي ، القاهرة ، طبع على نفقة أمين هندية في مطبعة هندية ، ١٣٢١هـ = ١٩٠٣م ، ٢١٣ صفحة .

« دولة النساء معجم ثقافي اجتماعي لغوي عن المرأة » :

يقول محمد عاطف البرقوقي نجل مؤلف الكتاب : والكتاب كما يتضح من اسمه ، مؤلف يحوي بين دفتيه كل ما قيل عن المرأة من أقوال البلغاء ، والمستجاذ من نظم الشعراء وما نطق به الفلاسفة والحكماء ، وما ورد في القرآن الكريم ، أو سُمع من أحاديث الرسول العظيم .

لَمْ يُكْتَبْ لـ « مُعْجَمُ النِّسَاءِ » الانتشار ، وذلك لأنَّ مُؤَلِّفَهُ طَبَعَهُ عَلَى حَسَابِهِ ، وَتَوَفَّى قَبْلَ أَنْ يُنْمَ طَبَاعَتُهُ ، فَهَا هُوَ وَلَدُهُ مُحَمَّدٌ عَاطِفٌ يَقُولُ عَنْ وَفَاةِ وَالِدِهِ : وَكَانَتْ إِرَادَةُ اللَّهِ ، وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ ، إِذْ تَوَفَّى فَجْأَةً يَوْمَ ٢ يُونِيو/ حَزِيرَانِ سَنَةِ ١٩٤٤م وَفِي يَدِهِ الصَّفَحَاتُ الْأُولَى الْمَطْبُوعَةُ مِنَ الْكِتَابِ . اهـ .

هذا الْكِتَابُ ثَمَرَةُ حُبِّ الْإِطْلَاعِ ، وَنِتَاجُ الْقِرَاءَةِ الْكَثِيرَةِ الدَّائِمَةِ ، وَخِلَاصَةُ التَّوَفُّرِ عَلَى الدَّرْسِ وَالْبَحْثِ ؛ فَقَدْ جَمَعَ الْخَبِيرُ الظَّرِيفُ ، وَالْكَلِمَةُ الْجَامِعَةُ اللَّطِيفَةُ ، وَالشَّعْرُ الرَّائِقُ ، وَالْقَوْلُ الْمُسْتَمْلَحُ ، وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ مِمَّا يُسْتَمْلَحُ وَيُسْتَظَرَفُ .

وَقَدْ سَبَقَ لِي أَنْ طَبَعْتُ كِتَابَ « نَشْوَةِ السَّكْرَانِ فِي صَهْبَاءِ تَذْكَارِ الْغَزَلَانِ » وَهُوَ كِتَابٌ يَنْدَرُجُ فِي سِلْكِ عَقْدِ يَضُمُّ الْكُتُبَ الَّتِي أُلْفَتْ فِي الْعِشْقِ وَالْغَرَامِ وَالْحُبِّ وَالْهَيْامِ ، وَكُلُّهَا لَهَا عِلَاقَةٌ بِالنِّسَاءِ ؛ مِثْلُ : « طَوْقُ الْحَمَامَةِ فِي الْأُلْفَةِ وَالْأُلَافِ » لِأَبِي مُحَمَّدٍ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ حَزْمٍ الظَّاهِرِيِّ (٣٨٤ - ٤٥٦هـ = ٩٩٤ - ١٦٠٤م) ، وَ« مَصَارِعُ الْعُشَّاقِ » لِأَبِي مُحَمَّدٍ جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ السَّرَّاجِ الْقَارِي الْبَغْدَادِيِّ (٤١٧ - ٥٠٠هـ = ١٠٢٧ - ١١٠٦م) ، وَ« رَوْضَةُ الْقُلُوبِ وَنَزْهَةُ الْمُحِبِّ وَالْمَحْبُوبِ » لِجَلَالِ الدِّينِ أَبِي التَّجِيبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَصْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَدَوِيِّ الشَّيْزَرِيِّ ( . . . - نحو ٥٩٠هـ = . . . - ١٠٩٤م) ، وَ« ذُمُّ الْهَوَى » لِأَبِي الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ ، ابْنِ الْجُوزِيِّ الْقُرَشِيِّ الْبَغْدَادِيِّ (٥٠٨ - ٥٩٧هـ = ١١١٤ - ١٠٢١م) ، وَ« مَنَازِلُ الْأَحْبَابِ وَمَنَازِلُ الْأَلْبَابِ » لِشِهَابِ الدِّينِ أَبِي النَّسَائِ مَحْمُودَ بْنِ سَلْمَانَ بْنِ فَهْدٍ بْنِ مَحْمُودٍ الْحَنْبَلِيِّ الْحَلَبِيِّ ثُمَّ الدَّمَشْقِيِّ (٦٤٤ - ٧٢٥هـ = ١٢٤٧ - ١٣٢٥م) ، وَ« الْوَاضِحُ الْمُبِينُ فِي مَنْ مَاتَ مِنَ الْمُحِبِّينَ » لِإِعْلَاءِ الدِّينِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُغَلْطَايَ بْنِ قَلِيحَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكْجَرِيِّ الْمِصْرِيِّ الْحُكْرِيِّ الْحَنْفِيِّ (٦٨٩ - ٧٦٢هـ = ١٢٩٠ - ١٣٦١م) ، وَ« دِيْوَانُ الصَّبَابَةِ » لِشِهَابِ الدِّينِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَغْرِبِيِّ مَوْلِدًا ، الدَّمَشْقِيِّ مَنَشَأً ، نَزِيلِ الْقَاهِرَةِ ، الشَّهِيرِ بِأَبْنِ أَبِي حَجَلَةَ (٧٢٥ -

٧٧٦هـ (= ١٣٢٥ - ١٣٧٥ م) ، و « رَوْضَةُ الْعُشَّاقِ » وَالْمُلَقَّبُ : « نَزْهَةُ النَّاطِرِ وَسَلْوَةُ الْقَلْبِ وَالْخَاطِرِ » لِأَبِي سَعِيدٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الشَّهْرِ بِالْعِرَاقِيِّ ، وَ « أَسْوَاقُ الْعُشَّاقِ مِنْ مَصَارِعِ الْعُشَّاقِ » لِإِبْرَاهَانَ الدِّينِ أَبِي الْحَسَنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ بْنِ حَسَنِ الرُّبَاطِ الشَّهْرِ بِالْبِقَاعِيِّ (٨٠٩ - ٨٨٥هـ = ١٤٠٦ - ١٤٨٠ م) ، وَ « تَزْيِينُ الْأَسْوَاقِ بِتَفْصِيلِ أَشْوَاقِ الْعُشَّاقِ » لِذَاوَدَ بْنِ عُمَرَ الْأَنْطَاكِيِّ (.... - ١٠٠٨هـ = .... - ١٦٠٠ م) ؛ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْكُتُبِ .

وَامْتَّازَ كِتَابُ « نَشْوَةِ السَّكْرَانِ » أَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ فُتُونِ الْعَرَبِ فِي الْعِشْقِ وَالْجَمَالِ وَوَصَفِ النِّسَاءِ وَبَيْنَ فُتُونِ الْأَعَاجِمِ فِي ذَلِكَ .

وَكَانَ أَهْمُ مَا وَرَدَ فِيهِ قَصِيدَةُ « مِرَاةِ الْجَمَالِ » لِمِيرِ غَلَامِ عَلِيِّ آزَادِ بْنِ السَّيِّدِ نُوحِ الْحُسَيْنِيِّ الْوَاسِطِيِّ الْبَلْكَرَامِيِّ ، الْمُلَقَّبِ بِحَسَّانِ الْهِنْدِ (١١١٦ - ١١٩٤هـ = ١٧٠٤ - ١٧٨٠ م) ، الَّتِي وَصَفَ فِيهَا أَعْضَاءَ الْعَشِيقَةِ مِنَ الرَّأْسِ إِلَى الْقَدَمِ ، جَعَلَ لِكُلِّ عَضْوٍ بَيْتَيْنِ ؛ وَلَوْ كَانَ الْبَرْقُوقِيُّ سَابِقاً لِصَدِيقِ حَسَنِ خَانَ فِي الزَّمَنِ لِأَغْنَاهُ كِتَابُ « دَوْلَةُ النِّسَاءِ » عَنِ الثَّقَلِ عَنْ حَسَّانِ الْهِنْدِ ، وَكَانَ سُرّاً بِمَا أوردَهُ الْبَرْقُوقِيُّ ، حَيْثُ جَمَعَ الْكَثِيرَ مِنْ مَقَاصِدِ الْقَنُوجِيِّ فِي « نَشْوَةِ السَّكْرَانِ » .

هذه الطبعة :

اعْتَمَدْتُ فِي إِخْرَاجِ هَذِهِ الطَّبْعَةِ عَلَى الطَّبْعَةِ الْوَحِيدَةِ لِلْكِتَابِ ، وَالَّتِي طُبِعَتْ لَدَى مَطْبَعَةِ الْإِعْتِمَادِ بِمِصْرَ ، وَكَانَ نَاشِرُهَا هُوَ مَكْتَبَةُ النُّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ ، عَامَ ١٩٤٥ م .

لَقَدْ أَثْبَتْتُ كُلَّ مَا فِي هَذِهِ الطَّبْعَةِ مِنْ مَقَدِّمَاتٍ ، وَضَبَطْتُ نَصَّ الْكِتَابِ ، وَكَذَلِكَ أَشْعَارَهُ ، وَحَاولْتُ إِلَى حَدِّ مَا الْإِشَارَةَ إِلَى مَخَارِجِهَا ، كُلُّ ذَلِكَ فِي

سبيل تيسير تناول الكتاب والاستفادة منه ، لغوياً وأدبياً وطرافةً ومتعةً .

\* \* \*

وَكَمَا مَرَّ سَابِقاً ، فَالْمُؤَلَّفُ تُوفِّيَ قَبْلَ إِتْمَامِ طِبَاعَةِ كِتَابِهِ ، وَتَابِعَ وَرَثَتُهُ الطَّبَاعَةَ مِنَ الْمَسْوَدَّاتِ الَّتِي تَرَكَهَا الْمُؤَلَّفُ ، فَكَانَ فِي بَعْضِهَا نَقْصٌ ، فَحَاوَلْتُ إِتْمَامَهَا ، كَمَا فِي الْخَبَرِ ، رَقْم : ١٤١٩ ، حَيْثُ قَالَ فَقَطْ : قَالَ ابْنُ الدُّمَيْنَةِ .

وَكَمَا فِي الْخَبَرِ رَقْم : ١٤٢٠ ، حَيْثُ أُوْرِدَ الْخَبَرُ مَبْتُوراً نَاقِصاً ، وَشَرَحَ غَرِيبَ الَّذِي لَمْ يُورِدْهُ . وَهَكَذَا .

كَمَا أَنَّ هُنَاكَ أَشْيَاءَ يَظُنُّ الْقَارِئُ لَهَا أَنَّهَا أَوْهَامٌ تَطَرَّقَتْ إِلَى الْمُؤَلَّفِ ، مِثْلَ أَنْ يَقُولَ : تَقَدَّمَ شَرْحُ الْبَيْتِ [ رَقْم : ٤٤٤ ] ، وَهُوَ لَمْ يَرِدْ بَعْدُ ؛ فَهَذِهِ أَشْيَاءٌ سَبَّبَتْهَا أَنَّ الْمُؤَلَّفَ تُوفِّيَ وَالْكِتَابُ لَمْ يَأْخُذْ صُورَتَهُ النَّهَائِيَّةَ ؛ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَالَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَى إِتْمَامِ طَبْعِ الْكِتَابِ لَهُمُ الْفَضْلُ وَالْمِنَّةُ .

وَكَذَلِكَ أَشْرَزَتْ إِلَى نِسْبَةِ الْأَشْعَارِ ، إِنْ تَعَدَّدَتْ نِسْبَتُهَا .

وَقَدْ قُمْتُ بِتَخْرِيجِ الْآيَاتِ ، وَبِالدَّلَالَةِ عَلَى مَخَارِجِ الْأَحَادِيثِ وَالْأَخْبَارِ ، وَبُحُورِ الْأَشْعَارِ ، خِدْمَةً لِلْقَارِئِ وَالْبَاحِثِ .

وَكُلُّ مَا بَيْنَ مَعْقُوفَيْنِ [ ] فَهُوَ مِنْ زِيَادَتِي .

وَفِي الْخَتَامِ ، أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى إِثَابَتِي عَلَى حَسَبِ نِيَّتِي ، مِنْ تَوْفِيرِ الْمَتْعَةِ الْبَرِيئَةِ ، وَالطَّرْفَةِ الظَّرِيفَةِ ، وَالْمَوَاسَاةِ اللَّطِيفَةِ ، وَالْعِبْرَةَ الْخَفِيفَةَ .

وَلَا أَنْسَى أَنْ أَسْأَلَ اللَّهَ الْمَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ لِي وَلِوَالِدِي وَلِمَنْ لَهُ حَقٌّ عَلَيَّ ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

بِسَامِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْجَابِي

دمشق ٢٠٠٣/٩/١٩

## هذا الكتاب

أُعْتَبِرُ هذا الكتابَ يَتِيماً ، كالابنِ الَّذِي يَظْهَرُ في الحياة بعد وفاة أبيه ، وَكَمْ في التاريخ من عَظَمَاءِ الرِّجَالِ مِمَّنْ لَمْ يروا آبَاءَهُمْ إطلاقاً ، وَكأنَّ هذا اليَتَمَ المُبَكَّرَ يُحَفِّزُ النَّاسَ على العِناية بِمِثْلِ هؤُلاءِ الأَبْنَاءِ ، وَهَذَا الكِتَابُ العَظِيمُ قَدْ فَقدَ عنايةَ مُؤَلِّفِهِ بَعْدَ إتمامِ تَأليفِهِ ، وَقَبْلَ إتمامِ طَبْعِهِ وَظُهُورِهِ ، وَلَا غَرْوَ فَقَدْ أَخَذَ مِنْ مَجْهُودِ المُؤَلِّفِ وَعُصَارَةِ أَفكارِهِ وَخُلَاصَةِ تجارِبِهِ وَنتَاجِ أَطْلَاعِهِ في سِنِّهِ النَاصِجَةِ بعدِ إحالَتِهِ على المعاشِ ما جَعَلَ المَوْتَ يَخْتِطِفُهُ وهو في أَثَمِّ صِحَّتِهِ رَغَمَ تَقَدُّمِ سِنِّهِ ، واختارَهُ المَوْتُ وهو في أَوْجِ قُوَّتِهِ ، وَلَكِنَّهُ المَجْهُودُ الَّذِي أَفْرَعَهُ في تَأليفِ هذا الكِتَابِ هُوَ الَّذِي أَنهَكَ قُوَّاهُ . وَكانَتْ إرادةُ اللَّهِ وَلَا رادَ لِقَضائِهِ إِذْ تُوفِّيَ فَجأةً يومَ ٢ يونيو/ حزيران سنة ١٩٤٤م وفي يَدِهِ الصَّفَحَاتُ الأولى المطبوعة من الكتاب .

وهذه الحالُ حَفَزَتُنَا للعِناية بِإِخراجِ هذا الكِتَابِ إلى حَيَاةِ الأدبِ ، وَلَيْسَ لَنَا فَضْلٌ في ذلكَ يُذَكِّرُ ، فَقَدْ قَضَى اللَّهُ وَلَطَفَ ، إِذْ لَمْ يَتَوَفَّ المُؤَلِّفَ إِلَّا بَعْدَ إتمامِ التَأليفِ ؛ فما كانَ مِثًّا إِلَّا مُراجَعَةُ المَطْبُوعِ على الأُصولِ ، والعِنايةُ في ذلكَ أَيُّما عِنايةٍ حَتَّى نَقُومَ بِبَعْضِ الواجِبِ مِنَ الوَفاءِ لِلْمُؤَلِّفِ وَلِلْقُرَّاءِ وَلِلبلادِ العَرَبِيَّةِ وَلِلْمَلِيكِ المَفدَّى فاروق الأول ملك مصر حَفِظَهُ اللَّهُ وَأدامَهُ .

والكِتابُ كما يَتَضَحُّ من أَسمِهِ ، مُؤَلَّفٌ يَخُوي بَينَ دُفْتَيْهِ كُلِّ ما قِيلَ عن المَرْأَةِ من أَقوالِ البُلغاءِ ، وَالْمَسْتَجادِ مِنْ نَظْمِ الشُّعراءِ ، وما نَظَقَ بِهِ الفِلاسِفَةُ والحُكماءُ ، وما وَرَدَ في القرآنِ الكَرِيمِ ، أَوْ سُمِعَ من أَحاديثِ الرَّسُولِ العَظِيمِ .

وَقَدْ جَمَعَ فَأَوْعَى ، وَلَمْ يَتْرُكْ شَارِدَةً وَلَا وَارِدَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ، وَجَعَلَهَا فِي الْمَوْضِعِ اللَّائِقِ بِهَا ، وَتَجَدَ فِيهِ وَضْفَ الْمَرْأَةِ مِنْ حَيْثُ مَرْكَزُهَا وَجَمَالُهَا وَمَلَا حَتُّهَا ، وَخُلُقُهَا وَفِتْنَتُهَا ، بَلْ وَقُبْحُهَا وَدِمَائَتُهَا ، وَمَا جَاءَ فِي خُلُقِهَا مِنْ وَضْفِ الْكِيدِ وَالْمَكْرِ ، وَالزَّهْوِ وَالْبُخْلِ ، وَالْحَيَاءِ وَالْخَفَرِ ، وَأَحْكَامِ الزَّوْاجِ وَالطَّلَاقِ ، وَالْغِيَرَةِ وَالتَّنَدُّثِ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنَ التَّوَاحِي الْمُخْتَلِفَةِ لِدِرَاسَةِ الْمَرْأَةِ ، فَلَا غَرْوَ أَنْ جَاءَ بَعْدَ تَرْتِيبِ أَبْوَابِهِ ، وَشَرْحِ الْغَامِضِ مِنْ كَلَامِهِ ، وَالْمُبْهَمِ مِنْ عِبَارَاتِهِ ؛ آيَةً فِي الْبَلَاغَةِ ، وَمَرْجِعاً لِلأُدْبَاءِ وَالْمُتَأَدِّبِينَ ، وَسَلْوَةً الْعَاشِقِينَ ، وَالْمُسْتَشَارِ الْأَمِينِ لِلرَّاعِبِينَ فِي الزَّوْاجِ ، بَلْ مَرْجِعاً لِكُلِّ قَارِئٍ وَقَارِئَةٍ ، وَإِذَا كَانَ النَّاسُ رِجَالاً وَنِسَاءً ، وَبَيْنَ وَبَنَاتٍ ، وَمَا الْحَيَاةُ إِلَّا تَعَاوُنٌ بَيْنَ الْجِنْسَيْنِ ، فَلَا غَرْوَ إِذَا كَانَ هَذَا الْكِتَابُ لِلْجَمِيعِ ، يَقْرُؤُهُ الرَّجُلُ لِيَعْرِفَ شَرِيكَةَ حَيَاتِهِ ، وَيَقْرَأَهُ الْمَرْأَةُ لَتَعْرِفَ آرَاءَ شَرِيكِهَا فِيهَا ، وَإِذَا كَانَتِ الْحَيَاةُ نَتِيجَةً تَقَاهُمُ ، كَانَتْ حَيَاةً سَعِيدَةً لِلْجَمِيعِ .

وَإِنِّي أَقْدِمُ وَافِرَ الشُّكْرِ لِحَضْرَاتِ الْأَسَاتِذَةِ مُحَمَّدٍ سَيِّدِ أَحْمَدِ الشَّرِيفِ مُدَرِّسِ أَوَّلِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْمَدْرَسَةِ التَّوْفِيقِيَّةِ شُكْراً جَزِيلاً ، وَالْأَسَاتِذَةِ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو حَامِدٍ مُدَرِّسِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَالْأَسَاتِذَةِ إِسْمَاعِيلِ مُحَمَّدٍ حَسَنِينِ مُدَرِّسِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْمَدَارِسِ الثَّانَوِيَّةِ عَلَى مَا قَامُوا بِهِ مِنْ مَرَاجَعَةِ أَصُولِهِ ، وَضَبْطِ مَا لَا بُدَّ مِنْ ضَبْطِهِ ، وَقَدْ كَانَ الْأَوَّلُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْوَالِ يَضْطَرُّ إِلَى الرَّجُوعِ إِلَى الْمَرَاجِعِ الْأَصْلِيَّةِ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا الْمُؤَلِّفُ ، فَكَانَ مَجْهُودُهُ مُشْكُوراً ، وَهَكَذَا تَمَّ إِخْرَاجُ هَذَا الْكِتَابِ الْعَظِيمِ إِلَى الْحَيَاةِ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ .

وَبَعْدُ ؛ فَيَا أَيُّهَا الْوَالِدُ الْعَزِيزُ ! وَيَا أَيُّهَا الْمُؤَلِّفُ النَّابِغَةُ الْقَدِيرُ ! طِبْ نَفْساً ، وَنَمْ فِي رَمْسِكَ هَادِئاً ، فَقَدْ تَمَّ مَا أَرَدْتَ مِنْ إِخْرَاجِ هَذَا الْكِتَابِ ، وَكَمْ



كَانَتْ نَفْسُكَ عَالِيَةً ، وَأَمَّا لَكَ وَاسِعَةٌ ، وَلَكِنَّهَا إِرَادَةُ اللَّهِ ، وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ ، وَإِنَّ  
 مَا أَخْرَجْتَهُ مِنْ مُؤَلَّفَاتٍ قِيَمَةٍ لَهِيَ مِنْ مَفَاخِرِنَا ، بَلْ مِنْ مَفَاخِرِ أُسْرَةِ الْبَرْقُوقِيِّ  
 بِأَجْمَعِهَا ، بَلْ مِنْ مَفَاخِرِ مِصْرَ بِأَجْمَعِهَا ، يُعْجَبُ بِهَا بِلَادُ الْعُرُوبَةِ كُلُّهَا ،  
 وَلِيُنْزِلَكَ اللَّهُ مَنَازِلَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ ، جَزَاءً مَا أَدَيْتَ لِلْأَدَبِ وَالْعِرْفَانِ مِنْ  
 خَدَمَاتٍ .

محمد عاطف البرقوقي

نَجَلُ الْمُؤَلَّفِ

وناظر المدرسة التَّوْفِيقِيَّة

القاهرة في يونية/ حزيران سنة ١٩٤٥م

## حياة المؤلف المرحوم الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي

١٢٩٣ - ١٣٦٣ هـ = ١٨٧٥ - ١٩٤٤ م

نسبه :

هو عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ سَالِمِ الْبَرْقُوقِيِّ .  
وكان سَالِمُ الْبَرْقُوقِيِّ - رَأْسُ الْأُسْرَةِ الْبَرْقُوقِيَّةِ - معاصراً لِوَالِي مِصْرَ مُؤَسِّسِ  
الْأُسْرَةِ الْعَلَوِيَّةِ الْمَلِكِيَّةِ الْمَغْفُورِ لَهُ مُحَمَّدَ عَلِيٍّ بَاشَا ، وَكَانَتْ جُزْأَتُهُ وَشِجَاعَتُهُ ،  
مَضْرِبَ الْأَمْثَالِ حَتَّى أَنَّ الْوَالِي الْعَظِيمَ أُعْجِبَ بِهِ أَيَّامَ إِعْجَابِهِ .  
وقد جاءَ ذِكْرُ الْبَرْقُوقِيِّ فِي كِتَابِ الْجَبَرْتِي جزءَ ثَالِثٍ بِصَدَدِ الْكَلَامِ عَنْ رَجُلٍ  
مِنَ الْأُسْرَةِ أَسْمُهُ مُحَمَّدُ الْبَرْقُوقِيُّ مِنْ أَنَّهُ كَانَ عَالِماً ، وَاكْتَسَبَ شُهْرَتَهُ بِإِنْتِمَائِهِ  
لِلتَّلْكَ الْأُسْرَةِ .

وَأُخْتَلَفَ الْمُؤَرِّخُونَ فِي أَصْلِ الْبَرْقُوقِيِّ ، فَقَالُوا : إِنَّهُمْ مِنْ أَصْلِ تُرْكِيٍّ ،  
أَوْ مِنْ أَصْلِ عَرَبِيٍّ ؛ وَلَمْ يُرْجَحُوا نَاحِيَةً عَلَى أُخْرَى ، وَعَلَى كُلِّ فَهْيٍ أُسْرَةٌ  
مَشْهُورَةٌ ، نَابِهَةُ الذِّكْرِ ، سَامِيَةُ الْمَنْزِلَةِ ، بِلْدَةِ مُنْيَةِ جَنَاحٍ مِنْ أَعْمَالِ مَرْكَزِ  
دُسُوقٍ بِمَدِيرِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ ؛ أَنْجَبَتِ الْفَطَاحِلَ مِنَ الْقَضَاةِ وَالْمُسْتَشَارِينَ ، وَالْأَفْذَاذَ  
مِنَ الْأَطْبَاءِ وَالْمُهَنْدِسِينَ ، وَالْعَبَاقِرَةَ مِنَ الْمُحَامِلِينَ وَالْمُرَبِّينَ .

وَقَدْ أَنْجَبَ الْأُسْتَاذُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَنْجَالاً ، هُمُ الْأَسَاتِذَةُ : بَهِيُّ الدِّينِ  
وَعَاطِفُ وَعَبْدُ الْمَنَعَمِ وَكَرِيمَتَيْنِ .

## حياته :

دَرَجَ المؤلف في كَنَفِ أبوين عَظِيمَيْن ؛ تَلَوَّحَ عليه مَخَايِلُ الذِّكَاءِ ، وَيَبْدُو  
وله وَعْدُ السَّحَابَةِ بِالرَّوَى : فَأَنْتَظِمَ في عَقْدِ طَلَبَةِ الْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ مُتَعَطِّشاً لِلْعِلْمِ  
وَالْأَدَبِ ، مُرْتَقِباً أَنْ يَبْلُ أَوَامُهُ ، فَتَهَلَ من يَنَابِيعِ الْعَالَمِ الثَّبَتِ الشَّيْخِ [مُحَمَّدِ  
محمود بن أحمد بن محمد التُّرْكُزِيِّ] الشَّنْقِيطِيِّ [١٣٢٢ هـ = ١٠٠٠ - ١٩٠٤ م  
المَشْهُورِ بِأَبْنِ التَّلَامِيدِ] ، وَالْعَالَمِ الْحِجَةِ الشَّيْخِ [سَيِّدِ بْنِ عَلِيٍّ]  
الْمَرْصِفِيِّ [١٣١٧ هـ = ١٩٠٠ م] ، وَكَانَ الْأُسْتَاذُ الْإِمَامُ الشَّيْخُ  
مُحَمَّدُ عَبْدُهُ [١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ = ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م] من الْأَيْمَةِ الَّذِينَ أَثَرُوا في  
مَنَاجِي تَفْكِيرِهِ ، وَنَزَعَاتِهِ الْحُرَّةِ الْمُتَوَبِّةِ ، وَاتِّجَاهَاتِهِ الطَّامِحَةِ الطَّلِيقَةِ في مِيدَانِ  
الْأَدَبِ وَالْبَيَانِ .

وَجَدَ فِيهِ الْأُسْتَاذُ الْإِمَامُ تَلْمِيزاً نَابِهاً ، لَامِعَ الذَّهْنِ ، مُتَوَهِّجَ التَّفْكِيرِ ،  
وَأَلْفَى فِيهِ ثُرْبَةً خُصْبَةً لِبَذْرِ مَبَادِئِهِ الْعَالِيَةِ ، وَغَرَسَ مُيُولَهُ الْفَيَاضَةِ بِالْخَيْرِ ، فَقَرَّبَهُ  
إِلَيْهِ وَأَذَنَاهُ إِلَى مَجْلِسِهِ ، وَسَكَبَ عَلَيْهِ من عِلْمِهِ الْفَيَاحَ أَلْوَاناً زَاهِيَةً ، وَأَضْفَى  
عَلَيْهِ من أَدَبِهِ اللَّمَّاحَ ضُرُوباً مُشْرِقَةً ، وَعَكَفَ يُشَجِّعُهُ وَيَرْسُمُ لَهُ الْمُثَلَ الْعُلْيَا حَتَّى  
رَكَا في نَفْسِ الْأُسْتَاذِ الْبَرْقُوقِيِّ ذَلِكَ الثَّبَتُ وَأَيُّعَ ، وَنَمَا في قَلْبِهِ ذَلِكَ الْغَرَسُ  
وَتَرَعَّرَ ، وَتَفَتَّحَ ذَهْنُهُ عَنْ أَكْمامِ الزَّهْرِ ، وَأَنْتَجَتِ قَرِيحَتُهُ أَبْهَى الثَّمَرِ ، فَأَمْتَصَّ  
النَّاسُ رَحِيقَ زَهْرِهِ ، وَطَعِمَ النَّاسُ خُلَاصَةَ ثَمَرِهِ ، وَأَنْكَبَتِ النَّاسُ عَلَى نَمِيرِهِ  
الصَّاقِي يَنْهَلُونَ وَيَعْلُونَ ، فَقَدْ كَانَ لَذَّةً لِلشَّارِبِينَ .

مجلة البيان :

آثَرَ الْأُسْتَاذُ الْبَرْقُوقِيُّ أَنَّ يَخُوضَ لُجَّةَ الْحَيَاةِ مُزَوِّداً بِتَعَالِيمِ الْإِمَامِ الْعَالِيَةِ ،  
فَصَحَّ عَزْمُهُ عَلَى إِصْدَارِ « مجلة البيان » وَكَانَ الْعَدَدُ الْأَوَّلُ مُصَدَّراً بِكَلِمَةٍ من

الأستاذ الإمام إلى تلميذه عبد الرحمن البرزوقي ، وتُعتبر البيان بدون شطط ولا مغالاة فتحاً جديداً في عالم الصحافة ، والتي كانت مثابة لعشاق الأدب السامي ، ومدرسة حديثة للحنين على الفن الرفيع ، استقبلت الحياة رانية إلى الأفق البعيد بعين فيها الأمل الدافق ، مستمدة القوة من الله ومن منسئها الذي تعهد لها لدنة العود ، لينة الأغضاء ، وما عتمت أن أصبحت تزخر بفيض الثقافات المختلفة ، وتموج بعقريات التفكير المتباينة ، وتلاطم بما أنتجته عقول أدباء الغرب وعصارة أفكار أدباء الشرق ، وأصبحت ميداناً رحيباً فيه فسحة للكاتين والمتأدين . فلا بدع أن اجتذبت إليها رجالات الأدب وقادة التفكير في مصر الذين تصبو نفوسهم إلى جو حر خالص من العقم والإسفاف ، والذين يترقبون في لهفة موجهاً الوجهة الصحيحة ، ويأخذ بيدهم إلى التفكير السليم ، والذين يتطلعون إلى بيئة نقيّة من الشوائب ينطلقون فيها شادين صادحين ، يستلهمون من عالمها الكتابة الحية الناصعة ، ويستوحدون من واديهما الأدب الصافي الجميل .

استقبلت مجلة البيان الحياة سنة ١٩١١م لتملأ تلك الثغرة الشاغرة التي عرّ على منسئها أن يراها ، فكانت نواة صالحة لنهضة فكرية شاملة ، وأساساً مباركاً لذلك الصرح الشامخ الذي سمق بُنيانه في دنيا المجالات .

وأبت تلك المجلة التي استوت على سوقها ، وأعتدلت على عرشها ، تؤدّي رسالتها في غير نقص ، وتزجي للناطقين بالضاد أزاهير من متع العقل في غير ونى ولا تقصير ، وتتحف العربية بأكاليل من مجد الفكر ، وتعتقد على هامة الأدب ألوية من البحث المستفيض .

وأستمّر بها الحال وأنهارها تفيض بأمواجها ، والناس من جوانبها

يَرْتَشِفُونَ رُضَابَهَا ، وَالْأَيَّامَ تَتَصَرَّمُ مِنْ حَوْلِهَا حَتَّى سَنَةِ ١٩٢٣ م .

وَلَعَلَّ الدَّهْشَ يَسْتَوِلِي عَلَيْكَ - سَيِّدِي الْقَارِيءُ - بَلْ وَلَعَلَّكَ تَجَزَعُ إِشْفَاقًا  
عَلَى تَوَارِي الْمَجَلَّةِ الْقَوِيَّةِ النَّافِعَةِ وَأَحْتِجَابِ ذَلِكَ السَّرَاجِ الْوَهَّاجِ الَّذِي طَالَمَا  
أَلْقَى الضِّيَاءَ فِي طَرِيقِ الطَّامِثِينَ إِلَى الْأَدَبِ الرَّفِيعِ ! وَلَكِنْ مَاذَا أَقُولُ ؟ مَاذَا أَقُولُ  
فِي بَحْرِ يَصْفُقُ أَذِيهِ وَتَضْحُبُ أَمْوَاجُهُ ثُمَّ يُوسِمُ بِالْأَنْحِسَارِ !؟

إِنَّ الْفَقِيدَ - تَعَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ كَفَاءَ صَنِيعِهِ - بَذَلَ عَلَيْهَا مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ وَيَدِهِ  
أَكْثَرَ مَا يَمْلِكُ ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا لِحْزاً شَحِيحاً ، بَلْ كَانَ سَمْحاً جَوَاداً ، حَتَّى  
نَضَبَ الْمَعِينُ أَوْ كَادَ ، فَأَمْسَكَ كَارِهَاً ، وَقَبَضَ يَدَهُ بِرَغْمِهِ ، وَمَنَحَهَا إِجَازَةً  
رَاجِحاً أَلَّا تَكُونَ طَوِيلَةً الْأَمَدِ ، وَأَعْطَاهَا أَسْتِجْمَاماً مُؤَمَّلًا أَلَّا يَكُونَ إِلَى الْأَبَدِ .

الفقيد بالبرلمان :

تَتَبَعَ الْمَغْفُورُ لَهُ الْخَالِدُ الذَّكْرَ سَعْدَ زَغْلُولٍ بَاشَا بِالْإِعْجَابِ وَالتَّقْدِيرِ نَشَاطِ  
الْفَقِيدِ ، وَعَمَلَهُ الَّذِي لَا يَخْبُو أَوَارُهُ ، وَلَا يَنْطَفِئُ لَهْبُهُ ، وَمَجْهُودُهُ الَّذِي يَشْبُ  
ضِرَامُهُ فَلَا تَهْبِطُ وَقْدَتُهُ ، وَلَا يَبْرُدُ سَعِيرُهُ ، وَوَطْنِيَّتُهُ الْخَالِصَةُ النَّقِيَّةُ الْخَالِيَّةُ مِنَ  
الْأَغْرَاضِ الَّتِي لَمْ تُغْرِهَا وَلَمْ تُحَوِّلْهَا عَنْ طَرِيقِهَا شَتَّى الْعُرُوضِ وَالْإِغْرَاءَاتِ ؛  
فَأَكْبَرَهُ فِي نَفْسِهِ ، وَأَحَلَّهُ مِنْ قَلْبِهِ مَكَاناً عَلِيّاً ، وَرَأَى بِثَاقِبِ فِكْرِهِ وَنَفَازِ بَصِيرَتِهِ أَنَّ  
الْأُسْتَاذَ الْبَرْقُوقِيَّ خَيْرَ هَدِيَّةٍ تُسَدِّي إِلَى الْعَرَبِيَّةِ فِي الْبَرْلَمَانِ [ الْمَجْلِسِ النِّيَابِيِّ ]  
أَجَلَ خِدْمَةٍ وَأَكْرَمَهَا ؛ فَعَيَّنَهُ بِمَجْلِسِ الشُّيُوخِ سَنَةَ ١٩٢٤ م ، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى مَجْلِسِ  
الثُّوَابِ رَئِيساً لِقَلَمِ الْمُرَاجَعَةِ سَنَةَ ١٩٣١ م ، فَاضْطَلَعَ بِالْعِبَاءِ فِي الْمَجْلِسَيْنِ عَلَى  
خَيْرِ مَا يَكُونُ ، وَنَهَضَ بِالْحِمْلِ عَلَى أَعْظَمِ مَا يَنْهَضُ بِهِ رَجُلٌ ، وَمَا أَنْفَكَ يُوَالِي  
عَمَلَهُ فِي نَاحِيَةِ الْمُرَاجَعَةِ اللُّغَوِيَّةِ لِمَضَابِطِ الْبَرْلَمَانِ فِي دِقَّةٍ وَإِخْلَاصٍ ، وَيُعَالِجُ  
مَا أَسْنَدَ إِلَيْهِ فِي مُثَابَرَةٍ وَجِدَتْ حَتَّى أُحِيلَ إِلَى الْمَعَاشِ سَنَةَ ١٩٤٠ م .

## أَخْلَاقُهُ :

الْخُلُقُ الرِّضِيُّ ، وَالتَّقْسُ الصَّافِيَةُ ، وَالشِّيمُ الْعَالِيَةُ ، وَالْمَنَاقِبُ السَّامِيَةُ ؛  
كُلُّ أَوْلَيْكَ كَانَ مُمَثَّلًا فِي الْفَقِيدِ الْأُسْتَاذِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَرْقُوقِيِّ .

وَلَعَلَّكَ تَلَمَّسُ جَانِبًا مِنْ تِلْكَ الْفَضَائِلِ السَّمْحَةِ الَّتِي تَتَضَوُّ صَفْحَتُهَا عِنْدَمَا  
تَعْرِفُ أَنَّهُ كَانَ دَائِنًا لِشَخْصٍ بِمَبْلَغٍ كَبِيرٍ مِنَ الْمَالِ ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ الْمَدِينِ اسْتَعْلَلَ  
تِلْكَ الْمُرُوءَةَ النَّادِرَةَ فَمَا طَلَّ وَمَا طَلَّ حَتَّى نَفَدَ صَبْرُ الْفَقِيدِ ، وَأَرْغَمَ كَارِهًا عَلَى  
شِكَايَتِهِ أَمَامَ الْقَضَاءِ ، فَحُكِمَ عَلَى الرَّجُلِ فِي غَيْبَتِهِ - وَبَيْنَمَا كَانَ الْفَقِيدُ سَائِرًا إِذْ  
عَثَرَ فَجَاءَةً عَلَى الْمَدِينِ ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ فُرْصَةً مُوَاتِيَةً لِإِرْسَالِهِ إِلَى الْقَضَاءِ حَيْثُ  
يَلْقَى جَزَاءَ شُرُودِهِ وَمُمَاطَلَتِهِ ، وَلَكِنَّ الْخَيْرَ الَّذِي اسْتَوْلَى عَلَى الْفَقِيدِ ، وَمَلَكَ  
عَلَيْهِ أَقْطَارَ نَفْسِهِ ، أَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ يَقُولَ لِلرَّجُلِ : « أَنَا شَكَوْتُكَ ، وَحُكِمَ  
عَلَيْكَ ، وَالْبَحْثُ جَارٍ عَنْكَ ، فَاهْرُبْ ، وَإِنِّي مُسَامِحُكَ ؛ لِأَنِّي لَا أَرْضَى أَنْ  
يُزَجَّ بِكَ فِي غَيَابَاتِ السَّجْنِ بِسَبَبِي » ثُمَّ ذَهَبَ تَوًّا إِلَى دَارِ الْقَضَاءِ ، وَأَعْلَنَ أَنَّهُ  
تَسَلَّمَ الْمَبْلَغَ مِنَ الرَّجُلِ الْمَدِينِ .

وَحَدَّثَ مَرَّةً أَنْ جَاءَ بِرَجُلٍ فَقِيرٍ يَكَادُ مِنَ الطَّوْلِ يَقْتَاتُ بِالنِّسَمَاتِ ، وَأَغْدَقَ  
عَلَيْهِ مِنْ نِعَمِهِ ، وَأَبْعَدَ عَنْهُ مَسْغَبَتَهُ ، وَأَزَاحَ عَنْ صَدْرِهِ كَابُوسَ مَتْرَبَتِهِ ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ  
إِلَى الصَّعِيدِ لِيَكُونَ نَائِبًا عَنْهُ فِي بَيْعِ « مَجَلَّةِ الْبَيَانِ » لِقَاءَ أَجْرِ لَيْسَ بِالْيَسِيرِ ، وَلَكِنْ  
مَا كَادَ الرَّجُلُ يَرَى بَيْنَ يَدَيْهِ الْمَالَ حَتَّى دَبَّتْ فِي نَفْسِهِ عَقَارِبُ الشُّوءِ ، وَتَحَرَّكَتْ  
نَزَوَاتُ الشَّيْطَانِ ، فَتَكَرَّرَ لِرَبِّ نِعْمَتِهِ ، وَأَزْتَدَّ ذَلِكَ الْبُغَاثُ إِلَى نَسْرِ لَا يَزَعَى  
الصَّنِيعَ وَلَا يُقَدِّرُ الْإِحْسَانَ ، فَأَخَذَ يُوزِّعُ الْمَجَلَّةَ أَشْهُرًا مُتَطَاوِلَةً وَيَأْخُذُ الثَّمَنَ بِدُونِ  
أَنْ يُرْسَلَ مِنْهُ أَيُّ شَيْءٍ لِمَقِيمِ أَوْدِهِ وَمُقِيلِ عَثَرَتِهِ ، فَأَرْسَلَ لَهُ الْأُسْتَاذُ الْبَرْقُوقِيُّ  
خُطَابًا يَسِيلُ رِقَّةً وَيَقْطُرُ ظَرْفًا وَيَفِيضُ رَجَاءً لِيَبْعَثَ بِثَمَنِ الْمَجَلَّاتِ .

وَلَكِنَّ تِلْكَ النَّفْسَ الْمَاكِرَةَ الَّتِي طُبِعَتْ عَلَى الشَّرِّ فَاضَتْ بِمَكْنُونِهَا ، فَكَتَبَتْ  
رَدًّا قَاسِيًّا مَلِيئًا بِالْمُهَاتَرَةِ وَالْحُمُقِ حَافِلًا بِأَقْدَعِ السَّبَابِ وَأَوْجَعِ الشَّتَائِمِ ، فَلَمْ يَرِ  
الْفَقِيدُ مَنَاصًا مِنْ رَفَعِ أَمْرِهِ إِلَى الْقَضَاءِ لِيُرْغِمَهُ عَلَى رَدِّ الْمَبَالِغِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي  
جَمَعَهَا ، وَلِيُعَاقِبَهُ عَلَى تِلْكَ الرِّسَالَةِ الْمَفْعَمَةِ بِالْإِسْفَافِ .

وَعِنْدَمَا عَرَفَ الرَّجُلُ مَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ جَاءَ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ إِلَى الْمَرْحُومِ الْأَسْتَاذِ  
الْمَنْفُلُوطِي ، وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ أَنْ يَكُونَ شَفِيعًا لَهُ عِنْدَ الْفَقِيدِ ، وَمَا أَنْ ذَهَبَ  
الْمَنْفُلُوطِي وَارَادَ أَنْ يَبْدَأَ الرَّجَاءَ تَحَرَّكَتْ شِمَائِلُ الثُّبُلِ فِي رَأْسِ الْفَقِيدِ ، وَغَفَرَ  
لِلْمُسِيِّ إِسَاءَتَهُ بِدُونِ أَنْ يُتَعَبَّ الرَّاجِي فِي الْحَاحِ أَوْ رَجَاءِ .

أَرَأَيْتَ تِلْكَ النَّفْسَ الْكَرِيمَةَ كَيْفَ تَصِلُ إِلَى الْقُنَّةِ فِي السَّمَاحَةِ وَالصَّفَاءِ ؟  
أَرَأَيْتَ تِلْكَ الشَّخْصِيَّةَ غَيْرَ الْمُتَنَاهِيَةِ فِي الْعَطْفِ الَّتِي تَتَسَمَّى الذُّرْوَةَ فِي  
التَّسَامُحِ وَالْإِخَاءِ ؟

وَلَكِنَّهَا نَفْسُ الْبَرْقُوقِيِّ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ فِي حَيَاتِهِ رَذِيلَةً مِنَ الرَّذَائِلِ ، لَمْ  
يَعْرِفِ الدَّسَّ وَلَا الْخُبْثَ وَلَا الْمَلَقَ وَلَا الرِّيَاءَ ، وَإِنَّمَا تَفَجَّرَتْ بِنَابِغِ الْفَضَائِلِ  
فِي قَلْبِهِ ، فَفَاضَ عَنْهُ الْكَرَمُ وَالْجُودُ وَحُبُّ الْخَيْرِ لِلنَّاسِ ، فَكَمْ أُسْرَةً بَائِسَةً  
أَضْنَاهَا الزَّمَنُ وَحَطَمَتَهَا السُّنُونُ مَدَّ إِلَيْهَا يَدًا رَفِيقَةً خَفِيَّةً ، فَبَاعَدَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْعَوَزِ  
وَالْحِزْمَانِ ؟!

وَكَمْ طِفْلِ حَرَمَهُ الْقَدَرُ الْيَدَ الْحَانِيَّةَ ، فَكَانَ لَهُ نِعَمَ الْمُعِينِ ؟!  
وَكَمْ رَجُلٍ تَكَثَّرَتْ لَهُ الْآيَاتُ ، وَتَجَهَّمَتْ لَهُ الدُّنْيَا ، فَوَجَدَ عِنْدَ الْفَقِيدِ  
مَا يُمَسِّكُ رَمَقَهُ وَيُعِينُهُ عَلَى تَقْلِبَاتِ الدُّهُورِ ؟!

إِنْ كَرَّمَهُ وَعَظَفَهُ ، وَحَذَبَهُ وَحَنَانَهُ لِأَكْبَرٍ مِنْ أَنْ يُذَكَّرَ أَوْ أَنْ يُحَاوَلَ أَنْ يَكْتُوبَ  
عَنْهُ إِنْسَانٌ !!

هَذَا إِلَى أَنَّهُ حَادَّ الذَّهْنِ ، حَاضِرَ الْبَدِيهَةِ ، مُتَقَطَّنًا إِلَى الدَّقَائِقِ الَّتِي لَا يَتَقَطَّنُ إِلَيْهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، مُرْهَفَ الْحِسِّ ، تَامَ الذَّوْقِ ، صَادِقَ الْعَاطِفَةِ ، شَهِيَّ الْحَدِيثِ ، خَفِيفَ الرُّوحِ ، شَدِيدَ التَّوَاضُعِ ، يَمِيلُ إِلَى الْمَرَحِ ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ مَجَالِسُهُ تَفِيضُ أَنْسَاءً وَبَهْجَةً ، وَتَشِيْعُ فِيهَا الْعِبْطَةُ وَالسُّرُورُ .

مُؤَلَّفَاتُهُ :

نَشَأَ الْأُسْتَاذُ الْبَرْقُوقِيُّ مَطْبُوعًا عَلَى الْأَدَبِ ، نَزَاعًا إِلَى الْعَمَلِ الْمُنتِجِ الْمُفِيدِ ، فَلَمْ تَصْرِفْهُ زَحْمَةُ الْحَيَاةِ وَمَشَاغِلُ الدُّنْيَا عَنِ النَّتَاجِ الْفِكْرِيِّ الْمُهَذَّبِ الْأَنِيْقِ ، وَالتَّوَالِيْفِ الْبَارِعَةِ الْقِيَمَةِ الَّتِي تُسَلِّكُهُ فِي غَيْرِ تَزَيُّدٍ وَلَا سَرَفٍ فِي عِدَادِ الرَّعِيْلِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمُؤَلَّفِينَ ، وَتَنْظُمُهُ فِي غَيْرِ عُجْبٍ وَلَا مَخِيلَةٍ فِي عَقْدِ الْأَلَى الَّذِينَ اتَّخَفُوا الْعَرَبِيَّةَ بِكَثِيرٍ مِنْ أُمَهَاتِ الْكُتُبِ .

وَكَانَ شَغْفُهُ بِحُبِّ الْإِطْلَاعِ نَمُودَجًا حَيًّا لِلْعَمَلِ الْمُثْمِرِ ، وَعُكُوفُهُ عَلَى الْقِرَاءَةِ الْكَثِيرَةِ طِرَازًا فَذًّا فِي الصَّبْرِ وَاللُّغُوبِ ، . وَتَوَفَّرَتْهُ عَلَى الدَّرْسِ وَالْبَحْثِ عَنْوَانًا صَرِيحًا لِفُحُولِ الْأَدْبَاءِ .

تَجَدُّهُ قَارِنًا فِي كُلِّ لَحْظَةٍ مِنْ لَحَظَاتِ النَّهَارِ وَقِسْطٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْرِ يَسِيرٍ . لَا يَكِلُ وَلَا يَمَلُّ ، وَلَا تَفْتُرُ عَزَمَتُهُ وَلَا تَضْمَحِلُّ ، بَلْ كُلَّمَا أَمْعَنَ فِي الْقِرَاءَةِ أَزْدَادَ تَوْبًا وَنَشَاطًا ، وَتَأَلَّقَ ذِهْنُهُ صَفَاءً وَنَقَاءً ، تَزَوَّرَهُ صَبَاحًا وَتَغَشَّى مَجْلِسَهُ مَسَاءً فَلَا تَجِدُ إِلَّا جَمْهَرَةً مِنَ الْكُتُبِ تُحِيطُ بِهِ ، وَبَحْرًا صَاحِبًا مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ تَعْمُرُهُ ، وَإِلَّا عَيْنًا يَقْطُرُ لَا تَكَادُ تَرْتَفِعُ عَنْ أَسْطُرٍ مِنْ كِتَابٍ ، حَتَّى أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ أُحِيلَ إِلَى الْمَعَاشِ اسْتَمَرَ فِي دَوْوِيهِ ، وَرَأَى الْفُرْصَةَ مُوَاتِيَةً وَالظَّرْفَ سَانِحًا لِإِرْضَاءِ هَوَاتِيهِ كَامِلَةً وَإِشْبَاعِ مِيُولِهِ فِي الْقِرَاءَةِ وَمُواصَلَةِ التَّأْلِيفِ .

فَهَلْ مِنَ الْبِدْعِ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ نَرَاهُ وَافِرَ النَّتَاجِ ، تَارِكًا لَنَا ذَلِكَ الثَّرَاثِ الْأَدَبِي



الخالد من تأليفه ؟ .

وَهَلْ مِنَ الْغَرَابَةِ أَنْ نَجِدَ لَهُ تِلْكَ الثَّرْوَةَ الْعِلْمِيَّةَ الصَّالِحَةَ مِنْ فَتْهِ الْعَظِيمِ ؟  
إِنَّهُ خَلَفَ وَرَاءَهُ مَجْدًا أَدَبِيًّا عِلْمِيًّا يُسَجَّلُ لَهُ أَنْصَعُ الصَّفَحَاتِ فِي سِفْرِ  
الْخَالِدِينَ !

أَقْرَأْتُ لَهُ « شَرْحَ دِيوانِ الْمُتَنَبِّي » فِي أَرْبَعَةِ أَجْزَاءَ ، ذَلِكَ الشَّرْحُ الَّذِي  
طالما تَعَنَّى بِهِ الْمُتَأَدِّبُونَ ، وَشَدَّاهُ بِهِ الْمَعْيُثُونَ بِبُلْبُلِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الصِّدَّاحِ ؟  
وَهَلْ أَسْعَفَتْكَ الْإِيَّامُ فَقَرَأْتَ لَهُ « حَضَارَةُ الْعَرَبِ فِي الْأَنْدَلُسِ » ، أَوْ « شَرْحَ  
دِيوانِ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ » ، أَوْ « شَرْحَ التَّلْخِصِ فِي عُلُومِ الْبَلَاغَةِ » ، أَوْ « أَسْهَلَ  
الْمَسَالِكِ فِي فَهْمِ الْإِمَامِ مَالِكٍ » ، أَوْ « الْفَرْدُوسُ أَوْ سِيَاحَةُ فِي الْآخِرَةِ » الَّذِي  
يُعْتَبَرُ بِحَقِّ فَرِيدٍ فِي نَوْعِهِ ، عَظِيمًا فِي بَابِهِ ، يَتَرَسَّمُ خُطَا الْمَعْرِيِّ فِي « رِسَالَةِ  
الْغُفْرَانِ » وَدَانَتْهُ فِي « الْكُومِيْدِيَا الْمُقَدَّسَةِ » وَإِنْ كَانَا يَصِفَانِ الْجَحِيمَ ، وَهُوَ  
يَجُولُ فِي الْفَرْدُوسِ الْمُقِيمِ ؟

وَهَلْ قَرَأْتَ لَهُ « الذَّخَائِرُ وَالْعَبَقَرِيَّاتُ » فِي جُزْأَيْنِ ، ذَلِكَ الْمُؤَلَّفُ الَّذِي  
جاءَ كَالدَّرَةِ الْفَرِيدَةِ ، تَفْصِيلُ بَيْنَ ذَهَبِ الْقِلَادَةِ وَالَّذِي تَرَى فِيهِ الطَّمَّ وَالرَّمَّ مِمَّا  
يَنْقَعُ غُلَّتَكَ وَيَغْمُرُكَ فِي سِبْطٍ مِنَ الْبَحْثِ عَظِيمٍ .

هَلْ قَرَأْتَ لَهُ كُلَّ هَذِهِ الْكُتُبِ ؟ وَهَلْ تَعْتَرِفُ إِذَا بَانَتْهَا ثَرْوَةُ أَدِيبَةٍ لَا تُقَوَّمُ  
بِمَالٍ ؟ وَهَلْ تُؤْمِنُ بِأَنَّهَا تُرَاثُ خَالِدٌ يُبْقِي لِصَاحِبِهِ حُسْنَ الْأَخْذِ وَثَمَّةَ وَجْهِهِ  
الذَّكْرِ ، وَيَنْفَعُهُ فِي رَمْسِهِ ، وَيُضَاعِفُ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ جَزِيلَ الْأَجْرِ ؟

فَإِذَا ضَمَمْتَ إِلَى كُلِّ هَذِهِ اللَّائِي فِي سِمَاطِهَا دُرَّتُهُ الْجَدِيدَةُ « دَوْلَةُ النِّسَاءِ »  
تَبَدَّى لَكَ الْعَقْدُ كَامِلًا ، وَبَرَزَ لَكَ السُّلْكُ شَامِلًا ، عِنْدَ ذَلِكَ تَقْنَعُ بِهَذِهِ  
الْجَوَاهِرِ ، وَتَسْكُنُ إِلَى هَذِهِ الْمَفَاخِرِ .

وفاته :

وما كادَ المؤلَّفُ يَنْتَهِي مِنْ عَمَلِهِ الضَّخْمِ فِي إِتْمَامِ « دَوْلَةِ النِّسَاءِ » وما كادَ يَبْدَأُ فِي الإِشْرَافِ عَلَى طَبْعِ الصَّفَحَاتِ الأُولَى مِنْهُ ، وَإِذَا بِالْفَلَكَ يَدُورُ دَوْرَتُهُ ، وَتَبْدَأُ نَوَامِيسُ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ تَلْعَبُ دَوْرَهَا ، وَإِذَا بِالْقُوَّةِ الْمُوجَّهَةِ لِهَذِهِ الْمَوْسُوعَةِ الأدَّبِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ تَتَوَارَى فَجَاءَ ، وَالْحَرَكَةُ الدَّائِبَةُ الَّتِي تَنْفُثُ رُوحَ النَّشَاطِ فِي هَذَا السَّفَرِ الخُلُقِيِّ الدِّينِيِّ لَتَمُدَّ دَفْعَةً وَاحِدَةً ، فَيَذْلُفُ إِلَيْهِ الْمَوْتُ ، وَيَتَخَطَّفُهُ أَعْظَمَ مَا يَكُونُ صِحَّةً وَأَشَدَّ مَا يَكُونُ نَشَاطًا ، وَذَلِكَ فِي مَسَاءِ الْيَوْمِ الأَوَّلِ مِنْ شَهْرِ يُونِيهِ / حَزِيرَانِ سَنَةِ ١٩٤٤ م .

فَكَانَ فَقْدُهُ فَجِيعَةً لِلأَدَبِ ، وَكَارِثَةً لِلنَّاطِقِينَ بِالضَّادِ ، حَتَّى رَثَاهُ رِجَالُ الْفِكْرِ وَعَزُّوا فِيهِ دَوْلَةَ الْبَيَانِ فِي كُتُبَاتِ الصُّحُفِ وَالْمَجَلَاتِ .

وَقَدْ وَاصَلَ أَبْنَاؤُهُ - وَهُمْ غَرْسُهُ وَنَبْتُهُ - رِعَايَةَ هَذَا الْكِتَابِ ، وَرَأَوْا فِي ذَلِكَ تَأْدِيَةً لِبَعْضِ الدِّينِ عَلَيْهِمْ نَحْوَ أَبِيهِمْ وَبَعْضِ الْوَاجِبِ عَلَيْهِمْ نَحْوَ لُغَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، حَتَّى أَخْرَجُوهُ إِلَى عَالَمِ الْوُجُودِ ، يُغْلِنُ لِلنَّاسِ ، بِجَانِبِ أُخُوَّةٍ لَهُ مِنْ قَبْلُ ، مَا كَانَ يُرِيكَ الْفَقِيدُ لِلْعَرَبِيَّةِ مِنْ إِظْهَارِ دُرَرِهَا وَإِذَاعَةِ نَفَائِسِهَا وَإِبْرَازِ مَجْدِهَا ، وَتَحْقِيقِ الْأَغْرَاضِ السَّامِيَةِ وَالْمَثَلِ الْعُلْيَا الَّتِي كَانَ يَتَوَخَّاهَا الْفَقِيدُ وَيُلَاقِي فِي سَبِيلِهَا مِنْ تَعَبٍ وَعَنَاءٍ خِدْمَةٍ لِلْبِلَادِ وَلِلْعُرُوبَةِ وَلِلْجَلَالَةِ مَوْلَانَا الْمَلِكِ الْفَارُوقِ .

وَبَعْدُ ؛ فَلْيَرْحَمْ اللَّهُ ذَلِكَ الْفَقِيدَ الَّذِي يُعَدُّ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ مِنْ أَرْكَانِ التَّهَضُّةِ الْحَدِيثَةِ فِي الأَدَبِ وَالْبَيَانِ ، وَلْيُنْزِلْهُ مَنَازِلَ صَدَقِ مَعَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ ، جَزَاءً مَا أَدَّى مِنْ خِدْمَاتٍ صَادِقَاتٍ لِلْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ .

إسماعيل محمد حسنين

زوج كريمة المؤلَّف

## كَلِمَةُ الْأُسْتَاذِ إِبْرَاهِيمَ عَبْدِ الْقَادِرِ الْمَازِنِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَرْقُوقِيِّ

نشرت في « البلاغ » الغراء بتاريخ ٤ يونية/ حزيران سنة ١٩٤٤ م

رَحِمَ اللَّهُ الْبَرْقُوقِيَّ ! قَضَى نَحْبَهُ فِي جِيلٍ أَكْبَرُ الظَّنِّ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُهُ مَعْرِفَتَهُ ،  
وَكَانَ فِي زَمَانِهِ مِنْ أَعْيَانِ الْبَيَانِ وَأَقْطَابِهِ وَأَعْلَامِهِ ، بَلْ يُمَثِّلُ عَهْدًا مِنْ عُهُودِ  
الْأَدَبِ ، وَلَكِنَّ التَّيَّارَ نَحَاهُ عَنْ مَجْرَاهُ ، فَقَعَدَ عَلَى الشَّطِّ ، يَنْظُرُ وَيَتَأَمَّلُ ،  
وَيَعْجَبُ وَيَدْهَشُ ، وَيَهْزُ رَأْسَهُ - يَمْنَةً وَيَسْرَةً عَلَى عَادَتِهِ - هَزَّةً مَنْ يَفْهَمُ وَيَعْذُرُ -  
لأنَّهُ مُدْرِكٌ - وَلَا يَسْتَنْكِرُ أَوْ يَسْخَطُ ، وَفِي يَدِهِ قَلَمُهُ ، وَأَمَامَهُ مِخْبَرَتُهُ ، وَفِي  
حِجْرِهِ صَحِيفَتُهُ ، فَمَا هَرَّاقَ الزَّمَنُ مِدَادَهُ ، وَلَا كَسَرَ قَلَمَهُ ، وَلَا بَعَثَ أَوْ أَطَارَ  
كَرَارِيْسُهُ حِينَ دَفَعَهُ إِلَى الشَّطِّ ، أَوْ حِينَ وَنِيَ هُوَ وَكَلَّ عَنْ مُسَايَرَاتِهِ ، فَمَالَ عَنْ  
طَرِيقِهِ ، وَآثَرَ أَنْ يُلْقِيَ الْعَصَى وَيَقْعُدَ مُطْمَئِنًّا .

وَكَانَ زَمِيلُنَا السَّبَاعِيَّ (١) رَحِمَهُ اللَّهُ يَمْزُجُ فَيَسْمِيهِ « الشَّيْخَ شَرَفَ » ، وَلَكِنَّهُ  
مَزُجَ مُبْطِنٌ بِجِدِّ ، وَكَانَ الشَّيْخُ الْبَرْقُوقِيُّ يُؤَمِّدُ قَدْ أَعَدَّ الْعُدَّةَ لِإِضْدارِ مَجْلَتِهِ  
المَشْهُورَةِ « الْبَيَانِ » ، وَاتَّخَذَ مِنَ السَّبَاعِيِّ عَوْنًا لَهُ ، وَقَالَ لَهُ فِي جُمْلَةٍ مَا قَالَ :  
« أَوْصِيكَ بِالْحِرْصِ عَلَى شَرَفِ الدِّيَابِجَةِ » فَضَحِكَ السَّبَاعِيُّ ضِحْكَةً الْقَوِيَّةِ ذَاتِ  
النَّزْجِيعِ ، وَقَالَ : « أَهْلًا بِالشَّيْخِ شَرَفَ » وَصَارَ بَعْدَ ذَلِكَ يُعَرِّفُنَا بِهِ بِهَذَا  
الاسْمِ ، وَالْبَرْقُوقِيُّ لَا يَغْضَبُ وَلَا يَزِيدُ عَلَى الْإِتْسَامِ وَهَزُّ الرَّأْسِ ، فَقَدْ كَانَتْ

(١) هو محمد بن محمد السَّبَاعِي (١٢٩٨ - ١٣٥٠ هـ = ١٨٨١ - ١٩٣١ م) .

فِيهِ فِطْنَةٌ إِلَى الْفُكَاهَةِ ، وَحُسْنُ فَهْمٍ لَهَا يَحُولُ دُونَ الْعُضْبِ أَوْ الْاسْتِيَاءِ .

و« شَرَفُ الدِّيَابِجَةِ » هُوَ مَا كَانَ الْمَرْحُومُ الْبَرْقُوقِي يَتَوَخَّاهُ فِيمَا يَكْتُبُ ، وَقَدْ أَنْشَأَ مَجَلَّةَ الْبَيَانِ لِخِدْمَةِ الْأَدَبِ كَمَا يَفْهَمُهُ هُوَ ، وَلَعَلَّهُ كَانَ يَطْمَعُ أَنْ يَحُلَّ بِهَا مَحَلَّ الْمَرْحُومِ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمِ الْبَارِزِيِّ ، فَقَدْ كَانَتْ لَهُ مَجَلَّةٌ بِهَذَا الْاسْمِ . وَكَانَ الْبَرْقُوقِي وَاسِعَ الْاطَّلَاعِ عَلَى الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ ، حَسَنَ الْفَهْمِ لَهُ ، وَقَدْ دَرَسَهُ عَلَى الشَّيْخِ الْمَرْصُوفِيِّ فِي الْأَزْهَرِ ، وَأَسْتَفَادَ مِنْ دُرُوسِ الشَّيْخِ مُحَمَّدَ عَبْدَهُ وَعَيْنَاتِهِ بِ « دَلَائِلِ الْإِعْجَازِ » ، وَ « أَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ » لِلْجُرْجَانِيِّ ، وَتَوَسَّعَ هُوَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي التَّحْصِيلِ وَالدَّرْسِ ، وَلَكِنَّ الْأَدَبَ الْعَرَبِيَّ كَانَ يُخَايِلُهُ ، فَيَوْدُ لَوْ تَيَسَّرَ لَهُ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَجِدُ إِلَّا مَا نُقِلَ مِنْهُ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَمَا أَقَلَّ ذَلِكَ ، وَكَانَ يَعْرِفُ لِلْمَذْهَبِ الْجَدِيدِ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ بِمَضَرَّ حَقَّهُ وَفَضْلَهُ ، وَيُكَبِّرُهُ وَلَا يُغْمِطُهُ ، وَكَانَ رَجُلًا أُوتِيَ حُسْنَ الْفَهْمِ ، وَصِحَّةَ الْإِدْرَاكِ ، وَسَعَةَ الصَّدْرِ الَّتِي تَدْفَعُ إِلَى سُرْعَةِ الْإِقْرَارِ لِكُلِّ ذِي فَضْلٍ بِفَضْلِهِ ، فِي غَيْرِ تَرَدُّدٍ أَوْ تَحَقُّظٍ ، وَلِهَذَا بَرِيَءٌ مِنَ الْمُكَابَرَةِ وَالتَّعَصُّبِ .

وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَرْحُومِ مُصْطَفَى صَادِقِ الرَّافِعِيِّ صِلَةٌ نَسَبٍ أَوْ قَرَابَةٍ - لَا أَدْرِي - وَكَانَ يَعُدُّهُ أَكْتُبَ الْكِتَابِ وَأَفْصَحَ الْفُصَحَاءِ وَأَبْلَغَ الْبُلْغَاءِ ، وَأَخْرَجَ الرَّافِعِيُّ كِتَابَهُ « حَدِيثُ الْقَمَرِ » فَرَأَيْتُ فِيهِ غُمُوضًا كَثِيرًا فِي مَوَاضِعَ عِدَّةٍ ، فَقُلْتُ لِلْبَرْقُوقِيِّ يَوْمًا : « هَذَا صَاحِبُكَ مَاذَا تَفْهَمُ مِنْ كِتَابِهِ ؟ » فَتَقَلَّ هَذَا إِلَى الرَّافِعِيِّ ، فَرَأَيْتُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى الرَّافِعِيِّ فِي ذَلِكَ اتِّقَاءً لِلْغَلْطِ فِي الثَّقَلِ أَوْ الْمُبَالَغَةِ فِيمَا قُلْتُ فِيهِ .

وَاتَّفَقَ أَنْ قَدِمَ الرَّافِعِيُّ ، فَاجْتَمَعْنَا بِهِ عِنْدَ الْبَرْقُوقِيِّ - الْأُسْتَاذِ الْعَقَّادِ ، وَالْمَرْحُومِ السَّبَاعِيِّ وَأَنَا ، - وَكَانَ الرَّافِعِيُّ حَرِيصًا عَلَى نَفْيِ الْغُمُوضِ ، وَكُنَّا

نَحْنُ حَرِصِينَ عَلَى إِنْصَافِهِ ، فَتَنَاوَلْ نُسْخَةً مِنْ كِتَابِهِ « حَدِيثَ الْقَمَر » وَأَنْطَلَقَ  
يَقْرَأُ وَيُفَسِّرُ ، عَلَى غَيْرِ جَدْوَى فِي الْأَكْثَرِ ، وَمَاذَا يُمَكِّنُ أَنْ يَفْهَمَ إِنْسَانٌ مِنْ مِثْلِ  
قَوْلِهِ : « الثَّرَابُ الْأَبَدِيُّ الَّذِي يَتَسَاقَطُ بِهِ اللَّيْلُ ؟ » وَطَالَتِ الْجِلْسَةُ ، وَكَادَ  
يُنْتَصِفُ اللَّيْلُ ، وَأَذْكُرُ أَنِّي قُلْتُ لِلْبَرْقُوقِيِّ قَبْلَ أَنْ يَنْفَضَّ ذَاكَ السَّامِرُ :  
« مَا رَأَيْكَ ؟ » فَهَزَّ رَأْسَهُ ، وَقَالَ : « وَاللَّهِ غَامِضٌ ! » وَأَذْكُرُ أَنْ بَعْضَنَا  
- لَا أَذْرِي أَتَيْنَا - سَأَلَهُ : « وَهَلْ يَكُونُ الْعُمُوضُ بَيَانًا وَفَصَاحَةً ؟ » فَهَزَّ رَأْسَهُ  
ثَانِيَةً ، وَقَالَ بِلَا تَلَعُّمٍ : « أَبَدًا » وَمَا سُقْتُ هَذَا الْحَدِيثَ لِأَعْضَ مِنْ قَدَرِ  
الرَّافِعِيِّ ، فَإِنِّي أُعْلِي بِهِ عَيْنًا مِنْ أَنْ يَخْطُرَ لِي ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا سُقْتُهُ لِأَقُولَ أَنَّ  
الْبَرْقُوقِيَّ كَانَ رَحِيبَ النَّفْسِ لَا يَتَعَصَّبُ وَلَا يُكَابِرُ وَلَا يَأْبَى الْاِقْتِنَاعَ .

وَمِنْ تَلَهُفِهِ عَلَى الْأَطْلَاعِ عَلَى أَدَبِ الْغَرْبِ وَكَلَّ إِلَى السَّبَاعِيِّ تَرْجَمَةً  
مَا يَخْتَارُ مِنْ آيَاتِهِ لِمَجْلَةِ الْبَيَانِ ، فَنَقَلَ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ كَثِيرًا مِنْ هَذِهِ الْبَرَاعَاتِ ،  
وَكَانَ وَهُوَ يَكْتُبُ « حَضَارَةَ الْإِسْلَامِ فِي الْأَنْدَلُسِ » يَسْأَلُنِي أحيانًا عَمَّا قَرَأْتُ فِي  
نُشُوءِ الْحَضَارَاتِ بِاللُّغَةِ الْإِنْكَلِيزِيَّةِ ، فَأُفْضِي إِلَيْهِ بِخُلَاصَةٍ مَا أَتَّفَقَ لِي قِرَاءَتُهُ ،  
فِيُحْسِنُ الْإِصْغَاءَ ، وَيُدَوِّنُ مَا يَرَاهُ جَدِيرًا بِالتَّدْوِينِ ، وَيُحَاوِلُ أَنْ يَنْتَفِعَ بِذَلِكَ  
فِيمَا يَكْتُبُ عَنْ حَضَارَةِ الْإِسْلَامِ .

كَانَ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ « بَيَانُهُ » خَلْفًا لِبَيَانِ الْيَارَاجِيِّ ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ شَيْئًا وَأَرَادَ اللَّهُ  
خِلَافَهُ ، فَصَارَتْ مَجْلَّةُ الْبَيَانِ صَحِيفَةً لِأَهْلِ الْمَذْهَبِ الْجَدِيدِ فِي الْأَدَبِ  
- الْعَقَادِ ، وَشُكْرِي ، وَالسَّبَاعِيِّ ، وَهَيْكَلِ ، وَكَاتِبِ هَذِهِ السُّطُورِ وَغَيْرِهِمْ -  
وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ التَّحَوُّلُ بِرَغْمِهِ ، أَوْ عَلَى غَيْرِ هَوَاهُ ، وَلَا كَانَ بِإِدْيِ الزَّهَادَةِ فِيهِ أَوْ  
قَلِيلِ الرِّضَى عَنْهُ ، فَمَا كَانَ لَهُ هُوَ مَذْهَبٌ خَاصٌّ فِي الْأَدَبِ يَدْعُو إِلَيْهِ ، وَلَا كَانَ  
لَهُ هَمٌّ إِلَّا جُودَةُ الْعِبَارَةِ وَجَزَالَةُ الْأُسْلُوبِ ، وَمِنْ حُسْنِ الْاِتِّفَاقِ أَنَّ دُعَاةَ الْمَذْهَبِ

الْجَدِيدِ يُعْنَوْنَ بِأَحْكَامِ الْأَدَاءِ وَدِقَّتِهِ وَوَفَائِهِ كَعَيْنَيْهِمْ بِالْإِخْلَاصِ وَصِدْقِ السَّرِيرَةِ وَصِحَّةِ النَّظَرِ وَأَسْتِقَامَةِ الْفِكْرِ وَالتَّنَزُّهِ عَنِ التَّقَالِيدِ وَالْمُحَاكَاةِ .

وَهَكَذَا صَارَ لِلْبَرْقُوقِيِّ فَضْلٌ يُذَكَّرُ فَيُشْكَرُ فِي الْأَدَبِ الْعَصْرِيِّ وَالْمَذْهَبِ الْجَدِيدِ الَّذِي جَاءَ بِهِ دُعَاؤُهُ . وَقَدْ ضَيَّعَ الرَّجُلُ مَا لَهُ فِي هَذَا السَّبِيلِ ، حَتَّى كَادَ يَنْزِفُ . وَكَانَ غَيْرَ حَكِيمٍ فِي أَمْرِ الْمَالِ ، وَكَانَ يَضَعُ كُتُبَهُ الْخَاصَّةَ فِي مَكْتَبَةِ « الْبَيَانِ » ، وَيَنْسَى فَيَبِيعُ مِنْ كُتُبِهِ ، وَبَيْنَهَا طَائِفَةٌ نَادِرَةٌ ، ثُمَّ يَقْطَنُ إِلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، فَيَضْرِبُ كَفًّا بِكَفٍّ وَيَتَحَسَّرُ ، وَكَانَ رُبَّمَا أَسْرَدَ بَعْضَ مَا بَاعَ مِنْ هَذِهِ ، وَلَكِنْ بِأَضْعَافٍ مَا قَبِضَ مِنْ ثَمَنِهَا .

وَكَانَ ذَا مَرَحٍ وَلَهْوٍ ، وَلِمَجْلِسِهِ إِينَاسٌ ، وَلِحَدِيثِهِ إِمْتِنَاعٌ ، وَكَانَ إِلَى هَذَا ذَا جَلْدٍ عَظِيمٍ ، مَضْدَرُهُ صِحَّةٌ إِذْرَاكِهِ لِقِيَمَةٍ مَا يَغْرِضُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ، فَكَانَ إِذَا أَصَابَ خَيْرًا ، لَا يَخْرُجُ عَنْ طَوْرِهِ ، وَلَا يُرَى أَثَرُ ذَلِكَ إِلَّا فِي لَمْعَةِ الْعَيْنِ وَإِشْرَاقِ الْوَجْهِ وَأَفْتِرَارِ الشَّغْرِ ، وَإِذَا نَزَلَ بِهِ مَكْرُوهٌ لَمْ يَرِدْ عَلَى هَزِّ الرَّأْسِ ، وَتِلْكَ كَانَتْ عَادَةً لَهُ .

وَلَيْسَتْ مَجَلَّةُ الْبَيَانِ كُلُّهَا مِنْ أَثَارٍ ، فَقَدْ شَرَحَ دِيْوَانَ الْمُتَنَبِّيِّ ، وَدِيْوَانَ حَسَّانَ ، وَأَخْرَجَ مُجَلَّدًا ضَخْمًا سَمَّاهُ « الذِّخَائِرُ وَالْعَبَقَرِيَّاتُ » ، وَهُوَ مَخْتَارَاتٌ مِمَّا اسْتَجَادَ مِنْ أَدَبِ الْعَرَبِ ، وَهُوَ جُزْءٌ أَوَّلُ كَانَتْ نِيَّتُهُ أَنْ يُتْبِعَهُ أَجْزَاءً أُخْرَى ، وَلَكِنَّ أَجَلَهُ جَاءَ فَجَاءَةً عَلَى مَا يُقَالُ ، فَقَدْ كَانَ قَوِيَّ الْبَدَنِ صَحِيحَهُ ، وَلَكِنَّ الْمَنَايَا لَا تَحْتَاجُ إِلَى اسْتِئْذَانٍ أَوْ تَمْهِيدٍ ، أَوْ تَسْوِيعٍ لِمُؤَافَاتِهَا . وَمَا أَحْسَبُهُ عَبَاً بِذَلِكَ شَيْئًا ، فَإِنَّ عَهْدِي بِهِ أَنَّهُ كَانَ يَتَلَقَّى كُلَّ شَيْءٍ بِالتَّسْلِيمِ ، وَيُؤَثِّرُ ذَلِكَ عَلَى عَنَاءِ الْمُجَاهَدَةِ وَالْمُقَاوَمَةِ ، لِأَنَّهُ كَانَ بِطَبْعِهِ مُسَالِمًا غَيْرَ مُحَارِبٍ ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ طَوِيلَ الصَّبْرِ .

وَمِنَ الْعَسِيرِ أَنْ تُعَيِّنَ لِلْبَرْقُوقِيِّ مَكَانًا بَيْنَ رِجَالِ الْأَدَبِ ، وَتَقُولَ : هُنَا مَحَلُّهُ دُونَ غَيْرِهِ بِلا مَرَاءٍ ، فَقَدْ كَانَ بِفَضْلِ تَرْبِيَّتِهِ وَتَخْصِيلِهِ مِنْ أَهْلِ الرَّجْعَةِ إِلَى الْقَدِيمِ ، وَكَانَ بِأُسْلُوبِهِ مُتَكَلِّفًا ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ غَلَبَ عَلَيْهِ حَتَّى صَارَ طَبَاعًا فِيهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الْجَدِيدَ وَيُكَبِّرُهُ وَيُحَاوِلُ أَنْ يَقِيسَ عَلَيْهِ ، وَلَا يُفْعِدُهُ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا أَنَّ الْأَدَاةَ لَا تُؤَاتِيهِ أَوْ تُسَعِّفُهُ ، وَكَانَ نَصِيرًا لِلأَدَبِ الْحَدِيثِ وَإِنْ كَانَتْ مُنَاصَرَّتُهُ لَهُ تَجْرِي مَعَ مَا فُطِرَ عَلَيْهِ مِنْ إِثَارِ الْمُسَالَمَةِ وَالِدَّعَةِ وَالرَّاحَةِ وَإِذْرَاكِهِ أَنَّ الدُّنْيَا يَطِيبُ فِيهَا الْجَدِيدُ كَمَا يَطِيبُ فِيهَا الْقَدِيمُ الْمَأْلُوفُ ، وَيَتَسَّعُ لَهُمَا مَعًا وَلَا تَضِيقُ بِهِمَا . وَلَعَلَّهُ لَوْ كَانَ دَرَسَ لُغَةً أَوْرَبِيَّةً لاختَلَفَ مَذْهَبُهُ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ، فَبَقِيَ عَلَى التَّهَجِّ الَّذِي شَبَّ عَلَيْهِ ، فَظَلَّتْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى مُعَالَجَةِ الْقَدِيمِ دُونَ أَنْ يَسْتَفِيدَ قُدْرَةً عَلَى خَلْقِ جَدِيدٍ . وَقَدْ كُنَّا نَذْكُرُهُ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِأَيَّامٍ ، فَقَالَ الْأُسْتَاذُ سَلَامَةُ مُوسَى : إِنَّ مَجَلَّةَ الْبَيَانِ كَانَ يُنَبِّغِي أَنْ تَبْقَى ، فَإِنَّهَا تُمَثِّلُ أُسْلُوبًا خَاصًّا . وَهَذَا صَحِيحٌ إِذَا اعْتَبَرْنَا أَنَّ صَاحِبَهَا كَانَ لَهُ أُسْلُوبُهُ الَّذِي يَنْفَرِدُ بِهِ وَلَا يُقَلَّدُ فِيهِ كَاتِبًا قَدِيمًا بَعِيْنِهِ ، وَإِنَّمَا يَدْخُلُ فِي بَابِ التَّقْلِيدِ ، لِأَنَّهُ يَجْرِي فِيهِ عَلَى التَّهَجِّ الْقَدِيمِ فِي الِاسْتِعَارَةِ وَالْمَجَازِ وَقَوَالِبِ التَّعْبِيرِ الْمَوْزُونَةِ عَلَى الْعُمُومِ مِنَ الْعَصْرِ الَّذِي صَارَ فِيهِ تَأْلِيفُ الْكَلَامِ صِنَاعَةً ؛ وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِصَحِيحٍ إِذَا اعْتَبَرْنَا أَنَّ الْبَيَانَ كَانَ مَسْرَحًا لِأَقْلَامٍ ، وَلَمْ يَكُنْ كِبْيَانِ الْيَازْجِيِّ لَا يَكَادُ غَيْرُهُ يَخْطُ فِيهِ حَرْفًا إِلَّا فِي التُّدْرِ الْقَلِيلَةِ .

وَقَدْ أَسِفْتُ لِأَنَّ نَعِيَهُ لَمْ يَبْلُغْنِي إِلَّا فِي الْمَسَاءِ ، فَلَمْ يَسَنَّ لَهُ أَنْ أَقْضِي حَقَّهُ عَلَيَّ ، وَأَشْتَرِكَ فِي تَشْيِيعِهِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ رَأْيِي أَنَّ الْاِخْتِفَالَ بِالتَّشْيِيعِ عَبَثٌ وَبَاطِلٌ ، وَأَنَّهُ يُنَبِّغِي أَنْ نَكُونَ أَفْهَمَ لِلْمَوْتِ مِنْ أَنْ نَتَكَلَّفَ هَذَا الْمَجَالَ وَأَصَحَّ إِذْرَاكَ لِمَعْنَاهُ مِنْ أَنْ نُقِيمَ الدُّنْيَا وَنُقْعِدَهَا حِينَ يُذْرِكُ بَعْضُنَا قَبْلَنَا .

وَنَحْنُ نُسَمِّيهِ الْمَوْتَ ، وَلَكِنِّي لَا أَظُنُّ « الْحَيَاةَ » تَعْرِفُهُ بِهَذَا الْاسْمِ ، وَهَلْ هُوَ فِي حَقِيقَتِهِ أَكْثَرُ مِنْ تَحَوُّلٍ تَقْتَضِيهِ سُنَّتُهَا مِنْ مَادَّةٍ فِي صُورَةٍ مَا إِلَى مَادَّةٍ أَوْ مَوَادٍّ فِي صُورٍ أُخْرَى ، وَتَبْقَى بِذَلِكَ وَبَعْدَ ذَلِكَ الْحَيَاةُ مُسْتَمِرَّةٌ فِيمَا تَيَسَّرَ لَهَا مِنْ صُورٍ وَفَقَ قَانُونِهَا الْأَبَدِيِّ ؟ وَلَكِنَّا أُوتِينَا الشُّعُورَ بِالذَّاتِ وَآلَةَ الْفِكْرِ ، فَصَارَتْ مُصِيبَةُ الْفَرْدِ كَبِيرَةً ، وَإِنْ جَنَّتْ جُمْلَةُ الْإِنْسَانِيَّةِ مِنْ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ خَيْرًا جَزِيلًا . وَلَوْ حُرِّمْنَا الشُّعُورَ بِالذَّاتِ أَوْ الْعَقْلَ دُونَ الشُّعُورِ بِالذَّاتِ لَكَانَ أَهْوَنَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .



## المرحوم الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي

عَرَفْتُ فِي الْأَزْهَرِ مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً خَلْتُ ، شَابًا مِنْ أَبْنَاءِ النَّعْمَةِ ، حَسَنَ  
الْبَزَّةِ ، جَمِيلَ الْمَظْهَرِ ، رَضِيَ الْأَخْلَاقِ ، يَسْمُو عَلَى أَقْرَانِهِ بِتَوَاضُعِهِ الْجَمِّ ،  
وَأَدَبِهِ الْعَالِي . ذَلِكَ هُوَ الْمَرْحُومُ الْأُسْتَاذُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْبَرْقُوقِي .

كَانَ الْأُسْتَاذُ الْإِمَامُ الْمَغْفُورُ لَهُ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ يُقَرِّبُهُ إِلَيْهِ ، لِمَا عَرَفَهُ عَنْهُ مِنْ  
مَيْلِهِ لِلْأَدَبِ ، وَتُزْوَعِهِ عَنِ الْقَدِيمِ الضَّارِّ إِلَى الْحَدِيثِ النَّافِعِ ، مِنَ الْعُلُومِ  
وَالْفُنُونِ الَّتِي أَدْخَلَهَا فِي الْأَزْهَرِ ، كَالْأَدَبِ ، وَاللُّغَةِ ، وَالرِّيَاضَةِ ، وَتَقْوِيمِ  
الْبُلْدَانِ ، وَالْخَطِّ .

وَكَانَ يَجْمَعُنَا بِهِ دَرَسُ الْأَدَبِ عِنْدَ الْمَرْحُومِ الشَّيْخِ سَيِّدِ الْمَرْصُفِيِّ ، مَعَ  
زُمْرَةٍ مِنْ أَقْرَانِهِ الَّذِينَ كَوْنَهُمُ الْإِمَامُ الْمَدْرَسَةُ الْحَدِيثَةَ الَّتِي أَدَّتْ رِسَالَتَهَا عَلَى  
أَكْمَلِ وَجْهِ وَأَحْسَنِهِ ، وَكَثِيرًا مَا قَصَدَ الْإِمَامَ الشُّنْقِيطِيَّ الْكَبِيرَ فَقَرَأَ عَلَيْهِ ، وَاتَّصَلَ  
بِالْمَغْفُورِ لَهُ الزَّعِيمِ سَعْدِ زَغْلُولِ بَاشَا مُسْتَرْشِدًا وَمُسْتَفِيدًا .

رَأَى رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ كُتِبَ الْبَلَاغَةُ الَّتِي تُدْرَسُ حِينَئِذٍ فِي الْأَزْهَرِ لَا تُوصِلُ إِلَى  
الْغَايَةِ الْمَقْصُودَةِ مِنْ دِرَاسَتِهَا ، وَكَانَ قَدْ سَمِعَ مِنَ الْأُسْتَاذِ الْإِمَامِ فِي دَرْسِهِ  
لِكِتَابِي « دَلَائِلُ الْإِعْجَازِ » ، وَ« أَسْرَارُ الْبَلَاغَةِ » لِلأُسْتَاذِ عَبْدِ الْقَاهِرِ  
الْجُرْجَانِيِّ ، غَيْرَ مَا يَسْمَعُهُ فِي الْأَزْهَرِ مِنْ كُتُبِ السَّعْدِ وَالسَّيِّدِ وَالْبَنَّانِيِّ ، تَعْلِيْقًا  
عَلَى مَتْنِ « التَّلْخِيصِ » لِلْخَطِيبِ الْقَزْوِينِيِّ ، فَتَنَاولَ هَذَا الْمَتْنَ بِالشَّرْحِ الْمُبَسِّطِ  
لِعِبَارَتِهِ ، مُلْقِيًا خَلْفَ ظَهْرِهِ مَا أَتَخَمَهُ بِهِ شُرَاحُهُ وَمُحْشَوُهُ ، فَجَاءَ بِأَكُورَةٍ حَسَنَةٍ  
وَنَتِيجَةً مُفِيدَةً لِمَا دَرَسَهُ ، وَأَلَفَ بَعْدَهُ كُتُبًا كَثِيرَةً نَافِعَةً .

سَيِّمَ الْأَزْهَرَ بَعْدَ وِفَاةِ الْأُسْتَاذِ الْإِمَامِ ، فَاشْتَغَلَ بِالصَّحَافَةِ الْأَدَبِيَّةِ . وَأُصْدِرَ  
مَجَلَّةُ « الْبَيَانِ » ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا أَسَاتِذَةُ الْجِيلِ وَكَتَبُوا فِيهَا ، وَدَامَتْ زَمَنًا طَوِيلًا  
حَتَّى اخْتَارَهُ الرَّعِيمُ سَعْدُ بَاشَا مُوَضَّفًا بِمَجْلِسِ النَّوَّابِ ، فَبَقِيَ حَتَّى لَقِيَ رَبَّهُ ،  
بَعْدَ أَدَاءِ رِسَالَتِهِ الْمُثْلَى ، رَاضِيًا مَرْضِيًّا . رَحِمَهُ اللَّهُ جَزَاءً مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ .

مجمود حسن زناتي

أمين الخزانة الرِّكِّيَّة سابقاً

## محتويات الكتاب

٣٣	الباب الأول : مركز المرأة .....
٦٠	الباب الثاني : الملاحة والجمال .....
٢٧٥	الباب الثالث : حضهم الرجال على الوصاية بالنساء .....
٣١٤	الزهو والبخل والعجب والخفر من محاسن النساء .....
٣٣١	الكفاءة وحضهم على تزويج النساء من أكفاء الرجال .....
٣٥٤	الباب الرابع : فتنة النساء وحضهم على توقيها .....
	الباب الخامس : حثهم على العفة وصون النفس عن المعصية وقولهم في
٣٧٢	الزنا وما إليه .....
٤١٨	الباب السادس : اختيارهن الشباب والمراد .....
٥٠٧	الباب السابع : في الدمامة والقبح .....
٥٤٣	الباب الثامن : رميهن بالكيد والمكر .....
٦٦٣	الغيرة والتدبث .....
٦٩٧	عذر الراغبين عن الزواج .....
٧٢٣	آية حب المرأة لزوجها وبغضها له .....
٧٣١	الطلاق .....



## الباب الأول

### مركز المرأة

النساء شقائق الرجال :

١ - في الحديث الشريف أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِذَا رَأَتْ الْمَرْأَةُ الْمَاءَ فَلَتَغْتَسِلَ » ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ <sup>(١)</sup> : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَهَلْ لِلْمَرْأَةِ مَاءٌ ؟ قَالَ : « فَأَنْتِي يُشْبِهُنَّ الْوَلَدُ <sup>(٢)</sup> ؟ » إِنَّمَا هُنَّ شَقَائِقُ » [الترمذي ، رقم : ١١٣ ؛ أبو داود ، رقم : ٢٣٦ ؛ مسند أحمد ، رقم : ٢٥٦٦٣] .

« فَأَنْتِي » : أَسْتَفْهَامٌ ، أَي : فَمِنْ أَيِّ وَجْهِ ؟ أَوْ فَكَيْفَ يُشْبِهُنَّ الْوَلَدُ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَا ! وَقَوْلُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ : « إِنَّمَا هُنَّ شَقَائِقُ » يَعْنِي : إِنَّ الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ كَعَصَا أَرْفَضَتْ شِقَتَيْنِ ، أَوْ تَقُولُ : إِنَّ النِّسَاءَ نَظَائِرُ الرِّجَالِ وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْأَخْلَاقِ وَالطَّبَاعِ ، كَأَنَّهُنَّ شَقِيقُنَّ مِنْهُمْ ، وَلَآنَ حَوَاءَ خُلِقَتْ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

\* \* \*

٢ - ومن أمثالهم : إِنَّ النِّسَاءَ شَقَائِقُ الْأَقْوَامِ . [مجمع الأمثال ، رقم : ١٠٨]

شقائق الأقوام ، أَي : شقائق الرجال ، قَالَ عُلَمَاءُ اللَّغَةِ : الْقَوْمُ : الرِّجَالُ

(١) هِيَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، زَوْجُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

(٢) وَمِنْ قَوْلِهِمْ : كُلُّ فَحْلٍ يَمْنِي وَكُلُّ أَنْثَى تَقْذِي ، يُقَالُ : قَذَتِ الْأُنْثَى تَقْذِي : إِذَا أَرَادَتْ الْفَحْلَ فَالْقَتْ مِنْ مَائِهَا . [لسان العرب ، مادة : قذِي] .

خَاصَّةً . قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾ [٤٩ سورة الحجرات/ الآية : ١١] فَلَوْ كَانَتِ النِّسَاءُ مِنَ الْقَوْمِ لَمْ يَقُلْ : وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ .

وقال زُهَيْرُ ابْنُ أَبِي سُلَمَى [من الوافر] :

وَمَا أَذْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَذْرِي أَقْوَمُ آلَ حِضْنٍ أَمْ نِسَاءٍ

قال ابن الأثير [في « النهاية في غريب الحديث » مادة : قوم] : القوم في الأصل مَصْدَرٌ قَامَ ، ثُمَّ غُلِبَ عَلَى الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ ، وَسُمُّوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِالْأُمُورِ الَّتِي لَيْسَ لِلنِّسَاءِ أَنْ يَقُضْنَ بِهَا .

قال الجوهري : وَرُبَّمَا دَخَلَ النِّسَاءُ فِي الْقَوْمِ عَلَى سَبِيلِ التَّبَعِ ، لِأَنَّ قَوْمَ كُلِّ نَبِيٍّ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ [« لسان العرب » ، مادة : قوم] .

\* \* \*

٣ - وَقَالَتْ إِحْدَى الْبَنَاتِ اللَّاتِي عَسَّهِنَّ أَبُوهُنَّ فَأَخَذْنَ يُفَكِّرْنَ فِي أَمْرِهِنَّ<sup>(١)</sup>

[من الطويل] :

أَيُعَذَّلُ لَاهِنَا وَيُلْحَى عَلَى الصَّبَا وَمَا نَحْنُ وَالْفَتَيَانُ إِلَّا شَقَائِقُ<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

(١) أَنْظَرَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ أَخَوَاتِهَا فِي بَابِ حَنِينِ النِّسَاءِ إِلَى الرِّجَالِ [رقم : ١٥١٩] .  
(٢) يُلْحَى : يُعَذَّلُ وَيَلَامُ ، وَالصَّبَا : الْمَيْلُ إِلَى الْهَوَى ، وَالْمَرَادُ : مَيْلُ الْفَتَيَاتِ إِلَى الْفَتَيَانِ ، تَقُولُ : كَمَا أَنَّ الْفَتَيَانَ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ الْفَتَيَاتِ يَتَرَوَّجُوهُنَّ ، فَالْفَتَيَاتُ لَا بُدَّ لَهُنَّ مِنَ الْفَتَيَانِ يَتَرَوَّجْنَهُنَّ ، إِذْ أَنَّ طَبِيعَةَ الْفَتَاةِ كَطَبِيعَةِ الْفَتَى ، وَمَا الْفَتَيَانُ وَالْفَتَيَاتُ إِلَّا مِنْ جُزْئِئِ وَاحِدَةٍ ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ تَلَامَ عَلَى الصَّبَا وَالْمَيْلِ إِلَى الرِّجَالِ .

## الْمَرْأَةُ سَكَنُ الرَّجُلِ :

٤ - قَالَ عَزَّ وَتَقَدَّسَ : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴾ [سورة الروم/ الآية : ٢١] .

قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ أي : مِنْ شَكْلِ أَنْفُسِكُمْ وَجَنَسِهَا لَا مِنْ جِنْسٍ آخَرَ ؛ وَذَلِكَ لِمَا بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ يَكُونَانِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ مِنَ الْإِنْفِ وَالشُّكُونِ ، وَمَا بَيْنَ الْجِنْسَيْنِ الْمُخْتَلِفَيْنِ مِنَ التَّنَافُرِ ؛ وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ : قوله : ﴿ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ أي : لِأَنَّ حَوَاءَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعِ آدَمَ وَالنِّسَاءُ بَعْدَهَا خُلِقْنَ مِنْ أَصْلَابِ الرِّجَالِ ؛ أَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ فَإِنَّهُ يُقَالُ : سَكَنَ إِلَيْهِ : إِذَا مَالَ إِلَيْهِ ، كَقَوْلِهِمْ : أَطْمَأَنَّ إِلَيْهِ ، وَقَدْ سَمِيَ الْعَرَبُ الْمَرْأَةَ سَكَنًا ، وَفِي الْحَدِيثِ : « أَللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا فِي أَرْضِنَا سَكَنَهَا » [« مجمع الزوائد » ، رقم : ٣٢٨٣] أي : غِيَاثَ أَهْلِهَا الَّذِي تَسْكُنُ أَنْفُسُهُمْ إِلَيْهِ وَتَطْمَئِنُّ ؛ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ أي : جَعَلَ بَيْنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ التَّوَادَّ وَالتَّرَاحُمَ ، بِعِصْمَةِ الزَّوْاجِ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَهُمْ سَابِقَةٌ مَعْرِفَةٌ وَلَا سَبَبٌ يُوجِبُ التَّعَاطُفَ مِنْ قَرَابَةٍ أَوْ رَحِمٍ ؛ وَقِيلَ : إِنَّ الْمَوَدَّةَ وَالرَّحْمَةَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَرْكَ مِنْ قِبَلِ الشَّيْطَانِ<sup>(١)</sup> ؛ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْمَوَدَّةُ كِنَايَةٌ عَنِ الْجِمَاعِ ، وَالرَّحْمَةُ عَنِ الْوَلَدِ ؛ وَقَالَ رَجُلٌ لِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! الرَّجُلُ يَتَزَوَّجُ الْمَرْأَةَ

(١) الْفَرْكُ ، يَفْتَحُ الْفَاءَ وَكَسَرَهَا : بُغِضَ الرَّجُلُ لَامْرَأَتِهِ ، أَوْ بُغِضَ أَمْرَاتِهِ لَهُ . يُقَالُ : فَرَكَ الرَّجُلُ أَمْرَاتَهُ فَرْكًا وَفَرْكًا ، أَيْ : أَبْغَضَهَا ، وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِلْمَرْأَةِ : فَرَكَتُهُ تَفْرِكُهُ فَرْكًا ، أَيْ : أَبْغَضَتْهُ ، قَالَ اللَّغَوِيُّونَ : وَلَمْ يُسْمَعْ هَذَا الْحَرْفُ فِي غَيْرِ الزَّوْجَيْنِ ، أَيْ : إِنَّهُ لَا تُسْتَعْمَلُ مَادَّةُ فَرَكَ إِلَّا فِي بُغْضِ الزَّوْجَيْنِ .

لَا يَعْرِفُهَا وَلَا تَعْرِفُهُ ، ثُمَّ لَا يَكُونُ إِلَّا لَيْلَةً حَتَّى لَا يَكُونَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهَا ، وَإِلَيْهَا مِنْهُ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « تِلْكَ أُلْفَةُ اللَّهِ » ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ .

وَبَعْدُ ؛ فَهَلْ سَمِعْتَ أَوْ تَتَوَقَّعُ أَنْ تَسْمَعَ مِثْلَ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ جَمَالاً وَرَوْعَةً وَلُطْفاً فِي الْعِبَارَةِ عَمَّا يَكُونُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ مِنَ التَّعَاطُفِ وَذَلِكَ الرِّبَاطِ الْمُقَدَّسِ الَّذِي لَا يُحْسِنُهُ وَيَتَذَوِّقُهُ وَيَرَاحُ لَهُ إِلَّا الرَّجُلُ السَّعِيدُ يَرْزُقُهُ اللَّهُ زَوْجاً صَالِحَةً تَكُونُ لَهُ رَوْحاً وَرَيْحَاناً وَجَنَّةً نَعِيم !

\* \* \*

٥ - وَقَالَ سُُبْحَانَهُ : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية : ١٨٩] .

وقال عزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية :

[ ١٨٧ ] .

يَقُولُ سُُبْحَانَهُ : كُلُّ فَرِيقٍ مِنْكُمْ يَسْكُنُ إِلَى صَاحِبِهِ وَيَلْبِسُهُ ، كَمَا قَالَ : وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْمَرْأَةَ لِبَاساً وَإِذَا رَأَتْ ، قَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ [من المتقارب] :

إِذَا مَا الضَّجِيعُ ثَنَى عِطْفَهَا تَشَّتْ فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِبَاساً  
وَيُقَالُ : لَبِسْتُ فَلَانَةَ عُمْرِي ، أَي : كَانَتْ مَعِيَ شَبَابِي كُلَّهُ ؛ وَلَبِسْتُ  
أَمْرَأَةً ، أَي : تَمَتَّعْتُ بِهَا زَمَاناً ؛ وَلَبِسْتُ قَوْمًا ، أَي : تَمَلَّيْتُ بِهِمْ دَهْرًا ؛ قَالَ  
النَّبِغَةُ الْجَعْدِيُّ فِي طُولِ عُمْرِهِ [من المتقارب] :

لَبِسْتُ أَنْسَاءً فَأَفْنَيْتُهُمْ وَأَفْنَيْتُ بَعْدَ أَنْسَاءِ أَنْسَاءً



ثَلَاثَةُ أَهْلِيْنَ أَفْنَيْتُهُمْ وَكَانَ إِلَالُهُ هُوَ الْمُسْتَأْسَا  
 الْمُسْتَأْسُ : الْمُسْتَعَاضُ . يُقَالُ : أَسْتَأْسِنِي فَأُسْتُهُ ، أَي : طَلَبَ إِلَيَّ  
 الْعِوَضَ ، وَأَسْتَأْسَهُ : أَسْتَعَاضَهُ ، وَالْأَوْسُ : الْعِوَضُ .

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ يَرْثِي آخَرَ [من الطويل] :

فَلَوْ كَانَ شَيْخًا قَدْ لَبَسْنَا شَبَابَهُ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَعُدْ أَنْ طَرَّ شَارِبُهُ  
 لَبَسْنَا شَبَابَهُ : تَمَتَّعْنَا بِشَبَابِهِ ؛ وَجَوَابُ « لَوْ » مَحْذُوفٌ ، أَيْ : لَمْ نَجْزَعْ  
 عَلَيْهِ ؛ وَطَرَّ شَارِبُهُ ، بِفَتْحِ الطَّاءِ أَفْصَحُ مِنْ ضَمِّهَا : طَلَعَ وَنَبَتَ .

\* \* \*

٦ - وَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ  
 وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ  
 ذَلِكَ مَتَكُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَ حُسْنِ الْمَتَابِ ﴾ [سورة آل عمران/ الآية : ١٤] .  
 جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ النِّسَاءَ رَأْسَ الشَّهَوَاتِ بِتَقْدِيمِهِ إِثَابُهَا عَلَى مَا ذَكَرَ مِنْهَا ،  
 وَذَلِكَ لِتَقْدِيمِهَا مِنْ قُلُوبِ الرِّجَالِ عَلَى جَمِيعِهَا ، وَأَطْلَقَ الشَّهَوَاتِ عَلَى  
 الْمُشْتَهَاتِ مُبَالَغَةً .

\* \* \*

[ أَقْوَالٌ فِي الْمَرْأَةِ ] :

٧ - وَجَاءَ فِي الْإِنْجِيلِ : « أَمَا قَرَأْتُمْ [أي في سفر التكوين من التوراة ٢٥ : ٢٤] أَنَّ  
 الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدَنِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى ! مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ  
 وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ ، وَيَكُونُ الْاِثْنَانِ وَاحِدًا ، فَالَّذِي جَمَعَهُ اللَّهُ لَا يُفَرِّقُهُ  
 الْإِنْسَانُ » . [إنجيل متى ١٩ : ٥ ، إنجيل مرقس ١٠ : ٧] .

وَجَاءَ فِي التَّوْرَةِ : « وَقَالَ الرَّبُّ الْإِلَهُ : لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ ،  
فَلْنُصْنَعْ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ » . [التكوين ٢ : ١٩] .  
وَقَالُوا :

الْمَرْأَةُ أَبْهَجُ شَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ . كونفوشيوس

الْمَرْأَةُ تَأْجُ الْخَلِيقَةَ . هرذر Herder

خُلِقَتِ الْمَرْأَةُ لِتُسَعِّرَنَا مَعْنَى الْحَيَاةِ ، فَهِيَ مِثَالُ الرَّقَّةِ وَالْكَمَالِ . فولتير

Voltaire

إِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ هِيَ الَّتِي حَرَمَتْنَا التَّعِيمَ فِي الْجَنَّةِ ، فَهِيَ وَخَدَهَا الَّتِي  
تَسْتَطِيعُ أَنْ تُعِيدَهُ إِلَيْنَا . روتير

أَعْظَمُ مَخْلُوقٍ هُوَ الْمَرْأَةُ إِذَا عَرَفَتْ قَدْرَ نَفْسِهَا . غلادستون Gladstone  
قَلْبُ الْمَرْأَةِ أَعْظَمُ مَصْدَرٍ لِلْحَنَانِ وَالْعَطْفِ إِذَا أَحَبَّتِ الرَّجُلَ ، وَأَكْبَرُ

مَكْمَنٍ لِلضَّغِينَةِ وَالْحِقْدِ إِذَا كَرِهَتْهُ . لوثر Luther  
إِنَّ النِّسَاءَ حُورٌ هَرَبْنَ مِنْ رِضْوَانٍ ، وَهَجَرْنَ الْفَرَادِيسَ لِتَلْطِيفِ شَقَاءِ بَنِي

الْإِنْسَانِ . الإسكندر ديماس Alexandre Dumas

الْبُيُوتُ بِدُونِ النِّسَاءِ الصَّالِحَاتِ قُبُورٌ . بلزاك Bolzac

كُلَّمَا حَاوَلْتُ أَنْ أَتَخَيَّلَ السَّعَادَةَ تَمَثَّلَتْ أَمَامِي فِي صُورَةِ أُمْرَأَةٍ حَائِزَةٍ

لِجَمَالِ الْمَرْأَةِ وَعَقْلِ الرَّجُلِ . قاسم أمين

الرَّجُلُ نَثْرُ الْخَالِقِ وَالْمَرْأَةُ شِعْرُهُ . نابليون Napoleon

أُبَحِّثُ عَنْ قَلْبِ أَيِّ أُمْرَأَةٍ تَجِدُ أُمًّا . ميشليه Michelet

إِنِّهَامُ الْمَرْأَةِ فِي الْأَعْمِ الْأَغْلَبِ أَصْحُ مِنْ نَظَرِ الرَّجُلِ . غوستاف لوبون

Gustave Le Bon

لَكِنِّي يُحِبُّكَ النِّسَاءُ يَجِبُ أَنْ تَدْعَهُنَّ يَعْتَقِدَنَّ أَنَّكَ لَا تَفْهَمُهُنَّ ، فَإِنَّهُنَّ لَا يَتَصَوَّرْنَ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَفْهَمُهُنَّ وَيُحِبُّهُنَّ مَعًا . Chamfort

لا يُوجَدُ وَخَشٌ مُفْتَرَسٌ فِي الْغَايَةِ وَلَا تُعْبَانُ غَادِرٌ فَتَاكَ فِي الْأَحْرَاشِ أَقْسَى فِي طَبِيعَتِهِ مِنَ الْإِنْسَانِ فِي مُعَامَلَتِهِ لِلْمَرْأَةِ ، يَخُونُهَا وَهُوَ عَاشِقٌ ، وَيُهْمِلُهَا وَهِيَ زَوْجٌ ، وَيَنْسَاهَا وَهِيَ أُمٌّ ! ماري كوري Marie curie

أَيُّهُ فَضِيلَةٌ تُنْتَظَرُ مِنْ رَجُلٍ يَأْخُذُ عَلَى عَاتِقِهِ أَنْ يَعْثَبَ بِعَوَاطِفِ امْرَأَةٍ وَيَخْتَفِرَهَا لِأَنَّهَا صَارَتْ مَا أَرَادَ ، وَيَسْتَأْهَا وَيَزْدَرِيهَا لِحُبِّهَا إِيَّاهُ ، وَيَتْرُكُهَا بَعْدَ أَنْ شَاطَرَهَا الْمَلَذَّاتِ الَّتِي تَرَكَتْ فِي أَحْشَائِهَا حَسْرَةً وَمَرَارَةً وَالْمَأْمُورُ ! دي سانكور

هُوَ رُوحُ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَجْعَلُهُ يَقُولُ : سَأَكُونُ عَظِيمًا ، وَلَكِنْ هُوَ عَظْفُ الْمَرْأَةِ الَّذِي يَجْعَلُهُ غَالِبًا عَظِيمًا . بيكونسفيلد

لِيَخْذَرَ الرِّجَالُ مِنْ أَنْ يَكُونُوا سَبَبَ بُكَاءِ النِّسَاءِ ، لِأَنَّ اللَّهَ يَعُدُّ دُمُوعَهُنَّ .

التلمود



الْمَرْأَةُ فِي اللُّغَةِ :

٨ - الْمَرْءُ : الرَّجُلُ ، وَالْأُنْثَى : مَرْأَةٌ ، وَلِلْعَرَبِ فِي الْمَرْأَةِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ ، يُقَالُ : هِيَ امْرَأَتُهُ ، وَهِيَ مَرَاتُهُ ، وَهِيَ مَرْتُهُ ، وَالْمُرَيْتَةُ : تَصْغِيرُ الْمَرْأَةِ ، وَتَقُولُ : إِنَّ فُلَانًا تَزَوَّجَ امْرَأَةً ، تُرِيدُ : امْرَأَةً كَامِلَةً ، كَمَا يُقَالُ : فُلَانٌ رَجُلٌ ، أَيْ : كَامِلٌ فِي الرِّجَالِ ، وَالنِّسْوَةُ وَالنِّسْوَةُ وَالنِّسْوَانُ ! جَمْعُ الْمَرْأَةِ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ ، كَمَا يُقَالُ : ذَلِكَ وَأُولَئِكَ<sup>(١)</sup> ، وَالنِّسَاءُ جَمْعُ نِسْوَةٍ ، إِذَا كَثُرْنَ ،

(١) أَيْ : إِنَّ «أُولَئِكَ» جَمْعُ «ذَلِكَ» عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ .

وَالِإِضَافَةُ إِلَى نِسَاءٍ : نِسْوِيٍّ ، فَرَدَّ إِلَى وَاحِدِهِ - وَهُوَ نِسْوَةٌ - وَتَصْغِيرُ نِسْوَةٍ : نُسَيْيَّةٌ ، وَيُقَالُ : نُسَيْيَاتٌ ، وَهُوَ تَصْغِيرُ الْجَمْعِ ، هَذَا ، وَكَمَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ : مَرْءٌ ، وَلِلْأُنْثَى : أَمْرَأَةٌ ؛ يُقَالُ لِلرَّجُلِ : إِنْسَانٌ ، وَلِلْمَرْأَةِ : إِنْسَانٌ ، وَإِنْسَانَةٌ ، وَإِنْ كَانَتْ إِنْسَانَةٌ عَامِّيَّةً . وَقَدْ وَرَدَتْ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ قَلِيلًا ، قَالَ أَغْرَابِيُّ [من البسيط] :

إِنْسَانَةٌ الْحَيِّ أُمُّ أَدْمَانَةَ السَّمْرِ بِالنَّهْيِ رَقَّصَهَا لَحْنٌ مِنَ الْوَتْرِ<sup>(١)</sup>  
أَمَّا فِي شِعْرِ الْمُحَدِّثِينَ ، فَقَدْ قَالَ الثَّعَالِبِيُّ [راجع « القاموس المحيط » ، مادة : انس ؛] [من مجزوء الرجز] :

لَقَدْ كَسْتَنِي فِي الْهَوَى مَلَابِسَ الصَّبِّ الْغَزَلِ  
إِنْسَانَةً فَتَانَةً بَذُرَ الدُّجَى مِنْهَا خَجَلُ  
إِذَا زَنْتُ عَيْنِي بِهَا فَبِالدُّمُوعِ تَغْتَسِلُ  
وَحَكَى الصَّفَدِيِّ فِي « شَرْحِ لَامِيَّةِ الْعَجَمِ » أَنَّ ابْنَ الْمُسْتَكْفِي اجْتَمَعَ  
بِالْمُتَنَبِّي فِي مِصْرَ ، وَرَوَى عَنْهُ قَوْلُهُ [من السريع] :

لَا عَبَثُ بِالْخَاتِمِ إِنْسَانَةً كَمِثْلِ بَذْرِ فِي الدُّجَى النَّاجِمِ  
وَكُلَّمَا حَاوَلْتُ أَخْذِي لَهُ مِنَ الْبَنَانِ الْمُتَشْرِفِ النَّاعِمِ

(١) الْأَدْمَانَةُ : الطَّيْبَةُ يَنْلُوهَا جَدُّ فِيهَا غُبْرَةٌ ، وَتَسْكُنُ الْجِبَالَ ، وَهِيَ عَلَى أَلْوَانِ الْجِبَالِ . يُقَالُ : طَبِيبَةُ أَدْمَاءٍ وَأَدْمَانَةٌ ؛ وَالسَّمْرُ : شَجَرٌ صِغَارُ الْوَرَقِ قِصَارُ الشَّوْكِ ؛ وَالنَّهْيُ : الْغَدِيرُ وَكُلُّ مَوْضِعٍ يَجْتَمِعُ فِيهِ الْمَاءُ ؛ وَاللَّحْنُ فِي الْأَصْلِ : الْعِنَاءُ وَتَرْجِيعُ الصَّوْتِ ؛ وَالْوَتْرُ : أَخَذُ أَوْتَارِ الْقَوْسِ وَالْمِزْهَرِ ؛ وَقَالَ عُلَمَاءُ الْبَيَانِ : إِنَّ مِثْلَ هَذَا الْبَيْتِ مِنْ قَبِيلِ تَجَاهُلِ الْعَارِفِ لِلتَّنْدَلِ فِي الْحُبِّ وَاللَّهْشِ ، وَبَعْدُهُ [من البسيط]

يَا مَا أَمِيلُحْ غُزْلَانَا شَدَنَّ لَنَا مِنْ هَوْلَاءِ بَيْنِ الضَّالِّ وَالسَّمْرِ  
يَا ظَبِيَّاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَايَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشْرِ  
وَقَدْ نَسَبُوا هَذِهِ الْأَبْيَاتَ لِبَدَوِيٍّ يُسَمَّى : كَاهِنُ النَّفْقِيِّ ، وَيُنْسَبُ بَعْضُهَا لِغَيْرِهِ .

أَلْقَتْهُ فِي فِيهَا فَقُلْتُ أَنْظُرُوا قَدْ أَخَفَتِ الْخَاتِمَ فِي الْخَاتِمِ

وَقَالَ ابْنُ سُكْرَةَ الْهَاشِمِيُّ مِنْ شُعْرَاءِ « يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ » [من المنسرح] :

فِي وَجْهِهِ إِنْسَانَةٌ كَلَفْتُ بِهَا أَرْبَعَةً مَا اجْتَمَعْنَ فِي أَحَدٍ  
فَالْخَدُّ وَرْدٌ وَالْضُّدُغُ غَالِيَةٌ وَالرَّيْتُ خَمْرٌ وَالثَّغْرُ مِنْ بَرْدٍ  
لِكُلِّ جُزْءٍ مِنْ حُسْنِهَا بَدْعٌ تُودِعُ قَلْبِي وَدَائِعَ الْكَمَدِ

\* \* \*

ترتيب أسنان النساء :

٩ - قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : الْأُنْثَى تُسَانُ الذَّكَرَ حَتَّى الْكُعُوبِ وَالشُّبُولِ ،  
فَالشُّبُولُ لِلذَّكَرِ <sup>(١)</sup> ، وَالْكُعُوبُ لِلْأُنْثَى . . . أَقُولُ : وَعَلَى هَذَا يَكُونُ تَرْتِيبُ  
أَسْنَانِ الْمَرْأَةِ هَكَذَا : هِيَ طِفْلَةٌ ، مَا دَامَتْ صَغِيرَةً ، ثُمَّ وَلِيدَةٌ : إِذَا تَحَرَّكَتْ ،  
وَرُبَّمَا سُمِّيَتْ غُلَامَةً ، كَمَا يُسَمَّى الْوَلَدُ غُلَامًا مِنْ لَدُنْ فِطَامِهِ إِلَى سَبْعِ سِنِينَ ،  
قَالَ أَوْسُ بْنُ غُلَفَاءَ الْهُجَيْمِيُّ يَصِفُ فَرَسًا [من الوافر] :

أَعَانَ عَلَى مِرَاسِ الْحَرْبِ زَعْفٌ مُضَاعَفَةٌ لَهَا حَلَقٌ تُؤَامُ  
وَمُطَرِدُ الْكُعُوبِ وَمَشْرِفِيٍّ مِنَ الْأُولَى مَضَارِبُهُ حُسَامُ  
وَمِرْكُضَةٌ صَرِيحِيٍّ أَبْوَهَا تُهَانُ لَهَا الْغُلَامَةُ وَالْغُلَامُ  
زَعْفٌ : دِرْعٌ مُحْكَمَةٌ ؛ وَتَوَامُ ، جمع تَوَامٍ ، أَي : مُزْدَوِجٌ ؛ وَمُطَرِدُ  
الْكُعُوبِ ، يَعْنِي : الرَّمْحُ ؛ وَمَشْرِفِيٍّ ، يَعْنِي : السَّيْفُ ؛ وَمِرْكُضَةٌ ، أَي : أَنَّ  
هَذِهِ الْفَرَسَ رَكَاظَةٌ تَرْكُضُ الْأَرْضَ بِقَوَائِمِهَا إِذَا عَدَتْ وَأَخْضَرَتْ - أَسْرَعَتْ -

(١) جاء في « اللسان » [ مادة : شبل ] شَبَلَ الْغُلَامُ يَشْبُلُ شُبُولًا : رَبَا وَشَبَّ ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا فِي نَعْمَةٍ ، أَي : رَفَةٍ ، وَهُوَ شَابِلٌ .

وَتُرَوَّى : « وَمُرْكِضَةٌ » ، يُقَالُ : أَرْكَضَتِ الْفَرَسُ فَهِيَ مُرْكِضَةٌ وَمُرْكِضٌ : إِذَا أَضْطَرَبَ جَنِينُهَا فِي بَطْنِهَا ؛ وَالرَّوَايَةُ الْأُولَى أَنْسَبُ .

وَقَالَ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ : إِنَّ الْغُلَامَ - وَمِثْلَهُ الْغُلَامَةُ - يُطْلَقَانِ حَتَّى بَعْدَ الْبُلُوغِ ؛ ثُمَّ كَاعِبٌ وَكَعَابٌ ، وَهِيَ الَّتِي كَعَبَ نَذِيهَا ، وَذَلِكَ حِينَ يَبْدُو نَذِيهَا لِلْهُودِ ، وَمِنْ طِبَاعِ الْكَاعِبِ الصَّدْقُ فِي كُلِّ مَا تُسْأَلُ عَنْهُ ، وَقِلَّةُ الْكِتْمَانِ لِمَا عَلِمَتْهُ ، وَقِلَّةُ السِّرِّ وَالْحَيَاءِ ؛ ثُمَّ إِذَا هِيَ نَهَدَتْ فَهِيَ نَاهِدٌ ، وَتُسَمَّى : الْمُفْلَكُ ، يُقَالُ : نَهَدَ الثَّدْيِ وَفَلَكَ : إِذَا اسْتَدَارَ وَلَمْ يَتَكَمَّلْ بَعْدَ شَبَابُهَا ، فَتَسْتَرِّ بِغَضِّ الْاسْتِتَارِ ، وَتُظْهِرُ بَعْضَ مُحَاسِنِهَا ، وَتُحِبُّ أَنْ يُتَأَمَّلَ مِثْلُ ذَلِكَ مِنْهَا ، وَيُقَالُ لِهَذِهِ : نَاشِيَةٌ وَنَاشِئَةٌ ، كَمَا يُقَالُ لِلْغُلَامِ بَعْدَ الْإِحْتِلَامِ : نَاشِيَةٌ ، وَهُمْ النَّشَاءُ وَالنَّشَاءُ ، قَالَ نَصِيبٌ وَيُنْسَبُ لِأَبِي نُوَّاسٍ ، [مَنْ الْوَافِرُ] :

وَلَوْ لَا أَنَّ يُقَالُ صَبَا نُصِيبٌ لَقُلْتُ : بِنَفْسِي النَّشَاءُ الصَّغَارُ  
ثُمَّ هِيَ مُعْصِرٌ ، وَيُقَالُ : مُعْصِرَةٌ ، قَالَ الشَّاعِرُ [مَنْ الرَّجُلُ] :

مُعْصِرَةٌ أَوْ قَدْ دَنَا إِعْصَارُهَا يَنْحَلُّ مِنْ غُلْمَتِهَا إِزَارُهَا  
وَهِيَ الَّتِي أَمْتَلَأَتْ شَبَابًا وَأَسْتَكْمَلَ خَلْقُهَا وَعَظُمَ نَذِيهَا ، وَقِيلَ : هِيَ الَّتِي قَدْ رَاهَقَتِ الْعَشْرِينَ ؛ وَمِنْ طِبَاعِ الْمُعْصِرِ أَنْ يَخْذُلَ عِنْدَهَا دَلَالٌ وَأَدَبٌ ، وَتَحْلُو أَلْفَاظُهَا ، وَيَعْدُبُ كَلَامُهَا ، وَتَشْتَدُّ غُلْمَتُهَا ؛ وَيُقَالُ لِلْمُعْصِرِ : مُخَبَّأَةٌ ، لِأَنَّ الشَّانَ فِيهَا أَنْ تَسْتَرَّ ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ : خُبَاءَةٌ خَيْرٌ مِنْ يَفْعَةٍ سَوَاءٍ ، وَمَعْنَاهُ : بِنْتُ تَلَزُمُ الْبَيْتِ تَخْبَأُ نَفْسَهَا فِيهِ خَيْرٌ مِنْ غُلَامٍ سَوَاءٍ لَا خَيْرَ فِيهِ ؛ أَمَّا قَوْلُهُمْ : أَمْرَأَةٌ طَلَعَتْ خُبَاءَةً ، فَمَعْنَاهُ : الَّتِي تَطْلُعُ ثُمَّ تَخْبَأُ رَأْسَهَا ، وَهُوَ مَعْنَى لَا يَحْمَدُهُ الْعَرَبُ وَغَيْرُ الْعَرَبِ . ثُمَّ هِيَ عَانِسٌ ، إِذَا جَاوَزَتْ حَدَّ الْإِعْصَارِ ، وَتَهَيَّأَتْ نَذِيهَا لِلانْكِسَارِ ؛ وَعُنُسَتْ : حُسِيتْ عَنِ الزَّوْجِ . وَعِبَارَةٌ أَبِي عُبَيْدٍ : هِيَ الَّتِي تَعْجِزُ

فِي بَيْتِ أَبِيهَا لَا تَتَزَوَّجُ . . . وَقَدْ يَكُونُ الْعَانِسُ لِلرَّجُلِ ، وَأَنْشَدُوا [من البسيط] :

مِمَّا الَّذِي هُوَ مَا إِنْ طَرَّ شَارِبُهُ وَأَلْعَانِسُونَ وَمِمَّا الْمُرْدُ وَالشَّيْبُ<sup>(١)</sup>

قَالُوا : وَمِنْ طَبِيعَةِ الْعَانِسِ أَنْ تُحَسِّنَ مِشْيَتَهَا وَمَنْطِقَهَا ، وَتُبْدِيَ مَحَاسِنَهَا بِغُنْجٍ وَدَلَالٍ ، وَأَحْبَبَ الْأَشْيَاءَ إِلَيْهَا مُفَاكِهِةَ الرِّجَالِ وَمَدَاعِبَتُهُمْ ، وَهِيَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ قُوَّةُ الشَّهْوَةِ مُسْتَحْكَمَتُهَا ؛ ثُمَّ هِيَ مُسْلِفٌ وَنَصَفٌ وَعَوَانٌ ، وَهِيَ الَّتِي قَدْ بَلَغَتْ خُمْسًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَنَحْوَهَا ، وَهَذِهِ قَدْ تَنَاهَى شَبَابُهَا وَأَخَذَ مَاءٌ وَجْهَهَا فِي اللَّفْصِ ، وَلَحْمُهَا فِي الْاسْتِرْخَاءِ ، وَهِيَ الَّتِي قَالُوا فِيهَا [من البسيط] :

لَا تَتَكَحَّنَ عَجُوزًا إِنْ أَتَيْتَ بِهَا وَأَخْلَعَ ثِيَابَكَ مِنْهَا مُمْنَعًا هَرَبًا  
وَإِنْ أَتَوَكَ وَقَالُوا إِنَّهَا نَصَفٌ فَإِنَّ أَمْثَلَ نِصْفَيْهَا الَّذِي ذَهَبَا

وَمِنْ شِنَشِنَةِ الْمُسْلِفِ هَذِهِ أَنْ تُلَاطِفَ الرِّجَالَ وَتُخْرِصَ أَشَدَّ الْحِرْصِ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ هِيَ شَهْرَبَةٌ وَشَهْرَبَةٌ وَشَهْلَةٌ كَهْلَةٌ : إِذَا كَانَتْ مُسِنَّةً وَفِيهَا قُوَّةٌ ، ثُمَّ هِيَ حَيْزُبُونٌ : إِذَا كَانَتْ عَالِيَةَ السِّنِّ نَاقِصَةً الْقُوَّةَ ، ثُمَّ هِيَ لَطْلَطٌ : إِذَا قَوَسَتْ وَأُنْحَنَتْ وَسَقَطَتْ أَسْنَانُهَا .



كُنَايَاتُهُمْ عَنِ الْمَرَأَةِ :

١٠ - الْعَرَبُ تَكْنِي عَنِ الْمَرَأَةِ بِالْجَارَةِ ، وَالطَّلَّةِ ، وَالْحَرْثِ ، وَالْفِرَاشِ ،  
وَالسَّرْحَةِ ، وَالْعَتَبَةِ ، وَالْقَارُورَةِ ، وَالتَّعْجَةِ - الْبَقَرَةُ الْوَحْشِيَّةُ - وَالشَّاةِ - أَي :

(١) مَا إِنْ طَرَّ شَارِبُهُ ، أَي : مَا طَرَّ شَارِبُهُ ، فـ « إِنْ » زَائِدَةٌ ، وَ« مَا » نَافِيَةٌ ، وَطَرَّ شَارِبُهُ : طَلَعَ وَتَبَّتْ ، مِنْ بَابِ نَصَرَ وَضَرَبَ ؛ وَالْمُرْدُ ، جَمْعُ أَمْرَدٍ ، وَالشَّيْبُ ، جَمْعُ أَشْيَبٍ . وَفِي هَذَا الْبَيْتِ عُيُوبٌ ، مِنْهَا . أَنَّ ذَكَرَ الْمُرْدَ لَا يَحْسُنُ ، لِأَنَّ الَّذِي لَمْ يَتَبَّ شَارِبُهُ أَمْرَدٌ . أَنْظِرِ « الْمُغْنِي » لِابْنِ هِشَامٍ مَادَّةَ « مَا » .

الطَّبِيبَةِ - وَالْقُلُوصِ - الْفَتِيَّةِ مِنَ الْإِبِلِ - وَالْقَوْصَةِ .

١١ - فَأَمَّا الْجَارَةُ ، فَيَقُولُ الْأَعشى [من الطويل] :

\* أَيَا جَارَتَا بَيْنِي فَإِنَّكَ طَالِقَةٌ <sup>(١)</sup> \*

وَقَالَ فِي « اللسان » [مادة : جور] : وَالْمَرْأَةُ جَارَةُ زَوْجِهَا ، لِأَنَّهُ مُؤْتَمَرٌ عَلَيْهَا ، وَأُمِرْنَا أَنْ نُحْسِنَ إِلَيْهَا ، وَأَنْ لَا نَعْتَدِي عَلَيْهَا ، لِأَنَّهُ تَمَسَّكَتْ بِعَقْدِ حُرْمَةِ الصَّهْرِ ، وَصَارَ زَوْجُهَا جَارَهَا ، لِأَنَّهُ يُجِيرُهَا وَيَمْنَعُهَا وَلَا يَعْتَدِي عَلَيْهَا .

١٢ - وَأَمَّا الطَّلَّةُ ، فَهِيَ أَصِيلَةٌ عِنْدَ بَعْضِهِمْ ، وَكِنَايَةٌ عِنْدَ آخَرِينَ ، وَالطَّلَّةُ أَيْضاً : الزَّوْجَةُ كَمَا سَيَأْتِي [راجع رقم : ٣١] ، قَالَ الشَّاعِرُ [من الطويل] :

وَإِنِّي لَمُحْتَاجٌ إِلَى مَوْتِ طَلَّتِي وَلَكِنْ قَرِينُ الشُّوءِ بَاقٍ مُعَمَّرُ  
فَيَا لَيْتَهَا صَارَتْ إِلَى الْقَبْرِ عَاجِلاً وَعَذَّبَهَا فِيهِ نَكِيرٌ وَمُنْكَرُ  
وَقَالَ عَمْرُو بْنُ حَسَّانٍ [من الوافر] :

أَفِي نَائِبِنَ نَالَهُمَا إِسَافٌ تَأْوُهُ طَلَّتِي مَا إِنْ تَنَامُ  
النَّابُ : الشَّارِفُ مِنَ التُّوقِ ، وَإِسَافٌ : أَسْمُ رَجُلٍ .

١٣ - وَأَمَّا الْحَزْتُ ، فَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ﴿ يَسْأُوكُم حَزْتُ لَكُمْ ﴾ [٢ سورة

(١) يُرْوَى أَنَّ الْأَعشى كَانَ مُتَزَوِّجاً بِامْرَأَةٍ مِنْ عَنَزَةٍ ، فَأَتَاهُ أَخْتَانُهُ وَقَالُوا لَهُ : وَاللَّهِ لَا نَزْفَعُ عَنْكَ الْعَصَا حَتَّى تُطْلُقَ أَمْرَاتَكَ ، فَإِنَّكَ قَدْ أَضْرَزْتَ بِهَا ؛ فَقَالَ [من الطويل] :

أَيَا جَارَتَا بَيْنِي فَإِنَّكَ طَالِقَةٌ كَذَلِكَ أُمُورُ النَّاسِ غَادٍ وَطَارِقُهُ فَقَالُوا : وَاللَّهِ لَا نَزْفَعُهَا عَنْكَ حَتَّى تُتْنِي ؛ فَقَالَ :

بَيْنِي فَبِإِنْ الْبَيْتِ خَيْرٌ مِنَ الْعَصَا وَأَنْ لَا تَزَالَ فَوْقَ رَأْسِ بَارِقَةٍ فَقَالُوا : حَتَّى تُتْلَى ؛ فَقَالَ :

وَبَيْنِي حَصَانُ الْفَرْجِ غَيْرَ ذَمِيمَةٍ وَمَوْمُوقَةٌ قَدْ كُنْتُ فِيْنَا وَوَامِقَةٌ



البقرة/ الآية : ٢٢٣] قال في « اللسان » [ مادة : حرث ] : وَالْمَرْأَةُ حَرَّتُ الرَّجُلَ ،  
 أي : يَكُونُ وَلَدُهُ مِنْهَا كَأَنَّهُ يَحْرُثُ لِيَزْرَعَ ، وَأَنْشَدَ الْمُبَرِّدُ [من الوافر] :  
 إِذَا أَكَلَ الْجَرَادُ حُرُوثَ قَوْمٍ فَحَزَنِي هُمُّهُ أَكَلُ الْجَرَادِ  
 يعني بِحَزَنِهِ : أَمْرَاتِهِ .

١٤ - وَأَمَّا الْفِرَاشُ ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي وَصْفِ نِسَاءِ الْجَنَّةِ : ﴿ وَفُشٍ  
 مَرْفُوعَةٍ ﴾ [ ٥٦ سورة الواقعة/ الآية : ٣٤ ] يعني : نِسَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ ذَوَاتُ الْفُشِ ؛  
 وَمَرْفُوعَةٌ ، أَيُ : رُفِعْنَ بِالْجَمَالِ عَنْ نِسَاءِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَكُلُّ فَاضِلٍ رَفِيعٌ ، أَلَا  
 تَرَاهُ يَقُولُ عَلَى إِثْرِهَا : ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنْشَاءً ۖ ﴿٣٥﴾ لَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴾ [ ٥٦ سورة  
 الواقعة/ الآيتان : ٣٥ و ٣٦ ] وَرُوي عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ : أَسْتَوْثِرُ  
 فِرَاشَكَ ، أَيُ : تَخَيَّرَ السَّمِيمَةَ مِنَ النِّسَاءِ ، وَيُقَالُ : فُلَانٌ كَرِيمُ الْمَقَارِشِ : إِذَا  
 تَزَوَّجَ كَرَائِمَ النِّسَاءِ .

١٥ - وَأَمَّا السَّرْحَةُ - وَهِيَ : الشَّجَرَةُ - فَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ الْأَزْهَرِيُّ [« لسان  
 العرب » ، مادة : سرح ] : أَلْعَرَبُ تَكْنِي عَنْ الْمَرْأَةِ بِالسَّرْحَةِ الثَّابِتَةِ عَلَى الْمَاءِ . وَمِنْهُ  
 قَوْلُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ [من البسيط] :

يَا سَرْحَةَ الْمَاءِ قَدْ سُدَّتْ مَوَارِدُهُ      أَمَا إِلَيْكَ طَرِيقُ غَيْرِ مَسْدُودٍ  
 لِحَائِمِ حَامٍ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ      مُحَلًّا عَنْ طَرِيقِ الْوَرْدِ مَرْدُودٍ<sup>(١)</sup>  
 كَنَى بِالسَّرْحَةِ الثَّابِتَةِ عَلَى الْمَاءِ عَنِ الْمَرْأَةِ ، لِأَنَّهَا حِينَئِذٍ أَحْسَنُ مَا تَكُونُ .  
 وَقَالَ حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ [من الطويل] :

(١) حَلًّا لِلْإِبِلِ وَالْمَاشِيَةِ عَنِ الْمَاءِ تَخْلِيئًا وَتَخْلِئَةً : طَرَدَهَا ، أَوْ حَبَسَهَا عَنِ الْوُرُودِ وَمَنَعَهَا أَنْ  
 تَرِدَهُ ، وَالْحَائِمُ : الْعَطْشَانُ يَحُومُ حَوْلَ الْمَاءِ .

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ سَرَحَةَ مَالِكٍ عَلَى كُلِّ أَفْئَانِ الْعِصَاةِ تَرُوقُ<sup>(١)</sup>  
كُنَى عَنِ امْرَأَةِ مَالِكٍ بِسَرَحَةِ مَالِكٍ أَحْسَنَ كِنَايَةٍ ، وَعَبَّرَ عَنْ تَفَوُّقِهَا فِي  
الْحُسْنِ عَلَى سَائِرِ الْغَوَانِي أَحْسَنَ عِبَارَةً ، وَالْعِصَاةُ : أَعْظَمُ الشَّجَرِ ، وَقِيلَ :  
أَسْمُ يَقْعُ عَلَى مَا عَظُمَ مِنْ شَجَرِ الشَّوْكِ وَطَالَ وَاشْتَدَّ شَوْكُهُ ، وَالوَاحِدُ :  
عِصَاهَةٌ .

١٦ - وَأَمَّا الْعَبْتَةُ ، فَقَدْ رَوَوْا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ زَارَ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ وَهُوَ  
فِي مَكَّةَ ، فَوَافَقَ حُضُورَهُ غَيْبَتَهُ عَنْ مَنْزِلِهِ ، فَقَدِمَتْ عَلَيْهِ امْرَأَتُهُ ، وَأَخْبَرَتْهُ بِسُوءِ  
حَالِهِ ، وَلَمْ تَعْرِضْ عَلَيْهِ الْقِرَى ، فَقَالَ لَهَا : قُولِي لِابْنِي : إِنَّ أَبَاكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ  
السَّلَامَ ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُغَيِّرَ عَتَبَتَكَ ؛ فَلَمَّا رَجَعَ إِسْمَاعِيلُ وَقَصَّتْ عَلَيْهِ الْمَرْأَةُ  
الْقِصَّةَ طَلَّقَهَا فِي السَّاعَةِ أَمْتًا لِأَمْرِ أَبِيهِ ، لِأَنَّ قَوْلَهُ : غَيَّرَ عَتَبَتَكَ ، كِنَايَةٌ عَنْ  
طَلَّاقِهَا .

١٧ - وَأَمَّا الْقَارُورَةُ ، فَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لَأَنْجَشَةَ وَهُوَ يَخْذُو  
بِالنِّسَاءِ : « رِفْقًا أَنْجَشَةُ بِالْقَوَارِيرِ » [راجع البخاري ، رقم : ٥٦٨٣ ؛ مسلم ، رقم :  
٤٢٨٧ - ٤٢٩٠] أَرَادَ بِالْقَوَارِيرِ النِّسَاءَ .

١٨ - وَأَمَّا التَّعْجَةُ وَالشَّاءُ ؛ وَالتَّعْجَةُ فِي الْأَصْلِ : الْبَقَرَةُ الْوَحْشِيَّةُ ، قَالَ أَبُو  
عُبَيْدٍ [« لسان العرب » ، مادة : نعيم] : وَلَا تُقَالُ لِغَيْرِ الْبَقَرِ مِنَ الْوَحْشِ ، قَالَ عُمَرُ أَبُو  
أَبِي رَيْبَعَةَ [من الخفيف] :

(١) تَرُوقُ ، أَي : تَزِيدُ عَلَيْهَا بِحُسْنِهَا وَبَهَائِهَا ، مِنْ قَوْلِهِمْ : رَاقٍ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ : إِذَا زَادَ عَلَيْهِ  
فَضْلًا ، وَحُمَيْدُ بْنُ نُورٍ هَذَا قَدْ أَذْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، وَكَانَ عُمَرُ قَدْ تَقَدَّمَ إِلَى الشُّعْرَاءِ أَنْ  
لَا يُسَبِّبَ أَحَدًا بِامْرَأَةٍ إِلَّا جَلَدَهُ ، فَقَالَ حُمَيْدُ بْنُ نُورٍ قَصِيدَتَهُ الْقَافِيَةَ الَّتِي مِنْهَا هَذَا الْبَيْتُ « انظر  
« الأغاني » طبعة دار الكتب ، ج ٤ ، ص ٣٥٦ .

قُلْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ وَزَهْرٌ تَهَادَى كِنَعَاكِ الْمَلَا تَعَسَّفَنَ رَمَلًا<sup>(١)</sup>  
وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ يَصِفُ رَمَلَةً ، واحدة الرَّمْلِ [من الطويل] :

إِذَا مَا عَلَاهَا رَاكِبُ الضَّيْفِ لَمْ يَزَلْ يَرَى نَعْجَةً فِي مَرْتَعٍ فَيُبِيرُهَا  
مَوْلَعَةً خَنْسَاءَ لَيْسَتْ بِنَعْجَةٍ يُدَمِّنُ أَجْوَافَ الْمِيَاهِ وَقِيرُهَا  
يقول : هِيَ نَعْجَةٌ وَخَشِيَّةٌ لَا إِنْسِيَّةٌ تُدَمِّنُ أَوْلَادُهَا أَجْوَافَ الْمِيَاهِ ؛  
وَالضَّيْفُ : جَانِبُ الْجَبَلِ أَوْ الْوَادِي ؛ وَمَوْلَعَةٌ : مَخْطُوطَةٌ الْقَوَائِمِ ؛  
وَالخَنْسَاءُ : قَصِيرَةُ الْأَنْفِ عَرِيضَةُ الْأَرْبَةِ ، وَالْبَقَرُ كُلُّهَا خُنْسٌ ؛ وَيُدَمِّنُ :  
يُغَيِّرُ ، مِنْ دَمَمَتِ الْمَاشِيَةُ الْمَكَانَ : بَعَرَتْ فِيهِ وَبَالَتْ ؛ وَالْوَقِيرُ : صِغَارُ الْغَنَمِ  
وَأَوْلَادُهَا .

أَقُولُ : أَمَّا النَّعْجَةُ فَفِي قِصَّةِ دَاوُدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ  
وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً ﴾ [سورة ص/ الآية : ٢٣] فَجَعَلَ النَّعْجَةَ كِنَايَةً عَنْ  
الْمَرْأَةِ .

١٩ - وَأَمَّا الشَّاةُ ، وَمُرَادُهُمُ الظَّبْيَةُ أَوْ الْبَقَرَةُ الْوَحْشِيَّةُ ؛ فَقَدْ قَالَ الْأَعَشَى  
[من الكامل] :

قَدْ كُنْتُ رَائِدَهَا ، وَشَاةٍ مُحَاذِرٍ حَذِرٍ يُقِلُّ بِعَيْنِهِ إِغْفَالَهَا  
فَظَلَلْتُ أَزْعَاهَا وَظَلَّ يَحُوطُهَا حَتَّى دَنَوْتُ إِذِ الظَّلَامُ بَدَا لَهَا  
فَرَمَيْتُ غَفْلَةً عَيْنِهِ عَنْ شَاتِهِ فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطِحَالَهَا<sup>(٢)</sup>

(١) الزَّهْرُ ، جَمْعُ زَهْرَاءَ ، وَهِيَ : الْبَيْضَاءُ الْمُشْرِقَةُ ؛ وَتَهَادَى ، أَيِ : يَمْشِينَ مَشْيًا رَوْنِدًا  
بِسُكُونٍ ؛ شَبَّهَ النِّسَاءَ بِقَرِ الْوَحْشِ فِي سُكُونِ الْمَشْيِ فِي الرَّمْلِ ؛ وَتَعَسَّفَنَ : رَكِبَنَ ، وَإِذَا  
مَسَّتِ الْبَقَرُ فِي الرَّمْلِ كَانَ أَسْكَنُ لِمَشْيِهَا لَصُعْبَةِ الْمَشْيِ فِيهِ .

(٢) قَدْ كُنْتُ رَائِدَهَا ، فَالضَّمِيرُ يَعُودُ إِلَى مَا فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَرُبَّ شَاةٍ رَجُلٍ مُحَاذِرٍ يُقِلُّ =

وَقَالَ عَنَّتَرَةُ فِي مُعَلَّقَتِهِ [من الكامل] :

يَا شَاةَ مَا فَنَصِي لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ      حَرُمْتُ عَلَيَّ وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْرُمِ<sup>(١)</sup>  
فَبَعَثْتُ جَارِيَتِي فَقُلْتُ لَهَا أَذْهَبِي      فَتَجَسَّسِي أَخْبَارَهَا لِي وَأَعْلِمِي  
قَالَتْ : رَأَيْتُ مِنَ الْأَعَادِي غِرَّةً      وَالشَّاةُ مُمَكِّنَةٌ لِمَنْ هُوَ مُرْتَمٍ<sup>(٢)</sup>

٢٠ - وَأَمَّا الْقُلُوصُ - وَالْقُلُوصُ فِي الْأَصْلِ : الثَّاقَةُ الشَّابَّةُ - فَقَدْ كَتَبَ رَجُلٌ  
مِنَ الْمُسْلِمِينَ - وَأَسْمُهُ بُقَيْلَةُ الْأَكْبَرُ الْأَشْجَعِيُّ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو الْمِنْهَالِ - إِلَى  
عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مِنْ مَغْزَى لَهُ فِي شَأْنِ رَجُلٍ كَانَ يُخَالِفُ الْغَزَاةَ إِلَى  
الْمُغِيبَاتِ<sup>(٣)</sup> ، وَهَذَا الرَّجُلُ يُسَمَّى جَعْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السَّلَمِيِّ ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَى  
مَدِينَتِهِمْ ، قَالُوا : وَكَانَ يُخْرِجُ الْجَوَارِي إِلَى سَلْعٍ - جَبَلٍ - عِنْدَ خُرُوجِ أَزْوَاجِهِمْ  
إِلَى الْغَزَاةِ ، فَيَعْقُلُهُنَّ كَأَنَّهُ زَوْجُهُنَّ ، فَكَتَبَ أَبُو الْمِنْهَالِ إِلَى عُمَرَ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ

= إِفْغَالُ عَيْنِهِ ، فَظَلَلْتُ أَرَأِبُ الشَّاةَ - أَي : أَمْرَأَتَهُ الْجَمِيلَةَ - وَظَلَّ هُوَ يَخْفِظُهَا حَتَّى قَرُبْتُ مِنْهَا  
حِينَ قَرَبَ الظَّلَامُ وَدَخَلَ اللَّيْلُ ، فَرَمَيْتُ شَاتَهُ حِينَ غَفَلَتْ عَيْنُهُ عَنْ شَاتِهِ الَّتِي كَانَ يَخْفِظُهَا - وَفِيهِ  
نَوْعٌ تَهْكُمُ - فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا - أَي : وَسَطَهُ - وَأَصَبْتُ طِحَالَهَا . شَبَّهَ حَالَهُ ظَفَرِهِ بِمُرَادِهِ عَلَى  
حِينَ غَفَلَتْ مِنَ الرَّقِيبِ وَإِصَابَةِ أَحْشَاءِ الْمَرْأَةِ بِالْحُبِّ بِحَالِ مَنْ ظَفَرَ بِرُمِي الشَّاةِ بِالسَّهْمِ عَلَى  
غَفْلَةٍ مِنَ الرَّاعِي ، وَقَدْ عَابُوا عَلَيْهِ قَوْلَهُ : وَطِحَالَهَا ؛ وَذَلِكَ أَنَّ أَدْبَاءَ الشُّعْرَاءِ إِنَّمَا يَذْكُرُونَ  
الْفُؤَادَ وَالْقَلْبَ وَالْكَبِدَ عِنْدَ ذِكْرِ الْهَوَى وَعِلْبَةِ الشَّوْقِ لِمَا يَجِدُونَهُ فِي هَذِهِ الْأَغْضَاءِ مِنْ حَرَارَةِ  
الْوَجْدِ ، وَلَمْ يَجِدُوا لِلطَّحَالِ فِي هَذِهِ الْحَالِ حَرَارَةَ عَشْقٍ أَوْ نَارَ حُزْنٍ ، فَلَمْ يَذْكُرُوهُ .

(١) ما : زائدة ، يقول : يا هَوْلَاءِ أَشْهَدُوا شَاةَ فَنَصِي لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ ، فَتَعَجَّبُوا مِنْ حُسْنِهَا  
وَجَمَالِهَا ، فَإِنَّهَا حَازَتْ أَتَمَّ الْجَمَالِ ، وَالْمَعْنَى : هِيَ حَسَنَاءُ جَمِيلَةٌ مَنُوعٌ لِمَنْ كَلَفَ بِهَا  
وَشَغَفَ بِحُبِّهَا ، وَلَكِنَّهَا حَرُمْتُ عَلَيَّ ، وَلَيْتَهَا لَمْ تُحْرَمْ ، أَي : لَيْتَ أَبِي لَمْ يَتَزَوَّجْهَا ،  
وَقِيلَ : أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّهَا حَرُمْتُ عَلَيْهِ بِأَشْتَبَاكِ الْحَرْبِ بَيْنَ قَبِيلَتَيْهِمَا .

(٢) يقول : فَقَالَتْ جَارِيَتِي : صَادَفْتُ الْأَعَادِي غَافِلِينَ عَنْهَا ، وَرَمَيْتُ الشَّاةَ مُمَكِّنٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ  
يَزْتَمِيَهَا ، يُرِيدُ : أَنْ زَيَّارَتَهَا مُمَكِّنَةٌ لِطَالِبِهَا لِغَفْلَةِ الرَّقَبَاءِ عَنْهَا .

(٣) الْمُغِيبَةُ : الَّتِي غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا .

[من الوافر] :

أَلَا أُبْلِغُ أَبَا حَفْصٍ رَسُولًا      فِدَى لَكَ مِنْ أَحْيَى ثِقَةٍ إِزَارِي  
 قَلَانِصْنَا هَذَاكَ اللَّهُ إِنَّا      شُغِلْنَا عَنْكُمْ زَمَنَ الْحِصَارِ  
 فَمَا قُلُوصٌ وَجِدْنَ مُعَقَّلَاتِ      قَفَا سَلْعٍ بِمُخْتَلَفِ التَّجَارِ  
 يُعَقِّلُهُنَّ جَعْدَةٌ مِنْ سُلَيْمٍ      وَيُنْسُ مُعَقَّلُ الذَّوْدِ الْخِيَارِ

أراد بالقلائص النساء ، وَنَصَبَ قَلَانِصْنَا عَلَى الْمَفْعُولِ بِإِضْمَارِ فِعْلٍ ،  
 أَي : تَدَارَكَ قَلَانِصْنَا ؛ وَكَتَبَ بِالْإِزَارِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ عَنِ الْمَرْأَةِ أَوْ النَّفْسِ ،  
 يَقُولُ : نَفْسِي وَأَهْلِي فِدَى لَكَ ، وَقَوْلُهُ : فَمَا قُلُوصٌ وَجِدْنَ مُعَقَّلَاتِ ، يَعْنِي :  
 نِسَاءً مُعَقَّلَاتٍ لِأَزْوَاجِهِنَّ كَمَا تُعَقَّلُ الثُّوقُ عِنْدَ الضَّرَابِ ؛ وَسَلْعٌ : جَبَلٌ ؛  
 وَقَفَاهُ : وَرَاءَهُ وَخَلْفَهُ ؛ وَمُخْتَلَفُ التَّجَارِ ، أَي : فِي حَيْثُ يَخْتَلِفُ التَّجَارُ ؛  
 وَقَوْلُهُ : يُعَقِّلُهُنَّ جَعْدَةٌ ، أَرَادَ أَنَّهُ يَتَعَرَّضُ لَهُنَّ ، فَكَتَبَ بِالْعَقْلِ عَنِ الْجَمَاعِ ،  
 أَي : إِنْ أَزْوَاجَهُنَّ يَغْفِلُونَهُنَّ وَهُوَ يُعَقِّلُهُنَّ أَيْضًا ، كَأَنَّ الْبَدَأَ لِلْأَزْوَاجِ ، وَالْإِعَادَةَ  
 لَهُ ؛ وَالذَّوْدُ : الْقَطِيعُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَالْمُرَادُ النِّسَاءُ .

فلما وَقَفَ عُمَرُ عَلَى الْأَبْيَاتِ عَزَلَهُ وَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ ، فَأَعْتَرَفَ ،  
 فَجَلَدَهُ مِئَةً مَعْقُولًا - مَشْدُودًا بِالْعِقَالِ - وَأَطْرَدَهُ إِلَى الشَّامِ ، ثُمَّ سُئِلَ فِيهِ أَنْ يَدْخُلَ  
 لِيُجَمِّعَ - أَي : يُصَلِّيَ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ - فَكَانَ إِذَا رَأَاهُ عُمَرُ تَوَعَّدَهُ ، فَقَالَ [من  
 الوافر] :

أَكَلَّ الدَّهْرُ جَعْدَةً مُسْتَحِقًّا      أَبَا حَفْصٍ لِشْتَمٍ أَوْ وَعِيدِ  
 فَمَا أَنَا بِالْبَرِيِّ بَرَاهُ عُذْرٌ      وَلَا بِالْخَالِعِ الرَّسَنِ الشُّرُودِ

[راجع القصة في « الإصابة » ترجمة : جعدة السلمي ٥٢٩/١ ، وكذلك « لسان العرب » مادة :

[عقل]

٢١ - وَأَمَّا الْقَوْصَرَةُ أَوْ الْقَوْصَرَةُ - وَهِيَ فِي الْأَصْلِ : وَعَاءٌ مِنْ قَصَبٍ -  
بُوصٍ - يُرْفَعُ فِيهِ التَّمْرُ مِنَ الْبَوَارِي - جَمْعُ بَارِيَّةٍ : الْحَصِيرِ الْمَنْسُوجِ - فَقَدْ قَالَ  
الرَّاجِزُ ، وَيُنْسَبُ إِلَى عَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَإِنِّي أَسْتَبْعِدُ أَنْ يَكُونَ عَلِيٌّ أَبَا عَدْرِ  
هَذَا الرَّجَزِ [من الرجز] :

أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ قَوْصَرَةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً  
أَرَادَ بِالْقَوْصَرَةِ الْمَرْأَةَ ، وَبِالْأَكْلِ التَّكَاحَ ، وَبَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ :

أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ مِرْحَةٌ يَزُحُّهَا ثُمَّ يَنَامُ الْفَخَّةُ  
[وراجع القصة في « البداية والنهاية » لابن كثير ، الجزء الثامن ، السنة الأربعون] .

وَالْمِرْحَةُ أَيْضاً : زَوْجَةُ الرَّجُلِ لِأَنَّهُ يَزُحُّهَا ، أَيْ : يُجَامِعُهَا ؛ وَالْفَخَّةُ :  
نَوْمَةُ الْغَدَاةِ أَوْ نَوْمَةُ التَّعَبِ . وَبَعْدَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ دَوْخَلَةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ مَلَّةً<sup>(١)</sup>  
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ هِرْشَقَةٌ وَنَشَفَةٌ يَمْلَأُ مِنْهَا كَفَّهُ<sup>(٢)</sup>  
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ كِرْدِيدَةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَهُوَ ثَانٍ جِيدَهُ<sup>(٣)</sup>  
وَأَمَّا الْبَيْتُ ، فَقَدْ قَالَ الرَّاجِزُ :

(١) الدَّوْخَلَةُ : سَفِيفَةٌ - نَسِيجٌ - مِنْ خُوصٍ يُوَضَعُ فِيهَا التَّمْرُ وَالرُّطْبُ ، أَشْبَهُ بِالزَّنْبِيلِ ، وَالْمَلَّةُ :  
الْمَرْأَةُ .

(٢) الْهِرْشَقَةُ : خِرْقَةٌ يَنْشَفُ بِهَا مَاءُ الْمَطَرِ مِنَ الْأَرْضِ ، ثُمَّ تُعَصَّرُ فِي الْجُفِّ - ضَرْبٌ مِنَ الْأَوْعِيَةِ -  
وَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ قِلَّةِ الْمَاءِ ؛ أَمَّا النَّشَفَةُ ، فَهِيَ : الْحِجَارَةُ السُّودُ كَانَتْهَا مُخْتَرِقَةٌ تَذَلُّكَ بِهَا  
الْأَقْدَامُ وَيُحَكُّ بِهَا الْوَسَخُ عَنِ الرَّجْلِ وَالْيَدِ . [كذا فَسَّرَ الْبَرْقُوقِيُّ النَّشَفَةَ ، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ وَهُوَ  
الْمُنَاسِبُ أَنْ يَقُولَ كَمَا جَاءَ فِي « الْقَامُوسِ » : خِرْقَةٌ يَنْشَفُ بِهَا مَاءُ الْمَطَرِ ، وَتُعَصَّرُ فِي  
الْأَوْعِيَةِ] .

(٣) الْكِردِيدَةُ : الْقِطْعَةُ الْعَظِيمَةُ مِنَ التَّمْرِ ؛ وَهُوَ ثَانٍ جِيدَهُ ، يَرِيدُ : وَهُوَ فِي رَاحَةِ وَدَعَاةٍ .

## \* أَكْبَرُ غَيْرَنِي أَمْ بَيْتُ \*

يريد امرأته .

٢٢ - وأما الدُّمِيَّةُ - وهي في الأصل : الصُّورَةُ المنقَّشَةُ يُنَمَّقُ فِي صَنَعَتِهَا وَبِالْعُ فِي تَحْسِينِهَا - وَيُكْنَى بِهَا عَنِ الْمَرْأَةِ . فَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ سُلَيْمِيُّ بْنُ رَبِيعَةَ - شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ - وهذه الأبيات في « حَمَاسَةِ أَبِي تَمَّام » [من مخلع البسيط] :

إِنَّ شِـوَاءَ وَنَشْـوَةً      وَخَبَبَ الْبَازِلِ الْأُمُونِ<sup>(١)</sup>  
يُجْشِمُهَا الْمَرْءُ فِي الْهَوَى      مَسَافَةَ الْغَائِطِ الْبَطِينِ<sup>(٢)</sup>  
وَالْبَيْضُ يَرْفُلْنَ كَالدُّمَى      فِي الرِّيْطِ وَالْمُذْهَبِ الْمَصُونِ<sup>(٣)</sup>  
وَالْكُنْزَ وَالْخَفْضَ آمِنًا      وَشِرْعَ الْمِزْهَرِ الْحَنُونِ<sup>(٤)</sup>  
مِنْ لَذَةِ الْعَيْشِ وَالْفَتَى      لِلدَّهْرِ وَالِدَّهْرِ ذُو فُتُونِ<sup>(٥)</sup>

(١) الشَّوَاءُ : اللَّحْمُ الْمَشْوِيُّ ؛ وَالنَّشْوَةُ : السُّكَّرُ ؛ وَالْخَبَبُ : الشَّرْعَةُ ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْجَزْيِ ؛ وَيُقَالُ لِلثَّاقَةِ وَالْبَعِيرِ إِذَا اسْتَكْمَلَ السَّنَةَ الثَّامِنَةَ وَطَعَنَ فِي التَّاسِعَةِ وَفَطَرَ نَابُهُ ، أَيْ : أَنْشَقَ : بَازِلٌ ؛ وَنَاقَةُ أُمُونٌ : وَثِيقَةُ الْخَلْقِ ، قَدْ أَمِنَتِ الْعِثَارَ وَالْإِغْيَاءَ ، أَيْ : لَيْسَتْ ضَعِيفَةً .

(٢) « يُجْشِمُهَا الْمَرْءُ » صِفَةُ لِبَازِلٍ ، أَيْ : يُكَلِّفُهَا صَاحِبُهَا قَطْعَ الْمَسَافَةِ الْبَعِيدَةِ فِيمَا يَهْوَاهُ ؛ وَالْغَائِطُ : الْمُطْمَئِنُّ مِنَ الْأَرْضِ ؛ وَالْبَطِينُ : الْوَاسِعُ الْغَامِضُ .

(٣) الْبَيْضُ : النِّسَاءُ ؛ وَالرِّيْطُ ، جَمْعُ رِبْطَةٍ ، وَهِيَ : الْمَلَأَةُ ؛ وَالْمُذْهَبُ : مَا حُبِكَ نَسْجُهُ مِنْ الثَّيَابِ بِخِيوطٍ مِنَ الذَّهَبِ ؛ وَيَرْفُلْنَ : يَبْتَحِرْنَ .

(٤) الْكُنْزُ ، يَعْنِي بِهِ كَثْرَةُ الْمَالِ ؛ وَالْخَفْضُ : الدَّعَةُ ؛ وَآمِنًا : نَضَبٌ عَلَى الْحَالِ ؛ وَالشَّرْعُ ، جَمْعُ شَرْعَةٍ ، وَهِيَ : الْوَتَرُ .

(٥) « مِنْ لَذَةِ الْعَيْشِ » خَبَرٌ « إِنَّ » فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ؛ يَقُولُ هَذَا الشَّاعِرُ : إِنَّ أَكْلَ الشَّوَاءِ وَشُرْبَ الْخَمْرِ وَأَعْمَالَ الثَّاقَةِ فِي مَارِبِ الْإِنْسَانِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرَ ، لَذَّةٌ يُصِيبُهَا الْمَرْءُ فِي الْحَيَاةِ ؛ وَقَوْلُهُ : « وَالْفَتَى لِلدَّهْرِ وَالِدَّهْرِ ذُو فُتُونٍ » يَقُولُ : إِنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِمَّا يَلِدُ الْإِنْسَانَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مَا دَامَ الْإِنْسَانُ مُسْتَهْدَفًا فِيهَا لِلدَّهْرِ ذِي الْغَيْرِ وَالْأَفَانِينَ ؛ فَالِرَّأُو فِي قَوْلِهِ : « وَالْفَتَى » وَهُوَ الْحَالُ .

٢٣ - هَذَا وَقَدْ كَتَبَ ابْنُ الْعَمِيدِ وَالصَّاحِبُ ابْنُ عَبَّادٍ وَأَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي وَطَبَقْتُهُمْ ، عَنْ ابْنَتِ الْكَرِيمَةِ ، وَعَنْ الصَّغِيرَةِ بِالرَّيْحَانَةِ - وَالرَّيْحَانَةُ أَيْضاً : كِنَايَةُ الزَّوْجَةِ - ، وَعَنْ الْأُمِّ بِالْبَرَّةِ وَالْحُرَّةِ ، وَعَنْ الْأُخْتِ بِالشَّقِيقَةِ ، وَعَنْ الزَّوْجَةِ بِكَبِيرَةِ الْبَيْتِ ، وَعَنْ الْحَرِيمِ بِمَنْ وَرَاءَ السُّتْرِ ، وَعَنْ الزَّفَافِ بِتَأْلِيفِ الشَّمْلِ ؛ وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ ، وَلِلْأَدْبَاءِ فِيهِ افْتِنَانٌ .

٢٤ - وَمِنْ طَرِيفِ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا أَهْدَى خُمَارَوَيْهَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ابْنَتَهُ قَطَرَ النَّدَى إِلَى الْمُعْتَصِدِ الْعَبَّاسِيِّ كَتَبَ إِلَيْهِ يُذَكِّرُهُ حُزْمَةَ سَلَفِهَا بِسَلَفِهِ ، وَيَصِفُ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا مِنْ أَثَرِ الْخِلَافَةِ وَرَوْعَةِ السُّلْطَانِ وَوَحْشَةِ الْغُرْبَةِ ، وَيَسْأَلُهُ إِيْنَاسَهَا وَتَقْرِيبَهَا ؛ أَجَابَهُ الْمُعْتَصِدُ بِكِتَابٍ كَتَبَهُ أَبُو الْحُسَيْنِ ابْنُ ثَوَابِهِ يَقُولُ فِي فَضْلِ مِنْهُ : وَأَمَّا الْوَدِيعَةُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - فَهِيَ بِمَنْزِلَةِ مَا أُنتَقَلَ مِنْ يَمِينِكَ إِلَى شِمَالِكَ ، عَنَايَةُ بِهَا وَحِيَاظَةٌ عَلَيْهَا ، وَرِعَايَةٌ لِمَوَدَّتِكَ فِيهَا . فَلَمَّا عَرَضَهُ عَلَى الْوَزِيرِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ أَرْضَاهُ ، وَقَالَ لَهُ : كِنَايَتُكَ عَنْهَا بِالْوَدِيعَةِ نِصْفُ الْبَلَاغَةِ ، وَوَقَّعَ لَهُ بِالزِّيَادَةِ فِي جَرَايَاتِهِ وَإِقْطَاعَاتِهِ <sup>(١)</sup> .

٢٥ - وَمِثْلُهُ مَا كَتَبَهُ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي عَنْ عِزِّ الدَّوْلَةِ ابْنِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَقَدْ أَهْدَى ابْنَتَهُ إِلَى عُمْدَةِ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِيِّ ، قَالَ : وَقَدْ تَوَجَّهَ فُلَانٌ ، وَهُوَ الْأَمِينُ عَلَى مَا يَلْحَظُهُ ، الْوَفِيُّ بِمَا يَحْفَظُهُ ، نَحْوُكَ يَا سَيِّدِي وَمَوْلَايَ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّكَ ، بِالْوَدِيعَةِ ، وَإِنَّمَا نُقِلْتُ مِنْ وَطَنِ ، إِلَى سَكَنِ ، وَمِنْ مَغْرَسٍ ، إِلَى مَغْرَسٍ <sup>(٢)</sup> ،

(١) انْتَقَدَ الْوَزِيرُ أَبُو الْقَاسِمِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ هَذَا الْكِتَابَ بَعْدَ ذَلِكَ - وَكَانَ مُنَافِساً لِابْنِ ثَوَابِهِ - فَقَالَ : مَا أَقْبَحَ هَذَا ! تَقَاعَلَ لَامْرَأَةً رُقَّتْ إِلَى صَاحِبِهَا بِالْوَدِيعَةِ ، وَالْوَدِيعَةُ مُسْتَرْدَّةٌ ؛ وَقَوْلُهُ : « مِنْ يَمِينِكَ إِلَى شِمَالِكَ » أَقْبَحُ ، لِأَنَّهُ جَعَلَ أَبَاهَا الْيَمِينَ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الشَّمَالَ .

(٢) مَغْرَسٌ : مَوْضِعُ الْغَرْسِ ، وَمَغْرَسُ الثَّانِيَةِ تُزَوَّى : مَغْرَسٌ ، وَالْمَغْرَسُ : مَكَانُ الْغَرْسِ .



وَمِنْ مَأْوَى مَرِيٍّ وَأَنْعَاطٍ ، إِلَى مَثْوَى كَرَامَةٍ وَالْطَّافِ ، وَهِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي <sup>(١)</sup>  
 حَصَلَتْ لَدَيْكَ ، وَثَمَرَةٌ مِنْ جَنَى قَلْبِي أَنْفَصَلَتْ إِلَيْكَ ، وَمَا بَانَ عَنِّي مَنْ وَصَلْتُ  
 حَبْلَهُ بِحَبْلِكَ ، وَتَخَيَّرْتُ لَهُ بَارِعَ فَضْلِكَ ، وَيَوَّأْتُهُ الْمَنْزِلَ الرَّحْبَ مِنْ جَمِيلِ  
 خَلَائِفِكَ ، وَأَسْكَنْتُهُ الْفَسِيحَ مِنْ كَرِيمِ شَيْمِكَ وَطَرَائِفِكَ .

٢٦ - وَبَعْدُ ؛ فَلِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ نَقُولُ : إِنَّ إِطْلَاقَنَا الْيَوْمَ عَلَى الْعَذَارَى :  
 أَنْسَاتِ ، وَعَلَى الثِّيَابِ : سَيِّدَاتِ ؛ لَا بَأْسَ بِهِ ، فَقَدْ جَاءَ فِي اللُّغَةِ : جَارِيَةٌ  
 أَنْسَةٌ : طَيِّبَةُ النَّفْسِ ، تُحِبُّ قُرْبَكَ وَحَدِيثَكَ ، وَمَعْنَى جَارِيَةٌ : صَبِيَّةٌ وَفَتَاةٌ ،  
 وَجَمْعُ الْأَنْسَةِ : أَنْسَاتُ وَأَوَانِسُ ؛ وَأَمْرُ السَّيِّدَةِ أَوْضَحُ مِنْ أَنْ يُوَضَّحَ ؛ وَكَذَلِكَ  
 الْعَقِيلَةُ ، وَالْجَمْعُ عَقَائِلُ ، وَالْعَقِيلَةُ : الْمَرْأَةُ الْكَرِيمَةُ الْمُخَدَّرَةُ .

\* \* \*

### أَسْمَاءُ الزَّوْجَةِ :

٢٧ - قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْقَالِي فِي كِتَابِهِ « الْأَمَالِي » [ ١٩ / ١ ] : حَلِيلَةُ الرَّجُلِ :  
 أَمْرَأَتُهُ ، وَحَلِيلَتُهُ أَيْضًا : جَارَتُهُ الَّتِي تُحَالُهُ وَتَنْزِلُ مَعَهُ ، قَالَ الشَّاعِرُ ، وَهُوَ  
 أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ [ مِنَ الْوَاهِلِيَّةِ ] :

وَلَسْتُ بِأَطْلَسَ الثَّوَيْنِ يُضْبِي حَلِيلَتَهُ إِذَا هَجَعَ النَّيَامُ  
 قَوْلُهُ [ « سَمَطُ اللَّالِي » ٩٠ / ١ ] : « بِأَطْلَسَ الثَّوَيْنِ » يَعْنِي : إِنَّ الطُّلْسَةَ تَلْتَبِسُ  
 بِالظَّلَامِ فَتَخْفَى - وَلَوْ كَانَ أَبْيَضَ الثِّيَابِ لَنَمَّتْ عَلَيْهِ ، وَالطُّلْسَةُ : كُدْرَةٌ فِي  
 غَبَرَةٍ ، وَالذُّنْبُ أَطْلَسُ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ أَرَادَ بِالطُّلْسَةِ هُنَا دَنَسَ الثِّيَابِ الَّذِي هُوَ

(١) بَضْعَةٌ ، تُقْرَأُ بِفَتْحِ الْبَاءِ كَهَبْرَةٍ ، وَبِكَسْرِهَا كَفِلْدَةٍ وَقِطْعَةٍ وَخِرْقَةٍ ، فَيُالْفَتْحُ يُذْهَبُ بِهَا إِلَى  
 الشُّبْهِ ، وَبِالْكَسْرِ ، أَيِ : إِنَّهَا جُزْءٌ مِنِّي ؛ وَفِي الْحَدِيثِ : « فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي » [ الْبُخَارِيُّ ،  
 رَقْم : ٣١١٠ ؛ مُسْلِمٌ ، رَقْم : ٢٤٤٩ ] تُقْرَأُ بِالْفَتْحِ وَبِالْكَسْرِ .

كِنَايَةً عَنِ اقْتِرَافِ الْفَوَاحِشِ ؛ وَيَقُولُونَ فِي ضِدِّ هَذَا : طَاهِرُ الثُّوبِ ، كَمَا قَالَ  
أَمْرُؤُ الْقَيْسِ [من الطويل] :

ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيَّةٌ وَأَوْجُهُهُمْ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ غُرَانٌ  
٢٨ - قَالَ أَبُو عَلِيٍّ [١٩/١] : وَعِرْسُ الرَّجُلِ : أَمْرَأَتُهُ أَيْضًا ، قَالَ أَمْرُؤُ

الْقَيْسِ [من الطويل] :

كَذَبْتَ لَقَدْ أَصْبِي عَلَى الْمَرْءِ عِرْسَهُ وَأَمْنَعُ عِرْسِي أَنْ يُزْنَ بِهَا الْحَالِي  
يُزْنَ : يُتَّهَمُ .

وَالرَّجُلُ أَيْضًا عِرْسُهَا .

٢٩ - قَالَ : وَهِيَ - أَيِ : أَمْرَأَةُ الرَّجُلِ - : حَتَّتُهُ ، قَالَ كُثَيْبُ عَزَّةَ - وَنُورِدُ

الْبَيْتِ وَصِلَتْهُ [« سَمَطُ اللَّالِي » ٩١/١ ، من الطويل] :

تَقُولُ ابْنَةُ الضَّمْرِيِّ : مَالِكٌ شَاحِبًا وَقَدْ تَنْبَرِي لِلْعَيْنِ فِيكَ الْمَحَاسِنُ  
جَفَوْتَ فَمَا تَهْوَى حَدِيثَكَ أَيُّمٌ وَلَا تَجْتَدِيكَ الْإِنْسَاتُ الْحَوَاضِنُ  
فَقُلْتُ لَهَا : بَلْ أَنْتِ حَنَّةٌ حَوْقَلٌ جَرَى بِالْفِرَى بَيْنِي وَبَيْنِكَ طَابِنُ  
فَصَدَّقْتِهِ فِي كُلِّ حَقٍّ وَبَاطِلٍ أَتَاكَ بِهِ نَمُّ الْأَحَادِيثِ خَائِنُ

ابْنَةُ الضَّمْرِيِّ : صَاحِبَتُهُ عَزَّةُ الضَّمْرِيَّةُ ؛ وَتَنْبَرِي ، أَيِ : تَغْتَرِضُ ؛  
وَتَجْتَدِيكَ ، أَيِ : تَطْلُبُ مَا عِنْدَكَ ؛ وَالْحَوَاضِنُ : اللَّاتِي يُرَبِّينَ الْأَطْفَالَ ؛  
وَالْحَوْقَلُ : الْمُسِنُّ ، وَقَدْ حَوْقَلَ ، أَيِ : أَسَنَّ وَكَبَرَ ؛ وَالْحَوْقَلُ : الَّذِي أَدْبَرَ  
عَنِ النِّسَاءِ ؛ وَالْفِرَى : جَمْعُ فَرِيَّةٍ ؛ وَطَابِنٌ ، أَيِ : رَفِيقٌ دَاهٍ حَبٌّ عَالِمٌ بِهِ  
فِطْنٌ .

٣٠ - وَقَالَ الشَّاعِرُ - هُوَ قَتَادَةُ الْيَشْكُرِيُّ - وَهُوَ أَبْنُ مُغْرَبٍ ، وَكَانَ يُهَاجِي

زِيَادًا الْأَعْجَمَ ، وَكَانَ قَدْ تَزَوَّجَ أَرْزَبَ الْحَنْفِيَّةَ ، فَلَمْ تَلِدْ لَهُ وَنَشِزَتْ عَلَيْهِ ،  
فَطَلَّقَهَا ، وَقَالَ ، وَتُورِدُ الْبَيْتَ وَصِلْتَهُ [من المنسرح] :

تَجَهَّزِي لِلطَّلَاقِ وَأَضْطَبِرِي      ذَاكَ دَوَاءَ الْجَوَامِحِ الشُّمُسِ  
مَا أَنْتِ بِالْحَنَّةِ الْوُدُودِ وَلَا      عِنْدَكَ خَيْرٌ يُرْجَى لِمُلْتَمَسِ  
لَلْيَلْتِي حِينَ بِنْتَ طَالِقَةً      أَلَدْتُ عِنْدِي مِنْ لَيْلَةِ الْعُرْسِ  
بِئْسَ لَدَيْهَا بِشَرٌّ مُنْزَلَةٌ      لَا أَنَا فِي نَعْمَةٍ وَلَا فَرَسِي  
هَذَا عَلَى الْخُسْفِ لَا قُضِيمَ لَهُ<sup>(١)</sup>      وَبِئْسَ مَا إِنْ يَسُوءُ لِي نَفْسِي

وَلَمَّا أَلْحَقَهَا بِأَهْلِهَا وَبَلَّغَهَا قَوْلَهُ ، شَدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا وَأَتَتْ بَابَ يَزِيدَ بْنِ  
الْمُهَلَّبِ ، فَاسْتَأْذَنْتْ عَلَيْهِ ، فَدَخَلَتْ وَقَتَادَةُ عِنْدَهُ ، وَأَنْشَدَتْ أَبْيَاتًا ، مِنْهَا [من  
الطويل] :

فَمَا حَيْفَةُ الْخَنْزِيرِ عِنْدَ ابْنِ مُغْرَبٍ      قَتَادَةَ إِلَّا رِيحُ مِسْكِ وَغَالِيَةٍ  
٣١ - قَالَ الْقَالِي [« الأمالي » ١/١٩] : وَهِيَ - أَيِ : أَمْرَأَةُ الرَّجُلِ - : طَلَّتُهُ  
أَيْضًا ، وَالطَّلَةُ فِي الْأَصْلِ : النَّعْمَةُ - الرَّفَاهِيَةُ - وَالْحَمْرُ السَّلِيسَةُ ، قَالَ الشَّاعِرُ ،  
هُوَ الْعُجَيْرُ السَّلُولِيُّ ، مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، وَكَانَ الضَّحَّاكُ أَخُوهُ أَنْكَحَ  
أَبْنَتَهُ<sup>(٢)</sup> قُطَيْبَةَ رَجُلًا مِنْ بَاهِلَةَ<sup>(٣)</sup> عَلَى أَلْفِ دِينَارٍ ، وَذَلِكَ اخْتِيَارُ أُمِّ الْجَارِيَةِ  
- الْفَتَاةِ - وَرَغَبْتُهَا فِي الْمَالِ ، فَأَتَاهُ أَخُوهُ الْعُجَيْرُ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ يَكْلُمُونَهُ فِي

(١) الْقَضِيمُ : مَا تَقَضَّمُ الدَّابَّةُ وَتَأْكُلُهُ ، كَالشَّعِيرِ .

(٢) أَبْنَتُهُ ، أَيِ : ابْنَةُ الْعُجَيْرِ « انظر هذه القصة في « الأغاني » ج ١١ ، وهناك ما يخالف  
ما هُنَا » .

(٣) [وَبَاهِلَةُ : قَبِيلَةٌ عَرَبِيَّةٌ يَمَانِيَّةٌ م كَهْلَانِ ، أَلَسَّبَةُ إِلَيْهَا حِطَّةٌ عِنْدَ الْعَرَبِ ، يَضْرِبُونَ الْأَمْثَالَ  
بِلُؤْمِهِمْ] .

فَسَخَ ذَلِكَ النِّكَاحَ ، فَأَبَى ، فَغَلَبَهُ الْعُجَيْرُ عَلَى الْجَارِيَةِ ، فَأَرْتَدَفَهَا ، ثُمَّ سَارَ بِهَا ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ مِنْ أَبْيَاتِ [من الطويل] :

وَإِنَّ أَمْرًا فِي النَّاسِ كُنْتُ ابْنُ أُمِّهِ      تَبَدَّلَ مِنِّي طَلَّةٌ لَغِيْنُ  
دَعَنْكَ إِلَى هَجْرِي فَطَاوَعْتَ أَمْرَهَا      فَنَفْسِكَ لَا نَفْسِي بِذَلِكَ تُهِينُ  
وَقَالَ الْآخَرُ [من المتقارب] :

أَلَا بَكَّرْتَ طَلَّتِي تَعْدُلُ      وَأَسْمَاءُ فِي قَوْلِهَا أَعْدُلُ  
تُرِيدُ أَسْمَاءَ جَمَعَ التَّلَا      دِ وَالضَّيْفُ يَطْلُبُ مَا يَأْكُلُ  
أَسْمَاءُ ، تَصْغِيرُ أَسْمَاءَ ؛ وَقَوْلُهُ : أَعْدُلُ ، يَرِيدُ : أَوْلَى بِالْعَدْلِ .  
[راجع رقم : ١٢] .

٣٢ - قَالَ الْقَالِي [« الأماي » ٢٠ / ١] : وَرَبَضُهُ وَرُبُضُهُ - أَيِ : إِنَّ مِنْ أَسْمَاءِ  
الرَّوْجَةِ الرَّبَضِ وَالرُّبَضِ - وَهُمَا فِي الْأَصْلِ : كُلُّ مَا أُوْتِيَ إِلَيْهِ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ [من  
البيسط] :

جَاءَ الشِّتَاءُ وَلَمَّا اتَّخَذَ رَبَضًا      يَا وَيْحَ كَفِّي مِنْ حَفْرِ الْقَرَامِيصِ  
الْقُرْمُوصُ : حُفْرَةٌ يَخْتَفِرُهَا الصَّائِدُ إِلَى صَدْرِهِ ، فَيَدْخُلُ فِيهَا إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ  
الْبَرْدُ .

وَجَاءَ فِي « اللِّسَانِ » : وَالرَّبَضُ وَالرُّبَضُ وَالرَّوْجَةُ الَّتِي تَقُومُ  
بِشَأْنِهِ ؛ وَقِيلَ : هُوَ كُلُّ مَنْ اسْتَرَحَتْ إِلَيْهِ كَالْأُمِّ وَالْبِنْتِ وَالْأُخْتِ ، وَيُقَالُ :  
مَا رَبَضَ أَمْرًا مِثْلَ أُخْتٍ .

٣٣ - قَالَ الْقَالِي [« الأماي » ٢٠ / ١] : وَقَعِيدَةُ الرَّجُلِ أَيْضًا : أَمْرَأَتُهُ ، قَالَ  
الْأَسْعَرُ الْجُعْفِيُّ - شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ - [من الكامل] :

لَكِنْ قَعِيدَةً بَيْنَنَا مَجْفُوءَةٌ      بَادٍ جَنَاحِنُ صَدْرَهَا وَلَهَا غِنَى  
الْجَنَاحِنُ : عِظَامُ الصَّدْرِ ، وَقَوْلُهُ : مَجْفُوءَةٌ ، يَقُولُ : إِنَّ قَعِيدَةَ بَيْنَنَا  
هَزِيلَةٌ ، بَادٍ جَنَاحِنُ صَدْرَهَا عَلَى غِنَاهَا .

٣٤ - قَالَ الْقَالِي « الْأَمَالِي » ٢٠/١ : وَزَوْجُهُ أَيْضًا ؛ قَالَ الْأَضْمَعِيُّ :  
وَلَا تَكَادُ الْعَرَبُ تَقُولُ : زَوْجَتُهُ ؛ وَقَالَ يَعْقُوبُ - ابْنُ السَّكِّيتِ - يُقَالُ :  
زَوْجَتُهُ ، وَهِيَ قَلِيلَةٌ ؛ قَالَ الْفَرَزْدَقُ [مِن الطويل] :

وَإِنَّ الَّذِي يَسْعَى لِيُفْسِدَ زَوْجَتِي      كَسَاعٍ إِلَى أَسَدِ الشَّرَى يَسْتَبِيلُهَا  
وَمِنْ دُونِ أَبْوَالِ الْأَسُودِ بَسَالَةً      وَبَسْطَةً أَيْدٍ يَمْنَعُ الضَّيْمَ طُولُهَا<sup>(١)</sup>

(١) قَالَ أَبُو عبيد الْبَكْرِيُّ الْأَوَّلِيُّ فِي « اللَّالِي فِي شَرْحِ أَمَالِي الْقَالِي » :  
صَلَةُ الْبَيْتِ ، وَخَبْرُهُ كَانَتْ النَّوَارُ بِنْتُ أَغَيْنَ بْنِ ضُبَيْعَةَ بِنْتُ عَمِّ الْفَرَزْدَقِ ، فَخَطَبَهَا رَجُلٌ مِنْ  
بَنِي دَارِمَ ، فَرَضِيَّتُهُ . فَأَرْسَلَتْ إِلَى الْفَرَزْدَقِ أَنْ زَوِّجْنِي مِنْ هَذَا الرَّجُلِ ؛ وَكَانَ وَلِيَّهَا .  
فَقَالَ : لَا أَفْعَلُ أَوْ تُشْهِدِي لِي أَنَّكَ قَدْ رَضِيتِ بِمَنْ زَوَّجْتُكَ مِنْهُ ؛ فَفَعَلْتُ ، فَلَمَّا تَوَثَّقَ مِنْهَا  
قَالَ : أَرْسِلِي إِلَى الْقَوْمِ فَلْيَأْتُوا ؛ فَلَمَّا عَصَّ مَسْجِدُ بَنِي مُجَاشِعٍ بَنِي دَارِمَ ، جَاءَ الْفَرَزْدَقُ ،  
فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَتْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ النَّوَارَ وَلَّتْنِي أَمْرَهَا ، وَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ زَوَّجْتُهَا  
نَفْسِي ؛ فَذَرَبْتُ مِنْ ذَلِكَ [أَنِّي] : أَنْفَتُ وَنَفَرْتُ وَغَضِبْتُ ، وَأَعْيَاها أَمْرًا الْبَصْرَةَ أَنْ يُطْلَقُوهَا  
مِنْ الْفَرَزْدَقِ ، وَأَعْيَاها الشُّهُودُ أَنْ يَشْهَدُوا لَهَا اتِّقَاءً مِنَ الْفَرَزْدَقِ ، وَأَرَادَتِ الشُّخُوصَ إِلَى ابْنِ  
الرُّبَيْرِ فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَى حَمَلِهَا ، وَكَانَتْ أَمْرًا صَالِحَةً ، فَأَقَامَتْ مَعَهُ عَلَى ذَلِكَ وَلَا تَرَالُ  
تَسْمِيَةً مِنْهُ وَتَقُولُ : وَيَحَكْ ! إِنَّمَا تَزَوَّجْتَ عَلَى خُدْعَةٍ ؛ ثُمَّ لَا تَرَالُ تَخْلِفُ بِبَيِّنٍ مُوثِقَةٍ  
وَتَخْنِفُ فَتَجَنَّبَتْ فِرَاشَهُ ؛ فَتَزَوَّجَ عَلَيْهَا دُهَيْمَةَ بِنْتُ غَنِي النَّمِرِيِّ . ثُمَّ إِنَّ قَوْمًا مِنْ بَنِي عَدِيٍّ  
يُقَالُ : لَهُمْ بَنُو النُّسَيْرِ ، تَحَمَّلُوا النَّوَارَ إِلَى مَكَّةَ تُرِيدُ ابْنَ الرُّبَيْرِ .  
فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ [مِن الطويل] :

وَقَدْ سَخَطَتْ مِنِّي النَّوَارُ الَّذِي أَرْتَضِي      بِهِ قَبْلَهَا الْأَزْوَاجُ خَابَ رَجِيلُهَا  
أَطَاعَتْ بَنِي أُمِّ النُّسَيْرِ فَأَصْبَحَتْ      عَلَى شَارِفِ وَرَقَاءَ صَغَبٍ ذَلُولُهَا  
وَإِنَّ أَمْرًا يَمْشِي يُخَبِّبُ زَوْجَتِي      كَسَاعٍ إِلَى أَسَدِ الشَّرَى يَسْتَبِيلُهَا  
وَمِنْ دُونِ أَبْوَالِ الْأَسُودِ بَسَالَةً      وَبَسْطَةً أَيْدٍ يَمْنَعُ الضَّيْمَ طُولُهَا =

يَسْتَبِيلُهَا : يَأْخُذُ بَوْلَهَا فِي يَدِهِ .

٣٥ - قَالَ الْقَالِي [ « الأماي » ٢٠/١ ] : وَهِيَ بَعْلُهُ أَيْضاً وَبَعْلَتُهُ ، وَأَنْشَدَ الْفَرَّاءُ

[ من الرجز ] :

شَرُّ قَرِينٍ لِلْكَبِيرِ بَعْلَتُهُ تُولِغُ كَلْباً سُورَهُ أَوْ تَكْفِيئَهُ  
يَعْنِي : إِنَّ أَمْرَأَتَهُ قَدْ تَقَدَّرَتْهُ حِينَ كَبُرَ ، فَإِذَا شَرِبَ لَبْناً وَبَقِيَ سُورُهُ  
- وَالسُّورُ : بَقِيَّةُ الشَّرَابِ فِي الْإِنَاءِ - تُولِغُهُ كَلْباً أَوْ تَكْفِيئُهُ ، أَيُّ : تَقْلِبُهُ عَلَى  
الْأَرْضِ .

أَقُولُ : وَالتَّبْعُلُ فِي الْأَصْلِ : حُسْنُ التَّحَبُّبِ وَالتَّزْوِينِ ، وَقَالَ الْفَارِسِيُّ :  
بَعْلُ الشَّيْءِ : رَبُّهُ وَمَالِكُهُ ، وَأَصْلُ الْبَعْلِ الَّذِي هُوَ الزَّوْجُ ، مُشْتَقٌّ مِنْهُ ، فَأَمَّا  
قَوْلُهُمْ فِي الْمَرْأَةِ بَعْلَتُهُ ، فَلِمَكَانِ الْاِقْتِرَانِ ، وَرُبَّمَا مَلَكَتْهُ بِهَوَاهَا لَهُ .

٣٦ - قَالَ الْقَالِي [ « الأماي » ٢٠/١ ] : وَبَيْتُهُ أَيْضاً ، أَيُّ : إِنَّهُ يُقَالُ لِرِزْوَجَةٍ

الرَّجُلِ : بَيْتُهُ ، كَمَا تَقَدَّمَ أَنْفَاءً ، قَالَ الرَّاجِزُ [ من الرجز ] :

أَقُولُ إِذْ حَوَقَلْتُ أَوْ دَنَوْتُ وَبَعْدَ حَيْفَالِ الرِّجَالِ الْمَوْتُ  
مَالِي إِذَا أَنْزَعُهَا صَائِثُ أَكْبَرُ غَيْرَنِي أُمُّ بَيْثُ

= وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَعَالِمٌ بِنَا وَبِمَا وَصَّى الْعِبَادَ رَسُولُهَا

وَحَبِيزُهُمَا لَوْ اسْتَقْصَى لَطَالَ . اهـ . نقلًا عن « سمط اللآلي » ٩٥/١ و ٩٦

والخبر في « ديوان الفرزدق » رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابي ، طبعة بوشر ، باريس ١٨٧٠ م ، صفحة ٢ ، وأول « ديوان الفرزدق » ، رواية الأصمعي ، طبعة مصر ، والكلمة في ٢٨ بيتاً ، وانظر « الأغاني » طبعة الساسي ١٨٠/٨ و ١٩/٨ و ١٠ و « العقد الفريد » ١٧٦/٤ ؛ و « وفيات الأعيان » ٢٠١/٢ ؛ و « تهذيب الألفاظ » ٣٥٦ ؛ و « الاقتضاب » ٣٩٨ ؛ و « شرح المقامات » للشَّريشي ، ١٠٩/١ ؛ و « الشعر والشعراء » لابن قتيبة ٢٩٥ . اهـ . عن عبد العزيز الميمني . بسلام .

حَوْقَلَ الشَّيْخُ : اَعْتَمَدَ بِيَدَيْهِ عَلَى خَصْرِيهِ ، يَصِفُ هَذَا الرَّاجِزُ جَذْبَهُ  
لِلدَّلُو ؛ وَصَايْتُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ صَاىَ الْفَرْخُ : إِذَا سَمِعْتَ لَهُ صَوْتًا ضَعِيفًا ، وَإِنَّمَا  
يُرِيدُ أَنِينَهُ مِنْ ثِقَلِ الدَّلُو ؛ وَقَوْلُهُ : أَمْ بَيْتٌ ، أَي : لِأَنَّ الْعَرَبَ أَقْوَى وَأَشَدُّ  
[« سَمَطُ اللَّالِي » ٩٧/١] .

٣٧ - قَالَ الْقَالِي [« الْأَمَالِي » ٢٠/١] : وَشَهْلَتُهُ أَيضًا ، أَي : إِنَّهُ يُقَالُ لِرَؤُوسَةِ  
الرَّجُلِ : شَهْلَتُهُ ؛ قَالَ أَبُو حَيَّةَ التَّمِيمِي يَصِفُ صَائِدًا وَثُورًا [من الطويل] :  
وَعَادَاهُ مِنْ جِلَانٍ ذُنْبٌ مَجَاعَةٌ شَقِيٌّ بِهِ ضَارُورَةٌ وَفُقُورٌ  
لَهُ شَهْلَةٌ شَابَتْ وَمَا مَسَّ جَيْبَهَا وَلَا رَاحَتَيْهَا الشَّشْتَيْنِ عِبْرُ  
ذُنْبٌ مَجَاعَةٌ ، يَغْنِي الصَّائِدَ ؛ وَضَارُورَةٌ وَضُرُورَةٌ وَاحِدٌ ؛ وَفُقُورٌ ، جَمْعُ  
فَقْرٍ ؛ وَالْجَيْبُ : جَيْبُ الْقَمِيصِ ، وَلَعَلَّ الْمُرَادَ نَحْرُهَا ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : فَلَانٌ  
نَاصِحُ الْجَيْبِ ، يَعْنُونَ بِذَلِكَ قَلْبَهُ وَصَدْرَهُ ، أَي : إِنَّهُ أَمِينٌ ؛ وَالشَّنُّ :  
الْغَلِيظُ .

قَالَ الْقَالِي : وَالشَّهْلَةُ أَيضًا : الْعَجُوزُ .

\* \* \*

٣٨ - وَبَعْدُ ؛ فَقَدْ فَاتَ الْقَالِي كَثِيرٌ مِنْ أَسْمَاءِ الزَّوْجَةِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَرِينَتُهُ  
الرَّجُلِ مَثَلًا ، قَالَ صَاحِبُ « اللِّسَانِ » : وَقَرِينَةُ الرَّجُلِ : أَمْرَأَتُهُ ، لِمُقَارَنَتِهِ  
إِيَّاهَا ؛ وَلَعَلَّ الْقَالِي لَمْ يَقْصِدْ إِلَى الْحَضَرِ ، وَكَذَلِكَ لَمْ يَقْصِدْ .

\* \* \*

## البَابُ الثَّانِي المَلَا حَةُ وَالْجَمَالُ

وَعَبَقَرِيَّاتُهُمْ فِي جَمَالِ الْمَرْأَةِ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا  
وَحَضُّهُمْ إِيَّاهَا عَلَى التَّجَمُّلِ وَالنِّظَافَةِ وَالزَّيْنَةِ

الْجَمَالُ إِجْمَالًا :

٣٩ - فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ » ، فَقَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنًا ! وَفِي رَوَايَةٍ : فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : أَمِنْ الْكِبَرِ أَنْ أَلْبَسَ الْحُلَّةَ الْحَسَنَةَ ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، وَيُحِبُّ أَنْ يُرَى أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ ، الْكِبَرُ : أَنْ تَسْفَهَ الْحَقَّ وَتَغْمِطَ النَّاسَ » [رواه مسلم ، رقم : ٩١ ؛ وابن ماجه ، رقم : ٤١٧٣] .

٤٠ - وَفِي الْأَثَرِ : « ثَلَاثٌ يُجَلِّينَ الْبَصَرَ : النَّظَرُ إِلَى الْخُضْرَةِ ، وَإِلَى الْمَاءِ [الْجَارِي] ، وَإِلَى الْوَجْهِ الْحَسَنِ » [نسبه في « الجامع الصغير » إلى الحاكم في « تاريخ نيسابور » ، عن علي ابن أبي طالب وعن ابن عمر ؛ وإلى أبي نُعَيْمٍ فِي كِتَابِهِ : « الطَّبِيبُ النَّبَوِيُّ » عَنْ عَائِشَةَ ؛ وَإِلَى الْخِرَاطِيِّ فِي كِتَابِهِ « اعْتِلَالُ الْقُلُوبِ » عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ . وَقَالَ عَنْهُ : ضَعِيفٌ .

٤١ - وَفِيهِ : « النَّظَرُ إِلَى الْوَجْهِ الْحَسَنِ يُورِثُ الْفَرَحَ ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْوَجْهِ الْقَبِيحِ يُورِثُ الْكَلْحَ » <sup>(١)</sup> [راجع « كشف الخفاء » ، رقم : ٢٨١٠] .

(١) الْكَلْحُ : تَقَبُّضُ الْوَجْهِ مِنَ الْعُبُوسِ .



٤٢ - وفيه : « النَّظَرُ إِلَى الْجَارِيَةِ - الْفَتَاةِ - الْحَسَنَاءِ يَزِيدُ فِي الْبَصَرِ » [راجع « كشف الخفاء » ، رقم : ٢٨١٠ ] .

٤٣ - وفيه : « أَطْلُبُوا الْخَيْرَ مِنْ حِسَانِ الْوُجُوهِ » <sup>(١)</sup> [راجع « كشف الخفاء » ، رقم : ٣٩٤ ] .

٤٤ - وَمِنْ كَلَامِهِمْ : مَنْ كَانَ فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ ، وَمَنْصِبٍ لَا يَشِينُهُ ، وَوُسْعٍ عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ ، [ ثُمَّ تَوَاضَعَ ؛ ] كَانَ مِنْ خَالِصَةِ اللَّهِ [راجع « حلية الأولياء » ٣/ ١٩٠ ؛ و« المعجم الكبير » للطبراني ، عن عبد الله بن مسعود] .

٤٥ - وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : يَوْمُ الْقَوْمِ - أَيُّ : فِي الصَّلَاةِ - أَفَرُّهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَضْبَحْهُمْ وَجْهًا .

٤٦ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْجَمَالُ مَرْحُومٌ .

٤٧ - وَقَالَ آخَرُ : شَفِيعُ الْحُسْنِ مَقْبُولٌ .

٤٨ - وَقَالَ الْحَكَمُ بْنُ قَنْبَرٍ الْمَازِنِيُّ [من البسيط] :

وَيَلِي عَلَى مَنْ أَطَارَ النَّوْمَ فَامْتَنَعَا      وَرَادَ قَلْبِي إِلَى أَوْجَاعِهِ وَجَعَا  
كَأَنَّمَا الشَّمْسُ فِي أَعْطَافِهِ لَمَعَتْ      حُسْنًا أَوْ الْبَدْرُ مِنْ أَزْرَارِهِ طَلَعَا  
مُسْتَقْبَلُ بِالَّذِي يَهْوَى وَإِنْ كَثُرَتْ      مِنْهُ الْإِسَاءَةُ ، مَعْدُورٌ بِمَا صَنَعَا  
فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ يَمْحُو إِسَاءَتَهُ      مِنَ الْقُلُوبِ ، وَجِيهًا حَيْثُمَا شَفَعَا

٤٩ - وَقَالَ أَيْضًا ، أَيُّ : الْحَكَمُ بْنُ قَنْبَرٍ [من المديد] :

لَيْسَ فِيهَا مَا يُقَالُ لَهُ      كَمَلْتُ لَوْ أَنَّ ذَا كَمَلَا

(١) وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَعْنَى « أَطْلُبُوا الْخَيْرَ مِنْ حِسَانِ الْوُجُوهِ » : أَطْلُبُوهَا مِنَ الْوُجُوهِ الَّتِي يَخْسُنُ بِالْمَرْءِ أَنْ يَطْلُبَهَا مِنْهَا .

كُلُّ جُزْءٍ مِنْ مَحَاسِنِهَا - صَائِرٌ مِنْ حُسْنِهَا مَثَلًا  
لَوْ تَمَثَّلَتْ فِي مَتَاعَتِهَا لَمْ تُرَدِّ مِنْ نَفْسِهَا بَدَلًا  
مَتَاعَتُهَا : ظَرْفُهَا ، وَالْمَتَاعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ : الْبَالِغُ فِي الْجُودَةِ الْغَايَةِ .

٥٠ - وَقَالَ الْأَعَشَى [من المتقارب] :

فَأَفْضَيْتُ مِنْهَا إِلَى جَنَّةٍ تَدَلَّتْ عَلَيَّ بِأَثْمَارِهَا  
٥١ - وَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ [من مجزوء الوافر] :

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا  
٥٢ - وَكَانَتِ الْفُرْسُ تَتِمَّنُّ بِالْوَجْهِ الْحَسَنِ ، وَتَقُولُ : إِنَّ الْحُسْنَ أَوَّلُ  
السَّعَادَةِ لِلْمَرْءِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِلَطِيفِ حِكْمَتِهِ وَشَرِيفِ إِبْدَاعِهِ وَصَنَعَتِهِ لَمْ يَخْلُقْ  
شَيْئًا عَبَثًا ، وَلَمْ يَجْعَلِ الصُّورَةَ مُصْطَفَاةً مُخْتَارَةً الصِّفَاتِ ، سَلِيمَةً مِنَ الْآفَاتِ إِلَّا  
عَنْ فَضْلِ اخْتِفَاءٍ مِنْهُ تَعَالَى بِهَا . . . قَالُوا : وَقَلَمًا تُوَجَدُ الْأَخْلَاقُ الْجَمِيلَةُ إِلَّا  
تَابِعَةً لِلْخَلْقِ الْجَمِيلِ .

٥٣ - وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ : مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ  
الصَّوْتِ ، وَكَانَ نَبِيُّكُمْ ﷺ أَحْسَنَهُمْ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُمْ صَوْتًا . [قال العراقي في  
« تخريج الإحياء » : أخرجه الترمذي في « الشمائل » عن قتادة ، . . . الخ] .

٥٤ - وَقَالَ الْبَيْرُونِيُّ : إِنَّ الْحُسْنَ وَالْجَمَالَ مَحْبُوبَانِ بِالطَّبْعِ ، مَرْغُوبٌ  
فِيهِمَا ، حَتَّى إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسْتَوْفِدُ حِسَانَ الْوُجُوهِ وَالْأَسْمَاءِ<sup>(١)</sup> ، وَكَانَ  
يَنْقُلُ الْأَسْمَاءَ الْمُسْتَكْرَهَةَ فِي النَّاسِ وَالْبِقَاعِ إِلَى الْأَسْمَاءِ الْمُسْتَحْسَنَةِ . . .

(١) يَسْتَوْفِدُ ، أَيُّ : يُؤْفِدُهُمْ إِلَى الْمُلُوكِ وَأَشْبَاهِ الْمُلُوكِ .

٥٥ - وَمِنْ كَلَامِهِمْ : « الْحُسْنُ أَحْمَرُ » ، أي : إِنَّ الْحُسْنَ شَاقٌّ ، قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : يُرِيدُونَ إِنْ تَكَلَّفْتَ الْحُسْنَ وَالْجَمَالَ <sup>(١)</sup> فَاصْبِرْ فِيهِ عَلَى الْأَذَى وَالْمَشَقَّةِ ، يُقَالُ ذَلِكَ لِلرَّجُلِ يَمِيلُ إِلَى هَوَاهُ <sup>(٢)</sup> وَيَخْتَصُّ بِمَنْ يُحِبُّ ، كَمَا يُقَالُ : الْهَوَى غَالِبٌ ، وَكَمَا يُقَالُ : إِنَّ الْهَوَى يَمِيلُ بِأَسْتِ الرَّائِبِ : إِذَا آثَرَ مَنْ يَهْوَاهُ عَلَى غَيْرِهِ . أَقُولُ : وَمَعْنَى ذَلِكَ : إِنَّ الْحُسْنَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ مَنْ يُوَلِّعْ بِهِ وَيَصْبُو إِلَيْهِ يَلَاقِي فِي سَبِيلِهِ مَا يُلَاقِيهِ مَنْ يُمَارِسُ الْحَرْبَ مِنَ الدَّمَاءِ ، أَيْ : مَنْ طَلَبَ الْحُسْنَ وَطَنَ نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى الشَّدَائِدِ وَالْمَشَاقِّ .

وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِمْ : الْحُسْنُ أَحْمَرُ ، هُوَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الشَّاعِرُ [بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ] إِذْ يَقُولُ [من الطويل] :

هَبْجَانٌ عَلَيْهَا حُمْرَةٌ فِي بَيَاضِهَا      يَرُوقُ بِهَا الْعَيْنَيْنِ وَالْحُسْنُ أَحْمَرُ <sup>(٣)</sup>  
وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْجَمَالَ لَا يَكُونُ إِلَّا إِذَا مَازَجَ بَيَاضَ الْبَشَرَةِ حُمْرَةً [من الخفيف] :

وَجَرَى مِنْ دَمِ الطَّبِيعَةِ فِيهِ      لَوْنٌ وَرَدٍ كَسَا أَلْبِيَّاصَ أَحْمَرَارًا  
وَلَاَنَّ الْحُمْرَةَ إِنَّمَا تَغْتَرِي الْبَيَاضَ مِنْ رِقَّةِ اللَّوْنِ وَصِحَّةِ الدَّمِ .

قَالَ الْبَكْرِيُّ [« سَمْتُ اللَّائِي » ١/٤٦٣] : الْعَرَبُ تُسَمِّي النِّسَاءَ الْحَسَانَ الْحُمْرَ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ جَرِيرٍ وَقَدْ سُئِلَ عَنِ الْأَخْطَلِ : هُوَ أَوْصَفُنَا لِلْحُمْرِ وَالْحُمْرِ ، يَغْنِي : حِسَانَ النِّسَاءِ .

(١) تَكَلَّفَتْ ، أَيْ : أَوَّلَعَتْ وَأَخْبَيْتْ .

(٢) هَوَاهُ ، أَيْ : مَهْوِيهِ وَمَنْ يَهْوَاهُ .

(٣) الْهَبْجَانُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ : خِيَارُهُ وَخَالِصُهُ ، وَالضَّمِيرُ فِي « يَرُوقُ » لِبَيَاضِهَا ، وَالضَّمِيرُ فِي « بِهَا » لِلْحُمْرَةِ .

قَالَ الْبَكْرِيُّ [راجع « سبط اللّٰلي » ١/٤٦٤] : وَمَنْ شَبَّهَ الْمَرْأَةَ بِالنَّارِ ، فَإِنَّمَا أَشَارَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى ، قَالَ : وَقَوْلُهُمْ فِي الْمَثَلِ : الْحُسْنُ أَحْمَرُ هُوَ مِنْ هَذَا الْبَابِ ؛ وَقَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ [من مجزوء الكامل] :

وَإِذَا خَرَجْتَ تَقْنَعِي بِالْحُسْنِ إِنَّ الْحُسْنَ أَحْمَرُ  
وَسُورِدُ فِي عَبَقَرِيَّاتِهِمْ فِي الْأَلْوَانِ [الأرقام : ٤٨٩ - ٥٢٧] كَثِيرًا مِنْ عَبَقَرِيَّاتِهِمْ  
فِي الْبَيَاضِ وَالسُّمْرَةِ وَالضُّفْرَةِ وَالسَّوَادِ .

\* \* \*

٥٦ - وَحَدَّثَ الشَّعْبِيُّ ، قَالَ : دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ بَاكِراً ، فَإِذَا أَنَا بِمُضْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَالنَّاسِ حَوْلَهُ ، فَسَلَّمْتُ ، ثُمَّ ذَهَبْتُ لِأَنْصَرِفَ ، فَقَالَ لِي : أَذُنُ ! فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى وَضَعْتُ يَدِي عَلَى مِرْفَقِهِ - أَلْمَتَكَ يُنْكَأُ عَلَيْهِ بِالْمِرْفَقِ - فَقَالَ : إِذَا أَنَا قُمْتُ فَاتَّبِعْنِي ؛ وَجَلَسَ قَلِيلًا ، ثُمَّ نَهَضَ ، فَتَوَجَّهَ نَحْوَ دَارِ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ ، فَتَبِعْتُهُ ، فَلَمَّا أَمْعَنَ فِي الدَّارِ الْتَفَتَ إِلَيَّ ، وَقَالَ : أَذْخُلُ ؟ فَدَخَلْتُ مَعَهُ ، فَإِذَا حَجَلَةٌ<sup>(١)</sup> ، وَإِنَّهَا لِأَوَّلِ حَجَلَةٍ رَأَيْتُهَا لِأَمِيرِ<sup>(٢)</sup> ، فَقُمْتُ ، وَدَخَلَ الْحَجَلَةُ ، فَسَمِعْتُ حَرَكَةً ، فَكْرِهْتُ الْجُلُوسَ ، وَلَمْ يَأْمُرْنِي بِالْإِنْصِرَافِ ، فَإِذَا جَارِيَةٌ قَدْ خَرَجَتْ ، فَقَالَتْ : يَا شَعْبِيُّ ! إِنَّ الْأَمِيرَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَجْلِسَ ؛ فَجَلَسْتُ عَلَى وَسَادَةٍ ، وَرَفَعَ سَجْفُ الْحَجَلَةِ ، فَإِذَا أَنَا بِمُضْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَرَفَعَ السَّجْفُ الْآخَرَ<sup>(٣)</sup> فَإِذَا أَنَا بِعَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ ، فَلَمْ أَرْ زَوْجًا قَطُّ أَجْمَلَ مِنْهُمَا : مُضْعَبُ

(١) الْحَجَلَةُ : مِثْلُ الْقُبَّةِ .

(٢) وَلَاهُ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْعِرَاقَيْنِ ، فَتَوَلَّاهُمَا حَتَّى سَارَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ، وَوَجَّهَهُ أَخَاهُ مُحَمَّدَ بْنَ مَرْوَانَ ، فَلَقِيَهُ مُضْعَبُ ، فَقَاتَلَهُ حَتَّى قُتِلَ ؛ أَيِ : مُضْعَبِ .

(٣) السَّجْفُ ، بِكَسْرِ السِّينِ وَبِفَتْحِهَا : السِّتْرَانِ بَيْنَهُمَا فُرْجَةٌ ، أَوِ الشَّقُّ مِنَ السِّتْرَيْنِ الْمُقْرُونَيْنِ عَلَى الْبَابِ .

وَعَائِشَةُ ؛ فَقَالَ مُضْعَبُ : يَا شُعْبِي ! هَلْ تَعْرِفُ هَذِهِ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، أَصْلَحَ  
 اللَّهُ الْأَمِيرَ ؛ قَالَ : وَمَنْ هِيَ ؟ قُلْتُ : سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ ،  
 قَالَ : لَا ! وَلَكِنْ هَذِهِ لَيْلَى الَّتِي يَقُولُ فِيهَا الشَّاعِرُ - هُوَ كَثِيرُ عَزَّةَ [من الضويل] :

وَمَا زِلْتُ مِنْ لَيْلَى لَدُنْ طَرِّ شَارِبِي إِلَى الْيَوْمِ أَخْفِي حُبَّهَا وَأُدَاجِنُ<sup>(١)</sup>  
 وَأَحْمِلُ فِي لَيْلَى لِقَوْمٍ ضَعِيفَةً وَتُحْمَلُ فِي لَيْلَى عَلَيَّ الضَّغَائِنُ  
 ثُمَّ قَالَ : إِذَا شِئْتَ فَقُمْ ؛ فَخَرَجْتُ ، فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ رُحْتُ إِلَى  
 الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا مُضْعَبُ بِمَكَانِهِ ، فَقَالَ لِي : أَدُنْ ؛ فَدَنَوْتُ ، فَقَالَ لِي : هَلْ  
 رَأَيْتَ مِثْلَ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ قَطُّ ؟ قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ ؛ قَالَ : أَفَتَدْرِي لِمَ أَدْخَلْنَاكَ ؟  
 قُلْتُ : لَا ! قَالَ : لِيُحَدِّثَ بِمَا رَأَيْتَ ؛ ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي فَرْوَةَ ،  
 فَقَالَ : أَعْطِهِ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَثَلَاثِينَ ثَوْبًا ؛ فَمَا أَنْصَرَفَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ بِمِثْلِ  
 مَا أَنْصَرَفْتُ ! بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَبِمِثْلِ كَارَةِ الْقَصَّارِ<sup>(٢)</sup> ثِيَابًا ، وَبِنَظَرَةٍ مِنْ  
 عَائِشَةَ بِنْتُ طَلْحَةَ !

٥٧ - وَكَانَ أَشْعَبُ فِي مَنْ يَأْلَفُ مُضْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، فَغَضِبَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ  
 طَلْحَةَ يَوْمًا عَلَى مُضْعَبٍ ، وَكَانَتْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ ، فَشَكَا ذَلِكَ لِأَشْعَبَ ،  
 فَقَالَ أَشْعَبُ : مَالِي إِنْ رَضِيتُ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ؟ قَالَ : حُكْمُكَ ؛ قَالَ : عَشْرَةُ  
 آلَافِ دِرْهَمٍ ؛ قَالَ : ذَلِكَ لَكَ ؛ فَأَنْطَلَقَ أَشْعَبُ حَتَّى أَتَاهَا ، فَقَالَ لَهَا : جُعِلْتُ  
 فِدَاكَ ! قَدْ عَلِمْتُ حُبِّي لَكَ وَمِثْلِي إِلَيْكَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا عَلَى غَيْرِ مَنَالٍ أَنْلَتْنِيهِ ،  
 وَلَا فَائِدَةَ أَفْدَتْنِيهَا ، وَهَذِهِ حَاجَةٌ قَدْ عَرَضَتْ تَزْتَهِنِينَ بِهَا شُكْرِي ، وَتَقْضِينَ بِهَا

(١) طَرِّ شَارِبُ الْغُلَامِ : طَلَعَ وَنَبَتَ ، وَأُدَاجِنُ : أُدَاهِنُ وَأُخَاثِلُ .

(٢) الْقَصَّارُ : مُحَوَّرُ الثِّيَابِ وَمُبَيِّضُهَا ؛ وَكَارَةُ الْقَصَّارِ : مَا يَجْمَعُ وَيَشُدُّ مِنْ ثِيَابِهِ ، وَسُمِّيَتْ كَذَلِكَ  
 لِأَنَّهُ يَكُونُ ثِيَابَهُ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، وَيَحْمِلُهَا ، فَيَكُونُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ .

حَقِّي بِغَيْرِ مَرْزِيَّةٍ<sup>(١)</sup> ؛ قَالَتْ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : قَدْ جَعَلَ لِي الْأَمِيرُ إِنْ رَضِيتِ عَنْهُ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ؛ قَالَتْ : وَيَحَكَ ! لَا يُمَكِّنُنِي ذَلِكَ ؛ قَالَ : يَا بِي أَنْتِ وَأُمِّي ! أَرْضِي عَنْهُ حَتَّى يُعْطِيَنِي الْعَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ عُدِّي إِلَى مَا عَوَّدَكَ اللَّهُ مِنْ سُوءِ خُلُقِكَ ؛ فَضَحِكَتْ مِنْ كَلَامِهِ وَرَضِيتِ<sup>(٢)</sup> .

٥٨ - وَقَالَ جَمِيلُ بُيْنَةَ : مَا رَأَيْتُ مُضْعَبًا يَخْتَالُ بِالْبِلَاطِ<sup>(٣)</sup> إِلَّا غَرْتُ عَلَى بُيْنَةَ ، وَبَيْنَهُمَا ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ .. أَيِ : إِنْ مُضْعَبًا كَانَ جَمِيلًا ، كَمَا كَانَتْ زَوْجَتُهُ جَمِيلَةً ..

٥٩ - هَذَا ، وَهَذِهِ عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ هِيَ عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ أَحَدِ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ ، وَأُمُّهَا أُمُّ كُلْثُومِ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْجَمِيعِ ، وَخَالَتُهَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ نِسَاءِ قُرَيْشٍ ، وَكَانَتْ شَبِيهَةً بِخَالَتِهَا عَلَمًا وَأَدَبًا ، وَكَانَتْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهَا ، وَمِنْ ثُمَّ زَوْجَتَهَا مِنْ ابْنِ أَخِيهَا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، فَوَلَدَتْ لَهُ عِمْرَانٌ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَبَا بَكْرٍ وَطَلْحَةَ وَنَفِيسَةَ ، فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ أَبَا عَذْرَتِهَا<sup>(٤)</sup> ، وَكَانَ أَبْنُهَا طَلْحَةُ أَجُودَ قُرَيْشٍ فِي عَهْدِهِ ، كَجَدِّهِ ، وَلَمَّا هَلَكَ زَوْجُهَا عَبْدُ اللَّهِ تَزَوَّجَهَا مُضْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، فَقَتَلَ عَنْهَا ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ابْنُ مَعْمَرٍ فَبَتَّى بِهَا بِالْحَيْرَةِ ، وَمُهِدَتْ لَهُ يَوْمَ عُرْسِهِ فُرْشٌ لَمْ يَرِ مِثْلُهَا ، فَأَنْصَرَفَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَنْ سِنْعٍ مَرَّاتٍ ... فَلَقِيَتْهُ مَوْلَاةٌ لَهَا حِينَ أَصْبَحَ ،

(١) أَيِ : مِنْ غَيْرِ أَنْ تُرْزَأَ فِي مَالِهَا ، أَيِ : يُؤْخَذُ مِنْهُ شَيْءٌ ؛ يُرِيدُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَخْسَرَ شَيْئًا .

(٢) [نُسِبَ هَذَا الْخَبَرُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عَتِيقٍ ، رَاجِعَ « الْكَامِلُ » صَفْحَةُ ٧٨٢ ] .

(٣) الْبِلَاطُ : مَوْضِعٌ بِالْمَدِينَةِ مُبْلَطٌ بِالْحِجَارَةِ بَيْنَ مَسْجِدِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ وَبَيْنَ سُوقِ الْمَدِينَةِ .

(٤) الْعَذْرَةُ : الْبَكَارَةُ ، يَرَادُ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَزَوَّجَهَا .

فَقَالَتْ : يَا أَبَا حَفْصٍ ! كَمُلْتَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي هَذَا ! فَلَمَّا مَاتَ نَاحَتْ عَلَيْهِ وَهِيَ قَائِمَةٌ ، وَلَمْ تَنْخُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ قَائِمَةً - وَكَانَتْ الْعَرَبُ إِذَا نَاحَتْ الْمَرْأَةُ قَائِمَةً عَلَى زَوْجِهَا عَلِمَ أَنَّهَا لَا تُرِيدُ أَنْ تَتَزَوَّجَ بَعْدَهُ - فَقِيلَ لَهَا : يَا عَائِشَةُ ! مَا صَنَعْتَ هَذَا بِأَحَدٍ مِنْ أَزْوَاجِكَ ! قَالَتْ : إِنَّهُ كَانَتْ فِيهِ خِلَالٌ ثَلَاثٌ لَمْ تَكُنْ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ : كَانَ سَيِّدَ بَنِي تَيْمٍ ، وَكَانَ أَقْرَبَ الْقَوْمِ بِي قَرَابَةً ، وَارْدَتْ أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ بَعْدَهُ .

\* \* \*

٦٠ - وَرَأَى رَجُلٌ شُرَيْحًا الْقَاضِيَّ يَجُولُ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ ، فَقَالَ لَهُ : مَا غَدَا بِكَ ؟ فَقَالَ : عَسَيْتُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَى صُورَةِ حَسَنَةِ .

\* \* \*

٦١ - وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَهَيْبٍ [مَنِ الْمَدِيدُ] :

لَا هَنَا بَعْدُ مَنْ عَشَقَا	نَمْ فَقَدْ وَكَلْتَ بِي الْأَرْقَا
شَبَحَا غَيْرَ الَّذِي خُلِقَا	إِنَّمَا أَبْقَيْتَ مِنْ جَسَدِي
أَنْ يُعَادِيَ طَرْفَ مَنْ رَمَقَا	مَا لِمَنْ تَمَّتْ مَحَاسِنُهُ
وَلَنَا أَنْ نُعْمَلَ الْحَدَقَا	لَكَ أَنْ تُبْدِيَ لَنَا حَسَنًا

٦٢ - وَقَالَ غَيْرُهُ [مَنِ الْبَسِيطُ] :

إِنِّي أَمْرُؤُ مُوَلَعٌ بِالْحُسْنِ أَتَّبِعُهُ      لَاحِظٌ لِي فِيهِ إِلَّا لَذَّةُ النَّظَرِ

\* \* \*

٦٣ - وَكَانَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ لَا تَسْتُرُ وَجْهَهَا ، فَعَاتَبَهَا مُضْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ فِي ذَلِكَ ! فَقَالَتْ : إِنَّ اللَّهَ وَسَمَنِي بِمَيْسَمِ جَمَالٍ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ

وَيَعْرِفُوا فَضْلِي عَلَيْهِمْ ، فَمَا كُنْتُ لِأُسْتُرُهُ ، وَلَوْ عَلِمْتُ فِيَّ وَضْمَةً أَسْتَرْتُ لَهَا  
لَا سْتَرْتُ لَهَا !

وَكَانَ مُضْعَبُ إِذَا عَزَمَ عَلَيْهَا فِي الْاِسْتِارِ أُسْتَرَتْ ، وَإِذَا سَكَتَ عَنْهَا  
أُسْفَرَتْ وَبَرَزَتْ لِلنَّاسِ .

\* \* \*

٦٤ - وَكَانَ مِنْ عَادَةِ نِسَاءِ الْعَرَبِ أَنَّ الْجَمِيلَةَ مِنْهُنَّ كَانَتْ تُسْفِرُ وَلَا تَضَعُ  
قِنَاعًا ، قَالَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ [من الطويل] :

وَلَمَّا تَفَاوَضْنَا الْحَدِيثَ وَأُسْفَرْتُ وَجُوهَ زَهَايَا الْحُسْنِ أَنْ تَتَّقَعَا<sup>(١)</sup>  
تَبَالِهَنَّ بِالْعِرْفَانِ لَمَّا عَرَفْنِي وَقُلْنَ أَمْرُؤُ بَاغٍ أَكَلٌ وَأَوْضَعَا<sup>(٢)</sup>  
وَقَرَّبْنَ أَسْبَابَ الْهَوَى لِمُنِيْمٍ يَقِيسُ ذِرَاعًا كُلَّمَا قَسَنَ إِضْبَعَا<sup>(٣)</sup>

٦٥ - أَمَّا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَقَدْ كَانَ إِذَا رَأَى أَمْرَاءَ مُتَّقِبَةً - وَاضِعَةً نِقَابًا -  
قَالَ لَهَا : أَسْفِرِي نِقَابَكَ ؛ فَإِنْ رَأَاهَا حَسَنَةً أَمَرَهَا أَنْ تَتَّقِبَ ، وَإِنْ رَأَاهَا قَبِيحَةً  
مَنَعَهَا مِنَ النِّقَابِ .

\* \* \*

(١) الضَّمِيرُ فِي « زَهَايَا » إِنَّمَا رَاجِعٌ إِلَى أَمْرَاءَ قَدْ ذَكَرَهَا ، أَوْ إِلَى الْوُجُوهِ ؛ يَقُولُ : لَمَّا تَنَازَعْنَا  
الْحَدِيثَ وَأَنذَقْنَا فِيهِ وَأُسْفَرْتُ وَجُوهَ - أَيِ : أَشْرَقَتْ وَظَهَرَتْ - أَسْتَحْفَظُ الْحُسْنَ وَمَنَعَهَا مِنْ  
أَنْ تَضَعَ قِنَاعَهَا إِعْجَابًا بِحُسْنِهَا وَجَمَالِهَا وَإِذْلَالًا بِهِيَ .

(٢) « تَبَالِهَنَّ » : تَغَافَلْنَ وَزَعَمْنَ أَنَّهُنَّ لَمْ يَعْرِفْنِي ؛ وَ« أَكَلٌ » مِنَ الْكَلَالِ ، وَهُوَ : الْإِغْيَاءُ ؛  
وَ« أَوْضَعَا » : أَسْرَعَ ؛ يَقُولُ : وَقُلْنَ : هُوَ بَاغٍ ، أَيِ : مُتَعَدٍّ ، أَسْرَعَ حَتَّى أَتَعَبَ رَاحِلَتَهُ .

(٣) يَقُولُ : إِنَّهُنَّ فَعَلْنَ مَا يُوجِبُ الطَّمَعُ فِي وَضْلِهِنَّ حَتَّى قَرَّبْنَ أَسْبَابَ الْهَوَى لِمَنْ أَسْتَبَعْدُهُ  
الْحُبِّ ، فَصَارَ يَقْدِرُ فِيهِ ذِرَاعًا إِذَا قَدِرْنَ إِضْبَعًا ، أَيِ : إِنَّ هَوَاهُ يَرِيدُ عَلَى هَوَاهُنَّ .



الْمُتَمَنِّيَّةُ وَنَصْرُ بْنُ حَجَّاجٍ<sup>(١)</sup> :

٦٦ - بَيْنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَعُصُّ ذَاتَ لَيْلَةٍ<sup>(٢)</sup> فِي بَعْضِ سِكَكِ الْمَدِينَةِ إِذْ سَمِعَ نَشِيدَ شَعْرٍ مِنْ دَارٍ ، فَوَقَفَ يُضْغِي ، فَإِذَا أَمْرَأَةٌ تَقُولُ [من البسيط] :

هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى خَمْرِ فَأَشْرِبَهَا      أَمْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى نَصْرِ بْنِ حَجَّاجٍ  
إِلَى فَتَى مَاجِدِ الْأَعْرَاقِ مُقْتَبِلٍ      سَهْلِ الْمُحَيَّا كَرِيمٍ غَيْرِ مِلْجَاجٍ<sup>(٣)</sup>  
نَمَتْهُ أَعْرَاقُ صِدْقٍ حِينَ تَنْسُبُهُ      أَخِي حِفَاطٍ عَنِ الْمَكْرُوبِ فَرَاجٍ

٦٧ - وَهَذَا نَصْرُ بْنُ حَجَّاجٍ بْنِ عَلَاطٍ الْبَهْزِيُّ ، كَانَ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ ، وَأَسْمُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ كَمَا قَالَ فَرِيقٌ مِنَ النَّسَائِينَ : الذَّلْفَاءُ ، وَقَالَ آخَرُونَ : هِيَ الْفُرَيْعَةُ بْنُ هَمَامٍ أُمُّ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ ، وَكَانَتْ عَشِقَتْ نَصْرًا وَهِيَ تَحْتَ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ<sup>(٤)</sup> ، وَيُقَالُ : لَمَّا أُنْشِدَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ قَالَتْ لَهَا أَمْرَأَةٌ مَعَهَا : مَنْ نَصْرُ بْنُ حَجَّاجٍ ؟ قَالَتْ : رَجُلٌ وَدِدْتُ أَنَّهُ مَعِيَ فِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الْخَرِيفِ فِي أَطْوَلِ لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الشِّتَاءِ وَلَيْسَ مَعَنَا أَحَدٌ ؛ فَلَمَّا سَمِعَهَا عُمَرُ

(١) [راجع خبرها في « مجمع الأمثال » للميداني ، رقم : ٢١٨٧ ، مثل : أَصَبْتُ مِنَ الْمُتَمَنِّيَّةِ ؛

وراجع ترجمة نصر بن حجاج في « الإصابة » ، رقم الترجمة : ٨٨٤٥ ] .

(٢) قَالُوا : أَوَّلُ مَنْ عَصَى بِاللَّيْلِ فِي الْإِسْلَامِ هُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ .

(٣) يُقَالُ : فُلَانٌ مُقْتَبِلُ الشَّبَابِ ، أَيُّ : مُسْتَقْبِلُ الشَّبَابِ ؛ إِذَا لَمْ يَزِرْ عَلَيْهِ أَثَرُ كِبَرٍ ؛ وَ« ملجاج » : لَجُوجٌ ، مِنْ لَجَّ فِي الْأَمْرِ : تَمَادَى عَلَيْهِ وَأَبَى أَنْ يَنْصَرِفَ عَنْهُ ، تَقُولُ : إِنَّهُ لَيْسَ لَجُوجًا عَنِيدًا .

(٤) قَالَ هُوْلَاءُ مُخْتَجِبِينَ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْحَجَّاجَ حَضَرَ مَجْلِسَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يَوْمًا ، وَعُزُّوهُ بْنُ الرُّبَيْرِ يُحَدِّثُهُ ، وَيَقُولُ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ كَذَا وَسَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ يَقُولُ كَذَا - يُعْنِي أَخَاهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الرُّبَيْرِ - فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ : عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تُكْنِي أَخَاكَ الْمُتَأَفِّقَ لَا أُمَّ لَكَ ! فَقَالَ لَهُ عُزُّوهُ : يَا أَبْنَ الْمُتَمَنِّيَّةِ ! أَلَيْ تَقُولُ : لَا أُمَّ لَكَ ، وَأَنَا أَبْنُ إِحْدَى عَجَائِزِ الْجَنَّةِ : صَفِيَّةَ وَحَدِيجَةَ وَأَسْمَاءَ وَعَائِشَةَ ؟ !

قَالَ : مَنْ هَذِهِ الْمُتَمَتِّيَّةُ ؟ فَلَزِمَهَا هَذَا الْأَسْمُ وَشَاعَ حَتَّى ضَرَبَ بِهِ الْمَثَلَ نِسَاءُ الْمَدِينَةِ ، وَقُلْنَ : أَصَبْتُ مِنَ الْمُتَمَتِّيَّةِ . . . ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ دَعَا بِهَا ، وَضَرَبَهَا بِالذَّرَّةِ ضَرْبَاتٍ ، ثُمَّ سَأَلَ عَنْهَا ، فَلَمْ يُخْبَرْ عَنْهَا إِلَّا بِخَيْرٍ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَرْسَلَ إِلَى نَصْرِ بْنِ حَجَّاجٍ ، فَأَحْضَرَهُ ، فَلَمَّا رَأَاهُ بِهِرَهُ جَمَالُهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ تَتَمَتَّاكَ الْغَانِيَاتُ فِي خُدُورِهِنَّ لَا أُمَّ لَكَ ! أَمَا وَاللَّهِ لَا رَيْلَنَ عَنْكَ الْجَمَالَ ؛ ثُمَّ دَعَا بِحَجَّاجٍ ، فَحَلَقَ جُمَّتَهُ<sup>(١)</sup> ، ثُمَّ تَأَمَّلَهُ ، فَقَالَ : أَنْتَ مَخْلُوقًا أَحْسَنُ ! فَقَالَ نَصْرُ : وَأَيُّ ذَنْبٍ لِي فِي ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : صَدَقْتَ ، الذَّنْبُ لِي إِذَا تَرَكْتُكَ فِي دَارِ الْهَجْرَةِ ؛ ثُمَّ أَرْكَبَهُ جَمَلًا ، وَسَيَّرَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَكَتَبَ بِهِ إِلَى مُجَاشِعِ بْنِ مَسْعُودٍ السُّلَمِيِّ : بِأَنِّي قَدْ سَيَّرْتُ الْمُتَمَتَّى نَصْرَ بْنَ حَجَّاجٍ إِلَى الْبَصْرَةِ .

٦٨ - وَكَمَا قَالُوا بِالْمَدِينَةِ : أَصَبْتُ مِنَ الْمُتَمَتِّيَّةِ ، قَالُوا بِالْبَصْرَةِ : أَذْنَفُ مِنَ الْمُتَمَتَّى ، وَذَلِكَ أَنَّ نَصْرَ بْنَ حَجَّاجٍ لَمَّا وَرَدَ الْبَصْرَةَ أَخَذَ النَّاسُ يُسْأَلُونَ عَنْهُ ، وَيَقُولُونَ : أَيْنَ الْمُتَمَتَّى الَّذِي سَيَّرَهُ عُمَرُ ؟ ثُمَّ إِنَّ نَصْرًا لَمَّا نَزَلَ الْبَصْرَةَ أَنْزَلَهُ مُجَاشِعُ بْنُ مَسْعُودٍ مَنْزِلَهُ ، لِقَرَابَتِهِ ، وَأَخْدَمَهُ أَمْرَأَتُهُ شُمَيْلَةَ - وَقِيلَ : أَسْمُهَا الْخَضْرَاءُ - وَكَانَتْ أَجْمَلَ أَمْرَأَةٍ بِالْبَصْرَةِ ، فَعَلِقَتْهُ وَعَلِقَهَا ، وَخَفِيَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَا بِالْآخِرِ ، لِمِلَازِمَةِ مُجَاشِعٍ لِضَيْفِهِ ، وَكَانَ مُجَاشِعُ أُمِّيًّا ، وَنَصْرُ

(١) فِي رِوَايَةٍ : فَحَلَقَ شَعْرَتَهُ - أَيُّ : جَمِيعَ شَعْرِهِ - ، كَمَا هُوَ الْمُرَادُ بِحَلَقِ جُمَّتِهِ ؛ فَصَارَ كَأَنَّهُ أَصْلَعُ ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَصْلَعٌ لَمْ يَبْقَ مِنْ شَعْرِهِ إِلَّا حِفَافٌ - وَهُوَ شَعْرٌ حَوْلَ صَلْعَتِهِ - فَيُرَوَّى أَنَّ نَصْرًا لَمَّا حَلَقَ عُمَرُ رَأْسَهُ ، قَالَ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

لَصْنٌ أَبْنُ خَطَّابٍ عَلَيَّ بِجُمَّةٍ      إِذَا رُجِلْتُ تَهْتَزُّ هَزَّ السَّلَاسِلِ  
فَصَلَّعَ رَأْسًا لَمْ يَصْلَعْهُ رُبُّهُ      يَرِفُ رَفِيفًا بَعْدَ أَسْوَدَ جَائِلِ  
لَقَدْ حَسَدَ الْفُرْعَانَ أَصْلَعُ لَمْ يَكُنْ      إِذَا مَا مَشَى بِالْفَرْعِ بِالتَّخَايِلِ  
الْفُرْعَانَ ، وَاجِدُهُ الْأَفْرُغُ ، وَهُوَ : التَّامُّ الشَّعْرِ ، وَضِدُّهُ الْأَصْلَعُ ، وَاجِدُ الصُّلْعَانِ .

- رَاجِعِ « الْكَامِلُ » ٧٠٦ ؛ « الْمَقْتَضِبُ » ٢١٧/٣ - ٢٢٧ .

وَسُمَيْلَةَ كَاتِبِينَ ، فَعِيلَ صَبْرُ نَصْرِ ، فَكَتَبَ عَلَى الْأَرْضِ بِحَضْرَةِ مُجَاشِعٍ : إِنِّي أَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَوْ كَانَ فَوْقَكَ لِأَظْلَكِ ، أَوْ تَحْتِكَ لِأَقْلَكِ ؛ فَوَقَعَتْ تَحْتَهُ غَيْرَ مُحْتَشِمَةٍ : وَأَنَا وَاللَّهِ كَذَلِكَ ؛ فَكَتَبَ مُجَاشِعٌ عَلَى الْكِتَابَةِ إِنَاءً ، ثُمَّ أَدْخَلَ كَاتِبًا فَقَرَأَهُ ، فَأَخْرَجَ نَصْرًا وَطَلَّقَهَا ، وَقِيلَ : إِنَّهُ قَالَ لِنَصْرِ : يَا أَبْنَ عَمٍّ ! مَا سِيرَكَ عُمَرُ مِنْ خَيْرٍ ! قُمْ فَإِنَّ وَرَاءَكَ أَوْسَعَ لَكَ . فَتَهَضَّ مُسْتَحْيِيًا ، وَعَدَلَ إِلَى مَنْزِلِ بَعْضِ السُّلَمِيِّينَ ، وَضَنِي مِنْ حُبِّ سُمَيْلَةَ وَدَنَفَ حَتَّى صَارَ رَحْمَةً ، وَانْتَشَرَ خَبْرُهُ ، فَضَرَبَ نِسَاءُ الْبَصْرَةِ بِهِ الْمَثَلَ : فَقُلْنَ : « أَذْنَفُ مِنَ الْمُتَمَتَّى » ثُمَّ إِنَّ مُجَاشِعًا وَقَفَ عَلَى خَبَرِ عِلَّةِ نَصْرِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَائِدًا ، فَلَحِقَتْهُ رِقَّةٌ لِمَا رَأَى بِهِ مِنَ الدَّنَفِ ، فَارْجَعَ إِلَى بَيْتِهِ ، وَقَالَ لِسُمَيْلَةَ : عَزَمْتُ عَلَيْكَ لَمَّا أَخَذْتَ خُبْرًا فَلَبَكْتَهُ بِسَمْنٍ ، ثُمَّ بَادَرْتِ بِهِ إِلَى نَصْرِ ؛ فَبَادَرْتِ بِهِ إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَكُنْ بِهِ نُهوضٌ ، فَضَمَّتْهُ إِلَى صَدْرِهَا ، وَجَعَلَتْ تُلْقِمُهُ يَدَيْهَا ، فَعَادَتْ قُورَاهُ وَبَرَاءُ كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ بِهِ قَلْبَةً<sup>(١)</sup> ، فَقَالَ بَعْضُ عَوَادِهِ : قَاتَلَ اللَّهُ الْأَعْشَى حَيْثُ يَقُولُ [من السريع] :

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتًا إِلَى نَخْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُثْقَلْ إِلَى قَابِرِ  
فَلَمَّا فَارَقَتْهُ عَادَهُ النُّكْسُ . وَلَمْ يَزَلْ يَتَرَدَّدُ فِي عِلَّتِهِ حَتَّى مَاتَ مِنْهَا .

\* \* \*

٦٩ - وَمَرَّ رَجُلٌ فِي أَرْضِ بَنِي عَقِيلٍ ، قَالَ : فَرَأَيْتُ فَتَاةً جَمِيلَةً تَدَافِعُ فِي مَشْيِهَا تَدَافِعَ الْفَارِسِ الْمُخْتَالِ ، تَنْظُرُ عَنْ عَيْنَيْنِ نَجْلَاوَيْنِ بِأَهْدَابٍ كَقَوَادِمِ السُّورِ<sup>(٢)</sup> ، لَمْ أَرَّ أَكْمَلَ جَمَالًا مِنْهَا ، فَوَقَفْتُ لِأَكَلِمَهَا ، فَقَالَتْ لِي عَجُوزٌ بِفَنَاءِ مَنْزِلِهَا : مَالَكَ وَلِهَذَا الْغَرَالِ التَّجْدِي الَّذِي لَا حَظَّ لَكَ فِيهِ سِوَى قَوْلِ الْقَائِلِ [من الطويل] :

(١) يُقَالُ : مَا بِالْعَلِيلِ قَلْبَةً ، أَيِ : مَا بِهِ شَيْءٌ ، لَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي التَّنْفِي .

(٢) الْقَوَادِمُ : مَقَادِيمُ الرَّيْشِ ، فِي كُلِّ جَنَاحٍ عَشْرٌ .

وَمَالِكَ مِنْهَا غَيْرُ أَنْكَ نَاكِحٌ بِعَيْنَيْكَ عَيْنَيْهَا فَهَلْ ذَاكَ نَافِعٌ  
فَقَالَتْ لَهَا الْفَتَاةُ : دَعِيهِ يَا أُمَاهُ يَكُنْ كَمَا قَالَ ذُو الرِّمَّةِ [من الطويل] :  
وَإِنْ يَكُنْ إِلَّا مُعَرَّجٌ سَاعَةً قَلِيلًا فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا<sup>(١)</sup>

\* \* \*

٧٠ - وَقَالَ أَبُو الْغُصَنِ الْأَعْرَابِيُّ : خَرَجْتُ حَاجًّا ، فَلَمَّا مَرَزْتُ بِقُبَاءٍ تَدَاعَى  
أَهْلُهُ<sup>(٢)</sup> ، وَقَالُوا : الصَّقِيلُ الصَّقِيلُ<sup>(٣)</sup> ؛ فَنَظَرْتُ ، وَإِذَا جَارِيَةٌ - فَتَاةٌ - كَأَنَّ  
وَجْهَهَا سِنْفٌ صَقِيلٌ ، فَلَمَّا رَمَيْتَاهَا بِالْحَدَقِ ، أَلْقَتِ الْبُرْقُعَ عَلَى وَجْهِهَا ،  
فَكَأَنَّمَا غَمَامَةٌ غَطَّتْ شَمْسًا ، فَقُلْنَا : إِنَّا سَفَرٌ<sup>(٤)</sup> ، وَفِينَا أَجْرٌ ، فَأَمْتَعِينَا  
بِوَجْهِكِ ؛ فَأَنْصَاعَتْ وَأَنَا أَعْرِفُ الصَّحِيحَ فِي وَجْهِهَا ، وَهِيَ تَقُولُ [من الطويل] :  
وَكُنْتُ مَتَى أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَنْعَبْتُكَ الْمَنَاطِرُ<sup>(٥)</sup>  
رَأَيْتَ الَّذِي لَا كُلُّهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرٌ<sup>(٦)</sup>

\* \* \*

- (١) التَّغْرِيجُ : الإِقَامَةُ عَلَى الشَّيْءِ وَحَبْسُ الْمُطِيِّ عَلَى الْمَنْزِلِ .  
(٢) تَدَاعَى أَهْلُهُ ، أَي : دَعَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى يَجْتَمِعُوا .  
(٣) الصَّقِيلُ ، أَي : الْمَجْلُو ، وَيُقَالُ لِلْسِّنْفِ الصَّقِيلِ لِجَلَالَتِهِ ، وَهُمْ يُشَبِّهُونَ الْجَمِيلَ بِالسِّنْفِ الْمَجْلُوِّ .  
(٤) سَفَرٌ : مُسَافِرُونَ .  
(٥) مِنْ آيَاتِ حِمَاسَةِ أَبِي تَمَّامٍ ؛ وَالرَّائِدُ : الَّذِي يَتَقَدَّمُ الْقَافِلَةَ لِيَتَأَمَّلَ حَالَ الْمَاءِ وَالْكَلاَّ لَهُمْ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ : الرَّائِدُ لَا يَكْذِبُ أَهْلُهُ ، لِأَنَّهُ إِنْ كَذَّبَهُمْ هَلَكَ مَعَهُمْ ، وَجَعَلَ الْعَيْنَ رَائِدًا لِلْقَلْبِ ، لِأَنَّ الْقَلْبَ يَسْتَهْيِي مَا تَسْتَحْسِنُهُ الْعَيْنُ وَيَكْذَرُهُ مَا تَسْتَكْرِهُهُ ، قَالَ [من الطويل] :  
أَلَا إِنَّمَا الْعَيْنَانِ لِلْقَلْبِ رَائِدٌ فَمَا تَأَلَّفَ الْعَيْنَانِ فَالْقَلْبُ أَلْفٌ  
(٦) هَذَا تَفْصِيلٌ لِمَا أَجْمَلَهُ فِي قَوْلِهِ : « أَنْعَبْتُكَ الْمَنَاطِرُ » يَقُولُ : رَأَيْتُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً حَسَنَةً لَا تُصْبِرُ عَنْهَا وَلَا تَقْدِرُ عَلَيْهَا .

٧١ - وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُثْمَانَ يُسَمَّى الدِّيَّاجُ<sup>(١)</sup> لِحِمَالِهِ ، وَقَالَتْ لَهُ أُمْرَأَةٌ يَوْمًا : أَنْتَ تَفَخَّرُ بِالْجَمَالِ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ فَخْرُ النِّسَاءِ ، وَفَخَّرَ الرِّجَالُ بِالْإِجْمَالِ<sup>(٢)</sup> ؛ فَقَالَ لَهَا : وَإِذَا جَمَعَ الرَّجُلُ بَيْنَ الْجَمَالِ وَالْإِجْمَالِ فَقَدْ حَارَ مَرْتَبَةَ الْكَمَالِ .

\* \* \*

٧٢ - وَنَارَعَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ زَوْجَهَا إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَسَقَطَ خِمَارُهَا عَنْ وَجْهِهَا ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا أَجْمَلِكِ ! وَاللَّهِ لَكَأَنَّمَا خَرَجْتَ مِنَ الْجَنَّةِ ! فَلَمَّا سَمِعَ زَوْجُهَا ذَلِكَ هَاجَ فِي نَفْسِهِ مِنْهَا هَائِجٌ ، فَقَامَ فَرَضَّاهَا وَأَخَذَ يَبْدِهَا وَرَجَعَ إِلَى مَا أَرَادَتْ مِنْهُ .

\* \* \*

٧٣ - وَخَرَجَ أَبُو حَازِمٍ - وَهُوَ سَلَمَةُ بْنُ دِينَارٍ ، مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ - يَرْمِي الْجِمَارَ وَمَعَهُ قَوْمٌ نَاسِكُونَ وَهُوَ يُحَدِّثُهُمْ ، فَبَيْنَاهُمْ كَذَلِكَ إِذْ نَظَرُوا إِلَى أُمْرَأَةٍ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ تَتَلَقَّتْ يَمَنَةً وَيَسْرَةً وَقَدْ شَغَلَتِ النَّاسَ وَبُهِتُوا يُنْظَرُونَ إِلَيْهَا ، وَخَاضَ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ ، فَقَالَ لَهَا أَبُو حَازِمٍ : يَا هَذِهِ ! اتَّقِي اللَّهَ ! فَإِنَّكَ فِي مَشْعَرٍ مِنْ مَشَاعِرِ اللَّهِ ، وَقَدْ فَتَنَتِ النَّاسَ ، فَأَضْرِبِي عَلَى جَبِيكِ بِخِمَارِكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَلَيَضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ [سورة النور/ الآية : ٣١] ، فَأَقْبَلَتْ تَضَحِكُ مِنْ كَلَامِهِ ، وَقَالَتْ : يَا هَذَا ! إِنِّي مِمَّنْ قَالَ فِيهِنَّ الشَّاعِرُ - هُوَ الْعَرَجِيُّ - [من الطويل] :

(١) الدِّيَّاجُ : الثَّوبُ الَّذِي سَدَاهُ وَلَحَمَتْهُ مِنْ حَرِيرٍ ، أَوْ الثَّوبُ الْمُتَّخَذُ مِنَ الْإِبْرَيْسِمِ - الْحَرِيرِ - ؛ وَدِيَّاجَةُ الْوَجْهِ وَدِيَّاجَةُ : حُسْنُ بَشَرَتِهِ .

(٢) الإجمالُ : الإحسانُ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَفِعْلٌ مَا هُوَ جَمِيلٌ .

مِنَ اللَّاءِ لَمْ يَخْجُجْنَ يَتَبَيَّنُ حِسْبَةً وَلَكِنْ لِيَقْتُلَنَّ الْبَرِيءَ الْمُغْفَلَ<sup>(١)</sup>  
فَأَقْبَلَ أَبُو حَازِمٍ عَلَى أَصْحَابِهِ ، وَقَالَ : يَا هَؤُلَاءِ ، تَعَالَوْا نَدْعُ اللَّهَ أَنْ  
لَا يُعَذِّبَ هَذِهِ الصُّورَةَ الْحَسَنَةَ بِالنَّارِ ؛ فَجَعَلَ يَدْعُو وَأَصْحَابُهُ يُؤْمِنُونَ . . وَبَلَغَ  
ذَلِكَ سَعِيدَ بْنِ الْمُسَيَّبِ سَيِّدَ التَّابِعِينَ وَاحِدَ الْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،  
فَقَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مِنْ بَعْضِ بُعْضَاءِ الْعِرَاقِ<sup>(٢)</sup> لَقَالَ لَهَا : أَعْرَبِي قَبْحَكَ اللَّهُ !  
وَلَكِنَّهُ ظَرَفُ عِبَادِ أَهْلِ الْحِجَازِ .



٧٤ - وَقَالَتِ السَّيِّدَةُ سُكَيْنَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَوْمًا لِعَائِشَةَ بِنْتِ  
طَلْحَةَ : أَنَا أَجْمَلُ مِنْكِ ! فَقَالَتْ عَائِشَةُ : بَلْ أَنَا أَجْمَلُ مِنْكِ ! وَأَخْتَصَمَا إِلَى  
عُمَرَ ابْنِ أَبِي رَيْعَةَ . فَقَالَ : لَا قُضِيَ بَيْنَكُمَا ، أَمَّا أَنْتِ يَا سُكَيْنَةُ فَأَمْلَحُ ، وَأَمَّا  
أَنْتِ يَا عَائِشَةُ فَأَجْمَلُ ؛ فَقَالَتْ سُكَيْنَةُ : قُضِيَ لِي وَاللَّهِ عَلَيْهَا .

٧٥ - وَيُوضَّحُ هَذَا قَوْلُهُمْ : الْجَمِيلَةُ هِيَ الَّتِي تَأْخُذُ بِبَصَرِكَ جُمْلَةً عَلَى  
الْبُعْدِ ، فَإِذَا دَنْتَ لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ ، وَالْمَلِيحَةُ هِيَ الَّتِي تَأْخُذُ بِقَلْبِكَ عَلَى الْقُرْبِ ،  
أَوِ الَّتِي كُلَّمَا كَرَّرْتَ فِيهَا بَصَرَكَ زَادَتْكَ حُسْنًا .

٧٦ - وَمِنْ كَلَامِهِمْ : الْخِلَاوَةُ فِي الْعَيْنَيْنِ ، وَالْجَمَالُ فِي الْأَنْفِ ،  
وَالْمَلَاخَةُ فِي الْفَمِ .

٧٧ - وَقَالَتِ امْرَأَةُ خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ لَهُ يَوْمًا : مَا أَجْمَلَكَ ! قَالَ : مَا تَقُولِينَ  
ذَاكَ وَمَالِي عَمُودُ الْجَمَالِ ، وَلَا عَلَيَّ رِذَاؤُهُ وَلَا بُرْسُهُ ؛ قَالَتْ : مَا عَمُودُ

(١) الْحِسْبَةُ : الْأَجْرُ وَالْثَوَابُ ، وَالْمَرَادُ بِالْمُغْفَلِ : الَّذِي لَمْ يُجَرِّبِ الْأُمُورَ وَلَا يَعْرِفُ الشَّرَّ .

(٢) يُرِيدُ بِهِمُ الْمُتَرَمِّمِينَ الْمُتَغَالِبِينَ فِي الْوَرَعِ .

الْجَمَالِ وَمَا رِدَاؤُهُ وَمَا بُرْنُسُهُ ؟ قَالَ : أَمَّا عَمُودُ الْجَمَالِ فَطُولُ الْقَوَامِ وَفِيَّ  
قَصْرٌ ، وَأَمَّا رِدَاؤُهُ فَالْبَيَاضُ وَلَسْتُ بِأَبْيَضَ ، وَأَمَّا بُرْنُسُهُ فَسَوَادُ الشَّعْرِ وَأَنَا  
أَصْلَعُ ، وَلَكِنْ لَوْ قُلْتُ : مَا أَحْلَاكَ وَمَا أَمْلَحَكَ ، كَانَ أَوْلَى .

\* \* \*

٧٨ - وَقَدْ كَانُوا يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ ، وَأَنَّ الْجَمِيلَ قَدْ تَعَيَّنَهُ عَيْنُ عَدُوٍّ  
أَوْ حَسُودٍ فَتَوَثَّرَ فِيهِ فَيَمْرُضُ بِسَبَبِ ذَلِكَ ، فَقَدْ كَانَ الشَّاعِرُ الْمُلقَّبُ بِالْمُقْتَعِ  
الْكِنْدِيِّ - شَاعِرٌ مُقِلٌّ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ - كَانَ هَذَا الْمُقْتَعُ الْكِنْدِيُّ مِنْ  
أَجْمَلِ النَّاسِ ، كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا ، وَأَمَدَّهُمْ قَامَةً ، وَأَكْمَلَهُمْ خَلْقًا ؛  
فَكَانَ لِذَلِكَ يَقْتَعُ ، لِأَنَّهُ كَانَ مَتَى سَفَرَ لُقِعَ ، أَيُّ : أُصِيبَ بِعَيْنٍ .

\* \* \*

أَبُو دَهْبَلٍ وَصَاحِبَتُهُ :

٧٩ - وَكَانَ أَبُو دَهْبَلٍ الْجُمَحِيُّ الشَّاعِرُ<sup>(١)</sup> جَمِيلًا وَضِيئًا ، وَكَانَ لَهُ جُمُعَةٌ  
- قُصَّةٌ - يُرْسِلُهَا فَتَضْرِبُ مِنْكِيبَهُ ، وَكَانَ عَفِيفًا ، فَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ ، فَتَزَلَّ

(١) هُوَ وَهْبُ بْنُ زَمْعَةَ ... بْنُ جُمَحٍ ، قَالَ الشَّعْرُ فِي آخِرِ خِلَافَةِ عَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَمَدَحَ  
مُعَاوِيَةَ وَعَبَدَ اللَّهَ بْنَ الزُّبَيْرِ ، وَقَدْ وَلَّاهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ بَعْضَ أَعْمَالِ الْيَمَنِ ، وَهُوَ الْقَائِلُ مِنْ أُبَيَّاتٍ  
[مِنَ الطَّوِيلِ] :

<p>كَلَانَا بِهَا نَاوٍ وَلَا نَتَكَلَّمُ وَأَعْيَتْ غَوَاشِي عِبْرَتِي مَا تَفَرَّجُ خِلَالَ ضُلُوعِي جَمْرَةً تَتَوَهَّجُ وَطَوْرًا إِذَا مَالَجَ بِي الْحُزْنُ أَنْشِجُ وَنَحْنُ إِلَى أَنْ يُوصَلَ الْجَبَلُ أَخَوْجُ</p>	<p>أَلَيْسَ عَظِيمًا أَنْ تَكُونَ بِلَدَةٍ وَالْقَائِلُ مِنْ أُبَيَّاتٍ [مِنَ الطَّوِيلِ] : تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ مَا يَبْلُجُ وَبِتُّ كَنِيبًا مَا أَنَامُ كَأَنَّمَا فَطَوْرًا أُمُتِي النَّفْسُ مِنْ عَمْرَةِ الْمُتَى لَقَدْ قَطَعَ الْوَاشُونَ مَا كَانَ بَيْنَنَا أَنْشِجُ ، الشَّيْخُ : صَوْتُ مَعَهُ تَوَجُّعٌ وَبُكَاءٌ .</p>
---	--

جَيْرُون ، فَجَاءَتْهُ عَجُوزٌ ، فَقَالَتْ : إِنَّ ابْنَةَ لِي وَرَدَهَا كِتَابٌ مِنْ حَمِيمٍ لَهَا ، وَلَيْسَ عِنْدَهَا أَحَدٌ يَقْرُؤُهُ ، فَتَدْخُلُ إِلَيْهَا فِي هَذَا الْقَصْرِ فَتَقْرُؤُهُ ، فَتَحْتَسِبُ الْأَجْرَ فِيهَا ؛ فَفَعَلَ ، فَدَخَلَ ، فَأَغْلَقَ الْبَابَ دُونَهُ ، وَإِذَا أُمْرَأَةٌ فِي الْقَصْرِ رَأَتْهُ فَأَعْجَبَهَا ، فَدَعَتْهُ إِلَى نَفْسِهَا ، فَأَبَى ، فَأَمَرَتْ حَشَمَهَا فَسَجَنُوهُ فِي مَنْزِلٍ مِنَ الدَّارِ ، وَمُنِعَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ حَتَّى كَادَ يَهْلِكُ ، ثُمَّ أَمَرَتْ بِهِ فَأُخْرِجَ ، وَدَعَتْهُ إِلَى نَفْسِهَا فَأَبَى ، وَقَالَ : أَمَّا الْحَرَامُ فَلَا ، وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ أَتَزَوَّجَكَ فَعَلْتُ ؛ فَقَالَتْ : نَعَمْ ؛ وَأَحْسَنْتَ إِلَيْهِ حَتَّى رَدَّتْ رُوحَهُ ، فَتَزَوَّجَتْهُ ، وَمَنَعَتْهُ مِنَ الْخُرُوجِ حَتَّى طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا ذَاتَ يَوْمٍ : قَدْ أَتَيْتُ فِي وَلَدِي وَأَهْلِي ، فَأَذِنِي لِي فِي أَنْ أَطَالِعَهُمْ وَأَرْجِعَ إِلَيْكَ ؛ فَقَالَتْ : لَا أَسْتَطِيعُ فِرَاقَكَ ؛ فَعَاهَدَهَا أَلَّا يَغِيبَ عَنْهَا أَكْثَرَ مِنْ سِتَّةِ أَشْهُرٍ ، وَأَعْطَتْهُ مَالًا كَثِيرًا وَغَيْرَ ذَلِكَ ، فَخَرَجَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى أَهْلِهِ بِمَكَّةَ ، فَوَجَدَهُمْ قَدْ نُعِيَ لَهُمْ وَأَقْتَسَمَ وَلَدُهُ مَالَهُ وَزَوَّجُوا بَنَاتِهِ ، وَوَجَدَ زَوْجَتَهُ لَمْ تَأْخُذْ مِنْ مَالِهِ شَيْئًا ، وَبَكَتْ عَلَيْهِ حَتَّى عَمِشَتْ ، فَقَالَ لِبَنِيهِ : أَمَّا أَنْتُمْ فَحَظُّكُمْ مَا أَخَذْتُمْ مِنْ مَالِي ؛ وَقَالَ لِزَوْجَتِهِ : هَذَا الْمَالُ لَكَ ، فَأَصْنَعِي بِهِ مَا شِئْتِ ؛ وَأَقَامَ عِنْدَهَا حَتَّى قَرَبَتِ الْمُدَّةُ ، ثُمَّ مَضَى إِلَى الشَّامِ ، فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ الثَّانِيَةَ قَدْ مَاتَتْ حُزْنًا عَلَيْهِ وَأَسْفًا لِفِرَاقِهِ ، فَقَالَ فِيهَا [من الخفيف] :

صَاحَ حَيًّا إِلَهُ حَيًّا وَدُورًا      عِنْدِ أَضَلِّ الْقَنَاقَةِ مِنْ جَيْرُون<sup>(١)</sup>  
عَنْ يَسَارِي إِذَا دَخَلْتُ إِلَى الدَّارِ      وَإِنْ كُنْتُ خَارِجًا فِيمِينِي  
فَبِتْلِكَ أَغْتَرَبْتُ بِالشَّامِ حَتَّى      ظَنَّ أَهْلِي مُرَجَمَاتِ الظُّنُونِ

(١) جَيْرُون ، قبل : هي دِمَشْقُ ، وَقِيلَ : حِصْنُ بَدِمَشْقَ . [ جيرون : المحلة التي شرقي المسجد الأموي في دمشق ] .



وَهِيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لَوْلُؤَةٍ أَلْ  
وَإِذَا مَا نَسَبَتْهَا لَمْ تَجِدْهَا  
تَجْعَلُ الْمِسْكَ وَالْيَلَنُجُوحَ وَالنَّدَّ  
ثُمَّ خَاصَرْتُهَا إِلَى الْقُبَةِ الْخَضْ  
قُبَّةٌ مِنْ مَرَاجِلِ ضَرْبَتِهَا  
ثُمَّ فَارَقْتُهَا عَلَى خَيْرِ مَا كَا  
فَبَكَتْ خَشِيَّةً أَلْتَفَرُّقُ لِلْبِ  
فَسَلِي عَنِ تَذْكَرِي وَأَطْمَئِنِّي

غَوَاصٍ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكُونٍ  
فِي سَنَاءٍ مِنَ الْمَكَارِمِ دُونِ  
صِلَاءٍ لَهَا عَلَى الْكَانُونِ  
رَاءَ تَمْشِي فِي مَزْمَرٍ مَسْنُونٍ<sup>(١)</sup>  
قَبْلَ بَرْدِ الشَّتَاءِ فِي قَيْطُونٍ<sup>(٢)</sup>  
نَ قَرِينٍ مُفَارِقٍ لِقَرِينِ  
مِنْ بُكَاءِ الْحَزِينِ إِثْرَ الْحَزِينِ  
بِإِيَابِي وَإِنْ هُمْ عَذَلُونِي<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

٨٠ - وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ [من المديد] :

حَلَيْتُ وَالْحُسْنَ تَأْخُذُهُ  
فَاكْتَسَتْ مِنْهُ طَرَائِفُهُ  
تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ  
وَأَسْتَزَادَتْ فَضْلَ مَا تَهَبُ  
طَرَائِفُهُ ، جَمْعُ طَرِيفَةٍ ، أَيِ : غَرَائِبُهُ وَأَحَاسِنُهُ .

٨١ - وَقَالَ الْمُتَنَبِّي [من الطويل] :

حَبِيبٌ كَأَنَّ الْحُسْنَ كَانَ يُحِبُّهُ  
يَقُولُ : إِنَّ هَذَا الْحَبِيبَ قَدْ اسْتَبَدَّ بِالْحُسْنِ وَاسْتَأَثَرَ بِهِ ، فَلَيْسَ لِغَيْرِهِ فِيهِ

(١) الْمَسْنُونُ : الْمَضْبُوبُ عَلَى اسْتِواءٍ .

(٢) الْمَرَاجِلُ : ثِيَابٌ مِنْ ثِيَابِ الْيَمَنِ ، وَالْقَيْطُونُ : الْبَيْتُ فِي جَوْفِ الْبَيْتِ .

(٣) نَقَلْنَا هَذِهِ الْقِصَّةَ عَنْ « التَّوَادِرِ » لِأَبِي عَلِيٍّ الْقَالِي ، [صفحة : ١٨٧] ، وَقَالَ بَعْدَ ذَلِكَ :

وَيُزَوَّى هَذَا الشَّعْرُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ ، وَبِهِ كَانَ سَبَبُ أَمْرِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ  
الْأَخْطَلِ بِهَجَاءِ الْأَنْصَارِ ، أَيِ : لِأَنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ قِيلَتْ فِي عَاتِكَةَ بِنْتِ مُعَاوِيَةَ بِنِ سَفْيَانَ عَلَى  
رَأْيٍ . انظر أخبار أبي دَهْلَبٍ وَخَبَرُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ فِي « الْأَغَانِي » .

حَظٌّ ، فَكَأَنَّ الْحُسْنَ أَحَبَّهُ فَاسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِهِ ، أَوْ كَأَنَّ الَّذِي قَسَمَ الْحُسْنَ بَيْنَ  
النَّاسِ جَارٌ وَلَمْ يَعْدِلْ ، فَأَعْطَاهُ جَمِيعَ الْحُسْنِ وَلَمْ يَبْقَ لِأَحَدٍ مِنْهُ نَصِيبًا ، وَقَبْلَ  
الْبَيْتِ [من الطويل] :

إِذَا ظَفِرَتْ مِنْكَ الْعُيُونُ بِظَرَّةٍ      أَثَابَ بِهَا مُعْيِي الْمَطِيِّ وَرَازِمُهُ  
يَقُولُ : إِنَّ الْإِبِلَ الرَّاخَةَ الَّتِي كَلَّتْ وَأَعْيَتْ وَعَجَزَتْ عَنِ الْمَشْيِ إِعْيَاءٌ إِذَا  
نَظَرْتَ إِلَيْكَ عَادَتْ إِلَيْهَا قُوَّتُهَا ، وَرُدَّتْ أَرْوَاحُهَا ، وَصَلَحَتْ حَالُهَا مَعَ أَنَّهَا  
لَا تَعْمَلُ ، فَمَا الظُّرُّ بِنَا نَحْنُ رُكَّابُهَا وَحَيَاتُنَا بِرُؤْيَيْكَ ! .

٨٢ - وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَهَيْبٍ [السريع] :

قَدْ خَلَعَ الْحُسْنَ عَلَى وَجْهِهِ      سِرْبَالَ مَحْمُودٍ وَمَحْسُودٍ  
٨٣ - وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ [من المديد] :

رَشَاءُ لَوْلَا مَلاَحِظُهُ      خَلَّتِ الدُّنْيَا مِنَ الْفِتَنِ  
٨٤ - وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ الْمَعْرُوفُ بِالْعَكَّوكِ [من الرافر] :

أَغْرُ تَوَالِدُ الشَّهَوَاتِ مِنْهُ      فَمَا تَعْدُوهُ أَهْوَاءُ الْقُلُوبِ  
وَمَا أَكْتَحَلَتْ بِهِ عَيْنٌ فَتَبْقَى      مُسَلَّمَةٌ الضَّمِيرِ مِنَ الدُّنُوبِ

٨٥ - وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ [من المنسرح] :

لَا شَيْءَ إِلَّا وَفِيهِ أَحْسَنُهُ      فَالْعَيْنُ مِنْهُ إِلَيْهِ تَتَقَلُّ  
فَوَائِدُ الْعَيْنِ مِنْهُ طَارِفَةٌ      كَأَنَّمَا أُخْرِيَاتُهَا الْأُولُ  
طَارِفَةٌ ، يُرِيدُ : مُتَجَدِّدَةٌ .

٨٦ - وَقَالَ أَبُو فِرَاسٍ [بَلَّ أَبُو نَوَاسٍ ، من الكامل] :

فَإِذَا بَدَا أَقْتَادَتْ مَحَاسِنُهُ      فَسَرَّاءٌ إِلَيْهِ أَعِنَّةُ الْحَدَقِ

٨٧ - وَقَالَ بَشَّارٌ [من مجزوء الكامل] :

وَمُكَلَّلَاتٍ بِالْعُيُورِ      نِ طَرَقْنِي وَرَجَعْنَ مُلْسَا  
يَقُولُ بَشَّارُ : إِنَّهِنَّ لِحُسْنِهِنَّ تَعْلُو الْأَبْصَارُ إِلَى وُجُوهِهِنَّ وَأَعَالِيهِنَّ حَتَّى كَأَنَّ  
لَهُنَّ إِكْلِيلًا<sup>(١)</sup> مِنَ الْعُيُونِ ؛ وَرَجَعْنَ مُلْسَا ، أَيْ : لَمْ يَغْلُقْ بِهِنَّ أَدَى وَلَا رِيْبَةً .

وَيَنْظُرُ إِلَى هَذَا قَوْلُ الْمُتَنَبِّي [وسيرد برقم : ٤٤٧] [من الوافر] :

وَحْضَرُ تَبَيُّتِ الْأَبْصَارِ فِيهِ      كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقٍ نِطَاقًا  
وَقَبْلَ بَيْتِ الْمُتَنَبِّي [من الوافر] :

وَبَيْنَ الْفَرْعِ وَالْقَدَمَيْنِ نُورٌ      يَقُودُ بِهَا أَرْمَتَهَا اللَّيَاقَا  
وَطَرَفٌ إِنْ سَقَى الْعُشَّاقَ كَأْسًا      بِهَا نَقْصٌ سَقَانِيهَا دِهَاقَا  
دِهَاقًا : مَلَأَى .

٨٨ - وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ أُدَيْنَةَ ، وَهُوَ الْفَقِيهُ الْمُحَدِّثُ الثَّقِيُّ ، رَوَى عَنْهُ الْإِمَامُ  
مَالِكٌ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَثَمَةِ ، وَكَانَ إِلَى ذَلِكَ شَاعِرًا غَزِلًا (وَيُنْسِبُهُ بَعْضُهُمْ إِلَى مَجْنُونٍ لَيْلَى  
قَبَسَ بْنِ الْمُلَوِّحِ ، مِنْ الْكَامِلِ] :

إِنَّ الَّتِي زَعَمْتَ فُؤَادَكَ مَلَّهَا      خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَى لَهَا  
بَيْضَاءُ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا      بِلَبَاقَةٍ فَادَقَّهَا وَأَجَلَّهَا  
وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ      شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفُؤَادِ فَسَلَّهَا  
يَقُولُ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ : إِنَّ الَّتِي ظَنَنْتُ أَنَّكَ مَلَلْتَهَا قَدْ وَهَمْتُ فِي ذَلِكَ وَأَنَّ  
الْوَاقِعَ أَنَّهَا خُلِقَتْ هَوَاكَ ، أَيْ : إِنَّنِي أُحِبُّهَا ؛ كَمَا خُلِقْتُ هَوَاهَا ، أَيْ : كَمَا

(١) الْإِكْلِيلُ : التَّاجُ ؛ وَالْإِكْلِيلُ أَيْضًا : شِبْهُ عَصَابَةِ مُرَيَّةٍ بِالْجَوَاهِرِ .

أَنَّهُا تُحِبُّنِي ؛ وَالْهَوَى : الْمَهْوَى ؛ أَي : الْمَحْبُوبُ ؛ وَيَقُولُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي :  
 إِنَّهَا حَسَنَاءُ نَشَأَتْ فِي النَّعْمَةِ وَالرَّفَةِ فَصَاغَهَا النَّعِيمُ بِلَبَاقَةٍ ؛ أَي : حَذَقٍ ، فَأَدَقَّ  
 مِنْهَا مَا تَجَمَّلُ دِقَّتُهُ ، مِثْلُ : الْأَنْفِ وَالْخَضِرِ ، وَأَجَلَ مِنْهَا مَا يَجْمَلُ عِظْمُهُ ،  
 مِثْلُ : الرِّذْفِ وَالسَّاقَيْنِ ؛ فَجَاءَتْ كَامِلَةً ؛ وَيَقُولُ فِي الْبَيْتِ الثَّالِثِ : إِنِّي  
 لَا أَسْأَلُهَا أَبَدًا ، وَإِنْ خَطَرَتْ السَّلْوَةُ عَنْهَا بِقَلْبِي زَالَ ذَلِكَ سَرِيعًا ؛ وَسَلَّهَا :  
 أَنْتَزَعَهَا .

وَهَذَا كَمَا قَالَ كُثَيِّرُ [من الطويل] :

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَيْلٍ  
 وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْأَخْوَصِ [من الطويل] :

إِذَا رُمْتُ عَنْهَا سَلْوَةً قَالَ شَافِعُ مِنْ الْحُبِّ : مِيعَادُ السَّلْوِ الْمَقَابِرُ  
 وَعُرْوَةُ بَنٍ أَدِينَةَ هَذَا هُوَ الَّذِي قَالَتْ لَهُ سَكِينَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ : أَنْتَ الَّذِي  
 يُقَالُ فِيهِ : الرَّجُلُ الصَّالِحُ ، وَأَنْتَ تَقُولُ [من البسيط] :

إِذَا وَجَدْتُ أَوَارَ الْحُبِّ فِي كَيْدِي أَقْبَلْتُ نَحْوَ سِقَاءِ الْقَوْمِ أَبْتَرِدُ  
 هَذَا بَرَدْتُ بِبَرْدِ الْمَاءِ ظَاهِرُهُ فَمَنْ لِنَارٍ عَلَى الْأَخْشَاءِ تَتَقَدُّ  
 فَقَالَ : نَعَمْ ؛ فَالْتَفَتَتْ إِلَى جَوَارٍ كُنَّ حَوْلَهَا وَقَالَتْ : هُنَّ حَرَائِرُ إِنْ كَانَ  
 خَرَجَ هَذَا مِنْ قَلْبِ سَلِيمٍ . . .

وَهُوَ الْقَائِلُ أَيْضًا [وَيُقَالُ : إِنَّهُ لِعُمَرَ ابْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ، من البسيط] :

قَالَتْ : وَأَبْشَتُهَا وَجَدِي فَبَحْتُ بِهِ قَدْ كُنْتُ عِنْدِي تُحِبُّ السَّتْرَ فَاسْتَرِ  
 أَلَسْتُ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلِي فَقُلْتُ لَهَا غَطَى هَوَاكِ وَمَا أُلْقِيَ عَلَى بَصْرِي

أَيُّهَا السَّاقِيَانِ صُبَّا شَرَابِي      وَأَسْقِيَانِي مِنْ رِيقِ بَيْضَاءِ رُودٍ<sup>(١)</sup>  
 إِنَّ دَائِي أَلْظَمَا وَإِنَّ دَوَائِي      شَرْبَةً مِنْ رُضَابِ ثَغْرِ بَرُودِ  
 وَلَهَا مَبْسِمٌ كَغُرِّ الْأَقَاحِي      وَحَدِيثٌ كَالْوُشِيِّ وَشِيِّ الْبُرُودِ<sup>(٢)</sup>  
 نَزَلْتُ فِي السَّوَادِ مِنْ حَبَّةِ الْقَدِّ      وَنَالَتْ زِيَادَةُ الْمُسْتَزِيدِ  
 ثُمَّ قَالَتْ نَلْقَاكَ بَعْدَ لَيْالٍ      وَاللَّيَالِي يُبْلِسْنَ كُلَّ جَدِيدِ  
 عِنْدَهَا الصَّبْرُ عَنْ لِقَائِي وَعِنْدِي      زَفَرَاتٌ يَأْكُلْنَ قَلْبَ الْحَدِيدِ

\* \* \*

٩٠ - وَمِمَّا يَصِحُّ إِبْرَادُهُ هُنَا أَبْيَاتٌ فِي أَلْغَايَةِ مِنَ الْجُودَةِ وَالرَّوْعَةِ لِأَسِيدِ بْنِ عَنَقَاءِ الْفَزَارِيِّ ، فِي عُمَيْلَةِ الْفَزَارِيِّ ، وَهُمَا جَاهِلِيَّانِ ، وَعُمَيْلَةٌ مِنْ سَادَاتِ فَرَارَةَ ، وَنَسُوقُ حَدِيثُهُمَا .

كَانَ أَسِيدٌ مِنْ أَكْثَرِ أَهْلِ زَمَانِهِ وَأَشَدَّهُمْ عَارِضَةً وَلِسَانًا ، فَطَالَ عُمُرُهُ ، وَنَكَبَهُ دَهْرُهُ ، وَاخْتَلَتْ حَالَتُهُ ، فَخَرَجَ عَشِيَّةً يَتَبَقَّلُ لِأَهْلِهِ ، فَمَرَّ بِهِ عُمَيْلَةُ الْفَزَارِيِّ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : يَا عَمُّ ! مَا أَصَارَكَ إِلَى مَا أَرَى مِنْ حَالِكَ ؟ فَقَالَ : بُخِلُ مِثْلِكَ بِمَالِهِ ، وَصَوْنِي وَجْهِي عَنْ مُسَاءَلَةِ النَّاسِ ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ ، لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى غَدٍ لِأُغَيِّرَنَّ مَا أَرَى مِنْ حَالِكَ ؛ فَرَجَعَ ابْنُ عَنَقَاءِ إِلَى أَهْلِهِ ، فَأَخْبَرَهَا بِمَا قَالَ لَهُ عُمَيْلَةُ ، فَقَالَتْ لَهُ : لَقَدْ غَرَّكَ كَلَامُ غُلَامٍ جُنَحَ لَيْلٍ ! فَكَأَنَّمَا أَلْقَمْتُ فَاهُ حَجْرًا ، فَبَاتَ مُتَمَلِّمًا بَيْنَ رَجَاءٍ وَيَأْسٍ ، فَلَمَّا كَانَ السَّحَرُ سَمِعَ رُعَاءَ الْإِبِلِ ، وَثُعَاءَ الْأَشْيَاءِ ، وَصَهِيلَ الْخَيْلِ ، وَلَجَبَ الْأَمْوَالِ ؛ فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقَالُوا : هَذَا عُمَيْلَةُ سَاقِ إِلَيْكَ مَالَهُ ؛ فَاسْتَخْرَجَ ابْنُ عَنَقَاءِ ، ثُمَّ قَسَمَ مَالَهُ شَطْرَيْنِ

(١) رُودٌ ، أَضْلَاهَا رُودٌ بِالْهَمْزِ : الشَّابَّةُ الْحَسَنَةُ السَّرِيعَةُ الشَّبَابِ مَعَ حُسْنِ غِذَاءٍ ، تَشْبِيهَا لَهَا بِالْغُضَنِ الرَّوْدِ . وَهُوَ الَّذِي نَبَتَ مِنْ سَنَةِ أَرْطَبَ مَا يَكُونُ وَآلِيَتُهُ .

(٢) الْمَبْسِمُ : الثَّغَرُ ؛ وَالْأَقَاحِي ، جَمْعُ أَفْحَوَانَةٍ : نَبَاتٌ ، أَوْرَاقُ زَهْرِهِ مُفَلَّجَةٌ صَغِيرَةٌ .

وَسَاهَمَهُ عَلَيْهِ ، فَأَنْشَأَ ابْنُ عَنقَاءَ يَقُولُ [من الطويل] :

رَأَيْتُ عَلَى مَا بِي عُمَيْلَةً فَاشْتَكَيْتُ إِلَى مَا لِي حَالِي أَسْرَّ كَمَا جَهَرَ<sup>(١)</sup>  
 دَعَانِي فَاسَانِي وَلَوْ ضَنَّ لَمْ أَلَمْ عَلَى حِينٍ لَا بَدُو يُرْجَى وَلَا حَضَرَ<sup>(٢)</sup>  
 فَقُلْتُ لَهُ خَيْرًا وَأَتْنَيْتُ فِعْلَهُ وَأَوْفَاكَ مَا أَسَدَيْتَ مَنْ ذَمَّ أَوْ شَكَرَ<sup>(٣)</sup>  
 وَلَمَّا رَأَى الْمَجْدَ اسْتُعِيرْتُ ثِيَابَهُ تَرَدَّى رِدَاءً سَابِغَ الذَّلِيلِ وَاتَّزَرَ<sup>(٤)</sup>  
 غُلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ يَافِعًا لَهُ سِنِمِيَاءُ لَا تَشْقُ عَلَى الْبَصَرِ<sup>(٥)</sup>  
 كَانَ الثَّرِيًّا عُلِقَتْ فَوْقَ نَحْرِهِ وَفِي أَنْفِهِ الشُّعْرَى وَفِي خَدِّهِ الْقَمَرُ<sup>(٦)</sup>  
 إِذَا قِيلَتْ الْعَوْرَاءُ أَغْضَى كَأَنَّهُ ذَلِيلٌ بِلَا ذُلٍّ وَلَوْ شَاءَ لَانْتَصَرَ<sup>(٧)</sup>

\* \* \*

- (١) عَلَى مَا بِي : عَلَى الَّذِي بِي مِنَ الْفَاقَةِ وَالْعَوَرِ ؛ وَقَوْلُهُ : « فَاشْتَكَيْتُ إِلَى مَا لِي حَالِي » مِنْ بَارِعِ التَّمَثِيلِ ، جَعَلَ رُجُوعَهُ إِلَى مَا لِي فِي إِضْلَاحِ حَالِهِ شِكَايَةً مِنْهُ إِلَيْهِ ؛ وَقَوْلُهُ : « أَسْرَّ كَمَا جَهَرَ » ، يُرِيدُ : لَمْ يَتَأَفَّفْ ، يَعْنِي : إِنَّهُ أَسْرَّ الْاهْتِمَامَ بِأَمْرِي كَمَا أَظْهَرَهُ .
- (٢) فَاسَانِي ، أَيُّ : جَعَلَنِي أَسْوَأَ لَهُ بِأَنْ أَعْطَانِي مِنْ مَا لِي ؛ وَقَوْلُهُ : « وَلَوْ ضَنَّ لَمْ أَلَمْ » أَيُّ : لَمْ أَلْمُهُ لِضَيِّقِ الزَّمَانِ الَّذِي لَا يُرْجَى فِيهِ بَدْوِيٌّ وَلَا حَضَرِيٌّ .
- (٣) وَأَتْنَيْتُ فِعْلَهُ ، أَيُّ : أَتْنَيْتُ عَلَى فِعْلِهِ ، أَوْ تَقُولُ : إِنَّهُ ضَمَّنَ « أَتْنَيْتُ » مَعْنَى : « مَدَحْتُ » ، ثُمَّ قَالَ : وَمَنْ ذَمَّ إِسَاءَتَكَ وَشَكَرَ إِحْسَانَكَ فَقَدْ وَفَّاكَ حَقَّ مَا أَسَدَيْتَ إِلَيْهِ .
- (٤) اسْتُعِيرْتُ ثِيَابَهُ : كِنَايَةً عَنْ ذَهَابِهِ ، يَقُولُ : لَمَّا رَأَى الْمَجْدَ قَدْ ذَهَبَ لِبَسَ هُوَ ثِيَابًا مِنَ الْمَجْدِ وَاسِعَةً .
- (٥) الْيَافِغُ : الشَّابُّ ؛ وَالسِّنِمِيَاءُ بُرَادُ بِهَا هُنَا : الْحُسْنُ وَالْبَهْجَةُ ؛ وَلَا تَشْقُ عَلَى الْبَصَرِ ، يُرِيدُ أَنَّهُ يُسَرُّ النَّظَرَ إِلَيْهِ لِبُسَرِهِ وَطَلَاتِهِ وَنَجَاتِهِ ؛ وَقَوْلُهُ : رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ يَافِعًا ، يُرْوَى : رَمَاهُ اللَّهُ بِالْحُسْنِ يَافِعًا ؛ قَالَ الرَّيَاشِيُّ : لَا يَرْوِيهِ : رَمَاهُ اللَّهُ بِالْحُسْنِ ، إِلَّا أَعْمَى الْبَصِيرَةَ ، لِأَنَّ الْحُسْنَ مَوْلُودٌ .
- (٦) الشُّعْرَى : أَسْمٌ لِكَوْكَبٍ مِنْ كَوْكَبَيْنِ ، يُقَالُ لِكُلِّ مِنْهُمَا الشُّعْرَى ، وَهُمَا : الْعَبُورُ وَالْعُمَيْصَاءُ ، اخْتِا سُهَيْلٌ ؛ يَصِفُ ابْنَ عَنقَاءَ الْمَمْدُوحَ بِالْجَمَالِ وَالْمَلَاةِ ، وَهَذَا الْبَيْتُ هُوَ شَاهِدُنَا .
- (٧) الْعَوْرَاءُ : الْكَلِمَةُ الْقَبِيحَةُ ، يَقُولُ : إِذَا سَمِعَ الْكَلِمَةَ الْقَبِيحَةَ سَكَتَ وَعَفَا كَرَمًا لَا عَجْزًا ، وَلَوْ شَاءَ لَانْتَقَمَ مِنْ قَاتِلَيْهِمَا ، لِأَنَّهُ عَلَى الْإِنْتِقَامِ جِدٌّ قَدِيرٌ .

٩١ - وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ صَبْرِي بَاشَا ، وَهِيَ آيَاتُ قَالَهَا رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ لِيُتَرْجَمَ إِلَى اللُّغَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ ، وَهُوَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ يَرْغُبُ إِلَى الْحَسَنَاءِ أَنْ تُسَوِّيَ بَيْنَ مُحِبِّهَا فِي التَّمَتُّعِ بِالنَّظَرِ إِلَى جَمَالِهَا [من الرمل] :

يَا لِهَوَاءِ الْحُسْنِ أَحْزَابُ الْهَوَى	أَيَقْظُوا الْفِتْنَةَ فِي ظِلِّ اللَّوَاءِ <sup>(١)</sup>
فَرَقَتْهُمْ فِي الْهَوَى ثَارَاتُهُمْ	فَأَجْمَعِي الْأَمْرَ وَصُونِي الْأَبْرِيَاءِ
إِنَّ هَذَا الْحُسْنَ كَالْمَاءِ الَّذِي	فِيهِ لِأَنْفُسِ رِيٍّ وَشِفَاءِ
لَا تَذُودِي بَعْضَنَا عَنْ وَرْدِهِ	دُونَ بَعْضٍ وَأَعْدِلِي بَيْنَ الظَّمَاءِ
أَنْتِ يَمْ الْحُسْنِ فِيهِ أَرْدَحَمَتْ	سُفُنُ الْأَمَالِ يُزْجِيهَا الرَّجَاءُ <sup>(٢)</sup>
يَقْذِفُ الشَّوْقُ بِهَا فِي مَائِجِ	بَيْنَ لُجَيْنِ عَنَاءٍ وَشَقَاءِ
شِدَّةٍ تَمْضِي وَتَبْأْتِي شِدَّةٌ	تَقْتَفِيهَا شِدَّةٌ هَلْ مِنْ رَجَاءِ
سَاعِفِي أَمَالٍ أَنْضَاءِ الْهَوَى	يَقْبُولُ مِنْ سَجَايَاكَ رَخَاءِ <sup>(٣)</sup>
وَتَجَلِّي وَأَجْعَلِي قَوْمَ الْهَوَى	تَحْتَ عَرْشِ الشَّمْسِ فِي الْحُكْمِ سَوَاءِ <sup>(٤)</sup>
أَقْبِلِي نَسْتَقْبِلِ الدُّنْيَا وَمَا	ضَمَّتْهُ مِنْ مُعَدَّاتِ الْهِنَاءِ
وَأَسْفِرِي ، تِلْكَ حُلَى مَا خُلِقَتْ	لِتُؤَارَى بِلَثَامٍ أَوْ خِبَاءِ <sup>(٥)</sup>

(١) شَبَّهَهَا فِي حُسْنِهَا الْمَرْمُوقِ وَاتَّبَاعِ الْمُحِبِّينَ إِثَارَهَا بِاللَّوَاءِ الَّذِي يَرْمُقُهُ الْجَيْشُ وَيَتَّبِعُهُ .

(٢) الْيَمُّ : الْبَحْرُ ؛ وَزُجْجِيهَا : يَذْفُفُهَا وَيَسُوقُهَا .

(٣) أَنْضَاءُ الْهَوَى ، أَيُّ : مَنْ أَضْنَاهُمْ الْحُبَّ وَأَسَقَمَهُمْ وَأَنَحَلَ جُسُومَهُمْ ، جَمْعُ نَضْوٍ ؛ وَالْقَبُولُ : رِيحُ الصَّبَا ، وَهِيَ مِنْ أَلْطَفِ الرِّيَّاحِ ؛ وَالرَّخَاءُ : الرِّيحُ اللَّيِّنَةُ ؛ شَبَّهَ بِهَا شَمَائِلَ حَبِيبَتِهِ وَسَجَايَاهَا فِي رَفَّتِهَا وَلُطْفِهَا .

(٤) تَجَلَّى ، أَيُّ : أَسْفَرِي وَأَظْهَرِي . وَيُشِيرُ بِشَبِيهِ حَبِيبَتِهِ بِالشَّمْسِ فِي هَذَا الْبَيْتِ إِلَى أَنَّهُ يُتَّبَعِي لَهَا أَنْ تَشَبَّهَ الشَّمْسُ أَيْضاً فِي شُمُولِ ضَوْئِهَا .

(٥) أَسْفَرِي ، أَيُّ : أَرْفَعِي لِثَامَكَ ؛ وَالْحُلَى ، جَمْعُ حُلِيَّةٍ .

وَأُخْطِرِي بَيْنَ الدَّمَامَى يَحْلِفُوا  
وَأُنْطَقِي يَنْشُرُ إِذَا حَدَّثْتَنَا  
وَأُبْسِمِي ، مَنْ كَانَ هَذَا ثَغْرُهُ  
لَا تَخَافِي شَطَطاً مِنْ أَنْفُسِ  
رَاضَتِ النَّخْوَةَ مِنْ أَخْلَاقِنَا  
فَلَوْ أُمْتَدَّتْ أَمَانِينَا إِلَى  
أَنْتِ رُوحَانِيَّةٌ ، لَا تَدْعِي  
وَأَنْزِعِي عَنْ جِسْمِكَ الثُّوبَ بَيْنَ  
وَأَرِي الدُّنْيَا جَنَاحِي مَلِكٍ

أَنْ رَوْضاً رَاحَ فِي النَّادِي وَجَاءُ<sup>(١)</sup>  
نَائِرُ الدُّرِّ عَلَيْنَا مَا نَشَاءُ  
يَمْلَأُ الدُّنْيَا ابْتِسَاماً وَأَزْدِهَاءُ<sup>(٢)</sup>  
تَعْتُرُ الصَّبْوَةَ فِيهَا بِالْحَيَاءِ<sup>(٣)</sup>  
وَأَرْتَضَى آدَابَنَا صَدَقُ الْوَلَاءِ<sup>(٤)</sup>  
مَلِكٍ مَا كَدَّرَتْ ذَاكَ الصَّفَاءُ<sup>(٥)</sup>  
أَنْ هَذَا الْحُسْنَ مِنْ طِينٍ وَمَاءِ<sup>(٦)</sup>  
لِلْمَلَا تَكْوِينُ سُكَّانِ السَّمَاءِ  
خَلْفَ تِمْثَالِ مَصْوَغٍ مِنْ ضِيَاءِ

٩٢ - وَقَالَ أَبُو الشَّيْصِ [من المنسرح] :

تَخْشَعُ شَمْسُ النَّهَارِ طَالِعَةً  
تَعْرِفُهُ أَنَّهُ يُفَوْقُهُمَا  
حِينَ تَرَاهُ ، وَيَخْشَعُ الْقَمَرُ  
بِالْحُسْنِ فِي عَيْنٍ مَنْ لَهُ بَصَرُ

٩٣ - وَقَالَ ابْنُ لَنَكَّك [من مجزوء الكامل] :

- (١) الدَّمَامَى ، جَمْعُ نَدِيم .  
(٢) الْأَزْدِهَاءُ : الْإِخْيَالُ .  
(٣) الشَّطَطُ : مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ . يَقُولُ : لَا تَخَافِي الْجُمُوحَ مِنْ نُفُوسِ الْجُلَسَاءِ وَخُرُوجَهَا عَنِ الْأَدَبِ فِي التَّمَتُّعِ بِجَمَالِكَ ، فَإِنَّهَا نُفُوسٌ مُهْدَبَةٌ يَحُولُ الْحَيَاءُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا لَا يَنْبَغِي . وَلَا يَخْفَى مَا فِي قَوْلِهِ : « تَعْتُرُ الصَّبْوَةَ ... » الْخ مِنْ خِيَالٍ حَسَنٍ ، إِذْ قَدْ تَخَيَّلَ أَنَّ الصَّبْوَةَ قَدْ جَمَعَتْ بِنُفُوسِ الْمُحِبِّينَ يَطْلُبُ مَا لَا يَنْبَغِي حَتَّى عَثَرَتْ بِالْحَيَاءِ فَوَقَفَتْ مَكَانَهَا .  
(٤) رَاضَتْ ، أَيِ : سَهَلَتْ وَذَلَّلَتْ ؛ وَالنَّخْوَةُ : الْمُرُوءَةُ ؛ وَالْوَلَاءُ : الْمَحَبَّةُ .  
(٥) يَقُولُ : إِنَّ أَمَانِينَا فِي التَّمَتُّعِ بِالْحُسْنِ أَمَانِيٌّ مُهْدَبَةٌ ، فَلَوْ تَمَتَّنَا مَلَكاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا أَخْرَجَنَا بِهَذِهِ الْأَمَانِي الطَّاهِرَةِ عَنْ طَبِيعَتِهِ الصَّافِيَةِ .  
(٦) يَصِفُهَا فِي هَذَا الْبَيْتِ بِأَنَّهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا مِنَ الْإِنْسِ .



الْبَدْرُ وَالشَّمْسُ الْمُنِدُ      يَرَّةً وَالْذَّمَى وَالْكُوكِبُ  
أَضَحَّتْ ضَرَائِرَ وَجْهِهِ      مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ تَغْرُبُ  
وَكَأَنَّ جَمْرَ جَوَانِحِي      فِي خَلْدِهِ يَتَلَهَّبُ  
وَكَأَنَّ غُضْنَ قَوَامِهِ      مِنْ مَاءِ دَمْعِي يَشْرَبُ  
وَصَوَالِجٍ فِي صُدْغِهِ      بِسَوَادِ قَلْبِي تَلْعَبُ<sup>(١)</sup>

٩٤ - وَقَالَ أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ [من المقارب] :

وَوَجْهِ تَشْرَبَ مَاءَ اللَّعِيمِ      فَلَوْ عَصِرَ الْحُسْنُ مِنْهُ أَنْعَصِرُ  
يَمُرُّ فَأَمْنَحُهُ نَاطِرِي      فَيُثْرُ وَرَدًا عَلَيْهِ الْخَفَرُ  
تَمَتَّعَتِ الْعَيْنُ فِي حُسْنِهِ      فَمَا حَفَلَتْ بِطُلُوعِ الْقَمَرِ

٩٥ - وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ [من السريع] :

يَا مُفْرَدًا بِالْحُسْنِ وَالشَّكْلِ      مَنْ دَلَّ عَيْنِيهِ عَلَى قَتْلِي  
الْبَدْرُ مِنْ شَمْسٍ الضُّحَى نُورُهُ      وَالشَّمْسُ مِنْ نُورِكَ تَسْتَمْلِي

٩٦ - وَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ [من المنسرح] :

كَأَنَّمَا الْوَجْهُ إِذَا بَدَا قَمَرُ      مُرَكَّبٌ فَوْقَ قَامَةِ الْعُصْنِ  
يَا ذَا الَّذِي أَصْبَحَ الْعِبَادُ بِهِ      فِي فِتْنَةٍ مِنْ عَظَائِمِ الْفِتَنِ  
أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْهَوَىٰ إِلَيَّ فَقَدْ      أَطْلَتِ بِالصَّدِّ مُعْرِضًا حَزَنِي<sup>(٢)</sup>

٩٧ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ [من الخفيف] :

(١) الصَّوَالِجُ ، جَمْعُ صَوْلَجَانٍ : عَصَا يُعْطَفُ طَرَفُهَا ، يُضْرَبُ بِهَا الْكَرَّةُ عَلَى الدَّوَابِّ ؛ شَبَّهَ بِهَا هُنَا السَّوَالِفَ ، وَهِيَ : خَصْلٌ مِنَ الشَّعْرِ مُرْسَلَةٌ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ ، وَهِيَ مُلْتَوِيَةٌ مِثْلُ الصَّوَلَجَانِ .

(٢) حَزَنِي ، مَعْمُولُ قَوْلٍ : أَطْلَتِ .

وَإِذَا أَلْدُرُّ زَانَ حُسْنٍ وَجُوهٍ      كَانَ لِلدَّرِّ حُسْنٌ وَجْهَكَ زَيْنًا  
وَتَزِيدِينَ طَيِّبَ الطَّيِّبِ طَيِّبًا      إِنَّ تَمَسِّيهِ ، أَيْنَ مِثْلُكَ أَيْنَا  
٩٨ - وَقَالَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَيْغَةَ [من الرمل] :

وَفَتَاةٌ إِنْ يَغِبْ بَدْرُ الدَّجَى      فَلَنَا فِي وَجْهِهَا عَنْهُ خَلْفٌ  
أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى تَفْضِيلِهَا      وَهَوَاهُمْ فِي سِوَاهَا مُخْتَلِفٌ  
٩٩ - وَقَالَ الْخُبَزَارِيُّ [من المتقارب] :

رَأَيْتُ الْهَلَالَ وَوَجْهَ الْحَيِّبِ      فَكَانَا هِلَالَيْنِ عِنْدَ النَّظَرِ  
فَلَمْ أَذِرْ مِنْ خَيْرَتِي فِيهِمَا      هِلَالَ الدَّجَى مِنْ هِلَالِ الْبَشَرِ  
فَلَوْلَا التَّوَرُّدُ فِي الْوَجْتَيْنِ      وَمَا رَاعَنِي مِنْ سَوَادِ الشَّعْرِ  
لَكُنْتُ أَظُنُّ الْهَلَالَ الْحَيِّبَ      وَكُنْتُ أَظُنُّ الْحَيِّبَ الْقَمَرَ  
١٠٠ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ [وهو أَبُو نُوَاسٍ ، من السَّرِيع] :

تَمَّتْ وَتَمَّ الْحُسْنُ فِي وَجْهِهَا      فَكُلُّ شَيْءٍ مَا سِوَاهَا مُحَالٌ  
لِلنَّاسِ فِي الشَّهْرِ هِلَالٌ وَلِي      فِي وَجْهِهَا كُلُّ صَبَاحٍ هِلَالٌ

\* \* \*

وَصَفُّهُمْ الْمَرْأَةَ الْجَمِيلَةَ :

١٠١ - أَهْدَى الْمُنْدِرُ الْأَكْبَرُ مَلِكُ الْحِيرَةِ إِلَى كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانَ جَارِيَةً  
- فَتَاةٌ - كَانَ قَدْ أَصَابَهَا إِذْ أَعَارَ عَلَى الْحَارِثِ الْأَكْبَرِ ابْنِ أَبِي شِمْرِ الْغَسَّانِيِّ ،  
فَكَتَبَ إِلَى أَنْوَشِرَوَانَ يَصِفُهَا :

إِنِّي قَدْ وَجَّهْتُ إِلَى الْمَلِكِ جَارِيَةً مُعْتَدِلَةً الْحَلْقِ ، نَقِيَّةَ اللَّوْنِ وَالثَّغْرِ ،

بَيْضَاءَ ، قَمَرَاءَ ، وَطَفَاءَ<sup>(١)</sup> ، كَحَلَاءَ ، دَعَجَاءَ<sup>(٢)</sup> ، حَوَرَاءَ ، عَيْنَاءَ ،  
 قَنَوَاءَ<sup>(٣)</sup> ، شَمَاءَ<sup>(٤)</sup> ، بَرْجَاءَ<sup>(٥)</sup> ، زَجَاءَ<sup>(٦)</sup> ، أَسِيلَةَ الْخَدِّ ، شَهِيَّةَ الْخَدِّ ، شَهِيَّةَ  
 الْمَقْبَلِ ، جَثْلَةَ<sup>(٧)</sup> الشَّعْرِ ، عَظِيمَةَ الْهَامَةِ ، بَعِيدَةَ مَهْوَى الْقُرْطِ ، عَيْطَاءَ<sup>(٨)</sup> ،  
 عَرِيضَةَ الصَّدْرِ ، كَاعِبَ الثَّدْيِ ، ضَخْمَةَ مُشَاشِ الْمَنْكِبِ وَالْعَضِدِ<sup>(٩)</sup> ، حَسَنَةَ  
 الْمِعْصَمِ ، لَطِيفَةَ الْكَفِّ ، سَبْطَةَ الْبَنَانِ ، ضَامِرَةَ الْبَطْنِ ، خَمِيصَةَ الْخَصْرِ ،  
 غَرْثِي<sup>(١٠)</sup> الْوِشَاحِ ، رَدَاحَ الْأَقْبَالِ<sup>(١١)</sup> ، رَابِيَةَ الْكَفْلِ ، لَفَاءَ<sup>(١٢)</sup> الْفَخْذَيْنِ ، رِيًّا  
 الرِّوَادِفِ ، ضَخْمَةَ الْمَأْكَمَتَيْنِ<sup>(١٣)</sup> ، مُفْعَمَةَ السَّاقِ<sup>(١٤)</sup> ، مُشَبَّعَةَ<sup>(١٥)</sup> الْخَلْخَالِ ،  
 لَطِيفَةَ الْكُغْبِ وَالْقَدَمِ ، قَطُوفَ<sup>(١٦)</sup> الْمَشْيِ ، مِكْسَالَ<sup>(١٧)</sup> الضُّحَى ،

- (١) الْوُطْفَاءُ : الْعَزِيزَةُ الْأَهْدَابِ وَشَعْرُ الْحَاجِبَيْنِ .
- (٢) الدَّعَجُ : شِدَّةُ سَوَادِ الْعَيْنِ وَشِدَّةُ بَيَاضِ بَيَاضِهَا .
- (٣) الْقَنَوَاءُ ، وَصْفٌ مِنَ الْقَنَاءِ ، وَهُوَ : ارْتِفَاعٌ فِي أَعْلَى الْأَنْفِ وَأَخْدِيدَابِ فِي وَسْطِهِ وَسُبُوعٌ فِي طَرَفِهِ .
- (٤) الشَّمَمُ فِي الْأَنْفِ : ارْتِفَاعُ الْفَصِيَّةِ وَحُسْنُهَا .
- (٥) الْبَرْجَاءُ : الْجَمِيلَةُ الْحَسَنَةُ الْوَجْهِ .
- (٦) الرِّجَاءُ : رَقِيقَةُ الْحَاجِبَيْنِ فِي طُولِ .
- (٧) الْجَثْلَةُ : كَثِيفَةُ الشَّعْرِ سَوْدَاؤُهُ .
- (٨) بَعِيدَةُ مَهْوَى الْقُرْطِ : كِنَايَةٌ عَنْ طُولِ عُنُقِهَا ؛ وَالْعَيْطَاءُ : الطَّوِيلَةُ الْعُنُقِ .
- (٩) الْمُسَاشُ : رَأْسُ الْعَظْمِ اللَّيِّنِ .
- (١٠) غَرْثِي الْوِشَاحِ : دَقِيقَةُ الْخَصْرِ .
- (١١) الرَّدَاحُ : الْعَجَزَاءُ ، الثَّقِيلَةُ الْأَوْرَاكِ ، التَّامَّةُ الْخَلْقِ ؛ وَالْأَقْبَالُ : مَا اسْتَقْبَلَكَ مِنْ مُشْرِفٍ ، وَالْوَاحِدُ قَبْلُ .
- (١٢) لَفَاءُ : ضَخْمَةُ الْفَخْذَيْنِ ، مَكْتَنَزَةٌ .
- (١٣) الْمَأْكَمَتَانِ : اللَّحْمَتَانِ اللَّتَانِ عَلَى رُؤُوسِ الْوِزْكَيْنِ ، الْوَاحِدُ مَأْكَمَةٌ .
- (١٤) مُفْعَمَةُ السَّاقِ : مُمْتَلِئَتُهَا .
- (١٥) مُشَبَّعَةُ الْخَلْخَالِ ، كِنَايَةٌ عَنِ السَّمَنِ ، وَفِي «اللسان» : أَمْرَأَةٌ شَبَعَى الْخَلْخَالِ : مَلَأَتْ سِمْنَأَ .
- (١٦) الْقَطُوفُ ، وَصْفٌ مِنَ الْقَطَافِ ، وَهُوَ : تَقَارُبُ الْحَطَوِ .
- (١٧) الْمِكْسَالُ : الْأَمْرَأَةُ الَّتِي لَا تَكَادُ تَبْرَحُ مَجْلِسِهَا ، وَهُوَ مَذْحُ لَهَا مِثْلُ : نَوُومُ الضُّحَى ، يَعْنُونَ أَنَّهَا مَخْدُومَةٌ .

بَصَّةٌ<sup>(١)</sup> الْمُتَجَرَّدُ ، سَمُوعاً لِلسَّيِّدِ ، لَيْسَتْ بِخَنَسَاءٍ<sup>(٢)</sup> وَلَا سَفْعَاءٍ<sup>(٣)</sup> ، رَقِيقَةٌ  
الْأَنْفِ ، عَزِيزَةُ النَّفْسِ ، لَمْ تُغْذَّ فِي بُؤْسٍ ، حَيَّةٌ رَزِينَةٌ ، حَلِيمَةٌ رَكِينَةٌ ، كَرِيمَةٌ  
الْخَالِ ، تَقْتَصِرُ عَلَى نَسَبِ أَبِيهَا دُونَ فَصِيلَتِهَا وَتَسْتَغْنِي بِفَصِيلَتِهَا دُونَ جَمَاعِ  
قَبِيلَتِهَا ، قَدْ أَحْكَمَتْهَا الْأُمُورُ فِي الْأَدَبِ ، فَرَأَيْهَا رَأَى أَهْلُ الشَّرَفِ ، وَعَمَلُهَا  
عَمَلُ أَهْلِ الْحَاجَةِ ؛ صَنَاعَ الْكَفَّينِ ، قَطِيعٌ<sup>(٤)</sup> اللِّسَانِ ، رَهْوَةٌ<sup>(٥)</sup> الصَّوْتِ  
سَاكِتَةٌ ، تَزِينُ الْوَلِيِّ ، وَتَشِينُ الْعَدُوَّ ، إِنْ أَرَدَتْهَا أَشْتَهَتْ ، وَإِنْ تَرَكْتَهَا  
أُنْهَتْ ، تُحْمَلِقُ<sup>(٦)</sup> عَيْنَاهَا ، وَتَحْمَرُّ وَجَتَاهَا ، وَتَذْبُذِبُ شَفَتَاهَا ، وَتُبَادِرُكَ  
الْوُتْبَةَ إِذَا قُمْتَ ، وَلَا تَجْلِسُ إِلَّا بِأَمْرِكَ إِذَا جَلَسْتَ .

\* \* \*

صِفَةُ أُخْرَى لِفَتَاةٍ جَمِيلَةٍ :

١٠٢ - وَكَانَ عَمْرُو بْنُ حُجْرٍ مَلِكُ كِنْدَةَ - وَهُوَ جَدُّ أَمْرِئِ الْقَيْسِ - أَرَادَ أَنْ  
يَتَزَوَّجَ ابْنَةَ عَوْفِ بْنِ مُحَلَّمِ الشَّيْبَانِيِّ الَّذِي قِيلَ فِيهِ : « لَا حَرَّ بِوَادِي

(١) الْبَصَّةُ : النَّاعِمَةُ ، يُقَالُ : أَمْرَأَةٌ بَصَّةٌ الْمُتَجَرَّدُ ، بِالْفَتْحِ ، أَيْ : بَصَّةٌ عِنْدَ التَّجَرُّدِ ، فَالْمُتَجَرَّدُ  
عَلَى هَذَا مُضَدَّرٌ . وَمَنْ قَالَ : بَصَّةٌ الْمُتَجَرَّدُ ، بِالْكَسْرِ ؛ أَرَادَ الْجِسْمَ .

(٢) الْخَنَسَاءُ ، مِنَ الْخَنَسِ ، وَهُوَ : تَأَخَّرُ الْأَنْفِ إِلَى الرَّأْسِ وَازْتِفَاعُهُ عَنِ الشِّفَةِ ، وَلَيْسَ بِطَوِيلٍ  
وَلَا مُشْرِفٍ ، وَقِيلَ : هُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْفُطْسِ ، وَهُوَ : لُصُوقُ الْقَصْبَةِ بِالْوَجْهِ وَضَحْمُ الْأُرْبَةِ .

(٣) السَّفْعَاءُ ، مِنَ السَّفْعِ ، وَهُوَ : السَّوَادُ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « أَنَا وَسَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ ، الْحَاثِيَةُ عَلَى  
وَلَدِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَاتَيْنِ » [ أَبُو دَاوُدَ ، رَقْمُ : ٥١٤٩ ، « مُسْنَدُ أَحْمَد » ، رَقْمُ : ٢٣٤٨٦ ]  
وَضَمُّ أَصَابِعِهِ . أَرَادَ بِالسَّفْعَاءِ الْخَدَّيْنِ أَنَّهَا بَدَلَتْ نَفْسَهَا وَتَرَكَّتِ الزَّيْنَةُ وَالرَّفَقَةُ حَتَّى شَحِبَ  
لَوْنُهَا وَأَسْوَدَ ، إِقَامَةً عَلَى وَلَدِهَا بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا .

(٤) أَمْرَأَةٌ قَطِيعٌ الْكَلَامِ - بَغِيرُ هَاءٍ - : إِذَا لَمْ تَكُنْ سَلِيطَةً .

(٥) رَهْوَةٌ الصَّوْتِ : رَقِيقَةٌ سَهْلَةٌ .

(٦) الْمُحْمَلِقُ مِنَ الْأَعْيُنِ : مَا حَوْلَ مُقْلَبَتِهَا يَبَاضُ لَمْ يُخَالِطْهُ سَوَادٌ .

عَوْفٍ<sup>(١)</sup> « لَا فِرَاطَ عِزِّهِ ، وَكَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ وَكَمَالٍ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهَا أَمْرًا يُقَالُ لَهَا عِصَامٌ<sup>(٢)</sup> لِنَتَظَرَ إِلَيْهَا ، وَتَمْتَحِنَ مَا بَلَغَهُ عَنْهَا ، فَدَخَلَتْ عَلَى أُمِّهَا أُمَامَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ ، فَأَعْلَمَتْهَا مَا قَدِمَتْ لَهُ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى ابْنَتِهَا ، فَقَالَتْ : أَيُّ بُنَيَّةُ ! هَذِهِ خَالَتُكَ أَتَتْ إِلَيْكَ لِنَتَظَرَ إِلَى بَعْضِ شَأْنِكَ ، فَلَا تَسْتُرِي عَنْهَا شَيْئًا أَرَادَتْ النَّظَرَ إِلَيْهِ ، مِنْ وَجْهِهِ وَخَلْقِهِ ، وَنَاطِقِيهَا فِيمَا اسْتَطَقَّتْكَ فِيهِ ؛ فَدَخَلَتْ عِصَامُ عَلَيْهَا ، فَنَظَرَتْ إِلَى مَا لَمْ تَرَ عَيْنُهَا مِثْلَهُ قَطُّ ، بِهَجَّةٍ وَحُسْنًا وَجَمَالًا ، وَإِذَا هِيَ أَكْمَلُ النَّاسِ عَقْلًا ، وَأَفْصَحُهُمْ لِسَانًا ، فَخَرَجَتْ مِنْ عِنْدِهَا وَهِيَ تَقُولُ : « تَرَكَ الْخِدَاعَ مَنْ كَشَفَ الْقِنَاعَ » فَذَهَبَتْ مَثَلًا ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ إِلَى الْحَارِثِ ، فَقَالَ لَهَا : « مَا وَرَاءَكَ يَا عِصَامُ ؟ » فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا ، قَالَتْ : « صَرَخَ الْمَخْضُ عَنْ الزُّبْدِ » فَذَهَبَتْ مَثَلًا ، قَالَ : أَخْبِرِينِي . قَالَتْ : أَخْبِرُكَ صِدْقًا وَحَقًّا :

رَأَيْتُ جَنَّةَ كَالْمِرَاةِ الصَّقِيلَةِ - الْمَجْلُوءَةِ - ، يَزِيئُهَا شَعَرٌ حَالِكٌ كَأَذْنَابِ الْخُيُولِ الْمَضْفُورَةِ ، إِنْ أَرْسَلْتُهُ خِلْتُهُ السَّلَاسِلَ ، وَإِنْ مَشَطْتُهُ قُلْتُ عَنَايِدُ كَرَمِ

(١) قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : مِنْ أَثْنَالِ الْعَرَبِ فِي الرَّجُلِ الْعَزِيزِ الْمَنِيْعِ الَّذِي يَعْزُّ بِهِ الدَّلِيلُ وَيَذِلُّ بِهِ الْعَزِيزُ قَوْلُهُمْ : « لَا حُرَّ بِوَادِي عَوْفٍ » أَيُّ : كُلُّ مَنْ صَارَ فِي نَاحِيَتِهِ خَضَعٌ لَهُ ، وَكَانَ الْمُفْضَلُ يَقُولُ : إِنْ أَلْمَلْتُ لِلْمُنْدِرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ ، قَالَهُ فِي عَوْفٍ بْنِ مُحَلَمٍ بْنِ ذَهْلٍ بْنِ شَيْبَانَ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُنْدِرَ كَانَ يَطْلُبُ زُهَيْرَ بِنْتِ أُمِّهِ الشَّيْبَانِيَّ بِدُخْلِ - ثَارٍ - ، فَمَنَعَهُ عَوْفٌ ، وَأَبَى أَنْ يُسَلِّمَهُ ، فَعِنْدَهَا قَالَ الْمُنْدِرُ : « لَا حُرَّ بِوَادِي عَوْفٍ » أَيُّ : أَنَّهُ يَقْهَرُ مَنْ حَلَّ بِوَادِيهِ ، فَكُلُّ مَنْ فِيهِ كَالْعَبْدِ لَهُ لِبَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ .

(٢) وَهَذِهِ عِصَامُ غَيْرُ عِصَامِ بْنِ شَهْبَرِ الْحَزْمِيِّ حَاجِبِ الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْدِرِ الَّذِي يَقُولُ [ النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِي فِيهِ ، مِنْ الرِّجْزِ ] :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامًا وَصَيَّرَتْهُ مَلِكًا هُمَامًا  
وَعَلَّمَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا .

وَمِنْ هَذَا قَالُوا فِي الْمَثَلِ : « كُنْ عِصَامِيًّا وَلَا تَكُنْ عِظَامِيًّا » يَرِيدُونَ قَوْلَهُ هَذَا ، وَكَانَتْ عِصَامُ هَذِهِ مِنْ كِنْدَةَ ، وَكَانَتْ ذَاتَ عَقْلٍ وَلِسَانٍ وَأَدَبٍ وَبَيَانٍ .

جَلَاهَا وَابِلٌ<sup>(١)</sup> ؛ وَمَعَ ذَلِكَ حَاجِبَانِ كَأَنَّمَا خُطَا بِقَلَمٍ ، أَوْ سُودَا بِحُمَمٍ<sup>(٢)</sup> ، قَدْ تَقَوَّسَا عَلَى عَيْنِ الطَّيْبَةِ الْعَبْهَرَةِ ، الَّتِي لَمْ يَرُعْهَا قَانِصٌ وَلَمْ يُدْعَرْهَا قَسُورَةٌ<sup>(٣)</sup> ، بَيْنَهُمَا أَنْفٌ كَحَدِّ السَّيْفِ الْمَصْقُولِ ، لَمْ يَخْنَسْ بِهِ قِصَرٌ وَلَمْ يَمُضْ بِهِ طَوْلٌ<sup>(٤)</sup> ، حَقَّتْ بِهِ وَجَنْتَانِ كَالْأَرْجُوانِ<sup>(٥)</sup> ، فِي بَيَاضٍ مَحْضٍ كَالْجَمَانِ<sup>(٦)</sup> ، شَقٌّ فِيهِ فَمٌ كَالْحَاتَمِ ، لَذِيذُ الْمُتَبَسِّمِ ، فِيهِ ثَنَائَا غُرٍّ ، ذَوَاتُ أُشْرِ<sup>(٧)</sup> ، وَأَسْنَانٌ تَبْدُو كَالدُّرِّ ، وَرَيْقٌ كَالْحُمْرِ ، لَهُ نَشْرُ الرُّوضِ بِالسَّحَرِ<sup>(٨)</sup> ، يَتَقَلَّبُ فِيهِ لِسَانٌ ذُو فَصَاحَةٍ وَبَيَانٍ ، يَبِينُ بِهِ عَقْلٌ وَافِرٌ ، وَجَوَابٌ حَاضِرٌ ، تَلْتَقِي دُونَهُ شَفَتَانِ حَمْرَاوَانِ كَالْوَرْدِ ، يَجْلُبَانِ<sup>(٩)</sup> رَيْقًا كَالشَّهْدِ ، تَحْتَ ذَاكَ عُنُقٌ كَابِرَيْقِ الْفِضَّةِ ، رُكْبٌ فِي صَدْرِ كَصَدْرِ تِمْثَالِ دُمِيَّةٍ ، يَتَّصِلُ بِهِ عَضْدَانِ مُمْتَلِئَانِ لَحْمًا ، مُكْتَبِرَانِ شَحْمًا ، وَذِرَاعَانِ لَيْسَ فِيهِمَا عَظْمٌ يُجَسَّ ، وَلَا عِرْقٌ يُحَسَّ<sup>(١٠)</sup> ، رُكْبَتٌ فِيهِمَا كَفَانِ لَيْسَ قَصَبُهُمَا ، رَقِيقٌ عَصْبُهُمَا<sup>(١١)</sup> ، وَقَدْ تَرَبَّعَ فِي صَدْرِهَا حُقَّانِ كَأَنَّهُمَا رُمَّانَتَانِ

(١) الْكَزْمُ : الْعَنْبُ ؛ وَالْوَابِلُ : الْمَطَرُ الشَّدِيدُ .

(٢) الْحُمَمُ : جَمْعُ حُمَةٍ ، وَهُوَ : الْفَحْمُ وَكُلُّ مَا اخْتَرَقَ بِالنَّارِ ؛ تُرِيدُ أَنْ حَاجِبَيْهَا سُودَاوَانِ .

(٣) الْعَبْهَرَةُ : الْمُرَادُ الْحَسَنَةُ الْجَمِيلَةُ ، وَمِنْهُ : فَتَاةٌ عَبْهَرَةٌ : جَمَعَتْ الْحُسْنَ وَالْخُلُقَ وَأَمْلَاءَ الْجَنَسِ ؛ وَالْقَسُورَةُ : الْأَسَدُ .

(٤) الْخَنْسُ فِي الْأَنْفِ : تَأَخَّرُهُ فِي الرَّأْسِ وَارْتِفَاعُهُ عَنِ الشَّفَةِ أَوْ قِصَرُ الْأَنْفِ وَلُزُوقُهُ بِالْوَجْهِ ، وَأَصْلُهُ فِي الطَّبَاءِ وَالْبَقَرِ ، وَهُوَ مِنَ الْعُيُوبِ ؛ تَصِفُهَا بِأَنَّ أَنْفَهَا لَا هُوَ بِالْقَصِيرِ وَلَا بِالطَّوِيلِ .

(٥) الْأَرْجُوانُ : شَجَرٌ لَهُ نَوْرٌ أَحْمَرٌ ، وَكُلُّ لَوْنٍ يَشْبَهُهُ فَهُوَ أَرْجُوانٌ ؛ تَصِفُ وَجَنْتَيْهَا بِالْحُمْرَةِ ، وَذَلِكَ دَلِيلُ الشَّبَابِ وَالْعَافِيَةِ وَنَقَاءِ الدَّمِ .

(٦) الْجَمَانُ : اللَّوْلُؤُ .

(٧) أُشْرُ الْأَسْنَانِ وَأَشْرُهَا : التَّخْزِيرُ الَّذِي يَكُونُ فِيهَا خِلْقَةٌ وَمُسْتَعْمَلًا .

(٨) النَّشْرُ : الرَّائِحَةُ .

(٩) [ وَفِي رِوَايَةٍ : تَحْلِيَانِ ] .

(١٠) [ فِي رِوَايَةٍ : لَيْسَ فِيهَا عَظْمٌ يُجَسُّ ، وَلَا عِرْقٌ يُحَسُّ ] .

(١١) الْقَصَبُ : عِظَامُ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ ؛ وَالْعَصَبُ : أَطْنَابُ مُنْتَشِرَةٍ فِي الْجَنْسِ كُلِّهِ ، وَبِهَا تَكُونُ الْحَرَكَةُ وَالْجِسْمُ .

يَخْرُقَانِ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا ، مِنْ تَحْتِ ذَلِكَ بَطْنٌ طَوِيٌّ كَطَيِّ الْقَبَاطِيِّ<sup>(١)</sup> أَلْمُدْمَجَةِ ، كُسِي عَكْنًا<sup>(٢)</sup> كَالْقَرَاطِيسِ أَلْمُدْمَجَةِ<sup>(٣)</sup> ، تُحِيطُ تِلْكَ الْعُكْنُ سُرَّةً كَمُدْهِنِ الْعَاجِ أَلْمَجْلُوِّ ، خَلْفَ ذَلِكَ ظَهْرٌ كَالْجَدُولِ ، يَنْتَهِي إِلَى خَصْرِ لَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ لَا نَخْرُلُ<sup>(٤)</sup> ، تَحْتَهُ كَفْلٌ يَقْعِدُهَا إِذَا نَهَضَتْ وَيُنْهَضُهَا إِذَا قَعَدَتْ ، كَأَنَّهُ دِعْصُ رَمْلِ لَبْدَةٍ سَقُوطُ أَلطَّلِ<sup>(٥)</sup> ، تَحْمِلُهُ فِخْذَانِ لَقَاوَانِ كَأَنَّهُمَا نَضِيدُ أَلْجُمَانِ<sup>(٦)</sup> ، تَحْمِلُهُمَا سَاقَانِ خَدَلَجَتَانِ كَالْبَزْدِيِّ<sup>(٧)</sup> ، يَحْمِلُ ذَلِكَ قَدَمَانِ كَحَذْوِ أَللسَّانِ<sup>(٨)</sup> ، تَبَارَكَ اللَّهُ مَعَ صِغَرِهِمَا كَيْفَ تُطِيقَانِ حَمْلَ مَا فَوْقَهُمَا ، فَأَمَّا مَا سِوَى ذَلِكَ فَقَدْ تَرَكْتُ أَنْ أَصِفَهُ غَيْرَ أَنَّهُ أَحْسَنُ مَا وَصَفَهُ وَاصِفٌ يَنْظُمُ أَوْ نَثِرُ . . . فَأَرْسَلُ إِلَى أَبِيهَا يَخْطُبُهَا ، فَلَمَّا كَانَ بِنَاوَهَا - زِفَافَهَا - خَلَّتْ بِهَا أُمُّهَا ، فَقَالَتْ<sup>(٩)</sup> : أَيُّ بُنَيَّةٍ ! إِنَّ الْوَصِيَّةَ لَوْ تَرَكْتُ لِفَضْلِ أَدَبٍ ، تَرَكْتُ لِدَلِكِ مِنْكَ ، وَلَكِنَّهَا تَذَكُّرَةٌ لِلْعَاقِلِ ، وَمَعُونَةٌ لِلْعَاقِلِ ، وَلَوْ أَنَّ أَمْرَاءَ اسْتَعْنَتْ عَنِ الزَّوْجِ بِغَنَى أَبَوَيْهَا ، وَشِدَّةِ حَاجَتِهِمَا إِلَيْهَا كُنْتُ أَغْنَى النَّاسِ عَنْهُ ، وَلَكِنَّ النَّسَاءَ لِلرِّجَالِ خُلُقْنَ وَلَهُنَّ خُلُقَ الرِّجَالِ .

(١) الْقَبَاطِيُّ : ثِيَابٌ مِنْ كَتَّانٍ تُعْمَلُ بِمِصْرَ ، نِسْبَةً إِلَى الْقِبْطِ .

(٢) الْعُكْنُ ، جَمْعُ عَكْنَةٍ : مَا أَنْطَوِيَ وَتَشَتَّى مِنْ لَحْمِ الْبَطْنِ مِنَ السَّمَنِ .

(٣) الْقَرَاطِيسُ ، جَمْعُ قَرَطَاسٍ : الصَّحَائِفُ ، وَلَكِنَّهَا تُرِيدُ بِذَلِكَ الْوَرَقَ الْمَأْخُودَ مِنَ الْبَزْدِيِّ الْمِصْرِيِّ .

(٤) أَلْجَدُولُ : النَّهْرُ الصَّغِيرُ ؛ تَصِفُ خَصْرَهَا بِالنَّحَافَةِ ، وَهُوَ مَعْنَى مَخْمُودٌ ؛ وَأَنْخَرُلُ : انْقَطَعَ .

(٥) تَصِفُ عَجِيزَتَهَا بِالنَّحَافَةِ .

(٦) نَضِيدٌ : مُنْضَدٌ ؛ وَأَلْجُمَانُ : أَللُّوْلُو .

(٧) خَدَلَجَتَانِ : مُمْتَلِئَتَانِ سَمِيتَانِ ؛ وَالبَزْدِيُّ : نَبَاتٌ كَالْقَصَبِ ، كَانَ قَدَمَاءُ الْمِصْرِيِّينَ يَتَّخِذُونَهُ لِلْكِتَابَةِ .

(٨) تُرِيدُ تَشْبِيهَ الْقَدَمِ بِأَللسَّانِ فِي الصَّغَرِ .

(٩) كَانَ مِنْ حَقِّ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ أَنْ تَوْضَعَ فِي بَابِ حُقُوقِ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ ، وَلَكِنَّا أَثَرْنَا وَضَعَهَا هُنَا لِاتِّصَالِ هَذِهِ الْقِصَّةِ أَلْجَمِيلَةِ بِغَضِهَا بِبَعْضٍ .

أَيُّ بُنَيَّةُ ! إِنَّكَ فَارَقْتَ بَيْتَكَ الَّذِي مِنْهُ خَرَجْتَ ، وَعُشَّكَ الَّذِي فِيهِ دَرَجْتَ ،  
إِلَى رَجُلٍ لَمْ تَعْرِفِيهِ ، وَقَرِينَ لَمْ تَأْلَفِيهِ ، فَكُونِي لَهُ أَمَةً يَكُنْ لَكَ عَبْدًا ، وَاحْفَظِي  
لَهُ خِصَالًا عَشْرًا تَكُنْ لَكَ ذُخْرًا : أَمَّا الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ فَالْحُشُوعُ لَهُ بِالْفَنَاعَةِ ،  
وَحُسْنِ الطَّاعَةِ ؛ وَأَمَّا الثَّالِثَةُ وَالرَّابِعَةُ فَالتَّقَدُّ لِمَوْضِعِ عَيْنِهِ وَأَنْفِهِ ، فَلَا تَقَعْ عَيْنُهُ  
مِنْكَ عَلَى قَبِيحٍ ، وَلَا يَشْمُ مِنْكَ إِلَّا أَطْيَبَ الرِّيحِ ؛ وَأَمَّا الْخَامِسَةُ وَالسَّادِسَةُ  
فَالْتَقَدُّ لَوَقْتِ مَنَامِهِ وَطَعَامِهِ ، فَإِنْ تَوَاتَرَ الْجُوعُ مَلْهَبَةٌ ، وَتَنَغِيصُ النَّوْمِ مَغْضَبَةٌ ؛  
وَأَمَّا السَّابِعَةُ وَالثَّامِنَةُ فَالاحتفاظ بِمَالِهِ ، وَالْإِزْعَاءُ عَلَى حَشَمِهِ وَعِيَالِهِ ، وَمِلَاكُ  
الْأَمْرِ فِي الْمَالِ حُسْنُ التَّقْدِيرِ ، وَفِي الْعِيَالِ حُسْنُ التَّدْبِيرِ ؛ وَأَمَّا التَّاسِعَةُ وَالْعَاشِرَةُ  
فَلَا تَعْصِينَ لَهُ أَمْرًا ، وَلَا تُفْسِنَ لَهُ سِرًّا ، فَإِنَّكَ إِنْ خَالَفتِ أَمْرَهُ ، أَوْ غَرَّتِ صَدْرَهُ ،  
وَإِنْ أَفْشَيْتِ سِرَّهُ لَمْ تَأْمَنِي غَدْرَهُ ؛ ثُمَّ إِيَّاكَ وَالْفَرَحَ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذَا كَانَ تَرَحًّا ،  
وَالْتَرَحَ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذَا كَانَ فَرَحًا ، فَإِنَّ الْخَصْلَةَ الْأُولَى مِنَ التَّقْصِيرِ وَالثَّانِيَةَ مِنَ  
التَّكْدِيرِ ، وَكُونِي أَشَدَّ مَا تَكُونِينَ لَهُ إِعْظَامًا ، يَكُنْ أَشَدَّ مَا يَكُونُ لَكَ إِكْرَامًا ،  
وَأَشَدَّ مَا تَكُونِينَ لَهُ مُوَافَقَةً ، يَكُنْ أَطْوَلَ مَا يَكُونُ لَكَ مُرَافَقَةً .

وَأَعْلَمِي أَنَّكَ لَا تَصِلِينَ إِلَيَّ مَا تُحِبِّينَ حَتَّى تُؤْثِرِي رِضَاهُ عَلَى رِضَاكَ ،  
وَهَوَاهُ عَلَى هَوَاكَ ، فِيمَا أَحْبَبْتَ أَوْ كَرِهْتَ وَاللَّهُ يَخِيرُ<sup>(١)</sup> لَكَ .

\* \* \*

أَوْصَافُ شَتَّى لِلْجَمِيلَاتِ :

١٠٣ - كَانَ فِي الْمَدِينَةِ زَمَنَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ وَبَعْدَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُحَنِّثِينَ  
يَدْخُلُونَ عَلَى النِّسَاءِ فَلَا يُحْجَبُونَ ، وَكَانَ مِنْهُمْ زَمَنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ يُسَمَّى

(١) يُقَالُ : خَارَ اللَّهُ لَكَ فِي الْأَمْرِ : جَعَلَ لَكَ فِيهِ خَيْرًا .



« هَيْتَ » أَوْ « هِنَبَ » ، فَدَخَلَ يَوْمًا دَارَ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ الرَّسُولِ وَرَسُولُ اللَّهِ عِنْدَهَا ، فَأَقْبَلَ عَلَى أَخِي أُمِّ سَلَمَةَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ <sup>(١)</sup> ، فَقَالَ : إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الطَّائِفَ غَدًا فَعَلَيْكَ بِبَادِيَةِ بِنْتِ غِيلَانَ ابْنِ سَلَمَةَ بْنِ مُعْتَبٍ ، فَإِنَّهَا مُبْتَلَةٌ هَيْفَاءُ <sup>(٢)</sup> ، شَمُوعٌ نَجْلَاءُ <sup>(٣)</sup> ، إِنْ قَامَتْ تَبَثَّتْ ، وَإِنْ قَعَدَتْ تَبَثَّتْ <sup>(٤)</sup> ، وَإِنْ تَكَلَّمْتَ تَغَثَّتْ ، تُقْبَلُ بِأَرْبَعٍ ، وَتُدْبِرُ بِثَمَانٍ <sup>(٥)</sup> ، مَعَ نَعْرِ كَالْأَفْحَوَانِ ، وَتُذِي كَالرُّمَانِ ، أَعْلَاهَا قَضِيبٌ ، وَأَسْفَلُهَا كَثِيبٌ ، وَبَيْنَ رِجْلَيْهَا كَالْقَعْبِ الْمَكْفُوءِ <sup>(٦)</sup> ، فَهِيَ كَمَا قَالَ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ [مَنِ الْمَسْرُوحِ] :

تَغْتَرِقُ الطَّرْفَ وَهِيَ لَاهِيَةٌ      كَأَنَّمَا شَفَّ وَجْهَهَا نُزْفُ <sup>(٧)</sup>  
بَيْنَ سُكُولِ النِّسَاءِ خِلَقْتُهَا      قَصْدٌ فَلَا جَبَلَةٌ وَلَا قَصْفُ <sup>(٨)</sup>

- (١) كَانَ هَيْتَ هَذَا مَوْلَى لِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي أُمَيَّةَ ، فَلِذَلِكَ حَضَّهُ عَلَى تَزْوِجِ بَادِيَةِ هَذِهِ .  
(٢) الْمُبْتَلَةُ مِنَ النِّسَاءِ : الْحَسَنَةُ الْخُلُقِ ، لَا يَقْضُرُ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ ، لَا تَكُونُ حَسَنَةَ الْعَيْنِ سَمِجَةً الْأَنْفِ ، وَلَا حَسَنَةَ الْأَنْفِ سَمِجَةً الْعَيْنِ ، وَلَكِنْ تَكُونُ تَامَةً ؛ وَالْهَيْفَاءُ : الضَّامِرَةُ الْبَطْنِ ، الرَّيْقَةُ الْخَضِرُ .  
(٣) الشَّمُوعُ : اللَّعُوبُ الضُّحُوكُ ؛ وَالنَّجْلَاءُ : الْمُتَسِّعَةُ الْعَيْنِ ؛ وَإِنْ قَعَدَتْ تَبَثَّتْ ، قِيلَ : مَعْنَى تَبَثَّتْ : صَارَتْ كَالْبُتِّيَانِ ، وَقِيلَ : الْبُتِّي : تَبَاعَدُ مَا بَيْنَ الْفَخَذَيْنِ .  
(٤) الشَّمُوعُ : اللَّعُوبُ الضُّحُوكُ ؛ وَالنَّجْلَاءُ : الْمُتَسِّعَةُ الْعَيْنِ ؛ وَإِنْ قَعَدَتْ تَبَثَّتْ ، قِيلَ : مَعْنَى تَبَثَّتْ : صَارَتْ كَالْبُتِّيَانِ ، وَقِيلَ : الْبُتِّي : تَبَاعَدُ مَا بَيْنَ الْفَخَذَيْنِ .  
(٥) قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : أَيُّ تُقْبَلُ بِأَرْبَعٍ عَكْنٍ - طَيَّاتِ الْبَطْنِ - وَلِكُلِّ عَكْنَةٍ طَرْفَانِ ، فَتَصِيرُ ثَمَانِيَةَ تُدْبِرُ بِهِنَّ ، قَالَ بَعْضُهُمْ : وَهَذَا مَعْنَى غَيْرِ مَفْهُومٍ ، وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا آخَرَ .  
(٦) الْقَعْبُ : الْقَدَحُ الْكَبِيرُ ؛ وَالْمَكْفُوءُ : الْمَقْلُوبُ ؛ يَصِفُ قَرْجَهَا بِالضَّخَامَةِ .  
(٧) تَغْتَرِقُ الْعَيْنُ : تَسْتَعْرِقُ عُيُونَ النَّاسِ إِذَا نَظَرَتْ إِلَى مَحَاسِنِهَا ، وَهِيَ لَاهِيَةٌ ، أَيُّ : غَافِلَةٌ لِبَسْتٍ مُحْتَفَلَةٍ بِذَلِكَ ؛ وَشَفَّ وَجْهَهَا : أَرْقَهُ ؛ وَنَزْفُ ، بِضَمِّ الرَّايِ إِنْبَاعًا لِلتُّونِ لِلْوَزْنِ ، وَالْأَصْلُ سُكُونُهَا ، وَهُوَ الْأَسْمُ مِنْ نَزَفَةِ الدَّمِّ : إِذَا خَرَجَ مِنْهُ دَمٌ كَثِيرٌ حَتَّى يَضْعُفَ ، يُرِيدُ أَنَّهَا رَيْقَةُ الْمَحَاسِنِ كَأَنَّ دَمَهَا مَنْرُوفٌ .  
(٨) بَيْنَ سُكُولِ النِّسَاءِ ، أَيُّ : بَيْنَ أُمَّثَالِهَا مِنَ النِّسَاءِ ؛ وَخِلَقْتُهَا قَصْدٌ : مُعْتَدِلَةٌ ؛ فَلَا جَبَلَةٌ ، =

[تَنَامُ عَنْ كِبَرِ شَأْنِهَا فَإِذَا قَامَتْ رُوَيْدًا تَكَادُ تَنْقَصِفُ] <sup>(١)</sup>  
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - حِينَ سَمِعَ كَلَامَهُ - : « لَقَدْ غَلَّغْتَ اللَّظَرَ يَا عَدُوَّ  
 اللَّهِ ! مَا كُنْتُ أَحْسِبُكَ إِلَّا مِنْ غَيْرِ أُولِي الْإِزْبَةِ <sup>(٢)</sup> » ... وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ  
 يَضْحَكُ مِنْ كَلَامِهِ ظَنًّا مِنْهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنْ يَعْقِلَهُ نَقْصًا ، فَلَمَّا سَمِعَ مِنْهُ  
 مَا سَمِعَ قَالَ لِنِسَائِهِ : « لَا يَدْخُلُ هَيْتُ عَلَيْكُمْ » [راجع البخاري ، رقم : ٤٣٢٤ ؛  
 مسلم ، رقم : ٢١٨٠] ، وَأَمَرَ أَنْ يُجْلَى عَنِ الْمَدِينَةِ إِلَى الْحِمَى - جَبَلٌ بِالْمَدِينَةِ عَلَى  
 ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْعَقِيقِ - فَبَقِيَ مَنْفِيًّا حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَلَمَّا وُلِّيَ أَبُو بَكْرٍ كُلَّمَا  
 فِيهِ ، فَأَبَى أَنْ يَرُدَّهُ ، فَلَمَّا وُلِّيَ عُمَرُ كُلَّمَا فِيهِ ، فَأَبَى أَنْ يَرُدَّهُ ، وَقَالَ : إِنْ رَأَيْتُهُ  
 بِالْمَدِينَةِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ ؛ فَلَمَّا وُلِّيَ عُثْمَانُ كُلَّمَا فِيهِ ، فَأَبَى أَنْ يَرُدَّهُ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ  
 قَدْ كَبِرَ وَضَعُفَ وَاجْتَنَحَ ؛ فَادْنُ لَهُ أَنْ يَدْخُلَ كُلَّ جُمُعَةٍ ، فَيَسْأَلُ وَيَرْجِعَ إِلَى  
 مَكَانِهِ ... وَلَمَّا فُتِحَتِ الطَّائِفُ تَزَوَّجَ بَادِيَةَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، فَوَلَدَتْ لَهُ  
 بُرَيْهَةَ .

\* \* \*

١٠٤ - وَحَكَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ : أَنَّ مُضْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ لَمَّا عَزَمَ عَلَى  
 زَوَاجِ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ ، جَاءَهُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ  
 الصَّدِّيقِ وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ إِلَى عَزَّةِ الْمِيلَاءِ ، وَكَانَتْ عَزَّةُ هَذِهِ يَأْلَفُهَا الْأَشْرَافُ  
 وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمُرُوءَاتِ ، وَكَانَتْ مِنْ أَطْرَفِ النَّاسِ وَأَعْلَمِهِمْ بِأُمُورِ النِّسَاءِ ،

= أَي : هِيَ غَيْرُ غَلِيظَةٍ ؛ وَلَا قَاضٍ ، أَي : غَيْرُ نَحِيفَةٍ .

(١) [في رواية : تَكَادُ تَنْغَرِفُ ؛ وَكِلَاهُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ] .

(٢) هُوَ الْمَعْتَوَةُ ؛ وَالْإِزْبَةُ : الْدَّهَاءُ وَالْبَصَرُ بِالْأُمُورِ ، وَهُوَ مِنَ الْعَقْلِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ غَيْرِ أُولِي

الْإِزْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ﴾ [٢٤ سورة النور / الآية : ٣١] .

فَقَالُوا لَهَا : إِنَّا خَطَبْنَا فَأَنْظُرِي لَنَا ؛ فَقَالَتْ لِمُضْعَبَ : يَا ابْنَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، وَمَنْ خَطَبْتَ ؟ قَالَ : عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ ؛ قَالَتْ : فَأَنْتَ يَا ابْنَ أَبِي أُحِيحَةَ ؟ قَالَ : عَائِشَةُ بِنْتُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ؛ قَالَتْ : فَأَنْتَ يَا ابْنَ الصَّدِّيقِ ؟ قَالَ : أُمُّ الْهَيْثَمِ بِنْتُ زَكَرِيَّا بْنِ طَلْحَةَ ؛ فَقَالَتْ : يَا جَارِيَةُ ! هَاتِي مِنْقَلِي ؛ تَعْنِي خُفَّيْهَا ، فَلَبِسْتَهُمَا ، وَخَرَجَتْ وَمَعَهَا خَادِمٌ لَهَا ، فَبَدَأَتْ بِعَائِشَةَ بِنْتُ طَلْحَةَ ، فَقَالَتْ : فَدَيْتُكِ ! كُنَّا فِي مَادُبَةٍ ، أَوْ مَاتَمَ ، لِقُرَيْشٍ ، فَتَذَكَّرُوا جَمَالَ النِّسَاءِ وَخَلَقَهُنَّ ، فَذَكَرُواكِ ، فَلَمْ أَدْرِ كَيْفَ أَصِفُكِ فَدَيْتُكِ ، فَأَلْقَى ثِيَابَكَ ؛ فَفَعَلْتُ ، فَأَقْبَلْتُ وَأَذْبَرْتُ ، فَأَرْتَجَّ كُلُّ شَيْءٍ مِنْهَا ، فَقَالَتْ لَهَا عَزَّةُ : خُذِي ثَوْبَكَ ؛ فَقَالَتْ عَائِشَةُ : قَدْ قَضَيْتِ حَاجَتَكَ وَبَقِيَتْ حَاجَتِي ؛ فَقَالَتْ عَزَّةُ : وَمَا هِيَ فَدَيْتُكِ ؟ قَالَتْ : تُغْنِي صَوْتًا ؛ فَأَنْدَفَعْتُ تُغْنِي لَحْنَهَا فِي شِعْرِ لَجَمِيلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ الْعُذْرِيِّ [من الطويل] :

خَلِيلِي عَوْجًا بِالمَحَلَّةِ مِنْ جُمْلٍ      وَأَتْرَابَهَا بَيْنَ الْأَصْفِيرِ فَالْحَبْلِ  
نَقَفَ بِمَغَانٍ قَدْ عَفَا رَسْمَهَا أَلْبَلَى      تَعَاقَبَهَا الْأَيَّامُ بِالرَّيْحِ وَالْوَبْلِ  
فَلَوْ دَرَجَ النَّمْلُ الصِّغَارُ بِجِلْدِهَا      لَا نَدَبَ أَعْلَى جِلْدِهَا مَدْرَجُ النَّمْلِ<sup>(١)</sup>  
وَأَحْسَنُ خَلْقِ اللَّهِ جِيدًا وَمُقْلَةً      تُشَبِّهُ فِي السُّنُونِ بِالشَّادِنِ الطِّفْلِ

فَقَبَلَتْ عَائِشَةُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا ، وَدَعَتْ لَهَا بِعَشْرَةِ أَثْوَابٍ وَطَرَائِفَ مِنْ أَنْوَاعِ الْفُضَّةِ ، فَدَفَعَتْهُ إِلَى مَوْلَاتِهَا ؛ وَأَتَتْ السُّوَّةَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ تَقُولُ ذَلِكَ لَهُنَّ ، ثُمَّ أَتَتْ الْقَوْمَ فِي السَّقِيفَةِ ، فَقَالُوا : مَا صَنَعْتَ ؟ فَقَالَتْ : يَا ابْنَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ! أَمَّا عَائِشَةُ فَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَهَا مُقْبِلَةً وَلَا مُدْبِرَةً ! مَخْطُوطَةُ الِئْتِنِينَ ، عَظِيمَةُ الْعَجِيزَةِ ، مُمْتَلِئَةُ التَّرَائِبِ ، نَفِيَّةُ الثَّغْرِ وَصَفْحَةُ الْوَجْهِ ، فَرْعَاءُ الشَّعْرِ ، مُمْتَلِئَةُ

الْصَّدْرِ ، خَمِيصَةَ الْبُطْنِ ، ذَاتَ عُكْنٍ ، ضَخْمَةَ السَّرَّةِ ، مُسْرَوَلَةَ السَّاقِ ، يَرْتَجُّ مَا بَيْنَ أَعْلَاهَا إِلَى قَدَمَيْهَا ، وَفِيهَا عَيَانٍ : أَمَّا أَحَدُهُمَا فَيُؤَارِيهِ الْخِمَارُ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُؤَارِيهِ الْخُفُّ ! عِظَمُ الْأُذُنِ وَالْقَدَمِ ؛ وَكَانَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ كَذَلِكَ . ثُمَّ قَالَتْ عَزَّةُ : وَأَمَّا أَنْتَ يَا ابْنُ أُحْيَحَةَ ! فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ خَلْقِ عَائِشَةَ بِنْتُ عُثْمَانَ لِمَرْأَةٍ قَطُّ ! لَيْسَ فِيهَا عَيْبٌ ، وَاللَّهِ لَكَأَنَّمَا أُفْرِغْتَ إِفْرَاغًا ، وَلَكِنْ فِي وَجْهِهَا رَدَّةٌ<sup>(١)</sup> وَإِنْ اسْتَشَرْتَنِي أَشَرْتُ عَلَيْكَ ؛ قَالَ : هَاتِ ! قَالَتْ : عَلَيْكَ بِوَجْهِ تَسْتَأْنِسُ بِهِ ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا ابْنَ الصَّدِّيقِ ! فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ أُمَّ الْهَيْثَمِ ، كَأَنَّهَا حُوطٌ بَانَةٌ تَنْتَنِي ، أَوْ كَأَنَّهَا خَشْفٌ<sup>(٢)</sup> يَشْكِي عَلَى رَمْلٍ ، لَوْ شِئْتَ أَنْ تَعْقِدَ أَطْرَافَهَا لَفَعَلْتَ ، وَلَكِنَّهَا شَخْتَةٌ<sup>(٣)</sup> الصَّدْرِ ، وَأَنْتَ عَرِيضُ الصَّدْرِ ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ قَبِيحًا ، لَا وَاللَّهِ حَتَّى يَمْلَأَ كُلُّ شَيْءٍ مِثْلَهُ ؛ قَالَ : فَوَصَلَهَا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ وَتَزَوَّجُوهُنَّ .



١٠٥ - وَجَاءَ فِي أَمَالِي الْقَالِي [ ١٥٢ / ١ ] عَنْ أَبِي عَمْرٍو ابْنِ الْعَلَاءِ : كَانَ لِرَجُلٍ مِنْ مَقَاوِلِ حَمِيرِ ابْنَانِ<sup>(٤)</sup> ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا عَمْرُو وَلِلْآخَرِ رَبِيعَةُ ، وَكَانَا قَدْ بَرَعَا فِي الْأَدَبِ وَالْعِلْمِ ، فَلَمَّا بَلَغَ الشَّيْخُ أَقْصَى عُمُرِهِ وَأَشْفَى عَلَى الْفَنَاءِ ، دَعَاهُمَا لِيَتَلُوْا عُقُولَهُمَا ، وَيَعْرِفَ مَبْلَغَ عِلْمِهِمَا ، فَلَمَّا حَضَرَا قَالَ لِعَمْرُو وَكَانَ

(١) تُرِيدُ أَنْ وَجْهَهَا يَنْقُصُ فِي الْحُسْنِ عَنْ بَدَنِهَا ، وَقِيلَ : الرَّدَّةُ : تَقَاعُسٌ فِي الدَّفَنِ .

(٢) الْخَشْفُ : وَلَدُ الطَّيْبَةِ .

(٣) شَخْتَةُ الصَّدْرِ : دَقِيقَتُهُ .

(٤) الْمَقَاوِلُ ، جَمْعُ مَقُولٍ ، وَالْمَقُولُ وَالْقَيْلُ : الْمَلِكُ مِنْ مُلُوكِ حَمِيرٍ ، يَقُولُ مَا يَشَاءُ ؛ وَقِيلَ : الْمَقَاوِلُ هُمُ الَّذِينَ دُونَ الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ [ ، فَهُوَ فِي حَمِيرٍ كَالْوَزِيرِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَمِثْلُهُ بَهْمَنُ عِنْدَ الْفُرْسِ ] .

الأكْبَرُ : أَخْبِرْنِي يَا عَمْرُو ! أَيُّ النِّسَاءِ أَحَبُّ إِلَيْكَ <sup>(١)</sup> ؟

قَالَ : الْهَزْكُولَةُ اللَّفَاءُ <sup>(٢)</sup> ، الْمَمْكُورَةُ الْجِنْدَاءُ <sup>(٣)</sup> ، الَّتِي يَشْفِي السَّقِيمَ  
كَلَامُهَا ، وَيُبْرِئُ الْوَصْبَ إِمَامُهَا <sup>(٤)</sup> ، الَّتِي إِنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهَا شَكَرَتْ ، وَإِنْ  
أَسَأْتَ إِلَيْهَا صَبَرَتْ ، وَإِنْ أَسْتَعْتَبْتَهَا أَعْتَبَتْ <sup>(٥)</sup> ، الْفَاتِرَةُ الطَّرْفِ ، الطُّفْلَةُ <sup>(٦)</sup>  
الْكَفُّ ، الْعَمِيمَةُ الرَّدْفِ .

قَالَ : مَا تَقُولُ يَا رَبِيعَةُ ؟

قَالَ : نَعْتَ فَأَحْسَنَ ، وَغَيْرُهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهَا .

قَالَ : وَمَنْ هِيَ ؟

قَالَ : الْفَتَانَةُ الْبَعِيثَيْنِ ، الْأَسِيلَةُ الْخَذَيْنِ ، الْكَاعِبُ الثَّدْيَيْنِ ، الرَّدَاخُ <sup>(٧)</sup>  
الْوَرْكَيْنِ ، الشَّاكِرَةُ لِلْقَلِيلِ ، الْمُسَاعِدَةُ لِلْحَلِيلِ <sup>(٨)</sup> ، الرَّخِيمَةُ <sup>(٩)</sup> الْكَلَامِ ،  
الْجَمَاءُ الْعِظَامِ <sup>(١٠)</sup> ، الْكَرِيمَةُ الْأَخْوَالِ وَالْأَعْمَامِ ، الْعَذْبَةُ اللَّثَامِ <sup>(١١)</sup> .

(١) لَقَدْ أَجْتَزَأْنَا مِنْ أَسْئَلَةِ هَذَا الْمَقُولِ لِأُبْنَائِهِ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِالنِّسَاءِ ، وَإِلَّا فَلَهُ أَسْئَلَةٌ أُخْرَى لَا دَاعِيَ  
لِإِبْرَادِهَا هُنَا .

(٢) الْهَزْكُولَةُ : الْحَسَنَةُ الْجِسْمِ وَالْخَلْقِ وَالْمَشْيَةِ ؛ وَاللَّفَاءُ : الْمُلْتَمَةُ اللَّحْمِ .

(٣) الْمَمْكُورَةُ : الْمَطْوِيَّةُ الْخَلْقِ ؛ وَالْجِنْدَاءُ : ذَاتُ الْجِيدِ - الْعُنُقِ - الطَّوِيلِ الْحَسَنِ .

(٤) يُبْرِئُ : يُبْرِئُ ؛ وَالْوَصْبُ : الْمَرِيضُ ؛ وَإِمَامُهَا : قُرْبُهَا .

(٥) أَسْتَعْتَبْتُهَا : طَلَبْتُ مِنْهَا الْعُنْبَى ؛ فَأَعْتَبْتُ ، أَيُّ : أَرْضَيْتُكَ .

(٦) الطُّفْلَةُ الْكَفُّ ، أَيُّ : الرُّخَصَةُ النَّاعِمَةُ .

(٧) الرَّدَاخُ : الثَّقِيلَةُ الْعَجِيزَةُ الصَّخْمَةُ الْوَرْكَيْنِ .

(٨) الْحَلِيلُ : الزَّوْجُ .

(٩) الرَّخِيمَةُ : اللَّيِّنَةُ الْكَلَامِ النَّاعِمَةُ .

(١٠) الْجَمَاءُ الْعِظَامُ : الَّتِي لَا يُوجَدُ لِعِظَامِهَا حَجْمٌ ، بِمَثَرَةِ الْجَمَاءِ مِنَ الْبَقَرِ .

(١١) الْعَذْبَةُ اللَّثَامُ : فَإِنَّهُ أَرَادَ مَوْضِعَ اللَّثَامِ ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ .

قَالَ : فَأَيُّ النِّسَاءِ أَبْغَضُ يَا عَمْرُو ؟

قَالَ : الْفَتَاتُ<sup>(١)</sup> ، الْكَذُوبُ ، الظَّاهِرَةُ الْعَيُوبُ ، الطَّوَافَةُ الْهُبُوبُ<sup>(٢)</sup> ،  
الْعَابِسَةُ الْقُطُوبُ ، السَّبَابَةُ الْوُثُوبُ ؛ الَّتِي إِنْ أَتَمَمْتَهَا زَوْجُهَا خَانَتْهُ ، وَإِنْ لَانَ  
لَهَا أَهَانَتْهُ ، وَإِنْ أَرْضَاهَا أَغْضَبَتْهُ ، وَإِنْ أَطَاعَهَا عَصَتْهُ .

قَالَ : مَا تَقُولُ يَا رَبِيعَةُ ؟

قَالَ : بِنْسَ وَاللَّهِ الْمَرْأَةُ ذَكَرٌ ! وَغَيْرُهَا أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْهَا .

قَالَ : وَآيُهُنَّ الَّتِي هِيَ أَبْغَضُ إِلَيْكَ مِنْ هَذِهِ ؟

قَالَ : السَّلِيلَةُ اللَّسَانُ ، الْمُؤْذِيَةُ لِلْجِيرَانِ ، النَّاطِقَةُ بِالْبُهْتَانِ ؛ الَّتِي وَجْهُهَا  
عَاسِسٌ ، وَزَوْجُهَا مِنْ خَيْرِهَا آيسٌ ؛ الَّتِي إِنْ عَاتَبَهَا زَوْجُهَا وَتَرْتُهُ ، وَإِنْ نَاطَقَهَا  
أَنْتَهَرْتُهُ .

قَالَ رَبِيعَةُ : وَغَيْرُهَا أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْهَا .

قَالَ : وَمَنْ هِيَ ؟

قَالَ : الَّتِي شَقِيَّ صَاحِبُهَا ، وَخَزِيَّ خَاطِبُهَا ، وَافْتَضَحَ أَقَارِبُهَا .

قَالَ : وَمَنْ صَاحِبُهَا ؟

قَالَ : مِثْلُهَا فِي خِصَالِهَا كُلِّهَا ، لَا تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ وَلَا يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا .

قَالَ : فَصِفْهُ لِي .

قَالَ : الْكُفُورُ غَيْرُ الشُّكُورِ ، اللَّئِيمُ الْفُجُورُ ؛ الْعَبُوسُ الْكَالِحُ ، الْخَرُونُ

(١) الْفَتَاتَةُ : الْكَمَامَةُ .

(٢) الْهُبُوبُ : الْكَثِيرَةُ الْإِنْتِبَاهِ .

الْجَامِحُ ؛ الرَّاظِي بِالْهَوَانِ ، الْمُخْتَالُ الْمَنَانُ ؛ الضَّعِيفُ الْجَنَانُ ، الْجَعْدُ  
الْبَنَانُ ؛ الْقَوُولُ غَيْرُ الْعَقُولِ ، الْمَلُولُ غَيْرُ الْوُصُولِ ؛ الَّذِي لَا يَتَزَعُ<sup>(١)</sup> عَنِ  
الْمَحَارِمِ ، وَلَا يَتَزِدُّعُ عَنِ الْمَظَالِمِ .

\* \* \*

١٠٦ - وَوَصَفَ أَعْرَابِيٌّ أَمْرَأَةً ، فَقَالَ : كَادَ الْغَزَالُ يَكُونُهَا لَوْلَا مَا تَمَّ مِنْهَا  
وَنَقَصَ مِنْهُ .

\* \* \*

١٠٧ - وَقَالَ آخَرُ : خَلَوْتُ بِهَا وَالْقَمَرُ يُرِينِيهَا ، فَلَمَّا غَابَ أَرْتْنِيهِ<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

١٠٨ - وَقَالَ بَعْضُ الْأَكَاسِرَةِ : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي الْمَرَأَةِ أَرْبَعَةٌ سُودٌ ،  
وَأَرْبَعَةٌ بَيَاضٌ ، وَأَرْبَعَةٌ حُمْرٌ ، وَأَرْبَعَةٌ كِبَارٌ ، وَأَرْبَعَةٌ صِغَارٌ ، وَأَرْبَعَةٌ وَاسِعَةٌ ،  
وَأَرْبَعَةٌ ضَيِّقَةٌ ؛ فَأَمَّا الْأَرْبَعَةُ السُّودُ : فَشَعْرُ الرَّأْسِ وَالْحَاجِبَيْنِ وَأَشْفَارُ الْعَيْنَيْنِ ،  
وَالْحَدَقَتَانِ ؛ وَأَمَّا الْأَرْبَعَةُ الْبَيَاضُ : فَالْلُّونُ ، وَبَيَاضُ الْعَيْنَيْنِ ، وَالثَّغَرِ ،  
وَالظُّفْرِ إِلَّا أَنْ يُصْبَغَ ؛ وَأَمَّا الْأَرْبَعَةُ الْحُمْرُ : فَالْوَجَتَانِ ، وَالشَّفَتَانِ ،  
وَاللِّسَانُ ، وَاللِّثَّةُ ؛ وَأَمَّا الْأَرْبَعَةُ الْكِبَارُ : فَالْأُذُنَانِ ، وَالْفَرْجُ ، وَالْعَجِيزَةُ ،  
وَالرُّكْبَتَانِ ؛ وَأَمَّا الْأَرْبَعَةُ الصَّغَارُ : فَالْأُذُنَانِ ، وَالْفَمُ ، وَالْيَدَانِ ، وَالرَّجْلَانِ ؛  
وَأَمَّا الْأَرْبَعَةُ الْوَاسِعَةُ : فَالْحَجَبَيْنِ ، وَالْعَيْنَانِ ، وَأُصُولُ التَّدْيِينِ ، وَالسَّرَّةُ ؛ وَأَمَّا  
الْأَرْبَعَةُ الضَّيِّقَةُ : فَالْمُنْخَرَانِ ، وَالْأُذُنَانِ ، وَالْخَصْرُ ، وَالْفَرْجُ .

\* \* \*

(١) لَا يَتَزَعُ : لَا يَكْفُتُ ، يُقَالُ : وَزَعَهُ يَزَعُهُ فَاتَزَعَ .

(٢) فَلَمَّا غَابَ أَرْتْنِيهِ : يُرِيدُ أَنَّ الْقَمَرَ الْحَقِيقِيَّ لَمَّا غَابَ أَرْتْنِي مِنْهَا قَمَرًا .

### الْحُسْنُ فِي اللَّغَةِ :

١٠٩ - قَالَ الثَّعَالِبِيُّ فِي « فِقْهِ اللَّغَةِ » : إِذَا كَانَ بِالْمَرْأَةِ مِسْحَةٌ مِنْ جَمَالٍ فِيهَا وَضِيئَةٌ وَجَمِيلَةٌ ، فَإِذَا أَشْبَهَ بَعْضُهَا بَعْضًا فِي الْحُسْنِ فِيهَا حُسَانَةٌ ، فَإِذَا أَسْتَعْنَتْ بِجَمَالِهَا عَنِ الزَّيْنَةِ فِيهَا غَانِيَةٌ ، فَإِذَا كَانَتْ لَا تُبَالِي أَنْ لَا تَلْبَسَ ثَوْبًا حَسَنًا وَلَا تَتَقَلَّدَ قِلَادَةً فَاحِشَةً فِيهَا مِعْطَالٌ ، فَإِذَا كَانَ حُسْنُهَا ثَابِتًا كَأَنَّهُ قَدْ وَسِمَ فِيهَا وَسِيمَةٌ ، فَإِذَا قُسِمَ لَهَا حَظٌّ وَافِرٌ مِنَ الْحُسْنِ فِيهَا قَسِيمَةٌ ، فَإِذَا كَانَ الظَّرُّ إِلَيْهَا يَسُرُّ الرُّوعَ - الْقَلْبَ - فِيهَا رَائِعَةٌ ، فَإِذَا غَلَبَتْ النِّسَاءَ بِحُسْنِهَا فِيهَا بَاهِرَةٌ . . .  
وَقَالَ فِي فَضْلِ آخَرَ :

الصَّبَاحَةُ فِي الْوَجْهِ ، الْوَضَاءَةُ فِي الْبَشَرَةِ ، الْجَمَالُ فِي الْأَنْفِ ، الْحَلَاوَةُ فِي الْعَيْنَيْنِ ، الْمَلَاحَةُ فِي الْقَمْرِ ، الظَّرْفُ فِي اللِّسَانِ ، الرَّشَاقَةُ فِي الْقَدِّ ، اللَّبَاقَةُ فِي السَّمَائِلِ ، كَمَالُ الْحُسْنِ فِي الشَّعْرِ .



حَضَّهُمُ الْمَرْأَةُ عَلَى النِّظَافَةِ وَالتَّجَمُّلِ وَالزَّيْنَةِ وَعَبَقْرِيَّاتِهِمْ فِي وَصْفِ جَمَالِ الْمَرْأَةِ تَفْصِيلاً :

١١٠ - جُبِلَتِ الْمَرْأَةُ عَلَى حُبِّ التَّجَمُّلِ وَالْوُلُوعِ بِالزَّيْنَةِ وَالْإِعْرَامِ بِالْأَفْتِنَانِ فِي ذَلِكَ ، وَلَهَا الْغُذْرُ كُلُّهُ فِي هَذَا الْوُلُوعِ وَذَلِكَ الْإِعْرَامِ ! أَلَيْسَتْ الزَّيْنَةُ مِنْ تَمَامِ جَمَالِهَا ! أَوَلَيْسَ جَمَالُ الْمَرْأَةِ وَتَجَمُّلُهَا مَدْرَجَةٌ مِثْلُ الرَّجُلِ وَأَفْتِنَانِهِ بِهَا ! وَقَوَامُ الزَّيْنَةِ النَّظَافَةُ ، وَلِتَحْذَرِ الْمَرْأَةُ كُلَّ الْحَذَرِ أَنْ يَقَعَ بَصَرُ الرَّجُلِ مِنْهَا - أَعْنِي : زَوْجَهَا - عَلَى شَيْءٍ يَشْمِزُّ مِنْهُ وَيَنْفِرُ ، مِنْ وَسَخٍ أَوْ شَعَثٍ أَوْ رَائِحَةٍ مُسْتَكْرَهَةٍ ، أَوْ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ .



يَجِبُ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَتَجَمَّلَ لِبَعْلِهَا ، وَتَزِيدَ فِي تَحْسِينِ نَفْسِهَا ، مَا وَجَدَتْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا ، وَذَلِكَ بِتَنْظِيفِ الْبَدَنِ ، وَمَا يُحِيطُ بِالْبَدَنِ <sup>(١)</sup> ، أَمَّا الْبَدَنُ فَبِتَنْظِيفِ الْبَشَرَةِ بِالْمَاءِ بِإِدْمَانِ الْمَضْمَضَةِ ، وَالْأَسْتِشَاقِ ، وَالْأَسْتِثَارِ ، وَغَسْلِ الْيَدَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ وَغَسْلِ الرَّجْلَيْنِ ، وَمَسْحِ الرَّأْسِ ، أَيْ : الْعِنَايَةِ بِنَظَافَةِ الشَّعْرِ ، وَهَذَا مَا يُعْبَرُ عَنْهُ فِي الْإِسْلَامِ بِالْوُضُوءِ ، وَبِالْأَغْتِسَالِ ، وَهُوَ الَّذِي يُعْبَرُ عَنْهُ بِالْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ ، وَبِالْإِكْتَارِ مِنْ دُخُولِ الْحَمَامِ ، وَبِالْعِنَايَةِ بِالْأَسْنَانِ بِتَسْوِيكِهَا ، وَتَخْلِيلِهَا ، وَبِتَقْيَةِ الْعَيْنِ وَتَكْحِيلِهَا ، وَبِتَقْلِيمِ الْأَطْفَارِ وَتَسْوِيَتِهَا ، وَبِتَنْظِيفِ الْمَغَابِنِ <sup>(٢)</sup> وَإِزَالَةِ مَا بِهَا ، وَبِحَلْقِ الْعَانَةِ أَوْ أَنْتِيَارِهَا <sup>(٣)</sup> ، وَبِالْخِفَاضِ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ كُلِّ مَا تَعُوزُهُ النَّظَافَةُ مِنْ سَائِرِ أَعْضَاءِ الْبَدَنِ .

\* \* \*

السَّوَاكُ وَعَبَقَرِيَّاتُهُمْ فِيهِ وَفِي الثُّغُورِ وَالْأَفْوَاهِ :

١١١ - السَّوَاكُ - أَوْ الْمِسْوَاكُ - وَلَا سِيَّما سِوَاكُ الْأَرَاكِ <sup>(٤)</sup> ، كَانَ مَعْرُوفًا عِنْدَ الْعَرَبِ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ ؛ وَقَدْ وَرَدَ الْحَضُّ عَلَى اسْتِعْمَالِهِ فِي الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ ، وَاتَّفَقَ الْقَدَمَاءُ مِنَ الْأَطِبَّاءِ عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَنْفَعِ الْأَشْيَاءِ ، فَهُوَ يَجْلُو - يَصْقِلُ - الْأَسْنَانَ ، وَيُقَوِّيَهَا ، وَهُوَ يَشُدُّ الْعُمُورَ <sup>(٥)</sup> ، وَيَمْنَعُ الْحَفَرَ <sup>(٦)</sup> ،

(١) تَرَى عَقَرِيَّاتِهِمْ فِي الزَّيْنَةِ وَمَا يُحِيطُ بِالْبَدَنِ فِي آخِرِ هَذَا الْبَابِ [ الْأَرْقَامُ : ٥٥٦ - ٦٣٣ ] .

(٢) سَمِعْتُ عَلَيْكَ قَرِيبًا تَعْرِيفُ الْمَغَابِنِ [ رَقْم : ٤٦٤ ] .

(٣) أَنْتِيَارِهَا : إِزَالَتُهَا بِالثُّورَةِ كَمَا تَرَى فِي مَوْضِعِهَا مِنْ هَذَا الْبَابِ [ الْأَرْقَامُ : ٤٥٤ - ٤٦٩ ] .

(٤) الْأَرَاكُ : شَجَرٌ مَعْرُوفٌ يُسْتَاكُ بِفُرُوعِهِ وَغُرُوقِهِ ، وَتَرَى الْمَسَاوِيكَ تُبَاغُ فِي الْأَعْمِ الْأَغْلَبِ أَمَامَ الْمَسَاجِدِ وَالْأَضْرِحَةِ الْمَشْهُورَةِ ، مِثْلُ : ضَرِيحِ الْحُسَيْنِ وَالسَّيِّدَةِ زَيْنَبَ وَالسَّيِّدِ الْبَدَوِيِّ وَالْأَشُقُوقِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ .

(٥) الْعُمُورُ ، جَمْعُ عَمْرٍ ، وَهُوَ : اللَّحْمُ الْتَّازِلُ بَيْنَ الْأَسْنَانِ .

(٦) الْحَفَرُ : صُفْرَةٌ تَعْلُو الْأَسْنَانَ ، وَقَالَ أَحَدُ أئمَّةِ اللَّغَةِ : الْحَفَرُ : أَنْ يَخْفَرُ الْفَلَحُ - وَسَحَّ يَرْكَبُ =

وَيُطَيِّبُ النِّكْهَةَ - رَائِحَةُ الْفَمِ - وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « السَّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ » [النسائي ، رقم : ٥ ؛ « مسند أحمد » ، رقم : ٢٣٦٨٣ و ٢٣٨١١ ؛ الدارمي ، رقم : ٦٨٤ ؛ وكذلك ابن ماجه ، رقم : ٢٨٩ ؛ « مسند أحمد » ؛ رقم : ٢١٧٦ ] .

١١٢ - وَوَرَدَ أَيْضاً فِيهِ : « لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ » [البخاري ، رقم : ٨٨٧ ؛ مسلم ، رقم : ٢٥٢ ؛ الترمذي ، رقم : ٢٢ ؛ النسائي ، رقم : ٧ ؛ أبو داود ، رقم : ٤٦ ؛ ابن ماجه ، رقم : ٢٨٧ ] .

١١٣ - وَفِيهِ : « مَالِي أَرَاكُمْ تَدْخُلُونَ عَلَيَّ قُلْحاً ! اسْتَاكُوا » [« مسند أحمد » ، رقم : ١٨٣٨ ] .

١١٤ - وَفِيهِ : « أَوْصَانِي جِبْرِيلُ بِالسَّوَاكِ حَتَّى خَشِيتُ عَلَى عُمُورِي » .

الْعُمُورُ جَمْعُ عَمْرٍ ، وَهُوَ : لَحْمٌ مِنَ اللَّحْمِ نَازِلٌ بَيْنَ كُلِّ سِتْنَيْنِ .

١١٥ - وَكَانَ أَصْحَابُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ يَغْدُونَ وَيَرْوَحُونَ وَالسَّوَاكُ عَلَى أَذَانِهِمْ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ أَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا لِلسَّوَاكِ مِنْ نِسَائِهِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِنَّ ، وَيُسْتَحَبُّ السَّوَاكُ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ ، وَعِنْدَ كُلِّ وُضوءٍ ؛ وَعِنْدَ تَغْيِيرِ النِّكْهَةِ بِالنَّوْمِ أَوْ أَكْلِ مَا تُكْرَهُ رَائِحَتُهُ . وَيَقُومُ مَقَامَ السَّوَاكِ غَيْرُهُ مِنْ كُلِّ مَا يُنْظَفُ الْأَسْنَانُ وَيُطَيَّبُ النِّكْهَةُ .

١١٦ - وَقَدْ أَشَادَ الشُّعْرَاءُ بِالسَّوَاكِ وَتَشَبَّهُوا بِالثُّغُورِ وَالْأَفْوَاهِ الَّتِي تَسْتَاكُ ، فَمِنْ طَرِيفِ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ [من السريع] :

بِاللَّهِ إِنْ جُزْتَ بِوَادِي الْأَرَاكِ وَقَبَلْتَ أَغْصَانَهُ الْلُذْنَ فَاكُ  
فَأَبْعَثْ إِلَى الْمَمْلُوكِ مِنْ بَعْضِهَا فَإِنِّي وَاللَّهِ مَالِي سِوَاكِ

= الْأَسْنَانُ مِنْ طُولِ تَرْكِ السَّوَاكِ - أَصُولُ الْأَسْنَانِ بَيْنَ اللَّحْمِ وَأَصْلِ السِّنِّ مِنْ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ يُلْحَقُ عَلَى الْعَظْمِ حَتَّى يَنْقَشَرَ الْعَظْمُ إِنْ لَمْ يُدْرَكَ سَرِيعاً .

١١٧ - وَقَوْلُ الْآخِرِ [من الطويل] :

أَقُولُ لِمَسْوَكَ الْحَبِيبِ لَكَ الْهَنَاءُ      بَلِّثْمْ فَمَ مَا نَالَهُ ثَغْرُ عَاشِقٍ  
فَقَالَ وَفِي أَحْشَائِهِ حُرْقُ الْجَوَى      مَقَالَةً صَبَّ لِلذَّيَارِ مُفَارِقِ  
تَذَكَّرْتُ أَوْطَانِي فَقَلْبِي كَمَا تَرَى      أَعْلَلُهُ بَيْنَ الْعُذَيْبِ وَبَارِقِ<sup>(١)</sup>

١١٨ - وَأَهْدَى الشَّاعِرُ أَبُو الْفَتْحِ كُشَاجِمُ إِلَى بَعْضِ الْقِيَانِ مِسْوَكَاً ، وَكَتَبَ

إِلَيْهَا [من الرمل] :

قَدْ بَعَثْنَاهُ لِكَيْ تَجْلُو بِهِ      وَاضِحاً كَاللُّؤْلُؤِ الرُّطْبِ أَغْرُ<sup>(٢)</sup>  
طَابَ مِنْهُ الْعَرْفُ حَتَّى خِلْتُهُ      كَانَ مِنْ رَيْقِكَ يُسْقَى فِي السَّحَرِ  
وَأَمَّا وَاللَّهِ لَوْ يَعْلَمُ مَا      حَظُّهُ مِنْكَ لِأَنْتَى وَشَكَرِ  
لَيْتَنِي الْمُهْدَى فَيُزَوِّي عَطْشِي      بَرْدُ أَنْيَابِكَ فِي كُلِّ سَحَرِ<sup>(٣)</sup>

١١٩ - وَقَالَ آخَرُ [وَهُوَ دِيكَ الْجِنِّ] وَهُوَ طَرِيفٌ بَدِيعٌ [من الكامل] :

بِأَبِي فَمَ شَهِدَ الْمُحِبُّ لَهُ      قَبْلَ الْمَذَاقِ بِأَنَّهُ عَذْبُ  
كَشَهَادَةِ اللَّهِ خَالِصَةً      قَبْلَ الْعِيَانِ بِأَنَّهُ رَبُّ

١٢٠ - وَقَالَ آخَرُ [من الكامل] :

(١) الْعُذَيْبُ : مَاءٌ لَيْتَنِي تَمِيمُ قُرْبِ الْكُوفَةِ ؛ وَبَارِقُ : مِنْ دِيَارَاتِ الْعَرَبِ هُنَاكَ ، وَالْعُذَيْبُ أَيْضاً تَضْغِيرُ عَذْبٍ ، أَيْ : حُلْوٌ ؛ وَبَارِقُ مِنْ صِفَاتِ الثُّغُورِ ، يُقَالُ : فُلَانٌ بَرَّاقٌ الثَّنَائِيَا ، إِذَا أُرِيدَ وَصِفَ ثَنَائِيَاهُ بِالْحُسْنِ وَالصَّفَاءِ ، وَأَنَّهَا تَلْمَعُ إِذَا تَبَسَّمَ كَالْبَرْقِ ، وَهُمْ يَصِفُونَ رَيْقَ الْحَبِيبِ بِالْعُدْوِيَّةِ ، وَالْمَعْنَى وَاضِحٌ ، وَفِيهِ لَوْنٌ مِنَ التَّضْمِينِ ، وَأَصْلُهُ قَوْلُ الْمُتَنَبِّي [من الطويل] :

تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعُذَيْبِ وَبَارِقِ      مَجَرَّ عَوَالِينَا وَمَجَرَّي السَّوَابِقِ  
(٢) تَجْلُو : تَضَقَّلْ ؛ وَاضِحاً كَاللُّؤْلُؤِ الرُّطْبِ ، يُرِيدُ : ثَغْرَهَا ، وَاللُّؤْلُؤُ الرُّطْبُ كِنَايَةٌ عَمَّا فِيهِ مِنَ الرُّوْنَقِ وَالْبَهَاءِ ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالرُّطُوبَةِ الْمَعْنَى الَّذِي هُوَ نَقِيعُضُ الْيَبُوسَةِ .

(٣) يَتِمَّنِي لَوْ أَنَّهُ كَانَ الْمَسْوَكَ .

نَقَلَ الْأَرَاكَ بِأَنَّ رِيقَةَ ثَغْرِهِ مِنْ قَهْوَةٍ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْكَوْثَرِ  
قَدْ صَحَّ مَا نَقَلَ الْأَرَاكَ لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَ يَرْوِي عَنْ صِحَّاحِ الْجَوْهَرِيِّ  
١٢١ - وَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ [من الطويل] :

وَتَجَلَّوْا بِفَرْعٍ مِنْ أَرَاكِ كَأَنَّهُ مِنْ الْعَنْبَرِ الْهِنْدِيِّ وَالْمِسْكِ يُصْبَحُ<sup>(١)</sup>  
ذُرًّا أَفْحُوَانٍ وَاجَهَ اللَّيْلَ وَأَزْتَقَى إِلَيْهِ اللَّتْدَى مِنْ رَامَةِ الْمُتَرَوِّحِ<sup>(٢)</sup>  
هَجَانِ الثَّنَائِيَا مُغْرِبًا لَوْ تَبَسَّمَتْ لِأَخْرَسَ عَنْهُ كَادَ بِالْقَوْلِ يُفْصَحُ<sup>(٣)</sup>

١٢٢ - وَقَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ ، وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي الرِّيقِ [من البسيط] :

يَا أَطْيَبَ النَّاسِ رِيقًا غَيْرَ مُخْتَبِرٍ إِلَّا شَهَادَةَ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ  
قَدْ زُرْنَا زُورَةً فِي النَّوْمِ وَاحِدَةً نَثِي وَلَا تَجْعَلِيهَا بَيْضَةَ الدِّيكِ<sup>(٤)</sup>

- (١) تَجَلَّوْا : تَضَقَّلُوا ، مِنْ جَلَا السَّيْفَ وَالْمِزَاةَ جَلَاءً وَجَلَّوْا : صَقَلَهُ ؛ وَيُضَيِّحُ ، مِنْ صَبَحَهُ يَصْبَحُهُ فِيهِمَا : سَقَاءُ الصَّبُوحِ ، وَهُوَ مَا يُشْرَبُ بِالْغَدَاةِ ، ضِدُّ الْعَبُوقِ ؛ جَعَلَ رِيقَهَا الْمُشَبَّهَ بِالْعَنْبَرِ وَالْمِسْكِ صُبُوحًا لِفَرْعِ الْأَرَاكِ الَّتِي تَسْنَاكُ بِهِ .  
(٢) ذُرًّا ، بِالضَّمِّ ، جَمْعُ ذُرْوَةٍ ، وَهِيَ : أَعَالِي كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَأَفْحُوَانٌ ، بِضَمِّ الْهَمْزَةِ : نَبْتُ تُشْبَهُ بِهِ الْأَسْنَانُ فِي صِغَرِهَا وَحُسْنِ تَنْسِيقِهَا ، وَهُوَ الْمُسَمَّى « بِالْبَابُونِجِ » [ والكاميليا ] ؛ وَالْوَاوُ فِي « وَأَزْتَقَى » لِلْحَالِ ؛ وَرَامَةٌ : أَسْمُ مَوْضِعٍ فِي آخِرِ بِلَادِ بَنِي تَعِيمٍ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَصْرَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ مَرْحَلَةً ؛ وَالْمُتَرَوِّحُ : نَعْتُ لِلتَّدَى ، مِنْ تَرَوَّحَ الْقَوْمُ : سَارُوا وَقَتَ الزَّوْاحِ ؛ يَقُولُ : تَجَلَّوْا بِمَسَاوِيكِهَا أَسْنَانًا تُشْبَهُ أَعَالِي أَفْحُوَانٍ وَاجَهَ اللَّيْلَ وَقَدْ سَارَ إِلَيْهِ اللَّتْدَى مِنْ رَامَةِ وَقَتِ الْعُشِيِّ حَتَّى إِذَا مَا تَوَسَّطَهُ قَطَرٌ عَلَيْهِ ، يُرِيدُ بِذَلِكَ غَضَارَةَ أَسْنَانِهَا وَحُسْنَ نَضَارَتِهَا .  
(٣) هَجَانِ الثَّنَائِيَا : أَيْبُضُهَا ؛ وَالْهَجَانُ : الْأَبْيَضُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَمُغْرِبًا - بِصِيغَةِ أَسْمِ الْمَفْعُولِ - أَيِ : أَيْبُضَ صَافِيًا ، مِنَ الْعُزْبَةِ ، وَهُوَ : الْبَيَاضُ الصَّرْفُ .  
(٤) زَعُمُوا أَنَّ الدِّيكَ يَبْيُضُ بَيْضَةً وَاحِدَةً فِي عُمُرِهِ ثُمَّ لَا يَعُودُ ، يُضْرَبُ مَثَلًا لِمَنْ يَصْنَعُ الصَّنِيعَةَ ثُمَّ لَا يَعُودُ لَهَا ، وَهِيَ بَيْضَةُ الْعُقْرِ الَّتِي عَنَّا أَبُو نَوَاسٍ بِقَوْلِهِ [من المنسرح] :

بَاحَ لِسَانِي بِمُضْمَرِ السَّرِّ وَذَلِكَ أَنِّي أَقُولُ بِالْذَّهْرِ  
وَلَيْسَ بَعْدَ الْمَمَاتِ مُنْقَلَبٌ وَإِنَّمَا الْمَوْتُ بَيْضَةُ الْعُقْرِ

يَا رَحْمَةَ اللَّهِ حُلِّي فِي مَنَازِلِنَا حَسْبِي بِرَائِحَةِ الْفِرْدَوْسِ مِنْ فَيْكِ<sup>(١)</sup>

١٢٣ - وَيَقُولُ ابْنُ الرُّومِيِّ [من الطويل] :

تَعَنَّتْ بِالْمِسْوَالِ أَبْيَضَ صَافِيَا      تَكَادُ عَذَارَى الدَّرِّ مِنْهُ تَحَدَّرُ<sup>(٢)</sup>  
وَمَا ذُقْتُهُ إِلَّا بِشِيمِ ابْتِسَامِهَا      وَكَمْ مَخْبَرٍ يُبْدِيهِ لِلْعَيْنِ مَنظَرُ<sup>(٣)</sup>  
بَدَا لِي وَمِیْضُ شَاهِدٌ أَنَّ صَوْبَهُ      غَرِيضٌ وَمَا عِنْدِي سِوَى ذَاكَ مُخْبِرُ<sup>(٤)</sup>  
وَمَا تَغْتَرِبُهَا آفَةُ بَشَرِيَّةُ      مِنْ النَّوْمِ إِلَّا أَنَّهَا تَتَخَرَّرُ<sup>(٥)</sup>  
وَعَيْرُ عَجِيبٍ طِيبُ أَنْفَاسِ رَوْضَةٍ      مُوَرَّةً بَاتَتْ تُرَاحُ وَتُمَطَّرُ<sup>(٦)</sup>  
كَذَلِكَ أَنْفَاسُ الرِّيَاضِ بِسُخْرَةٍ      تَطِيبُ وَأَنْفَاسُ الْوَرَى تَتَغَيَّرُ

١٢٤ - وَقَالَ [من البسيط] :

هِيَ الْفَتَاةُ إِذَا أَعْتَلَّتْ مَقَاصِلُهَا      بِالنَّوْمِ وَأَعْتَلَّتِ الْأَفْوَاهُ بِالسَّحَرِ  
طَابَتْ هُنَاكَ لِجِنِّ لَا يَطِيبُ لَهُ      إِلَّا الرِّيَاضُ كَانَ لَيْسَتْ مِنَ الْبَشَرِ

١٢٥ - وَقَدْ تَبَعَ الْتَهَامِيُّ ابْنَ الرُّومِيِّ فِي قَوْلِهِ [من الطويل] :

وَعَيْرُ عَجِيبٍ طِيبُ أَنْفَاسِ رَوْضَةٍ

= وَهَذَا شِعْرُ مُلْحِدِ زَنْدِيقٍ ، وَقِيلَ : إِنَّ بَيْضَةَ الدِّيكِ الْعُفْرِ هِيَ الَّتِي تُجَرَّبُ بِهَا الْمَرْأَةُ أَتَيْبٌ هِيَ  
أَمَّ بَكْرٌ ، وَإِنَّمَا يُفَعَّلُ بِهَا ذَلِكَ مَرَّةً فِي الْعُمْرِ .  
(١) كَانَ اسْمُ الْمَرْأَةِ رَحْمَةً .

(٢) تَعَنَّتْ مِنَ الْعَنَتِ [ : الْإِنْمِ ] ؛ وَالْعَذَارَى : الْأَبْكَارُ ، لِأَنَّهَا لَمْ تُتَقَبَّ ؛ وَتَحَدَّرُ يَحْذِفُ إِحْدَى  
النَّاءَيْنِ ، أَيْ : تَتَحَدَّرُ .

(٣) الشَّيْمُ : شَيْمُ الْبَرْقِ ، وَتُسَبَّهُ الْإِنْتِسَامَةُ بِتَأَلُّقِ الْبَرْقِ وَلَمَعَانِهِ .

(٤) الْغَرِيضُ : فِي الْأَصْلِ : الطَّرِي ، وَيُقَالُ لِمَاءِ الْمَطَرِ غَرِيضٌ ، يَعْنُونَ ذَلِكَ : إِنَّ رَيْقَهَا غَرِيضٌ .

(٥) تَتَخَرَّرُ ، فَالْتَخَرَّرُ : الْتَفَتَّرُ وَالْأَسْتَرْخَاءُ .

(٦) تُرَاحُ : تُصِيبُهَا الرِّيحُ .

فَقَالَ [من البسيط] :

يَحْكِي جَنَى الْأَقْحَوَانِ الْغَضَّ مَبْسِمَهَا      فِي اللَّوْنِ وَالرَّيْحِ وَالتَّقْلِيحِ وَالْأَشْرِ  
لَوْ لَمْ يَكُنْ أَقْحَوَانًا ثَغَرُ مَبْسِمَهَا      مَا كَانَ يَزْدَادُ طَيِّبًا سَاعَةَ السَّحَرِ

١٢٦ - وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ [من السريع] :

يَا رَبَّ رِيْقِي بَاتَ بَذْرُ الدُّجَى      يَمْجُئُهُ بَيْنَ ثَنَائِيَاكَ  
يُزَوِّي وَلَا يَنْهَاكَ عَنْ شُرْبِهِ      وَالْمَاءُ يُزَوِيكَ وَيَنْهَاكَ

١٢٧ - وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ [من الكامل] :

وَإِذَا سَأَلْتُكَ رَشْفَ رِيْقِكَ قُلْتَ لِي      أَخْشَى عَقُوبَةَ مَالِكِ الْأَمْلَاكِ  
مَاذَا عَلَيْكَ جُعِلْتُ قَبْلَكَ فِي الثَّرَى      مِنْ أَنْ أَكُونَ خَلِيفَةَ الْمِسْوَكِ  
أَيَجُوزُ عِنْدَكَ أَنْ يَكُونَ مُتَيْمٌ      صَبٌّ بِحُبِّكَ دُونَ عُودِ أَرَاكِ

١٢٨ - وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ [من الكامل] :

تُعْطِيكَ مَنْطِقَهَا فَتَعْلَمُ أَنَّهُ      بِجَنَى عُدُوبَتِهِ يَمُرُّ بِثَغْرِهَا

١٢٩ - وَقَالَ الْبُخْتَرِيُّ [من الطويل] :

وَلَمَّا التَّقَيْنَا وَاللَّوَى مَوْعِدُ لَنَا      تَعَجَّبَ رَائِي الدَّرُّ حُسْنًا وَلَا قِطْعَةً  
فَمِنْ لَوْلُو تَجْلُوهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا      وَمِنْ لَوْلُو عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَاقِطُهُ

١٣٠ - وَقَالَ ، أَيُّ : الْبُخْتَرِيُّ [من السريع] :

بَاتَ نَدِيمًا لِي حَتَّى الصَّبَاحِ      أَغْيَدُ مَجْدُولُ مَكَانِ الْوِشَاحِ  
أَمْزُجُ كَأْسِي بِجَنَى رِيْقِهِ      وَإِنَّمَا أَمْزُجُ رَاحًا بِرَاحِ  
كَأَنَّمَا يَيْسِمُ عَنْ لَوْلُو      مُنْضِدٍ أَوْ بَرْدٍ أَوْ أَقَاحِ<sup>(١)</sup>

(١) الْمُنْضِدُ : الْمُنْظَّمُ ؛ وَالْبَرْدُ : حَبُّ الْعَمَامِ ؛ وَالْأَقَاح ، جَمْعُ أَقْحَوَانَةٍ : وَزِدْ لَهُ نُورًا أَبْيَضُ =

تَحْسَبُهُ نَشْوَانٌ إِمَّارَنَا      لِفَقْتَرٍ مِنْ أَجْفَانِهِ وَهُوَ صَاخٌ  
أَغْضَبْتُ عَنْ بَعْضِ الَّذِي يُتَّقَى      مِنْ حَرَجٍ فِي حُبِّهِ أَوْ جُنَاخِ

١٣١ - وَقَالَ فِي بَيَاضِ الثَّغْرِ [من البسيط] :

وَيَرْجِعُ اللَّيْلُ مُبَيَّضًا إِذَا ضَحِكَتْ      عَنْ أَبْيَضِ خَضَلِ السَّمْطَيْنِ وَضَاحِ  
فَجَعَلَهُ يَجْلُو الظَّلَامَ لِبَيَاضِهِ ،      وَذَكَرَ كَثْرَةَ الرِّيْقِ ، فَقَالَ : خَضَلٍ ، لِأَنَّ قِلَّةَ  
الرِّيْقِ ثَوْرَتْ تَغْيِيرَ أَلَمٍ ، وَذَكَرَ حُسْنَ تَنْضِيدِ الثَّغْرِ فَجَعَلَهُ سِمْطَيْنِ .

١٣٢ - وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ [من المديد] :

يَا نَدِيمِي أَشْرَبَا وَأَسْقِيَانَا      قَدْ بَدَا الصُّبْحُ لَنَا وَأُسْتَبَانَا  
وَأَقْتُلَا هَمَّنَا بِصَرْفِ عُقَارٍ      وَأَتْرَكَا الدَّهْرَ فَمَا شَاءَ كَانَا  
إِنَّ لِلْمَكْرُوهِ لَذْعَةً شَرًّا      فَإِذَا دَامَ عَلَى الْمَرْءِ هَانَا  
وَأَمْرُجَا كَأَسْنَا بِرِيقَةِ أَلَمِي      طَابَ لِلْعَطْشَانِ وَزَدَا وَحَانَا<sup>(١)</sup>  
مِنْ فَمٍ قَدْ غَرَسَ الدُّرَّ فِيهِ      نَاصِحَ الرِّيْقِ إِذَا الرِّيْقُ خَانَا<sup>(٢)</sup>

١٣٣ - وَقَالَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ [من البسيط] :

بِتْنَا ضَجِيعَيْنِ فِي ثَوْبِي هَوَى وَتَقَى      يَلْفُنَا الشَّقُّ مِنْ فَرْعٍ إِلَى قَدَمِ  
وَبَاتَ بَارِقُ ذَاكَ الثَّغْرِ يُوضِحُ لِي      مَوَاقِعَ اللَّثَمِ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

١٣٤ - وَمِنْ قَدِيمِ هَذَا أَلَمَعْنِي وَجَيْدِهِ قَوْلُ النَّابِغَةِ [من الكامل] :

تَجْلُو بِقَادِمَتِي حَمَامَةَ أَيْكَةِ      بَرْدًا أَسْفَ لِسَاتِهِ بِالْإِثْمِ

« البابونج [والكاميليا] » .

(١) أَلَمِي : سَيَمُرُّ بِكَ قَرِيبًا مَعْنَى أَلَمْتِي [راجع رقم : ١٥٤ و ١٥٧] .

(٢) نَاصِحَ الرِّيْقِ : خَالَصُهُ ، لَا يَسُوْبُهُ شَيْءٌ يَغْيِرُهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَتَغَيَّرُ الرِّيْقُ فِيهِ وَهُوَ عَقِبُ النَّوْمِ .

كَالْأَقْحُوَانِ غَدَاةَ غِبِّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِ  
 شَبَّهُ شَفَتَيْهَا بِقَادِمَتَيِ الْحَمَامَةِ ، وَهُمَا الرِّيشَتَانِ اللَّتَانِ فِي مُقَدِّمَتَيِ  
 جَنَاحَيْهَا ، لِرِفَّتِهِمَا وَشِدَّةِ سُمَرْتَيْهِمَا ، فَجَعَلَهُمَا يَجْلُوَانِ أَسْنَانَهَا ، أَيْ يُظْهِرَانِ  
 بَيَاضَهَا بِمَا فِيهَا مِنَ السُّمَرَةِ ، وَكَانَ نِسَاءُ الْعَرَبِ يَجْرَحْنَ لِثَاتِهِنَّ وَيَجْعَلْنَ الْإِثْمِدَ  
 عَلَيْهَا ، فَيَبْقَى سَوَادُهُ فِيهَا ، فَقَوْلُهُ : أَسِفَّ ، أَيْ : ذَرَّ الْإِثْمِدُ عَلَى لِثَاتِهَا ،  
 وَتَقُولُ : أَسَفَفْتُ الْوَشْمَ ، وَهُوَ أَنْ يُغْرَزَ الْجِلْدُ بِإِبْرَةٍ ، ثُمَّ تُحْشَى الْمَغَارِزُ  
 كُحْلًا ؛ وَقَوْلُهُ : الْبَيْتُ ؛ شَبَّهُ الشَّعْرَ بِالْأَقْحُوَانِ وَقَدْ مُطِرَ لَيْلًا ، فَجَلَاهُ الْمَطَرُ ،  
 وَصَفَى لَوْنُهُ ، ثُمَّ جَفَّ الْمَاءُ مِنْ أَعْلَاهُ ، فَاشْتَدَّ بَيَاضُهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَبَقِيَ أَسْفَلُهُ  
 مُتَرَوِّيًا بِاللَّنَدَى .

١٣٥ - وَقَالَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ [ من السريع ] :

يَا عَذْبَةَ الْمَبْسَمِ ! بُلِّيَ الْجَوَى بَنَهْلَةً مِنْ رِيْقِكَ الْبَارِدِ  
 أَرَى غَدِيرًا سَيِّحًا مَآوُهُ فَهَلْ لِيْذَاكَ الْمَاءُ مِنْ وَارِدِ  
 مَنْ لِيْ بِذَاكَ الْعَسَلِ الذَّاكِبِ أَلْ جَارِي خِلَالَ الْبَرْدِ الْجَامِدِ  
 ١٣٦ - وَقَالَ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ - قِيلَ : عَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ ، وَقِيلَ : أَوْسُ بْنُ

حَجَرَ - [ من البسيط ] :

كَأَنَّ رِيْقَتَهَا بَعْدَ الْكَرَى اُعْتَبَقَتْ مِنْ مَاءٍ أَذْكَنَ فِي الْحَانُوتِ نَضَاحِ  
 أَوْ مِنْ مُعْتَقَةٍ وَرَهَاءَ نَشْوَتِهَا أَوْ مِنْ أَنْايِبِ رُمَانٍ وَتَفَاحِ  
 الرِّيْقُ : مَاءُ الْفَمِ ، وَيُؤَنَّثُ فِي الشَّعْرِ ، فَيُقَالُ : رِيْقَتُهَا ؛ وَاعْتَبَقَتْ ، مِنْ  
 الْأَغْتِيَاقِ ، وَهُوَ شُرْبُ الْعَسِيِّ ؛ وَالْأَذْكَنُ : مَا تَعْلُوهُ الدُّكْنَةُ ، وَهِيَ لَوْنٌ بَيْنَ  
 الْحَرَّةِ وَالسَّوَادِ ، أَرَادَ بِهِ الرِّقَّ ؛ وَالْحَانُوتُ : حَانُوتُ الْخَمَارِ ؛ وَالْوَرَهَاءُ فِي  
 الْأَصْلِ : الرِّيْحُ الَّتِي فِي هُبُوبِهَا خُرْقٌ وَعَجْرَفَةٌ ؛ وَالنَّشْوَةُ - بِكَسْرِ التَّوْنِ



وَفَتَحَهَا - : الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ ، يُرِيدُ أَنْ رَائِحَتَهَا تَهْبُ فَتَنْتَشِرُ مِثْلَ هُبُوبِ تِلْكَ أَلْرِيحِ  
وَأَنْتَشَارِهَا ، يَصِفُ بِذَلِكَ كُلَّهُ طِيبَ رِيْقَتِهَا .

١٣٧ - وَقَالَ أَبُو وَكِيعٍ [من السريع] :

رِيقٌ إِذَا مَا أُرْدَدْتُ مِنْ شُرْبِهِ رِيًّا ثَنَانِي أَلْرِيقُ ظَمَانَا  
كَأَلْخَمَرٍ أَرَوَى مَا يَكُونُ أَلْفَتَى مِنْ شُرْبِهَا أَعْطَشُ مَا كَانَا

١٣٨ - وَقَالَ أَبُو مِيَّادَةَ [من الطويل] :

كَأَنَّ عَلَى أَنْيَابِهَا أَلْمِسْكَ شَابَهُ بُعِيدَ أَلْكَرَى مِنْ آخِرِ أَلَّلَيْلِ عَابِقُ<sup>(١)</sup>  
وَمَا ذُقْتُهُ إِلَّا بِعَيْنِي تَفْرُسًا كَمَا شِيمَ فِي أَعْلَى أَلْسَحَابَةِ بَارِقُ<sup>(٢)</sup>  
يَضُمُّ إِلَيَّ أَلَّلَيْلُ أَطْفَالَ حُبِّهَا كَمَا ضَمَّ أَرْزَارَ أَلْقَمِيصِ أَلْبَنَاتِقُ<sup>(٣)</sup>

١٣٩ - وَقَالَ أَبُو أَلْفَتْحِ كُشَاجِمُ [من السريع] :

أَلْبَذْرُ لَا يُغْنِيكَ عَنْهَا إِذَا غَابَتْ وَتُغْنِيكَ عَنِ أَلْبَذْرِ  
فِي فَمِهَا مِسْكَ وَمَشْمُولَةٌ صِرْفٌ وَمَنْظُومٌ مِنْ أَلْدَّرِ  
فَأَلْمِسْكَ لِلنَّكْهَةِ ، وَأَلْخَمَرُ لِلرَّيْقِ ؎ ، وَأَلْلَوْلُؤُ لِلتَّغْرِ

١٤٠ - وَقَالَ أَيْضًا - كُشَاجِمُ [من الطويل] :

عَرَضْنَ ! فَعَرَّضْنَ أَلْقُلُوبَ مِنْ أَلْجَوَى لِأَسْرَعَ فِي كَيِّ أَلْقُلُوبِ مِنْ أَلْجَمْرِ

(١) شَابَهُ : خَالَطَهُ ؛ وَعَابِقُ ، فَأَعِلُ شَابَ مِنْ شَابَهُ ، وَكَأَنَّهُ صِفَةٌ لِمَوْصُوفٍ مَخْذُوفٍ ،  
وَأَلْتَقْدِيرُ : شَابَ أَلْمِسْكَ طِيبَ عَابِقُ ، أَيْ : مُلَازِمٌ لِأَنْيَابِهَا لَا يُفَارِقُهُ ، مِنْ عَبَقَ بِهِ الشَّيْءُ :  
إِذَا لَرِقَ بِهِ ، قَالَ طَرَفَةُ [ من الرمل ] :

نُفِّمَ رَاحُوا عَبَقَ أَلْمِسْكَ بِهِمْ

(٢) شِيمَ أَلْبَرَقُ : نَظَرَ إِلَى سَحَابَتِهِ أَتَيْنَ تُمْطِرُ .

(٣) أَرَادَ بِأَلْأَطْفَالِ أَلْأَخْرَازِ أَلْمُتَوَلِّدَةِ عَنِ أَلْحَبِّ ؛ وَأَلْمُرَادُ بِأَلْبَنَاتِقِ هُنَا أَلْعَرَى أَلَّتِي تُدْخَلُ فِيهَا  
أَلْأَرْزَارُ ، وَهَذَا أَلْبَيْتُ يُرْوَى لِغَيْسِ أَلْمُجَنُونِ ، وَلَعَلَّهُ هُنَا تَضْمِينٌ .

كَأَنَّ الشَّفَاءَ اللَّعْسَ فِيهَا خَوَاتِمٌ مِنْ الْمِسْكِ ، مَخْتُومٌ بِهِنَّ عَلَى دُرٍّ ١٤١ - وَقَالَ الْمُتَنَبِّي [من الطويل] :

وَيَسْمُنَ عَنْ دُرٍّ تَقْلَدُنْ مِثْلَهُ كَأَنَّ التَّرَاقِي وَشَحَتْ بِالْمَبَاسِمِ (١)  
١٤٢ - وَقَالَ أَبُو صَغْتَرِ الْبُولَانِي ، وَهِيَ مِنْ آيَاتِ « حِمَاسَةِ أَبِي تَمَّامٍ » [من  
الطويل] :

فَمَا نَظْفَةً مِنْ حَبِّ مُزْنٍ تَقَادَفَتْ بِهِ جَنْبَا الْجُودِيِّ وَاللَّيْلُ دَامِسُ  
فَلَمَّا أَقَرَّتْهُ اللَّصَابُ تَنَفَّسَتْ شَمَالٌ لِأَعْلَى مَائِهِ فَهُوَ قَارِسُ  
بِأَطْيَبِ مِنْ فِيهَا وَمَا دُقْتُ طَعْمُهُ وَلَكِنِّي فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ قَارِسُ  
النُّظْفَةُ : الْمَاءُ الْقَلِيلُ الصَّافِي يَبْقَى فِي نَحْوِ الْقِرْبَةِ وَالْدَّلْوِ ؛ وَأَرَادَ بِحَبِّ  
الْمُزْنِ : الْبَرْدُ ؛ وَالْمُزْنُ : السَّحَابُ فِيهِ الْمَطَرُ ؛ وَالْجُودِيُّ : أَسْمُ جَبَلٍ ؛  
وَجَنْبَا الْجُودِيِّ : الْكَتْفُ وَالنَّاحِيَةُ ؛ وَالْدَّامِسُ : الْمُظْلِمُ ؛ وَاللَّصَابُ ، جَمْعُ  
لِصْبٍ ، وَهِيَ : شُقُوقٌ فِي الْجَبَلِ ؛ وَالْقَارِسُ : الْبَارِدُ ؛ أَيِ : هَبَّتْ شَمَالٌ  
عَلَيْهِ فَبَرَدَ ؛ وَقَارِسُ : مُتَفَرِّسٌ ؛ يَقُولُ : لَيْسَ مَاءُ الْمُزْنِ سَالَتْ بِهِ نَاحِيَةُ جَبَلِ  
الْجُودِيِّ فِي اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، فَلَمَّا قَرَّ هَذَا الْمَاءُ فِي الشُّقُوقِ هَبَّتْ رِيحُ الشَّمَالِ  
عَلَيْهِ فَبَرَدَ ، بِأَعْدَبَ مِنْ رُضَابٍ فَمِ هَذِهِ الْمَرْأَةُ ، وَلَا أَقُولُ هَذَا عَنْ ذَوَاقٍ  
وَأَخْتِبَارٍ ، وَلَكِنْ عَنْ صِدْقِ فَرَّاسَةٍ .

١٤٣ - وَأَصْلُ هَذَا الْمَعْنَى لِامْرَأَةٍ الْقَيْسِ حَيْثُ يَقُولُ [من المتقارب] :

وَتَغْرِ أَغْرَ شَتِيَتِ اللَّثَاتِ لَذِيذِ الْمُقْبَلِ وَالْمُبْتَسَمِ

(١) التَّرَاقِي ، جَمْعُ تَرْقُوعٍ ، وَهِيَ : الْعِظَامُ الَّتِي فَوْقَ الصَّدْرِ ؛ يَقُولُ : إِنْ تُغَوَّرْهُنَّ فِي الصَّفَاءِ  
وَحُسْنِ النَّظْمِ مِثْلَ الدَّرِّ الَّذِي تَقْلَدُنَّه ، فَكَأَنَّ تَرَاقِيَهُنَّ حُلِيَتْ بِغَوَرِهِنَّ .

وَمَا ذُقْتُهُ غَيْرَ ظَنٍّ بِهِ      وَبِالْظَّنِّ يَقْضِي عَلَيْكَ الْحَكَمَ

١٤٤ - وَقَالَ الْخُبَزَارِيُّ ، فَأَحْسَنَ [من الطويل] :

وَمِنْ طَاعَتِي إِيَّاهُ أَمْطَرَ نَاطِرِي      لَهُ حِينَ يُبْدِي فِي ثَنَائِهِ لِي بَرَقًا  
كَأَنَّ دُمُوعِي تُبْصِرُ الْوَصْلَ هَارِبًا      فَمِنْ أَجْلِ ذَا تَجْرِي لِتُدْرِكَهُ سَبَقًا

١٤٥ - وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْمُتَنَبِّي [من المنسرح] :

تَبْلُ خَدَيَّ كُلَّمَا ابْتَسَمْتُ      مِنْ مَطَرٍ بَرَقَهُ ثَنَائِيهَا  
يَقُولُ : إِنَّ دُمُوعِي كَالْمَطَرِ تَبْلُ خَدَيَّ ، أَيْ : كُلَّمَا ابْتَسَمْتُ بَكَيْتُ ، فَكَأَنَّ  
دُمُوعِي مَطَرٌ بَرَقَهُ بَرِيقُ ثَنَائِيهَا ، إِذْ كَانَ بُكَائِي فِي حَالِ ابْتِسَامِيهَا .

١٤٦ - وَمَا قَالُوهُ فِي وَصْفِ الثُّغُورِ وَالْأَفْوَاهِ كَثِيرٌ يُجَاوِزُ الْإِحْصَاءَ ،

وَالْأَضْلُ فِيهِ قَوْلُ أَمْرِءِ الْقَيْسِ [من المتقارب] :

كَأَنَّ الْمُدَامَ وَصُوبَ الْغَمَامِ      وَرِيحَ الْخُزَامَى وَنَشْرَ الْفُطْرِ  
يَعْلُ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا      إِذَا غَرَّدَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرُّ  
شَبَّهَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ مَاءَ فِيهَا فِي طَبِيعِهِ عِنْدَ السَّحَرِ بِالْمُدَامِ : الْخَمْرُ ؛ وَصُوبِ  
الْغَمَامِ الَّذِي يُمَزَّجُ بِهِ الْخَمْرُ ، وَرِيحِ الْخُزَامَى ، وَهُوَ نَبْتُ مِنْ أَطْيَبِ الْأَزْهَارِ ؛  
وَنَشْرِ الْفُطْرِ ، أَيْ : رَائِحَةِ الْعُودِ الَّذِي يُسَحَّرُ بِهِ ؛ وَالطَّائِرُ الْمُسْتَحِرُّ : الْمُصَوِّتُ  
وَقَتَ السَّحَرِ .

\* \* \*

١٤٧ - هَذَا ، وَإِلَيْكَ طَرَفًا مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالثُّغُورِ وَالْأَفْوَاهِ فِي اللُّغَةِ ، قَالُوا :

إِذَا كَانَ بَيْنَ الْأَسْنَانِ كُلِّهَا تَفْرِيقٌ كَبِيرٌ فَالْتَّغَرُّ شَتِيتٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِمَكْرُوهٍ ، فَإِذَا  
كَانَ التَّفْرِيقُ بَيْنَ الثَّنَائِيَا خَاصَّةً - وَهِيَ أَسْنَانُ مُقَدِّمِ الْفَمِ - فَالْتَّغَرُّ أَفْلَجٌ ، وَالرَّجُلُ

أَفْلَجَ الْأَسْنَانِ ، وَالْفَلَجُ مِنَ الْأَوْصَافِ الْمُسْتَحْسَنَةِ ، وَجَاءَ فِي وَصْفِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ( أَنَّهُ كَانَ أَفْلَجَ أَبْلَجَ الثَّيِّبَيْنِ ، إِذَا تَكَلَّمَ رُؤْيَى كَالثَّوْرِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَائِيهِ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَتَسْلِيمَاتُهُ عَلَيْهِ ) .

١٤٨ - وَالْأَشْرُ فِي الْأَسْنَانِ - بِضَمِّ الْأَهْمَزَةِ وَضَمِّ الشَّيْنِ وَفَتْحِهَا - حَدَّةٌ فِي أَطْرَافِهَا وَتَحْزِيزٌ فِيهَا ، يَكُونُ خِلْقَةً وَمُسْتَعْمَلًا ، وَهُوَ مِمَّا يُسْتَحْسَنُ ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ مَعَ الصَّغَرِ وَحِدَاثَةِ السِّنِّ .

١٤٩ - وَالشَّنْبُ هُوَ : الْمَاءُ الْجَارِي عَلَى الْأَسْنَانِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هُوَ بَرْدُهَا وَعَذُوبَةُ مَذَاقِهَا ، وَقَالَ الْأَضْمَعِيُّ : سَأَلْتُ رُؤْبَةَ عَنِ الشَّنْبِ ؟ فَأَخَذَ حَبَّةَ رُمَّانٍ وَأَوْمَأَ إِلَى بَصِصِهَا وَبَرِيقِهَا ، وَقَالَ : هَذَا الشَّنْبُ .

١٥٠ - وَمِثْلُ الشَّنْبِ الرُّضَابُ ، وَمِثْلُهُمَا الظَّلْمُ ، قَالَ بَعْضُهُمْ [من الهزج] :

وَهِنْدٌ تَيْمَتْ قَلْبِي      غَدَاةَ التَّخَرِّ إِذْ تَرْمِي  
بِوَجْهِهِ مُشْرِقٍ صَافٍ      وَتَغِيرُ بِأَرْدِ الظُّلْمِ

١٥١ - وَقَالَ الْحَصِينُ بْنُ الْحُمَامِ [من الطويل] :

إِذَا مَا اجْتَلَى الرَّانِي إِلَيْهَا بِطَرْفِهِ      غُرُوبَ ثَنَائِيهَا أَنْارَ وَأَظْلَمَا  
الْغُرُوبُ : حَدُّ الْأَسْنَانِ ، وَاحِدُهَا غَرَبٌ ؛ وَالرَّانِي : الْمُدِيمُ النَّظَرَ ؛ وَقَوْلُهُ : أَنْارَ وَأَظْلَمَا ، أَيُّ : أَصَابَ ضَوْءًا وَظُلْمًا ؛ وَالظَّلْمُ : مَاءُ الْأَسْنَانِ .

١٥٢ - وَالشَّغْرُ يُوصَفُ بِالثَّوْرِ وَاللِّمَعَانِ ، وَيُسَبَّهُ بِالْبَرْقِ وَالْمَهَا ، وَالْمَهَا فِي الْأَصْلِ : الْبَلَوْرُ الَّذِي يَبِصُّ لَشِدَّةَ بَيَاضِهِ ، وَقِيلَ : الدَّرَّةُ ؛ قَالَ الْأَعَشَى [من الوافر] :

وَتَبَسُّمٌ عَنْ مَهَا شَبِّمٍ غَرِيٍّ      إِذَا تُعْطِيَ الْمُقَبَّلَ يَسْتَزِيدُ

شَبِمٌ : بَارِدٌ ؛ وَغَرِيٌّ : حَسَنٌ ؛ وَوَجْهٌ غَرِيٌّ : حَسَنٌ .

١٥٣ - وَاللَّثَاتُ جَمْعٌ لِثَّةٍ ، وَهِيَ : اللَّحْمُ الْمُغْشَى لِأُصُولِ الْأَسْنَانِ ، وَيُسَمَّى مَا نَزَلَ مِنْهُ بَيْنَ الْأَسْنَانِ عَلَى هَيْئَةِ الشُّرْفِ : الْعُمُورَ ، وَاحِدُهَا عَمْرٌ ، وَيُسَمَّى أَيْضاً الْقِيُودُ<sup>(١)</sup> ، قَالَ [من الطويل] :

لَمَرَّتَجَّةُ الْأَرْدَافِ هَيْفٌ خُصُورُهَا عَذَابٌ ثَنَائِيهَا لِطَافٌ قِيُودُهَا  
١٥٤ - وَيُسْتَحْسَنُ مِنَ الشَّفَاهِ الشَّفَةُ اللَّمْيَاءُ ، وَاللَّمْيُ - مَقْصُوراً - سُمْرَةٌ  
يَسِيرَةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ تَكُونُ فِي الشَّفَاهِ وَاللَّثَاتِ ، وَقَدْ تَكَسَّرَ اللَّامُ مِنْهُ وَتَضَمَّ ، قَالَ  
جَمِيلٌ [من الوافر] :

تَبَسَّمُ عَنْ ثَنَائِيَا وَاضِحَاتٍ عَذَابِ الطَّعْمِ زَيْنُهَا لَمَاهَا  
١٥٥ - وَمِنْ قَوْلِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ [من الرجز] :

لَمَّا تَعَرَّى أَفْقُ الضِّيَاءِ مِثْلَ ابْتِسَامِ الشَّفَةِ اللَّمْيَاءِ  
١٥٦ - وَقَدْ يَكُونُ اللَّمْيُ فِي غَيْرِ الشَّفَاهِ وَاللَّثَاتِ ، يُقَالُ : شَجَرَةٌ لَمْيَاءٌ :  
إِذَا أَسْوَدَ ظِلُّهَا لِكثَافَةِ أَغْصَانِهَا .

١٥٧ - وَيُسْتَحْسَنُ مِنَ الشَّفَاهِ أَيْضاً الشَّفَةُ الْحَوَاءُ ، وَاللَّعْسَاءُ ، وَالْحَوَةُ :  
سُمْرَةٌ يَسِيرَةٌ ، وَهِيَ نَحْوُ مِنَ اللَّمْيِ ، وَرُبَّمَا كَانَتْ أَشَدَّ مِنَ اللَّمْيِ ، قَالَ ذُو  
الرُّمَّةِ [من البسيط] :

لَمْيَاءٌ فِي شَفَتَيْهَا حَوَةٌ لَعَسٌ وَفِي اللَّثَاتِ وَفِي أَنْيَابِهَا شَنْبُ  
١٥٨ - وَاللَّعَسُ : سَوَادٌ يَغْلُو شَفَةَ الْمَرْأَةِ الْبَيْضَاءِ ، وَقِيلَ : هُوَ سَوَادٌ فِي

(١) الْقِيُودُ فِي الْأَصْلِ : سِمَةٌ حَمْرَاءُ تَكُونُ فِي عُنُقِ الْبَعِيرِ عَلَى صُورَةِ الْقَيْدِ ، فَشَبَّهُوا بِهَا اللَّثَاتِ  
وَمَا نَزَلَ مِنْهَا بَيْنَ الْأَسْنَانِ .

حُمْرَةَ ، قَالَ أَبُو الْفَتْحِ كُشَاجِمُ [من الطويل] :

عَرَضْنَ فَعَرَّضْنَ الْقُلُوبَ مِنَ الْهَوَىٰ لِأَسْرَعَ مِنْ كَيِّ الْقُلُوبِ عَلَى الْجَمْرِ  
كَأَنَّ الشِّفَاهَ اللَّعْسَ مِنْهَا خَوَاتِمُ مِنَ التَّبْرِ مَخْتُومٌ بِهِنَّ عَلَى الدَّرِّ

١٥٩ - وَمِنْ الشِّفَاهِ الْمُسْتَحْسَنَةِ الشِّفَةُ الظَّمْيَاءُ ، وَالظَّمَا مَقْصُورًا : سُمْرَةٌ

يَسِيرَةٌ مَعَ رِقَّةٍ وَضُمُورٍ ، وَرِقَّةُ الشِّفَاهِ مِمَّا يُسْتَحْسَنُ ، وَضِدُّهُ الدَّلَامُ - بِالتَّحْرِيكِ -  
وَالْمَرْأَةُ دَلَمَاءُ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ عِنْدَ قَوْلِ الْفَرَزْدَقِ [من الطويل] :

وَإِنْ نَبَّهْتُهُنَّ أَلَوْلَايْدُ بَعْدَمَا تَعَالَى نَهَارُ الصَّيْفِ أَوْ كَادَ يَنْصُفُ<sup>(١)</sup>

دَعَوْنَ بِقُضْبَانِ الْأَرَاكِ الَّتِي جَنَى لَهَا الرِّكْبُ مِنْ نُعْمَانَ أَيَّامَ عَرَفُوا<sup>(٢)</sup>

فَمِخْنُ بِهِ عَذْبًا رُضَابًا غُرُوبُهُ رِقَاقٌ وَأَعْلَى حَيْثُ رُكِبْنَ أَعْجَفُ<sup>(٣)</sup>

قَالَ : قَوْلُهُ : وَأَعْلَى حَيْثُ رُكِبْنَ ، أَرَادَ بِهِ اللَّئِنَ ، يُخْبِرُ أَنَّهَا قَلِيلَةُ اللَّحْمِ ،  
وَالْعَرَبُ تَمْدَحُ بِقِلَّتِهِ وَتَذُمُّ بِكَثْرَتِهِ ، فَلِذَلِكَ ذَكَرَ الْعَجْفَ .

١٦٠ - قَالَ : وَيُسْتَحَبُّ فِي الشِّفَةِ الْحُمُوشَةُ ، وَهِيَ الرِّقَّةُ ، فَإِنْ غَلُظَتْ ،

قِيلَ : شِفَةٌ بَنَعَاءُ ، وَالرَّجُلُ أُنْبَعُ ، وَيُقَالُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ : امْرَأَةٌ شَفْهِيَّةٌ ، أَيْ :

كَبِيرَةُ الشِّفَةِ ، وَرَجُلٌ شَفْهِيٌّ . وَقِيلَ لِابْنِ سِيرِينَ : إِنْ فُلَانًا اشْتَرَى جَارِيَةً غَلِيظَةً

الشِّفَتَيْنِ ، فَقَالَ : لَوْ اشْتَرَاهَا غَلِيظَةُ الشُّفْرَيْنِ كَانَ خَيْرًا لَهُ . الشُّفْرَانِ : حَرْفَا

هَنِي الْمَرْأَةِ ، وَالشِّفِيرَةُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي تَجِدُ شَهْوَتَهَا فِي شَفْرِهَا فَيَجِيءُ مَاؤُهَا

سَرِيعًا ، وَقِيلَ : هِيَ الَّتِي تَقْنَعُ مِنَ النِّكَاحِ بِأَيْسَرِهِ ، وَهِيَ نَقِيضُ الْقَعِيرَةِ .

\* \* \*

(١) أَنْصَفَ النَّهَارُ وَأَنْتَصَفَ وَاجِدٌ .

(٢) عَرَفُوا : اتَّوَا عَرَافَاتٍ حِينَ حَجُّوا بِهَذِهِ الْقُضْبَانِ ، وَهِيَ الْمَسَاوِيكُ .

(٣) مِخْنُ بِهِ ، يُرِيدُ : سَقِينُ بِهِ ، وَالْمَائِحُ : الَّذِي يَنْزِلُ إِلَى الْبَثْرِ فَيَغْرِفُ الْمَاءَ إِذَا قَلَّ مَاؤُهَا .

ذَمُّهُمُ الْبَخْرَ :

١٦١ - وَلِمَكَانٍ حَضَّهُمْ عَلَى نَظَافَةِ الْفَمِ وَاللُّجُوءِ إِلَى مِثْلِ الْمِسْوَاكِ ذَمُّوا  
الْبَخْرَ وَالْقَلَحَ أَقْبَحَ الدَّمِّ وَنَعَوْهُمَا عَلَى مَنْ نَكَبُوا بِهَا .

١٦٢ - قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ أَوْ غَيْرُهُ [من الطويل] :

وَإِنْ أَمْرًا يَقْوَى عَلَى لَثَمِ ثَغْرِهِ عَلَى الضَّغْطِ وَالتَّغْذِيبِ فِي قَبْرِهِ يَقْوَى  
١٦٣ - وَقَالَ جَرِيرٌ [من المتقارب] :

كَأَنَّ مَقَالِعَ أَضْرَاسِهِمْ إِذَا ضَحِكُوا جِيفُ الْخُنْفَسِ  
١٦٤ - وَشَكَا أَبْخَرُ ضِرْسَهُ ، فَفَتَحَ فَاهُ لِلطَّيِّبِ ، فَشَمَّ مِنْهُ رَائِحَةَ كَرِيهَةً ،  
فَقَالَ لَهُ : مُرْ كُنَّا سَايَكُنْسُهُ ، فَهَذَا كَيْفُ !

١٦٥ - وَسَارَرَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّوَلِيُّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ - وَكَانَ أَبُو  
الْأَسْوَدِ أَبْخَرَ - فَسَتَرَ سُلَيْمَانُ أَنْفَهُ بِكُمِّهِ ، فَمَشَى أَبُو الْأَسْوَدِ وَهُوَ يَقُولُ :  
لَا يَضْلُحُ لِلْخِلَافَةِ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى مُنَاجَاةِ الشُّيُوخِ الْبُخْرِ ...

١٦٦ - وَاشْتَرَى رَجُلٌ أَبْخَرَ جَارِيَةً ، فَسَأَلَهُ صَدِيقٌ لَهُ عَنْ خَبَرِهَا ؟ فَقَالَ :  
مَا زَالَتْ تَمْصُ الْأَبَاجَةَ لِسَانِي ، فَقَالَ : إِنْ صَدَقْتَ فَإِنَّهَا بِنْتُ وَرْدَانَ <sup>(١)</sup> !

١٦٧ - وَيُقَالُ لِكُلِّ أَبْخَرٍ : أَبُو ذُبَّانَ ، وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يُسَمَّى  
أَبَا الذُّبَابِ ! لِأَنَّ الذُّبَابَ كَانَ يَمُوتُ إِذَا قَرَّبَ مِنْ فِيهِ ، لِشِدَّةِ بَخْرِهِ ، وَيُحْكَلُ أَنَّهُ  
عَضَّ يَوْمًا تَفَاحَةً ، وَرَمَى بِهَا إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ ، فَدَعَتْ بِسَكِينٍ ، فَقَطَعَتْ مَوْضِعَ  
عَضَّتِهِ ، فَقَالَ لَهَا : مَا تَصْنَعِينَ ؟ قَالَتْ : أُمِيطُ عَنْهَا الْأَذَى ؛ فَطَلَّقَهَا مِنْ وَقْتِهِ .

(١) بَنَاتُ وَرْدَانَ : صِنْفٌ مِنَ الْخَنَافِسِ ، وَالْخَنَافِسُ كَافَّةٌ تَمُوتُ إِذَا شَمَّتْ رَائِحَةَ الطَّيِّبِ ، وَإِذَا  
دُفِنَتْ فِي الرُّوْثِ وَالْقَادُورَاتِ عَاشَتْ ، وَإِذَا دُفِنَتْ فِي الْوَرْدِ مَاتَتْ .

١٦٨ - وَالذُّبَابُ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْقَدْرِ وَفِي أَسْتِطَابَةِ النَّتَنِ ، فَإِذَا عَجَزَ  
الذُّبَابُ عَنْ شَمِّ شَيْءٍ فَهُوَ الَّذِي لَا يَكُونُ أَنْتَنُ مِنْهُ ، وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبْدَلٍ حِينَ  
رَمَى بَعْضَهُمْ بِالْبَحْرِ [من الوافر] :

وَمَا يَذْنُو إِلَى فِيهِ ذُبَابٌ      وَلَوْ طَلَيْتُ مَشَافِرُهُ بِقَنْدٍ  
يَرَيْنَ حَلَاوَةً وَيَخْفَنَ مَوْتًا      ذَعَا فَاِنْ هَمَمْنَ لَهُ بِوَرْدٍ  
مَشَافِرُهُ : أَرَادَ بِهَا شَفْتَيْهِ ؛ وَالْقَنْدُ : عَسَلٌ قَصَبِ السُّكَّرِ إِذَا جَمَدَ ؛  
وَذَعَا فَا ، يُرْوَى : وَشِيكَأ .

١٦٩ - وَسَارَّ سَعِيدُ بْنُ حُمَيْدٍ رَجُلٌ بِهِ بَخَرٌ ، فَقَالَ سَعِيدٌ : مِثْلُكَ لَا يُسَارُّ ،  
وَإِنَّمَا يُكَاتَبُ .

١٧٠ - وَقَالَ شَقِيقُ بْنُ السُّلَيْكِ وَقَدْ خَطَبَ أَمْرَأَةً مِنْ قَوْمِهِ فَرَدَّتْهُ [من

المتقارب] :

وَنَبْتُهَا أَحْرَمَتْ قَوْمَهَا      لَتَبِكْحَ فِي مَعْشَرِ آخِرِنَا  
فَإِمَّا نَكَحْتَ فَلَا بِالرِّفَاءِ      إِذَا مَا نَكَحْتَ وَلَا بِالْبَيْنِنَا  
وَزُوجْتَ أَشْمَطَ فِي غُرْبَةٍ      تُجَنُّ الْحَلِيلَةَ مِنْهُ جُنُونًا  
خَلِيلَ إِمَاءٍ يُرَاوِحْنَهُ      وَلِلْمُحْصَنَاتِ ضُرُوبًا مُهِينًا  
إِذَا مَا نَقَلْتُ إِلَى دَارِهِ      تَظَلُّ الْحِمَامُ عَلَيْهِ رُكُونًا  
يَشُؤُكَ أَخْبَثَ أَضْرَاسِهِ      إِذَا مَا دَنَوْتُ لَتَسْتَشْقِينَا  
كَأَنَّ الْمَسَاوِيكَ فِي شِدْقِهِ      إِذَا هُنَّ أَكْرِهْنَ يَقْلَعْنَ طِينَا

١٧١ - وَقَالُوا فِي عِلَّةِ أَلْفَمِ وَالْبَحْرِ : مَنْ كَثُرَ رِيْقُهُ ، وَسَالَ لُعَابُهُ ،

لَا يَغْرِضُ لَهُ الْخُلُوفُ : تَغَيَّرُ رِيحُ أَلْفَمٍ لِتَأَخُّرِ الطَّعَامِ ؛ وَمِنْ ثَمَّ كَانَتْ الْكِلَابُ



أَطِيبَ أَفْوَاهًا ، وَيَعْرِضُ الْخُلُوفُ بِإِدَامَةِ أَنْطَبَاقِ الْفَمِ ، وَأَطِيبَ النَّاسِ أَفْوَاهًا  
الزَّنْجُ ، وَالْأَسَدُ وَالصَّقْرُ مَوْصُوفَانِ بِالْبَخْرِ .

\* \* \*

وَصَفُّهُمْ الْحَدِيثُ :

١٧٢ - وَلِمُنَاسَبَةِ عَبَقَرِيَّاتِهِمْ فِي الثُّغُورِ وَالْأَفْوَاهِ نُورِدُ هُنَا صَدْرًا مِنْ  
عَبَقَرِيَّاتِهِمْ فِي وَصْفِ الْحَدِيثِ :

١٧٣ - قَالَ بَعْضُهُمْ [وهو يشار بن برد ، من الوافرا] :

مُنْعَمَةٌ يَحَارُ الطَّرْفُ فِيهَا      كَأَنَّ حَدِيثَهَا سُكْرُ الشَّبَابِ  
مِنَ الْمُتَصَدِّياتِ لَغَيْرِ سُوءِ      تَسِيلُ إِذَا مَشَتْ سَيْلَ الْحَبَابِ  
كَأَنَّ حَدِيثَهَا . . . الخ ، يُرِيدُ أَنَّهَا تُصْبِي بِحَدِيثِهَا ، فَيَحْدُثُ لِسَامِعِهِ مِنْ  
التَّصَابِي وَالْجَذَلِ مِثْلُ سُكْرِ الشَّبَابِ ، لِأَنَّ الشَّبَابَ فِي بُلْهَنِيَّةٍ ؛ وَالْحَبَابُ - بِضَمِّ  
الْحَاءِ - : الْحَيَّةُ ، وَبِفَتْحِ الْحَاءِ : حَبَابُ الْمَاءِ ؛ وَكِلَاهُمَا جَائِزٌ ، فَقَدْ قَالَ أَمْرُو  
الْقَيْسِ [من الطويل] :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا      سُمُوَ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالِ  
فَقَدْ شَبَّهَ مَشْيَهُ بِحَبَابِ الْمَاءِ ، وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ [بل عمر ابن أبي ربيعة ، من  
الطويل] :

فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ مِنْهُمْ وَأَطْفَعْتُ      مَصَائِيحُ شَبَّتْ بِالْعَشِيِّ وَأَنُورُ  
وَحُفْضَ عَنِّي الصَّوْتُ أَقْبَلْتُ مُشِيَّةَ أَلِ      حُبَابِ وَرَكْنِي خِيفَةَ الْقَوْمِ أَزُورُ  
فَالْحَبَابُ هُنَا بِالضَّمِّ : الْحَيَّةُ ، وَتَرَى شَرْحَ الْبَيْتَيْنِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ [رقم :

١٧٤ - وَقَالَ أَغْرَابِيٌّ [وهو الراعي الثُميري ، من الكامل] :

وَحَدِيثُهَا كَالْفَطْرِ يَسْمَعُهُ رَاعِي سِنِينَ تَتَابَعَتْ جَدْبًا<sup>(١)</sup>  
فَأَصَاحَ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ حَيًّا وَيَقُولُ مِنْ فَرَحٍ : هِيََا رَبِّا<sup>(٢)</sup>  
١٧٥ - وَقَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرَيْدٍ - وَكَانَ قَدْ وَعَدْتُهُ هَوًى لَهُ أَنْ تَزُورَهُ ، فَأَخْلَفَتْهُ ،

فَكَتَبَ إِلَيْهَا [من مجزوء الكامل] :

يَا لَيْلَتِي تَزْدَادُ نُكْرًا مِنْ حُبِّ مَنْ أَحْبَبْتُ بِكْرًا  
وَكَاَنَّ رَفُضَ حَدِيثِهَا<sup>(٣)</sup> قِطْعُ الرِّيَاضِ كُسِينَ زَهْرًا  
وَتَخَالُ مَا جَمَعْتُ عَلَيْهَا نِيَابَهَا ذَهَبًا وَعِطْرًا  
وَكَاَنَّهَا بَرْدُ الشَّرَا بِ صَفَا وَوَافَقَ مِنْكَ فِطْرًا

١٧٦ - وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ [من الكامل] :

وَحَدِيثُهَا السَّحَرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ<sup>(٤)</sup>  
إِنْ طَالَ لَمْ يُمْلَلْ وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدَّ الْمُحَدِّثُ أَنَّهَا لَمْ تُؤْجَزْ  
شَرَكُ الْعُقُولِ وَنُهْزَةٌ مَا مِثْلُهَا لِلْمُطْمَئِنِّ وَعُقْلَةُ الْمُسْتَوْفِرِ<sup>(٥)</sup>

وَقَوْلُهُ : شَرَكُ الْعُقُولِ الَّتِي فِيهِ يَقُولُ أَبِي تَمَّامٍ [من الطويل] :

(١) تَتَابَعَتْ ، يَزُورُ تَتَابَعَتْ ، وَهِيَ رَوَايَةٌ جَيِّدَةٌ ، لِأَنَّ التَّتَابُعَ أَحْصَى بِالْشَّرِّ .

(٢) حَيًّا : مَطَرٌ .

(٣) رَفُضُ الشَّيْءِ : مَا تَفَرَّقَ مِنْهُ .

(٤) الْمُتَحَرِّزُ : الْمُتَحَفِّظُ .

(٥) الشَّرَكُ : الْفُحْ ؛ وَنُهْزَةٌ : فُرْصَةٌ ، وَتَزُورُ : نَزَهَةٌ ؛ وَعُقْلَةُ : عِقَالُ ؛ وَالْمُسْتَوْفِرُ : الْمُسْتَعْجِلُ ؛ يَقُولُ : إِنَّ حَدِيثَ هَذِهِ الْمَرْأَةِ فُرْصَةٌ جَمِيلَةٌ لِلْمُطْمَئِنِّ أَوْ نَزَهَةٌ لَهُ ، وَهِيَ عِقَالٌ لِمَنْ يَضْطَرُّ لِلانْتِصَافِ فَلَا يَنْصَرِفُ عَنْهَا .

لَهَا مُنْظَرٌ قَيْدُ التَّوَاطِرِ لَمْ يَزَلْ يَرْوَحُ وَيَعْدُو فِي خَفَارَتِهِ الْحُبُّ<sup>(١)</sup>

١٧٧ - وَإِلَيْكَ قِطْعَةٌ لِبَشَّارٍ فِيهَا وَصَفٌ لِلْحَدِيثِ وَلِغَيْرِهِ [من الخفيف] :

أَيُّهَا السَّاقِيَانِ صُبَّا شَرَابِي وَأَسْقِيَانِي مِنْ رِيقِ بَيْضَاءِ رُودٍ<sup>(٢)</sup>  
 إِنَّ رَأْيِي الصَّدي وَإِنْ شِفَائِي شَرْبَةٌ مِنْ رُضَابِ ثَغْرِ بَرُودٍ  
 عِنْدَهَا الصَّبْرُ عَنْ لِقَائِي وَعِنْدِي زَفَرَاتٌ يَأْكُلْنَ قَلْبَ الْجَلِيدِ  
 وَلَهَا مَبْسَمٌ كَغُرِّ الْأَقَاحِي وَحَدِيثٌ كَالْوَشْيِ وَشَيْءُ الْبُرُودِ  
 نَزَلْتُ فِي السَّوَادِ مِنْ حَبَّةِ الْقَلْدِ ب وَنَالَتْ زِيَادَةَ الْمُسْتَزِيدِ

١٧٨ - وَإِلَيْكَ أَيْبَاتُ أَبِي حَيَّةَ التَّمِيرِيِّ [من الطويل] :

خَبَّرَكَ الْوَأَشُونَ أَنْ لَنْ أُحِبَّكُمْ بَلَى وَسُتُورِ اللَّهِ ذَاتِ الْمَحَارِمِ<sup>(٣)</sup>  
 أَصْدُ وَمَا الصَّدُّ الَّذِي تَعْلَمِيهِ شِفَاءٌ لَنَا أَجْتِرَاعُ الْعَلَاقِمِ<sup>(٤)</sup>  
 حَيَاءٌ وَبُقْيَا أَنْ يَشِيْعَ نَمِيمَةٌ بِنَاءٌ بِكُمْ أَفٍ لِأَهْلِ التَّمَائِمِ  
 وَإِنْ دَمًا لَوْ تَعْلَمِينَ جَنَّتِيهِ عَلَى الْحَيِّ جَانِي مِثْلِهِ غَيْرُ سَالِمِ<sup>(٥)</sup>  
 أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ غَيْرُكَ أَرْقَلْتُ إِلَيْهِ أَلْقَنَّا بِالرَّاعِفَاتِ أَلَلَّهَاذِمِ<sup>(٦)</sup>

(١) قَيْدُ التَّوَاطِرِ ، أَنَّى : هُوَ لِلتَّوَاطِرِ - الْعَيْنُ - كَالْقَيْدِ ، فَلَا تَخْرِفُ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِ لِرُوعَتِهِ ؛ وَخَفَارَتُهُ : حِمَايَتُهُ .

(٢) رُودٌ ، أَصْلُهَا رُودٌ ، فَسَهْلٌ ، يُقَالُ : فَنَاءُ رُودٌ وَرَأْدَةٌ وَرُودَةٌ وَرُودَةٌ ، وَهِيَ : الشَّابَّةُ الْحَسَنَةُ السَّرْبَعَةُ الشَّبَابِ مَعَ حُسْنِ غِذَاءٍ ، تَشْبِيهَا بِالْغَضَنِ الَّذِي نَبَتَ مِنْ سَتِّهِ أَزْطَبَ مَا يَكُونُ رَخْصًا نَاعِمًا لَيِّنًا .

(٣) سُتُورُ اللَّهِ : مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَيْنَا ، وَهِيَ حُدُودُهُ .

(٤) أَجْتِرَاعٌ ، مُصَدَّرُ أَجْتَرَعَ الْمَاءَ : أَتَبَلَّعَهُ ؛ وَالْعَلَاقِمُ ، وَاحِدُهَا الْعَلَقَمُ ، جَمْعُ الْعَلَقَمَةِ ، وَهِيَ : الْقِطْعَةُ مِنَ الْحَنْظَلِ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ مُرٍّ ، شَبَّهَ حَرَارَةَ الصَّدِّ بِهَا .

(٥) لَوْ تَعْلَمِينَ : أَعْتَرِاضٌ بَيْنَ اسْمٍ «إِنْ» وَخَبَرِهَا ، وَ«لَوْ» لِلتَّمْنَى .

(٦) أَرْقَلْتُ ، مِنْ الْأَرْقَالِ ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ : سُرْعَةُ سَيْرِ الْإِبِلِ ، اسْتِعَارَهُ لِلرَّمَاحِ ؛ =

وَلَكِنْ لَعَمْرُ إِلَيْهِ عَاطِلٌ مُسْلِمًا      كَغُرِّ الثَّنَائَا وَاضِحَاتِ الْمَلَاعِمِ<sup>(١)</sup>  
 إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْحَدِيثَ كَأَنَّهُ      سِقَاطُ حَصَى الْمَرْجَانِ مِنْ سِلْكٍ نَاطِمٍ  
 رَمِينَ فَأَقْصَدْنَ الْقُلُوبَ فَلَمْ نَجِدْ      دَمًا مَائِرًا إِلَّا جَوًّا فِي الْمَيَازِمِ<sup>(٢)</sup>  
 وَهَذَا الْبَيْتُ الْأَخِيرُ مِنْ قَوْلِ جَمِيلٍ [ من الطويل ] :

نَوَافِدَ لَمْ تُعْلَمْ لَهُنَّ خُرُوقُ  
 وَمُضْرَاعُ جَمِيلٍ هَذَا مِنْ آيَاتٍ لَا دَاعِيَ لِإِيرَادِهَا .

١٧٩ - وَقَالَ كَثِيرٌ عَزَّةً مِنْ آيَاتٍ مِنْ غَزَلِهِ وَمُخْتَارِهِ [ من الطويل ] :

مِنَ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيئُهَا      إِذَا مَا أَنْقَضْتَ أَحَدُوْنَهُ لَوْ يُعِيدُهَا  
 يَقُولُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ [ من الطويل ] :

وَكُنْتُ إِذَا مَا زُرْتُ سُعْدَى بِأَرْضِهَا      أَرَى الْأَرْضَ تُطَوِّي لِي وَيَذْنُو بَعِيدُهَا  
 تُحْلِلُ أَحْقَادِي إِذَا مَا لَقِيَتْهَا      وَتَبْقَى بِلا ذَنْبٍ عَلَيَّ حُقُودُهَا  
 وَكَيْفَ يَوُدُّ الْقَلْبُ مَنْ لَا يَوُدُّهُ      بَلَى قَدْ تُرِيدُ النَّفْسُ مَنْ لَا يُرِيدُهَا

وَهَذَا الْبَيْتُ الْأَخِيرُ يُرَوَّى مَعَ بَيْتٍ آخَرَ لِغَيْرِ كَثِيرٍ ، وَهُمَا [ من الطويل ] :

= وَالرَّاعِفَاتُ : الْأَسِنَّةُ ، مِنْ رَعَفَ : سَالَ دَمُهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهَا تَسِيلُ دَمًا مِنَ الطَّعَانِ ؛ وَاللَّهَازِمُ :  
 الْقَوَاطِعُ ، الْوَاحِدُ لَهْذَمٌ ، كَجَعْفَرٍ . يُوصَفُ بِهِ السَّنَانُ وَالسَّيْفُ وَالنَّابُ .  
 (١) الْكَافُ فِي قَوْلِهِ : « كَغُرِّ الثَّنَائَا » فَاعِلَةٌ يَقُولُهُ : طَلٌّ ، وَدَمٌ مَطْلُولٌ : إِذَا مَضَى هَذَا ؛  
 وَالْمَلَاعِمُ : الْعَوَارِضُ ، وَهِيَ مَا يَبْدُو مِنَ الْفَمِّ عِنْدَ الضَّحِكِ ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : مَلَاعِمُ  
 الْمَرْأَةِ : مَا حَوْلَ فَمِهَا ؛ وَقَالَ غَيْرُهُ : هِيَ الْفَمُ وَالْأَنْفُ وَالْأَشْدَاقُ ، لِأَنَّ الْمَرْأَةَ تَلْعُمُهَا  
 بِالطَّيْبِ وَالزَّرْعَفَرَانِ .

(٢) أَقْصَدْنَ الْقُلُوبَ : أَصْبَنَهَا ، مِنْ قَوْلِهِمْ : أَقْصَدْتُ الرَّجُلَ : إِذَا طَعَنْتَهُ أَوْ رَمَيْتَهُ فَلَمْ تُخْطِئْ  
 مَقَاتِلَهُ ؛ وَدَمًا مَائِرًا ، أَيِ : شَائِلًا ، مِنْ قَوْلِهِمْ : مَارَ الدَّمُ يَمُورُ مَوْرًا : سَالَ ؛ وَالْحَيَازِمُ هِيَ  
 الْحَيَازِيمُ ، فَحَذَفَ الْآيَاءُ ، الْوَاحِدُ حَيَزُومٌ ، وَهُوَ : ضَلَعُ الْقَلْبِ وَمَا أَكْتَنَفَ الْحُلُقُومُ مِنْ  
 جَوَانِبِ الصَّدْرِ .

جُنِّتَا عَلَى لَيْلَى وَجُنِّتَ بَعِيرِنَا وَأَضْرَبْنَا مَجْنُونَةً لَا تُرِيدُهَا  
وَكَيْفَ يَوَدُّ الْقَلْبُ مَنْ لَا يَوَدُّهُ بَلَى قَدْ تُرِيدُ النَّفْسُ مَنْ لَا يُرِيدُهَا  
وَفِي مَعْنَى هَذَيْنِ الْبَيِّنَيْنِ يَقُولُ الْأَعَشَى [من البسيط] :

عَلَّقْتُهَا عَرَضاً وَعَلَّقْتُ رَجُلًا غَيْرِي وَعَلَّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ  
عَلَّقْتُهَا وَعَلَّقَ بِهَا ، كِلَاهُمَا بِالْبِنَاءِ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ : إِذَا أَحَبَّهَا ؛  
وَعَرَضاً : أَعْتَرَضْتُ لَهُ فَرَأَاهَا بَغْتَةً ، فَأَحَبَّهَا .

١٨٠ - وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ [من مجزوء الكامل] :

وَلَقَدْ سَمِعْتُ مَآرِبِي فَكَأَنَّ طَيْبَهَا خَيْثُ  
إِلَّا الْحَدِيثَ فَإِنَّهُ مِثْلُ اسْمِهِ أَبَدًا حَدِيثُ

١٨١ - وَقَالَ الْقُطَامِيُّ [من البسيط] :

فَهُنَّ يَنْبُذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصْبِنَ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْعُلَّةِ الصَّادِي  
١٨٢ - وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ [من الطويل] :

وَلَمَّا تَلَاقَيْنَا جَرَتْ مِنْ عُيُونِنَا دُمُوعٌ كَفَفْنَا غَرْبَهَا بِالْأَصَابِعِ  
وَنَلْنَا سُقَاطاً مِنْ حَدِيثٍ كَأَنَّهُ جَنَى النَّحْلِ مَمْزُوجاً بِمَاءِ الْوَقَائِعِ  
الْوَقَائِعُ ، جَمْعٌ وَقِيعَةٍ : نُقْرَةٌ فِي حَجَرٍ فِي سَهْلٍ أَوْ جَبَلٍ تُمْسِكُ الْمَاءَ .

١٨٣ - وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ [من المنسرح] :

أَذْكُرُ مِنْ جَارَتِي وَمَجْلِسِهَا طَرَائِفَ مِنْ حَدِيثِهَا الْحَسَنِ  
وَمِنْ حَدِيثٍ يَزِيدُنِي مِقَّةً مَا لِحَدِيثِ الْمَوْمُوقِ مِنْ ثَمَنِ  
يَزِيدُنِي مِقَّةً ، أَرَادَ : يَزِيدُنِي مِقَّةً - مَحَبَّةً - لَهَا ؛ وَطَرَائِفُ الْحَدِيثِ :

الْمُخْتَارُ مِنْهُ ، وَهُوَ مَا يَتَعَاطَاهُ الْمُحِبُّونَ وَيَتَفَاوَضُهُ ذُووُ الصَّبَابَةِ الْمُتَيَّمُونَ ، مِنْ  
التَّعْرِيزِ وَالتَّلْوِيحِ وَالْإِيْمَاءِ دُونَ التَّصْرِيحِ ، وَذَلِكَ أَخْلَى وَأَخْفَى وَأَغْزَلُ  
وَأَنْسَبُ مِنْ أَنْ يَكُونَ مُصَارَحَةً وَجَهْرًا ، وَكَذَلِكَ أَطْرَافُ الْأَحَادِيثِ ، كَمَا قَالَ  
الْقَائِلُ [كَنْعَبُ بْنُ زُهَيْرٍ ، مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ      وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ  
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا      وَمَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ  
١٨٤ - وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ      رَخِيمُ الْحَوَاشِي لَا هُرَاءَ وَلَا نَزْرُ  
الْبَشَرُ : الْجِلْدُ ؛ وَلَا هُرَاءَ ، فَالْهُرَاءُ : الْمَنْطِقُ الْكَثِيرُ أَوْ الْمَنْطِقُ الْفَاسِدُ  
الَّذِي لَا نِظَامَ لَهُ ، - لِيَعْتَبِرَ كَثِيرٌ مِنَ السَّيِّدَاتِ الْكَثِيرَاتِ الْكَلَامِ الْفَارِغِ ؛  
وَالنَّزْرُ : قَالَ صَاحِبُ « اللِّسَانِ » [مَادَّةُ : نَزَرَ] : يَعْنِي : إِنَّ كَلَامَهَا مُخْتَصَرُ  
الْأَطْرَافِ ، وَهَذَا ضِدُّ الْهَذَرِ وَالْإِكْثَارِ ، وَذَاهِبٌ فِي التَّخْفِيفِ وَالْإِخْتِصَارِ ، فَإِنْ  
قَالَ قَائِلٌ : وَقَدْ قَالَ : وَلَا نَزْرَ ، فَلَسْنَا نَدْفَعُ أَنَّ الْخَفَرَ - شِدَّةُ الْحَيَاءِ - يَقِلُّ مَعَهُ  
الْكَلَامُ وَتُخَذَفُ مِنْهُ أَخْنَاءُ الْمَقَالِ ، لِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ لَا يَكُونُ مَا يَجْرِي مِنْهُ ،  
وَإِنْ خَفَ وَنَزَرَ ، أَقَلَّ مِنَ الْجَمَلِ الَّتِي هِيَ قَوَاعِدُ الْحَدِيثِ الَّتِي يَشُوقُ مَوْقِعَهُ ،  
وَيَرْوِقُ مَسْمَعُهُ . أَقُولُ : وَهَذَا كَلَامٌ نَفِيسٌ مِنْ صَاحِبِ « اللِّسَانِ » لَا نَشِينُهُ  
بِالشَّرْحِ وَالتَّفْسِيرِ .

\*

\*

\*

عَبَقَرِيَّاتُ شَتَّى فِي الْحَدِيثِ كَافَّةً :

١٨٥ - سُئِلَ مُعَاوِيَةُ عَنْ الْبَاقِي مِنْ لَدَّتِهِ ، فَقَالَ : مُحَادَثَةُ الْإِخْوَانِ فِي

الْيَالِي الْقَمَرِ<sup>(١)</sup> عَلَى الْكُتُبَانِ الْعُفْرِ<sup>(٢)</sup> .

١٨٦ - وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : قَدْ أَكَلْنَا الطَّيِّبَ ، وَلَبَسْنَا اللَّيِّنَ ، وَرَكِبْنَا الْفَارَةَ<sup>(٣)</sup> ، وَأَمْتَطَيْنَا الْعُذْرَاءَ ؛ فَلَمْ يَبْقَ مِنْ لَذَنِي إِلَّا صَدِيقُ أَطْرَحَ بَنِي وَيَيْنَهُ مُؤَنَّةَ التَّحْقُطِ .

١٨٧ - وَقَالَ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ : أَلْعِيشُ كُلُّهُ فِي الْجَلِيسِ الْمُمْتَعِ .

١٨٨ - وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ : تَذَاكُرْنَا الْكَلَامَ فِي مَجْلِسِ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ التَّوْخِيِّ وَحُسْنُهُ ، وَالصَّمْتُ وَنُبْلُهُ ، فَقَالَ : إِنَّمَا يُمْدَحُ السُّكُوتُ بِالْكَلَامِ وَلَا يُمْدَحُ الْكَلَامُ بِالسُّكُوتِ ، وَمَا أَنْبَأَ عَنْ شَيْءٍ فَهُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ .

١٨٩ - وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ : قَالَ رَجُلٌ لِرَجُلٍ : مَا أَحْسَنَ حَدِيثَكَ !

فَقَالَ : إِنَّمَا حَسَنُهُ حُسْنُ إِصْغَائِكَ !

١٩٠ - وَتَحَدَّثَ جَمَاعَةٌ عِنْدَ الْأَوْزَاعِيِّ وَمَعَهُمْ أَعْرَابِيٌّ لَا يَتَكَلَّمُ ، فَقَالُوا لَهُ : أَلَا تُحَدِّثُنَا ! فَقَالَ : إِنَّ الْحَظَّ لِلْمَرْءِ فِي أُذُنِهِ وَإِنَّ الْحَظَّ فِي لِسَانِهِ لِغَيْرِهِ ؛ فَقَالُوا : لَقَدْ أَحْسَنْتَ .

١٩١ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الصَّمْتُ مَنَامُ الْعَقْلِ ، وَالنُّطْقُ يَقْطَعُهُ ، وَلَا مَنَامَ إِلَّا بِقِطْعَةٍ ، وَلَا يَقْطَعُ إِلَّا بِمَنَامٍ .

التَّقْيِيلُ :

١٩٢ - وَمِمَّا يَصِحُّ إِيْرَادُهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عِبْقَرِيَّاتُهُمْ فِي التَّقْيِيلِ ، قَالَ ابْنُ

(١) الْقَمَرُ ، جَمْعُ قَمَرَاءَ ، وَهِيَ : الْمُنِيرَةُ بِنُورِ الْقَمَرِ .

(٢) الْعُفْرُ ، جَمْعُ أَعْفَرٍ ، وَهُوَ : الْكَزْمَلُ الْأَحْمَرُ .

(٣) [الْفَارَةُ مِنَ النَّاسِ : الْمَلِيحُ الْحَسَنُ ، وَمِنَ الدَّوَابِّ : الْجَيْدُ السَّيْرِ] .

الرُّومِيَّ ، وَهُوَ عِنْدِي مِنْ أَوَّلِ مَا قَالُوا فِي هَذَا الْمَعْنَى [من الطويل] :

أَعَانِقُهَا وَالتَّنَفُّسُ بَعْدَ مَشَوْقَةٍ      إِلَيْهَا وَهَلْ بَعْدَ الْعِنَاقِ تَدَانٍ  
وَأَلِثُ فَاهَا كَيْ تَمُوتَ حَرَارَتِي      فَيَشْتَدُّ مَا أَلْقَى مِنَ الْهَيْمَانِ<sup>(١)</sup>  
وَلَمْ يَكْ مِقْدَارُ الَّذِي بِي مِنَ الْجَوَى      لِيَشْفِيَهُ مَا تَرَشَّفُ الشَّفَتَانِ  
كَأَنَّ فُؤَادِي لَيْسَ يَشْفِي غَلِيلُهُ      سِوَى أَنْ يَرَى الرُّوحَانَ يَمْتَزِجَانِ

١٩٣ - وَقَالَ عُمَرُ ابْنُ أَبِي رَيْعَةَ ، وَقِيلَ : جَمِيلٌ بُيِّنَةٌ [من الكامل] :

مَا زِلْتُ أَبْغِي الْحَيَّ أَتَّبِعُ ظِلَّهُمْ      حَتَّى دُفِعْتُ إِلَى رَيْبَةٍ هَوْدَجٍ  
قَالَتْ : وَعَيْشِ أَخِي وَنِعْمَةِ وَالِدِي      لِأَتَّبَهُنَّ الْحَيَّ إِنْ لَمْ تَخْرُجْ<sup>(٢)</sup>  
فَخَرَجْتُ خَوْفَ يَمِينِهَا فَتَبَسَّمتْ      فَعَلِمْتُ أَنَّ يَمِينَهَا لَمْ تَخْرُجْ<sup>(٣)</sup>  
فَتَنَاوَلْتُ رَأْسِي لِتَعْرِفَ مَسَّهُ      بِمُخَضَّبِ الْأَطْرَافِ غَيْرِ مُشْجَعٍ<sup>(٤)</sup>  
فَلِثِمْتُ فَاهَا آخِذَا بِقُرُونِهَا      شَرِبْتُ التَّرْيِيفَ بِزِدِّ مَاءِ الْحَشْرِجِ<sup>(٥)</sup>

١٩٤ - وَقَالَتْ أُمُّ الْبَنِينِ - أُخْتُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَزَوْجُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ - لِعَزَّةَ صَاحِبَةِ كَثِيرٍ : أَخْبِرِينِي عَنْ قَوْلِ كَثِيرٍ [من الطويل] :

- (١) الْهَيْمَانِ : شِدَّةُ الْعَطَشِ ؛ وَلِثِمَ يَلْتَمِسُ ، كَفَرَحَ يَفْرَحُ ، وَلَثِمَ يَلْتَمِسُ كَضَرَبَ يَضْرِبُ : قَبَلَ .
- (٢) وَعَيْشِ أَخِي ... تُزَوَّى : قَالَتْ : وَعَيْشِ أَبِي وَحُرْمَةِ إِخْوَتِي ؛ وَتَزَوَّى : قَالَتْ : وَعَيْشِ أَبِي وَأَكْبَرِ إِخْوَتِي .
- (٣) لَمْ تَخْرُجْ : لَمْ تَضِقْ وَلَمْ تَكُنْ جَادَّةً هِيَ فِي حَلْفِهَا فَلَا تَأْتُمُ إِذَا لَمْ تَبَرَّ بِهَا ؛ وَتَجُوزُ رِوَايَتُهُ : لَمْ تَخْرُجْ ، أَيَّ : لَمْ تُوقِعْهَا فِي الْحَرَجِ وَالْإِثْمِ .
- (٤) غَيْرِ مُشْجَعٍ : غَيْرِ مُتَقَبِّضٍ ، وَالنَّشْجُ : تَقَبُّضُ الْأَصَابِعِ ، وَكَذَا الْجِلْدُ وَغَيْرُهُ .
- (٥) نَصَبَ « شَرِبَ » عَلَى الْمَصْدَرِ الْمُشْتَبِّهِ بِهِ ، لِأَنَّ فِي اللَّثْمِ مَعْنَى انْتِصَاصِ الرَّيْقِ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : شَرِبْتُ رَيْقَهَا شَرِبَ التَّرْيِيفِ مِنْ مَاءِ الْحَشْرِجِ الْبَارِدِ ؛ وَالتَّرْيِيفُ كَالْمَنْزُوفِ ؛ مَنْ عَطَشَ حَتَّى يَسْتَعِزَّ عُرُوقُهُ وَجَفَّ لِسَانُهُ ، أَوْ هُوَ الْمَحْمُومُ الَّذِي مَنَعَ الْمَاءَ ؛ وَالْحَشْرِجُ : الْفُقْرَةُ فِي الْجَبَلِ يَجْتَمِعُ فِيهَا الْمَاءُ فَيَصْفُو ، أَوْ هُوَ كُورٌ صَغِيرٌ لَطِيفٌ ؛ وَالْقُرُونُ : الصَّفَائِرُ .



قَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ فَوْقَى غَرِيمَهُ      وَعَزَّةُ مَمْطُولٌ مُعْنَى غَرِيمُهَا  
أَخْبِرْنِي مَا ذَلِكَ الَّذِينَ ؟ قَالَتْ :      وَعَدْتُهُ قُبْلَةً فَحَرَجْتُ مِنْهَا <sup>(١)</sup> ؛ قَالَتْ أُمُّ  
الْبَيْنِ : أَنْجَزِيهَا وَعَلَيَّ إِنْمَهَا ...

١٩٥ - وَقَالَ الْمُتَنَبِّيُّ [ من البسيط ] :

قَبَّلْتُهَا وَدُمُوعِي مَرْجُ أَعْيُنُهَا      وَقَبَّلْتَنِي عَلَى خَوْفٍ فَمَا لِفَمٍ  
فَذُقْتُ مَاءَ حَيَاةٍ مِنْ مُقْبَلِهَا      لَوْ صَابَ تَرْبًا لِأَخِيَا سَالِفَ الْأُمَمِ  
يَقُولُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي :      إِنَّ رِيقَهَا عَذْبٌ طَيِّبٌ ، فَهُوَ مَاءُ الْحَيَاةِ ، إِذَا ذَاقَهُ  
الْعَاشِقُ حَيَّ بِهِ ، حَتَّى لَوْ وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ لِأَخِيَا الْمَوْتَى مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ ؛  
وَأَوَّلُ هَذَا الْمَعْنَى لِلْأَعْشَى إِذْ يَقُولُ [ من السريع ] :

لَوْ أَسْنَدْتُ مَيْتًا إِلَى نَخْرِهَا      عَاشَ وَلَمْ يُثْقَلْ إِلَى قَابِرِ  
١٩٦ - وَقَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْوَهَّابِ [ بَنُ عَلِيٍّ ] أَلْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٢٢ هـ  
بِمَضَرَ ، أَنْظِرِ « الذَّخِيرَةَ » لِابْنِ بَسَّامٍ [ من الطويل ] :

وَنَائِمَةٍ قَبَّلْتُهَا فَتَبَّهَتْ      وَقَالَتْ : تَعَالَوْا فَاطْلُبُوا اللَّصَّ بِالْحَدِّ  
فَقُلْتُ لَهَا : إِنِّي - فَذَيْتُكَ - غَاصِبٌ      وَمَا حَكَمُوا فِي غَاصِبٍ بِسَوَى الرَّدِّ  
خُذِيهَا وَكُفِّي عَنْ أَثِيمِ ظِلَامَةٍ      وَإِنْ أَنْتِ لَمْ تَرْضِي فَأَلْفَا عَلَى الْعَدِّ  
فَقَالَتْ : قِصَاصٌ يَشْهَدُ الْعَقْلُ أَنَّهُ      عَلَى كَيْدِ الْجَانِي أَلَدُّ مِنَ الشَّهِدِ  
فَبَاتَتْ يَمِينِي وَهِيَ هَمِيَانُ خَضْرُهَا      وَبَاتَتْ يَسَارِي وَهِيَ وَاسِطَةُ الْعَقْدِ  
فَقَالَتْ : أَلَمْ تُخْبِرْ بِأَنَّكَ زَاهِدٌ      فَقُلْتُ : بَلَى مَا زِلْتُ أَرْهَدُ فِي الرُّهْدِ  
١٩٧ - وَقِيلَ لِابْنَةِ الْخُسِّ : مَا أَلَدُّ شَيْءٍ ؟ قَالَتْ : قُبْلَةُ فَتَاةٍ لِفَتَى ،

وَعَيْشِكَ مَا ذُقْتُهَا :

١٩٨ - وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ [هُوَ ابْنُ مَيْدَةَ ، من الطويل] :

وَمَا نِلْتُ مِنْهَا مَحْرَمًا غَيْرَ أَنَّنِي      أَقْبَلُ بَسَامًا مِنَ الثَّغْرِ أَفْلَجَا  
وَأَلِئِمُ فَاهَا تَارَةً بَعْدَ تَارَةٍ      وَأَتْرُكُ حَاجَاتِ الْفُوسِ تَحَرُّجَا

١٩٩ - وَقَالَ بَعْضُ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ لِبُخْتِشُوعَ : مَا أَخَفُّ الثَّقَلِ <sup>(١)</sup> عَلَى  
النَّبِيذِ ؟ فَقَالَ لَهُ : نَقْلُ أَبِي نُوَّاسٍ ؛ فَقَالَ : مَا هُوَ ؟ فَأَنْشَدَهُ [من المنسرح] :

مَالِي فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ مَثَلُ      مَائِي خَمْرٌ وَنَقْلِي الْقَبْلُ  
٢٠٠ - وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ الطُّرَفَاءِ [من البسيط] :

غَضِبْتُ مِنْ قُبْلَةٍ بِالْكُزْهِ جُدْتُ بِهَا      فَهَآكِ قَدْ جِئْتُ فَأَقْتَصِيهِ أَضْعَافَا  
لَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ إِلَّا بِالْقِصَاصِ فَلَا      تَسْتَجِيرِي مَا رَأَى اللَّهُ أَنْصَافَا .. <sup>(٢)</sup>

٢٠١ - وَقَالُوا ، وَهُوَ مِنْ طُرَفِ الشُّعْرَاءِ [من الطويل] :

سَلِ الْمُفْتِيَّ الْمَكِّيَّ هَلْ فِي تَزَاوُرٍ      وَنَظَرَةٍ مُشْتَقِ الْفُؤَادِ جُنَاحُ  
فَقَالَ : مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يُذْهَبَ التَّقَى      تَلَاصُقُ أَكْبَادُ بِهِنَّ جِرَاحُ

٢٠٢ - وَمِثْلُهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ [من الوافر] :

تَلَاصَقْنَا وَلَيْسَ بِنَا فُسُوقُ      وَلَمْ يُرِدِ الْحَرَامَ بِنَا اللَّصُوقُ  
وَلَكِنَّ التَّبَاعُدَ طَالَ حَتَّى      تَوَقَّدَ فِي الضُّلُوعِ لَهُ حَرِيقُ  
فَلَمَّا أَنْ أُتِيحَ لَنَا التَّلَاقِي      تَعَانَقْنَا كَمَا اعْتَنَقَ الصَّدِيقُ

(١) الثَّقَلُ يَفْتَحُ الْكُنُوزَ : مَا يُسْقَلُ بِهِ عَلَى الشَّرَابِ ، مِنْ فُسْتُقٍ وَتَفَاحٍ وَنَحْوِهِمَا .

(٢) تَسْتَجِيرِي مِنَ الْجَوْرِ ، أَلْطَلَمُ .

وَهَلْ حَرَجًا تَرَاهُ أَوْ حَرَجًا مَشُوقٌ ضَمَّهُ كَلِفٌ مَشُوقٌ

\* \* \*

٢٠٣ - وَكَانَ لِهَارُونَ الرَّشِيدِ جَارِيَةٌ غُلَامِيَّةٌ - يَعْنِي وَصِيفَةٌ عَلَى قَدِّ الْغُلَامِ - وَكَانَ الْمَأْمُونُ يَمِيلُ إِلَيْهَا وَهُوَ إِذْ ذَاكَ أَمْرُدٌ ، فَوَقَفَتْ يَوْمًا تَصُبُّ عَلَى يَدِ الرَّشِيدِ مِنْ إِبْرِيقٍ مَعَهَا ، وَالْمَأْمُونُ جَالِسٌ خَلْفَ الرَّشِيدِ ، فَأَشَارَ الْمَأْمُونُ إِلَيْهَا كَأَنَّهُ يَقْبَلُهَا ، فَأَنْكَرْتُ ذَلِكَ بِعَيْنَيْهَا ، وَأَبْطَأْتُ فِي الصَّبِّ عَلَى مِقْدَارِ نَظَرِهَا إِلَى الْمَأْمُونِ وَإِشَارَتِهَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ الرَّشِيدُ : مَا هَذَا ؟ ضَعِي الْإِبْرِيقَ مِنْ يَدِكَ ؛ فَفَعَلْتُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَصْدُقِيْنِي لَأَقْتُلَنَّكَ ؛ فَقَالَتْ : يَا سَيِّدِي ! أَشَارَ إِلَيَّ عَبْدُ اللَّهِ - الْمَأْمُونُ - كَأَنَّهُ يَقْبَلُنِي ، فَأَنْكَرْتُ ذَلِكَ ؛ فَالْتَمَسْتُ إِلَى الْمَأْمُونِ وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ مَيِّتٌ ، لِمَا دَخَلَهُ مِنَ الْجَزَعِ وَالْخَجَلِ ، فَرَحِمَهُ وَضَمَّهُ إِلَيْهِ ، وَقَالَ : يَا عَبْدُ اللَّهِ ! أَتَحِبُّهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَالَ : هِيَ لَكَ ؛ فَمُ فَادْخُلِي فِي تِلْكَ الْقُبَّةِ ؛ فَفَعَلْتُ<sup>(١)</sup> ، ثُمَّ قَالَ : هَلْ قُلْتَ فِي هَذَا الْأَمْرِ شَيْعْرًا ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا سَيِّدِي ؛ ثُمَّ أَنْشَدَ [من المجتث] :

ظَبْيِي كَتَبْتُ بِطَرْفِي	مِنْ الضَّمِيرِ إِلَيْهِ
قَبْلَتْهُ مِنْ بَعِيدٍ	فَأَغْتَلَّ مِنْ شَفَتَيْهِ
وَرَدَّ أَخْبَثَ رَدٍ	بِالْكَسْرِ مِنْ حَاجِيهِ
فَمَا بَرَحْتُ مَكَانِي	حَتَّى قَدِرْتُ عَلَيْهِ

٢٠٤ - وَلَا حِدَ شُعْرَاءَ عَصَرْنَا<sup>(٢)</sup> فِي الْقُبَّةِ [من الرمل] :

(١) يُلَاحِظُ أَنَّ هَذِهِ الْجَارِيَةَ مُلْكُ يَمِينٍ ، فَلَمَّا وَهَبَهَا الرَّشِيدُ إِلَى ابْنِهِ الْمَأْمُونِ صَارَتْ حِلًّا لَهُ كَأَنَّهُا زَوْجَتُهُ .

(٢) هُوَ عَبَّاسٌ مَحْمُودُ الْعَقَادِ .

هِيَ كَأْسٌ مِنْ كُؤُوسِ الْخَالِدِينَ      لَمْ يَشْبَهَا الْمَرْجُ مِنْ مَاءٍ وَطِينٍ  
كُلَّمَا أَفْرَغْتُهَا مُتَشِيئاً      مُلِئَتْ مِنْ كَثْرِ الْخُلْدِ الْمَعِينِ  
وَإِذَا أَمْتَعَكَ الرَّيُّ بِهَا      بَدَأَ الشَّوْقُ إِلَيْهَا وَالْحَيْنِ  
قَدْ شَرِبْنَاهَا مَعاً فِي لَيْلِنَا      فَرَوَيْنَا وَافْتَرَقْنَا ظَامِئِينَ  
وَفِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ شَمَّةٌ مِنْ أَبْيَاتِ ابْنِ الرُّومِيِّ الَّتِي أوردناها آنفاً ، وَهُوَ  
التَّوْلِيدُ ، وَإِنَّمَا الْكَلَامُ مِنَ الْكَلَامِ .

٢٠٥ - وَلِلشَّاعِرِ الْفِرَنْسِيِّ فِي الْقُبْلَةِ ، تَرْجَمَةُ مُصْطَفَى الْمَنْفُلُوطِيِّ :

الْقُبْلَةُ هِيَ الْمِيثَاقُ الَّذِي يُعْطَى عَنْ قُرْبٍ ، وَالْوَعْدُ الصَّادِقُ الَّذِي لَا رِيْبَةَ  
فِيهِ ، وَالْاعْتِرَافُ بِالْحَقِيقَةِ الْوَاقِعَةِ ، وَالنُّقْطَةُ الْمَرْمُوقَةُ تَحْتَ بَاءِ الْحَبِّ ، وَالسَّرُّ  
الْعَمِيقُ الَّذِي يَصِلُ إِلَى الْقَلْبِ مِنْ طَرِيقِ الْفَمِ ، وَاللَّحْظَةُ الْأَبَدِيَّةُ الَّتِي يَقْصُرُ  
زَمْنُهَا وَتَدْوُمُ حَلَاوَتِهَا ، وَأَنْفَاقُ الْخَاطِرَيْنِ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ ، وَالطَّرِيقُ  
الْمُخْتَصَرُ لِاسْتِنْشَاقِ رَائِحَةِ الْقَلْبِ ، وَتَذَوُّقُ طَعْمِ النَّفْسِ عَلَى الشِّفَاهِ ، لَهَا دَوِيُّ  
النَّحْلِ فِي صَوْتِهَا وَمَذَاقُ الْعَسَلِ فِي حَلَاوَتِهَا وَعَبِيرُ الْأَزْهَارِ فِي رَائِحَتِهَا .

٢٠٦ - وَمِمَّا يَتَّصِلُ بِالتَّقْيِيلِ الْعِنَاقُ ...

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِيُّ [من الطويل] :

أَقُولُ - وَقَدْ جَرَّدْتُهَا مِنْ ثِيَابِهَا      وَعَانَقْتُهَا كَالْبَدْرِ فِي لَيْلَةِ التَّمِّ  
لَئِنْ أَلَمْتُ صَدْرِي بِشِدَّةِ ضَمِّهَا      لَقَدْ جَبَرْتُ قَلْبِي وَإِنْ أَوْهَنْتُ عَظْمِي

٢٠٧ - وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ [من الطويل] :

سَقَى اللَّهُ لَيْلًا ضَمَّنَا بَعْدَ فُرْقَةٍ      وَأَذْنَى فُرَاداً مِنْ فُرَادٍ مُعَذِّبِ  
فَبِتْنَا جَمِيعاً لَوْ تُرَاقُ زُجَاجَةٌ      مِنْ الْخَمْرِ فِيمَا بَيْنَنَا لَمْ تَسْرَبِ

٢٠٨ - وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ [من السريع] :

مَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عَلَى الرَّاقِدِ      وَأَهْوَنَ السُّقْمَ عَلَى الْعَائِدِ  
يَفْدِيكَ مَا أَبْقَيْتَ مِنْ مُهْجَتِي      لَسْتُ لِمَا أَوْلَيْتَ بِالْجَاهِدِ  
كَأَنَّيَ عَانَقْتُ رِيحَانَةَ      تَنَفَّسْتُ فِي لَيْلِهَا الْبَارِدِ  
فَلَوْ تَرَانَا فِي قَمِيصِ الدُّجَى      حَسِبْتَنَا مِنْ جَسَدٍ وَاحِدِ

٢٠٩ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ [من مجزوء الكامل] :

يَا لَيْلَةً قُرْنَتْ لَنَا      فِيهَا الْمَارِبُ بِالنَّجَاحِ  
بِتْنَا بِرَغَمٍ وَشَاتِنَا      مُتَعَانِقَيْنِ إِلَى الصَّبَاحِ  
مُتَمَازِجَيْنِ كَأَنَّنا      رُوحَانِ مِنْ مَاءٍ وَرَاحِ  
ظَنَّ الْوُشَاةَ لِفَرْطِ ضَمِّ      يَ أَنْيَ بَعْضُ الْوِشَاحِ

٢١٠ - وَقَالَ الْخُبَزَارِيُّ [من الكامل] :

طَوَّقْتُهُ طَوْقَ الْعِنَاقِ بِسَاعِدِي      وَجَعَلْتُ كَفِّي لِلثَّامِ وَشَاحَا  
هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ فَخَلْنَا      مُتَعَانِقَيْنِ فَمَا نُرِيدُ بَرَاخَا

٢١١ - وَقَالَ بَكْرُ بْنُ خَارِجَةَ [من البسيط] :

رَأَيْتُ شَخْصَكَ فِي نَوْمِي يُعَانِقُنِي      كَمَا تُعَانِقُ لَامَ الْكَاتِبِ الْأَلِفَا  
قَالَ أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ : هَذَا مِنَ الْمَقْلُوبِ ، لِأَنَّ الْأَلِفَ تُعَانِقُ اللَّامَ ،  
قَالَ : وَيَجُوزُ أَنْ يُحْتَجَّ لَهُ بِأَنْ يُقَالَ : الْأَلِفُ لَا تُعَانِقُ اللَّامَ إِلَّا وَاللَّامُ مُعَانِقَةٌ لَهَا .

\* \* \*

الضَّحْكُ :

٢١٢ - وَمِمَّا يَمُتُ إِلَى الْأَفْوَاهِ وَالْثُّغُورِ بِسَبَبِ وَاصِلٍ وَصَفُهُمُ الضَّحْكُ ،

وَأَوَّلَ مَرَاتِيهِ التَّبَسُّمُ ، ثُمَّ الْإِهْلَاسُ ، وَهُوَ إِخْفَاؤُهُ ، قَالَ [ من الرجز ] :

تَضَحُّكَ مِنِّي ضَحِكًا إِهْلَاسًا

أَرَادَ : ذَا إِهْلَاسٍ ، وَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَهُ بَدَلًا مِنْ ضَحِكًا .

ثُمَّ الْإِفْتِرَارُ ، وَهُوَ الضَّحِكُ الْحَسَنُ ، يُقَالُ : أَفْتَرَّ الْمَرْءُ وَأَفْتَرَّتِ الْإِنْسَةُ : إِذَا ضَحِكَ ضَحِكًا حَسَنًا ، وَأَفْتَرَّ فُلَانٌ ضَاحِكًا : إِذَا أَبْدَى أَسْنَانَهُ ، وَفِي صِفَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ : وَيَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمَامِ ، أَيُّ : يَبْتَسِمُ فِي غَيْرِ قَهْقَهَةٍ ؛ وَحَبُّ الْغَمَامِ : الْبَرْدُ ، شُبَّةٌ بَيَاضُ أَسْنَانِهِ بِهِ ؛ ثُمَّ الْقَهْقَهَةُ وَالْقَرْقَرَةُ وَالْكَزْكَرَةُ ، ثُمَّ الْأَسْتِغْرَابُ ، يُقَالُ : أَسْتِغْرَبَ فِي الضَّحِكِ وَأَسْتِغْرَبَ : أَكْثَرَ مِنْهُ ، وَأَغْرَبَ فِي ضَحِكِهِ : أَشَدَّ ضَحِكُهُ وَلَجَّ فِيهِ ، كَأَنَّهُ مِنَ الْغَرَبِ ، وَهُوَ الْبُعْدُ .

وَقَالَ الْفُقَهَاءُ : إِذَا أَسْتِغْرَبَ الرَّجُلُ ضَحِكًا فِي الصَّلَاةِ أَعَادَ الصَّلَاةَ ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَيَزِيدُ عَلَيْهِ إِعَادَةُ الْوُضُوءِ ... ؛ ثُمَّ الطَّخْطَخَةُ ، ثُمَّ الْإِهْزَاقُ وَالزَّهْرَقَةُ ، وَهُوَ أَنْ يَذْهَبَ الضَّحِكُ بِهِ كُلُّ مَذْهَبٍ ...

وَالْمَحْمُودُ مِنَ الضَّحِكِ هُوَ التَّبَسُّمُ الَّذِي يَنْكَشِفُ فِيهِ السِّنُّ وَلَا يُسْمَعُ لَهُ صَوْتُ .

وَكَانَ ضَحِكُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ تَبَسُّمًا ، وَكَانَ ضَحِكُ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ التَّبَسُّمُ .

٢١٣ - وَقَدْ نَهَوْا عَنْ كَثْرَةِ الضَّحِكِ ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَيَّارٍ الْمَعْرُوفُ بِالنَّظَّامِ ، أَحَدُ مَشِيخَةِ الْمُعْتَزِلَةِ : ثَلَاثَةٌ تُخَرِّبُ الْعَقْلَ : طُولُ النَّظَرِ فِي الْمِرَاةِ ، وَكَثْرَةُ الضَّحِكِ ، وَالنَّظَرُ إِلَى التُّجُومِ .

٢١٤ - وَقَالَ ابْنُ سَكْرَةَ الْهَاشِمِيُّ [ من المنسرح ] :

يَا ضَاحِكاً يَسْتَهْلُ مَضْحَكُهُ      عَنْ بَرْدٍ وَاضِحٍ وَعَنْ شَنْبِ  
أَعْطَيْتَنِي قُبْلَةً رَشَفْتُ بِهَا الشَّدَّ      هَدَّ مَشُوباً بِعَبْرَةِ الْعَنْبِ  
كَأَنِّي إِذْ لَثَمْتُ فَاكٌ بِهَا      لَثَمْتُ تَفَاحَةً مِنَ الذَّهَبِ  
وَبَعْدُ ؛ فَالْقَوْلُ عَلَى الضَّحِكِ وَالْوَانِهِ وَفَلَسَفَتِهِ يَطُولُ ، وَلَهُ مَوْضِعٌ هُوَ بِهِ  
الْيَقُ .

تَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ وَوَصْفُ الْأَنَامِلِ :

٢١٥ - أَمَّا تَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ ، أَيِ : قَصُّهَا ، فَهُوَ مُسْتَحَبٌّ ، لِشِنَاعَةِ صُورَتِهَا  
إِذَا طَالَتْ ، وَلَمَّا يَجْتَمِعُ فِيهَا مِنَ الْوَسَخِ ، وَرُبَّمَا أَجْنَبَ الرَّجُلُ ، أَوِ الْمَرْأَةُ فَلَا  
يَصِلُهُ الْمَاءُ فَلَا يَزَالُ جُنْبًا .

٢١٦ - وَكَانَ الْمُصْطَفَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَأْمُرُ الْعَرَبَ بِالتَّقْلِيمِ ، وَيُنْكِرُ  
عَلَيْهِمْ مَا يَرَى تَحْتَ أَظْفَارِهِمْ مِنَ الْوَسَخِ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « قُصُّوا أَظْفَارَكُمْ ،  
وَأَذْفُوا قُلَامَاتِكُمْ ، وَنَقُّوا بَرَاجِمَكُمْ ، وَنَظَّفُوا لِثَانِكُمْ مِنَ الطَّعَامِ ، وَأَسْتَاكُوا ،  
وَلَا تَدْخُلُوا عَلَيَّ قُلْحًا بُخْرًا » <sup>(١)</sup> .

٢١٧ - وَفِي الْحَدِيثِ أَيْضًا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى فَأَوْهَمَ فِي صَلَاتِهِ - أَيِ :  
أَسْقَطَ مِنْ صَلَاتِهِ شَيْئًا وَهَمًّا وَسَهْوًا - فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كَأَنَّكَ قَدْ  
أَوْهَمْتَ ! قَالَ : « وَكَيْفَ لَا أُوهِمُ وَرُفْعُ أَحَدِكُمْ بَيْنَ ظَفْرِهِ وَأُنْمَلَتْهُ ! » [مجمع

الزوائد ، رقم : ٨٨٥٨] .

(١) وَأَذْفُوا قُلَامَاتِكُمْ ، أَيِ : غَيَّبُوا مَا قَطَعْتُمُوهُ مِنَ الْأَظْفَارِ فِي الْأَرْضِ ؛ وَنَقُّوا بَرَاجِمَكُمْ ،  
أَيِ : بِاللِّغْوِ فِي تَنْظِيفِ الْبَرَاجِمِ ، وَهِيَ الْعِقْدُ الَّتِي فِي ظُهُورِ الْأَصَابِعِ يَجْتَمِعُ فِيهَا الْوَسَخُ ؛  
وَالْقُلْحُ : صُفْرَةٌ فِي الْأَسْنَانِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ [رقم : ١٦١] ؛ وَالْبَخْرُ : نَتْنُ الْفَمِ .

الرُّفْعُ : مَا بَيْنَ الْأُنْثَيْنِ ، وَكُلُّ مَا ثَبِتَ عَلَيْهِ فَخِذَكَ مِمَّا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَجْتَمَعَ فِيهِ الْوَسْخُ وَالْعَرَقُ .

وَالْمَعْنَى : إِنَّ أَحَدَكُمْ يَحْكُ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ مِنْ جَسَدِهِ فَيَعْلَقُ دَرْنُهُ وَوَسْخُهُ بِأَصَابِعِهِ ، فَيَبْقَى بَيْنَ الظُّفْرِ وَالْأَنْمَلَةِ ، وَإِنَّمَا أَنْكَرَ مِنْ هَذَا طَوْلَ الْأَظْفَارِ وَتَرَكَ قَصَّهَا حَتَّى تَطُولَ .

٢١٨ - فَلْيَعْتَبِرْ بِهِذَا نِسَاؤُنَا وَفَتَيَاتُنَا وَرِجَالُنَا الَّذِينَ شَاعَتْ فِيهِمْ الْيَوْمَ بَذْعَةُ تَرْكِ الْأَظْفَارِ ، وَلَسْتُ أَذْرِي وَلَا أَلْمَجِّمُ أَيَّ هَدَفٍ يَتَرَامُونَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ ! هَلْ يُرِيدُ نِسَاؤُنَا ذَوَاتُ الْأَظْفَارِ الطَّوِيلَةِ أَنْ يُحَقِّقْنَ بِذَلِكَ ظَنَّ الرِّجَالِ بِهِنَّ ، وَهُوَ أَنَّهُنَّ كَالسَّنَانِيرِ مَخْبَرًا ، فَأَبَيْنَ إِلَّا أَنْ يَكُنَّ كَالسَّنَانِيرِ مُنْظَرًا ! نَعَمْ ، وَإِنَّ تَرْكَ الْأَظْفَارِ إِنْ هُوَ إِلَّا اعْتِرَافٌ مِنْهُنَّ بِأَنَّ تَشْبِيهَهُنَّ بِالسَّنَانِيرِ قَدْ أَصَابَ الْمَحَزَّ وَطَبَّقَ الْمِفْصَلَ ، فَالَسُّورُ مَهْمَا أَكْرَمْتَهُ وَحَنَوْتَ عَلَيْهِ وَأَغْدَقْتَ مِنْ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ يَأْبَى إِلَّا أَنْ يَخُونَكَ إِذَا مَا وَاتَتْهُ الْفُرْصَةُ ، وَهَكَذَا النِّسَاءُ ، وَلَا سِيَّمَا نِسَاءَ الْيَوْمِ ذَوَاتُ الْمَخَالِبِ السُّورِيَّةِ . . أَيْتُهَا الْإِنْسَاتُ وَالسَّيِّدَاتُ اللَّائِي يَتُرَكَّنُ أَظْفِيرُهُنَّ طَوِيلَاتٍ لَتَسْمَخَنَّ لِي فِي أَنْ أُصَارِحَكُنَّ بِأَنَّكُنَّ بِهِذِهِ الْبَذْعَةِ سَخِيفَاتُ فَاسِدَاتُ الدُّوقِ . . . وَقَدْ ظَلَمْتُنَّ بِذَلِكَ أَنْفُسَكُنَّ .

٢١٩ - وَمِمَّا اسْتَحْسَنُوهُ تَطْرِيفُ الْأَنَامِلِ بِالْحُمْرَةِ وَالسَّوَادِ<sup>(١)</sup> ، وَقَدْ حَضُّوا عَلَى ذَلِكَ كَمَا حَضُّوا عَلَى الْخِضَابِ بِخَوِ الْحِثَاءِ ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْحَضُّ عَلَى ذَلِكَ ، وَرَوِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى امْرَأَةً لَا تَخْتَضِبُ وَقَدْ جَاوَزَتْ السَّبْعِينَ ، فَقَالَ : « لَا تَدْعُ إِحْدَاكُنَّ يَدَهَا كَأَنَّهَا يَدُ رَجُلٍ » فَمَا زَالَتْ تَخْتَضِبُ

(١) يُقَالُ : طَرَفَتِ الْفَتَاةُ بَنَانَهَا : إِذَا خَضَّبَتْ أَطْرَافَ أَصَابِعِهَا بِمِثْلِ الْحِثَاءِ كَمَا يَفْعَلُ نِسَاؤُنَا الْيَوْمَ بِالْمَانِيكِيرِ [طِلَاءِ الْأَظْفَارِ] .



حَتَّى مَاتَتْ . [الجامع لأحكام القرآن ، تفسير الآية : ١١٩ من سورة النساء] .

٢٢٠ - وَرَوِيَ أَيْضاً أَنَّ أَمْرَأَةً أَنْتِ النَّبِيِّ ﷺ تُبَايِعُهُ وَلَمْ تَكُنْ مُخْتَصِبَةً ، فَلَمْ

يُبَايِعَهَا حَتَّى اخْتَصَبَتْ [مجمع الزوائد ، رقم : ٨٨٨٢] .

٢٢١ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ : رَأَيْتُ قَيْنَةً خَضَبَتْ يَدَهَا بِالْحُمْرَةِ ، وَنَقَشَتْ فِيهِ

بِالسَّوَادِ هَذَا الْبَيْتَ [من الخفيف] :

لَيْسَ حُسْنُ الْخِضَابِ زَيْنَ كَفِّي حُسْنُ كَفِّي مُزَيْنٌ لِلْخِضَابِ

٢٢٢ - وَقَدْ وَصَفَ الشُّعْرَاءُ الْخِضَابَ وَتَطْرِيفَ الْأَنَامِلِ وَتَغَزُّلُوا ، وَمِنْ

قَدِيمِ ذَلِكَ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ [من الطويل] :

وَتَغْطُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَنِ كَأَنَّهُ أَسَارِيعُ ظَنِّي أَوْ مَسَاوِيكَ إِسْجَلِ

تَعْطُو : تَتَنَاوَلُ ؛ وَرَخْصٍ : لَيِّنٍ نَاعِمٍ ؛ وَالشَّنُّ : الْغَلِيظُ الْجَافِي ؛

يَقُولُ : إِنَّ أَنَامِلَهَا لَيْسَتْ كَذَلِكَ ؛ وَالْأَسَارِيعُ جَمْعُ أُسْرُوعٍ : دَوْدٌ يَبِضُ

الْأَجْسَادِ ، حُمْرُ الرُّؤُوسِ ، شَدِيدُ الْغَضَاظَةِ وَالنُّعُومَةِ ، فَشَبَّهَهَا بِهَا لِيَبَاضِهَا

وَنُعُومَتِهَا ، وَقَدْ يَكُونُ أَشَارَ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَنَامِلَ قَدْ طُرِفَتْ بِالْحُمْرَةِ كَأَنَّهَا رُؤُوسُ

تِلْكَ الْأَسَارِيعِ ؛ وَظَنِّي : مَوْضِعٌ مَعْرُوفٌ ، وَهَذِهِ الْأَسَارِيعُ هِيَ بَنَاتُ النَّقَا الَّتِي

قَالَ فِيهَا ذُو الرُّمَّةِ يَصِفُ بَنَاتَ الْعَذَارَى [من الطويل] :

خَرَاعِيبُ أَمْلُودُ كَأَنَّ بَنَانَهَا بَنَاتُ النَّقَا تَخْفَى مِرَاراً وَتَظْهَرُ<sup>(١)</sup>

(١) الْخُرُوعُوبُ : كُلُّ لَيِّنٍ يَشْتَنِي مِنْ قَضِيبٍ وَنَحْوِهِ ، وَالْخُرُوعُوبَةُ مِنَ النِّسَاءِ : الشَّابَّةُ الْحَسَنَةُ

الْجَسِيمَةُ فِي قَوَامِ كَأَنَّهَا خُرُوعُوبَةٌ مِنْ خَرَاعِيبِ الْأَغْصَانِ مِنْ نَبَاتِ سِتِّهَا ، أَيْ : الْحَدِيثُ

النَّبَاتِ الَّذِي لَمْ يَشْتَدْ ؛ وَالْأَمْلُودُ : النَّاعِمُ ؛ وَقَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ [من الطويل] :

نَذَكَّرْنِي مِيَامِنُ الظَّنْبِيِّ عَيْنَهُ مِرَاراً وَفَاهَا الْأَقْحُوَانُ الْمُنَوَّرُ

وَفِي الْمِرْطِ مِنْ مَيِّ ثَوَالِي ضَرِيمَةٍ وَفِي الطُّوقِ ظَنِّي وَاضِحُ الْجِدِّ أَحْوَرُ=

وَالْإِسْحَلُ : شَجَرٌ يُشْبِهُ الْأَثْلَ تَتَّخِذُ مِنْهُ الْمَسَاوِيكُ ، فَشَبَّهَ الْبَنَانُ بِمَسَاوِيكِهِ  
لِلطَّافَتِهَا وَأَسْتَوَّاهَا ، وَفِي هَذِهِ الْمَسَاوِيكِ يَقُولُ ذُو الرُّمَّةِ وَذَكَرَ الْبَنَانُ [من  
الطويل] :

جَرَى الْإِسْحَلُ الْأَخْوَى بِرَخْصٍ مُخَضَّبٍ عَلَى الْغُرِّ مِنْ أَنْيَابِهَا فَهِيَ نَضْعُ  
وَقَالَ ابْنُ رَشِيْقٍ : تَشْبِيهُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ الْأَنَامِلَ الْمَخْضُوبَةَ بِالْأَسَارِيْعِ مِنْ  
أَبْدَعِ التَّشْبِيهَاتِ ، إِذْ هِيَ كَأَحْسَنِ الْبَنَانِ لِينًا وَبَيَاضًا وَطُولًا وَأَسْتَوَاءً ، غَيْرَ أَنَّ  
نَفْسَ الْحَضَرِيِّ الْمُؤَلَّدِ إِذَا سَمِعَتْ قَوْلَ أَبِي نُوَّاسٍ فِي ذِكْرِ الْكَأْسِ [من الطويل] :  
تُعَاطِيكَهَا كَفْتُ كَأَنَّ بَنَانَهَا إِذَا أَعْتَرَضَتْهَا الْعَيْنُ صَفْتُ مَدَارِي<sup>(١)</sup>  
أَوْ قَوْلَ ابْنِ الرُّومِيِّ [من الطويل] :

سَقَى اللَّهُ قَضْرًا بِالرُّصَافَةِ شَاقِنِي بِأَعْلَاهُ قَضْرِي الدَّلَالِ رُصَافِي  
أَشَارَ بِقُضْبَانٍ مِنَ الدَّرِّ قُمِعَتْ يَوَاقِيْتُ حُمْرًا فَاسْتَبَاحَ عَفَافِي  
أَوْ قَوْلَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ [من الطويل] :

أَشَارَتْ بِأَطْرَافِ رِطَابٍ كَأَنَّهَا أُنَاسِيبُ دُرٍّ قُمِعَتْ بِعَقِيْقٍ  
وَقَالَتْ : كَلَّاكَ اللَّهُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ مَكَائِكَ مِنْ قَلْبِي مَكَانُ شَقِيْقٍ  
كَانَ ذَلِكَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ تَشْبِيهِ الْبَنَانِ بِالدُّودِ فِي بَيْتِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ ، وَإِنْ

= وَفِي الْعِلَاجِ مِنْهَا وَالْدَّمَالِيْجُ وَالْبُرَى قَنَاءٌ مَالِيٌّ لِلْعَيْنِ رِيَانٌ عَنْهُرُ  
وَفَاهَا ، أَيْ : وَيَذَكِّرُنِي الْأَفْخُوَانُ فَاهَا ؛ وَتَوَالِي ضَرْبَةٌ ، أَيْ : مَاخِيْرُهَا ؛ وَالضَّرِيْمُ :  
الْفَرَادَى مِنَ الرَّمْلِ ؛ وَالْقَنَاءُ هُنَا : الْأَوْصَالُ التَّوَامُ لِمَا عَلَيْهَا مِنَ اللَّحْمِ ؛ وَعَبْهَرُ : يَمْلَأُ عَيْنَ  
النَّاظِرِ إِلَيْهِ لِحُسْنِهِ ، فَلَا يَدْعُ فِي الْأَطْرَفِ فَضْلًا إِلَّا اسْتَغْرَفَهُ لِأَنَّهُ لَا يَرَى عَابًا .  
(١) الْمَدَارِي ، جَمْعٌ مِدْرَى : شَيْءٌ يُعْمَلُ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ خَشَبٍ عَلَى شَكْلِ سِنٍّ مِنْ أَسْنَانِ الْمُشْطِ  
وَأَطْوَلُ مِنْهُ ، يُسْرَحُ بِهِ الشَّعْرُ الْمُتَلَبِّدُ ، وَيَسْتَعْمَلُهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مُشْطٌ ، أَوْ هُوَ الْمُشْطُ .

كَانَ تَشْبِيهُهُ أَشَدَّ إِصَابَةً .

٢٢٣ - وَقَالَ النَّابِغَةُ [الذُّبْيَانِيُّ ، من الطويل] :

بِمُخَضَّبٍ رَخِصٍ كَأَنَّ بَنَانَهُ عَنَمٌ عَلَى أَغْصَانِهِ لَمْ يَعْقِدِ  
العَنَمُ : ضَرَبٌ مِنَ الشَّجَرِ لَهُ نُورٌ أَحْمَرٌ ، وَقَالَ ابْنُ بَرِّي : الْعَنَمُ : ثَمَرُ  
الْعُوسَجِ ، يَكُونُ أَحْمَرَ ، ثُمَّ يَسْوَدُ إِذَا نَضِجَ وَعَقَدَ ؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّابِغَةُ : لَمْ  
يَعْقِدْ ، يُرِيدُ : لَمْ يُدْرِكْ بَعْدُ .

٢٢٤ - وَقَالَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ [من البسيط] :

وَالْمَسْنِي وَكَدْجَدَ الْوَدَاعِ بِنَا كَمَا تَشِيرُ بِقُضْبَانٍ مِنَ الْعَنَمِ  
٢٢٥ - وَمِنْ بَدِيعِ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ عُكَّاشَةَ الْعَمِّيِّ فِي قَيْنَةٍ (١) [من

الكامل] :

قُمْ فَأَسْقِنِي مِنْ قَهْوَةٍ أَكْوَابَا تَدْعُ الصَّحِيحَ بِعَقْلِهِ مُرْتَابَا  
مِنْ كَفٍّ جَارِيَةٍ كَأَنَّ بَنَانَهَا مِنْ فِضَّةٍ قَدْ طُرِفَتْ عُثَابَا  
وَكَأَنَّ يُمْنَاهَا إِذَا نَطَقَتْ بِهِ تُلْقِي عَلَى يَدِهَا الشُّمَالِ حِسَابَا

٢٢٦ - وَلَا بَيْنَ الْمُعْتَزِّ فِي التَّطَارِيفِ الشُّوَدِ [من الطويل] :

وَكَفٌّ كَأَنَّ الشُّمُسَ بَنَانَهَا إِلَى اللَّيْلِ تَجْلُوهُ فَقَمَعَهَا اللَّيْلُ (٢)

(١) هُوَ عُكَّاشَةُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ مِنْ أَهْلِ الْبُصْرَةِ مِنْ بَنِي الْعَمِّ ، وَهُوَ شَاعِرٌ مُقِلٌّ مِنْ شُعَرَاءِ الدَّوْلَةِ  
الْهَاشِمِيَّةِ .

(٢) يُقَالُ : قَمَعَتِ الْمَرْأَةُ بَنَانَهَا بِالْحِجَاءِ وَنَحْوِهِ : إِذَا خَضَّبَتْ بِهِ أَطْرَافَهَا فَصَارَ لَهَا كَالْقَمْعِ ، وَهُوَ  
مَا التَّرَفُّقُ بِأَسْفَلِ الثَّمَرِ وَنَحْوِهِ ، وَأَنْشَدُوا [من الخفيف] :

لَطَمَتْ وَرَدَ خَدَّهَا بَيْنَانٍ مِنْ لُجَيْنٍ قُمْعَنَ بِالْعُقَيْانِ  
شَبَّ حُمْرَةَ الْحِجَاءِ عَلَى الْبَنَانِ بِحُمْرَةِ الْعُقَيْانِ ، وَهُوَ اللَّذْهَبُ ؛ وَيُرْوَى بِدَلِّ «فَقَمَعَهَا» : فَقَبَّلَهَا .

٢٢٧ - وَلِيَعْضِيَهُمْ [من الوافر] :

وَحَوْرَاءُ اللَّوَا حِظِّ بَيْنَ قَلْبِي      وَبَيْنَ جُفُونِهَا حَرْبُ الْبُسُوسِ  
تَرَى مَاءَ التَّعِيمِ يَجُولُ فِيهَا      كَمِثْلِ الْخَمْرِ فِي صَافِي الْكُؤُوسِ  
كَأَنَّ بَنَانَهَا أَفْلَامُ عَاجٍ      مُرْصَعَةُ الرُّؤُوسِ بِأَبْسُوسِ

٢٢٨ - وَلَا حِدَ الْأَنْدَلِيسِيِّنَ [من الكامل] :

خَضَبْتُ أَنَامِلَهَا السَّوَادَ وَقَلَمًا      أَبْصَرْتُ أَفْلَامًا بِغَيْرِ مِدَادٍ  
٢٢٩ - وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ [من المديد] :

أَثْمَرْتُ أَغْصَانُ رَاحَتِهَا      لِحَنَاءِ الْحُشْنِ عُنَابَا  
٢٣٠ - وَقَالَ دَعِيبُ يَهْجُو [من المنسرح] :

كَأَنَّمَا كَفَّهَا إِذَا أَخْضَبْتُ      مِخْلَبُ بَارٍ قَدْ ضُرِّجَتْ بِدَمٍ  
٢٣١ - نَعُودُ إِلَى التَّطْرِيفِ وَالْخِضَابِ ، قَالَ أَبُو نَوَاسٍ [من السريع] :

يَا قَمْرًا أَبْصَرْتُ فِي مَأْتَمٍ      يَنْدُبُ شَجَوًا يَبْنِ أَثْرَابِ  
يَبْكِي فَيُذِرِي الْبُذْرَ مِنْ نَزْجِسٍ      وَيَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعُنَابِ  
أَبْرَزَهُ الْمَأْتَمُ وَلَّى كَارِهَاً      بِرَغَمِ دَابَاتٍ وَحُجَابِ  
لَا تَبْكُ مَيْتًا حَلَّ فِي رَمْسِهِ      وَأَبْكُ قَيْلًا لَكَ بِأَلْبَابِ

٢٣٢ - وَقَالَ دِيكَ الْجَنْ ، [من البسيط] :

وَدَعَتْهَا لِفِرَاقٍ فَاشْتَكَّتْ كَبْدِي      وَشَبَكَّتْ يَدَهَا مِنْ لَوْعَةِ يَدِي  
وَحَازَرْتُ أَعْيُنَ الْوَاشِينَ وَأَنْصَرَفْتُ      تَعْضُ مِنْ غِيْظِهَا الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ  
فَكَانَ أَوَّلُ عَهْدِ الْعَيْنِ يَوْمَ نَأَتْ      بِالذَّمْعِ آخِرَ عَهْدِ الْقَلْبِ بِالْجَلْدِ

٢٣٣ - وَقَالَ النَّاسِيُّ [من الطويل] :

لَنَا قَيْنَةٌ تَزْنُو بِنَاظِرَتَيْنِ      بِمَا فِي قُلُوبِ النَّاسِ عَالِمَتَيْنِ  
تَخَالُ تَطَارِيفَ الْخَضَابِ بِكَفِّهَا      فُصُوصَ عَقِيقٍ فَوْقَ قُضْبٍ لُجَيْنِ

٢٣٤ - وَالْبَيْتُ الْمَشْهُورُ لِلْوَأَاءِ الدَّمَشْقِيِّ مِنْ شُعْرَاءِ « الْيَتِيمَةِ » [من البسيط] :

وَأَسْبَلْتُ لَوْلُؤًا مِنْ نَزْجِسٍ وَسَقَتْ      وَرَدًّا وَعَصَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ  
مِنْ أَجْمَعَ بَيْتٍ قِيلَ ، وَقَبْلُهُ :

قَالَتْ - وَقَدْ فَتَكَتْ فِينَا لَوَاحِظُهَا :      مَا إِنْ أَرَى لِقَتِيلِ الْحُبِّ مِنْ قَوْدِ  
فَأَسْبَلْتُ ..... البيت

وَيُرَوَّى : فَأَمْطَرَتْ .....

إِنْسِيَّةٌ لَوْ بَدَتْ لِلشَّمْسِ مَا طَلَعَتْ      مِنْ بَعْدِ رُؤْيَيْهَا يَوْمًا عَلَى أَحَدِ

\* \* \*

الْكُحْلُ وَوَضْفُهُمُ الْعُيُونُ :

٢٣٥ - وَأَمَّا الْكُحْلُ وَالْعِنَايَةُ بِالْعَيْنِ فَقَدْ رَوَوْا أَنَّ أَمْرَأَةً دَخَلَتْ عَلَى عَائِشَةَ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَسَأَلَهَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ عَنْهَا ؟ فَقَالَتْ : هِيَ فُلَانَةُ زَوْجَةُ  
فُلَانٍ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « إِنِّي لَا أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ الْمَرْأَةُ مَرْهَاءً » .

الْمَرْهَاءُ : الْمَرْأَةُ الَّتِي لَا تَكْتَحِلُ ؛ وَالْمَرَّةُ : مَرَضٌ فِي الْعَيْنِ لِتَرْكِ  
الْكُحْلِ .

٢٣٦ - وَقَدْ وَرَدَ الْحَضُّ عَلَى التَّكْحُلِ بِالْإِنْمِدِ<sup>(١)</sup> فِي غَيْرِ مَا حَدِيثٍ ، وَقَالَ

(١) الْإِنْمِدُ : حَجَرٌ يُكْتَحَلُ بِهِ ، وَهُوَ أَسْوَدُ إِلَى الْخُمْرَةِ ، يَعْرِفُهُ عُلَمَاءُ الْكِيمْيَاءِ بِاسْمِ « أَنْتِيمُون » =

فِيهِ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّهُ خَيْرُ أَكْحَالِكُمْ ، يَجْلُو الْبَصَرَ ، وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ » .

٢٣٧ - وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ لِابْنَتِهِ حِينَ إِهْدَائِهَا عَلَى زَوْجِهَا : عَلَيْكِ بِالزَّيْنَةِ ، وَأَعْلَمِي أَنَّ أَزَيْنَ الزَّيْنَةِ الْكُحْلُ ، وَأَطْيَبَ الطَّيْبِ الْمَاءُ .

\* \* \*

٢٣٨ - وَمِنْ أَوْصَافِ الْعَيْنِ الْمُسْتَحْسَنَةِ : « الْكَحْلُ » ، وَهُوَ : أَسْوَدَادُ الْحَدَقَةِ مِنْ غَيْرِ كُحْلِ حَتَّى كَانَتْهَا قَدْ كَحَلَتْ ، وَ [من البسيط] :

لَيْسَ التَّكْحُلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحْلِ<sup>(١)</sup>

٢٣٩ - وَ « الْحَوْرُ » وَهُوَ شِدَّةُ أَسْوَدَادِ الْعَيْنِ مَعَ شِدَّةِ أَبِيضَاضِ بَيَاضِهَا ، وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو ابْنُ الْعَلَاءِ : الْحَوْرُ : أَنْ تَسْوَدَّ الْعَيْنُ كُلُّهَا مِثْلَ أَغْنِ الطَّبَّاءِ وَالْبَقَرِ ، وَلَيْسَ فِي بَنِي آدَمَ حَوْرٌ ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلنِّسَاءِ : حَوْرٌ أَلْعَيْنِ لِأَنَّهُنَّ شُبُهْنَ بِالطَّبَّاءِ وَالْبَقَرِ .

٢٤٠ - وَ « الدَّعْجُ » وَهُوَ شِدَّةُ سَوَادِ الْعَيْنِ مَعَ سَعَةِ الْمُقْلَةِ .

٢٤١ - وَ « النَّجْلُ » وَهُوَ سَعَةُ الْعَيْنِ مَعَ حُسْنِهَا ، يُقَالُ : عَيْنٌ نَجْلَاءُ .

٢٤٢ - وَ « الْوُطْفُ » وَهُوَ طَوْلُ أَشْفَارِ الْعَيْنِ ، وَجَاءَ فِي صِفَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ : أَنَّهُ كَانَ فِي أَشْفَارِهِ وَطْفٌ ، يَعْنِي : إِنَّهُ كَانَ فِي هُدْبِ عَيْنَيْهِ طَوْلٌ .

٢٤٣ - وَمِنْ أَوْصَافِ الْعَيْنِ الْمُسْتَحْسَنَةِ : الْفُتُورُ ، وَهُوَ أَنْكَسَارُ النَّظَرِ وَذُبُولُهُ فِي أَصْلِ الْخَلْقَةِ ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى وَصْفِهِمُ الْعَيْنَ بِالْمَرَضِ وَالسَّقَمِ ، قَالَ جَرِيرٌ [من البسيط] :

= Antimoine ، مَعْدِنُهُ بِأَصْبَهَانَ ، وَلَيْسَ فِي مَذَاهِبِ الْعَرَبِ مَا يَجْلُو الْعَيْنَ وَيَذْهَبُ بِأَفْدَائِهَا مِثْلُهُ .  
(١) لِلْمُسْتَبِيِّ .

إِنَّ أَلْعُيُونَ أَلَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَ قَتَلَانَا<sup>(١)</sup>  
يَصْرَعْنَ ذَا أَلَلْبُ حَتَّى لَا حِرَاكَ بِهِ وَهْنٌ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا  
وَقَالَ مَرْوَانُ ابْنُ أَبِي حَفْصَةَ [من الكامل] :

إِنَّ أَلْعَوَانِي طَالَمَا قَتَلْتَنَا بِعُيُونِهِنَّ وَلَا يَدَيْنَ قَتِيلًا  
مِنْ كُلِّ آنَسَةٍ كَأَنَّ حِجَالَهَا ضُمَّنَّ أَحْوَرَ فِي الْكِنَاسِ كَحِيلًا  
أَرْدَيْنَ عُزْوَةً وَالْمَرْقَشَ قَبْلَهُ كُلُّ أَصِيبٍ وَمَا أَطَاقَ ذُهُولًا  
وَلَقَدْ تَرَكْنِ أَبَا ذُوَيْبٍ هَائِمًا وَلَقَدْ تَبَلَّنْ كَثِيرًا وَجَمِيلًا  
وَتَرَكْنِ لَابِنِ أَبِي رَيْبَعَةَ مَنْطِقًا فِيهِنَّ أَصْبَحَ سَائِرًا مَحْمُولًا  
إِلَّا أَكُنْ مِمَّنْ قَتَلْنَ فَإِنِّي مِمَّنْ تَرَكْنِ فَوَادَهُ مَحْبُولًا  
لَا يَدَيْنَ : وَلَا يُعْطِينَ دِيَّةَ مَنْ قَتَلْتَهُ ، يُقَالُ : وَدَيْتُ الْقَتِيلَ أَدِيهِ وَدِيًا :  
أَعْطَيْتُ دِيَّتَهُ ، وَالْحِجَالُ جَمْعُ حَجَلَةٍ ، وَهِيَ : بَيْتٌ كَالْقُبَّةِ يُسْتَرُ بِالْثِيَابِ ،  
وَتُجْمَعُ عَلَى حَجَلٍ أَيْضًا ، قَالَ [من الطويل] :

وَبِالْحَجَلِ الْمَقْصُورِ خَلْفَ ظَهْرِنَا نَوَاشِيءُ كَالْغَزْلَانِ نُجَلُّ عُيُونُهَا  
وَيُقَالُ : ضَمَنْتُ الشَّيْءَ الشَّيْءَ : أَوْدَعْتَهُ إِيَّاهُ كَمَا تُودَعُ أَلْوَعَاءُ الْمَتَاعِ ،  
وَكُلُّ شَيْءٍ أُخْرِزَ فِيهِ شَيْءٌ فَقَدْ ضُمَّنُهُ ؛ وَأَحْوَرُ : يَعْنِي ظَنِيًّا ، وَالْحَوْرُ فِي  
الْعَيْنِ : شِدَّةُ سَوَادِ سَوَادِهَا وَشِدَّةُ بَيَاضِ بَيَاضِهَا ، أَوْ تَقُولُ : هُوَ نَقَاءُ الْبَيَاضِ  
وَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَّضِحُ السَّوَادُ ؛ وَالْكِنَاسُ : حَيْثُ تَكْنِسُ الْبَقَرَةُ الْوَحْشِيَّةُ وَالظَّبْيَةُ ،  
وَهُوَ أَنْ تَتَّخِذَ فِي الشَّجَرَةِ الْعَادِيَّةِ ( الْقَدِيمَةِ ) كَالْبَيْتِ نَاوِي إِلَيْهِ وَتَبْعُرُ فِيهِ ،  
فَيُقَالُ : إِنَّ رَائِحَتَهُ أَطْيَبُ رَائِحَةِ لَطِيبٍ مَا تَرَعَى ؛ وَأَرْدَيْنَ : أَهْلَكْنِ ؛

(١) أَنْظُرْ « وَضَفُّهُنَّ بِأَنَّهُنَّ يَغْلَيْنَ الرِّجَالَ » [ أنظر رقم : ٨٠٥ وما بعده ] .

وَالرَّدَى : الْهَلَاكُ ؛ وَعُرْوَةُ هُوَ عُرْوَةُ بَنِي حِزَامٍ وَصَاحِبَتُهُ عَفْرَاءٌ ؛ وَالْمُرْقَشُ هُوَ الْمُرْقَشُ الْأَكْبَرُ [ عَوْفُ بْنُ سَعْدٍ ] ، وَصَاحِبَتُهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمِّهِ ؛ وَالْمُرْقَشُ الْأَصْغَرُ [ رَيْبَعَةُ بْنُ سُفْيَانَ ] هُوَ ابْنُ أَخِي الْأَكْبَرِ ، وَصَاحِبَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْمَلِكِ الْمُنْدَرِ ؛ وَالذُّهُولُ : الْإِنْصِرَافُ ، يُقَالُ : ذَهَلَ عَنْ كَذَا : إِذَا أَنْصَرَفَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ ؛ وَأَبُو ذُوَيْبٍ الْهَذَلِيُّ [ خُوَيْلِدُ بْنُ خَالِدٍ ] مَاتَ عِشْقًا بِصَاحِبَتِهِ أُمِّ عَمْرٍو ؛ وَقَوْلُهُ : وَلَقَدْ تَبَلَّنْ كَثِيرًا ، فَأَصْلُ التَّبَلِّ : الْعِدَاوَةُ وَالْحِقْدُ وَالتَّرَةُ - الثَّارُ - يُطْلَبُ بِهَا ، وَتَبَلَّتِ الْمَرْأَةُ فَوَادَ الرَّجُلِ كَأَنَّمَا أَصَابَتْهُ بِتَبَلٍّ ، وَالْمُرَادُ هُنَا : أَنَّ يُسْقِمَ الْهَوَى الْإِنْسَانَ وَيُفْسِدُهُ ؛ وَكَثِيرٌ عَزَّةٌ ؛ وَجَمِيلٌ هُوَ صَاحِبُ بُيُوتَةٍ ؛ وَابْنُ أَبِي رَيْبَعَةٍ هُوَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَيْبَعَةٍ وَصَافٍ رَبَّاتِ الْحِجَالِ ؛ وَمَخْبُولًا : مُصَابًا بِالْخَبَلِ ، وَهُوَ : لَوْنٌ مِنَ الْجُنُونِ .

٢٤٤ - وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ [ مِنَ الطَّوِيلِ ] :

ضَعِيفَةٌ كَرَّ الطَّرْفِ تَحْسِبُ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ عَهْدٍ بِالْإِفَاقَةِ مِنْ سُقْمٍ

٢٤٥ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ ، وَيُقَالُ : إِنَّهَا لِلْمُعِزِّ لِدِينِ اللَّهِ الْفَاطِمِيَّ أَوَّلِ الْخُلَفَاءِ

الْفَاطِمِيِّينَ <sup>(١)</sup> بِمَضَرٍّ . . . [ مِنَ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ ] :

لِلَّهِ مَا صَنَعْتَ بِنَا تِلْكَ الْمَحَاجِرُ فِي الْمَعَاجِرِ <sup>(٢)</sup>

(١) وَكَانَ الْمُعِزُّ هَذَا أَدِيبًا شَاعِرًا ، وَهُوَ الْقَائِلُ [ مِنَ الْخَفِيفِ ] :

أَطْلَعَ الْحُسْنَ مِنْ جَبِينِكَ شَمْسًا فَوْقَ وَرْدٍ فِي وَجْتَيْنِكَ أَظْلًا  
وَكَانَ الْجَمَالَ خَافَ عَلَى الْوَرْدِ دَجَفَا فَمَدَّ بِالشَّعْرِ ظِلًّا

(٢) الْمُرَادُ بِالْمَحَاجِرِ هُنَا : الْعُيُونُ ، جَمْعُ مَحْجَرٍ ، وَهُوَ أَيْضًا : مَا دَارَ بِالْعَيْنِ وَبَدَأَ مِنَ الْبَرْقِعِ مِنْ جَمِيعِ الْعَيْنِ ، وَهُوَ أَيْضًا : مَا دَارَ بِالْعَيْنِ مِنَ الْعَظَمِ الَّذِي فِي أَسْفَلِ الْجَفْنِ ؛ وَالْمَعَاجِرُ جَمْعُ مِعْجَرٍ ، وَهُوَ ثَوْبٌ تَلْفَهُ الْمَرْأَةُ عَلَى اسْتِدَارَةِ رَأْسِهَا ، ثُمَّ تُجَلِّبُ فَوْقَهُ بِجِلْبَابِهَا - خِمَارِهَا - وَمِنْهُ أُخِذَ أَلَا عَتَجَارُ ، وَهُوَ لَوْنٌ الثَّوْبِ عَلَى الرَّأْسِ مِنْ غَيْرِ إِدَارَةٍ تَحْتَ الْحَنَكِ ، وَالْمَعَاجِرُ أَيْضًا : الْعَمَائِمُ .



أَمْضَى وَأَنْفَذُ فِي الْقُلُوبِ      بِ مَنْ الْخَنَاجِرِ فِي الْخَنَاجِرِ  
وَلَقَدْ تَعَبْتُ بَيْنَكُمْ      تَعَبَ الْمُهَاجِرِ فِي الْهَوَاجِرِ  
٢٤٦ - وَقَالَ آخِرُ :

يَا مَنْ تَكْخَلَ طَرْفُهَا      بِالسَّحْرِ لَا بِالْإِثْمِ  
نَفْسِي كَمَا عَذَّبَتْهَا      وَقَتَلَتْهَا بِالْإِثْمِ ، دِي  
قَوْلُهُ : « دِي » فَعِلُ أَمْرٍ لِلْمُؤَنَّثِ مِنْ « وَدَى » ، بِمَعْنَى : دَفَعَ الدِّيَّةَ ،  
بِسَبَبِ الْإِثْمِ الَّذِي وَقَعَ مِنْهَا ؛ يَقُولُ : أَدْفَعِي دِيَّةَ نَفْسٍ كَمَا قَتَلْتَهَا .

٢٤٧ - وَقَالَ النَّاجِمُ [سَعْدُ بْنُ الْحَسَنِ ، مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ] :

كَادَ الْغَزَالُ يَكُونُهَا      لَكِنَّمَا هُوَ دُونَهَا  
وَالْتَرَجِسُ الْغَضُّ الْجَدُّ      سِيْ أَغَضُّ مِنْهُ جُفُونُهَا  
مَنْ كَانَ يَعْرِفُ فَضْلَهَا      فَعَنِ الْقِيَّاسِ يَصُونُهَا  
٢٤٨ - وَقَالَ أَبُو فِرَاسٍ الْحَمْدَانِيُّ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَبِضٍ بِالْحَاطِ الْعُيُونِ كَأَنَّمَا      هَزَزْنَ سُيُوفًا أَوْ سَلَلْنَ خَنَاجِرًا  
تَصَدَّيْنِ لِي يَوْمًا بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى      فَعَادَزْنَ قَلْبِي بِالتَّصْبِيرِ غَادِرًا  
سَفَرْنَ بُدُورًا وَأَنْتَقَبْنَ أَهْلَةً      وَمَسْنَ غُصُونًا وَالتَّفْتَنَ جَاذِرًا  
وَأَطْلَعْنَ فِي الْأَجْيَادِ لِلدَّرِّ أَنْجَمًا      جَعَلْنَ لِحَبَّاتِ الْقُلُوبِ ضَرَائِرًا

٢٤٩ - وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ التَّهَامِيُّ [مِنْ الْكَامِلِ] :

وَأَرَى الْعُيُونِ وَلَا كَأَعْيُنِ عَامِرٍ      قَدْرًا مَعَ الْقَدْرِ الْمُتَاحِ مُتَاحًا<sup>(١)</sup>  
مُتَوَارِثِي مَرَضِ الْجُفُونِ وَإِنَّمَا      مَرَضُ الْجُفُونِ بِأَنْ يَكُنَّ صِحَاحًا

(١) عَايِرُ : أَسْمُ قَبِيلَةٍ مَشْهُورَةٍ بِجَمَالِ عُيُونِهَا ؛ وَالْمُتَاحُ : الْمُقَدَّرُ .

أَبْرَزْنَ مِنْ تِلْكَ الْعُيُونِ أَسِنَّةً      وَهَزَزْنَ مِنْ تِلْكَ أَلْقُدُودِ رِمَاحًا  
يَا حَبَّذَا ذَاكَ السَّلَاحُ وَحَبَّذَا      وَفَتْ يَكُونُ الْحُسْنُ فِيهِ سِلَاحًا  
٢٥٠ - وَجَاءَ فِي ذِيْلِ « الْأَمَالِي » لِلْقَالِي [ صَفْحَةُ : ٢٠ ] : وَأَنْشَدَنَا أَبُو إِسْحَاقَ

إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى بْنِ جَمِيلٍ [ مِنَ الطُّوَيْلِ ] :

غَزَتْنِي بِجَيْشٍ مِنْ مَحَاسِنِ وَجْهَهَا      فَعَبَّا لَهَا طَرْفِي لِيَدْفَعَ عَنِ قَلْبِي  
فَلَمَّا أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ أَقْبَلَ طَرْفَهَا      يُرِيدُ اغْتِصَابَ الْقَلْبِ قَسْرًا عَلَى الْحَرْبِ  
وَلَمَّا تَجَارَحْنَا بِأَسْيَافٍ لَحِظْنَا      جَعَلْتُ فُؤَادِي فِي يَدَيْهَا عَلَى الْعُضْبِ <sup>(١)</sup>  
وَنَادَيْتُ مِنْ وَقَعِ الْأَسِنَّةِ وَالْقَنَا      عَلَى كَبْدِي يَا صَاحِ مَالِي وَلِلْحُبِّ  
فَصِرْتُ صَرِيعًا لِلْهُوَى وَسَطَ عَسْكَرٍ      قَتِيلَ عُيُونِ الْغَايَاتِ بِلَا ذَنْبِ

٢٥١ - وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ [ مِنَ الْخَفِيفِ ] :

إِنَّ اللَّهَ فِي الْعِبَادِ مَنَآيَا      سَلَّطَهَا عَلَى الْقُلُوبِ الْعُيُونُ

٢٥٢ - وَقَالَ الْمُتَنَبِّئِيُّ [ مِنَ الْكَامِلِ ] :

الرَّامِيَاتُ لَنَا وَهُنَّ نَوَافِرُ      وَالْخَاتِلَاتُ لَنَا وَهُنَّ غَوَافِلُ <sup>(٢)</sup>  
كَافَأْنَنَا عَنْ شِبْهَهُنَّ مِنَ الْمَهَا      فَلَهُنَّ فِي غَيْرِ التُّرَابِ حَبَائِلُ <sup>(٣)</sup>

(١) الْعُضْبُ : السِّيفُ الْقَاطِعُ .

(٢) يَقُولُ : إِنَّهُنَّ يَرْمِيَنَّا بِسِهَامٍ لِحَاطِهِنَّ وَهُنَّ عَنَّا نَافِرَاتٌ غَيْرُ مُقْبِلَاتٍ عَلَيْنَا ، وَكَذَلِكَ يَحْمِلُنَا - يَضِدُّنَنَا - بِحُسْنِهِنَّ غَيْرَ عَالِمَاتٍ بِذَلِكَ .

(٣) الْمَهَا : بَقَرُ الْوَحْشِ ، تُشَبَّهُ الْحَسَانَ بِهَا لِحُسْنِ عُيُونِهَا ؛ وَالْحَبَائِلُ ، جَمْعُ حِبَالَةٍ : الشَّرْكُ يُنْصَبُ لِلصَّيْدِ ؛ يَقُولُ : هُنَّ يَشْبَهُنَّ بَقَرُ الْوَحْشِ فِي سَوَادِ حَدَقِهِنَّ وَسَعَةِ عُيُونِهِنَّ ، وَنَحْنُ نَصِيدُ بَقَرُ الْوَحْشِ ، فَجَازَيْنَنَا عَنْهُنَّ وَأَخَذْنَ بِثَأْرِهِنَّ فِي صَيْدِنَا شِبْهَهُنَّ فَصِدْنَا بِحَبَائِلِ نَصْبِنَهَا فِي غَيْرِ التُّرَابِ ، يَغْنِي : بِأَعْيُنِهِنَّ .

مَنْ طَاعِنِي تُغَرِّ الرِّجَالِ جَاذِرٌ وَمِنْ الرِّمَاحِ دَمَالِجٌ وَخَلَاخِلُ<sup>(١)</sup>  
وَلِذَا أَسْمُ أَغْطِيَةِ الْعُيُونِ جُفُونُهَا مِنْ أَنَّهَا عَمَلُ السُّيُوفِ عَوَامِلُ<sup>(٢)</sup>

٢٥٣ - وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ [من مجزوء الرمل] :

يَا عَلِيًّا جَعَلَ الْعِلْمَ لِّمَنْ مِفْتَاحًا لِسُقْمِي  
لَيْسَ فِي الْأَرْضِ عَلِيلٌ غَيْرُ جَفْنِيكَ وَجِسْمِي

٢٥٤ - وَأَخَذَهُ مُحَمَّدُ ابْنُ هَانِيءٍ الْأَنْدَلُسِيُّ فَقَالَ [من الكامل] :

الْمُدْنَفَانِ مِنَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا جِسْمِي وَطَرْفُ بَابِلِيٍّ أَخَوْرُ  
بَابِلِيٍّ : سَاحِرٌ .

٢٤٥ - وَقَالَ ابْنُ مِيَادَةَ<sup>(٣)</sup> [من الكامل] :

فِيهِنَّ صَفَرَاءُ الْمَعَاصِمِ طِفْلَةٌ بَيْضَاءُ مِثْلُ غَرِيضَةِ الثَّقَاحِ  
رَيْشَنَ حِينَ أَرَدْنَ أَنْ يَرْمِيَنِي نَبْلًا بِلَا رِيَشٍ وَلَا بِقَدَاحِ  
وَنَظَرْنَ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ بِأَعْيُنٍ مَرَضَى يُخَالِطُهَا السَّقَامُ صِحَاحِ  
صَفَرَاءُ الْمَعَاصِمِ ، فَالْمَعَاصِمُ مَوَاضِعُ السَّوَارِ ، وَقَدْ وَضَعَ الْمَعَاصِمُ مَوْضِعَ  
الْمِعْصَمِينَ ، وَصَفَرَاءُ الْمَعَاصِمِ : يُرِيدُ صُفْرَةَ الزَّعْفَرَانِ ، وَكَانَ نِسَاءُ الْعَرَبِ

(١) الثُّغْرُ ، جَمْعُ ثَغْرَةٍ ، وَهِيَ : ثَغْرَةُ الثَّخَرِ الَّتِي بَيْنَ التَّرْقُوتَيْنِ ؛ وَالْجَاذِرُ ، جَمْعُ جُوذِرٍ ، وَهُوَ : وَلَدُ الْبَقَرِ الْوَحْشِيِّ ، وَالْمُرَادُ بِالْجَاذِرِ النِّسَاءُ ؛ وَالْدَمَالِجُ ، جَمْعُ دُمْلَجٍ : حُلِيِّ يَلْبَسُ فِي الْعَصِيدِ ؛ وَالْخَلَاخِلُ ، جَمْعُ خَلَخَلٍ ، لُغَةٌ فِي خِلْخَالٍ ؛ يَقُولُ : إِنَّ هَؤُلَاءِ النِّسَاءَ الشَّيْبَاتِ بِالْجَاذِرِ يَفْعَلْنَ بِجَمَالِ عُيُونِهِنَّ مَا يَفْعَلُ الطَّاعِنُ بِالرُّمَحِ ، أَيِ : يَقْتُلْنَ بِسِحْرِ عُيُونِهِنَّ ، وَحَلِيَّهِنَّ تَفْعَلُ كَذَلِكَ فِعْلَ الرَّمَاكِ .

(٢) يَقُولُ : إِنَّمَا سُمِّيَتْ أَغْطِيَةُ الْعُيُونِ جُفُونًا لِأَنَّهَا تَتَّصِفُ أَخْذَاقًا تَعْمَلُ مَا تَعْمَلُهُ السُّيُوفُ ، فَسُمِّيَتْ أَغْطِيَتُهَا بِأَسْمِ غَطَاءِ السِّنْفِ ، وَهُوَ الْجَفْنُ .

(٣) شَاعِرٌ أَدْرَكَ الدَّوْلَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ ، وَمِيَادَةُ أُمُّهُ ، وَأَسْمُ أَبِيهِ أَبْرَدُ .

يَتَضَمَّنُ بِهِ ؛ وَطَفْلَةٌ ، يَفْتَحِ الطَّاءُ : نَاعِمَةٌ ؛ وَ « مِثْلُ غَرِيضَةِ التُّفَّاحِ » يُرِيدُ :  
طَرَاوَةَ لَحْمِهَا ؛ وَالْعَرِيضُ : الطَّرِي ؛ وَرَيْشُنَ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : رَيْشَ السَّهْمِ :  
الزَّقَ بِهِ الرِّيشَ لِيَخِفَ فِي مَرِّهِ ؛ وَالتَّبَلُّ : السَّهَامُ ، لَا وَاحِدَ لَهُ ؛ وَالْقَدَاخُ :  
السَّهَامُ قَبْلَ أَنْ تُرَاشَ ، الْوَاحِدُ قِدَخٌ ؛ يُرِيدُ أَنَّ نَظَرَاتِهِنَّ تُصِبنَ إِصَابَةَ السَّهَامِ  
الْمُرَيْشَةِ ؛ وَخَلَّلَ السُّتُورَ : الْمَوَاضِعَ الْمُنْفَرِجَةَ مِنْهَا .

\* \* \*

٢٥٦ - وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ [مِنَ الْكَامِلِ] :

لَيْسَ السَّلِيمُ سَلِيمَ أَفْعَى حَرَّةٍ      لَكِنْ سَلِيمَ الْمُقْلَةِ التَّجْلَاءِ  
نَظَرْتُ وَلَا وَسَنُ يُخَالِطُ عَيْنَهَا      نَظَرَ الْمَرِيضِ بِسُورَةِ الْإِغْفَاءِ  
السَّلِيمُ : اللَّدْبِغُ - مَنْ تَلَدَّغُهُ الْحَيَّةُ - سَلِيمًا عَلَى التَّفَاوُلِ لَهُ بِالسَّلَامَةِ ؛  
وَالْحَرَّةُ : أَرْضُ ذَاتِ حِجَارَةٍ سُودِ نَخْرَاتٍ كَانَتْهَا أُحْرِقَتْ بِالنَّارِ .

٢٥٧ - وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الْمُعْتَزِّ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

وَتَجَرَّحَ أَحْشَائِي بِعَيْنِ مَرِيضَةٍ      كَمَا لَا مَثْنُ السِّيفِ وَالسِّيفُ قَاطِعُ  
عَلِيمٍ بِمَا تَحْتَ الصُّدُورِ مِنَ الْهَوَى      سَرِيعٌ بِكَرِّ اللَّحْظِ وَالْقَلْبُ جَارِعُ

٢٥٨ - وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ الرَّقَاعِ [مِنَ الْكَامِلِ] :

لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنَّ رَأْسِي قَدْ عَسَا      فِيهِ الْمَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ<sup>(١)</sup>  
وَكَأَنَّهَا بَيْنَ النِّسَاءِ أَحَارَهَا      عَيْنِيهِ أَحَوْرُ مِنْ جَادِرِ جَاسِمِ<sup>(٢)</sup>

(١) عَسَا فِيهِ الْمَشِيبُ : اَشْتَدَّ بَيَاضُهُ ، مِنْ عَسَا الثَّبَاتُ : اَشْتَدَّ وَغَلِظَ .

(٢) الْجَادِرُ ، جَمْعُ جَوْدِرٍ : وَلَدُ الْبَقَرَةِ الْوَحْشِيَّةِ ؛ وَجَاسِمٌ : قَزِيَّةٌ بِالسَّامِ .

وَسَنَانٌ أَقْصَدَهُ الثُّعَاسُ فَرَنْقَتْ      فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمٍ<sup>(١)</sup>  
يَضْطَاذُ يَفْظَانَ الرَّجَالَ حَدِيثُهَا      وَتَطِيرُ بِهَجَّتِهَا بِرُوحِ الْحَالِمِ

٢٥٩ - وَقَالَ الْبُحْتَرِيُّ [من الطويل] :

غَدَاةٌ تَثَّتْ لِلْوَدَاعِ وَسَلَّمَتْ      بِعَيْنَيْنِ مَوْضُولٍ بِجَفْنَيْهِمَا السَّخَرُ  
تَوَهَّمَتْهَا أَلْوَى بِأَجْفَانِهَا الْكَرَى      كَرَى النَّوْمِ أَوْ مَالَتْ بِأَعْطَافِهَا الْخُمُرُ

٢٦٠ - وَقَالَ [من الهزج] :

وَفِي الْقَهْوَةِ أَشْكَالٌ      مِنْ السَّاقِي وَالْوَانِ<sup>(٢)</sup>  
حَبَابٌ مِثْلُ مَا يَضَحُ      كُ عَنْهُ وَهُوَ جَذْلَانُ  
وَسُكْرٌ مِثْلُ مَا أَسْكُ      رَ طَرْفٌ مِنْهُ وَسَنَانُ  
وَطَعْمٌ أَلْرَّيْقِ إِذْ جَا      دَ بِهِ وَالصَّبُّ هَيْمَانُ  
لَنَا مِنْ كَفِّهِ رَاحٌ      وَمِنْ رِيَّاهُ رِيحَانُ

٢٦١ - وَفِي سِحْرِ الْعُيُونِ يَقُولُ بَشَّارٌ [من الخفيف] :

أَنَا وَاللَّهِ أَشْتَهِي سِحْرَ عَيْنَيْهِ      كِ وَأَخْشَى مَصَارِعَ الْعُشَاقِ

٢٦٢ - وَيَقُولُ [من الطويل] :

وَمُرْتَجَّةِ الْأَرْدَافِ مَهْضُومَةِ الْحَشَا      تَمُورُ بِسِحْرِ عَيْنِهَا وَتَدُورُ  
إِذَا نَظَرْتُ صَبَّتْ عَلَيْكَ صَبَابَةٌ      وَكَادَتْ قُلُوبُ الْعَالَمِينَ تَطِيرُ

٢٦٣ - وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ [من الطويل] :

(١) أَقْصَدَهُ ، فَلَا قِصَادُ : أَنْ يُصِيبَهُ السَّهْمُ فَيَمُوتَ ، وَهُوَ هُنَا اسْتِعَارَةٌ ، أَيْ : أَقْصَدَهُ الثُّعَاسُ

فَنَامَ ؛ وَرَنْقَتْ : دَارَتْ وَمَاجَتْ وَخَالَطَتْ ؛ وَالسَّنَّةُ : بَقِيَّةُ آخِرِ الثُّعَاسِ .

(٢) الْقَهْوَةُ : الْخَمْرُ .

وَعَيْنَانِ قَالَ اللَّهُ كُونَا فَكَانَتَا فَعُولَيْنِ بِالْأَلْبَابِ مَا تَفَعَّلُ الْخَمْرُ  
يُرَوَّى أَنَّ ذَا الرُّمَّةِ سَمِعَ إِنْسَانًا يُنْشِدُ هَذَا الْبَيْتَ : فَعُولَان ...  
فَقَالَ : فَعُولَانِ ! كَأَنَّهُ تَوَرَّعَ أَنْ يَقُولَ : فَعُولَيْنِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ بِأَمْرِ اللَّهِ  
تَعَالَى .

٢٦٤ - وَمِنْ أَرْوَغِ مَا قِيلَ فِي النَّظَرِ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ [من الكامل] :

نَظَرْتُ فَأَقْصَدْتُ الْفُؤَادَ بِسَهْمِهَا      ثُمَّ أَنْشَيْتُ عَنْهُ فَكَادَ يَهِيمُ  
وَيَلَايَ إِنْ نَظَرْتُ وَإِنْ هِيَ أَعْرَضَتْ      وَقَعُ السَّهَامُ وَنَزَعُهَا أَلِيمُ  
٢٦٥ - وَقَوْلُ الْآخَرِ [من الكامل] :

يُنْظَرْنَ مِنْ خَلَلِ الشُّجُوفِ كَأَنَّمَا      يُنْظَرْنَ أَحْشَاءَ الْكَرِيمِ نَبَالًا<sup>(١)</sup>  
٢٦٦ - وَقَوْلُ عِنَانَ صَاحِبَةِ أَبِي نُوَّاسٍ [من المنسرح] :

لَوْ نَظَرْتُ عَيْنُهُ إِلَى حَجَرٍ      وَلَدَفِيهِ فُتُورُهَا سَقَمًا  
٢٦٧ - هَذَا وَلِيْلَا حَظَّ أَنَّ الذُّبُولَ وَالْفُتُورَ فِي الْعُيُونِ هُوَ الَّذِي تَرَامُوا إِلَيْهِ  
وَقَصْدُوهُ مِنْ تَشْبِيهِ الْعُيُونِ بِالْتَّرْجِسِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ ابْنَ الْمُعْتَزِّ نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ  
[من الكامل] :

وَسَنَانُ قَدْ طَرَقَ التُّعَاسُ جُفُونَهُ      فَحَكَى بِمُقْلَتِهِ عُيُونَ التَّرْجِسِ  
٢٦٨ - أَمَّا مَا ذَكَرَهُ بَعْضُهُمْ مِنْ أَنَّ التَّشْبِيهَ إِنَّمَا وَقَعَ بِتَرْجِسٍ فِي أَعْلَاهُ دَائِرَةً  
كَخَلَاءٍ يَحْفُ بِهَا وَرَقٌ أَبْيَضٌ عَلَى شَكْلِ الْعَيْنِ فَعَبْرٌ صَحِيحٌ ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَمْ  
يُثْبِتْ ، وَلَوْ ثَبَتَ لَكَانَ لَا يُشَبَّهُهَا بِهِ إِلَّا مَنْ عِلِمَ وَجُودُهُ . وَالتَّشْبِيهُ وَاقِعٌ مِمَّنْ

(١) الشُّجُوفُ ، جَمْعُ سَجْفٍ : السُّرَّةِ .

عَلِمَ وَجُودَ ذَلِكَ وَمِمَّنْ لَمْ يَعْلَمْ . وَقَدْ سَبَقَ إِلَى وَهْمِ بَعْضِ أَدْبَاءِ الْأَنْدَلُسِ أَنَّ  
الْتَّرَجِسَ الَّذِي تُشَبَّهُ بِهِ الْعُيُونُ هُوَ نَوَّارٌ أَصْفَرُ ، نُسَمِّيهِ نَحْنُ الْبَهَارَ ، وَيُسَمُّونَهُ هُمْ  
نَزْجِسًا ، وَمِنْ ثَمَّ أَنْكَرُوا هَذَا التَّشْبِيهَ وَنَعَوْهُ عَلَيْنَا .

قَالَ الشَّرِيشِيُّ<sup>(١)</sup> : وَقَدْ تَمَادَى إِنْكَارُ أَدْبَاءِ وَقْتِنَا تَشْبِيهَ الْعَيْنِ بِهَذَا النَّوَّارِ  
الْأَصْفَرِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَنَا بِالْتَّرَجِسِ ، فَأَكْثَرُهُمْ يُنْكِرُ أَنْ يَقَعَ بِهِ تَشْبِيهٌ لِأَجْلِ  
صُفْرَتِهِ ، وَإِنْ ذَكَرْتَهُ لِأَحَدٍ قَالَ : وَأَيُّ صُفْرَةٍ فِي الْعَيْنِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ بِصَاحِبِهَا عِلَّةٌ  
الْيَرْقَانِ<sup>(٢)</sup> ؛ وَيَسْتَهْجِنُ مَوْضِعَ التَّشْبِيهِ جَدًّا ، وَقَدْ سَأَلْتُ عَنْهُ بَعْضَ أَشْيَاخِي فِي  
صِغَرِي وَأَنَا أَقْرَأُ عَلَيْهِ كِتَابَ « الْجُمَلِ » ، وَكَانَ أَدِيبًا شَاعِرًا ، فَأَنْكَرَ وَقُوعَ  
التَّشْبِيهِ بِهَذَا النُّورِ الْأَصْفَرِ ، وَقَالَ لِي : الْتَّرَجِسُ عِنْدَهُمْ بِالْمَشْرِقِ نَوَّرٌ يُشَبَّهُ نَوَّارَ  
الْقَوْلِ ، وَأَكْثَرُ مَنْ لَقِيتُهُ يَسْتَبْعِدُ التَّشْبِيهَ بِهَذَا النُّورِ الْأَصْفَرِ لِأَجْلِ لَوْنِهِ ، وَذَلِكَ  
لِقِلَّةِ تَخْصِيلِهِمْ مَعْرِفَةَ كَلَامِ الْعَرَبِ وَتَشْبِيهَاتِهَا ، وَالْعَرَبُ تُوقِعُ تَشْبِيهَاتِهَا عَلَى  
الصُّورَةِ دُونَ الْمَعْنَى ، وَعَلَى الْمَعْنَى دُونَ الصُّورَةِ ، وَعَلَيْهِمَا جَمِيعًا ، وَهُوَ  
أَكْمَلُ وَجْهِهِ التَّشْبِيهِ ، وَتَشْبِيهُ الْعُيُونِ بِالسُّيُوفِ وَالسَّهَامِ إِنَّمَا الْمُرَادُ بِهِ الْمَضَاءُ  
وَالْقَطْعُ ، وَلَا يُلْتَفَتُ فِي ذَلِكَ إِلَى اللَّوْنِ ، وَكَذَلِكَ تَشْبِيهُ الْعُيُونِ بِالْتَّرَجِسِ  
الْأَصْفَرِ إِذَا قَصَدَ مَا فِيهِ مِنَ الْفُتُورِ وَاقَعَ مُتِمِّكُنْ فِي التَّشْبِيهِ . وَالْتَّرَجِسُ الَّذِي  
يُشَبَّهُ بِهِ أَهْلُ الْمَشْرِقِ الْعُيُونُ هُوَ نَبَاتٌ لَهُ قُضْبَانٌ خُضِرٌ فِي رُؤُوسِهَا أَقْمَاعٌ يَخْرُجُ  
مِنْهَا نَوَّرٌ ، عَلَى الْأَقْمَاعِ وَرَقٌ أَيْضٌ فِي وَسْطِ الْبَيَاضِ دَائِرَةٌ قَائِمَةٌ مِنْ وَرَقٍ

(١) هُوَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْقَيْسِيُّ الشَّرِيشِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ شَارِحُ « مَقَامَاتِ الْحَرِيرِي » ،  
وَقَدْ أَطَالَ فِي كَلِمَتِهِ هَذِهِ ، وَأَتَى بِكَلَامِ نَفِيسٍ جَدًّا فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ ، وَتَرَى ذَلِكَ فِي شَرْحِهِ  
لِلْمَقَامَةِ الْحُلُوتِيَّةِ .

(٢) الْيَرْقَانُ : مَرَضٌ مَعْرُوفٌ [ وَهُوَ الْبَهَابُ الْكَبِيدُ الْإِنْتَانِي ، وَلَهُ عِدَّةُ أَنْوَاعٍ ، كُلُّهَا ] تُسَبَّبُ  
أَصْفَرَارُ الْجِلْدِ [ وَالْعُيُونِ وَالْأَطْفَارِ وَ... الخ ] .

صَغِيرٍ ، هَذِهِ الصَّفَةُ الَّتِي تَقَعُ فِي أَشْعَارِهِمْ إِذَا ذَكَرُوا النَّزْجِسَ ، وَبِذَلِكَ وَصَفَهُ  
كِسْرَى أُنُوشِرَوَانَ ، فَقَالَ : النَّزْجِسُ : يَاقُوتُ أَصْفَرُ بَيْنَ دُرِّ أَبْيَضٍ عَلَى زُمُرِدٍ  
أَخْضَرٍ . . . إِلَى أَنْ قَالَ الشَّرِيشِيُّ : وَالَّذِي يُسَمِّيهِ أَهْلُ الْمَغْرِبِ نَزْجِسًا يُسَمِّيهِ  
أَهْلُ الْمَشْرِقِ بَهَارًا ، وَيَلُونُ النَّزْجِسُ يُشَبِّهُ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ الْمَرِيضَ ، قَالَ : فَبَيَّنْتُ  
أَنَّ نَزْجِسَهُمْ بَهَارُنَا وَأَنَّ بَهَارَهُمْ نَزْجِسُنَا .

\* \* \*

٢٦٩ - وَقَدْ عَدَّ بَعْضُهُمْ مِنْ مَحَاسِنِ الْعُيُونِ الْقَبْلُ ، وَهُوَ مِثْلُ الْحَدَقَةِ فِي  
النَّظَرِ إِلَى الْأَنْفِ ، وَهُوَ خِلَافُ الْحَوْلِ ، قَالَ بَعْضُ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ : الْأَقْبَلُ الَّذِي  
أَقْبَلْتُ حَدَقَتَاهُ عَلَى أَنْفِهِ ، وَالْأَخْوَلُ : الَّذِي حَوَّلَتْ عَيْنَاهُ جَمِيعًا .  
٢٧٠ - وَأَنشَدَ بَعْضُهُمْ [مِنْ الرَّمْلِ] :

أَشْتَهِي فِي الطُّفْلَةِ الْقَبْلَ لَا كَثِيرًا يُشَبِّهُهُ الْحَوْلَا  
قَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ : لَا أَعْلَمُ لِهَذَا الْأَسْتِحْسَانَ وَجْهًا ، وَهُوَ إِلَى الْمَعَايِبِ  
أَقْرَبُ مِنْهُ إِلَى الْمَحَاسِنِ .

٢٧١ - وَمِثْلُ الْقَبْلِ الشُّطُورُ ، يُقَالُ : شَطَرَ بَصَرَهُ يَشْطُرُ شُطُورًا وَشَطْرًا :  
صَارَ كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْكَ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى غَيْرِكَ ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ صِفَةِ الْأَخْوَلِ الَّذِي  
يَقُولُ مُتَبَجِّحًا بِحَوْلِهِ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

حَمَدْتُ إِلَهِي مُذْ بَلَيْتُ بِحُبِّهِ عَلَى حَوْلٍ أَغْنَى عَنِ النَّظَرِ الشَّرِّ  
نَظَرْتُ إِلَيْهِ ، وَالرَّقِيبُ يَخَالُنِي نَظَرْتُ إِلَيْهِ ، فَاسْتَرَحْتُ مِنَ الْعُذْرِ  
الضَّمِيرُ فِي « إِلَيْهِ » الثَّانِيَةِ يَرْجِعُ إِلَى الرَّقِيبِ .

٢٧٢ - وَكُلُّ أُولَئِكَ مِنْ مَعَايِبِ الْعُيُونِ ، وَمِنْ مَعَايِبِهَا : الْخَوْصُ ، وَهُوَ  
ضَيْقُ الْعَيْنَيْنِ ؛ وَالْخَوْصُ ، وَهُوَ غُورُهُمَا مَعَ الضَّيْقِ ؛ وَالشَّرُّ ، وَهُوَ أَنْقِلَابُ



الْجَفْنِ ؛ وَالْعَمَشُ ، وَهُوَ أَنْ لَا تَزَالَ الْعَيْنُ تُسِيلُ الدَّمْعَ ، وَلَا يَكَادُ الْأَعْمَشُ يُبْصِرُ بِهَا ، وَمِثْلُهُ الْأَرْمَصُ ؛ وَالْغَطَشُ : الضَّعْفُ فِي الْبَصَرِ ، وَيُقَالُ : هُوَ الَّذِي لَا يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ فِي الشَّمْسِ ؛ وَالْجَهْرُ ، قَالَ اللَّحْيَانِيُّ : كُلُّ ضَعِيفِ الْبَصَرِ فِي الشَّمْسِ أَجْهَرُ ، وَقَالَ غَيْرُهُ : الْأَجْهَرُ بِالنَّهَارِ ، وَالْأَعْشَى بِاللَّيْلِ ؛ وَالْخَزَرُ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ كَأَنَّهُ يَنْظُرُ بِمَوْخِرِ عَيْنَيْهِ ؛ وَالْغَضْنُ ، وَهُوَ أَنْ يَكْسِرَ عَيْنُهُ خِلْفَةً أَوْ عِدَاوَةً أَوْ كِبْرًا ؛ وَالشَّوْسُ ، وَهُوَ أَنْ يَنْظُرَ بِإِحْدَى عَيْنَيْهِ وَيُمِيلَ وَجْهَهُ فِي شِقِّ الْعَيْنِ الَّتِي يُرِيدُ أَنْ يَنْظُرَ بِهَا ، يَكُونُ ذَلِكَ خِلْفَةً وَيَكُونُ مِنَ الْكِبَرِ وَالْتِيهِ وَالْغَضَبِ ، وَيُقَالُ : الشَّوْسُ : رَفَعَ الرَّأْسَ تَكْبَرًا ؛ وَالْحَفَشُ ، وَهُوَ ضَعْفُ الْبَصَرِ مَعَ ضَيْقِ الْعَيْنِ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ فَسَادٌ فِي الْعَيْنِ يَضِيقُ لَهُ الْجَفْنُ مِنْ غَيْرِ وَجَعٍ وَلَا قَرْحٍ ؛ وَالْإِطْرَاقُ ، وَهُوَ اسْتِرْخَاءُ الْجَفْنُونِ ؛ وَأَطْرَقَ : أَرْخَى عَيْنَيْهِ يَنْظُرُ إِلَى الْأَرْضِ ؛ وَالْجُحُوظُ ، وَهُوَ خُرُوجُ مُقْلَةِ الْعَيْنِ وَنُتُوءُهَا مِنْ الْحِجَاجِ ، وَيُقَالُ : رَجُلٌ جَاحِظُ الْعَيْنَيْنِ : إِذَا كَانَتْ حَدَقَتَاهُ خَارِجَتَيْنِ ؛ وَالْبَحَقُ ، وَهُوَ أَنْ يَذْهَبَ الْبَصَرُ وَالْعَيْنُ مُنْفَتِحَةً ؛ وَالْكَمَةُ ، وَهُوَ أَنْ يُولَدَ الْإِنْسَانُ أَعْمَى ؛ وَالْبَخْصُ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ فَوْقَ الْعَيْنَيْنِ أَوْ تَحْتَهُمَا لَحْمٌ نَاتِيءٌ .

٢٧٣ - وَمِمَّا يَتَّصِلُ بِهِذَا الْبَابِ وَصْفُهُمُ الْعُيُونُ تُصَابُ بِالرَّمَدِ ، قَالَ ابْنُ

الْمُعْتَزِّ ، وَقِيلَ : إِنَّهَا لابْنِ الرُّومِيِّ ؛ وَقِيلَ لِلنَّاجِمِ [من المنسرح] :

قَالُوا : أَشْتَكْتُ عَيْنَهُ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : مِنْ كَثَرَةِ الْفِتَنِ نَالَهَا الْوَصَبُ<sup>(١)</sup>

حُمِرَتْهَا مِنْ دِمَاءٍ مَنْ قَتَلْتُ وَالْدَّمُ فِي النَّصْلِ شَاهِدٌ عَجَبٌ<sup>(٢)</sup>

(١) الْفِتْنُ ، يُرْوَى : الْقَتْلُ ، وَالْفِتْنُ أَحْسَنُ ؛ وَالْوَصَبُ : الْمَرَضُ وَالْوَجَعُ الدَّائِمُ ، وَقَدْ يُطْلَقُ

عَلَى النَّعَبِ .

(٢) النَّصْلُ : نَضْلُ السَّهْمِ وَالسَّيْفِ وَالرُّمَحِ ، وَقَدْ يُسَمَّى السَّيْفُ نَضْلًا .

٢٧٤ - وَفِي مَعْنَى الْبَيْنِينَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ [من الكامل] :

قَالُوا : الْحَبِيبُ شَكَا جُعِلَتْ فِدَاءُهُ رَمَدًا أَضَرَّ بِعَيْنِهِ كَالْعُنْدَمِ<sup>(١)</sup>  
فَأَجَبْتُهُمْ : مَا زَالَ يَفْتِكُ لَحْظُهُ فِي مُهْجَتِي حَتَّى تَلَطَّخَ بِالدَّمِ

\* \* \*

٢٧٥ - وَكَذَلِكَ وَصَفَهُمُ الدُّمُوعَ وَالْبُكَاءَ - دُمُوعَ الْمُحِجِّينَ ، أَوْ

الْمُخْبُورِينَ - : قَالَ الصُّولِيُّ [من المنسرح] :

لَوْ كُنْتُ يَوْمَ الْوَدَاعِ حَاضِرَنَا وَهَنَّ يَشْكِينَ عِلَّةَ الْوَجْدِ  
لَمْ تَرَ إِلَّا الدُّمُوعَ جَارِيَةً تَسْقُطُ مِنْ مُقْلَةٍ عَلَى خَدٍّ  
كَأَنَّ تِلْكَ الدُّمُوعَ قَطُرُ نَدَى يَقْطُرُ مِنْ نَرْجِسٍ عَلَى وَرْدٍ

٢٧٦ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ [من الطويل] :

تَقُولُ غَدَاةَ الْبَيْنِ عِنْدَ وَدَاعِهَا إِلَى الْكَبِدِ الْخَرَى : فِسرٌ، وَلَكَ الصَّبْرُ  
وَقَدْ سَبَقَتْهَا غَبْرَةٌ فَدُمُوعُهَا عَلَى خَدِّهَا بِيضٌ وَفِي نَجْرِهَا حُمْرُ  
قَوْلُهُ : « وَفِي نَجْرِهَا حُمْرٌ » مَعْنَاهُ : أَنَّ الدُّمُوعَ إِذَا أَنْحَدَرَتْ إِلَى نَجْرِهَا  
أَحْمَرَتْ مِنَ الطَّيِّبِ كَالزُّعْفَرَانِ .

٢٧٧ - وَقَالَ ابْنُ الْأَرَوَمِيِّ [من الرجز] :

لَمَّا دَنَا الْبَيْنُ وَزَاحَ الدَّلُّ وَدَعَتْهَا وَدَمَعَتْهَا مُنْهَلٌ  
وَخَدَّهَا مِنْ قَطْرِه مُنْهَلٌ كَأَنَّهُ وَرْدٌ عَلَيْهِ طَلُّ

٢٧٨ - وَقَالَ آخَرُ [من المتقارب] :

(١) الْعُنْدَمُ : صَنَعٌ أَحْمَرٌ يُخْتَضَبُ بِهِ .

كَأَنَّ الدُّمُوعَ عَلَى خَدِّهَا      بَقِيَّةُ طَلٍّ عَلَى جُلْنَازِ  
الْجُلْنَازِ : زَهْرُ الرُّمَّانِ .

٢٧٩ - وَقَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ [من البسيط] :

مَاءُ الصَّبَابَةِ ، نَارُ الشَّوْقِ تَحْدِرُهُ      فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِمَاءٍ فَاضٍ مِنْ نَارِ  
٢٨٠ - وَيَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ بَشَّارٍ قَوْلُ أَبِي هِلَالٍ الْعَسْكَرِيِّ [من البسيط] :

لَهَيْبُ قَلْبِي أَفَاضَ الدَّمْعَ مِنْ بَصْرِي      وَالْعُودُ يَقْطُرُ مَاءً وَهُوَ يَخْتَرِقُ  
٢٨١ - وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ [من الطويل] :

لَعَلَّ أَنْجِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً      مِنْ أَلْوَجْدٍ أَوْ يَشْفِي شَجِيَّ الْبَلَابِلِ  
٢٨٢ - وَقَالُوا : إِنَّ أَبْلَغَ مَا قِيلَ فِي أَمْتِلَاءِ الْعَيْنِ مِنَ الدَّمْعِ قَوْلُ أَبِي حَيَّةِ  
النُّمَيْرِيِّ [ وَيُنْسَبُ أَيْضًا لِمَجْنُونٍ لَيْلَى ، من الطويل ] :

نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ      إِلَى الدَّارِ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ  
فَعَيْنَايَ طَوْرًا تَغْرَقَانِ مِنَ الْبُكَاءِ      فَأَعَشَى وَطَوْرًا تَحْسِرَانِ فَأُبْصِرُ<sup>(١)</sup>  
وَلَيْسَ الَّذِي يَهْمِي مِنَ الْعَيْنِ دَمْعُهَا      وَلَكِنَّهُ نَفْسٌ تَذُوبُ فَتَقْطُرُ

٢٨٣ - وَتَبِعَهُ ابْنُ دُرَيْدٍ فَقَالَ [من الكامل] :

لَا تَحْسَبَنَّ دَمْعِي تَحْدَرُ إِنَّمَا      نَفْسِي جَرَتْ فِي دَمْعِي الْمُتَحَدِّرُ  
٢٨٤ - وَقَالَ [من الكامل] :

قَلْبٌ تَقْطَعُ فَاسْتَحَالَ نَجِيعًا      فَجَرَى فَصَارَ مَعَ الدُّمُوعِ دُمُوعًا<sup>(٢)</sup>

(١) تَحْسِرَانِ مِنْ قَوْلِهِمْ : حَسَرَ الْبَخْرَ : إِذَا نَضَبَ الْمَاءُ عَنْ سَاحِلِهِ .

(٢) النَّجِيعُ : الدَّمُ ؛ وَاسْتَحَالَ : تَحَوَّلَ .

رُدَّتْ إِلَى أَحْشَائِهِ زَفَرَاتُهُ      فَفَضَضْنَ مِنْهُ جَوَانِحاً وَضُلُوعاً  
عَجَباً لِنَارٍ ضَرَمَتْ فِي صَدْرِهِ      فَاسْتَبَطْتُ مِنْ جَفْنِهِ يَنْبُوعاً  
لَهَبٌ يَكُونُ إِذَا تَلَبَّسَ بِالْحَشَا      قَيْظاً وَيُظْهِرُ فِي الْجُفُونِ رِيْعاً  
قَوْلُهُ : « عَجَباً لِنَارٍ . . . » الْبَيْتُ ، نَبَّهَهُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى أَبُو تَمَّامٍ بِقَوْلِهِ [من

الرجز] :

يَا سَهْمٌ لِلْبَرْقِ الَّذِي اسْتَطَارَا      ثَابَ عَلَى رَغَمِ الدُّجَى نَهَاراً<sup>(١)</sup>  
أَصَ لَنَا مَاءٌ وَكَانَ نَاراً      أَرْضَى الثَّرَى وَأَسْخَطَ الْغُبَارَا  
٢٨٥ - وَمِنْ مَحَاسِنِ مَا قِيلَ فِي الدُّمُوعِ قَوْلُ السَّرِيِّ الرَّفَاءِ [من الطويل] :

بِنَفْسِي مَنْ رَدَّ التَّحِيَّةَ ضَاحِكاً      فَجَدَّدَ بَعْدَ الْيَأْسِ فِي الْوَصْلِ مَطْمَعِي  
إِذَا مَا بَدَأَ أَبْدَى الْغَرَامُ سَرَائِرِي      وَأَظْهَرَ لِلْعُدَالِ مَا بَيْنَ أَضْلُعِي  
وَحَالَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ      كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ تَعَشِّقُهُ مَعِي

٢٨٦ - وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ [من السريع] :

أَبُكَ فَمَا أَكْثَرَ نَفْعَ الْبُكََا      وَالْحُبُّ إِشْفَاقٌ وَتَغْلِيلُ  
أَفْزَعُ إِلَيْهِ فِي أَرْذَحَامِ الْجَوَى      فَفِيهِ مِسْلَاةٌ وَتَسْهِيلُ  
وَهُوَ إِذَا أَنْتَ تَأَمَّلْتَهُ      حُزْنٌ عَلَى الْخَدَّيْنِ مَحْلُولُ<sup>(٢)</sup>

٢٨٧ - وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ [من الكامل] :

نَزَفَ الْبُكَاءُ دُمُوعَ عَيْنِكَ فَاسْتَعَرُ      عَيْنَا لَغَيْرِكَ دَمْعُهَا مِدْرَارُ

(١) يَا سَهْمُ ، هُوَ : سَهْمٌ بْنُ أَوْسٍ أَخُو حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ - أَبِي تَمَّامٍ - وَسَهْمٌ كَانَ يَشْدُو أَشْعَارَ أَبِي تَمَّامٍ لِأَنَّ أَبَا تَمَّامٍ كَانَ تَمْتَاماً .

(٢) حُزْنٌ مَحْلُولٌ : يُرِيدُ أَنَّهُ حُزْنٌ ذَائِبٌ .

مَنْ ذَا يُعِيرُكَ عَيْنَهُ تَبْكِي بِهَا      أَرَأَيْتَ عَيْنًا لِلْبُكَاءِ تُعَارُ

٢٨٨ - وَلِلْمَجْنُونِ [من الطويل] :

ذِدِ الدَّمْعَ حَتَّى يَطْعَنَ الْحَيُّ إِنَّمَا      دُمُوعُكَ إِنْ فَاضَتْ عَلَيْكَ دَلِيلُ  
كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا      جُمَانٌ عَلَى جَيْبِ الْقَمِيصِ يَسِيلُ

٢٨٩ - وَمِمَّا يَتَّصِلُ بِهِذَا الْبَابِ وَضَفُّهُمْ الْحَوَاجِبِ :

قَالَ الزَّاهِي [من الطويل] :

وَأَغْيَدَ مَجْدُولِ الْقَوَامِ جَبِينَهُ      سَنَا الْقَمَرِ الْبَدْرِيَّ فِي الْغُصْنِ الرَّطْبِ  
تَنَكَّبَ قَوْسَ الْحَاجِبَيْنِ فَسَهْمُهُ      لَوَاحِظُهُ الْمَرْضَى وَبُرْجَاسُهُ قَلْبِي  
الْبُرْجَاسُ - كَمَا قَالَ صَاحِبُ «اللسان» - غَرَضٌ فِي الْهَوَاءِ يُرْمَى بِهِ ، وَقَالَ  
بَعْضُهُمْ : هُوَ شِبْهُ الْأَمَارَةِ تُنْصَبُ مِنَ الْحِجَارَةِ ، وَلَعَلَّ مُرَادَ الشَّاعِرِ هُنَا أَنَّ  
يَقُولُ : وَهَدَفُهُ قَلْبِي .

٢٩٠ - وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أَبِي الشَّيْصِ [من الطويل] :

حَذَرْتُ الْهَوَى حَتَّى رُمِيتُ مِنَ الْهَوَى      بِأَصْرَدِ سَهْمٍ مِنْ قِسِيَّ الْحَوَاجِبِ  
بِأَصْرَدِ سَهْمٍ ، أَيْ : بِأَنْفَذِ وَأَشَدَّ إصَابَةً .

٢٩١ - قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكُوفِيُّ [من الطويل] :

وَمُسْتَلَبِ عَيْنِ الْغَزَالِ وَقَدْ تُرَى      بِجَبْهَتِهِ عَيْنُ الْغَزَالَةِ مَائِلًا  
تَتَاوَلَ قَوْسَ الْحَاجِبَيْنِ مُفَوِّقًا      بِأَسْهُمِ الْحَاطِ تَشْكُ الْمَقَاتِلَا

٢٩٢ - وَقَالَ آخَرُ [من الطويل] :

غَزَانِي الْهَوَى فِي جَيْشِهِ وَجُنُودِهِ      وَعَبَى عَلَيَّ الْخَيْلَ مِنْ كُلِّ جَانِبِ  
بِمَيْمَنَةِ أَعْلَامِهَا أَعْيُنُ الْمَهَا      وَمَيْسَرَةِ تَقْضِي بَزْجِ الْحَوَاجِبِ

٢٩٣ - وَمِنْ مَحَاسِنِ الْحَاجِبِ : الزَّجَجُ ، وَهُوَ دِقَّةُ الْحَاجِبِينَ وَأَمْتِدَادُهُمَا حَتَّى كَانَتْهُمَا خُطَا بِقَلَمٍ ؛ وَالتَّزْجِيجُ : حَذْفُ زَوَائِدِ الشَّعْرِ ، وَزَجَّجَتِ الْمَرْأَةُ حَاجِبَيْهَا بِالْمِزْجِ : دَقَّقَتْهُ وَطَوَّلَتْهُ ، وَقِيلَ : أَطَالَتْهُ بِالْإِثْمِدِ .

٢٩٤ - وَقَالَ الرَّاعِي [من الوافر] :

إِذَا مَا الْغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا      وَزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونَا<sup>(١)</sup>  
أَنَحْنَ جِمَالَهُنَّ بِذَاتِ غَسَلٍ      سَرَاةَ الْيَوْمِ يَمْهَدْنَ الْكُدُونَا  
قَوْلُهُ : « وَالْعُيُونَا » أَرَدْنَ : وَكَحَلْنَ الْعُيُونَا ؛ وَذَاتُ غَسَلٍ : مَوْضِعٌ ؛ وَيَمْهَدْنَ : يُوطِّنْنَ ؛ وَالْكُدُونُ ، جَمْعُ كِدْنٍ ، وَهُوَ : مَا تُوطِئُ بِهِ الْمَرْأَةُ مَرْكَبَهَا مِنْ كِسَاءٍ وَنَحْوِهِ .

٢٩٥ - وَفِي صِفَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ : أَرْجَّ الْحَوَاجِبِ ؛ وَمِنْ مَحَاسِنِ الْحَاجِبِ : الْبَلَجُ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْحَاجِبِينَ فُرْجَةٌ ، وَالْعَرَبُ تَسْتَحِبُّ ذَلِكَ وَتَكْرَهُ الْقَرْنَ ، وَهُوَ اتِّصَالُ الْحَاجِبِينَ ، وَفِي صِفَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ : سَوَابِغٌ فِي غَيْرِ قَرْنٍ ، أَيٌّ : إِنَّ حَوَاجِبَهُ دَقَّتْ فِي حَالِ سُبُوغِهَا ؛ وَمِنْ مَعَايِبِ الْحَاجِبِ : الزَّبَبُ ، وَهُوَ كَثْرَةُ شَعْرِهَا ، وَقِيلَ : الزَّبَبُ : كَثْرَةُ الشَّعْرِ فِي الْحَاجِبِينَ وَالْأُذُنَيْنِ ؛ وَفِي الْمَثَلِ : « كُلُّ أَرْبَ نَفُورٍ » قَالُوا : لَا يَكَادُ يَكُونُ الْأَرْبُ إِلَّا نَفُورًا ، لِأَنَّهُ يَنْبُتُ عَلَى حَاجِبَيْهِ شُعَيْرَاتٌ ، فَإِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ نَفَرَ . وَأَنْشَدُوا [من المتقارب] :

وَخَوْفِي بِالظَّنِّ أَنْ لَا أَتِيَلَا      فَ أَوْ يَنْسَاسِي الْأَرْبُ النَّفُورَا  
٢٩٦ - هَذَا ، وَفِي غَرَائِبِ الْبِدْعِ فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ نِسَائِنَا يَعْمَدْنَ

(١) هَذِهِ هِيَ الرَّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ ، وَلَكِنَّ الْعَلَامَةَ الْمِصْرِيَّ ابْنَ بَرِّي رَوَى الْبَيْتَ هَكَذَا [من الوافر] :  
وَهَزَّةً نِسْوَةً مِنْ حَيٍّ صَدَقِ      يُزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونَا

إِلَى حَوَاجِبِهِنَّ فَيَخْلِقْنَهَا وَيَسْتَبْدِلْنَ بِهَا حَوَاجِبَ مُصْطَنَعَةٍ مُرَوَّرَةٍ ، كَأَنَّهُنَّ بِذَلِكَ يُؤَثَّرْنَ صُنْعَ الْإِنْسَانِ وَصِبْغَتَهُ الَّتِي هِيَ أَقْبَحُ عَلَى صُنْعِ اللَّهِ وَصِبْغَتِهِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ! ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ ﴾ [ ٢ سورة البقرة/ الآية : ١٣٨ ] .

الشَّعْرُ وَجَمَالُهُ :

٢٩٧ - أَسْلَفْنَا فِي أَوَّلِ هَذَا الْبَابِ [ الأرقام : ١١٠ وما بعدها ] - بَابِ حَضِّهِمْ عَلَى اللَّظَافَةِ وَالتَّجْمُلِ وَالزَّيْنَةِ - أَنَّ مِمَّا يَجْمَلُ بِالْمَرْأَةِ أَنْ تُغْنِيَ بِهِ وَبِتَنْظِيفِهِ شَعْرَهَا ، فَإِنَّ شَعْرَ الْمَرْأَةِ لَهُ مَكَانَتُهُ فِي جَمَالِهَا ، وَقَدْ قَالُوا فِي وَصَايَاهُمْ : « إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمْ الْمَرْأَةَ فَلْيَسْأَلْ عَنْ شَعْرِهَا ، فَإِنَّ الشَّعْرَ أَحَدُ الْوَجْهَيْنِ » .

٢٩٨ - وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : الشَّعْرُ الْأَسْوَدُ بُرْنُسُ الْجَمَالِ .

٢٩٩ - وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي الشَّعْرِ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ [ من المنسرح ] :

وَفَاجِمٍ وَارِدُ يُقْبَلُ مِمَّنْ      شَاءَ إِذَا اخْتَالَ مُرْسَلًا غُدْرَهُ<sup>(١)</sup>  
أَقْبَلَ كَاللَّيْلِ مِنْ مَفَارِقِهِ      مُنْحَدِرًا لَا نَذْمٌ مُنْحَدَرَهُ<sup>(٢)</sup>  
حَتَّى تَنَاهَى إِلَى مَوَاطِئِهِ      يَلْتَمُّ مِنْ كُلِّ مَوَاطِئٍ عَفْرَهُ<sup>(٣)</sup>  
كَأَنَّهُ عَاشِقٌ دَنَا شَغَفًا      حَتَّى قَضَى مِنْ حَبِيبِهِ وَطْرَهُ

وَقَدْ أَخَذَ بَعْضُهُمْ قَوْلَهُ : حَتَّى تَنَاهَى إِلَى مَوَاطِئِهِ . . . الْبَيْتَ ، فَقَالَ [ من الطويل ] :

طِبَاءُ أَعَارَتْهَا أَلْمَهَا حُسْنَ مَشِيهَا      كَمَا قَدْ أَعَارَتْهَا أَلْعُيُونَ الْجَادِرُ  
فَمِنْ حُسْنِ ذَاكَ أَلْمَشِيِّ جَاءَتْ فَقَبِلَتْ      مَوَاطِئَ مِنْ أَقْدَامِهِنَّ أَلْغَدَائِرُ

(١) فَاجِمٌ ، يُرِيدُ شَعْرًا أَسْوَدَ ؛ وَالْوَارِدُ مِنَ الشَّعْرِ : الَّذِي يَرِدُ الْجِفْلَ وَمَا تَحْتَهُ ؛ وَغُدْرُهُ : صَفَائِرُهُ .

(٢) لَا نَذْمٌ مُنْحَدَرُهُ ، أَيِ : أَنْحَدَارُهُ .

(٣) عَفْرُهُ : تَرَابُهُ .

٣٠٠ - وَقَالَ الْمُتَنَبِّي [من المنسرح] :

دَعَتْ خَلَاخِيلَهَا ذَوَائِبَهَا      فَجِئْنَ مِنْ فَرْقِهَا إِلَى الْقَدَمِ

\* \* \*

٣٠١ - وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الْمُعْتَزِّ [من الطويل] :

سَقَنْتَنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِشَعْرِهَا      شَبِيهَةً خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبٍ<sup>(١)</sup>  
فَأَمْسَيْتُ فِي لَيْلَيْنِ بِالشَّعْرِ وَالْدُّجَى      وَشَمْسَيْنِ مِنْ خَمَرٍ وَخَدٍّ حَيْبٍ

وَكَانَ الْمُتَنَبِّي نَظَرَ إِلَى مَعْنَى ابْنِ الْمُعْتَزِّ فِي قَوْلِهِ [من الكامل] :

كَشَفْتُ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا      فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لِيَالِي أَرْبَعًا  
وَأَسْتَقْبَلْتُ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا      فَأَرَتْنِي الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعًا  
أَرَادَ الْمُتَنَبِّي بِالْقَمَرَيْنِ : الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، فَجَعَلَ وَجْهَهَا شَمْسًا فِي الْحُسْنِ  
وَالضِّيَاءِ قَابِلَ مِنْ بَدْرِ السَّمَاءِ قَمَرًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يُشَبَّهَ وَجْهَهَا بِالْقَمَرِ ، فَهُمَا  
قَمَرَانِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ .

٣٠٢ - قَالَ بَعْضُهُمْ [من الكامل] :

وَإِذَا الْغَزَالَةُ فِي السَّمَاءِ تَرَفَّعَتْ      وَبَدَا الْتَّهَارُ لَوَقْتِهِ يَتَرَخَّلُ  
أَبَدَتْ لَوَجْهِ الشَّمْسِ وَجْهًا مِثْلَهُ      يَلْقَى السَّمَاءَ بِمِثْلِ مَا تَسْتَقْبِلُ

٣٠٣ - وَقَالَ صَرِيحُ الْغَوَانِي مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ [من الطويل] :

فَبِتُّ أَسِرُّ الْبَدْرَ طَوْرًا حَدِيثَهَا      وَطَوْرًا أَنَا جِي الْبَدْرَ أَحْسِبُهَا الْبَدْرَا  
إِلَى أَنْ رَأَيْتُ اللَّيْلَ مُنْكَشَفَ الدُّجَى      يُودِّعُ فِي ظُلُمَائِهِ الْأَنْجُمَ الزُّهْرَا

(١) شَبِيهَةً خَدَّيْهَا ، مَعْمُولٌ سَقَنْتَنِي ، أَيِ : سَقَنْتَنِي خَمْرًا خَمْرَاءَ شَبِيهَةً خَدَّيْهَا .



٣٠٤ - وَقَالَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ [من الكامل] :

بَيْضَاءُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامٍ فَرْعَهَا      وَتَغِيبُ فِيهِ وَهُوَ وَخْفٌ أَسْحَمُ  
فَكَأَنَّهَا فِيهِ نَهَارٌ سَاطِعٌ      وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمٌ  
قَوْلُهُ : « تَسْحَبُ مِنْ قِيَامٍ » يُرِيدُ : مِنْ بَعْدِ قِيَامِهَا ، وَذَلِكَ هُوَ أَلْغَايَةُ فِي  
الطَّوِيلِ وَالسُّبُوعِ ؛ وَوَخْفٌ : كَثِيرٌ حُسْنٍ ؛ وَأَسْحَمُ : أَسْوَدُ .

٣٠٥ - وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ أَلْوَلِيدٍ [من الطويل] :

أَجِدُّكَ مَا تَذَرِينَ أَنَّ رَبَّ لَيْلَةٍ      كَأَنَّ دُجَاهَا مِنْ قُرُونِكَ تُشَرُّ  
نَصَبْتُ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بِغُرَّةٍ      كَغُرَّةٍ يَحْيَى حِينَ يُذَكِّرُ جَعْفَرُ  
قَوْلُهُ : كَغُرَّةٍ يَحْيَى ، مِنْ بَارِعِ الْأَسْتِطْرَادِ إِلَى الْمَدِيحِ .

٣٠٦ - وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ الْأَزْدِيُّ [من الكامل] :

غَرَاءُ لَوْ جَلَّتِ الْخُدُودُ شُعَاعَهَا      لِلشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا لَمْ تُشْرِقِ  
غُضْنٌ عَلَى دِعْصٍ تَأَلَّقَ فَوْقَهُ      قَمَرٌ تَأَلَّقَ تَحْتَ لَيْلٍ مُطْبِقِ<sup>(١)</sup>  
لَوْ قِيلَ لِلْحُسْنِ اخْتِكِمِ لَمْ يَعْدَهَا      أَوْ قِيلَ خَاطِبُ غَيْرِهَا لَمْ يَنْطِقِ  
فَكَأَنَّنَا مِنْ فَرْعِهَا فِي مَغْرِبٍ      وَكَأَنَّنَا مِنْ وَجْهِهَا فِي مَشْرِقِ  
٣٠٧ - وَقَالَ الْمُتَنَبِّي [من الطويل] :

وَمَنْ كُلَّمَا جَرَدْتُهَا مِنْ ثِيَابِهَا      كَسَاهَا ثِيَاباً غَيْرَهَا أَلْشَعْرُ الْوُخْفِ<sup>(٢)</sup>  
٣٠٨ - وَقَدْ سَبَقَ جَمِيعُ الشُّعْرَاءِ فِي هَذَا الْبَابِ أَمْرُ الْقَيْسِ فِي مُعَلَّقَتِهِ حَيْثُ  
يَقُولُ [من الطويل] :

(١) الدَّعْصُ : كَثِيبُ الرَّمْلِ الْمُجْتَمِعِ .

(٢) الْوُخْفُ : أَلْشَعْرُ الْكَثِيرِ الْأَسْوَدِ الْحَسَنِ .

وَفَرَعَ يُعَشِّي الْمَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ أَثِيثٍ كَفَنُوا النَّخْلَةَ الْمُتَعَنِّكِلَ<sup>(١)</sup>  
عَدَائِرُهُ مُسْتَشْرِزَاتٌ إِلَى الْعُلَا تَضِلُّ الْعِقَاصُ فِي مُثْنَى وَمُرْسَلٍ<sup>(٢)</sup>

٣٠٩ - وَمِنْ طَرِيفٍ مَا يَتَعَلَّقُ بِالشَّعْرِ مَا أوردَهُ ابْنُ بَسَّامٍ فِي « الذَّخِيرَةِ »  
قَالَ : وَمِنْ نَوَادِرِ الْأَفَاقِ ، الْحُلُوةُ الْمَسَاقِ ، الْغَرِيبَةُ الْأَتْفَاقِ ، خَبَرُ النَّخْلِيِّ مَعَ  
الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ مَشَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمًا بَعْضُ نِسَائِهِ فِي غِلَالَةٍ لَا يَكَادُ  
يَفْرُقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ جِسْمِهَا ، وَذَوَائِبُ تَخْفِي آيَاتِ الشَّمْسِ فِي مُدْلَهَمِّهَا ، فَسَكَبَ  
عَلَيْهَا مَاءَ وَرْدٍ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَمْتَرَجَ الْجَمِيعُ لِينًا وَأَسْتَرْسَالًا ، وَتَشَابَهَ طِيبًا  
وَجَمَالًا ، وَأَدْرَكَتِ الْمُعْتَمِدَةُ أُرْيَحِيَّةَ الطَّرَبِ ، وَمَالَتْ بِعُطْفِيهِ رَاحُ الْأَدَبِ ، فَقَالَ  
[من الكامل] :

وَهَوِيْتُ سَالِبَةَ الْنُفُوسِ عَزِيزَةً تَخْتَالُ بَيْنَ أَسِنَّةٍ وَبَوَاتِرِ  
قَوْلُهُ : « عَزِيزَةٌ » حَالٌ مِنْ « سَالِبَةٍ » ، وَيُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى الْمَثَلِ : « مَنْ عَزَّ  
بَزَّ » أَيُّ : مَنْ غَلَبَ سَلَبَ .

٣١٠ - ثُمَّ تَعَدَّرَ عَلَيْهِ الْمَقَالُ ، وَاشْتَغَلَ عَنْ تِلْكَ الْحَالِ ، فَقَالَ لِبَعْضِ  
الْخُدَّامِ الْقَائِمِينَ عَلَى رَأْسِهِ : سِرْ إِلَى النَّخْلِيِّ وَخُذْهُ بِإِجَازَةٍ هَذَا الْبَيْتِ ،

(١) يُعَشِّي الْمَتْنَ ، أَي : يَكْسُو الظَّهْرَ لَطُولِهِ وَجُثُولِهِ ، وَيُرْوَى بِدَلِّ يُعَشِّي : يُرَيُّنُ ؛ وَأَثِيثٌ :  
مُلْتَفٌّ كَثِيرٌ ؛ وَالْفَاحِمُ : الشَّدِيدُ السَّوَادِ ؛ وَالْقِنُوءُ ، وَاحِدُ الْأَقْنَاءِ وَالْقَنَوَاتِ ، وَهِيَ  
الْعُتَاكِيلُ ، جَمْعُ عُتْكَوْلٍ ؛ الْعَذْقُ ، وَهُوَ فِي النَّخْلِ بِمَنْزِلَةِ الْعُنُقُودِ فِي الْكَزْمِ - شَجَرِ الْجَنَبِ -  
يَقُولُ : تُبْدِي عَنْ شَعْرِ طَوِيلٍ يُعْطِي ظَهْرَهَا أَوْ يَرِيئُهُ إِذَا أَرْسَلَتْهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ شَبَّهَ ذَوَائِبَهَا بِقِنُوءِ نَخْلَةٍ  
مُتَعَنِّكِلَةٍ ، أَي : خَرَجَتْ عُتَاكِيلُهَا ، وَالذَّوَائِبُ تُشَبَّهُ بِالْعَنَاقِيدِ فِي تَجَعُّدِهَا وَالتَّفَافِئِهَا وَكَثْرَتِهَا .

(٢) الْعَدَائِرُ ، جَمْعُ الْعَدِيرَةِ ، وَهِيَ : الْخَصْلَةُ مِنَ الشَّعْرِ ؛ وَالْأَسْتَشْرِزَارُ : الْأَرْتِفَاعُ ؛  
وَالْعَقِصَةُ : الْخَصْلَةُ الْمَجْمُوعَةُ مِنَ الشَّعْرِ ، يَقُولُ : ذَوَائِبُهَا وَغَدَائِرُهَا مُرْتَفِعَاتٌ إِلَى فَوْقِ ،  
يُرَادُ بِذَلِكَ شَدَّهَا عَلَى الرَّأْسِ بِخُيُوطٍ ، ثُمَّ قَالَ : تَغِيبُ عَقَائِصُهَا فِي شَعْرِ بَعْضِهِ مُثْنَى وَبَعْضُهُ  
مُرْسَلٌ ؛ أَرَادَ وَفُورَ شَعْرِهَا .

وَلَا تُفَارِقُهُ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْهُ ، فَأَصَافَ التَّحْلِيَّ إِلَيْهِ ، لِأَوَّلِ وَقُوعِ الرَّفْعَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ ،  
هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ [من الكامل] :

رَأَيْتُ مَحَاسِنَهَا وَرَقَّ أَدِيمُهَا فَتَكَادُ تُبْصِرُ بَاطِنًا مِنْ ظَاهِرِ  
يُنْدَى بِمَاءِ الْوَرْدِ مُسْبِلُ شَعْرِهَا كَالطَّلِّ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِي طَائِرِ  
فَلَمَّا قَرَأَهُ الْمُعْتَمِدُ اسْتَحْسَنَهُ ، فَقَالَ : أَوْ كُنْتَ مَعَنَا ؟ فَقَالَ التَّحْلِيُّ  
مَا مَعْنَاهُ : يَا قَاتِلَ الْمَخِلِ ، أَوْ مَا تَلَوْتَ : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ [١٦ سورة  
النحل / الآية : ٦٨] .

\* \* \*

### الشَّعْرُ وَاللُّغَةُ :

٣١١ - يُقَالُ : شَعْرٌ جُفَالٌ : إِذَا كَانَ مُجْتَمِعًا كَثِيرًا ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ يَصِفُ  
أَمْرَأَةً [من الوافر] :

تُرِيكَ بَيَاضَ لَبَّتَيْهَا وَوَجْهَهَا كَقَرْنِ الشَّمْسِ أَفْتَقَ ثُمَّ زَالَ<sup>(١)</sup>  
وَأَسْوَدَ كَالْأَسَاوِدِ مُسْبِكِرًا عَلَى الْمَتْنَيْنِ مُنْسَدِلًا جُفَالًا<sup>(٢)</sup>

٣١٢ - وَيُقَالُ : شَعْرٌ وَخَفٌ - بِسُكُونِ الْحَاءِ وَفَتْحِهَا - إِذَا غُزِرَ وَأَسْوَدَ  
وَحَسَنَ وَأَتَّصَلَ ؛ وَسَبْطٌ : إِذَا كَانَ مُسْتَرَسِلًا ؛ وَرَجُلٌ : إِذَا كَانَ بَيْنَ السُّبُوطَةِ  
وَالْجُعُودَةِ ، أَيِ : كَانَ غَيْرَ جَعْدٍ وَلَا سَبْطٍ ؛ وَالْجَعْدُ : نَقِضُ السَّبْطِ ، أَوْ  
الشَّعْرُ الْقَصِيرُ ؛ وَشَعْرٌ قَطُطٌ : إِذَا كَانَ شَدِيدَ الْجُعُودَةِ ؛ وَشَعْرٌ مُفْلَقٌ : إِذَا كَانَ

(١) فَتَقَ قَرْنُ الشَّمْسِ : أَصَابَ فَتَقًا مِنَ السَّحَابِ قَبْدًا مِنْهُ .

(٢) وَأَسْوَدَ ، أَيِ : شَعْرًا أَسْوَدَ ؛ وَالْأَسَاوِدُ ، جَمْعُ أَسْوَدَ ، وَهُوَ الْعَظِيمُ مِنَ الْحَيَاتِ وَفِيهِ سَوَادٌ ؛  
وَمُسْبِكِرًا : مُسْتَرَسِلًا ؛ وَالْمَتْنَانِ : جَنْبَا الظَّهْرِ ، أَوْ مُكْتَنِفَا الصُّلْبِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ مِنْ  
عَصَبٍ وَلَحْمٍ ؛ وَمُنْسَدِلًا : وَقَعَ عَلَى الظَّهْرِ .

نِهَآيَةً فِي الْجُعُودَةِ ، كَشُعُورِ الزَّنَجِ ؛ وَمُعْدُوْدِنَ : إِذَا كَانَ طَوِيْلًا نَاعِمًا ؛  
وَأَثِيْتُ : إِذَا كَانَ كَثِيْرًا مُلْتَفًّا ؛ وَوَارِدٌ : إِذَا كَانَ طَوِيْلًا مُسْتَرْسِلًا يَصِلُ إِلَى  
الْكُفْلِ .

٣١٣ - هَذَا ، وَقَدْ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : مَنْ لَمْ يَخِفْ شَعْرُهُ قَبْلَ الثَّلَاثِينَ لَمْ  
يَصْلُغْ أَبَدًا ، وَمَنْ لَمْ يَحْمِلِ اللَّحْمَ قَبْلَ الثَّلَاثِينَ لَمْ يَحْمِلْهُ أَبَدًا .

\* \* \*

٣١٤ - وَبَعْدُ ، فَهَاهُوَ ذَا قَدْ بَانَ أَنَّ أَحْسَنَ الشَّعْرِ وَأَجْمَلَهُ مَا كَانَ أَسْوَدَ  
طَوِيْلًا مُرْسَلًا ، وَلَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ خَفِيَ هَذَا عَلَى ذَوْقِ نِسَاءِ الْيَوْمِ ! أَوْلَيْكَ  
الْإِلَآئِي عَمَدَنَ إِلَى تِلْكَ الْبِدْعَةِ الَّتِي ابْتَدَعَهَا بَعْضُ حَلَاقِي بَارِسَ ! وَهِيَ قَصُّ  
شُعُورِهِنَّ ، كَأَنَّهُنَّ يُحَاوِلْنَ بِذَلِكَ التَّشْبِيْهَ بِالذُّكْرَانِ ، وَيُبْدِينَ سَخَطَهُنَّ عَلَى  
أَنُوثَتِهِنَّ ، وَمِنْ ثَمَّ أَخَذَنَ يَتَرَجَّلْنَ شَيْئًا فَشَيْئًا ، وَقَدْ نَعَى الْعُقْلَاءُ قَدِيْمًا عَلَى  
النِّسَاءِ تَشْبِيْهَهُنَّ بِالرِّجَالِ وَكَفَرَهُنَّ بِأَنُوثَتِهِنَّ ! وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيْفِ عَنِ ابْنِ  
عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ  
وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ [راجع البخاري ، رقم : ٥٨٨٦] . وَلَيْتَ الْأَمْرَ وَقَفَ  
عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ ! وَإِنَّمَا تَجَاوَزَهُ إِلَى صَنْعِ شُعُورِهِنَّ ذَلِكَ الصَّنْعَ الْأَصْفَرَ الَّذِي  
يَشُقُّ مَنَظَرَهُ عَلَى الْأَخْدَاقِ ، وَيَنْبُو بِهِ الْأَذْوَاقُ ، وَيَأْنَفُ مِنْهُ الْجَمَالُ وَالْكَمَالُ ،  
أَيَّنَ أَتَنَّتْ مِنَ السَّوَادِ الَّذِي هُوَ أَجْمَلُ أَلْوَانِ الشَّعْرِ ؟ ! وَأَيَّنَ أَتَنَّتْ مِنَ الشَّعْرِ الطَّوِيلِ  
الْمُنْسَدِلِ عَلَى الظَّهْرِ ، ذِي الْغَدَائِرِ وَالضَّفَائِرِ الَّذِي أَفْتَتَنَ بِهِ ذَوُو الصَّبَابَةِ مِنَ  
الشُّعْرَاءِ وَالْأُدْبَاءِ وَالْغَزَلِيِّينَ ؟ ! وَغَيْرِ الشُّعْرَاءِ مِنْ سَائِرِ الرِّجَالِ الَّذِينَ هُمْ الْحَكَمُ  
الْتَرَضَ حُكُومَتُهُ فِي جَمَالِكُنَّ .

سَيِّدَاتِي أَنْسَاتِي ! أَنْشُدُكُنَّ الْجَمَالَ إِلَّا مَا أَقْلَعْتُنَّ عَنِ التَّقْلِيدِ ، وَإِذَا كَانَ

التقليد ما منه بُد في رأيك فليكن عن بصيرة وروية وطول آناة وموازنة ، وإني أظنك قد فطنت إلى أنك كثيراً ما أسرعت إلى تقليد غيرك في بدعة ما ثم لا تلبث أن تقلعن عنها بعد أن يتبين لك أنها غير خليفة بالاتباع . وصدق من قال : في العجلة الندامة وفي التأني السلامة .



الجبهة والجبين وما يتصل بهما من الطرر والسوالف :

٣١٥ - الجبهة على التقريب : موضع السجود من الإنسان ، والجبينان يكتنفانها من جانبيها ، قال ابن قتيبة في « أدب الكتاب » [ صفحة : ٣٦ ] : لا يكاد الناس يفرقون بين الجبهة والجبين ، فالجبهة مسجد الرجل - موضع سجوده - الذي يصيبه ندب السجود<sup>(١)</sup> والجبينان يكتنفانها ، من كل جانب جبين ؛ وقال ابن سيده : الجبينان : حرفان مكتنفا للجبهة من جانبيها فيما بين الحاجبين مضعداً إلى فصاص الشعر . [ « لسان العرب » ، مادة : جبن ] .

ويستحب من الجبهة استرسالها ورقة بشرتها وعدم تغضنها ، ويقال لمن كان بهذه الصفة : صلت الجبين ، وطلق الجبين ، وواضح الجبين ، وليس واضح الجبين كناية عن البياض إذ قد يقال ذلك لمن كان أسمر ، وضد صلت الجبين والواضح والطلق : الأغصن والمرأة غضناء ، وواحد الغصون غصن وغصن ، وتسمى الغصون الأسارير ، واحدها سرر ، فإن الأسارير جمع أسرار ، والأسرار جمع سرر ، فالأسارير جمع الجمع ، ومثل السرر سرار ، وجمعه على هذا أسرة ، قال أبو كبير الهذلي [ من الرجز ] :

(١) ندب السجود : أثره ، جمع ندبة ، وهي في الأصل أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد .

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى أَسْرَةٍ وَجْهِهِ بَرَقَتْ كَبْرَقِ الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ<sup>(١)</sup>  
وَيُسْتَحَبُّ فِي الْجَبْهَةِ أَيْضاً اتِّسَاعُهَا مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ .

٣١٦ - وَكَانَتْ عَلِيَّةُ بِنْتُ الْمَهْدِيِّ أُخْتُ هَارُونَ الرَّشِيدِ - كَمَا رَوَى صَاحِبُ  
« الْأَغَانِي » - مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَأَظْرَفِهِمْ ، تَقُولُ الشَّعْرُ الْجَيِّدُ<sup>(٢)</sup> وَتَصُوغُ فِيهِ  
الْأَلْحَانَ الْحَسَنَةَ ، وَكَانَ بِهَا عَيْبٌ : كَانَ فِي جَبِينِهَا فَضْلٌ سَعَةٍ حَتَّى تَسْمَعَ<sup>(٣)</sup> ،  
فَاتَّخَذَتْ الْعَصَائِبَ الْمُكَلَّلَةَ بِالْجَوْهَرِ لِتَسْتُرَ بِهَا جَبِينَهَا ، فَأَخَذْتُ وَاللَّهِ شَيْئاً  
مَا رَأَيْتُ فِيمَا أُبْتَدَعُهُ النِّسَاءُ وَأَخَذْتُهُ أَحْسَنَ مِنْهُ .

\* \* \*

الطَّرَةُ :

٣١٧ - قَالَ الْأَعَشِيُّ [ مِنْ الْبَسِيطِ ] :

غَرَاءُ فَرَعَاءُ مَضْفُولٌ عَوَارِضُهَا تَمْشِي الْهُوَيْنَا كَمَا يَمْشِي الْوَجِيُّ الْوَحْلُ  
غَرَاءُ : بَيَضَاءُ الْوَجْهِ ، وَعَنِ الْأَضْمَعِيِّ ، قَالَ : قُلْتُ لِأَعْرَابِيَّةٍ :  
مَا الْغَرَاءُ ؟ قَالَتْ : أَلَّتِي بَيْنَ عَيْنَيْهَا بَلَجٌ ، وَفِي جَبْهَتِهَا اتِّسَاعٌ يَتَبَاعَدُ مَعَهُ قُصَّتُهَا  
عَنْ حَاجِبَيْهَا ، فَيَكُونُ بَيْنَهُمَا نَفْتٌ<sup>(٤)</sup> ؛ وَفَرَعَاءُ : طَوِيلَةُ الشَّعْرِ ؛ وَعَوَارِضُهَا :

(١) الْعَارِضُ : السَّحَابَةُ تَرَاهَا فِي نَاحِيَةِ مِنَ السَّمَاءِ ؛ وَالْمُتَهَلِّلُ : الْمُتَلَالِيءُ بِالْبَرْقِ .

(٢) وَمِنْ شِعْرِهَا [ مِنَ الرَّمْلِ ] :

بُنِيَ الْخُبُّ عَلَى الْجَوْرِ فَلَوْ  
لَيْسَ يُسْتَحْسَنُ فِي حُكْمِ الْهَوَى  
لَا تَعْيَيْنُ مِنْ مُحِبِّ ذَلَّةٍ  
وَقَلِيلُ الْخُبِّ صِرَافاً خَالِصاً  
أَنْصَفَ الْمَغْشُوقُ فِيهِ لَسُخْ  
عَاشِقٌ يُحْسِنُ تَأْلِيفَ الْخُبَجِ  
ذَلَّةُ الْعَاشِقِ مِفْتَاحُ الْفَرْجِ  
لَكَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ قَدْ مُزِجَ

(٣) عِبَارَةٌ « التُّجُومُ الزَّاهِرَةُ » : وَكَانَ فِي جَبْهَتِهَا سَعَةٌ تُشِينُ وَجْهَهَا .

(٤) الْقِصَّةُ تَتَّخِذُهَا الْمَرْأَةُ فِي مُقَدِّمِ رَأْسِهَا تَقْصُ نَاجِبِيَّهَا عَدَا جَبِينَهَا ؛ وَالنَّفْتُ : الْفُرْجَةُ بَيْنَ  
الشَّيْئَيْنِ .

ثَنَّا يَاهَا أَوْهَى مَا يَبْدُو عِنْدَ الضَّحِكِ ؛ وَمَضْقُولَةٌ : مَجْلُوءَةٌ ؛ وَالْوَجِيءُ : الَّذِي أَصَابَهُ الْحَفَا ، وَالْحَفَا : أَنْ تَرَقَّ أَلْقَدَمَانِ مِنْ كَثَرَةِ الْمَشْيِ ؛ وَالْوَحْلُ : الَّذِي أَرْتَطَمَ فِي الطِّينِ الرَّقِيقِ ؛ وَهَذِهِ الْقُصَّةُ الَّتِي وَصَفْتَ الْأَعْرَابِيَّةَ هِيَ الطَّرَةُ ، وَسُمِّيَتْ كَذَلِكَ لِأَنَّهَا مَقْطُوعَةٌ مِنْ جُمْلَةِ الشَّعْرِ ، تَشْبِيهَا لَهَا بِطَرَةِ الثُّوبِ ، وَهِيَ حَاشِيَتُهُ الَّتِي لَا هُدْبَ لَهَا . . . وَمِنْ كَلَامِ الْحَرِيرِيِّ فِي إِحْدَى مَقَامَاتِهِ : لَا وَالَّذِي زَيْنَ الْجَبَاهَةِ بِالطَّرِرِ ، وَالْعُيُونَ بِالْحَوَرِ .

٣١٨ - وَهُمْ يُشَبِّهُونَ أَطْرَافَ الشَّعْرِ الْمَضْفُونِ بِرُؤُوسِ السَّيِّنَاتِ إِذَا كُتِبَتْ ، كَمَا يُشَبِّهُونَ السَّيِّنَاتِ بِهَا ، قَالَ الْتَّهَامِيُّ [ مِنْ الْبَسِطِ ] :

وَفِي كِتَابِكَ - فَأَعِزِّرْ مَنْ تَهَيَّمَ بِهِ مِنْ الْمَحَاسِنِ مَا فِي أَجْمَلِ الصُّورِ  
الطَّرُسُ كَالْحَدِّ وَالثُّونَاتُ دَائِرَةٌ مِثْلُ الْحَوَاجِبِ وَالسَّيِّنَاتُ كَالطَّرِرِ  
السَّوَالِفُ :

٣١٩ - السَّوَالِفُ كِنَايَةٌ عَنْ خُصَلٍ مِنَ الشَّعْرِ تُرْسَلُ عَلَى الْخَدِّ ، وَاحِدُهَا سَالِفٌ وَسَالِفَةٌ ، وَفَاعِلٌ إِذَا كَانَ أَسْمًا وَلَمْ يَكُنْ صِفَةً يُجْمَعُ عَلَى فَوَاعِلَ ، وَالسَّالِفَةُ فِي الْأَصْلِ : صَفْحَةُ الْعُنُقِ ، فَسُمِّيَتْ خُصْلَةُ الشَّعْرِ الْمَذْكُورَةِ سَالِفَةً لِاتِّصَالِهَا شَيْئًا مِنَ الْإِتِّصَالِ بِالسَّالِفَةِ ، إِذِ السَّالِفَةُ هِيَ مَوْضِعُ إِزْسَالِهَا ، وَقَدْ تُسَمَّى أَيْضًا أَصْدَاغًا ، إِذِ الصُّدْغُ هُوَ مُبْتَدَأُ إِزْسَالِهَا ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ فِي « الصَّحَاحِ » : الصُّدْغُ ، خُصْلَةٌ مِنَ الشَّعْرِ تُرْسَلُ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ ؛ قَالَ بَعْضُهُمْ [هُوَ أَبُو فِرَاسٍ الْحَمْدَانِيُّ] ، مِنْ الْبَسِطِ :

سَكِرْتُ مِنْ لَحْظِهِ لَا مِنْ مُدَامَتِهِ وَمَالَ بِالثُّومِ عَنْ عَيْنِي تَمَائِلُهُ  
وَمَا السُّلَافُ دَهْتَنِي بَلْ سَوَالِفُهُ وَمَا السُّمُولُ أَزْدَهْتَنِي بَلْ شَمَائِلُهُ<sup>(١)</sup>

أَلْوَىٰ بِصَبْرِي أَصْدَاغُ لَوِينَ لَهُ      وَغُلٌّ صَدْرِي بِمَا تَحْوِي غَلَاثِلُهُ<sup>(١)</sup>  
٣٢٠ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ [من الطويل] :

أَرَىٰ سَهْمَ لَحْظٍ حَوْلَ عَقْرَبٍ سَالِفٍ      وَكَيْفَ نَجَاتِي بَيْنَ سَهْمٍ وَعَقْرَبٍ  
وَالْحَظُّ مَا طَلَّتْهُ بِاللَّحْظِ مِنْ دَمِي      عَلَىٰ وَجْنَتَيْهَا وَالْبَنَانِ الْمُخَضَّبِ  
٣٢١ - وَقَالَ آخَرُ وَذَكَرَ الْأَصْدَاغَ [من الهزج] :

ظَبَاءُ كَالدَّنَانِيرِ      كِنَاسٌ فِي الْمَقَاصِيرِ  
وَقَدْ عَقَرَبْنِ أَصْدَاغًا      كَأَذْنَابِ الزَّرَازِيرِ  
٣٢٢ - وَقَالَ آخَرُ [من الرمل] :

وَيَنْفَسُ مَنْ إِذَا لَمَسْتُهُ      نَشَرَ الْوَرْدُ عَلَيْهِ وَرَقَهُ  
وَإِذَا مَسَّتْ يَدِي أَصْدَاغَهُ      أَفْلَتَتْ مِنْهَا فَعَادَتْ حَلَقَهُ<sup>(٢)</sup>

(١) غُلٌّ، مِنَ الْغَلِيلِ، وَهُوَ هُنَا: حَرَارَةُ الْحُبِّ؛ وَالْغَلَاثِلُ، جَمْعُ غِلَاثَةٍ، وَهِيَ: الشَّعَارُ يُلْبَسُ تَحْتَ الثَّوْبِ؛ وَالْوَىٰ بِصَبْرِي: ذَهَبَ بِهِ.

(٢) قَوْلُهُ: «فَعَادَتْ حَلَقَهُ» قَالَ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ: إِنَّ الْوَجْهَ تَسْكِينُ اللَّامِ فِي مِثْلِي: حَلَقَةُ الْحَدِيدِ وَحَلَقَةُ النَّاسِ، أَمَّا حَلَقَةُ يَفْتَحُ اللَّامِ، فَهِيَ جَمْعُ خَالِقٍ؛ وَرُويَ عَنْ أَبِي عَمْرٍو ابْنِ الْعَلَاءِ: حَلَقَةُ فِي الْوَاحِدِ بِتَخْرِيكِ اللَّامِ، وَالْجَمْعُ حَلَقٌ وَحَلَقَاتٌ؛ وَقَالَ ثَعْلَبٌ: كُلُّهُمْ يُجِيرُهُ عَلَى ضَعْفِهِ، وَأَنْشَدَ [من الطويل]:

مَهْلًا يَبِي رُومَانَ بَعْضَ وَعِيدِكُمْ      وَإِيَّاكُمْ وَالْهَلْبَ مِثِّي عَضَارِطًا  
أَرِطُوا فَقَدْ أَفْلَقْتُمْ حَلَقَاتِكُمْ      عَسَىٰ أَنْ تَفُوزُوا أَنْ تَكُونُوا رَطَائِطًا  
يَقُولُ: قَدْ أَضْطَرَبَ أَمْرُكُمْ مِنْ بَابِ الْجَدِّ وَالْعَقْلِ، فَتَحَامَقُوا عَسَىٰ أَنْ تَفُوزُوا بِجَهْلِكُمْ وَحُمَقِكُمْ، وَفِي الْمَثَلِ: «أَرِطِي فَإِنَّ خَيْرَكَ فِي الرِّطِيطِ» يُضْرَبُ لِلْأَحْمَقِ الَّذِي لَا يُرْزَقُ إِلَّا بِالْحُمَقِ، فَإِنْ ذَهَبَ يَتَعَاقَلُ حُرْمٌ؛ وَالْهَلْبُ جَمْعُ أَهْلَبٍ، وَهُوَ الْكَثِيرُ شَعَرِ الْأَنْثَيْنِ؛ وَالْعُضْرُطُ: الْعِجَانُ، أَوْ الْحُطُّ الَّذِي مِنَ الذَّكْرِ إِلَى الذَّكْرِ، وَيُقَالُ: إِنَّ الْأَهْلَبَ الْعُضْرُطُ لَا يُطَاقُ؛ وَأَرِطُوا: أَحْمَقُوا؛ وَرَطَائِطًا: حَمَقُوا؛ وَقَوْلُهُ: أَفْلَقْتُمْ حَلَقَاتِكُمْ، أَيُّ: أَنْسَدْتُمْ عَلَيْكُمْ أَمْرَكُمْ.



٣٢٣ - وَهَذَا الْآخِرُ قَدْ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ حَدِيثٍ يُرَوَّى عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : حَجَجْتُ مَعَ أَبِي وَأَنَا غُلَامٌ وَعَلَيَّ جُمَّةٌ ، فَجِئْنَا لِلْسَّلَامِ عَلَى عُمَرَ ابْنِ أَبِي رَيْعَةَ ، فَجَعَلَ يَمُدُّ الْخُصْلَةَ مِنْ شَعْرِي ثُمَّ يُرْسِلُهَا ، فَتَرْجِعُ إِلَّا مَا كَانَتْ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُ : وَاشْبَابَاهُ . . .

٣٢٤ - وَمِمَّا وُصِفَ بِهِ الصُّدْعُ - وَالْمُرَادُ بِهِ كَمَا أَسْلَفْنَا الشَّعْرَ الْمُتَدَلِّيَ عَلَى الصُّدْغَيْنِ ، وَهُمَا مَا بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ - فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ [من الكامل] :

رِيمٌ ، يَتِيهِ بِحُسْنِ صُورَتِهِ      عَبَثَ الْفُتُورُ بِلَخْظِ مُقْلَتِهِ<sup>(١)</sup>  
فَكَأَنَّ عَقْرَبَ صُدْغِهِ وَقَفَتْ      لَمَّا دَنْتُ مِنْ نَارٍ وَجَّتِيهِ

٣٢٥ - وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ [من الخفيف] :

أَبْدَأْ نَحْنُ فِي خِلَافٍ ، فَمَنِّي      فَرُطُ حُبٍّ وَمِنْكَ لِي فَرُطُ بُغْضٍ  
فِي صُدْغَيْكَ فَوْقَ خَطِّ عِذَارٍ      ظُلُمَاتُ بَعْضِهَا فَوْقَ بَعْضٍ<sup>(٢)</sup>

٣٢٦ - وَقَالَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ [من الوافر] :

وَعَهْدِي بِالْعَقَارِبِ حِينَ تَشْتُو      تُخَفِّفُ لَدَغَهَا وَتُقِلُّ ضُرًّا

= وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْفَرَزْدَقُ حَلَقَةً فِي حَلَقَةِ الْقَوْمِ ، قَالَ [من الرجز] :  
يَا أَيُّهَا الْجَالِسُ وَسَطَ الْحَلَقَةِ      أَفِي زِنَا قُطِعَتْ أُمٌ فِي سَرَقَةٍ  
وَفِي الْمَثَلِ : « هُمْ كَالْحَلَقَةِ الْمُفْرَغَةِ لَا يُدْرَى أَيُّهَا طَرَفُهَا » يُضْرَبُ مَثَلًا لِلْقَوْمِ إِذَا كَانُوا مُجْتَمِعِينَ مُؤْتَلِفِينَ ، كَلِمَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَاحِدَةٌ ، لَا يَطْمَعُ عَدُوُّهُمْ فِيهِمْ وَلَا يَتَأَلَّ مِنْهُمْ .

(١) الرِّيمُ : الظَّنِيُّ الْخَالِصُ النَّيَاضُ ، شَبَّهَ صَاحِبَهُ بِهِ .  
(٢) الْعِذَارُ فِي الْأَصْلِ : مَا سَالَ مِنَ اللَّجَامِ عَلَى خَدِّ الْفَرَسِ ، وَالْمُرَادُ هُنَا : الْخُصْلَةُ مِنَ الشَّعْرِ الَّتِي تُحَادِي الْأُذُنَ فِي الْفَتَيَانِ .

فَمَا بَالُ الشَّتَاءِ أَتَى وَهَذَا عَقَارِبُ صُدْغِهِ يَزْدَدْنَ شَرًّا  
٣٢٧ - وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ كُشَاجِمُ [من الكامل] :

وَمَنْعَنَ وَرَدَ خُدُودِهِنَّ فَلَمْ نَطِقْ قَطْفًا لَهَا لِعَقَارِبِ الْأَصْدَاغِ  
٣٢٨ - وَقَالَ الشَّاعِرُ الْأَنْدَلِسِيُّ أَبُو الصَّلْتِ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ [من الكامل] :

دَبَّ الْعِذَارُ بِخَدِّهِ ثُمَّ أَتَشَى عَنْ لَثَمِ مَبْسِمِهِ الْبُرُودِ الْأَشْنَبِ<sup>(١)</sup>  
لَا غَرَوْ أَنْ خَشِيَ الرَّدَى فِي لَثَمِهِ فَالَرَّيْقُ سُمٌّ قَاتِلٌ لِلْعَقْرَبِ<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

### الْخُدُودُ وَالْوَجَنَاتُ :

٣٢٩ - الْحَدَّانِ مِنَ الْوَجْهِ : جَانِبَاهُ ، وَهُمَا مِنْ لَدُنْ مَخْجِرِ الْعَيْنِ إِلَى  
اللَّحْيِ ، أَوْ مَا جَاوَزَ مُؤَخَّرَ الْعَيْنِ إِلَى مُنْتَهَى الشَّدَقِ مِنْ جَانِبِي الْوَجْهِ ،  
وَالْوَجَنَتَانِ : مَا نَتَأَ مِنْ لَحْمِ الْخَدَّيْنِ ، وَيُقَالُ : وَجَنَةٌ وَوَجْنَةٌ وَوَجْنَةٌ  
وَأَجَنَةٌ وَأَجَنَةٌ وَأَجَنَةٌ ...

٣٣٠ - وَالشُّعْرَاءُ يُشَبِّهُونَ حُمْرَةَ الْخَدِّ بِحُمْرَةِ الثَّقَاحِ وَالْوَرْدِ وَحُمْرَةِ الْخَمْرِ  
وَالْجَمْرِ وَالْدَّمِ ، وَنَحْنُ نُورِدُ عَلَيْكَ بَعْضَ عِبْقَرِيَّاتِهِمْ فِي الْخُدُودِ وَالْوَجَنَاتِ .

٣٣١ - قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ [من المنسرح] :

يَا وَجَنَتَيْهِ اللَّتَيْنِ مِنْ بَهَجٍ فِي صُدْغَيْهِ اللَّذَيْنِ مِنْ دَعَجٍ<sup>(٣)</sup>

(١) الْأَشْنَبُ : مَاءٌ وَرِقَّةٌ تَجْرِي عَلَى الثَّغْرِ مَعَ بَرْدٍ وَعُدُوبَةٍ فِي الْفَمِ .

(٢) لَا غَرَوْ : لَا عَجَبَ ، لَمَّا شَبَّهَ عِذَارَهُ - الشَّعْرَ الْمُنْدَلَّى عَلَى صُدْغِهِ - بِالْعَقْرَبِ فِي الْإِلْتِوَاءِ  
وَالْإِنْعِطَافِ ؛ عَلَّلَ عَلَى سَبِيلِ التَّخْيِيلِ الْبَدِيعَ عَدَمَ دُنُوِّ عِذَارِهِ مِنْ قِمِهِ وَبُعْدِهِ عَنْهُ بِأَنَّهُ يَخْشَى  
الْهَلَاكَ مِنْ رَيْقِهِ لِمَا رَعَمُوهُ أَنَّ الرَّيْقَ قَاتِلٌ لِلْعَقْرَبِ .

(٣) الدَّعَجُ هُنَا : السَّوَادُ ، أَيِ : سَوَادُ صُدْغَيْهِ ، وَهُمَا - أَيِ : الصُّدْغَانِ - الْخُصْلُ مِنَ الشَّعْرِ =

مَا حُمْرَةٌ فِيكُمْ : أَمِنْ خَجَلٍ أَمْ صِبْغَةُ اللَّهِ ، أَمْ دَمُ الْمُهْجِ ؟

٣٣٢ - وَقَالَ أَيْضاً [من الخفيف] :

وَعَزَالَ تَرَى عَلَى وَجَّتَيْهِ  
لَهْفَ نَفْسِي لِتِلْكَ مِنْ وَجَنَاتِ  
أُنْهَلْتُ صِبْغَ نَفْسِهَا ثُمَّ عَلْتُ  
جَرَحَتُهُ الْعُيُونُ فَأَقْتَصَّ مِنْهَا  
قَطَرَ سَهْمَيْهِ مِنْ دِمَاءِ الْقُلُوبِ<sup>(١)</sup>  
وَرَدُّهَا وَرَدُّ شَارِقِ مَهْضُوبِ<sup>(٢)</sup>  
مِنْ دِمَاءِ الْقَتْلَى بِغَيْرِ ذُنُوبِ  
يَجْوَى فِي الْقُلُوبِ دَامِي الْكُذُوبِ<sup>(٣)</sup>

٣٣٣ - وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ : أُنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَاقُوتَ لِنَفْسِهِ [من

المنسرح] :

يُضْفَرُ لَوْنِي إِذَا تَأَمَّلْتَهُ  
حَتَّى كَانَ الَّذِي بِوَجَّتَيْهِ  
طَرْفِي وَيَحْمَرُّ خَدُّهُ خَجَلًا  
مِنْ دَمِ قَلْبِي إِلَيْهِ قَدْ نَقَلَا

٣٣٤ - وَقَالَ الْوَأُوَاءُ الدَّمَشْقِيُّ مِنْ شُعْرَاءِ « الْيَتِيمَةِ » [من السريع] :

لَا تَظْلِمُوا النَّاسَ وَلَا تَطْلُبُوا  
وَيَا لِقَوْمِي دُونَكُمْ شَادِنًا  
بِثَارِي الْيَوْمِ أَدَى مُسْلِمٍ  
مُعْتَدِلِ الْقَامَةِ وَالْمُبَسَّمِ  
فَإِنْ أَبَى إِلَّا جُحُودَ الْهَوَى  
وَإِكْتِسَامَ الْأَمْرِ وَلَمْ يُعْلَمِ  
قُولُوا لَهُ يَكْشِفُ عَنْ خَدِّهِ  
فَإِنَّ فِيهِ نَقْطًا مِنْ دَمِي

٣٣٥ - وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْغَفَّارِ الْمِصْرِيُّ أَحَدُ شُعْرَاءِ « الْيَتِيمَةِ » [من

= الْمُرْسَلَةَ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ .

(١) قَطَرَ سَهْمَيْهِ ، فَسَهْمَاهُ هُنَا : كِنَايَةٌ عَنْ عَيْنَيْهِ ، فَعَيْنَاهُ تَقْطُرُ دَمًا تَسْرَبُ إِلَيْهِمَا مِنْ دِمَاءِ قُلُوبِ مُجَنَّبِيهِ .

(٢) مَهْضُوبٌ : مَمْطُورٌ ، يَغْنِي : وَرَدُ الشُّرُوقِ الَّذِي بَلَغَهُ الْمَطَرُ .

(٣) الْكُذُوبُ : الْجُرُوحُ أَوْ أَثَرُهَا .

مجزوء الكامل ] :

وَرَدُ الْخُدُودِ أَرَقُّ مِنْ وَرْدِ الرِّيَاضِ وَأَنَعَمُ  
هَذَا تَنَشُّقُهُ الْأَنْوُ فُ وَذَا يَقْبَلُهُ الْقَوْمُ  
فَإِذَا عَدَلْتَ فَأَفْضَلُ الْوَرْدَيْنِ وَرَدُّ يُلْثَمُ

٣٣٦ - وَقَالَ دِيكُ الْجِنِّ [من مجزوء الكامل] :

بِأَبِي الثَّلَاثِ الْآنَسَا ث الرَّاغِقَاتُ الْغَائِيَاتُ  
أَقْبَلْنَ ، وَالْأَصْدَاغُ فِي وَجَنَاتِهِنَّ مُعْفَرَاتُ<sup>(١)</sup>  
الْفَاطَهُنَّ مُوَنَّثَا ت وَالْجُفُونُ مُذَكَّرَاتُ  
حَتَّى إِذَا عَايَنَتْهُنَّ وَلِلْأُمُورِ مُسَبِّحَاتُ  
جَمَشَتْهُنَّ وَقُلْتُ طِيبُ عِنَاقِكُنَّ هُوَ الْحَيَاةُ  
فَحَجَلْنَ حَتَّى خِلْتُ أَنَّ خُدُودَهُنَّ مُعْصَفَرَاتُ<sup>(٢)</sup>

٣٣٧ - وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ [من الرمل] :

تَشْرَعُ الْأَلْحَاظُ فِي وَجَّتَيْهَا تُلَاقِي الرِّيَّ مِنْ مَشْرِبَيْهَا  
فَهِيَ حَسْبُ الْعَيْنِ مِنْ نُزْهَتَيْهَا وَهِيَ حَسْبُ الْأُذُنِ مِنْ مَطَرَبَيْهَا

٣٣٨ - وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ [من الكامل] :

نُجَلُ الْعُيُونِ سَوَاحِرُ اللَّحْظَاتِ هَيَّجْنَ مِنْكَ سَوَاكِنَ الْحَرَكَاتِ  
أَقْبَلْنَ يَرْمِينَ الْجِمَارَ تَنَشُّكَا فَجَعَلْنَ قَلْبَكَ مَوْضِعَ الْجَمَرَاتِ  
فَكَأَنَّهِنَّ غُصُونُ بَانٍ نَاعِمٍ يَحْمِلْنَ تَفَاحاً عَلَى الْوَجَنَاتِ

(١) الْأَصْدَاغُ هُنَا : الشَّعْرُ الْمَرْخِيُّ بَيْنَ الْأُذُنِ وَالْعَيْنِ ، وَهِيَ : السَّوَالِفُ ، وَمُعْفَرَاتُ : مَلَوِيَّةٌ كَالْعَقْرَبِ .

(٢) مُعْصَفَرَاتُ : مَضْبُوعَةٌ بِالْعُصْفَرِ ، وَهُوَ صَبَغٌ أَصْفَرُ اللَّوْنِ .

٣٣٩ - وَقَالَ بَعْضُ شُعَرَاءِ الْأَنْدَلُسِ [من المنسرح] :

مَالِي بِجَوْرِ الْحَيِّبِ مِنْ قِيلِ      هَلْ حَاكِمٌ عَادِلٌ فَيَحْكُمَ لِي  
حُمْرُهُ خَدَّيْهِ مِنْ دَمِي صُبِغَتْ      وَيَدَّعِي أَنَّهَا مِنْ الْخَجَلِ

٣٤٠ - وَقَالَ تَمِيمُ ابْنُ الْمُعِزِّ لِذَيْنِ اللَّهِ الْفَاطِمِيِّ [من البسيط] :

نَاوَلْتُهَا شِبْهَ خَدَّيْهَا مُعْتَقَةً      صِرْفًا كَأَنَّ سَنَاهَا ضَوْءُ مِقْيَاسِ  
فَقَبَّلْتُهَا وَقَالَتْ وَهِيَ ضَاحِكَةٌ      فَكَيْفَ تَهْدِي خُدُودَ النَّاسِ لِلنَّاسِ  
قُلْتُ: أَشْرَبِي فِيهِ مِنْ دَمْعِي وَحُمْرُتُهَا      دَمِي وَطَابِخُهَا فِي الْكَاسِ أَنْفَاسِي  
قَالَتْ فَإِنْ كُنْتُ مِنْ حُبِّي بِكَيْتَ دَمًا      فَاسْقِنِيهَا عَلَى الْعَيْنَيْنِ وَالرَّاسِ  
يَا لَيْلَةَ بَاتَ فِيهِ الْبَدْرُ مُعْتَنِقِي      وَبَاتَتِ الشَّمْسُ فِيهَا بَعْضَ خُلَاسِ  
وَيْتٌ مُسْتَغْنِيًا بِالثَّغْرِ عَنْ قَدَحِ      وَبِالْخُدُودِ عَنِ الثَّقَاحِ وَالْآسِ

\* \* \*

النُّحُورُ وَالصُّدُورُ :

٣٤١ - النَّحْرُ : مَوْضِعُ الْفِلَادَةِ مِنَ الصَّدْرِ ؛ وَمِثْلُهُ : اللَّبَّةُ ، وَاللَّبَبُ ،  
وَالْجَمْعُ : لَبَاتٌ ، وَلِبَابٌ ؛ وَمِثْلُهَا : التَّرِييَةُ ، وَالْجَمْعُ تَرَائِبٌ ، قَالَ عَزَّ  
وَجَلَّ : ﴿ خَلَقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿١﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ [٨٦ سورة الطارق/ الآيتان : ٧ و ٦] .

٣٤٢ - وَقَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ [من الطويل] :

مُهْفَهْفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ      تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجْنَجَلِ  
الْمُهْفَهْفَةُ : اللَّطِيفَةُ الْخَضِرُ الضَّامِرَةُ الْبُطْنِ ؛ وَالْمُفَاضَةُ : الْعَظِيمَةُ الْبُطْنِ  
الْمُسْتَرْخِيَةُ اللَّحْمِ ؛ وَالصَّقْلُ : إِزَالَةُ الصَّدَأِ وَالذَّنَسِ وَنَحْوِهِمَا ؛ وَالسَّجْنَجَلُ :  
الْمِرْآةُ .

يَقُولُ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ : هِيَ أَمْرَأَةٌ دَقِيقَةُ الْخَضِرِ ، ضَامِرَةُ الْبَطْنِ ، غَيْرُ عَظِيمَةِ الْبَطْنِ وَلَا مُسْتَرْخِيَّةٍ ، وَصَدْرُهَا صَافٍ مُتَلَالِيٌّ تَلَالُؤُ الْمِرْآةِ .

٣٤٣ - فَكُلُّ مَنْ النَّحْرِ وَاللَّبَّةِ وَالتَّرِيبَةِ : مَوْضِعُ الْقِلَادَةِ مِنَ الصَّدْرِ .

٣٤٤ - وَقَالَ الْحَمَاسِيُّ ، وَهُوَ زِيَادُ بْنُ مُنْقِذٍ [من البسيط] :

سُودٌ ذَوَائِبُهَا بِيضٌ تَرَائِبُهَا دُرٌّ مَرَافِقُهَا فِي خَلْقِهَا عَمٌّ  
سُودٌ ذَوَائِبُهَا : يَقُولُ : إِنَّ شَعْرَهَا أَسْوَدُ ، لِأَنَّهَا شَابَّةٌ ؛ أَمَا قَوْلُهُ : دُرٌّ  
مَرَافِقُهَا ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : مِرْفَقٌ أَدْرَمٌ : إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَجَمٌ لِإِكْتِنَازِهِ بِاللَّحْمِ ، أَيْ :  
إِنَّ مَرَافِقَهَا مُمْتَلِئَةٌ لَحْمًا ؛ وَفِي خَلْقِهَا عَمٌّ ، أَيْ : طَوِيلٌ أَوْ تَمَامٌ وَكَمَالٌ .

٣٤٥ - وَقَالَ الْأَعَشِيُّ [من السريع] :

عَهْدِي بِهَا فِي الْحَيِّ قَدْ سُرِبَلَتْ هِنَاءٌ مِثْلَ الْمُهْرَةِ الضَّامِرِ  
قَدْ حَجَمَ الثَّدْيُ عَلَى صَدْرِهَا فِي مُشْرِقٍ ذِي بَهْجَةٍ نَاصِرِ  
يَشْفِي غَلِيلَ الصَّدْرِ لَاهٍ بِهَا حَوْرَاءَ تُضِي نَظَرَ النَّاطِرِ  
لَيْسَتْ بِسَوَاءٍ وَلَا عِنْفِصٍ تُسَارِقُ الطَّرْفَ إِلَى الدَّاعِرِ  
عَبْهَرَةُ الْخَلْقِ لُبَاخِيَّةٌ تَزِينُهُ بِالْخُلُقِ الطَّاهِرِ  
لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتًا إِلَى نَحْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يَثْقُلْ إِلَى قَابِرِ  
حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا يَا عَجَبًا لِلْمَيْتِ النَّاشِرِ

حَجَمَ الثَّدْيُ يَحْجُمُ حُجُومًا : بَدَأَ وَنَهَدَ ؛ وَالْعِنْفِصُ : الْمَرْأَةُ الدَّاعِرُ ،  
الْفَاجِرَةُ الْفَاسِقَةُ ؛ وَعَبْهَرَةُ الْخَلْقِ : حَسَنَةُ الْخَلْقِ ؛ وَلُبَاخِيَّةٌ : كَثِيرَةُ اللَّحْمِ  
ضَخْمَةٌ بَاطِنُ الْفَخْذَيْنِ ؛ وَالنَّاشِرُ : مَنْ نَشَرَ الْمَيْتَ : حَيَّيَ ؛ يُقَالُ : نَشَرَ اللَّهُ  
الْمَيْتَ يَنْشُرُهُ نَشْرًا وَنُشُورًا ، وَأَنْشَرَهُ : أَحْيَاهُ ، فَنَشَرَ الْمَيْتَ ، لَا غَيْرَ .

٣٤٦ - وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ [من المقارب] :

وَذَاتِ دَلَالٍ سَبَتْ مُهَجَّتِي بِمُسْتَشْرِفَيْنِ عَلَى مَرْمَرٍ  
كَأَنَّ الْعُقُودَ عَلَى نَخْرِهَا نُجُومٌ نَظَرْنَ إِلَى الْمُشْتَرِي

٣٤٧ - وَقَبْلَهُ قَالَ الْحَارِثُ بْنُ خَالِدٍ الْمَخْزُومِيُّ [من السريع] :

كَأَنَّمَا الْحُلِيِّ عَلَى نَخْرِهَا نُجُومٌ فَجَرِ سَاطِعِ أَبْلَجِ

٣٤٨ - وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ

أَبِي طَالِبٍ ، وَكَانَ هَذَا الْعَبَّاسِيُّ مِنْ شُعْرَاءِ بَنِي هَاشِمٍ وَهُوَ يُعَدُّ فِي طَبَقَةِ  
إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ :

أَتَاكَ لَكَ الْهَوَى يَبْضُ حَسَانٌ سَيِّئَكَ بِالْعُيُونِ وَبِالشُّعُورِ<sup>(١)</sup>

نَظَرْتَ إِلَى الثُّحُورِ فَكِدْتَ تَقْضِي وَأَوَّلَى لَوْ نَظَرْتَ إِلَى الْخُصُورِ<sup>(٢)</sup>

٣٤٩ - وَهُمْ يَصِفُونَ الثُّحُورَ أَحْيَانًا بِالصُّفْرَةِ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِصُفْرَةِ الطَّيِّبِ

- الْخُلُوقِ وَالزَّغْفَرَانِ وَنَحْوِهِمَا - وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ لِصُفْرَةِ الْحُلِيِّ الْمَذْهَبِ ، قَالَ

بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ [من الطويل] :

وَصَفْرَاءَ مِثْلَ الزَّغْفَرَانِ شَرِبْتُهَا عَلَى صَوْتِ صَفْرَاءِ التَّرَائِبِ رُودٍ<sup>(٣)</sup>

حَسَدْتُ عَلَيْهَا كُلَّ شَيْءٍ يَمْسُهَا وَمَا كُنْتُ لَوْلَا حُبُّهَا بِحَسُودٍ

٣٥٠ - وَقَبْلَهُ قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مَطِيرٍ [من الطويل] :

وَصُفْرِ تَرَاقِيهَا وَحُمْرِ أَكْفُهَا وَسُودِ نَوَاصِيهَا وَيَبْضِ خُدُودِهَا

(١) سَيِّئَكَ ، سَبَاهُ : فَتَنَهُ وَأَسْرَهُ بِحُبِّهِ .

(٢) تَقْضِي : تَمُوتُ .

(٣) عَلَى صَوْتِ صَفْرَاءِ التَّرَائِبِ ، يُرْوَى : عَلَى نَخْرِ صَفْرَاءِ التَّرَائِبِ ؛ وَالرُّودُ [أَصْلُهَا : الرُّودُ ، وَهِيَ : التُّودَةُ وَالتَّمْهَلُ] .

وَهَذَا الْبَيْتُ مِنْ أَيْتَاتِ غَزَلِيَّةٍ جَمِيلَةٍ ، يَقُولُ فِيهَا [من الطويل] :

لَقَدْ كُنْتُ جَلْدًا قَبْلَ أَنْ تُوقِدَ النَّوَى      عَلَى كَيْدِي نَارًا بِطِيئًا خُمُودَهَا  
وَلَوْ تَرَكْتُ نَارَ الْهَوَى لَتَضَرَّمَتْ      وَلَكِنَّ شَوْقًا كُلَّ يَوْمٍ يَزِيدُهَا (١)  
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي      إِذَا قَدِمْتَ أَيَّامَهَا وَعُهُودَهَا  
فَقَدْ جَعَلْتَ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا      عِهَادُ الْهَوَى تُؤَلِّي بِشَوْقٍ يُعِيدُهَا (٢)  
لَمُرْتَجَّةِ الْأَطْرَافِ هَيْفِ خُصُورُهَا      عَذَابِ ثَنَائِهَا عِجَافٍ قِيُودُهَا (٣)  
وَصُفْرِ تَرَاقِيهَا .....      أَلْيَيْتُ .....  
مُخَصَّرَةِ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ عُقُودُهَا      بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عَقُودُهَا  
يُمَيِّنُنَا حَتَّى تَرِفَ قُلُوبُنَا      رَفِيفَ الْخُزَامَى بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا (٤)

\* \* \*

- (١) لَتَضَرَّمَتْ ، يَزُورُ ؛ لَتَضَرَّمَتْ ؛ قَالَ الْبُكْرِيُّ فِي شَرْحِهِ لـ « الْأَمَالِي » [صفحة : ٤٢٥] : فَمَنْ رَوَاهُ بِالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ فَمَعْنَاهُ : لَوْ تَرَكْتُ لَمْ تَزَلْ مُتَضَرِّمَةً مُتَّصِلَةً الْوُقُودِ ، فَكَيْفَ بَرِيَادَتِهَا ضَرَامًا كُلَّ يَوْمٍ ؛ وَمَنْ رَوَاهُ بِضَادٍ مُهْمَلَةٍ فَمَعْنَاهُ : لَوْ تَرَكْتُ لَخَمَدْتُ وَهَمَدْتُ ، وَلَكِنَّهَا تَذَكَّرُ كُلَّ يَوْمٍ ؛ وَهُمَا مَذْهَبَانِ لِلشُّعْرَاءِ ، وَالْأَوَّلُ أَبْلَغُ .
- (٢) تُؤَلِّي بِشَوْقٍ يُعِيدُهَا ، تُزَوِّي : يُؤَلِّي بِشَوْقٍ يُعِيدُهَا ، أَيُّ يُؤَلِّي يُعِيدُهَا بِشَوْقٍ ، وَالْعِيَادُ جَمْعُ عَهْدٍ ، وَهُوَ : الْمَطَرُ الْأَوَّلُ .
- (٣) قِيُودُهَا ، أَيُّ : قِيُودُ الثَّنَا ، وَهِيَ الثَّلَاثُ وَالْعُمُورُ .
- (٤) قَالَ الْبُكْرِيُّ : قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : تَرِفٌ قُلُوبُنَا ، أَيُّ : تَبْرِقُ ، قَالَ الْبُكْرِيُّ : وَلَيْسَ لِلتَّبْرِيقِ هُنَا مَعْنَى ، وَتَبْرِيقُ الْقَلْبِ شَيْءٌ غَيْرٌ مَعْرُوفٍ وَلَا مَحْسُوسٍ وَلَا مَرِيٍّ ، وَإِنَّمَا تَرِفٌ هُنَا : تَتَحَرَّكُ بَقَّةً بَيْنَ الْمَتَى مِنْهُنَّ حَرَكَةٌ اخْتِلَاجٌ لَا حَرَكَةَ خَفَقَانٍ ، لِأَنَّ الْخَفَقَانَ إِنَّمَا يَكُونُ مِنَ الدُّعْرِ ، وَشَبَّ الشَّاعِرُ تِلْكَ الْحَرَكَةَ بِحَرَكَةِ الْخُزَامَى - نَبَتْ زَهْرُهُ مِنْ أَطْيَبِ الْأَزْهَارِ - إِذَا ثَقُلَتْ بِالطَّلِّ ، وَهِيَ حَرَكَةٌ ضَعِيفَةٌ ، أَصَابَهُ بِالْجُودِ ، وَهُوَ الْمَطَرُ الْغَزِيرُ ؛ وَالطَّلُّ : الْمَطَرُ الضَّعِيفُ أَوِ اللَّدَى ، وَالْجُودُ فِي الْأَصْلِ : الْمَطَرُ الْغَزِيرُ ، وَلَكِنَّ الْمُرَادَ هُنَا : بَاتَ الْمَطَرُ يُصِيبُهَا .



## الأنوف :

٣٥١ - هُمْ يَصِفُونَ الْأَنْفَ بِالشَّمِّ ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : الشَّمُّ : ارْتِفَاعٌ فِي قَصَبَةِ الْأَنْفِ مَعَ اسْتِواءِ أَغْلَاهُ وَإِشْرَافِ الْأَرْزَبَةِ قَلِيلًا ، فَإِنْ كَانَ فِيهَا أَحْدِيدًا فَهُوَ الْقَنَا ؛ وَالشَّمُّ فِي صِفَاتِ الْجَمَالِ وَعُنْوَانُ السُّودِّ ؛ وَفِي الرِّجَالِ ، قَالَ حَسَّانُ ابْنُ ثَابِتٍ [من الكامل] :

يَبِضُّ الْوُجُوهُ كَرِيمَةً أَحْسَابُهُمْ شَمُّ الْأَنْوَفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ  
٣٥٢ - وَقَالَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ يَمْدَحُ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَصْحَابِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ « بَانَثُ سَعَادُ » [من البسيط] :

شَمُّ الْعَرَانِينَ أَبْطَالٌ لَبُوسُهُمْ مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ<sup>(١)</sup>  
الْعَرَانِينَ : الْأَنْوَفُ ؛ وَشَمُّ الْعَرَانِينَ : كِنَايَةٌ عَنِ الرَّفْعَةِ وَالْعُلُوِّ وَشَرَفِ النَّفْسِ .

٣٥٣ - وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ مِنْ أَبْيَاتِ مَشْهُورَةٍ فِي عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمَعْرُوفِ بِزَيْنِ الْعَابِدِينَ ، وَقَدْ عَزَاهَا أَبُو تَمَّامٍ فِي « حِمَاسَتِهِ » لِلْمَزِينِ اللَّيْثِيِّ<sup>(٢)</sup> [من البسيط] :

فِي كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهَا عَبَقٌ مِنْ كَفِّ أَرْوَغٍ فِي عِزْنِيهِ شَمَمٌ<sup>(٣)</sup>

(١) أَبْطَالٌ : شُجْعَانٌ ؛ وَقَوْلُهُ : لَبُوسُهُمْ ... الخ يَقُولُ : إِنَّهُمْ يَلْبَسُونَ فِي الْهَيْجَا ، أَيِ : الْحَرْبِ ، الدَّرُوعَ الْمُنِيعَةَ الْمُتَقَنَّةَ الصَّنْعَ ، لِأَنَّهُ جَعَلَهَا مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي أَلَانَ اللَّهُ لَهُ الْحَدِيدَ وَعَلَّمَهُ صَنْعَةَ الدَّرُوعِ ، يَصِفُ الْمُهَاجِرِينَ بِأَنَّهُمْ ذَوُو رَفْعَةٍ وَعُلُوٍّ مَقْدَارٍ وَأَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فِي غَايَةِ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَمِنَعَةٍ مِنَ السَّلَاحِ .

(٢) [كَذَا الْأَصْلُ ، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ : الْحَزِينَ الدِّيَلِي الْكِنَانِي ، وَهُوَ عَمْرُو بْنُ عُيَيْدٍ بَنٍ وَهَيْبَ ، الْمُتَوَفَّى فِي الرَّبْعِ الْأَخِيرِ مِنَ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ الْهَجْرِيِّ . وَرَاجِعُ « لِسَانِ الْعَرَبِ » مَادَّةُ : جَنَّةُ ] .

(٣) الْخَيْزُرَانُ هُنَا : الْمَخْصَرَةُ الَّتِي يُمْسِكُهَا الْمُلُوكُ بِأَيْدِيهِمْ يُشِيرُونَ بِهَا وَيَتَعَبَّوْنَ ؛ وَالْأَرْوَغُ : =

٣٥٤ - وَمِنْ أَوْصَافِ الْأَنْفِ الذَّلْفُ - بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ - قَالَ الْجَوْهَرِيُّ :  
هُوَ صِغَرُ الْأَنْفِ وَاسْتِوَاءُ الْأَرْبَةِ ، وَهُوَ مِمَّا يُسْتَحْسَنُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ ، قَالَ أَبُو  
النَّجْمِ [من الكامل] :

لِلثَّمِ عِنْدِي بَهْجَةٌ وَمَرْيَةٌ      وَأَحِبُّ بَعْضَ مَلَا حَةِ الذَّلْفَاءِ  
٣٥٥ - وَمِنْهُ سُمِّيَتْ أَمْرَأَةٌ ، قَالَ الشَّاعِرُ [من المديد] :

إِنَّمَا الذَّلْفَاءُ يَأْقُوتَةٌ      أَخْرَجَتْ مِنْ كَيْسٍ دِهْقَانِ  
٣٥٦ - وَمِنْ صِفَاتِ الْأَنْفِ الْمَعِيَةِ : الْخَنَسُ ، وَهُوَ قِصْرُ الْأَنْفِ وَارْتِفَاعُ  
يَسِيرٍ فِي الْأَرْبَةِ ، كَأَنُوفِ الطُّبَّاءِ وَالْبَقَرِ .

٣٥٧ - وَحَكَى الْأَضْمَعِيُّ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ الرَّشِيدِ يَوْمًا إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ  
رَجُلٌ بَجَارِيَّةٍ يُرِيدُ بَيْعَهَا ، فَتَأَمَّلَهَا الرَّشِيدُ ، ثُمَّ قَالَ : خُذْ جَارِيَتَكَ ، فَلَوْلَا خَنَسُ  
بِأَنْفِهَا ، وَكَلَفُ بَوَاجِهَا <sup>(١)</sup> لَأَشْتَرَيْتُهَا ؛ فَأَنْطَلَقَ الرَّجُلُ بِهَا ، فَلَمَّا بَلَغَتْ أَلْبَابَ  
طَلَبَتِ الرُّجُوعَ ، فَأَمَرَ الرَّشِيدُ بِرَدِّهَا ، فَأَنْشَدَتْهُ [من السريع] :

مَا سَلِمَ الطَّبِيُّ عَلَى حُسْنِهِ      كَلًّا وَلَا أَلْبَدْرُ الَّذِي يُوصَفُ  
الطَّبِيُّ فِيهِ خَنَسٌ بَيْنُ      وَالْبَدْرُ فِيهِ كَلَفٌ يُعْرَفُ  
فَأَعْجَبَتْهُ بِلَاغَتُهَا وَأَشْتَرَاهَا ، فَكَانَتْ أَحْطَى جَوَارِيهِ عِنْدَهُ .

٣٥٨ - وَمِنْ مَعَايِبِ الْأَنْفِ : الْقَعَمُ ، وَهُوَ اعْوِجَاجٌ فِي الْأَنْفِ ؛ وَمِنْهَا  
الْفَطَسُ ، وَهُوَ انْخِفَاضُ قِصْبَةِ الْأَنْفِ وَأَنْفِرَاشُهَا ؛ وَمِنْهَا الْكَزْمُ ، وَهُوَ قِصْرٌ فِي

= الرَّجُلُ الْكَرِيمُ ذُو الْجِسْمِ وَالْجَهَارَةِ وَالْفَضْلِ وَالسُّودِ ، وَهُوَ أَيْضًا الْجَمِيلُ الَّذِي يَرُوعُكَ  
حُسْنُهُ وَيُعْجِبُكَ إِذَا رَأَيْتَهُ .  
(١) الْكَلَفُ : شَيْءٌ يَغْلُو أَلْوَجَهُ كَالسُّنْمِ ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى : « الْكَمَشُ » .

الْأَنْفِ قَبِيحٌ وَأَسَاغُ خُرْقِيهِ كَأَنُوفِ السُّودَانِ .

٣٥٩ - وَمِنْ مَعَايِبِ الْأَنْفِ ضَخَامَتُهُ وَكِبَرُهُ .

قَالَ صَاحِبُ « الْأَغَانِي » : كَانَتْ رَمْلَةٌ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ جَمِيلَةً حَسَنَةً الْجِسْمِ ، وَكَانَ أَنْفُهَا عَظِيمًا ، فَكَانَ ذَلِكَ يَعْيبُهَا ، وَتَزَوَّجَهَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ مَعْمَرٍ ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ - تَزَوَّجَهَا بَعْدَ قَتْلِ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ - فَقَالَ يَوْمًا لِعَائِشَةَ : فَعَلْتُ يَوْمَ أَبِي فُذَيْلٍ <sup>(١)</sup> كَذَا ؛ وَفَعَلْتُ يَوْمَ سِجِسْتَانَ كَذَا ، وَأَقْبَلَ يُعَدِّدُ أَيَّامَ حُرُوبِهِ ، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ : أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ أَشْجَعُ النَّاسِ ، وَأَعْرِفُ لَكَ يَوْمًا كُنْتَ أَشْجَعُ مِنْكَ فِي جَمِيعِ الْأَيَّامِ الَّتِي ذَكَرْتَ ؛ قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَتْ : يَوْمَ اجْتَلَبْتَ رَمْلَةً وَأَقْدَمْتَ عَلَى أَنْفِهَا . . . [ راجع رقم : ٤٨٧ ] .

الْأَعْنَاقُ :

٣٦٠ - الْعُنُقُ يُقَالُ لَهُ : الْجَيِّدُ ، وَالتَّلِيلُ ، قَالَ لَبِيدُ [ من الرمل ] :

تَتَقَيَّنِي بِتَلِيلٍ ذِي خُصْلٍ

أَيُّ : يَعْنُقُ ذِي خُصْلٍ مِنَ الشَّعْرِ ، وَجَمْعُ التَّلِيلِ : أَتْلَةٌ ، وَتُلْلٌ ، وَتَلَاتِلٌ .

٣٦١ - وَيُقَالُ لَهُ : الْهَادِي ، قَالَ الْمُفَضَّلُ النُّكْرِيُّ [ من الوافر ] :

جَمُومُ الشَّدِّ شَائِلَةٌ الذَّنَابِي وَهَادِيهَا كَانَ جِذْعُ سَحُوقٍ <sup>(٢)</sup>

وَجَمْعُ الْهَادِي : هَوَادِي ، وَسُمِّيَ الْعُنُقُ هَادِيًا لِتَقَدُّمِهِ عَلَى الْبَدَنِ ، وَلِأَنَّهَا

(١) أَبُو فُذَيْلٍ : أَحَدُ الْخَوَارِجِ .

(٢) فَرَسٌ جَمُومٌ : إِذَا ذَهَبَ مِنْهُ إِخْضَارُ - جَزِي - جَاءَهُ إِخْضَارٌ ؛ وَالشَّدُّ : الْجَزِي ؛ وَشَائِلَةٌ الذَّنَابِي ، أَيُّ : إِنَّهَا تَرْفَعُ ذَنْبَهَا فِي الْعَدُوِّ - الْجَزِي - ؛ وَالْجَذْعُ : سَاقُ الْخَلَّةِ ؛ وَنَخْلَةٌ سَحُوقٌ : طَوِيلَةٌ .

تَهْدِي الْجَسَدَ .

٣٦٢ - وَيُقَالُ لِلْعُنُقِ : الْكَرْدُ ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ [من الطويل] :

وَكُنَّا إِذَا الْفَيْسِي نَبَّ عَتُودُهُ ضَرْبَتَاهُ بَيْنَ الْأُنْثَيْنِ عَلَى الْكَرْدِ  
الْعَتُودُ : مَا أَشْتَدَّ وَقَوِيَ مِنْ ذُكُورِ أَوْلَادِ الْمُعِزِّ ، وَنَبِيَّهُ : صَوْتُهُ عِنْدَ  
الْهِجَاجِ ، وَأَرَادَ بِالْأُنْثَيْنِ هَهُنَا : الْأُذُنَيْنِ ؛ وَالْكَرْدُ هُنَا : أَصْلُ الْعُنُقِ أَوْ مَجْتَمَعُ  
الرَّأْسِ عَلَى الْعُنُقِ ، قَالُوا : إِنَّهُ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ .

٣٦٣ - هَذَا ، وَقَدْ قَالُوا : إِنَّ الْجَيْدَ لَمْ تَسْتَعْمِلْهُ الْعَرَبُ إِلَّا فِي الْمَدْحِ ،  
فَلَا يَقُولُونَ : جَيْدٌ قَبِيحٌ ، وَلَا جَعَلْتُ الْغُلَّ - الْقَيْدَ - فِي جَيْدِهِ ، أَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ  
وَجَلَّ : ﴿ فِي جَيْدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ ﴾ [١١١ سورة المسد/ الآية : ٥] ، فَهُوَ مِنْ قَبِيلِ  
قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية : ٢١] وَقَوْلِ  
الشَّاعِرِ [من الوافر] :

تَحِيَّةُ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ

٣٦٤ - وَمِنْ أَوْصَافِ الْأَعْنَاقِ الْمُسْتَحْسَنَةِ : التَّلْعُ ، وَهُوَ إِشْرَافُ الْعُنُقِ  
وَأَنْتِصَابُهَا ، وَعُنُقٌ تَلِيعٌ ، وَأَتْلَعُ ، أَيُّ : طَوِيلٌ ، وَأَمْرَأَةٌ تَلْعَاءُ ؛ قَالَ الْأَعَشَى  
[من الخفيف] :

يَوْمَ تُبْدِي لَنَا قُتَيْلَةً عَنْ جَيْدٍ تَلِيعٍ تَزِينُهُ الْأَطْوَاقُ

٣٦٥ - وَمِنْ مَحَاسِنِ الْعُنُقِ أَيْضاً : السَّطْعُ ، وَهُوَ طَوْلُ الْعُنُقِ ، وَفِي  
حَدِيثٍ أُمُّ مَعْبِدٍ فِي وَصْفِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ : وَكَانَ فِي عُنُقِهِ سَطْعٌ ، أَيُّ : طَوْلٌ  
وَأَنْتِصَابٌ .

٣٦٦ - وَمِنْ أَلْمَحَاسِنِ : الْجَيْدُ ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ السَّطْعِ ، يُقَالُ : رَجُلٌ

أَجِيدُ وَأَمْرَأَةٌ جَيْدَاءُ ، قَالَ قَيْسُ بْنُ أَلْخَطِيمِ [من المنسرح] :

حَوْرَاءُ جَيْدَاءُ يُسْتَضَاءُ بِهَا      كَأَنَّهَا عُودٌ بَانَةٌ قَصِيفٌ<sup>(١)</sup>

٣٦٧ - وَقَالَ أَيْضاً قَيْسُ بْنُ أَلْخَطِيمِ [من الطويل] :

وَجِيدٌ كَجِيدِ الرَّيْمِ صَافٍ يَزِينُهُ      وَتَوَقَّدُ يَأْقُوتٌ وَفَضْلُ زَبْزَجِدٍ  
كَأَنَّ الثُّرَيَّا فَوْقَ ثُغْرَةٍ نَحْرَهَا      تَوَقَّدُ فِي الظُّلُمَاءِ أَيَّ تَوَقَّدِ

٣٦٨ - وَقَالَ دِغْبَلُ [من الوافر] :

أَتَاكَ لَكَ الْهَوَى يِيضُ حِسَانٌ      سَلَبَنَكَ بِالْعُيُونِ وَبِالْثُّحُورِ  
نَظَرْتَ إِلَى الثُّحُورِ فَكِدْتَ تَقْضِي      فَأُولَى لَوْ نَظَرْتَ إِلَى الْخُصُورِ

٣٦٩ - وَقَالَ الشَّمَزْدَلُ بْنُ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَحَدُ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ يَرْبُوعٍ ،

شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ كَانَ مُعَاصِراً لِجَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ [من البسيط] :

يُسَبِّهُونَ مُلُوكاً فِي تَجَلَّتِهِمْ      وَطُولِ أَنْصِيَةِ الْأَعْنَاقِ وَالْأُمَمِ  
إِذَا غَدَا أَلِمْسُكَ يَجْرِي فِي مَقَارِقِهِمْ      رَاحُوا كَأَنَّهُمْ مَرَضَى مِنَ الْكَرَمِ

التَّجَلَّةُ : الْجَلَالَةُ وَالْعَظَمَةُ ؛ وَالْأَنْصِيَةُ ، جَمْعُ نِضْيٍ ، وَهُوَ هُنَا : مَا بَيْنَ  
الرَّأْسِ وَالْكَاهِلِ مِنَ الْعُنُقِ ، وَالْأُمَمُ جَمْعُ أُمَّةٍ ، وَهِيَ : الْقَامَةُ ، يُقَالُ : فُلَانٌ  
حَسَنُ الْأُمَّةِ ، أَيْ : الْقَامَةِ ؛ وَمَعْنَى الْبَيْتِ الثَّانِي أَنَّ الْمَمْدُوحَ شَدِيدُ الْحَيَاءِ  
وَالْحِلْمِ لِرِقَّةِ شَمَائِلِهِ ، حَتَّى لَكَأَنَّ الْحَيَاءَ مِنْ إِمَاتَتِهِ نَفْسَ هَذَا الْمَمْدُوحِ وَإِزَالَتِهِ  
الْأَشْرَ عَنْهُ قَدْ غَادَرَهُ سَقِيماً ، وَهَذَا كَقَوْلِ الْآخَرِ [من الطويل] :

تَخَالَهُمْ لِلْحِلْمِ صُمّاً عَنِ الْخَنَا      وَخُرْساً عَنِ الْفَحْشَاءِ عِنْدَ التَّهَاتُرِ

(١) قَصِيفٌ ( يَكْسِرُ الصَّادِ ) مِنْ قَصِيفِ الْعُودِ كَطَرِبَ فَهُوَ قَصِيفٌ : إِذَا كَانَ حَوَارِأً ضَعِيفاً لَا شِدَّةَ فِيهِ .

وَمَرْضَى إِذَا لَاقُوا حَيَاءَ وَعِفَّةَ وَعِنْدَ الْحُرُوبِ كَاللُّيُوثِ الْخَوَادِرِ  
وَقَالَ التَّبْرِيذِيُّ : يَصِفُهُمْ بِالْحَيَاءِ وَالْوَقَارِ عِنْدَ اسْتِعْمَالِ الطِّيبِ وَالْعُودِ فِي  
مَجَالِسِ الْأَنْسِ ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ : « إِذَا غَدَا الْمِسْكُ » وَإِنْ لَمْ يُصْرِّحْ بِهِ ،  
لِأَنَّهُ عَلَى ذَلِكَ رَسْمُ الْأَصْطَبَاحِ وَعَادَةُ الْمُلُوكِ فِي الشُّرْبِ عِنْدَ الْاجْتِمَاعِ .

٣٧٠ - وَطُولُ الْعُنُقِ مِمَّا يُسْتَحْسَنُ ، مَا لَمْ يُفْرِطْ ، فَإِذَا أَفْرَطَ أَصْ ذِمًّا ،  
وَكَانَ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ أَحَدُ شُبُوحِ الْمُعْتَزَلَةِ يُعَابُ بِطُولِ عُنُقِهِ ، وَقَدْ هَجَاهُ  
بِشَارُ بْنُ بُرْدٍ بِذَلِكَ إِذْ يَقُولُ [من البسيط] :

مَالِي أَشَايِعُ غَزَالًا لَهُ عُنُقٌ كَنَفَقِ الدَّوِّ إِنْ وَلَّى وَإِنْ مَثَلًا (١)  
عُنُقَ الزَّرَافَةِ مَا بَالِي وَبَالِكُمْ تَكْفُرُونَ رَجَالًا كَفَرُوا رَجُلًا (٢)

٣٧١ - وَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ [من الطويل] :

تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَتَّقِي بِنَاطِرَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ مُطْفِلٍ  
وَجِيدٍ كَجِيدِ الرِّيمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَ نَصَّتْهُ وَلَا بِمُعْطَلٍ  
وَجَرَةٍ : مَوْضِعٌ ؛ وَمُطْفِلٌ : لَهَا أَطْفَالٌ ؛ وَالرِّيمُ : الطَّبْيُ الْأَبْيَضُ الْخَالِصُ  
الْبَيَاضُ ؛ وَالْفَاحِشُ : مَا جَاوَزَ الْمِقْدَارَ الْمَحْمُودَ ؛ وَنَصَّتْهُ : رَفَعَتْهُ ؛ وَمِنْهُ  
سُمِّيَ مَا تُجْلَى عَلَيْهِ الْعُرُوسُ « مَنَصَّةً » يَقُولُ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ : إِنَّ هَذِهِ الْحَبِيبَةَ  
تُعْرِضُ عَنَّا فَتُظْهِرُ فِي إِعْرَاضِهَا خَدًّا أَسِيلًا - طَوِيلًا سَهْلًا لَيْنًا غَيْرَ مُرْتَفِعٍ أَلْوَجَنَةٍ -

(١) عَرَفَ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ بِالْغَزَالِ لِكَثْرَةِ جُلُوسِهِ فِي سُوقِ الْغَزَالِينَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى قُتَيْبِ  
الْهَلَالِيِّ ، وَالتَّقْنِيقُ : الطَّلِيمُ ، وَهُوَ ذَكَرُ النَّعَامِ ؛ وَالِدَّوُّ : الْفَلَاةُ .

(٢) تَكْفُرُونَ : تَنْسِبُونَهُ إِلَى الْكُفْرِ ، وَكَانَ بِشَارُ يَكْفُرُ بِالرَّجْعَةِ - أَيْ : الْإِيمَانُ بِالرُّجُوعِ بَعْدَ الْمَوْتِ  
إِلَى الدُّنْيَا - فَأَخَذَ وَاصِلُ يُكْثِرُ مِنَ الْإِنْكَارِ عَلَى بِشَارٍ وَالتَّشْنِيعِ عَلَيْهِ ، فَبَلَغَ بِشَارًا ذَلِكَ ، فَقَالَ  
هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَغَيْرَهُمَا يَهْجُو وَاصِلًا ؛ وَعُنُقُ الزَّرَافَةِ بِالنَّصْبِ عَلَى النَّدَاءِ .

وَتَجْعَلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا عَيْنًا نَاطِرَةً مِثْلَ عُيُونِ ظِبَاءٍ وَجَزَةً تِلْكَ الَّتِي لَهَا أَطْفَالٌ ، وَإِنَّمَا  
خَصَّهِنَّ بِذَلِكَ لِنَظَرِهِنَّ إِلَى أَوْلَادِهِنَّ بِالْحُنُوِّ وَالْعَطْفِ وَالشَّفَقَةِ ، وَهِيَ أَحْسَنُ  
عُيُونًا فِي تِلْكَ الْحَالِ مِنْهُنَّ فِي سَائِرِ أَحْوَالِهِنَّ ، ثُمَّ قَالَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي : وَهِيَ  
لِذَلِكَ تُبْدِي عَنْ عُتْقِ كَعْتُقِ الظُّبْيِ غَيْرَ مُتَجَاوِزٍ قَدْرِهِ الْمَحْمُودِ إِذَا مَا رَفَعَتْ  
عُنُقَهَا ، وَهُوَ غَيْرُ مُعْطَلٍ عَنِ الْحُلِيِّ ، شَبَّهَ عُتْقَهَا بِعُنُقِ الظُّبْيَةِ فِي حَالِ رَفْعِهَا  
عُنُقَهَا ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّهُ لَا يُشَبِّهُ عُتْقُ الظُّبْيَةِ فِي التَّعْطَلِ عَنِ الْحُلِيِّ .

٣٧٢ - وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ [من الطويل] :

لَهَا جِدُّ أُمِّ الْخَشْفِ رِيْعَتْ فَأَنْلَعَتْ      وَوَجْهٌ كَمِثْلِ الصُّبْحِ رَيَّانٌ مُشْرِقُ  
وَعَيْنٌ كَعَيْنِ الرِّيمِ فِيهَا مَلَاخَةٌ      هِيَ السَّخْرُ أَوْ أَذْنَى التَّبَاسَا وَأَعْلَقُ

٣٧٣ - وَقَالَ الْعَرَجِيُّ [من السريع] :

تُرِيكَ وَجْهًا فَوْقَ جِدِّ لَهَا      مِثْلَ رُخَامِ الْمَزْمَرِ الْمُدْمَجِ  
كَأَنَّمَا الْحُلِيُّ عَلَى نَحْرِهَا      نُجُومٌ فَجَرٍ سَاطِعٍ أَبْلَجِ

٣٧٤ - وَقَالَ جَمِيلُ بَيْتَنَةِ يُخَاطَبُ ظَبْيَةً [وَيُسَبِّحُ لِمَخْنُونٍ لَيْلَى ، مِنْ الطَّوِيلِ] :

فَعَيْنَاكِ عَيْنَاهَا وَجِيدُكِ جِيدُهَا      سِوَى أَنْ عَظَمَ السَّاقِ مِنْكَ دَقِيقُ

٣٧٥ - وَقَالَ آخَرُ [من الرمل] :

وَهِيَ هَيْفَاءُ هَضِيمٌ كَشْحُهَا      ضَخْمَةٌ حَيْثُ تُشَدُّ الْمُؤْتَزَرُ<sup>(١)</sup>  
صَلْتَةُ الْخَدِّ طَوِيلٌ جِيدُهَا      ضَخْمَةُ الثَّذِي وَلَمَّا يَنْكَسِرُ<sup>(٢)</sup>

(١) هَيْفَاءُ : رَقِيقَةُ الْخَضِرِ ضَامِرَةُ الْبَطْنِ ؛ وَالْهَضِيمُ : خَمَصُ الْبَطْنِ وَلُطْفُ الْكَشْحِ - الْكَشْحُ :  
الْخَضِرُ ؛ - وَالْمُؤْتَزَرُ : مَوْضِعُ الْإِزَارِ ، وَهُوَ الرَّدْفُ وَالْعَجِيزَةُ ، يَصِفُهَا بِأَنَّهَا ضَخْمَةُ الرَّدْفِ  
كَبِيرَتُهُ .

(٢) صَلْتَةُ الْخَدِّ : خَدُّهَا أَمْلَسُ وَاضِحٌ .

٣٧٦ - وَمِنْ مَعَايِبِ الْعُنُقِ : الْوَقْصُ ، وَهُوَ : قِصْرُ الْعُنُقِ ، يُقَالُ : أَمْرَأَةٌ وَقْصَاءٌ ، وَرَجُلٌ أَوْقَصٌ .

٣٧٧ - وَمِنْ الْمَعَايِبِ : الْهَنْعُ ، وَهُوَ : تَطَامُنُ وَالْتِيَاءُ فِي الْعُنُقِ ، يُقَالُ : أَمْرَأَةٌ هَنْعَاءٌ ، وَرَجُلٌ أَهْنَعٌ .

٣٧٨ - وَمِنْهَا : الصَّعَرُ ، وَهُوَ مَيْلٌ فِي الْعُنُقِ وَانْقِلَابٌ فِي الْوَجْهِ إِلَى أَحَدِ الشَّقَيْنِ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : فَلَانٌ صَعَرَ خَدَّهُ ، إِذَا أَمَالَهُ مِنَ الْكِبَرِ ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ [٣١ سورة لقمان/ الآية : ١٨] أَيَّ : لَا تُعْرِضْ عَنِ النَّاسِ تَكْبَرًا .

٣٧٩ - وَقَالَ الْمُتَمَلِّسُ [من الطويل] :

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ أَقْنَالَهُ مِنْ دَرَرِهِ فَتَقَوَّمَا  
الْدَّرَاءُ : الْوَعُوجُ ، يُقَالُ : أَقْمَتُ دَرَاءً فَلَانٌ ، أَيَّ : أَغْوَجَاجَهُ ، يَقُولُ الْمُتَمَلِّسُ : إِذَا أَمَالَ مُتَكَبَّرٌ خَدَّهُ أَذَلَّلْنَاهُ حَتَّى يَتَقَوَّمَ مَيْلُهُ .

وَأَصْلُ الصَّعَرِ : مَرَضٌ يُصِيبُ الْإِبِلَ فَيَلْوِي عُنُقَهَا .

٣٨٠ - وَمِنْ مَعَايِبِ الْعُنُقِ : الْغَلَبُ ، وَهُوَ : غِلْظُ الْعُنُقِ مَعَ قِصَرِ فِيهَا ،

يُقَالُ : رَجُلٌ أَغْلَبَ وَأَمْرَأَةٌ غَلْبَاءٌ ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ هَذَا الْحَرْفُ فِي غَيْرِ الْحَيَوَانِ ، كَقَوْلِهِمْ : حَدِيقَةُ غَلْبَاءٍ ، أَيَّ : عَظِيمَةٌ مُتَكَاثِفَةٌ مُلْتَفَّةٌ ، وَهُمْ يَصِفُونَ أَبْدَا السَّادَةِ بِغِلْظِ الرَّقَبَةِ وَطُولِهَا ، قَالُوا : وَمَنْ كَانَ أَغْلَبَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَّا بِعُنُقِهِ كُلِّهَا .



## الْمَعَاصِمُ وَالْأَعْضَادُ :

٣٨١ - أَلْعَضْدُ : السَّاعِدُ وَهُوَ مَا بَيْنَ الْمِرْفَقِ إِلَى الْكَتِفِ .

٣٨٢ - وَالْمِعْصَمُ : مَوْضِعُ السَّوَارِ مِنَ الْيَدِ ، قَالَ [من الكامل] :

أَلْيَوْمَ عِنْدَكَ دَلُّهَا وَحَدِيثُهَا      وَغَدًا لِيُغِيرَكَ كَفُّهَا وَالْمِعْصَمُ

٣٨٣ - وَقَدْ يُطْلَقُ الْمِعْصَمُ وَيُرَادُ بِهِ الذِّرَاعُ نَفْسُهَا ، قَالَ الْأَعَشَى [من مجزوء

الكامل] :

فَأَرْنُكَ كَفًّا فِي الْخَصَا      بِ مِعْصَمًا مِثْلَ الْجِبَارَةِ

الْجِبَارَةُ وَاحِدَةُ الْجَبَائِرِ ، وَهِيَ : الْأُسُورَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ .

٣٨٤ - وَيُقَالُ : مِعْصَمٌ خَذَلٌ ، أَي : مُمْتَلِئٌ رِيَّانٌ ، كَمَا يُقَالُ : سَاقٌ

خَذَلَةٌ ، أَي : مُمْتَلِئَةٌ .

٣٨٥ - وَيُقَالُ : مِعْصَمٌ غَيْلٌ ، أَي : رِيَّانٌ مُمْتَلِئٌ ، وَكَذَلِكَ : سَاعِدٌ

غَيْلٌ ، وَغُلَامٌ غَيْلٌ ، أَي : عَظِيمٌ سَمِينٌ ، وَأُمْرَأَةٌ غَيْلَةٌ : عَظِيمَةٌ سَمِينَةٌ .

٣٨٦ - وَقَالَ أَبُو الْمَحْشَرِ الْأَعْرَابِيُّ : كَانَتْ لِي ابْنَةٌ تَجْلِسُ مَعِيَ عَلَى

الْمَائِدَةِ ، فَيُبْرِزُ كَمَا كَانَتْهَا طَلْعَةٌ<sup>(١)</sup> ، فِي ذِرَاعٍ كَانَتْهَا جُمَارَةٌ<sup>(٢)</sup> ، فَلَا تَقْعُ عَيْنُهَا

عَلَى أَكْلَةٍ نَفِيسَةٍ إِلَّا خَصَّتْنِي بِهَا ، فَزَوَّجْتُهَا ، وَصَارَ يَجْلِسُ مَعِيَ الْمَائِدَةَ ابْنٌ

لِي ، فَيُبْرِزُ كَمَا كَانَتْهَا كِرْزَافَةٌ ، فِي ذِرَاعٍ كَانَتْهَا كَرْبَةٌ<sup>(٣)</sup> ، فَوَاللهُ إِن تَسْبِقُ عَيْنِي إِلَى

(١) طَلْعَةٌ : يَفْتَحُ فَسْكَوْنٌ ، وَجَمْعُهَا طَلَعٌ ، وَهُوَ : نُورُ النَّخْلَةِ مَا دَامَ فِي الْكَافُورِ ، وَهُوَ - أَي :

الْكَافُورُ - وَغَاوُهُ الَّذِي يَشْقَى عَنْهُ .

(٢) الْجُمَارَةُ : شَحْمَةُ النَّخْلَةِ الَّتِي إِذَا قُطِعَتْ قِمَّةُ رَأْسِهَا ظَهَرَتْ كَانَتْهَا قِطْعَةُ سَنَامٍ - سَنَامُ الْبَعِيرِ -

وَجَمْعُهَا جُمَارٌ .

(٣) الْكَرْبَةُ وَاحِدَةُ الْكَرْبِ ، وَهِيَ : أَصُولُ السَّعَفِ الْغِلَاطِ الْعِرَاضِ الَّتِي تَبْسُقُ فَتَصِيرُ كَالْكَتِفِ ؛ =

لُقْمَةُ طَبِيبَةٍ إِلَّا سَبَقَتْ يَدُهُ إِلَيْهَا .

وَتَشْبِيهُ مِعْصَمِهَا بِالْجُمَارَةِ لِمَا فِيهِمَا مِنَ الْبَيَاضِ وَالْبَضَاضَةِ وَالْفَضَاضَةِ ،  
قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ الدِّينَوْرِيُّ : وَرُبَّمَا شَبَّهُوا بِهَا الْمَرْأَةَ ، فَقَالُوا : كَأَنَّهَا جُمَارَةٌ ،  
لَأَجْلِ ذَلِكَ .

٣٨٧ - وَقَالَ أَبُو حَيَّةَ التَّمِيمِيُّ [من الطويل] :

رَمَتْهُ أَنَاةٌ مِنْ رَبِيعَةِ عَامِرٍ      نُزُومُ الضُّحَى فِي مَاتَمٍ أَيْ مَاتَمٍ<sup>(١)</sup>  
فَجَاءَ كَخُوطِ الْبَانِ لَا مُتَابِعٍ      وَلَكِنْ بِسِيمَا ذِي وَقَارٍ وَمَيْسَمٍ<sup>(٢)</sup>  
فَقُلْنَا لَهَا سِرًّا : فَدِينَاكِ لَا يَرْخُ      صَحِيحًا وَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَالْمِمْي<sup>(٣)</sup>  
فَأَلْقَتْ قِنَاعًا دُونَهُ الشَّمْسُ وَأَنْقَتْ      بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ كَفَّ وَمِعْصَمٍ<sup>(٤)</sup>  
وَقَالَتْ فَلَمَّا أَفْرَعَتْ فِي فُؤَادِهِ      وَعَيْنِيهِ مِنْهَا السَّخَرُ قُلْنَ لَهُ قُمْ<sup>(٥)</sup>

وَالْكَزْنَافَةُ : طَرَفُهَا الْعَرِضُ .

- (١) قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْأَنَاةُ مِنَ النِّسَاءِ : الَّتِي فِيهَا فُتُورٌ عِنْدَ الْقِيَامِ وَتَأَنُّ ، وَقَالَ غَيْرُهُ : أَمْرَأَةٌ أَنَاةٌ : رَزِينَةٌ لَا تُضْحِبُ وَلَا تُفْحِشُ ، وَالْمَاتَمُ عِنْدَ الْعَرَبِ : النِّسَاءُ يَجْتَمِعْنَ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَهُوَ هُنَا مَقَامُ فَرَحٍ ، وَنُزُومُ الضُّحَى ، كِنَايَةٌ عَنْ نِعْمَتِهَا وَرَفَاهَتِهَا وَأَنَّهَا مَخْدُومَةٌ مَكْفِيَّةُ الْمَوْنَةِ .
- (٢) الْخُوطُ : الْغُصْنُ ، يُعْبِئُهُ بِهِ الشَّابُّ النَّاعِمُ النَّأَمُ الْخَلْقُ ؛ وَقَوْلُهُ : لَا مُتَابِعَ ، أَيُّ : لَا هُوَ مُتَابِعٌ : الَّذِي يَتَهَافَتُ عَلَى أَمْرِ لَيْسَ بِالْمَحْمُودِ ، يُقَالُ : تَتَابَعُوا فِي الشَّرِّ : إِذَا تَهَافَتُوا وَسَارَعُوا إِلَيْهِ ؛ وَالْمَيْسَمُ : الْحُسْنُ وَالْوَسَامَةُ ، يَقُولُ : إِنَّهُ جَاءَ كَخُصَنِ الْبَانِ غَيْرِ مُسْرِعٍ فِي مَشْيِهِ وَلَكِنْ جَاءَ بِهَيْئَةِ ذِي وَقَارٍ وَوَسَامَةٍ .
- (٣) يَقُولُ : فَقُلْنَا لَهَا فِي الشَّرِّ : جُعِلْنَا فِدَاكِ ، لَا تَتْرِكِيهِ يَرْجِعُ صَحِيحًا ، بَلْ إِنَّمَا أَنْ تَقْتُلِيهِ وَإِنَّمَا أَنْ تَقْعَلِي بِهِ مَا هُوَ دُونَ الْقَتْلِ ؛ فَالْمِمْي ، أَيُّ : قَارِبِي .
- (٤) يَقُولُ : فَأَلْقَتْ قِنَاعًا وَرَاءَهُ الشَّمْسُ - يَغْنِي : وَجْهَهَا - ثُمَّ سَرَتْهُ بِمِعْصَمِهَا وَكَفَّهَا الْجَمِيلَيْنِ .
- (٥) يَقُولُ : فَلَمَّا صَبَّتْ فِي قَلْبِهِ وَعَيْنَيْهِ السَّخَرُ ، وَسَحَرَتْهُ بِجَمَالِهَا ، قَالَتْ لِصُورِنَجَبَاتِهَا : قُلْنَ لَهُ : قُمْ الْآنَ بِوَجْدٍ شَدِيدٍ وَحَسْرَةٍ دَائِمَةٍ .

فَوَدَّ بِجَدْعِ الْأَنْفِ لَوْ أَنَّ صَحْبَهُ تَنَادَوْا وَقَالُوا فِي الْمَنَاخِ لَهُ نَمٌ<sup>(١)</sup>  
 فَرَاخَ وَمَا يَذْرِي أَفِي سَاعَةِ الضُّحَى تَرَوِّحَ أَمْ دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمٍ<sup>(٢)</sup>  
 ٣٨٨ - وَإِلَيْكَ أُنْيَاتَا لِعُمَرَ ابْنِ أَبِي رَيْبَعَةَ يَصِفُ فِيهَا الْمَعَاصِمَ وَالْأَغْنَانَ [من

الطويل] :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مَنَى وَلِي نَظَرٌ لَوْلا أَلْتَحَرُّجُ عَارِمٌ<sup>(٣)</sup>  
 فَقُلْتُ : أَشْمُسٌ أَمْ مَصَابِيحُ بَيْعَةٍ بَدَتْ لَكَ خَلْفَ السَّجْفِ أَمْ أَنْتَ حَالِمٌ  
 بَعِيدَةٌ مَهْوَى الْقَرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلِ أَبُوهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ<sup>(٤)</sup>  
 وَمَدَّ عَلَيْهَا السَّجْفَ يَوْمَ لَقِيَتْهَا عَلَى عَجَلٍ تُبَاعُهَا وَالْخَوَادِمُ  
 فَلَمْ أَسْتَطِعْهَا غَيْرَ أَنْ قَدْ بَدَا لَنَا عَشِيَّةٌ رَاحَتْ وَجْهَهَا وَالْمَعَاصِمُ  
 مَعَاصِمٌ لَمْ تَضْرِبْ عَلَى الْبُهِمِ بِالضُّحَى عَصَاهَا وَوَجْهٌ لَمْ تَلْخُهُ السَّمَائِمُ<sup>(٥)</sup>  
 نُضَارٌ تَرَى فِيهِ أَسَارِيْعَ مَائِهِ صَبِيحٌ تُغَادِيهِ الْأَكْفُ الثَّوَاعِمُ<sup>(٦)</sup>  
 إِذَا مَا دَعَتْ أَتْرَابَهَا فَاكْتَفَنَهَا تَمَائِلُنَ أَوْ مَالَتْ بِهِنَّ الْمَاكِمُ<sup>(٧)</sup>

(١) الْمَنَاخُ هُنَا : الْمَقَامُ ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ : مَا تُنَاحُ - تَبْرُكُ - فِيهِ الْإِبِلُ ، يَقُولُ : فَوَدَّ لَوْ أَنَّ أَصْحَابَهُ يَقُولُونَ لَهُ جَمِيعًا بَعْدَ أَنْ يَدْعُو بَعْضُهُمْ بَعْضًا : نَمٌ فِي مَقَامِكَ وَلَا تَسِرْ مَعَنَا وَيُقْطَعُ أَنْفُهُ .

(٢) يَقُولُ : إِنَّهُ مَا كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَسِيرَ ، لَكِنَّهُ اضْطُرَّ إِلَى ذَلِكَ ، فَرَاخَ وَهُوَ لَا يَذْرِي أَيْسِيرُ نَهَارًا أَمْ لَيْلًا لِقَرْطٍ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْهَيْامِ أَوْ لِعِزَارَةٍ دُمُوعِهِ الَّتِي مَلَأَتْ عَيْنَيْهِ ، فَصَارَ لَا يُبْصِرُ .

(٣) عَارِمٌ : حَادٌّ .

(٤) بَعِيدَةٌ مَهْوَى الْقَرْطِ ، كِنَايَةٌ عَنْ طَوْلِ الْعُنُقِ .

(٥) الْبُهِمُ : الصَّغَارُ مِنَ الْأَوْلَادِ الصَّانِ وَالْمَعِزِّ وَالْبَقَرِ ، يَقُولُ : إِنَّ مَعَاصِمَهَا لَيْسَتْ مَعَاصِمُ خَشِينَةٍ شَيْنَةٍ كَمَا هُوَ حَالُ مَعَاصِمِ رَاعِيَاتِ الْعَتَمِ ، بَلْ هِيَ مَعَاصِمُ خَذَلَةٍ رِيَانَةٍ بَضَّةٍ غَضَّةٍ كَمَا هُوَ الشَّانُ فِي مَعَاصِمِ الشَّرِيفَاتِ الْمُخَذَّرَاتِ ؛ وَالسَّمَائِمُ ، جَمْعُ سَمُومٍ ، وَهِيَ : الرِّيحُ الْحَارَّةُ ، وَلَا حِنَّةَ السَّمَائِمُ : غَيْرَتُهُ وَسَفَعَتْ وَجْهَهُ .

(٦) أَسَارِيْعُ الْمَاءِ : طَرَائِفُهُ ، وَالْمَرَادُ : إِنَّهُ يَتَرَفَّقُ فِيهِ مَاءُ السَّبَابِ .

(٧) الْمَاكِمُ ، جَمْعُ مَأْكَمَةٍ ، وَهِيَ : الرُّدْفُ وَالْعَجِيزَةُ .

طَلَبْنَ الصَّبَا حَتَّى إِذَا مَا أَصْبَنَهُ نَزَعْنَ وَهُنَّ الْمُسْلِمَاتُ الظُّوَالِمُ

\* \* \*

الْفَرْجُ وَالْأَزْدَافُ - الْفَرْجُ فِي اللُّغَةِ :

٣٨٩ - مِنْ أَسْمَاءِ فَزَجِ الْمَرْأَةِ : الْحِرُّ ، وَالْجَمْعُ أَخْرَاحٌ ، قَالَ [من الرجز] :  
إِنِّي أَقُودُ جَمَلًا مِمْرَاحًا ذَا قُبَّةٍ مُوقِرَةٍ أَخْرَاحًا  
٣٩٠ - وَمِنْ أَسْمَائِهِ : الرِّكْبُ<sup>(١)</sup> ، قَالَ الْخَلِيلُ : هُوَ لِلْمَرْأَةِ خَاصَّةٌ ، وَقَالَ  
الْفَرَّاءُ : هُوَ لِلرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ ، أَيِ : إِنَّهُ يُقَالُ لِقُبْلِ الرَّجُلِ : رَكْبٌ ، وَأَنْشَدَ  
الْفَرَّاءُ [من الرجز] :

لَا يُقْنِعُ الْجَارِيَةَ الْخِضَابُ وَلَا الْوِشَاحَانِ وَلَا الْجَلْبَابُ  
مِنْ دُونِ أَنْ تَلْتَقِيَ الْأَرْكَابُ وَيَقْعُدَ الْأَيْرُ لَهُ لُعَابُ  
٣٩١ - وَمِنْ أَسْمَائِهِ : الْهَنْ ، وَيُقَالُ : الْهَنْ ؛ وَمِنْهَا الشُّكْرُ ، وَأَنْشَدُوا [من  
الطويل] :

صَنَاعٌ بِإِسْفَاها حَصَانٌ بِشُكْرِها جَوَادٌ بِقُوتِ الْبَطْنِ وَالْعِرْضُ وَافِرُ  
صَنَاعٌ بِإِسْفَاها ، يُرِيدُ : عَيْنُهَا ، أَيِ : إِنَّهَا تَصْنَعُ فِي الْقُلُوبِ بِلَحْظِهَا صَنِيعَ  
الْإِسْفَى ، وَهُوَ - أَيِ : الْإِسْفَى - مَثَقَبٌ أَوْ مِخْرَزُ الْأَسَافِكَةِ ؛ وَقَوْلُهُ : جَوَادٌ  
بِقُوتِ الْبَطْنِ ، يَعْنِي : الْحَدِيثَ ، وَهُوَ قُوتُ بَطْنِ الْكَرِيمِ كَمَا قَالَ [من الطويل] :

\* أَحَدُّهُ إِنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْقِرَى \*

٣٩٢ - وَمِنْ أَسْمَائِهِ : الْقُبْلُ ، وَالسَّوْأَةُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَبَدَّتْ لَهْمَا

(١) وَقِيلَ : الرِّكْبُ ، هُوَ : مَوْضِعُ مَنَبَتِ الْعَانَةِ .

سَوَاءُ تَهُمَا ﴿٢٠﴾ سورة طه/ الآية : ١٢١ .

٣٩٣- هَذَا ، وَشَفْرُ الْفَرْجِ : حَرْفُهُ ، وَفِيهِ الْإِسْكَتَانِ ، قَالَ صَاحِبُ  
« اللِّسَانِ » : الْإِسْكَتَانُ<sup>(١)</sup> : شَفْرُ الرَّجَمِ ، وَقِيلَ : جَانِبَاهُ مِمَّا يَلِي شَفْرَيْهِ ؛ قَالَ  
جَرِيرٌ [من الوافر] :

بِهَا وَضَحٌ بِأَسْفَلِ إِسْكَتَيْهَا كَعَنْقَةِ الْفِرَزْدَقِ حِينَ شَابَا<sup>(٢)</sup>  
وَيُقَالُ لِلْإِنْسَانِ إِذَا وُصِفَ بِالثَّنِّ : إِنَّمَا هُوَ إِسْكُ أُمِّهِ .

٣٩٤- وَالْبَظْرُ : مَا تَقَطَّعَتْهُ الْخَاتِنَةُ مِنَ الْجَارِيَةِ - الْفَتَاةِ - : مَا بَيْنَ  
الْإِسْكَتَيْنِ . وَيُقَالُ : الْبَظْرُ ، وَالْبُنْظُرُ ، وَالْبَيْظُرُ .

\* \* \*

٣٩٥- وَفِي الْفَرْجِ الرَّجَمُ ، وَفِي الرَّجَمِ حَلْقَتَانِ : إِحْدَاهُمَا الَّتِي عَلَى فَمِ  
الْفَرْجِ عِنْدَ طَرَفِهِ ، وَالْأُخْرَى الَّتِي تَنْضَمُّ عَلَى الْمَاءِ - مَاءِ الرَّجُلِ - وَتَنْفَتِحُ  
لِلْحَيْضِ ، وَمَا بَيْنَهُمَا : الْمَهْبِلُ .

٣٩٦- وَمِنْ صِفَاتِ الْفَرْجِ : الْمَنْهُوشُ ، وَهُوَ : الْقَلِيلُ اللَّحْمِ ؛ وَالْكَعْثُ  
وَالْكَعْثَمُ ، وَهُوَ : الْمُتَمَتِّلِيُّ الثَّانِي ، يُقَالُ : أَمْرَأَةٌ كَعْثَبٌ وَكَعْثَمٌ ، وَكَعْثَمٌ :  
إِذَا كَانَتْ ضَخْمَةً الرَّكَبِ - وَالرَّكَبُ هُنَا : مَنِبْتُ شَعْرِ الْعَانَةِ - وَيُقَالُ : رَكَبَ  
جَهْمٌ ، أَيْ : غَلِيظٌ ؛ وَالْعَرَكْرُكُ : الرَّكَبُ الضَّخْمُ ؛ وَفَرْجٌ لَهُمُومٌ ، وَهُوَ الَّذِي  
يَلْتَهُمْ مَتَاعُ الرَّجُلِ ؛ وَالْعُمُضُ : آخِرُ الْفَرْجِ ؛ وَأَنْشُدُوا [من الطويل] :

(١) اختلف اللغويون : هل الإسكتان مفرد أو مثنى ؟ أنظر « المخصص » و« اللسان » ،  
والأظهر أنهما مثنى ، والمفرد : إسك .

(٢) وضح ، يزوي : برص ، والوضح معناه : البرص ؛ والعنقة : شعرات بين الشفة السفلى  
والذقن .

وَحِرٌّ يَمْلَأُ الْكَفَيْنِ جَهْمٌ مُزَعَفَرٌ لَهُ غُمُضٌ مُسْتَخْصِفٌ مُتَضَرِّمٌ  
أَزُومٌ يَيْطُ الْأَيْرُ فِيهِ إِذَا أَنْتَحَى أَطِيطَ قُبَيِّ الْهِنْدِ حِينَ تَقُومُ  
الْأَزُومُ : الْغُضُوضُ ؛ وَيَيْطُ : يُصَوِّتُ ، وَيُقَالُ : أَطَّتِ الْقَنَاةُ أَطِيطًا :  
صَوَّتَتْ عِنْدَ التَّقْوِيمِ .

٣٩٧ - وَقَالَ الثَّابِغَةُ يَصِفُ رَكَبَ الْمُتَجَرِّدَةِ أَمْرَأَةَ الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ ، وَقَدْ  
كَانَ الثُّعْمَانُ سَأَلَهُ ذَلِكَ [من الكامل] :

وَإِذَا لَمَسْتَ لَمَسْتَ أَخْشَمَ جَائِمًا مُتَحَيِّرًا بِمَكَانِهِ مِلءَ الْيَدِ  
وَإِذَا طَعَنْتَ طَعَنْتَ فِي مُسْتَهْدِفٍ رَابِي الْمَجَسَّةِ بِالْعَبِيرِ مُقَرَّمِدٍ  
وَإِذَا نَزَعْتَ نَزَعْتَ فِي مُسْتَخْصِفٍ نَزَعَ الْحَزَوْرُ بِالرِّشَاءِ الْمُخْصَدِ  
الْأَخْشَمُ : الْفَرْجُ الْمُتَمَلِّئُ الضِّيقُ ؛ وَالْجَائِمُ فِي الْأَصْلِ : اللَّاصِقُ  
بِالْأَرْضِ الرَّابِضُ ؛ وَمُتَحَيِّرًا - بِالرَّاءِ - مُسْتَعَارٌ مِنْ تَحَيَّرَ الْمَاءُ فِي النَّهْرِ : إِذَا  
اجْتَمَعَ فِيهِ وَتَمَلَّأَ ؛ وَمُسْتَهْدِفٍ ، بِكسْرِ الدَّالِ مِنْ اسْتَهْدَفَ لَكَ الشَّيْءُ : إِذَا  
انْتَصَبَ ، كَأَهْدَفَ ؛ وَرَابِي : مُرْتَفِعٌ ؛ وَالْمَجَسَّةُ ، بِفَتْحِ الْمِيمِ : مَا جَسَسْتَهُ  
بِيَدِكَ ؛ وَمُقَرَّمِدٍ : مَطْلِيٌّ ؛ وَالْعَبِيرُ : أَخْلَاطٌ مِنَ الطَّيْبِ ؛ وَأَصْلُ النَّزْعِ :  
جَذْبُ الْحَبْلِ مِنَ الْبَشْرِ ، فَاسْتَعَارَهُ لِجَذْبِ مَتَاعِ الرَّجُلِ مِنَ الْفَرْجِ ؛  
وَالْمُسْتَخْصِفُ : الضِّيقُ الشَّدِيدُ الْيَاسُ الْقَلِيلُ الْبَلَلُ ؛ وَالْحَزَوْرُ : الْغَلَامُ الَّذِي  
اشْتَدَّ وَقْوِي ؛ وَالرِّشَاءُ : الْحَبْلُ ؛ وَالْمُخْصَدُ : الْمُحْكَمُ الْفَتْلُ ، يُرِيدُ مِثْلَ نَزْعِ  
الْغَلَامِ حَبْلَ الدَّلْوِ مِنَ الْبَيْرِ .

٣٩٨ - وَأَنْشَدَ سَيِّبُونَهُ [من الرجز] :

إِنَّ لَهَا لَرَكَبًا إِرْزَبَا كَأَنَّهُ جَنَهُهُ ذَرَى حَبَا  
الرَّكَبُ : أَعْلَى الْفَرْجِ ؛ وَإِرْزَبَا : ضَخْمًا ؛ وَذَرَى حَبَا : أَسْمُ رَجُلٍ .

٣٩٩ - وَمِنْ آيَاتِ « الْحَمَاسَةِ » [من الرجز] :

قَامَتْ تَمَطَّى وَالْقَمِيصُ مُنْخَرِقٌ فَصَادَفَ الْحَزَقُ مَكَانًا قَدْ حُلِقَ  
كَأَنَّهُ قَعْبٌ نُضَارٍ مُنْفَلِقٌ

تَمَطَّى : تَمَطَّى ، وَأَصْلُ التَّمَطَّى : التَّبَحُّثُ وَمَدُّ الْيَدَيْنِ فِي الْمَشْيِ ؛  
وَمَكَانًا قَدْ حُلِقَ ، يَعْنِي : الْفَرْجَ أَوْ أَغْلَاهُ ؛ وَالْقَعْبُ : الْقَدْحُ الضَّخْمُ ؛  
وَالنُّضَارُ : الْخَشَبُ الْجَيِّدُ تَتَّخَذُ مِنْهُ الْأَقْدَاحُ وَالْقَصَاعُ وَنَحْوُهَا .

٤٠٠ - وَقَالَ الْأَعَشَى [من الطويل] :

إِذَا أَنْبَطَحَتْ جَافَى عَنِ الْأَرْضِ بَطْنُهَا وَخَوَى بِهَا رَابٍ كَهَامَةِ جُنْبُلٍ  
إِذَا مَا عَلَاهَا فَارِسٌ مُبَذَّلٌ فَنِعْمَ فَرَّاشُ الْفَارِسِ الْمُتَبَذَّلِ  
خَوَى بِهَا ، مِنْ خَوَى الْبَعِيرُ تَخَوًى : إِذَا بَرَكَ ثُمَّ مَكَّنَ لِثِفَاتِهِ فِي الْأَرْضِ ؛  
وَالْجُنْبُلُ : الْقَدْحُ الْعَظِيمُ ، يَقُولُ : إِنْ كَعْنَبَهَا لِضَخَمِهِ يُخَوِّي بِهَا إِذَا أَنْبَطَحَتْ ،  
فَيَتَجَافَى عَنِ الْأَرْضِ بَطْنُهَا ، وَالْعَرَبُ تُشَبِّهُ الرَّكَبَ الضَّخْمَ بِالْقَعْبِ الْمَكْفُوءِ ،  
أَيَ : الْقَدْحِ الْمَقْلُوبِ ، وَلِذَا قَالَ : كَهَامَةِ جُنْبُلٍ ، وَقَوْلُهُ : إِذَا مَا عَلَاهَا فَارِسٌ ...  
الْبَيْتَ . هُوَ كَقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ [وَيُسَبِّحُ أَخِيَانًا لِصَرِيحِ الْغَوَانِي ، من البسيط] :

مَا مَزَكَبَ وَرُكُوبُ الْخَيْلِ يُعْجِبُنِي كَمَزَكَبٍ بَيْنَ دُمُلُوجٍ وَخَلْخَالٍ  
الَّذِي لِلْفَارِسِ الْمُجَرِّي إِذَا أَنْبَهَرَتْ أَنْفَاسُ أَمْثَالِهَا مِنْ تَحْتِ أَمْثَالِي  
وَالْفَارِسُ الْمُتَبَذَّلُ ، أَيْ : اللَّائِسُ لِثِيَابٍ بِذَلَّتِهِ ، وَهِيَ الْمَبَاذِلُ ، أَيْ :  
الْثِيَابُ الَّتِي تُلْبَسُ وَتُمْتَهَنُ وَلَا تُصَانُ .

٤٠١ - وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ [من الطويل] :

إِذَا بَطِحَتْ فَوْقَ الْأَنَافِي رَفَعْنَهَا بِشَدِيثَيْنِ فِي نَخْرِ عَرِيضٍ وَكَعْنَبِ

يَقُولُ : إِنَّهَا إِذَا بَطَحَتْ عَلَى وَجْهِهَا لَمْ يَمَسَّ الْأَرْضَ مِنْهَا شَيْءٌ ، لِأَنَّ نُهُودَ  
ثَدْيَيْهَا وَكَبِيرَ رَكَبِهَا مِثْلُ أَثَافِي الْقَدْرِ لِبَدْنِهَا . [ وسيرد برقم : ٤٤٠ ]

\* \* \*

٤٠٢ - وَبَعَثَ الْجَنْبُدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُرِّي إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسِرِيِّ  
بِسَبْنِي مِنَ الْأَهْنَدِ بِيضٍ ، فَجَعَلَ يَهَبُ مِنْهَا لَوُجُوهَ النَّاسِ حَتَّى بَقِيَتْ جَارِيَةٌ مِنْهُمْ  
جَمِيلَةٌ كَانَتْ يَدْخِرُهَا . فَقَالَ لِأَبِي النَّجْمِ الشَّاعِرِ الرَّجَازِ :

هَلْ عِنْدَكَ فِيهَا شَيْءٌ حَاضِرٌ وَتَأْخُذُهَا السَّاعَةُ ؟ قَالَ : نَعَمْ أَصْلَحَكَ اللَّهُ !  
فَقَالَ الْعُرْيَانُ بْنُ الْهَيْثَمِ التَّخَعِي : كَذَبَ وَاللَّهِ مَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ . فَقَالَ أَبُو  
النَّجْمِ [من الرجز] :

عَلِقْتُ خَوْدًا مِنْ بَنَاتِ الرُّطِّ	ذَاتَ جِهَازٍ مُضْغَطٍ مُلْطٍ <sup>(١)</sup>
رَأَيْتُ الْمَجْسَّ جَيْدَ الْمَحَطِّ	كَأَنَّمَا قُطَّ عَلَى مِقَطِّ <sup>(٢)</sup>
إِذَا بَدَا مِنْهَا الَّذِي تُغْطِي	كَأَنَّ تَخَتْ ثَوْبَهَا الْمُنْعَطِّ <sup>(٣)</sup>
شَطًّا رَمَيْتَ فَوْقَ شَطِّ	لَمْ يَنْزُ فِي الْبَطْنِ وَلَمْ يَنْحَطِّ <sup>(٤)</sup>
فِيهِ شِفَاءٌ مِنْ أَذَى التَّمْطِي	كَهَامَةِ الشَّيْخِ الْيَمَانِيِّ الْثَطِّ <sup>(٥)</sup>

وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى هَامَةِ الْعُرْيَانِ بْنِ الْهَيْثَمِ ، فَضَحِكَ خَالِدٌ ، وَقَالَ لِلْعُرْيَانِ :

- 
- (١) الرُّطُّ : جِبِلٌّ مِنَ السَّنْدِ ؛ وَالْجِهَازُ : فَرْجُ الْمَرْأَةِ ؛ وَمُلْطٌ : مَسْتَوٌّ ، مِنَ اللَّطِّ الشَّيْءُ : إِذَا  
سَتَرَهُ .
- (٢) رَأَيْتُ الْمَجْسَّ : مُرْتَفِعٌ مَا جَسَسْتَهُ مِنْهُ ؛ وَقُطَّ ، وَالْمِقَطُّ : مَا يَقُطُّ بِهِ الْقَلَمُ .
- (٣) أَنْعَطَ الثَّوْبُ : انْشَقَّ .
- (٤) الشَّطُّ : جَانِبُ سِتَامِ الْبَعِيرِ ، وَالْعَرَبُ تُشَبِّهُ أَعْلَى الْفَرْجِ بِسِتَامِ الْبَعِيرِ .
- (٥) الثَّطُّ : الْخَفِيفُ اللَّحْيَةِ .



كَيْفَ تَرَى ! أَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُرَوِّيَ فِيهَا يَا عَزِيَّانُ ؟ ! قَالَ : لَا وَاللَّهِ ! وَلَكِنَّهُ مَلْعُونٌ  
أَبْنُ مَلْعُونٍ .

\* \* \*

٤٠٣ - وَقَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ [من السريع] :

عَجَزَاءُ مِنْ سِرِّ بَنِي مَالِكٍ      لَهَا هُنَّ مِنْ بَطْنِهَا أَرْفَعُ  
زَيْنَ أَغْلَاهُ بِإِشْرَافِهِ      وَأَنْضَمَّ مِنْ أَسْفَلِهِ الْمُشْرِعُ

٤٠٤ - وَحَكَى أَبُو الْفَرَجِ صَاحِبُ « الْأَغَانِي » فِي أَخْبَارِ ابْنِ مِيَادَةَ - وَهُوَ  
شَاعِرٌ فَصِيحٌ مُقَدَّمٌ مِنْ مُحَضَّرِي الدَّوْلَتَيْنِ ، وَكَانَ عَرِيضاً لِلشَّرِّ مُولِعاً بِمُهَاجَاةِ  
الشُّعْرَاءِ وَمُسَابَاةِ النَّاسِ - قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : كَانَ ابْنُ مِيَادَةَ قَدْ هَاجَى سِنَانَ بْنَ جَابِرٍ  
أَحَدَ بَنِي حُمَيْسٍ ، وَكَانَ مِمَّا هَجَاهُ بِهِ ؛ وَهُنَا أُورِدَ أَبُو الْفَرَجِ أَبْيَاتاً نُورِدَ مَا يُغْنِينَا  
مِنْهَا وَهُوَ هَذَا أَلْبَيْتُ [من الطويل] :

وَبُئِدي الْحُمَيْسِيَّاتُ فِي كُلِّ زِينَةٍ      فُرُوجاً كَأَنَارِ الصَّغَارِ مِنَ الْبُهَمِ<sup>(١)</sup>

قَالَ : ثُمَّ إِنَّ ابْنَ مِيَادَةَ خَرَجَ يَبْغِي إِبِلًا لَهُ حَتَّى وَرَدَ جُبَاراً - مَاءَ لِحْمَيْسٍ بْنِ  
عَامِرٍ - فَأَتَى بَيْتاً ، فَوَجَدَ فِيهِ عَجُوزاً قَدْ أَسَنَتْ ، فَشَدَّهَا إِبِلَهُ ، فَذَكَرَتْهَا لَهُ  
وَقَالَتْ : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : رَجُلٌ مِنْ سُلَيْمِ بْنِ مَنصُورٍ ؛ فَأَذْنَتْ لَهُ ، وَقَالَتْ :  
أَدْخُلْ حَتَّى نَقْرِيكَ ؛ وَقَدْ عَرَفْتُهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي ، فَلَمَّا قَرَّتُهُ ، قَالَ ابْنُ مِيَادَةَ :  
وَجَدْتُ رِيحَ الطَّيِّبِ قَدْ نَفَحَ عَلَيَّ مِنَ الْبَيْتِ ، وَإِذَا بِنْتُ لَهَا قَدْ هَتَكَتِ السِّتْرَ ، ثُمَّ  
أَسْتَقْبَلْتَنِي وَعَلَيْهَا إِزَارٌ أَحْمَرٌ وَهِيَ مُؤْتَرَّةٌ بِهِ ، فَأَطْلَقْتُهُ ، وَقَالَتْ : أَنْظِرْ يَا ابْنَ

(١) يَرْمِي نِسَاءَ بَنِي حُمَيْسٍ بِصَغَرٍ فُرُوجِهِنَّ ، إِذْ يُسَبِّهُنَّ بِأَنَارِ أَظْلَافِ الصَّغَارِ مِنَ الْبُهَمِ فِي الْأَرْضِ  
إِذَا مَشَتْ .

مِيَادَةُ الزَّائِنَةِ<sup>(١)</sup> ! أَهَذَا كَمَا نَعَتْ ! فَلَمْ أَرْ أَمْرَأَةً أَضَحَمَ قُبْلًا مِنْهَا ! نَبَا بَيْنَ فَخِذَيْهَا  
كَأَنَّهُ الْعَقْبُ الْمَكْفُوءُ - الْمَقْلُوبُ - فَقَالَتْ : أَهَذَا لَمَّا قُلْتُ [من الطويل] :

وَتُبْدِي الْخُمَيْسِيَّاتُ فِي كُلِّ زِينَةٍ فُرُوجًا كَأَنَارِ الصَّغَارِ مِنَ الْبُهَمِ<sup>(٢)</sup>  
قَالَ : قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ يَا سَيِّدَتِي ، مَا هَكَذَا قُلْتُ ، وَلَكِنْ قُلْتُ [من الطويل] :

وَتُبْدِي الْخُمَيْسِيَّاتُ فِي كُلِّ زِينَةٍ فُرُوجًا كَأَنَارِ الْمُقَيْسِرَةِ الدُّهْمِ  
الْمُقَيْسِرَةِ : الْإِبِلِ الضَّخْمَةِ الْكَبِيرَةِ .

٤٠٥ - وَأَحْسَنَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي وَصْفِ الْفَرْجِ بِالضِّيقِ وَالْحَرَارَةِ ، وَذَلِكَ  
حَيْثُ يَقُولُ [من المنسرح] :

لَهَا حِرٌّ يَسْتَعِيرُ وَقَدَتَهُ مِنْ قَلْبٍ صَبٍّ وَصَدْرِ ذِي حَنْقٍ  
كَأَنَّمَا حَرُّهُ لِحَابِرِهِ مَا أَوْقَدَتْ فِي حَشَاهُ مِنْ حُرْقٍ  
يَزْدَادُ ضَيْقًا عَلَى الْمِرَاسِ كَمَا تَزْدَادُ ضَيْقًا أَنْشُوطَةُ الْوَهَقِ<sup>(٣)</sup>

٤٠٦ - وَقَالَ ابْنُ سُكَّرَةَ الْهَاشِمِيُّ أَحَدُ شُعَرَاءِ « الْيَتِيمَةِ » - « يَتِيمَةُ الدَّهْرِ »  
لِلشَّعَالِبِيِّ [من المتقارب] :

وَسَوْدَاءُ بُورِكَ فِي بَضْعِهَا وَلَا نَالَ بُؤْسًا فَمَا أَضْيَقًا  
نَزَوْتُ عَلَيْهَا وَلَا عِلْمَ لِي بِأَنَّ لَهَا كَغُثْبًا مُحْرِقًا  
فَكِدْتُ مِنَ الْحَرِّ أَنَّ أَنْشَوِي وَمِنْ شِدَّةِ الضِّيقِ أَنَّ أُخْنَقًا

(١) مِيَادَةُ : أَسْمُ أُمِّ الشَّاعِرِ ، وَأَسْمُهُ الزَّرْمَاحُ بْنُ أَبِرْدَ .

(٢) الْبُهَمُ ؛ جَمْعُ بَهْمَةٍ : الصَّغِيرُ مِنَ أَوْلَادِ الصَّانِ : الْغَنَمِ وَالْمَعِزِّ .

(٣) الْأَنْشُوطَةُ : عِقْدَةٌ يَسْهُلُ أَنْحِلَالُهَا مِثْلُ عِقْدَةِ التَّكَّةِ ، وَمِنْ مَجَازِهَا قَوْلُهُمْ : مَا عِقَالُكَ بِأَنْشُوطَةٍ ، أَيِ : مَا مَوَدَّتُكَ بِوَاهِيَةٍ ، وَنَشَطَتْ الْحَبْلُ أَنْشَطُهُ نَشْطًا : إِذَا رَبَطْتَهُ وَإِذَا حَلَلْتَهُ فَقَدْ نَشَطْتَهُ ؛ وَالْوَهَقُ : حَبْلٌ فِي طَرَفِهِ أَنْشُوطَةٌ يُطْرَحُ فِي عُنُقِ الدَّابَّةِ حَتَّى تُوْخَذَ .

٤٠٧ - وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي سَعَتِهِ [من الخفيف] :

يَسْعُ السَّبْعَةَ الْأَقَالِيمَ طَرًّا      وَهُوَ فِي إِضْبَعَيْنِ مِنْ إِقْلِيمِ  
كَضْمِيرِ الْفَوَادِ يَلْتَهُمُ الدُّنْ      يَا وَتَحْوِيهِ دَقَّتَا حَيْرُومِ

\* \* \*

النَّظَرُ إِلَى الْفَرْجِ :

٤٠٨ - وَهَذَا نُورِدُ خِلَافَهُمْ فِي النَّظَرِ إِلَى فَرجِ الزَّوْجَةِ ، فَقَدْ قِيلَ لِلْإِمَامِ  
إِضْبَعُ الْمَالِكِيِّ : إِنْ قَوْمًا يَرَوْنَ كَرَاهَةَ النَّظَرِ إِلَى فَرجِ الزَّوْجَةِ . فَقَالَ : إِنَّمَا يَرَى  
كَرَاهَتَهُ مَنْ يَرَى ذَلِكَ بِالطَّبِّ لَا بِالْعِلْمِ ، وَلَا بِأَسَرِّهِ ، وَلَيْسَ بِمَكْرُوهٍ ؛ وَقَالَ  
الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ ابْنُ رُشْدٍ : أَكْثَرُ الْعَوَامِّ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَنْظُرَ  
إِلَى فَرجِ امْرَأَتِهِ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ ! قَالَ : وَقَدْ سَأَلَنِي عَنْ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ ،  
وَأَسْتَعْرَبَ أَنْ يَكُونَ جَائِزًا ! وَعَلَى هَذَا أَيْضًا مَذْهَبُ الْحَنْفِيَّةِ ، فَهُمْ يُجِيزُونَهُ ،  
وَأَمَّا الشَّافِعِيَّةُ فَلَهُمْ فِيهِ قَوْلَانِ ، أَحَدُهُمَا الْإِبَاحَةُ ، وَالْآخَرُ الْمَنْعُ ، وَالنَّظَرُ إِلَى  
دَاخِلِهِ عِنْدَهُمْ أَشَدُّ فِي الْمَنْعِ . وَلِبَعْضِ أَتَمَّتِهِمْ : يُكْرَهُ النَّظَرُ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ سَخَفٌ  
وَدَنَاءَةٌ ، أَقُولُ : وَهَذَا مَا أَرَاهُ وَيَرَاهُ كُلُّ مُهَذَّبٍ . . . حَتَّى لَقَدْ رَوَيْ فِي الْأَثَرِ :  
« لَا يَنْظُرُ أَحَدُكُمْ إِلَى فَرجِ زَوْجَتِهِ وَلَا فَرجِ أُمِّهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُورِثُ الْعَمَى » .

[« كنز العمال » ، رقم : ٤٤٩٠٣ ] .

\* \* \*

عُيُوبُ الْفَرْجِ :

٤٠٩ - وَقَدْ ذَكَرَ الْفُقَهَاءُ أَنَّ مِمَّا يَنْفَسَخُ بِهِ عَقْدُ النِّكَاحِ عُيُوبًا تِسْعَةٌ ، ثَلَاثَةٌ  
يَشْتَرِكُ فِيهَا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ ، وَهِيَ : الْجُنُونُ وَالْجُدَامُ وَالْبَرَصُ ؛ وَاثْنَانِ

مُخْتَصَّانِ بِالرِّجَالِ ، وَهُمَا : الْجَبْتُ ، أَي : قَطْعُ الذَّكَرِ ؛ وَالْعُتَّةُ : الْعَجْزُ عَنِ الْجِمَاعِ ، إِمَّا لِأَنَّ الذَّكَرَ صَغِيرٌ لَا يَتَأَتَّى بِهِ الْجِمَاعُ ، وَإِمَّا لِمَرَضٍ يُسَبِّبُ عَدَمَ الْإِنْتِصَابِ ؛ وَأَرْبَعَةٌ مُخْتَصَّةٌ بِالنِّسَاءِ ، وَهِيَ : الْقَرْنُ ، وَالْعَقْلُ ، وَالرَّتْقُ ، وَالْفَتْقُ ؛ فَأَمَّا الْقَرْنُ فَهُوَ شَيْءٌ يَبْرُزُ فِي الْفَرْجِ كَقَرْنِ الشَّاةِ ، لَا يَتِمَكَّنُ مَعَهُ الرَّجُلُ مِنَ الْجِمَاعِ ؛ وَأَمَّا الْعَقْلُ فَهُوَ لَحْمٌ يَبْرُزُ فِي الْفَرْجِ ، وَلَا يَخْلُو عَنْ رَشَحٍ ، يُشَبِّهُ الْأَذْرَةَ لِلرَّجُلِ - الْقَلِيلَةَ - ؛ وَأَمَّا الرَّتْقُ ، فَهُوَ أَنْسِدَادُ مَدْخَلِ الذَّكَرِ مِنَ الْفَرْجِ ، فَلَا يُمَكِّنُ مَعَهُ الْجِمَاعُ ، وَهَذَا الْأَنْسِدَادُ قَدْ يَكُونُ بَعْدَهُ لَحْمٌ أَوْ عَظْمٌ ، وَأَمَّا الْفَتْقُ أَوْ الْإِفْضَاءُ ، فَهُوَ أَنْ يَخْتَلِطَ مَسْلُكُ الذَّكَرِ بِمَسْلُكِ الْبُولِ أَوْ الْغَائِطِ ، وَيُقَالُ لِلْمَرْأَةِ : مَشْرُومٌ أَوْ شَرِيمٌ .

٤١٠ - وَمِنْ عُيُوبِ الْفَرْجِ الْبَخْرُ ، أَي : نَتْنُ الْفَرْجِ <sup>(١)</sup> .

\* \* \*

الْأَرْذَافُ :

٤١١ - الرَّدْفُ وَالْكَفْلُ وَالْعَجْزُ وَالْعَجِيزَةُ وَالْمَأْكِمَةُ وَاحِدٌ ، وَيُقَالُ : أَمْرَأَةٌ عَجْزَاءُ ، إِذَا كَانَتْ عَظِيمَةَ الْعَجِيزَةِ ، وَذَلِكَ عِنْدَهُمْ مِنْ مَعَانِي الْمَرْأَةِ الْمُسْتَحْسَنَةِ ، وَلَكِنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ كَرِهُوا إِفْرَاطَ كِبَرِهَا ، وَكَذَلِكَ يُقَالُ : أَمْرَأَةٌ مُؤَكَّمَةٌ ، أَي : عَظِيمَةُ الْمَأْكِمَتَيْنِ ، وَالْمَأْكِمَةُ : الْعَجِيزَةُ ، تُفْتَحُ كَأُفْهَاءِ وَتُكْسَرُ ؛ وَضِدُّ الْعَجْزَاءِ : الزَّلَاءُ ، وَالرَّسَحَاءُ ، وَهُمَا صِفَتَا ذِمٍّ عِنْدَ الْجَمِيعِ ، وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « لَا تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ الرُّسَحَ وَلَا الْعُمَشَ ، فَإِنَّ

(١) أَصْبَحَتْ هَذِهِ الْأَمْرَاضُ نَادِرَةً الْوُجُودِ ، لِأَنَّ عِلْمَ الطَّبِّ وَخُصُوصاً الْجِرَاحَةَ قَدْ تَقَدَّمَ تَقَدُّماً كَثِيراً ، وَيُمْكِنُ اسْتِنْصَالُ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ بِسُهُولَةٍ .

الْبَنُّ يُورِثُ الرِّسْحَ .

الرِّسْحُ : أَنْ لَا يَكُونَ لِلْمَرْأَةِ عَجِيزَةٌ ، وَقَدْ رَسَحَتِ الْمَرْأَةُ رَسْحًا ، وَهِيَ الزَّلَاةُ .

٤١٢ - وَقَالَ الشَّاعِرُ [من الطويل] :

إِذَا ضَرَبَتْهَا الرِّيحُ فِي الْمِرْطِ أَشْرَفَتْ مَآكِمَهَا وَالزُّلُّ فِي الرِّيحِ تُفْضَحُ  
الْمِرْطُ : كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ وَنَحْوِهِ يُؤْتَزَرُ بِهِ ؛ وَالزُّلُّ جَمْعُ زَلَاءٍ : الَّتِي لَا عَجِيزَةَ لَهَا .

٤١٣ - وَمِنْ كَلَامِهِمْ : الْعَجِيزَةُ أَحَدُ الْوَجْهَيْنِ ...

٤١٤ - وَكَانَتِ الثُّرَيَّا صَاحِبَةَ عُمَرَ ابْنِ أَبِي رَيْبَعَةَ تَصُبُّ الْمَاءَ عَلَى رَأْسِهَا فَلَا يَصِلُ إِلَى فَخْذَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ ، لِوُفُورِ عَجِيزَتِهَا .

٤١٥ - وَحَكُوا أَنَّ عَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ كَانَتْ تَسْتَلْقِي عَلَى قَفَاها ، ثُمَّ تَدْخِرُ الْأُتْرَجَةَ مِنْ تَحْتِ ظَهْرِهَا فَتَخْرُجُ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى ، لِوُفُورِ عَجِيزَتِهَا كَذَلِكَ ، وَفِي عَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ يَقُولُ الْحَارِثُ بْنُ خَالِدٍ الْمَخْزُومِيُّ - وَذَلِكَ لَمَّا تَرَوَّجَهَا مُضْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَرَحَلَ بِهَا إِلَى الْعِرَاقِ [وَتَسَبُّ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ، مِنْ الْكَامِلِ] :

ظَعَنَ الْأَمِيرُ بِأَحْسَنِ الْخَلْقِ وَغَدَا بِلُبِّكَ مَطْلِعَ الشَّرْقِ  
فِي الْبَيْتِ ذِي الْحَسَبِ الرَّفِيعِ وَمِنْ أَهْلِ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالصِّدْقِ  
فَظَلَلْتُ كَالْمَقْهُورِ مُهْجَتَهُ هَذَا الْجُنُونُ وَلَيْسَ بِالْعِشْقِ  
أُتْرَجَةٌ عَبَقَ الْعَيْرُ بِهَا عَبَقَ الدَّهَانِ بِجَانِبِ الْحَقِّ<sup>(١)</sup>

(١) الْأُتْرَجَةُ ، وَاحِدَةُ الْأُتْرَجِ : ثَمَرٌ مَعْرُوفٌ مِنْ جِنْسِ اللَّيْمُونِ ، وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا : الْأُتْرَجُ ، وَهُوَ دُورَانِيَّةٌ ذَكِيَّةٌ ، وَفِيهِ يَقُولُ جَحْظَةُ الْبَرْمَكِيُّ [من السريع] :

٤١٦ - وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ ، وَهِيَ مِمَّا اخْتَارَهُ أَبُو تَمَّامٍ فِي « حِمَاسَتِهِ » [وَنُسِبَ لِعُمَرَ

أَبْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ، مِنْ الْكَامِلِ] :

أَبَتْ الرِّوَادِفُ وَالْثُدِي لِقَمَصِهَا مَسَّ الْبُطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورًا  
وَإِذَا الرِّبَاحُ مَعَ الْعَشِيِّ تَنَاوَحَتْ نَبْهَنَ حَاسِدَةً وَهَجَنَ غُيُورًا  
[وسيرد برقم : ٤٣٩] .

الْثُدِي ، جَمْعُ ثَدْيٍ ؛ وَالْقُمْصُ ، جَمْعُ قَمِيصٍ ، وَهُوَ : دِرْعُ الْمَرْأَةِ ؛  
يَقُولُ هَذَا الْأَعْرَابِيُّ : إِنَّ نُهُودَ ثَدْيَيْهَا وَازْتِفَاعُهُمَا يَمْنَعُ ثِيَابَهَا أَنْ تَمَسَّ الْبُطْنَ ،  
وَضَخَامَةُ رِذْفَيْهَا تَمْنَعُ ثِيَابَهَا أَنْ تَمَسَّ ظَهْرَهَا ؛ وَإِذَا الرِّبَاحُ تَنَاوَحَتْ ، أَيِ :  
هَبَّتْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَتَقَابَلَتْ ، التَّصَقَّ مِنْ ثِيَابِهَا بِبُطْنِهَا وَظَهْرِهَا مَا كَانَ يَمْنَعُهُ  
ثَدْيَاهَا وَرِذْفَاهَا قَبْلَ هُبُوبِهَا فَظَهَرَ مِنْ مَحَاسِنِهَا مَا يُبْنِي حَسَدَ الْحَاسِدَاتِ وَيَهْيِجُ  
غَيْرَةَ الْغُيُورِ ، أَوْ تَقُولُ : إِذَا هَبَّتِ الرِّبَاحُ وَجَدَتْ بَيْنَ جِسْمِهَا وَثِيَابِهَا هَوَاءً خَالِيًا  
فَتَمَكَّنَتْ مِنْ رَفْعِ ثِيَابِهَا ، فَيَبْدُو مَا تَحْتَهَا مِنَ الْمَحَاسِنِ ، فَيَسْتَيْقِظُ حَسَدُ  
الْحَاسِدَاتِ وَتَهْيِجُ غَيْرَةُ الْغُيُورِ .

٤١٧ - وَقَالَ الْمُتَنَبِّيُّ [مِنْ الْوَافِرِ] :

تُرْفَعُ ثَوْبُهَا الْأَرْدَافُ عَنْهَا فَيَبْقَى مِنْ وَشَاحِيهَا شُوعَا  
إِذَا مَا سَتْ رَأَيْتَ لَهَا أَرْتِجَاجًا لَهُ لَوْلَا سَوَاعِدُهَا نَزُوعَا

وَالْتَّبَرِ فِي بَهْجَةِ إِشْرَاقِهِ  
مَخْلُوقَةٌ مِنْ طِيبِ أَخْلَاقِهِ

تَشَابَهَتْ مِنْكُمْ الْأَخْلَاقُ وَالْخَلْقُ  
حَمَلًا وَنَوْرًا وَطَابَ الْغُودُ وَالْوَرَقُ

= أُنْرَجَّةٌ كَالْمِسْكِ فِي طِيبِهِ  
كَسَانُهَا فِي كَفِّ أَسْتَاذِنَا  
وَيَقُولُ أَبُو الرُّومِيِّ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

كُلُّ الْخِلَالِ أَلْتِي فِيكُمْ مَحَاسِنُكُمْ  
كَأَنَّكُمْ شَجَرُ الْأَنْرَجِ طَابَ مَعَا

يَقُولُ الْمُتَنَبِّيُّ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ : إِنَّ أَرْدَافَهَا عَظِيمَةٌ شَاخِصَةٌ عَنْ بَدَنِهَا حَتَّى  
 إِنَّهَا تَرْفَعُ ثَوْبَهَا وَتَحُولُ دُونَ لُصُوقِهِ بِجَسَدِهَا ، حَتَّى إِنَّهُ يَكُونُ بَعِيداً عَمَّا  
 تَوَشَّحَتْ بِهِ مِنَ الْقَلَائِدِ ، فَأَرَادَ بِالْوِشَاحَيْنِ قِلَادَتَيْنِ تَتَوَشَّحُ بِهِمَا الْمَرْأَةُ ، تُرْسِلُ  
 إِحْدَاهُمَا عَلَى جَنْبِهَا الْيَمِينِ وَالْأُخْرَى عَلَى الْيَسَرِ ؛ وَالشَّسُوعُ : الْبَعِيدُ .  
 وَيَقُولُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي : إِذَا مَاسَتْ - أَيِ : مَشَتْ مُتَبَخِّرَةً - رَأَيْتَ لِرَوَادِفِهَا فِيهَا  
 أَرْتَجَاجاً وَحَرَكَةً يَكَادَانِ يَنْزِعَانِ ثَوْبَهَا عَنْهَا لَوْلَا أَنَّ سَوَاعِدَهَا تُمَسِّكُ عَلَيْهَا  
 ثَوْبَهَا ، لِدُخُولِهَا فِي الْكُمَيْنِ ، فَالضَّمِيرُ فِي « لَهُ » لِلثَّوْبِ ، وَ« نَزُوعاً » صِفَةٌ  
 لـ « أَرْتَجَاجاً » .



٤١٨ - وَكَانَ الْمَأْمُونُ ابْنُ الرَّشِيدِ كَثِيراً مَا كَانَ يُجَالِسُ عَمْرُو ابْنَ أَبِي عَمْرٍو  
 الشَّيْبَانِيَّ ، قَالَ عَمْرُو : بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ بَيْنَ يَدَيْ الْمَأْمُونِ إِذْ دَخَلَ الْحَاجِبُ فَأَلْقَى  
 إِلَيْهِ سِرّاً ، أَصْغَى إِلَيْهِ بِأُذُنِهِ ، فَتَهَضَّتْ لِذَهَبَ ، فَقَالَ : أَجْلِسْ ، فَلَوْلَا أَنَّ  
 لِلْحَجَبَةِ مُؤَامَرَاتٍ لَا تَصْلُحُ إِلَّا بِاسْتِظْلَاعِ الرَّأْيِ فِيهَا لَكُنْتَ عِنْدَنَا مِمَّنْ  
 لَا نَخْتَشِمُهُ ، وَلَا نَسْتُرُ أَمْرًا عَنْهُ ! فَقُلْتُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَوْصَلَ لِي هَذَا  
 الْفَضْلَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَى الْحَاجِبِ ، فَمَا لَبِثَ أَنْ دَخَلَ  
 بِوَصَائِفَ حِسَانِ الصُّورِ ، فَأَعْتَرَضَهُنَّ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهُنَّ أَفْضَلُ عِنْدَكَ ؟ فَقُلْتُ :  
 إِنْ كَانَ لِمَا جَمَعَتْ مِنَ الْأَوْصَافِ الْمُسْتَحْسَنَةِ فَهَذِهِ ! وَأَشْرْتُ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ  
 مُدْمَجَةِ الْخَضِرِ رَاجِحَةِ الْكَفْلِ ؛ ثُمَّ قُلْتُ : لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَأْيُهُ وَاخْتِيَارُهُ وَمَوْقِعُ  
 شَهَوْتِهِ ؛ فَقَالَ : قَدْ وَافَقَتْ شَهَوْتِي مَا اخْتَبَرْتُهُ بِرَأْيِكَ ؛ وَأَمَرَهُ بِأَخْذِهَا ، وَخَرَجَ  
 النَّخَّاسُونَ - تَجَارُ الرَّقِيقِ - وَسَائِرُ الْجَوَارِي ، ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَيَّ ، وَقَالَ : مَا قَالَتْ  
 الشُّعْرَاءُ الْمُجَوِّدُونَ فِي الْأَكْفَالِ ؟ قُلْتُ : الْأَبْيَاتُ الَّتِي تَتَهَادَاها الرُّوَاهُ ؛ قَالَ :

كَأَنَّكَ تُرِيدُ قَوْلَ الْقَائِلِ [وَهُوَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ، من الكامل] :

وَتَنُوءُ تُثْقِلُهَا عَجِيزَتُهَا      نَهَضَ الضَّعِيفُ يَثُوءُ بِالْوَسْقِ  
مَا صَبَّحَتْ أَحَدًا بِرُؤْيَيْهَا      إِلَّا غَدَاً يَكْوَاكِبِ الْأَطْلَقِ<sup>(١)</sup>  
وَقَوْلَ الْقَائِلِ [من الطويل] :

وَيَبِضُ نَصِيرَاتِ الْوُجُوهِ كَأَنَّمَا      تَأَزَّرْنَ دُونَ الرِّيطِ مِنْ رَمْلِ عَالِجٍ<sup>(٢)</sup>  
خِدَالِ السَّوَى لَا تَحْتَشِي غَيْرَ خَلْقِهَا      إِذَا الرُّسُحُ لَمْ يَضْبِرْنَ دُونَ الْمَنَافِجِ<sup>(٣)</sup>  
يَذَرْنَ مُرُوطَ الْخَزِّ مَلَأَى كَأَنَّمَا      قِصَارٌ وَإِنْ طَالَتْ بِأَيْدِي التَّوَاسِجِ  
فَقُلْتُ : نَعَمْ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هُوَ الَّذِي أَرَدْتُ ؛ قَالَ : لَعَمْرِي لَقَدْ  
أَحْسَنَ ، إِلَّا أَنْ أَخَا<sup>(٤)</sup> أَسَدٍ أَرَقُّ مَعْنَى وَأَحْسَنَ مَعْرَى فِي قَوْلِهِ [من الكامل] :

يَمْشِينَ مَثْنَى قَطَا الْبِطَاحِ تَأُودَا      قُبَّ الْبُطُونِ رَوَاجِحَ الْأَكْفَالِ<sup>(٥)</sup>  
يَمْشِينَ بَيْنَ حِجَالِهِنَّ كَمَا مَشَتْ      بُزْلُ الْجِمَالِ دَلَجْنَ بِالْأَحْمَالِ<sup>(٦)</sup>

(١) يُقَالُ : يَوْمَ طَلَّقْتُ ، أَيِ : مُشْرِقٌ ، لَا بَرْدَ فِيهِ وَلَا حَرًّا وَلَا شَيْءَ يُؤْذِي .

قَالَ الْبُخْتَرِيُّ [من الطويل] :

أَنَّاكَ الْبَرِيعُ الطَّلُوقُ يَخْتَالُ ضَاحِكًا      مِنَ الْحُسْنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ  
يُرِيدُ أَنْ مَنْ تُصْبِحُهُ رُؤْيُهَا يَرَى الزَّمَانَ صَافِيًا سَعِيدًا طَيِّبًا لِرُوعَتِهَا وَجَمَالِهَا وَأَسْنِنَارًا بِطَلْعَتِهَا  
الرَّائِعَةِ .

(٢) عَالِجٌ : مُوضِعٌ بِالْبَدَايَةِ بِهِ رَمْلٌ قَدْ تَرَكَمَ وَدَخَلَ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ ، وَهُمْ يُسَبِّهُونَ الرَّدْفَ  
بِالْكَيْبِ مِنَ الرَّمْلِ ؛ وَالرِّيطُ ، جَمْعُ رِبْطَةٍ : الْمَلَاءَةُ ، وَكُلُّ نَوْبٍ لَتَيْنِ دَقِيقِي ؛ وَتَأَزَّرْنَ ،  
أَيِ : كَأَنَّهُنَّ جَعَلْنَ الرَّمْلَ بَدَلَ الْمَلَاءَةِ ، يَصِفُهُنَّ بِضَخَامَةِ الرَّدْفِ .

(٣) خِدَالِ السَّوَى : مُمْتَلِئَةُ الْأَطْرَافِ ؛ وَالْمَنَافِجُ : حَشَايَا تَوْضَعُ فَوْقَ الْأَرْدَافِ .

(٤) هُوَ الشَّاعِرُ الْكُفَيْتُ بْنُ زَيْدِ الْأَسَدِيِّ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ .

(٥) قُبَّ الْبُطُونِ : ضَامِرَاتُ الْبُطُونِ ؛ وَرَوَاجِحُ الْأَكْفَالِ : ثَقِيلَاتُ الْعَجِيزَةِ ؛ يُقَالُ أَمْرَأَةٌ رَجَاحُ  
وَرَاجِحٌ ، أَيِ : ثَقِيلَةُ الْعَجِيزَةِ ؛ وَالْبِطَاحُ ، جَمْعُ الْأَبْطَحِ : مَسِيلُ الْوَادِي .

(٦) الْحِجَالُ ، جَمْعُ حَجَلَةٍ ، وَهِيَ كَالْقَبَةِ تُسْتَرُّ بِالثِّيَابِ ؛ وَالْبُزْلُ ، جَمْعُ بَازِلٍ : الْبُعِيرُ إِذَا =



فَإِذَا أَرَدْنَ زِيَادَةً فَكَأَنَّمَا يَخْلَعْنَ أَرْجُلَهُنَّ مِنْ أَوْحَالٍ فِيهِنَّ أَنَسَةُ الْحَدِيثِ حَيَّةٌ لَيْسَتْ بِفَاحِشَةٍ وَلَا مِتْفَالٍ<sup>(١)</sup> وَتَكُونُ رِيْقَتُهَا إِذَا تَبَّهَتْهَا كَالْمِسْكِ فَوْقَ سُلَافَةِ الْجِرْيَالِ<sup>(٢)</sup>

أَفْهِمْتَ مَا أَرَادَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي ! قُلْتُ : قَدْ أَعْطَى اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ مَا لَا يُتَارَعُ فِيهَا ؛ فَقَالَ : إِنَّ الْأَحْمَالَ إِذَا أَدْلَجَ بِهَا حَامِلُوهَا عَلَى الْإِلْبِلِ اسْتَرْخَتْ أَكْفَالُهَا ، فَإِنَّمَا شَبَّهَهَا بِهَا وَهِيَ عَلَى تِلْكَ الْصِّفَةِ . . .

٤١٩ - وَمِنْ طَرِيفِ هَذَا أَلْبَابِ مَا يُرَوَّى : أَنَّ هِنْدَ بِنْتَ عُتْبَةَ أُمَّ مُعَاوِيَةَ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ كَانَتْ وَافِرَةَ الْعَجِيزَةِ ، وَجَلَسَ يَوْمًا أَبُو الْجَهْمِ<sup>(٣)</sup> ابْنُ حُذَيْفَةَ عَلَى الْمَائِدَةِ مَعَ مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : يَا أَبَا الْجَهْمِ ! مَنْ أَسْنُ ، أَنَا أَمْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! وَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أُمِّكَ وَعِظْمُ عَجِيزَتِهَا وَقَدْ جِئْتُ أَخْطُبُهَا قَبْلَ أَبِيكَ وَقَبْلَ زَوْجِهَا الْفَاكِهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، ثُمَّ تَرَوَّجَهَا أَبُوكَ ، فَأَتَتْ بِكَ وَبِأَخَوَتِكَ ؛ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : إِنَّهَا كَانَتْ تَسْتَكْرِمُ الْأَزْوَاجَ ، وَتَقَالُ الْخِدَاجُ<sup>(٤)</sup> ! ثُمَّ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : يَا أَبَا الْجَهْمِ ! إِيَّاكَ وَالسُّلْطَانَ ، فَإِنَّهُ يَغْضَبُ غَضَبَ الصَّبِيِّ ، وَيَثْبُثُ وَثُوبَ الْأَسَدِ ، وَهَذِهِ مِثَّةُ أَلْفٍ ، فَاسْتَعِنَ بِهَا وَالْحَقُّ بِأَهْلِكَ ، وَإِيَّاكَ وَمِثْلَ هَذَا ؛ فَقَبَّلَ أَبُو الْجَهْمِ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ : أَبَيْتُ إِلَّا حِلْمًا وَكِرَمًا ؛ ثُمَّ

= اسْتَكْمَلَ السَّنَةَ الثَّامِنَةَ وَطَعَنَ فِي الثَّاسِعَةِ ، وَذَلِكَ أَفْصَى أَسْنَانِ الْبَعِيرِ .

(١) فَخِشَتْ الْمَرْأَةُ : فَبَحَثَ وَكَبَّرَتْ ؛ وَالْمِتْفَالُ : الْمُنْتَعِرَةُ الرِّيحُ لِتَرْكِ النَّطِيبِ وَالْإِدْهَانِ .

(٢) الْجِرْيَالُ : مِنْ أَسْمَاءِ الْخَمْرِ .

(٣) أَبُو الْجَهْمِ هَذَا أَسْلَمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَهُوَ مِنْ مُعَمَّرِي قُرَيْشٍ ، بَنَى فِي الْكَعْبَةِ مَرَّتَيْنِ ، مَرَّةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَمَرَّةً حِينَ بَنَاهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَمَاتَ فِي تِلْكَ الْفِتْنَةِ .

(٤) الْخِدَاجُ : الْتَقْصَانُ ، وَأَصْلُ ذَلِكَ مِنْ خِدَاجِ الثَّاقِبَةِ : إِذَا وَلَدَتْ وَلَدًا نَاقِصَ الْخَلْقِ أَوْ لَغِيرِ تَمَامٍ ؛ وَتَقَالُ الْخِدَاجُ ، أَيِ : ذَا الْخِدَاجِ ، أَيِ : التَّقْصِصِ ، أَيِ : تَرَاهُ قَلِيلًا ، أَيِ : لَا تَرَاهُ شَيْئًا .

أَنشَدَ [من الوافر] :

نَمِيلُ عَلَى جَوَانِبِهِ كَأَنَّا نَمِيلُ إِذَا نَمِيلُ عَلَى أَيْنَا  
نُقَلِّبُهُ لِنُخْبِرَ حَالَتِيهِ فَنُخْبِرَ مِنْهُمَا كَرَمًا وَلِينَا  
٤٢٠ - وَقَالَتْ أُمْرَأَةٌ لِأُخْرَى : أَتَحْتَكِ وِسَادَةً ! فَقَالَتْ : وَسَادَةٌ وَسَدَنِيهَا  
اللَّهُ .

٤٢١ - وَقَالَ الْمُتَنَبِّيُّ [من المنسرح] :

كَأَنَّمَا قَدْهَا إِذَا انْفَتَلَتْ سَكْرَانٌ مِنْ خَمْرِ طَرْفِهَا ثَمِلُ  
يَجْذِبُهَا تَحْتَ خَضِرِهَا عَجْزُ كَأَنَّهُ مِنْ فِرَاقِهَا وَجِلُ  
انْفَتَلَتْ : تَنَثَّتْ وَتَمَايَلَتْ ؛ وَطَرْفُهَا : لَحْظُهَا ؛ وَرَجُلٌ ثَمِلٌ : أَخَذَ مِنْهُ  
الشُّرَابُ ؛ يَقُولُ : إِنَّهَا تَتَمَايَلُ فِي مَشْيِهَا تَمَايَلُ السَّكْرَانِ ، فَكَأَنَّ قَدْهَا نَظَرَ إِلَى  
طَرْفِهَا فَسَكِرَ مِنْ خَمْرِ عَيْنَيْهَا كَمَا يَسْكُرُ مِنْهُ عَاشِقُوهَا . وَيَقُولُ فِي الْبَيْتِ  
الثَّانِي : إِنَّ رِدْفَهَا ثَقِيلٌ بِكَثْرَةِ اللَّحْمِ ، فَإِذَا هِيَ هَمَّتْ بِالْثَّهْوِصِ جَذَبَهَا رِدْفُهَا إِلَى  
الْقُعُودِ ، فَكَأَنَّ رِدْفَهَا فِي أَرْتِجَاجِهِ وَأَضْطِرَابِهِ لِكَثْرَةِ لَحْمِهِ خَائِفٌ مِنْ فِرَاقِهَا ،  
وَالْخَائِفُ يُوصَفُ بِالْأَرْتِعَادِ ، وَكَذَلِكَ الْعَجْزُ إِذَا كَثُرَ لَحْمُهُ ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ  
[وهو المتنبّي ، من الوافر] :

إِذَا مَاسَتْ رَأَيْتَ لَهَا أَرْتِجَاجًا

٤٢٢ - وَقَالَ يَزِيدُ ابْنُ الطُّرَيْيَةِ - شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ ، وَالطُّرَيْيَةُ : أُمُّهُ ، مِنْ حَيٍّ  
يُقَالُ لَهُمْ : طُرٌّ - [من الطويل] :

عُقَيْلِيَّةٌ : أُمَّا مَلَاثُ إِزَارِهَا فِدِغَصٌ وَأُمَّا خَضِرُهَا فَبَيْلٌ<sup>(١)</sup>

(١) عُقَيْلِيَّةٌ : مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ ؛ وَمَلَاثُ الْإِزَارِ : الْمَوْضِعُ الَّذِي يُسَدُّ عَلَيْهِ الْإِزَارُ ، وَهُوَ الْكِفْلُ =

[ وسيردُ برقم : ٤٤٥ ] .

وَمِنْ مُخْتَارِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، وَهِيَ فِي حِمَاسَةِ أَبِي تَمَّامٍ [من الطويل] :

أَلَيْسَ قَلِيلًا نَظْرَةً إِنْ نَظَرْتُهَا      إِلَيْكَ وَكَلَّا لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلٌ<sup>(١)</sup>  
 فَيَاخُلَّةَ النَّفْسِ الَّتِي لَيْسَ دُونَهَا      لَنَا مِنْ أَحِلَاءِ الصَّفَاءِ خَلِيلٌ<sup>(٢)</sup>  
 وَيَا مَنْ كَتَمْنَا حُبَّهُ لَمْ نَطْع بِهِ      عَدُوًّا وَلَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهِ دَخِيلٌ<sup>(٣)</sup>  
 أَمَا مِنْ مَقَامٍ أَشْتَكِي غُرْبَةَ النَّوَى      وَخَوْفَ الْعِدَا فِيهِ إِلَيْكَ سَبِيلٌ<sup>(٤)</sup>  
 فَدَيْتُكَ أَغْدَائِي كَثِيرٌ وَشُقَّتِي      بَعِيدٌ وَأَشْيَاعِي لَدَيْكَ قَلِيلٌ<sup>(٥)</sup>  
 وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ جِئْتُ بِعَلَّةٍ      فَأَفْنَيْتُ عِلَاتِي فَكَيْفَ أَقُولُ  
 فَمَا كُلُّ يَوْمٍ لِي بِأَرْضِكَ حَاجَةٌ      وَلَا كُلُّ يَوْمٍ لِي إِلَيْكَ رَسُولٌ<sup>(٦)</sup>  
 صَحَائِفُ عِنْدِي لِلْعِتَابِ طَوِيئُهَا      سَتُشَرُّ يَوْمًا وَالْعِتَابُ طَوِيلُ

= وَالرَّدْفُ ؛ وَالذَّغَصُ : الزَّمْلُ الْمُجْتَمِعُ ؛ وَالْبَيْلُ : الدَّقِيقُ الْهَضِيمُ ؛ شَبَّهَ رَدْفَهَا بِالذَّغَصِ  
 لِكثَرَةِ اللَّحْمِ عَلَيْهِ وَاسْتِنَازِهِ ؛ ثُمَّ قَالَ : وَأَمَّا خَضَرُهَا فَهُوَ دَقِيقٌ هَضِيمٌ .

(١) يَقُولُ - مُدِلًّا بِمَا يُقَاسِمُهُ مِنْ جَرَائِهَا وَيَحْمَلُهُ مِنْ أَجْلِهَا - :

أَلَيْسَ قَلِيلًا نَظْرَةً مِنْكَ إِذَا حَصَلَتْ لِي ، ثُمَّ اسْتَدْرَكَ عَلَى نَفْسِهِ ، فَقَالَ : « كَلَّا » وَهُوَ حَزَفُ  
 رَدْعٍ وَنَفْيٍ ، أَيْ : لَا قَلِيلَ مِنْكَ ؛ وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ الْآخِرِ [ من الخفيف ] :

هَلْ إِلَى نَظْرَةِ إِلَيْكَ سَبِيلٌ      فَيَرَوِي الظَّمَا وَيُشْفِي الْعَلِيلُ  
 إِنَّ مَا مِنْكَ قَلٌّ يَكْثُرُ عِنْدِي      وَكَثِيرٌ مِمَّنْ تُحِبُّ الْقَلِيلُ  
 « الْقَلِيلُ » مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ ، وَ« كَثِيرٌ مِمَّنْ تُحِبُّ » خَبَرُهُ .

(٢) يَقُولُ : الْخُلَّةُ : الْخَلِيلُ ، وَخَلِيلٌ فِي آخِرِ الْبَيْتِ اسْمٌ لَيْسَ مُؤَخَّرٌ .

(٣) بِهِ ، أَيْ : فِيهِ ؛ وَالذَّخِيلُ : الَّذِي لَا تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ نَفْسُكَ ، فَهُوَ الْمُدَاخِلُ الْمُبَاطِنُ .

(٤) مَقَامٌ : مَوْضِعُ إِقَامَةٍ ، وَجُمْلَةٌ : « أَشْتَكِي غُرْبَةَ النَّوَى » صِفَتُهُ .

(٥) الشَّقَّةُ : السَّفَرُ الطَّوِيلُ ، أَوْ بَعْدُ الْمَسِيرِ إِلَى أَرْضٍ بَعِيدَةٍ ؛ وَالْأَشْيَاعُ : الْأَنْصَارُ .

(٦) يَقُولُ : فَمَا كُلُّ يَوْمٍ تَعْرِضُ لِي بِأَرْضِكَ حَاجَةٌ أَتَعَلَّلُ بِهَا ، وَلَيْسَ بِمَيَسُورٍ لِي أَنْ أُرْسِلَ إِلَيْكَ  
 كُلُّ يَوْمٍ رَسُولًا .

فَلَا تَحْمِلِي ذَنْبِي وَأَنْتِ ضَعِيفَةٌ      فَحَمَلُ دَمِي يَوْمَ الْحِسَابِ ثَقِيلُ  
٤٢٣ - وَيزِيدُ ابْنُ الطَّرِيقَةِ هُوَ الْقَائِلُ [من الطويل] :

بِنَفْسِي مَنْ لَوْ مَرَّ بَرْدُ بَنَانِهِ      عَلَى كَبِدِي كَانَتْ شِفَاءً أَنَامِلُهُ  
وَمَنْ هَابَنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ وَهَبْتُهُ      فَلَا هُوَ يُعْطِينِي وَلَا أَنَا سَائِلُهُ  
٤٢٤ - وَكَانَ ابْنُ الطَّرِيقَةِ هَذَا يُسَمَّى الْمُودَقَّ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِحُسْنِ وَجْهِهِ  
وَحُسْنِ شَعْرِهِ وَحَلَاوَةِ حَدِيثِهِ ، فَكَانُوا يَقُولُونَ : إِنَّهُ إِذَا جَلَسَ بَيْنَ النِّسَاءِ  
وَدَقَّهِنَّ ، أَيْ : جَعَلَهُنَّ يَمْلَنَ إِلَيْهِ . وَيُقَالُ : أَسْتَوْدَقَتِ الْمَرْأَةُ وَوَدَقَتْ : إِذَا  
مَالَتْ إِلَى الْفَحْلِ لِأَجْلِ جَمَاعِهَا ، وَأَصْلُ هَذِهِ الْمَادَّةِ فِي ذَوَاتِ الْحَافِرِ ، يُقَالُ :  
وَدَقَتِ الْفَرَسُ وَالْأَتَانُ وَالْبَعْلَةُ : إِذَا أَشْتَهَتْ الْفَحْلَ ، وَبِهَا وَدَاقُ ، ثُمَّ أَسْتُعْمِلَ  
ذَلِكَ فِي الْإِنْسَانِ .

\* \* \*

٤٢٥ - وَمِنْ طَرِيفِ مَا قِيلَ فِي ثَقَلِ الْعَجِيزَةِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ [من الكامل] :  
تَمْشِي فَتَثْقُلُهَا رَوَادِفُهَا      فَكَأَنَّهَا تَمْشِي إِلَى خَلْفِ  
٤٢٦ - وَقَوْلُ الْمُؤَمِّلِ بْنِ أَمِيلٍ [من المقتضب] :

مَنْ رَأَى مِثْلَ حَبِّي      تُشْبِهُهُ الْبَذَرُ إِذَا بَدَا  
تَدْخُلُ الْيَوْمَ ثُمَّ تَذُ      خُلْ أَرْدَافُهَا غَدَا

\* \* \*

الْثُدْيُ وَالنُّهُودُ :

٤٢٧ - يُقَالُ : تُدْوَةُ الرَّجُلِ ، وَثُدْيُ الْمَرْأَةِ ، وَخِلْفُ النَّاقَةِ ، وَضَرْعُ  
الشَّاةِ وَالْبَقَرَةِ ، وَطَبْيُ الْكَلْبَةِ .

٤٢٨ - وَيَقَالُ لِلْمَرْأَةِ إِذَا كَعَبَ نَذِيهَا ، أَي : ظَهَرَ ؛ كَاعِبٌ ، فَإِذَا فَلَكَ ،  
 أَي : أَسْتَدَارَ ، قِيلَ : مُفْلَكَةٌ ، فَإِذَا نَهَدَ : أَي : عَلَا وَأَشْرَفَ ، قِيلَ : نَاهَدٌ ،  
 وَبَعْضُهُمْ يَجْعَلُ النَّاهِدَ وَالْمُفْلَكَةَ وَاحِدًا .

٤٢٩ - وَمِمَّا يُخْتَارُ مِنْ عَقَبَرِيَّاتِهِمْ فِي الْيَهُودِ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ [من الوافر] :

صُدُورٌ فَوْقَهُنَّ حِقَاقٌ عَاجٍ<sup>(١)</sup> وَحَلْيٌ زَانَهُ حُسْنٌ أَتَّسَقِ  
 يَقُولُ الْتَّاطِرُونَ إِذَا رَأَوْهَا أَهَذَا الْحَلْيُ مِنْ هَذَا الْحِقَاقِ  
 وَمَا تِلْكَ الْحِقَاقُ سِوَى ثُدِيِّ قُدِرْنَ مِنَ الْحِقَاقِ عَلَى وَفَاقِ  
 نَوَاهِدُ لَا يَعْدِلُهُنَّ عَيْنٌ سِوَى مَنْعِ الْمُحِبِّ مِنَ الْعِنَاقِ

٤٣٠ - وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أَبِي السَّمْطِ بْنِ مَرْوَانَ [من المتقارب] :

كَأَنَّ الثُّدِيَّ إِذَا مَا بَدَتْ وَزَانَ الْعُقُودُ بِهِنَّ التُّحُورَا  
 حِقَاقٌ مِنَ الْعَاجِ مَكْنُونَةٌ حَمَلْنَ مِنَ الْمِسْكِ شَيْئًا يَسِيرَا

٤٣١ - وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الْمُعْتَزِّ [من المتقارب] :

قَبِيحٌ بِمِثْلِكَ أَنْ تَهْجُرِي وَأَقْبَحُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَهْجُرِي  
 أَقَاتِلَتْنِي بِفُتُورِ الْجُفُونِ وَرُمَاتَيْنِ عَلَى مِنْبَرِ  
 كَحْفَيْنِ مِنْ لُبِّ كَافُورَةٍ بِرَأْسَيْهِمَا نُقِطَتَا عَنَبَرِ

٤٣٢ - وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ [من الرمل] :

كُنْتُ مُشْتَاقًا وَمَا يَخْجُزُنِي عَنْكَ إِلَّا حَاجِزٌ يَمْنَعُنِي  
 شَاخِصٌ فِي الصَّدْرِ غَضْبَانٌ عَلَى قَبَبِ الْبَطْنِ وَطَيِّ الْعُكْنِ

(١) الْعَاجُ : أَيْتَابُ الْفِيلِ ، وَاحِدُهَا : عَاجَةٌ ، وَالْحِقَاقُ ، جَمْعُ حَقٍّ ، وَشَبِيهُهُمُ الثُّدِي بِحَقٍّ  
 الْعَاجُ إِنَّمَا هُوَ فِي الْبَيَاضِ وَالْأَسْتِدَارَةِ .

يَمْلَأُ الْكَفَّ وَلَا يَفْضُلُهُ وَإِذَا أَتَيْتَهُ لَا يَنْشِي

٤٣٣ - وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي وَصْفِ مُغْنِيَاتٍ يَضْرِبْنَ بِالْعُودِ [من الخفيف] :

وَقِيَانٍ كَأَنَّهَا أُمَّهَاتٌ عَاطِفَاتٌ عَلَى بَيْنِهَا حَوَانِي  
مُطْفِلَاتٍ وَمَا حَمَلْنَ جَنِينًا مُرْضِعَاتٍ وَلَسْنَ ذَاتَ لِيَانٍ  
مُلَقِّمَاتٍ أَطْفَالَهُنَّ نُذِيًا نَاهِدَاتٍ كَأَخْسَنِ الرُّمَّانِ  
مُفَعَّمَاتٍ كَأَنَّهَا حَامِلَاتٌ وَهُنَّ صُفْرٌ مِنْ دِرَّةِ الْأَلْبَانِ  
كُلُّ طِفْلٍ يُدْعَى بِأَسْمَاءِ شَتَّى بَيْنَ عُودٍ وَمِزْهَرٍ وَكَزَانِ  
أُمُّهُ دَهْرَهَا تُتْرَجِّمُ عَنْهُ وَهُوَ بَادِي الْغِنَى عَنِ التُّرْجُمَانِ

٤٣٤ - وَأَوَّلُ مَنْ وَصَفَ الثَّدْيَ بِحَقِّ الْعَاجِ هُوَ عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ فِي مُعَلَّقَتِهِ ،

قَالَ [من الوافر] :

تُرِيكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى خَلَاءٍ وَقَدْ أَمِنْتَ عُيُونَ الْكَاشِحِينَ<sup>(١)</sup>  
ذِرَاعِي عَيْطَلٍ أَذْمَاءَ بَكْرِ هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا<sup>(٢)</sup>  
وَنُذِيًا مِثْلَ حُقِّ الْعَاجِ رَخْصًا حَصَانًا مِنْ أَكْفِ اللَّامِسِينَ<sup>(٣)</sup>

٤٣٥ - وَالنَّاسُ يَخْتَلِفُونَ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُفْضِلُ صِغَرَ الثَّدْيِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ

يُفْضِلُ كِبَرَهُ ، قِيلَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ سَيَّارٍ الْمَعْرُوفِ بِالنِّظَامِ أَحَدِ شُيُوخِ الْمُعْتَرِلَةِ : أَيُّ

(١) الْكَاشِحُ : الْمُضْمِرُ الْعِدَاوَةَ فِي كَشْحِهِ ، وَخَصَّ الْعَرَبُ الْكَشْحَ بِالْعِدَاوَةِ لِأَنَّهُ مَوْضِعُ الْكَيْدِ ، وَالْعِدَاوَةُ عِنْدَهُمْ تَكُونُ فِي الْكَيْدِ .

(٢) الْعَيْطَلُ : الطَّوِيلَةُ الْعُتْقَى مِنَ الثَّقَوِيَّاتِ ، وَالْأَذْمَاءُ : الْبَيْضَاءُ مِنْهَا ، وَالْبَكْرُ : الثَّقَاةُ الَّتِي حَمَلَتْ بَطْنًا وَاحِدًا ، وَهِجَانُ اللَّوْنِ : بَيْضَاءُ خَالِصَةُ الْبَيَاضِ ، وَلَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا : لَمْ تَضْمِ فِي رَجْمِهَا وَلَدًا ، يَقُولُ : تُرِيكَ ذِرَاعَيْنِ مُمْتَلِئَتَيْنِ لَحْمًا كَذِرَاعِي نَاقَةٍ بَيْضَاءَ وَلَمْ تَلِدْ بَعْدُ .

(٣) رَخْصًا : لَيْثًا ، وَحَصَانًا : عَفِيفَةً ، يَقُولُ : وَتُرِيكَ نُذِيًا مِثْلَ حُقِّ مِنْ عَاجٍ بَيَاضًا وَأَسَدَارَةً مَصُونَةً مِنْ أَكْفٍ مَنْ يَلْمُسُهَا .

مَقَادِيرِ الثُّدِيِّ أَحْمَدُ؟ فَقَالَ : وَجَدْتُ النَّاسَ يَخْتَلِفُونَ فِي الشَّهَوَاتِ ، وَسَمِعْنَا  
 اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ حِينَ وَصَفَ الْحُورَ الْعَيْنَ ﴿وَكَوَاعِبَ أَرْبَابًا﴾ [٧٨ سورة النبا/ الآية : ٢٣]  
 وَلَمْ يَقُلْ : فَوَالِكِ وَلَا نَوَاهِدَ . . . فَاتَرَ النَّظَامُ أَبْتِدَاءَ الْتُهُودِ وَبِالْحَرَى صَغَرَ  
 الثُّدِي .

٤٣٦ - وَقَالَ النَّابِغَةُ [من الكامل] :

وَالْبَطْنُ ذُو عُنْكِ لَطِيفٌ طَيْهُهُ      وَالْإِثْبُ تَنْفُجُهُ بِشُدِي مُقْعَدِ  
 الْإِثْبُ : ثَوْبٌ يُؤْخَذُ فَيُسْقَى مِنْ وَسْطِهِ ثُمَّ تُلْقِيهِ الْمَرْأَةُ فِي عُنُقِهَا مِنْ غَيْرِ جَنْبٍ  
 وَلَا كُمَيْنِ ؛ وَتَنْفُجُهُ : تَرْفَعُهُ ؛ يُقَالُ : نَفَجَ ثُدِي الْمَرْأَةُ قَمِيصَهَا : إِذَا رَفَعَهُ ؛  
 وَثُدِي مُقْعَدٌ : نَاتِيءٌ عَلَى النَّخْرِ لَمْ يَنْشَنْ بَعْدُ ، فَهَذَا مِمَّنْ يَمِيلُ إِلَى الثُّدِي  
 الْكَبِيرِ . [وسيرد برقم : ٤٤٨] .

٤٣٧ - وَدَخَلَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْتَرُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَبِيحَةَ  
 بَنَائِهِ - زَفَافِهِ - عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ ، فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ يَا أَمِيرَ  
 الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : كَخَيْرِ أَمْرَاءَ ، لَوْلَا أَنَّهَا جَدَاءُ قَبَاءُ ! فَقَالَ : وَهَلْ يُرِيدُ الرَّجَالُ  
 مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا ذَاكَ ! قَالَ : لَا ! حَتَّى تُزَوِّيَ الرِّضِيعَ ، وَتُدْفِيءَ الضَّجِيعَ .  
 الْجَدَاءُ : الصَّغِيرَةُ الثُّدِي ؛ وَالْقَبَاءُ : الْخَمِيصَةُ الْبَطْنِ ، اللَّطِيفَةُ  
 الْكَشْحَيْنِ .

فَكَانَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُفَضِّلُ الْكَبِيرَةَ الثُّدِي . [راجع رقم : ٥٣٥] .



٤٣٨ - وَكَتَبَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ التَّقْفِيَّ إِلَى الْحَكَمِ بْنِ أَيُّوبَ أَنْ يَخْطُبَ  
 عَلَى ابْنِهِ عَبْدَ الْمَلِكِ أَمْرًا جَمِيلَةً مِنْ بَعِيدٍ مَلِيحَةً مِنْ قَرِيبٍ ، شَرِيفَةً فِي قَوْمِهَا

ذَلِيلَةٌ فِي نَفْسِهَا ، أَمَّةٌ لِبَعْلِهَا ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنِّي قَدْ أَصَبْتُهَا ، وَهِيَ حَوْلَةُ بِنْتُ  
مِسْمَعٍ ، لَوْلَا عِظْمُ ثَدْيَيْهَا ! فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ : لَا يَحْسُنُ نَحْرُ الْمَرْأَةِ حَتَّى  
يَعْظُمَ ثَدْيَاهَا ؛ وَزَوْجُهَا ابْنُهُ .

٤٣٩ - وَمِنْ أَيْتَاتِ « الْحِمَاسَةِ » الَّتِي تَقَدَّمَتْ فِي الْأَرْدَافِ وَتَقَدَّمَ شَرْحُهَا

[رقم : ٤١٦] [وَهِيَ لِعُمَرَ ابْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ، مِنَ الْكَامِلِ] :

أَبَتْ الرِّوَادِفُ وَالْثِدْيُ لِقُمْصِهَا مَسَّ الْبُطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورًا  
وَإِذَا الرِّيَّاحُ مَعَ الْعَشِيِّ تَنَاوَحَتْ تَبْهَنَ حَاسِدَةً وَهَجَنَ غَيُورًا

٤٤٠ - وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ [رقم : ٤٠١] [مِن الطَّوِيلِ] :

إِذَا أَنْبَطَحَتْ فَوْقَ الْأَنَافِي رَفَعْنَهَا بِثَدْيَيْنِ فِي صَدْرِ عَرِيضٍ وَكَعْثَبٍ  
وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُهُ فِي الْفَرْجِ [رقم : ٤٠١] .

٤٤١ - وَأَنْشَدَ الْحَجَّارِيُّ فِي « الْمُسْهَبِ » لِبَعْضِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ [مِن الْكَامِلِ] :

يَا صَاحِبِي بِمُهِجَتِي خُمْصَانَةٌ<sup>(١)</sup> مَالَتْ فَمَالَ الْغُضُنُ مِنْ أَعْطَافِهَا  
فِي الصَّدْرِ مِنْهَا لِلطَّعَانِ أَسِنَّةٌ مَا أَشْرَعَتْ إِلَّا لِحِمِّي قِطَافِهَا  
إِنْ أَنْكَرْتَ قَتْلِي هُنَاكَ فَفَتَّشَا تَجِدَا دَمِي قَدْ جَفَّ فِي أَطْرَافِهَا

٤٤٢ - وَمِثْلُهُ لِبَعْضِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ أَيْضًا [مِن الطَّوِيلِ] :

وَحَوْرَاءُ تَسْتَعْلِي بِنَهْدَيْنِ أَشْرَعَا وَلَا غَرَوْ أَنْ يَدْعُوَ هَوَاهَا فَاتَّبَعَهُ  
تَقُولُ وَقَدْ رَقَّتْ لِمَا بِي : أَجَازُ وَأَنْتَ حَزْبِي وَالْأَسِنَّةُ مُشْرَعَةٌ  
فَقُلْتُ لَهَا : جَفْنَاكَ غَزَا تَجَلْدِي وَنَهْدَاكَ نَفْسَ هَيْمَانَ مُوجَعَةٌ  
وَمَا زِلْتُ أَلْقَى الْقِرْنَ يَغْلُ رُمُحُهُ فَكَيْفَ بِمَنْ تَلْقَى الْفُؤَادَ بِأَرْبَعَةٍ

(١) خُمْصَانَةٌ : ضَامِرَةُ الْبَطْنِ .



الْأَرْبَعَةُ : عَيْنَاهَا وَثَدْيَاهَا .

٤٤٣ - وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الْعَرَبِيِّ يُدَاعِبُ فَتَى مِنْ فُتَيَانِ الْمُثَلَّمِينَ ،  
وَكَانَ قَدْ هَزَّ رُمَحَهُ عَلَيْهِ ، وَأَوْمَأَ بِهِ إِلَيْهِ [من الطويل] :

يَهْزُ عَلَيَّ الرُّمَحَ ظَنِّي مُهْفَهَفٌ      لَعُوبٌ بِأَلْبَابِ الرَّعِيَّةِ عَابِثُ  
وَلَوْ كَانَ رُمَحًا وَاحِدًا لَا تَقِيَّتُهُ      وَلَكِنَّهُ رُمَحٌ وَثَانٍ وَثَالِثُ  
وَالرُّمَحُ الثَّانِي وَالثَّالِثُ : الْقَدْ وَاللَّحْظُ .

\* \* \*

الْخُصُورُ وَالسَّرَرُ وَالْعَكَنُ :

٤٤٤ - قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ يَصِفُ ضُمُورَ خَضِرٍ صَاحِبَتِهِ [من الطويل] :

وَكَشَحَ لَطِيفٍ كَالْجَدِيلِ مُخَضَّرٍ      وَسَاقٍ كَأَنْبُوبِ السَّقِيِّ الْمُدَّلِّ  
الْكَشْحُ : الْخَضِرُ ؛ وَالْجَدِيلُ : الْعَنَانُ الْمَجْدُولُ - الْمَضْفُورُ - ؛  
وَمُخَضَّرٌ : دَقِيقُ الْوَسْطِ ؛ يَصِفُ خَضِرَهَا بِأَنَّهُ ضَامِرٌ يَخْكِي فِي دِقَّتِهِ الزَّمَامَ  
الْمُتَّخَذَ مِنْ جِلْدٍ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُ بَقِيَّةِ الْبَيْتِ فِي السِّيقَانِ . [بل سيرد برقم :  
٤٧٧] .

٤٤٥ - وَقَالَ يَزِيدُ ابْنُ الطَّحْرِيَّةِ [من الطويل] :

عُقَيْلِيَّةُ أَمَّا مَلَاتُ إِزَارِهَا      فَدِعْصٌ وَأَمَّا خَضِرُهَا فَتَبِيلُ  
وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْبَيْتُ مَعَ آيَاتٍ أُخَرَ فِي الْأَرْدَافِ [رقم : ٤٢٢] ، وَشَاهِدُنَا هُنَا  
قَوْلُهُ : وَأَمَّا خَضِرُهَا فَتَبِيلُ ، وَالتَّبِيلُ : الْهَضِيمُ الدَّقِيقُ ، وَالتَّبِيلُ : الْقَطْعُ ؛  
يَقُولُ : إِنَّهُ لِدِقَّتِهِ يَكَادُ يَنْقَطِعُ .

٤٤٦ - وَمِثْلُهُ قَوْلُ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ صَاحِبِ « أَلْعِقْدِ » [من الكامل] :

يَا لَوْلَا يَسْبِي الْعُقُولَ أَيْقَا      وَرَشَا بِتَقْطِيعِ الْقُلُوبِ خَلِيقَا  
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ      دُرًّا يَعُودُ مِنَ الْحَيَاءِ عَقِيقَا  
وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى مَحَاسِنِ وَجْهِهِ      أَلْقَيْتُ وَجْهَكَ فِي سَنَاهُ غَرِيقَا  
يَا مَنْ تَقَطَّعَ خَضْرُوهُ مِنْ رِقِّهِ      مَا بَالُ قَلْبِكَ لَا يَكُونُ رَقِيقَا  
يُقَالُ : إِنَّ الْمُنْتَبِيَّ لَمَّا سَمِعَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ صَفَّقَ بِيَدَيْهِ أَسْتَحْسَانًا لَهَا ،  
وَقَالَ : وَاللَّهِ يَا ابْنَ عَبْدِ رَبِّهِ لَتَأْتِيَنَّكَ الْعِرَاقُ حَبَوًّا . . .

٤٤٧ - وَقَالَ الْمُنْتَبِيُّ [من الوافر] :

وَحْضُرٌ تَبَثُّ الْأَبْصَارُ فِيهِ      كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقٍ نَطَاقَا  
وَقَدْ تَقَدَّمَ . [رقم : ٨٧] .

\* \* \*

٤٤٨ - أَمَّا الْعُكْنُ - جَمْعُ عُكْنَةٍ : مَا أَنْطَوَى وَتَشَّى مِنْ لَحْمِ الْبَطْنِ - فَإِنَّ مَنْ  
يَسْتَحْسِنُ مِنَ الْمَرْأَةِ الضُّمُورَ وَالْهَيْفَ لَا يَسْتَحْسِنُ الْعُكْنَ ، فَإِنَّ الْعُكْنَ لَا تَكُونُ  
إِلَّا مَعَ السَّمَنِ ، وَلِأَجْلِ هَذَا أَحْتَاجُ النَّابِغَةُ إِلَى التَّحَرُّرِ فِي قَوْلِهِ الَّذِي أوردناه آنفاً  
[رقم : ٤٣٦] ، وَهُوَ [من الكامل] :

وَالْبَطْنُ ذُو عُكْنٍ لَطِيفٌ طَيْهُ

فَإِنَّ قَوْلَهُ : لَطِيفٌ طَيْهُ ، تَحَرُّرٌ مِنَ السَّمَنِ الْمَعِيبِ ، إِذْ أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّ بَطْنَهَا  
الطَّفُّ مَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ بَطْنٌ ذَاتُ عُكْنٍ .

٤٤٩ - وَقَالَ ابْنُ وَكِيعٍ فِيمَا يَتَّصِلُ بِهِذَا الْبَابِ [من الرجز] :

خُذْهَا بِكَفِّي فَاتِرِ الْجُفُونِ      مُدَامَةً كَدَمَعَةِ الْمَحْزُونِ

عَلَى غَدِيرِ أَمْلَسِ الْمُتُونِ      مِثْلَ فِرْنِدِ صَارِمِ مُتُونِ  
أَمْوَاجُهُ كَعُكْنِ الْبُطُونِ

٤٥٠ - وَقَالَ ابْنُ صَارَةَ الْأَنْدَلُسِيُّ [من الكامل] :

وَالنَّهْرُ قَدْ رَقَّتْ غِلَالَةُ مَتْنِهِ      وَعَلَيْهِ مِنْ ذَهَبِ الْأَصِيلِ طِرَارُ  
تَتَرَفَّرُ الْأَمْوَاجُ حَتَّى كَانَهَا      عُكْنُ الْبُطُونِ تَضُمُّهَا الْأَعْجَارُ

٤٥١ - وَقَالَ تَمِيمُ ابْنُ الْمَعِزِّ الْفَاطِمِيُّ فِي نِيلِ مِصْرَ [من الكامل] :

يَوْمَ لَنَا بِالنَّيْلِ مُخْتَصَرُ      وَلِكُلِّ يَوْمٍ مَسَرَّةٌ قِصَرُ  
وَالسُّفْنُ تَصْعَدُ كَالْحُيُولِ بِنَا      فِي مَوْجِهِ وَالْمَاءُ يَنْحَدِرُ  
فَكَأَنَّمَا أَمْوَاجُهُ عُكْنُ      وَكَأَنَّمَا دَارَاتُهُ سُرَرُ

\* \* \*

٤٥٢ - أَمَّا السُّرَرُ فَقَدْ جَاءَ فِي « أَلْسَانِ » : السُّرُّ : مَا تَقْطَعُهُ الْقَابِلَةُ مِنْ  
سُرَّةِ الصَّبِيِّ ، يُقَالُ : عَرَفْتُ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُقْطَعَ سُرُّكَ ، وَلَا تَقُلْ : سُرَّتُكَ ، لِأَنَّ  
السُّرَّةَ لَا تُقْطَعُ ، وَإِنَّمَا هِيَ الْمَوْضِعُ الَّذِي قُطِعَ مِنْهُ السُّرُّ ، أَقُولُ : وَإِذَنْ تَكُونُ  
عَبَقَرِيَّاتُهُمُ الَّتِي سَنُورِدُهَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ إِنَّمَا هِيَ فِي السُّرْرِ الَّتِي هِيَ مَوْضِعُ  
السُّرِّ الَّذِي يُقْطَعُ فِي الصَّغَرِ .

٤٥٣ - وَمِنْ أَوْصَافِ السُّرَّةِ الْمَمْدُوحَةِ فِي النِّسَاءِ أَنَّ تَكُونَ مُتْسِعَةً ، وَقَوْلُهُمْ  
فِي وَصْفِهَا : « كَمَذَهَنِ الْعَاجِ » إِشَارَةٌ إِلَى اتِّسَاعِهَا وَبَيَاضِهَا ، وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ  
- وَجَمَعَ بَيْنَ الْعُكْنِ وَالسُّرْرِ - [من الطويل] :

وَتَحْتَ زَنَايِرِ شَدَدَنْ عُقُودَهَا      زَنَايِرُ أَعْكَانٍ مَعَاقِدُهَا السُّرَرُ

\* \* \*

الاستِحْدَادُ وَتَنْظِيفُ الْمَغَابِنِ وَالْخِفَاضُ :

الاستِحْدَادُ :

٤٥٤ - وَمِمَّا يَنْدَرُجُ فِي بَابِ النَّظَافَةِ حَلْقُ الْعَانَةِ أَوْ انْتِيَارُهَا ، وَذَلِكَ مَعْدُودٌ مِنَ الْفِطْرَةِ ، أَوْ سَنَّ الْأَنْبِيَاءِ .

جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « مِنْ الْفِطْرَةِ حَلْقُ الْعَانَةِ ، وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ وَتَنْفُ الْآبَاطِ وَالْخِتَانُ » [راجع البخاري ، رقم : ٥٨٨٩ ؛ مسلم ، رقم : ٢٥٧] وَمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ مِنَ الْفِطْرَةِ : أَنَّهَا إِذَا فُعِلَتْ اتَّصَفَ فَاعِلُهَا بِالْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ عَلَيْهَا وَحَثَّمُ عَلَيْهَا وَاسْتَحَبَّهَا لَهُمْ لِيَكُونُوا عَلَى أَكْمَلِ الصِّفَاتِ وَأَشْرَفِهَا صُورَةٍ ؛ قَالَ الْإِمَامُ الْبَيْضاوي : إِنَّ الْفِطْرَةَ فِي الْأَصْلِ : الْجِبِلَّةُ وَالْاِخْتِرَاعُ وَالْدِّينُ وَالسُّنَّةُ ؛ وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا السُّنَّةُ الْقَدِيمَةُ الَّتِي اخْتَارَهَا الْأَنْبِيَاءُ وَاتَّفَقَتْ عَلَيْهَا الشَّرَائِعُ ، وَكَانَتْهَا أَمْرٌ جِبِلِّيٌّ فُطِرُوا عَلَيْهِ .

أَقُولُ : يُؤَيِّدُ هَذَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَدِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الروم/ الآية : ٣٠] .

٤٥٥ - وَالْعَانَةُ : الشَّعْرُ الَّذِي فَوْقَ ذَكَرِ الرَّجُلِ وَحَوَالِيهِ ، وَكَذَلِكَ الشَّعْرُ الَّذِي حَوَالِي فَرجِ الْمَرْأَةِ . . وَحَلَقُهُ يُسَمَّى الْاِسْتِحْدَادُ ، مِنَ الْحَدِيدِ ، وَالْمُرَادُ حَلَقُهُ بِمُوسَى ، وَيَقُومُ مَقَامَ الْمُوسَى الثُّورَةِ - وَيُقَالُ مِنْهَا : ائْتَوْرَتِ الْمَرْأَةُ وَائْتَارَتِ ، مِنَ الثُّورَةِ (١) .

(١) الثُّورَةُ : الْحَجَرُ يُحَرِّقُ وَيُسَوِّي مِنْهُ الْكِلْسُ - الْجَيْرُ - ثُمَّ غَلَبَ عَلَى أَخْلَاطِ تَضَافُ إِلَى الْكِلسِ يُرَالُ بِهَا شَعْرُ الْعَانَةِ ، وَالنِّسَاءُ يَعْرِفْنَ الثُّورَةَ .

٤٥٦ - وَقَالَ الْقَصَصِيُّونَ : إِنَّ الْجِنَّ هُمْ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الثُّورَةَ لِبَلْقَيْسَ ،  
قَالُوا : إِنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا رَاسَلَهَا ، وَكَانَ مَا قَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ  
قِصَّتِهَا ، وَأَتَتْ إِلَيْهِ ، قَالَتْ الْجِنُّ : إِنَّ رَأَاهَا سُلَيْمَانُ وَأَسْتَحْسَنَهَا وَتَزَوَّجَهَا  
فَأَوْلَدَهَا غُلَامًا لَنْ نَبْرَحَ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ آخِرَ الدَّهْرِ !

وَكَانَتْ بَلْقَيْسُ شَعْرَاءَ السَّاقَيْنِ ، فَبَنَوْا صَرْحًا مُمَرَّدًا مِنْ قَوَارِيرَ ، : أَيِ :  
رُجَاجٍ ، وَصَوَّرُوا فِيهِ حَيَوَانَ الْبَحْرِ ، وَجَلَسَ سُلَيْمَانُ فِي أَقْصَاهُ عَلَى كُرْسِيِّ ،  
وَأَسْتَدْعَى بَلْقَيْسَ لِتَرَاهُ وَتَتَعَجَّبَ مِنْهُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الْجِنُّ بِذَلِكَ لِيُظْهَرَ لِسُلَيْمَانَ  
شَعْرَ سَاقَيْهَا فَتَنْبُو عَيْنُهُ بِهَا ، فَلَمَّا رَأَتْهُ بَلْقَيْسُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً ، وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا  
لِتُخَوِّضَهُ ، فَرَأَاهَا سُلَيْمَانُ ، فَأَعْجَبَهُ حُسْنُهَا ، وَأَسْتَقْبَحَ شَعْرَهَا . فَعَزَّمَ عَلَى  
بَعْضِ الْجِنِّ أَنْ يُعَرِّفَهُ بِمَا يُذْهَبُ هَذَا الشَّعْرَ ، فَأَخْتَرَعَ الثُّورَةَ ، فَانْتَارَتْ بِهَا ،  
وَتَزَوَّجَهَا سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

٤٥٧ - وَمِنْ كَلَامِهِمْ : اللَّذَاتُ أَرْبَعُ : فَلَذَّةُ سَاعَةٍ ، وَهِيَ الْجِمَاعُ ؛ وَلَذَّةُ  
يَوْمٍ ، وَهِيَ الْحَمَامُ ؛ وَلَذَّةُ جُمُعَةٍ - أَيِ : أُسْبُوعٍ - وَهِيَ الثُّورَةُ ، وَلَذَّةُ حَوْلٍ -  
أَيِ : عَامٍ - وَهِيَ تَزْوُجُ الْبِكْرِ .

٤٥٨ - وَمِنْ كَلَامِهِمْ : أَلَدُ الْجِمَاعِ بِالْمَرْأَةِ فِي يَوْمٍ أَنْتَبَارِهَا - إِزَالَةُ عَانتِهَا -  
وَالرَّجُلُ بَعْدَ ثَلَاثٍ مِنْ اسْتِحْدَادِهِ - أَيِ : حَلَقِ عَانتِهِ .

٤٥٩ - وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ابْنِ أَبِي صُفْرَةَ : وَدِدْتُ لَوْ كَانَتْ طَلِيَّةُ نُورَةٍ  
بِمِئَةِ أَلْفٍ ، وَلَوْ كَانَ فَزْجُ الْمَرْأَةِ فِي جَنْبِهِ أَسَدٌ ، حَتَّى لَا يَطْلِيَ إِلَّا كَرِيمٌ ،  
وَلَا يَصِلَ إِلَى الْفَرْجِ إِلَّا شَجَاعٌ .

٤٦٠ - وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ - كَلِمَةُ يَزِيدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ - يُزَوِّى قَرِيبٌ مِنْهَا لِلْخَلِيفَةِ  
الْخَلِيعِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَهِيَ : وَدِدْتُ أَنْ كُلَّ كَأْسٍ تُشْرَبُ مِنْ

خَمْرٍ بِدِيَارٍ ، وَأَنْ كُلَّ حِرٍّ فِي جَنْبِهِ أَسَدٌ ، فَلَا يَشْرَبُ إِلَّا سَخِيًّا ، وَلَا يَنْكِحُ إِلَّا شَجَاعًا .

٤٦١ - وَمِنْ طَرَفٍ مَا رُويَ فِي بَابِ الثُّورَةِ وَالْأَطْلَاءِ بِهَا أَنْ أَعْرَابِيًّا دَخَلَ الْحَضَرَ مَعَ صَاحِبَيْنِ لَهُ ، فَأَحَبَّ صَاحِبَاهُ دُخُولَ الْحَمَّامِ ، فَتَهَاهُمَا الْأَعْرَابِيُّ عَنْ ذَلِكَ ، فَأَيُّمَا إِلَّا دُخُولَهُ ، وَرَأَى رَجُلًا يَنْتَارُ ، فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ ! فَأَخْبَرَا بِخَبَرِ الثُّورَةِ ، فَاسْتَعْمَلَاهَا وَلَمْ يُحْسِنَا اسْتِعْمَالَهَا ، فَأَحْرَقَتْهُمَا ، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ ، وَقَدْ أُوْرَدَ أَبُو تَمَّامٍ فِي « حِمَاسَتِهِ » ، هَذِهِ الْأَبْيَاتُ [من الطويل] :

لَعَمْرِي لَقَدْ حَذَرْتُ قُرْطًا وَجَارَهُ      وَلَا يَنْفَعُ التَّحْذِيرُ مَنْ لَيْسَ يَحْذَرُ  
نَهَيْتُهُمَا عَنْ نُورَةٍ أَحْرَقَتْهُمَا      وَحَمَّامٍ سَوَاءٍ مَاؤُهُ يَتَسَعَّرُ  
فَمَا مِنْهُمَا إِلَّا أَتَانِي مُوقِعًا      بِهِ أَثَرٌ مِنْ مَسَّهَا يَنْقَشُرُ<sup>(١)</sup>  
أَجِدُّكُمَا لَمْ تَعْلَمَا أَنَّ جَارَنَا      أَبَا الْحِجْلِ بِالصَّخْرَاءِ لَا يَنْوَرُ<sup>(٢)</sup>  
وَلَمْ تَعْلَمَا حَمَامَنَا بِبِلَادِنَا      إِذَا جَعَلَ الْحِزْبَاءُ بِالْجَذَلِ يَخْطُرُ<sup>(٣)</sup>

(١) مُوقِعًا : بِهِ أَثَرُ جُرُوحٍ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : بَعِيرٌ مُوقِعٌ ، أَيُّ : بِهِ أَثَارُ جُرُوحٍ ، وَتَقَسَّرَ الْجِرْحُ : عَلَاهُ قِشْرٌ .

(٢) أَجِدُّكُمَا : كَلِمَةٌ لَا تُسْتَعْمَلُ إِلَّا مُضَافَةً ، وَمَعْنَاهَا الْقَسَمُ ، وَيَجُوزُ فِي الْجِيمِ الْكَسْرُ وَالْفَتْحُ ، فَإِذَا كُسِرَتْ كَانَ الْمَعْنَى أَنَّهُ يَسْتَحْلِفُهُ بِحَقِيقَتِهِ ، وَإِذَا فُتِحَتْ اسْتَحْلَفُهُ بِبُخْتِهِ وَخَطِّهِ ، وَأَبُو الْحِجْلِ : كُنْيَةُ الضُّبِّ ، يَقُولُ : اسْتَحْلِفُكُمَا بِحَقِيقَتِكُمَا أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الضُّبَّ لَا يَسْتَعْمِلُ الثُّورَةَ حَتَّى تَرَكْتُمَا الْأَقِيدَاءَ بِهِ ، يُرِيدُ : إِنَّكُمَا مِنْ سُكَّانِ الصَّخْرَاءِ الَّتِي لَا يَعْرِفُ قُطَانُهَا الثُّورَةَ ، فَكَيْفَ تَسْتَعْمِلَانِهَا وَأَنْتُمَا لَسْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْحَضَرِ ، وَقَدْ خَطَأَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ قَوْلُهُ : يَنْوَرُ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ مِنَ الثُّورَةِ : أَتَنَارًا أُنْتِيَارًا ، أَوْ أَتَوَرَّا أُنْتَوَارًا ، أَمَا تَوَرَّ ، فَإِنَّمَا يُقَالُ لِمَنْ نَظَرَ إِلَى الثَّوْرِ ، وَأَجَازَ بَعْضُهُمْ : تَوَرَّ ، مِنَ الثُّورَةِ ، وَاسْتَشْهَدَ بِهِذِهِ الْأَبْيَاتُ .

(٣) الْحِزْبَاءُ : دَوِيَّةٌ تَسْقُبِلُ السَّمْسَ بِرَأْسِهَا دَائِمًا ، وَيَضْرِبُونَ الْمَثَلَ بِهَا فِي كَثَرَةِ التَّلَوُّنِ ، وَالْجَذَلُ : أَصْلُ الْحَطَبِ الْعَظِيمِ ، وَيَخْطُرُ : يُحَرِّكُ ذَنْبَهُ ، يَقُولُ : أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّنَا فِي شِدَّةِ أَيَّامِ الْحَرِّ وَالْفَيْظِ لَا نَغْتَسِلُ فِي الْحَمَّامَاتِ إِذْ لَيْسَ فِي صَخْرَاتِنَا حَمَّامَاتٍ ، وَلَكِنْ نَغْتَسِلُ فِي بَيُوتِنَا وَأَخْبِيَّتِنَا !

٤٦٢ - وَنُورِدُ هُنَا بَعْضَ عِبْقَرِيَّاتِهِمْ فِي الْحَمَامِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ خَفَاجَةَ

الْأَنْدَلُسِيِّ [من السريع] :

أَهْلًا بَيْنَتِ النَّارِ مِنْ مَنْزِلِ شَيْدَ لِأَنْرَارٍ وَفَجَّارِ  
يَدْخُلُهُ مُلْتَمِسٌ لَذَّةً فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ فِي النَّارِ

٤٦٣ - وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ الْمَأْمُونِيُّ مِنْ شُعَرَاءِ « الْيَتِيمَةِ » [من الطويل] :

وَيَبْتَ كَأَخْشَاءِ الْمُحِبِّ دَخَلْتُهُ وَمَالِي ثِيَابٌ فِيهِ غَيْرُ إِهَابِي  
أَرَى مُحْرِمًا فِيهِ وَلَيْسَ بِكَعْبَةٍ فَمَا سَاغَ إِلَّا فِيهِ خَلْعُ ثِيَابِي  
بِمَاءٍ كَدَمْعِ الصَّبِّ فِي حَرِّ قَلْبِهِ إِذَا أَذْنَتْ أَخْشَاؤُهُ بِذَهَابِ  
تَوَهَّمْتُ فِيهِ قِطْعَةً مِنْ جَهَنَّمَ وَلَكِنَّهَا مِنْ غَيْرِ مَسِّ عِقَابِ  
يُيَسِّرُ ضَبَابًا بِالْبُخَارِ مُجَدَّلًا بُدُورُ رُجَاجٍ فِي سَمَاءِ قِيَابِ

٤٦٤ - وَمِنْ الْفِطْرَةِ تَنْظِيفُ الْمَغَابِنِ - وَهِيَ الْأَرْفَافُ وَالْآبَاطُ - وَالْأَرْفَافُ

جَمْعُ رُفْعٍ : بَوَاطِنُ الْأَفْحَازِ عِنْدَ الْحَوَالِبِ ، وَفِي حَدِيثٍ عِكْرِمَةَ : « مَنْ مَسَّ  
مَغَابِنَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ » [« النهاية » مادة : غبن ، « لسان العرب » مادة : غبن] وَذَلِكَ مِنْهُ أَخْطِيطَا ،  
فَإِنَّ الْغَالِبَ عَلَى مَنْ يَلْمَسُ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ أَنْ تَقَعَ يَدُهُ عَلَى ذِكْرِهِ ، وَقَدْ أَسْلَفْنَا فِي  
تَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ قَوْلًا عَلَى الْمَغَابِنِ [رقم : ٢١٧] . وَأَمَّا الْإِبْطُ ، فَقَدْ قَالُوا : إِنَّ  
الْمُقْصُودَ هُوَ تَنْظِيفُ الْإِبْطِ ، وَلَوْ كَانَ بِالْحَلْقِ - أَيْ : بِحَلْقِهِ بِخَوِ مُوسَى - عَلَى  
أَنَّ التَّنْفَ هُوَ السُّنَّةُ ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ مُوجِعًا فِي الْإِبْتِدَاءِ غَيْرَ أَنَّهُ يَسْهُلُ عَلَى مَنْ  
اعْتَادَهُ .

٤٦٥ - وَمِمَّا قَالُوهُ فِي تَنْنِ الْإِبْطِ وَالْجَسَدِ [من الوافر] :

وَإِبْطُكَ قَابِضُ الْأَرْوَاحِ يَزْمِي بِسَهْمِ الْمَوْتِ مِنْ تَحْتِ الثِّيَابِ

٤٦٦ - [من مجزوء الرمل] :

رِيحُهُ رِيحُ كَلَابٍ هَارَشَتْ فِي يَوْمِ طَلٍّ

٤٦٧ - [من الكامل] :

يَا رَحْمَتِي لِبُخُورِهِ مِنْ تَنَنِهِ كَمْ فِي الْكَنِيفِ يَضِيعُ رِيحُ الْعَنْبَرِ  
٤٦٨ - و : فَلَانٌ أَتَتْ مِنْ رِيحِ الْجَوْرَبِ .٤٦٩ - وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنُ عَائِشَةَ - وَكَانَ خَلِيعًا  
مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ - [من الخفيف] :مَنْ يَكُنْ إِبْطُهُ كَابَاطٌ ذَا الْخُلْدِ قِي فَاِئْبَاطِي فِي عِدَادِ الْفَقَاحِ  
لِي إِبْطَانٍ يَزْمِيَانِ جَلِيسِي بِشِيهِ السُّلَاحِ أَوْ بِالسُّلَاحِ  
فَكَأَنِّي مِنْ تَنَنٍ هَذَا وَهَذَا جَالِسٌ بَيْنَ مُضْعَبٍ وَصَبَاحِ  
الْفَقَاحِ جَمْعُ فَحْصَةٍ : الدُّبُرُ أَوْ حَلَقَتُهُ ؛ وَالسُّلَاحُ : مَا تُلْقِيهِ مِنَ الْعِذْرَةِ ؛  
وَمُضْعَبٌ هُوَ مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُضْعَبِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ  
الْعَوَّامِ ؛ وَصَبَاحٌ هُوَ صَبَاحُ بْنُ خَاقَانَ الْمِنْقَرِيِّ ؛ وَكَانَا جَلِيسَيْنِ لَا يَكَادَانِ  
يَفْتَرِقَانِ ، وَصَدِيقَيْنِ مُتَوَاصِلَيْنِ لَا يَكَادَانِ يَتَصَارِمَانِ ، وَكَانَا مِنْ مَشَايِخِ الْعِلْمِ  
وَالْأَدَبِ وَالْمُرُوءَةِ ، يَزْمِيهِمَا هَذَا الشَّاعِرُ الْخَلِيعُ بِالْبَحْرِ .

\* \* \*

٤٧٠ - وَأَمَّا الْخِفَاضُ أَوْ الْخَفْضُ ، فَهُوَ لِلْفَتَاةِ كَالْخِتَانِ لِلصَّبِيِّ ،

فَالْخِفَاضُ هُوَ قَطْعُ بَظَرِ الصَّبِيَّةِ ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ سَيِّدَنَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ  
لَأُمِّ عَطِيَّةَ الْخَاتِنَةِ : « إِذَا خَفَضْتَ فَأَشْمِي وَلَا تَنْهَكِي ، فَإِنَّهُ أَضْوَأُ لِلْوَجْهِ وَأَحْظَى

لَهَا عِنْدَ الزَّوْجِ » [مجمع الزوائد ، رقم : ٨٨٨٦] .



يُقَالُ : أَشَمَّتِ الْخَافِضَةُ الْبُظْرَ ، أَي : أَخَذَتْ مِنْهُ قَلِيلًا ؛ وَقَوْلُهُ :  
وَلَا تَنْهَكِي ، أَي : لَا تَأْخُذِي مِنَ الْبُظْرِ كَثِيرًا ؛ شَبَّهَ الْقَطْعَ الْيَسِيرَ بِإِشْمَامِ  
الرَّائِحَةِ ، وَالتَّهَكُّ بِالْمُبَالَغَةِ فِيهِ ، أَي : أَقْطَعِي بَعْضَ الثُّوَاءِ وَلَا تَسْتَأْصِلِيهَا وَمِنْ  
ثَمَّ يَجِبُ أَنْ يُوصَى الْخَافِضَاتُ بِأَنْ يُرَاعِينَ ذَلِكَ لَدَى الْخِفَاضِ فَلَا يُبَالِغْنَ فِي  
قَطْعِ الْبُظْرِ ، فَإِنَّ إِنْهَاكَهُ - أَي : اسْتِئْصَالَهُ - يَحْرِمُ الْمَرْأَةَ لَذَّةَ الْجَمَاعِ ، فَلَا  
تَحْطَى عِنْدَ زَوْجِهَا . وَسُئِلَ الْخِفَاضُ مَتَى رُوِعِيَ فِيهَا الْأَعْتِدَالُ كَمَا عَلَّمَنَا سَيِّدُنَا  
رَسُولُ اللَّهِ مِنَ السِّنِّ الْمُسْتَحَبَّةِ الَّتِي يُظَاهِرُهَا الطَّبُّ ، وَهِيَ إِنْ تَرَكْتَ أَضْلًا كَانَ  
هَذَا التَّرْكُ مِنْ أَسْبَابِ الْعُلْمَةِ عِنْدَ النِّسَاءِ <sup>(١)</sup> الْأَمْرُ الَّذِي قَدْ يَضُرُّ بِهِنَّ وَيَعْصِفُ  
بِحَيَوِيَّتِهِنَّ ، إِذْ يُؤَدِّي بِهِنَّ إِلَى حُبِّ الْجَمَاعِ ، وَقَدْ تَرَلُّ أَفْدَامُهُنَّ مِنْ جَرَاءِ  
ذَلِكَ .

٤٧١ - وَرَوَى بَعْضُ قُضَاةِ الْأَنْدَلُسِ أَنَّهُ أَخَصَصَ فِي إِحْدَى الْقُرَى مَنْ خُفِضَ  
مِنَ النِّسَاءِ وَمَنْ لَمْ يُخَفِّضْ ، فَوَجَدَ الْعَفَافَ فِي مَنْ خُفِضَ وَأَكْثَرَ الْفَوَاجِرِ  
بُظُرَاوَاتٍ .

٤٧٢ - وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَعِيبُ الْمَرْأَةَ الَّتِي لَمْ تُخَفِّضْ ، وَمِنْ قَوْلِهِمْ فِي  
السَّبِّ : يَا ابْنَ الْمَتَكَاءِ . يَعْنُونَ : الْبُظْرَاءَ ، أَوْ عَظِيمَةَ الْبُظْرِ ؛ [وَالْمَتَكُ  
وَالْمَتَكُ مِنَ الْمَرْأَةِ : عِزُّ الْبُظْرِ أَوْ طَرْفُهُ ، وَقِيلَ : هُوَ مَا تُبْقِيهِ الْخَاتِنَةُ] .

\* \* \*

٤٧٣ - وَمِنْ طَرِيفِ مَا يُرَوَّى فِي حِكْمَةِ الْخِتَانِ - أَي : خِتَانِ الرِّجَالِ -  
مَا حَكَاهُ مُورِّخُ الْأَنْدَلُسِ ابْنُ حَيَّانَ : أَنَّ الْأَمِيرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامِ

(١) الْعُلْمَةُ : هَيْجَانُ شَهْوَةِ النِّكَاحِ .

أَمِيرَ الْأَنْدَلُسِ وَجَّهَ الشَّاعِرَ الْحَكِيمَ السِّيَاسِيَّ اللَّبِقَ الظَّرِيفَ يَحْيَى بْنَ حَكَمٍ  
الْجَيَّانِيَّ الْمَلَقَّبَ بِالْغَزَالِ لِحِمَالِهِ وَأَنَاقَتِهِ ، إِلَى صَاحِبِ قُسْطَنْطِينِيَّةَ - الْأُمْبَرَاطُورِ  
ثِيُوفِيلُوسَ قَيْصَرَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ - وَقَدَّمَهُ الْأُمْبَرَاطُورُ إِلَى زَوْجِهِ الْأُمْبَرَاطُورَةِ  
ثِيُودُورَا ، فَأَنِسَتْ بِهِ وَأَعْجَبَتْ بِظَرْفِهِ ، وَسَأَلَتْهُ فِيمَا سَأَلَتْ عَنْ السَّبَبِ الَّذِي دَعَا  
الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْخِتَانِ وَتَغْيِيرِ خَلْقِ اللَّهِ مَعَ خُلُوهُ مِنَ الْفَائِدَةِ ! فَقَالَ : إِنَّ فِيهِ أَكْبَرَ  
فَائِدَةٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْغَضَا إِذَا زُبِرَ<sup>(١)</sup> قَوِيَ وَاشْتَدَّ وَغُلُظَ ، وَإِنْ لَمْ يُفْعَلْ بِهِ ذَلِكَ  
كَانَ رَقِيقًا ضَعِيفًا ؛ فَضَحِكَتْ وَاسْتَمَلَحَتْ كَلَامَهُ .

\* \* \*

### السِّيْقَانُ :

٤٧٤ - وَعَلَى ذِكْرِ بَلْقَيْسَ وَسَاقِيهَا نُورِدُ هُنَا صَدْرًا مِنْ عَبَقَرِيَّاتِهِمْ فِي  
السِّيْقَانِ ؛ قَالَ الثَّعَالِبِيُّ فِي « فِهْرِ اللَّغَةِ » : وَيُسَمَّى الشَّعْرُ الَّذِي يَكُونُ فِي سَاقِ  
الْمَرْأَةِ : الْعَفْرُ .

٤٧٥ - قَالَ عُلَمَاءُ اللَّغَةِ : الْعَفْرُ : شَعْرٌ كَالزَّغَبِ عَلَى سَاقِ الْمَرْأَةِ وَالْجَنْبَةِ  
وَنَحْوِ ذَلِكَ ، وَكَذَلِكَ الْعَفْرُ ، قَالَ الرَّاجِزُ [من الرجز] :

قَدْ عَلِمْتُ خُودَ بِسَاقِيهَا الْعَفْرُ      لِيَزْوِينَ أَوْ لِيَبِيدَنَّ الشَّجَرُ  
٤٧٦ - هَذَا ، وَيُقَالُ : سَاقٌ خَدَلَجَةٌ ، أَيُ : مُمْتَلِئَةٌ لَحْمًا .

أَنَشَدَ الْأَضْمَعِيُّ [من الرجز] :

(١) زُبِرَ ، يُرِيدُ : قُطِعَ ، وَمِنْهُ زُبْرَةُ الْحَدِيدِ ، وَهِيَ : الْقِطْعَةُ مِنْهُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَتَأْتُونَ زُبُرَ  
الْحَدِيدِ ﴾ [١٨ سورة الكهف/ الآية : ٩٦] . وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ﴾  
[٢٣ سورة المؤمنون/ الآية : ٣٥] أَيُ : قُطْعًا .

إِنَّ لَهَا لَسَائِقًا خَدَلَجًا - لَمْ يُدَلِّجِ اللَّيْلَةَ فِيمَنْ أَدَلَجَا  
يَعْنِي : جَارِيَةً - فَتَاةً - قَدْ عَشِقَهَا فَكَبَّ النَّاقَةَ وَسَاقَهَا مِنْ أَجْلِهَا .

وَكَذَلِكَ يُقَالُ : سَاقٌ خَدَلَاءُ وَخَدَلَةٌ ، وَتُوصَفُ بِهِ الْمَرْأَةُ ، فَيُقَالُ : أَمْرَأَةٌ خَدَلَاءُ وَخَدَلَةٌ : كِنَايَةٌ عَنِ امْتِلَاءِ سَاقَيْهَا وَذِرَاعَيْهَا ، وَمِثْلُ ذَلِكَ الْمَمْكُورَةُ ، يُقَالُ : أَمْرَأَةٌ مَمْكُورَةٌ ، أَيْ : مُرْتَوِيَةُ السَّاقِ خَدَلَةٌ ، وَعَلَى الضَّدِّ مِنْ ذَلِكَ فِي صِفَةِ السَّاقِ الْحُمُوشَةُ ، يُقَالُ : أَمْرَأَةٌ حُمُوشَةُ السَّاقَيْنِ ، أَيْ : دَقِيقَتُهُمَا .

٤٧٧ - وَمِنْ عِبَرِيَّاتِهِمْ فِي وَصْفِ السَّيْقَانِ قَوْلُ أَمْرِيءِ الْقَيْسِ [من الطويل] :

وَكَشَحَ لَطِيفٍ كَالْجَدِيلِ مُخَصَّرٍ      وَسَاقٍ كَأَنْبُوبِ السَّقِيِّ الْمُدَلَّلِ  
الْجَدِيلُ : الزَّمَامُ الْمَجْدُولُ مِنْ أَدَمَ - جِلْدٌ - ؛ وَكَشَحَ مُخَصَّرٌ : دَقِيقٌ ؛  
وَالسَّقِيُّ : الْبُرْدِيُّ ، وَاحِدَتُهُ : سَقِيَّةٌ ، وَهِيَ لَا يَقُوتُهَا الْمَاءُ ، سُمِّيَ الْبُرْدِيُّ  
بِذَلِكَ لِنبَاتِهِ فِي الْمَاءِ أَوْ قَرِيباً مِنْهُ ؛ وَالْمُدَلَّلُ ، أَيْ : الَّذِي ذُلِّلَ بِتَدْلِي ثِمَارِ  
التَّخِيلِ عَلَيْهِ ؛ يَقُولُ : إِنَّهَا تُبْدِي عَنْ كَشَحٍ ضَامِرٍ يَخْكِي فِي ذِمَّتِهِ الزَّمَامَ الْمُتَّخَذَ  
مِنْ جِلْدٍ ، وَعَنْ سَاقٍ يَخْكِي فِي صَفَاءِ لَوْنِهِ وَامْتِلَائِهِ وَبَيَاضِهِ أَنَابِيبَ بَرْدِيٍّ بَيْنَ  
نَخْلِ قَدْ ذُلِّلَتْ بِكَثْرَةِ الْحَمْلِ - الثَّمَرِ - فَأَظَلَّتْ هَذَا الْبُرْدِيَّ ، وَإِنَّمَا اشْتَرَطَ ذَلِكَ  
لِيَكُونَ أَصْفَى لَوْنًا وَأَنَقَ رَوْنَقًا . [تقدم برقم : ٤٤٤] .

٤٧٨ - وَقَالَ كُشَاجِمُ [من الكامل] :

وَإِذَا لَبَسْنَ خَلَاحِلًا      كَذَبْنَ أَسْمَاءَ الْخَلَاحِلِ  
يَأْبَى تَخْلُحَلُهُنَّ سُو      قُ مُرَجَّجَاتُ خَوَادِلِ  
قَوْلُهُ : كَذَبْنَ أَسْمَاءَ الْخَلَاحِلِ ، لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْخَلَاحِلِ أَنْ يَكُونَ لَهَا  
وَسُوسَةٌ وَصَوْتُ ؛ يَقُولُ : لِامْتِلَاءِ سَاقَيْهَا لَمْ تَتَحَرَّكَ الْخَلَاحِلُ فَلَمْ يَكُنْ لَهَا

صَوْتُ ؛ كَمَا قَالَ الْمُؤَمِّلُ بْنُ أَمِيلٍ [من الوافر] :

عَجِبْتُ لِمَنْ يُطَيِّبُنِي بِمِسْكِ      وَبِي يَتَطَيَّبُ الْمِسْكَ الْغَيْثُ  
خَلَاخِيلُ النِّسَاءِ لَهَا وَجِيبُ      وَوَسْوَاسُ وَخَلْخَالِي صَمُوتُ<sup>(١)</sup>

٤٧٩ - وَقَالَ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فِي زَوْجِهِ رَمْلَةَ بِنْتُ الزُّبَيْرِ [من

الطويل] :

تَجُولُ خَلَاخِيلُ النِّسَاءِ وَلَا أَرَى      لِرَمْلَةَ خَلْخَالًا يَجُولُ وَلَا قُلْبًا<sup>(٢)</sup>  
فَلَا تُكْثِرُوا فِيهَا الْمَلَامَ فَإِنِّي      تَخَيَّرْتُهَا مِنْهُمْ زُبَيْرِيَّةَ قُلْبًا<sup>(٣)</sup>  
أَحِبُّ بَنِي الْعَوَامِ طُرًّا لِحَبَّهَا      وَمِنْ أَجْلِهَا أَحْبَبْتُ أَخْوَالَهَا كَلْبًا<sup>(٤)</sup>

وَزَادَ فِيهَا شَيَاطِينُ الْإِنْسِ [من الطويل] :

فَإِنْ تُسَلِّمِي أَسْلِمَ وَإِنْ تَنْصَرِي      يُعَلِّقُ رِجَالًا بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ صُلْبًا  
فَيُزَوِّى أَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ذَكَرَ لَهُ هَذَا الْبَيْتَ ، فَقَالَ : يَا خَالِدُ !  
أَتَزَوِّى هَذَا الْبَيْتَ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! عَلَى قَائِلِهِ لَعْنَةُ اللَّهِ .

٤٨٠ - وَقَالَ ابْنُ أَبِي زُرْعَةَ<sup>(٥)</sup> [من الكامل] :

اسْتَكْتَمْتُ خَلْخَالَهَا وَمَشَتْ      تَحْتَ الظَّلَامِ بِهِ فَمَا نَطَقَا

(١) أَلَوْسَوَسَةٌ : صَوْتُ الْجَلِيِّ ، وَصَوْتُهَا وَسْوَاسٌ .

(٢) الْقُلْبُ : ضَرْبٌ مِنَ الْأَسُورَةِ .

(٣) قُلْبًا يَفْتَحُ أَلْقَافَ ، أَيْ : خَالِصَةَ النَّسَبِ ، يُقَالُ : رَجُلٌ قَلْبٌ وَأَمْرَأَةٌ قَلْبٌ ، يُرِيدُونَ مَخْضَ النَّسَبِ خَالِصَةً .

(٤) وَذَلِكَ أَنَّ رَمْلَةَ وَمُضْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ أُمَّهُمَا أُمُّ الرَّبَابِ بِنْتُ أَتَيْفِ بْنِ عُيَيْدِ بْنِ مَصَادٍ ، مِنْ بَنِي كَلْبِ بْنِ وَبَرَةَ .

(٥) هُوَ الْمُعَلَّى بْنُ سَلَمَةَ ابْنُ أَبِي زُرْعَةَ الْكِنَانِيِّ الدَّمَشْقِيِّ ، وَكَانَ مُعَاصِرًا لِدِيكَ الْجَنِّ ، وَكَانَا شَاعِرِي الشَّامِ فِي وَقْتِهِمَا .

حَتَّى إِذَا رِيحُ الصَّبَا نَسَمَتْ مَلَأَ الْعَبِيرُ بِسِيرِهَا الطَّرْقَا

٤٨١ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ [من البسيط] :

مَا أَنَسَ لَا أَنَسَ إِذْ زَارَتْ عَلَى فَرْقٍ وَالنَّجْمُ فِي الْجَانِبِ الْعَرَبِيِّ مَهْزُومٌ  
وَأَسْتَمْسَكَتْ حَلِيهَا خَوْفًا فَقَالَ لَهَا خَلْخَالَهَا : إِنَّ مَا تَخْشِينَ مَكْتُومٌ  
وَنَمَّ حَلِي التَّرَاقِي فَأَنْشَى قَلْقًا وَشَاحَهَا رَحْمَةً وَالْحُسْنُ مَرْحُومٌ

٤٨٢ - وَمِمَّا قِيلَ فِي السَّيْقَانِ [من المنسرح] :

سَاقٍ تَجَلَّى كَأَنَّهُ قَمَرٌ يَحْمِلُ شَمْسًا ، أَفْدِيهِ مِنْ سَاقِ  
شَمَّرَ عَنْ سَاقِهِ غَلَائِلُهُ فَقُلْتُ : مَهَلًا ، وَاكْفُفْ عَنِ الْبَاقِي  
لَمَّا رَأَيْتِي ، وَقَدْ فُتِنْتُ بِهِ مِنْ فَرْطِ وَجْدِي وَعُظْمِ أَشْوَاقِي  
غَنَى وَكَأْسُ الْمُدَامِ فِي يَدِهِ قَامَتْ حُرُوبُ الْهَوَى عَلَى سَاقٍ ..

\* \* \*

### الْأَقْدَامُ :

٤٨٣ - وَإِذْ أوردْنَا عِبْقَرِيَّاتِهِمْ فِي السَّيْقَانِ فَلَنُورِدْ هُنَا ذُرُوءًا مِنْ عِبْقَرِيَّاتِهِمْ فِي  
الْأَقْدَامِ ، وَالْأَقْدَامُ جَمْعُ قَدَمٍ ، وَهِيَ مِنْ لَدُنِّ الرُّسُغِ <sup>(١)</sup> : مَا يَطَأُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ ،  
وَهِيَ وَالرَّجْلُ مُؤَنَّثَانِ .

وَأَحْسَنُ الْأَقْدَامِ السَّبْطَةُ الَّتِي لَانَ عَصْبُهَا وَطَابَتْ سُلَامِيَّاتُهَا <sup>(٢)</sup> وَأَصَابِعُهَا ،  
وَضِدُّهَا الْكَزْمَاءُ ، وَهِيَ : الْقَصِيرَةُ الْمُتَقَلِّصَةُ الْغَلِيظَةُ ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ تَشْبِيهُهُمْ  
الْقَدَمَ بِاللِّسَانِ يُكُونُ عَنْ سُبُوطِهَا وَلَطَافَتِهَا .

(١) الرُّسْغُ هُنَا : مُجْتَمَعُ السَّاقَيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ ، أَوْ مَفْصَلُ مَا بَيْنَ السَّاقِ وَالْقَدَمِ .

(٢) السُّلَامِيَّاتُ هُنَا : عِظَامُ الْأَصَابِعِ فِي الْقَدَمِ .

٤٨٤ - وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ [من المنسرح] :

تَغَشَى غَوَاشِي فُرُوعِهَا قَدَمًا      يَبْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ مُقْتَدَرَهُ  
مِثْلَ الثَّرِيَّا إِذَا بَدَتْ سَحَرًا      بَعْدَ غَمَامٍ وَحَاسِرٍ حَسَرَهُ  
مُقْتَدَرُهُ ، يَفْتَحِ الدَّلَالِ : لَطِيفُهُ ، لَا هِيَ بِالْقَصِيرَةِ وَلَا بِالطَّوِيلَةِ ؛  
وَالْمُقْتَدَرُ : الْوَسْطُ مِنْ كُلِّ وَسْطٍ شَيْءٍ ، وَرَجُلٌ مُقْتَدِرٌ الْخَلْقِ ، أَيْ : وَسْطُهُ ،  
لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ<sup>(١)</sup> ، وَحَاسِرٍ حَسَرَهُ ، أَيْ : وَبَعْدَ حَاسِرٍ حَسَرَ  
الْغَمَامَ ، مِنْ حَسَرَ الْغَمَامَةَ عَنْ رَأْسِهِ وَالثُّوبَ عَنْ بَدَنِهِ ، أَيْ : كَشَفَهُمَا .

٤٨٥ - وَمِمَّا يُسْتَحَبُّ فِي الْقَدَمِ الْأَذْرَمُ ، قَالَ ابْنُ سِيدِهِ : دَرِمَ الْكَعْبُ  
وَالْعُرْقُوبُ وَالسَّاقُ دَرَمًا ، وَهُوَ أَذْرَمُ : أَسْتَوَى ، قَالَ الرَّاجِزُ [من الرجز] :

قَامَتْ تُرَيْكُ خَشِيَّةً أَنْ تَضْرِمَا      سَاقًا بِخَنْدَاةٍ وَكَعْبًا أَذْرَمَا  
وَكَفَلًا مِثْلَ النَّقَا أَوْ أَعْظَمَا

الْأَذْرَمُ : الَّذِي لَا حَجْمَ لِعِظَامِهِ ، وَمِنْهُ الْأَذْرَمُ : الَّذِي لَا أَسْنَانَ لَهُ ؛ يُرِيدُ  
الرَّاجِزُ : أَنَّ كَعْبَهَا مُسْتَوٍ مَعَ السَّاقِ لَيْسَ بِنَاتِيءٍ ، فَإِنْ أَسْتَوَاءَهُ دَلِيلُ السَّمَنِ وَنُتُوهُ  
دَلِيلُ الضَّعْفِ ؛ وَالْبَخَنْدَاةُ كَالْبَخَنْدَاةِ : السَّاقُ الْتَامَةُ الْمُمْتَلِئَةُ الرَّيَاءِ ؛  
وَالْكَفَلُ : الرَّدْفُ ؛ وَالنَّقَا : الْقِطْعَةُ الْمُخْدُودِبَةُ مِنَ الرَّجْلِ .

٤٨٦ - وَمِمَّا يُسْتَحْسَنُ فِي الْقَدَمِ أَنْ يَكُونَ عُرْقُوبَاهَا حَسَنَاوَيْنِ ، وَفِي  
الْأَثَرِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أُمَّ سُلَيْمٍ لِيَنْظُرَ أَمْرَأَةً ، فَقَالَ : « شَمِّي عَوَارِضَهَا  
وَأَنْظُرِي إِلَى عُرْقُوبَيْهَا » [مجمع الزوائد ، رقم : ٧٤٥٤] .

(١) مُقْتَدَرُهُ وَمُقْتَدَرٌ ، أَرَاهَا يَفْتَحِ الدَّلَالِ وَإِنْ جَاءَتْ فِي « اللِّسَانِ » بِكَسْرِهَا ، وَإِنِّي أَظَنُّهَا خَطَأً  
مَطْبَعِيًّا ، وَكَمْ فِي « اللِّسَانِ » مِنْ أَخْطَاءٍ .

الْعَوَارِضُ : الْأَسْنَانُ الَّتِي فِي عُرْضِ الْفَمِ ، وَهِيَ مَا بَيْنَ الثَّنَائِيَا وَالْأَضْرَاسِ ، وَاحِدُهَا عَارِضٌ ، أَمَرَهَا بِذَلِكَ لِتَخْتَبِرَ نَكْهَتَهَا - رَائِحَةً فِيهَا - ؛ وَالْعُرْقُوبُ : مَا ضَمَّ أَسْفَلَ السَّاقِ وَالْقَدَمَ ، أَوْ هُوَ : الْعَصَبُ الْغَلِيظُ الْمُؤْتَرِّ فَوْقَ عَقَبِ الْإِنْسَانِ .

قَالَ الْأَضْمَعِيُّ : إِذَا أَسْوَدَّ عُرْقُوبُ الْمَرْأَةِ أَسْوَدَّ سَائِرُهَا ، وَهَذَا هُوَ مَا يَغْزُوهُ - يَقْصِدُهُ - التَّابِغَةُ بِقَوْلِهِ [من البسيط] :

لَيْسَتْ مِنَ الْأَسْوَدِ أَعْقَابًا إِذَا أَنْصَرَفَتْ      وَلَا تَبِيعُ بِجَنْبِي نَخْلَةَ الْبَرَمَا  
إِذَا أَنْصَرَفَتْ : يُرِيدُ إِذَا أَذْبَرَتْ ؛ وَنَخْلَةُ : مَوْضِعٌ ؛ وَالْبَرَمُ : ثَمَرُ الطَّلْحِ ، وَثَمَرُهُ السَّلْمُ ، وَثَمَرُ الْأَرَاكِ ؛ يَقُولُ : إِنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ لَيْسَتْ عَرَاقِيهَا سُودًا ، وَلَيْسَتْ مِنْ أَوْلِيكَ الْأَلَايِي يَبْغَنُ الثَّمَارَ فِي الْأَسْوَاقِ ، يُرِيدُ أَنَّهَا مُنْعَمَةٌ لَمْ تَلَقْ بُؤْسَ مَعِيشَةٍ .

\* \* \*

٤٨٧ - وَكَانَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ وَأَتْمَهِنَّ مَحَاسِنَ ، بَيَدَ أَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ كَانَ فِيهَا عَيْبَانِ اثْنَانِ : كِبَرٌ فِي أُذُنَيْهَا ، وَعِظَمٌ مُفْرَطٌ فِي قَدَمَيْهَا ، وَكَانَتْ ضَرَّتُهَا رَمْلَةٌ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ كَبِيرَةِ الْأَنْفِ ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَعِيبُهَا بِذَلِكَ ، فَيَبْلُغُ ذَلِكَ رَمْلَةً ، فَتَقُولُ : أَتَرَاهَا نَسِيَتْ أُذُنَيْهَا وَقَدَمَيْهَا ! [راجع رقم : ٣٥٩] .

٤٨٨ - وَقَالَ صَاحِبُ « تُخْفَةِ الْعُرُوسِ » : وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ مُجِيرٍ الْأَنْدَلُسِيُّ - وَهُوَ مِمَّا يُكْتَبُ عَلَى قَبْقَابٍ [من البسيط] :

لَا يَدْعِي الْعَاشِقُونَ الْحُبَّ مَنْزِلَةً      إِلَّا إِذَا أَحْتَمَلُوا لِلْحُسْنِ كُلَّ أَدَى

لَوْ لَمْ أَكُنْ أَنْفَذَ الْعُشَاقِ فِيهِ لَمَّا أَوْطَأْتُ خَدَيَّ أَقْدَامَ الْحِسَانِ كَذَا

\* \* \*

الْأَلْوَانُ :

الْبَيَاضُ :

٤٨٩ - قَالَتْ عَائِشَةُ : الْبَيَاضُ نِصْفُ الْحُسْنِ .

٤٩٠ - وَقَالَ الْمُؤَمِّلُ بْنُ أُمَيْلٍ [من الكامل] :

شَهِدَ الْمُؤَمِّلُ يَوْمَ يَلْقَى رَبَّهُ أَنَّ الْبَيَاضَ طَرَارُ كُلِّ جَمَالٍ

٤٩١ - وَقَالُوا : إِنَّ الْبَيَاضَ يُمَارِجُهُ لَوْنَانِ يَزِيدَانِهِ حُسْنًا : الْحُمْرَةُ

وَالْصُّفْرَةُ ، فَأَمَّا الْحُمْرَةُ فَتَعْتَرِي الْبَيَاضَ مِنْ رِقَّةِ اللَّوْنِ وَصِحَّةِ الدَّمِ ، وَأَمَّا

الْصُّفْرَةُ فَتَعْتَرِي الْبَيَاضَ لِاسْتِتَارِهِنَّ وَمُلَازِمَتِهِنَّ الْكِنَّ وَالنَّعْمَةَ - الرَّفَةَ - وَالْخَفْضَ

وَالدَّلْعَةَ ، وَتَعْتَرِيهِنَّ أَيْضًا لِمُلَازِمَتِهِنَّ التَّضْمُّخَ بِالطَّيْبِ ، وَمِنْ أَشَدِّ مَا يَتَضَمَّخُ بِهِ

تَأْثِيرًا فِي لَوْنِ الْبَشَرَةِ وَإِحَالَةَ بَيَاضِهَا إِلَى الصُّفْرَةِ مَا يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالتَّوَالِيَتِ

[Toilette ، وهو التَّبَرُّجُ والتَّزَيُّنُ] ، وَيُقَالُ : إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا كَانَتْ عَتِيقَةَ الْحُسْنِ

نَاعِمَةً الْبَدَنِ ، فَإِنَّ لَوْنَهَا يَكُونُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى ابْتِدَاءِ الْعَشِيِّ يَضْرِبُ إِلَى

الْحُمْرَةِ ، وَمِنْ ابْتِدَاءِ الْعَشِيِّ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ يَضْرِبُ إِلَى الصُّفْرَةِ ، وَلِذَا قَالَ

الْأَعَشِيُّ [من مجزوء الكامل] :

بَيَضَاءُ غَدَوَتَهَا وَصَفْرَاءُ الْعَشِيِّ كَالْعَرَارَةِ

وَمَعْنَاهُ : أَنَّ الْمَرْأَةَ النَّاصِعَةَ الْبَيَاضِ الرَّقِيقَةَ الْبَشَرَةَ تَبْيَضُ بِالْغَدَاةِ بَيَاضِ

الشَّمْسِ وَتَصْفَرُّ بِالْعَشِيِّ بِاصْفِرَارِهَا ؛ وَالْعَرَارَةُ ، وَاحِدَةُ الْعَرَارِ ، وَهِيَ : وَرْدَةٌ

نَاعِمَةٌ صَفْرَاءُ طَيِّبَةُ الرَّائِحَةِ .



٤٩٢ - قَالَ الصَّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيِّ [وَيُنْسَبُ أَيْضًا لِمَجْنُونٍ لَيْلَى قَيْسِ

بْنِ الْمُلُوحِ] [من الوافر] :

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْعَيْسُ تَهْوِي      بِنَا بَيْنَ الْمُنِيفَةِ فَالضَّمَارِ<sup>(١)</sup>  
تَمْتَعُ مِنْ شَمِيمٍ عِرَارٍ نَجْدٍ      فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عِرَارِ<sup>(٢)</sup>  
أَلَا يَا حَبْذَا نَفَحَاتُ نَجْدٍ      وَرِيًّا رَوْضِهِ بَعْدَ الْقِطَارِ<sup>(٣)</sup>  
شُهُورٌ يَنْقُضِينَ وَمَا شَعَرْنَا      بِأَنْصَافٍ لَهُنَّ وَلَا سِرَارِ<sup>(٤)</sup>

٤٩٣ - قَالُوا : وَهَذَا كُلُّهُ مُبَالِغَةٌ فِي وَصْفِ الْمَرْأَةِ بِالْصَّفَاءِ وَالنَّعْمَةِ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ عَلَى أَنَّهُ قَدْ قِيلَ فِي بَيْتِ الْأَعَشَى وَنَطَائِرِهِ : إِنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنَّهَا تُمَسِّي رَادِعَةً - أَيُ : مُلَطَّخَةٌ بِالطَّيْبِ - وَتَغْتَسِلُ بِالْغَدَاةِ فَتَبْيِضُ لِأَجْلِ ذَلِكَ .

٤٩٤ - قَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ [من المنسرح] :

بَانَتْ بِقَلْبِي صَفْرَاءُ رَادِعَةً      صَبَّتْ عَلَيْهَا مِنْ حُسْنِهَا فِتْنًا  
كَأَنَّهَا رَوْضَةٌ مُنَوَّرَةٌ      تَجْمَعُ طَيِّبًا وَمَنْظَرًا حَسَنًا  
فَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّ صُفْرَتَهَا إِنَّمَا هِيَ لِأَجْلِ الطَّيْبِ .

٤٩٥ - قَالُوا : وَمَنْ شَبَّهَ الْمَرْأَةَ بِالْبَيْضَةِ فَإِنَّمَا أَرَادَ الصُّفْرَةَ الَّتِي فِيهَا ، وَقَدْ

جَاءَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾ [٣٧ سورة الصافات/ الآية : ٤٩] .

٤٩٦ - وَقَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ [من الطويل] :

(١) الْمُنِيفَةُ : مَاءٌ لِيْنِي تَمِيمٍ ، وَالضَّمَارُ : اسْمُ مَوْضِعٍ .

(٢) الشَّمِيمُ ، مَصْدَرٌ .

(٣) الْقِطَارُ ، جَمْعُ قَطَرٍ ، وَهُوَ : الْمَطَرُ .

(٤) السَّرَارُ : آخِرُ لَيْلَةٍ فِي الشَّهْرِ ، يَقُولُ : إِنَّ هَذَا الزَّمَانَ شُهُورٌ مَضَتْ ، وَمَا عَلِمْنَا بِأَنْصَافِهَا

وَلَا بِأَوَاخِرِهَا لِمَا كُنَّا فِيهِ مِنَ السُّرُورِ وَطِيبِ الْعَيْشِ .

كَبُرَ الْمُقَانَاةُ الْبَيَاضُ بِصُفْرَةٍ غَذَاهَا نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ الْمُحَلَّلِ  
الْبُكْرِ فِي كُلِّ شَيْءٍ : مَا لَمْ يَسْبِقْهُ مِثْلُهُ ؛ وَالْمُقَانَاةُ : الْخَلْطُ ، يُقَالُ :  
قَانَيْتُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ : إِذَا خَلَطْتَ أَحَدَهُمَا بِالْآخَرِ ؛ وَالنَّمِيرُ : الْمَاءُ النَّامِي  
الْتَّاجِعُ فِي الرِّيِّ ؛ يَقُولُ : إِنَّ صَاحِبَتَهُ كَبُرَ الْبَيْضُ الَّذِي قُونِي - خُولِطَ - بَيَاضُهُ  
بِصُفْرَةٍ ، قَالَ الزُّوزَنِيُّ : يَغْنِي بَيْضُ النَّعَامِ وَهُوَ بَيْضٌ تُخَالِطُ بَيَاضَهَا صُفْرَةُ  
يَسِيرَةٍ ، شَبَّهَ لَوْنَ صَاحِبَتِهِ بِلَوْنِ بَيْضِ النَّعَامِ فِي أَنَّ فِي كُلِّ مِنْهُمَا بَيَاضًا خَالِطَتُهُ  
صُفْرَةٌ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى صِفَتِهَا ، فَقَالَ : غَذَاهَا مَاءٌ نَمِيرٌ عَذْبٌ صَافٍ لَمْ يُكْزِرْ  
حُلُولُ النَّاسِ عَلَيْهِ فَيَكْذُرُهُ ذَلِكَ ، وَالْمَاءُ إِذَا عَذْبٌ وَصَفَا كَانَ تَأْثِيرُهُ فِي رِيِّ  
شَارِبِهِ وَغِذَائِهِ أَنْجَعُ ؛ وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ فِي مَعْنَى الْبَيْتِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، وَالْبَيَاضُ  
فِي الْبَيْتِ لَكَ أَنْ تَقْرَأَهُ بِالْفَتْحِ وَبِالْخَفْضِ .

٤٩٧ - وَفِي اسْتِحْسَانِ لَوْنِ الصُّفْرَةِ يَقُولُ ذُو الرُّمَّةِ [من البسيط] :

بَيْضَاءُ فِي دَعَجٍ صَفَرَاءُ فِي غُنْجٍ كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا الذَّهَبُ<sup>(١)</sup>

٤٩٨ - وَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ [من الكامل] :

هَيْفَاءُ ، مِثْلُ الشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا فِي الْحُسْنِ أَوْ كَدُنُوهَا لِعُرُوبِ

٤٩٩ - وَقَالَ أَحَدُ شُعَرَاءِ «الْخَرِيدَةِ» لِابْنِ بَسَّامٍ [من السريع] :

وَقَيْنَةٍ قَالَتْ لَهَا نَاقِصٌ كَمَلَتْ لَوْلَا صُفْرَةُ اللَّوْنِ  
قُلْتُ : أَتَيْدُ فَالْشَّمْسُ مُصْفَرَّةٌ وَهِيَ صَلاَحُ الْأَرْضِ فِي الْكَوْنِ

٥٠٠ - وَقَالَ الْبُخْتَرِيُّ [من الطويل] :

(١) الدَّعَجُ : شِدَّةُ سَوَادِ الْعَيْنِ وَشِدَّةُ بَيَاضِ بَيَاضِهَا ؛ وَالْغُنْجُ وَالْغُنْجُ : تَكْسُرُ وَتَدُلُّ ، وَهُوَ أَيْضًا  
مَلَاَحَةُ الْعَيْنَيْنِ .

بَدَتْ صُفْرَةً فِي وَجْهِهِ إِنَّ حَمْدَهُمْ مِنْ الدَّرِّ مَا أَصْفَرَتْ نَوَاحِيهِ فِي الْعِقْدِ  
٥٠١ - وَقَالَ الْأَرَجَانِيُّ [من الخفيف] :

رَاقَ مَاءُ الْحَيَاةِ مِنْ وَجْتَيْهِ فَهُوَ مِرْزَاةُ أَوْجِهِ الْعُشَّاقِ  
٥٠٢ - وَقَالَ الْأَرَجَانِيُّ أَيْضاً يَصِفُ صَفَاءَ الْوَجْهِ وَرِقَّةَ الْبَشَرَةِ [من الوافر] :

وَأَغْيَدَ رَقَّ مَاءِ الْوَجْهِ فِيهِ فَلَوْ أَرْخَى لِشَاماً عَنْهُ ، سَالَا  
تَبِينُ سَوَادَهَا الْأَبْصَارُ فِيهِ فَحَيْثُ لَحِظْتَ مِنْهُ حَسِبْتَ خَالاً<sup>(١)</sup>  
٥٠٣ - وَقَالَ بَشَّارُ [من الطويل] :

وَمَا ظَفِرَتْ عَيْنِي غَدَاةً لَقِيْتُهَا بِشَيْءٍ سِوَى أَطْرَفِهَا وَالْمَحَاجِرِ  
بَحُورَاءَ مِنْ حُورِ الْجَنَانِ عَزِيزَةً يَرَى وَجْهَهُ فِي وَجْهِهَا كُلُّ نَاطِرٍ

\* \* \*

### السُّمْرَةُ :

٥٠٤ - أَتَى رَجُلٌ ابْنَةَ الْخُسِّ يَسْتَشِيرُهَا فِي أَمْرٍ يَتَرَوَّجُهَا ، فَقَالَتْ :  
أَنْظُرْهَا رَمَكَاءَ جَسِيمَةٍ ، أَوْ بَيْضَاءَ دَسِيمَةٍ ، فِي بَيْتِ جَدٍّ<sup>(٢)</sup> ، أَوْ بَيْتِ حَدٍّ<sup>(٣)</sup> ،  
هَؤُلَاءِ أُمَّهَاتُ الرِّجَالِ ؛ قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنَ النِّسَاءِ شَيْئاً ! قَالَتْ : بَلَى ! شَرَّ  
النِّسَاءِ تَرَكْتُ : السُّوَيْدَاءُ الْمِمْرَاضُ ، وَالْحُمَيْرَاءُ الْمِخْيَاضُ ، الْكَثِيرَةُ  
الْمِطَاطُ .

رَمَكَاءُ : سَمْرَاءُ ؛ وَالرُّمَكَةُ : لَوْنُ الرَّمَادِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : بَعِيرٌ أَرَمَكَ ؛

(١) الْخَالُ : الشَّامَةُ ، وَهِيَ سَوْدَاءُ .

(٢) الْجَدُّ : الْحَظُّ .

(٣) الْمَخْدُودُ : الْمَخْرُومُ ، الْمُضَيِّقُ عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ .

وَقَوْلُهَا : فِي بَيْتٍ جَدُّ أَوْ بَيْتٍ حَدٌّ ، فَأَلْبَيْتُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كِنَايَةً عَنِ الشَّرَفِ ،  
وَتُرِيدُ بِقَوْلِهَا هَذَا أَنَّهَا إِذَا كَانَتْ شَرِيفَةً مَجْدُودَةً فَقَدْ جَمَعَتْ إِلَى شَرَفِهَا الثَّرْوَةَ ،  
وَإِذَا كَانَتْ مَحْدُودَةً كَانَتْ أَرْضِي بِالْيَسِيرِ ، وَأَفْنَعَ بِالْبُلْغَةِ ، وَأَذْنَى إِلَى  
الْاِسْتِحْذَاءِ وَالْأَلْفَةِ ؛ وَالْمِظَاطُ : الْمُشَارَةُ وَالْمَشَاقَّةُ<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

٥٠٥ - وَمِثْلُ كَلَامِ ابْنَةِ الْخُسِّ مَا يُرْوَى أَنَّ غِيلَانَ بْنَ سَلَمَةَ قَالَ لِبَنِيهِ حِينَ  
أَحْتَضَرَ : يَا بَنِيَّ ! عَلَيْكُمْ بَيُّوتَاتِ الْعَرَبِ<sup>(٢)</sup> ، فَإِنَّهَا مَدَارِجُ الْكَرَمِ ، وَعَلَيْكُمْ  
بِكُلِّ رَمَكَاءَ رَكِينَةٍ<sup>(٣)</sup> ، أَوْ بَيْضَاءَ رَزِينَةٍ ، فِي بَيْتٍ جَدُّ أَوْ بَيْتٍ حَدٌّ .

٥٠٦ - وَقَالَ أَغْرَابِيُّ [مَنْ الْوَافِر] :

مِنْ السُّمْرِ اللَّدَانِ إِذَا اسْبَكَرَتْ      وَصِرْفُ الْمَوْتِ فِي السُّمْرِ اللَّدَانِ<sup>(٤)</sup>  
شَبِيهَاتُ الرَّمَاكِ قَنَا مُتُونٍ      وَكَلَمًا فِي الْقُلُوبِ بِلا سِنَانِ<sup>(٥)</sup>

٥٠٧ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ [مَنْ الطَّوِيل] :

وَسَمَرَاءُ بَاهِي كُلفَةِ الْبَدْرِ وَجْهَهَا      إِذَا لَاحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّعْرِ الْجَعْدِ<sup>(٦)</sup>

(١) الْمُشَارَةُ مِنَ الشَّرِّ : كَثِيرَةُ الشَّرِّ ؛ وَالْمَشَاقَّةُ ، أَي : كَثِيرَةُ الشُّبْقَاقِ .

(٢) أَي : بِأَشْرَافِهِمْ .

(٣) رَمَكَاءُ : سَمَرَاءُ ؛ وَرَكِينَةٌ : مُتَزَنَةٌ عَاقِلَةٌ .

(٤) اللَّدَانُ : اللَّيِّنَاتُ ؛ وَصِرْفُ الْمَوْتِ ، أَي : الْمَوْتُ الصَّرْفُ ؛ وَالسُّمْرُ اللَّدَانُ : الرَّمَاكِ ؛  
وَاسْبَكَرَتْ : اِغْتَدَلَتْ قَامَتُهَا .

(٥) كَلَمًا : جَزْحًا ؛ وَقَنَا مُتُونٍ ، قَالِمُتُونُ : الظُّهُورُ ، وَقَنَا جَمْعُ قَنَاءَ ، وَقَنَاءُ الظُّهْرِ : الَّتِي تَنْتَضِمُ  
الْفَقَارُ ؛ وَمِنْ كَلَامِهِمْ : فَلَانُ صُلْبُ الْقَنَاءِ ، أَي : صُلْبُ الْقَامَةِ ، وَالْقَنَاءُ عِنْدَ الْعَرَبِ :  
الْقَامَةُ .

(٦) الْكُلفَةُ : لَوْنٌ بَيْنَ السَّوَادِ وَالْحُمْرَةِ ؛ وَبَاهَاهُ : فَاحَرَهُ فِي الْحُسْنِ ؛ وَالشَّعْرُ الْجَعْدُ : غَيْرُ =

مُحِبَّةٌ مِنْ حَبَّةِ الْقَلْبِ لَوْنُهَا وَطِيبَتُهَا لِلْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ<sup>(١)</sup>

٥٠٨ - وَقَالَ بَعْضُ شُعَرَاءِ الْأَنْدَلُسِ ، وَأَسْمُهُ أَبُو فَتْوحٍ ، كَمَا فِي

« الذَّخِيرَةِ » لِابْنِ بَسَّامٍ [من المنسرح] :

قَدْ قَضَيْتُ وَبَدُرُ دَيْجُورٍ وَتَغَرُّ دُرٍّ وَلَخِظٌ يَعْفُورٍ<sup>(٢)</sup>

نَازِلَ صَبْرِي وَأَيُّ مُضْطَبَّرٍ يَتَّقِي بَيْتَكَ أَلَلَّوَا حِظَّ الْخُورِ

كَأَنَّمَا نُورُهُ وَسُمُرْتُهُ مِسْكَ مَشُوبٌ بِذُوبٍ كَافُورٍ

٥٠٩ - وَقَالَ أَبُو بُرْدٍ الْأَصْفَرُ مِنْ شُعَرَاءِ الْأَنْدَلُسِ [من مجزوء الرمل] :

كَيْفَ لَا أَعْشَقُ ظَنِيًّا سَارِحًا فِي ظِلِّ مُلْكٍ

إِنَّمَا السُّمُرَةُ فِيهِ مَزْجُ كَافُورٍ بِمِسْكِ

\* \* \*

السَّوَادُ :

٥١٠ - لَيْسَ لِلنِّسَاءِ السُّودُ مِنَ الصِّفَاتِ الْمُسْتَحْسَنَةِ مَا يَمْتَزِنُ بِهِ إِلَّا نَقَاءُ

الثُّغُورِ وَحَرَارَةُ الْفُرُوجِ ، أَمَّا الصِّفَاتُ الْمَذْمُومَةُ مِنْ تَشَقُّقِ الْأَطْرَافِ وَالشَّفَاهِ

وَصِغَرِ الْفُرُوجِ وَتَنُّ الْعَرَقِ وَشَرَّاسَةِ الْأَخْلَاقِ ، فَهِيَ الْغَالِيَةُ عَلَيْهِنَّ ، وَهُنَاكَ مِنَ

النِّسَاءِ السُّودِ مَنْ هُنَّ سَالِمَاتٌ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ جَمْعَاءَ .

٥١١ - وَفِي وَصْفِ السُّودِ يَقُولُ أَبُو حَفْصٍ الشَّطْرَنْجِيُّ [وَيَسْبُ لِيَشَارِ بْنِ بُرْدٍ ، مِنْ

= الْمُسْتَرْسِلِ ؛ وَالْعَرَبُ تَمْدَحُ بِالشَّعْرِ الْجَعْدِ ، لِأَنَّ سُوْطَةَ الشَّعْرِ هِيَ الْغَالِيَةُ عَلَى شُعُورِ الْعَجَمِ مِنَ الرُّومِ وَالْفَرَسِ وَجُعُودَةُ الشَّعْرِ هِيَ الْغَالِيَةُ عَلَى شُعُورِ الْعَرَبِ .

(١) الْعَنْبَرُ الْوَرْدُ ، أَيُّ : الْأَحْمَرُ ، قَالَ أَبُو سَيْدَةَ : الْوَرْدُ : لَوْنٌ أَحْمَرٌ يَضْرِبُ إِلَى صُفْرَةٍ حَسَنَةٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ .

(٢) الْيَعْفُورُ : الظَّنِيُّ .

السريع] :

أَشْبَهَكَ الْمِسْكُ وَأَشْبَهَتْهُ      قَائِمَةٌ فِي لَوْنِهِ قَاعِدَةٌ  
لَا شَكَّ إِذْ لَوْنُكُمَا وَاحِدٌ      إِنَّكُمَا مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ  
٥١٢ - وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ [من الوافر] :

أَحِبُّ لِحَبِّهَا السُّودَانَ حَتَّى      أَحِبُّ لِحَبِّهَا سُودَ الْكِلَابِ  
٥١٣ - وَأَنْشَدَ الْجَاحِظُ [من الطويل] :

وَإِنَّ سَوَادَ الْعَيْنِ فِي نُورِهَا      وَمَا لِيِيَاضِ الْعَيْنِ نُورٌ فَيُعْلَمَا  
٥١٤ - أَخَذَ الْمُتَنَبِّئِيُّ مِنْ هَذَا إِذْ يَقُولُ يَمْدَحُ كَافُورًا [من الطويل] :

فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانٍ عَيْنِ زَمَانِهِ      وَخَلَّتْ بِيَاضًا خَلْفَهَا وَمَاقِيَا  
شَبَّهَ مِنْ عَدَا كَافُورٍ بِيَاضِ الْعَيْنِ لِأَنَّهُ لَا يُنْتَفَعُ بِهِ فِي النَّظَرِ ، وَجَعَلَ كَافُورًا  
إِنْسَانَ الْعَيْنِ ، كَتَى بِذَلِكَ عَنْ سَوَادِ لَوْنِهِ ، وَأَنَّهُ هُوَ بَيْتُ الْقَصِيدِ فِي أَبْنَاءِ هَذَا  
الدَّهْرِ ، فَإِنَّ الْبَصَرَ فِي سَوَادِ الْعَيْنِ وَمَا حَوْلَهُ بِيَاضٌ وَمَاقٍ لَيْسَتْ هُنَاكَ .

٥١٥ - وَقَالَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ [من الطويل] :

أَحِبُّكَ يَا لَوْنَ الشَّبَابِ لِأَنِّي      رَأَيْتُكُمَا فِي الْقَلْبِ وَالْعَيْنِ تَوَامَا  
سَكَنْتِ سَوَادَ الْقَلْبِ إِذْ كُنْتُ شِبْهَهُ      فَلَمْ أَذِرْ مِنْ عِزِّ مَنْ الْقَلْبُ فِيكُمَا  
وَمَا كَانَ سَهْمُ الْعَيْنِ لَوْلَا سَوَادُهُ      لِيُبلِّغَ حَبَاتِ الْقُلُوبِ إِذَا رَمَى  
إِذَا كُنْتَ تَهْوِي الطَّبِيَّ أَلَمْ تَلَمْ      جُنُونِي عَنِ الطَّبِيِّ الَّذِي كُلُّهُ لَمْ يَ

٥١٦ - أَخَذَ هَذَا بَعْضُهُمْ [وَهُوَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ] فَقَالَ [من الوافر] :

يَكُونُ الْخَالُ فِي خَدِّ مَلِيحٍ      فَيَكْسُوهُ الْمَلَا حَةَ وَالْجَمَالَ  
فَكَيْفَ يُلَامُ مَعْشُوقٌ عَلَى مَنْ      يَرَاهَا كُلَّهَا فِي الْعَيْنِ خَالَا

الْحَالُ : الشَّامَةُ .

٥١٧ - وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ [من الطويل] :

أُحِبُّ النِّسَاءَ السُّودَ مِنْ أَجْلِ تَكْتُمِ      وَمِنْ أَجْلِهَا أُحِبُّ مَنْ كَانَ أَسْوَدًا  
فَجِئْنِي بِمِثْلِ الْمِسْكِ أَطِيبَ نَفْحَةً      وَجِئْنِي بِمِثْلِ اللَّيْلِ أَطِيبَ مَرْقَدًا

٥١٨ - وَقَالَ بَشَّارٌ [من الوافر] :

يَكُونُ الْخَالُ فِي خَدِّ نَقِيٍّ      فَيُكْسِبُهُ الْمَلَا حَةَ وَالْجَمَالَ  
وَيُورِثُهُ لَأَعْيُنٍ مُبْصِرِيهِ      فَكَيْفَ إِذَا رَأَيْتَ اللَّوْنَ خَالًا

٥١٩ - وَقَالَ آخِرُ [من السريع] :

إِنْ أَزْهَرْتَ لَيْلًا نُجُومَ السَّمَاءِ      بَيَضًا عَلَى أَسْوَدَ مُرْخَى الْإِزَارِ  
وَأَوْجَبَ الْعَكْسَ مِثَالًا لَهَا      فَالْأَسْوَدُ فِي الْأَرْضِ نُجُومُ النَّهَارِ

٥٢٠ - وَقَالَ ابْنُ رَشِينٍ [من مخلع البسيط] :

تِيهِي عَلَى الْبَيْضِ وَأَسْطِيطِلِي      تِيهَ شَبَابٍ عَلَى الْمَشِيبِ<sup>(١)</sup>  
وَلَا يَرْغَبُكَ أَسْوَدَادُ لَوْنٍ      كَمُفْلَةٍ الشَّادِنِ الرَّيِّبِ<sup>(٢)</sup>  
فَإِنَّمَا الثُّورُ عَنْ سَوَادٍ      فِي أَعْيُنِ النَّاسِ وَالْقُلُوبِ

٥٢١ - وَقَالَ إِمَامُ الثُّحَاةِ أَبُو جَبَالٍ النَّغْرِيُّ الْغُرْنَاطِيُّ [من البسيط] :

عَلِقْتَهُ سَبَجِيَّ اللَّوْنِ قَادِحَهُ      مَا أَبْيَضَ مِنْهُ سِوَى ثَغْرِ حَلَى الدُّرَرِ<sup>(٣)</sup>

(١) يَقُولُ : إِنَّ هَذِهِ السُّودَاءَ كَالشَّبَابِ الَّذِي شَعْرُهُ أَسْوَدُ ، وَالْبَيْضُ كَالْمَشِيبِ ، فَهُوَ أَبْيَضُ مِنْهَا ، وَالشَّبَابُ أَحْسَنُ مِنَ الْمَشِيبِ ، فَكَذَلِكَ السُّودُ .

(٢) الشَّادِنُ مِنْ أَوْلَادِ الطُّبَّاءِ : الَّذِي قَوِيَ وَأَسْتَعْنَى عَنْ أُمِّهِ ؛ وَالرَّيِّبُ : الْمُرَبَّى .

(٣) سَبَجِيٌّ ، نِسْبَةٌ إِلَى السَّبَجِ ، وَهُوَ : خَرَزٌ أَسْوَدُ ؛ وَالْقَادِحُ : الْقَاتِمُ ، الْأَشَدُّ أَسْوَدًا .

فَقَدْ صَاغَهُ مِنْ سَوَادِ الْعَيْنِ خَالِقُهُ فَكُلُّ عَيْنٍ إِلَيْهِ تُذِمُّنُ النَّظَرَ  
 ٥٢٢ - وَمِنْ طَرِيفِ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ بَعْضِ شُعَرَاءِ الْمَغَارِبَةِ فِي سَوْدَاءَ تُسَمَّى  
 دُرَّةً [من الكامل] :

يَا رَبَّ سَوْدَاءَ تُسَمَّى دُرَّةً وَمِنْ الْعَجَائِبِ دُرَّةُ سَوْدَاءَ  
 سَوْدَاءَ لَيْلُ الْوَصْلِ مِنْهَا أَبْيَضُ وَمِنْ الْعَجَائِبِ لَيْلَةُ بَيْضَاءَ  
 ٥٢٣ - أَمَّا مَنْ أَبْدَعَ فِي وَضْفِ السَّوْدَاءِ وَفَاقَ سَائِرَ مَنْ وَصَفُوهَا وَأَطَالَ  
 وَأَحْسَنَ ، فَهُوَ ابْنُ الرُّومِيِّ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ سَوْدَاءُ ،  
 وَكَانَ يُحِبُّهَا حُبًّا شَدِيدًا ، فَطَلَبَ مِنْ ابْنِ الرُّومِيِّ أَنْ يَذْكُرَهَا فِي شِعْرِهِ ،  
 وَيَسْتَغْرِقَ أَوْصَافَهَا الْبَاطِنَةَ وَالظَّاهِرَةَ ، فَقَالَ مِنْ أَبْيَاتِ طَوِيلَةٍ [من المنسرح] :

سَوْدَاءُ لَمْ تَنْسِبْ إِلَى بَرٍّ صِ الشُّقْرِ وَلَا كُفْلَةٍ وَلَا بَهَقٍ<sup>(١)</sup>  
 وَبَعْضُ مَا فَضَّلَ السَّوَادُ بِهِ وَالْحَقُّ ذُو سُلَمٍ وَذُو نَفَقٍ<sup>(٢)</sup>  
 أَلَّا يَعِيبَ السَّوَادَ حُلُكْتُهُ وَقَدْ يُعَابُ الْبَيَاضُ بِالْبَهَقِ  
 لَيْسَتْ مِنَ الْعُبْسِ الْأَكْفُ وَلَا أَلْ فُلُحِ الشَّفَاهِ الْخَبَائِثِ الْعَرَقِ<sup>(٣)</sup>  
 بَلْ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ نَاعِمَةٌ تَنْشُرُ بِالدَّلِّ مَيِّتَ الشُّبَقِ<sup>(٤)</sup>  
 فِي لَيْلٍ سَمُورَةٍ تَخَيَّرَهَا الْفَرَا ءُ أَوْ لَيْلٍ جَيِّدَ الدَّلَقِ<sup>(٥)</sup>

- (١) يُرِيدُ بِالْكُفْلَةِ : الَّتِي لَا يَجِدُ فِي وَجْهِهَا الْبَيْضَ ؛ وَالْبَرَصُ وَالْبَهَقُ مَعْرُوفَانِ .  
 (٢) قَوْلُهُ : وَالْحَقُّ ذُو سُلَمٍ وَذُو نَفَقٍ ، جُمْلَةٌ اِغْتِرَاضِيَّةٌ ؛ يَقُولُ : إِنَّ الْحَقَّ يَصَرِّفُ فِي جِهَاتٍ ،  
 وَضَرْبِ الصُّعُودِ وَالنُّزُولِ لِدَلَالَةِ مَثَلٍ .  
 (٣) الْفُلُحُ الشَّفَاهُ ، فَالْفُلُحُ : تَمَثُّقٌ فِي الشَّفَاهِ وَضَخَمٌ وَاسْتِزْحَاءٌ ، شَأْنُ شِفَاهِ الزَّنَجِ غَالِبٌ .  
 (٤) الشُّبُقُ : شِدَّةُ الْعُلْمَةِ وَاسْتِهْوَاجِ الْجَمَاعِ .  
 (٥) السَّمُورُ : حَيَوَانٌ بَرِّيٌّ أَكْبَرُ مِنْ ابْنِ عُرْسٍ قَلِيلًا ، وَيُسَمَّى هُوَ ، لَوْ أَنَّهُ أَحْمَرُ مَاثِلٌ إِلَى السَّوَادِ ،  
 تَتَّخِذُ مِنْ جِلْدِهِ فِرَاءً ثَمِينَةً ؛ وَالْفِرَاءُ : تَاجِرُ الْفِرَاءِ ؛ وَالِدَلَقُ : حَيَوَانٌ يَقْرُبُ مِنَ السَّمُورِ =



تُذَكِّرُكَ الْمِسْكَ وَالْغَوَالِيَّ وَالسَّيِّدَ      لَكَ ذَوَاتَ النَّسِيمِ وَالْعَبَقِ<sup>(١)</sup>  
 غُضُنْ مِنَ الْإِبْنُوسِ رُكْبٍ مِنْ      مُؤْتَزَّرٍ مُعْجَبٍ وَمُتَّطِقِ<sup>(٢)</sup>  
 يَهْتَزُّ مِنْ نَاهِدِيهِ فِي ثَمَرٍ      وَمَنْ دَوَاجِي ذَرَاهُ فِي وَرَقِ<sup>(٣)</sup>  
 أَكْسَبَهَا الْحُبَّ أَنَّهَا صُبِغَتْ      صِبْغَةَ حُبِّ الْقُلُوبِ وَالْحَدَقِ  
 فَانْصَرَفَتْ نَحْوَهَا الضَّمَائِرُ وَالْأَبْ      صَارَ يُعْشَقْنَ أَيَّمَا عَشَقِ<sup>(٤)</sup>

٥٢٤ - وَكَرَّرَ هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ [من البسيط] :

لَا مَ الْعَوَازِلُ فِي سَوْدَاءَ فَاحِمَةٍ      كَأَنَّهَا فِي سَوَادِ الْقُلُوبِ تِمَثَّالُ  
 وَهَامَ بِالْخَالِ أَقْوَامٌ وَمَا عَلِمُوا      أَنِّي أَهِيْمُ بِشَخْصٍ كُلُّهُ خَالُ  
 ٥٢٥ - وَلِلشَّرِيفِ الرَّضِيِّ فِي مَعْنَى آيَاتِهِ الَّتِي أَوْرَدْنَا ، وَهِيَ آيَاتُ قَالَهَا  
 عَلَى لِسَانِ رَجُلٍ سَأَلَهُ وَصَفَ جَارِيَةً [من البسيط] :

لَا مَوْأَ وَلَوْ وَجَدُوا وَجَدِي لَقَدْ عَذِرُوا      وَذَنْبُ مَنْ لَا مَ ذَنْبٌ غَيْرُ مُعْتَفَرِ  
 لَمَّا تَمَادَوْا عَلَى عَذْلِي أَجَبْتُهُمْ      بِعِزِّ مُعْتَفَرٍ لَا ذُلَّ مُعْتَذِرِ  
 أَهْوَى السَّوَادَ بِرَأْسِي ثُمَّ أَمَقَّتُهُ      فَكَيْفَ يَخْتَلِفُ اللَّوْنَانِ فِي نَظَرِي  
 تَأْبَى طَلَائِعُ بَيْضٍ ذَرَّ شَارِقَهَا      فِي عَارِضِي أَنْ تَكُونَ الْبَيْضُ مِنْ وَطَرِي  
 جَعَلْتُهُ لِسَوَادِ الْعَيْنِ تَذَكُّرَةً      إِنْ تُقْقِدِ الْعَيْنُ يَرْضَى الْقَلْبُ بِالْأَثَرِ  
 وَاللَّيْلُ أَسْتَرُ لِلْخَالِي بِلَذَّتِهِ      وَالصُّبْحُ أَفْضَحُ لِلْسَّارِي عَلَى غَرَرِ

= - أَلْقَطَ - فِي الْحَجَمِ ، وَهُوَ أَصْفَرُ اللَّوْنِ ، بَطْنُهُ وَعُنُقُهُ مَائِلَانِ إِلَى الْبَيَاضِ .

(١) الْغَوَالِي ، جَمْعُ غَالِيَةٍ : أَخْلَاطُ مِنَ الطَّيِّبِ ؛ وَالْمِسْكَ : ضَرْبٌ مِنَ الطَّيِّبِ .

(٢) مُؤْتَزَّرٌ : مُوضِعُ الْإِزَارِ ، يُرِيدُ كَفْلَهَا وَعَجِيزَتَهَا ؛ وَمُتَّطِقٌ : مُوضِعُ النَّطَاقِ ، يُرِيدُ خَصَرَهَا .

(٣) دَوَاجِي ذَرَاهُ : يُرِيدُ شَعْرَهَا .

(٤) يُعْشَقْنَ أَيَّمَا عَشَقٍ ، يَرَوَى : يُعْتَقْنَ أَيَّمَا عَتَقٍ ، وَالْإِعْنَاقُ : الْإِسْرَاعُ فِي الْمَشْيِ ، وَالرَّوَايَةُ الْأُولَى هِيَ الْأَوْجَهُ .

وَكَيْفَ يَذْهَبُ عَنْ قَلْبِي وَعَنْ بَصْرِي مَنْ كَانَ مِثْلَ سَوَادِ الْقَلْبِ وَالْبَصْرِ

٥٢٦ - وَقَالَ ابْنُ قَلَاقِسٍ السَّكَنْدَرِيُّ [من الخفيف] :

رُبَّ سَوْدَاءَ وَهِيَ بَيْضَاءُ مَعْنَى نَافَسَ الْمِسْكَ عِنْدَهَا الْكَافُورُ  
مِثْلُ حَبِّ الْعُيُونِ يَحْسِبُهُ الْبَصَرُ سَوَادًا وَإِنَّمَا هُوَ نُورٌ

٥٢٧ - وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ [من المنسرح] :

يَفْتَرُ ذَاكَ السَّوَادُ عَنْ يَقِي مِنْ ثَغْرِهَا كَاللَّاءِ لِيءِ النَّسَقِ<sup>(١)</sup>  
كَأَنَّهَا وَالْمُزَاحُ يُضْحِكُهَا لَيْلٌ تَفَرَّى دُجَاهُ عَنْ فَلَقِ<sup>(٢)</sup>  
لَهَا حِرٌّ يَسْتَعِيرُ وَقَدَّتَهُ مِنْ قَلْبٍ صَبٍّ وَصَدْرٍ ذِي حَنْقٍ  
كَأَنَّمَا حَرُّهُ لِخَابِرِهِ مَا أَلْهَبَتْ حَشَاهُ مِنْ حُرْقٍ  
يَزْدَادُ ضَيْقًا عَلَى الْمِرَاسِ كَمَا تَزْدَادُ ضَيْقًا أَنْشُوطَةُ الْوَهَقِ<sup>(٣)</sup>  
أَخْلِقَ بِهَا أَنْ تَقُومَ عَنْ ذَكْرِ كَالسَّيْفِ يَقْرِي مُضَاعَفَ الْحَلَقِ<sup>(٤)</sup>  
إِنْ جُفُونَ السُّيُوفِ أَكْثَرَهَا أَسْوَدُ وَالْحَقُّ غَيْرُ مُخْتَلَقٍ  
خُذَهَا أَبَا الْفَضْلِ كُسُوءَ لَكَ مِنْ خَزٍّ أَلَمَادِيحٍ لَامِنَ الْخِرَقِ  
وَصَفْتُ فِيهَا الَّتِي هَوَيْتَ عَلَى الْوَهَقِ سَمٍ وَلَمْ نَخْتِزْ وَلَمْ نَذُقْ  
إِلَّا بِأَخْبَارِكَ الَّتِي وَقَعَتْ مِنْكَ إِلَيْنَا عَنْ ظَنِّيَةِ الْبُرْقِ<sup>(٥)</sup>

\* \* \*

(١) يَصِفُ أَسْنَانَهَا ؛ وَيَقِي : شَدِيدُ الْبَيَاضِ ؛ وَالنَّسَقُ : الْمُنْسَقَةُ .

(٢) تَفَرَّى : انْسَقَّ ؛ وَالْفَلَقُ : الصُّبْحُ .

(٣) الْوَهَقُ : حَبْلٌ فِي طَرَفِهِ أَنْشُوطَةٌ يُطْرَحُ فِي عُنُقِ الدَّابَّةِ حَتَّى تَتَوَخَّذَ .

(٤) يَقْرِي : يَقْطَعُ ؛ وَمُضَاعَفُ الْحَلَقِ : الدَّرْعُ .

(٥) الْبُرْقُ ، جَمْعُ بُرْقَةٍ : مَكَانٌ تَكْثُرُ فِيهِ الطُّبَّاءُ .

السَّمْنُ وَالضُّمُورُ :

٥٢٨ - قَالَ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ : أَكْثَرُ الْبُصَرَاءِ بِجَوَاهِرِ النِّسَاءِ الَّذِينَ هُمْ جَهَابِذَةُ النَّقْدِ يُقَدِّمُونَ الْمَجْدُولَةَ ، الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ السَّمِينَةِ وَالْمَمْشُوقَةِ ، وَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ كَاسِيَةَ الْعِظَامِ ، وَلِذَلِكَ قَالُوا : كَانَتْهَا غَضْنُ بَانٍ ، وَقَضِيبُ خَيْرَانٍ ، وَجَدَلُ عِنَانٍ<sup>(١)</sup> .

قَالَ : وَالشَّيْ فِي مَشْيِ الْمَرْأَةِ أَحْسَنُ مَا فِيهَا ، وَلَا يُمَكِّنُ ذَلِكَ مَعَ السَّمْنِ .

٥٢٩ - وَقَالَ الشَّاعِرُ الْجَاهِلِيُّ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ [من المنسرح] :

بَيْنَ سُكُولِ النِّسَاءِ خِلَقَتُهَا قَصْدٌ فَلَا جَبْلَةً وَلَا قَضْفُ  
سُكُولُ : ضُرُوبُ ؛ وَقَصْدٌ : لَا طَوِيلَةَ وَلَا قَصِيرَةَ وَلَا جَسِيمَةَ ، كَأَنَّ خِلَقَتَهَا يَجِيءُ بِهَا الْقَصْدُ مِنَ الْأُمُورِ وَالْمُعْتَدِلُ الَّذِي لَا يَمِيلُ إِلَى أَحَدِ طَرَفَيْ التَّفْرِيطِ وَالْإِفْرَاطِ كَمَا قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ ؛ وَجَبْلَةٌ ، بِكَسْرِ الْجِيمِ وَبِفَتْحِهَا : غَلِيظَةٌ ، وَقَالَ ابْنُ بَرِّي : جَبْلَةٌ فِي شِعْرِ قَيْسٍ بَفَتْحِ الْجِيمِ أَسْمُ فَاعِلٍ مِنْ جَبَلٍ يَجْبَلُ فَهُوَ جَبَلٌ وَجَبَلٌ : إِذَا غُلِظَ ؛ وَالْقَضْفُ : الدَّقَّةُ وَقِلَّةُ اللَّحْمِ .

٥٣٠ - وَقَالَ حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ [من الطويل] :

رَعَائِبُ بِيضٌ لَا قِصَارَ زَعَانِفٍ وَلَا قِمَعَاتٍ حُسْنُهُنَّ قَرِيبُ  
الرَّعَائِبُ ، جَمْعُ رُعْبُوبَةٍ ، وَهِيَ : الْبَيْضَاءُ الْحَسَنَةُ الْخُلُوءُ ؛ وَالرَّعَانِفُ : اللَّسِمَاتُ الْخَسَائِسُ ، وَزَعَانِفُ كُلِّ شَيْءٍ : رَدِيئُهُ وَرَذَالُهُ ؛ وَقِمَعَاتُ :

(١) جَدَلُ الشَّيْءِ يَجْدُلُهُ جَدَلًا : أَحْكَمَ فَنَلَهُ ، وَمِنْهُ جَارِيَةٌ مَجْدُولَةٌ ، أَيْ : حَسَنَةُ الْجَدَلِ ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِرِمَامٍ النَّاقَةِ : الْجَدِيلُ .

ذَلِيلَاتٌ ؛ وَحُسْنُهُنَّ قَرِيبٌ ، أَيْ : لَا تُسْتَحْسَنُ إِذَا بَعُدَتْ عَنْكَ وَإِنَّمَا تَسْتَحْسِنُهَا عِنْدَ التَّأَمُّلِ لِدِمَامَةِ قَامَتِهَا .

٥٣١ - وَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ [من الطويل] :

فَوْقَ الْقَصِيرَةِ وَالطَّوِيلَةِ فَوْقَهَا دُونَ السَّمِينِ ودُونَهَا الْمَهْزُولُ

٥٣٢ - وَكَانَ الْفَرَزْدَقُ يُفَضِّلُ زَوْجَتَهُ حَدْرَاءَ عَلَى زَوْجَتِهِ النَّوَّارِ ، وَكَانَتْ

حَدْرَاءُ عَرَبِيَّةً هَيْفَاءُ مَجْدُولَةً ، وَكَانَتْ النَّوَّارُ حَضْرِيَّةً جَسِيمَةً ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ

[من الطويل] :

لَعَمْرِي لِأَعْرَابِيَّةٍ فِي مِظْلَةٍ تَظَلُّ بِرَوْقِي بَيْتَهَا الرِّيحُ تَخْفِقُ<sup>(١)</sup>

كَأَمْ غَزَالٍ أَوْ كَدُرَّةٍ غَائِصٍ إِذَا مَا بَدَتْ مِثْلَ الْغَمَامَةِ تُشْرِقُ

أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ ضِنَاكِ ضِغْنَةٍ إِذَا رُفِعَتْ عَنْهَا الْمَرَاوِحُ تَغْرَقُ<sup>(٢)</sup>

كَبَطِيخَةِ الزَّرَّاعِ يُعْجَبُ لَوْنُهَا صَحِيحاً وَيَبْدُو دَاوَاهَا حِينَ تَفْلُقُ

٥٣٣ - وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : تَسَابَقْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ وَأَنَا جُوزِيَّةٌ - فَتَاةٌ صَغِيرَةٌ - فَسَبَقْتُهُ ، فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ ، قَالَ لِي رَسُولُ

اللَّهِ : « تَعَالَى أَسَابِقُكَ » ، فَقُلْتُ : وَكَيْفَ أَسَابِقُكَ يَا رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا عَلَى هَذِهِ

الْحَالِ ؟! قَالَ : « لَا بُدَّ » ، فَسَابَقْتُهُ ، فَسَبَقَنِي ، فَقَالَ : « هَذِهِ بِتِلْكَ » . [أبو

داود ، رقم : ٢٥٧٨ ؛ النسائي في « الكبرى » ؛ ابن ماجه ، رقم : ١٩٧٩ ؛ « مسند أحمد » ، رقم ؛

٢٣٥٩٨ و ٢٤٤٦٠ و ٢٤٩٦٠ و ٢٥٧٢٥ و ٢٥٧٤٥ و ٢٥٨٦٦ ] . [ وسيرد برقم : ٦٥٧ ] .

(١) رَوْقِي أَلْبَيْتِ : مُقَدَّمُهُ ، أَوْ سَفَفُ فِي مُقَدَّمِ أَلْبَيْتِ .

(٢) أَمْرَأَةٌ ضِنَّاكِ : ضَخْمَةٌ ، قَالَ الْأَعْجَاجُ يَصِفُ أَمْرَأَةً [ من الرجز ] :

فَهِيَ ضِنَّاكِ كَالْكَيْسِ الْمُنْهَالِ

أَمْرَأَةٌ ضِغْنَةٍ : كَثِيرَةُ اللَّحْمِ رَخْوَةٌ .

٥٣٤ - وَقَالَتْ : أَرَادَتْ أُمِّي أَنْ تُسَمِّنَنِي لِدُخُولِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ أَقْبَلْ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا تُرِيدُهُ ، حَتَّى أَطْعَمْتَنِي الْقِثَاءَ بِالزُّطْبِ ، فَسَمِنْتُ عَلَيْهِ كَأَحْسَنِ السَّمَنِ . [أبو داود ، رقم : ٣٩٠٣ ؛ ابن ماجه ، رقم : ٣٣٢٤] .

٥٣٥ - وَدَخَلَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْترَ عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَبِيحَةَ بَنَائِهِ عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ ، فَقَالَ : كَيْفَ وَجَدَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلَهُ ؟ فَقَالَ : كَخَيْرِ أَمْرَاءٍ لَوْ لَا أَنَّهَا قَبَاءٌ جَدَاءٌ ! قَالَ : وَهَلْ يُرِيدُ الرَّجَالُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا ذَاكَ يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : كَلَّا ، حَتَّى تُدْفِيَ الضَّجِيعَ ، وَتَرْوِيَ الرَّضِيعَ .

الْقَبَاءُ : الْخَمِصَةُ الْبَطْنِ ، اللَّطِيفَةُ الْكَشْحِينَ ؛ وَالْجَدَاءُ : الصَّغِيرَةُ الثَّدْيَيْنِ ، وَهَذَا الْكَلَامُ مِنْ عَلِيٍّ يَدُلُّ عَلَى اسْتِحْسَانِ مِنْهُ لِضَخَمِ الْمَرْأَةِ وَسِمَنِهَا ، وَلِكِبَرِ الثَّدْيِ ؛ وَهَذَا كِبَرُ الثَّدْيِ لَهُ مَوْضِعٌ آخَرُ . [راجع رقم : ٤٣٥ و ٤٣٧] .

\* \* \*

٥٣٦ - وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : لَا تُسَمِّنُوا نِسَاءَكُمْ ، فَإِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ فَاحْفَظُوهُنَّ [ فَاحْفَظُوهُنَّ ] .

أَقُولُ : وَمَعْنَى ذَلِكَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ : أَلَسَمَنُ فِي النِّسَاءِ غُلْمَةً ، وَفِي الرِّجَالِ عُقْلَةً .

الْغُلْمَةُ : هَيَبَانُ الشَّهْوَةِ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « خَيْرُ النِّسَاءِ الْغُلْمَةُ عَلَى زَوْجِهَا » [راجع « الجامع الصغير » ، رقم : ٤٠٩٣] وَالْعُقْلَةُ : الْحَبْسَةُ ، أَيْ : إِنَّ السَّمَنَ فِي الرِّجَالِ لَا يُمَكِّنُهُمْ مِنْ أَدَاءِ مَا يُؤَدِّيهِ غَيْرُ السَّمِينِ .

\* \* \*

الطُّولُ وَالْقَصَرُ :

٥٣٧ - قَالَ الْمُبَرِّدُ فِي « الْكَامِلِ » [صفحة : ١٢٣] : وَالْعَرَبُ تَمْدَحُ بِالطُّولِ ،

وَتَضَعُ مِنَ الْقَصْرِ ، فَلَا يَذْكُرُهُ إِلَّا مُحْتَجٌّ عَنْ نَفْسِهِ ، وَلَا يَمْدَحُ بِهِ غَيْرَهُ ، قَالَ عَنَتْرَةُ [من الكامل] :

بَطْلٌ كَانَ ثِيَابُهُ فِي سَرْحَةٍ يُحْدِي نِعَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ<sup>(١)</sup>  
٥٣٨ - وَقَالَ جَرِيرٌ [من الطويل] :

تَعَالَوْا فَفَاتُونَا فِي الْحُكْمِ مَقْنَعٌ إِلَى الْعُرِّ مِنْ أَهْلِ الْبَطَاحِ الْأَكَارِمِ<sup>(٢)</sup>  
فَإِنِّي لَأَرْضِي عَبْدَ شَمْسٍ وَمَا قَضَتْ وَأَرْضِي الطَّوَالَ الْبَيْضَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ  
٥٣٩ - قَالَ الْمُبَرِّدُ [الكامل] صفحة : ١٢٤ : وَيُقَالُ : إِنَّ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ  
كَانَ إِلَى مَنْكِبِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى مَنْكِبِ الْعَبَّاسِ ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ إِلَى  
مَنْكِبِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، قَالَ : وَطَافَ عَلِيٌّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِالْبَيْتِ ، وَهُنَاكَ عَجُوزٌ  
قَدِيمَةٌ ، وَعَلَيٌّْ قَدْ فَرَعَ النَّاسَ - عَلَاهُمْ - كَأَنَّهُ رَاكِبٌ وَالنَّاسُ مُشَاهَةٌ .

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : مَنْ هَذَا الَّذِي فَرَعَ النَّاسَ ؟ فَقِيلَ : عَلِيٌّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ  
الْعَبَّاسِ ، فَقَالَتْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، إِنَّ النَّاسَ لَيَزْدُلُونُ<sup>(٣)</sup> : عَهْدِي بِالْعَبَّاسِ

(١) السَّرْحَةُ : الشَّجَرَةُ الْعَظِيمَةُ ؛ وَالسَّبْتُ ، بِكسْرِ السِّينِ : الْجِلْدُ الْمَذْبُوعُ بِالْقَرْظِ ، وَالنِّعَالُ  
الَّتِي تَعْمَلُ مِنْهُ كَانَتْ لِأَيِّ النَّعْمَةِ وَالْتَرَفِ مِنْهُمْ ؛ وَلَيْسَ بِتَوَامٍ : لَمْ يُشَارِكْ فِي الرِّجَمِ ، وَمَتَى  
كَانَ الْإِنْسَانُ غَيْرَ تَوَامٍ كَانَ كَامِلَ الْخَلْقَةِ مُسْتَكْمِلَ الْقُوَّةِ ، يَقُولُ عَنَتْرَةُ : وَهُوَ بَطْلٌ مَدِيدُ  
الْقَامَةِ ، كَانَ ثِيَابُهُ أَلْبَسَتْ شَجَرَةً عَظِيمَةً مِنْ طُولِ قَامَتِهِ وَأَسْتَوَاءِ خَلْقِهِ ، وَهُوَ لِرَفْعَةِ شَأْنِهِ تُجْعَلُ  
الْجُلُودُ الْمَذْبُوعَةُ بِالْقَرْظِ نِعَالًا لَهُ وَأَخْذِيَّةً ، وَلَمْ تَحْمِلْ أُمَّهُ مَعَهُ غَيْرَهُ ؛ وَلِلْمُنَاسَبَةِ قَوْلُهُ : لَيْسَ  
بِتَوَامٍ ، يُرْوَى أَنَّ الشَّعْبِيَّ دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ - وَكَانَ الشَّعْبِيُّ  
قَدْ وَلَدَ تَوَامًا مَعَ أَخِيهِ ؛ فَكَانَ نَحِيفًا - فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! إِنِّي رُوحِمْتُ فِي الرِّجَمِ .

(٢) تَعَالَوْا : يُخَاطَبُ الْفَرَزْدَقُ وَرَهْطُهُ ؛ وَفَاتُونَا : حَاكُمُونَا ؛ وَأَهْلُ الْبَطَاحِ : الَّذِينَ نَزَلُوا مِنْ  
قُرَيْشٍ أَبَاطِحَ مَكَّةَ ، وَهُمْ أَكْرَمُ مِنْ قُرَيْشِ الطَّوَاهِرِ ، وَهُمْ الَّذِينَ نَزَلُوا حَوْلَ مَكَّةَ ؛ بَعْدَ هَذَا  
الْبَيْتِ [من الطويل] :

فَإِنَّ قُرَيْشَ الْحَقِّ لَنْ تَتَّبِعَ الْهَوَى وَلَنْ يَقْبَلُوا فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَ  
(٣) أَظْنَاهَا تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ : إِنَّ النَّاسَ يُؤُولُونَ إِلَى الرَّذْلِ الدُّونِ فِي مَنْظَرِهِ وَجَالَاتِهِ ، تَعْنِي : أَنَّ عَلِيًّا =

يَطُوفُ بِهَذَا الْيَتِي كَأَنَّهُ فُسْطَاطٌ أَبْيَضٌ . تُرِيدُ : كَأَنَّهُ بِنَاءٌ أَبْيَضٌ مُرْتَفِعٌ .

٥٤٠ - قَالَ الْمُبَرِّدُ [«الكامل» صفحة : ١٢٤] : وَيُرْوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَهُوَ الْأَسْوَدُ وَالْقُدْوَةُ ، كَانَ فَوْقَ الرَّبْعَةِ<sup>(١)</sup> ، وَلَمْ يَكُنْ بِالطَّوِيلِ الْمُشْدَبِ<sup>(٢)</sup> ، وَكَانَ إِذَا مَشَى مَعَ الطَّوَالِ طَالَهُمْ<sup>(٣)</sup> . . .

٥٤١ - قَالَ الْمُبَرِّدُ [«الكامل» صفحة : ١٢٤] : وَلَمْ يَخْتَلِفْ أَهْلُ الْحِكْمَةِ وَالنَّظَرِ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ أَنَّ الْكَمَالَ فِي الْأَعْتِدَالِ ، وَلَا يُقَالُ غَيْرُ هَذَا عَنْ حَكِيمٍ ، وَابْتِنُ مَا فِيهِ مَا اخْتَارَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . . . .

٥٤٢ - وَقَالَ شَاعِرٌ مِنْ طَيِّءٍ أَسْمُهُ أُتَيْفُ [بِنْ حَكِيمٍ] الْنَّبَهَانِيُّ يَذْكُرُ يَوْمَ ظَهَرَ الدَّهْنَاءُ ، وَكَانَ بَيْنَ طَيِّءٍ وَأَسَدَ بْنِ خُزَيْمَةَ [من الطويل] :

وَلَمَّا التَقَى الصَّفَّانِ وَاخْتَلَفَ الْقَنَا نِهَالًا وَأَسْبَابُ الْمَنَايَا نِهَالَهَا<sup>(٤)</sup>  
تَبَيَّنَ لِي أَنَّ الْقَمَاءَةَ ذِلَّةٌ وَأَنَّ أَشِدَاءَ الرِّجَالِ طَوَالَهَا<sup>(٥)</sup>

= عَلَى طُولِهِ لَا يَلْحَقَ فِي ذَلِكَ مَنْ تَقَدَّمَهُ مِنْ آبَائِهِ ، فَكَانَ الْخَلْفَ دَائِمًا أَقْلُ مِنَ السَّلَفِ .

(١) فَوْقَ الرَّبْعَةِ ، بِسُكُونِ الْبَاءِ وَفَتْحِهَا ، أَيُ : إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَوْقَ الْمَرْبُوعِ الْخَلْقِ الَّذِي لَا هُوَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ .

(٢) الْمُشْدَبُ : الْمُفْرَطُ فِي الطَّوِيلِ ، مَاخُذٌ مِنَ التَّخْلِ الْمُشْدَبِ الَّذِي قُطِعَ جَرِيدُهُ فَظَهَرَ طُولُهُ .

(٣) طَالَهُمْ : غَلَبَهُمْ فِي طُولِ الْقَانَةِ ، وَذَلِكَ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ وَبِدْءِ النَّظَرِ ، يَرَى الرَّائِي مِنْ ظُهُورِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنَّهُ أَطْوَلُ الْقَوْمِ ، آيَةُ خَصَّهُ الْخَالِيُّ بِهَا .

(٤) وَاخْتَلَفَ الْقَنَا نِهَالًا ، يُرِيدُ : إِنَّ كِلَا الصَّفَيْنِ سَقَا قَنَاهُ مِنْ دَمِ الْآخِرِ ؛ فَنِهَالًا : عِطَاشًا ، وَالتَّاهُلُ : الْعَطْشَانُ وَالرَّيْثَانُ ، فَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ .

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ : قَوْلُهُ : نِهَالًا ، يُرِيدُ قَدْ وَرَدَتْ الدَّمَ مَرَّةً وَلَمْ تَنْ ، وَذَلِكَ أَنَّ التَّاهُلَ : الَّذِي يَشْرَبُ أَوَّلَ شُرْبِهِ ، فَإِذَا شَرِبَ ثَانِيَةً فَهُوَ عَالٌ ؛ يُقَالُ : سَقَاهُ عَلًا بَعْدَ نَهْلٍ ، وَعَلَلًا بَعْدَ نَهْلٍ ؛ وَقَوْلُهُ : وَأَسْبَابُ الْمَنَايَا نِهَالَهَا ، لَا يُرِيدُ : إِنَّ أَوَّلَ مَا يَتَّعُ مِنْهَا يَكُونُ سَبَبًا لِمَا بَعْدَهُ .

(٥) الْقَمَاءَةُ هُنَا ، الْمُرَادُ بِهَا : صِغَرُ الْجِسْمِ .

٥٤٣ - وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَجَلَانَ التَّهْدِيّ ، شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ تَيَمَّهُ الْحُبُّ  
فَقَتَلَهُ ، يَقُولُ هَذَا الشَّعْرُ فِي زَوْجِهِ هِنْدٍ ، وَكَانَ قَدْ فَارَقَهَا ، أَسْفَاً عَلَيْهَا [من  
الطويل] :

وَحُقَّةٌ مِسْكٍ مِنْ نِسَاءِ لِبْسُهَا      شَبَابِي ، وَكَأْسٍ بَاكَرْتَنِي شُمُولُهَا  
جَدِيدَةٌ سِرْبَالِ الشَّبَابِ كَانَهَا      أَبَاءُ بَرْدِي نَمَتْهَا غُيُولُهَا  
وَمُخْمَلَةٌ بِاللَّحْمِ مِنْ دُونِ ثَوْبِهَا      تَطُولُ الْقِصَارِ وَالطَّوَالُ تَطُولُهَا  
حُقَّةٌ مِسْكٍ : كِنَايَةٌ عَنِ امْرَأَةٍ ، جَعَلَهَا لَطِيبَ رِيَاهَا كَحُقَّةٍ نُحِتَتْ مِنْ عَاجٍ  
وَنَحْوِهِ ، مَمْلُوءَةٌ مِسْكَاً ؛ وَلِبْسُهَا : تَمَتَّعْتُ بِهَا ؛ وَشَبَابِي : مَنْصُوبٌ عَلَى  
الظَّرْفِيَّةِ ، أَيِ : مُدَّةَ شَبَابِي ؛ وَكَأْسٍ ، عَظْفٌ عَلَى حُقَّةٍ مِسْكٍ ؛ وَالشُّمُولُ :  
الْحُمْرَةُ الَّتِي لَهَا عَضْفَةٌ كَعَضْفَةِ الشَّمَالِ ، أَوْ هِيَ الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَى الْعَقْلِ فَتَذْهَبُ  
بِهِ ؛ وَجَدِيدَةٌ سِرْبَالِ الشَّبَابِ ، يَغْنِي : إِنَّهَا فِي عُنُقِ شَبَابِهَا ، وَأَدْخَلَ الْهَاءَ  
عَلَى جَدِيدَةٍ ، وَالْأَكْثَرُ أَنْ يُقَالَ : مِلْحَفَةٌ جَدِيدٌ ، وَإِنْ كَانَتْ جَدِيدَةً فِي قَوْلِهِمْ :  
مِلْحَفَةٌ جَدِيدَةٌ مِنْ جَدِّ الْحَائِكِ الثَّوْبَ يَجْدُهُ (بِالضَّمِّ) : قَطَعَهُ ، فَهُوَ جَدِيدٌ ،  
وَهِيَ جَدِيدٌ بِدُونِ هَاءٍ ، لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى مَجْدُودٍ ، وَفِعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ يَسْتَوِي  
فِيهِ الْمَذْكَرُ وَالْمُؤَنَّثُ ؛ أَمَّا جَدِيدَةٌ فِي قَوْلِ شَاعِرِنَا فَهِيَ مِنْ جَدِّ الثَّوْبِ . . يَجْدُ  
(بِالْكَسْرِ) إِذَا كَانَ جَدِيداً ، نَقِيضُ بَلِيٍّ ، فَهُوَ جَدِيدٌ وَجَدِيدَةٌ ؛ وَالْأَبَاءُ :  
الْقَصَبَةُ ؛ وَالْبَرْدِيّ : نَبَاتٌ كَالْقَصَبِ كَانَ قَدَمَاءُ الْمِصْرِيِّينَ يَسْتَخْدِمُونَ قِشْرَهُ  
لِلْكِتَابَةِ ، وَشَبَّ هَذِهِ الْمَرْأَةُ بِالْبَرْدِيّ الْمَسْقِيّ لِحُسْنِ بَنِيَّتِهَا وَكَمَالِ خَلْقَتِهَا ، أَلَا  
تَرَى إِلَى قَوْلِهِ : نَمَتْهَا غُيُولُهَا ، وَالْغُيُولُ جَمْعُ غِيلٍ ، وَهُوَ الْمَاءُ يَجْرِي بَيْنَ  
الْأَشْجَارِ ؛ وَقَوْلُهُ : وَمُخْمَلَةٌ بِاللَّحْمِ مِنْ دُونِ ثَوْبِهَا ، فَمَعْنَى مُخْمَلَةٌ بِاللَّحْمِ أَنَّ  
أَعْضَاءَهَا تَسَاوَتْ فِي رُكُوبِ اللَّحْمِ إِيَّاهَا وَظُهُورِ السَّمَنِ عَلَيْهَا ، فَكَأَنَّ اللَّحْمَ



جُعِلَ لَهَا خَمَلًا ، وَالْخَمْلُ : الْهُدْبُ مِمَّا يُنْسَجُ وَتَفْضُلُ لَهُ فُضُولٌ - وَفَائِدَةٌ (مِنْ دُونَ ثَوْبِهَا) أَنَّهَا مِلْءٌ دِرْعِهَا ، فَلِهَذَا تَكُونُ سَمِيْنَةَ الْمُعَرَّى ؛ وَقَوْلُهُ : تَطُولُ الْقِصَارَ ، يُرِيدُ أَنَّهَا رَبْعَةٌ .

٥٤٤ - وَقَالَ كَثِيرٌ غَزَّةً <sup>(١)</sup> [من الطويل] :

وَأَنْتِ اللَّيْ حَبِيبَتِ كُلِّ قَصِيرَةٍ      إِلَيَّ وَمَا تَذْرِي بِذَاكَ الْقَصَائِرُ  
عَنَيْتُ قَصِيرَاتِ الْحِجَالِ وَلَمْ أُرِدْ      قِصَارَ الْخُطَى شَرُّ النِّسَاءِ الْبَحَائِرُ  
الْقَصِيرَةُ وَمِثْلُهَا قُصُورَةٌ : الْمَخْبُوسَةُ الْمَقْصُورَةُ فِي الْبَيْتِ لَا تُتْرَكُ أَنْ  
تَخْرُجَ ؛ وَالْبَحَائِرُ : الْقَصِيرَاتُ ، مِنْ قِصَرَ الْقَامَةِ ؛ وَيُرْوَى بَدَلَ الْبَحَائِرِ :  
الْبَهَائِرُ وَهِيَ قَبْلُ كَالْبَحَائِرِ ؛ وَالْحَجَالَةُ ، جَمْعُ حَجَلَةٍ ، وَهُوَ : بَيْتٌ كَالْقَبَةِ يُسْرَرُ  
بِالْثِيَابِ وَيَكُونُ لَهُ أَزْرَارٌ كِبَارٌ .

٥٤٥ - وَقَالَ ابْنُ الْأَرَوَمِيِّ [من البسيط] :

كَأَنَّمَا أَفْرِغْتَ مِنْ مَاءٍ لُؤْلُؤَةً      فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ وَجْهِهَا قَمَرُ  
كَمَا أَشْتَهَتْ خُلِقْتَ حَتَّى إِذَا      اكْتَمَلَتْ تَمَّتْ قَوَامًا فَلَا طُولٌ وَلَا قِصْرُ  
٥٤٦ - وَقَالَ بَهَاءُ الدِّينِ زُهَيْرٌ [من الطويل] :

وَهِنَاءُ تَحْكِي الرُّمَحَ لَوْنًا وَقَامَةً      لَهَا مُهَجَّتِي مَبْذُولَةٌ وَفُؤَادِي  
لَقَدْ عَابَهَا الْوَاشِي فَقَالَ : طَوِيلَةٌ      مَقَالَ حُسُودٍ مُظْهِرٍ لِعِنَادِي

(١) مِنَ الْغَرْبِ أَنَّ كَثِيرَ غَزَّةٍ قَائِلٌ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ كَانَ قَصِيرًا جِدًّا إِلَى حَدِّ أَنَّهُ لَا يَبْلُغُ ضُرُوعَ الْإِبِلِ ، وَكَانُوا يُلقَّبُونَهُ : « زُبُّ الذَّبَابِ » لِقِصْرِهِ ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، قَالَ لَهُ : تَطَاطَأَ لَا يُصِيبُ رَأْسَكَ السَّقْفُ ! وَلِذَلِكَ قَالَ لَهُ لَمَّا رَأَاهُ : تَسْمَعُ بِالْمُعِيدِي لَا أَنْ تَرَاهُ ، لِقَمَاءَتِهِ .

وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ الْحَزِينُ الْكِنَانِيُّ [من الطويل] :

يَكَادُ كَثِيرٌ مِنْ تَقَارُبِ شَخْصِهِ      بَعْضُ قَرَادٍ بِأُسْتِهِ وَهُوَ قَائِمٌ

فَقُلْتُ لَهُ : بُشِّرْتُ بِالْخَيْرِ إِنَّهَا حَيَاتِي فَإِنْ طَالَتْ فَذَاكَ مُرَادِي وَمَا عَابَهَا أَلْقَدُ الطَّوِيلُ وَإِنَّهُ لَأَوَّلُ حُسْنٍ لِلْمَلِيحَةِ بَادِي رَأَيْتُ الْحُصُونَ الشُّمَّ تَحْفَظُ أَهْلَهَا فَأَعَدَدْتُهَا حُضْناً لِحِفْظِ وَدَادِي

٥٤٧ - وَوَرَدَ فِي الْأَثَرِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِرَجُلٍ نَغَاشٍ - وَفِي زَوَايَةٍ : بِرَجُلٍ نَغَاشِيٍّ - فَخَرَّ سَاجِداً لِلَّهِ ، ثُمَّ قَالَ : « أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ » .

النَّغَاشُ وَالنَّغَاشِيُّ : الْقَصِيرُ ، أَقْصَرُ مَا يَكُونُ .

٥٤٨ - وَرَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَجُلًا قَصِيراً ، فَقَالَ : « مَنْ رَأَى مُبْتَلَى فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَى بِهِ غَيْرِي وَفَضَّلَنِي عَلَيْهِ وَعَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً ، عَافَاهُ اللَّهُ مِمَّا ابْتَلَاهُ بِهِ كَانِئاً مَا كَانَ » . [راجع الترمذي ، رقم : ٢٤٣١ و ٢٤٣٢] فَعَدَّ رَسُولُ اللَّهِ الْقَصَرَ بَلِيَّةً يُسْتَعَاذُ بِاللَّهِ مِنْهُ .

٥٤٩ - وَكَانَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ أَعْوَرَ دَمِيمًا أَدَمَ قَصِيراً ، فَهَجَاهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَقَالَ [من الطويل] :

إِذَا رَاحَ فِي قُبْطِيَّةٍ مُتَازِراً فَقُلْ جُعِلَ يَسْتَنْ فِي لَبَنِ مَحْضٍ  
فَأَقْسِمُ لَوْ خَرْتُ مِنْ أَسْتِكَ بَيْضَةً لَمَّا أَنْكَسَرَتْ مِنْ قُرْبِ بَعْضِكَ مِنْ بَعْضٍ (١)  
الْقُبْطِيَّةُ : ثِيَابٌ مِنَ الْكَتَانِ تُنْسَجُ بِمِصْرَ مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْقِبْطِ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ ،

(١) قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ لِأَبِي حَاتِمٍ : مَا أَظُنُّ أَحَدًا سَبَقَهُ إِلَى قَوْلِهِ : جُعِلَ يَسْتَنْ فِي لَبَنِ مَحْضٍ ؟ فَقَالَ : بَلَى ، كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَزْبِيِّ وَالِي أَلْيَمَامَةَ ، فَصَعَدَ الْمَنْبَرَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ بَيْضٌ ، فَبَدَأَ وَجْهَهُ وَكَفَّاهُ ، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ [من الطويل] :

تَرَى مُبِيرَ الْعَبْدِ اللَّثِيمِ كَأَنَّمَا ثَلَاثَةُ غَزْبَانٍ عَلَيْهِ وَفُوعٌ  
وَخَرَجَ نَضِيبٌ مِنْ عِنْدِ هِشَامٍ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ بَيْضٌ ، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ [من الرجز] :  
كَأَنَّمَا لَمَّا بَدَأَ لِلنَّاسِ أَنْزِلَ جِمَارٌ لُفَّ فِي قِزْطَاسٍ

قَالُوا : إِذَا نَسَبْتَ النَّاسَ إِلَى الْقَبِطِ قُلْتَ : قِبْطِي ، بِكَسْرِ الْقَافِ ، وَتَنْسَبُ إِلَيْهِمُ  
الْثِيَابُ فَتَقُولُ : قِبْطِي ، بِضَمِّ الْقَافِ ، لِلْفَرْقِ ؛ وَالْجَعْلُ : ضَرْبٌ مِنَ  
الْخَنَافِسِ ؛ وَيَسْتَنُّ : يَذْهَبُ وَيَجِيءُ .

٥٥٠ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ أَرَادَ النَّجَابَةَ فَعَلَيْهِ بِالطَّوَالِ ، وَمَنْ أَرَادَ اللَّدَّةَ  
فَبِالْقَصَارِ ، فَإِنَّهُنَّ لَذِيذَاتُ النِّكَاحِ .

٥٥١ - وَقَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ : مَنْ تَزَوَّجَ قَصِيرَةً فَلَمْ يَجِدْهَا عَلَى  
الْمُوافقةِ فَعَلَيْ مَهْرُهَا .

٥٥٢ - وَقَالَ الْأَضْمَعِيُّ : كَانَ أَغْرَابِيٌّ طَوِيلًا قَبِيحًا ، فَخَطَبَ أَمْرَأَةً ،  
وَقَالَ : أُرِيدُهَا قَصِيرَةً جَمِيلَةً ، لِيَأْخُذَ الْوَلَدُ طُولِي وَجَمَالَهَا ؛ قَالَ : وَتَزَوَّجَهَا  
عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ ، فَجَاءَ وَلَدُهُ عَلَى قُبْحِهِ وَقَصَرِهَا .

٥٥٣ - وَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ : لَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ تَزَوُّجِ أَمْرَأَةٍ قَصِيرَةٍ قَصَرُهَا ، فَإِنَّ  
الطَّوِيلَةَ تَلِدُ الْقَصِيرَ ، وَالْقَصِيرَةَ تَلِدُ الطَّوِيلَ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْمَذْكُورَةَ ، فَإِنَّهَا  
لَا تُنْجِبُ .

الْمَذْكُورَةُ : الْمُسَبَّهَةُ بِالْمَذْكُورِ .

٥٥٤ - وَقَالَ أَغْرَابِيٌّ وَهُوَ يَنْعَتُ أَمْرَأَةً : لَيْسَ بِهَا قِصْرٌ يُذِيلُهَا ، وَلَا طَوْلٌ  
يُخْرِقُهَا ، فَإِنَّ الطَّوْلَ مَخْرَقَةٌ .

قَوْلُهُ : يُخْرِقُهَا ، أَيُّ : يَكُونُ لَهَا خُرْقًا ؛ وَالْخَرِيقُ : الَّذِي لَا يُحْسِنُ  
الْعَمَلَ .

٥٥٥ - وَكَانَ كَثِيرٌ عَزَا يُلَقَّبُ « زُبَّ الدُّبَابِ » لِقِصَرِهِ ، قَالَ زَوْجُ عَزَا

يَهْجُوهُ [من الطويل] :

لَعَمْرُكَ مَا زُبُّ الذُّبَابِ كُثِيرٌ بِفَخْلٍ وَلَا أَبَاؤُهُ بِفُحُولٍ  
قَالُوا : إِنَّ كَثِيرًا كَانَ قَصِيرًا لَا يَبْلُغُ ضُرُوعَ الْإِبِلِ ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَى عَبْدِ  
الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، قَالَ لَهُ : تَطَاطَأُ لَا يُصِيبُ رَأْسَكَ السَّقْفُ ! وَقَالَ لَهُ لَمَّا رَأَاهُ :  
تَسْمَعُ بِالْمُعِيدِي لَا أَنْ تَرَاهُ ؛ لِقَمَاءَتِهِ .

\* \* \*

الْثِيَابُ وَالْخُلْيَى وَالطَّيْبُ :

٥٥٦ - كُلُّ مَا أَسْلَفْنَا فِي هَذَا الْبَابِ - بَابِ حَضِّهِمُ النِّسَاءَ عَلَى الزَّيْنَةِ  
وَالْتَجَمُّلِ وَالنِّظَافَةِ - إِنَّمَا هُوَ خَاصٌّ بِنِظَافَةِ الْبَدَنِ وَأَعْضَاءِ الْبَدَنِ وَعَبَقَرِيَّاتِهِمْ فِي  
وَصْفِ أَعْضَاءِ الْمَرْأَةِ ، وَفِي هَذَا الْمَوْضِعِ نُورِدُ عَبَقَرِيَّاتِهِمْ فِي الْعِنَايَةِ بِمَا يُحِيطُ  
بِالْبَدَنِ ، مِنَ الثِّيَابِ وَالْخُلْيَى وَالطَّيْبِ .

\* \* \*

٥٥٧ - وَأَوَّلُ مَا يَجْمَلُ الْعِنَايَةُ بِهِ فِي ذَلِكَ وَأَوَّلَاهُ هُوَ الثِّيَابُ ، فَجَدِيرٌ  
بِالْمَرْأَةِ أَنْ تُنَظَّفَ ثِيَابُهَا لِئَلَّا يُسْرَعَ تَعَلُّقُ الْأَذْرَانِ بِهَا ، وَأَنْ تَخْتَارَ مِنَ الثِّيَابِ  
مَا يُوَائِمُ الذَّوْقَ الْعَامَّ وَلَا يَنْبُو بِهِ ذَوْقُ عَصْرِهَا وَأَهْلِ جِيلِهَا ، وَأَنْ تُرَاعِيَ فِي  
ذَلِكَ ذَوْقَ زَوْجِهَا وَمَا عَسَاهُ تُجْلِبُ بِهِ رِضَاهُ وَإِقْبَالُهُ عَلَيْهَا .

وَقَدْ أَجْمَعَ ذَوُو الْبَصَرِ بِالْأُمُورِ عَلَى أَنَّ اجْتِلَابَ مِثْلِ الرَّجُلِ - أَغْنَى :  
الزَّوْجَ - إِلَى زَوْجِهِ إِنَّمَا يَكُونُ بِأَنْ يَرَاهَا فِي الْهَيْئَةِ الْمُؤَنِقَةِ ، وَالزَّيْنَةِ الْمُؤَافِقَةِ ،  
الَّتِي تُحَرِّكُ ذَوِيَ الْأَنْكِسَارِ وَالْفُتُورِ ، وَتَزِيدُ ذَوِيَ الْكُنُوسِ نَشَاطًا ؛ وَالْمَرْأَةُ  
الْفَطِنَةُ اللَّبِيقَةُ الْحَسَنَةُ التَّبَعْلُ يَجِبُ عَلَيْهَا أَنْ تُرَاعِيَ ذَلِكَ وَمَا سِوَاهُ مِمَّا يَتِمُّ بِهِ  
إِقْبَالُ الرَّجُلِ - أَغْنَى : الزَّوْجَ - عَلَيْهَا ، وَأَنْ تَتَفَقَّدَ مِنْ أَحْوَالِ ظَاهِرِهَا وَبَاطِنِهَا

وَشَاهِدَهَا وَعَائِبَهَا مَا تَأْمَنُ مَعَهُ أَنْ يَسْبِقَ إِلَى طَرْفِ بَعْلِهَا أَوْ أَنْفِهِ شَيْءٌ يَذُمُّهُ مِنْهَا أَوْ يَكْرَهُهَا مِنْ أَجْلِهِ ، وَأَنْ تَعْتَقِدَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ عِنَايَتَهَا هَذِهِ وَاحْتِفَالَهَا إِنَّمَا هُوَ لِنَفْسِهَا وَعَائِدٌ عَلَيْهَا ، خَشْيَةً أَنْ يَتَبَيَّنَ لِرِزْوَانِهَا التَّقْصِيرُ فَتَطْمَحُ نَفْسُهَا إِلَى غَيْرِهَا .

وَكُلُّ ذَلِكَ فِي الْأَوْقَاتِ الَّتِي جَرَتْ الْعَادَةُ بِأَنْ يَقْرَبَ مِنْهَا فِيهَا ، وَهِيَ فِي الْأَعْمِ الْأَغْلَبِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ ، وَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ عَزَّ وَتَقَدَّسَ : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِذَّ بِكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ [سورة النور/ الآية : ٥٨] .

أَنْظُرِ الْقَوْلَ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ فِي بَابِ حَضِّهِمُ الْمَرْأَةَ عَلَى الْحِشْمَةِ .

وَهُنَا أَنْصَحُ لِلْمَرْأَةِ نَصِيحَتَيْنِ : فَأَمَّا أَوَّلَاهُمَا فَأَنْ لَا تُنْعِنَ فِي الزَّيْنَةِ ، فَإِنَّ الْإِفْرَاطَ فِي الزَّيْنَةِ كَالْتَفْرِيطِ فِيهَا كِلَاهُمَا مَذْمُومٌ ، تَنْفُرُ مِنْهُ الْأَذْوَاقُ .

وَأَمَّا الْأُخْرَى فَإِذَا كَانَتِ الزَّيْنَةُ الْمُفْرِطَةُ مَذْمُومَةً مِنَ الْقِتْيَاتِ فَأُولَى أَنْ تُذَمَّ مِنَ الْمُسِنَّاتِ ، وَحَسْبُ الْمُسِنَّةِ أَنْ تَكُونَ نَظِيفَةً فِي بَدَنِهَا وَثِيَابِهَا ، أَمَّا الْإِفْرَاطُ فِي التَّجَمُّلِ وَالزَّيْنَةِ فَهُوَ لَوْنٌ مِنَ الْوَقَاحَةِ وَالسَّمَاجَةِ .

٥٥٨ - كَانَ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَعْرَابِ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ ، وَكَانَتْ تَشْتَرِي الْعِطْرَ

بِالْخُبْزِ ، فَقَالَ [مَنْ الطَّوِيلُ] :

عَجُوزٌ تُرَجِّي أَنْ تَكُونَ فَيْتَةً      وَقَدْ لِحِبَ الْجَنَّبَانِ وَأَخْدَوَدَبَ الظَّهْرُ<sup>(١)</sup>  
تَدُسُّ إِلَى الْعِطَارِ سِلْعَةً بَيْتَهَا      وَهَلْ يُصْلِحُ الْعِطَارُ مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ  
وَمَا غَرَّنِي إِلَّا خِصَابٌ بِكَفِّهَا      وَكُحْلٌ بِعَيْنَيْهَا وَأَثْوَابُهَا الصُّفْرُ

(١) لِحِبَ الْجَنَّبَانِ : قَلَّ لَحْمُهُمَا .

وَجَاءُوا بِهَا قَبْلَ الْمُحَاقِ بِلَيْلَةٍ فَكَانَ مُحَاقًا كُلُّهُ ذَلِكَ الشَّهْرُ<sup>(١)</sup>  
فَقَالَتْ أُمْرَأَتُهُ [من الطويل] :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّابَ تُحَلِبُ عُلبَةً وَيُتْرَكَ ثَلْبٌ لَا ضِرَابٌ وَلَا ظَهْرُ<sup>(٢)</sup>  
وَلَيْتَ شِعْرِي ! مَاذَا يَقُولُ هَذَا الْأَعْرَابِيُّ إِذَا هُوَ قَدْ رُدَّ إِلَى عَصْرِنَا هَذَا فِي  
مِصْرِنَا هَذَا ، فَرَأَى عَجَائِزَنَا ، وَلَا سِيَّمَا سَاكِنَاتِ الْقُصُورِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ بِهِنَّ وَقَدْ  
غَالَيْنَ فِي الزَّيْتَةِ ، وَذَهَبْنَ فِيهَا كُلَّ مَذْهَبٍ ، فَصَبَّغْنَ شُعُورَهُنَّ ، وَلَوْنَ وَجُوهَهُنَّ  
وَشَفَاهَهُنَّ بِتِلْكَ الْأَصْبَاغِ الْمُخْتَلِفَةِ بَيْنَ أَبْيَضٍ وَأَحْمَرَ وَأَسْوَدَ وَأَصْفَرَ ، فَغَيَّرْنَ  
صِبْغَةَ اللَّهِ الْجَمِيلَةَ حَتَّى فِي إِدْبَارِهَا ، وَصِرْنَ بِهَذَا الصُّنْعِ سُخْرِيَّةَ النَّاطِرِينَ ،  
وَضُحَكَةَ الْغَادِينَ وَالرَّائِحِينَ ! وَقَدْ غَابَ عَنْهُنَّ - لَهُنَّ اللَّهُ - أَنَّ جَمَالَهُنَّ فِي أَنْ  
لَا يَتَجَمَّلْنَ ، وَزَيَّتُهُنَّ فِي أَنْ لَا يَتَزَيَّنَّ .

أَلَيْسَتْ أَلْمُسِّنَاتُ الرَّفِيفَاتُ أَلْعَاطِلَاتُ<sup>(٣)</sup> أَللَّاتِي يَتُرَكْنَ أَنْفُسُهُنَّ بِدُونِ زِينَةٍ  
أَجْمَلَ مِنْ حَضَرِيَّاتِنَا فِي مِثْلِ هَذَا التَّجْمُلِ الْبَهْرَجِ !  
٥٥٩ - [قال المتنبي من البسيط] :

مَا أَوْجُهُ الْحَضَرِ الْمُسْتَحْسَنَاتِ بِهِ كَأَوْجِهِ الْبَدَوِيَّاتِ الرَّعَائِبِ<sup>(٤)</sup>

- (١) الْمُحَاقُ ، مِثْلُ أَلْمِمْ : آخِرُ الشَّهْرِ أَوْ ثَلَاثَ لَيَالٍ فِي آخِرِهِ .  
(٢) قَوْلُهَا : أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّابَ تُحَلِبُ عُلبَةً ، تَقُولُ : فِيهَا مُنْفَعَةٌ عَلَى حَالِ مَا ؛ وَالنَّابُ : أَلثَّاقَةُ  
الْمُسِنَّةِ ؛ وَالْعُلبَةُ : إِنَاءٌ لَهُمْ مِنْ جِلْدٍ يُحَلَبُ فِيهِ ؛ وَالثَّلْبُ : الَّذِي قَدْ تَنَاهَى فِي أَلْسِنٍ مِنَ  
الْإِبِلِ ، وَيُسْتَعَارُ لِلْإِنْسَانِ ، تَقُولُ : إِنَّ الرَّجُلَ أَلْعَجُوزَ لَا فَايِدَةَ مِنْهُ أَلْبَنَّةُ .  
(٣) أَلْعَاطِلَاتُ ، أَي : مِنَ أَلْحُلِيِّ .  
(٤) أَلرَّعَائِبُ ، جَمْعُ رُعْبُوبَةٍ ، وَهِيَ : أَلْمَرْأَةُ أَلْسَمِيَّةُ ، يَقُولُ أَلْمُتَنَبِّيُّ : لَيْسَتْ أَلْأَوْجُهُ  
أَلْمُسْتَحْسَنَاتُ بِأَلْحَضَرِ كَأَوْجِهِ نِسَاءِ أَلْبَدُو ، وَقَدْ بَيَّنَّ أَلْسَبَبَ فِي أَلْبَيْتِ أَلتَّالِي .

حُسْنُ الْحَضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِطَرِيَّةٍ      وَفِي الْبَدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبٍ<sup>(١)</sup>  
 أَيْنَ الْمَعِيزُ مِنَ الْأَرَامِ نَاطِرَةٌ      وَغَيْرَ نَاطِرَةٍ فِي الْحُسْنِ وَالطَّيْبِ<sup>(٢)</sup>  
 أَفْدِي طِبَاءَ فَلَاةٍ مَا عَرَفْنَ بِهَا      مَضُغَ الْكَلَامِ وَلَا صَبْغَ الْحَوَاجِبِ<sup>(٣)</sup>  
 وَلَا بَرَزْنَ مِنَ الْحَمَامِ مَائِلَةً      أَوْرَاكُهُنَّ صَقِيلَاتِ الْعَرَاقِبِ<sup>(٤)</sup>  
 وَمِنْ هَوَى كُلِّ مَنْ لَيْسَتْ مُمَوَّهَةً      تَرَكْتُ لَوْنٍ مَشِيبِي غَيْرَ مَخْضُوبِ  
 وَمِنْ هَوَى الصَّدَقِ فِي قَوْلِي وَعَادَتِهِ      رَغَبْتُ عَنْ شَعْرِ فِي الرَّأْسِ مَكْذُوبِ

٥٦٠ - وَمِثْلُ الْبَدَوِيَّاتِ الرَّيْفِيَّاتِ ... وَإِنِّي وَأَيُّمُنُ اللَّهُ ، مَا وَقَعَ نَظْرِي  
 عَلَى رَيْفِيَّةٍ عَجُوزٍ ، وَقَدْ تَلَفَعَتْ مِلْفَعَتَهَا وَأَنْتَعَلَتْ حِذَاءَهَا أَوْ « بَلَّغَتْهَا » ، وَفَاحَ  
 مِنْهَا عَبِيرُ عَطْرِهَا النَّسْرِيِّ الرَّيْفِيِّ السَّادِجِ ، إِلَّا كَسْتَنِي تَوْقِيرًا لَهَا وَحَنَانًا ،  
 وَرَوْحًا وَرَيْحَانًا ، وَبَرْدًا وَسَلَامًا ، وَإِكْبَارًا وَإِعْظَامًا ! حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ عَيْنِي تِلْكَ  
 الْحَضَرِيَّةَ الْعَجُوزَ وَقَدْ أَرَيْتُ ضُرُوبًا مِنَ الزَّيْنَةِ وَالْوَنَاءِ وَأَفْتَتْتُ فِيهَا أَفْتِنَانًا رَأَيْتُنِي

(١) الْحَضَارَةُ بِكَسْرِ الْحَاءِ وَفَتْحِهَا : الْإِقَامَةُ فِي الْحَضَرِ ، وَالْبَدَاوَةُ : الْإِقَامَةُ فِي الْبَدْوِ ؛  
 وَالطَّرِيَّةُ : الْمَعَالِجَةُ ، تَقُولُ : طَرَى الطَّيْبُ ، إِذَا خَلَطَهُ بِالْأَفَاوِيَةِ ، وَطَرَى الطَّعَامُ : خَلَطَهُ  
 بِالتَّوَابِلِ ، يَقُولُ : إِنَّ حُسْنَ أَهْلِ الْحَضَارَةِ مُتَكَلِّفٌ مَجْلُوبٌ بِالْحِيلَةِ وَالْعِلَاجِ ، أَمَّا حُسْنُ  
 الْبَدَوِيَّاتِ ، فَهُوَ خِلْفَةٌ لَا يَعْرِفْنَ التَّكَلُّفَ وَالْحُسْنَ الْمَجْلُوبَ بِالْإِخْتِيَالِ .

(٢) شَبَّهَ نِسَاءَ الْحَضَرِ بِالْمَعِيزِ وَنِسَاءَ الْبَدْوِ بِالْأَرَامِ - الطَّبَاءُ الْخَالِصَةُ الْبَيَاضُ - يَقُولُ : أَيْنَ تَقَعُ  
 الْمَعِيزُ مِنَ الطَّبَاءِ فِي الْحُسْنِ وَالطَّيْبِ ، أَكَانَتْ مُقْبِلَةً أَمْ مُعْرِضَةً ، فَالطَّبَاءُ تَفْضُلُهَا عُيُونًا وَغَيْرَ  
 عُيُونٍ .

(٣) يُرِيدُ بِطِبَاءِ الْفَلَاةِ الْبَدَوِيَّاتِ ؛ وَمَضُغَ الْكَلَامِ : تَرَكُ إِبَانَتِهِ كَأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ يَمْضُغُ شَيْئًا ،  
 يَقُولُ : إِنَّ نِسَاءَ الْبَدْوِ فَصِيحَاتٌ مُبِينَاتٌ لَا يَمْضُغْنَ كَلَامَهُنَّ غَنْجًا وَتَخْنِيْنًا كَنِسَاءِ الْحَضَرِ ،  
 وَلَا يَصْبِغْنَ حَوَاجِبَهُنَّ طَلَبًا لِلزَّيْنَةِ مِثْلَهُنَّ .

(٤) مَائِلَةٌ : شَاخِصَةٌ ؛ وَالْعَرَاقِبُ ، جَمْعُ عَرْقُوبٍ ، وَهُوَ : الْعَصَبُ الْغَلِيظُ فَوْقَ عَقِبِ الرَّجُلِ ،  
 يَقُولُ : وَلَيْسَتْ الْبَدَوِيَّاتُ كَالْحَضَرِيَّاتِ يَجْلِسْنَ حُسْنَهُنَّ بَأَن يَدْخُلْنَ الْحَمَامَ فَيَخْرُجْنَ مِنْهُ وَقَدْ  
 شَدَدْنَ خُصُورَهُنَّ ، فَشَخَصَتْ أَوْرَاكُهُنَّ مِنْ تَخْنِئَتِهَا ، وَصَقَلْنَ عَرَاقِبَهُنَّ .

وَقَدْ غُثَّتْ نَفْسِي ، وَتَلَدَّعَتْ كَيْدِي ، وَشَقَّ مَنَظَرُهَا وَكَلَامُهَا عَلَى الْأَذَانِ  
وَالْحَدَقِ . . . وَهَبْنِي عَذْرَتُ الْفَتَاةِ إِذَا هِيَ أَرَزَيْتُ فَمَا الْعُذْرُ فِي الزَّيْنَةِ إِذَا الْمَرْأَةُ  
شَاخَتْ وَنَالَتْ مِنْهَا السَّنُونُ ! إِنِّي لَا أَنْعَى عَلَى الْمَرْأَةِ زِينَتَهَا ، لِأَنَّ حُبَّ الزَّيْنَةِ  
جِبِلَّةٌ فِي النِّسَاءِ ، كَمَا قُلْتُ ؛ وَلَكِنَّ الْعَجُوزَ يَخْلُقُ بِهَا أَنْ تَتَزَيَّنَ الزَّيْنَةُ الْوَقُورَ ،  
الَّتِي لَا تَبْلُغُ مَبْلَغَ الْمُسْنَخِ وَالتَّدْلِيسِ وَالزُّورِ ؛ أَيُّهَا الْعَجَائِزُ ! احْتَرِمَنَّ  
أَنْفُسَكُنَّ ، وَأَعْلَمَنَّ أَنَّ جَلَالَ الشَّيْخُوخَةِ فِي الشَّيْخُوخَةِ ، وَأَنَّ الْجَمَالَ الْمُتَصَنَّعَ  
إِنَّمَا هُوَ لَدَى إِنْعَامِ النَّظَرِ أَقْبَحُ الْقُبْحِ ، وَأَنْتُنَّ إِذَا جِهَلْتُنَّ أَوْ تَجَاهَلْتُنَّ ذَلِكَ فَوْطَنَ  
أَنْفُسَكُنَّ عَلَى السُّخْرِيَةِ مِنْكُنَّ وَلَا أَبْعَدَ اللَّهُ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ .

\* \* \*

الْثِّيَابُ :

الرُّخْصَةُ فِي إِجَادَةِ الْمَلْبَسِ :

٥٦١ - قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ : كُلُّ مَا شِئْتَ وَالْبَسْ مَا شِئْتَ ، مَا أَخْطَأَكَ  
شَيْئَانِ : سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ .

الْمَخِيلَةُ : الْخِيَلَاءُ وَالْكِبَرُ ، يَقُولُ : مَا دُمْتُ فِي أَكْلِكَ وَلُبْسِكَ مُجَانِبًا  
الْإِسْرَافَ وَالْكِبَرَ فَإِنَّ ذَلِكَ مَحْمُودٌ ، أَمَّا إِنْ أَسْرَفْتَ فِي أَكْلِكَ وَلُبْسِكَ أَوْ كُنْتَ  
تَقْصِدُ إِلَى الْخِيَلَاءِ وَالْكِبَرِ فَهَذَا مِمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ .

٥٦٢ - وَفِي الْحَدِيثِ : «إِيَّاكُمْ وَالْمَخِيلَةَ» فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! نَحْنُ قَوْمٌ  
عَرَبٌ ، فَمَا الْمَخِيلَةُ ؟ قَالَ : «سَبْلُ الْإِزَارِ» أَيُّ : إِرْسَالُهُ إِلَى الْأَرْضِ .

٥٦٣ - وَقَالَ عَزَّ وَتَقَدَّسَ : ﴿يَبْنِيْ مَا دَمَ خُدُوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا  
وَأَشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ﴾ (٢٦) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِيْنَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ



مِنَ الرِّزْقِ ﴿٧﴾ سورة الأعراف/ الآيتان : ٣١ و ٣٢ .

الزَّيْنَةُ : الثِّيَابُ وَكُلُّ مَا يُتَجَمَّلُ بِهِ ؛ وَعِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، أَيِ : كُلَّمَا صَلَّيْتُمْ أَوْ طُفْتُمْ بِالْبَيْتِ ؛ وَالسُّنَّةُ : أَنْ يَأْخُذَ الرَّجُلُ أَحْسَنَ هَيْئَتِهِ لِلصَّلَاةِ ، وَكَانُوا يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ وَهُمْ عُرَاةٌ تَفَاوُلًا لِيَتَعَرَّوْا مِنَ الذُّنُوبِ كَمَا تَعَرَّوْا مِنَ الثِّيَابِ ، فَنَهَوْا عَنْ ذَلِكَ .

٥٦٤ - قَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ : يُحْكَى أَنَّ الرَّشِيدَ كَانَ لَهُ طَبِيبٌ نَصْرَانِيٌّ حَازِقٌ ، فَقَالَ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ وَاقِدٍ : لَيْسَ فِي كِتَابِكُمْ مِنْ عِلْمِ الطَّبِّ شَيْءٌ ، وَالْعِلْمُ عِلْمَانِ : عِلْمُ الْأَبْدَانِ وَعِلْمُ الْأَذْيَانِ ! فَقَالَ لَهُ : قَدْ جَمَعَ اللَّهُ الطَّبَّ كُلَّهُ فِي نِصْفِ آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ ، قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية : ٣١] فَقَالَ النُّصْرَانِيُّ : وَلَا يُؤْثَرُ مِنْ رَسُولِكُمْ شَيْءٌ فِي الطَّبِّ ! فَقَالَ : قَدْ جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الطَّبَّ فِي الْفَافِظِ يَسِيرَةٍ ، قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : قَوْلُهُ : «الْمَعْدَةُ بَيْتٌ وَالْحِمَةُ رَأْسُ الدَّوَاءِ»<sup>(١)</sup> ، وَأَعْطَى كُلَّ بَدَنِ مَا عَوَّدَتْهُ » [قَالَ السَّخَاوِيُّ فِي «الْمَقَاصِدِ الْحَسَنَةِ» : لَا يَصِحُّ رَفْعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، بَلْ هُوَ مِنْ كَلَامِ الْحَارِثِ بْنِ كِلْدَةَ طَبِيبِ الْعَرَبِ أَوْ غَيْرِهِ .] فَقَالَ النُّصْرَانِيُّ : مَا تَرَكَ كِتَابُكُمْ وَلَا نَبِيُّكُمْ لِجَالِينُوسَ طَبَّاءً .

٥٦٥ - وَقَالُوا : كُلُّ مَا تَشْتَهِيهِ نَفْسُكَ وَالْبَسْ مَا تَشْتَهِيهِ النَّاسُ .

٥٦٦ - وَرَوَى ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ فِي شَرْحِهِ لـ «نَهْجِ الْبَلَاغَةِ» وَابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي

(١) هِيَ الْمَعْدَةُ ، وَالْمَعْدَةُ ؛ وَالْحِمَةُ : الْأَخْتِمَاءُ مِنَ الطَّعَامِ ، أَيِ : الْجُوعُ ، «جُوعُوا تَصْغُوا» . وَقَدْ غَابَ عَنْ عَلِيِّ هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي هُوَ جَمَاعُ الصَّحَّةِ ، وَهُوَ : «نَحْنُ قَوْمٌ لَا نَأْكُلُ حَتَّى نَجُوعَ ، وَإِذَا أَكَلْنَا لَا نَشْبَعُ» .

«الْعُقْدُ» : إِنَّ الرَّبِيعَ بْنَ زِيَادٍ الْحَارِثِيَّ <sup>(١)</sup> أَصَابَتْهُ نُسَابَةٌ - سَهْمٌ - فِي جَبِينِهِ ، فَكَانَتْ تَنْتَقِضُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ عَامٍ - أَيْ : تَتَكَسُّ بَعْدَ بُرْئِهَا - فَاتَاهُ عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ عَائِدًا ، فَقَالَ : كَيْفَ تَجِدُكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؟ قَالَ : أَجِدُنِي لَوْ كَانَ لَا يَذْهَبُ مَا بِي إِلَّا ذَهَابَ بَصْرِي فَدَيْتُهُ بِهَا ؛ قَالَ لَهُ عَلِيٌّ : وَمَا قِيمَةُ بَصْرِكَ عِنْدَكَ ؟ قَالَ : لَوْ كَانَتْ لِي الدُّنْيَا فَدَيْتُهُ بِهَا ؛ قَالَ : لَا جَرَمَ لِيُعْطِيَنَّكَ اللَّهُ عَلَى قَدَرِ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ يَعْطِي عَلَى قَدَرِ الْأَلَمِ وَالْمُصِيبَةِ ، وَعِنْدَهُ بَعْدُ تَضْعِيفٌ كَثِيرٌ . . . وَقَالَ لَهُ الرَّبِيعُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! أَلَا أَشْكُو إِلَيْكَ عَاصِمَ ابْنِ زِيَادٍ <sup>(٢)</sup> ؟ قَالَ : وَمَالُهُ ؟ قَالَ : لَيْسَ الْعَبَاءُ ، وَتَخَلَّى عَنِ الدُّنْيَا <sup>(٣)</sup> ، وَغَمَّ أَهْلُهُ ، وَأَحْزَنَ وَلَدُهُ ؛ فَقَالَ : عَلَيَّ بِهِ <sup>(٤)</sup> ؛ فَلَمَّا أَتَاهُ عَبَسَ - قَطَبَ - فِي وَجْهِهِ ، وَقَالَ : يَا عُدَيَّ <sup>(٥)</sup> نَفْسِهِ ! أَتَرَى اللَّهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَخْذَكَ مِنْهَا ! لَأَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ! أَوْ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْقِيَانِ ۖ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ۚ ﴾ <sup>(٦)</sup> [ سورة الرحمن / الآيتان : ١٩ و ٢٠ ] ثُمَّ قَالَ : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ

(١) الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ هَذَا هُوَ الَّذِي افْتَتَحَ بَعْضَ خُرَاسَانَ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : دُلُونِي عَلَى رَجُلٍ إِذَا كَانَ فِي الْقَوْمِ أَمِيرًا فَكَانَتْهُ لَيْسَ بِأَمِيرٍ ، وَإِذَا كَانَ فِي الْقَوْمِ لَيْسَ بِأَمِيرٍ فَكَانَتْهُ الْأَمِيرُ بِعَيْنِهِ ؛ وَهُوَ صَاحِبُ الْوَفْعَةِ مَعَ عُمَرَ لَمَّا أَحْضَرَ عَمَالَهُ ، فَتَقَشَّفَ لَهُ الرَّبِيعُ وَأَكَلَ مَعَهُ الْخَشِنَ مِنَ الطَّعَامِ ، فَأَقْرَهُ عَلَى عَمَلِهِ وَصَرَفَ الْبَاقِينَ . أَنْظِرِ الْمُجَلَّدَ الْأَوَّلَ مِنْ « الدَّخَائِرِ وَالْعَبَقَرِيَّاتِ » .

(٢) هُوَ أَخُو الرَّبِيعِ .

(٣) الْعَبَاءُ ، جَمْعُ عَبَاةٍ ، وَقَدْ تَلَيَّنَ الْهَمْزَةُ ، فَيُقَالُ : عَبَايَةٌ ؛ يُرِيدُ أَنَّهُ تَقَشَّفَ .

(٤) يُقَالُ : عَلَيَّ بِفُلَانٍ ؛ أَيْ : أَحْضِرْهُ ؛ وَالْأَصْلُ : أَعْجَلْ بِهِ عَلَيَّ ، فَحَذَفَ فِعْلُ الْأَمْرِ وَدَلَّ الْبَاقِي عَلَيْهِ .

(٥) تَضْعِيفٌ عَدُوٌّ ، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ التَّحْقِيقُ ، وَقَدْ يَخْرُجُ مَخْرَجَ التَّحْنُنِ وَالشَّفَقَةِ ، كَقَوْلِكَ : يَا بُنَيَّ !

(٦) الْمَرْجُ : الْخَلْطُ ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ : خَلَطَ الْبَحْرُ الْمِلْحَ وَالْبَحْرُ الْعَذْبَ حَتَّى الْقَتْبَا وَبَيْنَهُمَا حَاجِزٌ =

وَالْمَرْجَاتُ ﴿١﴾ [٥٥ سورة الرحمن/ الآية : ٢٢] وَقَوْلُهُ : ﴿ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيبًا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ [٣٥ سورة فاطر/ الآية : ١٢] أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ أُنْتِذَالَ نِعَمِ اللَّهِ بِالْفِعَالِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أُنْتِذَالِهَا بِالْمَقَالِ <sup>(٢)</sup> ، وَقَدْ سَمِعْتُهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [٩٣ سورة الضحى/ الآية : ١١] وَيَقُولُ : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية : ٣٢] وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَاطَبَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا خَاطَبَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ ، فَقَالَ : ﴿ يَتَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [٢٣ سورة المؤمنون/ الآية : ٥١] وَقَالَ : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية : ١٧٢] ؛ فَقَالَ عَاصِمٌ : فَعَلَامَ اقْتَصَرْتَ أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى لُبْسِ الْخَشَنِ وَآكُلِ الْخَشَنِ <sup>(٣)</sup> ؟ قَالَ : وَيَحْك ! إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَى أَيْمَةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعْفَةِ النَّاسِ كَيْلًا يَتَّبِعَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ .

قَوْلُهُ : أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعْفَةِ النَّاسِ ، يُرِيدُ : أَنْ يَفْتَرِضُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ ضَعْفَةِ النَّاسِ وَفُقَرَائِهِمْ فَيَتَشَبَّهُوا بِهِمْ ، أَيْ : أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْإِمَامِ الْعَادِلِ أَنْ يُشَبَّهَ نَفْسُهُ فِي لِبَاسِهِ وَطَعَامِهِ بِضَعْفَةِ النَّاسِ لِكَيْلَا يَهْلِكَ الْفُقَرَاءُ ، فَإِنَّهُمْ إِذَا رَأَوْا

= مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ لَا يَتَّبِعِي أَحَدَهُمَا عَلَى الْآخِرِ بِالْمُتَمَارَاجَةِ .

(١) قَالَ ﴿ مِنْهَا ﴾ مَعَ أَنَّ اللَّوْزُ وَالْمَرْجَانُ لَا يُخْرَجَانِ إِلَّا مِنَ الْبَحْرِ الْمَلِحِ ، لِأَنَّهُمَا لَمَّا اتَّقَيَا وَصَارَا كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ جَارَ ذَلِكَ ، وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : خَرَجْتُ مِنَ الْبَلَدِ ، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ مِنْ مَحَلَّةٍ مِنْ مَحَالِهِ ، بَلْ مِنْ دَارٍ وَاحِدَةٍ مِنْ دُورِهِ .

(٢) أَظُنُّهُ يُرِيدُ بِهَذِهِ الْبَيَانَةِ أَنَّ التَّمَتُّعَ بِنِعَمِ اللَّهِ وَطَيِّبَاتِهِ الَّتِي أَعْطَانَا إِيَّاهَا ، بِالْفِعْلِ أَحَبُّ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ مِنْ التَّمَتُّعِ بِهَا بِالْقَوْلِ ، فَكَأَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [٩٣ سورة الضحى/ الآية : ١١] أَيْ : أَظْهَرُهَا بِالتَّمَتُّعِ بِهَا ؛ وَهَذَا هُوَ مَا أَوْرَدْنَاهُ بِحَدِيثِ الْأَضْمَعِيِّ بَعْدَ ذَلِكَ .

(٣) طَعَامُ خَشَنِ : غَلِيطٌ ، أَوْ لَا إِدَامَ مَعَهُ .

أَمَّا هُمْ بِتِلْكَ الْهَيْئَةِ وَبِذَلِكَ الْمَطْعَمِ كَانَ أَدْعَى لَهُمْ إِلَى سُلُوفِ لَذَاتِ الدُّنْيَا  
وَالصَّبْرِ عَنْ شَهَوَاتِ النُّفُوسِ ، فَقَوْلُهُ : « يَبْتَغِ » هُوَ مِنْ تَبَغَّ الدَّمُ بِصَاحِبِهِ ؛  
أَيُّ : هَاجَ بِهِ ؛ وَفِي الْحَدِيثِ : « عَلَيْكُمْ بِالْحَجَامَةِ لَا يَتَّبِعُ بِأَحَدِكُمْ الدَّمُ فَيَقْتُلُهُ »  
[الترمذي ، رقم : ٢٠٥١ ؛ ابن ماجه ، رقم : ٣٤٨٦] أَي : لَا يَتَّبِعُ .

\* \* \*

٥٦٧ - وَأَرَادَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى بْنُ خَالِدِ بْنِ بَزْمَكٍ يَوْمًا حَاجَةً ، كَانَ طَرِيقُهُ  
إِلَيْهَا عَلَى بَابِ الْأَصْمَعِيِّ ، فَدَفَعَ إِلَى خَادِمٍ كَيْسًا فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ ، وَقَالَ : إِنِّي  
سَأَنْزِلُ فِي رَجْعَتِي إِلَى الْأَصْمَعِيِّ ، وَسَيُحَدِّثُنِي وَيُضْحِكُنِي ، فَإِذَا ضَحِكْتُ  
فَضَعَ الْكَيْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَلَمَّا رَجَعَ وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَأَى حُبًّا<sup>(١)</sup> مَكْسُورَ الرَّأْسِ ،  
وَجَرَّةً مَكْسُورَةَ الْعُنُقِ ، وَقِصْعَةً مُشَعَّةً ، وَجَفْنَةً أَغْشَارًا ؛ وَرَأَاهُ عَلَى مُصَلًى بِالِ  
وَعَلَيْهِ بَرَّكَانُ<sup>(٢)</sup> أَجْرَدُ ، فَغَمَزَ غُلَامَهُ أَلَّا يَضَعَ الْكَيْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَمْ يَدْعِ  
الْأَصْمَعِيَّ شَيْئًا مِمَّا يُضْحِكُ الثُّكْلَانَ إِلَّا أَوْرَدَهُ عَلَيْهِ ، فَمَا تَبَسَّمَ وَخَرَجَ ، فَقَالَ  
لِرَجُلٍ كَانَ يُسَافِرُهُ : « مَنْ أَسْتَرْعَى الذُّثْبَ ظَلَمَ » [قَوْلُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ] وَمَنْ زَرَعَ  
سَبْحَةَ حَصَدَ الْفَقْرَ ، فَإِنِّي وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا يَكْتُمُ الْمَعْرُوفَ بِالْفِعْلِ لَمَّا  
حَفَلْتُ نَشْرَهُ بِاللِّسَانِ ، وَأَيْنَ يَقَعُ مَذْحُ اللِّسَانِ مِنْ مَذْحِ آثَارِ الْغِنَى ، لِأَنَّ اللِّسَانَ  
قَدْ يَكْذِبُ وَالْحَالُ لَا تَكْذِبُ ، وَاللَّهُ دَرُّ نَصِيبٍ حَيْثُ يَقُولُ [مِنْ الطَّوِيلِ] :  
فَعَاجُوا فَأَتُونَا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكُنُوا أَثْنْتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ<sup>(٣)</sup>

(١) الْحُبُّ : الْحَايِيَّةُ ، فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ .

(٢) كِسَاءٌ أَسْوَدٌ .

(٣) فَعَاجُوا : عَطَفُوا إِلَيْهِمْ عَلَيْهِ .

ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَعْلِمْتَ أَنَّ نَاوُوسَ أَبْرَوَيْزَ أَمْدَحُ لِأَبْرَوَيْزَ مِنْ شِعْرِ زَهِيرٍ لَالٍ  
سَنَانٍ ؟

٥٦٨ - وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ عَلَى زُهْدِهِ يَلْبَسُ ثَوْبًا بِأَرْبَعِ مِئَةِ دِرْهَمٍ ،  
وَفَرَقَدُ السَّبَخِيُّ الصُّوفِيُّ يَلْبَسُ الْمُسُوحَ ، فَلَقِيَهُ الْحَسَنُ ، فَقَالَ لَهُ فَرَقَدُ :  
يَا أَبَا سَعِيدٍ ! مَا أَلَيْنَ ثَوْبَكَ ! فَقَالَ الْحَسَنُ : يَا فَرِيقَدُ ! لَيْسَ لِي ثِيَابِي  
يُبَاعِدُنِي مِنَ اللَّهِ ، وَلَا خُشُونَتُهَا تُقَرِّبُكَ مِنْهُ ، «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»  
[مسلم ، رقم : ٩١] .

٥٦٩ - وَجَاءَ سَيَّارُ أَبُو الْحَكَمِ إِلَى مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ فِي ثِيَابٍ اشْتَهَرَهَا  
مَالِكٌ - شَنَّعَ بِهَا - فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ : مَا هَذِهِ الشُّهْرَةُ ؟ فَقَالَ لَهُ سَيَّارُ : أَتَضَعُنِي  
عِنْدَكَ أَمْ تَرْفَعُنِي ؟ قَالَ : بَلْ تَضَعُكَ ؛ قَالَ : أَرَاكَ تَنْهَانِي عَنِ التَّوَاضُعِ ! فَنَزَلَ  
مَالِكٌ وَقَعَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ .

\* \* \*

٥٧٠ - وَقَالُوا : لِكُلِّ شَيْءٍ رَاحَةٌ ، فَرَاحَةُ الْبَيْتِ كَنْسُهُ ، وَرَاحَةُ الثَّوْبِ  
طَيُّهُ .

٥٧١ - وَقَالُوا : يَقُولُ الثَّوْبُ : أَطُونِي أُجَمِّلُكَ ؛ وَيَقُولُ أَيْضًا : أَكْرِمْنِي  
دَاخِلًا أَكْرِمَكَ خَارِجًا .

٥٧٢ - وَقَالَ رَجُلٌ يَهْجُو رَجُلًا بِرَثَاةٍ الْحَالِ [من المشرح] :

يَأْتِيكَ فِي جُبَّةٍ مُخَرَّقَةٍ      أَطْوَالُ أَعْمَارٍ مِثْلَهَا يَوْمُ  
وَطَيْلَسَانٍ كَالَالِ يَلْبَسُهُ      عَلَى قِمِصٍ كَأَنَّهُ غُلْمٌ

\* \* \*

مَنْ سَاءَ لُبُّهُ وَحَسَنَتْ نَفْسُهُ :

٥٧٣ - وَيَعُدُّ ، فَقَوَامُ التَّجْمُلِ بِالثِّيَابِ أَنْ لَا يَكُونَ هُنَاكَ إِسْرَافٌ وَلَا كِبْرِيَاءٌ ، وَأَنْ تَكُونَ الثِّيَابُ نَظِيفَةً ، وَمِنْ هُنَا نَرَى كَثِيرًا مِنَ الْعُقَلَاءِ مَنْ لَا يَأْبَهُ لِلثِّيَابِ ، فَتَرَاهُمْ يَلْبَسُونَ الثِّيَابَ الْخَشِيشَةَ وَالْمَرْقَعَاتِ ، وَلَكِنْ مَعَ مُرَاعَاةِ النَّظَافَةِ .

٥٧٤ - قَالَ أَبُو عَبَّاسٍ : رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَإِزَارُهُ مَرْقُوعٌ بِأَدَمٍ - جِلْدٍ - وَكَانَ لَهُ - لِعُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَمِيصٌ قِيمَتُهُ أَرْبَعَةُ دَرَاهِمٍ ؛ وَقَالَ : إِنِّي أَخْشَى أَنْ أَسْأَلَ عَنْ لَبِئِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ! فَبَكَى سَالِمٌ غَلَامُهُ ، وَقَالَ لَهُ : رَأَيْتَكَ قَبْلَ الْخِلَافَةِ لَيْسْتَ ثَوْبًا بِأَرْبَعِينَ دِينَارًا ، فَاسْتَخَسَنَتْهُ ! ، فَقَالَ : يَا سَالِمُ ! إِنِّي كُنْتُ لَمْ أَنْلِ شَيْئًا إِلَّا طَلَبْتُ مَا فَوْقَهُ ، فَلَمَّا نِلْتُ الْخِلَافَةَ عَلِمْتُ أَنْ لَيْسَ فَوْقَهَا إِلَّا الْجَنَّةُ ، فَدَعْنِي أَطْلُبَهَا .



٥٧٥ - وَدَخَلَ الْعَالَمُ النَّسَابَةُ النَّخَارُ الْعُذْرِي عَلَى مُعَاوِيَةَ فِي عَبَاءَةٍ لَهُ ، فَاخْتَقَرَهُ ، فَرَأَى ذَلِكَ النَّخَارُ فِي وَجْهِهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! لَيْسَتْ أَلْعَبَاءَةُ تُكَلِّمُكَ ، إِنَّمَا يُكَلِّمُكَ مَنْ فِيهَا ؛ ثُمَّ تَكَلَّمَ ، فَمَلَأَ سَمْعَهُ ، ثُمَّ نَهَضَ وَلَمْ يَسْأَلْهُ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَحَقَرَ أَوْلَا وَلَا أَجَلَ آخِرًا مِنْهُ .

٥٧٦ - وَدَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْطُبِيُّ - مِنَ التَّابِعِينَ ، وَمِنْ أَفَاضِلِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عِلْمًا وَفَقْهًا - عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي ثِيَابٍ رَثَّةٍ ، فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : مَا يَحْمِلُكَ عَلَى لُبْسِ مِثْلِ هَذِهِ الثِّيَابِ ؟ فَقَالَ : أَكْرَهُ أَنْ أَقُولَ أَلْزُهْدَ

فَأُطْرِي نَفْسِي<sup>(١)</sup> ، أَوْ أَقُولُ الْفَقْرَ فَأَشْكُو رَبِّي .

٥٧٧ - وَدَخَلَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي ثِيَابٍ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ تُخَالِفُهَا ، فَقَالَ لَهُ هِشَامُ : كَأَنَّ الْعِمَامَةَ لَيْسَتْ مِنَ الثِّيَابِ ؟ قَالَ : إِنَّهَا مُسْتَعَارَةٌ ! فَقَالَ لَهُ : كَمْ سِنَّكَ ؟ قَالَ : سِتُّونَ سَنَةً ؛ مَا رَأَيْتُ أَبْنَ سِتِّينَ أَبْقَى كَذَنَةً مِنْكَ ! - الْكَذَنَةُ : كَثْرَةُ الشَّحْمِ وَاللَّحْمِ أَوْ السَّمَنِ وَالْأَمْتِلَاءِ - مَا طَعَامُكَ ؟ قَالَ : الْخُبْزُ وَالزَّيْتُ ؛ قَالَ : أَمَا تَأْجُمُهُمَا ؟ - أَيُّ : مَا تَكْرَهُهُمَا - قَالَ : إِذَا أَجْمَعْتُهُمَا تَرَكْتُهُمَا حَتَّى أَشْتَهِيَهُمَا ؛ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَقَدْ صُدِعَ ، فَقَالَ سَالِمُ : أَتُرُونَ الْأَحْوَلَ قَدْ لَقَعَنِي<sup>(٢)</sup> بِعَيْنِهِ ؟ فَمَاتَ مِنْ تِلْكَ الْعِلَّةِ .

\* \* \*

٥٧٨ - وَنَظَرَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَلَى بَغْلَةٍ قَدْ شَمِطَ وَجْهَهَا هَرَمًا<sup>(٣)</sup> ، فَقِيلَ لَهُ : أَتَرْكُبُ هَذِهِ وَأَنْتَ عَلَى أَكْرَمِ نَاحِرَةٍ بِمِضْرٍ<sup>(٤)</sup> ؟ فَقَالَ : لَا مَلَلٌ عِنْدِي لِدَابَّتِي مَا حَمَلَتْ رِجْلِي ، وَلَا لِأَمْرَأَتِي مَا أَحْسَنْتَ عِشْرَتِي ، وَلَا لِثُوبِي مَا سَتَرَ عَوْرَتِي ، وَلَا لِصَدِيقِي مَا حَفِظَ سِرِّي ، إِنَّ الْمَلَلَ مِنْ كَوَادِبِ الْأَخْلَاقِ .

\* \* \*

(١) فَأُطْرِي مِنَ الْإِطْرَاءِ ، وَهُوَ مَجَاوِزَةُ الْحَدِّ فِي الْمَدْحِ .  
(٢) لَقَعَهُ : أَصَابَهُ بِعَيْنِهِ كَمَا يُصِيبُ الْعَائِنُ الْمُعِينَ ، وَمِثْلُهُ : زَلَقَهُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ ﴾ [٦٨ سورة القلم/ الآية : ٥١] [وَالْأَحْوَلُ هُنَا : هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ] .

(٣) شَمِطَ وَجْهَهَا : أَبْيَضَ وَجْهَهَا ، وَذَلِكَ كِنَايَةً عَنْ ضَعْفِهَا .  
(٤) نَاحِرَةٌ ، مِنَ النَّخْرِ ، وَهُوَ : صَوْتُ يَمُدُّ فِي خِيَاشِيمِ الْأَنْفِ ، يُرِيدُ : وَأَنْتَ وَالِ عَلَى مِضْرٍ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَعْنَاهُ : وَأَنْتَ لَكَ أَكْرَمُ نَاحِرَةٍ ، وَهِيَ : الْخَيْلُ .

٥٧٩ - وَقَالَ أَبُو هَفَّانَ ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَرْبِ الْمِهْزَمِيِّ  
الْعَبْدِيُّ ، رَاوِيَةٌ عَالِمٌ بِالشَّعْرِ وَالْغَرِيبِ ، شِعْرُهُ جَيِّدٌ إِلَّا أَنَّهُ مُقِلٌّ ، وَهُوَ مِنْ  
شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأَهَاشِمِيَّةِ [من البسيط] :

تَعَجَّبْتُ دُرٌّ مِنْ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا      لَا تَعْجَبِي قَدْ يَلُوحُ الْفَجْرُ فِي السَّدَفِ  
وَزَادَهَا عَجَبًا أَنْ رُحْتُ فِي سَمَلٍ      وَمَا دَرْتُ دُرٌّ أَنَّ الدَّرَّ فِي الصَّدَفِ  
٥٨٠ - وَقَالَ أَيْضًا [من الطويل] :

لَعَمْرِي لَيْتَنِي بَيْعْتُ فِي دَارِ غُرْبَةٍ      ثِيَابِي أَنْ ضَاقَتْ عَلَيَّ الْمَاكِلُ  
فَمَا أَنَا إِلَّا السَّيْفُ يَأْكُلُ جَفْنَهُ      لَهُ حَلِيَّةٌ مِنْ نَفْسِهِ وَهُوَ عَاطِلُ  
٥٨١ - وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ [من مجزوء الكامل] :

لَيْسَ الْجَمَّالُ بِمُزْرٍ      فَأَعْلَمَ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدًا  
إِنَّ الْجَمَّالَ مَعَادِنٌ      وَمَتَّاقِبٌ أَوْرُثَنَ مَجْدًا  
فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مِمَّنْ لَا يُبَالُونَ أَلْمَلِيسَ وَجَمَالَهَا ، وَإِنَّمَا يَرُونَ التَّجْمُلَ مِنْ  
شِنْشَنَةِ النِّسَاءِ وَالصُّغَارِ ، وَإِنَّمَا يَنْتَدُونَ بِجَمَالِ الْفُفُوسِ وَبَعْدَ هِمَمِهَا .

٥٨٢ - قَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ لِلْعَتَّابِيِّ فِي لِبَاسِهِ - وَكَانَ لَا يُبَالِي  
مَا لَبَسَ - : يَا أَبَا عَلِيٍّ ! أَخْزَى اللَّهُ أَمْرَءَ أَرْضِي أَنْ يَرْفَعَهُ هَيْئَتَاهُ : جَمَالُهُ وَمَالُهُ ،  
فَإِنَّمَا ذَلِكَ حَظُّ الْأَذْنِيَاءِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، لَا وَاللَّهِ حَتَّى يَرْفَعَهُ أَكْبَرَاهُ : هِمَّتُهُ  
وَنَفْسُهُ ، وَأَصْغَرَاهُ : قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ .

قَوْلُهُ : وَأَصْغَرَاهُ : قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ ، مَعْنَاهُ : إِنَّ أَلْمَرْءَ إِنَّمَا يَغْلُو الْأُمُورَ  
وَيَضْبِطُهَا بِجَنَانِهِ وَلِسَانِهِ .

٥٨٣ - وَقَالَ زُهَيْرُ ابْنِ أَبِي سُلَيْمٍ [من الطويل] :



لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ، فَوَادُّهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ  
وَكَائِنُ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ  
٥٨٤ - وَبَعْدُ ؛ فَإِنَّ رِفْعَةَ النَّفْسِ وَعُلُوَّ قَدْرِهَا لَا يُبَيِّنُ التَّجَمُّلَ وَالْعِنَايَةَ  
بِالْمَلَابِسِ ، وَإِنَّمَا الْمَعِيبُ أَنْ يَكُونَ وَكَذَلِكَ التَّجَمُّلُ وَالْإِهْتِمَامُ بِالْمَظْهَرِ  
وَلَا يَغْنِيكَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ جَمِيلَ الْمَخْبَرِ .

٥٨٥ - وَقَالُوا : أَلَيْسَ الْبَيَاضُ وَالسَّوَادُ ، فَإِنَّ الدَّهْرَ هَكَذَا : بَيَاضُ نَهَارٍ  
وَسَوَادُ لَيْلٍ .

٥٨٦ - وَمِمَّا قِيلَ فِي السَّوَادِ قَوْلُ قَيْسِ بْنِ الْأَسَلَتِ [من الوافر] :

رَأَيْتُكَ فِي السَّوَادِ فَقُلْتُ بَذْرٌ      بَدَأَ مِنْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ  
وَأَلْقَيْتِ السَّوَادَ فَقُلْتُ شَمْسٌ      مَحَتْ بِشُعَائِهَا ضَوْءَ النُّجُومِ

\* \* \*

٥٨٧ - وَقَدِمَ أَحَدُ التُّجَّارِ إِلَى الْمَدِينَةِ يَحْمِلُ مِنْ خُمْرِ الْعِرَاقِ <sup>(١)</sup> ، فَبَاعَ  
جَمِيعَ مَا قَدِمَ بِهِ إِلَّا السُّودَ فَلَمْ تَنْفَقْ <sup>(٢)</sup> ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الدَّارِمِيِّ <sup>(٣)</sup> الشَّاعِرِ  
الظَّرِيفِ - وَكَانَ فِي أَيَّامِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ - ، وَكَانَ قَدْ تَنَسَّكَ وَتَعَبَّدَ ، فَعَمِلَ  
بَيْنَيْنِ وَأَمَرَ مَنْ يُغْنِي بِهِمَا فِي الْمَدِينَةِ ، وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ هُمَا [من الكامل] :

قُلْ لِلْمَلِيحَةِ فِي الْخِمَارِ الْأَسْوَدِ      مَاذَا صَنَعْتَ بِزَاهِدٍ مُتَعَبِّدٍ  
قَدْ كَانَ شَمَّرَ لِلصَّلَاةِ يَبَابَهُ      حَتَّى وَقَفْتَ لَهُ بِبَابِ الْمَسْجِدِ

(١) الْخُمْرُ ، جَمْعُ خِمَارٍ ، وَهُوَ : مَا تُغْطِي بِهِ الْمَرْأَةُ رَأْسَهَا .

(٢) نَفَقَتِ السَّلْعَةُ نِفَاقًا : رَاجَتْ وَرَغِبَ فِيهَا .

(٣) أَنْظَرَ أَخْبَارَ الدَّارِمِيِّ فِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنْ « الْأَغَانِي » .

فَشَاعَ الْخَبَرُ فِي الْمَدِينَةِ أَنَّ الدَّارِمِيَّ قَدْ رَجَعَ عَنْ زُهْدِهِ وَتَعَشَّقَ صَاحِبَةَ  
الْخِمَارِ الْأَسْوَدَ ، فَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَدِينَةِ مَلِيحَةٌ إِلَّا أَشْتَرَتْ لَهَا خِمَاراً أَسْوَدَ ، فَلَمَّا  
أَنْفَدَ التَّاجِرُ مَا مَعَهُ رَجَعَ الدَّارِمِيُّ إِلَى تَعَبُّدِهِ وَعَمَدَ إِلَى ثِيَابِ نُسْكِهِ فَلَبِسَهَا وَلَزِمَ  
الْمَسْجِدَ .

\* \* \*

٥٨٨ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي لَابِسَةِ الْأَخْمَرِ [من الوافر] :

وَشَمْسٍ مِنْ قَضِيبٍ فِي كَيْسٍ      تَبَدَّتْ فِي لِبَاسٍ جُلْنَارِيٍّ<sup>(١)</sup>  
سَقَتْنِي رِيْقَهَا صِرْفاً وَحَيْثُ      بِوَجْنَتِهَا فَهَاجَتْ جُلٌّ نَارِي

٥٨٩ - وَقَالَ آخَرُ فِي لَابِسَةِ ثَوْبٍ خَمْرِيٍّ [من السريع] :

فِي ثَوْبِهَا الْخَمْرِيَّ قَدْ أَقْبَلْتُ      بِوَجْنَةٍ حَمْرَاءَ كَالْجَمْرِ  
فَمِلْتُ سُكْرًا حِينَ أَبْصَرْتُهَا      لَا تُتَكِرُوا سُكْرِي مِنْ الْخَمْرِ

٥٩٠ - وَسُئِلَ بَعْضُ الْعَرَبِ عَنِ الثِّيَابِ ؟ فَقَالَ : الْأَصْفَرُ أَشْكَلُ ، وَالْخُمْرُ  
أَجْمَلُ ، وَالْخَضِرُ أَقْبَلُ ، وَالْأَسْوَدُ أَهْوَى ، وَالْبَيْضُ أَفْضَلُ .

٥٩١ - وَقَالَ أَفْلَاطُونُ : الصَّنِيعُ الشَّقَائِقِيُّ وَالرَّوَائِحُ الزَّعْفَرَانِيَّةُ تُسَكِّنُ  
الْغَضَبَ ، وَالصَّنِيعُ الْيَاقُوتِيُّ وَالرَّوَائِحُ الْوَرْدِيَّةُ تُحَرِّكُ الشَّرَّورَ .

\* \* \*

دَمٌ مَنْ حَسَنَ لِبَاسُهُ وَلَوْ مِمَّا فَعَلُهُ :

٥٩٢ - نَظَرَ أَرِسْطُو إِلَى رَجُلٍ حَسَنِ اللَّبَاسِ سَيِّءِ الْكَلَامِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا

رَجُلٌ ! تَكَلَّمَ عَلَى قَدَرٍ لِبَاسِكَ أَوْ أَلْبَسَ عَلَى قَدَرٍ كَلَامِكَ .

٥٩٣ - وَقَالُوا : فَلَانُ ثِيَابُهُ تَرْفَعُهُ ، وَنَفْسُهُ تَضَعُهُ .

٥٩٤ - وَقَالُوا : ثَوْبٌ نَظِيفٌ وَرُوحٌ سَخِيفٌ .

٥٩٥ - وَقَالَ الْمُتَنَبِّيُّ [من البسيط] :

لَا يُعْجِبُنَّ مَضِيماً حُسْنَ بَزَّتِهِ      وَهَلْ يَرُوقُ دَفِيناً جَوْدُهُ أَلْكَفَنِ  
الْمَضِيْمُ : الْمَظْلُومُ : وَالْبِزَّةُ : اللَّبَاسُ .

٥٩٦ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ [من الوافر] :

أَرَأَيْ حُلّاً تُصَانُ عَلَى رِجَالٍ      وَأَعْرَاضاً تُذَالُ وَلَا تُصَانُ  
٥٩٧ - وَقَالَ آخَرُ [من الكامل] :

فَتَرَى خَسِيسَ الْقَوْمِ يَتْرُكُ عِرْضَهُ      دَنِساً وَيَمْسَحُ نَعْلَهُ وَشِرَاكَهَا  
٥٩٨ - وَقَالَ غَيْرُهُ :

أَسْتَجِيدُوا الثِّيَابَ ، إِنَّ حِمَارَ السَّوَى تُخْفِي عُيُوبُهُ بِالْجِلَالِ .  
الْجِلَالُ ، جَمْعُ جُلٍّ ، وَهُوَ : الَّذِي تَلْبَسُهُ الدَّابَّةُ لِتُصَانُ بِهِ .

\* \* \*

حَضُّهُمْ عَلَى التَّطَيُّبِ :

٥٩٩ - ذَكَرَ لِبَعْضِ عُقَلَاءِ الْمُتَصَوِّفَةِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَقَشَّفُونَ ، فَقَالَ :  
مَا عَلِمْتُ أَنَّ الْقَدَرَ مِنَ الدِّينِ .

٦٠٠ - وَفِي الْحَدِيثِ : « حُبَّ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءُ وَالطَّيِّبُ » . [« النسائي » ،

٦٠١ - وَفِيهِ : « خَيْرُ طِيبِ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ <sup>(١)</sup> » ، وَخَيْرُ

طِيبِ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ » . [الترمذي ، رقم ٢٧٨٧ ؛ النسائي ، رقم : ٥١١٧

و ٥١١٨ ؛ أبو داود ، رقم : ٢١٧٤] .

٦٠٢ - وَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ [لِيزِيدَ ابْنِ الطَّرِيقَةِ ، من الكامل] :

خَوْدٌ يَكُونُ بِهَا الْقَلِيلُ تَمَسُّهُ مِنْ طِيْبِهَا عِبْقًا يَطِيبُ وَيَكْثُرُ  
شَكَرَ الْكَرَامَةَ جِلْدُهَا فَصَفَا لَهَا إِنَّ الْقَبِيحَةَ جِلْدُهَا لَا يَشْكُرُ

٦٠٣ - وَقَالَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ يَمْدَحُ قَوْمًا [من البسيط] :

الْمُطْعِمُونَ إِذَا مَا أَزْمَةُ أَزَمَتْ وَالطَّيِّبُونَ ثِيَابًا كُلَّمَا عَرِفُوا

٦٠٤ - وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ [من المتقارب] :

وَأَنْتِ إِذَا مَا وَطِئْتَ الثُّرَا بَ صَارَ ثُرَابُكَ لِلنَّاسِ طِيْبًا

٦٠٥ - وَقَالَ أَبُو الرُّبَيْسِ [عَبَادُ بْنُ طَهْمَةَ أَوْ طَهْمَةَ الثُّغَلِيَّ] ، شَاعِرُ أُمَوِيٍّ ،

يَمْدَحُ أَسْلِمَ بْنَ الْأَخْنَفِ الْأَسَدِيَّ [من الطويل] :

أَلَا أَيُّهَا الرُّكْبُ الْمُخِثُونَ هَلْ لَكُمْ بِسَيِّدِ أَهْلِ الشَّامِ تُحِبُّوْا وَتَرْجِعُوْا

مِنَ الثَّنْفَرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ إِذَا أُعْتَزَلُوا وَهَابَ الرِّجَالُ حَلَقَةَ الْبَابِ قَعَقَعُوا

جَلَا الْمِسْكُ وَالْحَمَامُ وَالْبَيْضُ كَالْدُمَى وَفَرَقُ الْمَدَارِي رَأْسُهُ فَهُوَ أَنْزَعُ

الْمُخِثُونَ : الَّذِينَ تَحُبُّ بِهِمْ دَوَائِبُهُمْ ، مِنَ الْخَبَبِ ، وَهُوَ : السَّرْعَةُ ؛

وَتُحِبُّوْا ، فِعْلٌ مَجْهُولٌ ، كَحَبَا الرَّجُلُ يَحْبُوهُ حَبْوًا : أَعْطَاهُ ، وَالْأَسْمُ :

الْحَبَاءُ ؛ وَالْبَيْضُ ، لَا يُرِيدُ بَيْضَ الْأَلْوَانِ ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ نَقَاءَ الْأَعْرَاضِ مِنَ الدَّنَسِ

وَالْعُيُوبِ ، وَإِذَا أُعْتَزَلُوا : إِذَا اُنْتَسَبُوا ؛ وَقَعَقَعُوا ، أَيُّ : قَعَقَعُوا حَلَقَةَ الْبَابِ ،

(١) مَا ظَهَرَ رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ ، كَالْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ وَالْعُودِ ، وَأَمَّا الْعَكْسُ ، فَكَالزَّعْفَرَانِ .

مِنَ الْقَعْقَعَةِ ، مَضْدَرٌ قَعَقَعَ الشَّيْءَ إِذَا حَرَّكَهُ فَسَمِعَ لَهُ صَوْتُ ؛ يَصِفُ الْمَمْدُوحَ بِأَنَّهُ مِنَ الْقَوْمِ الْكِرَامِ الَّذِينَ يَقْدُمُونَ عَلَى الْمُلُوكِ بِشَرَفِ أَحْسَابِهِمْ وَكَرَمِ أَنْسَابِهِمْ وَلَا يَهَابُونَ قَعْقَعَةَ أَبْوَابِهِمْ كَاللَّثَامِ الَّذِينَ خَمَلْ ذِكْرُهُمْ وَقَصُرَتْ هِمَمُهُمْ ؛ قَالَ الْمُبَرِّدُ [«الكامل» صفحة : ٢٣٦] : يُخْبِرُ بِجَلَالَتِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ بِأَقْدَارِهِمْ وَثِقَتِهِمْ بِأَنَّ مِثْلَهُمْ لَا يُرَدُّ ، وَقَدْ قَالَ جَرِيرٌ لِلتَّمِيمِ خِلَافَ هَذَا ، وَهُوَ قَوْلُهُ [من الكامل] :

قَوْمٌ إِذَا حَضَرَ الْمُلُوكَ وَفُودُهُمْ نَفَتْ سَوَارِبُهُمْ عَلَى الْأَبْوَابِ  
وَجَلَا : كَشَفَ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : جَلَا الْأَمْرُ : كَشَفَهُ ؛ وَالذُّمَى ، جَمْعُ ذُمِيهِ ،  
وَهِيَ : الصُّورَةُ الْمُصَوَّرَةُ الَّتِي يُبَالِغُ فِي تَحْسِينِهَا ، تُشَبِّهُ النِّسَاءَ الْبَيْضُ بِهَا ؛  
وَالْمَدَارِي ، جَمْعُ مَذْرَاءَ ، يُرِيدُ الْمَشْطَ أَوْ شَيْئًا شَبِيهًا بِالْمَشْطِ ؛ وَأَنْزَعُ ، مِنْ  
الْتَزَعِ بِالتَّخْرِيكِ ، وَهُوَ : أَنْحَسَارُ الشَّعْرِ مِنْ أَعْلَى الْجَبِينِ .

٦٠٦ - وَقَالَ الشَّعْبِيُّ : الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ تَزِيدُ فِي الْعَقْلِ .

٦٠٧ - وَقَالَ آخَرُ : مَنْ طَابَ رِيحُهُ زَادَ عَقْلُهُ ، وَمَنْ نَظَفَ ثَوْبُهُ قَلَّ هَمُّهُ .

٦٠٨ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِ الْبُخُورِ [من الرافع] :

بُخُورٌ مِثْلُ أَنْفَاسِ الْحَيِّبِ وَطِيبٌ قَدْ أَخْلَ بِكُلِّ طِيبٍ  
يَظِلُّ الذَّنْبُ يَسْتُرُهُ وَلَكِنْ تَنَمُّ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الْجُنُوبِ  
إِذَا شَمَّ أَنْفٌ حَنَّ قَلْبٌ كَأَنَّ الْأَنْفَ جَاسُوسُ الْقُلُوبِ

٦٠٩ - وَقَدْ تَمَدَّحُوا بِطِيبِ عَرْفِ النِّسَاءِ وَأَشَادُوا بِهِ .

٦١٠ - قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ [من الطويل] :

أَلَمْ تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طِيئًا وَإِنْ لَمْ تَطْيَبِ

٦١١ - وَقَالَ آخَرُ [من الطويل] :

أَتَاهَا بِعِطْرِ أَهْلُهَا فَتَضَاحَكَتْ      وَقَالَتْ : وَهَلْ يَحْتَاجُ عِطْرٌ إِلَى عِطْرِ

٦١٢ - وَقَالَ الْأَعَشِيُّ [من البسيط] :

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ مُعْشَبَةٌ      خَضِرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطْلٌ

يُضَاحِكُ الشَّمْسَ مِنْهَا كَوَكَبٌ شَرِقٌ      مُؤَرَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهَلٌ<sup>(١)</sup>

يَوْمًا بِأَطْيَبِ مِنْهَا نَشْرُ رَائِحَةٍ      وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا الْأَصْلُ<sup>(٢)</sup>

٦١٣ - وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ [من الطويل] :

ذَكَرْتُكَ بِالرِّيْحَانِ لَمَّا شَمِمْتُهُ      وَبِالرَّاحِ لَمَّا قَابَلْتُ أَوْجُهُ الشُّرْبِ

تَذَكَّرْتُ بِالرِّيْحَانِ مِنْكَ رَوَائِحًا      وَبِالرَّاحِ طَعْمًا مِنْ مُقْبَلِكِ الْعَذْبِ

٦١٤ - وَقَالَ سُهَيْمُ بْنُ وَتِيلِ الرِّيَاحِيِّ [من الطويل] :

فَمَا زَالَ بُرْدِي طَيِّبًا مِنْ ثِيَابِهَا      إِلَى الْحَوْلِ ، حَتَّى أَنْهَجَ الْبُرْدُ بِالْيَا<sup>(٣)</sup>

٦١٥ - وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ [من الخفيف] :

وَجَدَ النَّاسُ سَاطِعَ الْمِسْكِ مِنْ دِجِ      لَمَّةٍ قَدْ أَوْسَعَ الْمَشَارِعَ طَيِّبَا

فَهُمْ يُنْكِرُونَ ذَاكَ وَمَا يَدُ      رُونَ أَنْ قَدْ حَلَلَتْ مِنْهَا قَرِيبَا

٦١٦ - وَقَالَ آخَرُ [من السريع] :

جَارِيَةٌ أَطْيَبُ مِنْ طِيْهِهَا      وَالطَّيْبُ فِيهِ الْمِسْكُ وَالْعَنْبَرُ

(١) كَوَكَبٌ ، هُوَ : مُعْظَمُ النَّبَاتِ ، وَعَنْ بَعْضِهِمْ : الْكَوَكَبُ مِنَ كَوَاكِبِ السَّمَاءِ مَعْرُوفٌ ، وَيُسَبَّغُ بِهِ النَّوْرُ ؛ وَشَرِقٌ - يَكْسِرُ الرِّاءَ - : رَيَّانٌ مُتَمَلِّئٌ مَاءً ؛ وَمُضَاحَكَتُهُ لِلشَّمْسِ كِنَايَةٌ عَنْ حُسْنِهِ وَنَضْرَتِهِ ؛ وَمُؤَرَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ ، يَعْنِي أَنَّهُ كَالْإِزَارِ لَهُ ؛ وَمُكْتَهَلٌ ، مِنْ أَكْتَهَلَ النَّبْتُ : تَمَّ طَوْلُهُ وَظَهَرَ نَوْرُهُ .

(٢) الْأَصْلُ : جَمْعُ أَصِيلٍ ، وَهُوَ : الْأَعَشِيُّ .

(٣) أَنْهَجَ النَّوْبُ : بَلِيَ ، أَوْ أَخَذَ فِي الْبَلَاءِ .

وَوَجْهَهَا أَحْسَنُ مِنْ حَلِيهَا وَالْحَلِي فِيهِ الدُّرُّ وَالْجَوْهَرُ

٦١٧ - وَقَالَ آخَرُ [وَهُوَ مَجْنُونٌ لَيْلَى قَيْسُ بْنُ الْمُلُوحِ ، من الطويل] :

أَرَى كُلَّ أَرْضٍ دُسَّتْ فِيهَا وَإِنْ مَضَتْ لَهَا حَجَجٌ يَزْدَادُ طَيِّباً تُرَابُهَا<sup>(١)</sup>

٦١٨ - وَأَوَّلُ مَنْ وَصَفَ طَيْبَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي وَطَّئَهَا الْمَحْبُوبُ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ

عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيُّ التَّمِيمِيُّ فِي أَبْيَاتِهِ فِي زَيْنَبِ بِنْتِ يُوسُفَ أُخْتِ الْحَجَّاجِ ، وَذَلِكَ

حَيْثُ يَقُولُ ، وَنُورِدُ سَائِرَ الْأَبْيَاتِ [من الطويل] :

تَضَوَّعَ مِسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةِ عَطِرَاتِ<sup>(٢)</sup>

لَهُ أَرْجٌ مِنْ مُجْمَرِ الْهِنْدِ سَاطِعُ تَطَلَّعَ رِيَّاهُ مِنَ الْكَفَرَاتِ<sup>(٣)</sup>

تَهَادَيْنَ مَا بَيْنَ الْمُحْصَبِ مِنْ مَنَى وَأَقْبَلْنَ لَا شُعْثاً وَلَا غَبَرَاتِ<sup>(٤)</sup>

أَعَانَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ عَرْشُهُ مَوَاشِي بِالْبَطْحَاءِ مُؤْتَجِرَاتِ<sup>(٥)</sup>

مَرَزْنَ بِفَخٍّ ثُمَّ رُحْنَ عَشِيَّةَ يُلْبِيْنَ لِلرَّحْمَنِ مُعْتِمِرَاتِ<sup>(٦)</sup>

يُخَبِّنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ الثَّقَى وَيَقْتُلْنَ بِالْأَلْحَاطِ مُقْتَدِرَاتِ<sup>(٧)</sup>

(١) وَإِنْ مَضَتْ لَهَا حَجَجٌ : وَإِنْ مَرَّتْ عَلَيْهَا أَعْوَامٌ .

(٢) عَطِرَاتِ ، تُزَوَّى : خَفِرَاتِ .

(٣) يَزِيدُ صَدْرُ هَذَا الْبَيْتِ : لَهُ أَرْجٌ بِالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ فَاعِمْ ؛ وَالْكَفَرَاتُ ، جَمْعُ كَفَرٍ يَفْتَحُ الْكَافِ وَكَسْرُ الْفَاءِ : الْعَظِيمُ مِنَ الْجِبَالِ .

(٤) الْمُحْصَبُ : مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَمِنَى ، وَهُوَ إِلَى مِنَى أَقْرَبُ .

(٥) مُؤْتَجِرَاتِ : طَالِبَاتِ لِلْأَجْرِ وَالْثَوَابِ ؛ وَتُزَوَّى : مُعْتَجِرَاتِ ، أَيْ : لَا بَسَاتِ الْمَعَاجِرِ ، وَهِيَ أَثْوَابٌ تَلْفُهَا النِّسَاءُ عَلَى اسْتِدَارَةِ رُؤُوسِهِنَّ ، ثُمَّ يَتَجَلَّبَنَ فَوْقَهَا بِجَلَابِيهِنَّ .

(٦) فَخٌّ : مَوْضِعٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ ثَلَاثَةُ أَمْيَالٍ .

(٧) يُخَبِّنُ ، تُزَوَّى : يُحْمَرْنَ ؛ وَيُقَالُ : لَيْسَتْ أَمْرَأَةٌ مِنَ الطَّائِفِ تَخْرُجُ إِلَّا وَعَلَى يَدَيْهَا قُفَّازَانِ لِلتَّقَى .

تَقَسَّمْنَ لُبِّي يَوْمَ نَعْمَانَ إِنَّنِي رَأَيْتُ فُؤَادِي عَارِمَ النَّظَرَاتِ<sup>(١)</sup>  
 جَلُونَ وَجُوهَا لَمْ تَلُحْهَا سَمَائِمٌ حُرُورٌ وَلَمْ يُسْفَعْنَ بِالسَّبَرَاتِ<sup>(٢)</sup>  
 فَقُلْتُ : يَعَافِيرُ الطُّبَاءِ تَنَاوَلَتْ نِيَاعَ غُصُونِ الْمَرْدِ مُهْتَصِرَاتِ<sup>(٣)</sup>  
 وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ التَّمِيرِيِّ رَاعَهَا وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْفَيْنَهُ حَذِرَاتِ  
 فَأَذْنَيْنِ ، حَتَّى جَاوَزَ الرُّكْبُ دُونَهَا حِجَاباً مِنَ الْقَسِيِّ وَالْحَبِرَاتِ<sup>(٤)</sup>  
 فَكَذْتُ أَشْتِيَاقاً نَحْوَهَا وَصَبَابَةً تَقَطَّعُ نَفْسِي إِثْرَهَا حَسَرَاتِ  
 فَرَاَجَعْتُ نَفْسِي وَالْحَفِظَةَ بَعْدَ مَا بَلَلْتُ رِذَاءَ الْعُصْبِ بِالْعَبَرَاتِ<sup>(٥)</sup>

٦١٩ - هَذَا ؛ وَقَدْ عَابُوا قَوْلَ كَثِيرٍ عَزَّةً [من الطويل] :

فَمَا رَوْضَةٌ بِالْحَزَنِ طَيِّبَةُ الثَّرَى يَمُجُّ الَّنَدَا جَنَاجِثُهَا وَعَرَارُهَا<sup>(٦)</sup>  
 بِأَطْيَبِ مِنْ أَرْدَانِ عَزَّةً مَوْهِنَا وَقَدْ أَوْقَدْتُ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبَ نَارُهَا<sup>(٧)</sup>

- (١) عَارِمُ النَّظَرَاتِ : شَدِيدُهَا ؛ وَالْعَرَامُ : الشَّدَّةُ وَالْقُوَّةُ وَالشَّرَاسَةُ .  
 (٢) لَاحَهُ يَلُوحُهُ لَوْحاً : غَيْرَ لَوْنِهِ ؛ وَالسَّمَائِمُ ، جَمْعُ سُمُومٍ ، وَهِيَ : الرِّيحُ الْحَارَّةُ ؛ وَيُسْفَعْنَ مِنْ سَفَعَتِهِ الشَّمْسُ وَالنَّارُ وَالسُّمُومُ : لَفَحَتْهُ وَغَيَّرَتْ لَوْنَ بَشَرَتِهِ ، وَالسَّبَرَاتُ جَمْعُ سَبَرَةٍ : شِدَّةُ بَرْدِ الشِّتَاءِ .  
 (٣) الَّتِياعِيرُ ، جَمْعُ يَغْفُورٍ ، وَهُوَ : الطَّيِّبُ ، لَوْنُهُ لَوْنُ الْعَفْرِ ، أَيْ : الثَّرَابِ ؛ وَنِيَاعُ جَمْعُ نَائِعٍ ، مِنْ نَاعِ الْعُصْبِ : إِذَا حَرَكْتَهُ الرِّيحُ ؛ يُرِيدُ : إِنَّ أَغْنَاقَهُنَّ فِي أَمْتِدَادِهَا كَأَغْنَاكِ الطُّبَاءِ ؛ وَالْمَرْدُ : الْعُصْبُ مِنْ ثَمَرِ الْأَرَاكِ ؛ وَمُهْتَصِرَاتُ : مُعْطُوفَاتُ ، مِنْ أَهْتَصَرَ الْعُصْبُ : عَطَفَهُ وَأَمَالَهُ .  
 (٤) الْقَسُ : ضَرْبٌ مِنَ الثِّيَابِ يُسَجُّ مِنْ كَتَّانٍ مَخْلُوطٍ بِحَرِيرٍ ، يُسَبُّ إِلَى قِيسَ ، وَهِيَ : قَرْيَةٌ مِنْ مِصْرَ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ بَيْنَ الْفُرْزَا وَالْعَرِيشِ ؛ وَالْحَبِرَاتُ : ضَرْبٌ مِنْ بُرُودِ الْيَمَنِ .  
 (٥) الْعُصْبُ : بُرُودٌ يَمِينِيَّةٌ مُخَطَّطَةٌ .  
 (٦) الْحَزْنُ : حُزْنٌ بَيْنِي يَرْبُوعٌ ، وَفِيهِ رِياضٌ كَثِيرَةٌ ؛ وَالْجَنَاجِثُ : مِنْ أَخْرَارِ الشَّجَرِ ، يُنْبِتُ بِالْقَيْظِ ، لَهُ زَهْرَةٌ صَفْرَاءُ كَأَنَّهَا زَهْرَةُ عَرْفَجَةٍ ، طَيِّبَةُ الرَّيْحِ ، تَأْكُلُهُ الْإِبِلُ إِذَا لَمْ تَجِدْ غَيْرَهُ ؛ وَالْعَرَارُ : بَهَارُ الْبَرِّ ، وَهُوَ : نَبْتُ طَيِّبِ الرَّيْحِ ، قَالَ ابْنُ بَرِّي : وَهُوَ التَّرْجِسُ الْبَرِّي .  
 (٧) مَوْهِنَا : بَعْدَ دُخُولِنَا فِي اللَّيْلِ .



فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ أُمْرَأَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُلْجِمٍ ، وَأَسْمُهَا قَطَامٌ ، قَالَتْ لِكُثِيرٍ لَمَّا زَارَهَا فِي دَارِهَا فِي الْكُوفَةِ لِيُؤَبِّخَهَا عَلَى قَتْلِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا اللَّهُ ، مَا رَأَيْتُ شَاعِرًا قَطُّ أَنْقَصَ عَقْلًا وَلَا أَضْعَفَ وَضْأً مِنْكَ ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ زَنْجِيَّةً بَحَرَتْ أَرْدَانَهَا بِمَنْدَلٍ رَطْبٍ أَمَا كَانَتْ تَطِيبُ ! أَلَا قُلْتَ كَمَا قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ .

وَأَنْشَدَتْ بَيْتَهُ الَّذِي أَسْلَفْنَا ، وَهُوَ :

أَلَمْ تَرَيَانِي . . . . . الْبَيْت . . . . . [راجع رقم : ٦١٠] .

فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ [من الكامل] :

الْحَقُّ أَبْلَجُ لَا يُخِيلُ سَبِيلُهُ      وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ ذَوُو الْأَلْبَابِ  
لَا يُخِيلُ سَبِيلُهُ ، مِنْ أَخَالِ الْأَمْرِ : أَشْتَبَهُ .

وَقَدْ رَأَيْتُ فِي الْأَغَانِي أَبْيَاتَ كُثِيرٍ عَلَى الْوَجْهِ التَّالِي [من الطويل] :

فَإِنْ خَفَيْتَ كَانَتْ لِعَيْنِكَ قُرَّةٌ      وَإِنْ تَبَدُّ يَوْمًا لَمْ يَغْمَكِ عَارُهَا  
مِنْ الْخَفِرَاتِ أَلْيَضَ لَمْ تَرِ غَلِيظَةً      وَفِي الْحَسْبِ الضَّخْمِ الرَّفِيعِ نَجَارُهَا  
فَمَا رَوْضَةٌ بِالْحَزَنِ طَيِّبَةُ الثَّرَى      يَمْجُجُ الْأَنْدَا جَنَجَائُهَا وَعَرَارُهَا  
بِأَطْيَبِ مَنْ فِيهَا إِذَا جُنَّتْ طَارِقًا      وَقَدْ أُوقِدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرَّطْبِ نَارُهَا

\* \* \*

الْحُلِيِّ :

٦٢٠ - قَالَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيَّاجَ ، وَلَا تَشْرَبُوا فِي آيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا ، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الْآخِرَةِ » [البخاري ، رقم : ٥٤٢٦ ؛ مسلم ، رقم : ٢٠٦٧] .

٦٢١ - وَجَاءَ فِي كِتَابِ «الْفَقْهِ عَلَى الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ» مَا يَلِي :

يَحْرُمُ عَلَى الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ اسْتِعْمَالُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَعِلَّةُ النَّهْيِ عَنِ اسْتِعْمَالِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَاضِحَةٌ ، لِأَنَّ فِي اسْتِعْمَالِهَا تَقْلِيلًا لِمَا يَتَعَامَلُ النَّاسُ بِهِ مِنَ التَّقْدِيرِ ، وَكَسْرًا لِقُلُوبِ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مِنْهُمَا مَا يَخْصُلُونَ بِهِ عَلَى قُوتِهِمُ الضَّرُورِيِّ إِلَّا بِجَهْدٍ عَظِيمٍ ، بَيْنَمَا يَرَوْنَ غَيْرَهُمْ يُسْرِفُ فِيهَا غَايَةَ الْإِسْرَافِ وَيَخْبِسُهَا عِنْدَهُ بِدُونِ مُبَالَاهُ ، فَيُسَعِّرُ ذَلِكَ قُلُوبَهُمْ وَيَتْرُكُ فِي أَنْفُسِهِمْ أَسْوَأَ الْأَثَرِ ، لِذَلِكَ حَرَّمَ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ اسْتِعْمَالَهَا عَلَى الرَّجُلِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا فِي أَحْوَالٍ تَقْتَضِيهَا ، فَأَبَاحَتْ لِلنِّسَاءِ مَا تَزَيَّنُّ بِهِ مِنْهَا ، لِأَنَّ الْمَرْأَةَ فِي حَاجَةٍ ضَرُورِيَّةٍ إِلَى الزَّيْنَةِ ، فَلَهَا أَنْ تَحَلِّيَ بِمَا شَاءَتْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَكَذَلِكَ أَبَاحَتْ لِلرِّجَالِ التَّحَنُّمَ بِالْفِضَّةِ لِأَنَّهُ قَدْ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَنْقُشَ عَلَيْهِ اسْمَهُ ، فَيَسْهُلَ عَلَيْهِ اسْتِعْمَالُهُ ، وَيَكُونَ أَمْنًا عَلَيْهِ بِلَبْسِهِ فِي يَدِهِ . وَكَذَلِكَ أَبَاحَتْ الْيَسِيرَ الَّذِي لَا يَضِيقُ التَّقْدِيرَ مِمَّا سَيَأْتِي بَيَانُهُ .

فَيَحْرُمُ اتِّخَاذُ الْآيَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، فَلَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَوْ امْرَأَةٍ أَنْ يَأْكُلَ أَوْ يَشْرَبَ فِيهَا ، لِقَوْلِهِ ﷺ : « لَا تَشْرَبُوا فِي آيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا ، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ » [البخاري ، رقم : ٥٤٢٦ ؛ مسلم ، رقم : ٢٠٦٧] ، وَكَذَلِكَ لَا يَحِلُّ التَّطَيُّبُ مِنْهَا أَوْ الْأَدِّهَانُ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ . وَكَمَا يَحْرُمُ اسْتِعْمَالُهَا يَحْرُمُ اقْتِنَاؤُهَا بِدُونِ اسْتِعْمَالِهَا ، وَيُسْتَتْنَى مَا إِذَا قُصِدَ بِاقتِنَائِهَا تَاجِيرُهَا لِمَنْ يَحِلُّ لَهُ اسْتِعْمَالُهَا . وَكَذَلِكَ يَحْرُمُ الْأَكْلُ بِمِلْعَقَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَاتِّخَاذُ مِيلِ الْمُكْحَلَةِ مِنْهُمَا وَالْمِرَاةِ وَقَلَمِ الدَّوَاةِ وَالْمُشْطِ وَالْمُبْخَرَةِ وَالْقَمَقَمِ . وَكَذَا يَحْرُمُ اتِّخَاذُ فَجَاجِ الْقَهْوَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَظَرْفِ السَّاعَةِ وَقِدْرَةِ التَّمْبَاكِ «السَّيْشَةِ» وَنَحْوِهَا . أَمَّا مَا يَحِلُّ مِنْ ذَلِكَ فَفِيهِ تَفْصِيلُ الْمَذَاهِبِ .

٦٢٢ - وَبَعْدُ فَكَمَا يُعَدُّ الْإِفْرَاطُ فِي الزَّيْنَةِ كَافَّةً عَابًا ، فَإِنَّ الْإِفْرَاطَ فِي التَّحْلِي بِالْحُلِيِّ يُعَدُّ مِنْ أَعْيَبِ الْعُيُوبِ ، وَهُوَ عُنوانُ السَّخْفِ وَفَسَادِ الذَّوْقِ ، وَقَدْ أَدْرَكْنَا نِسَاءَنَا فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ وَهُنَّ يَتَنَافَسْنَ وَيُغَالِيْنَ فِي الْحُلِيِّ ، حَتَّى لَكَانَ السَّيِّدَةُ حَانُوتُ صَائِغٍ مُتَنَقِّلٍ . . وَلَكِنَّ هَذِهِ الْبِدْعَةُ قَدْ زَالَتْ أَوْ كَادَتْ تَزُولُ بَيْنَ الشَّرَيفَاتِ مِنْ نِسَائِنَا ، وَهَذَا دَلِيلُ أَنْاقَتِهِنَّ وَتَحَسُّنِ ذَوَقِهِنَّ وَإِدْرَاكِهِنَّ أَنَّ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ نِسَاؤُنَا فِي الْجِيلِ الْمُنْصَرِمِ مِنَ الْإِفْرَاطِ فِي الْعِنَايَةِ بِالْحُلِيِّ وَالْإِكْثَارِ مِنْهَا عَمَلٌ غَيْرٌ لَائِقٍ مَنَافٍ لِلذَّوْقِ السَّلِيمِ ، أَمَّا مَا نَرَاهُ مِنْ بَعْضِ الرِّجَالِ مِنَ الْإِكْثَارِ مِنَ الْحُلِيِّ فِي أَيْدِيهِمْ وَصُدُورِهِمْ ، فَحَسْبُهُمْ أَنَّهُمْ يُعَدُّونَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْمُتَشَبِّهِينَ بِالنِّسَاءِ ، وَأَيُّ نِسَاءٍ ! نِسَائِنَا الْمُتَبَدِّلَاتِ . . .



إِلَى نِسَاءِ الْيَوْمِ :

٦٢٣ - وَلِمَنَاسِبَةٍ عَنَقَرِيَّاتِهِمْ فِي الثِّيَابِ نُنْصَحُ لِنِسَائِنَا هَذِهِ النَّصِيحَةَ :

أَطْئُكُنَّ لَا تَجْهَلْنَ أَيَّتَهُمَا الْإِنْسَاتِ وَالسَّيِّدَاتِ أَنَّ عَوْرَةَ الْمَرْأَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الرَّجُلِ هُوَ كُلُّ جِسْمِهَا مَا عَدَا وَجْهَهَا وَكَفَّيْهَا ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَنْظُرَ مِنْكُنَّ إِلَّا إِلَى الْوَجْهِ وَالْكَفَّيْنِ ، وَأَنْتُكُنَّ مِنْ جِهَتِكُنَّ يَجِبُ عَلَيْكُنَّ أَنْ تَجْهَدْنَ وَتَعْلَمْنَ عَلَى أَنْ لَا تُمَكِّنَ الرَّجُلَ الْأَجْنَبِيَّ عَنْكُنَّ مِنْ أَنْ يَرَى أَيَّ غُضُوٍّ مِنْ أَعْضَائِكُنَّ مَا عَدَا الْوَجْهِ وَالْكَفَّيْنِ ، وَلَقَدْ ذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنْ عُلَمَائِنَا أَنَّ عَوْرَةَ الْمَرْأَةِ جَمِيعُهَا مَا عَدَا الْوَجْهَ ، وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِ الْمُسْلِمِ ، فَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ ابْنُ حَنْبَلٍ : يَحْرُمُ عَلَى الْمُسْلِمَةِ أَنْ تَكْشِفَ مِنْ جَسَدِهَا لِغَيْرِ الْمُسْلِمِ وَلَوْ وَجْهَهَا أَوْ يَدَا ، وَكَذَلِكَ لَا يَجْهَلْنَ أَنَّ الثِّيَابَ وَإِنْ كَانَ الْأَفْضَلُ تَقْصِيرُهَا ، يَبْدُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ بِحَالٍ أَنْ تَرْتَفِعَ عَنِ الْقَدَمِ ، فَإِذَا عَلِمْتُنَّ هَذَا فَكَيْفَ اسْتَسَعْتُنَّ وَأَبْحَثْنَ لِأَنْفُسِكُنَّ أَنْ

تَرْغَنَ ثِيَابُكُنَّ إِلَى أَفْخَاذِكُنَّ وَإِلَى مَا فَوْقَ أَفْخَاذِكُنَّ !

كَيْفَ تَرْضَيْنَ أَنْ يَرَى النَّاسُ سِيْقَانَكُنَّ وَأَفْخَاذَكُنَّ وَأَعْضَاءَكُنَّ ! وَمَاذَا تَقْصِدْنَ بِذَلِكَ وَمَاذَا تَتَرَامَيْنَ إِلَيْهِ بِهَذِهِ الْبِدْعَةِ الْمُنْكَرَةِ الشَّنْعَاءِ الَّتِي يَنْبُو بِهَا الدِّينُ وَالْفَضِيلَةُ وَالْأَخْلَاقُ الْكَرِيمَةُ النَّبِيلَةُ ؟!

لَقَدْ فَاتَكُنَّ وَغَابَ عَنْكُنَّ أَنْكُنَّ بِهَذَا الصَّنِيعِ ابْتَدَلْتَنَّ أَنْفُسَكُنَّ إِلَى أَقْصَى حُدُودِ الْإِبْتِدَالِ ، أَلَا تَذَرِينَ أَنَّ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَ ! فَإِذَا أَعْتَادَ الرَّجَالُ الْقَرِيبُ مِنْهُمْ وَالْبَعِيدُ وَالصَّالِحُ وَالطَّالِحُ وَالشَّرِيفُ وَالْذَنِيءُ وَالْعَلِيَّةُ وَالسَّفَلَةُ رُؤْيَا سِيْقَانِكُنَّ وَأَفْخَاذِكُنَّ وَأَعْضَادِكُنَّ فَلَا مَحَالَةَ أَنْ يَزْهَدُوا فِيكُنَّ وَتَقِلُّ مَنَزَلَةُ الْمَرْأَةِ وَجَمَالُهَا وَأُنُوثَتُهَا فِي نَظَرِ الرَّجَالِ .

أَنْشُدُكُنَّ اللَّهَ ثُمَّ الْوَاجِبَ وَأَنْشُدُكُنَّ أَنْفُسَكُنَّ وَمُسْتَقْبَلَكُنَّ إِلَّا مَا أَفْلَعْتُنَّ عَنْ هَذِهِ الْبِدْعَةِ الْمُنْكَرَةِ .

لَقَدْ كَانَ النِّسَاءُ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ طَائِفَتَيْنِ : الْحَرَائِرُ وَالْإِمَاءُ ، وَكَانَ مَا يُمَيِّزُ الْحَرَائِرَ مِنَ الْإِمَاءِ هُوَ الْأَخْتِسَامُ وَالْكَمَالُ ، فَكَانَتِ الْحَرَائِرُ يَتَقَنَّعْنَ وَلَا يَتَبَرَّجْنَ ، أَمَّا الْإِمَاءُ فَكُنَّ عَلَى الْعَكْسِ ، لَا بَأْسَ بِتَبَدُّلِهِنَّ وَتَبَرُّجِهِنَّ وَسُفُورِهِنَّ ، فَأَصْبَحَ الْحَالُ وَالْأَسَفُ يَكُونِي قُلُوبَنَا عَلَى الْعَكْسِ ، أَصْبَحَ النِّسَاءُ الْعَامِلَاتُ مِنَ فَلَاحَاتٍ وَحَضَرِيَّاتٍ أَذْنَى إِلَى الْكَمَالِ مِنَ النِّسَاءِ الشَّرِيفَاتِ أَوْ مَا يُسَمَّيْنَ أَنْفُسَهُنَّ رَاقِيَاتٍ ... أَيُّهَا الشَّرِيفَاتُ الْكَرِيمَاتُ تَذَبَّرْنَ هَذِهِ النَّصِيحَةَ ، وَفَقِنَ عِنْدَهَا مَلِيًّا ، وَبَادِرْنَ بِالْإِنْتِصَاحِ بِهَا ، فَإِنَّ الْأَمْرَ جَدُّ خَطِيرٍ ! وَآيُّ خَطَرٍ فِي أَنْ تَبْتَدِلْنَ أَنْفُسَكُنَّ وَتَعْرِضْنَ أَجْمَلَ مَا فِيكُنَّ مِنَ السَّوَاعِدِ وَالسِّيْقَانِ وَالْأَفْخَاذِ عَلَى التَّنَظَّارَةِ ، وَفِيهِمُ الْفُسَّاقُ وَالْمُجَانُّ وَالسُّطَّارُ وَكُلُّ مَنْ هَبَّ وَدَبَّ .

وَمَاذَا أَبْقَيْتُنَّ لِبُعُولَتِكُنَّ وَمَنْ سَيَكُونُونَ بُعُولَتِكُنَّ !

وَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ تَقَلَّدَنَ فِي ذَلِكَ ؟ وَأَيُّ نِسَاءٍ رَأَيْتُنَّ بِهَذِهِ الْحَالِ ؟ لَا نِسَاءً مُتَمَدِّنَاتٍ بِهَذِهِ الْحَالِ مِنَ الْكِرَامَةِ مِمَّنْ تَحَرَّزْنَ مِنْ كُلِّ فَضِيلَةٍ مِنْ سَوَاقِطِ سَائِرِ الشُّعُوبِ . وَإِلَّا فَهَاهُنَّ أَوْلَاءُ نِسَاءِ الْأُمَمِ الْمُتَمَدِّنَةِ عَلَى مَرَأَى مِنَّا وَمَسْمُوعِ نَرَاهُنَّ مُحْتَشِمَاتٍ كَامِلَاتٍ مُنْتَازَاتٍ فِي الْحِشْمَةِ وَالْكَمَالِ ، عَنْ كَثِيرٍ مِنْ نِسَائِنَا الرَّاقياتِ ، إِنَّهُنَّ جَدِّيَاتٌ غَيْرُ هَازِلَاتٍ .

عَلَى أَنَّنَا نَحْنُ الشَّرْقِيِّينَ إِذَا كُنَّا نَفْخُرُ عَلَى الْغَرْبِيِّينَ بِشَيْءٍ ، فَهَذَا الشَّيْءُ هُوَ اخْتِسَامُ نِسَائِنَا وَكَمَالُهُنَّ كَانَ ، أَمَّا الْآنَ ، فَأَيُّ مَفْخَرَةٍ بَقِيَتْ لِنِسَائِنَا بَعْدَ هَذَا التَّبَرُّجِ الْمُخْزِيِّ وَالْبَذْعَةِ الَّتِي يَنْعَاهَا عَلَيْنَا الْعَدُوُّ قَبْلَ الصَّدِيقِ ، وَالْغَرْبِيُّ قَبْلَ الشَّرْقِيِّ ، وَالزَّنْدِيقُ قَبْلَ الْمُؤْمِنِ . . . اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ أَنْ تَهْدِيَ قَوْمَنَا فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .

\* \* \*

ثِيَابُ الْمَرْأَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَحُلِيِّهَا وَطَبِيعُهَا :

٦٢٤ - وَإِذْ أَنَّ ثِيَابَ الْمَرْأَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَحُلِيِّهَا وَطَبِيعُهَا كَثِيرٌ مَا تَنْبَرِي لِلنَّاظِرِ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَسَائِرِ آدَابِهِمْ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا أَنْ نَخْتِمَ هَذَا الْبَابَ بِإِيرَادِ أَلْوَانٍ مِنْ ثِيَابِ الْمَرْأَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَحُلِيِّهَا وَطَبِيعُهَا ، وَوَصْفِهَا ، وَالتَّعْرِيفِ بِهَا .

\* \* \*

ثِيَابُ الْمَرْأَةِ الْعَرَبِيَّةِ :

٦٢٥ - لَبِسَتِ الْمَرْأَةُ الْعَرَبِيَّةُ ضُرُوبًا مِنْ الثِّيَابِ مُخْتَلِفًا الْفُنُونِ وَالْأَلْوَانِ مِمَّا أَخْرَجَتْهُ مَنَاسِجُ الْيَمَنِ وَعُمَانِ وَالْبَحْرَيْنِ وَالشَّامِ وَالْعِرَاقِ ، وَمَا أَجْتَلَبَتْهُ مِنْ بِلَادِ فَارِسَ وَسَوَاحِلِ الْهِنْدِ .

٦٢٦ - وَمِنْهَا مَا رَقَّ نَسْجُهُ ، وَدَقَّ خَيْطُهُ ، وَذَلِكَ مَا تُسَمِّيهِ بِالْمُهْلَهْلِ وَالْمُسْلَسَلِ وَالْهَقَافِ وَمَا كَثُفَ حَوْكُهُ وَضُوعِفَتْ حَوَاشِيهِ ، وَذَلِكَ مَا تَدْعُوهُ

بِالصَّفِيقِ ، وَالشَّبِيعِ ، وَالْحَصِيفِ .

٦٢٧ - وَمِنْهَا مَا لَمْ يُخَالِطْ لَوْنَهُ لَوْنُ آخَرٍ ، وَلَهْنٌ فِي ذَلِكَ الْأَبْيَضِ ، وَالْأَسْوَدِ ، وَالْأَحْمَرِ ، وَالْأَضْفَرِ ، وَالْأَخْضَرِ ، وَالْمُدْمَى - وَهُوَ ذُو الْحُمْرَةِ الْقَانِيَةِ - وَالْمُشْرِقُ - وَهُوَ مَا كَانَ وَسْطاً بَيْنَ الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ - وَالْمَفْرُوقُ - وَهُوَ مَا أُشْرِبَ بِالزَّرْعَرَانِ - وَمَا اجْتَمَعَ فِيهِ لَوْنَانِ فَمَا فَوْقَهُمَا ، أَوْ مِنْ ذَلِكَ الْمُشْرَبُ - وَهُوَ الَّذِي يَتَمَاوَجُّ بَيْنَ لَوْنَيْنِ - وَالْمُخَطَّطُ وَالْمُسَهَّمُ - وَهُوَ مَا أَشْبَهَتْ خُطُوطُهُ أَفَاقِيقَ السَّهْمِ - وَالْمُفَرَّقُ - وَهُوَ مَا اجْتَمَعَ إِلَى لَوْنِهِ خُطُوطٌ بَيْضٌ - وَالنَّمِيقُ ، أَوْ الْمُنْمَقُ - وَهُوَ الْمُنْقُوشُ - وَالْمَوْشَى - وَهُوَ مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الزَّرْخُوفُ - وَالْمُعَيْنُ - وَهُوَ مَا أَشْبَهَتْ نُقُوشُهُ عُيُونُ التَّرْجِسِ - وَالْمُصْلَبُ - وَهُوَ مَا تَقَاطَعَتْ خُطُوطُهُ كَتَقَاطَعِ الصُّلْبَانِ - وَالْمُذْهَبُ - وَهُوَ مَا حُبِكَ نَسْجُهُ بِخُيُوطٍ مِنَ الذَّهَبِ - وَفِيهِ يَقُولُ سُلَيْمِيُّ بْنُ رَبِيعَةَ [من مخْلَع البسيط] :

وَالْبَيْضَ يَزْفُلْنَ كَالدَّمَى فِي الرِّيطِ وَالْمُذْهَبِ الْمَصُونِ<sup>(١)</sup>  
٦٢٨ - وَأَمَّا مَا دَنَتْهَا فَالْحَرِيرُ . وَمِنْهُ الدِّيَبَاجُ ، وَالْدِّمْقُسُ ، وَالسُّنْدُسُ ، وَالْإِسْتَبْرَقُ<sup>(٢)</sup> .

وَالْخَزُّ - وَهُوَ وَبَرٌ دَابَّةٌ كَالْأَرَنْبِ تُدْعَى بِذَلِكَ الْأَسْمِ ، وَيُشَبِّهُ الْحَرِيرَ فِي مَلَامَسَتِهِ وَنُعُومَتِهِ - وَوَبَرُ الْأَرَنْبِ ، وَلَيْسَ كُلُّ الْأَرَانِبِ يُتَخَذُ وَبَرُهَا ، وَإِنَّمَا هُوَ نَوْعٌ خَاصٌّ يُجْتَلَبُ مِنْ شَمَالِ الْعِرَاقِ ؛ وَالْقَطْنُ ، وَالصُّوفُ ، وَالْكَتَانُ ، وَأَشْبَاهُهَا .  
٦٢٩ - وَأَمَّا أَنْوَاعُهَا فَجَمَّةُ الْعَدَدِ ، مُخْتَلِفَةُ الْهَيْئَاتِ . وَأَشْمَلُهَا وَأَعْمُهَا

(١) أَنْظَرْ هَذَا الْبَيْتَ وَأَبْيَانًا أُخْرَى مَعَهُ فِي الْفَقْرَةِ رَقْم : ٢٢ .

(٢) الدِّيَبَاجُ : الْحَرِيرُ عَامَّةً ؛ وَالسُّنْدُسُ : رَقِيقُهُ ؛ وَالْإِسْتَبْرَقُ : صَفِيقُهُ أَوْ مَا حُبِكَ بِالذَّهَبِ مِنْهُ ؛ وَالْدِّمْقُسُ : الْفَرْزُ .

مَا أَنَا سَائِقُهُ إِلَيْكَ ، وَمِنْهُ الشَّعَارُ وَالِدَنَارُ .

أَمَّا شِعَارُهَا - وَهُوَ مَا يَلِي جَسَدَهَا - فَالْصَّدَارُ وَالْمِجُولُ ، وَهُمَا قَمِيصَانِ  
قَصِيرَانِ مُتَقَارِبَانِ لَا أَكْمَامَ لَهُمَا ، وَدُونَهُمَا السَّرَاوِيلُ .

وَأَمَّا دِنَارُهَا - وَهُوَ مَا يَلِي الشَّعَارَ - فَالْدَّرْعُ - وَهُوَ جِلْبَابٌ شَامِلٌ يُحِيطُ  
بِدِنَارِهَا - وَالنَّطَاقُ ، وَيُلْبَسُ دُونَ الدَّرْعِ - وَهُوَ ثَوْبٌ تَشُدُّهُ الْمَرْأَةُ إِلَى وَسْطِهَا  
وَتُرْخِي نِصْفَهُ الْأَعْلَى عَلَى نِصْفِهِ الْأَسْفَلِ - وَإِذَا نَحْنُ قَرَّبْنَاهُ إِلَى مُتَنَاوِلِ الْعَصْرِ  
الْحَاضِرِ قُلْنَا : إِنَّهُ «مَلَكُوفٌ» مُضَاعَفٌ . وَمِنْ فَوْقِ هَذَيْنِ أَلْبَتْ ، وَهُوَ ثَوْبٌ  
أَخْضَرُ مُهْلَهْلٌ يُحِيطُ بِجِسْمِ الْمَرْأَةِ وَيُقَنِّعُ جُزْءًا مِنْهُ رَأْسَهَا وَوَجْهَهَا ؛ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ  
أَلْبَتْ فَالْحُلَّةُ ، وَهُوَ ثَوْبٌ يَظَاهِرُهُ ثَوْبٌ آخَرُ ، وَيَغْلِبُ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُ الثَّوْبَيْنِ  
رَقِيقًا شَفَافًا لِيُظْهَرَ مَا يَلِيهِ ، وَقَدْ تُطْلَقُ الْحُلَّةُ عَلَى الثَّوْبِ الْمُبْطَنِ .

وَقَدْ تَرَدَّدِي فَوْقَ ذَلِكَ بِصِنْفٍ مِنَ الْأَزْدِيَّةِ أَزْدِيَانَا وَآخِثِيَانَا أَوْ تَصَوُّنَا وَآخِثَسَامَا .

وَمِنْ هَذِهِ الْأَزْدِيَّةِ الْعِطَافُ ، أَوْ الْمِغْطَفُ ، وَهُوَ رِدَاءٌ تُلْقِيهِ عَلَى عِطْفَيْهَا  
وَتُرْسِلُهُ عَلَى جِسْمِهَا ؛ وَالرَّيْطَةُ ، وَهِيَ مَلَاءَةٌ ذَاتُ لِفْقٍ وَاحِدٍ ، أَيْ : شِقَّةٌ  
وَاحِدَةٌ ؛ وَالْحَبْرَةُ ، وَهِيَ بُرْدٌ مُوشَى مِنْ بُرُودِ الْيَمَنِ ؛ وَلَيْسَ هُنَاكَ وَصْفٌ أَدَقُّ  
لَهَا مِنْ قَوْلِ صَبِيٍّ لِحَسَانِ بْنِ ثَابِتٍ لَسَعَهُ زُنْبُورٌ وَلَمْ يَكُنْ قَدْ عَرَفَ اسْمَهُ ، فَقَالَ  
لَأَبِيهِ : يَا أَبَتِ لَسَعَنِي طَائِرٌ كَأَنَّهُ مُلْتَفٌّ فِي بُرْدِي حَبْرَةٌ يَمَانِيَّةٌ . وَهِيَ أَعْلَى وَأَبْهَجُ  
مَا أَرْتَدَاهُ النِّسَاءُ فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ . وَقَدْ شَبَّهَ النَّبِيُّ ﷺ الْحَوَامِيمَ فِي الْقُرْآنِ  
بِالْحَبْرَاتِ ، تَنْوِيهَا بِهَا وَإِشَادَةً بِفَضْلِهَا .

وَمِنْ أَزْدِيَّتِهِنَّ الْمِزْطُ ، وَهِيَ مَلَاءَةٌ ذَاتُ شِقَّتَيْنِ ، وَلَيْسَ بَيْنَ أَزْدِيَّتِهِنَّ مَا هُوَ  
أَعَمُّ أَسْتَعْمَالًا مِنْهَا ؛ وَمِنْهَا اللَّفْاعُ ، وَهُوَ رِدَاءٌ تَلْتَفِعُ بِهِ ، وَهُوَ بِ «السَّالِ» أَشْبَهُ .  
وَلَهُنَّ غَيْرُ ذَلِكَ الْوِشَاحُ ، وَهُوَ شِقَّةٌ مُرْصَعَةٌ بِالْجَوَاهِرِ تَشُدُّهَا الْمَرْأَةُ بَيْنَ

عَاتِقَيْهَا وَخَصَرِهَا ؛ وَالسَّرْقُ ، وَاحِدَتُهُ سَرَقَةٌ ، وَهِيَ شِقَاقٌ مِنَ الْحَرِيرِ يَلْتَفِعَنَّ بِهَا ؛ وَالْمِطْرَفُ ، وَهُوَ رِداءٌ مُرَبَّعٌ مِنَ الْخَزِّ مُوشًى بِالْأَعْلَامِ .

وَالْعَمَرُ ، وَهُوَ مَنْدِيلُ الرَّأْسِ ، وَلَا يَلْبَسُهُ إِلَّا الْحَرَائِرُ .

وَهُنَالِكَ الْمَيْدَعُ ، وَهُوَ ثَوْبٌ تَضَعُهُ عِنْدَ مُعَانَاةِ عَمَلِهَا فَتَصُونُ بِهِ غَوَالِي

ثِيَابِهَا مِنَ الْإِنْدَالِ ، وَهُوَ شَيْءٌ بِمَا نَدَعُوهُ « بِالْمَزِيلَةِ » قَالَ الضَّبِّيُّ :

أَقْدَمُهُ قُدَّامَ نَفْسِي وَأَتَقِي بِهِ الْمَوْتَ إِنَّ الصُّوفَ لِلْخَزِّ مِيدَعٌ<sup>(١)</sup>

وَلَهْنٌ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ الْمَسْحُ ، وَجَمْعُهُ مُسُوخٌ ؛ وَفِيهِ وَفِي السُّلْبِ -

جَمْعُ سِلَابٍ - يَقُولُ لَيْدٌ [من الرجز] :

يَخْمُشْنَ حُرّاً أَوْجُهُ صِحَاحٍ فِي السُّلْبِ السُّودِ وَفِي الْأَمْسَاحِ

٦٣٠ - وَأَمَّا مَا تَحْتَدِيهِ ، فَالْخُفُّ ، وَهُوَ مَا طَالَ مِنَ الْأَخْذِيَةِ ؛ وَالْقَفْشُ ،

أَوِ الْكَوْثُ ، وَهُوَ الْقَصِيرُ الْمَكْشُوفُ مِنْهَا ؛ وَالْجَوْرَبُ ، وَهُوَ شِعَارُ الْقَدَمَيْنِ ؛

وَالْقَفَّازُ ، وَيُتَّخَذُ لِلْقَدَمَيْنِ وَالْيَدَيْنِ مَعاً ، وَهُوَ أَدَقُّ نَسْجاً ، وَأَنْضَرُ لَوْناً مِنَ

الْجَوْرَبِ ، وَلِذَلِكَ شَبَّهُوا بِهِ الْحِجَاءَ فِي الْيَدَيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ ، فَقَالُوا : تَقَفَّرَتْ

الْفَتَاةُ : إِذَا خُضِبَتْ بِالْحِجَاءِ .

\* \* \*

حُلِيِّهَا :

٦٣١ - بِلَادُ الْعَرَبِ مَحْفُوفَةٌ أَلْجَنَبَاتِ بِمَعَاوِصِ اللَّوْلُؤِ وَالْمَرْجَانِ . وَهِيَ

(١) وَالْمَيْدَعُ يُسَمَّى الْمِعْوَرَةَ ، قَالَ صَاحِبُ « اللِّسَانِ » : الْمِعْوَرَةُ كُلُّ ثَوْبٍ تَصُونُ بِهِ آخَرَ ، وَيُقَالُ : الْمِعْوَرُ ، وَالْجَمْعُ مَعَاوِزُ .

[ وَالْمَزِيلَةُ أَوِ الْمَزْيُولُ ، هُوَ : مَا يَلْبَسُهُ الطِّفْلُ فَوْقَ مَلَابِسِهِ لِاتِّقَاءِ الرِّيَالَةِ ؛ وَالرُّوَالُ ، وَهُوَ : مَا يَسِيلُ مِنَ لُعَابِ الطِّفْلِ ، وَالْمَزْتَلَةُ : اسْمُ آلَةٍ مِنْهُ . وَالْبَعْضُ يَجْعَلُهُ مِنَ الْإِيطَالِيَّةِ : Mariuolo ، أَوْ أَنَّ الْإِيطَالِيَّةَ أَخَذَتْهُ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ . ]



فَوْقَ ذَلِكَ مُسْتَوَرَّدٌ لِلذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالزُّمُرُودِ وَالزَّبَرْجَدِ وَالْعَقِيقِ وَالْيَاقُوتِ  
وَأَشْبَاهَهَا مِمَّا يَهْبِطُ بِهِ التُّجَّارُ مِنْ مُخْتَلَفِ الْأَفْطَارِ لِيَبِيعُوهُ بِلُؤْلُؤِ الْعَرَبِ  
وَمَرْجَانِهِمْ . فَلَيْسَ بِدَعَا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَتَّخِذَ النِّسَاءُ تِلْكَ الْجَوَاهِرَ مَعْقِدَ زِينَتِهِنَّ ،  
وَمُجْتَلَبَ الْأَبْصَارِ إِلَيْهِنَّ ، فَلَمْ يَتَجَافَ عَنْهَا إِلَّا وَاحِدٌ مِنْ اثْنَتَيْنِ : أَمْرَأَةٌ غَنِيتٌ  
بِفَرْطِ جَمَالِهَا ، وَبَدِيعَ مَحَاسِنِهَا ، فَهِيَ تَتْرُكُهَا ثِقَةً بِذَلِكَ الْجَمَالِ ، وَأُسْتِهَانَةً  
بِأَمْرِ الْحُلِيِّ ، وَتِلْكَ الَّتِي يَدْعُونَهَا الْعَاطِلَ ؛ وَأُخْرَى أَمْرَأَةٌ نَكَبَهَا الدَّهْرُ ،  
وَأَسْتَلَبَ مِنْهَا عَزِيزاً عَلَيْهَا ، فَهِيَ تَطْرُحُهَا كَرَاهِيَةً لِلزَّيْنَةِ ، وَإِيذَانًا بِالْحِدَادِ ،  
وَهِيَ الَّتِي يُسَمُّونَهَا الْمَرْهَاءَ . فَأَمَّا مَنْ سِوَاهُنَّ فَهُنَّ جَمِيعًا حَالِيَاتٌ .

تَقْلَدُ الصَّبِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ صُنُوفًا مِنَ الْحُلِيِّ مِنْذُ بَدْءِ عَهْدِهَا وَأَوَّلِ نَشَاطِهَا .

وَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ حَاكِياً قَوْلَ جَهْلَةٍ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ إِذَا بُشِّرَ  
أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوِداً وَهُوَ كَظِيمٌ : ﴿ أَوْ مَنْ يُنشِئُوا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي  
الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [٤٣ سورة الزخرف/ الآية : ١٨] فَجَعَلُوا التَّنَشِئَةَ فِي الْحِلْيَةِ شِعَارَ  
الْإِنَاثِ ، وَمَوْطِنَ الْكِتَابَةِ عَنْهُنَّ .

أَمَّا مَا عَقَدَتِ الْخَنَاصِرُ عَلَيْهِ مِنْ صُنُوفِ حِلْيَتِهِنَّ ، وَضُرُوبِ زِينَتِهِنَّ ، فَذَلِكَ  
الَّذِي أوردُهُ عَلَيْكَ :

فَهُنَالِكَ التَّاجُ أَوْ الْإِكْلِيلُ ، وَهُوَ عِصَابَةٌ مُرَصَّعَةٌ بِالْجَوَاهِرِ تُحُوطُ جَبِينَ الْمَرْأَةِ .  
وَالْقُرْطُ ، وَهُوَ مَا عُلِقَ فِي أَسْفَلِ الْأُذُنِ . فَأَمَّا مَا عُلِقَ فِي أَعْلَاهَا فَالْشَّنْفُ .  
وَالْحَبُّ وَهُوَ الْقُرْطُ مِنْ حُبَّةٍ وَاحِدَةٍ . وَيُسَمَّى الْخَيْطُ الَّذِي يَصِلُ بَيْنَ  
الْقُرْطَيْنِ بِالْعُقَابِ .

وَالْخِرْصُ ، الْحَلَقَةُ مِنَ الذَّهَبِ أَوْ الْفِضَّةِ فِي أُذُنِ الصَّبِيِّ وَالصَّبِيَّةِ وَالْمَرْأَةِ .  
٦٣٢ - هَذَا ، وَيَغْلِبُ عَلَى الْقُرْطِ أَنْ تُعْلَقَ بِهِ جَوْهَرَةٌ أَوْ لَوْلُؤَةٌ . وَقَدْ ضَرَبُوا

الْمَثَلُ بِقُرْطَنِي مَارِيَّةَ بِنْتِ ظَالِمِ بْنِ وَهْبٍ الْكِنْدِيِّ زَوْجِ الْحَارِثِ الْأَكْبَرِ الْغَسَّانِيِّ  
مَلِكِ الشَّامِ ، وَفِيهِمَا دُرَّتَانِ كَبِيضَتَيِ الْحَمَامِ لَمْ يَرَ الرَّأُؤُونَ أَعْجَبَ وَلَا أَوْضَأَ  
مِنْهُمَا ، وَقَدْ تَوَارَثَهُمَا نِسَاءُ الْمُلُوكِ مِنْ بَعْدِهَا حَتَّى كَانَ مَالَهُمَا إِلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ  
عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَتْ زَوْجًا لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَبْلَ أَنْ يَلِيَ الْخِلَافَةَ ، فَلَمَّا  
وَلِيَهَا قَالَ لَهَا : إِنْ أَحْبَبْتَ الْمَقَامَ عِنْدِي فَضْعِي الْقُرْطَيْنِ فِي بَيْتِ مَالِ  
الْمُسْلِمِينَ ؛ فَصَدَعَتْ بِأَمْرِهِ .

فَلَمْ يَزَالَا فِي مَوَاطِنِهِمَا مِنْ بَيْتِ أَلْمَالِ حَتَّى انْتَقَضَ الْمُلْكُ الْأَمَوِيُّ ، فَذَهَبَ  
خَبْرُهُمَا .

وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ : أَنْفَسُ مِنْ قُرْطَنِي مَارِيَّةَ . يَضْرِبُونَهُ فِي كُلِّ غَالٍ وَعَزِيرٍ عَلَيْهِمْ ،  
وَقَوْلُهُمْ : آتِيكَ بِمَا شِئْتُ وَلَوْ بِقُرْطَنِي مَارِيَّةَ . قَالَ قَائِلُهُمْ [من مجزوء الكامل] :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي مَلَكَ الْأَنَامَ عَلَانِيَةً  
الْمَالُ أَخَذَهُ سِوَايَ وَكُنْتُ عَنْهُ نَاحِيَةً  
إِنِّي أُوَدِّيهِ إِلَيْكَ وَلَوْ بِقُرْطَنِي مَارِيَّةَ

٦٣٣ - وَهُنَالِكَ الْقِلَادَةُ ، وَهِيَ مَا يُجْعَلُ بِالْعُنُقِ ، وَيُسَمَّى مَوَاطِنُهُمَا  
بِالْمُقَلَّدِ ، وَأَنْفُسُهَا مَا كَانَ مِنَ اللَّوْلُؤِ وَحَدَهُ ، أَوْ مُفَصَّلًا مَعَ غَيْرِهِ مِنَ الْجَوَاهِرِ .  
وَمِنْهَا الزُّمُرُودُ وَالزَّبَرْجَدُ وَالْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ . وَقَدْ يُضَافُ إِلَى ذَلِكَ الشَّدْرُ ،  
وَهُوَ حَبَاتٌ مِنَ الذَّهَبِ ، وَالْجُمَانُ وَهِيَ لَالِيءٌ مِنَ الْفِضَّةِ ، وَهُمْ يُسَمُّونَ  
الْلُّوْلُؤَةَ الَّتِي تَوَسَّطَتْ حَبَاتِ الْعِقْدِ بِالْوَاسِطَةِ .

وَالْتَقْصَارُ أَوْ الْمِخْنَقَةُ : قِلَادَةٌ لَاصِقَةٌ بِالْعُنُقِ .

وَتُسَمَّى الْأَهْدَابُ الْمُتَدَلِّيَةُ مِنَ الْقِلَادَةِ عَلَى الصَّدْرِ بِالسُّمُوطِ ، وَوَاحِدُهَا  
سِمْطٌ . وَالسَّمْطُ أَيْضًا الْخِيطُ يُنْظَمُ فِيهِ اللَّوْلُؤُ وَغَيْرُهُ .

وَالطُّوقُ : حَلِيٌّ يُحِيطُ بِالْعُنُقِ ، وَيَغْلِبُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِلْأَطْفَالِ .  
وَالسَّحَابُ : قِلَادَةٌ مِنْ قَرْنَقُلٍ أَوْ مَا يُشَابِهُهُ ، وَيَغْلِبُ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ  
لِلْأَطْفَالِ أَيْضاً .  
وَالسَّلْسُ : نَظْمٌ يُنْظَمُ مِنَ الْخَرَزِ ، وَلِلْخَرَزِ صُنُوفٌ جَمَّةٌ ، أَجْمَلُهَا وَأَحَبُّهَا  
الْخَرَزُ الْيَمَانِيُّ ، وَهُوَ صِنْفٌ مِنَ الْخَرَزِ مُحَلَّى .  
وَالْوِشَاحُ ، وَهُوَ خِيطَانٌ مِنَ الْجَوْهَرِ مَنْظُومَانِ مَخَالَفٌ بَيْنَهُمَا ، مَعْطُوفٌ  
أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ .  
وَالسَّوَارُ أَوْ الْأَسْوَرَةُ ، وَهُوَ نِطَاقُ الْمِعْصَمِ . وَهُوَ مِنْ خَصَائِصِ الْحَرَائِرِ ،  
وَفِي أَمْثَالِهِمْ : \* لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي \*  
وَالْمِعْصَدُ أَوْ الدَّمْلُجُ : طَوْقُ الْعَصْدِ . وَهُوَ شَبِيهُ السَّوَارِ لِلْيَدِ .  
وَالْخَاتَمُ وَالْفَتْخُ ، وَأَوَّلُهُمَا مَالُهُ فَصٌّ ، وَالثَّانِي مَا لَا فَصَّ لَهُ . وَكِلَاهُمَا  
يُلْبَسُ فِي أَصَابِعِ أَلْيَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ مَعاً .  
وَالْخَلْخَالُ ، وَإِنَّمَا يُطْلَقُ عَلَى مَالِهِ رَيْنٌ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ رَيْنٌ فَهُوَ الْفَتْخُ ،  
فَإِنْ غَاصَ فِي السَّاقِ فَهُوَ الْخَدْمَةُ . وَعِنْدَ الْعَرَبِ صِنْفٌ مِنَ الْحُلِيِّ يُصَاغُ مُجَوِّفاً  
وَيُخْشَى بِالطَّيْبِ وَيُسَمَّى ذَلِكَ بِالْكَيْسِ .  
وَيُسَمَّى صَوْتُ الْحُلِيِّ بِالْوَسْوَاسِ أَوْ التَّقَقَّةِ .  
وَالْتَّمِيمَةُ : خَرَزَةٌ تُعَلَّقُ فِي عُنُقِ الصَّبِيِّ أَوْ الصَّبِيَّةِ ، أَوْ خِيْطٌ تُعَلَّقُ فِيهِ  
التَّعَاوِيدُ بِزَعْمِ أَنَّهُ يَدْفَعُ عَنْهُمْ الْآفَاتِ .

## الطَّيْبُ :

٦٣٤ - وَمِنْ لَوَاحِقِ الزَّيْتَةِ عِنْدَهُنَّ ، بَلْ مِنْ أَصُولِهَا وَدَعَائِمِهَا الطَّيْبُ ،  
وَهُوَ زَيْتَةُ الْعَرَبِ جَمِيعاً ، رِجَالاً وَنِسَاءً وَأَطْفَالاً .

وَالطَّيْبُ عِنْدَهُنَّ عَلَى صِنْفَيْنِ : أَعْوَادٌ يُبَخَّرُ بِهَا ، وَدُهْنٌ يُدْهَنُ بِهِ .

فَمِنْ الْأَوَّلِ : الصَّنَدَلُ ؛ وَالسَّاجُ ؛ وَاللَّبْنِيُّ ، وَهُوَ شَجَرٌ يَسِيلُ مِنْهُ لَبَنٌ  
كَالْعَسَلِ فِي طَعْمِهِ ؛ وَالْعُودُ ، وَهُوَ الْمِسْكُ يُعْجَنُ بِالْعُودِ ؛ وَالرَّندُ ، وَهُوَ شَجَرٌ  
زَكِيُّ الرَّائِحَةِ .

وَمِنْ أَزْهَارِهِنَّ الْأَسُّ ، وَمِنْهُ يُعْتَصَرُ دُهْنٌ يُدْهَنُ بِهِ .

وَمِنْ الثَّانِي : الْعَنْبَرُ ؛ وَالْمِسْكُ ؛ وَالْغَالِيَةُ ، وَهِيَ أَزْكَى صُنُوفِ الطَّيْبِ  
عِنْدَهُنَّ ، وَتُتَّخَذُ مِنَ الْمِسْكِ يُعْجَنُ بِالْعَنْبَرِ وَالْبَانِ . فَأَمَّا الْبَانُ فَشَجَرٌ يَسْمُو  
وَيَطُولُ فِي أَسْتَوَاءٍ وَوَرَقُهُ كَوَرَقِ الْأَثَلِ ، وَثَمَرَتُهُ كَقَرَنِ اللُّوبِيَاءِ وَلَهَا حَبٌّ  
يُعْتَصَرُ ، فَيَخْرُجُ مِنْهُ ذَلِكَ الدُّهْنُ .

عَلَى أَنَّ هُنَالِكَ مِنَ الْعَرَبِ ، وَأَخَصُّهُمْ أَهْلُ الْبَادِيَةِ ، مَنْ يَتَوَاصَوْنَ بِأَطْرَاحِ  
الطَّيْبِ وَتَرْكِ التَّضْمُّخِ بِهِ ، وَيَرَوْنَ فِي الْمَاءِ غَنَاءً عَنْهُ ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا يَقُولُ  
الْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ الْمَذْحِجِيُّ فِيمَا يُوصِي بِهِ بَنِيهِ : وَتَزَوَّجُوا الْأَكْفَاءَ ،  
وَلْيَسْتَعْمِلْنَ فِي طِبِيهِنَّ الْمَاءَ .

\* \* \*

حَضُّهُمْ الرِّجَالَ عَلَى أَنْ يَتَجَمَّلُوا لِزَوْجَاتِهِمْ :

٦٣٥ - وَكَمَا حَضُّوا الْمَرْأَةَ عَلَى أَنْ تَتَجَمَّلَ لِزَوْجِهَا حَضُّوا الرَّجُلَ عَلَى أَنْ

يَتَجَمَّلَ لِزَوْجَتِهِ .

قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [سورة البقرة/ الآية : ٢٢٨] قَالَ : يَتَزَيَّنُ الرَّجُلُ لِلْمَرْأَةِ كَمَا يُحِبُّ أَنْ تَتَزَيَّنَ لَهُ ... وَيُرَوِّى ذَلِكَ عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ .

٦٣٦ - وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : لَا تُكْرِهُوا فِتْيَاتِكُمْ عَلَى الرَّجُلِ الْقَفِيحِ ، فَإِنَّهُنَّ يُخْبِنْنَ مَا تُحِبُّونَ .

٦٣٧ - وَآتَتْ أُمْرَأَةً إِلَى عُمَرَ بِزَوْجٍ لَهَا أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! خَلَّصْنِي مِنْ هَذَا ؛ فَنَظَرَ عُمَرُ ، فَعَرَفَ مَا كَرِهَتْ مِنْهُ ، فَأَشَارَ إِلَى رَجُلٍ ، فَقَالَ : أَذْهَبَ بِهِ فَحَمَمُهُ وَقَلَّمَ أَظْفَارَهُ ، وَخُذْ مِنْ شَعْرِهِ وَائْتِنِي بِهِ ؛ فَذَهَبَ فَفَعَلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ أَتَاهُ ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ عُمَرُ أَنْ خُذْ بِيَدِهَا ، فَأَخَذَ بِيَدِهَا وَهِيَ لَا تَعْرِفُهُ ، فَقَالَتْ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ! سُبْحَانَ اللَّهِ ، أَبْيَنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَفْعَلُ هَذَا ؟ فَلَمَّا عَرَفَتْهُ ، ذَهَبَتْ مَعَهُ ، فَقَالَ عُمَرُ : هَكَذَا فَاصْنَعُوا لَهُنَّ ، فَوَاللَّهِ ، إِنَّهُنَّ لَيُخْبِنْنَ أَنْ تَتَزَيَّنُوا لَهُنَّ كَمَا تُحِبُّونَ أَنْ يَتَزَيَّنَ لَكُمْ .

٦٣٨ - وَسَمِعَ عُمَرُ أُمْرَأَةً فِي الطَّوَافِ تَقُولُ [من الطويل] :

فَمِنْهُنَّ مَنْ تُسْقَى بِعَذْبٍ مُبَرَّدٍ      نُقَاحٍ فَتِلْكَمُ عِنْدَ ذَلِكَ قَرَّتْ<sup>(١)</sup>  
وَمِنْهُنَّ مَنْ تُسْقَى بِأَخْضَرِ آجِنٍ      أَجَاجٍ فَلَوْلَا خَشْيَةُ اللَّهِ فَرَّتْ<sup>(٢)</sup>  
فَفَهِمَ عُمَرُ شَكْوَاهَا ، وَاسْتَدْعَى زَوْجَهَا ، فَرَأَى رَجُلًا قَبِيحًا ، فَخَيْرَهُ بَيْنَ خَمْسَةِ دِرْهَمٍ أَوْ جَارِيَةٍ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى أَنْ يُطْلَقَهَا ، فَأَخْتَارَ خَمْسَةَ دِرْهَمٍ ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا ، فَطَلَّقَهَا .

(١) النُقَاحُ : الْمَاءُ الْبَارِدُ الْعَذْبُ الصَّافِي الْخَالِصُ ؛ وَقَرَّتْ : اسْتَقَرَّتْ ، مِنْ قَرَّ بِالْمَكَانِ .

(٢) مَاءُ أَجَاجٍ : مِلْحٌ أَوْ مُرٌّ .

٦٣٩ - وَدَخَلَ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ عَلَى امْرَأَتِهِ وَقَدْ تَزَيَّنَتْ ، وَكَانَتْ امْرَأَةً جَمِيلَةً ، وَكَانَ هُوَ قَصِيْرًا قَبِيْحًا ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا أَزْدَادَتْ فِي عَيْنِهِ حُسْنًا ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَصْرِفَ بَصَرَهُ عَنْهَا ، فَقَالَتْ : مَا لَكَ ؟ قَالَ : أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ جَمِيلَةً ! فَقَالَتْ : أَبْشِرْ ، فَإِنِّي وَإِيَاكَ فِي الْجَنَّةِ ؛ قَالَ : مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ هَذَا ؟ قَالَتْ : أُعْطِيتُ مِثْلِي فَشَكَرْتُ ، وَأُعْطِيتُ مِثْلَكَ فَصَبَرْتُ ، وَالشَّاكِرُ وَالصَّابِرُ فِي الْجَنَّةِ ؛ فَحَجَلَ وَنَهَاهَا أَنْ تَعُودَ لِمِثْلِ مَا قَالَتْ .

٦٤٠ - وَخَطَبَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ : « إِنِّهَا صَغِيرَةٌ ! » وَخَطَبَهَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَزَوَّجَهَا مِنْهُ . [النسائي ، رقم : ٣٢٢١] وَكَانَ سِنُّ فَاطِمَةَ إِذْ ذَاكَ خَمْسَ عَشْرَةِ سَنَةً وَسِنُّ عَلِيٍّ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، وَكَانَ بَيْنَ عَلِيٍّ وَبَيْنَ أَبِي بَكْرٍ فِي السَّنِ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً ، وَبَيْنَ عَلِيٍّ وَعُمَرَ ثَمَانِ سِنِينَ .

\* \* \*

٦٤١ - وَتَزَوَّجَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ ، وَكَانَ قَدْ خَضَبَ لِحْيَتَهُ ، فَتَصَلَّاهُ<sup>(١)</sup> خِضَابُهُ ، فَاسْتَعْدَى عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَرْأَةِ عُمَرَ ، وَقَالُوا : حَسْبُنَا شَابًا ! فَأَوْجَعَهُ عُمَرُ ضَرْبًا ، وَقَالَ لَهُ : غَرَزْتُ الْقَوْمَ .

٦٤٢ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ [من الطويل] :

أَلَا يَا عِبَادَ اللَّهِ قَلْبِي مُتَيِّمٌ      بِأَحْسَنِ مَنْ صَلَّى وَأَقْبَحِهِمْ بَعْلًا  
يَدُبُّ عَلَى أَحْشَائِهَا كُلِّ لَيْلَةٍ      دَيْبُ الْقَرْنَبَى يَقْرُونَقًا سَهْلًا  
أَنْظُرْ بَابَ الْكَفَاءَةِ تَجِدُ شَرْحَ هَذَيْنِ الْيَتِيمَيْنِ . [رقم : ٧٤٩] .

\* \* \*

(١) نَصَلَ خِضَابُهُ : زَالَ خِضَابُهُ .

## الْبَابُ الثَّالِثُ

### حَضُّهُمْ الرِّجَالَ عَلَى الْوَصَاةِ بِالنِّسَاءِ

وَمَا دَامَ هَذَا هُوَ مَرْكَزُ الْمَرْأَةِ ، فَلَا جَرَمَ أَنْ يَحْضُوا عَلَى الْوَصَاةِ بِهَا  
وَالْإِشْفَاقِ عَلَيْهَا .

\* \* \*

٦٤٣ - جَاءَ فِي خُطْبَةِ الْوَدَاعِ <sup>(١)</sup> مِمَّا يَحْضُ النِّسَاءُ : « وَأَمَّا بَعْدُ ، أَيُّهَا  
النَّاسُ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْرًا ، فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ ،  
لَا يَمْلِكْنَ لِنَفْسِهِنَّ شَيْئًا ، وَإِنَّكُمْ إِنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ  
فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرُوشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُوهُ ، فَإِنْ  
فَعَلَنَ ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ، وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا  
غَيْرَ مُبْرِحٍ ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكُسُوتهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ » [الترمذي ، رقم : ١١٦٣  
و ٣٠٨٧ ؛ ابن ماجه ، رقم : ١٨٥١] .

قوله ﷺ : « فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ » فَعَوَانٍ جَمْعُ عَانِيَةٍ ، وَهِيَ : الْأَسِيرَةُ ؛  
يَقُولُ ﷺ : إِنَّمَا هُنَّ عِنْدَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْأَسْرَى .

٦٤٤ - رَوَى عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : إِنَّمَا النِّكَاحُ رِقٌّ ،  
فَلْيَنْظُرِ أَمْرُؤٌ مَنْ يَرِيقُ كَرِيمَتَهُ . [قَالَ الْحَافِظُ الْعِرَاقِيُّ فِي « تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ

(١) هِيَ خُطْبَةُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ فِي آخِرِ حَجَّةِ حَجَّهَا ، وَسُمِّيَتْ كَذَلِكَ ، لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ  
يَحْجْ بَعْدَهَا .

« الْأَحْيَاءِ » : رَوَاهُ أَبُو عُمَرَ التُّوْقَانِيُّ فِي « مَعَاشِرَةِ الْأَهْلِيْنَ » مَوْقُوفًا عَلَى عَائِشَةَ وَأَسْمَاءَ ابْنَتَيْ أَبِي بَكْرٍ . قَالَ النَّبِيهَقِيُّ : وَرُويَ ذَلِكَ مَرْفُوعًا ، وَالْمَوْقُوفُ أَصَحُّ .

٦٤٥ - وَقَالَتْ أَمْرَأَةٌ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعَصَعَةَ زُوِّجَتْ فِي طَيِّءٍ [من الطويل] :

وَلَا تَحْمَدَنَّ الدَّهْرَ أَخْتٌ أَخَا لَهَا      وَلَا تَزَيِّنَنَّ الدَّهْرَ بِنْتُ لِيَوَالِدِ  
هُمْ جَعَلُوهَا حَيْثُ لَيْسَتْ بِحُرَّةٍ      وَهُمْ طَرَحُوهَا فِي الْأَقَاصِي الْأَبَاعِدِ

٦٤٦ - وَهَكَذَا كَانُوا يُعِدُّونَ الزَّوْجَةَ كَالْأَسِيرَةِ أَوْ كَالرَّقِيقِ الْمَمْلُوكِ ، وَمِنْ

ثُمَّ كَانُوا يُحِثُّونَ عَلَى الْوَصَاةِ بِهَا وَالرَّحْمَةِ لَهَا وَالْإِشْفَاقِ عَلَيْهَا ، وَمِنْ ثَمَّ تَرَى هَذِهِ الْعَرَبِيَّةَ تَنْعَى عَلَى الْأَبَاءِ وَالْأَخَوَةِ غَلْبَهُمْ - تَزْوِيجَهُمْ - بَنَاتِهِمْ ، وَتَطْرِيحَهُمْ إِيَّاهُمْ فِي الْأَقَاصِي الْأَبَاعِدِ ، وَإِنَّهُمْ لَذَلِكَ لَا يَسْتَحِقُّونَ حَمْدًا وَثَنَاءً مِنْهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ ، وَلَا رِثَاءً إِذْ هُمْ يَمُوتُونَ ، وَلَكِنْ مَا الْحِيلَةُ ؟ وَإِنَّمَا هِيَ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ ! وَبَعْدُ ، فَمِسْكِينَةٌ حَقًّا هِيَ الْمَرْأَةُ لَوْ فَكَّرَ الرَّجَالُ ، وَهِيَ لَذَلِكَ حَقِيقَةٌ بِالْعَطْفِ وَالرَّحْمَةِ وَالرَّثَاءِ .

٦٤٧ - وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَبْعَدِ مِنْ أَنْ النِّكَاحَ رِقٌّ فَجَعَلَهُ وَأَدَا لِبَنَاتِهِمْ .

قَالَ شَاعِرُ « الْحَمَاسَةِ » [من الطويل] :

تَبَعْنِي ابْنُ كُوزٍ وَالسَّفَاهَةُ كَأَسْمِهَا      لَيْسْتَادَ مِنَّا <sup>(١)</sup> أَنْ شَتُونَا لِيَالِيَا  
فَمَا أَكْبَرُ الْأَشْيَاءِ عِنْدِي حَزَازَةٌ      بِأَنْ أَبْتَ مَزْرِيًّا عَلَيْكَ وَزَارِيَا  
وَأَنَا عَلَى عَضِّ الزَّمَانِ الَّذِي تَرَى      نُعَالِجُ مِنْ كُزِهِ الْمَخَازِي الدَّوَاهِيَا  
فَلَا تَطْلُبْنَهَا يَا ابْنَ كُوزٍ فَإِنَّهُ      غَدَا النَّاسُ مُذْ قَامَ النَّبِيُّ الْجَوَارِيَا  
وَإِنَّ أَلْتِي حَدَّثْتُهَا فِي أَنْوْفِنَا      وَأَعْنَاقِنَا مِنَ الْإِبَاءِ كَمَا هِيَا

(١) وَقَالَ فِي « اللَّسَانِ » - مَادَّةِ سَوَدَ - أَنْ مَعْنَى « لَيْسْتَادَ مِنَّا » : أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنَّا سَيِّدَةٌ .



يقول هَذَا الْحَمَاسِيُّ - وَكَانَ رَجُلٌ يُسَمَّى يَزِيدُ بْنُ حُذَيْفَةَ بْنِ كُوزٍ الْأَسَدِيُّ قَدْ خَطَبَ إِلَيْهِ ابْنَتُهُ ، فَأَبَى هَذَا الْحَمَاسِيُّ ، وَقَالَ - : حَاوِلْ ابْنَ كُوزٍ فَتَطْلُبِ النِّكَاحَ فِينَا لِيَتَشَرَّفَ وَيَسُودَ ، أَوْ تَطْلُبِ النِّكَاحَ فِي سَادَاتِنَا ، مِنْ أَجْلِ أَنْ شَتَوْنَا ، أَيُّ : أَجْدُبْنَا وَالْمَ بِنَا الْقَحْطُ ؛ وَكَانَ هَذَا مِنْهُ سَفَهًا ، وَالسَّفَهُ قَبِيحٌ كَأَسَمِهِ . ثُمَّ قَالَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي : وَلَيْسَ يَشْتَدُّ عَلَيَّ رُجُوعُكَ خَائِبًا غَيْرَ ظَافِرٍ بِطَلْبَتِكَ مُزْرِيًا عَلَيْكَ بِرَدِّهَا إِيَّاكَ ، وَزَارِيًا عَلَيْنَا لِتَقْدِيرِكَ أَنَّا أَسَانَا إِلَى أَنْفُسِنَا بِأَنْصِرَافِكَ عَنَّا . ثُمَّ قَالَ فِي الْبَيْتِ الثَّلَاثِ : نَحْنُ نَقَاسِي الدَّوَاهِي مِنْ شِدَّةِ الْحَالِ وَكَلْبِ الزَّمَانِ هَرَبًا مِنَ الْمَخَازِي ؛ ثُمَّ قَالَ : فَلَا تَطْلُبْنَهَا يَا ابْنَ كُوزٍ ... الْبَيْتُ ؛ يَقُولُ : لَا تُحَاوِلْ يَا ابْنَ كُوزٍ أَنْ نَزُوجَكَ إِيَّاهَا ، فَإِنَّ تَزُوجَكَ إِيَّاهَا وَأَدَّ لَهَا ، وَالنَّاسُ مِنْذُ ظَهَرَ النَّبِيُّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَنَهَيْنَا عَنْ وَأِدِ الْبَنَاتِ عَلَى يَدَيْهِ ، قَدْ أَبْقُوا عَلَى الْبَنَاتِ وَأَمْتَنَعُوا مِنْ وَأَدِهِنَّ ، فَكَيْفَ نَدُّ بِنْتَنَا بِتَزْوِيجِكَ إِيَّاهَا ! ثُمَّ قَالَ فِي الْبَيْتِ الْأَخِيرِ : إِنْ أَصَابَتْنَا السَّنَةُ - أَيُّ : الْجَدْبُ - فَنَحْنُ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ الْإِبَاءِ وَعِزَّةِ النَّفْسِ وَشَرَفِ الْهَمَّةِ ، وَإِنَّمَا خَصَّ الْأَنْوَفَ وَالْأَعْنَاقَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ يُقَالُ : فِي أَنْفٍ فَلَانٍ خُنْزَوَانَةٌ ، وَأَنْفُهُ أَنْفُ اللَّيْثِ ، إِذَا أَرَادُوا الْكِبَرَ وَالْعِزَّةَ وَالْأَنْفَةَ ، وَلِلذَلِكَ قَوْلُهُمْ : فِي عُنُقِهِ صَوْرٌ ...

\* \* \*

٦٤٨ - وَلَآنَ سَيِّدَنَا رَسُولُ اللَّهِ كَانَ شَدِيدَ الْإِشْفَاقِ عَلَى النِّسَاءِ ، كَثِيرَ الْوَصَاةِ بِهِنَّ ، لِمَا كُنَّا يُعَانِيَنَّهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ تَحْيِيفِ حُقُوقِهِنَّ .

قَالَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ : « حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءَ وَالطَّيِّبَ ، وَجُعِلَتْ

قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ » <sup>(١)</sup> [النسائي ، رقم : ٣٩٣٩ و ٣٩٤٠ ؛ « مسند أحمد » ، رقم : ١١٨٨٤

(١) يُورِدُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَالْمُحَدِّثِينَ هَكَذَا : « حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ ... » الخ ، بِزِيَادَةٍ =

و١٢٦٤٤ و١٣٦٢٣ قَالَ ابْنُ الْحَجَّاجِ فِي « أَلْمَذْخَلِ » : إِنَّمَا قَالَ : « حُبِّبَ » بِالْفِعْلِ مَجْهُولًا وَلَمْ يَقُلْ : « أَحْبَبْتُ » لِلإِشْعَارِ بِأَنَّ ذَلِكَ الْحُبَّ إِنَّمَا أُريدَ عَلَيْهِ وَأُجْبِرَ لِلتَّشْرِيعِ ، أَمَّا الصَّلَاةُ ، فَلَمَّا كَانَ مَقْطُورًا عَلَى مَحَبَّتِهَا قَالَ : « وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ » ، وَكَذَلِكَ إِنَّمَا قَالَ : « مِنْ دُنْيَاكُمْ » ، فَأَصَافَهَا إِلَيْهِمْ دُونَهُ ، فَلَمْ يَقُلْ : « دُنْيَايَ » وَلَا « مِنْ الدُّنْيَا » ، لِيَدُلَّ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ حُبَّهُ إِنَّمَا هُوَ مَقْصُورٌ عَلَى مَا يُزِلُّهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، مِنَ الصَّلَاةِ الَّتِي جُعِلَتْ قُرَّةَ عَيْنِهِ وَابْتِهَاجَهُ بِهَا لَا غَيْرَ ، إِذْ أَنَّهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِشَرِّهِ الظَّاهِرِ مَلَكُوتِي الْبَاطِنِ ، وَإِذَا هُوَ بَاشَرَ مَا يَصِحُّ أَنْ يُبَاشِرَهُ النَّاسُ فَإِنَّمَا ذَلِكَ كَانَ مِنْهُ تَأْنِيسًا لِأُمْتِهِ وَتَشْرِيعًا لَهَا ، وَلِذَا قَدَّمَ النِّسَاءَ عَلَى الطَّيِّبِ . . . وَهَذَا كَلَامٌ صَحِيحٌ وَحَقٌّ إِذَا نُظِرَ إِلَيْهِ نَظْرَةً مُجَرَّدَةً مِنَ الْهَوَى بَعِيدَةً عَنْ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ ، فَسَيَدُنَا رَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ : إِنَّمَا قُرَّةُ عَيْنِي وَابْتِهَاجِي فَقَطْ فِيمَا يُقَرِّبُنِي إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الصَّلَاةِ وَمَا لَفَّ لِقَافَهَا ، أَمَّا دُنْيَاكُمْ فَإِنَّمَا أَرَادَنِي اللَّهُ وَإِقَامَةَ شَرَائِعِهِ عَلَى حُبِّ النِّسَاءِ وَالطَّيِّبِ مِنْهَا ، أَيُّ : حُبِّ هَذَا الْجِنْسِ الضَّعِيفِ ، وَكَذَلِكَ حُبِّ التَّعَطُّرِ ، لِيَكُونَ لَكُمْ بِي فِي ذَلِكَ أُسْوَةٌ ، فَتَسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ، وَتَتَجَمَّلُوا بِكُلِّ مَا هُوَ جَمِيلٌ ، بِمَا يُجَمِّلُ بَاطِنَكُمْ وَمَا يُجَمِّلُ ظَاهِرَكُمْ . . .

٦٤٩ - وَلْنَمُضِ فِي شَرْحِ كَلِمَةِ الرَّسُولِ ﷺ عَنِ النِّسَاءِ فِي خُطْبَةِ الْوَدَاعِ ، فَأَمَّا قَوْلُهُ : « وَإِنَّكُمْ إِنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ » ، يَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ أَيْتَمَنَكُمْ

= « ثَلَاثٌ » وَهَذِهِ « ثَلَاثٌ » فَضْلًا عَنْ أَنَّهَا تُفْسِدُ الْمَعْنَى ، فَإِنَّ سَيِّدَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَقُلْهَا ، قَالَ ابْنُ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةُ : مَنْ رَوَاهُ : « حُبِّ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ » فَقَدْ وَهَمَ ، وَلَمْ يَقُلْ عَلَيْهِ السَّلَامُ « ثَلَاثٌ » وَالصَّلَاةُ لَيْسَتْ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا حَتَّى تُضَافَ إِلَيْهَا . وَكَذَلِكَ أَنْكَرَ كَلِمَةَ : « ثَلَاثٌ » الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ وَالزُّرْكَشِيُّ وَغَيْرُهُمَا مِنْ رِجَالِ الْحَدِيثِ : وَانْظُرْ « الْمَوَاهِبَ اللَّدْنِيَّةَ » وَشَرَحَهَا لِلزُّرْقَانِيِّ ج ٥ ص ٥١ وَمَا بَعْدَهَا .

عَلَيْهِنَّ فَيَجِبُ حِفْظُ الْأَمَانَةِ وَصِيَانَتُهَا بِمُرَاعَاةِ حُقُوقِهَا وَالْقِيَامُ بِمَصَالِحِهَا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ وَقَوْلُهُ : « وَأَسْتَخْلَتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ » ، فَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ كَلِمَةُ النِّكَاحِ الَّتِي تُسْتَحْلُ بِهَا الْفُرُوجُ ، أَيْ : الصَّبْغُ الَّتِي يَنْعَقِدُ بِهَا النِّكَاحُ مِنْ إِيْجَابِ وَقَبُولِ ؛ وَأَمَّا قَوْلُهُ : « لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرْشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ » فَالْمَعْنَى : أَنَّهُ لَيْسَ لِلزَّوْجَةِ أَنْ تُمَكِّنَ أَحَدًا مَا ، وَلَوْ أَمْرًا أَوْ مُحَرَّمًا ، مِنْ دُخُولِ بَيْتِ زَوْجِهَا إِلَّا إِذَا عَلِمَتْ عَدَمَ كَرَاهِيَةِ زَوْجِهَا لِذَلِكَ ؛ وَعَبَّرَ بِالْفُرْشِ لِأَنَّ الدَّخَلَ يَطَأُ فِرَاشَ الْمَنْزِلِ الَّذِي يَدْخُلُهُ ، قَالَ الْإِمَامُ الْخَطَّابِيُّ : مَعْنَى الْحَدِيثِ : أَنَّهُ لَا يُؤْذَنُ لِأَحَدٍ مِنَ الرِّجَالِ أَنْ يَدْخُلَ فَيَتَحَدَّثَ إِلَيْهِنَّ ، وَكَانَ الْحَدِيثُ مِنَ الرِّجَالِ إِلَى النِّسَاءِ مِنْ عَادَاتِ الْعَرَبِ لَا يَعْدُونَهُ عَيْنًا وَلَا رِيَّةً ، فَلَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ وَصَارَ النِّسَاءُ مَقْصُورَاتٍ ، نَهَى عَنْ مُحَادَثَتِهِنَّ وَالْقُعُودِ إِلَيْهِنَّ ؛ وَقَوْلُهُ ﷺ : « فَإِنْ فَعَلْنَ فَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ » يُرِيدُ : لَا تَحْوُلُوهُنَّ إِلَى بَيْتٍ آخَرَ ، وَلَا تَتَحَوَّلُوا أَنْتُمْ عَنْهُنَّ وَلَكِنْ أَهْجُرُوهُنَّ فِي مَضَاجِعِهِنَّ ، قِيلَ : هُوَ أَنْ يَنَامَ مَعَهَا فِي الْمَضْجَعِ وَلَكِنْ يُؤَلِّقُهَا ظَهْرُهُ وَلَا يُكَلِّمُهَا وَلَا يُجَامِعُهَا ، وَقِيلَ : هُوَ أَنْ يَتْرُكَ مَضْجَعَهَا وَيَنَامَ فِي مَضْجَعٍ غَيْرِهِ وَلَكِنْ فِي بَيْتِهَا ، وَالْمُبْرَحُ : الشَّاقُّ ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ فِي حَدِيثٍ آخَرَ : « لَا يَجْلِدُ أَحَدُكُمْ أَمْرَأَتَهُ جَلْدَ الْبُعِيرِ ، ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ الْيَوْمِ » [البخاري ، رقم : ٤٩٤٢ ؛ مسلم ، رقم : ٢٨٥٥] وَقَوْلُهُ : بِالْمَعْرُوفِ ، أَيْ بِحَسَبِ طَاقَتِكُمْ . .

وَسَيَمُرُّ عَلَيْكَ صَدْرٌ مِنْ عَبَقَرِيَّاتِهِمْ فِي الْحِجَابِ . [الأرقام : ٧٢٠ - ٧٣٨]

\* \* \*

٦٥٠ - وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ

خُلُقًا ، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ » [الترمذي ، رقم : ١١٦٢ ؛ الدارمي ، رقم : ٢٧٩٢] .

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ » أَيُّ : مَنْ يُعَامِلُهُنَّ  
بِالصَّبْرِ عَلَى أَخْلَاقِهِنَّ ، وَبِطَلَاقَةِ الْوَجْهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِنَّ وَكَفَّ الْأَذَى عَنْهُنَّ ،  
وَبَدَّلِ النَّدَى إِلَيْهِنَّ ، وَحَفِظَهُنَّ مِنَ الْمَزَالِقِ وَمَوَاطِنِ الرِّيبِ ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ  
الْمُصْطَفَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَحْسَنُ النَّاسِ مُعَاشِرَةً لِنِسَائِهِ .

\* \* \*

٦٥١- وَقَالَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّمَا الْمَرْأَةُ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ  
عَوْجَاءٍ ، فَإِنْ تَخَرَّصَ عَلَى إِقَامَتِهَا تَكْسِرُهَا ، فَدَارِهَا تَعِشْ بِهَا » [راجع البخاري ،  
رقم : ٥١٨٤ ؛ ومسلم ، رقم : ١٤٦٨] .

الضِّلَعُ وَالضِّلَعُ لُغَتَانِ ، وَشَاهِدُ الضِّلَعِ قَوْلُ حَاجِبِ بْنِ ذُبْيَانَ [من الطويل] :  
هِيَ الضِّلَعُ الْعَوْجَاءُ لَسْتُ تُقِيمُهَا أَلَا إِنْ تَقْوِمَ الضِّلُوعُ أَنْكَسَارُهَا  
وَشَاهِدُ الضِّلَعِ قَوْلُ أَبِي مُفَرِّغٍ [من مجزوء الكامل] :

وَرَمَقَتْهَا فَوَجَذَتْهَا كَالضِّلَعِ لَيْسَ لَهَا اسْتِقَامَةٌ  
وَالضِّلَعُ : مَخْنِيَّةُ الْجَنْبِ - عَظْمٌ مُسْتَطِيلٌ مِنْ عِظَامِ الْجَنْبِ مُنْحَنٍ - وَهِيَ  
مُؤَنَّثَةٌ ، وَالْحَدِيثُ تَمْثِيلٌ ، وَالْمُرَادُ الْإِزْشَادُ إِلَى سِيَاسَةِ النِّسَاءِ ؛ بِأَخْذِ الْعَفْوِ  
مِنْهُنَّ وَالصَّبْرِ عَلَى عَوْجِهِنَّ ، وَإِنْ مَنْ رَامَ تَقْوِيمَهُنَّ فَاتَهُ الْإِنْتِفَاعُ بِهِنَّ ، مَعَ أَنَّهُ  
لَا غِنَى عَنْ أَمْرَاءٍ يَسْكُنُ إِلَيْهَا وَيَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى مَعَاشِهِ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : الْأَسْتِمْتَاعُ  
بِالْمَرْأَةِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا ، وَفِي بَعْضِ رَوَايَاتِ هَذَا الْحَدِيثِ : « إِنْ الْمَرْأَةُ  
خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ ، لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ ، فَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ  
وَفِيهَا عَوْجٌ ، وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا ، وَكَسَرُهَا طَلَاقُهَا » [البخاري ، رقم :  
٣٣٣١ ؛ مسلم ، رقم : ١٤٦٨] ، ثَبَّهَ بِذَلِكَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي

مُدَارَاتُهُنَّ وَأَنْ لَا يُنْعَصَ عَلَيْهِنَّ فِي أَخْلَاقِهِنَّ وَأَنْحِرَافِ طَبَائِعِهِنَّ ، فَإِنْ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى مُفَارَقَتِهِنَّ .

٦٥٢ - وَقَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ [ « الإحياء » ٤٣/٢ ] ، وَذَكَرَ حُقُوقَ الْمَرْأَةِ عَلَى الرَّجُلِ وَحُقُوقَهُ عَلَيْهَا : أَمَّا الْمَرْأَةُ ، فَلَهَا عَلَى زَوْجِهَا أَنْ يُعَاشِرَهَا بِالْمَعْرُوفِ ، وَأَنْ يُحَسِّنَ خُلُقَهُ مَعَهَا . قَالَ : وَلَيْسَ حُسْنُ الْخُلُقِ مَعَهَا كَفَّ الْأَذَى عَنْهَا ، بَلْ أَحْتِمَالُ الْأَذَى مِنْهَا ، وَالْحِلْمُ عَلَى طَيْشِهَا وَغَضَبِهَا ، أَفْتِدَاءٌ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَدْ كَانَ أَزْوَاجُهُ يُرَاجِعُهُ فِي الْكَلَامِ ، وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاهُنَّ إِلَى اللَّيْلِ ؛ وَرَاجَعَتْ أَمْرًا عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْكَلَامَ ، فَعَلَاهَا بِالذُّرَةِ [ وَقَالَ ] : أَتُرَاجِعُنِي يَا لُكَاعُ ! فَقَالَتْ : إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ يُرَاجِعُهُ ، وَهُوَ خَيْرٌ مِنْكَ ؛ فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : لَخَابَتْ حَفْصَةُ وَخَسِرَتْ إِنْ رَاجَعْتُهُ ﷺ ؛ ثُمَّ قَالَ لِحَفْصَةَ : لَا تَغْتَرِّي بِابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ ، فَإِنَّهَا حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (١) .

٦٥٣ - وَدَفَعَتْ إِحْدَاهُنَّ فِي صَدْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَزَجَرَتْهَا أُمُّهَا ، فَقَالَ : « دَعِيهَا ! فَإِنَّهُنَّ يَضُنَّغْنَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ » . [ قَالَ الْحَافِظُ الْعِرَاقِيُّ فِي « تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ الْإِحْيَاءِ » : لَمْ أَقِفْ لَهُ عَلَى أَصْلٍ . ]

٦٥٤ - وَجَرَى بَيْنَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَيْنَ عَائِشَةَ كَلَامٌ حَتَّى أَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ حَكَمًا بَيْنَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَيْنَهَا ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « تَكَلِّمِي أَوْ أَتَكَلَّمُ ؟ » فَقَالَتْ : تَكَلَّمْ أَنْتَ وَلَا تَقُلْ إِلَّا حَقًّا . فَلَطَمَهَا أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَذْمَى فَاهَا ، وَقَالَ : أَوْ يَقُولُ غَيْرَ الْحَقِّ يَا عُدِيَّةَ نَفْسِهَا ؟ ! فَاسْتَجَارَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَعَدَتْ خَلْفَ ظَهْرِهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّا لَمْ نَذْعُكَ لِهَذَا » ، أَوْ : « لَمْ نُرِدْ مِنْكَ هَذَا » . [ قَالَ الْحَافِظُ الْعِرَاقِيُّ فِي « تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ الْإِحْيَاءِ » : أَخْرَجَهُ

(١) يُرِيدُ بِابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ : السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ ؛ وَحُبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَيْ : مَحْبُوبَتُهُ .

الطَّبْرَانِيُّ فِي « الْأَوْسَطِ » ، وَالْخَطِيبُ فِي « التَّارِيخِ » ، مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ [ .

٦٥٥ - وَكَانَ ﷺ يَقُولُ لَهَا : « إِنِّي لَأَعْرِفُ إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً ، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي » ، قَالَتْ : وَكَيْفَ تَعْرِفُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : « إِذَا رَضِيتِ قُلْتُ : لَا إِلَهَ مُحَمَّدٌ ، وَإِذَا غَضِبْتَ قُلْتُ : لَا إِلَهَ إِلَّا إِبْرَاهِيمُ » قَالَتْ : أَجَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا أَسْمَكَ . [ البخاري ، رقم : ٥٢٢٨ ؛ مسلم ، رقم : ٢٤٣٩ ] .

٦٥٦ - قَالَ : وَيُقَالُ : إِنَّ أَوَّلَ حُبٍّ وَقَعَ فِي الْإِسْلَامِ حُبُّ النَّبِيِّ ﷺ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا .

٦٥٧ - قَالَ الْغَزَالِيُّ [ « الإحياء » ٤٤/٢ ] : وَأَعْلَى مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَرِيدَ عَلَى اِخْتِمَالِ الْأَذَى بِالْمُدَاعَبَةِ وَالْمُزَاحِ وَالْمُلَاعَبَةِ ، فَهِيَ الَّتِي تُطِيبُ قُلُوبَ النِّسَاءِ . وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَمْرُحُ مَعَهُنَّ وَيَنْزِلُ إِلَى دَرَجَاتِ عُقُولِهِنَّ فِي الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ ، حَتَّى يُرَوِّى أَنَّهُ كَانَ يُسَابِقُ عَائِشَةَ فِي الْعَدْوِ ، فَسَبَقَتْهُ يَوْمًا وَسَبَقَهَا فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ، وَقَالَ : « هَذِهِ بَيْتُكَ » [أبو داود ، رقم : ٢٥٧٨ ؛ ابن ماجه ، رقم : ١٩٧٩] . [ راجع رقم : ٥٣٣ ] .

٦٥٨ - وَفِي الْخَبَرِ أَنَّهُ ﷺ ، كَانَ مِنْ أَفْكِهِ النَّاسَ مَعَ نِسَائِهِ ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : سَمِعْتُ أَصْوَاتَ أَنَاسٍ مِنَ الْحَبَشَةِ وَمِنْ غَيْرِهِمْ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَنْحَبِينَ أَنْ تَرَى لِعَبْهُنَّ ؟ » قَالَتْ : قُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ ، فَجَاءُوا ، وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ بَيْنَ الْبَابَيْنِ وَوَضَعَ كَفَّهُ عَلَى الْبَابِ وَمَدَّ يَدَهُ ، وَوَضَعْتُ ذَقْنِي عَلَى ذِرَاعِهِ ، وَجَعَلُوا يَلْعَبُونَ وَأَنَا أَنْظُرُ ، وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « حَسْبُكَ ؟ » ، وَأَقُولُ : أَسْكُتُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ؛ ثُمَّ قَالَ : « يَا عَائِشَةُ ! حَسْبُكَ الْآنَ ؟ » فَقُلْتُ : نَعَمْ ؛ فَأَشَارَ

إِلَيْهِمْ ، فَأَنْصَرَفُوا . [ راجع البخاري ، رقم : ٩٥٠ ؛ مسلم ، رقم : ٨٩٢ ] .

٦٥٩ - وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ حُشُونَتِهِ : يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ الصَّبِيِّ ، فَاذَا التَّمَسَ مَا عِنْدَهُ وَجَدَ رَجُلًا .

وَفِي الْخَبَرِ الْمَرْوِيِّ : « إِنَّ اللَّهَ يَنْغَضُّ الْجَعْظَرِيَّ الْجَوَّاطَ » <sup>(١)</sup> [ « كثر العمال » ، رقم : ٤٣٦٧٩ ] .

٦٦٠ - قَالَ الْغَزَالِيُّ [ « الإحياء » ٤٤/٢ ] : وَيَنْبَغِي مَعَ هَذَا أَنْ لَا يَنْبَسِطَ فِي الْمُدَاعَبَةِ وَلَيْنِ الْخُلُقِ وَالْمُوَافَقَةِ بِاتِّبَاعِ هَوَاهَا إِلَى حَدٍّ يُسْقِطُ هَيْبَتَهُ ، وَيُفْسِدُ خُلُقَهَا ، بَلْ يُرَاعِي الْأَعْتِدَالَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ ، فَلَا يَدْعُ إِلَهِيَّةً وَلَا انْقِبَاضَ مَهْمَا رَأَى مَا يَكْرَهُ ، وَلَا يَفْتَحُ بَابَ الْمُسَاعَدَةِ عَلَى ذَلِكَ الْبَتَّةَ ، بَلْ كُلَّمَا رَأَى شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ تَنَمَّرَ وَامْتَعَصَ . قَالَ الْحَسَنُ : مَا أَطَاعَ رَجُلٌ أَمْرًا تَهْوَى إِلَّا كَبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ ، وَقَالَ ﷺ : « تَعَسَ عَبْدُ الزَّوْجَةِ » [ قَالَ الْأَحَافِظُ الْعِرَاقِيُّ فِي « تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ الْإِحْيَاءِ » : لَمْ أَقِفْ لَهُ عَلَى أَصْلٍ . ] ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا أَطَاعَهَا فِي هَوَاهَا فَهُوَ عَبْدُهَا ، وَقَدْ تَعَسَ ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ مَلَكَهُ الْمَرْأَةُ فَمَلَكَهَا هُوَ نَفْسُهُ ، فَقَدْ عَكَسَ الْأَمْرَ وَقَلَبَ الْقَضِيَّةَ ، وَأَطَاعَ الشَّيْطَانَ كَمَا قَالَ : ﴿ وَلَا أَمْرَ لَهُمْ فَلَْيَغْيِرْكَ خَلْقُ اللَّهِ ﴾ [ ٤ سورة النساء / الآية : ١١٩ ] إِذْ حَقَّ الرَّجُلُ أَنْ يَكُونَ مَتَّبِعًا لَا تَابِعًا ، وَقَدْ سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى الرَّجَالَ : ﴿ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ [ ٤ سورة النساء / الآية : ٣٤ ] وَسَمَّى الزَّوْجَ سَيِّدًا ، فَقَالَ : ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ﴾ [ ١٢ سورة يوسف / الآية : ٢٥ ] فَإِذَا انْقَلَبَ السَّيِّدُ مُسَحَّرًا ، فَقَدْ بَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَنَفْسُ الْمَرْأَةِ عَلَى مِثَالِ نَفْسِكَ ، إِنْ أَرْسَلْتَ عِنَانَهَا قَلِيلًا جَمَحَتْ بِكَ طَوِيلًا ، وَإِنْ أَرْخَيْتَ زِمَامَهَا فَرَأَ جَذْبَتَكَ ذِرَاعًا ، وَإِنْ كَبَحْتَهَا وَشَدَدْتَ يَدَكَ عَلَيْهَا فِي مَحَلٍّ

(١) الْجَعْظَرِيُّ : أَلْفَطُ الْغَلِيطُ الْمُتَكَبِّرُ ؛ وَالْجَوَّاطُ : الْبِطْرُ الْكُفُورُ .

الشَّدَّةِ مَلَكَتَهَا ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ثَلَاثَةٌ إِنْ أَكْرَمْتَهُمْ أَهَانُوكَ ، وَإِنْ أَهَنْتَهُمْ أَكْرَمُوكَ ؛ فَذَكَرَ مِنْهُمْ الْمَرْأَةُ ؛ أَرَادَ إِنْ مَحَضَتْ لَهُمُ الْإِكْرَامَ وَلَمْ تُنْمِزْ غِلْظَكَ بِلَيْسِكَ وَفِظَاظَتَكَ بِرِفْقِكَ .

٦٦١ - وَكَانَ نِسَاءُ الْعَرَبِ يُعَلِّمْنَ بَنَاتِهِنَّ اخْتِبَارَ الْأَزْوَاجِ ؛ فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَقُولُ لِابْنَتِهَا : اخْتَبِرِي زَوْجَكَ قَبْلَ الْإِقْدَامِ وَالْجُزْأَةِ عَلَيْهِ ، فَأَنْزِعِي رُجَّ رُمْحِهِ ، فَإِنْ سَكَتَ فَقَطِّعِي اللَّحْمَ عَلَى تُرْسِهِ ، فَإِنْ سَكَتَ فَكَسِّرِي الْعِظَامَ بِسِنِّهِ ، فَإِنْ صَبَرَ فَأَجْعَلِي الْإِكَاكَفَ عَلَى ظَهْرِهِ وَأَمْتِطِيهِ ، فَإِنَّمَا هُوَ حِمَارُكَ . [ راجع رقم : ٨٠١ ] .

٦٦٢ - وَعَلَى الْجُمْلَةِ ، فَبِالْعَدْلِ قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ، وَكُلُّ مَا جَاوَزَ حَدَّهُ انْقَلَبَ إِلَى ضِدِّهِ ، فَيَتَّبِعِي أَنْ تَسْلُكَ سَبِيلَ الْأَقْتِصَادِ فِي الْمُخَالَفَةِ وَالْمُوَافَقَةِ وَتَتَّبِعَ الْحَقَّ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ لِتَسْلَمَ مِنْ شَرِّهِنَّ .

وَمِمَّا يَجْمُلُ إِيْرَادَهَا هُنَا مَا رُوِيَ : أَنَّ أَمْرَأَةً أَتَتْ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! إِنْ زَوْجِي يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أَشْكُوهُ إِلَيْكَ وَهُوَ يَقُومُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ! فَقَالَ لَهَا : جِزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْ مُثْنِيَةِ عَلَى زَوْجِهَا ؛ وَكَأَنَّ عُمَرَ لَمْ يَفْهَمْ عَنْهَا ، وَكَانَ فِي الْمَجْلِسِ كَعْبُ بْنُ سُورٍ الْأَزْدِيُّ ، فَأَخْبَرَ عُمَرَ أَنَّهَا تَشْكُو أَنَّهُ لَيْسَ لَهَا مِنْ زَوْجِهَا نَصِيبٌ ؛ فَأَمَرَهُ عُمَرُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهَا وَيَقْضِيَ بَيْنَهُمَا ، فَقَضَى لِلْمَرْأَةِ يَوْمٍ مِنْ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ وَلَيْلَةٍ مِنْ أَرْبَعِ لَيَالٍ ، فَسَأَلَهُ عُمَرُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحَلَّ لَهُ أَرْبَعَ نِسْوَةٍ لَا زِيَادَةَ ، فَلَهَا لَيْلَةٌ مِنْ أَرْبَعِ لَيَالٍ .

٦٦٣ - وَقَدْ رَوَى الشَّعْبِيُّ هَذَا الْخَبَرَ عَلَى وَجْهِ آخَرَ ، قَالَ : إِنَّ كَعْبَ بْنَ سُورٍ كَانَ جَالِسًا عِنْدَ عُمَرَ ، فَجَاءَتْهُ أَمْرَأَةٌ ، فَقَالَتْ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا قَطُّ أَفْضَلَ



مِنْ زَوْجِي ، إِنَّهُ لَيَسِيْتُ لِنَلِّهِ قَائِمًا وَيَطْلُ نَهَارَهُ صَائِمًا فِي الْيَوْمِ الْحَارِّ مَا يُفْطِرُ ؛ فَاسْتَغْفَرَ لَهَا عُمَرُ وَأَثْنَى عَلَيْهَا ، وَقَالَ : مِثْلُكَ أَثْنَى بِالْخَيْرِ ؛ فَاسْتَحْيَتِ الْمَرْأَةُ وَقَامَتْ رَاجِعَةً ، فَقَالَ كَعْبُ بْنُ سُورٍ : يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ! هَلْ أَعْدَيْتِ الْمَرْأَةَ عَلَى زَوْجِهَا إِذْ جَاءَتْكَ تَسْتَعْدِيكَ<sup>(١)</sup> ؟ فَقَالَ عُمَرُ : أَكْذَلِكِ أَرَادَتْ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : رُدُّوْا عَلَيَّ الْمَرْأَةَ ؛ فَرَدَّتْ ، فَقَالَ لَهَا : لَا بَأْسَ بِالْحَقِّ أَنْ تَقُولِيهِ ، إِنَّ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّكَ جِئْتِ تَشْتَكِينَ زَوْجَكَ أَنَّهُ يَجْتَنِبُ فِرَاشَكَ ؛ قَالَتْ : أَجَلْ ، إِنِّي أَمْرَأَةٌ شَابَّةٌ ، وَإِنِّي أَبْتَغِي مَا يَبْتَغِي النِّسَاءُ ؛ فَأَرْسَلَ إِلَى زَوْجِهَا ، فَجَاءَ ، فَقَالَ لِكَعْبٍ : أَقْضِ بَيْنَهُمَا ؛ فَقَالَ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَحَقُّ بِأَنْ يَقْضِيَ بَيْنَهُمَا ؛ فَقَالَ : عَزَمْتُ عَلَيْكَ لَتَقْضِيَنَّ بَيْنَهُمَا ، فَإِنَّكَ فَهِمْتَ مِنْ أَمْرِهِمَا مَا لَمْ أَفْهَمْ ؛ قَالَ : فَإِنِّي أَرَى أَنَّ لَهَا يَوْمًا مِنْ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ إِنْ كَانَ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ غَيْرُهَا ، فَإِنِّي أَقْضِي لَهُ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَلِيَالِيَهُنَّ يَتَعَبَّدُ فِيهِنَّ ، وَلَهَا يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ ؛ فَقَالَ عُمَرُ : أَذْهَبْ ، فَأَنْتَ قَاضٍ عَلَى الْبَصْرَةِ . . .

٦٦٤ - وَمِمَّا يَصِحُّ إِيرَادُهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ذَرُّوْ مِنْ حَشَمِهِمْ عَلَى الْبِرِّ بِالْأُمَّهَاتِ ، قَالَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « الْجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْأُمَّهَاتِ » [« الجامع الصغير » ، رقم : ٣٦٤٢ ] .

وَالْمُرَادُ : أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ فِي بَرٍّ أُمِّهِ وَخِدْمَتِهَا كَالْتُّرَابِ تَحْتَ قَدَمَيْهَا ، مُؤَثِّرًا لِهَوَاهَا عَلَى هَوَاهُ ، مُقَدِّمًا بِرَّهَا عَلَى سِوَاهَا ، لِتَحْمُلِهَا شِدَائِدَ حَمْلِهِ وَرِضَاعِهِ وَتَرْبِيَّتِهِ .

٦٦٥ - وَقِيلَ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ :

(١) يُقَالُ : اسْتَعْدَيْتِ الْأَمِيرَ عَلَى فُلَانٍ فَأَعْدَانِي ، أَيُّ : اسْتَعْنْتُ بِهِ عَلَيْهِ فَأَعَانَنِي ، وَالْأَسْمُ مِنْهُ الْعَدُوِّيُّ ، وَهِيَ : طَلَبُ الْمَعُونَةِ .

إِنَّكَ مِنْ أَبَرِّ النَّاسِ بِأَمِّكَ ، وَلَسْنَا نَرَاكَ تَأْكُلُ مَعَ أُمِّكَ فِي صَحْفَةٍ ! فَقَالَ : أَخَافُ أَنْ تَسْبِقَ يَدِي إِلَى مَا قَدْ سَبَقَتْ عَيْنُهَا إِلَيْهِ فَأَكُونُ قَدْ عَقَقْتُهَا .

٦٦٦ - وَمِنْ طَرَفِهِمْ مَا رَوَاهُ الْمُبَرِّدُ [« الكامل » صفحة : ٤٣٧] : أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلٌ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَهُوَ يَدْعُو لِأُمِّهِ وَلَا يَذْكُرُ أَبَاهُ ، فَعَوِثَبَ ، فَقَالَ : هَذِهِ ضَعِيفَةٌ وَأَبِي رَجُلٌ يَخْتَالُ لِنَفْسِهِ .

٦٦٧ - قَالَ [« الكامل » صفحة : ٤٣٧] : وَرَأَيْتُ رَجُلًا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَأُمُّهُ عَلَى عُنُقِهِ وَهُوَ يَقُولُ [من الرجز] :

أَحْمِلُ أُمِّي وَهِيَ الْحَمَّالَةُ تُرْضِعُنِي الدَّرَّةَ وَالْعُلَّالَةَ  
وَلَا يُجَازِي وَالِدُ فَعَالَةٍ<sup>(١)</sup>

٦٦٨ - وَقَدْ أوردنا كثيراً من عُبَرِيَّاتِهِمْ فِي بَرِّ الْوَالِدَيْنِ فِي الْمَجْلَدِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ [أي : أَوَّلِ هَذَا الْكِتَابِ ٩] . وَأَسْتَفَاءَ لِهَذَا الْبَابِ ، بَابِ الْحَثِّ عَلَى الْوَصَاةِ بِالنِّسَاءِ ، نُورِدُ صَدْرًا مِنْ حَثِّهِمْ عَلَى مَحَبَّةِ الْبَنَاتِ . . .

٦٦٩ - يُرْوَى أَنَّ مَعْنَ بْنَ أَوْسٍ الْمُزْنِيَّ - شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ مِنَ الْفُحُولِ - كَانَ مِثْنَاثًا ، وَكَانَ لَهُ ثَمَانِ بَنَاتٍ ، وَكَانَ يُحْسِنُ صُحْبَتَهُنَّ وَتَرْبِيَتَهُنَّ ، فَوُلِدَ لِبَعْضِ عَشِيرَتِهِ بِنْتُ ، فَكَرِهَهَا وَأَظْهَرَ جَزْعًا مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ مَعْنُ [من الطويل] :

رَأَيْتُ رَجُلًا يَكْرَهُونَ بَنَاتِهِمْ وَفِيَهُنَّ - لَا تُكْذِبُ - نِسَاءً صَوَالِحُ  
وَفِيَهُنَّ ، وَالْأَيَّامُ يَعْتَزْنَ بِالْفَتَى عَوَائِدُ لَا يَمْلِكُنَّه نَوَائِحُ  
٦٧٠ - وَدَخَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَعِنْدَهُ ابْنَتُهُ عَائِشَةُ ، فَقَالَ :

(١) الدَّرَّةُ : أَسْمُ مَا يَدُرُّ مِنْ ثَلْثِيهَا أَبْدَاءُ كَانَ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ؛ وَالْعُلَّالَةُ لَا تُكُونُ إِلَّا بَعْدَ حَلْبِ الدَّرَّةِ ؛ وَفَعَالَهُ ، أَيِ : فِعْلُهُ الْحَسَنُ .

مَنْ هَذِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ : هَذِهِ تَفَاحَةُ الْقَلْبِ ؛ فَقَالَ : أَنْبِذْهَا عَنْكَ ؛  
 قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : لِإِنَّهُمْ يَلِدْنَ الْأَعْدَاءَ ، وَيَقْرَبْنَ الْبُعْدَاءَ ، وَيُورِثُنَ الضَّغَائِنَ ؛  
 فَقَالَ : لَا تَقُلْ ذَلِكَ يَا عَمْرُو ، فَوَاللَّهِ مَا مَرَضَ الْمَرَضَى وَلَا نَدَبَ الْمَوْتَى وَلَا  
 أَعَانَ عَلَى الْأَحْزَانِ ، مِثْلُهُنَّ ، وَإِنَّكَ لَوَاجِدٌ خَالًا قَدْ نَفَعَهُ بَنُو أُخْتِهِ ؛ فَقَالَ لَهُ  
 عَمْرُو : مَا أَعْلَمُكَ إِلَّا حَبَبْتَهُنَّ إِلَيَّ . . .

٦٧١ - وَقَالَ أَبُو خَالِدٍ الْقِنَانِيُّ - وَكَانَ مِنَ الْخَوَارِجِ - [«الكامل» صفحة : ١٠٨٢] :

وَكَانَ قَطْرِئُ بْنُ الْفَجَاءَةِ دَعَاهُ إِلَى الْخُرُوجِ لِلْقِتَالِ ، فَقَالَ [من الوافر] :

لَقَدْ زَادَ الْحَيَاةَ إِلَيَّ حُبًّا      بَنَاتِي ، إِنَّهُنَّ مِنَ الضَّعَافِ  
 أَحَازِرُ أَنْ يَرِينَ الْبُؤْسَ بَعْدِي      وَأَنْ يَشْرَبْنَ رَنْقًا بَعْدَ صَافٍ<sup>(١)</sup>  
 وَأَنْ يَغْرِينَ إِنْ كُسِيَ الْجَوَارِي      فَتَنْبُو الْعَيْنُ عَنْ كَرَمِ عِجَافٍ<sup>(٢)</sup>  
 [ وَأَنْ يَضْطَرَّهُنَّ الدَّهْرُ بَعْدِي      إِلَى غَمْرِ غَلِيظِ الْقَلْبِ جَافٍ ]  
 وَلَوْ لَا ذَاكَ قَدْ سَوَّمْتُ مُهْرِي      وَفِي الرَّحْمَنِ لِلضُّعْفَاءِ كَافٍ<sup>(٣)</sup>  
 أَبَانَا ، مَنْ لَنَا إِنْ غَبَتْ عَنَّا      وَصَارَ الْحَيُّ بَعْدَكَ فِي اخْتِلَافِ  
 رَاجِعِ الْمُجَلَّدِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ [أَي : أَوَّلِ هَذَا الْكِتَابِ] .

٦٧٢ - وَقَالَ حِطَّانُ بْنُ الْمُعَلَّى - شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ - [من السريع] :

أَنْزَلَنِي الدَّهْرُ عَلَى حُكْمِهِ      مِنْ شَامِخٍ عَالٍ إِلَى خَفْضِ

(١) الرَنْقُ : الْمَاءُ الْكَثِيرُ .

(٢) كَرَمٌ عِجَافٌ : قَالَ ابْنُ سِيدَةَ : رَجُلٌ كَرَمٌ ، أَي : كَرِيمٌ ، وَكَذَلِكَ الْإِثْنَانِ وَالْجَمْعُ وَالْمَوْنُثُ ،  
 يَقُولُ : أَمْرَأَةٌ كَرَمٌ ، وَنِسْوَةٌ كَرَمٌ ، لِأَنَّهُ وَصَفَ بِالْمَصْدَرِ ؛ وَعِجَافٌ ، جَمْعُ عَجْفَاءٍ عَلَى غَيْرِ  
 قِيَاسٍ ، وَالْعُجْفُ : الْهَزَالُ .

(٣) يَقُولُ : لَوْلَا إِشْفَاقِي عَلَى بَنَاتِي لَخُضْتُ غِمَارَ الْحَزْبِ وَاللَّهُ حَسْبُهُنَّ وَكَافٍ لَهُنَّ ؛ وَالْحَيْلُ  
 الْمُسَوِّمَةُ : الْمُرْسَلَةُ وَعَلَيْهَا رُجْبَانُهَا .

وَعَالِي الدَّهْرُ يَوْفِرُ الْغِنَى      فَلَيْسَ لِي مَالٌ سِوَى عِرْضِ  
أَبْكَانِي الدَّهْرُ وَيَا رَبَّمَا      أَضْحَكُنِي الدَّهْرُ بِمَا يُرْضِ  
لَوْلَا بَيِّنَاتُ كَرْغَبِ الْقَطَا      رُدْدَنَ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضِ  
لَكَانَ لِي مُضْطَرَّبٌ وَاسِعٌ      فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ  
وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا بَيْنَنَا      أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ  
لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى بَعْضِهِمْ      لَأَمْتَنَعَتْ عَيْنِي مِنَ الْغَمِضِ

أَنْزَلَنِي الدَّهْرُ عَلَى حُكْمِهِ : أَنْزَلَهُ مِنْ الْعِزَّةِ إِلَى الدَّلَّةِ يَحْكُمُ فِيهَا بِمَا يَشَاءُ ؛  
وَمِنْ شَامِخٍ : مِنْ جَبَلٍ شَاهِقٍ طَوِيلٍ فِي السَّمَاءِ ؛ وَإِلَى خَفَضٍ : إِلَى مُطْمَئِنٍّ مِنَ  
الْأَرْضِ ، وَهَذَا تَمْثِيلٌ ؛ وَعَالِي الدَّهْرُ : أَخَذَهُ غِيْلَةً مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ ؛ وَيَوْفِرُ  
الْغِنَى ، يُرِيدُ فِي كَثْرَةِ مَالِهِ ؛ وَلَيْسَ لِي مَالٌ سِوَى عِرْضِي ، أَيِ : لَمْ يُبْقِ لَهُ  
الدَّهْرُ شَيْئًا إِلَّا أَتَى عَلَيْهِ ، سِوَى عِرْضِهِ فَلَمْ يَنْتَقِضْهُ ؛ وَالْعِرْضُ : مَوْضِعُ الْمَدْحِ  
وَالذَّمِّ مِنَ الْإِنْسَانِ سِوَاءِ كَانَ فِي نَفْسِهِ أَوْ سَلَفِهِ أَوْ مَنْ يَلْزُمُهُ أَمْرُهُ ، وَقِيلَ : هُوَ  
جَانِبُهُ الَّذِي يَصُونُهُ مِنْ نَفْسِهِ وَحَسَبِهِ وَيُحَامِي عَنْهُ أَنْ يُنْتَقَصَ وَيُثْلَبَ ؛ وَبِمَا  
يُرْضِي : أَضْحَكُنِي أَخِيَانًا بِمَا يُرْضِينِي ؛ وَكَزْغَبِ الْقَطَا : وَاحِدُهَا زَغَبَاءُ ،  
وَالذَّكْرُ أَرْغَبُ ، وَالْمَصْدَرُ الزَّغْبُ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَا يَبْدُو مِنْ رِيَشِ الْفَرَخِ ، وَكَذَا  
مِنْ شَعْرِ الصَّبِيِّ ؛ وَرُدْدَنَ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ : تَصْوِيرٌ لِهَيْئَةِ تَدَاخُلِ الْأَفْرَاحِ  
وَالْأَنْصِمَامِ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضٍ أَوَّلَ نَشَاطِهِنَّ ، يَصِفُ بَنَاتَهُ بِأَنَّهُنَّ ضِعَافٌ لَا يَسْتَطِيعْنَ  
الْقِيَامَ بِشُؤْنِهِنَّ ؛ وَمُضْطَرَّبٌ : أَضْطَرَابٌ وَتَحَرُّكٌ ؛ وَأَكْبَادُنَا : تَمْثِيلٌ لِمَعْنَى  
الْشَّفَقَةِ عَلَيْهِنَّ ، وَقَدْ بَيَّنَّهَا بِقَوْلِهِ : لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ ... أَلَيْتَ .

\* \* \*

حَدِيثُ أَبِي زَرْعٍ وَأُمِّ زَرْعٍ :

٦٧٣ - وَنَخْتِمُ هَذَا الْبَابَ - بَابُ الْإِحْسَانِ فِي مُعَاشَرَةِ الْأَهْلِ وَحَضْرِهِمْ

الرَّجَالَ عَلَى الرَّفْقِ بِالنِّسَاءِ وَمُفَاكِهَتِهِنَّ بِحَدِيثِ طَرِيفٍ أوردَهُ الْبُخَارِيُّ [رقم : ٥١٨٩] فِي صَحِيحِهِ وَأوردَهُ غَيْرُهُ [مسلم ، رقم : ٢٤٤٨] مِنْ رِجَالِ الْحَدِيثِ ، وَذَلِكَ أَنَّ سَيِّدَنَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ يَوْمًا لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يُدَاعِبُهَا وَيُفَاكِهَهَا وَيَقْصُصُ عَلَيْهَا مِنْ طَرَفِ الْمَاضِينَ مَا تَنْبَسِطُ بِهِ نَفْسُهَا وَمَا فِيهِ لِمَنْ بَقِيَ اعْتِبَارٌ ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِعِبَارَةٍ مَسْجُوعَةٍ سَجْعًا لَهُ هُوَ الْآخِرُ طِلَاوَتُهُ ، أَمَّا أَلْفَاظُهُ الْغَرِيبَةُ فَهِيَ أَيْضًا مِمَّا يُسْتَطَرَفُ وَيُسْتَسَاعُ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ ، قَالَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلِيمَاتُهُ عَلَيْهِ لِعَائِشَةَ وَقَدْ سَمِعَهَا تَفْخَرُ بِمَالِ أَبِيهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ أَلْفَ أَلْفٍ أَوْ قِيَّةً ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : أَسْكُتِي يَا عَائِشَةُ فَإِنِّي « كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْعٌ لِأُمِّ زَرْعٍ » ، قَالَتْ عَائِشَةُ : يَا أَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَنْ كَانَ أَبُو زَرْعٍ ! قَالَ ﷺ : « جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ أَمْرَأَةً ، فَتَعَاهَدْنَ أَنْ لَا يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا ، قَالَتِ الْأُولَى : زَوْجِي لَحْمٌ جَمَلٌ غَثٌ ، عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ وَغَثٍ ، لَا سَهْلٌ فَيُرْتَقَى ، وَلَا سَمِينٌ فَيُنْتَقَى ؛ قَالَتِ الثَّانِيَةُ : زَوْجِي لَا أَبْتُ خَبْرَهُ ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا أَدْرُهُ ، إِنْ أَذْكَرُهُ أَذْكَرُ عُجْرَهُ وَبُجْرَهُ ؛ قَالَتِ الثَّالِثَةُ : زَوْجِي الْعَشْتُقُ ، إِنْ أَنْطَقَ أُطْلِقُ ، وَإِنْ أَسْكُتَ أَعْلَقُ ؛ قَالَتِ الرَّابِعَةُ : زَوْجِي كَلِيلُ تِهَامَةٍ ، لَا حَرٌّ وَلَا قَرٌّ وَلَا مَخَافَةٌ وَلَا سَامَةٌ ؛ قَالَتِ الْخَامِسَةُ : زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهَدَ ، وَإِنْ خَرَجَ أَسَدَ ، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا عَهِدَ ؛ قَالَتِ السَّادِسَةُ : زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفٌّ ، وَإِنْ شَرِبَ أَشْتَفَ ، وَإِنْ أَضْطَجَعَ أَلْتَفَ ، وَلَا يُولِجُ الْكَفَّ لِيَعْلَمَ الْبَثَّ ؛ قَالَتِ السَّابِعَةُ : زَوْجِي غَيَابَاءُ طَبَاقَاءُ ، كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَوَاءٌ ، إِنْ حَدَّثْتُهُ سَبَّكَ ، وَإِنْ مَازَحْتُهُ شَجَّكَ ، أَوْ جَمَعَ كُلًّا لَكَ ؛ قَالَتِ الثَّامِنَةُ : زَوْجِي الْمَسُّ مَسُّ أَرْنبٍ وَالرَّيْحُ رِيحُ زَرْبٍ ؛ قَالَتِ التَّاسِعَةُ : زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ ، طَوِيلُ النَّجَادِ ، عَظِيمُ الرَّمَادِ ، قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِ ؛ قَالَتِ الْعَاشِرَةُ : زَوْجِي مَالِكٌ ، وَمَا مَالِكٌ ؟ مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ ، لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ ، قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ ، وَإِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمَزْهَرِ أَيْقَنَ أَنَّهُنَّ

هَوَالِكُ ؛ قَالَتْ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ ، وَمَا أَبُو زَرْعٍ ؟ أَنَاسَ مِنْ حُلِيِّ  
أُذُنِي ، وَمَلَأَ مِنْ شَحْمِ عَضُدِي ، وَبَجَحَنِي فَبَجَحَتْ نَفْسِي إِلَيَّ ، وَجَدَنِي فِي  
أَهْلِ غُنَيْمَةِ بِشَقٍّ فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ ، وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ ، وَعِنْدَهُ أَقُولُ  
فَلَا أَقْبَحُ ، وَأَرْقُدُ فَأَنْصَبُ ، وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنُّ ؛ أُمُّ أَبِي زَرْعٍ ، فَمَا أُمُّ أَبِي زَرْعٍ ؟  
عُكُومُهَا رَدَاخُ ، وَبَيْتُهَا فَسَاخُ ؛ ابْنُ أَبِي زَرْعٍ ، فَمَا ابْنُ أَبِي زَرْعٍ ؟ مَضْجَعُهُ  
كَمَسَلِ السُّطْبَةِ ، وَتُسْبَعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ ؛ بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ ، فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ ؟  
طَوْعُ أَبِيهَا ، وَطَوْعُ أُمِّهَا ، وَمِلءُ كِسَائِهَا ، وَغَيْظُ جَارَتِهَا ؛ جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ ،  
فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ ؟ لَا تَبْتُ حَدِيثَنَا تَبْثِيئًا ، وَلَا تُنَقِّتُ مِيرَتَنَا تَنْقِيئًا ، وَلَا تَمْلَأُ  
بَيْتَنَا تَعْشِيئًا ؛ قَالَتْ : ثُمَّ خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالْأَوْطَابُ تَمَخَضُ ، فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا  
وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ ، يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَضِرِهَا بِرُمَانَتَيْنِ ، فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا ،  
فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا ، رَكِبَ سَرِيًّا ، وَأَخَذَ خَطِيًّا ، وَأَرَاخَ عَلَيَّ نَعْمًا ثَرِيًّا ،  
وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةِ زَوْجًا ، وَقَالَ : كُلِّي أُمُّ زَرْعٍ ، وَمِيرِي أَهْلَكَ ؛ قَالَتْ :  
فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آيَةِ أَبِي زَرْعٍ « ... فَقَالَ رَسُولُ  
اللَّهِ ﷺ : « فَكُنْتُ لَكَ يَا عَائِشَةُ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ فِي الْأُلْفَةِ وَالرِّفَاءِ »<sup>(١)</sup> ، لَا فِي  
الْفُرْقَةِ وَالْخِلَاءِ »<sup>(٢)</sup> ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَّقَهَا وَأَنِّي لَا أُطْلَقُ » ، قَالَتْ عَائِشَةُ : بِأَبِي وَأُمِّي  
لَأَنْتَ خَيْرٌ لِي مِنْ أَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ ...

الشرح ، قَالَ عَلَمَاؤُنَا : إِنَّ سَبَبَ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ عَائِشَةَ كَمَا قُلْنَا فَخَرَتْ  
بِمَالِ أَبِيهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « أَسْكُتِي يَا عَائِشَةُ ! فَإِنِّي كُنْتُ لَكَ  
كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ » ؛ وَقِيلَ : إِنَّ السَّبَبَ أَنَّ سَيِّدَنَا رَسُولَ اللَّهِ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْوَفَاءُ » بَدَلًا مِنْ : « الرِّفَاءُ » . بِسَام .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « الْجَلَاءُ » بَدَلًا مِنْ : « الْخِلَاءُ » الَّتِي تَعْنِي : الْمُبَاعَدَةَ وَالْمَجَانِبَةَ . بِسَام .

وَأَبْنَتِهِ فَاطِمَةَ وَقَدْ جَرَى بَيْنَهُمَا كَلَامٌ ، فَقَالَ : مَا أَنْتِ بِمُنْتَهِيَةٍ يَا حُمَيْرَاءُ<sup>(١)</sup> عَنِ ابْنَتِي ، « إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلُكَ كَأَبِي زَرْعٍ » مَعَ أُمِّ زَرْعٍ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! بِأَبِي وَأُمِّي حَدَّثْنَا عَنْهُمَا . . . الخ . هَذَا وَيَنْطَوِي فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَعَانٍ ، مِنْهَا إِحْسَانُ الْمَرْءِ فِي عَشْرَةِ زَوْجِهِ بِالتَّائِسِ ، وَالْمُزَاحِ وَبَسْطُ النَّفْسِ وَمُدَاعِبَةُ الرَّجُلِ زَوْجَهُ وَإِعْلَامُهَا بِمَحَبَّتِهِ لَهَا ، وَمِنْهَا حَضُّ النِّسَاءِ عَلَى الْوَفَاءِ لِبُعُولَتِهِنَّ وَالشُّكْرِ لِحَبِيلِهِمْ ، وَمِنْهَا الْحَثُّ عَلَى الْإِشَادَةِ بِمَحَاسِنِ الزَّوْجِ مَا دَامَ ذَا خُلُقٍ حَسَنٍ ، وَمِنْهَا أَنَّ مِنْ شِيمَةِ الْمَرْأَةِ التَّحَدُّثُ إِلَى النِّسَاءِ عَنْ أَخْلَاقِ زَوْجِهَا إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ ، إِلَى آخِرِ مَا هُنَالِكَ ، وَالْآنَ فَلْنُشْرَحِ الْحَدِيثَ .

أَمَّا قَوْلُ الْأُولَى : زَوْجِي لَحْمٌ جَمَلٍ غَثٌّ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ وَغَثٌّ . . . فَأَلْغَتْ : الْهَزِيلُ ؛ وَالْوَعْتُ : الصَّغْبُ الْمُرْتَقَى بِحَيْثُ يَشْقُ فِيهِ الْمَشْيُ ، وَمِنْهُ وَعْثَاءُ السَّفَرِ ؛ وَيُنْتَقَى ، أَيِ : يُطْلَبُ نَفْيُهُ ، وَالنَّقْيُ : الْمُنْحُ ، تَقُولُ : إِنَّ زَوْجَهَا كَلَحْمٍ جَمَلٍ هَزِيلٍ فَوْقَ جَبَلٍ وَغَيْرِ ، فَلَا الْجَبَلُ سَهْلٌ فَلَا يَشْقُ ارْتِقَاؤُهُ لِأَخْذِ اللَّحْمِ وَلَوْ كَانَ هَزِيلًا ، وَلَا اللَّحْمُ سَمِينٌ فَيَتَحَمَّلُ الْمَشَقَّةَ فِي صُعودِ الْجَبَلِ لِتَخْصِيلِهِ ؛ شَبَّهَتْ زَوْجَهَا بِلَحْمٍ الْجَمَلِ الْهَزِيلِ فِي قِلَّةِ خَيْرِهِ وَمَنْفَعَتِهِ ، وَشَبَّهَتْ عُورَةَ خُلُقِهِ وَشِرَاسَتَهُ بِالْجَبَلِ الْوَعَثِ ، وَبَعْدَ خَيْرِهِ بِبُعْدِ اللَّحْمِ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ ، وَالزُّهْدَ فِيمَا يُرْجَى مِنْهُ مَعَ قِلَّتِهِ بِالزُّهْدِ فِي لَحْمِ الْجَمَلِ الْهَزِيلِ ، فَأَعْطَتْ التَّشْبِيهَ حَقَّهُ وَوَفَّقَتْهُ قِسْطَهُ .

وَقَوْلُ الثَّانِيَةِ : إِنْ أَذْكَرُهُ أَذْكَرُ عَجْرَهُ وَبُجْرَهُ ، تُرِيدُ أَذْكَرُ مَعَانِيَهُ الْكَثِيرَةَ

(١) كَانَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ لِعَائِشَةَ أحياناً : « يَا حُمَيْرَاءُ » ، تَصْغِيرُ الْحُمْرَاءِ ، يُرِيدُ : الْبَيْضَاءَ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُ لَوْنًا مِنْ مُفَاكِهِتِهَا لَهَا ، وَفِي الْحَدِيثِ : « خُذُوا شَطْرَ دِينِكُمْ مِنَ الْحُمَيْرَاءِ » . [ « النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ » لابن الأثير ، مادة : حمر ] .

وَتَأَخَّرُهُ عَنِ الْمَكَارِمِ ، وَهَذَانِ الْحَرْفَانِ - عَجْرُهُ وَبُجْرُهُ - قَدْ يُسْتَعْمَلَانِ فِيمَا يَكْتُمُهُ الْمَرْءُ وَيُخْفِيهِ ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلَانِ فِي الْهُمُومِ وَالْأَحْزَانِ ، وَقَدْ يُقَالُ : أَفْضَيْتُ إِلَيْهِ بِعُجْرِي وَبُجْرِي ، أَيْ : بِأَمْرِي كُلِّهِ ، تَقُولُ هَذِهِ الْمَرْأَةُ : إِنِّي أَخَافُ إِلَّا أَتْرَكَ مِنْ خَبَرِ زَوْجِي شَيْئًا ، أَيْ : إِنَّهُ لَطَوِيلُ وَكَثْرَتِهِ أَخَافُ إِنْ بَدَأْتُهِ لَمْ أَقْدِرْ عَلَى تَكْمِيلِهِ ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلِهَا : إِنِّي أَخَافُ إِلَّا أَذَرُهُ ، ثُمَّ قَالَتْ : إِنْ ذَكَرْتُ خَبَرَ زَوْجِي أَذْكَرُ كُلَّ شَيْءٍ فِيهِ مِنْ مَسَاوِيهِ ، وَهَذَا مِمَّا أَخْشَاهُ ، فَقَدْ يَبْلُغُهُ فَيَفَارِقُهَا ، وَقَدْ أَلْتَزَمْتُ الصَّدَقَ ، فَسَكَتَتْ عَنِ التَّفْسِيرِ لِذَلِكَ ؛ فَهَذِهِ الثَّانِيَةُ أَيْضًا مِمَّنْ يَذْمُنَ أَرْوَاجَهُنَّ لِمَسَاوِيهِنَّ ، وَلَكِنَّهَا تَذُمَّ بِالْكِنَايَةِ .

وَقَوْلُ الثَّالِثَةِ : زَوْجِي أَلْعَشْتُ ، فَأَلْعَشْتُ : أَلْقَيْتُ الطُّوْلَ ؛ وَقَالَ الْخَلِيلُ : هُوَ الطُّوِيلُ أَلْعَنُ ؛ تَقُولُ : إِنْ لَهُ مِنْظَرًا بِلاَ مَخْبَرٍ ، لِأَنَّ الطُّوْلَ فِي الْغَالِبِ دَلِيلُ السَّفَفِ ؛ وَقَوْلُهَا : إِنْ أَنْطِقَ أُطَلِّقَ . . . الخ ، تَقُولُ : إِنْ ذَكَرْتُ عُيُوبَهُ فَيَبْلُغُهُ ذَلِكَ طَلَّقَهَا ، وَإِنْ سَكَتَتْ عَنْهَا فَهِيَ عِنْدَهُ مُعَلَّقَةٌ ، لَا ذَاتُ زَوْجٍ وَلَا أَيْمٌ ؛ أَوْ تَقُولُ : إِنَّهَا أَرَادَتْ سُوءَ حَالِهَا عِنْدَهُ ، فَأَشَارَتْ إِلَى سُوءِ خُلُقِهِ وَعَدَمِ أَحْتِمَالِهِ لِكَلَامِهَا إِنْ سَكَتَ لَهُ حَالُهَا ، وَأَنَّهَا تَعْلَمُ أَنَّهَا مَتَى ذَكَرَتْ لَهُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ بَادَرَ إِلَى طَلْقِهَا ، وَإِنْ سَكَتَتْ صَابِرَةٌ كَانَتْ عِنْدَهُ كَالْمُعَلَّقَةِ الَّتِي هِيَ لَا ذَاتُ زَوْجٍ وَلَا أَيْمٌ ، وَفِي رِوَايَةٍ [ يَنْقُوبُ بْنُ السُّكَيْتِ ] بَعْدَ قَوْلِهَا : وَإِنْ أَسْكُتُ أُعَلِّقُ ، عَلَى حَدِّ السَّنَانِ الْمُدَلَّقِ ، وَالْمُدَلَّقُ : الْمُجَرَّدُ . أَيْ : إِنَّهَا إِنْ حَادَثَ عَنْ السَّنَانِ سَقَطَتْ فَهَلَكَتْ ، وَإِنْ أَسْتَمَرَّتْ عَلَيْهِ أَهْلَكَهَا . . . وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ كَذَلِكَ مِمَّنْ لَا يَحْمَدُنَ أَرْوَاجَهُنَّ كَمَا تَرَى .

أَمَّا الرَّابِعَةُ الَّتِي تَقُولُ : زَوْجِي كَلِيلُ تِهَامَةٍ . . الخ ، فَإِنَّهَا تُرِيدُ مَدْحَ زَوْجِهَا إِذْ تَصِفُهُ بِجَمِيلِ الْعُشْرَةِ ، وَأَعْتِدَالِ الْحَالِ ، وَسَلَامَةِ الْبَاطِنِ ، فَلَا أَدَى



عِنْدَهُ وَلَا مَكْرُوهَ ، وَأَنَا لَا أَخَافُ مِنْ شَرِّهِ ، وَلَا مَلَلٌ عِنْدَهُ فَيَسْأَلُ مِنْ عِشْرَتِي ،  
أَوْ لَيْسَ بِسَيِّءِ الْخُلُقِ فَاسْأَلُ مِنْ عِشْرَتِهِ ، فَأَنَا لَذِيذَةُ الْعَيْشِ عِنْدَهُ كَلَذَةُ أَهْلِ تِهَامَةَ  
بَلِيلِهِمُ الْمُعْتَدِلِ .

أَمَّا الْخَامِسَةُ ، فَهِيَ كَذَلِكَ تَمْدُحُ زَوْجَهَا ، تَقُولُ : إِنَّ زَوْجَهَا إِذَا دَخَلَ  
الْبَيْتَ فَهَدَ ، أَي : صَارَ كَالْفَهْدِ<sup>(١)</sup> فِي تَغَاضِيهِ ، قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : شَبَّهَتْهُ فِي  
لِينِهِ وَغَفْلَتِهِ بِالْفَهْدِ ، لِأَنَّهُ يُوصَفُ بِالْحَيَاءِ وَقِلَّةِ الشَّرِّ وَكَثْرَةِ النَّوْمِ ؛ ثُمَّ قَالَتْ :  
وإنْ خَرَجَ أَسَدٌ ، أَي : يَصِيرُ بَيْنَ النَّاسِ مِثْلَ الْأَسَدِ ؛ ثُمَّ قَالَتْ : وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا  
عَهِدَ : أَي : إِنَّهُ كَرِيمٌ كَثِيرُ التَّغَاضِي لَا يَتَفَقَّدُ مَا ذَهَبَ مِنْ مَالِهِ ، وَإِذَا جَاءَ بِشَيْءٍ  
لَيْسَتْهُ لَا يَسْأَلُ عَنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ .

أَمَّا السَّادِسَةُ ، فَهِيَ تَشْكُو زَوْجَهَا وَتَذُمُّهُ ، تَقُولُ : إِنَّ أَكَلَ لَفٍّ ، أَي : إِنَّهُ  
يُكْثِرُ مِنَ الطَّعَامِ وَيَسْتَقْصِي حَتَّى لَا يَتْرُكُ مِنْهُ شَيْئاً ؛ وَإِنْ شَرِبَ أَشْتَفَّ ، أَي :  
إِنَّهُ لَا يُبْقِي فِي الْإِنَاءِ شَيْئاً مِنَ الْمَاءِ ، مِنَ الشُّفَافَةِ ، وَهِيَ الْبَقِيَّةُ تَبْقَى فِي الْإِنَاءِ ،  
وَالْعَرَبُ تَذُمُّ بِكَثْرَةِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ ؛ ثُمَّ قَالَتْ : وَإِنْ أَضْطَجَعَ الْتَفَّ ؛ أَي : إِنْ  
نَامَ رَقَدَ نَاحِيَةً وَتَلَفَّفَ بِكَسَائِهِ وَحَدَهُ وَأَنْقَبَضَ عَنْ أَهْلِهِ - زَوْجِهِ - إِغْرَاضاً ، فَهِيَ  
كَثِيبَةٌ لِذَلِكَ ، وَلِهَذَا قَالَتْ : وَلَا يُولِجُ الْكَفَّ لِيَعْلَمَ الْبَثَّ ، أَي : لَا يَمُدُّ يَدَهُ  
لِيَعْلَمَ مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْفِ وَالْحُزْنِ فَيَزِيلَهُ ، وَقَدْ تُرِيدُ أَنَّهُ يَنَامُ نَوْمَ الْعَاجِزِ  
الْفَسَلِ الْكَسَلِ ، وَالْمُرَادُ بِالْبَثِّ الْحُزْنُ ، وَيُطْلَقُ عَلَى الشُّكْوَى وَعَلَى الْمَرَضِ  
وَعَلَى الْأَمْرِ الَّذِي لَا يُضْبَرُ عَلَيْهِ ، فَأَرَادَتْ أَنَّهُ لَا يَسْأَلُ عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي يَهُمُّهَا ،  
فَوَصَفَتْهُ بِقِلَّةِ الشَّفَقَةِ عَلَيْهَا ، وَأَنَّهُ لَوْ رَأَاهَا عَلَيْهِ لَمْ يَدْخُلْ يَدَهُ فِي ثَوْبِهَا لِيَتَفَقَّدَ

(١) الْفَهْدُ : ضَرْبٌ مِنَ السَّبَاعِ بَيْنَ الْكَلْبِ وَالثَّيْمِرِ ، قَوَائِمُهُ أَطْوَلُ مِنْ قَوَائِمِ الثَّيْمِرِ ، وَهُوَ مُنْقَطٌّ بِنُقْطٍ  
سُودَ لَا يَتَكُونُ مِنْهَا حَلَقٌ كَالثَّيْمِرِ . [ كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَهُوَ خَلَطَ بَيْنَ الثَّيْمِرِ وَالْأَبْيَرِ ، وَالصَّوَابُ  
أَنَّ الثَّيْمَرَ ، هُوَ : الْمُنْقَطُّ مِنْهُمَا لِلثَّيْمِرِ الَّتِي فِيهِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ الَّذِي عَلَيْهِ الْخَطُوطُ فَهُوَ الْأَبْيَرُ ] .

خَبَرَهَا كَعَادَةِ الْأَجَانِبِ فَضْلاً عَنِ الْأَزْوَاجِ ، أَوْ أَنَّ ذَلِكَ كِنَايَةٌ عَنْ تَرْكِه مُلَاعِبَتِهَا ، أَوْ عَنْ تَرْكِ الْجِمَاعِ ، وَالْعَرَبُ تَتَمَدَّحُ بِكَثْرَةِ الْجِمَاعِ لِدَلَالَتِهَا عَلَى صِحَّةِ الذُّكُورِيَّةِ وَالْفُحُولِيَّةِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ مَعْنَى قَوْلِهَا : وَلَا يُوَلِّجُ الْكَفَّ لِيَعْلَمَ الْبَثَّ : أَنَّهُ لَا يُعْنَى بِمَصَالِحِهَا وَيُهْمِلُ تَفَقُّدَ أُمُورِهَا وَلَا يُبَالِي أَنْ تَجُوعَ ؛ وَقَدْ جَمَعَتْ هَذِهِ فِي وَصْفِهَا لِزَوْجِهَا بَيْنَ اللَّؤْمِ وَالْبُخْلِ وَالنَّهَمِ وَالْمَهَانَةِ وَسُوءِ الْعِشْرَةِ مَعَ أَهْلِهِ .

أَمَّا السَّابِعَةُ ، فَهِيَ تَقُولُ : زَوْجِي عَيَاءٌ ، فَغَيَاءٌ إِمَّا مُشْتَقٌّ مِنَ الْغَيَايَةِ ، وَهِيَ كُلُّ شَيْءٍ أَظْلَّ الشَّخْصَ فَوْقَ رَأْسِهِ ، فَكَأَنَّهُ مُغْطًى عَلَيْهِ مِنْ جَهْلِهِ ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَهْتَدِي إِلَى مَسَلِّكَ ، أَوْ أَنَّهَا وَصَفَتْهُ بِثَقَلِ الرُّوحِ وَأَنَّهُ كَالظِّلِّ الْمُتَكَافِئِ الظُّلْمَةِ الَّذِي لَا إِشْرَاقَ فِيهِ ، وَإِمَّا هُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْغَيِّ ، وَهُوَ الْأَنِهَاكُ فِي الشَّرِّ ، أَوْ الْغَيِّ الَّذِي هُوَ الضَّلَالُ وَالْخَبِيَّةُ ؛ وَالطَّبَاقَاءُ هُوَ الْمُطَبِّقُ عَلَيْهِ حُمْقاً ، وَقَالَ الْجَاحِظُ : هُوَ الثَّقِيلُ الصَّدْرِ عِنْدَ الْجِمَاعِ ، يَنْطَبِقُ صَدْرُهُ عَلَى صَدْرِ الْمَرْأَةِ فَيَرْتَفِعُ سُفْلُهُ عَنْهَا ؛ وَقَدْ ذَمَّتْ أَمْرَأَةً أَمْرَأَةً الْقَيْسِ ، فَقَالَتْ : إِنَّهُ ثَقِيلُ الصَّدْرِ ، خَفِيفُ الْعَجْزِ ، سَرِيعُ الْإِرَاقَةِ ، بَطِيءُ الْإِفَاقَةِ . وَقَوْلُهَا : كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَوَاءٌ ، فَمَعْنَاهُ : كُلُّ شَيْءٍ تَفَرَّقَ فِي النَّاسِ مِنَ الْمَعَائِبِ مَوْجُودٌ فِيهِ ؛ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ : كُلُّ دَاءٍ فِيهِ مُوفٍ عَلَى الْغَايَةِ ، أَيْ : إِنَّهُ فِي غَايَةِ التَّنَاضُحِ ، وَقَوْلُهَا : إِنْ حَدَّثْتَهُ سَبَّكَ ، أَوْ مَارَحْتَهُ شَجَّكَ ، أَوْ جَمَعَ كُلًّا لَكَ ؛ تَقُولُ - كَمَا جَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ [ وَهِيَ رِوَايَةُ الزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ ] - : إِذَا حَدَّثْتَهُ سَبَّكَ ، وَإِذَا مَارَحْتَهُ شَجَّكَ ، أَيْ : جَرَحَكَ فِي رَأْسِكَ ، أَوْ فَلَّكَ ، أَيْ : ثَلَمَكَ ؛ أَيْ : جَرَحَ جَسَدَكَ أَوْ كَسَرَكَ ، أَوْ جَمَعَ كُلَّ هَذَا لَكَ ؛ تَصِفُهُ بِالْحُمَقِ وَسُوءِ الْعِشْرَةِ ، فَإِذَا حَدَّثْتَهُ سَبَّهَا ، وَإِذَا مَارَحْتَهُ شَجَّهَا ، وَإِذَا أَغْضَبْتَهُ كَسَرَ عُضْوً مِنْ أَعْضَائِهَا ، أَوْ جَمَعَ كُلَّ ذَلِكَ لَكَ - الْأَضْرَبَ وَالْجَرَاحَ وَكَسَرَ الْعُضْوِ وَمَوْجَعَ الْكَلَامِ - .

وَأَمَّا الثَّامِنَةُ ، فَتَقُولُ : أَلَمَسْتُ مِنْ زَوْجِي مَسُّ أَرْنبٍ ، تَصِفُهُ بِأَنَّهُ لَيْنُ الْجَسَدِ نَاعِمُهُ ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ كُنْتُ بِذَلِكَ عَنْ حُسْنِ خُلُقِهِ وَلَيْنِ عَرِيكَتِهِ ؛ ثُمَّ قَالَتْ : وَرِيحُهُ رِيحُ زَرْبٍ - وَالزَّرْنَبُ نَبْتُ طَيِّبِ الرَّائِحَةِ - تَصِفُهُ بِأَنَّهُ طَيِّبُ الْعَرَقِ لِنَظَافَتِهِ وَتَطْيِيبِهِ ، أَوْ كُنْتُ بِذَلِكَ عَنْ طَيِّبِ حَدِيثِهِ أَوْ طَيِّبِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ لِجَمِيلِ مُعَاشَرَتِهِ ، وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَةِ [ وَهِيَ رِوَايَةُ الزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ ، وَرِوَايَاتُ عُفْبَةَ وَعُمَرَ عِنْدَ النَّسَائِيِّ ] هَذِهِ الزِّيَادَةُ : « وَأَنَا أَغْلِبُهُ وَالنَّاسَ يَغْلِبُ » . تَقُولُ : إِنَّهُ لِكَرَمِ أَخْلَاقِهِ يَحْتَمِلُهَا ، فَهِيَ تَغْلِبُهُ ، وَأَنَّهُ لَشَجَاعَتِهِ مَعَ غَلَبَةِ أَمْرَاتِهِ عَلَيْهِ يَغْلِبُ النَّاسَ ، وَهَذَا كَمَا قَالَ مُعَاوِيَةُ : النِّسَاءُ يَغْلِبْنَ الْكِرَامَ وَيَغْلِبُهُنَّ اللَّئَامُ .

وَأَمَّا التَّاسِعَةُ ، فَهِيَ تَقُولُ : زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ ، فَالْعِمَادُ فِي الْأَصْلِ : الْخَشَبَةُ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا الْبَيْتُ ، أَرَادَتْ عِمَادَ بَيْتِ شَرَفِهِ ، وَالْعَرَبُ تَضَعُ الْبَيْتَ مَوْضِعَ الشَّرَفِ فِي النَّسَبِ وَالْحَسَبِ ، فَهِيَ تُكْنِي بِذَلِكَ عَنْ شَرَفِهِ وَرِفْعَةِ قَدْرِهِ ؛ وَالنِّجَادُ : حِمَائِلُ السِّيفِ ، وَطُولُ النِّجَادِ كِنَايَةٌ عَنْ طُولِ قَامَتِهِ ، فَإِنَّهَا إِذَا طَالَتْ طَالَ نِجَادُهُ ، وَفِي ضَمَنِ ذَلِكَ أَنَّهُ صَاحِبُ سَيْفٍ ، فَهِيَ تَصِفُهُ بِالشَّجَاعَةِ ؛ وَقَوْلُهَا : عَظِيمُ الرَّمَادِ كِنَايَةٌ عَنِ الْكَرَمِ ، أَنَّ نَارَ قِرَاهُ لِلْأَضْيَافِ لَا تَنْطَفِئُ لِتَهْتَدِيَ الضُّيْفَانُ إِلَيْهَا ، وَبِذَلِكَ يَصِيرُ رَمَادُ نَارِهِ كَثِيرًا ؛ وَقَوْلُهَا : قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِ ، وَقَفْتُ عَلَى النَّادِ بِالسُّكُونِ لِلْسَّجْعِ ، وَالنَّادِي وَالنَّدِيُّ : مَجْلِسُ الْقَوْمِ ؛ تَصِفُهُ بِأَنَّهُ شَرِيفٌ فِي قَوْمِهِ ، فَهُمْ إِذَا حَزَبَهُمْ أَمَرُوا وَأَرَادُوا أَنْ يَتَفَاوَضُوا وَيَسْتَوْرُوا فِي أَمْرِ اتَّوَّهُ فَاتَّمَرُوا بِأَمْرِهِ وَاعْتَمَدُوا عَلَى رَأْيِهِ ؛ وَجُمْلَةُ الْقَوْلِ : إِنَّهَا وَصَفَتْهُ بِالسِّيَادَةِ وَالْكَرَمِ وَالشَّجَاعَةِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ وَطَيِّبِ الْمُعَاشَرَةِ .

وَقَالَتِ الْعَاشِرَةُ : زَوْجِي مَالِكٌ ، وَمَا مَالِكٌ ؟ مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ . . .

الخ ؛ تقول : إِنَّ زَوْجَهَا فَوْقَ كُلِّ مَالِكٍ ، أَيْ : إِنَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَدُورُ فِي أَلْبَالٍ مِنْ مَالِكِ الْأَمْوَالِ ، أَيْ : إِنَّهُ أَجْمَعُ لِخِصَالِ السِّيَادَةِ وَالْفَضْلِ وَالْكَرَمِ مِنْ كُلِّ مَنْ مَلَكَ ، فَهُوَ لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ ، أَيْ : لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَةٌ ، وَمِنْ ثَمَّ كَثُرَتْ مَبَارِكُهَا - جَمْعُ مَبْرَكٍ - : مَوْضِعُ نَزُولِ الْإِبِلِ ؛ وَمَعْنَى قَوْلِهَا : قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ - جَمْعُ مَسْرَحٍ - : الْمَوْضِعُ الَّذِي تُطْلَقُ لِتَرْعَى فِيهِ ، إِنَّهُ لِكَرَمِهِ وَكَثْرَةِ قِرَاءِهِ لِلْأَضْيَافِ لَا يُوجِّهُ مِنْهَا إِلَى الْمَسَارِحِ إِلَّا قَلِيلًا ، وَيَتْرُكُ سَائِرَهَا بِفَنَائِهِ ، فَإِنْ فَاجَأَهُ ضَيْفٌ وَجَدَ عِنْدَهُ مَا يَقْرِيهِ بِهَا مِنْ لُحُومِهَا وَأَلْبَانِهَا ، أَوْ هِيَ تُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى كَثْرَةِ طُرُوقِ الضُّيْفَانِ ، فَالْيَوْمُ الَّذِي يَطْرُقُهُ الضُّيْفُ فِيهِ لَا تَسْرَحُ حَتَّى يَأْخُذَ مِنْهَا حَاجَتَهُ لِلضُّيْفَانِ ، وَالْيَوْمُ الَّذِي لَا يَطْرُقُهُ فِيهِ أَحَدٌ تَسْرَحُ كُلُّهَا ، فَأَيَّامُ الطُّرُوقِ أَكْثَرُ مِنْ أَيَّامِ عَدَمِهِ ، فَهِيَ لِذَلِكَ قَلِيلَةٌ الْمَسَارِحِ ، وَإِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمِزْهَرِ - وَهُوَ الْعُودُ : آلَةٌ مِنْ آلَاتِ الطَّرَبِ - أَتَقَنَّ أَنْهَنَّ هَوَالِكُ ، تَعْنِي : إِنَّهُ لَمَّا كَثُرَ اعْتِيَادُهُ نَحْرَ الْإِبِلِ لِقَرَى الضُّيْفَانِ ، وَاعْتَادَ أَنْ يَسْقِيَهُمْ وَيُلْهِمَهُمْ ، مُبَالَغَةً فِي قِرَائِهِمْ أَنَّهَا سَتُنَحْرُ الْبَتَّةَ . . . تَمْدَحُ زَوْجَهَا وَتَصِفُهُ بِأَنَّهُ مُضَيَّافٌ وَثَرِيٌّ نَبِيلٌ .

وَقَالَتِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ ، وَمَا أَبُو زَرْعٍ ؟ أَنَاسٌ مِنْ حُلِيِّ أُذُنِي ، أَيْ : أَثْقَلُ أُذُنِي بِمَا جَرَتْ عَادَةُ النِّسَاءِ مِنَ التَّحْلِي بِهِ ، مِنْ قُرْطٍ وَشَنْفٍ ، مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، حَتَّى تَدَلَّى وَأَضْطَرَبَ ، وَالنَّوَسُ : حَرَكَةُ كُلِّ شَيْءٍ مُتَدَلٍّ ؛ وَقَوْلُهَا : وَمَلَأَ مِنْ شَحْمِ عَضْدِي ، لَمْ تُرِدِ الْعَضْدَ وَحْدَهُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَتْ الْجَسَدَ كُلَّهُ ، لِأَنَّ الْعَضْدَ إِذَا سَمِنَتْ سَمِنَ سَائِرُ الْجَسَدِ ، وَخَصَّتِ الْعَضْدَ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ مَا يَلِي بَصَرَ الْإِنْسَانِ مِنْ جَسَدِهِ . وَقَوْلُهَا : وَبَجَحْنِي فَبَجَحَتْ نَفْسِي إِلَيَّ ؛ تُرِيدُ : إِنَّهُ عَظَمَنِي فَعَظَمْتُ نَفْسِي عِنْدِي ، وَقِيلَ : فَرَحَنِي فَفَرَحْتُ ؛ ثُمَّ قَالَتْ : وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشَقٍّ فَجَعَلَنِي . . . الخ ؛ تقول : إِنَّهُ وَجَدَهَا فِي

شَظَفٍ مِنَ الْعَيْشِ وَجَهْدٍ وَمَشَقَّةٍ ، فَجَعَلَهَا فِي أَهْلِ صَهِيلٍ ، أَيُّ : خَيْلٍ ،  
وَأَطِيطٍ أَيُّ : إِبِلٍ ؛ تُرِيدُ : إِنَّهُ جَعَلَهَا ذَاتَ خَيْرٍ وَوَسَّعَ عَلَيْهَا وَرَفَّهَ عَنْهَا ؛  
وَقَوْلُهَا : وَدَائِسٍ وَمُنُقٍ ، فَالْدَائِسُ : الَّذِي يَدُوسُ الطَّعَامَ وَيَدْفُقُهُ لِيُخْرِجَ الْحَبَّ  
مِنْهُ ، وَالْمُنُقُ مِنَ التَّنْقِيقِ - أَيُّ : الصَّوْتُ - تُرِيدُ أَصْوَاتَ الْمَوَاشِي وَالْأَنْعَامِ ،  
وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : كَانَتْهَا أَرَادَتْ مَنْ يَطْرُدُ الدَّجَاجَ عَنِ الْحَبِّ فَيَنْقُ ؛ وَجُمْلَةُ  
الْقَوْلِ : إِنَّهَا تَصِفُهُ بِكَثْرَةِ أَمْوَالِهِ ، وَإِنَّهُ نَقَلَهَا مِنْ شَظَفِ عَيْشِ أَهْلِهَا إِلَى الثَّرْوَةِ  
الْوَاسِعَةِ مِنَ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ وَالزَّرْعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

ثُمَّ قَالَتْ : وَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أَقْبَحُ ، أَيُّ : فَلَا يُقَالُ لِي : قَبَحَكَ اللَّهُ ، أَيُّ :  
لِكَثْرَةِ إِحْرَامِهِ لَهَا وَتَدَلُّلِهَا عَلَيْهِ ، لَا يَرُدُّ لَهَا قَوْلًا ، وَلَا يُقْبَحُ عَلَيْهَا مَا تَأْتِي بِهِ ؛  
قَالَتْ : وَأَرْقُدْ فَأَتَصَبَّحُ ، أَيُّ : تَنَامُ الصُّبْحَةَ ، وَهِيَ نَوْمٌ أَوَّلِ النَّهَارِ ، فَلَا  
تُوقِظُ ؛ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ لَهَا مَنْ يَكْفِيهَا مُؤْنَةَ بَيْتِهَا وَمِهْنَةَ أَهْلِهَا ؛ قَالَتْ : وَأَشْرَبُ  
فَاتَّقَنُّحُ ، وَتَزَوَى : فَاتَّقَمَّحُ ، وَكِلْتَا اللفظتين معناهما : أَشْرَبُ اللَّبَنَ فَأَزَوِي  
حَتَّى أَدَعَ الشَّرَابَ ؛ أَرَادَتْ أَنَّهَا تَشْرَبُ حَتَّى تَزَوَى وَتَزْفَعَ رَأْسَهَا عَنْ شُرْبِهِ كَمَا  
يَفْعَلُ الْبَعِيرُ إِذَا كَرِهَ شُرْبَ الْمَاءِ ؛ تُشِيرُ بِذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى عِزَّتِهَا عِنْدَهُ وَكَثْرَةِ الْخَيْرِ  
لَدَيْهَا ..

وَقَوْلُهَا عَنْ أُمِّ أَبِي زَرْعٍ : عَكُومُهَا رَدَاخٌ ، فَالْعُكُومُ الْأَخْمَالُ الَّتِي تُجْمَعُ  
فِيهَا الْأُمْتَعَةُ ؛ وَالرَّدَاخُ : الثَّقِيلَةُ الْكَثِيرَةُ الْحَشْوِ مِنَ الْأَثَاثِ وَالْأُمْتَعَةِ ، وَمِنْ هَذَا  
قَوْلُهُمْ : أُمْرَأَةٌ رَدَاخٌ ، أَيُّ عَجْزَاءٍ - ذَاتُ عَجِيزَةٍ كَبِيرَةٍ - ثَقِيلَةُ الْأَوْرَاكِ ، تَامَّةُ  
الْخَلْقِ ؛ وَبَيْتُهَا فَسَاخٌ ، أَيُّ : وَاسِعٌ ؛ وَتَزَوَى : فَيَاخُ ، وَهُوَ الْوَاسِعُ كَذَلِكَ ؛  
تَصِفُ وَالِدَةَ زَوْجِهَا وَتَكْنِي بِذَلِكَ عَنْ كَثْرَةِ الْخَيْرِ وَرَغَدِ الْعَيْشِ وَالْبَرِّ بِمَنْ يَنْزِلُ  
بِهِمْ .

وَقَوْلُهَا عَنْ ابْنِ أَبِي زَرْعٍ : مَضَجَعُهُ كَمَسَلِ الشَّطْبَةِ ، قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ [وَهُوَ أَبُو عُبَيْدٍ] : الشَّطْبَةُ : مَا شُطِبَ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ ، وَهُوَ سَعْفُهُ ؛ شَبَّهَتْهُ بِتِلْكَ الشَّطْبَةِ لِنَعْمَتِهِ - وَرَفَاهَتِهِ - وَاعْتِدَالِ شَبَابِهِ ، وَقَالَ آخَرُ : أَرَادَتْ أَنَّهُ مَهْزُولٌ كَأَنَّهُ سَعْفٌ فِي دِقَّتِهَا ، أَرَادَتْ أَنَّهُ قَلِيلُ اللَّحْمِ ، دَقِيقُ الْخَضِرِ ، فَشَبَّهَتْهُ بِالشَّطْبَةِ ، أَيْ : مَوْضِعُ نَوْمِهِ دَقِيقٌ لِنَحَافَتِهِ ، وَقِيلَ : أَرَادَتْ سَيْفًا سُلَّ مِنْ غِمْدِهِ ؛ وَالشَّطْبَةُ : السَّيْفُ ، وَقَدْ شَبَّهَتْ الْعَرَبُ الرِّجَالَ بِالسُّيُوفِ ، إِمَّا لِخُشُونَةِ الْجَانِبِ وَشِدَّةِ الْمَهَابَةِ ، وَإِمَّا لِجَمَالِ الرُّوْنِ وَكَمَالِ اللَّأَلَاءِ ؛ قَالَتْ : وَيُسَبِّعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ ، فَالْجَفْرَةُ الْأُنْثَى مِنْ أَوْلَادِ الضَّانِ وَالْمَاعِزِ : مَا بَلَغَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، وَجَفَرَ جَفْنَاهُ ، وَفَصَلَ عَنْ أُمِّهِ ، وَأَخَذَ فِي الرِّغْيِ ؛ تَمَدُّحُهُ بِقِلَّةِ الْأَكْلِ .

وَقَوْلُهَا عَنْ بِنْتِ أَبِي زَرْعٍ : طَوَّعُ أَبِيهَا وَطَوَّعُ أُمِّهَا ، أَيْ : إِنَّهَا بَارَةٌ بِهِمَا ؛ وَقَوْلُهَا : وَمِلْءُ كِسَائِهَا ، كِنَايَةٌ عَنْ نَعْمَةِ جِسْمِهَا وَكَمَالِ كَيَانِهَا ؛ وَغَيْظُ جَارَتِهَا ، أَيْ : إِنَّهَا لِبَرَاعَتِهَا وَتَفَوُّقِهَا تَحْسُدُهَا جَارَتُهَا فَتَغْتَاطُ مِنْهَا حَسَدًا ، وَالْجَارَةُ إِمَّا عَلَى حَقِيقَتِهَا وَإِمَّا الْمُرَادُ بِهَا الضَّرَّةُ ، كَمَا رَوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ لِابْنَتِهِ حَفْصَةَ زَوْجَ الْمُصْطَفَى : لَا يَغْرَنُكَ إِنْ كَانَتْ جَارَتُكَ أَضْوَأَ مِنْكَ وَأَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ . يُرِيدُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

وَقَوْلُهَا عَنْ جَارِيَةِ أَبِي زَرْعٍ : لَا تَبْتُ حَدِيثَنَا تَبْشِيًا ، وَفِي رِوَايَةٍ : لَا تَنْتُ حَدِيثَنَا تَنْشِيًا ، وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ ، وَهُوَ إِفْشَاءُ الْحَدِيثِ وَإِظْهَارُهُ ، أَيْ : تُفْشِي حَدِيثَنَا وَلَا تُظْهِرُهُ لِلنَّاسِ ؛ وَقَوْلُهَا : وَلَا تُنْقُتْ مَسِيرَتَنَا تَنْقِيًا ، أَرَادَتْ : إِنَّهَا أَمِينَةٌ عَلَى حِفْظِ طَعَامِنَا ، لَا تَنْقُلُهُ وَتُخْرِجُهُ وَتُفَرِّقُهُ ؛ وَلَا تَمْلَأُ بَيْنَنَا تَعْشِيًا : أَرَادَتْ أَنَّهَا نَظِيفَةٌ فَلَا تَمْلَأُ بَيْنَنَا بِالْمَزَابِلِ ، كَأَنَّهَا عُشُّ طَائِرٍ ؛ أَوْ أَرَادَتْ أَنَّهَا لَا تَخُونُنَا فِي طَعَامِنَا فَتَخْبَأُ مِنْهُ فِي هَذِهِ الزَّاوِيَةِ وَفِي هَذِهِ الزَّاوِيَةِ ، كَالطُّيُورِ إِذَا

عَشَّشْتُ فِي مَوَاضِعَ شَتَّى .

ثُمَّ قَالَتْ أُمُّ زَرْعٍ : خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالْأَوْطَابُ تَمَخَّضُ ، فَلَا أَوْطَابُ جَمْعُ وَطْبٍ ، وَهُوَ وَعَاءُ اللَّبَنِ ، تُرِيدُ أَنَّهُ خَرَجَ فِي زَمَنِ الْخَضْبِ وَطِيبِ الرَّبِيعِ ؛ وَهِيَ تُمَهِّدُ بِذِكْرِ هَذَا لِلْبَاعِثِ عَلَى رُؤْيَا أَبِي زَرْعٍ لِلْمَرْأَةِ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي رَأَاهَا عَلَيْهَا ، أَيْ : إِنَّهَا مِنْ مَخْضِ اللَّبَنِ تَعَبَتْ فَاسْتَقَلَّتْ تَسْتَرِيحُ ، فَرَأَاهَا أَبُو زَرْعٍ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ؛ قَالَتْ : فَلَقِي أَمْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَأَلْفَهْدَيْنِ يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَانَتَيْنِ ، تُرِيدُ أَنَّهَا ذَاتُ كَفَلٍ عَظِيمٍ ، فَإِذَا اسْتَلَقَتْ أَرْتَفَعَ كَفْلُهَا بِهَا عَنِ الْأَرْضِ حَتَّى يَصِيرَ تَحْتَهَا فَجْوَةٌ تَجْرِي فِيهَا الرُّمَانَتَانِ ، وَقَدْ أَوَّلَ بَعْضُهُمُ الرُّمَانَتَيْنِ بِالْثَدْيَيْنِ ، وَفِي هَذَا التَّشْبِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى صِغَرِ سِنَّهَا وَأَنَّهَا لَمْ تَتَرَهَّلْ حَتَّى يَنْكَسِرَ ثَدْيَاهَا وَيَتَدَلَّيَا ؛ ثُمَّ قَالَتْ : فَطَلَّقْنِي وَنَكَحْهَا - أَيْ : تَزَوَّجْهَا - فَنَكَحْتُ - تَزَوَّجْتُ - بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا ، أَيْ : مِنْ سَرَاةِ النَّاسِ وَخِيَارِهِمْ ؛ رَكِبَ سَرِيًّا ، أَيْ : فَرَسًا يَسْتَشِيرِي فِي سَيْرِهِ ، أَيْ : يَلِجُ وَيَمْضِي وَيَجِدُ فِيهِ بِلَا فُتُورٍ وَلَا أَنْكَسَارٍ ، وَمِنْ هَذَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا لَجَّ فِي الْأَمْرِ : قَدْ شَرِي فِيهِ وَاسْتَشَرَى ، أَوْ تَقُولُ : شَرِيًّا ، أَيْ : فَرَسًا خَيْرًا فَائِقًا ، وَشَرَى الْمَالِ وَشَرَاتُهُ : خَيَارُهُ ؛ وَأَخَذَ خَطِيًّا ، أَيْ : رُمَحًا مَنْسُوبًا إِلَى الْخَطِّ - مَكَانُ تَنْسَبُ إِلَيْهِ الرَّمَاخُ - وَأَرَاخَ عَلَيَّ نَعْمًا ثَرِيًّا ، أَيْ : إِنَّهُ غَزَا فَعَنِمَ ، فَأَتَى بِالنَّعَمِ الْكَثِيرَةِ ، مِنْ إِبِلٍ وَخِيَلٍ ، قَالَتْ : وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةِ زَوْجًا ، فَالْرَائِحَةُ : الْآيَةُ وَقَتُ الزَّوَاكِ ، وَهُوَ آخِرُ النَّهَارِ ؛ وَزَوْجًا ، أَيْ : اثْنَتَيْنِ ؛ وَقَالَ لَهَا : كُلِّي أُمَّ زَرْعٍ وَمِيرِي أَهْلَكَ . . . الخ ، مِيرِي أَهْلَكَ ، أَيْ : أَوْسِعِي عَلَيْهِمْ مِنَ الْمِيرَةِ ، وَهِيَ : الطَّعَامُ ؛ وَالْحَاصِلُ أَنَّهَا وَصَفَتْهُ بِالسُّودِّ وَالنَّبَالَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْفَضْلِ وَالْجُودِ ، إِذْ أَنَّهُ أَبَاحَ لَهَا أَنْ تَأْكُلَ مَا شَاءَتْ مِنْ مَالِهِ وَتَهْدِي مِنْهُ مَا شَاءَتْ لِأَهْلِهَا ، مُبَالِغَةً فِي إِكْرَامِهَا ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَتْ أَحْوَالُهُ عِنْدَهَا حَقِيرَةً

بِالإِضَافَةِ إِلَى أَبِي زَرْعٍ ، لِأَنَّ أَبَا زَرْعٍ كَانَ أَوَّلَ أَزْوَاجِهَا ، فَتَمَكَّنَتْ مَحَبَّتُهُ مِنْ قَلْبِهَا ، وَ[ لأبي تمام ، من الكامل ] :

مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ . . .

\* \* \*

الْمَرْأَةُ رِيحَانَةٌ :

٦٧٤ - قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُقَفَّعِ مِنْ كَلِمَةٍ لَهُ - وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ جَاءَتْ فِي « نَهْجِ الْبَلَاغَةِ » مَنْسُوبَةً إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - :

إِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ ، فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ ، وَعَزْمُهُنَّ إِلَى وَهْنٍ ، وَأكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ، بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْإِزْتِيَابِ ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ دُخُولِ مَنْ لَا تَثِقَ بِهِ عَلَيْهِنَّ ، فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَعْرِفَنَّ غَيْرَكَ فَافْعَلْ ، وَلَا تُمْلِكَنَّ أَمْرًا مِنَ الْأَمْرِ مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَنْعَمُ لِحَالِهَا ، وَأَرْضَى لِبَالِهَا ، وَأَدْوَمُ لِحِمَالِهَا ، وَإِنَّمَا الْمَرْأَةُ رِيحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ<sup>(١)</sup> ، فَلَا تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا ، وَلَا تُطْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ عِنْدَكَ لِغَيْرِهَا .

الْأَفْنُ بِالسُّكُونِ : النِّقْصُ ، وَرَجُلٌ أَفْنٌ وَمَأْفُونٌ ، أَيُّ : نَاقِصُ الْعَقْلِ ؛ وَمَنْ رَوَاهُ : إِلَى أَفْنٍ ، بِالتَّخْرِيكِ ، فَهُوَ ضِعْفُ الرَّأْيِ ؛ وَالْوَهْنُ : الضَّعْفُ ؛ وَقَوْلُهُ : وَأكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ، فَ« مِنْ » هَهُنَا زَائِدَةٌ ، وَهُوَ مَذْهَبُ

(١) الرِّيحَانَةُ : الطَّاقَةُ مِنَ الرِّيحَانِ ، وَهُوَ كُلُّ نَبْتٍ طَبِيبُ الرِّيحِ مِنْ أَنْوَاعِ الْمُسْمُومِ ؛ وَالْقَهْرْمَانُ ، فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ ، بِمَعْنَى : الْخَازِنُ وَالْوَكِيلُ ، الْحَافِظُ لِمَا تَحْتَ يَدِهِ وَالْقَائِمُ بِأُمُورِ الرَّجُلِ ، أَيُّ : أَمِينُ الدُّخْلِ وَالْخَرْجِ ، وَالْأُنْثَى : قَهْرْمَانَةٌ ، وَجَمْعُ الْقَهْرْمَانِ قَهْرِمَانَةٌ .



أَبِي الْحَسَنِ الْأَخْفَشِ فِي زِيَادَةِ « مِنْ » فِي الْمَوْجِبِ ؛ ثُمَّ ذَكَرَ فَائِدَةَ الْحِجَابِ وَنَهَى أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِنَّ مَنْ لَا يُوثِقُ بِهِ ، وَقَالَ : إِنَّ خُرُوجَهُنَّ أَهْوَنُ مِنْ ذَلِكَ ، وَهَذَا لِأَنَّ مَنْ تِلْكَ صِفَتُهُ يَتِمَكَّنُ مِنَ الْخُلُوةِ مَا لَا يَتِمَكَّنُ مِنْهُ مَنْ يَرَاهُنَّ فِي الطَّرِيقَاتِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنْ أَسْتَطَعْتَ إِلَّا يَعْرِفَنَّ غَيْرَكَ فَأَفْعَلْ ؛ يَرَوِي أَنَّهُ كَانَ لِبَعْضِهِمْ بِنْتُ حَسَنَاءُ ، فَحَجَّ بِهَا . وَكَانَ يَعْصِبُ عَيْنَيْهَا وَيَكْشِفُ لِلنَّاسِ وَجْهَهَا ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا أَلْهَذِرُ مِنْ رُؤْيَيْهَا النَّاسَ لَا مِنْ رُؤْيِي النَّاسِ لَهَا . . . ثُمَّ قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : وَلَا تُمْلِكَنَّ أَمْرَاءَ مِنَ الْأَمْرِ مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا ، أَيْ : لَا تَدْخِلْهَا مَعَكَ فِي تَذْيِيرٍ وَلَا مَشُورَةٍ وَلَا تَتَعَدَّيْنِ حَالَ نَفْسِهَا وَمَا يُضْلِحُ شَأْنَهَا ؛ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رِيحَانَةً وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ ، أَيْ : إِنَّمَا خُلِقَتْ لِتَسْتَمْتَعَ بِهَا ، فَلَا تُفْسِدْ أُتُوذَتَهَا بِتَوْسِيدِ مَا هُوَ مِنْ شَأْنِ الرِّجَالِ إِلَيْهَا ؛ ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : وَلَا تَعُدْ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا .

٦٧٥ - هَذَا وَلِمَنَاسِبَةِ قَوْلِهِمْ : الْمَرْأَةُ رِيحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ ، يُرَوَى أَنَّ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ وَقَعَ يَوْمًا فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَأَقْبَلَ يَصِفُهُ بِالْبُخْلِ ، وَزَوْجُهُ رَمْلَةٌ بِنْتُ الزُّبَيْرِ أُخْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ جَالِسَةً ، فَأَطْرَقَتْ وَلَمْ تَتَكَلَّمْ بِكَلِمَةٍ ، فَقَالَ لَهَا خَالِدٌ : مَا لَكَ لَا تَتَكَلَّمِينَ ؟ أَرْضَاءَ بِمَا قُلْتُهُ أَمْ تَنْزُهُا عَنْ جَوَابِي ؟ فَقَالَتْ : لَا هَذَا وَلَا ذَاكَ ، وَلَكِنَّ الْمَرْأَةَ لَمْ تُخْلَقْ لِلدُّخُولِ بَيْنَ الرِّجَالِ ، إِنَّمَا نَحْنُ رِيَاحِينَ لِلشَّمِّ وَالضَّمِّ ، فَمَا لَنَا وَلِلدُّخُولِ بَيْنَكُمْ ! فَأَعَجَبَهُ قَوْلُهَا ، فَقَامَ وَقَبَّلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا .

٦٧٦ - وَمَرَّ شَاعِرٌ بِنِسْوَةٍ ، فَأَعَجَبَهُ حُسْنُهُنَّ ، فَأَنشَدَ [من البسيط] :

إِنَّ النِّسَاءَ شَيَاطِينَ خُلِقْنَ لَنَا نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ  
فَأَجَابَتْهُ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ [من البسيط] :

إِنَّ النِّسَاءَ رِيَاحِينَ خُلِقْنَ لَكُمْ وَكُلُّكُمْ يَشْتَهِي شَمَّ الرِّيَاحِينَ

٦٧٧ - وَشَبِيهٌ يَهْدَيْنِ الْبَيِّنِينَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ [من الطويل] :

أَرَى صَاحِبَ النِّسْوَانِ يَحْسَبُ أَنَّهَا سَوَاءٌ وَبَوْنٌ بَيْنَهُنَّ بَعِيدُ  
فَمِنْهُنَّ جَنَاتٌ يَفِيءُ ظِلَالُهَا وَمِنْهُنَّ نِيرَانٌ لَهُنَّ وَقِيدُ

٦٧٨ - وَمِمَّا يَتَّصِلُ بِهِذَا مَا رُوِيَ [الكامل « صفحة : ١١٧١ »] أَنَّهُ لَمَّا قَتَلَ

مُضْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ ابْنَةَ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ زَوْجَةَ الْمُخْتَارِ ابْنِ أَبِي عُبَيْدٍ ، أَنْكَرَ  
النَّاسُ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَأَعْظَمُوهُ ، لِأَنَّهُ أَتَى بِمَا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُ فِي نِسَاءِ  
الْمُشْرِكِينَ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ [من الخفيف] :

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْكَبَائِرِ عِنْدِي قَتْلَ حَسَنَاءٍ غَادَةٍ عَطْبُولٍ<sup>(١)</sup>  
قَتَلْتُ بَاطِلًا عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ إِنَّ اللَّهَ دَرَّهَا مِنْ قَتِيلٍ  
كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقَتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَرُّ الدُّيُولِ

٦٧٩ - وَلَمَّا خَرَجَتْ الْخَوَارِجُ بِالْأَهْوَاكِ أَخَذُوا أَمْرًا فَهَمُّوا بِقَتْلِهَا ، فَقَالَتْ

لَهُمْ : اتَّقُوا اللَّهَ \* أَوْمَنْ يُشْوَ فِي الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ \*<sup>(٢)</sup> [سورة  
الزخرف/ الآية : ١٨] ! فَأَمْسَكُوا عَنْهَا ..

\* \* \*

(١) الْمُطْبُولُ : الشَّابَّةُ الْجَمِيلَةُ الْفَتِيَّةُ .

(٢) أَقْبَسُ مِنَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : ﴿ أَوْمَنْ يُشْوَ فِي الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [سورة  
الزخرف/ الآية : ١٨] قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : يُشْوَ : يُرَى ؛ وَالْحَلِيَّةُ : الزَّيْنَةُ وَالنَّعْمَةُ ؛ ثُمَّ قَالَ  
تَفْسِيرًا لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [سورة الزخرف/ الآية : ١٨] : وَهُوَ  
إِذَا أَسْتَجَابَ إِلَى مُجَانَاةِ الْخُصُومِ ( قَالَ فِي « اللِّسَانِ » : جَنَّا يَجْنُو ... : جَلَسَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ  
لِلْخُصُومَةِ وَنَحْوَهَا ) . وَمُجَارَاةُ الرِّجَالِ كَانَ غَيْرَ مُبِينٍ : لَيْسَ عِنْدَهُ بَيَانٌ ، وَلَا يَأْتِي بِزَهَانٍ  
يَحُجُّ بِهِ مَنْ يُخَاصِمُهُ ، وَذَلِكَ لِضَعْفِ عَقُولِ النِّسَاءِ وَنُقْصَانِهِنَّ عَنْ فِطْرَةِ الرِّجَالِ ، يُقَالُ : قَلَمَا  
تَكَلَّمَتِ الْمَرْأَةُ فَأَرَادَتْ أَنْ تَكَلَّمَ بِحُجَّتِهَا إِلَّا تَكَلَّمَتْ بِالْحُجَّةِ عَلَيْهَا ؛ قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : وَفِيهِ  
أَنَّهُ جَعَلَ النَّشْءَ فِي الزَّيْنَةِ وَالنَّعْمَةِ مِنَ الْمَعَايِبِ وَالْمَذَامِّ وَأَنَّهُ مِنْ صِفَةِ رِبَاتِ الْحِجَالِ .

٦٨٠ - وَقَدْ سَبَقَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ ابْنَ الْمُقَفَّعِ إِلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ : إِنَّمَا الْمَرْأَةُ رَيْحَانَةٌ لَا قَهْرْمَانَةٌ ، أَوْ هُوَ - الْحَجَّاجُ - أَخَذَهَا مِنْ عَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَهَا لِلْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْحَجَّاجَ دَخَلَ عَلَى الْوَلِيدِ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ وَعِمَامَةٌ سَوْدَاءُ وَقَوْسٌ عَرَبِيٌّ وَكِنَانَةٌ ، فَبَعَثَتْ إِلَيْهِ أُمُّ الْبَنِينَ بِنْتُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ - أُخْتُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ - وَهِيَ تَحْتَ الْوَلِيدِ - زَوْجَتُهُ - فَقَالَتْ : مَنْ هَذَا الْأَعْرَابِيُّ الْمُسْتَلْتِمُ فِي السَّلَاحِ عِنْدَكَ وَأَنْتِ فِي غِلَالَةٍ ؟ فَبَعَثَ إِلَيْهَا : إِنَّهُ الْحَجَّاجُ ؛ فَأَعَادَتِ الرَّسُولَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : تَقُولُ لَكَ : وَاللَّهِ لَأَنْ يَخْلُوكَ بِكَ مَلِكُ الْمَوْتِ أَحْيَانًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَخْلُوكَ بِكَ الْحَجَّاجُ ؛ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ الْوَلِيدُ وَهُوَ يُمَارِضُهُ ، فَقَالَ الْحَجَّاجُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! دَعِ عَنْكَ مُفَاكَهَةَ النِّسَاءِ بِزُخْرُفِ الْقَوْلِ ، فَإِنَّمَا الْمَرْأَةُ رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ قَهْرْمَانَةٌ ، فَلَا تُطْلِعْهَا عَلَى سِرِّكَ وَمَكَايِدَةِ عَدُوِّكَ ؛ فَلَمَّا دَخَلَ الْوَلِيدُ عَلَيْهَا أَخْبَرَهَا وَهُوَ يُمَارِضُهَا بِمَقَالَةِ الْحَجَّاجِ ، فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! حَاجَتِي أَنْ تَأْمُرَهُ غَدًا بِأَنْ يَأْتِيَنِي مُسَلِّمًا ؛ فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَأَتَاهَا الْحَجَّاجُ ، فَحَجَبَتْهُ ، فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : إِيهِ يَا حَجَّاجُ ! أَنْتِ الْمُمْنَسُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِقِتَالِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَابْنِ الْأَشْعَثِ<sup>(١)</sup> ؟ ! أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ عَلِمَ أَنَّكَ شَرُّ خَلْقِهِ مَا ابْتَلَاكَ بِرُمِي الْكُعْبَةِ الْحَرَامِ ، وَقَتْلِ ابْنِ ذَاتِ الطُّنَّاقَيْنِ<sup>(٢)</sup> أَوَّلِ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ ؛ وَأَمَا نَهَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مُفَاكَهَةِ النِّسَاءِ وَبُلُوغِ لَذَاتِهِ وَأَوْطَارِهِ ، فَإِنْ كُنَّ يَنْفَرِجْنَ عَنْ مِثْلِكَ ، فَمَا أَحَقُّهُ بِالْأَخْذِ مِنْكَ ، وَإِنْ كُنَّ يَنْفَرِجْنَ عَنْ مِثْلِهِ فَهُوَ غَيْرُ قَابِلٍ لِقَوْلِكَ ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ نَفَضَ نِسَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الطَّيْبِ مِنْ غَدَارِهِنَّ فَبِعْنَهُ فِي

(١) ابْنُ الزُّبَيْرِ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ مَلِكُ الْحِجَازِ ، وَابْنُ الْأَشْعَثِ هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ .

(٢) هِيَ أَسْمَاءُ بِنْتُ الصَّدِّيقِ أَبِي بَكْرٍ وَأُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ .

أُعْطِيَةِ أَهْلِ الشَّامِ حِينَ كُنْتُ فِي الْمَازِقِ الْمُتَضَايِقِ قَدْ أَظَلَّتْكَ رِمَاحُهُمْ وَأَنْخَسَتْكَ صِفَاحُهُمْ ، وَحَتَّى كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ ، فَأَنْجَاكَ اللَّهُ مِنْ عَدُوِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِحُبِّهِمْ إِيَّاهُ ، قَاتَلَ اللَّهُ الْقَائِلَ حِينَ نَظَرَ إِلَيْكَ وَسِنَانُ غَزَالَةٍ بَيْنَ كَتِفَيْكَ [من الكامل] :

أَسَدٌ عَلَيَّ وَفِي الْحُرُوبِ نِعَامَةٌ رَبْدَاءُ تَجْفِلُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ  
هَلَّا كَرَّرْتَ عَلَى غَزَالَةٍ فِي الْوَعَى بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرٍ<sup>(١)</sup>  
وَعَزَالَةٌ : أَمْرَأَةٌ شَيْبِ الْخَارِجِيِّ ، وَلَهَا فِي بَابِ الشَّجَاعَةِ مَكَانٌ .  
ثُمَّ قَالَتْ : أَخْرُجْ ؛ فَخَرَجَ ...

٦٨١ - أَمَّا قَوْلُ ابْنِ الْمُقَفَّعِ : وَلَا تُطْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ لَدَيْكَ لِعَیْرِهَا ، فَإِنَّ مِنْ سُوءِ السِّيَاسَةِ أَنْ يُطْمِعَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ فِي أَنْ تَشْفَعَ عِنْدَهُ لِمُسْتَشْفَعٍ كَانَ مَنْ كَانَ .

٦٨٢ - رَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ ، قَالَ : كَانَتْ الْخَيْرُرَانُ كَثِيرًا مَا تُكَلِّمُ مُوسَى الْهَادِي أَبْنَاهَا وَأَخَا هَارُونَ الرَّشِيدَ لَمَّا اسْتُخْلِفَ ، فِي الْحَوَائِجِ ، وَكَانَ يُجِيبُهَا إِلَى كُلِّ مَا تَسْأَلُ ، حَتَّى مَضَتْ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ مِنْ خِلَافَتِهِ ، وَتَنَالَى النَّاسُ عَلَيْهَا وَطَمِعُوا فِيهَا ، فَكَانَتْ الْمَوَاكِبُ تَغْدُو إِلَى بَابِهَا ، وَكَلِمَتُهُ يَوْمًا فِي أَمْرٍ فَلَمْ يَجِدْ إِلَى إِجَابَتِهَا سَبِيلًا ، وَاسْتَحْتَجَّ عَلَيْهَا بِحُجَّةٍ ، فَقَالَتْ : لَا بُدَّ مِنْ إِجَابَتِي ؛ فَقَالَ : لَا أَفْعَلُ ؛ قَالَتْ : إِنِّي قَدْ ضَمِنْتُ هَذِهِ الْحَاجَةَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ ؛ فَغَضِبَ مُوسَى ، وَقَالَ : وَيْلِي عَلَى ابْنِ الْفَاعِلَةِ ، قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ صَاحِبُهَا ، وَاللَّهِ

(١) قَالَ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ ، وَقَدْ كَانَ الْحَجَّاجُ لَجَّ فِي طَلَبِهِ ، وَقَوْلُهُ : بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرٍ ، يُرِيدُ إِنَّمَا خَفَقَانِ قَلْبِهِ وَأَضْطِرَابُهُ فَرَعًا وَخَوْفًا ، وَإِنَّمَا ذَهَابُ قَلْبِهِ مِنْ أَصْلِهِ ؛ وَنِعَامَةٌ رَبْدَاءُ : لَوْنُهَا إِلَى الْغُبَرَةِ ؛ وَتَجْفِلُ : تُسْرِعُ مُتَرَعِّجَةً نَافِرَةً .

لَا قَضَيْتُهَا لَكَ وَلَا لَهُ ؛ قَالَتْ : وَاللَّهِ لَا أَسْأَلُكَ حَاجَةً أَبَدًا ، قَالَ : إِذَنْ وَاللَّهِ لَا أَبَالِي ؛ فَقَامَتْ مُغْضَبَةً ، فَقَالَ : مَكَانَكَ تَسْتَوْعِبِي كَلَامِي ، وَاللَّهِ وَأَنَا بَرِيءٌ مِنْ قَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِأَنْ بَلَغَنِي أَنَّهُ وَقَفَ أَحَدٌ مِنْ قَوَادِي وَخَاصَّتِي وَخَدَمِي وَكُتَّابِي عَلَى بَابِكَ لَا ضَرِبَنَّ عُنُقَهُ وَلَا قَبِضَنَّ مَالَهُ ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيَفْعَلْ ، مَا هَذِهِ الْمَوَاقِبُ الَّتِي تَغْدُو إِلَى بَابِكَ كُلَّ يَوْمٍ ؟! أَمَا لَكَ مِغْزَلٌ يَشْغَلُكَ أَوْ مُصْحَفٌ يَذْكُرُكَ أَوْ بَيْتٌ يَصُونُكَ ! إِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَفْتَحِيَ فَاكٍ فِي حَاجَةٍ لِمَلِيٍّ أَوْ ذِمِّيٍّ ؛ فَأَنْصَرَفَتْ وَمَا تَعْقِلُ مَا تَطَأَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ تَنْطِقْ عِنْدَهُ بِحُلُوةٍ وَلَا مُرَّةٍ بَعْدَهَا حَتَّى مَاتَ .



### كَيْفَ تُسَاسُ النِّسَاءُ :

٦٨٣ - وَمِنْ أَحْسَنِ مَا أُثِرَ فِي سِيَاسَةِ الرَّجُلِ الْمَرْأَةَ قَوْلُ الْفِيلَسُوفِ الرَّئِيسِ ابْنِ سِينَا : إِنَّ الْمَرْأَةَ الصَّالِحَةَ شَرِيكَةُ الرَّجُلِ فِي مُلْكِهِ ، وَقِيَمَتُهُ فِي مَالِهِ ، وَخَلِيفَتُهُ فِي رَحْلِهِ - مَنْزِلِهِ - وَخَيْرُ النِّسَاءِ الْعَاقِلَةُ ، الدِّينَةُ ، الْحَيَّةُ ، الْوَدُودُ ، الْوَلُودُ ، الْقَصِيرَةُ اللِّسَانِ ، الْمُطَاوَعَةُ الْعِنَانِ ، النَّاصِحَةُ الْجَنِبِ<sup>(١)</sup> ، الْأَمِينَةُ الْغَيْبِ ، الرَّزَانُ فِي مَجْلِسِهَا ، الْوَقُورُ فِي هَيْئَتِهَا ، الْمَهِيْبَةُ فِي فَاقَتِهَا ، الْخَفِيفَةُ الْمُتَبَدِّلَةُ فِي خِدْمَتِهَا لِزَوْجِهَا ، تَحْسِنُ تَذْيِيرَهَا ، وَتُكْثِرُ قَلِيلَهُ بِتَقْدِيرِهَا ، وَتَجْلُو أَحْزَانَهُ بِجَمِيلِ اخْلَاقِهَا ، وَتُسَلِّي هُمُومَهُ بِلَطِيفِ مُدَارَاتِهَا . . . وَجَمَاعُ سِيَاسَةِ الرَّجُلِ أَهْلُهُ ثَلَاثَةٌ أُمُورٍ لَا تَدَعُهُ ، وَهِيَ : الْهَيْبَةُ الشَّدِيدَةُ ، وَالْكَرَامَةُ الْتَامَةُ ،

(١) يُقَالُ : فُلَانٌ نَاصِحُ الْجَنِبِ ، أَيُّ : نَقِيُّ الصَّدْرِ ، خَالِصُ الْقَلْبِ ، لَا غِشَّ فِيهِ ؛ وَالْجَنِبُ فِي الْأَصْلِ : طَوْقُ الْقَمِيصِ ، ثُمَّ يُطْلَقُ عَلَى الْقَلْبِ وَالصَّدْرِ ، فَيُقَالُ : نَاصِحُ الْجَنِبِ ، أَيُّ : خَالِصُ الْقَلْبِ وَالصَّدْرِ ، أَيُّ : أَمِينٌ ، قَالَ [من الكامل] :

وَحَشْنَتِ صَدْرًا جِيئُهُ لَكَ نَاصِحٌ

وَسُغْلُ خَاطِرِهَا بِالْمُهِمِّ . . . أَمَّا الْهَيْبَةُ فَهِيَ إِذَا لَمْ تَهَبْ زَوْجَهَا هَانَ عَلَيْهَا ، فَلَمْ تَسْمَعْ لِأَمْرِهَ ، وَلَمْ تُصْغِ لِنَهْيِهِ ، ثُمَّ لَمْ تَقْنَعْ بِذَلِكَ حَتَّى تَقْهَرَهُ عَلَى طَاعَتِهَا ، فَتَعُودُ أَمْرَةً وَيَعُودُ مَأْمُورًا ، وَتَصِيرُ نَاهِيَةً وَيَصِيرُ مَنِهِيًا ، وَتَرْجِعُ مُدَبَّرَةً وَيَرْجِعُ مُدَبَّرًا ، وَذَلِكَ هُوَ الْإِنْتِكَاسُ وَالْإِنْقِلَابُ ؛ وَالْوَيْلُ حِينَئِذٍ لِلرَّجُلِ ، مَاذَا يَجْلِبُ لَهُ تَمَرُّدُهَا وَطُغْيَانُهَا ، وَيَجْنِبُهُ عَلَيْهَا قِصْرُ رَأْيِهَا وَسُوءُ تَذْيِيرِهَا وَيَسُوفُهُ إِلَيْهِ غَيْبُهَا وَرُكُوبُهَا هَوَاهَا ، مِنْ أَلْعَارِ وَالْشَّنَارِ وَالْهَلَاكِ وَالْذَّمَارِ ! فَالْهَيْبَةُ رَأْسُ سِيَاسَةِ الرَّجُلِ أَهْلُهُ وَعِمَادُهَا ، وَهِيَ الْأَمْرُ الَّذِي يَنْسُدُّ بِهِ كُلُّ خَلَةٍ ، وَيُتِمُّ تَمَامَهُ كُلُّ نَقْصٍ ، وَيَتُوبُ عَنْ كُلِّ غَائِبٍ ، وَيُغْنِي عَنْ كُلِّ فَائِتٍ ، وَلَا يَتُوبُ عَنْهُ شَيْءٌ ، وَلَا يَتِمُّ دُونَهُ أَمْرٌ ، فِيمَا بَيْنَ الرَّجُلِ وَأَهْلِهِ ؛ وَلَيْسَتْ هَيْبَةُ الْمَرْأَةِ بَعْلَهَا شَيْئًا غَيْرَ إِكْرَامِ الرَّجُلِ نَفْسَهُ ، وَصِيَانَةِ دِينِهِ وَمُرُوءَتِهِ ، وَتَضَدِّيْقِهِ وَغَدَهُ وَوَعِيدَهُ . . .

أَمَّا كَرَامَةُ الرَّجُلِ أَهْلُهُ ، فَمِنْ مَنَافِعِهَا أَنَّ الْحُرَّةَ الْكَرِيمَةَ إِذَا اسْتَجَلَّتْ كَرَامَةَ زَوْجِهَا دَعَاها اسْتِدَامَتُهَا لَهَا ، وَمُحَامَاتُهَا عَلَيْهَا ، وَإِشْفَاقُهَا مِنْ زَوَالِهَا ؛ إِلَى أُمُورٍ كَثِيرَةٍ جَمِيلَةٍ لَمْ يَكِدِ الرَّجُلُ يَقْدِرُ عَلَى إِصَارَتِهَا إِلَيْهَا مِنْ غَيْرِ هَذَا أَلْبَابٍ ، بِالتَّكْلُفِ الشَّدِيدِ وَالْمُؤَنَةِ الثَّقِيلَةِ ؛ عَلَى أَنَّ الْمَرْأَةَ كُلَّمَا كَانَتْ أَعْظَمَ شَأْنًا ، وَأَفْخَمَ أَمْرًا كَانَ ذَلِكَ أَدَلَّ عَلَى ثُبُلِ زَوْجِهَا وَشَرَفِهِ ، وَعَلَى جَلَالَتِهِ وَعِظَمِ خَطَرِهِ ؛ وَكَرَامَةُ الرَّجُلِ أَهْلُهُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : فِي تَحْسِينِ شَارَتِهَا ، وَشِدَّةِ حِجَابِهَا ، وَتَرْكِ إِغَارَتِهَا<sup>(١)</sup> .

وَأَمَّا شُغْلُ الْخَاطِرِ بِالْمُهِمِّ فَهُوَ أَنْ يَتَّصِلَ شُغْلُ الْمَرْأَةِ بِسِيَاسَةِ أَوْلَادِهَا ، وَتَذْيِيرِ خَدَمِهَا ، وَتَفْقُدِ مَا يَضُمُّهُ خِدْرُهَا مِنْ أَعْمَالِهَا ؛ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا كَانَتْ سَاقِطَةَ الشُّغْلِ ، خَالِيَةً أَلْبَالِ ، لَمْ يَكُنْ لَهَا هَمٌّ إِلَّا التَّصَدِّي لِلرَّجَالِ بِزَيْنَتِهَا ،

(١) الإِغَارَةُ مِنَ الْغَيْتَةِ .

وَالْتَبَرَّجَ بِهَيَّائِهَا ، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا تَفْكِيرٌ إِلَّا فِي اسْتِزَادَتِهَا ، فَيَدْعُوهَا ذَلِكَ إِلَى اسْتِصْغَارِ كَرَامَتِهِ ، وَاسْتِقْصَارِ زَمَانِ زِيَادَتِهِ وَتَسْحُطِ جُمْلَةِ إِحْسَانِهِ . . .



حَثُّهُمْ عَلَى مَنَعِ النِّسَاءِ مِنَ الْخَمْرِ وَسَمَاعِ الْغِنَاءِ :

٦٨٤ - مِمَّا لَا جُنَّ بِهِ وَلَا خَفَاءَ أَنَّ الْخَمْرَ تُهَيِّجُ الْعَوَاطِفَ وَتَبْعَثُ الشُّوقَ الْقَدِيمَ الَّذِي قَدْ ضَلَّ فِي الْأَحْشَاءِ ، وَأَنَّهَا تَبْلُغُ بِشَارِبِهَا أَنْ تَشْرَبَ عَقْلَهُ حَتَّى يَرَى حَسَنًا مَا لَيْسَ بِالْحَسَنِ ، وَأَنَّهَا تَتْرُكُ الشَّيْخَ صَبِيًّا [من مجزوء الرمل] :

وَتُورِيهِ الْغَيَّ رُشْدًا وَتُورِيهِ الرُّشْدَ غِيًّا ٦٨٥ - وَلَا جَرَمَ أَنَّهَا تُحْدِثُ الطَّرَبَ وَالْأَزِيحَةَ ، وَهُمَا يَخْرُجَانِ بِصَاحِبِهِمَا فِي الْأَعْمِ الْأَغْلَبِ إِلَى مَا لَا يَتَّفِقُ وَالِدَيْنِ وَالْخُلُقِ وَالْكَمَالِ [من المتقارب] :

رَأَيْتُ الْمُدَامَةَ غَلَابَةً تُهَيِّجُ لِلْقَلْبِ أَشْوَاقَهُ تُسَيِّئُ مِنَ الْمَرْءِ تَأْدِيبَهُ وَلَكِنْ تُحَسِّنُ أَخْلَاقَهُ<sup>(١)</sup> ٦٨٦ - وَمِثْلُ الْخَمْرِ فِي ذَلِكَ الْغِنَاءِ وَالْمُوسِيقَى ، وَمِنْ هُنَا حَضَّ الْعُقْلَاءُ عَلَى مَنَعِ النِّسَاءِ مِنْ شُرْبِ الْخَمْرِ وَسَمَاعِ الْغِنَاءِ ، صَوْنًا لَهُنَّ عَنْ كُلِّ مَا قَدْ يُرْخِزُهُنَّ عَنْ دَائِرَةِ كَمَالِهِنَّ وَمَا عَسَاهُ أَنْ يَمَسَّ مَوْضِعَ الْكِرَامَةِ مِنْهُنَّ . وَمَا يُوقِعُهُنَّ فِيمَا يُكْرَهُ وَيُذَمُّ مِنْهُنَّ .

٦٨٧ - رَوَوْا : أَنَّ أَغْرَابِيَّةَ عَجُوزًا<sup>(٢)</sup> مَرَّتْ بِفَتِيَّةٍ حَضَرِيَّةٍ يَتَعَاطُونَ الزَّارِحَ ، فَعَاجَتْ عَلَيْهِمُ التِّمَاسَا لِلزَّارِحَةِ ، فَسَقَوْهَا مِنْ خَمْرِهِمْ ، فَلَمَّا نَالَ مِنْهَا الشَّرَابُ

(١) لِلْمُنْتَبِي ، وَتُحَسِّنُ لِلْمَرْءِ أَخْلَاقَهُ لِمَا تُحْدِثُ فِي شَارِبِهَا مِنَ السَّمَاحَةِ وَالْبَذْلِ .

(٢) قِيلَ : هِيَ لَيْلَى الْأَخْبِيلِيَّةُ .

وَتَمَشَّتْ حُمَيَّا الْكَأْسِ فِيهَا ، قَالَتْ : أَيَشْرَبُ نِسَاؤُكُمْ هَذَا الشَّرَابَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ؛ قَالَتْ : زَيْنَ إِذْنٍ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ . . . أَوْ مَا هَذَا مَعْنَاهُ .

٦٨٨ - وَمَنْ كَلَامِ فَيْلَسُوفِ الْإِسْلَامِ يَعْقُوبَ [ بْنِ إِسْحَاقَ ] بْنِ الصَّبَّاحِ الْكِنْدِيِّ فِي ضَرَرِ سَمَاعِ الْغِنَاءِ سَوَاءً أَكَانَ لِلرَّجُلِ أَمْ لِلْمَرْأَةِ : سَمَاعُ الْغِنَاءِ بِرِسَامٍ [ الْبِرْسَامُ : اخْتِلَالُ الْعَقْلِ ] حَادٌّ ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَسْمَعُ فَيَطْرُبُ فَيَنْفَقُ فَيُسْرِفُ فَيَفْتَقِرُ فَيَعْتَمُ فَيَعْتَلُّ فَيَمُوتُ . . . وَكَانَ هَذَا الْفَيْلَسُوفُ بِخَيْلًا ، وَكَثِيرًا مَا كَانَ يَمْدَحُ الْبُخْلَ ، وَلَعَلَّ كَلِمَتَهُ هَذِهِ نِتَاجُ بُخْلِهِ .

٦٨٩ - وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ : يَا بَنِي أُمَيَّةَ ! إِيَّاكُمْ وَالْغِنَاءَ ؛ فَإِنَّهُ يُنْقِصُ الْحَيَاءَ ، وَيَزِيدُ فِي الشَّهْوَةِ ، وَيَهْدِمُ الْمَرْوَةَ ، وَيُثَوِّرُ عَلَى الْخَمْرِ ، وَيَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ الْسُّكْرُ ، فَإِنْ كُنْتُمْ لَا بُدَّ فَاعْلَيْنَ فَجَبُّوهُ النِّسَاءَ ، فَإِنَّ الْغِنَاءَ رُقِيَّةُ الزُّنَا ، وَإِنِّي لَأَقُولُ ذَلِكَ فِيهِ عَلَى أَنَّهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ ، وَأَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ إِلَى ذِي الْعُلَّةِ ، وَلَكِنَّ الْحَقَّ أَحَقُّ أَنْ يُقَالَ .

٦٩٠ - وَفِي الْحَدِيثِ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَأَنْجَشَةَ وَهُوَ يَخْدُو بِالنِّسَاءِ :

« رَفَقًا أَنْجَشَةَ بِالْقَوَارِيرِ » [ رَاجِعِ الْبُخَارِيِّ ، رَقْم : ٦١٤٩ ؛ مُسْلِمَ ، رَقْم : ٢٣٢٣ ] .

قَالَ الْعُلَمَاءُ : أَرَادَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالْقَوَارِيرِ النِّسَاءَ ، شَبَّهَهُنَّ بِالْقَوَارِيرِ لِضَعْفِ عَزَائِمِهِنَّ ، وَقِلَّةِ دَوَائِمِهِنَّ عَلَى الْعَهْدِ ، وَالْقَوَارِيرُ الزُّجَاجُ ، يُسْرَعُ إِلَيْهَا الْكَسْرُ وَلَا تَقْبَلُ الْجَبَرُ ؛ وَكَانَ أَنْجَشَةُ يَخْدُو بِهِنَّ رِكَابَهُنَّ ، وَيَزْتَجِرُ بِنَسِيبِ الشَّعْرِ وَالرَّجَزِ وَرَاءَهُنَّ ، فَلَمْ يُؤْمَنْ أَنْ يُصِيبَهُنَّ مَا يَسْمَعْنَ مِنْ رَقِيقِ الشَّعْرِ فِيهِنَّ ، أَوْ يَقَعَ فِي قُلُوبِهِنَّ خُذَاؤُهُ ، فَأَمَرَ أَنْجَشَةَ بِالْكَفِّ عَنْ نَشِيدِهِ وَخُذَائِهِ حَذَارَ صَبَوْتِهِنَّ إِلَى غَيْرِ الْجَمِيلِ . . .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَرَادَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّ الْإِبِلَ إِذَا سَمِعَتْ الْخُذَاءَ



أَسْرَعَتْ فِي الْمَشْيِ وَأَشْتَدَّتْ فَأَزْعَجَتِ الرَّائِبَ فَاتَّبَعْتُهُ ، فَتَهَاوَتْ عَنْ ذَلِكَ ، لِأَنَّ  
النِّسَاءَ يَضْعُفْنَ عَنْ شِدَّةِ الْحَرَكَةِ .

أَقُولُ : وَالْحَدِيثُ بِهَذَا الْمَعْنَى الثَّانِي يَكُونُ مِنْ بَابِ الْوَصَاةِ بِالنِّسَاءِ كَمَا  
تَقَدَّمَ .

٦٩١ - وَرَوَوْا : أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ كَانَ يَسْمُرُ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ  
سَطْحٍ ، ثُمَّ دَعَا بِرُضْوَى ، فَجَاءَتْ بِهِ جَارِيَةً لَهُ ، فَبَيْنَا هِيَ تَصُبُّ إِذْ تَلَاهَتْ عَنْهُ ،  
فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا هِيَ مُضْغِيَّةٌ تَسْمَعُ مُغْنِيًا كَانَ بِنَاحِيَةِ الْعَسْكَرِ ، فَأَنْصَبَتْ لَهُ ،  
فَسَمِعَهُ يُغْنِي [مِنْ الْبَسِيطِ] :

مَحْجُوبَةٌ سَمِعَتْ صَوْتِي فَأَرَقَهَا      فِي آخِرِ اللَّيْلِ حَتَّى شَفَّهَا السَّهَرُ  
تُدْنِي عَلَى جِيدِهَا ثِيْبِي مُعْصِفَةً      وَالْحَلِي مِنْهَا عَلَى لَبَاتِهَا خَصِرُ  
فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مَا يَذْرِي مُضَاجِعُهَا      أَوْجُوهَا مَا يَرَى أُمَّ وَجْهَهَا الْقَمَرُ  
لَوْ حُلِيتْ لَمَشَتْ نَحْوِي عَلَى قَدَمٍ      تَكَادُ مِنْ رِقَّةٍ لِلْمَشْيِ يَنْفَطِرُ  
فَلَمَّا أَصْبَحَ أُخْضِرَ لَدِيهِ ، فَقَالَ : مَا أَسْمُكَ ؟ قَالَ : سَمِيرٌ ؛ فَسَأَلَهُ عَنِ  
الْغِنَاءِ فَأَعْتَرَفَ بِهِ ، قَالَ : مَا عَهْدُكَ بِهِ ؟ قَالَ : الْلَيْلَةُ الْمَاضِيَّةُ ؛ قَالَ : وَأَيْنَ  
كُنْتَ ؟ فَأَشَارَ إِلَى نَاحِيَةِ الْعَسْكَرِ ، قَالَ : فَمَا غَنَيْتَ بِهِ ؟ فَأَخْبَرَهُ بِمَا سَمِعَ ،  
فَأَقْبَلَ سُلَيْمَانُ عَلَى الْقَوْمِ ، فَقَالَ : هَذَرِ الْجَمَلُ فَضِبَعَتِ الثَّاقَةُ<sup>(١)</sup> ، وَنَبَّ الثَّيْسُ  
فَشَكَرَتِ الشَّاةُ ، وَهَذَرِ الْحَمَامُ فَرَاغَتْ الْحَمَامَةُ ، وَغَنَى الرَّجُلُ فَطَرِبَتِ الْمَرْأَةُ ،  
وَمَا أَحْسَبُ أَثْنَى تَسْمَعُ مِثْلَ هَذَا إِلَّا صَبَتْ ؛ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَخَصِي ، ثُمَّ أَمَرَ عَامِلَهُ

(١) ضَبَعَتِ الثَّاقَةُ - بِالْكَسْرِ - تَضَعُ ضَبْعًا وَضَبْعَةً : أَرَادَتِ الْفَحْلُ ؛ وَنَبَّ الثَّيْسُ يَنْبُ - بِالْكَسْرِ -  
تَبًّا وَنَبِيًّا : صَاحَ عِنْدَ السِّفَادِ ؛ وَشَكَرَتِ الثَّاقَةُ - بِالْكَسْرِ - يُرِيدُ : امْتَلَأَتْ عُلْمَةً ؛ وَرَاغَتْ  
الْحَمَامَةُ : إِذَا مَشَتْ مُدْلَّةً .

عَلَى الْمَدِينَةِ : أَنْ أَخْصِرَ مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْمُحْخَثِينَ الْمُغْنَيْنِ ؛ فَخَصِي مِنْهُمْ تِسْعَةً ، وَكَانَ سُلَيْمَانُ مُفْرِطَ الْغَيْرَةِ . . .

٦٩٢ - وَمِنْ طَرِيفٍ مَا يُرَوَّى فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ لَمَّا كَتَبَ إِلَى ابْنِ حَزْمٍ عَامِلِهِ عَلَى الْمَدِينَةِ أَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ إِلَيْهِ أَنْ يُخْصِيَ الْمُحْخَثِينَ بِالْمَدِينَةِ ( بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ) ، أَيْ : يَعُدُّهُمْ لِيَرَى فِيهِمْ رَأْيَهُ ، فَوَقَعَ لِلْكَاتِبِ نُقْطَةٌ عَلَى الْحَاءِ فَصَيَّرَهَا حَاءً مُعْجَمَةً . فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى ابْنِ حَزْمٍ خَصَّاهُمْ مِنْ سَاعَتِهِ ، قَالُوا : وَلَمَّا خُصِيَ طُوَيْسُ قَالَ : الْآنَ أُعِيدَ عَلَيْنَا الْخِتَانُ الْأَكْبَرُ ، فَلَيْتَ هَذَا مِنْ أَوَّلٍ ؛ فَقَالَ لَهُ الْمُحْخَثُ الدَّلَالُ : بَلْ هُوَ الْخِتَانُ الْأَكْبَرُ لِكُلِّ مُحْخَثٍ أَبْتَرِ ، فَقَالَ نَسِيمُ السَّحَرِ : الْآنَ صِرْنَا مُحْخَثِينَ خِصْيَانًا حَقًّا ؛ فَقَالَ نَوْمُ الضُّحَى : يَانَسِيمُ ! بَلْ وَاللَّهِ كُنَّا مُحْخَثِينَ فَصِرْنَا نِسَاءً ؛ فَقَالَ لَهُ جَامِعُ الْأَنْسِ : يَا قَوْمُ ! اسْتَرْحْنَا وَاللَّهِ مِنْ حَمَلِ مِيزَابِ الْبُولِ ؛ فَقَالَ غُضْنُ الْبَابِ : أَقْصِرُوا عَنِ الْكَلَامِ ، فَإِنَّكُمْ وَاللَّهِ جَمِيعًا مَجَانِينُ ، فَمَا الَّذِي نَصْنَعُ بِسِلَاحٍ لَا يَنْفَعُ ؟ !

\* \* \*

٦٩٣ - وَفِي مَعْنَى قَوْلِ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ : وَغَنَى الرَّجُلُ فَطَرِبَتْ الْمَرْأَةُ ، قَوْلُ الْبُرَيْقِ الْهُذَلِيِّ [مِنِ الْمُتَقَارِبِ] :

مَعِيَ صَاحِبٌ مِثْلُ حَدِّ السِّنَانِ شَدِيدٌ عَلَى قِرْنِهِ مِخْطُمٌ  
مِنَ الْمُدَّعِينَ إِذَا نُوكِرُوا تُضِيفُ إِلَى صَوْتِهِ الْغَيْلَمُ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

(١) تُضِيفُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : نَاقَةٌ تُضِيفُ إِلَى صَوْتِ الْفَخْلِ : إِذَا سَمِعَتْهُ أَرَادَتْ أَنْ تَأْتِيَهُ ؛ وَالْغَيْلَمُ : الْجَارِيَةُ الْحَسَنَاءُ تَسْتَأْنِسُ إِلَى صَوْتِهِ ، وَقِيلَ : الْجَارِيَةُ - الْفَتَاةُ الْمُغْتَلِمَةُ - يَصِفُ صَاحِبَهُ أَنَّهُ مِمَّنْ يَدْعُونَ أَنَّ صَوْتَهُ حَسَنٌ حَتَّى إِنَّ الْفَتَاةَ الْمُغْتَلِمَةَ تَسْتَأْنِسُ إِلَى صَوْتِهِ .

حَضَّهُمْ عَلَىٰ مَنَعَ النِّسَاءِ مِنْ كُلِّ مَا يُضَيِّهِنَّ :

٦٩٤ - وَكَذَلِكَ كَانُوا يَحْضُونَ عَلَىٰ مَنَعِهِنَّ مِنْ كُلِّ مَا يُطْرِبُهُنَّ وَيُضَيِّهِنَّ ،

قَالَ بَعْضُهُمْ : إِيَّاكَ أَنْ تَتْرَكَ حُرْمَتَكَ تُضْغِي إِلَىٰ قَوْلِ عُمَرَ ابْنِ أَبِي رَبِيعَةَ [من

الطويل] :

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبْكِرُ غَدَاةِ غَدٍ أَمْ رَائِحُ فَمُهَجِّرُ

فَإِنَّهَا تُطْرِبُ الْغَايَاتِ وَ . . . أَقُولُ : وَأَيْنَ تَقَعُ قَافِيَةُ ابْنِ أَبِي رَبِيعَةَ هَذِهِ مِمَّا

يُغْنِيهِ مُغْنُونَا الْيَوْمَ مِنْ تِلْكَ الْأَغَانِي السُّوقِيَّةِ الْوَقِيَّةِ السَّافِرَةِ الْمُبْتَدِلَةِ الْفَاجِرَةِ الَّتِي

تُؤَثِّرُ أَثَرَهَا السَّيِّءُ فِي نَفُوسِ فَتْيَانِنَا وَفَتْيَاتِنَا ، وَتُغْدِرُ فِيهِمْ فُحْشًا وَتَحْثُثُ ! اَللَّهُمَّ

حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

٦٩٥ - أَمَّا قَصِيدَةُ ابْنِ أَبِي رَبِيعَةَ فَإِنَّا نُوْرِدُ أَكْثَرَهَا هُنَا<sup>(١)</sup> عَلَى الرَّغْمِ مِنْ نَهْيِ

هَذَا الرَّجُلِ مِنْ إِضْغَاءِ النِّسَاءِ إِلَيْهَا ، فَإِنَّهَا مِنْ غُرَرِ الْقَصَائِدِ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ

عَبَّاسٍ يَحْفَظُهَا ، فَإِذَا لِمَ فِي ذَلِكَ قَالَ : إِنَّهَا « أَمِنْ آلِ نَعْمٍ » ! يَسْتَجِيدُهَا ،

وَالِئِكَ الْأَبْيَاتُ الَّتِي اخْتَرْنَاهَا مَعَ شَرْحِهَا ، قَالَ [من الطويل] :

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبْكِرُ غَدَاةِ غَدٍ أَمْ رَائِحُ فَمُهَجِّرُ

إِلَى أَنْ قَالَ :

فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ مِنْهُمْ وَأُطْفِئْتُ مَصَائِيحُ شُبَّتْ بِالْعِشَاءِ وَأَنْوُرُ

وَوَغَابَ قُمَيْرٌ كُنْتُ أَرْجُو غُيُوبَهُ وَرَوْحَ رُغْيَانٍ وَنَوْمَ سَمَرُ

وَنَقَضْتُ عَنِّي الْعَيْنَ أَقْبَلْتُ مِشْيَةَ آلِ حُبَابٍ وَرُكْنِي خِيفَةَ الْقَوْمِ أَزُورُ

(١) [ وهي في « الأمالي » لأبي علي القالي ، ١٤١/٣ ، وفي « خزنة الأدب » ٣١٦/٥ -

٣١٢ ؛ وفي الديوان ٨٤ - ٩٥ ] .

وَكَادَتْ بِمَكْنُونِ التَّحِيَّةِ تَجَهَّرُ  
وَأَنْتَ أَمْرُؤُ مَيْسُورُ أَمْرِكَ أَغْسِرُ  
رَقِيبًا وَحَوْلِي مِنْ عَدُوِّكَ حُضَّرُ  
عَلَى الْهَوْلِ حَتَّى يُسْتَفَادَ فَيُنْحَرُ  
سَرَتْ بِكَ أُمُّ قَدْ نَامَ مَنْ كُنْتَ تَحْذَرُ  
إِلَيْكَ وَمَا عَيْنُ مِنَ النَّاسِ تَنْظُرُ  
وَمَا كَانَ لَيْلِي قَبْلَ ذَلِكَ يَقْصُرُ  
لَنَا لَمْ يَكْدُرْهُ عَلَيْنَا مُكْدَرُ  
رَفِيقُ الْحَوَاشِي ذُو غُرُوبٍ مُؤَسَّرُ  
حَصَى بَرْدٍ أَوْ أَفْحُوَانُ مُنَوَّرُ  
إِلَى رَبِّبٍ وَسَطَ الْخَمِيلَةِ جُودُ  
وَكَادَتْ تَوَالِي نَجْمِهِ تَتَغَوَّرُ  
هُبُوبٌ وَلَكِنْ مَوْعِدُ لَكَ عَزُورُ  
وَقَدْ لَاحَ مَفْتُوقٌ مِنَ الصُّبْحِ أَشَقَرُ  
وَأَيْقَاطُهُمْ قَالَتْ : أَشِرُ كَيْفَ تَأْمُرُ  
وَأَمَّا يَنَالُ السَّيْفُ ثَارًا فَيُنَارُ  
عَلَيْنَا وَتَضْدِيقًا لِمَا كَانَ يُؤَثَّرُ  
مِنَ الْأَمْرِ أَدْنَى لِلْخَفَاءِ وَاسْتَرُ  
وَمَالِي مِنْ أَنْ تَعْلَمَا مُتَأَخَّرُ  
وَأَنْ تَرْحَبَا سِرْبًا بِمَا قَدْ كُنْتَ أُخْصَرُ  
مِنَ الْحُزْنِ تَذْرِي عِبْرَةً تَتَحَدَّرُ  
أَتَى زَائِرًا وَالْأَمْرُ لِلْأَمْرِ يُقْدَرُ

فَحَيَّيْتُ إِذْ فَاجَأْتُهَا فَتَوَلَّهَتْ  
وَقَالَتْ - وَعَصَّتْ بِالْبَنَانِ - فَضَخْتَنِي  
أَرَيْتَكَ إِذْ هُنَا عَلَيْكَ أَلَمْ تَخَفْ  
[فَقُلْتُ : كَذَاكَ الْحُبُّ قَدْ يَحْمِلُ الْفَتَى  
فَوَ اللَّهُ مَا أَذْرِي أَتَعْجِيلُ حَاجَةٍ  
فَقُلْتُ لَهَا : بَلْ قَادَنِي الشَّقُّ وَالْهَوَى  
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ تَقَاصَرَ طَوْلُهُ  
وَيَا لَكَ مِنْ مَلْهَى هُنَاكَ وَمَجْلِسِ  
يُمُجُّ ذِكِّي الْمِسْكِ مِنْهَا مُفْلَجُ  
يَرِفُ إِذْ يَفْتَرُّ عَنْهُ كَأَنَّهُ  
وَتَرْنُو بِعَيْنَيْهَا إِلَيَّ كَمَا رَنَا  
فَلَمَّا تَقَضَّى اللَّيْلُ إِلَّا أَقْلَهُ  
أَشَارَتْ بِأَنَّ الْاَلْحَيَّ قَدْ حَانَ مِنْهُمْ  
فَمَا رَاعَنِي إِلَّا مُنَادٍ بِرِخْلَةٍ  
فَلَمَّا رَأَتْ مَنْ قَدْ تَنَوَّرَ مِنْهُمْ  
فَقُلْتُ : أَبَادِيهِمْ فَايَمَا أَفُوتُهُمْ  
فَقَالَتْ : أَتَحْقِيقًا لِمَا قَالَ كَاشِحُ  
فَإِنْ كَانَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ فَغَيْرُهُ  
أُقْصِرُ عَلَى أُخْتِي بَدْءَ حَدِيثِنَا  
لَعَلَّهُمَا أَنْ تَبْغِيَا لَكَ مَخْرَجًا  
فَقَامَتْ كَثِيبًا لَيْسَ فِي وَجْهِهَا دَمٌ  
فَقَالَتْ لِأُخْتَيْهَا : أَعَيْنَا عَلَى فَتَى

فَأَقْبَلْتَا فَأَرْتَاعَتَا ثُمَّ قَالَتَا : أَقْلِي عَلَيْكَ أَلْهَمَ فَأَلْخَطُبُ أَيْسَرُ  
يَقُومُ فَيَمْنُشِي بَيْنَنَا مُتَنَكِّراً فَلَا سِرُّنَا يَفْشُو وَلَا هُوَ يَظْهَرُ  
فَكَانَ مِجْنِي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَقِي ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَاعِبَانِ وَمُعْصِرُ  
فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ قُلْنَ لِي أَلَمْ تَتَّقِ الْأَعْدَاءَ وَاللَّيْلُ مُفْهِمُ  
وَقُلْنَ : أَهَذَا دَأْبُكَ الدَّهْرُ سَادِراً أَمَا تَسْتَحْيِي أَوْ تَزْعُوي أَوْ تُفَكِّرُ

السَّرْحُ : « نَعَمْ » أَسْمُ مَحْبُوبَتِهِ ؛ « فَمَهْجَرُ » : مِنْ هَجَرَ الرَّكِيبُ : سَارَ  
وَقَتَ أَلْهَاجِرَةِ ؛ « شُبْتُ » : أَوْقَدْتُ ؛ « قُمَيْرٌ » : تَصْغِيرُ قَمَرٍ ، وَإِنَّمَا صَغَرَهُ  
لِأَنَّهُ نَاقِصٌ عَنِ الْتِمَامِ ، وَهَذَا فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ وَآخِرِهِ ؛ « رُعْيَانٌ » جَمْعُ الرَّاعِي ؛  
« سَمَرٌ » جَمْعُ سَامِرٍ ، وَهُمْ : الْجَمَاعَةُ يَتَحَدَّثُونَ لَيْلًا ؛ « نَفَضْتُ عَنِّي أَلْعَيْنَ »  
يَقُولُ : أَحْتَرَسْتُ مِنْهَا وَأَمْنْتُهَا ، وَتُرْوَى : « وَنَفَضْتُ عَنِّي النَّوْمَ » وَهَذَا كِنَايَةٌ  
عَنْ تَحْدِيدِ نَظَرِهِ وَشِدَّةِ حَذَرِهِ مِنَ الرُّقَبَاءِ ؛ « الْحُبَابُ » : حَيَّةٌ بِعَيْنِهِ ؛ « رُكْنِي »  
يُرِيدُ : جَانِبِي ، وَرُكْنُ الشَّيْءِ : جَانِبُهُ الَّذِي تَسْتَنْدِلُ إِلَيْهِ وَتَقُومُ بِهِ ؛ وَ« أَزُورُ » :  
مَائِلٌ فِيهِ أَزُورَارٌ وَأَنْحَرَفْتُ عَنْ الْقَصْدِ ، وَأَزُورُ عَنْهُ : عَدَلْتُ وَأَنْحَرَفْتُ ؛  
وَ« أَرَيْتَكَ » كَلِمَةٌ تَقُولُهَا الْعَرَبُ عِنْدَ الْأَسْتِخْبَارِ ، بِمَعْنَى : أَخْبِرْنِي ؛ وَ« ذُو  
غُرُوبٍ » فَغَرَبُ كُلِّ شَيْءٍ : حَذُّهُ ، وَإِنَّمَا يَعْنِي الْأَسْنَانَ ؛ وَ« مُؤَشِّرٌ » فَتَشْرِيرُ  
الْأَسْنَانِ : تَحْدِيدُ أَطْرَافِهَا ، يَكُونُ خِلْقَةً وَصِنَاعَةً ؛ وَ« تَرَفُّ » : تُبْرِقُ وَتَتَلَأَلُ ؛  
وَ« تَرْنُو » فَالْتُرْنُو : إِدَامَةُ النَّظَرِ مَعَ سُكُونِ الطَّرْفِ ، وَرَنَّا لَهُ : أَدَامَ النَّظَرَ ؛  
وَ« الْخَمِيلَةُ » : كُلُّ مَوْضِعٍ كَثُرَ فِيهِ الشَّجَرُ ؛ وَ« الْكَرْبُوبُ » : الْقَطِيعُ مِنَ بَقَرِ  
الْوَحْشِ ؛ وَ« جُوذُرُ » : وَلَدُ الْبَقَرَةِ الْوَحْشِيَّةِ ، يَصِفُ هَيْئَةَ نَظَرَاتِهَا الْمُتَتَالِيَةِ فِي  
مَوْضِعٍ لَا تَتَفَرَّقُ فِيهِ أَشْعَةُ الْبَصَرِ ؛ وَ« تَوَالِي نَجْمِهِ تَتَغَوَّرُ » فَالتَّوَالِي : التَّوَابُعُ ،  
وَتَتَغَوَّرُ : تَغُورُ وَتَذْهَبُ ؛ وَ« حَانَ مِنْهُمْ هُبُوبٌ » فَالْهُبُوبُ : الْإِنْتِبَاهُ ، يُقَالُ :  
هَبَّ مِنْ نَوْمِهِ يَهْبُ : أُنْتَبَهَ ؛ وَ« عَزُورٌ » : مَوْضِعٌ ؛ وَ« مَفْتُوقٌ » مِنْ أَلْفَتْقٍ ،

وَهُوَ : انفلاقُ الصُّبْحِ ؛ وَ « أَشَقَرُ » مِنَ الشُّقْرَةِ ، وَهِيَ : حُمْرَةُ صَافِيَةٍ فِي بَيَاضٍ ؛ وَ « أَيَقَاطُهُمْ » جَمْعُ يَقِظٍ ؛ وَ « فَقَالَتْ : اتَّحَقِّقَا » أَيِ : اتَّفَعْلُ هَذَا تَحْقِيقًا ؟ وَمِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ : أَكُلَّ هَذَا بُخْلًا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ رَأَاهُ يَفْعَلُ شَيْئًا أَنْكَرَهُ ، فَقَالَ : اتَّفَعْلُ كُلَّ هَذَا بُخْلًا ؛ وَ « أَبَادِيهِمْ » أَيِ : أَظْهَرُ لَهُمْ ، غَيْرُ مَهْمُوزٍ ، وَبَدَأْتُ هَذَا ، مَهْمُوزًا ، إِذَا أَرَدْتَ بِهِ مَعْنَى الْأَوَّلِ ؛ وَ « بَدَأُ حَدِيثَنَا » أَيِ : أَوَّلُ حَدِيثِنَا ؛ وَ « أَنْ تَرْحَبَا » أَيِ : أَنْ تَتَّسِعَا ، أَيِ : تَتَّسِعَ صَدُورُهُمَا ، مِنْ قَوْلِهِمْ : فَلَنْ رَحِيبُ الصَّدْرِ ؛ وَالسَّرْبُ بِكَسْرِ السِّينِ : الصَّدْرُ ، يُقَالُ : فُلَانٌ وَاسِعُ السَّرْبِ ، أَيِ : الصَّدْرِ ؛ وَ « أَخْصَرُ » : أَضْيَقُ بِهِ ذَرْعًا ؛ وَ « مِجْنِي » : تُرْسِي ؛ وَ « ثَلَاثُ شُخُوصٍ » كَانَ الْوَجْهُ ثَلَاثَةَ شُخُوصٍ ، وَلِكِنَّهُ لَمَّا قَصَدَ الْمَرْأَةُ أَنْتَ عَلَى الْمَعْنَى ؛ وَ « الْمُنْعَصِرُ » : الْفَتَاةُ الَّتِي قَارَبَتْ الْحَيْضَ . [راجع رقم : ١٧٣] .



الزَّهْوُ وَالْبُخْلُ وَالْجُبْنُ وَالْخَفَرُ مِنْ مَحَاسِنِ النِّسَاءِ :

٦٩٦ - قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : خِيَارُ خِصَالِ النِّسَاءِ شِرَارُ خِصَالِ الرِّجَالِ : الزَّهْوُ - يُرِيدُ : الْأَنَفَةُ وَالتَّرَفُّعُ - ، وَالْجُبْنُ ، وَالْبُخْلُ ؛ فَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مَزْهُوَّةً لَمْ تُمْكِنْ مِنْ نَفْسِهَا <sup>(١)</sup> ، وَإِذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرِقَتْ - خَافَتْ - مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَغْرِضُ لَهَا <sup>(٢)</sup> ، وَإِذَا كَانَتْ بِخِيلَةٍ حَفِظَتْ مَالَهَا وَمَالَ بَعْلِهَا .

٦٩٧ - أَقُولُ : وَعَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ إِذَا كَانَتْ سَمِيحَةً ، فَضْلًا أَنَّهُ مَتَى عَلِمَ مِنْهَا الْجُودُ بِمَا يُطْلَبُ مِنْهَا فَلَرُبَّمَا جَرَّ الطَّمَعُ فِيهَا إِلَى أَمْرِ آخَرَ وَرَاءَ ذَلِكَ ،

(١) يُعْجِبُنِي كُلُّ إِعْجَابٍ تِلْكَ الْمَرْأَةُ الْمَزْهُوَّةُ الْمُتَرَفِّعَةُ ذَاتُ الشَّمَمِ وَالْأَنَفَةِ وَالْعِزَّةِ ، وَإِذَا كَانَ الزَّهْوُ مَذْمُومًا فِي الرِّجَالِ فَإِنَّهُ فِي النِّسَاءِ مِمَّا يُحْمَدُ وَيُسْتَحْسَنُ وَيَزِيدُهُنَّ جَمَالًا وَرَوْعَةً وَسُلْطَانًا عَلَى الْقُلُوبِ ، وَبِنِسْبَةِ الْمَرْأَةِ الدَّلِيلَةُ الْمُسْتَحْدِيَّةُ ، فَقَدْ وَصَّعَتْ نَفْسَهَا الْمَوْضِعَ الَّذِي يَعاْفُهُ الرِّجَالُ .

(٢) أَوْ نَقُولُ : إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا جَبَنْتْ كَفَّتْ عَنِ الْمَسَاوِيءِ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهَا أَوْ عِزِّهَا .

وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ [٣٣] سورة الاحزاب/ الآية : [٣٢] وَرُبَّمَا جَادَتْ أَلْمَرَأَةُ بِالشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ﴾ [٤ سورة النساء/ الآية : ٥] قِيلَ : أَلْنِسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ ، وَجُمْلَةُ الْقَوْلِ \* أَلْجَوْرُ فِي الْحُورِ مِثْلَ الشَّحِّ فِي الرَّجُلِ \*

٦٩٨ - وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ [من البسيط] :

مَا لِلْحَسَانِ مُسِيئَاتٍ بِنَا وَلَنَا      إِلَى الْمُسِيئَاتِ طُولَ الدَّهْرِ إِحْسَانُ  
فَإِنْ يِيْحْنَ بِعَهْدٍ قُلْنَ مَعْدِرَةً      إِنَّا نَسِينَا وَفِي النِّسْوَانِ نَسِيَانُ  
لَا نُلْزِمُ الذَّكَرَ - إِنَّا لَمْ نُسَمِّ بِهِ      وَلَا مُنْخَنَاهُ بَلْ لِلذَّكَرِ ذُكْرَانُ<sup>(١)</sup>  
فَضْلُ الرِّجَالِ عَلَيْنَا أَنْ شِيمَتَهُمْ      جُودٌ وَبَأْسٌ وَأَحْلَامٌ وَأَذْهَانُ  
وَأَنَّ فِيهِمْ وَفَاءً لَا تَقُومُ لَهُ      وَهَلْ يَقُومُ مَعَ التَّقْصَانِ رُجْحَانُ

٦٩٩ - وَقَالَ الْمُتَنَبِّيُّ [من الطويل] :

بِنَفْسِي الْخَيَالُ الزَّائِرِيُّ بَعْدَ هَجْعَةٍ      وَقَوْلْتُهُ لِي : بَعْدَنَا الْغُمُضُ تَطْعَمُ ؟  
سَلَامٌ فَلَوْلَا الْخَوْفُ وَالْبُخْلُ عِنْدَهُ      لَقُلْتُ : أَبُو حَفْصٍ عَلَيْنَا الْمُسْلِمُ<sup>(٢)</sup>

٧٠٠ - وَقَالَ ابْنُ نَبَاتَةَ السَّعْدِيُّ [من الكامل] :

كَسَلِي يَزُورُ مَعَ الظَّالِمِ لَهَا      طَيْفٌ فَأَعْدَى طَيْفَهَا الْكَسَلُ  
بَخِلْتُ بِمَا جَادَ الرُّقَادُ بِهِ      وَمِنْ الْغَوَانِي يَخْسُنُ الْبَخْلُ

(١) الذَّكَرُ يَفْتَحُ الذَّلَالَ وَكَسَرُهَا : الذَّذْكَرُ .

(٢) يَقُولُ الْمُتَنَبِّيُّ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ : أَفَدِي بِنَفْسِي الْخَيَالَ الَّذِي زَارَنِي بَعْدَ مَا نِمْتُ وَقَالَ لِي مُعَانِبًا : أَتَنَامُ بَعْدَ فِرَاقِنَا ؟ وَهَلْ مِنْ فَارَقْتَهُ أَحَبُّهُ يَنَامُ ؟ فَالْهَجْعَةُ : الْفَرْدَةُ ، وَقَوْلُهُ : بَعْدَنَا ، أَيُّ : أَبْعَدْنَا ، بِهَمْزَةِ الْإِنْكَارِ ؛ وَطَعِمَ الشَّيْءُ : ذَاقَهُ . وَيَقُولُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي : وَقَالَ لِي الْخَيَالُ : عَلَيْكَ سَلَامٌ ، ثُمَّ قَالَ الْمُتَنَبِّيُّ : وَلَوْلَا أَنَّ هَذَا الْخَيَالَ : بَخِيلٌ لَا يَجُودُ بِمَطْلُوبِي وَجِبَانٌ لَا يَزُورُ مُجَاهِرًا لَحَمَلَنِي الْإِبْتِهَاجُ بِهِ وَالْإِجْلَالُ لَهُ عَلَى أَنْ أَظَنَّهُ الْمَمْدُوحَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ .

٧٠١ - قَالَ الشَّاعِرُ الطُّغْرَايُ [من الكامل] :

الْجُودُ وَالْإِقْدَامُ فِي فِتْيَانِهِمْ      وَالْبُخْلُ فِي الْفَتَيَاتِ وَالْإِشْفَاقُ  
وَالرِّمْيُ فِي الْأَخْدَاقِ دَابُّ رُمَاتِهِمْ      وَالرَّامِيَاتُ سَهَامُهَا الْأَخْدَاقُ

٧٠٢ - وَبَعْدُ ؛ فَإِذَا كَانَ الْبُخْلُ وَالزُّهْوُ وَالْجُبْنُ مِمَّا يُحْمَدُ فِي النِّسَاءِ وَيُذَمُّ  
فِي الرِّجَالِ ، فَالْحَيَاءُ وَإِنْ كَانَ مِمَّا يُحْمَدُ فِي الرِّجَالِ فَهُوَ فِي النِّسَاءِ أَحْمَدُ وَأَمْثَلُ  
وَأَجْمَلُ ، وَمَا هُوَ الْحَيَاءُ ؟ الْحَيَاءُ فَضِيلَةٌ وَسَطٌ بَيْنَ رَذِيلَتَيْنِ ، هُمَا : الْوَفَاقَةُ  
الَّتِي هِيَ الْجَرَاءَةُ عَلَى الْقَبَائِحِ وَعَدَمُ الْمُبَالَاهِ بِهَا ، وَالْخَجَلُ الَّذِي هُوَ انْحِصَارُ  
النَّفْسِ عَنِ الْفِعْلِ مُطْلَقًا ؛ فَالْحَيَاءُ إِذَنْ هُوَ : انْقِبَاضُ النَّفْسِ عَنِ الْقَبِيحِ مَخَافَةَ  
الذَّمِّ ، وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْحَيَاةِ ، لِأَنَّهُ حَالَةٌ تَغْتَرِي الْقُوَّةَ الْحَيَوَانِيَّةَ فَتَعُوقُهَا عَنْ  
أَفْعَالِهَا الْمُنْكَرَةِ الْمَقْبُوحَةِ ، وَالْحَيَاءُ خَلَّةٌ تَرَاهَا فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّادِقِينَ  
وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحَاتِ وَالطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبَاتِ وَالْعُظَمَاءِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ،  
وَعَلَى الْجُمْلَةِ تَرَاهَا فِي كِرَامِ النُّفُوسِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، أَمَّا قِلَّةُ الْحَيَاءِ فَلَا  
تَرَاهَا إِلَّا فِي لِئَامِ النَّاسِ ، وَالْحَيَاءُ مِنْ ثَمِّ قِيَامِ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ ، فَلَوْلَا الْحَيَاءُ  
لَكَانَ الْإِنْسَانُ حَيَوَانًا بِهِمَا لَا يُبَالِي أَيَّ شَيْءٍ يَفْعَلُ .

٧٠٣ - وَفِي الْحَدِيثِ : « الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ » . [البخاري ، رقم : ٢٤ ؛ مسلم ،

رقم : ٣٦] .

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي « النَّهْيَةِ » : جَعَلَ الْحَيَاءُ - وَهُوَ غَرِيزَةٌ - مِنَ الْإِيمَانِ -  
وَهُوَ اكْتِسَابٌ - لِأَنَّ الْمُسْتَحْيَ يَنْقَطِعُ بِحَيَائِهِ عَنِ الْمَعَاصِي وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ تَقِيَّةٌ ،  
فَصَارَ كَالْإِيمَانِ الَّذِي يَقْطَعُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ ، وَإِنَّمَا جَعَلَهُ - أَيُّ : الْحَيَاءُ - بَعْضُهُ -  
أَيُّ : بَعْضُ الْإِيمَانِ - لِأَنَّ الْإِيمَانَ يَنْقَسِمُ إِلَى اثْنِمَارٍ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَأَنْتَهَاءَ عَمَّا  
نَهَى اللَّهُ عَنْهُ ، فَإِذَا حَصَلَ الْأَنْتَهَاءُ بِالْحَيَاءِ كَانَ بَعْضُ الْإِيمَانِ .



٧٠٤ - وَمِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ قَوْلُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا لَمْ تَسْتَحْ

فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ » . [البخاري ، رقم : ٣٤٨٣] .

يُقَالُ : اسْتَحْيَا يَسْتَحْيِي وَاسْتَحَى يَسْتَحِي ، وَالْأَوَّلُ أَعْلَى ، أَي : أَفْصَحُ ، وَلِهَذَا الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ تَأْوِيلَانِ ، أَحَدُهُمَا ظَاهِرٌ وَهُوَ الْمَشْهُورُ ، أَي : إِذَا لَمْ يَسْتَحْيِ مِنَ الْعَيْبِ لَمْ تَخْشَ الْعَارَ مِمَّا تَفْعَلُهُ فَأَفْعَلْ مَا تُحَدِّثُكَ بِهِ نَفْسُكَ مِنْ أَغْرَاضِهَا ، حَسَنًا كَانَ أَوْ قَبِيحًا ؛ وَلَفْظُهُ أَمْرٌ وَمَعْنَاهُ تَوْبِيخٌ وَتَهْدِيدٌ ، وَفِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ الَّذِي يَزِدُّ الْإِنْسَانَ عَنْ مُوَاقَعَةِ الشُّوءِ هُوَ الْحَيَاءُ ، فَإِذَا انْخَلَعَ مِنْهُ كَانَ كَالْمَأْمُورِ بِارْتِكَابِ كُلِّ ضَلَالَةٍ وَتَعَاطِي كُلِّ سَيِّئَةٍ ؛ وَالثَّانِي أَنَّهُ يُحْمَلُ الْأَمْرُ عَلَى بَابِهِ ، يَقُولُ : إِذَا كُنْتَ فِي فِعْلِكَ آمِنًا أَنْ تَسْتَحْيِ مِنْهُ لِجَزِيكَ فِيهِ عَلَى سُنَنِ الصَّوَابِ وَلَيْسَ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي يُسْتَحْيَا مِنْهَا فَاصْنَعْ مِنْهَا مَا شِئْتَ <sup>(١)</sup> .

٧٠٥ - وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ [من الوافر] :

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي      وَلَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ  
يَعِيشُ الْمَرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ      وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللَّحَاءُ  
اللَّحَاءُ : قِشْرُ الْعُودِ وَالشَّجَرِ .

٧٠٦ - وَبَعْدُ ؛ فَلَسْتُ فِي الْوَاقِعِ أَتْرَامِي بِمَا أَسْلَفْتُ إِلَى حَضْرَتِهِمُ النِّسَاءَ عَلَى

الْحَيَاءِ ، لِأَنَّ الْحَيَاءَ كَمَا قُلْتُ لَيْسَ مِمَّا يَجْمَلُ بِالنِّسَاءِ فَحَسَبُ ، وَإِنَّمَا يَشْرُكُ النِّسَاءَ فِيهِ الرِّجَالُ ، وَإِنَّمَا أَقْصِدُ إِلَى أَنَّ مِمَّا هُوَ الزَّمُّ بِالنِّسَاءِ وَيَكْدَنُ أَنْ يَسْتَأْثِرَنَ بِرَجُوبِهِ مَا يُسَمُّونَهُ الْخَفَرُ ، وَالْخَفَرُ هُوَ : شِدَّةُ الْحَيَاءِ ، يَقَالُ : خَفَرَتِ الْمَرْأَةُ خَفَرًا وَخَفَارَةً . فَهِيَ خَفِرَةٌ وَمُتَخَفِرَةٌ وَخَفِيرٌ ، مِنْ نِسْوَةِ خَفَائِرَ وَمِخْفَارٍ ، عَلَى

(١) وَهَذَا هُوَ مَا رَوَاهُ الْمُبَرِّدُ عَنِ الْمَازِنِيِّ ، قَالَ : مَعْنَى : « إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ » أَي : إِذَا صَنَعْتَ مَا لَا يُسْتَحَى مِنْ مِثْلِهِ فَاصْنَعْ مِنْهُ مَا شِئْتَ .

النِّسَبِ أَوْ الْكَثْرَةِ . وَتَحَقَّرَتْ : أَشْتَدَّ حَيَاؤُهَا . . .

وَقَدْ مَدَحَ الْعَرَبُ وَغَيْرُ الْعَرَبِ الْخَفَرَ ، وَأَشَادُوا بِهِ ، وَجَعَلُوهُ مِنْ مَحَاسِنِ الْمَرْأَةِ كَمَا سَيَمُرُّ بِكَ فِي بَابِ الْعِفَّةِ ، وَلَكِنَّا نَعَجَلُ وَنُورِدُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ هُنَا ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ يَصِفُ ذَهَابَ ابْنَةِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى سَيِّدِنَا مُوسَى لِنَدْعُوهُ :

﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ [سورة القصص/ الآية : ٢٥] .

٧٠٧ - وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ يَصِفُ نِسَاءً [من الكامل] :

يَأْتُنَّ عِنْدَ بُعُولِهِنَّ إِذَا خَلَوْنَ وَإِذَا هُنَّ خَرَجُوا فَهُنَّ خِفَارٌ  
خِفَارٌ : شَدِيدَاتُ الْحَيَاءِ .

٧٠٨ - وَقَالَ الشَّاعِرُ الْجَاهِلِيُّ الشَّنْفَرِيُّ مِنْ أَبْيَاتِ مُوفِيَةِ عَلَى الْغَايَةِ فِي

الصَّدْقِ وَالْجَمَالِ وَالرَّوْعَةِ وَبِرَاعَةِ الْوُضْفِ [من الطويل] :

أُمَيْمَةٌ لَا يُخْزِي نَهَاها حَلِيلُهَا إِذَا ذَكَرَ التُّسْوَانَ عَقَّتْ وَجَلَّتْ  
يَحُلُّ بِمَنْجَاةٍ مِنَ اللَّوْمِ بَيْتُهَا إِذَا مَا بُيُوتُ بِالْمَلَامَةِ حُلَّتْ  
فَقَدْ أَعْجَبْتَنِي لَا سَقُوطاً خِمَارِهَا إِذَا مَا مَشَتْ وَلَا بِذَاتٍ تَلَقَّتْ  
كَأَنَّ لَهَا فِي الْأَرْضِ نَسِياً تَقْضُهُ عَلَى أُمِّهَا وَإِنْ تُحَدِّثُكَ تَبَلَّتْ  
فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ وَأُسْبَكَرَتْ وَأُكْمِلَتْ فَلَوْ جُنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْحُسْنِ جُنَّتْ

الَّتَا بِتَقْدِيمِ التُّونِ : أَسْمٌ مِنْ نَا الْحَدِيثِ يَنْشُوءُ نَثَواً : حَدَّثَ بِهِ وَأَشَاعَهُ ، حَسَنًا كَانَ الْحَدِيثُ أَوْ قَبِيحًا ، يَقُولُ الشَّنْفَرِيُّ فِي هَذَا الْبَيْتِ : إِنَّ أَخْبَارَهَا لَا تُخْزِي زَوْجَهَا لِمَكَانِهَا مِنَ الْعِفَّةِ ، فَإِذَا ذَكَرَ النِّسَاءَ كَانَتْ هِيَ الْعَفِيفَةَ وَجَلَّ قَدْرُهَا وَعَظُمَ ؛ وَالْبَيْتُ الثَّانِي لَيْسَ فِي حَاجَةٍ إِلَى الشَّرْحِ ؛ أَمَّا قَوْلُهُ فِي الْبَيْتِ الثَّلَاثِ : لَا سَقُوطاً خِمَارِهَا إِذَا مَا مَشَتْ ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنَّهَا [ لَا ] تَتَعَمَّدُ إِسْقَاطَ خِمَارِهَا حَيَاءً وَاحْتِشَاماً وَإِمْعَاناً فِي الْعِفَّةِ ، فَهِيَ لَيْسَتْ مِنْ أَوْلِيكَ النِّسْوَةِ

الْخَبِيثَاتِ اللَّائِي يُسْقِطْنَ خِمَارَهُنَّ يُرْذَنَ إِظْهَارَ مَحَاسِنِهِنَّ ، فَخِمَارَهَا مَفْعُولٌ سَقُوطاً ، وَإِنَّمَا قُلْتُ : لَا تَتَعَمَّدُ لَأَنَّ مِنَ الْإِنْسَاتِ الْغَرَّةَ الْبَلْهَاءَ <sup>(١)</sup> الَّتِي لَا تَفْطُنُ إِلَى الشَّرِّ وَتَعْمَلُ عَنْهُ ؛ فَتَلْبَسُ الْبُرْقُوعَ وَهِيَ لَمْ تَعْتَدُهُ بَعْدُ ، فَيَسْقُطُ ، وَهَذَا مِمَّا يُحْمَدُ مِنْهُنَّ ، وَهُنَاكَ مَنْ لَا تَتَبَرَّقِعُ لَأَنَّ الْحُسْنَ زَاهَا أَنْ تَتَقَنَّعَ ، قَالَ الْأَضْمَعِيُّ : وَقَدْ تُلْقِي الْمَرْأَةُ خِمَارَهَا لِحُسْنِهَا وَهِيَ عَلَى عِفَّةٍ ؛ قَالَ أَبُو النَّجْمِ [من الرجز] :

مِنْ كُلِّ غَرَاءٍ سَقُوطُ الْبُرْقُوعِ بَلْهَاءٌ لَمْ تُخَفِظْ وَلَمْ تُضَيِّعْ <sup>(٢)</sup>  
 ثُمَّ قَالَ الشَّنْفَرِيُّ : كَانَ لَهَا فِي الْأَرْضِ نِسِيًّا . . . الْبَيْتُ . فَإِنْ يُرْذُ شِدَّةُ اسْتِخْيَائِهَا ، يَقُولُ : لَا تَرْفَعِ رَأْسَهَا ، كَأَنَّهَا تَطْلُبُ شَيْئًا فِي الْأَرْضِ ، وَالنَّسِيُّ هُنَا : مَا أَضَلَّهُ أَهْلُهُ فَيَطْلُبُ وَيُطْمَعُ فِيهِ ، وَتَقْصُصُهُ : تَتَّبِعُهُ . قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ [٢٨ سورة القصص/ الآية : ١١] أَي : اتَّبِعِي أثرَهُ ؛ وَقَوْلُهُ : عَلَى أُمِّهَا ، فَلَا أُمُّ : الْقَصْدُ ؛ وَقَوْلُهُ : وَإِنْ تُحَدِّثُكَ تَبَلَّتْ : أَي : تَقْطَعُ الْحَدِيثَ مِنْ خَفَرِهَا وَحَيَائِهَا ، يُقَالُ : بَلَّتَ الْحَيَاءُ حَدِيثَهَا ، أَي : قَطَعَهُ ؛ وَدَقَّتْ يُرِيدُ : دَقَّ خَضْرُهَا وَأَنْفُهَا وَحَاجِبَاهَا ؛ وَجَلَّتْ : أَي : عَظُمَ سَاقَاهَا وَعَصْدَاهَا وَكُلُّ مَا يَحْسُنُ عِظْمُهُ ؛ وَهَذَا كَمَا يَقُولُ عِرْوَةُ بْنُ أُذَيْنَةَ [من الكامل] :  
 بَيْضَاءُ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا بِلَبَاقَةٍ فَادَّقَهَا وَأَجَلَّهَا  
 وَأَسْبَكَرَتْ ، أَي : اُعْتَدَلَتْ قَامَتُهَا .

(١) فَتَاءُ غَرَّةٍ : لَا تَعْرِفُ الشَّرَّ ، غَيْرُ مُجَرَّبَةٍ ؛ وَفِي الْحَدِيثِ : « الْمُؤْمِنُ غُرٌّ كَرِيمٌ ، وَالْكَافِرُ خَبٌّ لَيْثٌ » [الترمذي ، رقم : ١٩٦٤ ؛ أَبُو دَاوُدَ ، رقم : ٤٧٩٠] وَالْخَبُّ اللَّيْثُ : الْخَدَّاعُ الْمُفْسِدُ ، ضِدُّ الْغُرِّ ، وَالْبَلْهَاءُ : الْغَافِلَةُ عَنِ الشَّرِّ الْحَسَنَةُ الظَّنُّ بِالنَّاسِ .  
 (٢) يَقُولُ : إِنَّهَا لَمْ تُخَفِظْ مِنَ الرَّبِيَّةِ لِمَكَانِهَا مِنَ الطَّيِّبَةِ وَلَمْ يُضَيِّعْهَا وَالِدُهَا ؛ وَالْغَرَاءُ ، مِنَ الْغَرَّةِ ، وَهِيَ : بَيَاضُ الْوَجْهِ .

٧٠٩ - وَمِنْ بَدِيعِ مَا قِيلَ فِي خَفَرِ الشَّرِيفَةِ وَشِدَّةِ حَيَاتِهَا قَوْلُ أَبِي قَيْسٍ ابْنِ الْأَسْلَتِ [من الطويل] :

وَيُكْرِمُهَا جَارَاتُهَا فَيَزُرْنَهَا      وَتَعْتَلُ عَنْ إِتْيَانِهِنَّ فَتُعْذِرُ  
وَلَيْسَ لَهَا أَنْ تَسْتَهِينَ بِجَارَةٍ      وَلَكِنَّهَا مِنْهُنَّ تَحِيَا وَتَخْفَرُ  
تَحِيَا وَتَخْفَرُ : تَسْتَحْيِي وَيَسْتَدُّ حَيَاؤُهَا .

٧١٠ - وَقَوْلُ الْآخِرِ [من البسيط] :

مِنْ الْأَوَانِسِ مِثْلُ الشَّمْسِ لَمْ يَرَهَا      فِي سَاحَةِ الدَّارِ لَا بَعْلٌ وَلَا جَارُ  
٧١١ - وَقَوْلُ الْأَعْشَى [من البسيط] :

لَمْ تَمْشِ مِيلاً وَلَمْ تَرْكَبْ عَلَى جَمَلٍ      وَلَا تَرَى الشَّمْسَ إِلَّا دُونَهَا كِلَلٌ<sup>(١)</sup>  
[راجع رقم : ٧١٧]

٧١٢ - وَيَقُولُ الْأَعْشَى فِي الْقَصِيدَةِ الَّتِي مِنْهَا هَذَا الْبَيْتُ [من البسيط] :

لَيْسَتْ كَمَنْ يَكْرَهُ الْجِرَانَ طَلَعَتْهَا      وَلَا تَرَاهَا لِسِرِّ الْجَارِ تَخْتَلُ  
تَخْتَلُ : تَسْمَعُ لِسِرِّهِ ، يُقَالُ : اخْتَلَّ الرَّجُلُ : إِذَا تَسَمَّعَ لِسِرِّ الْقَوْمِ .  
وَمِمَّا قِيلَ فِي مَشْيِ النِّسَاءِ :

٧١٣ - قَالَ عُمَرُ ابْنُ أَبِي رَبِيعَةَ [من المنسرح] :

أَبْصَرْتُهَا غُدْوَةً وَنِسْوَتَهَا      يَمْشِينَ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالْحَجَرِ  
بِيضاً حِسَاناً خَرَائِداً قُطْفاً      يَمْشِينَ هَوْنًا كَمِشْيَةِ الْبَقَرِ<sup>(٢)</sup>

(١) الْكِلَلُ ، جمع كَلَّةٍ ، وَالْكِلَّةُ : مَا يُسَمَّى التَّامُوسِيَّةُ [وَهِيَ سِنٌّ رَفِيقٌ يُحَاطُ كَالْبَيْتِ وَالْقَبَّةِ يُنَوَّقَى بِهِ وَفِيهِ مِنَ الْحَشَرَاتِ الطَّائِرَةِ كَالْتَّامُوسِ وَغَيْرِهِ] .

(٢) الْخَرَائِدُ جَمْعُ خَرِيدَةٍ ، وَهِيَ مِنَ النِّسَاءِ : الْحَيَّةُ الْخَافِضَةُ الصَّوْتِ ، وَقَالَ الْأَلِيثُ : سَمِعْتُ =

قَدْ فُزْنَ بِالْحُسْنِ وَالْجَمَالِ مَعًا      وَفُزْنَ رِسَالًا بِالذَّلِّ وَالْخَفَرِ<sup>(١)</sup>

٧١٤ - وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ [من البسيط] :

شَمْسٌ مُقَدَّرَةٌ فِي خَلْقِ جَارِيَةٍ      كَأَنَّمَا كَشَحُهَا طَيُّ الطَّوَامِيرِ<sup>(٢)</sup>  
كَأَنَّهَا حِينَ تَمْشِي فِي وَصَائِفِهَا      تَمْشِي عَلَى الْبَيْضِ أَوْ زُرْقِ الْقَوَارِيرِ

٧١٥ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ [من الكامل] :

شَبَّهْتُ مِشْيَتَهَا بِمِشْيَةِ ظَافِرٍ      يَخْتَالُ بَيْنَ أَسِنَّةٍ وَسُيُوفٍ  
صَلَفٍ تَنَاهَتْ نَفْسُهُ فِي نَفْسِهِ      لَمَّا أَتَتْهُ بِسِنَانِهِ الْمَرْعُوفُ

٧١٦ - وَقَالَ ابْنُ مُقْبِلٍ [من البسيط] :

يَهْزُزْنَ لِلْمَشْيِ أَوْصَالًا مُنْعَمَةً      هَزَّ الْجُنُوبِ مَعًا عَيْدَانُ يَبْرِينَا<sup>(٣)</sup>  
أَوْ كَاهْتِزَّازِ رُدْنِي تَنَاوَلُهُ      أَيْدِي التَّجَارِ فَرَادُوا مَتْنَهُ لِينَا<sup>(٤)</sup>  
يَمْشِينَ هَيْلَ التَّقَا مَالَتْ جَوَانِبُهُ      يَنْهَالُ حِينًا وَيَنْهَاهُ الثَّرَى حِينَا<sup>(٥)</sup>

٧١٧ - أَمَّا قَوْلُ الْأَعْمَشِيِّ [من البسيط] :

لَمْ تَمْشِ مِيلًا وَلَمْ تَرْكَبْ عَلَى جَمَلٍ  
الْبَيْتَ [رقم : ٧١١] ، فَقَدْ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى ذُو الْوِزَارَتَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ

= أَعْرَابِيًّا مِنْ كَلْبٍ يَقُولُ : الْخَرِيدَةُ : اللَّوْلُؤَةُ لَمْ تُنْقَبْ ، وَهِيَ مِنَ النِّسَاءِ الْبَكْرُ ؛ وَقُطْفًا جَمْعُ قُطُوفٍ ، وَهِيَ : الَّتِي تَقَارِبُ خَطُوهَا ، هَذَا وَهُمْ يَسْتَحْسِنُونَ مِشْيَةَ الْبَقَرِ الْوَحْشِيِّ .

(١) الرُّسُلُ هُنَا يَفْتَحُ الرِّاءُ : الَّذِي فِيهِ لَيْنٌ وَأَسْتِزْحَاءٌ ؛ وَسَيَّرَ رُسُلٌ : سَهَّلَ .

(٢) الطَّوَامِيرُ : الصُّحُفُ ، وَاحِدُهَا طَوْمَارٌ ، وَهُوَ : الصَّحِيفَةُ .

(٣) يَبْرِينُ : قَزِيَّةٌ كَثِيرَةُ النَّحْلِ وَالْعِيُونِ الْعَذْبَةِ بِحِذَاءِ الْأَحْسَاءِ بِالْبَحْرَيْنِ ؛ وَالْعَيْدَانُ جَمْعُ عَيْدَانَةٍ ، وَهِيَ : النَّخْلَةُ الطَّوِيلَةُ ؛ وَالْجُنُوبُ : رِيحُ الْجُنُوبِ .

(٤) الرُّدْنِيُّ : الرُّمَحُ .

(٥) التَّقَا : الرَّمْلُ ؛ وَالثَّرَى : التُّرَابُ التَّيْدِيُّ .

عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ عُمَرَ بْنِ شَهِيدٍ وَزَيْرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ ، إِذْ يَقُولُ [من الطويل] :  
 تَرَى الْبَذَرَ مِنْهَا طَالِعًا فَكَأَنَّمَا يَجُولُ وَشَاحَاهَا عَلَى لَوْلُو رَطْبِ  
 بَعِيدُهُ مَهْوَى الْقُرْطِ مُحْطَفَةُ الْحَشَا وَمُفْعَمَةُ الْخَلْخَالِ مُفْعَمَةُ الْقَلْبِ  
 مِنَ اللَّاءِ لَمْ يَزَحْلَنْ فَوْقَ رَوَاحِلِ وَلَا سِرْنَ يَوْمًا فِي رِكَابٍ وَلَا رَكِبَ  
 وَلَا أَبْرَزَتْهُنَّ الْمُدَامُ لِنَشْوَةِ وَشَدُو كَمَا تَشْدُو الْفَيَّانُ عَلَى الشُّرْبِ  
 بَعِيدُهُ مَهْوَى الْقُرْطِ ، كِنَايَةٌ عَنْ طُولِ الْعُنُقِ وَحُسْنِ الْحِيدِ ؛ وَالْقُرْطُ :  
 الشَّنْفُ يُعَلَّقُ فِي شَحْمَةِ الْأُذُنِ ؛ وَمُحْطَفَةُ الْحَشَا : ضَامِرَةٌ ؛ وَمُفْعَمَةُ الْخَلْخَالِ ،  
 كِنَايَةٌ عَنْ رَبَالَةِ السَّاقِ ؛ وَمُفْعَمَةُ الْقَلْبِ - السَّوَارِ - ، كِنَايَةٌ عَنْ رَبَالَةِ مِعْصِمِهَا ؛  
 وَقَوْلُهُ : مِنَ اللَّاءِ لَمْ يَزَحْلَنْ . . . الْبَيْتُ ، يَقُولُ : إِنَّهُنَّ ذَوَاتُ رَفَاهِيَّةٍ وَنَعْمَةٍ ،  
 وَدَعَا وَرَغَدَ عَيْشٍ ، وَلَسْنَ مِنَ الْبَادِيَّاتِ الْخَشِنَاتِ اللَّائِي يَزَحْلَنْ فَوْقَ الْإِبِلِ  
 لِلتُّجْعَةِ ؛ وَقَوْلُهُ : وَلَا أَبْرَزَتْهُنَّ الْمُدَامُ . . . الْبَيْتُ ، يَقُولُ : إِنَّهُنَّ مَعَ تَرْفِهِنَّ  
 لَسْنَ مِنَ الْإِمَاءِ وَلَا مِنَ الْفَيَّانِ اللَّوَاتِي يُبْتَذَلْنَ فِي الْغِنَاءِ وَالْمُنَادَمَةِ ، أَيْ : إِنَّهُنَّ  
 مَصُونَاتٌ عَفِيفَاتٌ .

٧١٨ - وَلَمَّا أُنْشِدَ بَشَّارُ بْنُ بَرْدٍ قَوْلَ الشَّاعِرِ [وهو مجنون ليلى قيس بن الملوخ، من

الطويل] :

أَلَا إِنَّمَا لَيْلَى عَصَا خَيْزُرَانَةٍ إِذَا غَمَزُوهَا بِالْأُكْفِ تَلِينَ  
 قَالَ : وَاللَّهِ لَوْ زَعَمَ أَنَّهَا عَصَا مُحٍّ أَوْ عَصَا زُبَيْدٍ لَقَدْ كَانَ جَعَلَهَا جَافِيَةً خَشِنَةً  
 بَعْدَ أَنْ جَعَلَهَا عَصَا ! أَلَا قَالَ كَمَا قُلْتُ [من الوافر] :

وَدَعَجَاءِ الْمَحَاجِرِ مِنْ مَعَدٍّ كَأَنَّ حَدِيثَهَا ثَمَرُ الْجَنَانِ  
 إِذَا قَامَتْ لِمَشِيَّتِهَا تَشْتَتِ كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْزُرَانَ

٧١٩ - وَنَخْتِمُ هَذَا [الْبَابَ] بَابَ الْحَيَاءِ وَالْخَفَرِ، بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ الْجَمِيلَيْنِ

[لِيزِيدِ بْنِ الطَّرِيقَةِ ، أَوْ لِمَجْنُونِ لَيْلَى قَيْسِ بْنِ الْمُلُوحِ ، أَوْ لِابْنِ مَيَّادَةَ الرَّمَّاحِ بْنِ أَبِرْدٍ ؛ مِنْ الطَّوِيلِ] :

بِنَفْسِي وَأَهْلِي مَنْ إِذَا عَرَضُوا لَهُ يَبْغِضُ الْأَذَى لَمْ يَذَرْ كَيْفَ يُجِيبُ  
وَلَمْ يَعْتَذِرْ عُذْرَ الْبَرِيِّ وَلَمْ تَزَلْ بِهِ سَكَنَةٌ حَتَّى يُقَالَ مُرِيبُ

\* \* \*

حَضُّهُمْ النِّسَاءَ عَلَى الْحِشْمَةِ وَنَهْيُهُمْ إِتْيَانَهُ عَنِ التَّبَرُّجِ :

٧٢٠ - نُورِدُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ شَيْئاً مِنْ تَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ فِي الْحَضِّ عَلَى  
اِحْتِشَامِ النِّسَاءِ وَتَرْكِ التَّبَرُّجِ وَكُلُّ مَا هُوَ مَذْرَجَةٌ مَزَالِقِ الْأَقْدَامِ ، وَهِيَ تَعَالِيمُ سَامِيَّةٌ  
كَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَعْرِفُوهَا وَلَمْ يَتَقَطَّنُوا إِلَى مَرَامِهَا . . . وَمِنْ ثَمَّ أَفْرَدْنَا لَهَا بَاباً :

قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَازِوَجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ  
جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ [سورة الأحزاب/ الآية : ٥٩] .

يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ : يُرَخِّصُنَهَا عَلَيْهِنَّ وَيُغَطِّينَ بِهَا وُجُوهَهُنَّ  
وَأَعْطَفَهُنَّ ، وَذَلِكَ أَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ عَلَى هِجْيَرَاهُنَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ  
مُتَبَدِّلَاتٍ ، تَبَرُّزُ الْمَرْأَةُ فِي دِرْعٍ وَخِمَارٍ ، فَأَمْرُنَ أَنْ يُغَطِّينَ وُجُوهَهُنَّ كَيْ يَتَمَيَّزَ  
الْحَرَائِرُ مِنَ الْإِمَاءِ وَالْقِيَانِ وَالْمَاهِنَاتِ ، وَكَانَ الْفِتْيَانُ وَالشُّطَارُ يَتَعَرَّضُونَ - إِذَا  
خَرَجْنَ بِاللَّيْلِ إِلَى قَضَاءِ حَوَائِجِهِنَّ فِي اللَّخِيلِ وَالْغَيْطَانِ - لِلْإِمَاءِ ، وَرُبَّمَا  
تَعَرَّضُوا لِلْحُرَّةِ بَعْلَةَ الْأَمَةِ ، يَقُولُونَ : حَسْبُنَا أَمَةٌ ! فَأَمْرُنَ أَنْ يُخَالَفْنَ بَزِيَّهُنَّ  
عَنْ زِيِّ الْإِمَاءِ بِلَبْسِ الْأَرْدِيَةِ وَالْمَلَا حِفِّ وَسْتَرِ الْكُرُوسِ وَالْوُجُوهِ لِيُخْتَشَمْنَ  
وَيُهَيَّبْنَ فَلَا يَطْمَعُ فِيهِنَّ طَامِعٌ .

\* \* \*

٧٢١ - وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوَّفُوتٍ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ [سورة النور/ الآيتان : ٥٨ و ٥٩] .

أَمَرَ سُبْحَانَهُ بِأَنْ يَسْتَأْذِنَ الْعَبِيدُ وَالْإِمَاءُ وَالْأَطْفَالُ الَّذِينَ لَمْ يَخْتَلِمُوا مِنَ الْأَخْرَارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ : قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، لَأَنَّهُ وَقْتُ الْقِيَامِ مِنَ الْمَضَاجِعِ وَطَرَحِ مَا يُنَامُ فِيهِ مِنَ الثِّيَابِ وَلُبْسِ ثِيَابِ الْقِيَظَةِ ؛ وَبِالظَّهْرِ لَأَنَّهَا وَقْتُ وَضْعِ الثِّيَابِ لِلْقَائِلَةِ ؛ وَبَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ لَأَنَّهُ وَقْتُ التَّجَرُّدِ مِنْ ثِيَابِ الْقِيَظَةِ وَالْإِتِّحَافِ بِثِيَابِ النَّوْمِ ؛ وَسَمَّى سُبْحَانَهُ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ عَوْرَةً ، لَأَنَّ النَّاسَ يَخْتَلُّ تَسْتُرُهُمْ وَتَحْفُظُهُمْ فِيهَا ، ثُمَّ عَذَرَهُمْ فِي تَرْكِ الْأَسْتِذَانِ ، اسْتِذْنَانِ الْإِمَاءِ وَالْعَبِيدِ وَالْأَطْفَالِ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ وَرَاءَ هَذِهِ الْمَرَّاتِ ، وَبَيَّنَ وَجْهَ الْعُذْرِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ طَوَّفُوتٍ عَلَيْكُمْ ﴾ يَغْنِي : إِنَّ بِكُمْ وَبِهِمْ حَاجَةً إِلَى الْمُخَالَطَةِ وَالْمُدَاخَلَةِ يَطُوفُونَ عَلَيْكُمْ لِلخِدْمَةِ وَتَطُوفُونَ عَلَيْهِمْ لِلِاسْتِخْدَامِ ؛ ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ : وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنَ الْأَخْرَارِ فَلْيَسْتَأْذِنُوا فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ كَمَا الرَّجَالُ الْكِبَارُ الَّذِينَ لَمْ يَعْتَادُوا الدُّخُولَ عَلَيْكُمْ إِلَّا بِإِذْنٍ ، وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْأَطْفَالَ مَا ذُوْنَ لَهُمْ فِي الدُّخُولِ بِغَيْرِ إِذْنٍ إِلَّا فِي الْعَوْرَاتِ الثَّلَاثِ ، فَإِذَا اعْتَادَ الْأَطْفَالُ ذَلِكَ ثُمَّ خَرَجُوا عَنْ حَدِّ الطُّفُولَةِ بِأَنْ يَخْتَلِمُوا أَوْ يَبْلُغُوا أَلْسَنَ أَلَّتِي يُحْكَمُ عَلَيْهِمْ فِيهَا بِالْبُلُوغِ وَجَبَ أَنْ يُفْطَمُوا عَنْ تِلْكَ الْعَادَةِ وَيُخْتَلَمُوا عَلَى أَنْ يَسْتَأْذِنُوا فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ كَمَا الرَّجَالُ الْكِبَارُ الَّذِينَ يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَدْخُلُوا إِلَّا بِإِذْنٍ ؛ أَنْظِرْ آيَةَ الْأَسْتِذَانِ بَعْدُ .



٧٢٢ - ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ [٢٤ سورة النور/ الآية : ٦٠] : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ ﴾  
الَّتِي قَعَدْنَ عَنِ الْخَيْضِ وَالْوَلَدِ لِكِبَرِهِنَّ ﴿ أَلَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ﴾ لَا يَطْمَعْنَ فِيهِ  
لِكِبَرِهِنَّ ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ﴾ أَي : الثِّيَابَ الظَّاهِرَةَ ،  
كَالْجِلْبَابِ ﴿ غَيْرَ مُتَّبِعَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾ غَيْرَ مُظْهِرَاتٍ زِينَةً مِمَّا أَمِرْنَ بِإِخْفَائِهِ فِي غَيْرِ  
مَا آيَةٌ ﴿ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ﴾ أَي : مِنَ الْوَضْعِ ، لِأَنَّهُ أَبْعَدُ مِنَ التُّهْمَةِ ؛  
وَبَعْدُ ، فَاعْتَبِرُوا أَيُّهَا النَّاسُ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي تَحْضُ عَلَى الْإِحْتِشَامِ وَالْبُعْدِ  
عَنِ الْمَزَالِ وَالرَّيْبِ حَتَّى مَعَ الْأَطْفَالِ وَالْخَدَمِ ، وَأَيَّ خَدَمٍ : الْإِمَاءِ وَالْعَبِيدِ .

٧٢٣ - وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾  
ذَلِكَ أَزْكَى لَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٢٥﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ  
فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ  
زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ  
بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ  
أَوْ التَّلَاعِيقَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ  
النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ  
الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿ [٢٤ سورة النور/ الآيتان : ٣٠ و ٣١] .

يَقُولُ سُبْحَانَهُ لِرَسُولِهِ الْأَمِينِ : قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَنْ كُلِّ مُحَرَّمٍ  
عَلَيْهِمْ وَأَنْ يَقْضُرُوهَا عَلَى مَا يَحِلُّ ، وَأَنْ يَسْتُرُوا عَوْرَاتِهِمْ<sup>(١)</sup> ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَزْكَى  
لَهُمْ وَأَطْهَرُ ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْبُعْدِ عَنِ الرِّيبَةِ ؛ ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ خَيْرٌ بِأَفْعَالِهِمْ  
وَأَحْوَالِهِمْ وَكَيْفَ يُجِيلُونَ أَبْصَارَهُمْ ، وَكَيْفَ يَصْنَعُونَ بِسَائِرِ حَوَاسِهِمْ

(١) فَالْمُرَادُ بِحِفْظِ الْفُرُوجِ سَتْرُهَا ، وَقِيلَ : الْمُرَادُ الْكُفْيُ عَنِ الزُّنَا ؛ وَقَدْ أَتَرْنَا الْأَوَّلَ تَبَعًا لِقَوْلِ  
بَعْضِ عُلَمَائِنَا : كُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ حِفْظِ الْفَرْجِ فَهُوَ عَنِ الزُّنَا إِلَّا هَذَا ، فَإِنَّهُ أَرَادَ بِهِ  
الْإِسْتِتَارَ ؛ وَالْفَرْجُ : الْعَوْرَةُ .

وَجَوَارِحِهِمْ ، فَعَلَيْهِمْ إِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ ، وَكَذَلِكَ قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ أَنْ يَغْضُضْنَ أَبْصَارَهُنَّ ، فَلَا يَنْظُرْنَ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَهُنَّ النَّظَرُ إِلَيْهِ مِنَ الرِّجَالِ ؛ حَدَّثَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ مَيْمُونَةٌ ، فَأَقْبَلَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ - الْأَعْمَى - وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَمَرْنَا بِالْحِجَابِ ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « اخْتَجِبَا » ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَلَيْسَ أَعْمَى لَا يُبْصِرُنَا ؟ قَالَ : « أَفَعَمِيَاوَانِ أَنْتُمَا ؟ أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ ؟ » [الترمذي ، رقم : ٢٧٧٨ ؛ أبو داود ، رقم : ٤١١٢] وَإِنَّمَا قَدَّمَ سُبْحَانَهُ غَضَّ الْأَبْصَارِ عَلَى حِفْظِ الْفُرُوجِ لِأَنَّ النَّظَرَ بَرِيدُ الزَّنا وَرَائِدُ الْفُجُورِ ، وَالْبُلُؤَى فِيهِ أَشَدُّ وَأَكْثَرُ ، وَلَا يَكَادُ يُقْدَرُ عَلَى الْاِخْتِرَاسِ مِنْهُ .

ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ : وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ، فَالزَّيْنَةُ : مَا تَرَيْتِ بِهِ الْمَرْأَةُ مِنْ حُلِيِّ أَوْ كُحْلِ أَوْ خِضَابٍ ، فَمَا كَانَ ظَاهِرًا مِنْهَا كَالْخَاتَمِ وَالْفَتْحَةِ<sup>(١)</sup> وَالْكُحْلِ وَالْخِضَابِ فَلَا بَأْسَ بِإِظْهَارِهِ لِلْأَجَانِبِ ! وَمَا خُفِيَ مِنْهَا كَالسُّوَارِ وَالْخَلْخَالِ وَالْذَّمْلَجِ وَالْقِلَادَةِ وَالْإِكْلِيلِ وَالْوِشَاحِ وَالْقُرْطِ فَلَا تُظْهِرُهُ إِلَّا لِهَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ بَعْدَ ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الزَّيْنَةَ دُونَ مَوَاضِعِهَا لِلْمُبَالَغَةِ فِي الْأَمْرِ بِالتَّصَوُّنِ وَالتَّسْتُرِ ، لِأَنَّ هَذِهِ الزَّيْنَةَ وَاقِعَةٌ عَلَى مَوَاضِعَ مِنَ الْجَسَدِ لَا يَحِلُّ النَّظَرُ إِلَّا لِمَنْ أَسْتَشْنَى فِي آيَةٍ بَعْدَ - وَهِيَ الذَّرَاعُ وَالسَّاقُ وَالْعَصْدُ وَالْعُنُقُ وَالرَّأْسُ وَالصَّدْرُ وَالْأُذُنُ - فَتَهَيَّ عَنْ إِبْدَاءِ الزَّيْنَةِ نَفْسَهَا لِيُعْلَمَ أَنَّ النَّظَرَ إِذَا لَمْ يَحِلَّ إِلَيْهَا لِمَلَابَسَتِهَا تِلْكَ الْمَوَاضِعَ كَانَ النَّظَرُ إِلَى الْمَوَاضِعِ نَفْسَهَا مَتَمَكِّنًا فِي الْخَطَرِ ثَابِتٌ الْقَدَمِ فِي الْحُرْمَةِ شَاهِدًا عَلَى أَنَّ النِّسَاءَ يَجْمُلُ أَنْ يَخْتَطِنَ فِي سِتْرِهَا وَيَتَّقِنَ اللَّهَ فِي الْكَشْفِ عَنْهَا . وَإِنَّمَا سُمِيَ فِي الزَّيْنَةِ الظَّاهِرَةِ لِأَنَّ سِتْرَهَا فِيهِ حَرَجٌ ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ لَا تَجِدُ

(١) الْفَتْحَةُ ، مُحَرَكَةٌ : حَلَقَةٌ مِنْ فِصَّةٍ لَا فَصَّ فِيهَا ، فَإِذَا كَانَ فِيهَا فَصٌّ فَهُوَ الْخَاتَمُ .

بُدَأَ مِنْ مُزَاوَلَةِ الْأَشْيَاءِ بِيَدِهَا ، وَمِنْ الْحَاجَةِ إِلَى كَشْفِ وَجْهِهَا خُصُوصاً فِي الشَّهَادَةِ وَالْمُحَاكَمَةِ وَالزَّوْاجِ وَتَضَطُّرُّ إِلَى الْمَشْيِ فِي الطَّرِيقَاتِ وَظُهُورِ قَدَمَيْهَا ، وَخَاصَّةً الْفَقِيرَاتِ مِنْهُنَّ ، فَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ ، يَعْنِي : إِلَّا مَا جَرَتْ الْعَادَةُ عَلَى ظُهُورِهِ وَكَانَ الْأَصْلُ فِيهِ الظُّهُورُ ، وَإِنَّمَا سُومِحَ فِي الزَّيْنَةِ الْخَفِيَّةِ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ اسْتَنَاهُمْ لِمَا كَانُوا مُخْتَصِّينَ بِهِ مِنَ الْحَاجَةِ الْمُضْطَّرَةِ إِلَى مُدَاخَلَتِهِمْ وَمُخَالَطَتِهِمْ ، وَلِقَلَّةِ تَوَقُّعِ الْفِتْنَةِ مِنْ جِهَاتِهِمْ . وَلِمَا فِي الطَّبَاعِ مِنَ الْكُفْرِ عَنْ مُمَارَسَةِ الْقَرَائِبِ . ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَلِيَضْرِبَنَّ بِخُمْرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا ﴾ ، فَقَدْ كَانَتْ جُيُوبُهُنَّ - قَبَائِهُنَّ - فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَاسِعَةً تَبْدُو مِنْهَا نُحُورُهُنَّ وَصُدُورُهُنَّ وَمَا حَوْلَهَا ، وَكُنَّ يَسْدُلْنَ الْخُمْرَ - الْمَقَانِعَ - مِنْ وَرَائِهِنَّ فَتَبْقَى مَكْشُوفَةً ، فَأُْمِرْنَ بِأَنْ يَسْدُلْنَهَا مِنْ قُدَامِهِنَّ حَتَّى تَتَغَطَّى أَعْنَاقُهُنَّ وَنُحُورُهُنَّ . . .

٧٢٤ - وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : مَا رَأَيْتُ خَيْراً مِنْ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ ، لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ قَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ إِلَى مِرْطِهَا فَصَدَعَتْ - شَقَّتْ وَقَطَعَتْ - مِنْهُ صَدْعَةً ، فَأَخْتَمَرْنَ - تَقَنَّعْنَ - فَأَصْبَحْنَ عَلَى رُؤُوسِهِنَّ الْغُرَبَانَ<sup>(١)</sup> . [البخاري ، رقم : ٤٧٥٩ ؛ أبو داود ، رقم : ٤١٠٢] .

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ [ ٢٤ سورة النور/ الآية : ٣١ ] : ﴿ وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ الْآيَةُ : بَيَانٌ لِمَنْ يَحِلُّ لَهُ الْإِبْدَاءُ وَمَنْ لَا يَحِلُّ ؛ وَقَوْلُهُ : ﴿ أَوْ نِسَائِهِنَّ ﴾ ، يَعْنِي : الْمُؤْمِنَاتُ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لِلْمُؤْمِنَةِ أَنْ تَتَجَرَّدَ بَيْنَ يَدَيِ مُشْرِكَةٍ أَوْ كِتَابِيَّةٍ ، فَإِنَّ الْكَافِرَاتِ لَا يَتَحَرَّجْنَ عَنْ وَصْفِهِنَّ لِلرِّجَالِ ، وَقِيلَ : النِّسَاءُ كُلُّهُنَّ ، وَلِلْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ خِلَافٌ ، وَقَوْلُهُ : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُنَّ ﴾ ، يَعْنِي : الْإِمَاءَ وَالْعَبِيدَ ، لِمَا رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَتَى فَاطِمَةَ بَعِيدَ وَهَبَهُ لَهَا

(١) شَبَّهَتْ الْخُمْرَ فِي سَوَادِهَا بِالْغُرَبَانِ ، جَمْعُ غُرَابٍ .

وَعَلَيْهَا ثَوْبٌ إِذَا قَتَعَتْ بِهِ رَأْسَهَا لَمْ يَبْلُغْ رِجْلَيْهَا وَإِذَا غَطَّتْ رِجْلَيْهَا لَمْ يَبْلُغْ رَأْسَهَا ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ ، إِنَّمَا هُوَ أَبُوكَ وَغَلَامُكَ » [أبو داود ، رقم : ٤١٠٦] ، وَقِيلَ : الْمُرَادُ بِهَا الْإِمَاءُ ، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ ، لِأَنَّ عَبْدَ الْمَرْأَةِ بِمَنْزِلَةِ الْأَجَنِيِّ مِنْهَا ، خَصِيًّا كَانَ أَوْ فَخْلًا .

٧٢٦ - وَعَنْ مَيْسُونِ بِنْتِ بَخْدَلِ الْكَلَابِيَّةِ ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ دَخَلَ عَلَيْهَا وَمَعَهُ خَصِيٌّ ، فَتَقَنَعَتْ مِنْهُ ، فَقَالَ : هُوَ خَصِيٌّ ، فَقَالَتْ : يَا مُعَاوِيَةُ ! أَتَرَى أَنَّ الْمُثْلَةَ بِهِ تُحَلِّلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ؟ .

٧٢٧ - وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ : لَا يَحِلُّ اسْتِخْدَامُ الْخِصْيَانِ وَإِمْسَاكُهُمْ وَبَيْعُهُمْ وَشِرَاؤُهُمْ .

٧٢٨ - أَقُولُ : فَلْيَأْتُوا فَلْيَنْظُرُوا بَيُوتَ أَغْنِيَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، كَيْفَ تَزْخَرُ بِالرِّجَالِ ، وَكَيْفَ لَا يَتَوَرَّعُ نِسَاؤُهُمْ عَنِ اسْتِخْدَامِ الْخِصْيَانِ وَالْفُحُولِ وَكُلِّ مَنْ هَبَّ وَدَبَّ ، فَاللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا .

٧٢٩ - ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ [ ٢٤ سورة النور/ الآية : ٣١ ] : ﴿ أَوْ التَّيْعِيبِ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ﴾ ، أَي : غَيْرِ أُولَى الْحَاجَةِ إِلَى النِّسَاءِ ، وَهُمْ الشُّيُوخُ الصُّلَحَاءُ أَوْ الشُّيُوخُ الَّذِينَ بِهِمْ عَنَانَةٌ ، وَقِيلَ : هُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ لِيُصِيبُوا مِنْ فَضْلِ طَعَامِكُمْ وَلَا حَاجَةَ لَهُمْ إِلَى النِّسَاءِ لِأَنَّهُمْ بُلَهٌ لَا يَعْرِفُونَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِنَّ .

٧٣٠ - وَأَمَّا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ [ ٢٤ سورة النور/ الآية : ٣١ ] : ﴿ أَوْ الطِّفْلِ الذِّي لَمْ يَطْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾ ، فَالطِّفْلُ جِنْسٌ وَضِعَ مَوْضِعَ الْجَمْعِ أَكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ الْوَضْفِ ، وَ﴿ يَطْهَرُوا ﴾ : يَطْلِعُوا ، وَالْمَعْنَى : أَوْ الْأَطْفَالُ الَّذِينَ لَمْ يَطْلِعُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ لِعَدَمِ تَمْيِيزِهِمْ أَوْ لِعَدَمِ بُلُوغِهِمْ حَدَّ الشَّهْوَةِ ، فَيَكُونُ الظُّهُورُ بِمَعْنَى الْغَلَبَةِ ، وَهُنَا يَنْتَهِي عَدَدُ الَّذِينَ يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ الْمُؤْمِنَةِ أَنْ تُظْهَرَ زِينَتَهَا

الْخَفِيَّةَ لَهُمْ .

٧٣١ - قَالَ الرَّمَحْشَرِيُّ : فَإِنْ قُلْتُ : لِمَ لَمْ يَذْكُرِ اللَّهُ الْأَعْمَامَ وَالْأَخْوَالَ ؟ قُلْتُ : سُئِلَ الشَّعْبِيُّ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : لِثَلَا يَصِفُهَا الْعَمُّ عِنْدَ ابْنِهِ ، وَالْخَالَ كَذَلِكَ ؛ وَمَعْنَاهُ : أَنَّ سَائِرَ الْقَرَابَاتِ تَشْتَرِكُ الْأَبَ وَالْإِبْنَ فِي الْمَحْرَمِيَّةِ ، إِلَّا الْعَمَّ وَالْخَالَ وَأَبْنَاءَهُمَا ، فَإِذَا رَأَاهَا الْعَمُّ فَرُبَّمَا وَصَفَهَا لِابْنِهِ وَلَيْسَ بِمُحْرَمٍ ، فَيَدَانِي تَصَوُّرُهُ لَهَا بِالْوَصْفِ نَظَرُهُ إِلَيْهَا ، وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الدَّلَالَاتِ الْبَلِيغَةِ عَلَى وَجُوبِ الْأَخْتِيَاطِ عَلَيْهِنَ فِي التَّسْتُرِ .

٧٣٢ - ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ [ ٢٤ سورة النور/ الآية : ٣١ ] : ﴿ وَلَا يَصْرِيحَنَّ بِأَرْجُلَيْهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ قَالُوا : كَانَتِ الْمَرْأَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَضْرِبُ الْأَرْضَ بِرِجْلِهَا لِيَتَقَعَعَ خَلْخَالُهَا فَيُعْلَمُ أَنَّهَا ذَاتُ خَلْخَالٍ ، وَقِيلَ : كَانَتْ تَضْرِبُ بِإِحْدَى رِجْلَيْهَا الْأُخْرَى لِيُعْلَمَ أَنَّهَا ذَاتُ خَلْخَالَيْنِ ، فَهَاهُمْ اللَّهُ عَنْ مِثْلِ هَذَا لِأَنَّهُ يُورِثُ مِثْلًا فِي الرِّجَالِ . . .

٧٣٣ - وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٧) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ أَنْجِعُوا فَأَنْجِعُوا هُوَ أَزْكى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿ [ ٢٤ سورة النور/ الآيتان : ٢٧ و ٢٨ ] .

\* \* \*

٧٣٤ - وَقَالَ عَزَّ وَتَقَدَّسَ : ﴿ يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتَنَ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ (٣١) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (٣٢) وَاذْكُرْنَ



قَوْلُهَا : أَجِنَّكَ ، مَعْنَاهُ : مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ .

\* \* \*

٧٣٧- وَرُوي أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، قَالَ لِلنِّسَاءِ أَلَا تَبِي يَخْرُجْنَ إِلَى الْمَسْجِدِ : لَأَرُدَّكُمْ حَرَائِرَ .

أَيُّ : لَأَلْزِمُكُمْ الْبُيُوتَ فَلَا تَخْرُجْنَ إِلَى الْمَسْجِدِ ، لِأَنَّ الْحِجَابَ إِنَّمَا ضُرِبَ عَلَى الْحَرَائِرِ دُونَ الْإِمَاءِ .

\* \* \*

٧٣٨- وَبَعْدُ ؛ فَإِنَّ مَنْ أَنْعَمَ النَّظَرُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ وَالْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ وَنَظَائِرِهَا ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ ، تَحَقَّقَ أَنَّ نِسَاءَ الْمُسْلِمِينَ مَأْمُورَاتٌ بِالْإِحْتِشَامِ وَبِلَوْنٍ مِنَ الْحِجَابِ هُوَ عَدَمُ التَّبَرُّجِ ، وَأَنَّ الْأَفْضَلَ لَهُنَّ أَنْ يَقَرَّرْنَ فِي بُيُوتِهِنَّ ، وَإِذَا هُنَّ خَرَجْنَ فَالْوَاجِبُ عَلَيْهِنَّ أَنْ يَحْتَشِمْنَ وَيَتَّعِدْنَ عَنْ كُلِّ مَا يَدْعُو إِلَى الْإِفْتِتَانِ بِهِنَّ ، وَإِذَا كَانَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ الَّتِي خُوطِبَ بِهَا نِسَاءُ النَّبِيِّ خَاصَّةً بِهِنَّ فِي الظَّاهِرِ ، فَهِيَ مِنَ الْخَاصِّ الَّذِي أُرِيدَ بِهِ الْعَامُّ ، وَلَا سِيَّما إِذَا ضُمَّ إِلَيْهَا سَائِرُ الْآيَاتِ ، أَوْ يَقُولُ : إِنَّ مَضْمُونَهَا هُوَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى لِمَا يَجِبُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ ، أَعْنِي : إِنَّ مَا أُمِرَ بِهِ نِسَاءُ النَّبِيِّ هُوَ الْقُدُوءُ وَالْأُسُوءُ ، وَإِذْنٌ فَلَا فَضْلَ لِسَائِرِ الْمُسْلِمَاتِ أَنْ يَمْتَثِلْنَ هَذِهِ الْأَوَامِرَ وَيَأْتِمِرْنَ بِهَا .

الْكَفَاءَةُ ، وَحَصُّهُمْ عَلَى تَزْوِيجِ النِّسَاءِ مِنْ أَكْفَاءِ الرِّجَالِ :

٧٣٩- الْكَفَاءَةُ : مُسَاوَاةُ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ فِي النَّسَبِ وَالْإِسْلَامِ وَالْحِرْفَةِ وَالْحُرِّيَّةِ وَالِدِّيَانَةِ وَالْمَالِ<sup>(١)</sup> ، وَالْكَفَاءَةُ مُعْتَبَرَةٌ فِي جَانِبِ الرَّجُلِ لَا فِي جَانِبِ

(١) أَنْظِرِ الْقَوْلَ عَلَى الْكَفَاءَةِ وَشُرُوطَهَا وَتَفْصِيلَ ذَلِكَ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ ، خُصُوصاً كِتَابُ « أَلْفَقْهِ عَلَى =

الْمَرْأَةُ ، فَلِلرَّجُلِ أَنْ يَتَزَوَّجَ مَنْ يَشَاءُ وَلَوْ أَمَةً أَوْ خَادِمًا ؛ وَلَآنَ الْكَفَاءَةُ مُعْتَبَرَةٌ فِي جَانِبِ الرَّجُلِ ، فَكَأَنَّهَا تَمُتُ إِلَى الْوَصَاةِ بِالنِّسَاءِ بِسَبَبِ وَاصِلٍ ، وَضَعْنَا عِبْقَرِيَّاتِهِمْ فِيهَا عَقِيبَ بَابِ الْوَصَاةِ بِالنِّسَاءِ .

حُثُّهُمْ عَلَى اعْتِبَارِ الْكَفَاءَةِ فِي الرِّجَالِ :

٧٤٠ - فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « تَخَيَّرُوا لِتُطْفِكُمْ وَأَنْكِحُوا الْأَكْفَاءَ » [ابن ماجه ، رقم : ١٩٦٨] وَمَعْنَى الْحَدِيثِ : الْحَثُّ عَلَى اخْتِيَارِ الزَّوْجَةِ ، أَيِ : تَحْرِي مَا هُوَ خَيْرُ الْمَنَاحِجِ وَأَطْهَرُهَا وَأَبْعَدُهَا عَنِ الْخُبْتِ وَالْفُجُورِ « أَنْظَرُ حَثَّهُمْ عَلَى اخْتِيَارِ ذَوَاتِ الدِّينِ وَالْحَسَبِ » [رقم : ١٤٨٨ وما بعده] . وَالشُّطْرُ الثَّانِي مِنَ الْحَدِيثِ مَعْنَاهُ : الْحَثُّ عَلَى اخْتِيَارِ الزَّوْجِ الْكَفَاءِ .

٧٤١ - وَفِي الْحَدِيثِ : « إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَرُؤُجُوهُ ، إِنْكُمْ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ » [الترمذي ، رقم : ١٠٨٤ ؛ ابن ماجه ، رقم : ١٩٦٧] .

٧٤٢ - وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : لَا مَنَعَنَ فُرُوجَ ذَوِي الْأَحْسَابِ إِلَّا مِنَ الْإِكْفَاءِ .

٧٤٣ - وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ لِرَجُلٍ اسْتَشَارَهُ فِي تَزْوِيجِ بِنْتِهِ : زَوِّجْهَا مِنْ تَقِيٍّ ، فَإِنَّهُ إِنْ أَحَبَّهَا أَكْرَمَهَا ، وَإِنْ كَرِهَهَا لَمْ يَظْلِمَهَا .

٧٤٤ - وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : لَا تُكْرِهُوا فِتْيَانَكُمْ عَلَى الرَّجُلِ الْقَلِيحِ ، فَإِنَّهُنَّ يُخْبِنَنَّ مَا تُحِبُّونَ .

أَنْظَرِ الدَّمَامَةَ وَالْقُبْحَ . [الباب السابع ، الأرقام : ١١٥٢ وما بعده] .

٧٤٥ - وَقِيلَ لِحَكِيمٍ : فُلَانٌ يَخْطُبُ فُلَانَةً ، قَالَ : أُمُوسِرٌّ مِنْ عَقْلِ وَدِينٍ ؟



قالوا : نَعَمْ ، قَالَ : فَزَوِّجُوهُ .

٧٤٦- وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لَامْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَزَوَّجَتْ رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ<sup>(١)</sup> : أَتَنْكِحُ الْحُرَّةَ عَبْدَهَا ؟ فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ [من الرجز] :  
إِنَّ الْمُهْوَورَ تُنْكِحُ الْأَيَّامَى النِّسْوَةَ الْأَرَامِلَ الْيَتَامَى  
الْمَرْءَ لَا تَبْغِي لَهُ سَلَامًا

الْأَيَّامَى ، جَمْعُ أَيِّمٍ ، وَهِيَ : الَّتِي لَا زَوْجَ لَهَا ، بِكْرًا أَوْ ثَيِّبًا ؛ وَالْمَرْءُ مَفْعُولٌ ثَانِي لِتَنْكِحَ ، وَالْأَيَّامَى مَفْعُولٌ أَوَّلٌ . تَقُولُ : إِنَّ الْمُهْوَورَ - جَمْعُ مَهْرٍ - تُغْرِي إِلَى حَدٍّ أَنَّهَا تَجْعَلُ النِّسَاءَ تَرْضَى بِالتَّزْوِجِ مِنَ الْمَرْءِ لَا تَبْغِي لَهُ سَلَامًا .

٧٤٧- وَمِثْلُ هَذَا مَا رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا زَوَّجَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ التُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيُّ يَحْيَى ابْنَ أَبِي حَفْصَةَ - جَدُّ مَرْوَانَ ابْنِ أَبِي حَفْصَةَ الشَّاعِرِ - وَكَانَ يَحْيَى هَذَا مِنْ أَجْوَدِ النَّاسِ ، وَكَانَ ذَا يَسَارٍ ، وَكَانَ مَوْلَى لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، وَكَانَ أَبُوهُ يَهُودِيًّا أَسْلَمَ عَلَى يَدِ عُثْمَانَ ، فَلَمَّا زَوَّجَهُ إِبْرَاهِيمُ أَبْنَتَهُ عَلَى عَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، قَالَ قَائِلٌ يُعَيِّرُهُ [من الطويل] :

لَعَمْرِي لَقَدْ جَلَلْتَ نَفْسَكَ خِزْيَةً وَخَالَفْتَ فِعْلَ الْأَكْثَرِينَ الْأَكَارِمِ<sup>(٢)</sup>  
وَلَوْ كَانَ جَدَّاكَ الْأَلْذَانَ تَتَابَعَا يَبْذِرُ لَمَّا رَامَا صَنِيعَ الْآلَائِمِ  
فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ التُّعْمَانِ يَرُدُّ عَلَيْهِ [من الطويل] :

فَمَا تَرَكْتَ عَشْرُونَ أَلْفًا لِقَائِلٍ مَقَالًا فَلَا تَحْفِلُ مَلَامَةً لَائِمٍ  
وَإِنْ أَكْ قَدْ زَوَّجْتُ مَوْلَى فَقَدْ مَضَتْ بِهِ سُنَّةٌ قَبْلِي وَحُبٌّ أَلَدَّرَاهِمِ

\* \* \*

(١) يُقَالُ : رَجُلٌ مَغْمُوصٌ عَلَيْهِ فِي حَسَبِهِ وَدِينِهِ ، أَيْ : مَطْعُونٌ عَلَيْهِ فِيهِمَا .

(٢) جَلَلْتُ : غَطَّيْتُ ، كَمَا يَجَلُّ الرَّجُلُ بِثَوْبِهِ ؛ وَخِزْيَةٌ ، يَفْتَحُ الْخَاءُ وَكُسْرُهَا : الْبَلِيَّةُ أَوْ الْجَرِيْمَةُ يُسْتَحَى مِنْهَا .

٧٤٨ - وَرَوَوْا : أَنَّ يَحْيَى ابْنَ أَبِي حَفْصَةَ هَذَا خَطَبَ إِلَى مُقَاتِلِ بْنِ طَلَبَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمِ الْمُنْقَرِيِّ سَيِّدِ أَهْلِ الْوَبَرِ : ابْنَتُهُ وَأُخْتَيْهِ ، فَأَنَعَمَ لَهُ بِذَلِكَ ، فَبَعَثَ يَحْيَى إِلَى بَنِيهِ سُلَيْمٍ وَعَمَرَ وَجَمِيلٍ ، فَأَتَوْهُ بِالْجَفْرِ<sup>(١)</sup> ، فَرَوَّجَهُنَّ بَيْنِهِ ، وَدَخَلُوا بِهِنَّ ، ثُمَّ حَمَلُوهُنَّ إِلَى حَجَرٍ<sup>(٢)</sup> ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ الْفُضَلَاءُ بْنُ حَزْنٍ الْمُنْقَرِيُّ [من البسيط] :

بُنْتُ خَوْلَةَ قَالَتْ حِينَ أَنْكَحَهَا      لَطَالَمَا كُنْتُ مِنْكَ الْعَارَ أَنْظِرُ<sup>(٣)</sup>  
 أَنْكَحْتَ عَبْدَيْنِ تَرْجُو فَضْلَ مَالِهِمَا      فِي فَيْكِ مِمَّا رَجَوْتَ التُّرْبَ وَالْحَجَرَ<sup>(٤)</sup>  
 اللَّهُ دَرُّ جِيَادٍ أَنْتَ سَائِسُهَا      بَزَزْنَتَهَا وَبِهَا التَّحْجِيلُ وَالْغَرُّ<sup>(٥)</sup>  
 ٧٤٩ - وَقَالَ آخَرُ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ [من الطويل] :

أَلَا يَا عِبَادَ اللَّهِ قَلْبِي مُتَيْمٌ      بِأَحْسَنِ مَنْ صَلَّى وَأَقْبَحِهِمْ بَغْلًا  
 يَدُبُّ عَلَى أَحْشَائِهَا كُلَّ لَيْلَةٍ      دَيْبُ الْقَرْنَبِيِّ يَقْرُو نَقَا سَهْلًا  
 الْقَرْنَبِيُّ : دُوبِيَّةٌ عَلَى هَيْئَةِ الْخُنْفُسِ مَنْقُطَةُ الظَّهْرِ ، وَرُبَّمَا كَانَ فِي ظَهْرِهَا نُقْطَةُ حُمْرَاءٍ وَفِي قَوَائِمِهَا طُولٌ عَلَى الْخُنْفُسِ ، وَهِيَ ضَعِيفَةُ الْمَشْيِ ، وَيَقْرُو : يَتَّبِعُ ، يُقَالُ : قَرَا الْأَرْضَ يَقْرُوهَا قَرَوًا : إِذَا تَتَبَعَهَا وَسَارَ فِيهَا يُنْظَرُ حَالُهَا وَيَتَعَرَّفُ أَمْرُهَا ؛ وَاللَّقَا : قِطْعَةٌ مِنْ رَمْلٍ مُخْدُودِبَةٍ . [راجع رقم : ٦٤٢] .

\* \* \*

- (١) الْجَفَرُ : مَوْضِعٌ يَنْجِدُ .
- (٢) حَجَرٌ : فَصْبَةٌ الْيَمَامَةِ .
- (٣) خَوْلَةٌ : اسْمُ إِحْدَى بَنَاتِي مُقَاتِلِ ، وَرَوَى الْمُبَرِّدُ وَأَبُو قُتَيْبَةَ أَنَّ خَوْلَةَ هَذِهِ تَرَوَّجَهَا يَحْيَى نَفْسَهُ .
- (٤) قَوْلُهُ : أَنْكَحْتَ عَبْدَيْنِ ، هُمُ ثَلَاثَةٌ كَمَا عَلِمْتُ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ إِلَّا اثْنَيْنِ .
- (٥) بَزَزْنَتَهَا : جَعَلْنَهَا مِنْ بَرَازِينَ الْخَيْلِ ، وَهِيَ : مَا لَيْسَتْ مِنْ نِتَاجِ الْخَيْلِ الْعِرَابِ .

٧٥٠ - وَقَالَ أَغْرَابِي فِي الْمَرْأَةِ الْكَرِيمَةِ تَرْوِجُ مِنْ وَغْدٍ لَيْسَ ، وَهِيَ أَيْبَاتُ

كُنْزٌ ، نَوْرِدُ مِنْهَا مَا يَلِي [من الطويل] :

أَيَا عَمَرَوْكُمْ مِنْ مُهْرَةٍ عَرِيَّةٍ      مِنْ النَّاسِ قَدْ بُلِيَتْ بِوَعْدٍ يَقُودُهَا  
يَسُوسُ وَمَا يَذْرِي لَهَا مِنْ سِيَّاسَةٍ      يُرِيدُ بِهَا أَشْيَاءَ لَيْسَتْ تُرِيدُهَا  
مُبْتَلَّةٌ الْأَعْجَازِ زَانَتْ عُقُودَهَا      بِأَحْسَنِ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودُهَا  
بُلِيَتْ ، أَرَادَ بُلِيَتْ فَخَفَّفَ ؛ وَمُبْتَلَّةٌ الْأَعْجَازِ : مُنْقَطِعَةٌ الْأَرْذَافِ ، أَيِ : إِنَّ  
أَرْذَافَهَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْ ظَهْرِهَا ، وَهَذَا مِنْ مُحَاسِنِ الْمَرْأَةِ .

\* \* \*

٧٥١ - وَقَالَ رَجُلٌ يَذْكُرُ امْرَأَةً زُوِّجَتْ مِنْ غَيْرِ كُفٍّ [من الطويل] :

لَقَدْ فَرِحَ الْوَاشُونَ أَنْ نَالَ ثَغْلَبٌ      شَبِيهَةً طَنِيٍّ مُقْلَتَاهَا وَجِيدُهَا  
أَضَرَّ بِهَا فَقَدْ أَلْوَلِيٍّ فَأَصْبَحَتْ      بِكَفٍّ لَيْسَ أَلْوَالِدَيْنِ يَقُودُهَا  
ثَغْلَبٌ ، هُوَ : زَوْجُهَا .

\* \* \*

٧٥٢ - وَقَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ فِي زَوْجِهَا رَوْحِ بْنِ

زُبَاعٍ [من الطويل] :

وَهَلْ هِنْدُ إِلَّا مُهْرَةٌ عَرِيَّةٌ      سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلَهَا نَغْلٌ<sup>(١)</sup>  
فَإِنْ نَتَجَتْ مُهْرًا كَرِيمًا فَبِالْحَرَى      وَإِنْ يَكُ إِقْرَافٌ فَمَا أَنْجَبَ الْفَخْلُ<sup>(٢)</sup>

٧٥٣ - وَكَانَ رَوْحُ بْنُ زُبَاعٍ سَيِّدَ يَمَانِيَةِ الشَّامِ وَقَائِدَهَا وَخَطِيبَهَا وَمِخْرَنَهَا

(١) نَغْلٌ ، أَصْلُهُ نَغْلٌ كَكَفٍّ ، وَهُوَ : الْخَسِيسُ مِنَ النَّاسِ وَالِدَوَابِّ ، أَرَادَتْ الْفَرَسَ الْهَجِينِ ، وَيُرْوَى بِدَلِّ نَغْلٍ : بَغْلٌ ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ الرُّوَايَةُ بِشَيْءٍ ، لِأَنَّ الْبَغْلَ لَا يَسْلُ .

(٢) الْمُرَادُ بِالْإِقْرَافِ هُنَا أَنْ يَكُونَ الْمَهْرُ مُقْرِفًا ، أَيِ : نَدْلًا خَسِيسًا ، وَالْمُقْرِفُ فِي الْأَصْلِ : مَنْ أُمُّهُ عَرَبِيَّةٌ وَأَبُوهُ لَيْسَ كَذَلِكَ .

وَشُجَاعَهَا ، وَإِنَّمَا قَالَتْ لَهُ هِنْدُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ مَسَّهُ يَوْمَ الْمَرْجِ أَسْرٌ فَأَقْتَدَى ،  
فَقَالَتْ لَهُ هِنْدُ قَوْلَ الْعَرَبِيَّةِ الشَّرِيفَةِ لِلْمَوْلَى ، وَعَيْرَتُهُ بِالْإِقْرَافِ .

وَكَانَ رَوْحٌ قَدْ طَلَّقَهَا ، وَقَالَ : سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكَ بَعْلًا يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيَقْيُوهَا  
فِي حِجْرِكَ ؛ فَتَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ الْفَيْضُ ابْنُ أَبِي عَقِيلٍ الثَّقَفِيُّ ، فَكَانَ يَسْكُرُ وَيَقْيِي  
فِي حِجْرِهَا .

\* \* \*

٧٥٤ - وَهَذَا مِنْ هِنْدٍ مِثْلُ قَوْلِ عَقِيلِ بْنِ عُلْفَةَ الشَّاعِرِ - وَكَانَ غَيُورًا شَدِيدَ  
الْأَنَفَةِ فِي أَمْرِ الْمُصَاهَرَةِ - وَكَانَ عُثْمَانُ بْنُ حَيَّانَ الْمُرِّيُّ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ ، قَالَ لَهُ :  
زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ . فَرَفَعَ عَقِيلُ صَوْتَهُ ، وَقَالَ لَهُ : أَنَا قَتِي أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! فَظَنَّ عُثْمَانُ  
أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ ، فَرَفَعَ صَوْتَهُ : زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ ؛ فَرَفَعَ عَقِيلُ صَوْتَهُ ، وَقَالَ : أَنَا قَتِي  
أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! فَقَالَ عُثْمَانُ : أَنْتَ أَغْرَابِي جِلْفٌ أَحْمَقُ ؛ وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ . . . وَهَذَا  
مِنْ عَقِيلٍ عَلَى أَنْفَتِهِ ، لِأَنَّ عُثْمَانَ كَانَ قَدْ مَسَّهُ هُوَ أَوْ أَبَاهُ أَسْرٌ .

\* \* \*

٧٥٥ - وَقَالَ الْمُبَرِّدُ فِي « الْكَامِلِ » [ صَفْحَةُ : ٥٦٤ ] : وَكَانَ عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ  
مِنْ الْغَيْرَةِ وَالْأَنَفَةِ عَلَى مَا لَيْسَ عَلَيْهِ أَحَدٌ عَلِمْنَاهُ ، فَخَطَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ  
مَرْوَانَ ابْنَتَهُ عَلَى أَحَدِ بَنِيهِ ، وَكَانَتْ لِعَقِيلٍ إِلَيْهِ حَاجَاتٌ ، فَقَالَ عَقِيلُ : أَمَّا إِذَا  
كُنْتُ فَاعِلًا فَجَبَّنِي هُجْنَاءُكَ <sup>(١)</sup> . [ رَاجِعْ رَقْم : ١٤٧٦ ] .

(١) يُرِيدُ أَبْنَاءَ الْأِمَاءِ وَأُمَهَاتِ الْأَوْلَادِ ، وَهُمْ : عَبْدُ اللَّهِ وَمُسْلِمٌ وَالْمُنْدِيرُ وَعَنْبَسَةُ وَمُحَمَّدٌ وَسَعِيدُ  
الْخَيْرِ وَالْحَجَّاجُ أَوْلَادُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَالْهُجْنَةُ فِي النَّاسِ وَالْخَيْلِ إِنَّمَا تَكُونُ مِنْ قَبْلِ  
الْأُمِّ ، فَإِذَا كَانَ الْأَبُ عَقِيْقًا وَالْأُمُّ لَيْسَتْ كَذَلِكَ كَانَ الْوَلَدُ هَجِينًا ، وَالْقُرْفَةُ مِنْ قَبْلِ الْأَبِ ،  
فَإِذَا كَانَتْ الْأُمُّ عَرَبِيَّةً وَالْأَبُ لَيْسَ كَذَلِكَ كَانَ الْوَلَدُ مُقْرِفًا .

٧٥٦- وَخَطَبَ إِلَيْهِ ابْنَتُهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ هِشَامِ بْنِ  
الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، وَهُوَ خَالَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَالْيَ أَلْمَدِينَةِ ، وَكَانَ  
أَبْيَضَ شَدِيدَ الْبَيَاضِ ، فَرَدَّهُ عَقِيلُ ، وَقَالَ [من الوافر] :

رَدَدْتُ صَحِيفَةَ الْقُرْشِيِّ لَمَّا أَبَتْ أَعْرَاقُهُ إِلَّا أَحْمِرَارًا

[ « الكامل » للمبرد ، صفحة : ٥٦٤ ] - [ راجع رقم : ١٤٧٧ ] .

\* \* \*

٧٥٧- وَمِمَّا يُرَوَّى فِي بَابِ الْغَيْرَةِ وَالْأَنَفَةِ : أَنَّهُ قِيلَ لِعَقِيلِ بْنِ عُلْفَةَ : قَدْ  
عَشَّتَ بَنَاتِكَ ، أَفَمَا تَخْشَى عَلَيْهِنَّ الْفَسَادَ ! قَالَ : كَلَّا ، إِنِّي خَلَفْتُ عِنْدَهُنَّ  
الْحَافِظِينَ ؛ قِيلَ : وَمَا هُمَا ؟ قَالَ : الْجَوْعُ وَالْعُرْيُ ، أَجِيعُهُنَّ فَلَا يَمْرُخَنَّ  
وَأَعْرِيَهُنَّ فَلَا يَبْرُخَنَّ .

٧٥٨- وَرَوَى أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ أَنَّهُ حَمَلَ يَوْمًا ابْنَةً لَهُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ [من

الرجز] :

إِنِّي وَإِنْ سِيقَ إِلَيَّ الْمَهْرُ أَلْفٌ وَعُغْبَدَانٌ وَذَوْدٌ عَشْرُ  
أَحَبُّ أَضْهَارِي إِلَيَّ الْقَبْرِ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

٧٥٩- وَذَكَرَ الْأَصْمَعِيُّ أَنَّ عَقِيلًا كَانَ لِيَغْيَرَتِهِ إِذَا رَأَى الرَّجُلَ يَتَحَدَّثُ إِلَى  
النِّسَاءِ أَخَذَهُ وَدَهَنَ أَرْفَاعَهُ وَمَغَابِنَهُ بِزُبْدٍ ، وَرَبَطَهُ ، وَطَرَحَهُ فِي قَرْيَةِ النَّمْلِ ، فَلَا  
يَعُودُ إِلَى مُحَادَثَتِهِمْ .

\* \* \*

(١) الْعُغْبَدَانُ - بِضَمِّ الْعَيْنِ وَكَسْرِهَا - جَمْعُ عَبْدٍ ؛ وَالذَّوْدُ : الْقَطِيعُ مِنَ الْإِبِلِ ؛ وَأَحَبُّ أَضْهَارِي  
إِلَيَّ الْقَبْرِ ، يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّ أَحَبَّ أَضْهَارِهِ إِلَيْهِ مَوْتُ بَنَاتِهِ .

٧٦٠ - وَجَاءَ فِي « الْحَيَوَانِ » [٣١/٤] لِلْجَاحِظِ : خَطَبَ إِلَى عَقِيلِ بْنِ عُلْفَةَ بَعْضَ بَنَاتِهِ رَجُلٌ مِنَ الْخُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ ، فَأَخَذَهُ ، فَشَدَّهُ قِمَاطاً ، وَدَهَنَ أَسْتَهُ بِرُبِّ ، وَقَمَطَهُ<sup>(١)</sup> ، وَقَرَّبَهُ مِنْ قَرْيَةِ النَّمْلِ ، فَأَكَلَ النَّمْلَةُ حُشْوَةَ بَطْنِهِ .

\* \* \*

٧٦١ - وَرَوَى الْأَضْمَعِيُّ أَيْضاً ، قَالَ : كَانَ عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ فِي بَعْضِ سَفَرِهِ وَمَعَهُ ابْنَتُهُ الْعَمَلْسُ وَأَبْنَتُهُ الْجَرْبَاءُ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ قَفَلُوا ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ قَالَ عَقِيلُ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

قَضَتْ وَطَرًا مِنْ دَيْرِ سَعْدٍ وَرُبَّمَا عَلا عُرْضُ نَاطِحِنَهُ بِالْجَمَاجِمِ  
ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنَتِهِ ، فَقَالَ : أَجِزِيَا عَمَلْسُ ؛ فَقَالَ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

فَأَصْبَحْنَا بِالنُّومِ يَحْمِلُنَ فِتْيَةً نَشَاوَى مِنَ الْإِدْلَاجِ مِثْلَ الْعَمَائِمِ  
ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنَتِهِ ، فَقَالَ : أَجِيزِي يَا جَرْبَاءُ ؛ فَقَالَتْ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

كَأَنَّ الْكَرَى أَسْقَاهُمْ صَرْخِدِيَّةً عَقَارًا تَمَشَّتْ فِي الْأَمْطَا وَالْقَوَائِمِ<sup>(٢)</sup>  
فَأَقْبَلَ عَلَى ابْنَتِهِ يَضْرِبُهَا وَيَقُولُ : وَاللَّهِ ، مَا وَصَفْتَهَا بِهَذِهِ الصِّفَةِ حَتَّى  
شَرِبْتُهَا ؛ فَوُتِبَ إِخْوَتُهَا فَقَاتَلُوهُ دُونَهَا ؛ وَقَدْ رُوِيَ هَذِهِ الْقِصَّةُ بِأَبْسَطِ مِنْ هَذَا .

\* \* \*

٧٦٢ - وَلَمَّا أَكْرَهَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ الثَّقَفِيُّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ<sup>(٣)</sup> عَلَى أَنْ زَوَّجَهُ ابْنَتَهُ ، اسْتَأْجَلَهُ فِي نَقْلِهَا سَنَةً ، فَفَكَّرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ

(١) قَمَطَهُ : جَمَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ؛ وَالرُّبُّ ، هُوَ : الدُّبْسُ ، أَوْ هُوَ ثَقُلُ الزَّيْتِ وَالسَّمَنِ .

(٢) الْكَرَى : الثُّعَاسُ ؛ وَالصَّرْخِدِيَّةُ : تُرِيدُ الْخَمْرَ ؛ وَالْأَمْطَا : الظَّهْرُ .

(٣) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ هُوَ بَطْلُ الْجُودِ وَالسَّخَاءِ وَالْظَّرْفِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ

جَعْفَرٍ فِي الْأَنْفِكَ مِنْهُ ، فَأَلْقَى فِي رُوعِهِ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يُعْلِمُهُ ذَلِكَ ، وَكَانَ الْحَجَّاجُ تَزَوَّجَهَا بِإِذْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَأَمْهَرَهَا أَلْفَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ ، فَوَرَدَ عَلَى خَالِدٍ كِتَابُ عَبْدِ اللَّهِ لَيْلًا ، فَاسْتَأْذَنَ مِنْ سَاعَتِهِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقِيلَ لَهُ : أَفِي هَذَا الْوَقْتِ ! فَقَالَ : إِنَّهُ أَمْرٌ لَا يُؤَخَّرُ ؛ فَأَعْلِمَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِذَلِكَ ، فَأَذِنَ لَهُ ؛ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ ، قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : فِيمَ السُّرَى يَا أَبَا هَاشِمٍ ؟ قَالَ : أَمْرٌ جَلَلٌ لَمْ أَمِنْ أَنْ أُوخَّرُهُ ، فَتَحَدَّثْتُ عَلَيَّ حَادِثَةً فَلَا أَكُونُ قَضَيْتُ حَقَّ بَيْعَتِكَ ؛ قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : أَتَعْلَمُ أَنَّهُ مَا كَانَ بَيْنَ حَيَّيْنِ مِنَ الْعِدَاوَةِ وَالْبُغْضَاءِ مَا كَانَ بَيْنَ آلِ الزُّبَيْرِ وَآلِ أَبِي سُفْيَانَ ؛ قَالَ : لَا ؛ قَالَ : فَإِنَّ تَزْوِيجِي إِلَى آلِ الزُّبَيْرِ حَلَّلَ مَا كَانَ لَهُمْ فِي قَلْبِي ، فَمَا أَهْلُ بَيْتِ أَحَبِّ إِلَيَّ مِنْهُمْ ؛ قَالَ : فَإِنَّ ذَلِكَ لَيَكُونُ ؛ قَالَ : فَكَيْفَ أَذْنْتُ لِلْحَجَّاجِ أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا يَقُولُونَ وَيُقَالُ فِيهِمْ ، وَالْحَجَّاجُ مِنْ سُلْطَانِكَ بِحَيْثُ عَلِمْتَ ! فَجَزَّاهُ خَيْرًا ؛ وَكَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ بِعَزْمَةٍ أَنْ يُطَلِّقَهَا ، فَطَلَّقَهَا ؛ فَعَدَا النَّاسُ عَلَيْهِ يُعْزُونَهُ عَنْهَا ، فَكَانَ فِيمَنْ أَنَاهُ عَمْرُو بْنُ عُتْبَةَ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، فَأَوْقَعَ الْحَجَّاجُ بِخَالِدٍ ، فَقَالَ : كَانَ الْأَمْرُ لِأَبَائِهِ فَعَجَزَ عَنْهُ حَتَّى انْتَزَعَ مِنْهُ ؛ فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ عُتْبَةَ : لَا تَقُلْ ذَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، فَإِنَّ لِي خَالِدٍ قَدِيمًا سَبَقَ إِلَيْهِ ، وَحَدِيثًا لَمْ يُغْلَبْ عَلَيْهِ ، وَلَوْ طَلَبَ الْأَمْرَ لَطَلَبَهُ بِحَدٍّ وَجِدٍّ<sup>(١)</sup> ، وَلَكِنَّهُ عَلِمَ عِلْمًا فَسَلَّمَ الْعِلْمَ

= أَبِي طَالِبٍ ، وَأُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ أَخْتُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ لِأُمِّهَا ، هَاجَرَ أَبَوَاهُ إِلَى الْحَبَشَةِ ، وَهُنَالِكَ كَانَ مَوْلَدُهُ قَبْلَ هِجْرَةِ الْمُصْطَفَى بِثَلَاثِ سِنِينَ ، وَاتَى بِهِ أَبَوَاهُ الْمَدِينَةَ وَلَهُ سَبْعُ سِنِينَ ، وَتُوْفِّيَ أَبُوهُ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ ، وَكَانَ أَمْرُ الْقَوْمِ فِيهِمَا ، فَكَفَلَهُ عُمَةُ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ وَدَعَا لَهُ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى كَفَالَةِ أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ إِلَى كَفَالَةِ عُمَةَ عَلَيَّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَكَانَ أَحَدُ أَمْرَاءِ جُنْدِهِ فِي صِفِّينَ ، وَزَوَّجَهُ عَلَيٌّ بِابْنَتِهِ زَيْنَبَ ، وَكَانَ كَمَا قُلْنَا عِلْمًا مِنْ أَعْلَامِ الْجُودِ حَتَّى لَقِبَ بِقُطْبِ السَّخَاءِ ، وَفِي سَبِيلِ جُودِهِ اخْتَمَلَ الدِّينَ حَتَّى رَضِيَ أَنْ يَزَوَّجَ ابْنَتَهُ مِنَ الْحَجَّاجِ ، لِأَنَّهُ وَفَّى عَنْهُ دَيْنَهُ وَأَعْطَاهُ أَلْفَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ .  
(١) الْحَدُّ : الْبَأْسُ وَالْتِجِدَةُ وَالْتَفَادُ فِي الْأُمُورِ ؛ وَالْجِدُّ : الْأَجْهَادُ .

إِلَى أَهْلِهِ ؛ فَقَالَ الْحَجَّاجُ : يَا آلَ أَبِي سُفْيَانَ ، أَنْتُمْ تُحِبُّونَ أَنْ تَحْلُمُوا ،  
وَلَا يَكُونُ الْحُلْمُ إِلَّا عَنْ غَضَبٍ ، فَنَحْنُ نَغْضِبُكُمْ فِي الْعَاجِلِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكُمْ  
فِي الْآجِلِ ؛ ثُمَّ قَالَ الْحَجَّاجُ : وَاللَّهِ لَا تَزَوِّجَنَّ مَنْ هُوَ أَمْسُ بِهِ رَحِمًا ثُمَّ لَا يُمَكِّنُهُ  
فِيهِ شَيْءٌ . فَتَزَوَّجَ أُمُّ الْجُلَاسِ بِنْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدِ بْنِ أَبِي الْعَيْصِ بْنِ  
عَبْدِ شَمْسٍ .

٧٦٣ - وَمِمَّا يُسْتَظَرُّ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّهُ لَمَّا زَوَّجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ابْنَتَهُ  
الْحَجَّاجَ ، قِيلَ لَهُ : أَتُنكِحُ ابْنَتَكَ الْحَجَّاجَ ! قَالَ : أَنْكَحْتُمُوهُ دِينَكُمْ ، وَالَّذِينَ  
أَجَلُّ مِنْ بَضْعِ الْمَرْأَةِ .

\* \* \*

٧٦٤ - أَقُولُ : وَإِنَّمَا أَنْكَرُوا تَزْوِيجَ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ الْحَجَّاجَ لِأَنَّ  
عَبْدَ اللَّهِ مِنَ الشَّرَفِ وَكَرَّمَ الْمَخْتِدِ بِالْمَكَانِ الَّذِي لَا يَخْفَى ، أَمَّا الْحَجَّاجُ ، فَعَلَى  
الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ أَمِيرٌ إِلَّا أَنَّ أَبَاهُ كَانَ مُعَلِّمَ صَبْيَانٍ ، وَكَذَلِكَ كَانَ الْحَجَّاجُ نَفْسُهُ .

٧٦٥ - وَيُرْوَى أَنَّهُ لَمَّا زُفَّتْ إِلَى الْحَجَّاجِ نَظَرَ إِلَى عِبْرَتِهَا تَجُولُ فِي عَيْنَيْهَا ،  
فَقَالَ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، مِمَّ تَبْكِينَ ؟ فَقَالَتْ : أَبْكِي مِنْ شَرَفٍ اتَّضَعَ وَمِنْ ضَعْفِ  
شَرَفْتِ ؛ وَلَمَّا أُمِرَ الْحَجَّاجُ بِطَلَاقِهَا ، قَالَ لَهَا الْحَجَّاجُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
كَتَبَ إِلَيَّ بِطَلَاكِكَ ؛ فَقَالَتْ : هُوَ وَاللَّهِ أَبْرَأُ بِي مِمَّنْ زَوَّجَنِيكَ .

٧٦٦ - وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ سِيرِينَ ، فَقَالَ : رَأَيْتُ حِدَاةً عَلَى شَرَفِ مَسْجِدِ  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ صَدَقْتَ رُؤْيَاكَ فَسَيَتَزَوَّجُ الْحَجَّاجُ مِنْ أَهْلِ  
الْبَيْتِ . فَكَانَ .

\* \* \*



٧٦٧ - وَمِنْ الْمُلْحِ فِي هَذَا أَلْبَابٍ ، أَنَّهُ قِيلَ لِأَحَدِ الْمُجَانِ : فُلَانُ الْمُؤَدِّنُ  
تَزَوَّجَ بِأَبْنَةِ فُلَانٍ الْمُفْرِيءِ ! فَقَالَ : إِنَّهُمَا سَيَلِدَانِ مُصْحَفًا .

\* \* \*

٧٦٨ - وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ لَامْرَأَتِهِ [من المتقارب] :

فَإِمَّا هَلَكْتُ فَلَا تَنْكِحِي      خَذُولَ الْعَشِيرَةِ حَسَادَهَا  
يَرَى مَجْدَهُ ثَلْبَ أَغْرَاضِهَا      لَدَيْهِ وَيُبْغِضُ مَنْ سَادَهَا  
ثَلْبَ أَغْرَاضِهَا : عَيْبُهَا وَنَقْصُهَا ، يُقَالُ : ثَلْبُهُ يُثْلِيهِ ثَلْبًا : عَابَهُ وَتَنَقَّصَهُ .

\* \* \*

٧٦٩ - وَمِثْلُ قَوْلِ حَسَّانٍ لَامْرَأَتِهِ قَوْلُ هُدْبَةَ بْنِ خَشْرَمٍ الْعُذْرِيِّ لَامْرَأَتِهِ ،  
وَنَسُوقُ حَدِيثِهِ بِرُمَّتِهِ <sup>(١)</sup> :

قَالَ الْمُبَرِّدُ فِي « الْكَامِلِ » : وَمِنْ الْجُفَاءِ عِنْدَ الْمَوْتِ هُدْبَةُ بْنُ خَشْرَمٍ  
الْعُذْرِيُّ ، وَكَانَ قَتَلَ زِيَادَةَ بْنَ زَيْدٍ الْعُذْرِيَّ <sup>(٢)</sup> .

فَلَمَّا حُمِلَ إِلَى مُعَاوِيَةَ تَقَدَّمَ مَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَخُو زِيَادَةَ ، فَادَّعَى عَلَيْهِ ،  
فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : مَا تَقُولُ ؟ قَالَ : أَتُحِبُّ أَنْ يَكُونَ الْجَوَابُ شِعْرًا أَمْ نَثْرًا ؟ .

قَالَ : بَلْ شِعْرًا ، فَإِنَّهُ أَمْنَعُ ؛ فَقَالَ هُدْبَةُ <sup>(٣)</sup> [من الطويل] :

(١) وَأَنْظُرْ قِصَّتَهُ كَامِلَةً فِي « الْأَغَانِي » ج ٢١ ، وَفِي « خِرَانَةِ الْأَدَبِ » لِلْبَغْدَادِيِّ ج ٤ ، طَبْعَةُ  
بُؤْلَاق ؛ وَقَدْ أَتَرْنَا حَدِيثَ الْمُبَرِّدِ .

(٢) وَكَانَا قَدْ أَتَبَلَا مِنَ الشَّامِ فِي رُكْبٍ مِنْ قَوْمِهِمَا ، وَكَانَا يَتَعَاقَبَانِ سَوَاقِ الْإِبِلِ ، فَرَجَزَ كِلَاهُمَا  
بِأُخْتِ الْأَخْرِ بِمَا يَقْبُحُ ذِكْرُهُ ، فَغَضِبَ هُدْبَةُ حَتَّى أَصَابَ مِنْهُ غِرَّةٌ فَقَتَلَهُ . أَنْظُرْ رَجَزَهُمَا فِي  
« الْأَغَانِي » وَ« الْخِرَانَةِ » .

(٣) مِنْ كَلِمَةٍ مَطْلُوعًا [من الطويل] :

فَلَمَّا رَأَيْتُ إِنَّهَا هِيَ ضَرْبَةٌ      مِنْ السَّيْفِ أَوْ إِغْضَاءِ عَيْنٍ عَلَى وَثَرٍ<sup>(١)</sup>  
عَمَدْتُ إِلَى أَمِيرٍ لَا يُعَيِّرُ وَالِدِي      خَزَائِنَهُ وَلَا يُسَبُّ بِهِ قَبْرِي<sup>(٢)</sup>  
رُمِينَا فَرَامِينَا فَصَادَفَ سَهْمُنَا      مَيِّتَةً نَفْسٍ فِي كِتَابٍ وَفِي قَدْرِ  
وَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا لَنَا      وَرَأَاكَ مِنْ مَعْدَى وَلَا عَنْكَ مِنْ قَصْرِ<sup>(٣)</sup>  
فَلِنْ تَكُ فِي أَمْوَالِنَا لَا تَضِيقُ بِهَا      ذَرَاعاً وَإِنْ صَبْرٌ فَنَصْبِرُ لِلصَّبْرِ<sup>(٤)</sup>  
فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : أَرَأَيْكَ قَدْ أَفْرَزْتَ يَا هُدْبَةُ ؛ قَالَ : هُوَ ذَاكَ ؛ فَقَالَ لَهُ  
عَبْدُ الرَّحْمَنِ : أَفِئْدَنِي ؛ فَكِرَهُ ذَاكَ مُعَاوِيَةُ ، وَضَنَّ بِهَدْبَةٍ عَنِ الْقَتْلِ ، وَكَانَ ابْنُ  
زِيَادَةَ صَغِيرًا .

فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : أَوْ مَا عَلَيْكَ أَنْ تَشْفِي صَدْرَكَ وَتَحْرِمَ غَيْرَكَ<sup>(٥)</sup> ! ثُمَّ وَجَّهَ بِهِ  
إِلَى الْمَدِينَةِ .

وَقَالَ : يُحْبَسُ<sup>(٦)</sup> إِلَى أَنْ يَبْلُغَ ابْنُ زِيَادَةَ ؛ فَبَلَغَ وَكَانَ وَالِي الْمَدِينَةِ سَعِيدُ  
ابْنِ الْعَاصِ ، فَمِمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ مِنْ قِسْوَتِهِ قَوْلُهُ [ من الطويل ] :

= أَلَا يَا لِقَوْمٍ لِلنَّوَائِبِ وَالْذُّهْرِ      وَلِلْمَرْءِ يُرْضِي نَفْسَهُ وَهُوَ لَا يَذْهَبُ  
وَلِلْأَرْضِ كَمِ مِنْ صَالِحٍ قَدْ تَلَمَّاتُ      عَلَيْهِ فَوَارِثُهُ بِلَمَاعَةِ الْقَفْرِ  
فَلَاذَا جَلَالُ هَيْئَتِهِ لِحَالِهِ      وَلَا ذَا ضِيَاعٍ هُنَّ يَتْرُكْنَ لِلْفَقْرِ  
تَلَمَّاتُ بِهِ الْأَرْضُ وَعَلَيْهِ : أَشْتَمَلْتُ ، وَالْمُرَادُ بِالضِّيَاعِ هُنَا الْعِيَالُ .

(١) الْوَثَرُ : الدُّخُلُ ، وَالْقَارُ .

(٢) خَزَائِنُهُ : خِزْيَتُهُ وَهَوَانُهُ .

(٣) مِنْ مَعْدَى : مِنْ مُتَجَاوِزٍ إِلَى غَيْرِكَ ؛ وَلَا عَنْكَ مِنْ قَصْرِ ، يُرِيدُ : وَلَا مُنْعٍ فِي أَمْرِي عَنْكَ .

(٤) فَإِنْ تَكُ ، يَعْنِي الدَّيَّةَ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَهَا ذِكْرٌ ، وَالصَّبْرُ هُنَا : الْحَبْسُ .

(٥) وَتَحْرِمَ غَيْرَكَ ، أَيُّ : مِنْ أَخِذِ الدَّيَّةِ لَوْ قَبِلَهَا ، وَيُرْوَى أَنَّهُ قَالَ : هَلْ لِي زِيَادَةُ وَلَدٌ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ  
وَأَسْمُهُ الْمَسُورُ ، وَهُوَ غُلَامٌ لَمْ يَبْلُغْ ، وَأَنَا عَمُّهُ وَوَلِيُّ دَمِ أَبِيهِ ؛ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : إِنَّكَ لَا تَوْمَنُ  
عَلَى أَخِذِ الدَّيَّةِ أَوْ قَتْلِ الرَّجُلِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَالْمَسُورُ أَحَقُّ بِدَمِ أَبِيهِ .

(٦) يُرْوَى أَنَّهُ حَبَسَ ثَلَاثَ سِنِينَ أَوْ خَمْسًا أَوْ سِتًّا .

وَلَمَّا دَخَلْتُ السَّجْنَ يَا أُمَّ مَالِكٍ ذَكَرْتُكَ وَالْأَطْرَافُ فِي حِلْقِ سُمْرٍ<sup>(١)</sup>  
 وَعِنْدَ سَعِيدٍ غَيْرَ أَنَّ لَمْ أَبْخِ بِهِ ذَكَرْتُكَ إِنَّ الْأَمْرَ يُذَكِّرُ بِالْأَمْرِ  
 فَسُئِلَ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ ، فَقَالَ : لَمَّا رَأَيْتُ ثَغَرَ سَعِيدٍ - وَكَانَ سَعِيدٌ حَسَنَ  
 الثَّغْرِ جِدًّا - ذَكَرْتُ بِهِ ثَغْرَهَا ؛ وَيُقَالُ : إِنَّهُ عُرِضَ عَلَى ابْنِ زِيَادَةَ عَشْرُ دِيَّاتٍ ؛  
 فَأَبَى إِلَّا الْقَوْدَ ، وَكَانَ مِمَّنْ عَرَضَ الدِّيَّاتِ مِمَّنْ ذَكَرَ لَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ  
 وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ وَمَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ وَسَائِرُ  
 الْقَوْمِ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ .

فَلَمَّا خَرَجَ بِهِ لِلْقَادِ بِالْحَرَّةِ<sup>(٢)</sup> جَعَلَ يُشِيدُ الْأَشْعَارَ ، فَقَالَتْ لَهُ حُبِّي  
 الْمَدِينِيَّةُ<sup>(٣)</sup> : مَا رَأَيْتُ أَقْسَى قَلْبًا مِنْكَ ! أَتَشِيدُ الْأَشْعَارَ وَأَنْتِ يُنْضَى بِكَ  
 لِقُتْلَ ! وَهَذِهِ خَلْفُكَ كَأَنَّهَا ظَبْيٌ عَطْشَانٌ تُؤَلِّوُلُ ! تَغْنِي أَمْرَاتُهُ ، فَوَقَفَ وَوَقَفَ  
 النَّاسُ مَعَهُ ، فَأَقْبَلَ عَلَى حُبِّي وَقَالَ [من الطويل] :

فَمَا وَجَدْتُ وَجْدِي بِهَا أُمَّ وَاحِدٍ وَلَا وَجَدَ حُبِّي بِأَبْنِ أُمَّ كِلَابٍ<sup>(٤)</sup>  
 رَأَتْهُ طَوِيلَ السَّاعِدَيْنِ شَمْرَدَلًا كَمَا أَنْتَعَتِ مِنْ قُوَّةٍ وَشَبَابٍ<sup>(٥)</sup>

(١) يُرِيدُ بِالْأَطْرَافِ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، وَالْحِلْقَى السُّمَرُ : الْقَبُودُ وَالْأَغْلَالُ .

(٢) الْحَرَّةُ ، يُرِيدُ حَرَّةً وَاقِمَ ، إِخْدَى حَزَنَتِي الْمَدِينَةُ وَهِيَ الشَّرْقِيَّةُ .

(٣) حُبِّي - بِضَمِّ الْحَاءِ وَتَشْدِيدِ الْبَاءِ : أَسْمُ امْرَأَةٍ اُسْتَهْرَتْ بِشِدَّةِ الشَّبَقِ ، تَزَوَّجَتْ وَهِيَ عَجُوزٌ  
 شَابَتَا فِي مُقْتَبَلِ السَّنِ ، يُقَالُ لَهُ : ابْنُ أُمَّ كِلَابٍ ، وَضُرِبَ بِهَا الْمَثَلُ ، فَقِيلَ : أَشْبَقَ مِنْ  
 حُبِّي ؛ وَالْمَدِينِيَّةُ بِإِثْبَاتِ يَاءِ الْمَدِينَةِ ؛ قَالَ بَعْضُ اللُّغَوِيِّينَ : إِذَا اُنْتُسَبَتْ إِلَى مَدِينَةِ الرَّسُولِ  
 قُلْتُ : مَدَنِيٌّ ، وَإِلَى مَدِينَةِ الْمَنْصُورِ وَأَصْفَهَانِ وَغَيْرِهِمَا : مَدِينِيٌّ ؛ وَإِلَى مَدَائِنِ كُسْرَى :  
 مَدَائِنِي لِلْفَرْقِ بَيْنَ النَّسَبِ .

(٤) وَجَدَ بِهِ وَجْدًا : أَحَبَّهُ ؛ يَقُولُ : إِنَّ حُبِّي زَوْجَتِي لَمْ يَتَلُغْهُ حُبٌّ أَحَدٍ وَلَا حُبٌّ أُمَّ وَحِيدَهَا  
 وَلَا حُبٌّ حُبِّي زَوْجَهَا .

(٥) الشَّمْرَدَلُ : الْفَتَى الْقَوِيُّ الْجَلْدُ ؛ أَنْتَعَتِ ، أَيِ : وَصِفَتْ ، وَمَصْدَرُهُ الْأَنْتَعَاتُ ، وَهُوَ =

فَأَغْلَقْتُ حُبِّي الْبَابَ فِي وَجْهِهِ وَسَبَّتُهُ .

وَعَرَضَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ الشَّاعِرُ ، فَقَالَ لَهُ : أَعْلَى هَذِهِ الْحَالِ ! قَالَ : نَعَمْ ؛ فَأَنْشَدَهُ [من الطويل] :

وَلَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إِذَا الْجَهْرُ سَرَّنِي      وَلَا جَاوِزٍ مِنْ صَرْفِهِ الْمُتَقَلَّبِ  
وَلَا أَتَّبَعِي الشَّرَّ وَالشَّرُّ تَارِكِي      وَلَكِنْ مَتَى أُحْمَلُ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبِ  
وَحَرَّيْنِي مَوْلَايَ حَتَّى غَشِيَتْهُ      مَتَى مَا يُحَرِّبُكَ ابْنُ عَمِّكَ تَحْرَبُ<sup>(١)</sup>

فَلَمَّا قُدِّمَ نَظَرَ إِلَى أَمْرَأَتِهِ ، فَدَخَلَتْهُ غَيْرَةٌ ، وَقَدْ كَانَ جُدِعَ فِي حَرْبِهِمْ ، فَقَالَ [من الطويل] :

أَقْلِي عَلَى اللَّوْمِ يَا أُمَّ يَوْزَعَا      وَلَا تَجْزَعِي مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا  
وَإِنْ يَكُ أَنْفِي بَانَ مِنْهُ جَمَالُهُ      فَمَا حَسْبِي فِي الصَّالِحِينَ بِأَجْدَعَا<sup>(٢)</sup>  
فَلَا تَنْكِحِي إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا      أَعَمَّ الْفَقَا وَالْوَجْهَ لَيْسَ بِأَنْزَعَا<sup>(٣)</sup>  
ضُرُوبًا يَلْحِيْنِهِ عَلَى عَظَمِ زَوْرِهِ      إِذَا النَّاسُ هَشُّوا لِلْفَعَالِ تَقْنَعَا<sup>(٤)</sup>

= أَلَوْصَفُ ؛ كَالْتَمَّتِ .

(١) حَرَّيْنِي : حَمَلَهُ عَلَى الْغَضَبِ ؛ وَمَوْلَاهُ : ابْنُ عَمِّهِ ؛ وَذَلِكَ أَنْ زِيَادَةَ مِنْ قَبِيلَةِ هُذَيْلٍ ، وَتَحْرَبُ مِنْ حَرْبِ الرَّجُلِ بِالْكَسْرِ حَرْبًا بِالتَّخْرِيبِ : أَشْتَدَّ غَضَبُهُ .

(٢) أَصْلُ الْجُدْعِ : الْقَطْعُ ، يُقَالُ : جَدَعَ فُلَانٌ أَنْفَهُ وَمَا شَاكَلَهُ : قَطَعَهُ ، وَجُمْلَةُ قَوْلِهِ : إِنْ حَسْبُهُ فِي الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِمَقْطُوعٍ ، يُرِيدُ : أَنَّهُ مُعْرَقٌ لَهُ فِي الْحَسَبِ ، أَيْ : الْمَجْدِ وَكَرَمِ الْأَبَاءِ .

(٣) الْغَمُّ : أَنْ يَسِيلَ الشَّعْرُ حَتَّى يَضِيقَ الْوَجْهَ وَالْفَقَا ، وَالنَزْعُ : أَنْجَسَارُ مُقَدِّمِ شَعْرِ الرَّأْسِ عَنْ جَانِبِي الْجَنْبَةِ ، وَالْعَرَبُ تُحِبُّ النَّزْعَ وَتَتَيَمَّنُّ بِالْأَنْزَعِ وَتَدْمُ الْغَمَّ وَتَنْشَأُ بِالْأَعَمِّ ، وَتَزْعُمُ أَنَّ الْأَعَمَّ الْفَقَا وَالْجَبِينَ لَا يَكُونُ إِلَّا لَيْثِمًا خَسِيسًا نَقِيسًا الْكَرِيمِ .

(٤) الزَّوْرُ : أَعْلَى وَسَطِ الصَّدْرِ ؛ وَضُرُوبًا يَلْحِيْنِهِ عَلَى عَظَمِ زَوْرِهِ ، يُرِيدُ إِنَّهُ مِنْ شِدَّةِ دَهْشِهِ يَتَلَجَّلُ وَيَضْطَرِبُ فَيَضْطَرُّ لِحْيَاهُ بِزَوْرِهِ ؛ وَهَشُّوا : انْبَسَطُوا ؛ وَتَقَنَّعَ : تَسَتَّرَ ، أَيْ : أَخْفَى نَفْسَهُ مُتَأَخِّرًا عَنِ الْمَجَارِمِ ؛ وَالْفَعَالُ ، يَفْتَحُ الْفَاءُ : الْفِعْلُ الْحَسَنُ ، يَقُولُ : إِنَّهُ فَسَلُ مُتَأَخِّرًا =

وَحُلِّي بِذِي أُكْرُومَةٍ وَحَمِيَّةٍ وَصَبِرَ إِذَا مَا أَلْدَهْرُ عَضَّ فَأَسْرَعَا  
فَقَالَتْ : قِفُوا عَنْهُ سَاعَةً ؛ ثُمَّ مَضَتْ وَقَدْ أَصْطَلَمَتْ أَنْفَهَا .

فَقَالَتْ : أَهَذَا فِعْلٌ مِنْ لَهٍ فِي الرِّجَالِ حَاجَةٌ ؟ فَقَالَ : أَلَا نَ طَابَ الْمَوْتُ <sup>(١)</sup> .

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَبِيهِ ، فَقَالَ [من الرمل] :

إِبْلِيَانِي أَلْيَوْمَ صَبْرًا مِنْكُمْ إِنْ حُزْنَا مِنْكُمْ أَلْيَوْمَ لَشَرٍّ <sup>(٢)</sup>  
مَا أَظُنُّ الْمَوْتَ إِلَّا هَيْنَا إِنْ بَعْدَ الْمَوْتِ دَارَ الْمُسْتَقَرِّ  
ثُمَّ قَالَ [من الطويل] :

أَذَا الْعَرْشِ إِنِّي عَائِدٌ بِكَ مُؤْمِنٌ مُقَرَّرٌ بِزَلَايِي إِلَيْكَ فَقِيرٌ  
وَإِنِّي وَإِنْ قَالُوا أَمِيرٌ مُسَلِّطٌ وَحَجَابُ أَبْوَابٍ لَهُنَّ صَرِيرٌ  
لَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْرَ أَمْرُكَ إِنْ تُدِنَ فَرَبٌّ وَإِنْ تَغْفِرَ فَأَنْتَ غَفُورٌ

ثُمَّ قَالَ لابن زيادة : أَثَبْتُ قَدَمَيْكَ وَأَجِدُ الضَّرْبَةَ ، فَإِنِّي أَيْتَمْتُكَ صَغِيرًا ،  
وَأَزَمْتُ أُمَّكَ شَابَةً ؛ ثُمَّ سَأَلَ فَكَ قُبُودِهِ فَفَكَّتْ ، فَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ [من الطويل] :

فَإِنْ تَقْتُلُونِي فِي الْحَدِيدِ فَإِنِّي قَتَلْتُ أَخَاكُمْ مُطْلَقًا لَمْ يَقْتِدِ

\* \* \*

= عَنْ الْمَكَارِمِ .  
(١) قَالَ التَّوْفَلِيُّ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ عُدْرَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : إِنِّي لَفِي بِلَادِنَا يَوْمًا فِي  
بَعْضِ الْمِيَاهِ ، فَإِذَا أَنَا بِأَمْرَةٍ تَمْشِي أَمَامِي وَهِيَ مُدْبِرَةٌ وَلَهَا خَلْقٌ عَجِيبٌ ، مِنْ عَجَزٍ وَهَيْئَةٍ  
وَتَمَامِ جِسْمٍ وَتَمَامِ قَامَةٍ ، وَإِذَا صَبَّيَانِ قَدْ اكْتَنَفَاهَا يَمْشِيَانِ ، فَتَقَدَّمَتْهَا ، وَالتَمَّتْ إِلَيْهَا ، وَإِذَا  
أَقْبَحُ مَنْظَرٍ ، وَإِذَا هِيَ مَجْدُوعَةٌ الْأَنْفِ ، مَقْطُوعَةُ الشَّفَتَيْنِ ؛ فَسَأَلْتُ عَنْهَا ، فَقِيلَ : هَذِهِ أَمْرَأَةٌ  
هُدْبَةٌ ، تَزَوَّجَتْ بَعْدَهُ رَجُلًا أَوْلَدَهَا هَذَيْنِ الصَّبِيِّينِ .

(٢) إِبْلِيَانِي بِكَسْرِ الِهْمَزَةِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ أَيُّ : أَمْنَحَانِي ، قَالَ فِي « الْقَامُوسِ » : الْبَلَاءُ يَكُونُ  
مِخْنَةً وَيَكُونُ مَنَحَةً .

٧٧٠- وَخَطَبَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَتِيمَةً لَهُ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :  
لَا أَرْضَاهَا لَكَ ؛ قَالَ : وَلِمَ وَفِي حَجْرِكَ نَشَأْتُ ؟ قَالَ : لِأَنَّهَا تَتَشَرَّفُ  
وَتَنْظُرُ<sup>(١)</sup> ؛ قَالَ : وَمَا هَذَا ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الْآنَ لَا أَرْضَاكَ لَهَا .

\* \* \*

٧٧١- وَخَطَبَ لَقِيطُ بْنُ زُرَّارَةَ إِلَى قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ ذِي الْجَدَيْنِ الشَّيْبَانِيِّ ،  
فَقَالَ لَهُ قَيْسٌ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : لَقِيطُ بْنُ زُرَّارَةَ ؛ قَالَ : وَمَا حَمَلَكَ أَنْ  
تَخْطُبَ إِلَيَّ عَلَانِيَةً ؟ فَقَالَ : لِأَنِّي عَرَفْتُ أَنِّي إِنْ عَالَيْتُكَ لَمْ أَفْضَحْكَ ، وَإِنْ  
سَارَزْتُكَ لَمْ أَخْذَعَكَ . فَقَالَ : كُفَّ كَرِيمٌ ، لَا تَبَيْتُ وَاللَّهِ عَزَبًا وَلَا غَرِيبًا ؛  
فَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ وَسَاقَ عَنْهُ<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

٧٧٢- وَخَطَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أُمَّ أَبَانَ بِنْتَ عُثْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، بَعْدَ أَنْ مَاتَ  
عَنْهَا يَزِيدُ بْنُ سُفْيَانَ ، فَقَالَتْ : لَا يَدْخُلُ إِلَّا عَابِسًا وَلَا يَخْرُجُ إِلَّا عَابِسًا ، يُغْلِقُ  
أَبْوَابَهُ وَيَقِلُّ خَيْرَهُ ؛ ثُمَّ خَطَبَهَا الزُّبَيْرُ ، فَقَالَتْ : يَدُّ لَهُ عَلَى قُرُونِي وَيَدُّ لَهُ فِي

(١) رُوِيَ هَذِهِ الْحِكَايَةُ عَلَى وَجْهِ آخَرَ ، وَهُوَ : كَانَ فِي دَارِ ابْنِ عَبَّاسٍ يَتِيمَةٌ ، فَخَطَبَهَا رَجُلٌ ،  
فَقَالَ لَهُ : لَا أَرْضَاهَا لَكَ ؛ فَقَالَ الرَّجُلُ : وَلَكِنِّي رَضِيتُ بِهَا ؛ فَقَالَ : الْآنَ لَا أَرْضَاكَ لَهَا ؛  
أَمَّا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي الرِّوَايَةِ الْأُولَى : لِأَنَّهَا تَتَشَرَّفُ وَتَنْظُرُ ؛ فَأَظُنُّهُ يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ : إِنَّهَا الْآنَ  
تَتَشَرَّفُ بِانْتِسَابِهَا إِلَيَّ ، ثُمَّ تَنْظُرُ حَتَّى تُصِيبَ مَنْ يُغْنِي عَنْهَا لِيَتَشَرَّفَ بِهِ ، فَلَمَّا قَالَ الرَّجُلُ :  
وَمَا هَذَا ؟ قَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ : الْآنَ لَا أَرْضَاكَ لَهَا ؛ أَوْ لَعَلَّ ابْنَ عَبَّاسٍ يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ : إِنَّهَا  
لِيُثِمَّهَا تَشْعُرُ بِأَنَّهَا فِي حَاجَةٍ إِلَى مَنْ يَنْفِي عَنْهَا هَذَا التَّقْصِيرَ بِشَرِيفِ إِهَابِهَا ، أَيْ : إِنْ يَتِيمَتُهُ  
تَرْغَبُ فِي أَنْ تَتَشَرَّفَ بِتَزَوُّجِهَا مِنْ رَجُلٍ شَرِيفٍ ، ثُمَّ هِيَ تَنْظُرُ ، أَيْ تُوَخَّرُ زَوَاجَهَا حَتَّى تُصِيبَ  
الرَّجُلَ الْكُفَّاءَ ، فَلَمَّا قَالَ الرَّجُلُ : وَمَا هَذَا ؟ ، أَيْ : مَا قِيَمَةُ هَذَا ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الْآنَ  
لَا أَرْضَاكَ لَهَا .

(٢) وَسَاقَ عَنْهُ ، أَيْ : دَفَعَ عَنْهُ الْمَهْرَ .

السَّوْطِ ؛ وَخَطَبَهَا عَلِيٌّ ، فَقَالَتْ : لَيْسَ لِلنِّسَاءِ مِنْهُ حَظٌّ ، إِلَّا أَنْ يَقْعُدَ بَيْنَ شُعْبَيْهِنَ الْأَرْبَعِ لَا يُصْبِنَنَّ مِنْهُ غَيْرُهُ ؛ وَخَطَبَهَا طَلْحَةُ فَأَجَابَتْ ، فَتَزَوَّجَهَا ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ لَهَا : رَدَدْتِ مَنْ رَدَدْتِ مِنَّا وَتَزَوَّجْتِ ابْنَ بِنْتِ الْحَضْرَمِيِّ ! فَقَالَتْ : الْفَضَاءُ وَالْقَدَرُ ؛ فَقَالَ : أَمَا إِنَّكَ تَزَوَّجْتِ أَجْمَلَنَا مَرَأَةً ، وَأَجْوَدَنَا كَفًّا ، وَأَكْثَرَنَا خَيْرًا عَلَى أَهْلِهِ .

\* \* \*

٧٧٣ - وَخَطَبَ زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ يَخْطُبُ إِلَيْهِ أُمُّ عُثْمَانَ بِنْتِ سَعِيدٍ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِمَالٍ كَثِيرٍ ، فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ أَمَرَ حَاجِبَهُ بِقَبْضِ الْمَالِ وَالْهَدَايَا ، فَلَمَّا قَبَضَهَا أَمَرَ بِقِسْمِهَا بَيْنَ جُلَسَائِهِ ، فَقَالَ الْحَاجِبُ : إِنَّهَا أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ : أَنَا أَكْثَرُ مِنْهَا ؛ فَفَعَلَ ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى زِيَادٍ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .  
أَمَّا بَعْدُ ؛ فَ ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَآكْفُرٌ ﴾ [١] أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى ﴿ [٩٦ سورة العلق/ الآيتان : ٦ و ٧] .

أَقُولُ : وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ سَعِيدٌ لِأَنَّ زِيَادًا يُرْنُ - يُتِّهِمُ - بِأَنَّهُ لِرَبِّهِ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَصْبَحَ أَمِيرًا ، وَإِنْ كَانَ قَدْ اسْتَلْحَقَهُ مُعَاوِيَةُ .

\* \* \*

٧٧٤ - وَخَطَبَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ أَمْرَأَةً ، فَقَالَ : أَنَا خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ ، وَالْحَسَبُ عَلَى مَا قَدْ عَلِمْتِهِ ، وَكَثْرَةُ الْمَالِ عَلَى مَا قَدْ بَلَغَكَ ، وَفِيَّ خِصَالٌ سَابِقُهَا لَكَ فَتَقْدِمِينَ عَلَيَّ أَوْ تَدَعِينَ ؛ قَالَتْ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : إِنَّ الْحُرَّةَ إِذَا دَنَتْ مِنِّي أَمَلْتَنِي ، وَإِذَا تَبَاعَدَتْ عَنِّي أَعَلَّتَنِي ، وَلَا سَبِيلَ إِلَيَّ دِرْهَمِي وَدِينَارِي ، وَيَأْتِي عَلَى سَاعَةٍ مِنَ الْحَلَالِ لَوْ أَنَّ رَأْسِي فِي يَدِي بَذْتُهُ ؛ فَقَالَتْ : قَدْ فَهِمْنَا مَقَالَتَكَ وَوَعَيْنَا مَا ذَكَرْتَ ، وَفِيكَ بِحَمْدِ اللَّهِ خِصَالٌ لَا نَرْضَاهَا لِبَنَاتِ إِبْلِيسَ ، فَأَنْصَرِفْ رَحِمَكَ اللَّهُ .

\* \* \*

٧٧٥ - وَقَالَ رَجُلٌ لِابْنِ هُبَيْرَةَ : أَنَا ابْنُ الَّذِي خَطَبَ إِلَى مَعَاوِيَةَ ؛ فَقَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ : أَفَرَّوَجُهُ ؟ قَالَ : لَا ؛ فَقَالَ : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا .

\* \* \*

٧٧٦ - وَقِيلَ لِابْنَةِ الْخُسِّ - وَهِيَ هِنْدُ ابْنَةِ الْخُسِّ الْإِيَادِيَّةِ الَّتِي اشْتَهَرَتْ بِفَصَاحَتِهَا - : أَلَا تَتَرَوِّجِينَ ؟ فَقَالَتْ : بَلَى ! لَا أُرِيدُهُ أَخَا فُلَانٍ وَلَا ابْنَ فُلَانٍ وَلَا الظَّرِيفَ [ وَلَا ] الْمُتَطَرِّفَ وَلَا السَّمِينَ الْأَلَحْمَ <sup>(١)</sup> ، وَلَكِنْ أُرِيدُهُ كُسُوبًا إِذَا غَدَا ، ضَحُوكًا إِذَا أَتَى .

\* \* \*

٧٧٧ - وَمِنْ طَرِيفٍ مَا يَصِحُّ أَنْ نُورِدَهُ فِي هَذَا الْبَابِ وَنَخْتُمُهُ بِهِ مَا أُوْرِدَهُ الْمُبَرِّدُ فِي « الْكَامِلِ » [صفحة : ٥٨٤] قَالَ : وَقَدْ كَانَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ، وَهُوَ وَالِي الْكُوفَةِ لِمَعَاوِيَةَ ، سَارَ إِلَى دَيْرِ هِنْدِ بِنْتِ الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ ، وَهِيَ فِيهِ عَمِيَاءُ مَتْرَهِيَّةٌ عَلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ، وَكَانَتْ بِنْتُ تِسْعِينَ سَنَةً ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهَا ، فَقِيلَ لَهَا : أَمِيرُ هَذِهِ الْمَدْرَةِ بِالْبَابِ ؛ فَقَالَتْ : قُولُوا لَهُ : أَمِنْ وَلَدَ جَبَلَةَ بْنِ الْأَيْهَمِ أَنْتَ ؟ قَالَ : لَا ؛ قَالَتْ : أَفَمِنْ وَلَدِ الْمُنْذِرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ ؟ قَالَ : لَا ؛ قَالَتْ : فَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ الثَّقَفِيُّ ؛ قَالَتْ : فَمَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : جِئْتُكَ خَاطِبًا ؛ قَالَتْ : لَوْ كُنْتُ جِئْتَنِي لِجَمَالٍ أَوْ لِمَالٍ لَأَطْلَبْتُكَ - أَيُّ : أَعْطَيْتُكَ مَا تَطْلُبُ - وَلَكِنَّكَ أَرَدْتَ أَنْ تَتَشَرَّفَ بِي فِي مَحَافِلِ الْعَرَبِ فَتَقُولَ : نَكَحْتُ ابْنَةَ الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ ، وَإِلَّا فَأَيُّ خَيْرٍ فِي اجْتِمَاعِ أَعْوَرَ وَعَمِيَاءَ ! <sup>(٢)</sup>

(١) الْأَلَحْمُ : كَثِيرُ اللَّحْمِ .

(٢) هُوَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ ابْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ ، شَهِدَ عُمَرَةَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَبَيْعَةَ الرِّضْوَانِ ، وَكَانَ مِنْ دُهَاةِ الْعَرَبِ ، وَكَانَ الْمُغِيرَةُ أَعْوَرَ .



فَبَعَثَ إِلَيْهَا : كَيْفَ كَانَ أَمْرُكُمْ ؟ فَقَالَتْ : سَأَخْتَصِرُ لَكَ الْجَوَابَ ، أَمْسَيْنَا مَسَاءً  
وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ عَرَبِيٌّ إِلَّا وَهُوَ يَرْغَبُ إِلَيْنَا وَيَرْهَبُنَا ، ثُمَّ أَصْبَحْنَا وَلَيْسَ فِي  
الْأَرْضِ عَرَبِيٌّ إِلَّا وَنَحْنُ نَرْغَبُ إِلَيْهِ وَنَرْهَبُهُ ؛ ثُمَّ أَنْصَرَفَ الْمُغِيرَةُ .



حَدِيثُ الْبَنَاتِ اللَّائِي وَصَفْنَ مَا يُخْبِنَ مِنَ الْأَزْوَاجِ :

٧٧٨ - قَالَتْ عَجُوزٌ مِنَ الْعَرَبِ لثَلَاثِ بَنَاتٍ لَهَا : صِفْنَ مَا تُخْبِنَ مِنَ  
الْأَزْوَاجِ ؛ فَقَالَتِ الْكُبْرَى : أُرِيدُ أَرْوَاعَ بَسَامًا ، أَحَدًا مَجْدَامًا ، سَيِّدَ نَادِيهِ ،  
وَيْثَمَالَ عَافِيهِ ، وَمُحْسِبَ رَاجِيهِ ، فِنَاؤُهُ رَحْبٌ ، وَقِيَادُهُ صَعْبٌ ؛ وَقَالَتِ  
الْوُسْطَى : أُرِيدُ عَالِي السَّنَاءِ ، مُصَمَّمِ الْمَضَاءِ ، عَظِيمِ نَارٍ ، مُتَمِّمِ أَيْسَارٍ ، يُفِيدُ  
وَيُبِيدُ ، وَيُبْدِي وَيُعِيدُ ، هُوَ فِي الْأَهْلِ صَبِيٌّ ، وَفِي الْجَيْشِ كَمِيٌّ ، تَسْتَعْبِدُهُ  
الْحَلِيلَةُ ، وَتُسَوِّدُهُ الْفَضِيلَةُ ؛ وَقَالَتِ الصَّغْرَى : أُرِيدُهُ بَازِلَ عَامٍ ، كَالْمُهَنْدِ  
الْمَصْنَعِ ، قِرَانُهُ حُبُورٌ ، وَلِقَاؤُهُ شُرُورٌ ، إِنْ ضَمَّ قَضَقَضَ ، وَإِنْ دَسَرَ  
أَغْمَضَ ، وَإِنْ أَخْلَلَ أَحْمَضَ ؛ قَالَتْ أُمُّهَا : فَضَّ فُوكِ ! لَقَدْ قَرَزْتَ لِي شِرَّةَ  
السَّبَابِ جَذَعَةً .

الشرح : الْأَرْوَاعُ : الَّذِي يَزْدَعُكَ جَمَالُهُ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْأَرْوَاعُ  
وَالنَّجِيبُ وَاحِدٌ ، وَهُمَا الْكَرِيمُ ؛ وَالْأَحَدُ هَاهُنَا : الْخَفِيفُ السَّرِيعُ ؛  
وَالْمَجْدَامُ ، مِفْعَالٌ مِنَ الْجَذَمِ ، وَهُوَ : الْقَطْعُ ، تَرِيدُ : إِنَّهُ قَطَاعٌ لِلْأُمُورِ ؛  
وَالنَّادِي وَالنَّادِي : الْمَجْلِسُ ؛ وَالثَّمَالُ : الْغِيَاثُ ، وَثِمَالُ الْقَوْمِ : غِيَاثُهُمْ وَمَنْ  
يَقُومُ بِأَمْرِهِمْ ؛ وَعَافِيهِ : الَّذِي يَغْفُوهُ ، أَيْ : يَأْتُونَهُ سَائِلِيهِ ؛ وَمُحْسِبُ :  
كَافٍ ؛ وَفِنَاؤُهُ رَحْبٌ ، أَيْ : فِنَاءُ دَارِهِ وَاسِعٌ ؛ وَالسَّنَاءُ مِنَ الشَّرَفِ مَمْدُودٌ وَمِنْ  
الضُّوءِ مَقْصُورٌ ؛ وَالْمُصَمَّمُ مِنَ الرِّجَالِ : الَّذِي يَمْضِي فِي الْأُمُورِ لَا يَرُدُّ عَزْمُهُ

شَيْءٌ ؛ وَعَظِيمُ نَارٍ ، أَيْ : إِنَّهُ يُوقِدُ النَّارَ الْعَظِيمَةَ لِتُرْشِدَ النَّاسَ إِلَى رَحَابِهِ  
فَيَقْرِبِهِمْ ؛ وَتَمَّتْ أَيْسَارُ ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْأَيْسَارِ <sup>(١)</sup> سَبْعَةٌ عَلَى عَدَدِ الْقِدَاحِ ، فَيَأْخُذُ  
كُلُّ رَجُلٍ قِدْحًا ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَوَحَّدُوهَا ، فَإِذَا نَقَصَ عَدَدُهُمْ عَنْ ذَلِكَ أَخَذَ  
الرَّجُلُ الْكَرِيمُ مِنْهُمْ مَا فَضَلَ مِنَ الْقِدَاحِ فَيَكُونُ لَهُ حَظُّ الْفَائِزِ مِنْهَا وَعَلَيْهِ غَرْمُ  
الْخَائِبِ ، فَكَأَنَّهُ قَدْ تَمَّتْ عَدَدَ الْأَيْسَارِ بِذَلِكَ ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَعُدُّ ذَلِكَ فَضِيلَةً  
وَتَتَمَدَّحُ بِهِ ، وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : إِذَا كَانَ الرَّجُلُ يَقُوزُ قِدْحَهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى  
وَيُطْعِمُ اللَّحْمَ سُمِّيَ مُتَمِّمًا ، وَبِذَلِكَ سُمِّيَ مُتَمِّمٌ بَنُو نُوَيْرَةَ الشَّاعِرِ ؛ وَيُبْدَى  
وَيُعِيدُ : ذُو حِيلَةٍ ، وَفِي ضِدِّهِ يُقَالُ : فُلَانٌ مَا يُبْدَى وَمَا يُعِيدُ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ  
حِيلَةٌ ؛ وَكَمِيٌّ : جَرِيءٌ مُقَدِّمٌ شَجَاعٌ ؛ وَالْحَلِيلَةُ : الزَّوْجَةُ ؛ وَقَوْلُ الصُّغْرَى :  
أُرِيدُهُ بَارِزَ عَامٍ ، تُرِيدُ : تَأَمَّ السُّبَابِ ، كَامِلَ الْقُوَّةِ ، لِأَنَّ الْبَعِيرَ أَتَمُّ مَا يَكُونُ  
سَبَابًا وَأَكْمَلُهُ قُوَّةً ، إِذَا كَانَ بَارِزَ عَامٍ ؛ وَقَضَقَضَ ، أَيْ : حَطَمَ ، كَمَا يَقْضَقِضُ  
الْأَسَدُ الْفَرِيسَةَ ، وَهُوَ أَنْ يَخْطِمَهَا وَيَنْفُضَهَا فَتَسْمَعَ لِعِظَامِهَا صَوْتًا ، وَالْأَسَدُ  
الْقَضَقَاضُ : الْخَطَّامُ ؛ وَدَسَرَ : دَفَعَ ؛ الْإِغْمَاضُ : الْإِيلَاجُ الشَّدِيدُ ؛ وَإِنْ  
أَخْلَ أَحْمَضَ : فَعَنَ سَعِيدُ بْنُ يَسَارٍ قَالَ : قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ : كَيْفَ تَرَى فِي  
التَّخْمِيضِ ؟ قَالَ : وَمَا التَّخْمِيضُ ؟ قُلْتُ : أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ فِي دُبْرِهَا ؛  
قَالَ : أَوْ يَفْعَلُ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؟ أَقُولُ : وَالْخُلَّةُ فِي الْأَصْلِ : ضَرْبٌ  
مِنَ النَّبَاتِ حُلُوٌ ، وَالْحَمَضُ : نَبَاتٌ مَالِحٌ ، وَإِذَا شَبِعَتِ الْإِبِلُ مِنَ الْخُلَّةِ أَكَلَتْ  
الْحَمَضَ ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ : الْخُلَّةُ خُبْزُ الْإِبِلِ وَالْحَمَضُ فَاكِهَتُهَا ، وَمِنْ ذَا  
قَالُوا : نَحْمَضُ الرَّجُلُ : إِذَا تَحَوَّلَ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ ، وَإِذَا أَتَى الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ  
فِي غَيْرِ مَا تَأْتَاهَا الَّذِي يَكُونُ مَوْضِعَ الْوَلَدِ فَقَدْ حَمَضَ تَحْمِيضًا ، كَأَنَّهُ تَحَوَّلَ مِنْ

(١) الْأَيْسَارُ جَمْعُ يَسَرَ ، وَيُقَالُ : يَأْسِرُ ، وَهُوَ : الَّذِي يَدْخُلُ مَعَ الْقَوْمِ فِي الْقِدَاحِ .

خَيْرِ الْمَكَانَيْنِ إِلَى شَرِّهِمَا ، شَهْوَةٌ مَعْكُوسَةٌ ، كَفِعْلٍ قَوْمٍ لُوطِ الَّذِينَ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ، وَيُقَالُ لِلتَّفْخِيزِ فِي الْجَمَاعِ : تَحْمِضُ ، وَيُقَالُ : قَدْ أَحْمَضَ الْقَوْمُ إِحْمَاضًا : إِذَا أَفَاضُوا فِيمَا يُؤْنِسُهُم مِنَ الْحَدِيثِ وَالْكَلَامِ ، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ إِذَا أَفَاضَ مَنْ عِنْدَهُ فِي الْحَدِيثِ بَعْدَ الْقُرْآنِ وَالتَّفْسِيرِ : أَحْمِضُوا ! وَذَلِكَ لَمَّا خَافَ عَلَيْهِمُ الْمَلَالُ أَحَبَّ أَنْ يُرِيحَهُمْ ، فَأَمَرَهُمْ بِالْإِحْمَاضِ بِالْأَخْذِ فِي مُلْحِ الْكَلَامِ وَالْحِكَايَاتِ .

\* \* \*

أَمْرَاتَانِ مِنْ حَكِيمَاتِ الْعَرَبِ تَصِفَانِ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ :

٧٧٩- وَافَتْ جُمُعَةُ بِنْتُ حَابِسٍ وَهْنُ ابْنَةُ الْخُسِّ<sup>(١)</sup> سُوقَ عُكَاظٍ ، فَاجْتَمَعَتَا بَيْنَ يَدَيِ الْقَلَمْسِ<sup>(٢)</sup> الْكِنَانِيِّ ، فَقَالَ لَهُمَا : إِنِّي سَأَلْتُكُمَا لِأَعْلَمَ أَيُّكُمَا أَبْسَطُ لِسَانًا ، وَأَظْهَرُ بَيَانًا ، وَأَحْسَنُ لِلصِّفَةِ إِنْفَانًا ؛ قَالَتَا : سَلْنَا عَمَّا بَدَأَ لَكَ ، فَسَجَدُ عِنْدَنَا عُقُولًا ذَكِيَّةً ، وَالسِّنَةُ قَوِيَّةً ، وَصِفَةُ جَلِيلَةٍ ؛ ثُمَّ سَأَلَهُمَا عَنْ أَشْيَاءَ نُورِدُ مِنْهَا مَا يَعْنِينَا ، قَالَ : فَأَيُّ الرِّجَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ يَا جُمُعَةُ ؟ قَالَتْ : أَحَبُّ الْخُرِّ النَّجِيبِ ، السَّرِيِّ الْقَرِيبِ ، السَّمْحِ الْحَسِيبِ ، الْفِطْنِ الْأَرِيبِ ، الْمِضْقَعِ الْخَطِيبِ ، الشُّجَاعِ الْمَهِيبِ ؛ قَالَ الْقَلَمْسُ : كَيْفَ تَسْمَعِينَ يَا هْنْدُ ؟ قَالَتْ :

(١) جُمُعَةُ بِنْتُ حَابِسٍ وَهْنُ ابْنَةُ الْخُسِّ : حَكِيمَتَانِ يُضْرَبُ بِهِمَا الْمَثَلُ فِي الْفَصَاحَةِ وَالْحِكْمَةِ وَالذَّهَاءِ ، قَالَ الْجَا حِظُّ فِي « الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ » : مِنْ أَهْلِ الذَّهَاءِ وَالتَّكْرَاءِ - الذَّهَاءِ - وَمِنْ أَهْلِ اللَّسَنِ وَاللِّقَنِ وَالْجَوَابِ الْعَجِيبِ وَالْكَلَامِ الصَّحِيحِ وَالْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ وَالْمَخَارِجِ الْعَجِيبَةِ هْنْدُ بِنْتُ الْخُسِّ وَهِيَ الزَّرْقَاءُ ، وَجُمُعَةُ بِنْتُ حَابِسٍ .

(٢) الْقَلَمْسُ : [حُذِيفَةُ بْنُ عُبْدٍ] سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ كِنَانَةَ ، وَحَكِيمٌ مِنْ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ ، وَكَاهِنٌ مِنْ كُهَا نِهِمُ ، وَكَانَ يَسْأَلُ الشُّهُورَ فَيُحِلُّ حَرَامَهَا وَيُحَرِّمُ حَلَالَهَا ، فَأَبْطَلَ اللَّهُ النَّسِيَّ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ [٩ سورة التوبة / الآية : ٣٧]

وَصَفَتْ رَجُلًا سَيِّدًا جَوَادًا ، يَنْهَضُ إِلَى الْخَيْرِ صَاعِدًا ، وَيَسُرُّكَ غَائِبًا وَشَاهِدًا ،  
وَعِثْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ ؛ قَالَ : فَقُولِي ! قَالَتْ : أَحِبُّ الرِّحْبَ الدَّرَاعَ ، الطَّوِيلَ  
الْبَاعَ ، السَّخِيَّ النَّفْعَ ، الْمَنِيْعَ الدَّفْعَ ، الدَّهْمِيَّ الْمُطَاعَ<sup>(١)</sup> ، الْبَطْلَ  
الشُّجَاعَ ، الَّذِي يَحُلُّ بِالْيَفَاعِ<sup>(٢)</sup> ، وَيُهَيِّنُ فِي الْحَمْدِ الْمَتَاعَ ؛ قَالَ : كِلْتَاكُمَا  
مُحْسِنَةٌ ، فَأَيُّ الرِّجَالِ أَبْغَضُ إِلَيْكَ يَا جُمُعَةُ ؟ قَالَتْ : أَبْغَضُ السَّأَلَةَ اللَّئِيمَ ،  
الْبَغِيضَ الزَّيْمَ<sup>(٣)</sup> ، الْأَشْوَةَ الدَّمِيمَ ، الظَّاهِرَ الْعُصُومَ<sup>(٤)</sup> ، الضَّعِيفَ  
الْحَزِيْزَ<sup>(٥)</sup> ؛ قَالَ : كَيْفَ تَسْمَعِينَ يَا هِنْدُ ؟ قَالَتْ : ذَكَرْتُ رَجُلًا خَطَرُهُ  
صَغِيرٌ<sup>(٦)</sup> ، وَخَطْبُهُ يَسِيرٌ ، وَعَيْيُهُ كَثِيرٌ ، وَأَنْتَ بِبُغْضِهِ جَدِيرٌ ، وَغَيْرُهُ أَبْغَضُ  
إِلَيَّ . قَالَ : فَقُولِي ! قَالَتْ : أَبْغَضُ الضَّعِيفَ الْتُّخَاعَ<sup>(٧)</sup> ، الْقَصِيرَ الْبَاعَ ،  
الْأَحْمَقَ الْمِضْيَاعَ ، الَّذِي لَا يُكْرَمُ وَلَا يُطَاعُ ؛ قَالَ الْقَلَمَسُ : كِلْتَاكُمَا مُحْسِنَةٌ ،  
فَأَيُّ النِّسَاءِ أَحَبُّ إِلَيْكَ يَا جُمُعَةُ ؟ قَالَتْ : أَحِبُّ الْغَرِيرَةَ الْعَذْرَاءَ<sup>(٨)</sup> ، الرُّعْبُوبَةَ  
الْعَيْطَاءَ<sup>(٩)</sup> ، الْمَمْكُورَةَ اللَّغَاءَ<sup>(١٠)</sup> ، ذَاتَ الْجَمَالِ وَالْبَهَاءِ ، وَالسُّرَّ وَالْحِيَاءِ ،  
الْبَصَّةَ الرِّخْصَةَ<sup>(١١)</sup> ، كَانَهَا فِضَّةً بَيْضَاءَ ؛ قَالَ : كَيْفَ تَسْمَعِينَ يَا هِنْدُ ؟ قَالَتْ :

- (١) الدَّهْمِيُّ : الْكَرِيمُ .
- (٢) الْيَفَاعُ : الْمُرْتَفِعُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَإِنَّمَا يَحُلُّ الْكَرِيمُ بِالْيَفَاعِ حَتَّى يَرَى السَّارُونَ نَارَهُ فَيُقْبِلُونَ عَلَيْهِ .
- (٣) الزَّيْمُ : الشَّرِيرُ ، أَوْ الدَّعِيُّ الَّذِي يَنْتَسِبُ إِلَى الْقَوْمِ وَلَيْسَ مِنْهُمْ .
- (٤) الْعُصُومُ : بَقَايَا الْخَضَابِ .
- (٥) الْحَزِيْزُ : الضَّعْفُ ، وَصَغْفُهُ كِنَايَةٌ عَنِ الْحَقْمِ وَضِيقِ الدَّرَاعِ .
- (٦) الْخَطَرُ : الْقَدَرُ وَالْمَنْزِلَةُ .
- (٧) تَرِيدُ بِالضَّعِيفِ التُّخَاعَ : الْعَاجِزَ الَّذِي يَضِيقُ بِأَلْهَمٍ وَلَا يُطِيقُهُ .
- (٨) الْغَرِيرَةُ : الْطَّيِّبَةُ الْقَلْبُ الَّتِي لَا تَعْرِفُ الشَّرَّ .
- (٩) الرُّعْبُوبَةُ : الْفَتَاءُ الْبَيْضَاءُ الْحُلُوَّةُ اللَّيِّنَةُ النَّاعِمَةُ ؛ وَالْعَيْطَاءُ : الطَّوِيلَةُ الْعُنْتُ .
- (١٠) الْمَمْكُورَةُ : الْمُمْتَلِئَةُ السَّاقَتَيْنِ فِي بَيَاضٍ وَلِينٍ ؛ وَاللَّغَاءُ : السَّمِيَّةُ الطَّوِيلَةُ .
- (١١) الْبَصَّةُ : اللَّيِّنَةُ الْجَسَدِ النَّاعِمَةُ الْجِلْدِ الْمُمْتَلِئَةُ ؛ وَالرِّخْصَةُ : اللَّيِّنَةُ النَّاعِمَةُ كَذَلِكَ .

وَصَفَتْ جَارِيَةً - فَتَاءَ - هِيَ حَاجَةٌ أَلْفَتَى ، وَنُهْيَةُ الرُّضَا<sup>(١)</sup> ، وَغَيْرُهَا أَحَبُّ إِلَيَّ ؛  
 قَالَ : فَقُولِي ! قَالَتْ : أَحِبُّ كُلَّ مُشْبَعَةِ الْخُلَخَالِ<sup>(٢)</sup> ، ذَاتِ شَكْلِ وَدَلَالٍ<sup>(٣)</sup> ،  
 وَظَرْفٍ وَبَهَاءٍ وَجَمَالٍ ؛ قَالَ أَلْفَلَمَسُ : كِلْتَاكُمَا مُحْسِنَةٌ ، فَأَيُّ النَّاسِ أَبْغَضُ  
 إِلَيْكَ يَا جُمُعَةُ ؟ قَالَتْ : أَبْغَضُ كُلَّ سَلْفَعٍ بِذِيَّةٍ<sup>(٤)</sup> ، جَاهِلَةٍ غَبِيَّةٍ ، حَرِيصَةٍ  
 دَنِيَّةٍ ، غَيْرِ كَرِيمَةٍ وَلَا سَرِيَّةٍ<sup>(٥)</sup> ، وَلَا سِتِيرَةٍ وَلَا حَيَّةٍ ؛ قَالَ : كَيْفَ تَسْمَعِينَ  
 يَا هِنْدُ ؟ قَالَتْ : وَصَفَتْ أَمْرَأَةً صَاحِبَهَا خَلِيقٌ أَلَّا يَضْلَحَ لَهُ حَالٌ ، وَلَا يَنْعَمَ لَهُ  
 بَالٌ ، وَلَا يُثْمَرَ لَهُ مَالٌ ، وَغَيْرُهَا أَبْغَضُ إِلَيَّ ؛ قَالَ : فَقُولِي ! قَالَتْ : أَبْغَضُ  
 الْمُتَجَرِّفَةَ<sup>(٦)</sup> الشَّوْهَاءَ ، الْمُنْفُوخَةَ الْكَبْدَاءَ<sup>(٧)</sup> ، الْعِنْفِصَ الْوَقْصَاءَ<sup>(٨)</sup> ، الْحَمِشَةَ  
 الزَّلَّاءَ<sup>(٩)</sup> ، الَّتِي إِنْ وَلَدَتْ لَمْ تُنْجِبْ ، وَإِنْ رُجِرَتْ لَمْ تَعْتَبْ ، وَإِنْ تُرِكَتْ  
 طَفِقَتْ تَصْحَبُ ؛ فَقَالَ أَلْفَلَمَسُ : أَحْسَنْتُمَا وَأَجْمَلْتُمَا .



- 
- (١) نُهْيَةُ الرُّضَا : غَايَةُ الرُّضَا .  
 (٢) إِشْبَاعُ الْخُلَخَالِ : كِنَايَةٌ عَنِ امْتِلَاءِ السَّاقِ .  
 (٣) الشَّكْلُ : الْجُمُعُ بَيْنَ الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ .  
 (٤) السَّلْفَعُ مِنَ النِّسَاءِ : الشَّدِيدَةُ الصَّحْبِ ، السَّيِّئَةُ الْخُلُقِ .  
 (٥) السَّرِيَّةُ : الشَّرِيفَةُ .  
 (٦) الْمُتَجَرِّفَةُ : الشَّدِيدَةُ الْهَزَالِ .  
 (٧) الْمُنْفُوخَةُ : الْمُنْسَعَةُ الْبَطْنِ ؛ وَالْكَبْدَاءُ : الصَّخْمَةُ الْوَسْطَى ، الْبَطِيئَةُ الْمَشْيِ .  
 (٨) الْعِنْفِصُ : الْبَذِيئَةُ ، الْقَلِيلَةُ الْحَيَاءِ ، الْقَلِيلَةُ الْجِسْمِ ، الْكَثِيرَةُ الْأَخْتِيَالِ ؛ وَالْوَقْصَاءُ :  
 الْقَصِيرَةُ الْعُنُقِ .  
 (٩) الْحَمِشَةُ : الدَّقِيقَةُ السَّاقِ ؛ وَالزَّلَّاءُ : الدَّقِيقَةُ الْوَرَكَيْنِ .

## البَابُ الرَّابِعُ فِتْنَةُ النِّسَاءِ وَحَضُّهُنَّ عَلَى تَوَقُّيْهَا

٧٨٠ - جاءَ في الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضُرَّ عَلَى

الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ » [البخاري ، رقم : ٥٠٩٦ ؛ مسلم ، رقم : ٢٧٤٠] .

قَالَ أَيْمَةُ اللُّغَةِ : جَمَاعُ مَعْنَى الْفِتْنَةِ : الْإِبْتِلَاءُ وَالْامْتِحَانُ وَالْاخْتِبَارُ ، وَأَضْلَاهَا مِنْ قَوْلِكَ : فَتَنْتُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ : إِذَا أَذْبَتَهُمَا بِالنَّارِ لِتُمَيِّزَ الرَّدِيِّ مِنَ الْجَيِّدِ ؛ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي « النَّهَائَةِ » : وَقَدْ كَثُرَ اسْتِعْمَالُ الْفِتْنَةِ فِيمَا أَخْرَجَهُ الْاخْتِبَارُ لِلْمَكْرُوهِ <sup>(١)</sup> ، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى اسْتُعْمِلَ بِمَعْنَى الْإِثْمِ وَالْكَفْرِ ، وَالْقِتَالِ ، وَالْإِخْرَاقِ ، وَالْإِزَالَةِ وَالصَّرْفِ عَنِ الشَّيْءِ <sup>(٢)</sup> . أَقُولُ : وَمَعْنَى الْحَدِيثِ : أَخَافُ أَنْ يُعْجَبَ الرِّجَالُ بِالنِّسَاءِ وَيُغَرَّوْا بِهِنَّ فَيَسْتَغْلَوْا بِهِنَّ عَنِ الْعَمَلِ النَّافِعِ الْمُجْدِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

\* \* \*

٧٨١ - وَجَاءَ فِي الْأَثَرِ : « إِنَّكُمْ ابْتُلِيتُمْ بِفِتْنَةِ الضَّرَاءِ فَصَبَرْتُمْ ، وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ فِتْنَةَ السَّرَّاءِ ، وَإِنْ مِنْ أَشَدِّ ذَلِكَ عِنْدِي النِّسَاءُ إِذَا تَحَلَّيْنَ الذَّهَبَ ، وَلَبَسْنَ رِيْطَ الشَّامِ ، وَعَصَبَ أَيْمَنَ ، فَأَتَعَبْنَ الْغَنَى ، وَكَلَفْنَ الْفَقِيرَ مَا لَا يَجِدُ » [راجع

(١) أَيِ : فِي الشَّيْءِ يُخْتَبَرُ فَتَكُونُ نَتِيجَةُ هَذَا الْاخْتِبَارِ بِلَاءَ وَنِقْمَةً ، كَالْأَفْتَانِ بِالنِّسَاءِ مَثَلًا .

(٢) أَنْظَرَ « لِسَانَ الْعَرَبِ » مَادَّةَ فِتْنٍ ، فَهُنَاكَ مَا يُتَّقَى غُلَّتَكَ .

« مجمع الزوائد » ، رقم : ١٧٨٠٢ ؛ و « كنز العمال » ، رقم : [٤٤٤٨٢] .

أَبْتَلَيْتُمْ بِفِتْنَةِ الضَّرَاءِ ... إِلَى آخِرِهِ ، يُرِيدُ : إِنَّكُمْ اخْتَبَرْتُمْ بِالْفَقْرِ وَالشَّدَّةِ وَالْعَذَابِ فَصَبَرْتُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَإِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُهُ عَلَيْكُمْ هُوَ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ ، وَهِيَ الدُّنْيَا الْوَاسِعَةُ وَالرَّاحَةُ وَالنَّعْمَةُ ، وَأَشَدُّ مَا أَخَافُهُ عَلَيْكُمْ مِنْ فِتْنَةِ السَّرَّاءِ هُوَ النِّسَاءُ إِذَا تَحَلَّيْنَ الذَّهَبَ ... الخ الخ ، وَالرَّيْطُ جَمْعُ رَيْطَةٍ ، وَهِيَ : الْمَلَأَةُ إِذَا كَانَتْ قِطْعَةً وَاحِدَةً وَلَمْ تَكُنْ لِفَتَيْنِ ؛ وَالْعُصْبُ : بُرْدٌ يُصْبَغُ غَزْلُهُ ثُمَّ يُسْجَجُ .

\* \* \*

٧٨٢- وَفِي الْحَدِيثِ أَيْضاً : « اتَّقُوا الدُّنْيَا ! وَاتَّقُوا النِّسَاءَ ! فَإِنَّ إِبْلِسَ طَلَّاعَ رَصَادٍ ، وَمَا هُوَ بِشَيْءٍ مِنْ فُخُوحِهِ بِأَوْثَقَ لَصِيدِهِ فِي الْأَتَقِيَاءِ مِنَ النِّسَاءِ » [ « كنز العمال » ، رقم : [٤٤٤٨١] .

طَلَّاعٌ ، يُرِيدُ : هَجَامٌ ، يُقَالُ : طَلَعَ عَلَيْنَا فُلَانٌ هَجَمَ ؛ وَيُقَالُ : رَجُلٌ طَلَّاعُ النَّتَايَا : مُجَرَّبٌ لِلْأُمُورِ رَكَّابٌ لَهَا يَغْلُوهَا وَيَقْهَرُهَا وَيَهْجُمُ عَلَيْهَا بِشِدَّةٍ وَغَلَبَةٍ ؛ وَقَوْلُهُ : رَصَادٌ ، أَيْ : رَقَابٌ وَتَابٌ كَمَا يَرْصُدُ الْقُطَّاعُ الْقَافِلَةَ فَيُثْبِنُونَ عَلَيْهَا ؛ ثُمَّ قَالَ : وَمَا هُوَ بِشَيْءٍ مِنْ فُخُوحِهِ ... الخ ، فَالْفُخُوحُ جَمْعُ فَخٍّ : آلَةُ الصَّيْدِ ، وَمِنَ الْمَجَازِ : وَثَبَ فُلَانٌ مِنْ فَخٍّ إِبْلِسَ : إِذَا تَابَ ؛ يَقُولُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ : إِنَّ إِبْلِسَ مَا يَتَّقُ فِي صَيْدِهِ الْأَتَقِيَاءَ بِشَيْءٍ مِنَ آلَاتِ الصَّيْدِ وَثُوقِهِ بِالنِّسَاءِ ، أَمَّا كَوْنُهُنَّ مِنْ فُخُوحِ إِبْلِسَ فَلأنَّهُ جَعَلَهُنَّ مَصِيدَةً ، يُرِيثُهُنَّ فِي قُلُوبِ الرِّجَالِ وَيُغَرِّبُهُنَّ بَيْنَ فَيُورِطُهُنَّ فِي الزَّنا ، كَصَائِدٍ يَنْصِبُ شَبَكَتَهُ لِيَصْطَادَ بِهَا وَيُغَرِّبِ الصَّيْدَ عَلَيْهَا لِيَقَعَ فِي حَبَائِلِهَا ؛ وَمِنْ هَذَا قَوْلُ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ : مَا أَيْسَ الشَّيْطَانُ مِنْ إِنْسَانٍ قَطُّ إِلَّا أَنَاهُ مِنْ قِبَلِ النِّسَاءِ .

\* \* \*

٧٨٣ - وَعَنْ بَعْضِهِمْ : مَا أُتِيَتْ أُمَّةٌ قَطُّ إِلَّا مِنْ قِبَلِ نِسَائِهِمْ . . .

وَهَذِهِ كَلِمَةُ صَدَقٍ يَجْمَلُ الْوُقُوفُ عِنْدَهَا ، وَأَسْتِعَابُهَا وَالْأَعْتِبَارُ بِهَا .

\* \* \*

٧٨٤ - وَمِمَّا يُرَوَّى فِي فِتْنَةِ النِّسَاءِ أَنَّ عَابِدًا كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، [ اِسْمُهُ :

بَرْصِيصًا ] وَكَانَ مِنْ أَعْبِدِ أَهْلِ زَمَانِهِ ، وَكَانَ فِي زَمَانِهِ ثَلَاثَةُ إِخْوَةٍ لَهُمْ أُخْتُ ، وَكَانَتْ بِكْرًا ، فَخَرَجَ الْبُعْثُ عَلَيْهِمْ - أَيُّ : جَاءَ دَوْرُهُمْ فِي التَّجْنِيدِ لِلْحَرْبِ - فَلَمْ يَذَرُوا عِنْدَ مَنْ يُخْلَفُونَ أُخْتَهُمْ ، وَلَا مَنْ يَأْمُنُونَ عَلَيْهَا ، فَاجْتَمَعُوا رَأْيَهُمْ عَلَى أَنْ يُخْلَفُوهَا عِنْدَ الْعَابِدِ ، فَأَتَوْهُ وَسَأَلُوهُ أَنْ يُخْلَفُوهَا عِنْدَهُ ، فَأَبَى ذَلِكَ ، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى قَالَ : أَنْزِلُوهَا فِي بَيْتِ جَوَارِ صَوْمَعَتِي ؛ فَأَنْزَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ ، ثُمَّ أَنْطَلَقُوا وَتَرَكَوْهَا . فَمَكَثَتْ فِي جَوَارِ الْعَابِدِ زَمَانًا يَنْزِلُ إِلَيْهَا الطَّعَامُ مِنْ صَوْمَعَتِهِ فَيَضَعُهُ عِنْدَ بَابِ الصَّوْمَعَةِ ، ثُمَّ يُغْلِقُ بَابَهُ وَيَضَعُدُ صَوْمَعَتَهُ ، ثُمَّ يَأْمُرُهَا فَتَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهَا ، فَتَأْخُذُ مَا وُضِعَ لَهَا مِنَ الطَّعَامِ ، فَتَلَطَّفَ لَهُ الشَّيْطَانُ ، فَلَمْ يَزَلْ يُرْغِبُهُ فِي الْخَيْرِ وَيُعْظِمُ عِنْدَهُ خُرُوجَ الْجَارِيَةِ مِنْ بَيْتِهَا نَهَارًا ، وَيُخَوِّفُهُ أَنْ يَرَاهَا أَحَدًا فَيَغْلِقُهَا ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى مَشَى بِطَعَامِهَا وَوَضَعَهُ عِنْدَ بَابِ بَيْتِهَا ، وَلَا يُكَلِّمُهَا ، فَلَبِثَ بِذَلِكَ زَمَانًا ، ثُمَّ جَاءَهُ إِبْلِيسُ ، فَرَغِبَهُ فِي الْخَيْرِ وَالْأَجْرِ ، وَقَالَ لَهُ : لَوْ كُنْتَ تَمْشِي إِلَيْهَا بِطَعَامِهَا حَتَّى تَضَعَهُ فِي بَيْتِهَا ، كَانَ أَعْظَمَ لَأَجْرِكَ ؛ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى مَشَى إِلَيْهَا بِطَعَامِهَا ، فَوَضَعَهُ فِي بَيْتِهَا ، فَلَبِثَ بِذَلِكَ زَمَانًا ، ثُمَّ جَاءَهُ إِبْلِيسُ فَرَغِبَهُ فِي الْخَيْرِ وَحَضَّهُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ : لَوْ كُنْتَ تَكَلِّمُهَا وَتُحَدِّثُهَا ، فَتَأْسَسُ بِحَدِيثِكَ ، فَإِنَّهَا قَدْ اسْتَوْحَشَتْ وَخَشَتْ شَدِيدَةً ؛ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى حَدَّثَهَا زَمَانًا ، يَطْلُعُ إِلَيْهَا مِنْ فَوْقِ صَوْمَعَتِهِ ، ثُمَّ أَنَاهُ إِبْلِيسُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ : لَوْ كُنْتَ تَنْزِلُ إِلَيْهَا فَتَقْعُدُ عَلَى بَابِ صَوْمَعَتِكَ وَتُحَدِّثُهَا ، وَتَقْعُدُ عَلَى



بابِ بَيْتِهَا فَتَحَدَّثَكَ كَانَ أَنَسَ لَهَا ؛ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَنْزَلَهُ فَأَجْلَسَهُ عَلَى بَابِ صَوْمَعَتِهِ يُحَدِّثُهَا ، وَتَخْرُجُ الْجَارِيَةُ مِنْ بَيْتِهَا حَتَّى تَقْعُدَ عَلَى بَابِهَا ، فَلَبِثَا زَمَانًا يَتَحَدَّثَانِ ، ثُمَّ جَاءَ إِبْلِيسُ فَرَعَّبَهُ فِي الْخَيْرِ ، فَقَالَ لَهُ : لَوْ خَرَجْتَ مِنْ بَابِ صَوْمَعَتِكَ فَجَلَسْتَ قَرِيبًا مِنْ بَيْتِهَا ، فَحَدَّثْتَهَا كَانَ أَنَسَ لَهَا ؛ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى فَعَلَ ، فَلَبِثَا بِذَلِكَ زَمَانًا ، ثُمَّ جَاءَهُ إِبْلِيسُ فَقَالَ : لَوْ دَنَوْتَ مِنْ بَابِ بَيْتِهَا ! ثُمَّ قَالَ : لَوْ دَخَلْتَ أَلْبَيْتَ فَحَدَّثْتَهَا وَلَمْ تَتْرُكْهَا تُبْرِزْ وَجْهَهَا لِأَحَدٍ كَانَ أَحْسَنَ ؛ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى دَخَلَ أَلْبَيْتَ ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُهَا نَهَارَهُ كُلَّهُ ، فَإِذَا أَمْسَى صَعَدَ فِي صَوْمَعَتِهِ . ثُمَّ أَتَاهُ إِبْلِيسُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَزَلْ يُرِيئُهَا لَهُ حَتَّى ضَرَبَ الْعَابِدُ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِهَا وَقَبَّلَهَا ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يُحْسِنُهَا فِي عَيْنِهِ وَيُسَوِّلُ لَهُ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا ، فَأَحْبَلَهَا ، فَوَلَدَتْ غُلَامًا ، فَجَاءَ إِبْلِيسُ ، فَقَالَ لَهُ : أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ إِخْوَتُهَا وَقَدْ وَلَدْتَ مِنْكَ ، كَيْفَ تَصْنَعُ ؟ فَأَعْمَدَ إِلَى أَيْنِهَا فَأَذْبَحَهُ وَأَذْفِنَهُ ، فَإِنَّهَا سَتَكْتُمُ ذَلِكَ عَلَيْكَ مَخَافَةَ إِخْوَتِهَا ؛ فَقَتَلَهُ . ثُمَّ جَاءَهُ فَقَالَ : أَتُرَاهَا تَكْتُمُ مَا صَنَعْتَ بِهَا ؟ فَخَذُّهَا وَأَذْبَحَهَا وَأَذْفِنَهَا مَعَ أَيْنِهَا ؛ فَذَبَحَهَا وَأَلْقَاهَا فِي الْحُفْرَةِ ، فَمَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ حَتَّى قَفَلَ إِخْوَتُهَا مِنَ الْغَزْوِ . فَجَاءُوهُ ، فَسَأَلُوهُ عَنْ أُخْتِهِمْ ، فَنَعَاهَا لَهُمْ ، وَتَرَحَّمَ عَلَيْهَا ، وَبَكَاهَا ، وَقَالَ : كَانَتْ خَيْرَ أَمْرَاءَ ، وَهَذَا قَبْرُهَا ؛ فَاتَى إِخْوَتُهَا الْقَبْرَ ، فَبَكَوْهَا ، وَتَرَحَّمُوا عَلَيْهَا ، وَأَقَامُوا عَلَى قَبْرِهَا أَيَّامًا ، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ .

قَالَ : فَلَمَّا جَنَّهُمُ اللَّيْلُ وَأَخَذُوا مَضَاجِعَهُمْ ، أَتَاهُمُ الشَّيْطَانُ فِي النَّوْمِ ، فَبَدَأَ بِأَكْبَرِهِمْ ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُخْتِهِمْ ، فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ الْعَابِدِ وَبِمَوْتِهَا ؛ فَكَذَّبَهُ الشَّيْطَانُ ، وَقَالَ : لَمْ يَصُدِّقْكُمْ أَمْرُ أُخْتِكُمْ ، إِنَّهُ أَحْبَلَهَا وَوَلَدَتْ مِنْهُ غُلَامًا ، فَذَبَحَهُ وَذَبَحَهَا مَعَهُ فَرَقَا مِنْكُمْ ، وَأَلْقَاهُمَا فِي الْحُفْرَةِ خَلْفَ بَابِ أَلْبَيْتِ . وَاتَى

الْأَوْسَطَ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ . ثُمَّ أَتَى أَصْغَرَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ . فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ الْقَوْمُ اسْتَيْقَظُوا مُتَعَجِّبِينَ لِمَا رَأَوْهُ كُلُّ مِنْهُمْ ، فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَقُولُ : لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَبًا ؛ وَأَخْبَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِمَا رَأَى ، فَقَالَ كَبِيرُهُمْ : هَذَا حُلْمٌ ، لَيْسَ هَذَا بِشَيْءٍ ، فَأَمْضُوا بَنًا ، وَدَعَوْا هَذَا ؛ فَقَالَ أَصْغَرُهُمْ : لَا أَمْضِي حَتَّى آتِي هَذَا الْمَكَانَ فَأَنْظُرَ فِيهِ ؛ فَأَنْطَلَقُوا فَبَحَثُوا الْمَوْضِعَ ، فَوَجَدُوا أُخْتَهُمْ وَأَبْنَاهَا مَذْبُوحَيْنِ ، فَسَأَلُوا عَنْهَا الْعَابِدَ ، فَصَدَّقَ قَوْلَ إِبْلِيسَ فِيمَا صَنَعَ بِهِمَا ، فَاسْتَعْدَوْا عَلَيْهِ مَلَكَهُمْ ، فَأَنْزَلَ مِنْ صَوْمَعَتِهِ وَقَدَمُوهُ لِيَصْلُبُوهُ ، فَلَمَّا أَوْتَقُوهُ عَلَى الْخَشَبَةِ أَتَاهُ الشَّيْطَانُ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتَ أَنِّي صَاحِبُكَ الَّذِي فَتَنُكَ فِي الْمَرْأَةِ حَتَّى أَحْبَلْتَهَا وَذَبَحْتَهَا وَأَبْنَاهَا ، فَإِنْ أَنْتَ أَطَعْتَنِي الْيَوْمَ وَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ خَلَصْتُكَ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ . فَكَفَرَ الْعَابِدُ بِاللَّهِ ، فَلَمَّا كَفَرَ خَلَّى الشَّيْطَانُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابِهِ ، فَصَلَبُوهُ .

قَالَ وَهَبٌ : فِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ كَذَّبَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [١٦] فَكَانَ عَقِيبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿ [٥٩ سورة الحشر/ الآيات : ١٦ و ١٧] .

[راجع كُتُبَ التفسير عند الآيتين السابقتين] .

\* \* \*

٧٨٥ - وَبَعْدُ ؛ فَلَيْسَ يَجْمَلُ بِالْقَارِيءِ أَنْ تَفْتَحِمَ عَيْنُهُ مِثْلَ هَذِهِ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ أَزْدَرَاءَ وَقِلَّةَ أَحْتِفَالٍ ، فَلَيْسَتْ الْعِبْرَةُ بِأَنَّهَا صِدْقٌ أَوْ غَيْرُ صِدْقٍ ، وَلَكِنَّ الْعِبْرَةَ بِأَنَّهَا مِثَالُ جَمِيلٍ لِنَلْكَ الْحَالَةَ الَّتِي يَكْثُرُ وَقُوعُهَا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْقِفِ ، مَوْقِفِ الرَّجُلِ مِنَ الْمَرْأَةِ إِذَا هُوَ خَلَا بِهَا وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ رَقِيبٌ ، فَفِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْقِفِ يَقُومُ الشَّيْطَانُ بِدَوْرِهِ وَيُمَثِّلُهُ أَدَقَّ تَمَثُّيلٍ ، وَصَدَقَ مَا جَاءَ فِي

الْأَثَرِ : « مَا اجْتَمَعَ رَجُلٌ وَأَمْرَأَةٌ وَلَيْسَ مَعَهَا مَحْرَمٌ إِلَّا كَانَ الشَّيْطَانُ ثَالِثَهُمَا » ... أَوْ مَا هَذَا مَعْنَاهُ . [ راجع البخاري ، رقم : ٥٢٣٣ ؛ مسلم ، رقم : ١٣٤١ ] .

\* \* \*

٧٨٦ - وَقَالَ أَبُو الْمُهَنْدِ [ من المتقارب ] :

وَأَفْجَرُ مِنْ رَاهِبٍ يَدَّعِي      بِأَنَّ النِّسَاءَ عَلَيْهِ حَرَامٌ  
يُحَرِّمُ بَيْضَاءَ مَمْكُورَةٍ      وَيُغْنِيهِ فِي الْبُضْعِ عَنْهَا الْغُلَامُ<sup>(١)</sup>  
إِذَا مَا مَشَى غَضَّ مِنْ طَرْفِهِ      وَفِي اللَّيْلِ بِالْدَّيْرِ مِنْهُ عُرَامُ<sup>(٢)</sup>  
وَدَيْرُ الْعَذَارَى فُضُوخٌ لَهُ      وَعِنْدَ اللَّصُوصِ حَدِيثُ الْأَنَامِ<sup>(٣)</sup>  
قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ : هَؤُلَاءِ لُصُوصٌ نَزَلُوا دَيْرَ الْعَذَارَى لَيْلًا ، فَأَخَذُوا الْقَسَّ  
فَشَدُّوه وَثَاقًا ، ثُمَّ أَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ جَارِيَةً - فَتَاةً - فَوَجَدُوهُنَّ مُفْتَضَّاتٍ قَدْ  
أَفْتَضَّهِنَّ الْقَسُّ كُلَّهُنَّ .

٧٨٧ - وَقَدْ قَرَأْتُ فِي « الْحَيَوَانِ » [ ١٢٥ / ١ ] لِلْجَاحِظِ حَدِيثًا بَدِيعًا عَزَاهُ إِلَى  
رَجُلٍ مِنَ الصَّابِيِّينَ يُسَمَّى : أَبَا الْمُبَارَكِ الصَّابِيَّ ، نُوْرِدُهُ هُنَا لِتَعْلَمَ مِقْدَارَ فِتْنَةِ  
النِّسَاءِ وَمَحَلَّهُنَّ مِنْ قُلُوبِ الرِّجَالِ ، وَكَانَ أَبُو الْمُبَارَكِ هَذَا قَدْ خَصَى نَفْسَهُ ،  
وَكَانَ قَدْ أَرَبَى عَلَى الْمِئَةِ ، وَكَانَ الْمُلُوكُ وَالْعُظَمَاءُ يَتَعَنُّونَ إِلَيْهِ وَيَسْمَعُونَ مِنْهُ ،  
وَيَسْمُرُ عِنْدَهُمْ ، لِلَّذِي يَجِدُونَهُ عِنْدَهُ مِنَ الْفَهْمِ وَالْإِفْهَامِ ، وَطَرَفِ الْأَخْبَارِ ؛

(١) الْمَمْكُورَةُ : الْمَطْوِيَّةُ الْخَلْقِ مِنَ النِّسَاءِ الْمُسْتَدِيرَةِ السَّاقَيْنِ .

(٢) عُرَامٌ : شَرَاسَةٌ .

(٣) دَيْرُ الْعَذَارَى : دَيْرٌ قَدِيمٌ يَقْرُبُ سُرٍّ مِنْ رَأَى ، كَانَ بِهِ نِسَاءٌ عَذَارَى مُتْرَهَبَاتٍ . أَنْظُرْ « مَسَالِكَ  
الْأَبْصَارِ فِي مَمَالِكِ الْأَمْصَارِ » لِابْنِ فَضْلِ اللَّهِ الْعَمَرِيِّ وَ« مُعْجَمَ الْبُلْدَانِ » لِيَاقُوتَ .

قَالَ الْجَاحِظُ [ « الحيوان » ١/ ١٢٦ ] : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ ، قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ : وَجَزَى ذِكْرُ النِّسَاءِ وَمَحَلَّهِنَّ مِنْ قُلُوبِ الرِّجَالِ ، حَتَّى زَعَمُوا أَنَّ الرَّجُلَ كُلَّمَا كَانَ عَلَيْهِنَّ أَخْرَصَ كَانَ ذَلِكَ أَدَلَّ عَلَى تَمَامِ الْفُحُولَةِ فِيهِ ، وَكَانَ أَذْهَبَ لَهُ فِي النَّاحِيَةِ الَّتِي هِيَ فِي خِلْقَتِهِ وَمَعْنَاهُ وَطَبْعِهِ ، إِذْ كَانَ قَدْ جُعِلَ رَجُلًا وَلَمْ يُجْعَلْ أَمْرًا . قَالَ ابْنُ عَبَّادٍ : فَقَالَ لَنَا : أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي قَدْ أَرَبَيْتَ عَلَى الْمِثَّةِ ، فَيَنْبَغِي لِمَنْ كَانَ كَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ وَهْنُ الْكِبَرِ وَنَفَاذُ الذِّكْرِ <sup>(١)</sup> ، وَمَوْتِ الشَّهْوَةِ ، وَأَنْقِطَاعُ يَنْبُوعِ الطُّفْطَةِ ؛ قَدْ أَمَاتَ حَيْنَهُ إِلَى النِّسَاءِ وَتَفْكِيرُهُ فِي الْغَزْلِ . قَالَ : قُلْنَا : صَدَقْتَ . قَالَ : وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَنْ عَوَّدَ نَفْسَهُ تَرْكَهُنَّ مُدَدًّا ، وَتَخَلَّى عَنْهُنَّ سِنِينَ وَدَهْرًا ؛ أَنْ تَكُونَ الْعَادَةُ ، وَتَمَرُّبِنُ الطَّبِيعَةِ ، وَتَوَطُّبِنُ النَّفْسِ ؛ قَدْ حَطَّ مِنْ ثِقَلِ مُنَازَعَةِ الشَّهْوَةِ ، وَدَوَاعِيِ الْبَاءَةِ ؛ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الْعَادَةَ (الَّتِي) هِيَ الطَّبِيعَةُ الثَّانِيَةُ ، قَدْ تَسْتَحْكِمُ بَعْضُ عَمِدِ هَجَرٍ لِمَلَامَسَةِ النِّسَاءِ . قَالَ : قُلْنَا : صَدَقْتَ . قَالَ : وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَنْ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ الْخُلُوعِ بِهِنَّ وَلَمْ يُجَالِسْهُنَّ مُبَدَّلَاتٍ ، وَلَمْ يَسْمَعْ حَدِيثَهُنَّ وَخَلَابَتَهُنَّ لِلْقُلُوبِ ، وَأَسْتَحَالَتَهُنَّ لِلْأَهْوَاءِ ، وَلَمْ يَرَهُنَّ مُنْكَشِفَاتٍ عَارِيَّاتٍ ، إِذَا تَقَدَّمَ لَهُ ذَلِكَ مَعَ طُولِ التَّرْكِ ، أَلَّا يَكُونَ بَقِي مَعَهُ مِنْ دَوَاعِيهِنَّ شَيْءٌ . قَالَ : قُلْنَا : صَدَقْتَ . قَالَ : وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لِمَنْ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ مَجْبُوبٌ ، وَأَنَّ سَبَبَهُ إِلَى خِلَاطِهِنَّ مَحْسُومٌ ، أَنْ يَكُونَ أَلْيَاسُ مِنْ أَمْتِنِ أَسْبَابِهِ إِلَى الزُّهْدِ وَالسَّلْوَةِ ، وَإِلَى مَوْتِ الْخَوَاطِرِ . قَالَ : قُلْنَا : صَدَقْتَ . قَالَ : وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَنْ دَعَاهُ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا ، وَفِيمَا يَخْتَوِيهِ النِّسَاءُ مَعَ جَمَالِهِنَّ وَفِتْنَةِ النِّسَاكِ بِهِنَّ ، وَأَتَّخَذَ الْأَنْبِيَاءَ لَهُنَّ ، إِلَى أَنْ خَصَّ نَفْسَهُ ، وَلَمْ يُكْرِهْهُ عَلَيْهِ أَبٌ وَلَا عَدُوٌّ ، وَلَا سَبَابٌ سَابَ ؛ أَنْ يَكُونَ مِقْدَارُ ذَلِكَ الزُّهْدِ هُوَ

(١) الذِّكْرُ هُنَا بِمَعْنَى التَّذْكَارِ .

الْمَقْدَارَ الَّذِي يُمِيتُ الذَّكَرَ لَهُنَّ ، وَيُسَرِّي عَنْهُ أَلَمَ فَقْدِ وُجُودِهِنَّ ، وَيُنَبِّغِي لِمَنْ  
كَانَ فِي إِمْكَانِهِ أَنْ يُنْشِئَ الْعُزْمَ ، وَيَخْتَارَ الْإِرَادَةَ الَّتِي يَصِيرُ بِهَا إِلَى قَطْعِ ذَلِكَ  
الْعُضْوِ الْجَامِعِ لِكِبَارِ اللَّذَاتِ ، وَإِلَى مَا فِيهِ مِنَ الْأَلَمِ ، وَمَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْخَطَرِ ،  
وَإِلَى مَا فِيهِ مِنَ الْمُثْلَةِ وَالْتَقْصِ الدَّاخِلِ عَلَى الْخِلْقَةِ ؛ أَنْ تَكُونَ الْوَسَاوِسُ فِي  
هَذَا الْبَابِ لَا تَعْرِوهُ ، وَالِدَّوَاعِي لَا تَقْرُوهُ . قَالَ : قُلْنَا : صَدَقْتَ . قَالَ :  
وَيُنَبِّغِي لِمَنْ سَخَتْ نَفْسُهُ عَنِ السَّكَنِ ، وَعَنِ الْوَلَدِ ، وَعَنْ أَنْ يَكُونَ مَذْكُورًا  
بِالْعَقَبِ الصَّالِحِ ، أَنْ يَكُونَ قَدْ نَسِيَ هَذَا الْبَابَ إِنْ كَانَ قَدْ مَرَّ مِنْهُ عَلَى ذِكْرِ هَذَا ؛  
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي سَمَلْتُ عَيْنِي يَوْمَ خَصَيْتُ نَفْسِي ، فَقَدْ نَسِيتُ كَيْفِيَّةَ الصُّورِ  
وَكَيْفَ تَرَوْعُ ، وَجَهَلْتُ الْمُرَادَ مِنْهَا ، وَكَيْفَ تُرَادُ ، أَفَمَا كَانَ [مِنْهُ كَانَ كَذَلِكَ] حَرِيًّا  
أَنْ تَكُونَ نَفْسُهُ سَاهِيَةً لَاهِيَةً مَشْغُولَةً بِالْبَابِ الَّذِي أُخْتَمَلَ لَهُ هَذِهِ الْمَكَارِهِ . قَالَ :  
قُلْنَا : صَدَقْتَ . قَالَ : أَوْلَوْ لَمْ أَكُنْ هَرِمًا ، وَلَمْ يَكُنْ هَاهُنَا طُولُ اجْتِنَابِ ،  
وَكَانَتْ آلَاةُ قَائِمَةً ؛ أَلَيْسَ فِي أَنِّي لَمْ أَذُقْ حَيَوَانًا مُنْذُ ثَمَانِينَ سَنَةً ، وَلَمْ تَمْتَلِءْ  
عُرُوقِي مِنَ الشَّرَابِ مَخَافَةَ الزِّيَادَةِ فِي الشَّهْوَةِ ، وَالْتَقْصَانِ مِنَ الْعُزْمِ ؛ أَلَيْسَ فِي  
ذَلِكَ مَا يَفْطَعُ الدَّوَاعِي ، وَيُسْكِنُ الْحَرَكَةَ إِنْ هَاجَتْ ؟ قَالَ : قُلْنَا : صَدَقْتَ .  
قَالَ : فَإِنِّي بَعْدَ جَمِيعِ مَا وَصَفْتُ لَكُمْ ، لَأَسْمَعَ نِعْمَةَ الْمَرْأَةِ فَأُظُنُّ مَرَّةً أَنْ كِبِيدِي  
قَدْ ذَابَتْ ، وَأُظُنُّ مَرَّةً أَنَّهَا قَدْ أَنْصَدَعَتْ ، وَأُظُنُّ مَرَّةً أَنْ عَقْلِي قَدْ اخْتَلَسَ ،  
وَرُبَّمَا اضْطَرَبَ فُؤَادِي عِنْدَ ضَحِكِ إِخْدَاهُنَّ حَتَّى أَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ مِنْ فَمِي ،  
فَكَيْفَ الْيَوْمَ عَلَيْهِنَّ غَيْرِي ؟

قَالَ الْجَاحِظُ : فَإِنْ كَانَ - حَفِظَكَ اللَّهُ تَعَالَى - قَدْ صَدَقَ عَلَى نَفْسِهِ فِي تِلْكَ  
الْحَالِ ، بَعْدَ أَنْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ هَذِهِ الْخِصَالُ ، فَمَا ظَنُّكَ بِهَذَا قَبْلَ هَذَا الْوَقْتِ  
بِنَحْوِ سِتِّينَ سَنَةً أَوْ سَبْعِينَ سَنَةً ؟ وَمَا ظَنُّكَ بِقَبْلِ الْخِصَاءِ بِسَاعَةِ ؟ ! وَلَيْسَ فِي  
الْإِسْتِطَاعَةِ وَلَا فِي صِفَةِ الْإِمْكَانِ ، أَنْ يُخْتَجَزَ عَنْ إِرَادَةِ النِّسَاءِ ، وَمَعَهُ مِنْ

الْحَاجَّةُ إِلَيْهِنَّ وَالشَّهْوَةُ لَهُنَّ هَذَا الْمِقْدَارُ ! اللَّهُ تَعَالَى أَرْحَمُ بِخَلْقِهِ ، وَأَعْدَلُ عَلَى عِبَادِهِ ، مِنْ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ هِجْرَانَ شَيْءٍ قَدْ وَصَلَهُ بِقُلُوبِهِمْ هَذَا الْوَضْلَ وَأَكْغَدَهُ هَذَا التَّأْكِيدَ .

\* \* \*

٧٨٨ - وَفِي الْأَثَرِ : « إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبَلُ وَتُذْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ ، فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمْ أَمْرًا فَأَعْجَبْتَهُ فَلْيَعْمَدْ إِلَى أَمْرَاتِهِ فَلْيُواقِعْهَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ » [مسلم ، رقم : ١٤٠٣] . قَوْلُهُ : « إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبَلُ وَتُذْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ » ، إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْهَوَى وَالْفِتْنَةِ بِجَمَالِهَا وَمَا رُكِبَ فِي طَبَاعِ الرَّجُلِ مِنَ الْمِثْلِ إِلَيْهَا ، كَمَا يَدْعُو الشَّيْطَانُ بِوَسْوسَتِهِ وَإِغْوَاثِهِ لِذَلِكَ ؛ وَقَوْلُهُ : « فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمْ أَمْرًا ... الخ » تَنْبِيْهُ إِلَى دَوَاءِ الدَّاءِ الْمُحَرِّكِ لِلشَّهْوَةِ ، بِإِطْفَائِهِ بِالْمُوَاقَعَةِ وَتَسْكِينِ النَّفْسِ بِإِرَاقَةِ مَا تَحَرَّكَ مِنَ الْمَاءِ .

\* \* \*

٧٨٩ - وَقَالَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ : صَحِبْتُ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، مَا سَمِعْتُهُ قَطُّ خَاصَ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَخُوضُ فِيهِ النَّاسُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا ، إِنَّمَا كَانَ أَكْثَرَ ذِكْرِهِ الْمَوْتَ ، حَتَّى أَتَتْهُ أَمْرَاءُ يَوْمًا نَاهِيكَ مِنْ أَمْرَةٍ شَبَابًا وَجَمَالًا وَشَخْمًا وَلَحْمًا ، يَذْفَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، فَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَالَتْ : يَا شَيْخُ ! أَيْحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَتَزَوَّجَ عَلَى أَمْرَاتِهِ وَهِيَ شَابَّةٌ جَمِيلَةٌ وَلَوْ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ أَرْبَعًا ؛ قَالَ : فَكَشَفْتُ عَنْ وَجْهِ لَمْ يَرِ مِثْلُهُ حُسْنًا ، وَقَالَتْ : أَوْ عَلَى مِثْلِي ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَتْ : سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ ! بِعَيْشِكَ يَا أَبَا سَعِيدٍ لَا تُفْتِ الرِّجَالَ بِهَذَا ؛ ثُمَّ قَامَتْ مُنْصَرِفَةً ، وَاتَّبَعَهَا الْحَسَنُ بَصَرُهُ ، قَالَ : مَا ضَرَّ أَمْرًا كَانَتْ هَذِهِ عِنْدَهُ مَا فَاتَهُ مِنْ دُنْيَاهُ ...

\* \* \*

٧٩٠ - وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : وَكُلُّكُمْ حَصَانٌ مَا لَمْ يُرَاوِذْ .  
حَصَانٌ : عَفِيفٌ ؛ وَمَا لَمْ يُرَاوِذْ : مَا لَمْ تَتَعَرَّضْ لَهُ النِّسَاءُ .

\* \* \*

٧٩١ - وَعَتَبَتْ الْأَسْوَدَ الْخَاقَانِيَّ أَمْرَأَتُهُ عَلَى هَوًى لَهُ ، فَقَالَ [من الخفيف] :  
وَيْكَ إِنَّ الْمَلَامَ يُغَرِّي الْمَلُومَا      لَيْسَ جُزْمِي كَمَا زَعَمْتَ عَظِيمَا  
إِنْ أَكُنْ عَاشِقًا فَلَمْ آتِ إِلَّا      مَا أَتَتْهُ الرِّجَالُ قَبْلِي قَدِيمَا  
إِنَّمَا يَكْثُرُ التَّعْجَبُ مِمَّنْ      كَانَ مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ سَلِيمَا  
[سيرد برقم : ٩٨٩] .

\* \* \*

٧٩٢ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَقِيتُ أَمْرَأَةً مِنْ قَوْمِي بِمَكَّةَ ، فَجَلَسْتُ أَحَدُهَا ،  
وَعَبَدَ اللَّهُ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُصَلِّي ، فَسَمِعَنِي أَقُولُ لَهَا : يَا فُلَانَةُ !  
أَسْتَوْحَشُ لِفِرَاقِكَ الْقَلْبُ ، وَجَاوَرَنِي مَنْ لَا أَهْوَى ، فَكُنْتُ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ [من  
الطويل] :

أَيُّبَعْدُ مَنْ أَهْوَى وَيُسَعِفُنَا النَّوَى      بِمَنْ لَا يُبَالِي أَنْ يُفَارِقَهُ أَهْلِي  
فَأَقْبَلَ عَلَيَّ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَقَالَ : مَنْ هَذِهِ مِنْكَ ؟ قُلْتُ : مِنَ الْعَشِيرَةِ وَبَنَاتِ  
الْعَمِّ ؛ فَقَالَ : فَمَنْ وَإِلَّا وَقَعْتُمَا فِي فِتْنَةٍ ، « إِنَّ النِّسَاءَ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ » [« كنز  
العمال » ، رقم : ٤٣٥٨٧] ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَخْلُوَ بِأَمْرَأَةٍ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَحْرَمًا .

حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ : مَصَائِدُهُ ، وَاحِدُهَا حِبَالَةٌ - بِكَسْرِ الْحَاءِ - وَهُوَ :  
مَا يُصَادُ بِهِ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ ؛ وَالْمَحْرَمُ : ذَاتُ الرَّحِمِ فِي الْقَرَابَةِ ، أَيْ :  
لَا يَحِلُّ تَزْوِيجُهَا .

\* \* \*

٧٩٣- وَقَالَ حَكِيمٌ : أَضُرُّ الْأَشْيَاءَ بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ وَالدِّينِ وَالْعَقْلِ  
وَالْعِرْضِ شِدَّةُ الْإِغْرَامِ بِالنِّسَاءِ ، وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يُتَكَلَّى بِهِ الْمُغْرَمُ بِهِنَّ أَنَّهُ لَا يَقْتَصِرُ  
عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنْهُنَّ ، وَلَوْ كُنَّ أَلْفًا ، وَيُطْمَحُ إِلَى مَا لَيْسَ لَهُ مِنْهُنَّ .

\* \* \*

٧٩٤- وَقَالَ أَبُو فِرَاسٍ الْحَمْدَانِيُّ [من الطويل] :

لَقَدْ ضَلَّ مَنْ تَحْوِي هَوَاهُ خَرِيدَةً      وَقَدْ ذَلَّ مَنْ تَقْضِي عَلَيْهِ كَعَابُ  
[« ديوان أبي فراس » صفحة : ٢٤ ] .

\* \* \*

٧٩٥- وَقَالَ الْمُتَنَبِّيُّ [من الوافر] :

وَمَنْ خَبَرَ أَلْغَوَانِي فَأَلْغَوَانِي      ضِيَاءٌ فِي بَوَاطِنِهِ ظَلَامُ  
[« ديوان أبي الطيب » صفحة : ١٠١ ] .

يَعْنِي الْمُتَنَبِّيُّ : إِنَّهُنَّ يُتَعَبَّنَ مَنْ يَصُبُّ إِلَيْهِنَّ وَيَعْلُقُ قَلْبُهُ بِحُبِّهِنَّ .

\* \* \*

٧٩٦- وَمِمَّا يَصِحُّ إِيرَادُهُ هُنَا ، وَإِنْ كَانَ سَيِّئَاتِي أَشْبَاهُهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ

هَذَا الْكِتَابِ ، قَوْلُ بَعْضِهِمْ [من الكامل] :

لَا يَأْمَنَنَّ عَلَى النِّسَاءِ أَخٌ أَوْ أَخَا      مَا فِي الرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ أَمِينُ

[« ديوان الإمام علي ابن أبي طالب » صفحة : ١٢١ ] .



٧٩٧ - وَقَوْلُ الْمَعَرِّي [من الوافر] :

إِذَا بَلَغَ الْوَلِيدُ لَدَيْكَ عَشْرًا      فَلَا يَدْخُلُ عَلَى الْحُرْمِ الْوَلِيدُ  
فَإِنْ خَالَفْتَنِي وَأَضَعْتَ نُضْجِي      فَأَنْتَ - وَإِنْ رُزِقْتَ حِجَابًا - بَلِيدُ  
أَلَا إِنَّ النِّسَاءَ جِبَالٌ غِي      بِهِنَّ يُضَيِّعُ الشَّرَفُ الْتَلِيدُ

[« اللزوميات » صفحة : ٢٣٧ ] .

٧٩٨ - وَقَوْلُ الْأَخْطَلِ [من الكامل] :

الْمُهْدِيَاتُ لِمَنْ هَوِيَنَّ مَسَبَّةً      وَالْمُحْسِنَاتُ لِمَنْ قَلِيَنَّ مَقَالًا  
وَإِذَا وَعَدْنَاكَ نَائِلًا أَخْلَفْنَاهُ      وَوَجَدْتَ دُونَ عِدَاتِهِنَّ مِطَالًا  
وَإِذَا دَعَوْنَاكَ عَمَّهُنَّ فَإِنَّهُ      نَسَبُ يَزِيدُكَ عِنْدَهُنَّ خَبَالًا  
وَإِذَا دَعَوْنَاكَ بِأَخِي فَإِنَّهُ      أَذْنَى وَأَقْرَبُ خُلَّةٍ وَوَصَالًا

[« ديوان الأخطل » صفحة : ٢٤٦ ] .

٧٩٩ - وَقَدْ نَظَرَ الطَّبِيبُ الشَّاعِرُ الْأَنْدَلُسِيُّ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ زَهْرٍ إِلَى أَبْيَاتِ

الْأَخْطَلِ فِي أَبْيَاتِهِ الطَّرِيفَةِ الَّتِي قَالَهَا حِينَ شَاخَ ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ الشَّيْبُ [من

البسيط] :

إِنِّي نَظَرْتُ إِلَى الْمِرَاةِ قَدْ جُلِيَتْ      فَأُنْكَرْتُ مُقْلَتَايَ كُلَّ مَا رَأَتَا  
رَأَيْتُ فِيهَا شَوْيخًا لَسْتُ أَعْرِفُهُ      وَكُنْتُ أَعْهَدُهُ مِنْ قَبْلِ ذَاكَ فَتَى  
فَقُلْتُ أَيْنَ الَّذِي بِالْأَمْسِ كَانَ هُنَا      مَتَى تَرَحَّلَ عَنْ هَذَا الْمَكَانِ مَتَى  
فَأَسْتَضْحَكَ ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ مُعْجَبَةٌ      إِنَّ الَّذِي أَنْكَرْتَهُ مُقْلَتَاكَ أَتَى  
كَانَتْ سُلَيْمَى تُنَادِي يَا أَخِي وَقَدْ      صَارَتْ سُلَيْمَى تُنَادِي الْيَوْمَ يَا أَبَتَا



٨٠٠ - وَقَالَ الْكُمَيْثُ :

وَمَنْ يُطِيعِ النِّسَاءَ يُلَاقِ مِنْهَا . إِذَا أَعْمَزَنَ فِيهِ الْأَقْوَرَيْنَا  
يُقَالُ : أَعْمَزَ فِي الرَّجُلِ إِغْمَارًا : اسْتَضَعَفَهُ وَعَابَهُ وَصَغَّرَ شَأْنَهُ ؛  
وَالْأَقْوَرَيْنِ : الدَّوَاهِي ؛ يَقُولُ : مَنْ يُطِيعِ النِّسَاءَ إِذَا عِيبُهُ وَزَهْدُنَ فِيهِ يُلَاقِ  
الدَّوَاهِيَ الَّتِي لَا طَاقَةَ لَهُ بِهَا .

\* \* \*

٨٠١ - وَنُورِدُ هُنَا لِمُنَاسَبَةِ طَاعَةِ النِّسَاءِ وَصِيَّةَ الْأَعْرَابِيَّةِ الَّتِي أَوْصَتْ أَبْنَتَهَا  
عِنْدَ إِهْدَائِهَا - رَفَافِهَا - بِمَا يَأْتِي : أَقْلَعِي زُجَّ رُمَحِهِ ، فَإِنْ أَقَرَّ فَأَقْلَعِي سِنَانَهُ  
(سِنَانُ رُمَحِهِ) ، فَإِنْ أَقَرَّ فَأَكْسِرِي الْعِظَامَ بِسِنِيهِ ، فَإِنْ أَقَرَّ فَأَقْطَعِي اللَّحْمَ عَلَى  
تُرْسِهِ ، فَإِنْ أَقَرَّ فَضْعِي الْإِكَافَ عَلَى ظَهْرِهِ فَإِنَّهُ حِمَارٌ . وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا [ رقم :  
٦٦١ ] .

\* \* \*

٨٠٢ - وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ  
بِأَمْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ » [ البخاري ، رقم : ٥٢٣٣ ؛ مسلم رقم : ١٣٤١ ] .  
ذُو الْمَحْرَمِ : مَنْ لَا يَحِلُّ لَهُ نِكَاحُهَا مِنَ الْأَقَارِبِ ، كَالْأَبِ وَالْأَبْنِ وَالْعَمِّ ،  
وَمَنْ يَخْرِجِي مَجْرَاهُمْ .

\* \* \*

٨٠٣ - وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : « لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِأَمْرَأَةٍ ، فَأَيُّمَا رَجُلٌ خَلَا  
بِأَمْرَأَةٍ كَانَ الشَّيْطَانُ ثَالِثَهُمَا » [ الترمذي ، رقم : ١١٧١ ؛ « مسند أحمد » ، رقم : ١١٥ ] .

\* \* \*

٨٠٤ - وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِيَّاكُمْ وَالْدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ » ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَفَرَأَيْتَ الْحَمَوَ ؟ قَالَ : « الْحَمَوُ الْمَوْتُ » [البخاري ، رقم : ٥٢٣٢ ؛ مسلم ، رقم : ٢١٧٢] .

وَحَمَوُ الْمَرْأَةِ وَحَمُوهَا : أَبُو زَوْجِهَا وَأَخُو زَوْجِهَا ، وَكَذَلِكَ مَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِهِ ؛ قَالَ أَبُو الْأَعْرَابِيِّ : قَوْلُهُمْ : « الْحَمَوُ الْمَوْتُ » : كَلِمَةٌ تَقُولُهَا الْعَرَبُ ، كَمَا تَقُولُ : « الْأَسَدُ الْمَوْتُ » أَيُّ : لِقَاؤُهُ مِثْلُ الْمَوْتِ ، وَكَمَا تَقُولُ : « أَسْلَطَانُ نَارٌ » ، [وَالْمَعْنَى : أَخَذَرُوهُ كَمَا تَخَذَرُونَ الْمَوْتَ . « فتح الباري » ] فَمَعْنَى قَوْلِهِ : « الْحَمُ الْمَوْتُ » أَنَّ خَلْوَةَ الْحَمِ مَعَهَا أَشَدُّ مِنْ خَلْوَةِ غَيْرِهِ مِنَ الْغُرَبَاءِ ، لِأَنَّهُ رُبَّمَا حَسَنَ لَهَا أَشْيَاءَ وَحَمَلَهَا عَلَى أُمُورٍ تَثْقُلُ عَلَى الزَّوْجِ ، مِنَ التِّمَاسِ مَا لَيْسَ فِي وَسْعِهِ أَوْ سُوءِ عُسْرَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، وَلِأَنَّ الزَّوْجَ لَا يُؤَثِّرُ أَنْ يَطْلُعَ الْحَمُّ عَلَى بَاطِنِ حَالِهِ بِدُخُولِ بَيْتِهِ . [ « النهاية » لابن الأثير ] . قَالَ الْإِمَامُ الْأَزْهَرِيُّ [ « لسان العرب » مادة : حما ] : كَأَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْفَسَادَ الَّذِي يَجْرِي بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَأَحْمَانِهَا أَشَدُّ مِنْ فَسَادِ يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْغَرِيبِ ، وَلِذَلِكَ جَعَلَهَا كَالْمَوْتِ .

وَعِبَارَةُ الْمُتَاوِي فِي شَرْحِ الْحَدِيثِ [ « فيض القدير » ، رقم : ٢٩٠٥ ] : أَيُّ : إِنْ دُخِلَ الْحَمَوُ عَلَى زَوْجَةِ أَخِيهِ يُشَبِّهُ الْمَوْتَ فِي الْأَسْتِفْبَاحِ وَالْمُفْسَدَةِ ، [ فَهُوَ مُحَرَّمٌ شَدِيدُ التَّحْرِيمِ ] ، وَإِنَّمَا بَالَعُ فِي الزَّجْرِ لِسَامِحِ النَّاسِ فِي ذَلِكَ حَتَّى كَأَنَّهُ غَيْرُ أَجَنِبِيٍّ مِنَ الْمَرْأَةِ ، وَخَرَجَ هَذَا مَخْرَجُ قَوْلِهِمْ : الْأَسَدُ الْمَوْتُ ، أَيُّ : لِقَاؤُهُ يُفْضِي إِلَيْهِ ، وَكَذَا دُخُولُ الْحَمَوِ عَلَيْهَا ، يُفْضِي إِلَى مَوْتِ الدِّينِ ، أَوْ إِلَى مَوْنِهَا بِطَلَاقِهَا عِنْدَ غَيْرَةِ الزَّوْجِ أَوْ بِرَجْمِهَا إِنْ زَنَتْ مَعَهُ ، وَقَدْ بَالَعُ مَالِكٌ - هُوَ الْإِمَامُ مَالِكٌ صَاحِبُ الْمَذْهَبِ - فِي هَذَا الْبَابِ حَتَّى مَنَعَ مَا يَجُرُّ إِلَى التُّهْمِ ، كَخَلْوَةِ

أَمْرًا بِأَبْنِ زَوْجِهَا ، وَإِنْ كَانَتْ جَائِزَةً ؛ إِلَى أَنْ قَالَ : وَالْحَمْدُ : أَخُ الزَّوْجِ وَقَرِيْبُهُ .

\* \* \*

وَصَفُّهُنَّ بِغَلَبَةِ الرِّجَالِ :

٨٠٥ - قَالَ أَحَدُهُمْ لِمُعَاوِيَةَ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ كَيْفَ نَسُبُكَ إِلَى الْعَقْلِ وَقَدْ غَلَبَ عَلَيْكَ نِصْفُ إِنْسَانٍ - يُرِيدُ غَلَبَةَ أَمْرَاتِهِ عَلَيْهِ - فَقَالَ مُعَاوِيَةُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الْبَلِيغَةُ الْبَعِيدَةُ الْغَوْرُ : إِنَّهُنَّ يَغْلِبْنَ الْكِرَامَ وَيَغْلِبُهُنَّ اللَّثَامُ .

\* \* \*

٨٠٦ - وَقَالَ صَاحِبُ بَنِي دُبْيَانَ [من الطويل] :

وَيَجْمَعْنَ ضَعْفًا وَأَقْدَارًا عَلَى الْفَتَى      أَلَيْسَ عَجِيبًا ضَعْفُهَا وَأَقْدَارُهَا

\* \* \*

٨٠٧ - وَقَالَ جَرِيرٌ [من البسيط] :

إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ      قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُخَيِّنَ قَتْلَانَا<sup>(١)</sup>  
يَضْرَعْنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حِرَاكَ بِهِ      وَهُنَّ أَضَعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا

[ « ديوان جرير » صفحة : ٤٩٠ ] .

٨٠٨ - وَقَالَ هَارُونُ الرَّشِيدُ فِي ثَلَاثٍ مِنْ جَوَارِيهِ [من الكامل] :

مَلَكَ الثَّلَاثُ الْإِنْسَانُ عِنَانِي      وَحَلَلَنَ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ

(١) قَوْلُهُ : « قَتَلْنَا » قَالَ السَّيِّدُ الْمُزْتَضِيُّ فِي أَمَالِيهِ : الْمَعْنَى : كِذَّنَ يَقْتُلُنَا ، ثُمَّ قَالَ : فَأَمَّا قَوْلُهُ : ثُمَّ لَمْ يُخَيِّنَ قَتْلَانَا ، فَإِنَّ مَعْنَاهُ أَنَّهُنَّ لَمْ يَرْلُنَّ يَفْعَلْنَ مَا قَارَبْنَا عِنْدَهُ الْمَوْتَ وَالْقَتْلَ ، مِنْ الصُّدُودِ وَالْهَجْرِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَسَمِيَ هَذِهِ الْأُمُورَ قَتْلًا كَمَا سَمِيَ أَصْدَادَهَا حَيَاةً .

مَا لِي تُطَاوِعُنِي الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا وَأُطِيعُهُنَّ وَهُنَّ فِي عِضْيَانِي  
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ سُلْطَانَ الْهَوَىٰ وَبِهِ يَصْلُنَ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي

[ « ديوان العباس بن الأحنف » صفحة : ٣١٢ ] .

وَيُقَالُ : إِنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ الْأَحْنَفِ هُوَ صَاحِبُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ قَالَهَا عَلَى لِسَانِ  
الرَّشِيدِ حِينَ طُلِبَ إِلَيْهِ ذَلِكَ ، وَهِيَ بِنَفْسِ الْعَبَّاسِ أَشْبَهُ .

٨٠٩ - وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ [ الْحَكَمِ الْمَرْوَانِيُّ ، الْمُلَقَّبُ بِـ ] الْمُسْتَعِينِ  
الْخَلِيفَةُ الْأَمْوِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ يُعَارِضُ الرَّشِيدَ [ من الكامل ] :

عَجَبًا يَهَابُ اللَّيْتُ حَدَّ سِنَانِي وَأَهَابُ لَحْظَ فَوَاتِرِ الْأَجْفَانِ  
وَأَقَارِعُ الْأَهْوَالِ لَا مُتَهَيِّيًا مِنْهَا سِوَى الْإِعْرَاضِ وَالْهَجْرَانِ  
وَتَمَلَّكَتْ قَلْبِي ثَلَاثٌ كَالدُّمَى زُهْرُ الْوُجُوهِ نَوَاعِمُ الْأَبْدَانِ  
كَكَوَاكِبِ الظُّلُمَاءِ لُحْنٌ لِنَاطِرِ مَنْ فَوْقِ أَغْصَانِ عَلَى كُشْبَانِ  
هَٰذِي الْأَهْلَالِ ، وَتِلْكَ بِنْتُ الْمُشْتَرِي حُسْنًا ، وَهَٰذِي أُخْتُ غُصْنِ الْبَنَانِ  
فَحَاسَمْتُ فِيهِنَّ أَسْلُوءُ إِلَى الصَّبَا فَقَضَى لِسُلْطَانِ عَلَى سُلْطَانِ  
فَأَبْحَنَ مِنْ قَلْبِي الْحِمَى فِي عِزِّ مُلْكِي كَالْأَسِيرِ أَلْعَانِي  
لَا تَغْذِلُوا مَلِكًا تَذَلَّلَ فِي الْهَوَى دُلُّ الْهَوَى عِزُّ وَمُلْكُ ثَانِي  
مَا ضَرَّ أَنِّي عَبْدُهُنَّ صَبَابَةً وَيُنُو الزَّمَانَ وَهُنَّ مِنْ عُبْدَانِي  
إِنْ لَمْ أُطِغْ فِيهِنَّ سُلْطَانَ الْهَوَى كَلَفًا بِهِنَّ فَلَسْتُ مِنْ مَرْوَانِ

\* \* \*

٨١٠ - وَقَالَ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ [ من الخفيف ] :

نَحْنُ قَوْمٌ تُلِينَا الْحَدَقُ التُّجْدُ لُ عَلَى أَنَّا نُلِينُ الْحَدِيدَا

طَوَّعُ أَيَدِي الظُّبَاءِ تَقْتَادُنَا الْعِيدُ      سُرُ وَنَقْتَادُ بِالطَّعَانِ الْأُسُودَا  
نَمْلِكُ الصَّيْدَ ثُمَّ تَمْلِكُنَا الْكَيْدُ      ضُرُ الْمَصُونَاتُ أَعْيُنَا وَخُدُودَا<sup>(١)</sup>  
تَتَّقِي سُخْطَنَا الْأُسُودُ وَنَخْشَى      سَخَطَ الْخَشْفِ حِينَ يُبْدِي الصَّدُودَا<sup>(٢)</sup>  
فَتَرَانَا يَوْمَ الْكَرِيهَةِ آخِرَا      رَأَوْفِي السَّلَامِ لِلْغَوَانِي عَيْدَا<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

٨١١ - وَبَعْدُ ؛ فَقَدْ بَانَ لَكَ مِمَّا أَسْلَفْنَا فِي عِبَرَاتِهِمْ فِي فِتْنَةِ النِّسَاءِ أَنَّ  
النِّسَاءَ بِحَقِّ فِتْنَةٍ أَلْفَتْنِ ، وَهَذَا مِمَّا لَا رَيْبَ فِيهِ ، فَكَمْ مَاتَ بِهِنَّ مِنْ كَرِيمٍ ،  
وَعَطِبَ بِهِنَّ مِنْ سَلِيمٍ ، وَجُنَّ بِهِنَّ مِنْ عَاقِلٍ وَكَمْ وَكَمْ ، وَإِذَنْ كَانَ الْأَمْثَلُ  
بِالرَّجُلِ أَنْ يُبْقِيَ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى عَقْلِهِ وَعَلَى مَالِهِ وَعَلَى عِرْضِهِ وَعَلَى دِينِهِ وَعَلَى  
خُلُقِهِ بِالْإِتِّعَادِ عَنْ أَسْبَابِ الْإِفْتِنَانِ بِهِنَّ مَا وَجَدَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا ، وَأَنْ يَسْتَمْتِعَ  
بِهِنَّ فِي حُدُودِ الشَّرِيعَةِ ، أَعْنِي فِي حُدُودِ الْعَقْلِ وَالْمَثَلِ الْعُلْيَا ، وَكَذَلِكَ كَانَ  
الْأَمْثَلُ بِالرَّجُلِ أَنْ يَحْفَظَ مَنْ يَرْعَاهُ مِنَ النِّسَاءِ ، وَأَنْ يَصُونَهُنَّ وَلَا يُعْرِضَهُنَّ  
لِإِفْتِنَانِ الرِّجَالِ بِهِنَّ ، فَإِنَّ كُلَّ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ  
زَوْجَتِهِ وَبَنَاتِهِ وَسَائِرِ مَنْ يَرْعَاهُ مِنَ النِّسَاءِ .

٨١٢ - هَذَا ؛ وَمِنْ بَابِ فِتْنَةِ النِّسَاءِ مَا حَكَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي حَقِّ الزَّوْجَاتِ  
مِنْ أَنْ مِنْهُنَّ مَنْ هُنَّ عَدَوَاتٌ لِلرِّجَالِ يَشْعَلْنَهُمْ عَنْ كُلِّ نَافِعٍ لَهُمْ ، قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ :  
﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ وَعَدُوِّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ  
تَعَفَّوْا وَتَضَفَّحُوا وَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة التغابن/ الآية : ١٤] يَقُولُ

(١) الصَّيْدُ ، يُرِيدُ الْمُلُوكَ .

(٢) الْخَشْفُ : وَلَدُ الظَّنِّي ، يُشَبَّهُ بِهِ الْإِنْسَانُ .

(٣) يَوْمَ الْكَرِيهَةِ : يَوْمُ الْحَرْبِ وَالطَّعَانِ .

سُبْحَانَهُ : إِنَّ مِنْ الْأَزْوَاجِ أَزْوَاجًا يُعَادِينَ بُعُولَتَهُنَّ وَيُخَاصِمُنَّهُنَّ وَيَجْلِينَ عَلَيْهِنَّ ،  
وَمِنْ الْأَوْلَادِ أَوْلَادًا يُعَادُونَ آبَاءَهُمْ وَيَعْتُونَهُمْ وَيَجْرِعُونَهُمُ الْغَصَصَ وَالْأَذَى ،  
فَكُونُوا مِنْ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا عَلَى حَذَرٍ ، وَلَا تَأْمِنُوا غَوَائِلَهُمْ وَشَرَّهُمْ ؛ أَيُّ يَقُولُ :  
إِنَّ مِنْ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا - الْأَزْوَاجُ وَالْأَوْلَادُ - مَنْ هُوَ فِتْنَةٌ لَكُمْ يَصُدُّونَكُمْ عَنْ كُلِّ  
مَا يُجِدِي عَلَيْكُمْ وَيَنْفَعُكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَلَا تَفْتَنُوا بِهِمْ وَخَالِفُوهُمْ ، وَإِنْ  
تَغَفَّوْا عَنْهُمْ وَتَصَفَّحُوا وَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، قِيلَ : إِنَّ نَاسًا أَرَادُوا  
الْهَجْرَةَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَتَبَّطَهُمْ أَزْوَاجُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ ، وَقَالُوا : تَنْطَلِقُونَ  
وَتُضَيِّعُونَنَا ! فَرَقُّوا لَهُمْ وَوَقَفُوا ، فَلَمَّا هَاجَرُوا بَعْدَ ذَلِكَ وَرَأَوْا الَّذِينَ سَبَقُوهُمْ قَدْ  
فَقَّهُوا فِي الدِّينِ أَرَادُوا أَنْ يُعَاقِبُوا أَزْوَاجَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ ، فَحَسَنَ اللَّهُ لَهُمُ الْعَفْوُ .



## البَابُ الْخَامِسُ

# حُتُّهُمْ عَلَى الْعِفَّةِ وَصَوْنِ النَّفْسِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَقَوْلُهُمْ فِي الزَّنا وَمَا إِلَيْهِ

٨١٣ - جَمَاعٌ مَعْنَى الْعِفَّةِ : الْكَفُّ عَمَّا لَا يَحِلُّ أَوْ ضَبْطُ النَّفْسِ وَتَنْزِيهُهَا عَنْ كُلِّ مَا يَهْوِي بِالْإِنْسَانِ إِلَى مُسْتَوَى الْحَيَوَانِ ، وَالْعِفَّةُ فَضِيلَةٌ بَيْنَ رَذِيلَتَيْنِ : رَذِيلَةِ الشَّرِّهِ وَالْإِسْتِخْدَاءِ لِلْأَهْوَاءِ ، الْأَهْوَاءُ الضَّارَّةُ غَيْرِ اللَّائِقَةِ بِالْمَثَلِ الْأَعْلَى وَالْكَمَالِ ؛ وَرَذِيلَةُ الْجُمُودِ ، جُمُودُ الشَّهَوَاتِ وَالْعَوَاطِفِ وَالْأَحَاسِيْسِ ؛ وَالْعِفَّةُ ضُرُوبٌ ، فَمِنْهَا عِفَّةُ اللِّسَانِ ، وَعِفَّةُ الْيَدِ ، وَعِفَّةُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ ، وَعِفَّةُ الْبَطْنِ ، وَعِفَّةُ الْفَرْجِ ؛ وَالَّذِي يَغْنِينَا هُنَا هُوَ عِفَّةُ الْفَرْجِ وَعِفَّةُ الْجَوَارِحِ الَّتِي تُوَدِّي إِلَى عِفَّةِ الْفَرْجِ .

٨١٤ - قَالَ اللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝ ﴾ [سورة النازعات/ الآيتان : ٤٠ و ٤١] .

مَقَامُ رَبِّهِ ، يُرَادُ بِهِ أَنَّ اللَّهَ قَائِمٌ عَلَيْهِ ، أَيْ : حَافِظٌ مُهَيِّمٌ ، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۖ ﴾ [سورة الرعد/ الآية : ٣٣] فَهُوَ يُرَاقِبُ ذَلِكَ فَلَا يَجْسُرُ عَلَىٰ مَعْصِيَةٍ ، وَقِيلَ : مَعْنَى مَقَامِ رَبِّهِ : مَوْقِفُهُ الَّذِي يَقِفُ فِيهِ الْعِبَادُ لِلْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ .

٨١٥ - وَقَالُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ۖ ﴾ [سورة الرحمن/ الآية : ٤٦] هُوَ الرَّجُلُ يَخْلُو بِالْمَعْصِيَةِ فَيَنْزِكُهَا خَوْفًا مِنَ اللَّهِ وَتَنْزِيهَا عَمَّا



يَشِينُ وَإِثَارًا لِمَا هُوَ خَيْرٌ وَأَجْمَلُ .

٨١٦ - وَالْهَوَىٰ مَا تَهَوَّاهُ الْأَنْفُسُ وَتَضْبُو إِلَيْهِ ، وَالْمُرَادُ بِهِ فِي أَغْلَبِ أَحْوَالِهِ وَإِطْلَاقَاتِهِ : الشَّهَوَاتُ الضَّارَّةُ الْمُعْطِبَةُ ، وَسُمِّيَ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَهْوِي بِصَاحِبِهِ إِلَى الْمَهَالِكِ ، وَيَنْزِلُ بِهِ إِلَى مَهَاوِي الْخِزْيِ وَالْهَوَانِ .

٨١٧ - وَفِي الْأَثَرِ : « مَنْ وَفِيَ شَرٌّ لَقَلَقَهُ وَقَبَّحَهُ وَذَبَذَبَهُ فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » [ « كنز العمال » ، رقم : ٧٨٧٢ ] .

وَفِي رِوَايَةٍ : « فَقَدْ وَفِيَ شِرَّةَ الشَّبَابِ » .

وَاللَّفْلَقُ : اللِّسَانُ ؛ وَالْقَبَقُ : الْبَطْنُ ، مِنَ الْقَبَقَةِ ، وَهِيَ : حِكَايَةُ صَوْتِ الْبَطْنِ ؛ وَالذَّبْذَبُ : الذِّكْرُ ، لِتَذَبُّدِهِ ، أَيْ : حَرَكَتِهِ .

٨١٨ - وَفِيهِ : « مَنْ حَفِظَ مَا بَيْنَ فُجْمَيْهِ وَرِجْلَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ » [ « كنز العمال » ، رقم : ٧٨٦٩ ] .

فُجْمَاهُ : لَحْيَاهُ ، أَيْ : مَنْ حَفِظَ فَمَهُ مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ وَقُبْحِ الْكَلَامِ ؛ وَمَنْ حَفِظَ فَرْجَهُ عَنِ الْحَرَامِ ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ .

٨١٩ - وَفِيهِ : « مَنْ أَحَبَّ فَعَفَّ فَمَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ » [ رواه ابن عدي في « الكامل » ١٢٦٣/٣ ؛ والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » ١٥٦/٥ و ٥٠/٦ ؛ وقد قال ابن القيم بطلانه ، راجع « روضة المحبين » ، و « الجواب الكافي » ] .

٨٢٠ - وَفِيهِ : « أَغْصِ الْهَوَىٰ وَالنِّسَاءَ وَأَصْنَعْ مَا شِئْتَ » [ راجع « كشف الخفاء » ، رقم : ١٦٣٦ ] .

٨٢١ - وَفِيهِ : « أَفْضَلُ الْجِهَادِ أَنْ يُجَاهِدَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ وَهَوَاهُ » [ « كنز العمال » ، رقم : ١١٢٦٢ ] .

٨٢٢ - وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : مَا الْمُجَاهِدُ الشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَعْظَمِ أَجْرٍ أَمِمَّنْ قَدَرَ فَعَفَّ ، لَكَادَ الْعَفِيفُ أَنْ يَكُونَ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ .

٨٢٣ - وَقِيلَ لِحَكِيمٍ : مَا أَحْسَنَ أَنْ يَصْبِرَ الْإِنْسَانُ عَمَّا يَشْتَهِي ! فَقَالَ : أَحْسَنُ مِنْهُ أَلَّا يَشْتَهِيَ إِلَّا مَا يَنْبَغِي . . .

٨٢٤ - وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : « لَا تَكُونَنَّ حَدِيدَ النَّظَرِ إِلَى مَا لَيْسَ لَكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَزْنِي فَرْجُكَ مَا حَفِظْتَ عَيْنِيكَ ، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا تَنْظُرَ إِلَى ثَوْبِ الْمَرْأَةِ الَّتِي لَا تَحِلُّ لَكَ فَافْعَلْ ، وَلَنْ تَسْتَطِيعَ ذَلِكَ - أَيْ : النَّظَرَ إِلَى الثَّوْبِ - إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ » .

٨٢٥ - مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمَةِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ : « حُقَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ ، وَحُقَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » [ البخاري ، رقم : ٦٤٨٧ ؛ مسلم ، رقم : ٢٨٢٢ ] .

أَصْلُ الْحَفِّ : الدَّائِرُ بِالشَّيْءِ الْمُحِيطُ بِهِ ؛ وَالْمَكَارِهِ جَمْعُ مَكْرَهَةٍ ، وَهُوَ : مَا يَكْرَهُهُ الْمَرْءُ وَيَشْقُ عَلَيْهِ مِنَ الْقِيَامِ بِالْوَاجِبِ ، الْوَاجِبِ نَحْوَ اللَّهِ وَنَحْوِ النَّاسِ وَنَحْوِ نَفْسِهِ ؛ وَالشَّهَوَاتُ جَمْعُ شَهْوَةٍ ، وَهِيَ : مَا تَصْبُو إِلَيْهِ النَّفْسُ وَتَهْوَاهُ ؛ وَالْحَدِيثُ تَمَثُّلٌ ؛ وَالْمَعْنَى : لَا يُوصَلُ إِلَى الْجَنَّةِ وَلَا تُنَالُ إِلَّا بِقَطْعِ مَغَاوِرِ الْمَكَارِهِ وَالصَّبْرِ عَلَيْهَا ؛ وَالنَّارُ لَا يَنْجُو مِنْهَا إِلَّا مَنْ حَطَمَ نَفْسَهُ عَنْ شَهَوَاتِهَا وَإِلَّا أَفْضَتْ بِهِ الشَّهَوَاتُ إِلَى النَّارِ ؛ وَالْحَدِيثُ مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي ذَمِّ الشَّهَوَاتِ وَالْحَثِّ عَلَى الطَّاعَاتِ .

\* \* \*

٨٢٦ - وَقِيلَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ : جِهَادُكَ هَوَاكَ .

٨٢٧- وَكَانَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ يَقُولُ : جَاهِدُوا أَهْوَاءَكُمْ كَمَا تُجَاهِدُونَ  
أَعْدَاءَكُمْ ، وَكَانَ يَقُولُ : مَا أَشَدَّ فَطَامَ الْكَبِيرِ <sup>(١)</sup> ! .

٨٢٨- وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَقُولُ : حَادِثُوا هَذِهِ الْقُلُوبَ ، فَإِنَّهَا سَرِيعَةٌ  
الذُّنُورِ ، وَأَقْدَعُوا هَذِهِ الْأَنْفُسَ فَإِنَّهَا طُلَعَةٌ ، وَإِنَّكُمْ إِلَّا تَقْدَعُوهَا تَنْزِعَ بِكُمْ إِلَى  
شَرِّ غَايَةٍ .

حَادِثُوا هَذِهِ الْقُلُوبَ : أَجْلُوهَا بِمُعَاهَدَتِهَا بِأَذْكَارِ الْمَوَاعِظِ وَأَسْتَبْصَارِ الْعِبَرِ  
حَتَّى يَزُولَ عَنْهَا الطَّبَعُ وَيَنْجَلِيَ الصَّدَأُ الَّذِي غَشِيَهَا بِمُلَابَسَةِ الذُّنُوبِ ؛  
وَأَقْدَعُوهَا : كُفُّوهَا عَمَّا تَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ مِنَ الشَّهَوَاتِ . وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْحَجَّاجِ :  
أَقْدَعُوا هَذِهِ الْأَنْفُسَ فَإِنَّهَا أَسْأَلُ شَيْءًا إِذَا أُعْطِيَتْ ، وَأَمْنَعُ شَيْءًا إِذَا سُئِلَتْ .

٨٢٩- وفي الحديث : « ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ : شُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ ،  
وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ » [ كنز العمال ، رقم : ٤٣٦٠٨ ] .

٨٣٠- وَقَالَ بُزْرَجِمَهْرٌ : إِذَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ أَمْرَانِ ، فَلَمْ تَذَرِ فِي أَيِّهِمَا  
الصَّوَابَ ، فَانْظُرْ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى هَوَاكَ فَخَالَفْهُ ، فَالْصَّوَابُ فِي مُخَالَفَةِ الْهَوَى .

٨٣١- وَقَالَ بَعْضُهُمْ [ هو أبو العنابه ، من الخفيف ] :

مَنْ أَجَابَ الْهَوَى إِلَى كُلِّ مَا يَدُ عُو إِلَيْهِ دَاعِيهِ ضَلَّ وَتَاهَا

٨٣٢- وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ [ من الطويل ] :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الْهَوَى قَادَكَ الْهَوَى إِلَى بَغْضٍ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالُ

٨٣٣- وَبَعَثَ أَحَدُ الْمُلُوكِ إِلَى أَحَدِ النُّسَاكِ : مَا لَكَ لَا تَخْدُمُنِي وَأَنْتَ

عَبْدِي ؟ فَقَالَ : لَوْ أَعْتَبَرْتَ لَعَلِمْتَ أَنَّكَ عَبْدُ عَبْدِي ؛ قَالَ : كَيْفَ ؟ قَالَ :

(١) كَانَ عَالِمًا زَاهِدًا لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، مَاتَ سَنَةَ ١٣١ هـ بِالْبَصْرَةِ .

لَأَنَّكَ تَتَّبِعُ الْهَوَى ، فَأَنْتَ عَبْدُهُ ، وَأَنَا أَمْلِكُهُ فَهُوَ عَبْدِي ؛ فَقَالَ : صَدَقْتَ .

٨٣٤ - وَقَالُوا : سُلْطَانٌ مِنْ مَلِكِ الْهَوَى فَوْقَ سُلْطَانٍ مِنْ مَلِكِ الدُّنْيَا .

٨٣٥ - وَقَالُوا : إِنْ قَدَّمْتَ هَوَاكَ عَلَى عَقْلِكَ لَمْ تُصِبْ رَشْدًا فِي حَيَاتِكَ وَلَا أَمْنًا بَعْدَ وَفَاتِكَ .

٨٣٦ - وَقَالُوا [من الكامل] :

إِنَّ الْهَوَانَ هُوَ الْهَوَى قُلِبَ اسْمُهُ فَإِذَا هَوَيْتَ فَقَدْ لَقِيتَ هَوَانًا

٨٣٧ - وَقَالَ حَاتِمٌ الطَّائِيُّ [من الطويل] :

وَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ وَفَزَجَكَ نَالًا مُتَتَهَى الذَّمِّ أَجْمَعًا

٨٣٨ - وَقَالَ الْأَخْطَلُ [من الطويل] :

وَإِنْ أَمْرًا لَا يَنْتَهِي عَنْ غَوَايَةِ إِذَا مَا اشْتَهَتْهَا نَفْسُهُ لَجْهُوُلْ

٨٣٩ - وَقَالَ آخَرُ [من الطويل] :

إِذَا مَا رَأَيْتَ الْمَرْءَ يَفْتَادُهُ الْهَوَى فَقَدْ ثَكَلَتْهُ عِنْدَ ذَاكَ ثَوَاكِيلُهُ

وَقَدْ أَشْمَتَ الْأَعْدَاءَ جَهْلًا بِنَفْسِهِ وَقَدْ وَجَدَتْ فِيهِ مَقَالًا عَوَاذِلُهُ

وَلَنْ يَرَعَ النَّفْسَ اللَّجُوجَ عَنِ الْهَوَى مِنَ النَّاسِ إِلَّا فَاضِلُّ الْعَقْلِ كَامِلُهُ

٨٤٠ - وَلِلنَّاسِ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِبْرَةٌ فِي هَذَا الْبَابِ وَعِظَةٌ ،

وَلَوْ لَمْ يَكُ إِلَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ [١٢ سورة يوسف / الآية : ٥٣]

لَكَانَ فِيهِ الْغِنَاءُ كُلُّهُ .

٨٤١ - وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : أَدْعُوا هَذِهِ النُّفُوسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا ، فَإِنَّهَا

طَلَاعَةٌ تَنْزِعُ إِلَى شَرِّ غَايَةٍ ، إِنَّ هَذَا الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ وَإِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَبِئْسَ ،

وَتَرَكُ الْخَطِيئَةَ خَيْرٌ مِنْ مُعَالَجَةِ التَّوْبَةِ ، وَرُبَّ نَظْرَةٍ زَرَعَتْ شَهْوَةً ، وَشَهْوَةٌ سَاعَةٌ

أُورِثْتُ حُزْنَ طَوِيلًا .

٨٤٢ - وَقَدْ أَشَادَ الشُّعْرَاءُ بِالْعِفَّةِ وَعَدُّوْهَا مِنْ أَلْفَضَائِلِ الَّتِي يَتِمَدَّحُونَ بِهَا وَيَفْتَخِرُونَ .

٨٤٣ - قَالَ الْمُتَنَبِّيُّ [من الطويل] :

عَوَازِلُ ذَاتِ الْخَالِ فِي حَوَاسِدُ وَإِنْ ضَجِيعَ الْخَوْدِ مِنِّي لِمَاجِدُ  
يَرُدُّ يَدًا عَنْ ثَوْبِهَا وَهُوَ قَادِرٌ وَيَغْصِي الْهَوَى فِي طَيْفِهَا وَهُوَ رَاقِدُ  
مَتَى يَشْتَفِي مِنْ لَاعِجِ الشَّوْقِ فِي الْحَشَى مُحِبُّ لَهَا فِي قُرْبِهِ مُتَبَاعِدُ  
إِذَا كُنْتَ تَخْشَى الْعَارَ فِي كُلِّ خَلْوَةٍ فَلِمَ تَتَصَبَّأُ الْحِسَانَ الْخَرَائِدُ

يَقُولُ الْمُتَنَبِّيُّ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ : إِنَّ اللَّوَاتِي يَغْدُلْنَ - يُلْمَنَ - هَذِهِ الْمَرَأَةُ - الَّتِي  
هِيَ صَاحِبَةُ الْخَالِ عَلَى خَدَّهَا - فِي لَاجِلِ مَحَبَّتِهَا إِيَّايَ هُنَّ حَوَاسِدُ لَهَا عَلَيَّ ، لَأَنَّهَا  
ظَفِرَتْ مِنِّي بِضَجِيعٍ مَاجِدٍ ؛ وَالْخَوْدُ : الْمَرْأَةُ النَّاعِمَةُ الْحَسَنَةُ الْخَلْقِ . ثُمَّ قَالَ فِي  
الْبَيْتِ الثَّانِي : إِنِّي أَعِفْتُ عَنْهَا مَعَ كَوْنِي قَادِرًا عَلَى تَرْكِ الْعَفَافِ ، وَقَدْ صَارَ ذَلِكَ  
سَجِيَّةً لِي حَتَّى صِرْتُ أَعِفُّ عَنْ طَيْفِهَا أَيْضًا إِذَا زَارَنِي فِي نَوْمِي ، يَصِفُ نَفْسَهُ  
بِالْعِفَّةِ وَالرَّغْبَةِ عَنِ الصَّبُورَةِ بِالنِّسَاءِ . وَقَوْلُهُ : مَتَى يَشْتَفِي . . . الخ ، يَقُولُ : مَتَى  
يَجِدُ الشِّفَاءَ مِنَ الشَّوْقِ الْمُخْرِقِ مُحِبُّ لِهَذِهِ الْمَخْجُوبَةِ إِذَا دَنَا مِنْهَا بِشَخْصِهِ نَأَى  
عَنْهَا بِعَفَافِهِ . ثُمَّ قَالَ فِي الْبَيْتِ الْآخِرِ : إِذَا كُنْتَ فِي الْخَلْوَةِ بِهِنَّ تَنَأَى عَنْهُنَّ  
وَتَعِفُّ ، فَمَا لَكَ وَلِعِشْقِ الْحِسَانِ وَالْتِزَاعِ إِلَيْهِنَّ ؟

\* \* \*

٨٤٤ - وَقَالَ الْمُتَنَبِّيُّ [من الطويل] :

عَفِيفٌ تَرَوْقُ الشَّمْسُ صُورَةً وَجْهِهِ وَلَوْ نَزَلَتْ شَوْقًا لَحَادَ إِلَى الظِّلِّ  
يَقُولُ : إِنَّ الشَّمْسَ تَسْتَحْسِنُ صُورَةَ وَجْهِهِ ، فَلَوْ نَزَلَتْ إِلَيْهِ الشَّمْسُ شَوْقًا

إِلَيْهِ لَمَالَ عَنْهَا وَعَفَّ ، يَعْنِي : إِنَّهُ عَفِيفٌ عَنْ كُلِّ أَثْنٍ حَتَّى عَنِ الشَّمْسِ ، فَلَوْ هِيَ نَزَلَتْ إِلَيْهِ لَحَقَّقَ مَعْنَى الْعِفَّةِ .

\* \* \*

٨٤٥ - وَقَالَ الْمُتَنَبِّيُّ أَيْضاً [من الخفيف] :

كَمْ حَبِيبٍ لَا عُذْرَ فِي اللَّوْمِ فِيهِ      لَكَ فِيهِ مِنَ التَّقَى لَوَامُ  
رَفَعْتَ قَدْرَكَ النَّزَاهَةَ عَنْهُ      وَثَنَتْ قَلْبَكَ الْمَسَاعِي الْجِسَامُ  
يَصِفُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَخَشْيَتِهِ ، يَقُولُ : كَمْ حَبِيبٍ يَسْتَحِقُّ الْمُواصَلَةَ لِإِبْرَاعَتِهِ فِي الْحُسْنِ وَلَا تِلَامٌ لَوْ وَاصَلْتَهُ ، لِكِنَّكَ مَعَ ذَلِكَ تَتْرُكُهُ لِتَقْوَى اللَّهِ ، فَكَأَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ عَلَيْهِ فِي التَّقَى لَوَاماً يُلَوِّمُونَكَ فِيمَا يُوَافِقُ مُقْتَضَى التَّقْوَى ؛ ثُمَّ قَالَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي : نَزَاهَتِكَ وَتَجَبُّبِكَ الْأَثَامَ رَفَعَا قَدْرَكَ عَنْ مُوَاصَلَتِهِ ، وَصَرَفَتْ قَلْبَكَ عَنْهُ الْأُمُورَ الْجِسَامَ الَّتِي تَتَرَامَى إِلَيْهَا لِبُعْدِ مُرْتَقَى هِمَّتِكَ .

\* \* \*

٨٤٦ - وَفِي ذَوَاتِ الْعَفَافِ الْبَعِيدَاتِ الْمُتَنَازِلِ وَإِنْ كُنَّ لَطِيفَاتِ الْحَدِيثِ ، يَقُولُ الْمُتَنَبِّيُّ [من البسيط] :

كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُعْنِي كَفَّ قَابِضِهِ      شُعَائُهَا وَيَرَاهُ الطَّرْفُ مُقْتَرِباً  
٨٤٧ - وَقَبْلَهُ يَقُولُ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ [من المتقارب] :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكُنُهَا فِي السَّمَاءِ      فَعَزَّ أَلْفُؤَادَ عَزَاءِ جَمِيلَا  
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ      وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ التُّزُولَا

\* \* \*

٨٤٨ - وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَمْدَحُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا [من الطويل] :

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُ بِرِيَّةٍ وَتُضْبِحُ غَزْثِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ  
 الْحَصَانُ : الْغَفِيفَةُ ؛ وَأَمْرَأَةُ رَزَانٌ : إِذَا كَانَتْ ذَاتُ ثَبَاتٍ وَوَقَارٍ وَعَفَافٍ ،  
 وَكَانَتْ رَزِينَةً فِي مَجْلِسِهَا ، مُلَازِمَةً مَوْضِعَهَا ، قَلِيلَةً التَّصَرُّفِ وَالتَّنَقُّلِ ؛ وَمَا  
 تُزَنُ : مَا تَتَّهَمُ ؛ وَغَزْثِي : جَائِعَةٌ ؛ وَالْغَوَافِلُ ، جَمْعُ غَافِلَةٍ ، يُرِيدُ : إِنَّهَا  
 لَا تَزْتَعُ فِي أَغْرَاضِ النَّاسِ .

٨٤٩ - وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَهُوَ  
 وَالِدُ مُحَمَّدٍ وَإِبْرَاهِيمَ الْخَارِجَيْنِ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ [مَنْ الْكَامِلُ] :  
 أَنَسُ حَرَائِرُ مَا هَمَمَنْ بِرِيَّةٍ كَطَبَاءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامٌ  
 يُحْسِنَنَّ مِنْ لَيْنِ الْحَدِيثِ زَوَانِيًا وَيُضِدُّهُنَّ عَنِ الْخَنَا الْإِسْلَامُ  
 أَنَسُ : أَنْسَاتُ ؛ وَالْخَنَا : الْفُحْشُ .

\* \* \*

٨٥٠ - وَيُزَوَّى أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ كَانَ جَالِسًا فِي أَصْحَابِهِ ، فَمَرَّتْ بِهِمْ  
 أَمْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ ، فَتَرَمَّقَهَا الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّ أَبْصَارَ هَذِهِ  
 الْفُحُولِ طَوَامِحُ ، وَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبُ هِيَاجِهَا ، فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى أَمْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ  
 فَلْيَلَامِسْ أَهْلَهُ ، فَإِنَّمَا هِيَ أَمْرَأَةٌ كَأَمْرَأَةٍ .

طَوَامِحُ ، جَمْعُ طَامِحٍ أَوْ طَامِحَةٍ ، نَقُولُ : طَمَحَ الدَّهْرُ إِذَا أَرْتَفَعَ ؛  
 وَطَمَحَ : أَبْعَدَ فِي الطَّلَبِ ؛ وَإِنَّ ذَلِكَ ، أَيِ : طُمُوحِ الْأَبْصَارِ ؛ سَبَبُ  
 هِيَاجِهَا ، أَيِ : هِيَاجَانُ هَذِهِ الْفُحُولِ لِمَلَامَسَةِ الْأُنْثَى .

\* \* \*

٨٥١ - وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الشَّيْطَانُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فِي ثَلَاثَةِ مَنَازِلَ :

فِي النَّظَرِ وَالْقَلْبِ وَالْفَرْجِ .

٨٥٢ - وَرُوي أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ : خَرَجْتُ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ ، فَإِذَا أَنَا بِجَارِيَةٍ - فَتَاةٍ - كَأَنَّهَا فَلَقَةُ قَمَرٍ ، فَرَاوَدْتُهَا ، فَقَالَتْ : أَمَا لَكَ زَاجِرٌ مِنْ عَقْلِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ نَاهٍ مِنْ دِينٍ ! فَقُلْتُ : إِنَّهُ لَا يَرَانَا إِلَّا الْكَوَاكِبُ ؛ فَقَالَتْ : وَأَيْنَ مُكْوِبُهَا ! .

\* \* \*

٨٥٣ - وَخَلَا بَعْضُ الْأَعْرَابِ بِأَمْرَأَةٍ ، فَهَمَّ بِهَا ، فَأَجَابَتْهُ ، فَلَمَّا فَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنَ الْأَمْرَأَةِ أَذْرَكَتُهُ عِصْمَةُ اللَّهِ ، فَتَنَحَّى عَنْهَا ، ثُمَّ قَالَ : إِنْ مَنْ بَاعَ جَنَّةَ عَرْضِهَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِمِقْدَارِ فِتْرِ بَيْنَ رِجْلَيْكَ لَقَلِيلُ الْبَصْرِ بِالْمَسَاحَةِ .

\* \* \*

٨٥٤ - وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَنْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَتَّى إِذَا جَنَّ عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ أَوُوا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ ، فَأَنحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَنْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا لِلَّهِ صَالِحَةً فَأَدْعُوا اللَّهَ بِهَا لَعَلَّهُ يَفْرُجُهَا ؛ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : اللَّهُمَّ ! إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، وَلِي صَبِيَّةٌ صَغَارٌ ، كُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ ، فَحَلَبْتُ ، بَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ وَلَدِي ، فَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا<sup>(١)</sup> ، وَإِنَّهُ نَأَى بِي الشَّجَرُ<sup>(٢)</sup> ، فَمَا أَتَيْتُ حَتَّى أَمْسَيْتُ ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا ، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غُبُوقَهُمَا ، وَقُمْتُ عِنْدَ رَأْسَيْهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أَوْقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَ بِالصَّبِيَّةِ قَبْلَهُمَا ، وَالصَّبِيَّةُ

(١) أي : مَا كُنْتُ أَقْدِمُ عَلَيْهِمَا أَحَدًا فِي شَرْبِ نَصِييِهِمَا فِي اللَّبَنِ الَّذِي يَشْرَبَانِهِ ، مِنْ الْعُبُوقِ ، وَهُوَ شَرْبُ الْعَشِيِّ ، مُقَابِلُ الصُّبُوحِ ؛ وَمُرَادُهُ بِالْأَهْلِ زَوْجُهُ وَوَلَدُهُ ، وَبِالْمَالِ رَقِيقُهُ وَخَدْمُهُ .

(٢) بَعْدَ عَلَيْهِ الشَّجَرُ لَطَلَبِ الْمَرْعَى .



يَتَضَاعُونَ<sup>(١)</sup> عِنْدَ قَدَمِي ، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ  
 الْفَجْرُ - أَضَاءَ - ، فَاسْتَيْقَظَا ، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا ؛ اَللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ  
 وَجْهِكَ فَأَفْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ ؛ فَأَنْفَرَجْتَ شَيْئاً لَا يَسْتَطِيعُونَ  
 الْخُرُوجَ ؛ وَقَالَ الثَّانِي : اَللَّهُمَّ ! كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمِّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ ،  
 فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا ، فَأَمْتَنَعَتْ مِنِّي ، حَتَّى أَلَمْتُ بِهَا سَنَةً مِنَ السَّنِينَ<sup>(٢)</sup> ،  
 فَجَاءَنِي ، فَأَعْطَيْتُهَا عَشْرِينَ وَمِئَةً دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا ،  
 فَفَعَلْتُ ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا ، قَالَتْ : لَا أَحِلُّ لَكَ أَنْ تَفْضَلَ الْخَاتَمَ إِلَّا  
 بِحَقِّهِ ؛ فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا ، فَأَنْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ،  
 وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا ؛ اَللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَأَفْرُجْ عَنَّا  
 مَا نَحْنُ فِيهِ ؛ فَأَنْفَرَجْتَ الصَّخْرَةَ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا ؛ وَقَالَ  
 الثَّلَاثُ : اَللَّهُمَّ ! إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجْرَاءَ ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ  
 الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ ، فَتَمَرَّتْ أَجْرُهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ  
 فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ! أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي ! فَقُلْتُ لَهُ : كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ  
 وَالْبَقَرِ وَالْعَنَمِ وَالرَّقِيقِ ؛ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ! لَا تَسْتَهْزِئْ بِي ! فَقُلْتُ : إِنِّي  
 لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ ؛ فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَأْفَقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئاً ؛ اَللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ  
 ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَأَفْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ ؛ فَأَنْفَرَجْتَ الصَّخْرَةَ ، فَخَرَجُوا  
 يَمْشُونَ [ البخاري ، رقم : ٢٢٧٢ و ٣٤٦٥ ؛ مسلم ، رقم : ٢٧٤٣ ] .



٨٥٥ - وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ

(١) يَتَضَاعُونَ : يَصْنَعُونَ وَيَكُونُونَ .

(٢) يُرِيدُ أَنَّهَا أَصَابَهَا قَحْطٌ وَجَدَبٌ .

إِلَّا ظِلُّهُ<sup>(١)</sup> . فَذَكَرَ مِنْهُمْ رَجُلًا دَعَتْهُ أَمْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ، فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ . [ البخاري ، رقم : ٦٦٠ ؛ مسلم ، رقم : ١٠٣١ ] .

\* \* \*

٨٥٦ - وَقَالَ عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - وَذَكَرَ النَّظْرُ إِلَى النِّسَاءِ - فَقَالَ : « النَّظْرَةُ الْأُولَى لَكَ - يَغْنِي : نَظْرَةُ الْفَجَاءَةِ - وَالثَّانِيَةُ عَلَيْكَ لَا لَكَ ، وَالنَّظْرُ إِلَى الْمَرْأَةِ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ ، فَمَنْ تَرَكَهُ خَوْفَ اللَّهِ تَعَالَى آتَاهُ اللَّهُ إِيْمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ » [ « مستدرک الحاكم » ، رقم : ٣٢ / ٧٨٧٥ ، عن حذيفة ؛ راجع الترمذي ، رقم : ٢٧٧٧ ؛ أبو داود ، رقم : ٢١٤٩ ] .

\* \* \*

٨٥٧ - وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « أَلْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ ، وَزِنَاهُمَا النَّظْرُ » [ راجع البخاري ، رقم : ٦٢٤٣ ؛ مسلم ، رقم : ٢٦٥٧ ] .

\* \* \*

٨٥٨ - وَفِيهِ : « نَظَرُ الرَّجُلِ إِلَى مَحَاسِنِ الْمَرْأَةِ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ » [ « كنز العمال » ، رقم : ١٣٠٧٣ ] .

\* \* \*

٨٥٩ - وَمِنْ كَلَامِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَلْتَنَظَرُ يَزْرُعُ فِي الْقَلْبِ الشَّهْوَةَ ، وَكَفَى بِهَا خَطِيئَةً » [ راجع « كشف الخفاء » ، رقم : ١٣٢٠ ] .

\* \* \*

---

(١) يُظَلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ ، الْمُرَادُ : يَشْمَلُهُمْ بِرَحْمَتِهِ ؛ وَيَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ، أَي : لَا رَحْمَةَ إِلَّا رَحْمَتَهُ ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ .

٨٦٠ - وَقَدْ أَكْثَرَ الشُّعْرَاءُ فِي وَصْفِ مَا يُخْدِتُهُ النَّظَرُ مِنَ الْبَلَايَا ، فَمِنْ ذَلِكَ

قَوْلُ الْمُتَنَبِّيِّ [من الكامل] :

وَأَنَا الَّذِي أَجْتَلَبَ الْمَيِّتَةَ طَرْفُهُ      فَمَنْ الْمُطَالِبُ وَالْقَتِيلُ الْقَاتِلُ

٨٦١ - وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ [من الوافر] :

وَمَا أَذْرِي إِذَا مَا جَنَّ لَيْلٌ      أَشَوْقًا فِي فُؤَادِي أَمْ حَرِيقًا  
أَلَا يَا مُقْلَتِي ، دَهَيْتُمَانِي      بِلَحْظِكُمَا فَذُوقَا ثُمَّ ذُوقَا

٨٦٢ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ [من مجزوء الرمل] :

أَنَا مَا بَيْنَ عَدُوٍّ      مِنْ هُمَا : قَلْبِي وَطَرْفِي  
يَنْظُرُ الطَّرْفُ وَيَهْوِي الـ      قَلْبُ وَالْمَقْصُودُ حَتْفِي

٨٦٣ - وَقَالَ آخَرُ [من الخفيف] :

فَتَصَبَّرْ وَلَا تَشْمَ كُلَّ بَرْقٍ      رَبِّ بَرْقٍ فِيهِ صَوَاعِقُ حَيْنِ  
وَأَغْضُضِ الطَّرْفَ تَسْتَرِخُ مِنْ غَرَامٍ      تَكْتَسِي فِيهِ ثُوبَ ذُلٍّ وَشَيْنِ  
فَقِيَادُ الْفَتَى مُوَافَقَةُ النَّفْسِ      سِ وَبَدْءُ الْهَوَى طُمُوحُ الْعَيْنِ

\* \* \*

٨٦٤ - وَلِمُنَاسَبَةِ النَّظَرِ نُورِدُ عَلَيْكَ بَعْضَ طَرَفِهِمْ فِيهِ :

نَظَرَ أَشْعَبُ يَوْمًا إِلَى ابْنِهِ وَهُوَ يُدِيمُ النَّظَرَ إِلَى أَمْرَأَةٍ ، فَقَالَ : يَا بَنِي ! نَظَرُكَ  
هَذَا يُحْبِلُ .

٨٦٥ - وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي هَذَا الْمَعْنَى [من الطويل] :

وَلِي نَظْرَةٌ لَوْ كَانَ يُحْبِلُ نَاطِرٌ      بِنَظَرْتِهِ أَتَى لَقَدْ حَبَلَتْ مِنِّي

٨٦٦ - وَقَالَ الشَّاعِرُ [من الكامل] :

وَمُرَاقِبَيْنِ يُكْتَمَانِ هَوَاهُمَا      جَعَلَا الصُّدُورَ لِمَا تَجِنُّ قُبُورَا  
يَتَلَحَّظَانِ تَلَاخُظًا فَكَأَنَّمَا      يَتَنَاسَخَانِ مِنَ الْجُفُونِ سُطُورَا

٨٦٧ - وَقَالَ أَغْرَابِي [ وَيُسَبِّ لِحَمِيلِ بُيْتِنَه ، من الطويل ] :

وَمَا خَاطَبْتُهَا مُقْلَتَايَ بِنَظَرَةٍ      فَتَفَهُمَ نَجْوَانَا أَلْعُيُونُ النَّوَاطِرُ  
وَلَكِنْ جَعَلْتُ أَلْوَهُمَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا      رَسُولًا فَأَدَّى مَا تَجِنُّ الضَّمَائِرُ

٨٦٨ - وَنَحْوَهُ قَوْلُ أَبِي أَلْعَتَاهِيَةِ [ من الطويل ] :

أَمَا وَالَّذِي لَوْ شَاءَ لَمْ يَخْلُقِ أَلْتَوَى      لَئِنْ غِبتَ عَنْ عَيْنِي لَمَا غِبتَ عَنْ قَلْبِي  
تُرْبِينِكَ عَيْنُ أَلْوَهُمِ حَتَّى كَأَنَّنِي      أَنَا جِيكَ مِنْ قُرْبٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ قُرْبِي

\* \* \*

٨٦٩ - رَجَعُ مَا أَنْقَطَعَ :

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ أَلَلَّةَ مَشُوبَةً بِأَلْقُبْحِ ، فَفَكَّرُوا فِي أَنْقِطَاعِ أَلَلَّةٍ وَبَقَاءِ ذِكْرِ  
أَلْقُبْحِ .

\* \* \*

٨٧٠ - وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمُ [ بَنُ مُحَمَّدٍ ] بَنِ عَرَفَةَ [ أَلْمُلَقَّبُ

بِنَفْطَوَيْهِ ] [ من البسيط ] :

كَمْ قَدْ ظَفَرْتُ بِمَنْ أَهْوَى فَيَمْنَعُنِي      مِنْهُ أَلْحَيَاءُ وَخَوْفُ اللَّهِ وَأَلْحَذَرُ  
وَكَمْ خَلَوْتُ بِمَنْ أَهْوَى فَيَقْنَعُنِي      مِنْهُ أَلْفُكَاهَةُ وَأَلْتَقْبِيلُ وَأَلنَّظَرُ  
أَهْوَى أَلْمِلَاحِ وَأَهْوَى أَنْ أَجَالِسَهُمْ      وَلَيْسَ لِي فِي حَرَامٍ مِنْهُمْ وَطَرُ  
كَذَلِكَ أَلْحُبُّ لَا إِيَّانُ مَعْصِيَةٍ      لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا سَقَرُ

\* \* \*

٨٧١ - وَقَالَ أَيْضاً [من الكامل] :

لَيْسَ الظَّرِيفُ بِكَامِلٍ فِي ظَرْفِهِ      حَتَّى يَكُونَ عَنِ الْحَرَامِ عَفِيفاً  
فَإِذَا تَعَفَّفَ عَنْ مَحَارِمِ رَبِّهِ      فَهُنَاكَ يُدْعَى فِي الْأَنَامِ ظَرِيفاً

\* \* \*

٨٧٢ - وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ [من البسيط] :

أَتَأَذْنُونَ لِصَبِّ فِي زِيَارَتِكُمْ      فَعِنْدَكُمْ شَهَوَاتُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ  
لَا يُضْمِرُ الشُّوءَ إِنْ طَالَ الْجُلُوسُ بِهِ      عَفْتُ الضَّمِيرَ وَلَكِنْ فَاسِقُ النَّظَرِ

\* \* \*

٨٧٣ - وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ حُمَيْدٍ [من الخفيف] :

زَائِرٌ زَارَنَا عَلَى غَيْرِ وَغْدٍ      مُخْطَفُ الْكَشْحِ<sup>(١)</sup> مُنْقَلُ الْأَزْدَافِ  
غَالِبَ الْخَوْفِ حِينَ غَالَبَهُ الشُّؤْ      قُ وَأَخْفَى الْهَوَى وَلَيْسَ بِخَافٍ  
غَضَّ طَرْفِي عَنْهُ تُقَى اللَّهِ فَاخْتَزَ      تُ عَلَى بَذْلِهِ بَقَاءُ التَّصَافِي  
ثُمَّ وَلَّى وَالْخَوْفُ قَدْ عَمَّ عِطْفَيْهِ      هِ وَلَمْ يَخُلْ مِنْ لِبَاسِ الْعَفَافِ

\* \* \*

٨٧٤ - وَقَالَ صَرِيعُ الْغَوَانِي مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ [من الطويل] :

وَمَا ذَمِّي الْأَيَّامَ أَنْ لَسْتُ مَادِحاً      لِعَهْدٍ لِيَا لَيْهَا أَلَّتِي سَلَفَتْ قَبْلُ  
أَلَا رَبِّ يَوْمٍ صَادِقِ الْعَيْشِ نِلْتُهُ      بِهَا وَنَدِيمَايَ الْعَفَافَةُ وَالْبَذَلُ

\* \* \*

(١) مُخْطَفُ الْكَشْحِ : ضَامِرُ الْخَضِرِ .

٨٧٥ - وَدَخَلَ رَجُلٌ غَيْضَةَ لَهُ ، فَقَالَ : لَوْ خَلَوْتُ هُنَا بِفُلَانَةٍ فَلَمْ يَرْنَا أَحَدٌ ؟  
فَسَمِعَ صَوْتًا مَلَأَ الْغَيْضَةَ : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [٦٧ سورة  
الملك/ الآية : ١٤] .

٨٧٦ - وَهَذَا كَمَا قَالَ نَابِغَةُ بَنِي شَيْبَانَ [من الخفيف] :

إِنَّ مَنْ يَزْكِبُ الْفَوَاحِشَ سِرًّا      حِينَ يَخْلُو بِسِرِّهِ غَيْرُ خَالٍ  
كَيْفَ يَخْلُو وَعِنْدَهُ كَاتِبَاهُ      شَاهِدَاهُ وَرَبُّهُ ذُو الْجَلَالِ  
[ « الأماشي » للقبالي ٢/ ٢٦٨ ؛ الديوان ، صفحة : ١٥١ ، رقم : ١٠ ] .

٨٧٧ - وَقَالَ [أَبُو الْعَتَاهِيَةِ أَوْ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُوسِ ، من الطويل] :

إِذَا مَا خَلَوْتُ الْكَذَّهَرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ      خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ  
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يَغْفُلُ سَاعَةً      وَلَا أَنَّ مَا تُخْفِيهِ عَنْهُ يَغِيبُ

\* \* \*

٨٧٨ - وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ قُرَاءِ أَهْلِ مَكَّةَ وَنُسَاكِهَا يُسَمَّى عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ  
أَبِي عَمَّارِ الْجُشَمِيِّ ، وَكَانَ يُسَمَّى : الْقَسَّ ، لِنُسْكِهِ وَعِبَادَتِهِ ، وَكَانَ يُشَبِّهُ  
بِعَطَاءِ ابْنِ أَبِي رَبَاحٍ ، فَمَرَّ ذَاتَ يَوْمٍ بِدَارِ سَلَامَةَ الْمُغْنِيَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِسَلَامَةَ  
الْقَسِّ<sup>(١)</sup> ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ بِهِ ، فَسَمِعَ غِنَاءَهَا عَلَى غَيْرِ تَعَمُّدٍ مِنْهُ لِذَلِكَ ، فَبَلَغَ  
غِنَاؤُهَا مِنْهُ كُلَّ مَبْلَغٍ ، فَرَأَاهُ مُوَلَّاهَا ، فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ أَنْ أُخْرِجَهَا إِلَيْكَ أَوْ  
تَدْخُلَ فَتَسْمَعُ ؟ فَأَبَى ؛ فَقَالَ مُوَلَّاهَا : أَنَا أَقْعِدُهَا فِي مَوْضِعٍ تَسْمَعُ غِنَاءَهَا  
وَلَا تَرَاهَا ؛ فَأَبَى ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى دَخَلَ ، فَاسْمَعَهُ غِنَاءَهَا ، فَأَعْجَبَهُ ، فَقَالَ  
لَهُ : هَلْ لَكَ فِي أَنْ أُخْرِجَهَا إِلَيْكَ ؟ فَأَبَى ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَخْرَجَهَا ، فَأَقْعَدَهَا

(١) أَنْظَرَ أَخْبَارَهَا فِي « الْأَغَانِي » ج ٢ طَبْعَةُ دَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ .

بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَتَغَنَّتْ ، فَشَغِفَ بِهَا وَشَغِفَتْ بِهِ ، وَعَرَفَ ذَلِكَ أَهْلُ مَكَّةَ ؛ فَقَالَتْ لَهُ  
يَوْمًا : أَنَا وَاللَّهِ أَحِبُّكَ ! قَالَ : وَأَنَا وَاللَّهِ أَحِبُّكَ ! قَالَتْ : وَأَحِبُّ أَنْ أَضَعَ فَمِي  
عَلَى فَمِكَ ؛ قَالَ : وَأَنَا وَاللَّهِ أَحِبُّ ذَاكَ ؛ قَالَتْ : فَمَا يَمْنَعُكَ ؟ فَوَاللَّهِ إِنَّ  
الْمَوْضِعَ لَخَالٍ . قَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ  
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [٤٣ سورة الزخرف/ الآية : ٦٧] وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ  
خُلَّةً مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ تَوُولُ إِلَى عَدَاوَةٍ ؛ ثُمَّ قَامَ وَأَنْصَرَفَ وَعَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ  
النُّسْكِ . . وَلَهُ فِيهَا أَشْعَارٌ تَجِدُهَا فِي « الْأَغَانِي » .

\* \* \*

٨٧٩ - وَقِيلَ لِبَعْضِ الْأَعْرَابِ وَقَدْ طَالَ حُبُّهُ لِحَارِثَةَ - فَتَاةٍ - : مَا كُنْتَ صَانِعًا  
لَوْ ظَفِرْتَ بِهَا وَلَا يَرَاكُمَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ؟ قَالَ : أَخَافُ اللَّهَ ، وَلَا أَجْعَلُهُ أَهْوَنَ  
الْناظِرِينَ . . . وَلَكِنْ أَضْنَعُ مَعَهَا مَا أَضْنَعُ بِحَضْرَةِ أَهْلِهَا : حَدِيثٌ طَوِيلٌ ،  
وَلَحْظٌ كَلِيلٌ ، وَتَرْكٌ مَا يَكْرَهُهُ الرَّبُّ ، وَيَنْقَطِعُ بِهِ الْحُبُّ .

\* \* \*

٨٨٠ - وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُطَيْرٍ مِنْ أَيْبَاتِ [مِن الطويل] :

وَمَا الْجُودُ عَنْ فَقْرِ الرِّجَالِ وَلَا الْغِنَى	وَلَكِنَّهُ خِيَمُ الرِّجَالِ وَخَيْرُهَا
وَقَدْ تَغْدِرُ الدُّنْيَا فَيُضْحِي غَنِيِّهَا	فَقِيرًا وَيَغْنَى بَعْدَ بُؤْسٍ فَقِيرُهَا
وَكَايُنَ تَرَى مِنْ حَالِ دُنْيَا تَغْيَرَتْ	وَمَالٍ صَفَا بَعْدَ أَكْدِرَارٍ غَدِيرُهَا
وَمِنْ طَامِعٍ فِي حَاجَةٍ لَنْ يَنَالَهَا	وَمِنْ يَأْسٍ مِنْهَا أَتَاهُ يَسِيرُهَا
وَمَنْ يَتَّبِعْ مَا يُعْجِبُ النَّفْسَ لَمْ يَزَلْ	مُطِيعًا لَهَا فِي فِعْلٍ شَيْءٍ يَضِيرُهَا
فَنَفْسِكَ أَكْرَمَ عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ	فَمَا لَكَ نَفْسٌ بَعْدَهَا تَسْتَعِيرُهَا
وَلَا تَقْرَبِ الْأَمْرَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ	حَلَاوَتُهُ تَفْنَى وَيَبْقَى مَرِيرُهَا

\* \* \*

٨٨١ - وَقَالَ عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ مِنْ آيَاتِ أَوْرَدَهَا أَبُو تَمَّامٍ فِي « حِمَاسَتِهِ » [من

الوافر] :

وَلَسْتُ بِصَادِرٍ عَنْ بَيْتٍ جَارِي      صُدُورَ الْغَيْرِ غَمَرَهُ الْوَرُودُ  
وَلَسْتُ بِسَائِلٍ جَارَاتٍ بَيْتِي      أَغْيَابَ رَجَالِكَ أَمْ شُهُودُ  
وَلَا أُلْقِي لِيذِي الْوَدَعَاتِ سَوْطِي      لِأَلْهِيَّهِ وَرَبَّتَهُ أُرِيدُ

الغَيْرُ : الْحِمَارُ ، يَقُولُ : لَا أَصْدُرُ عَنْ بَيْتٍ جَارِيٍ مِثْلَ الْحِمَارِ قَدْ تَغَمَّرَهُ ،  
أَيُّ : لَمْ يَزَوْ ، وَفِيهِ حَاجَةٌ إِلَى الْعَوْدَةِ ؛ يَغْنِي : لَا أَلْتَفِتُ إِلَى بَيْتِ جَارَتِي كَمَا  
يَلْتَفِتُ الْحِمَارُ إِلَى الْمَاءِ إِذَا صَدَرَ غَيْرَ رِيَانٍ ، أَوْ تَقُولُ : لَا أَخْرُجُ خُرُوجَ  
الْخَائِفِ ؛ وَشُهُودُ : حَاضِرُونَ ؛ وَذُو الْوَدَعَاتِ : الصَّبِيِّ ؛ وَرَبَّتُهُ : أُمُّهُ ؛  
يَقُولُ : لَا أَلْهِي الصَّبِيَّ بِالسَّوْطِ قَاصِدًا بِذَلِكَ إِلَى مُغَازَلَةٍ أُمِّهِ .

٨٨٢ - وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ مَسْكِينٍ الدَّارِمِيِّ [من السريع] :

لَا أَخُذُ الصَّبِيَّانَ أَلْتَمَّهُم      وَالْأَمْرُ قَدْ يُغْزَى بِهِ الْأَمْرُ  
يُغْزَى : يُفْصَدُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : قَدْ عَرَفْتُ مَغْزَاكَ .

٨٨٣ - وَقَالَ صَاعِدُ اللَّغَوِيِّ صَاحِبُ « الْفُصُوصِ » وَالَّذِي وَفَدَ إِلَى

الْأَنْدَلُسِ ؛ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَى [من البسيط] :

إِذَا رَأَيْتَ صَبِيَّ الْقَوْمِ يَلْتَمُهُ      ضَخْمُ الْمَنَاقِبِ لَا عَمٌّ وَلَا خَالُ  
فَأَخْفِظْ ثِيَابَكَ مِنْهُ أَنْ يُدْنِسَهَا      وَلَا يُغَرِّنَكَ حُسْنُ الْحَالِ وَالْمَالِ

وَلَهُمْ فِي هَذَا الْمَعْنَى الدَّقِيقُ كَثِيرٌ ، فَلِلَّهِ دَرُهُمْ ، فَقَدْ اسْتَشَقُّوا الضَّمَائِرَ  
وَتَغْلَغَلُوا فِي أَعْمَاقِ الْكُفُوسِ وَفَطِنُوا إِلَى أَغْرَاضِهَا وَمَغَازِيهَا .



٨٨٤ - وَقَالَ ابْنُ حَبْنَاءَ التَّمِيمِيِّ - شَاعِرٌ أُمَوِيٌّ - [من البسيط] :

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالٍ تُزَيِّنُ لِي      لَوْمَ الْعَشِيرَةِ أَوْ تُذْنِي مِنَ النَّارِ  
لَا أَقْرَبُ الْبَيْتِ أَحْبُو مِنْ مُؤَخَّرِهِ      وَلَا أَكْسَرُ فِي ابْنِ الْعَمِّ أَظْفَارِي  
إِنْ يَخْجُبَ اللَّهُ أَبْصَاراً أَرَاقِهَا      فَقَدْ يَرَى اللَّهُ حَالَ الْمُدْلِجِ السَّارِي  
وَقَوْلُهُ : لَا أَقْرَبُ الْبَيْتِ أَحْبُو مِنْ مُؤَخَّرِهِ ، يُرِيدُ : لَا آتِيهِ لِرَبِيبَةٍ ؛ وَقَوْلُهُ :  
وَلَا أَكْسَرُ فِي ابْنِ الْعَمِّ أَظْفَارِي ، يَقُولُ : لَا أَغْتَابُهُ ؛ وَالْمُدْلِجُ : الَّذِي يَسِيرُ مِنْ  
أَوَّلِ اللَّيْلِ ، وَالسَّرَى لَا يَكُونُ إِلَّا سَيْرَ اللَّيْلِ . [ راجع حاشية رقم : ٨٨٥ ] .

\* \* \*

٨٨٥ - وَقَالَ شَاعِرٌ يُسَمَّى هِلَالُ بْنُ خَثْعَمٍ [من الطويل] :

وَإِنِّي لَعَفٌّ عَنْ زِيَارَةِ جَارَتِي      وَإِنِّي لَمَشْنُوءٌ إِلَيَّ اغْتِيَابُهَا  
إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعْلُهَا لَمْ أَكُنْ لَهَا      زَوْوراً وَلَمْ تَنْبَخْ عَلَيَّ كِلَابُهَا  
وَمَا أَنَا بِالدَّارِي أَحَادِيثَ بَيْتِهَا      وَلَا عَالِماً مِنْ أَيِّ حَوْكٍ ثِيَابُهَا  
وَإِنْ قِرَابَ الْبَطْنِ يَكْفِيكَ مِلَاءُهُ      وَيَكْفِيكَ سَوَاءُ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا  
قَالَ السَّيِّدُ الْمُزْتَضِيُّ فِي « أَمَالِيهِ » : قَدْ جَمَعَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ فَقِراً عَجَبِيَةً ،  
وَكَنَايَاتٍ بَلِيغَةً ، لِأَنَّهُ نَفَى عَنْ نَفْسِهِ زِيَارَةَ جَارَتِهِ عِنْدَ غَيْبَةِ بَعْلِهَا ، وَخَصَّ حَالَ  
الْغَيْبَةِ ، لِأَنَّهُا أَذْنَى إِلَى الرَّبِيبَةِ وَأَخَصُّ بِالثَّهْمَةِ ؛ فَقَالَ : وَلَمْ تَنْبَخْ عَلَيَّ كِلَابُهَا ،  
أَرَادَ : إِنِّي لَا أَطْرُقُهَا لَيْلاً مُسْتَخْفِياً مُتَنَكِّراً ، فَتَنْكِرُنِي كِلَابُهَا وَتَنْبُخُنِي ، وَهَذِهِ  
الْكِنَايَةُ تَجْرِي مَجْرَى قَوْلِ الْآخِرِ : لَا أَدْخُلُ الْبَيْتَ أَحْبُو مِنْ مُؤَخَّرِهِ <sup>(١)</sup> ؛

(١) هُوَ صَدْرُ بَيْتٍ مِنْ أَبْيَاتٍ جَمِيلَةٍ لِابْنِ حَبْنَاءَ التَّمِيمِيِّ - شَاعِرٌ أُمَوِيٌّ - [مَرَّ بَعْضُ مِنْهَا رَقْم : ٨٨٤] وَهِيَ [من البسيط] :

إِنِّي هَزَنْتُ مِنْ أُمَّ الْقَمَرِ إِذْ هَزَنْتُ      بِشَيْبِ رَأْسِي وَمَا بِالشَّيْبِ مِنْ عَارٍ  
مَا شِفْوَةُ الْمَرْءِ بِالْإِفْتَارِ يُفْتَرُهُ      وَلَا سَعَادَتُهُ يَوْمًا بِإِكْتِسَارٍ =

وَرُويَ : وَلَمْ تَأْنَسْ إِلَيَّ كِلَابُهَا ، وَهَذَا مَعْنَى آخَرُ ، كَأَنَّهُ أَرَادَ : إِنَّهُ لَيْسَ يَكْثُرُ  
الطُّرُوقَ إِلَيْهَا وَالْغُشْيَانَ لِمَنْزِلِهَا فَتَأْنَسُ بِهِ كِلَابُهَا ، لِأَنَّ الْأُنْسَ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ  
الْمُوَاصَلَةِ ؛ وَقَوْلُهُ : وَمَا أَنَا بِالذَّارِي أَحَادِيثَ بَيْتِهَا ، أَرَادَ بِهِ أَيْضاً التَّأَكِيدَ فِي  
نَفْيِ زِيَارَتِهَا وَطُرُوقِهَا عَنْ نَفْسِهِ ، لِأَنَّهُ إِذَا أَدْمَنَ الزِّيَارَةَ عَرَفَ أَحَادِيثَ بَيْتِهَا ،  
فَإِذَا لَمْ يَزُرْهَا لَمْ يَعْرِفْ ؛ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ أَنِّي لَا أَسْأَلُ عَنْ أَحْوَالِهَا وَأَحَادِيثِهَا  
كَمَا يَفْعَلُ أَهْلُ الْفُضُولِ ، فَتَزَرَّ نَفْسُهُ عَنْ ذَلِكَ ؛ وَقَوْلُهُ : وَلَا عَالِمًا مِنْ أَيِّ حَوْكِ  
ثِيَابِهَا ، كِنَايَةٌ مَلِيحَةٌ عَنْ أَنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ مَعَهَا وَلَا يَقْرُبُ مِنْهَا ، فَيَعْرِفُ صِفَةَ  
ثِيَابِهَا ؛ أَقُولُ : أَمَّا قَوْلُهُ : وَإِنَّ قِرَابَ الْبَطْنِ يَكْفِيكَ مِلَاءً ؛ فَإِنَّ مَا يُقَارِبُ الشَّبَعَ  
يَكْفِيكَ لَا الْإِمْتِلَاءُ ؛ فَقِرَابُ الشَّيْءِ : مَا قَارَبَ قَدْرَهُ .

\* \* \*

٨٨٦ - وَوَصَفَ أَغْرَابِي أَمْرًا طَرَقَهَا ، فَقَالَ : مَا زَالَ الْقَمَرُ يُرِينِيهَا ، فَلَمَّا  
غَابَ أَرْتَيْنِيهِ ؛ فَقِيلَ : فَمَا كَانَ بَيْنَكُمَا ؟ قَالَ : مَا أَقْرَبَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ مِمَّا حَرَّمَ !  
إِشَارَةٌ فِي غَيْرِ بَأْسٍ ، وَدُنُوٌّ غَيْرُ مَاسٍ ، وَلَا وَجَعٌ أَشَدَّ مِنَ الذُّنُوبِ .

\* \* \*

= إِنَّ الشَّقِيَّ الَّذِي فِي النَّارِ مَنْزِلُهُ  
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَمْرِ يُزَيِّنُ لِي  
وَحَيْرٌ دُنْيَا يَسْئِي شَرَّ آخِرَةٍ  
لَا أَدْخُلُ الْبَيْتَ أَحْبُو مِنْ مُؤَخَّرِهِ  
إِنْ يَخْجُبِ اللَّهُ أَبْصَاراً أَرَأَيْتُهَا  
قَوْلُهُ : لَا أَدْخُلُ الْبَيْتَ أَحْبُو مِنْ مُؤَخَّرِهِ ، يُرِيدُ : إِنِّي لَا أَقْصِدُ الْبَيْتَ لِلزِّيَةِ وَالْفَسَادِ ، لِأَنَّ  
مِنْ شَأْنِ مَنْ يَسْعَى إِلَى إِفْسَادِ الْحَرَمِ وَيَقْصِدُ الْبُيُوتَ لِلزِّيَةِ أَنْ يَغْدِلَ عَنْ أَبْوَابِهَا طَلَبًا لِإِخْفَاءِ  
أَمْرِ ؛ وَقَوْلُهُ : وَلَا أَكْسُرُ فِي ابْنِ الْعَمِّ أَظْفَارِي ، أَرَادَ أَنَّهُ لَا يَصِلُ ابْنُ الْعَمِّ مِنِّي الشُّؤْمُ  
وَلَا يَتَأَلَّمُ بِشَيْءٍ مِنْ جِهَتِي فَأَكُونُ كَأَنَّنِي قَدْ جَرَحْتُهُ بِأَظْفَارِي وَكَسَرْتُهَا فِي لَحْمِهِ .

٨٨٧ - وَقَالَ بَعْضُ الظَّرَفَاءِ : كَانَ أَزْبَابُ الْهَوَى يُسْرُونَ فِيمَا مَضَى  
وَيَقْنَعُونَ بِأَنْ يَمْضُغَ أَحَدُهُمْ لُبَانًا قَدْ مَضَغْتَهُ حَبِيبَتُهُ ، أَوْ يَسْتَاكَ بِسَوَاكِهَا ، وَيَرَوْنَ  
ذَلِكَ عَظِيمًا . وَالْيَوْمَ يَطْلُبُ أَحَدُهُمُ الْخُلُوةَ وَإِرْخَاءَ السُّتُورِ كَأَنَّهُ قَدْ أَشْهَدَ عَلَى  
نِكَاحِهَا أَبَا سَعِيدٍ وَأَبَا هُرَيْرَةَ ! .

٨٨٨ - وَقَالَ الْمُتَنَبِّي [من الكامل] :

إِنِّي عَلَى شَغْفِي بِمَا فِي خُمَرِهَا      لَأَعِفَّ عَمَّا فِي سَرَائِلِهَا  
وَتَرَى الْفُتُوَّةَ وَالْمُرُوءَةَ وَالْأَبُوَّةَ      فِي كُلِّ مَلِيحَةٍ ضَرَاتِهَا  
هُنَّ الثَّلَاثُ الْمَانِعَاتِي لَذَّتِي      فِي خَلَوَتِي لَا الْخَوْفُ مِنْ تَبْعَاتِهَا  
الْخُمُرُ جَمْعُ خِمَارٍ ، وَهُوَ مَا تُعْطِي بِهِ الْمَرْأَةُ رَأْسَهَا ؛ وَالسَّرَاوِيلَاتُ جَمْعُ  
سِرْوَالٍ ، وَهُوَ ذَلِكَ اللَّبَاسِ الْخَاصُّ بِسِتْرِ النِّصْفِ الْأَسْفَلِ مِنَ الْجِسْمِ ؛ وَكَانَ  
الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ يَسْتَهْجِنُ قَوْلَ الْمُتَنَبِّي : عَمَّا فِي سَرَائِلِهَا ، وَيَقُولُ : كَانَ  
الشُّعْرَاءُ يَصِفُونَ الْمَازِرَ تَزْنِيهَا لِأَلْفَاظِهَا عَمَّا يُسْتَشْنَعُ حَتَّى تَخْطِئَ هَذَا الشَّاعِرُ  
الْمَطْبُوعَ ... إِلَى التَّضْرِيحِ ...

وَكَثِيرٌ مِنَ الْعَهْرِ عِنْدِي أَحْسَنُ مِنْ هَذَا الْعَفَافِ ... قَالَ بَعْضُهُمْ : هَذَا مِمَّا  
عَابَهُ الصَّاحِبُ عَلَى الْمُتَنَبِّي ، وَإِنَّمَا قَالَ الْمُتَنَبِّي : عَمَّا فِي سَرَائِلِهَا ، جَمْعُ  
سِرْبَالٍ ، وَهُوَ الْقَمِيصُ . يَقُولُ الْمُتَنَبِّي فِي هَذَا الْبَيْتِ : إِنِّي مَعَ حُبِّي لَوَجْهِهِنَّ  
أَعِفُّ عَنْ أَبْدَانِهِنَّ ، ثُمَّ قَالَ : فِي الْبَيْتَيْنِ التَّالِيَيْنِ : إِنَّ الْفُتُوَّةَ - الْكَرْمَ -  
وَالْمُرُوءَةَ - الْإِنْسَانِيَّةَ - وَالْأَبُوَّةَ - الْإِبَاءَ وَالْأَنْفَةَ وَعِزَّةَ النَّفْسِ - إِنَّ هَذِهِ الْمَعَانِي هِيَ  
الَّتِي تَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخُلُوةِ بِالْحَسَنِ ، فَكَأَنَّمَا ضَرَّائِرُ لَهْنٍ ، فَهِيَ الَّتِي تَكْفُهُ عَنْ  
لَذَائِطِهِ وَالتَّمَتُّعِ بِالْحَسَنِ لَا الْخَوْفُ مِنْ تَبْعَاتِهَا ؛ وَقَالَ قَوْمٌ : هَذَا تَهَاوُنٌ بِالذِّينِ  
وَضَرْبٌ مِنَ الْإِلْحَادِ ؛ وَقَدْ فَاتَهُمْ أَنَّ هَذَا مَذْهَبُ الشُّعْرَاءِ مَعْرُوفٌ ، لَا يُرِيدُونَ

التَّهَؤُنَ بِالَّذِينَ بَلَ الْمُبَالِغَةَ فِي وَضْفِ سَجَايَاهُمْ وَأَخْلَافِهِمْ بِالطَّهَارَةِ ، وَأَنَّهُمْ  
يَتْرُكُونَ الْقَبِيحَ لِأَنَّهُ قَبِيحٌ لَا لِرُؤُودِ الشَّرْعِ بِهِ وَخَوْفِ الْعِقَابِ مِنَ اللَّهِ ، كَمَا قَالَ  
الْمَعَرِّيُّ [من الكامل] :

وَلَتَفْعَلِ النَّفْسُ الْجَمِيلَ لِأَنَّهُ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ لَا لِأَجْلِ ثَوَابِهَا

\* \* \*

٨٨٩ - وَدَخَلَتْ بُثَيْنَةُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ : مَا أَرَى فِيكَ  
يَا بُثَيْنَةُ مِمَّا كَانَ يُلَهِّجُ بِهِ جَمِيلٌ ! فَقَالَتْ : إِنَّهُ كَانَ يَزْنُو إِلَيَّ بِعَيْنَيْنِ لَيْسَتَا فِي  
رَأْسِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَالَ : فَكَيْفَ صَادَفْتِهِ فِي عِفَّتِهِ ؟ قَالَتْ : كَمَا وَصَفَ  
نَفْسَهُ إِذْ قَالَ [من المنسرح] :

لَا وَالَّذِي تَسْجُدُ الْجَبَاهُ لَهُ مَالِي بِمَا ضَمَّ ثَوْبُهَا خَبَرُ  
وَلَا بِفِيهَا وَلَا هَمَمْتُ بِهِ مَا كَانَ إِلَّا الْحَدِيثُ وَالنَّظَرُ

٨٩٠ - قَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ : دَخَلْتُ عَلَى جَمِيلٍ فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ ، فَقَالَ :  
يَا فُلَانُ ! رَجُلٌ يَلْقَى اللَّهَ وَلَمْ يَسْئَلْ دَمًا حَرَامًا ، وَلَمْ يَشْرَبْ خَمْرًا ، وَلَمْ يَأْتِ  
فَاحِشَةً ، أَتَرْجُو لَهُ ؟ قَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ ، فَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ  
ذَلِكَ ؛ فَذَكَرْتُ لَهُ بُثَيْنَةَ ، فَقَالَ : إِنِّي لَفِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا ، وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ  
أَيَّامِ الْآخِرَةِ ، لَا نَالَتَنِي شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ إِنْ كُنْتُ حَدَّثْتُ نَفْسِي بِرَبِيبَةٍ مَعَهَا أَوْ مَعَ  
غَيْرِهَا قَطُّ .

أَقُولُ : وَهَكَذَا كَانَ عَشْقُهُمْ عَشْقًا رُوحَانِيًّا ، عُذْرِيًّا أَوْ أَفْلَاطُونِيًّا ،  
لَا مَا نُسَاهِدُ [ أَلْيَوْمَ ] فِي هَذَا الْجِيلِ الْمَادِّيِّ السَّخِيفِ . . .

\* \* \*

٨٩١ - وَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ فِي « الْأَغَانِي » فِي تَرْجَمَةِ جَمِيلٍ : سَعَتْ أَمَةٌ لِبُيْتِنَةٍ بِهَا إِلَى أَبِيهَا وَأَخِيهَا ، وَقَالَتْ لَهُمَا : إِنَّ جَمِيلًا عِنْدَهَا اللَّيْلَةَ ؛ فَاتْيَاهَا مُشْتَمِلَيْنِ عَلَى سِنَيْنِ ، فَرَأَاهُ جَالِسًا حُجْرَةً - نَاحِيَةً - مِنْهَا يُحَدِّثُهَا وَيَشْكُو إِلَيْهَا بَثَّهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : يَا بُيْتِنَةُ ! أَرَأَيْتِ وَدِّي إِتَاكَ وَشَغَفِي بِكَ ، أَلَا تَجْزِينِيهِ ؟ قَالَتْ : بِمَاذَا ؟ قَالَ : بِمَا يَكُونُ بَيْنَ الْمُتَحَابِّينِ ؛ فَقَالَتْ لَهُ : يَا جَمِيلُ ! أَهَذَا تَبْغِي ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ عِنْدِي بَعِيدًا مِنْهُ ، وَلَكِنْ عَاوَدْتَ تَغْرِضًا بِرَبِيبَةٍ لَا رَأَيْتَ وَجْهِي أَبَدًا ؛ فَضَحِكَ وَقَالَ : وَوَاللَّهِ مَا قُلْتُ لَكَ هَذَا إِلَّا لِأَعْلَمَ مَا عِنْدَكَ فِيهِ ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تُجِيبِنِي إِلَيْهِ لَعَلِمْتُ أَنَّكَ تُجِيبِينَ غَيْرِي ، وَلَوْ رَأَيْتُ مِنْكَ مُسَاعَدَةً عَلَيْهِ لَضَرَبْتُكَ بِسِنْفِي هَذَا مَا اسْتَمْسَكَ فِي يَدِي ، وَلَوْ أَطَاعَتْنِي نَفْسِي لَهَجَرْتُكَ هِجْرَةَ الْأَبَدِ ، أَوْ مَا سَمِعْتَ قَوْلِي [من الطويل] :

وَإِنِّي لَأَرْضَى مِنْ بُيْتِنَةٍ بِالَّذِي      لَوْ أَبْصَرَهُ الْوَاشِي لَقَرَّتْ بِلَابِلُهُ  
بِلا وَبِأَنْ لَا أَسْتَطِيعَ وَبِالْمُنَى      وَبِالْأَمَلِ الْمَرْجُو قَدْ خَابَ أَمِلُهُ  
وَبِالْظُّرَّةِ الْعَجَلَى وَبِالْحَوْلِ تَنْقُضِي      أَوَاخِرُهُ لَا نَلْتَقِي وَأَوَاثِلُهُ  
فَقَالَ أَبُوهَا لِأَخِيهَا : قُمْ بِنَا ، فَمَا يَتَّبِعِي لَنَا بَعْدَ الْيَوْمِ أَنْ نَمْنَعَ هَذَا الرَّجُلَ  
مِنْ لِقَائِهَا ؛ فَأَنْصَرَفَا وَتَرَكَاهَا .

\* \* \*

٨٩٢ - وَمِنْ طَرِيفٍ مَا يُرْوَى عَنْ ظَرْفَاءِ الْمُحَبِّينِ مَا يَلِي :

قَالَ يُوسُفُ بْنُ الْمَاجِشُونِ : أَنْشَدْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُنْكَدِرِ قَوْلَ وَضَّاحِ  
الْيَمَنِ<sup>(١)</sup> [من الطويل] :

(١) هُوَ صَاحِبُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الْمَشْهُورَةِ فِيمَا يُسَمُّونَهُ « الْمُرَاجَعَاتُ » [من السريع] :  
قَالَتْ : أَلَا لَا تَلْجَنَّ دَارَنَا      إِنَّ أَبَانَا رَجُلٌ غَائِرٌ =

إِذَا قُلْتُ هَاتِي نَوِّلِينِي تَبَسَّمْتَ وَقَالَتْ : مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ فِعْلٍ مَا حَرُمَ  
فَمَا نَوَّلْتُ حَتَّى تَضَرَّعْتُ عِنْدَهَا وَأَعْلَمْتُهَا مَا رَخَّصَ اللَّهُ فِي اللَّمَمِ  
فَضَحِكَ ، وَقَالَ : إِنْ كَانَ وَضَّاحٌ إِلَّا مُفْتِيًا لِنَفْسِهِ .

اللَّمَمُ هُنَا - كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الْجَوْهَرِيُّ - هُوَ نَحْوُ الْقُبْلَةِ وَالنَّظَرَةِ  
وَمَا أَشَبَّهَا ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾ [٥٣]  
سورة النجم/ الآية : [٣٢] ، قَالَ بَعْضُهُمْ : اللَّمَمُ مُقَارَبَةُ الذَّنْبِ ، وَقَالَ آخَرُونَ :  
اللَّمَمُ مَا دُونَ الْكَبَائِرِ مِنَ الذُّنُوبِ ؛ وَذَكَرَ الْكَلْبِيُّ أَنَّهَا النَّظَرَةُ مِنْ غَيْرِ تَعَمُّدٍ ،  
وَهِيَ مَغْفُورَةٌ ، فَإِنْ أَعَادَ النَّظَرَ فَلَيْسَ بِلَمَمٍ وَهُوَ ذَنْبٌ ؛ وَقَوْلُ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ : إِنْ  
كَانَ وَضَّاحٌ إِلَّا مُفْتِيًا لِنَفْسِهِ ، يَقُولُ : إِنْ وَضَّاحًا لَمْ يَكُ فِي قَوْلِهِ هَذَا إِلَّا مُفْتِيًا  
لِنَفْسِهِ وَإِلَّا فَالْلَّمَمُ ذَنْبٌ كَانَ يُرْجَى لَهُ الْمَغْفِرَةُ ، فَإِنْ نَافَيْتُ ، عَلَى أَنَّ قَوْلَ وَضَّاحٍ  
هَذَا إِنَّمَا جَاءَ عَلَى مَذْهَبِ الشُّعْرَاءِ ، مِثْلُهُ مِثْلُ قَوْلِ بَشَّارِ بْنِ بُرَيْدٍ [من البسيط] :

لَوْ كُنْتُ تَلْقِينَ مَا نَلَقَى قَسَمْتُ لَنَا يَوْمًا نَعِيشُ بِهِ مِنْكُمْ وَنَبْتَهْجُ  
لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ إِنْ دُمْنَا كَذَا أَبَدًا لَا نَلْتَقِي وَسَبِيلُ الْمُلتَقَى نَهْجُ  
قَالُوا : حَرَامٌ تَلَاقِينَا فَقُلْتُ لَهُمْ مَا فِي التَّلَاقِي وَلَا فِي قُبْلَةِ حَرَجُ  
مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَارَزَ بِالطَّيِّبَاتِ أَلْفَاتِكَ الْبَلْهَجُ

قُلْتُ : فَإِنِّي وَائِبٌ ظَافِرُ  
قُلْتُ : فَإِنِّي فَوْقَهُ ظَاهِرُ  
قُلْتُ : فَسَيَفِي مُرَهَفٌ بَازِرُ  
قُلْتُ : فَإِنِّي سَابِحٌ مَاهِرُ  
قُلْتُ : بَلَى ! وَهُوَ لَنَا غَافِرُ  
فَإِنِّي إِذَا مَا هَجَعَ السَّامِرُ  
لَيْلَةً لَا نِهَاةَ وَلَا زَاجِرُ

أَمَا رَأَيْتَ الْبَابَ مِنْ دُونِنَا ؟  
قَالَتْ : فَإِنَّ الْفَضْرَ مِنْ دُونِنَا !  
قَالَتْ : فَإِنَّ الْإِيْثَ عَالٍ بِهِ  
قَالَتْ : فَهَذَا الْبُخْرُ مَا يَبْنَى  
قَالَتْ : أَلَيْسَ اللَّهُ مِنْ فَوْقِنَا ؟  
قَالَتْ : فَإِنَّمَا كُنْتُ أَعْيَيْتُنَا  
وَأَسْفَطَ عَلَيْنَا كَسْفُوطِ الْكُدَى

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ هَمًّا مَا يُفَارِقُنِي      وَشُرْعًا فِي فُؤَادِي الدَّهْرَ تَعْتَلِجُ  
قَوْلُ بَشَارٍ : وَسَبِيلُ الْمُلْتَقَى نَهْجٌ ، فَالْتَّهَجُ : الْبَيِّنُ الْوَاضِحُ ؛ وَقَوْلُهُ :  
مَا فِي التَّلَاقِي وَلَا فِي قُبْلَةِ حَرْجٍ ، يُرْوَى : مَا فِي التَّزَامِ وَلَا فِي قُبْلَةِ حَرْجٍ ،  
وَالْإِتِّزَامُ : الْإِغْتِنَاقُ ؛ وَقَوْلُهُ : وَشُرْعًا ، فَالْشَّرْعُ : الْكِرْمَاحُ ، وَالْمُرَادُ بِهَا  
الْهُمُومُ عَلَى الْمَجَازِ ؛ وَالِدَّهْرَ ظَرْفٌ ؛ وَتَعْتَلِجُ تَتَضَارَبُ وَتَتَمَارَسُ .

\* \* \*

٨٩٣ - وَقَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ لِلَيْلَى الْأَخِيلِيَّةِ صَاحِبَةِ تَوْبَةَ بْنِ الْحُمَيْرِ  
حِينَ قَدِمَتْ عَلَيْهِ وَقَدْ أَسَنَتْ ، وَطَلَبَ إِلَيْهَا أَنْ تُشَدَّهُ شَيْئًا مِنْ شِعْرِ تَوْبَةَ ،  
فَأَنشَدَتْهُ الْأَبْيَاتَ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا [من الطويل] :

وَكُنْتُ إِذَا مَا زُرْتَ لَيْلَى تَبَرَّقَعْتُ      فَقَدْ رَابَنِي مِنْهَا الْغَدَاةُ سُفُورُهَا  
فَقَالَ الْحَجَّاجُ : مَا الَّذِي رَابَهُ مِنْ سُفُورِكَ ؟ فَقَالَتْ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! كَانَ يُلِمُّ  
بِي كَثِيرًا ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ يَوْمًا أَنِّي آتِيكِ ، وَفِطْنِ الْخَيِّ ، فَأَرَّصَدُوا لَهُ ، فَلَمَّا أَتَانِي  
سَفَرْتُ عَنْ وَجْهِي ، فَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ لِشَرِّ ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى التَّسْلِيمِ وَالرُّجُوعِ ؛ فَقَالَ :  
لِلَّهِ دَرَكٌ ، فَهَلْ رَأَيْتَ مِنْهُ شَيْئًا تُكَرِّهِيهِ ؟ فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ الَّذِي أَسْأَلُهُ أَنْ يُصْلِحَكَ ،  
غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ مَرَّةً قَوْلًا ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ خَضَعَ لِبَعْضِ الْأَمْرِ ، فَقُلْتُ [من الطويل] :

وَذِي حَاجَةٍ قُلْنَا لَهُ لَا تَبْخَ بِهَا      فَلَيْسَ إِلَيْهَا مَا حَيَّتْ سَبِيلُ  
لَنَا صَاحِبٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ نَخُونَهُ      وَأَنْتَ لِأَخْرَى صَاحِبٌ وَخَلِيلُ  
فَلَا وَاللَّهِ الَّذِي أَسْأَلُهُ أَنْ يُصْلِحَكَ مَا رَأَيْتُ مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى فَرَّقَ الْمَوْتُ بَيْنِي  
وَبَيْنَهُ .

\* \* \*

٨٩٤- وَنَزَلَ خَارِجِيٌّ عَلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ مِنْهُمْ مُسْتَتِرًا مِنَ الْحَجَّاجِ ، فَشَخَصَ الْمُنْزُولُ عَلَيْهِ لِبَعْضِ حَاجَاتِهِ ، وَقَالَ لِرِزْوَجَتِهِ : يَا فُلَانَةُ ! أَوْصِيكِ بِضَيْفِي هَذَا خَيْرًا ؛ وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ ، فَلَمَّا عَادَ بَعْدَ شَهْرٍ قَالَ لَهَا : كَيْفَ كَانَ ضَيْفُكَ ؟ قَالَتْ : مَا أَشْغَلَهُ بِالْعَمَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ! وَكَانَ الضَّيْفُ أَطْبَقَ جَفْنِيهِ ، فَلَمْ يُنْظَرْ إِلَى الْمَرْأَةِ وَلَا إِلَى مَنْزِلِهَا إِلَى أَنْ عَادَ رَوْجُهَا .

\* \* \*

٨٩٥- وَخَرَجَتْ أُمْرَأَةٌ مِنْ صَالِحَاتِ نِسَاءِ قُرَيْشٍ إِلَى بَابِهَا تُغْلِقُهُ وَرَأْسُهَا مَكْشُوفٌ ، فَرَأَاهَا أَجْنَبِيٌّ ، فَرَجَعَتْ وَحَلَقَتْ شَعْرَهَا ، وَكَانَتْ مِنْ أَحْسَنِ النِّسَاءِ شَعْرًا ، فَقِيلَ لَهَا فِي ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : مَا كُنْتُ لِأَدْعَ عَلَى رَأْسِي شَعْرًا رَأَاهُ مَنْ لَيْسَ لِي بِمَحْرَمٍ .

\* \* \*

٨٩٦- وَمَرَّتْ أُمْرَأَةٌ حَسَنَاءٌ بِقَوْمٍ مِنْ بَنِي نُمَيْرٍ مُجْتَمِعِينَ فِي نَادٍ لَهُمْ ، فَرَمَقُوهَا بِأَبْصَارِهِمْ ، وَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : مَا أَكْمَلَهَا لَوْلَا أَنَّهَا رَسْحَاءُ<sup>(١)</sup> ، فَالْتَفَتَتْ إِلَيْهِمْ وَقَالَتْ : وَاللَّهِ يَا بَنِي نُمَيْرِ ! مَا أَطْعَمْتُ اللَّهَ وَلَا الشَّاعِرَ ، قَالَ اللَّهُ : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [سورة النور/ الآية : ٣٠] ، وَقَالَ الشَّاعِرُ<sup>(٢)</sup> [من الوافر] :

فَغُضَّ الطَّرْفُ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ      فَلَا كَغَبَاً بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا  
فَأَخْجَلَتْهُمْ .

\* \* \*

(١) الرِّسْحَاءُ ضِدُّ الْعَجْزَاءِ .

(٢) جَبْرِيرٌ .



٨٩٧ - وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَصَوِّفَةِ : شَكَوْتُ إِلَى بَعْضِ الزُّهَّادِ فَسَادًا أَجِدُهُ فِي قَلْبِي ، فَقَالَ : هَلْ نَظَرْتَ إِلَى شَيْءٍ فَتَأَقَّتْ إِلَيْهِ نَفْسُكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ؛ قَالَ : أَحْفَظْ عَيْنَيْكَ فَإِنَّكَ إِنْ أَطْلَقْتَهُمَا أَوْفَعْتَكَ فِي مَكْرُوهِهِ ، وَإِنْ مَلَكَتَهُمَا مَلَكَتَ سَائِرَ جَوَارِحِكَ .

\* \* \*

٨٩٨ - وَقَالَ مُسْلِمٌ الْخَوَّاصُ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الصُّوفِيِّ : أَوْصِنِي ! فَقَالَ : أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي أَمْرِكَ كُلِّهِ ، وَإِثَارٍ مَا يُحِبُّ عَلَى مَحَبَّتِكَ ، وَإِيَّاكَ وَالنَّظَرَ إِلَى كُلِّ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ طَرَفُكَ ، وَشَوْفَكَ إِلَيْهِ قَلْبُكَ ، فَإِنَّهُمَا إِنْ مَلَكَكَ لَمْ تَمْلِكْ شَيْئًا مِنْ جَوَارِحِكَ ، حَتَّى تَبْلُغَ بِهِمَا مَا يُطَالِبَانِكَ بِهِ ، وَإِنْ مَلَكَتَهُمَا كُنْتَ الدَّاعِيَ لَهُمَا إِلَى مَا أَرَدْتَ ، فَلَا يَعْصِيَانِ لَكَ أَمْرًا وَلَا يَرُدَّانِ لَكَ قَوْلًا .

\* \* \*

٨٩٩ - وَقَالَ حَكِيمٌ : مَنْ جَرَى مَعَ هَوَاهُ طَلَقًا ، جَعَلَ عَلَيْهِ لِلدُّلِّ طُرْقًا .

\* \* \*

٩٠٠ - وَقَالَ آخَرُ : مَنْ طَاوَعَ طَرَفَهُ تَابَعَ حَتْفَهُ .

\* \* \*

٩٠١ - وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ [من الطويل] :

نَظَرْتُ فَقَادَنِي إِلَى الْحَتْفِ نَظْرَةً      إِلَيَّ بِمَضْمُونِ الضَّمِيرِ تُشِيرُ  
فَلَا تَصْرِفَنَّ الطَّرْفَ فِي كُلِّ مَنْظَرٍ      فَإِنَّ مَعَارِضَ الْبَلَاءِ كَثِيرُ

\* \* \*

٩٠٢ - وَكَانَ يُقَالُ : مَنْ أَتَعَبَ نَفْسَهُ فِي الْحَلَالِ مِنَ الْإِسَاءِ لَمْ يَتَّقِ إِلَى

الْحَرَامِ مِنْهُنَّ ، كَالطَّلِيحِ ، مِنْهُ أَنْ يَسْتَرِيحَ .

\* \* \*

٩٠٣ - وَنَظَرَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ إِلَى غُلَامٍ جَمِيلٍ عَلَى فَرَسٍ رَائِعٍ ، فَقَالَ :  
لَا أَدْرِي بِمِ أَدَاوِي طَرْفِي ؟ وَلَا بِمِ أَعَالِجُ قَلْبِي ؟ مَا أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا  
رَجَعْتُ ، وَلَا أَسْتَغْفِرُهُ مِنْ أَمْرِ إِلَّا أَتَيْتُ أَعْظَمَ مِنْهُ ، حَتَّى لَقَدْ اسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسْأَلَهُ  
الْمَغْفِرَةَ لِمَا يَلْحَقُ قَلْبِي مِنَ الْقُنُوطِ مِنْ عَفْوِهِ ، لِعَظِيمِ حَالِي بِالْمُنْكَرِ الَّذِي  
أَصْنَعُهُ ؛ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : وَآيَ مُنْكَرٍ أَتَيْتَ ؟ فَقَالَ : أَتْرِيدُ مِنِّي أَكْثَرَ مِنْ نَظْرِي  
هَذَا ! وَاللَّهِ ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يُبْطِلَ كُلَّ عَمَلٍ قَدَّمْتُهُ ، وَخَيْرَ أَسْلَفْتُهُ ؛ ثُمَّ بَكَى  
حَتَّى أَلْصَقَ خَدَّهُ بِالْأَرْضِ .

\* \* \*

٩٠٤ - وَقَالَتْ عَائِكَةُ الْمُرِّيَّةُ [ أَوْ أُمُّ فَرْوَةَ الْعَطْفَانِيَّةُ ] [ مِنْ الْكَامِلِ ] :

وَمَا طَعُمُ مَاءٍ أَيْ مَاءٍ بَعُزْلَةٍ      تَحَدَّرَ مِنْ غُرِّ طِوَالِ الذَّوَائِبِ <sup>(١)</sup>  
بِمُنْعَرَجٍ مِنْ بَطْنِ وَادٍ تَقَابَلَتْ      عَلَيْهِ رِيَاخُ الصَّيْفِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ <sup>(٢)</sup>  
نَفَثَ جَزِيَّةُ الْمَاءِ الْقَدَى عَنْ مُتُونِهِ      فَلَيْسَ بِهِ عَيْبٌ تَرَاهُ لِعَائِبِ  
بِأَطْيَبِ مِمَّنْ يَقْصِرُ الطَّرْفَ دُونَهُ      تُقَى اللَّهُ وَأَسْتَحْيَاءُ [بَعْضُ] الْعَوَاقِبِ

\* \* \*

٩٠٥ - وَقَالَ الْأَخْوَصُ - شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ مَدَنِيٌّ كَانَ مُعَاصِرًا لِجَرِيرِ

وَالْفَرَزْدَقِ - [ مِنْ الْكَامِلِ ] :

(١) الْغُرُّ : السَّحَابُ .

(٢) بِمُنْعَرَجٍ : بِمُنْعَطَفٍ .

قَالَتْ وَقُلْتُ : تَحَرَّجِي وَصِلِي      حَبَلَ أَمْرِيءِ بِوَصَالِكُمْ صَبَّ  
صَاحِبِ إِذَنْ بَعْلِي ، فَقُلْتُ لَهَا      الْغَدْرُ شَيْءٌ لَيْسَ مِنْ ضَرْبِي  
شَيْنَانِ لَا أَذْنُو لَوْضِلِهِمَا      عِزْسُ الْخَلِيلِ وَجَارَةُ الْجَنْبِ<sup>(١)</sup>  
أَمَّا الْخَلِيلُ فَلَسْتُ فَاجِعُهُ      وَالْجَارُ أَوْصَانِي بِهِ رَبِّي

\* \* \*

٩٠٦ - وَكَانَ هَذَا الْأُخُوصُ قَدْ أَكْثَرَ الْقَوْلَ فِي أُمِّ جَعْفَرٍ - أَمْرَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ  
مِنْ بَنِي خُطْمَةٍ - وَشَاعَ تَشْبِيهُهُ بِهَا ، فَجَاءَتْ يَوْمًا مُنْتَقِبَةً ، فَوَقَفَتْ عَلَيْهِ فِي  
مَجْلِسِ قَوْمِهِ ، وَلَا يَعْرِفُهَا ، وَكَانَتْ أَمْرَاءَ عَفِيفَةً ، فَقَالَتْ لَهُ : أَقْضِ ثَمَنَ الْغَنَمِ  
الَّتِي ابْتِغْتَهَا مِنِّي ؛ فَقَالَ : مَا ابْتِغْتُ مِنْكَ شَيْئًا ؛ فَأَظْهَرْتُ كِتَابًا قَدْ وَضَعْتُهُ عَلَيْهِ  
وَبَكَتْ وَشَكَتْ حَاجَةً وَضُرًّا وَفَاقَةً ، وَقَالَتْ : يَا قَوْمُ ! كَلِّمُوهُ ؛ فَلَامَهُ قَوْمُهُ ،  
وَقَالُوا : أَقْضِ الْمَرْأَةَ حَقَّهَا ؛ فَجَعَلَ يَخْلِفُ أَنَّهَا مَا رَأَاهَا قَطُّ وَلَا يَعْرِفُهَا ،  
فَكَشَفَتْ وَجْهَهَا ، وَقَالَتْ : وَيْحَكَ ! أَمَا تَعْرِفُنِي ! فَجَعَلَ يَخْلِفُ مُجْتَهِدًا أَنَّ  
مَا يَعْرِفُهَا وَلَا رَأَاهَا قَطُّ ، حَتَّى إِذَا اسْتَفَاضَ قَوْلُهَا وَقَوْلُهُ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ وَكَثُرُوا  
وَسَمِعُوا مَا دَارَ وَكَثُرَ لَعْطُهُمْ وَأَقْوَالُهُمْ ، قَامَتْ ثُمَّ قَالَتْ : أَيُّهَا النَّاسُ !  
أَسْكُتُوا ! ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ ، وَقَالَتْ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ! صَدَقْتَ وَاللَّهِ مَا لِي عَلَيْكَ حَقٌّ  
وَلَا تَعْرِفُنِي ، وَقَدْ حَلَفْتَ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَنْتَ صَادِقٌ ، وَأَنَا أُمُّ جَعْفَرٍ وَأَنْتَ  
تَقُولُ : قُلْتُ لَأُمِّ جَعْفَرٍ ، وَقَالَتْ لِي أُمُّ جَعْفَرٍ ، فِي شِعْرِكَ ! فَحَجَلَ  
الْأُخُوصُ ، وَأَنْكَسَرَ عَنْ ذَلِكَ ، وَبَرَّتْ عَنْدَهُمْ .

\* \* \*

(١) جَارَةُ الْجَنْبِ ، يُرِيدُ : أَمْرَاءَ جَارِيِ الَّذِي يَقْرُبُ مِنِّي وَيَكُونُ إِلَى جَنْبِي .

٩٠٧ - وَكَانَ مِمَّا قَالَ فِيهَا [من الطويل] :

لَقَدْ مَنَعْتَ مَعْرُوفَهَا أُمَّ جَعْفَرٍ      وَإِنِّي إِلَى مَعْرُوفِهَا لَفَقِيرُ  
وَقَدْ أَنْكَرْتَ بَعْدَ اعْتِرَافِ زِيَارَتِي      وَقَدْ وَغَرْتَ فِيهَا عَلَيَّ صُدُورُ  
أَدُورُ وَلَوْ لَا أَنْ أَرَى أُمَّ جَعْفَرٍ      بِأَيَّاتِكُمْ مَا دُرْتُ حَيْثُ أَدُورُ  
أَزُورُ أَلْبُيُوتَ أَلَلَّاحِقَاتِ بَيْتِهَا      وَقَلْبِي إِلَى أَلْبَيْتِ الَّذِي لَا أَزُورُ  
وَمَا كُنْتُ زَوَّارًا وَلَكِنَّ ذَا أَلْهَوَى      إِذَا لَمْ يَزُرْ لَا بُدَّ أَنْ سَيَزُورُ

\* \* \*

وَمِنْ كِنَايَاتِهِمْ عَنِ الْعِفَّةِ :

٩٠٨ - تَقُولُ الْعَرَبُ : فَلَانٌ عَفِيفُ الْإِزَارِ ، خَفِيفٌ مِنَ الْأَوْزَارِ ؛ وَالْإِزَارُ فِي الْأَصْلِ : كُلُّ مَا وَارَاكَ وَسَتَرَكَ مِنَ الثِّيَابِ ، أَوْ تَقُولُ : الْإِزَارُ : مَا سَتَرَ النَّصْفَ الْأَسْفَلَ مِنَ الْإِنْسَانِ .

٩٠٩ - وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ يَصِفُ جَارِيَةً [من الرمل] :

أَجَلٍ أَنْ اللَّهَ قَدْ فَضَّلَكُمْ      فَوْقَ مَا أَخْكِي بِصُلْبٍ وَإِزَارِ  
أَجَلٍ : أَيِ : مِنْ أَجَلٍ ؛ وَالصُّلْبُ : الْحَسْبُ ؛ وَأَرَادَ بِالْإِزَارِ هُنَا : الْعِفَّةُ ؛ تَقُولُ :

إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَكُمْ بِحَسَبٍ وَعَفَافٍ فَوْقَ مَا أَخْكِي ، أَيِ : مَا أَقُولُ<sup>(١)</sup> .

٩١٠ - وَقَالَتْ خَزْنُقُ بِنْتُ هَقَّانَ تَرْثِي رَوْجَهَا عَمْرُو بْنُ مَرْثِدٍ وَأَبْنَاهَا عَلْقَمَةُ أَبْنِ عَمْرٍو وَأَخُوَيْهِ حَسَّانَ وَشُرْحَيْلَ - وَخَزْنُقُ هِيَ أُخْتُ طَرْفَةَ أَبْنِ الْعَبْدِ أَوْ عَمَّتُهُ - [من الكامل] :

(١) وَيُزَوَّى بَيْتُ عَدِيِّ عَلَى وَجْهِ آخَرٍ وَمَعْنَى آخَرِ .

لَا يَبْعَدَنَّ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ      سُمُّ الْعُدَاةِ وَآفَةُ الْجُزْرِ<sup>(١)</sup>  
 النَّازِلُونَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ      وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الْأَزْرِ<sup>(٢)</sup>  
 إِنْ يَشْرَبُوا يَهْبُؤُوا وَإِنْ يَذُرُوا      يَتَوَاعِظُوا عَنْ مَنْطِقِ الْهَجْرِ  
 قَوْمٌ إِذَا رَكِبُوا سَمِعَتْ لَهُمْ      لَغَطًا مِنَ التَّأْيِيهِ وَالزَّجْرِ  
 وَالْخَالِطِينَ نَحِيَّتَهُمْ بِنُضَارِهِمْ      وَذَوِي الْغَنَى مِنْهُمْ بِذِي الْفَقْرِ  
 هَذَا ثَنَائِي - مَا بَقِيَتْ - عَلَيْهِمْ      فَإِذَا هَلَكْتُ أَجَنِّي قَبْرِي

[«الأمالي» للنائي ، ١٥٨/٢ .

قَوْلُهَا : وَآفَةُ الْجُزْرِ ، فَالْجُزْرُ جَمْعُ جُزُورٍ ، وَهِيَ : النَّاقَةُ تُجْزَرُ وَتُقَطَّعُ ،  
 تَصِفُهُمْ بِالْكَرَمِ ؛ وَقَوْلُهَا : النَّازِلُونَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ ، تُرِيدُ : مُعْتَرِكَ الْحَرْبِ ،  
 تَصِفُهُمْ بِالشَّجَاعَةِ ، وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الْأَزْرِ ، فَالْأَزْرُ سُكُونُ الزَّايِ لِلضَّرُورَةِ ،  
 جَمْعُ إِزَارٍ ، تَصِفُهُمْ بِالْعِفَّةِ ؛ وَالْهَجْرُ : الْفُحْشُ ؛ وَاللَّغَطُ : الْجَلْبَةُ ؛  
 وَالتَّأْيِيهِ : الصَّوْتُ ؛ يُقَالُ : أَيَّهْتُ بِهِ تَأْيِيهَا : إِذَا صَحَّتْ بِهِ ؛ وَالتَّحِيْتُ :  
 الدَّخِيلُ فِي الْقَوْمِ ؛ وَالنُّضَارُ : الْخَالِصُ النَّسَبِ ؛ وَأَرَادَتْ بِالْبَيْتِ الْأَخِيرِ : إِنَّهَا  
 قَدْ قَامَ عُذْرُهَا فِي تَرْكِهَا الشَّنَاءَ عَلَيْهِمْ إِذَا مَاتَتْ ، فَهَذَا مَا وُضِعَ فِيهِ السَّبَبُ مَوْضِعَ  
 الْمُسَبَّبِ ، لِأَنَّ الْمَعْنَى : فَإِذَا هَلَكْتُ انْقَطَعَ ثَنَائِي ، وَإِنَّمَا قَالَتْ : جَنِّي  
 قَبْرِي ، لِأَنَّ مَوْتَهَا سَبَبُ انْقِطَاعِ الشَّنَاءِ .

\* \* \*

- (١) الْعُدَاةُ : الْأَعَادِي ؛ وَالْجُزْرُ جَمْعُ جُزُورٍ : الْبَعِيرُ أَوْ النَّاقَةُ الْمَجْزُورَةُ ، تَصِفُهُمْ بِالْبَأْسِ  
 وَالْكَرَمِ ، وَكَانَ نِسَاءُ الْعَرَبِ - إِذَا حُمِلَ الْأَمْتُ مِنْ بَيْتِهِ أَوْ وَوَرِي قَبْرَهُ يَقْلُنَ : لَا يَبْعَدُ ، يَرُونَ  
 بِذَلِكَ أَنَّنَا أَخَوُجَ مَا نَكُونُ إِلَيْكَ فَلَا تَخْجَبْ دُونَنَا أُنْزِمِينِكَ وَلَا نُورَ جَيْسِكَ .
- (٢) وَيُزَوَّى : النَّازِلِينَ ، وَالطَّيِّبِينَ مَعَاقِدَ الْأَزْرِ .

٩١١ - وَيَقُولُونَ : فَلَانٌ طَاهِرُ الثَّنُوبِ وَطَاهِرُ الثِّيَابِ : إِذَا وَصَفُوهُ بِطَهَارَةِ الْعِرْضِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْعَيْبِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [٧٤ سورة المدثر/ الآية : ٤] يَقُولُ سُبْحَانَهُ : لَا تَلْبَسُ ثِيَابَكَ عَلَى مَعْصِيَةٍ وَلَا عَلَى فُجُورٍ ، وَقِيلَ غَيْرُ<sup>(١)</sup> ذَلِكَ ؛ وَيَقُولُونَ فِي ضِدِّ ذَلِكَ : فَلَانٌ دَنَسُ الثِّيَابِ : إِذَا كَانَ حَبِثَ الْعِرْضِ .

\* \* \*

٩١٢ - وَيَقُولُونَ : فَلَانٌ أَبْيَضُ ، وَفُلَانَةٌ بَيَضَاءُ ، يَعْتُونَ نَقَاءَ الْعِرْضِ مِنَ الدَّنَسِ وَالْعُيُوبِ ، وَهُوَ كَثِيرٌ فِي شِعْرِهِمْ ، لَا يُرِيدُنَ بِذَلِكَ بَيَاضَ اللَّوْنِ ، وَلَكِنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْمَدْحَ بِالْكَرَمِ - ضِدُّ اللَّؤْمِ - وَنَقَاءَ الْعِرْضِ مِنَ الْعُيُوبِ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ زُهَيْرٍ [مِنَ الْبَسِيطِ] :

أَشْمُ أَبْيَضُ يُفَكِّكَ عَنْ أَيْدِي الْعُنَاةِ وَعَنْ أَعْنَاقِهَا الرِّبْقَا<sup>(٢)</sup>  
٩١٣ - وَقَالَ [عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ ، مِنَ الْمُنْسَرِحِ] :

أُمُّكَ بَيَضَاءٌ مِنْ قُضَاعَةٍ فِي الْـ بَيْتِ الَّذِي تَسْتَظِلُّ فِي طُيْبِهِ  
٩١٤ - وَإِذَا قَالُوا : فَلَانٌ أَبْيَضُ الْوَجْهِ ، وَفُلَانَةٌ بَيَضَاءُ الْوَجْهِ ، أَرَدُوا نَقَاءَ اللَّوْنِ مِنَ الْكَلْفِ وَالسَّوَادِ الشَّائِنِ .

\* \* \*

(١) قِيلَ : لَا تَكُنْ غَادِرًا فَتَدْنَسَ ثِيَابَكَ ، فَإِنَّ الْغَادِرَ دَنَسُ الثِّيَابِ ؛ وَقِيلَ : عَمَلَكَ فَأَصْلَحْ ؛ وَقِيلَ : نَفْسَكَ فَطَهِّرْ ؛ وَالْعَرَبُ تُكْنِي بِالثِّيَابِ عَنِ النَّفْسِ ؛ وَقِيلَ : فَطَهَّرْ ، أَيِ : قَصَّرْ ، فَإِنَّ تَقْصِيرَهَا طَهْرٌ .

(٢) الشَّمَمُ فِي الْأَنْفِ : ارْتِفَاعُ الْقَصْبَةِ وَحُسْنُهَا وَاسْتِوَاءُ أَعْلَاهَا وَانْتِصَابُ الْأَرْزَبَةِ ، وَإِذَا وَصَفَ الشَّاعِرُ فَقَالَ : أَشْمٌ ، فَإِنَّمَا يَعْنِي سَيِّدًا ذَا أَنْفَةٍ ؛ وَفَيَاضٌ : وَهَابٌ جَوَادٌ ؛ وَالْعُنَاةُ جَمْعُ عَانٍ ، وَهُوَ : الْأَسِيرُ ؛ وَالرِّبْقَى ، جَمْعُ رِبْقَةٍ ، وَهِيَ فِي الْأَصْلِ : عَزْوَةٌ فِي حَبْلِ تَجْعَلُ فِي عُنُقِ الْبَهِيمَةِ أَوْيَدَهَا تَمْسِكُهَا ، وَقَالُوا عَلَى الْمَثَلِ : فَرَجَ عَنْهُ رِبْقَتُهُ ، أَيِ : كُرْبَتُهُ ، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ .

٩١٥ - وَيَقُولُونَ فِي عِفَّةِ الْإِنْسَانِ : فَلَانَ مَا وَضَعْتَ مُومَسٌ عِنْدَهُ قِنَاعًا ،  
أَوْ مَا قَلَبْتَ لَهُ كَفَّ لَامِسٍ .

\* \* \*

٩١٦ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ [من الطويل] :

فَقَالَتْ : بِحَقِّ اللَّهِ إِلَّا أَتَيْتَنَا إِذَا كَانَ لَوْنُ اللَّيْلِ لَيْلَ الْطَيَالِسِ  
فَجِئْتُ وَمَا فِي الْقَوْمِ يَفْطَانٌ غَيْرَهَا وَقَدْ نَامَ عَنْهَا كُلُّ وَالٍ وَحَارِسِ  
فَبِتْنَا بِلَيْلٍ طَيِّبٍ نَسْتَلِذُّهُ جَمِيعًا وَلَمْ تُقَلِّبْ بِهَا كَفَّ لَامِسِ  
فَقَدْ كُنَى بِذَلِكَ أَجْمَلَ كِنَايَةٍ عَنِ الْعِفَّةِ وَتَنْزِيهِ النَّفْسِ وَصِيَانَةِ الْجَنِبِ عَمَّا  
يُرِيبُ . . .

\* \* \*

٩١٧ - وَمِمَّا يَصِحُّ أَنْ يَنْدِمَجَ فِي هَذَا الْبَابِ وَيُعَدُّ فِي بَابِ الْكِنَايَةِ عَنِ الْفِعْلِ  
بِتَرْكِ ذِكْرِهِ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ [من البسيط] :

سَقَى الْمَطِيرَةَ ذَاتَ الظَّلِّ وَالشَّجَرِ وَدَيَّرَ عَبْدُونَ ، هَطَّالٌ مِنَ الْمَطَرِ<sup>(١)</sup>  
يَا طَالَمَا نَبْهَتَنِي لِلصَّبُوحِ بِهِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَالْعُصْفُورِ لَمْ يَطِرْ<sup>(٢)</sup>  
أَصْوَاتُ رُهْبَانٍ دَيَّرَ فِي صَلَاتِهِمْ سُودُ الْمَدَارِعِ نَعَارِينَ فِي السَّخَرِ<sup>(٣)</sup>  
مُزَنَّرِينَ عَلَى الْأَوْسَاطِ قَدْ جَعَلُوا عَلَى الرُّؤُوسِ أَكَالِيلاً مِنَ الشَّعْرِ  
كَمْ فِيهِمْ مِنْ مَلِيحِ الْوَجْهِ مُكْتَمِلٍ بِالسَّخَرِ يُطْبِقُ جَفْنِيهِ عَلَى حَوَرِ<sup>(٤)</sup>

(١) الْمَطِيرَةُ : قَرْيَةٌ مِنْ نَوَاحِي سَامُرَاءَ - سُرٌّ مَنْ رَأَى - وَكَانَتْ مِنْ مُتَنَزِّهَاتِ بَغْدَادَ وَسَامُرَاءَ ؛ وَدَيَّرَ عَبْدُونَ : بِسَامُرَاءَ بِجَانِبِ الْمَطِيرَةِ - يَاقُوتُ - .

(٢) الصَّبُوحُ : شِرْبُ الْخَمْرِ ضَبْحًا .

(٣) الْمَدَارِعُ ، جَمْعُ مَذْرَعَةٍ : جُبَّةٌ مَشْقُوقَةُ الْمُقَدَّمِ مِنَ الصُّوفِ .

(٤) الْحَوَرُ : أَنْ يَشْتَدَّ بَيَاضُ الْعَيْنِ وَسَوَادُ سَوَادِهَا وَتَسْتَدِيرُ حَدَقَتَهَا وَتَرَقُّ جُفُونُهَا .

لَا حَظُّهُ بِالْهَوَى حَتَّى اسْتَقَادَ لَهُ      طَوْعاً وَأَسْلَفَنِي الْمِيعَادَ بِالنَّظَرِ  
وَجَاءَ مَنْ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ مُسْتَتِراً      يَسْتَعْجِلُ الْخَطْوَ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ حَذَرٍ  
فَقُمْتُ أَفْرِشُ خَدِّي فِي التُّرَابِ لَهُ      دُلّاً وَأَسْحَبُ أَذْيَالِي عَلَى الْأَثَرِ  
وَلَا حَ ظُوءُ هِلَالٍ كَادَ يَفْضَحُنَا      مِثْلَ الْقَلَامَةِ قَدْ قُصَّتْ مِنَ الظُّفْرِ  
فَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكُرُهُ      فَظَنَّ خَيْراً وَلَا تَسْأَلْ عَنِ الْخَبْرِ

\* \* \*

٩١٨ - وَمِمَّا عَدُوهُ فِي هَذَا أَلْبَابِ مَا يُرَوَى : أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ  
أَخْضَرَ الْفِرَزْدَقَ وَجَرِيراً وَالْأَخْطَلَ ، وَقَالَ : لِيَصِفْ كُلُّ مِنْكُمْ مَرْكباً حَتَّى أَدْفَعَهُ  
إِلَيْهِ ، فَوَصَفَ جَرِيْرُ فَرَساً ، وَالْأَخْطَلُ نَاقَةً ، وَقَالَ الْفِرَزْدَقُ [من البسيط] :

مَا مَرْكَبٌ وَرُكُوبُ الْخَيْلِ يُعْجِبُنِي      كَمَرْكَبٍ بَيْنَ دُمْلُوجٍ وَخَلْخَالٍ  
أَلَدَّ لِلْفَارِسِ الْمُجْرِي إِذَا أَنْبَهَرَتْ      أَنْفَاسُ أَمْثَالِهَا مِنْ تَحْتِ أَمْثَالِي<sup>(١)</sup>  
وَأَوْماً إِلَى جَارِيَةٍ رَائِعَةٍ كَانَتْ عَلَى رَأْسِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ :  
خُذْ بِيَدِهَا ؛ فَقَالَتْ : اللَّهُ اللَّهُ فِيَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! أَتَدْفَعُنِي إِلَى هَذَا الْأَعْرَابِيِّ  
الْجَلْفِ ! فَقَالَ : لِيَنْطَلِقَ بِكَ ؛ فَمَضَى وَأَخَذَهَا .

\* \* \*

٩١٩ - وَمِنْ هَذَا أَخَذَ بَعْضُهُمْ قَوْلَهُ [من الكامل] :

وَطَرِبْتُ طَرِبَةً فَاسِقٍ مُتَهَلِّكٍ      وَعَقَدْتُ صَبُوءَ نَاسِكٍ مُتَحَرِّجٍ  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ كَيْفَ كَانَتْ عِفَّتِي      مَا بَيْنَ خَلْخَالٍ هُنَاكَ وَدُمْلُجٍ  
وَهَذَا أَذْنَى إِلَى الْكِنَايَةِ عَنِ الْعِفَّةِ .

\* \* \*

(١) أَنْبَهَرَتْ : أَنْقَطَعَ نَفْسُهَا مِنَ الْإِغْيَاءِ .



## الزَّنا وَالسَّحاق :

٩٢٠ - الزَّنا يُمَدُّ وَيُقَصَّرُ ، زَنَى الرَّجُلُ يَزْنِي ، مَقْصُورٌ ، وَزِنَاءٌ ، مَمْدُودٌ ،

قَالَ الشَّاعِرُ [من الكامل] :

أَمَّا الزَّنا فَإِنِّي لَسْتُ قَارِبَهُ وَالْمَالُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْخَمْرِ نِصْفَانِ

قَالَ اللَّحْيَانِي : الزَّنا مَقْصُورٌ : لُغَةٌ أَهْلُ الْحِجَازِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا

تَقْرَبُوا الزَّنا ﴾ [١٧ سورة الإسراء/ الآية : ٣٢] ، وَالزَّنا مَمْدُودٌ : لُغَةٌ بَنِي تَمِيمٍ ،

وَالنَّسْبَةُ إِلَى الْمَقْصُورِ زِنَوِيٌّ ، وَإِلَى الْمَمْدُودِ زِنَائِيٌّ ، وَزَنَاهُ تَزْنِيَةٌ : نَسْبُهُ إِلَى

الزَّنا ، وَقَالَ لَهُ : يَا زَانِي ، وَيُقَالُ لِلْوَلَدِ إِذَا كَانَ مِنْ زُنَى : هُوَ لَزْنِيَّةٌ ، وَفُلَانٌ

أَبْنُ زَنْيَةٍ وَزَنْيَةٍ ، وَالْفَتْحُ أَغْلَى ، وَهُوَ نَقِيضُ قَوْلِكَ : لِرَشْدَةٍ وَرَشْدَةٍ .

\* \* \*

## نَهَيْهُمْ عَنِ الزَّنا :

٩٢١ - قَالَ عَزَّ وَتَقَدَّسَ : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّنا إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [١٧]

سورة الإسراء/ الآية : ٣٢] .

قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّنا ﴾ أَيُّ : بِالْعَزْمِ وَالْإِثْنَانِ بِالْمُقَدَّمَاتِ ،

فَضْلًا عَنْ أَنْ تُبَاشِرَهُ ؛ وَقَوْلُهُ : ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً ﴾ أَيُّ : عَمَلًا قَبِيحًا مُمْنَعًا

فِي الْقُبْحِ زَائِدًا عَلَيْهِ ؛ وَقَوْلُهُ : ﴿ وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ أَيُّ : بِئْسَ طَرِيقًا طَرِيقُهُ ؛ قَالَ

الزَّمَخْشَرِيُّ : وَهُوَ أَنْ تُغْصِبَ غَيْرَكَ أَمْرَاتَهُ أَوْ أُخْتَهُ أَوْ بِنْتَهُ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ - أَيُّ :

مِنْ غَيْرِ طَرِيقٍ مَشْرُوعٍ - وَالسَّبَبُ مُمَكِّنٌ ، وَهُوَ الصَّهْرُ الَّذِي شَرَّعَهُ اللَّهُ .

\* \* \*

٩٢٢ - وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ » [البخاري ، رقم : ٢٤٧٥ ؛ مسلم ، رقم : ٥٧] .

\* \* \*

٩٢٣ - وَفِي الْحَدِيثِ أَيْضاً : « إِيَّاكُمْ وَالزَّانَا ، فَإِنَّ فِيهِ سِتٌّ خِصَالٍ : ثَلَاثٌ فِي الدُّنْيَا ، وَثَلَاثٌ فِي الْآخِرَةِ ؛ فَأَمَّا اللَّوَاتِي فِي الدُّنْيَا : فَذَهَابُ نُورِ أَلْوَجْهِ ، وَانْقِطَاعُ الرِّزْقِ ، وَسُرْعَةُ الْفَنَاءِ ؛ وَأَمَّا اللَّوَاتِي فِي الْآخِرَةِ : فَعُصْبُ الرَّبِّ ، وَسُوءُ الْحِسَابِ ، وَالْخُلُودُ فِي النَّارِ ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » [راجع « كنز العمال » ، رقم : ١٣٠٢٢] .

\* \* \*

٩٢٤ - وَفِي الْحَدِيثِ أَيْضاً : « مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ ، وَيُظْهَرَ الْجَهْلُ ، وَتُشْرَبَ الْخَمْرُ ، وَيُظْهَرَ الزَّانَا ، وَيَقِلَّ الرَّجَالُ ، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ حَتَّى يَكُونَ لِلْخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ » [البخاري ، رقم : ٦٨٠٨]

\* \* \*

عُقُوبَةُ الزَّانِي :

٩٢٥ - قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٢٤ سورة النور/ الآية : ٢] .

\* \* \*

٩٢٦ - يُروى أَنَّهُ سُئِلَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَنْ قَوْلِ الْمُصْطَفَى : « لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ » ، فَأَدَارَ دَائِرَةً كَبِيرَةً وَأَدَارَ وَسَطَهَا دَائِرَةً صَغِيرَةً ، وَقَالَ : الْكَبِيرَةُ هِيَ الْإِسْلَامُ وَالصَّغِيرَةُ هِيَ الْإِيمَانُ ؛ فَإِذَا زَنَى خَرَجَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَإِنْ كَفَرَ خَرَجَ مِنَ الدَّائِرَةِ الْكَبِيرَةِ إِلَى الشَّرْكِ وَالْكُفْرِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ .

٩٢٧ - قَالَ عَلَمَاؤُنَا : إِنَّمَا قَدَّمَ الزَّانِيَةَ لِأَنَّ الزَّنَا فِي الْأَغْلَبِ يَكُونُ بِتَعَرُّضِهَا لِلرَّجُلِ وَعَرَضِ نَفْسِهَا عَلَيْهِ ، وَلِأَنَّ مَفْسَدَتَهُ تَتَحَقَّقُ بِالإِضَافَةِ إِلَيْهَا ، وَالْجَلْدُ : ضَرْبُ الْجِلْدِ ، وَهُوَ حُكْمٌ خَاصٌّ بِمَنْ لَيْسَ بِمُخَصَّنٍ ، أَمَّا حَدُّ الْمُخَصَّنِ فَهُوَ الرَّجْمُ<sup>(١)</sup>

(١) هَذَا هُوَ [حَدُّ] الزَّنَا فِي الْإِسْلَامِ ، أَمَّا فِي الْقَوَانِينِ الْمِصْرِيَّةِ الْمَأْخُودَةِ عَنِ الْقَوَانِينِ الْفَرَنْسِيَّةِ ، فَقَدْ جَعَلَ الشَّارِعُ وَجْهَتَهُ الْأُولَى فِي التَّشْرِيعِ الرِّضَا وَالْإِكْرَاهَ ، وَالْعَلِيَّةَ وَالْإِسْتِثْنَاءَ ، وَسَنَّى الْمَجْنُونِ عَلَيْهِ ؛ وَشَرَعَ فِي الْجَمِيعِ الْحَبْسَ الثَّقِيلَ وَالْحَبْسَ الْخَفِيفَ عَلَى حَسَبِ الظُّرُوفِ وَالْأَحْوَالِ ، فَإِذَا كَانَ الْفِعْلُ عِبَارَةً عَنْ فِسْقٍ بِصِيَّةٍ - أَوْ صَبِيٍّ - مَهْمَا كَانَ نَوْعُ الْفَاحِشَةِ فَالْعِقَابُ السَّجْنُ ، أَيْ : الْحَبْسُ الثَّقِيلُ ، وَإِنْ كَانَ بِأَمْرٍ أَوْ ذَكَرَ بِالْغَيْنِ فَالْعِقَابُ يَخْتَلِفُ ، فَإِنْ كَانَ بِالْإِكْرَاهِ فَالْحَبْسُ الثَّقِيلُ جِذَا الْمَعْرُوفِ بِالْأَشْغَالِ الشَّاقَّةِ ، وَإِنْ كَانَ بِغَيْرِ إِكْرَاهٍ وَكَانَ الْمَفْسُوقُ بِهِ ذَكَرًا فَلَا عِقَابَ ، وَإِنْ كَانَتْ أُنْثَى ، فَإِنْ كَانَتْ مُتَزَوِّجَةً فَعِقَابُهَا مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ إِلَى سَنَتَيْنِ وَعِقَابُ الْفَاعِلِ كَذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ مُتَزَوِّجَةٍ فَلَا عِقَابَ عَلَيْهَا وَلَا عَلَى مَنْ فَعَلَ بِهَا ، وَقَدْ جَعَلَ هَذَا الْقَانُونُ لِلزَّوْجِ الْحَقَّ فِي إِسْقَاطِ الْعِقَابِ عَنْ زَوْجَتِهِ إِذَا شَاءَ ، كَمَا جَعَلَ لَهُ دُونَ غَيْرِهِ الْحَقَّ فِي إِقَامَةِ الدَّعْوَى عَلَيْهَا ؛ أَمَّا عِقَابُ الزَّوْجِ الَّذِي يَزْنِي فِي مَنْزِلِهِ الَّذِي تَقِيمُ فِيهِ زَوْجَتُهُ فَعِقَابُهُ الْحَبْسُ مِنْ شَهْرٍ إِلَى سِنَةٍ أَشْهُرَ وَغَرَامَةٌ لَا تَزِيدُ عَلَى أَلْفِ قِرْشٍ ، وَيُشْتَرَطُ فِي عِقَابِهِ أَنْ تَكُونَ الشُّكُوكُ مِنَ الزَّوْجَةِ دُونَ غَيْرِهَا ، فَإِذَا زَنَى فِي غَيْرِ مَنْزِلِهِ بِأَمْرٍ أَوْ غَيْرِ مُتَزَوِّجَةٍ وَبِرِضَاهَا فَلَا عِقَابَ عَلَيْهِ ، وَإِذَا زَنَى فِي غَيْرِ مَنْزِلِهِ بِمُتَزَوِّجَةٍ وَبِرِضَاهَا وَلَمْ يَشْكُ مِنْهُ زَوْجُهَا فَلَا عِقَابَ عَلَيْهِ وَلَا عَلَيْهَا ؛ وَمَنْ فَعَلَ فِعْلًا فَاضِحًا أَوْ فَاحِشَةً غَيْرَ مُسْتَتِرٍ بِرِضَا الْمَجْنُونِ عَلَيْهِ أَوْ عَلَيْهَا فَعِقَابُهُ الْحَبْسُ مِنْ شَهْرٍ إِلَى سِنَةٍ وَغَرَامَةٌ لَا تَزِيدُ عَلَى أَلْفِ قِرْشٍ . فَلِلْإِكْرَاهِ وَالْمُجَاهَرَةِ شَأْنٌ عَظِيمٌ فِي الْعِقَابِ عَلَى مَذْهَبِ الْقَانُونِ الْمِصْرِيِّ ، وَقَدْ جَاءَ فِيهِ كَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا أَغْرَى إِنْسَانٌ صَبِيَّةً يَقُولُ عُمْرُهَا عَنْ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً وَفَعَلَ بِهَا الْفَاحِشَةَ فَعِقَابُهَا أَشَدُّ عِقَابِ وَرَدَ بِعُقُوبَةِ هَاتِكَ =

وَالْإِحْصَانُ يَتَوَقَّرُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ : الْحُرِّيَّةُ<sup>(١)</sup> ، وَالْبُلُوغُ ، وَالْعَقْلُ ، وَالتَّرْجُحُ  
بِنِكَاحٍ صَحِيحٍ ؛ فَإِذَا فَقِدْتَ وَاحِدَةً مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فَلَا إِحْصَانَ ؛ وَقَوْلُهُ  
سُبْحَانَهُ : ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ [سورة النور/ الآية : ٢٤] ، فَإِنَّ الْوَاجِبَ  
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَصَلَّبُوا فِي دِينِ اللَّهِ ، وَأَنْ يَسْتَعْمِلُوا الْجِدَّ وَالْمَتَانَةَ - الْقُوَّةَ  
- فِيهِ ، وَلَا يَأْخُذْهُمْ اللَّيْنُ وَالْهَوَادَّةُ فِي اسْتِيفَاءِ حُدُودِهِ ، وَكَفَى بِرَسُولِ اللَّهِ أُسُوءَ  
فِي ذَلِكَ حَيْثُ قَالَ : « وَلَوْ سَرَقَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ لَقَطَعْتُ يَدَهَا » [ البخاري ،  
رقم : ٣٤٧٥ ؛ مسلم ، رقم : ١٦٨٨ ] ؛ وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ ﴾ [ سورة النساء/ الآية : ٥٩ ] فَهُوَ مِنْ بَابِ التَّهْيِيجِ وَالْهَابِ الْغَضَبِ لِلَّهِ وَلِدِينِهِ ؛  
وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَلَيَشْهَدَنَّ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [ سورة النور/ الآية : ٢٤ ] ، زِيَادَةً  
فِي التَّنْكِيلِ ، فَإِنَّ التَّشْهِيرَ قَدْ يُنْكَلُ أَكْثَرَ مِمَّا يُنْكَلُ التَّعْذِيبُ ، وَالطَّائِفَةُ الْمُرَادُ  
بِهَا : جَمْعٌ يَخْصُلُ بِهَا التَّشْهِيرُ .

وَبَعْدُ ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْكَبِيرَةَ - كَبِيرَةَ الزَّنَاهِي مِنْ أُمَمَاتِ الْكِبَائِرِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَلِهَذَا  
قَرَنَهَا اللَّهُ بِالشَّرِكِ وَقَتَلَ النَّفْسَ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ<sup>(٢)</sup> : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا  
آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا<sup>(٣)</sup> »

= الْعِزْضُ كَرَاهًا ، أَيْ : الْأَشْغَالُ الشَّاقَّةُ سَنَعُ سَنَاتٍ ، وَإِذَا كَانَ سِنٌ الْمَفْتُونَةُ أَوْ الْمَخْطُوفَةُ  
فَوْقَ الْخَامِسَةِ عَشْرَةَ فَالْعِقَابُ الْحَبْسُ الْخَفِيفُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ إِلَى سَنَةٍ ، وَلَوْ كَانَتْ الْمَخْطُوفَةُ  
أَوْ الْمَفْتُونَةُ مَتَزَوَّجَةً فَالْعِقَابُ الْأَشْغَالُ الشَّاقَّةُ ، وَلَوْ تَزَوَّجَ الْخَاطِفُ بِمَخْطُوفَتِهِ أَوْ مَفْتُونَتِهِ غَيْرِ  
الْمَتَزَوَّجَةِ فَلَا عِقَابَ عَلَيْهِ . [ فَيَا سُبْحَانَ اللَّهِ ، أَيْنَ شَرَفُ الْإِسْلَامِ وَعُلُوُّ مَقَامِهِ مِنَ الْقَوَانِينِ  
الْوَضِيعَةِ الدِّيْنِيَّةِ فِي نَظَرِهَا وَمَكَانَتِهَا ١؟ ] .

(١) أَمَّا الْعَبْدُ فَإِنَّهُ يُجْلَدُ خَمْسِينَ جَلْدَةً فَقَطَّ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ : يُجْلَدُ  
خَمْسِينَ جَلْدَةً وَيُعْرَبُ سَنَةً كَالْحُرِّ ، وَقِيلَ : يُعْرَبُ نِصْفَ سَنَةٍ ، وَقِيلَ : لَا يُعْرَبُ .

(٢) فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ .

(٣) أَثَامٌ : هُوَ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَى فِعْلِ الْإِثْمِ ، قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ [ مِنَ الْكَامِلِ ] :

وَأَبْحَثُ سَرَحَ اللَّهِوَ حَيْثُ أَسَامُوا      وَلَقَدْ نَهَزْتُ مَعَ الْغَوَاةِ بِدَلْوِهِمْ  
فَإِذَا عُصَارَةٌ كُلُّ ذَاكَ أَثَامٌ      وَبَلَّغْتُ مَا بَلَغَ أَمْرُو بِسَبَابِهِ

يُضَنَعُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَكَّأً ﴿٢٥﴾ [سورة الفرقان/ الآيتان: ٦٨ و ٦٩]  
 وَلِذَلِكَ وَفَى اللَّهُ فِيهِ عِقْدَ الْمِثَّةِ بِكَمَالِهِ ، بِخِلَافِ حَدِّ الْقَذْفِ - قَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ  
 - وَشُرْبِ الْخَمْرِ ؛ وَشَرَعَ فِيهِ الْقِتْلَةَ الْمَهُولَةَ ، وَهِيَ الرَّجْمُ ، وَنَهَى الْمُؤْمِنِينَ  
 عَنِ الرِّافَةِ عَلَى الْمَجْلُودِ فِيهِ ، وَأَمَرَ بِشَهَادَةِ الطَّائِفَةِ لِلتَّشْهِيرِ .

\* \* \*

### قُبْحُ الْمَعْصِيَةِ :

٩٢٨ - وَجَاءَ فِي « طَوْقِ الْحَمَامَةِ » لِلْإِمَامِ أَبِي حَزْمٍ تَحْتَ عُنْوَانٍ : « قُبْحُ  
 الْمَعْصِيَةِ » مَا يَأْتِي مَعَ شَيْءٍ مِنَ التَّصَرُّفِ ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ :  
 وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُطِيعُونَ أَنْفُسَهُمْ وَيَعْصُونَ عُقُولَهُمْ ، وَيَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ،  
 وَيَرْفُضُونَ أَذْيَانَهُمْ ، وَيَتَجَبَّبُونَ مَا حَضَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَرَبَّنُهُ فِي الْأَلْبَابِ  
 السَّلِيمَةِ ، مِنَ الْعِفَّةِ وَتَرْكِ الْمَعَاصِي وَمُقَارَعَةِ الْهَوَى ، وَيُخَالِفُونَ اللَّهَ رَبَّهُمْ  
 وَيُؤَافِقُونَ إِبْلِيسَ فِيمَا يُحِبُّهُ مِنَ الشَّهْوَةِ الْمُعْطَبَةِ ، فَيُؤَاقِعُونَ الْمَعْصِيَةَ فِي حُبِّهِمْ ؛  
 وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَكَّبَ فِي الْإِنْسَانِ طَبِيعَتَيْنِ مُتَضَادَّتَيْنِ ، إِحْدَاهُمَا  
 لَا تُشِيرُ إِلَّا بِخَيْرٍ وَلَا تَحْضُرُ إِلَّا عَلَى حَسَنِ ، وَلَا يُصَوِّرُ فِيهَا إِلَّا كُلُّ أَمْرٍ  
 مَرْضِيٍّ ، وَهِيَ الْعَقْلُ ، وَقَائِدُهُ الْعَدْلُ ؛ وَالْثَانِيَةُ ضِدُّ لَهَا ، لَا تُشِيرُ إِلَّا إِلَى  
 الشَّهَوَاتِ وَلَا تَقُودُ إِلَّا إِلَى الرَّدَى ، وَهِيَ النَّفْسُ ، وَقَائِدُهَا الشَّهْوَةُ ، وَاللَّهُ  
 تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية : ٥٣] فَهَاتَانِ  
 الطَّبِيعَتَانِ قُطْبَانِ فِي الْإِنْسَانِ ، وَهُمَا قُوتَانِ مِنْ قُوَى الْجَسَدِ الْفَعَالِ بِهِمَا ،  
 وَمُطَرَحَانِ مِنْ مَطَارِحِ شُعَاعَاتِ هَذَيْنِ الْجَوْهَرَيْنِ الْعَجِيبَيْنِ الرَّفِيعَيْنِ الْعُلُويَّيْنِ ،

= فَإِذَا عَصَارَةُ كُلِّ ذَاكَ أَنَامٌ ، أَيْ : إِنَّ عَصَارَةَ الْغَوَايَةِ وَالْإِسْتِخْدَاءِ لِلْأَهْوَاءِ الْخِزْيِ وَالْعَطَبِ  
 وَالْآلَامِ وَالْأَسْقَامِ وَالنَّدَمِ وَالْأَسْفَ فِي الدُّنْيَا وَغَضَبِ اللَّهِ وَعَذَابُهُ فِي الْآخِرَةِ .

فَفِي كُلِّ جَسَدٍ مِنْهُمَا حَظُّهُ عَلَى قَدَرٍ مُقَابَلَتِهِ لَهُمَا فِي تَقْدِيرِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ  
تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ حِينَ خَلَقَهُ وَهَيَّأَهُ ، فَهُمَا يَتَقَابِلَانِ أَبَدًا وَيَتَنَازَعَانِ دَآبَا ، فَإِذَا  
غَلَبَ الْعَقْلُ النَّفْسَ ارْتَدَعَ الْإِنْسَانُ وَقَمَعَ عَوَارِضَهُ الْمَدْخُولَةَ وَاسْتَضَاءَ بِنُورِ اللَّهِ  
وَاتَّبَعَ الْعَدْلَ ، وَإِذَا غَلَبَتِ النَّفْسُ الْعَقْلَ عَمِيَتِ الْبَصِيرَةُ ، وَلَمْ يَتَّضِحِ الْفَرْقُ بَيْنَ  
الْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ ، وَعَظُمَ الْاَلْتِبَاسُ وَتَرَدَّى الْمَرْءُ فِي هَوَاةِ الرَّدَى وَمِهْوَاةِ  
الْهَلَكَةِ ، وَبِهَذَا حَسُنَ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَوَجَبَ الْاِكْتِمَالُ ، وَصَحَّ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ  
وَاسْتَحَقَّ الْجَزَاءُ ، وَإِنَّ الْوُقُوفَ عِنْدَ حَدِّ الطَّاعَةِ لَمَعْدُومٌ إِلَّا مَعَ طَوْلِ الرِّيَاضَةِ  
وَصِحَّةِ الْمَعْرِفَةِ وَنَفَازِ التَّمْيِيزِ ، وَمَعَ ذَلِكَ اجْتِنَابِ التَّعَرُّضِ لِلْفِتَنِ وَمُدَاخَلَةِ  
النَّاسِ جُمْلَةً وَالْجُلُوسُ فِي الْبُيُوتِ ، وَبِالْحَرِيِّ أَنْ تَقَعَ السَّلَامَةُ الْمَضْمُونَةُ ، أَوْ  
يَكُونَ الرَّجُلُ حَصُورًا لَا أَرْبَ لَهُ مِنَ النِّسَاءِ وَلَا جَارِحَةً لَهُ تُعِينُهُ عَلَيْهِنَّ .



صَدَرَ مِنْ مُلَحِّهِمْ فِي هَذَا الْبَابِ ، بَابِ الزُّنَا :

٩٢٩ - أَنشَدَ الْفَرَزْدَقُ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا [من

الوافر] :

وَبِيضٍ كَالْدُمَى قَدْ بَثَّ أُسْرِي      بِهِنَّ إِلَى الْخَلَاءِ عَنِ النَّيَامِ  
ثَلَاثٌ وَاثْنَتَانِ فَهُنَّ خَمْسٌ      وَسَادِسَةٌ تَمِيلُ إِلَى السُّمَامِ<sup>(١)</sup>  
فَبَيْنَ بَجَانِبَيْ مُطَرِّحَاتٍ      وَبِثُّ أَفْضُ أَغْلَاقِ الْخِتَامِ<sup>(٢)</sup>  
فَقَالَ هِشَامُ : أَخَلَلْتُ نَفْسَكَ يَا فَرَزْدَقُ ! أَقَرَّرْتُ عِنْدِي بِالزُّنَا وَأَنَا إِمَامٌ ،

(١) يُرِيدُ بِالسُّمَامِ : الْقَبِيلَ وَالْكَرْشَفَ .

(٢) مُطَرِّحَاتٍ يَزْوِي : مُصَرَّعَاتٍ . وَقَوْلُهُ : أَفْضُ أَغْلَاقِ الْخِتَامِ ، أَرَادَ خِتَامَ الْأَغْلَاقِ ، فَقَلَبَ ، وَهَذَا كِنَايَةٌ عَنِ انْتِضَاعِ الْعِدَارِيِّ ، فَتَبَّحَهُ اللَّهُ .

وَلَا بُدَّ لِي مِنْ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْكَ ؛ فَقَالَ : بِمِ أَوْجَبْتَ ذَلِكَ عَلَيَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ : بِكِتَابِ اللَّهِ : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [٢٤] سورة النور/ الآية : ٢٢ . قَالَ الْفَرَزْدَقُ : فَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ يَذَرُّهُ - يَذْفَعُ - عَنِّي ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ [٢٢٥] أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿ ٢٢٥ ﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ [٢٦] سورة الشعراء/ الآيات : ٢٢٤ - ٢٢٦ ] فَأَنَا قُلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلْ .

٩٣٠ - أَقُولُ : وَمِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ أَخَذَ الصَّفِيُّ الْحِلِّيُّ قَوْلَهُ [من الكامل] :

نَحْنُ الَّذِينَ أَتَى الْكِتَابُ مُحْجَرًا      بِعَفَا أَنْفُسِنَا وَفَسَقِ الْأَلْسُنِ

\* \* \*

٩٣١ - وَقِيلَ لِرَجُلٍ فِي أَمْرَاتِهِ - وَكَانَتْ لَا تَرُدُّ يَدَ لَامِسٍ<sup>(١)</sup> - عَلَامَ تَحْبِسُهَا - أَيُ : تُبْقِي عَلَيْهَا - مَعَ مَا تَعْرِفُ مِنْهَا ؟ فَقَالَ : إِنَّهَا جَمِيلَةٌ فَلَا تُفْرَكُ - لَا تُبْغَضُ - وَأُمُّ عِيَالٍ فَلَا تُتْرَكُ .

\* \* \*

٩٣٢ - وَقِيلَ لِأَبِي الطَّمَحَانِ الْقَيْنِيِّ : حَبَّرْنَا عَنْ أَدْنَى ذُنُوبِكَ ؛ قَالَ : لَيْلَةُ الدَّيْرِ ؛ قَالُوا : وَمَا لَيْلَةُ الدَّيْرِ ؟ قَالَ : نَزَلْتُ عَلَى دَيْرَانِيَّةٍ<sup>(٢)</sup> ، فَأَكَلْتُ طَفِيرًا<sup>(٣)</sup> بِلَحْمٍ خَنْزِيرٍ ، وَشَرِبْتُ مِنْ خَمْرِهَا ، وَزَنَيْتُ بِهَا ، وَسَرَقْتُ كِسَاءَهَا ، وَمَضَيْتُ .

\* \* \*

٩٣٣ - بَاتَ أَغْرَابِي ضَيْفًا لِبَعْضِ الْحَضَرِ ، فَرَأَى أَمْرَأَةً ، فَهَمَّ أَنْ يُخَالَفَ

(١) كِنَايَةٌ عَنْ فَجْرِهَا .

(٢) صَاحِبَةُ الدَّيْرِ .

(٣) نَوْعٌ مِنَ الْمَرْقِ .

إِلَيْهَا فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ ؛ فَمَنَعَهُ الْكَلْبُ ، ثُمَّ أَرَادَ ذَلِكَ نِصْفَ اللَّيْلِ فَمَنَعَهُ ضَوْءُ الْقَمَرِ ؛ ثُمَّ أَرَادَ ذَلِكَ فِي السَّحَرِ فَإِذَا عَجُوزٌ قَائِمَةٌ تُصَلِّي ؛ فَقَالَ [من البسيط] :  
لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ شَيْئاً كُنْتُ أَكْرَهُهُ      غَيْرَ الْعَجُوزِ وَغَيْرَ الْكَلْبِ وَالْقَمَرِ  
هَذَا نَبُوحٌ وَهَذَا يُسْتَضَاءُ بِهِ      وَهَذِهِ شَيْخَةٌ قَوَّامَةُ السَّحَرِ

\* \* \*

٩٣٤ - وَقَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ : قَدِمَتْ امْرَأَةٌ مِنْ كَلْبٍ شَرِيفَةً مَكَّةَ لِلْحَجِّ وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ - فَرَأَاهَا عُمَرُ ابْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، فَجَعَلَ يَكَلِّمُهَا وَيَتَّبِعُهَا كُلَّ يَوْمٍ ، فَتَقُولُ لَهُ : إِلَيْكَ عَنِّي ! فَإِنَّكَ فِي حَرَمِ اللَّهِ وَفِي أَيَّامِ عَظِيمَةِ الْحُرْمَةِ ؛ فَالْحَجَّ عَلَيْهَا ، فَخَافَتِ الشُّهُرَةَ - الْفَضِيحَةَ - فَقَالَتْ لَزَوْجِهَا ذَاتَ يَوْمٍ : إِنِّي أَحْبُّ أَنْ أَتَوَكَّأَ عَلَيْكَ إِذَا رُحْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَرَاَحَتْ مُتَوَكِّئَةً عَلَى زَوْجِهَا ، فَلَمَّا أَبْصَرَهَا عُمَرُ وَلَّى ، فَقَالَتْ : عَلَى رُسْلِكَ يَا فَتَى [من البسيط] :

تَعْدُو الذَّنَابُ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ      وَتَتَّقِي مَرِيضَ الْمُسْتَشْفِرِ الْحَامِي  
هَذَا الْبَيْتُ لِلتَّابِغَةِ الدُّبْيَانِي مِنْ قَصِيدَةٍ مَطْلُوعُهَا [من البسيط] :

قَالَتْ بَنُو عَامِرٍ خَالُوا بَنِي أَسَدٍ      يَا بُؤْسِي لِلْجَهْلِ ضَرَاراً لِأَقْوَامٍ  
وَخَالُوا بَنِي أَسَدٍ : قَاطِعُوهُمْ ؛ وَأَسْتَشْفِرَ الْكَلْبُ : إِذَا أَدْخَلَ ذَنْبَهُ بَيْنَ فَخْذَيْهِ  
حَتَّى يُلْزِقَهُ بِطَنِهِ ، وَهُوَ الْأَسْتِشْفَارُ .

\* \* \*

٩٣٥ - وَقَالَ جَرِيرٌ فِي الْفَرَزْدَقِ [من الطويل] :

لَقَدْ وَلَدَتْ أُمُّ الْفَرَزْدَقِ فَاجِراً      فَجَاءَتْ بِزَوْازٍ قَصِيرِ الْقَوَائِمِ<sup>(١)</sup>

(١) الْوَزَوَازُ : الْكَثِيرُ النِّزَوَاتِ وَالْتَحَوُّكِ ، نَسَبُهُ إِلَى الطَّنِيشِ .



يُوصِّلُ حَبْلَيْهِ إِذَا جُنَّ لَيْلُهُ      لِيَرْقَى إِلَى جَارَاتِهِ بِالسَّلَالِمِ  
وَمَا كَانَ جَارًا لِلْفَرْزَدَقِ مُسْلِمٌ      لِيَأْمَنَ قِرْدًا لَيْلُهُ غَيْرُ نَائِمٍ<sup>(١)</sup>  
أَتَيْتَ حُدُودَ اللَّهِ إِذْ كُنْتَ يَافِعًا      وَشَبْتَ فَمَا يَنْهَاكَ شَيْبُ اللَّهَازِمِ<sup>(٢)</sup>  
تَبَّعُ فِي الْمَاخُورِ كُلِّ مُرِيَّةٍ      وَلَسْتَ بِأَهْلٍ الْمُخَصَّنَاتِ الْكَرَائِمِ  
هُوَ الرَّجْسُ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَاحْذَرُوا      مَدَاخِلَ رِجْسٍ بِالْخَيْشَاتِ عَالِمِ  
لَقَدْ كَانَ إِخْرَاجُ الْفَرْزَدَقِ عَنْكُمْ      طَهُورًا لِمَا بَيْنَ الْمُصَلَّى وَوَاقِمِ<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

٩٣٦ - وَجَاءَ أَبُو كَبِيرٍ الْهُذَلِيُّ إِلَى سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُحِلَّ لَهُ  
الرِّثَا ، فَقَالَ ﷺ : « أَتَحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْكَ مِثْلُ ذَلِكَ ؟ » قَالَ : لَا ؛ فَقَالَ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ : « فَارْضَ لِأَخِيكَ مَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ » ثُمَّ قَالَ : فَأَدْعُ اللَّهَ لِي أَنْ يَذْهَبَ  
مِنِّي الشَّبَقُ ؛ فَدَعَا لَهُ . [راجع « الإصابة » ، رقم : ١٠٤٤٥] وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ حَسَّانُ بْنُ  
ثَابِتٍ [من البسيط] :

سَأَلْتُ هُذَيْلُ رَسُولَ اللَّهِ فَاحِشَةً      ضَلَّتْ هُذَيْلُ بِمَا سَأَلَتْ وَلَمْ تُصِبِ<sup>(٤)</sup>  
سَأَلُوا نَبِيَّهُمْ مَا لَيْسَ مُعْطِيَهُمْ      حَتَّى الْمَمَاتِ وَكَانُوا عُرَّةَ الْعَرَبِ<sup>(٥)</sup>

\* \* \*

٩٣٧ - وَقَالَتْ عَجُورُ لِرِزْوَجِهَا : أَمَا تَسْتَحِي أَنْ تَرْنِي وَعِنْدَكَ حَلَالٌ طَيِّبٌ ؟

(١) لِيَأْمَنَ قِرْدًا : يَرْمِيهِ بِالرِّثَا وَالْفُجُورِ ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ : هُوَ أَرْنَى مِنْ قِرْدٍ .

(٢) حُدُودُ اللَّهِ : مَحَارِمُهُ ؛ وَاللَّهَازِمُ : أَصُولُ اللَّحْيَيْنِ ، جَمْعُ لَهْمَزَةٍ .

(٣) الْمُصَلَّى : مَوْضِعٌ فِي عَقِيقِ الْمَدِينَةِ ؛ وَوَاقِمٌ : أَطْمَ مِنْ أَطَامِ الْمَدِينَةِ .

(٤) سَأَلَتْ ، أَرَادَ : سَأَلْتُ ، مُحَقِّفُ الْهَمْزَةِ .

(٥) عُرَّةُ الْعَرَبِ : فَضِيحَتُهُمْ وَشَيْئُهُمْ ، أَوْ تَقُولُ : كَانُوا شَرَّ الْعَرَبِ .

فَقَالَ : أَمَّا حَلَالٌ فَنَعَمْ ، وَأَمَّا طَيِّبٌ فَلَا .

\* \* \*

٩٣٨ - وَاتَى ابْنُ أَبِي مُسَاحِقٍ بِابْنِ أُخْتٍ لَهُ وَقَدْ أَحْبَلَ جَارِيَةً - فَتَاةً - مِنْ جَوَارِي جِيرَانِهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ! إِذَا ابْتُلِيتَ بِالْفَاحِشَةِ فَهَلَّا اغْتَرَلْتَ ! قَالَ : جُعِلْتُ فِدَاءَكَ ، بَلَّغْنِي أَنَّ الْعَزَلَ مَكْرُوهٌ ؛ قَالَ : أَفَمَا بَلَغَكَ أَنَّ الزَّنَا حَرَامٌ !

\* \* \*

٩٣٩ - وَقِيلَ لِابْنَةِ الْخُسِّ - وَهِيَ هِنْدُ بِنْتُ الْخُسِّ بْنِ حَابِسِ بْنِ قُرَيْطٍ الْإِيَادِيَّةِ ، وَكَانَتْ مَعْرُوفَةً بِالْفَصَاحَةِ ، وَرُويَ لَهَا أَمْثَالٌ كَثِيرَةٌ تَدَاوَلَتْهَا الْعَرَبُ ، وَكَانَتْ قَدْ زَنَتْ بِعَيْنِهَا ، فَأَتَتْ بِغُلَامٍ ، فَقِيلَ لَهَا : لِمَ زَنِيتِ وَأَنْتِ سَيِّدَةٌ قَوْمِكَ ؟ فَقَالَتْ : قُرْبُ الْوَسَادِ ، وَطُولُ السَّوَادِ .

الْوَسَادُ : الْمِخْدَةُ ؛ وَالسَّوَادُ : الْمَسَارَةُ ، وَقِيلَ : الْمُرَاوَدَةُ .

[ وَزَادَ فِيهِ بَعْضُ الْمَجَانِّ : وَحُبُّ السَّفَادِ ]

\* \* \*

٩٤٠ - وَقَالَ لَهَا أَبُوهَا يَوْمًا : أَيُّ شَيْءٍ فِي بَطْنِكَ ؟ أَخْبِرْنِي بِهِ وَإِلَّا ضَرَبْتُ رَأْسَكَ ؛ فَقَالَتْ : أَرَأَيْتَكَ إِنْ أَخْبَرْتُكَ بِمَا فِي بَطْنِي ، أَيَكْفُ ذَاكَ عَنِّي عَذَابَكَ الْيَوْمَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَتْ : أَسْفَلُهُ طَعَامٌ وَأَعْلَاهُ غُلَامٌ ؛ فَاسْأَلْ عَمَّا شِئْتَ . قَالَ : أَيُّ الْمَالِ خَيْرٌ ؟ قَالَتْ : النَّخْلُ ، الرَّاسِخَاتُ فِي الْوَحْلِ ، الْمُطْعِمَاتُ فِي الْمَحَلِّ<sup>(١)</sup> ؛ قَالَ : وَأَيُّ شَيْءٍ ؟ قَالَتْ : الضَّأْنُ قَرْيَةً لَا وَبَاءَ بِهَا<sup>(٢)</sup> ؛ نَتِجُهَا

(١) الْمَحَلُّ : الْمَجْدُبُ ، نَقِضُ الْخَضْبِ .

(٢) لَا وَبَاءَ بِهَا : لَا حُمَى .

رُخَالًا<sup>(١)</sup> ، وَنَحْلُهَا عَلَالًا<sup>(٢)</sup> ، وَنَجَزُ لَهَا جُفَالًا<sup>(٣)</sup> ، وَلَا أَرَىٰ مِثْلَهَا مَالًا ؛ قَالَ : فَلَا يَلُ مَالِكُ تُؤَخِّرِينَهَا ؟ قَالَتْ : هِيَ أَذْكَارُ الرِّجَالِ<sup>(٤)</sup> ، وَإِرْقَاءُ الدِّمَاءِ<sup>(٥)</sup> ، وَمُهورُ النِّسَاءِ ؛ قَالَ : فَأَيُّ الرِّجَالِ خَيْرٌ ؟ قَالَتْ [من المنسرح] :

خَيْرُ الرِّجَالِ الْمُمرِّهُقُونَ كَمَا خَيْرُ تِلَاعِ الْبِلَادِ أَكَلُوْهَا<sup>(٦)</sup>  
 قَالَ : أَيُّهُمْ ؟ قَالَتْ : الَّذِي يُسْأَلُ وَلَا يَسْأَلُ ، وَيُصِيفُ وَلَا يُصَافُ ،  
 وَيُصْلِحُ وَلَا يُصْلَحُ ؛ قَالَ : فَأَيُّ الرِّجَالِ شَرٌّ ؟ قَالَتْ : الثُّطَيْطُ الثُّطَيْطُ<sup>(٧)</sup> ،  
 الَّذِي مَعَهُ سُويْطٌ ، الَّذِي يَقُولُ : أَدْرِكُونِي مِنْ عَبْدِ بَنِي فَلَانٍ فَإِنِّي قَاتِلُهُ أَوْ هُوَ  
 قَاتِلِي ؛ قَالَ : فَأَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ ؟ قَالَتْ : الَّتِي فِي بَطْنِهَا غُلَامٌ ، عَلَى وَرِكَيْهَا  
 غُلَامٌ ، يَمْشِي وَرَاءَهَا غُلَامٌ ؛ قَالَ : فَأَيُّ الْجَمَالِ خَيْرٌ ؟ قَالَتْ : السَّبَّخُلُ  
 الرَّبْحَلُ<sup>(٨)</sup> ، الرَّاحِلَةُ الْفَحْلُ ؛ قَالَ : أَرَأَيْتِكَ الْجَذَعُ ؟ قَالَتْ : لَا يَضْرِبُ

(١) رِخْلٌ وَرُخَالٌ كَظَنْزٍ وَظَوَاوٍ : الْأُنثَى مِنْ أَوْلَادِ الضَّانِ .

(٢) عَلَالًا ، مِنَ الْعَلَلِ ، ضِدُّ التَّهْلِيلِ .

(٣) الْجُفَالُ مِنَ الشَّعْرِ : الْمُجْتَمَعُ الْكَثِيرُ ، يَقُولُ : نُجَزُ مَرَّةً ، وَذَلِكَ أَنَّ الضَّائِنَةَ إِذَا جُرَتْ لَمْ يَسْقُطْ مِنْ صُوفِهَا شَيْءٌ إِلَى الْأَرْضِ حَتَّى يُؤْتَى عَلَيْهِ .

(٤) أَذْكَارُ ، جَمْعُ ذَكَرٍ لِمَنْ يَهَبُ الْإِبِلَ .

(٥) إِرْقَاءُ ، مَصْدَرٌ ، تُرِيدُ حَقْنَ دِمَاءِ الْقَتْلَى بِإِعْطَائِهَا فِي الدِّيَّاتِ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « لَا تَسُبُّوا الْإِبِلَ ، فَإِنَّ فِيهَا رُقُوءَ الدِّمِّ وَمَهْرَ الْكَرِيمَةِ » [النهاية في غريب الحديث] ، مادة : رَقَأَ .

(٦) الْبَيْتُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ هَزْمَةَ كَمَا فِي «اللِّسَانِ» ، فَالظَّاهِرُ هُوَ أَنَّ رَاوِي هَذَا الْحَدِيثِ هُوَ الَّذِي تَمَثَّلَ بِهَذَا الْبَيْتِ لَا ابْنَةُ الْخُسِّ ، لِأَنَّ ابْنَ هَزْمَةَ مُتَأَخِّرٌ عَنِ ابْنَةِ الْخُسِّ مِثْلَ مَنْ السَّنِينَ ؛ وَالْمَرْهُقُ : الَّذِي يَغْشَاهُ السُّوَالُ وَالضُّيْفَانُ ؛ وَالتَّلَاعُ جَمْعُ تَلَعَةٍ : مَسِيلُ الْمَاءِ أَوْ أَرْضٌ مُرْتَفِعَةٌ يَتَرَدَّدُ فِيهَا السَّيْلُ ثُمَّ يَذْفَعُ مِنْهَا إِلَى تَلَعَةٍ أَسْفَلَ مِنْهَا ؛ وَأَكَلُوْهَا : أَكْثَرَهَا عُشْبًا .

(٧) الثُّطَيْطُ : الَّذِي لَا لِحْيَةَ لَهُ ؛ وَالثُّطَيْطُ : الْهَذْرِيَانُ ، وَهُوَ : الْكَثِيرُ الْكَلَامِ الَّذِي يَأْتِي بِالْخَطَا وَالصَّوَابِ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ .

(٨) السَّبَّخُلُ الرَّبْحَلُ : الْبَجَلُ الْكَثِيرُ اللَّحْمِ .

وَلَا يَدْعُ ؛ قَالَ : أَرَأَيْتَكَ الثَّنِيَّ ؟ قَالَتْ : يَضْرِبُ وَضِرَابُهُ أَنِيٌّ<sup>(١)</sup> ؛ قَالَ :  
أَرَأَيْتَكَ السَّدِيسَ ؟ قَالَتْ : ذَاكَ الْقَيْسُ<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

خَاتِمَةُ الزُّنَاةِ :

٩٤١ - قَالَ الْفَرَزْدَقُ [من الطويل] :

وَإِنِّي لَأَخْشَى إِنْ خَطَبْتَ إِلَيْهِمْ عَلَيْنِكَ ، الَّذِي لَاقَى يَسَارُ الْكَوَاعِبِ  
٩٤٢ - وَهَذَا يَسَارُ الْكَوَاعِبِ كَانَ عَبْدًا لِبَنِي غُدَانَةَ ، فَرَاوَدَ مَوْلَاتُهُ عَنْ  
نَفْسِهَا ، فَهَنَّتُهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَالْحَ ، فَوَعَدَتْهُ ، فَجَاءَ ، فَقَالَتْ لَهُ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ  
أُبْحَرَكَ فَإِنْ رَائِحَتِكَ مُتَغَيِّرَةٌ ، فَوَضَعْتَ تَحْتَهُ مِجْمَرَةً ، وَقَدْ أَعَدَّتْ لَهُ حَدِيدَةً  
حَادَّةً ، فَأَذْخَلَتْ يَدَهَا ، فَقَبَضَتْ عَلَى مَتَاعِهِ ، وَهُوَ يَرَى أَنَّ ذَلِكَ لِشَيْءٍ ،  
فَقَطَعَتْهُ بِالْمُوسَى ، فَقَالَ : صَبْرًا عَلَى مَجَامِرِ الْكِرَامِ . فَذَهَبَتْ مَثَلًا ، وَصَارَ هُوَ  
مَثَلًا [« مجمع الأمثال » ، رقم : ٢٠٨٦ ] .

\* \* \*

٩٤٣ - وَكَانَ أَبْرُويزُ قَدْ اخْتَبَرَ رَجُلًا ، فَرَأَاهُ زَانِيًا خَائِنًا ، فَوَسَّمَهُ بِسِمَةِ الزُّنَاةِ  
وَنَفَاهُ مِنَ الْمَدَائِنِ ، فَأَخَذَ مُوسَى وَجَبَ نَفْسَهُ ، وَقَالَ : مَنْ أَطَاعَ عُضْوًا صَغِيرًا  
فَسَدَّتْ سَائِرُ أَعْضَائِهِ ؛ وَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ .

\* \* \*

٩٤٤ - وَبَعْدُ ؛ فَإِنِّي أَظُنُّنِي فِي غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى تَنْبِيهِ النَّاطِرِ فِي كِتَابِنَا هَذَا إِلَى

(١) أَنِيٌّ : بَطِيءٌ .

(٢) الْقَيْسُ : الْفَحْلُ السَّرِيعُ الْإِلْقَاحِ ، وَفِي الْمَثَلِ : « لِفَوْةٍ لَاقَتْ قَيْسًا » .

تِلْكَ الْأَدْوَاءُ الْخَبِيثَةُ الَّتِي تُصِيبُ الزُّنَاةَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ ، وَإِلَى الْمَآسِي الْمُؤَسِفَةِ  
الَّتِي تَنْتَهِي بِهَا فِي الْأَعَمِّ الْأَغْلَبِ حَالُ الزُّنَاةِ مِنْ قَتْلِ وَعَارٍ وَشَنَارٍ وَفَقْرٍ ، وَوَاللَّهِ  
يَمِينًا لَا حَانًا فِيهَا وَلَا آثِمًا لَقَدْ أَذْرَكْتُ كَثِيرًا مِنْ سَرَوَاتِنَا الَّذِينَ كَانُوا مِنْ أَغْنِيَانِنَا  
الَّذِينَ يُشَارُ إِلَيْهِمْ ، وَبَعْدُ عَشِيَّةٍ وَضُحَاهَا أَضَاعُوا ضِيَاعَهُمْ ، وَذَهَبَ اللَّهُ  
بِذَهَبِهِمْ ، وَكَانَ سِرُّ هَذِهِ الْمَتْرَبَةِ هُوَ الزُّنَا وَحْدَهُ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ نَزَوَاتِ  
نُفُوسِنَا<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

(١) فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ ، أَنِّي : فَإِنْ تَسْأَلُونِي عَنِ النِّسَاءِ ، فَالْبَاءُ بِمَعْنَى عَنْ ، عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ  
تَعَالَى : ﴿ فَسَلِّ بِمُحْسِنًا ﴾ [سورة الفرقان/ الآية : ٥٩] .

[ هَذَا كَلَامُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَرْقُوقِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ لَمْ يُدْرِكْ مُتَنَصِّفَ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ ، فَمَا كَانَ  
قَوْلُهُ لَوْ أَذْرَكَ الْقَرْنَ الْوَاحِدَ وَالْعِشْرِينَ ، وَرَأَى الْمَآسِي الَّتِي يُخْلِفُهَا مَرَضُ نَقْصِ الْمَنَاعَةِ  
الْمُكْتَسَبَةِ وَالَّذِي يُزْمَلُهُ بِالْإِذْرِ أَوْ السَّيِّدِ ؟ ! لَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الْعُقُوبَاتِ الدُّنْيَوِيَّةَ وَالْمُعْجَلَةَ هِيَ  
رَادِعٌ وَمَانِعٌ عَنْ أَفْتِرَافِ هَذِهِ الْكَبِيرَةِ ، الَّتِي نَهَانَا دِينُنَا عَنْهَا ] .

## الْبَابُ السَّادِسُ

أَخْتِيَارُهُنَّ الشَّبَابَ وَالْمُرْدَ وَتَفَجُّعُ الرِّجَالِ مِنْ جَرَاءِ ذَلِكَ عَلَى  
الشَّبَابِ وَذَمُّهُمْ الْمَشِيبَ وَزُهُدُ الرِّجَالِ فِي الْعَجَائِزِ ، وَقَوْلُهُمْ  
فِي الْخِضَابِ وَاللَّحْيِ وَالصَّلَعِ وَسَائِرِ مَا يَتَّصِلُ بِهِذِهِ الْمَعَانِي  
تَفْضِيلُهُنَّ الشَّبَابَ وَالْأَغْنِيَاءَ :

٩٤٥ - قَالَ الشَّاعِرُ الْجَاهِلِيُّ عَلَقَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْفَخْلِ [من الطويل] :

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي      عَلِيمٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَيِّبُ  
إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ      فَلَيْسَ لَهُ فِي وَدْهِنٍ نَصِيبُ  
يُرْدُنَ ثَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ عَلِمْنَاهُ      وَشَرَحُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

٩٤٦ - وَقَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ [من الطويل] :

أَرَاهُنَّ لَا يُخْبِنَنَّ مَنْ قَلَّ مَالُهُ      وَلَا مِنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ فِيهِ وَقَوَّسَا<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

(١) شَرَحُ الشَّبَابِ : قُوَّتُهُ وَنَضَارَتُهُ ، وَقَالَ الْمُبَرِّدُ : الشَّرْحُ : الشَّبَابُ . لِأَنَّ الشَّرْحَ الْحَدُّ ،  
وَأُنْشِدَ [من الخفيف] :

إِنَّ شَرْحَ الشَّبَابِ تَأْلَفُهُ أَلِيَّةٌ      ضُفٌّ وَشَيْبَ الْقَدَالِ شَيْءٌ زَهِيدٌ  
وَقَالَ حَسَّانُ [من الخفيف] :

إِنَّ شَرْحَ الشَّبَابِ وَالشَّعْرَ الْأَسَدُ      مَا لَمْ يُعَاصِ : مَا لَمْ يَغْصِ .

(٢) قَوَّسَ الشَّيْخُ تَقْوَيْسًا : أَنْحَى ظَهْرَهُ .

٩٤٧ - وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : قَدْ كَرِهْتَ أَمْرَ أُنْثَى شَيْبِكَ فَمَالَتْ عَنْكَ ؛ فَقَالَ :  
 إِنَّمَا مَالَتْ إِلَيَّ الْأَنْذَالُ لِقِلَّةِ الْمَالِ ، وَاللَّهِ ، لَوْ كُنْتُ فِي سِنِّ نُوحٍ ، وَشَيْبَةِ  
 إِبْلِيسَ ، وَخِلْقَةِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ ، وَمَعِيَ مَالٌ ، لَكُنْتُ أَحَبَّ إِلَيْهَا مِنْ مُقْتَرٍ فِي جَمَالِ  
 يُوسُفَ ، وَسِنِّ عِيسَى ، وَجُودِ حَاتِمٍ ، وَحِلْمِ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ .

\* \* \*

٩٤٨ - وَكَانَ الْحَارِثُ بْنُ سَلِيلٍ الْأَسَدِيُّ حَلِيفًا لِعَلْقَمَةَ بْنِ خَصْفَةَ الطَّائِي ،  
 فَرَارُهُ فَنَظَرَ إِلَى ابْنَتِهِ الزَّبَاءِ ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ أَهْلِ دَهْرِهَا ، فَقَالَ : آتَيْتُ  
 خَاطِبًا ، وَقَدْ يُنْكَحُ الْخَاطِبُ ، وَيُدْرِكُ الطَّالِبُ ، وَيُمْنَحُ الرَّاعِبُ ؛ فَقَالَ لَهُ  
 عَلْقَمَةُ : أَنْتَ كُفءٌ كَرِيمٌ ، يُقْبَلُ مِنْكَ الصَّفْوُ ، وَيُؤْخَذُ مِنْكَ الْعَفْوُ ، فَأَقِمْ نَظْرَ  
 فِي أَمْرِكَ ؛ ثُمَّ أَنْكَفَا إِلَى أُمِّهَا ، وَقَالَ : إِنَّ الْحَارِثَ بْنَ سَلِيلٍ سَيِّدُ قَوْمِهِ حَسَبًا  
 وَمَنْصَبًا وَبَيْتًا ، وَقَدْ خُطِبَ إِلَيْنَا الزَّبَاءُ ، فَلَا يَنْصَرِفَنَّ إِلَّا بِحَاجَتِهِ ؛ فَقَالَتْ الْمَرْأَةُ  
 لِابْنَتِهَا : أَيُّ بَيْتَةٍ ! أَيُّ الرِّجَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ، الْكَهْلُ الْجَحْجَاحُ<sup>(١)</sup> ، أَلْوَاصِلُ  
 الْمَنَاحُ<sup>(٢)</sup> ، أَمْ أَلْفَتَى الْوَضَاحُ ، أَلْذَهْوُلُ الطَّطَاحُ ؟<sup>(٣)</sup> قَالَتْ : بَلَى أَلْفَتَى  
 الْوَضَاحُ ؛ فَقَالَتْ : إِنَّ أَلْفَتَى يُغَيِّرُكَ ، وَإِنَّ الشَّيْخَ يَغَيِّرُكَ ، [ وَلَيْسَ الْكَهْلُ  
 الْفَاضِلُ ، الْكَثِيرُ النَّائِلُ ؛ كَالْحَدِيثِ الْأَسْنَنِ ، الْكَثِيرُ الْأَمْنُ ] ؛<sup>(٤)</sup> . فَقَالَتْ :

(١) الْجَحْجَاحُ : السَّيِّدُ الْكَرِيمُ الْمُسَارِعُ إِلَى الْمَكَارِمِ .

(٢) الْمَنَاحُ : الْكَثِيرُ الْعَطَاءُ . [ وَفِي رِوَايَةٍ : الْمَبَاحُ ، أَيُّ : الْمُبْتَخِرُ فِي مَشْيِهِ كَمَشْيِ الْبَطَّةِ ] .

(٣) الطَّطَاحُ : الْمُعْجَبُ بِنَفْسِهِ .

(٤) يُغَيِّرُكَ الْأَوْلَى بِضَمِّ الْيَاءِ ، مِنَ الْغَيْرَةِ يَفْتَحُ الْغَيْنَ ، أَيُّ : يَتَزَوَّجُ عَلَيْكَ ؛ مِنْ تَغَايَرَيْنِ مِنْهُ ؛  
 وَيَغَيِّرُكَ الثَّانِيَةُ يَفْتَحُ الْيَاءَ ، مِنَ الْغَيْرَةِ يَكْسِرُ الْغَيْنَ ، وَهِيَ : الْمِيرَةُ وَالْتَفْعُ ، يُقَالُ : غَارَ =

يَا أُمَّاهُ ! [من المتقارب] :

وَإِنَّ أَلْفَتَاةً تُحِبُّ أَلْفَتَيَّ كَحُبِّ الرُّعَاءِ أَيْقَ الْكَلَا<sup>(١)</sup>  
فَقَالَتْ : يَا بُنَيَّةُ ! إِنَّ أَلْفَتَيَّ شَدِيدُ الْحِجَابِ ، كَثِيرُ الْعِتَابِ ؛ قَالَتْ :  
يَا أُمَّاهُ ! أَخَشَى مِنَ الشَّيْخِ أَنْ يُدَنِّسَ ثِيَابِي وَيُبْلِيَّ شَبَابِي وَيُسْمِتَ بِي أَتْرَابِي ؛ فَلَمْ  
تَزَلْ أُمُّهَا حَتَّى غَلَبَتْهَا عَلَى رَأْيِهَا ، فَتَزَوَّجَ بِهَا الْحَارِثُ عَلَى مِثَّةِ وَخَمْسِينَ مِنْ  
الْإِبِلِ وَخَادِمٍ وَأَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَأَبْتَنِي بِهَا . ثُمَّ رَحَلَ بِهَا إِلَى قَوْمِهِ ، فَإِنَّهُ لَجَالِسٌ  
ذَاتَ يَوْمٍ بِفَنَاءِ قَوْمِهِ وَهِيَ إِلَى جَانِبِهِ إِذْ أَقْبَلَ شَبَابٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ يَغْتَلِبُونَ<sup>(٢)</sup> ،  
فَتَنَفَّسَتْ ثُمَّ بَكَتْ ، فَقَالَ لَهَا : مَا يُبْكِيكِ ؟ فَقَالَتْ : مَالِي وَلِلشُّيُوخِ ،  
النَّاهِضِينَ كَالْفُرُوخِ ! ؛ فَقَالَ : ثُكَلْتُكَ أُمُّكِ « تَجُوعُ الْحُرَّةُ وَلَا تَأْكُلُ  
بِذِيئِهَا »<sup>(٣)</sup> - فَذَهَبَتْ مَثَلًا - أَمَا وَأَيْبُكَ لَرُبِّ غَارَةٍ شَهِدْتُهَا ، وَسَبِيَّةٍ أَرَدَفْتُهَا ،  
وَخَمْرَةٍ شَرِبْتُهَا ، فَالْحَقِّي بِأَهْلِكَ ، لَا حَاجَةَ لِي فِيكَ .



٩٤٩ - وَكَانَ لِبَعْضِ الْأَغْرَابِ امْرَأَةٌ لَا تَزَالُ تُشَارُهُ<sup>(٤)</sup> ، وَقَدْ كَانَ أَسَنُّ

= الرَّجُلُ أَهْلَهُ يُغَيِّرُهُمْ غَيْرَةً وَغِيَارًا ، أَيْ : مَارَهُمْ وَنَفَعَهُمْ . [ وَفِي رِوَايَةٍ : يَمِيرُكَ . ]

(١) الْكَلَا مُخَفَّفٌ ، كَلًّا ، وَهُوَ : الْعُشْبُ ؛ وَالْكَلا : الْإَيْقُ ، الْحَسَنُ الْمُعْجَبُ ؛ وَالرُّعَاءُ : جَمْعُ رَاعٍ .

(٢) يَغْتَلِبُونَ : يَتَصَارَعُونَ .

(٣) مَعْنَى الْمَثَلِ : لَا تَكُونُ ظَنْرًا - مُرْضِعًا - وَإِنْ أَذَاهَا الْجُوعُ ، وَالْمَثَلُ يَضْرِبُ فِي صِيَانَةِ الرَّجُلِ نَفْسَهُ عَنْ خَسِيسِ الْمَكَاسِبِ .

(٤) تُشَارُهُ ، مِنْ أَلَشَّرَ ، أَيْ : تُخَاصِمُهُ وَتَعَادِيهِ .



وَأَمْتَنَعَ مِنَ النِّكَاحِ - الْوُطءِ - فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : أَلَيْسَ هُنَا سَبِيلٌ لِلصُّلْحِ بَيْنَكُمَا ؟  
فَقَالَ : لَا ! إِنَّهُ قَدْ مَاتَ الَّذِي كَانَ يُصْلِحُ بَيْنَنَا .

\* \* \*

٩٥٠ - وَقَالَ غَيْرُهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى [من الخفيف] :

لَمْ تُوَافِقْ طِبَاعَ هَذِي طِبَاعِي      فَأَنَا وَهِيَ دَهْرَنَا فِي صِرَاعٍ  
وَتَحَرَّيْتُ أَنْ أَنْالَ رِضَاهَا      فَأَبَتْ غَيْرَ جَفْوَةٍ وَأَمْتِنَاعٍ  
فَتَفَكَّرْتُ لِمَ بُلِيْتُ بِهِذَا      فَإِذَا أَنَّ ذَا لِضَعْفِ الْمَتَاعِ

\* \* \*

٩٥١ - وَمِمَّنْ أَفْتَنَ فِي وَصْفِ مَتَاعِهِ بِالضَّعْفِ وَالْفُتُورِ وَالْوَهْنِ وَرِثَائِهِ إِيَّاهُ  
أَبُو حُكَيْمَةَ رَاشِدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْكَاتِبُ ، قَالَ [من الرافع] :

وَضَاحِكَةٍ إِلَيَّ مِنَ اللَّقَابِ      تُلَاحِظُنِي بِنَظَرَةٍ مُسْتَرَابٍ  
كَشَفْتُ قَنَاعَهَا فَإِذَا عَجُوزٌ      مُسَوَّدَةٌ أَلْمَفَارِقِ بِالْخِضَابِ  
فَمَا زَالَتْ تُحَمِّسُنِي طَوِيلًا      وَتَأْخُذُ فِي أَحَادِيثِ التَّصَابِي<sup>(١)</sup>  
تُحَاوِلُ أَنْ تُقِيمَ أَبَا زِيَادٍ      وَدُونَ قِيَامِهِ شَيْبُ الْغُرَابِ  
فَقُلْتُ لَهَا : حَلَلْتِ بِشَرٍّ وَادٍ      كَرِيهِ الْمُجْتَنَى فَخَطِ الْجَنَابِ  
أَتَتْ بِجَرَابِهَا تَكْتَالُ فِيهِ      فَقَامَتْ وَهِيَ فَارِغَةٌ أَلْجَرَابِ

٩٥٢ - وَقَالَ [من المنسرح] :

كَأَنَّ أَيْرِيَّ مِنْ لَيْنٍ مَقْبُضِهِ      خَرِيطَةٌ قَدْ خَلَتْ مِنَ الْكُتُبِ  
كَأَنَّهُ حَيَّةٌ مُطَوَّقَةٌ      قَدْ جَعَلَتْ رَأْسَهَا مَعَ الذَّنْبِ

٩٥٣ - وَقَالَ [من البسيط] :

أَيُّرُ تَعَقَّفَ وَأَسْتَرْخَتْ مَفَاصِلُهُ      مِثْلَ الْعُجُوزِ حَنَاهَا شِدَّةُ الْكِبَرِ  
يَقُومُ حِينَ يُرِيدُ الْبَوْلَ مُنْحَنِيًا      كَأَنَّهُ قَوْسٌ نَدَّافٍ بِلا وَتَرٍ  
وَلَا يَقُومُ إِذَا نَبَّهَتْهُ سَحَرًا      كَمَا يَقُومُ أُيُورُ النَّاسِ فِي السَّحَرِ

٩٥٤ - وَقَالَ [من الطويل] :

يَنَامُ عَلَى كَفِّ الْفَتَاةِ وَتَارَةً      لَهُ حَرَكَاتٌ مَا يُحِسُّ بِهَا الْكَفُّ  
كَمَا يَرْفَعُ الْفَرْخُ ابْنُ يَوْمَيْنِ رَأْسَهُ      إِلَى أَبْوَيْهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الضَّعْفُ  
فَتَاةٌ غَدَتْ مَعْقُوفَةً أَوْ كَأَنَّهُ      رِشَاءٌ عَلَى رَأْسِ الرَّاكِيَةِ مُلْتَفُّ  
نَكْتَفِي بِهَذَا الْمِقْدَارِ مِنْ آيَاتِ أَبِي حُكَيْمَةَ ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ أَشْتَهَرَتْ كَأَشْتَهَارِ  
طَيْلَسَانَ ابْنِ حَرْبٍ .

\* \* \*

٩٥٥ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ : خَرَجْتُ إِلَى نَاحِيَةِ الطُّفَاوَةِ ، فَإِذَا أَنَا بِأَمْرَأَةٍ لَمْ أَرِ  
أَجْمَلَ مِنْهَا ، فَقُلْتُ : أَيُّهَا الْمَرْأَةُ ! إِنْ كَانَ لَكَ زَوْجٌ فَبَارِكِ اللَّهُ لَهُ فِيكَ ، وَإِلَّا  
فَأَعْلِمِينِي ؛ فَقَالَتْ : وَمَا تَصْنَعُ بِي وَفِيَّ شَيْءٌ لَا أَرَاكَ تَرْتَضِيهِ ؛ قُلْتُ :  
وَمَا هُوَ ؟ قَالَتْ : شَيْبٌ فِي رَأْسِي ؛ قَالَ : فَكُنْتُ عِنَانَ دَابَّتِي رَاجِعًا ، فَصَاحَتْ  
بِي : عَلَى رِسْلِكَ أَخْبِرْكَ بِشَيْءٍ ؛ فَوَقَفْتُ ، وَقُلْتُ : وَمَا هُوَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ؟  
قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ بَعْدُ ، وَهَذَا رَأْسِي ؛ فَكَشَفْتُ عَنْ عُنَاقِيدِ  
كَالْحُمَمِ ، قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ بِرَأْسِي بَيَاضًا قَطُّ ، وَلَكِنْ أَحَبَبْتُ أَنْ تَعْلَمَ أَنَا  
نَكَرَهُ مِنْكَ مَا تَكَرَّهُ مِنَّا ؛ وَأَنْشَدَتْ [من الوافر] :

أَرَى شَيْبَ الرِّجَالِ مِنَ الْغَوَانِي      بِمَوْقِعِ شَيْبِهِنَّ مِنَ الرِّجَالِ<sup>(١)</sup>

قَالَ : فَرَجَعْتُ خَجَلًا كَاسِفَ الْبَالِ .

قَوْلُ الشَّاعِرِ : أَرَى شَيْبَ الرِّجَالِ مِنَ الْغَوَانِي ... أَلْبَيْتُ مِنْهُ قَوْلُ مَنْصُورِ  
الْتَّمِيرِيِّ [من الطويل] :

كَرِهْنُ مِنَ الشَّيْبِ الَّذِي لَوْ رَأَيْتُهُ بِهِنَّ رَأَيْتَ الطَّرْفَ عَنْهُنَّ أَرْوَرَا

\* \* \*

٩٥٦ - وَقَالَ كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانَ : كُنْتُ أَخَافُ إِذَا أَنَا شِخْتُ لَا تُرِيدُنِي  
النِّسَاءُ ، فَإِذَا أَنَا لَا أُرِيدُهُنَّ .

\* \* \*

٩٥٧ - وَيَقُولُ أَبُو حَيَّةَ الْتَّمِيرِيُّ [من الطويل] :

رَمْتَنِي وَسِتْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا عَشِيَّةُ أَرَامِ الْكِنَاسِ رَمِيمٌ<sup>(١)</sup>  
رَمِيمٌ الَّتِي قَالَتْ لِحَجَارَاتِ بَيْتِهَا ضَمِنْتُ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ يِهِمُ<sup>(٢)</sup>  
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَوْ رَمْتَنِي رَمِيتُهَا وَلَكِنَّ عَهْدِي بِالنُّضَالِ قَدِيمٌ  
سِتْرُ اللَّهِ هُوَ الشَّيْبُ ، وَقِيلَ : مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهَا ، وَقِيلَ : الْإِسْلَامُ ؛  
وَالْأَرَامُ جَمْعُ إِرَمَ ، كَعَنْبٍ ، وَهِيَ : الْحَجَارَةُ تُنْصَبُ عَلَمًا فِي الْمَفَازَةِ يُهْتَدَى  
بِهَا ؛ وَالْكِنَاسُ : الْمَوْضِعُ الَّذِي تَأْوِي إِلَيْهِ الطُّبَاءُ وَالْبَقَرُ ؛ وَرَمِيمٌ فِي آخِرِ الْبَيْتِ  
الْأَوَّلِ فَاعِلٌ رَمْتَنِي ، وَهُوَ اسْمُ جَارِيَةٍ - فَتَاةٍ - ؛ يَقُولُ الْتَّمِيرِيُّ : رَمْتَنِي بِطَرْفِهَا  
وَأَصَابَتْنِي بِمَحَاسِنِهَا ، وَلَوْ كُنْتُ شَابًّا لَرَمَيْتُ كَمَا رُمِيتُ وَفَتَنْتُ كَمَا فُتِنْتُ ،

(١) وَيُروى هَذَا الْعَجَزُ : « عَشِيَّةُ أَحْجَارِ الْكِنَاسِ رَمِيمٌ » . قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : أَرَادَ : عَشِيَّةَ رَمَلِ  
الْكِنَاسِ ، وَهُوَ رَمَلٌ فِي بِلَادِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كِلَابٍ ، فَلَمْ يَسْتَقِيمْ لَهُ الْوَزْنُ ، فَوَضَعَ الْأَحْجَارَ  
مَوْضِعَ الرَّمَلِ .

(٢) أَنْ لَا يَزَالَ ، فَإِنَّ مُحَقِّقَةَ مِنَ الثَّقِيلَةِ ، وَالْأَصْلُ : أَنَّهُ لَا يَزَالُ يِهِمُ .

وَلَكِنْ قَدْ تَطَاوَلَ عَهْدِي بِالشَّبَابِ .

\* \* \*

٩٥٨ - وَيَقُولُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ [من الوافر] :

لَقَدْ أَبْغَضْتُ نَفْسِي فِي مَشِيبِي      فَكَيْفَ تُحِبُّنِي الْخَوْدُ الْكَعَابُ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

٩٥٩ - وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ [من الطويل] :

إِذَا مَا رَأَيْتَكَ أَلْيِضُ صَدَّتْ وَرُبَّمَا      غَدَوْتُ وَطَرَفُ أَلْيِضٍ نَحْوَكَ أَصُورُ<sup>(٢)</sup>  
وَمَا ظَلَمْتُكَ أَلْغَانِيَاتُ بِصَدِّهَا      وَإِنْ كَانَ فِي أَحْكَامِهَا مَا يُجَوِّرُ<sup>(٣)</sup>  
أَعَزُّ طَرَفَكَ أَلْمِرَاةَ وَأَنْظُرْ فَإِنْ نَبَا      بِعَيْنَيْكَ عَنْكَ أَلشَّيْبُ فَأَلْيِضُ أَعْذَرُ  
إِذَا شِئْنَتْ عَيْنُ أَلْفَتَى شَيْبَ نَفْسِهِ      فَعَيْنُ سِوَاهُ بِأَلشَّنَاءَةِ أَجْدَرُ<sup>(٤)</sup>

\* \* \*

٩٦٠ - وَقَالَ أَبُو دُلْفَ الْعِجْلِيُّ [من الكامل] :

نَظَرْتُ إِلَيَّ بِعَيْنٍ مَنْ لَمْ يَغْدِلِ      لَمَّا تَمَكَّنَ طَرَفُهَا مِنْ مَقْتَلِي  
لَمَّا تَبَسَّمَ بِأَلْمَشِيبِ مَفَارِقِي      صَدَّتْ صُدُودَ مُفَارِقِ مُتَحَمِّلِ  
فَجَعَلْتُ أَطْلُبُ وَضَلَهَا بِتَعَطُّفٍ      وَالشَّيْبُ يَغْمِزُهَا بِأَنْ لَا تَفْعَلِي

\* \* \*

(١) الْخَوْدُ : أَلْمِرَاةُ أَلْجَمِيلَةُ .

(٢) أَصُورُ : مَاثِلٌ .

(٣) يُجَوِّرُ يُسَبِّحُ إِلَى الْجَوْرِ : أَلظَلَمَ .

(٤) الشَّنَاءَةُ : أَلْبُغْضُ .

٩٦١ - وَأَنْشُدُوا [من الوافر] :

رَأَيْتُ الشَّيْبَ تَكَرَّهُهُ الْغَوَانِي وَيُخَيِّنُ الشَّبَابَ لَمَّا هَوَيْنَا  
فَهَذَا الشَّيْبُ نَخْضِبُهُ سَوَادًا فَكَيْفَ لَنَا فَتَسْرِقُ السِّنِينَ

\* \* \*

٩٦٢ - وَقَالُوا [من الطويل] :

أَلَا رُبَّ حَوْرَاءٍ أَلَمَحَا جِرَ طِفْلَةٍ تُزَفُّ إِلَى شَيْخٍ مِنَ الْقَوْمِ تَنْبَالُ<sup>(١)</sup>  
يَقُولُونَ : جَرَّتْهَا إِلَيْهِ قَرَابَةٌ فَوَيْلُ الْغَوَانِي مِنْ بَنِي الْعَمِّ وَالْخَالِ

\* \* \*

٩٦٣ - وَفِي الْأَثَرِ : إِنَّ شَابَةً زُوِّجَتْ شَيْخًا ، فَقَتَلَتْهُ ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ  
الْخَطَّابِ : لِيَنْكِحِ الرَّجُلُ لِمَتَهُ مِنَ النِّسَاءِ ، وَلَتَنْكِحِ الْمَرْأَةُ لِمَتَهَا مِنَ الرِّجَالِ .  
الْأَمَةُ : الْمِثْلُ فِي السِّنِّ وَالتَّرَبُّ ، كَأَنَّ عُمَرَ كَرِهَ لِلشَّابِّ أَنْ يَتَزَوَّجَ الْمُسِنَّةَ  
وَلِلْمُسِنَّةِ أَنْ يَتَزَوَّجَ الشَّابَّةَ .

\* \* \*

وَمِنْهُمْ مَنْ يُفَضِّلُ الْكُهُولَ :

٩٦٤ - وَمِنْ النِّسَاءِ مَنْ رَجَحَ عَقْلُهُنَّ عَلَى هَوَاهُنَّ وَآثَرْنَ الْكُهُولَ عَلَى  
الشُّبَّانِ .

قَالَتْ تَمَاضِيرُ امْرَأَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : هَلْ لَكَ  
فِي ابْنَةِ عَمِّ لِي ، بِكَرٍ جَمِيلَةٍ ، مُمْتَلِئَةِ الْخَلْقِ ، أَسِيلَةَ الْخَدِّ ، أَصِيلَةَ الرُّأْيِ ،

(١) الطَّفْلَةُ : الرِّخْصَةُ النَّعِيمَةُ ؛ وَالتَّنْبَالُ : الْفَصِيرُ ، وَالْبَلِيدُ الْكَسْلَانُ .

تَزَوَّجُهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ فَذَكَرْتُ لَهُ نَائِلَةَ بِنْتَ الْفَرَاغِصَةِ الْكَلْبِيَّةِ ، فَتَزَوَّجَهَا وَهِيَ نَضْرَانِيَّةٌ ، فَتَحَنَنْتُ وَحُمِلْتُ إِلَيْهِ مِنْ بِلَادِ كَلْبٍ مَعَ أَخِيهَا ضَبٍّ - وَكَانَ مُسْلِمًا - دَخَلْتُ عَلَيْهِ ، قَالَ لَهَا : لَعَلَّكَ تَكْرَهِينَ مَا تَرَيْنَ مِنْ شَيْبِي ؟ قَالَتْ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي لَمِنْ نِسْوَةِ أَحَبِّ بُعُولَتِهِنَّ إِلَيْهِنَّ الْكُھُولُ ! قَالَ : إِنِّي قَدْ جُرْتُ الْكُھُولَ ، وَأَنَا شَيْخٌ ! قَالَتْ : أَذْهَبْتَ شَبَابَكَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي خَيْرِ مَا ذَهَبَتْ فِيهِ الْأَعْمَارُ ! قَالَ عُثْمَانُ : إِمَّا أَنْ تَقُومِي إِلَيَّ وَإِمَّا أَنْ أَقُومَ إِلَيْكَ ؛ فَقَالَتْ : مَا تَجَسَّمْتُ إِلَيْكَ مِنْ عُرْضِ السَّمَاءِ أَعَدَّ مِمَّا بَيْنَنَا ، بَلْ أَقُومُ أَنَا ؛ فَقَامَتْ حَتَّى جَلَسْتُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ ، فَقَالَ : أَطْرَحِي دِرْعَكَ ، ثُمَّ أَطْرَحِي إِزَارَكَ ؛ قَالَتْ : ذَاكَ إِلَيْكَ ؛ وَمَسَحَ رَأْسَهَا وَدَعَا لَهَا بِالْبَرَكَةِ ، فَكَانَتْ أَحَبَّ نِسَائِهِ إِلَيْهِ ، وَلَمْ تَزَلْ نَائِلَةً عِنْدَ عُثْمَانَ حَتَّى قُتِلَ ، فَلَمَّا دَخَلَ إِلَيْهِ وَقَتُهُ بِيَدِهَا ، فَجَذَمَتْ - قُطِعَتْ - أَنَامِلُهَا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا مُعَاوِيَةُ بَعْدَ ذَلِكَ يَخْطُبُهَا ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ : مَا تَرْجُو مِنْ أَمْرَاءِ جَذَمَاءَ ! وَقِيلَ : إِنَّهَا قَالَتْ لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ : إِنِّي رَأَيْتُ الْحُزْنَ يَبْلَى كَمَا يَبْلَى الثُّوبُ ، وَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَبْلَى حُزْنُ عُثْمَانَ مِنْ قَلْبِي ! فَدَعَتْ بِفَهْرٍ [أَيَ : بِحَجَرٍ قَدَرُ مَا يُدْقُ بِهِ الْجَوْزُ ، أَوْ مَا يَمْلَأُ الْكَفَّ] ، فَهَتَمَتْ فَاهَا ، وَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَا قَعْدَ أَحَدٍ مِنِّي مَقْعَدَ عُثْمَانَ أَبَدًا ! [ راجع رقم : ١٥٥٧ ] .

\* \* \*

٩٦٥ - وَقِيلَ لَامْرَأَةٍ : أَمَا تَكْرَهِينَ شَيْبَ زَوْجِكَ ! فَقَالَتْ : إِنَّهُ نَشَأَ فِينَا ، وَإِنَّمَا تَكْرَهُ الْمَرْأَةُ الرَّجُلَ الشَّائِبَ إِذَا كَانَ غَرِيبًا وَرَأَتْهُ بَدِيهَةً .

\* \* \*

٩٦٦ - وَقَالَتِ امْرَأَةٌ : لَا يُعْجِبُنِي الشَّابُّ يَمْنَعُ مَعَجَ الْمُهْرِ ، طَلَقًا أَوْ طَلَقَيْنِ<sup>(١)</sup> ، ثُمَّ يَرْبِضُ بِنَاحِيَةِ الْمَيْدَانِ . . . وَلَكِنْ أَيْنَ أَنْتِ مِنْ شَيْخٍ يَضَعُ قَبَّ

(١) مَعَجَ الْفَرَسُ : كَانَ سَرِيعَ السَّيْرِ سَهْلَهُ ؛ وَالطَّلُقُ : الشَّوْطُ الْوَاحِدُ فِي جَزِي الْخَيْلِ .

أَسْتَه بِالْأَرْضِ ثُمَّ سَخَبَا وَجَرَا<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

كَمَا أَنَّ مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ مَنْ يُفْضَلُ الْفُقَرَاءُ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ :

٩٦٧ - وَحَسْبُكَ فِي هَذَا الْبَابِ مَا كَانَ مِنْ أَحَدِ الْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ بِالْمَدِينَةِ سَيِّدِ التَّابِعِينَ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ الْعَالِمِ الْمُحَدِّثِ الْفَقِيهِ الزَّاهِدِ الْعَابِدِ أَبُو مُحَمَّدٍ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٩٣ هـ ، فَقَدْ خَطَبَ إِلَيْهِ ابْنَتُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لَابْنِهِ الْوَلِيدَ حِينَ وَلَّاهُ الْعَهْدَ ، فَأَبَى سَعِيدٌ أَنْ يُرَوِّجَهُ ، وَقَدْ لَاقَى الْأَلَاقي مِنْ جَرَّاءِ هَذَا الْإِبَاءِ ، وَدُعِيَ إِلَى نَيْفٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا لِيَأْخُذَهَا ، وَقَالَ : لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا وَلَا فِي بَنِي مَرْوَانَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ فَيَحْكُمَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ؛ قَالَ ابْنُ خَلْكَانَ فِي تَرْجَمَتِهِ بَعْدَ هَذَا : وَقَالَ أَبُو وَدَاعَةَ<sup>(٢)</sup> : كُنْتُ أَجَالِسُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ ، فَفَقَدَنِي أَيَّامًا ، فَلَمَّا جِئْتُهُ ، قَالَ : أَيْنَ كُنْتَ ؟ قُلْتُ : تُوُفِّيتُ أَهْلِي ، فَاشْتَغَلْتُ بِهَا ؛ فَقَالَ : هَلَّا أَخْبَرْتَنَا فَشَهِدْنَاهَا ! قَالَ أَبُو وَدَاعَةَ : ثُمَّ أَرَدْتُ أَنْ أَقُومَ ، فَقَالَ : هَلْ أَحَدَنْتُ أَمْرًا غَيْرَهَا ؟ فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، وَمَنْ يُرَوِّجُنِي وَمَا أَمْلِكُ إِلَّا دِزْهَمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ ! فَقَالَ : إِنْ أَنَا فَعَلْتُ تَفْعَلُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ؛ ثُمَّ حَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَرَوَّجَنِي عَلَى دِزْهَمَيْنِ ، أَوْ قَالَ : عَلَى ثَلَاثَةٍ . قَالَ : فَقُمْتُ وَمَا أَذْرِي مَا أَصْنَعُ مِنَ الْفَرْحِ ، فَصَرْتُ إِلَى مَنْزِلِي ، وَجَعَلْتُ أَتَفَكَّرُ مِمَّنْ آخُذَ وَأَسْتَدِينُ ! وَصَلَّيْتُ الْمَغْرِبَ ، وَكُنْتُ صَائِمًا ، فَقَدَّمْتُ عَشَائِي لِأَفْطَرٍ - وَكَانَ خُبْرًا وَرَيْتًا - وَإِذَا بِالْبَابِ يُفْرَعُ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟

(١) الْقَبْ : الْعَظْمُ الثَّانِي مِنَ الظَّهْرِ بَيْنَ الْأَلْيَتَيْنِ .

(٢) الْمَشْهُورُ أَنَّهُ كَثِيرُ بِنِ الْمَطْلَبِ ابْنُ أَبِي وَدَاعَةَ ، رَاجِعُ « سِيرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ » ٢٣٤ / ٤ ؛ أَوْ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أَبِي وَدَاعَةَ ، رَاجِعُ « التَّمْهِيدِ » لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ ١٨٧ / ٢ . بِسَامِ .

قَالَ : سَعِيدٌ ؛ فَفَكَرْتُ فِي كُلِّ إِنْسَانٍ أَسْمُهُ سَعِيدٌ إِلَّا سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَّا مَا بَيْنَ بَيْتِهِ وَالْمَسْجِدِ ، فَقُمْتُ وَخَرَجْتُ وَإِذَا بِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ بَدَأَ<sup>(١)</sup> لَهُ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ! هَلَا أَرْسَلْتَ إِلَيَّ فَاتِكَ ! قَالَ : لَا ! أَنْتَ أَحَقُّ أَنْ تُؤْتَى ! قُلْتُ : فَمَا تَأْمُرُنِي ؟ قَالَ : رَأَيْتَكَ رَجُلًا عَزَبًا قَدْ تَزَوَّجْتَ<sup>(٢)</sup> فَكَرِهْتُ أَنْ تَبِيتَ اللَّيْلَةَ وَحْدَكَ ، وَهَذِهِ أَمْرَاتُكَ ، وَهَذِهِ خَادِمٌ تَخْدِمُكُمْ ، مَعَهَا أَلْفُ دِرْهَمٍ نَفَقَةٌ لَكُمْ ، فَخُذْهَا يَا عَبْدَ اللَّهِ بِأَمَانَةِ اللَّهِ ، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَأْخُذُهَا صَوَامَةً عَارِفَةً بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِيهَا ، وَلَا يَمْنَعُكَ مَكَانُهَا مِنِّي إِنْ رَأَيْتَ مِنْهَا مَا تَكْرَهُ أَنْ تُحَسِّنَ أَدَبَهَا ؛ ثُمَّ سَلَّمَهَا إِلَيَّ ، ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَى السَّطْحِ ، فَتَادَيْتُ الْجِيرَانَ ، فَجَاءُونِي ، وَقَالُوا : مَا شَأْنُكَ ؟ فَقُلْتُ : زَوَّجَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ الْيَوْمَ أَبْتَنَّهُ ، وَقَدْ جَاءَ بِهَا عَلَى غَفْلَةٍ ، وَهِيَ فِي الدَّارِ ، فَتَزَلُّوا إِلَيْهَا ، وَبَلَغَ أُمِّي ، فَجَاءَتْ وَقَالَتْ : وَجْهِي مِنْ وَجْهِكَ حَرَامٌ إِنْ مَسَسَتْهَا قَبْلَ أَنْ أُضْلِحَهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ؛ فَأَقُمْتُ ثَلَاثًا ، ثُمَّ دَخَلْتُ بِهَا ، فَإِذَا هِيَ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ وَأَخْفَظِهِمْ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَعْلَمِهِمْ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَعْرِفِهِمْ بِحَقِّ الزَّوْجِ . قَالَ أَبُو وَدَاعَةَ : فَمَكَثَ - سَعِيدٌ - شَهْرًا لَا يَأْتِينِي وَلَا آتِيهِ ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ شَهْرٍ ، وَهُوَ فِي حَلَقَتِهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ وَلَمْ يَكَلِّمَنِي ، حَتَّى أَنْفَضَ مَنْ فِي الْمَجْلِسِ ، فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ غَيْرِي وَغَيْرُهُ قَالَ : مَا حَالُ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ ؟ قُلْتُ : هُوَ عَلَى مَا يُحِبُّ الصَّدِيقُ وَيَكْرَهُ الْعَدُوُّ ؛ وَكَانَ سَعِيدٌ كَثِيرًا مَا يَسْأَلُنِي عَنْهَا ، فَأَقُولُ : بِخَيْرٍ ؛ فَيَقُولُ :

(١) يُقَالُ : بَدَأَ لِي بَدَاءً ، أَيُّ : تَغَيَّرَ رَأْيِي عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ ، وَهُنَا يُرِيدُ أَبُو وَدَاعَةَ بِقَوْلِهِ : فَظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ بَدَأَ لَهُ ، أَنْ رَأَيْ سَعِيدًا تَغَيَّرَ ، وَبَدَأَ لَهُ أَمْرٌ آخَرُ فِي تَزْوِيجِ أَبِي وَدَاعَةَ بِنْتِهِ .

(٢) يُرِيدُ : قَدْ عَقِدَ عَقْدَكَ عَلَى امْرَأَةٍ هِيَ بِنْتُ سَعِيدٍ .



يَا عَبْدَ اللَّهِ ! إِنْ خَفَّ عَلَيْكَ أَنْ تُزِيرَنَاهَا<sup>(١)</sup> ، فَافْعَلْ ؛ فَلَمَّا حَضَرَ وَلَادُهَا خَرَجْتُ  
لَأَنْظُرَ فِي بَعْضِ مَا يَنْظُرُ فِيهِ الرَّجُلُ لِأَهْلِهِ ، وَرَجَعْتُ إِلَى الدَّارِ ، وَإِذَا بِهَا  
شَخْصٌ مَا رَأَيْتُهُ قَطُّ ، فَارْجَعْتُ مُوَلِّياً ، فَنَادَتْنِي مِنْ وَرَائِي : يَا عَبْدَ اللَّهِ !  
أَدْخُلْ ! فَقَدْ أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ هَذِهِ النَّظَرَةَ ؛ فَقُلْتُ : وَمَنْ أَنْتِ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ؟  
قَالَتْ : أَنَا أُمُّ الْفَتَاةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ ! كَيْفَ رَأَيْتِ أَهْلَكَ ؟ قُلْتُ : جَزَاكُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ  
بَيْتٍ ، خَيْرًا ، لَقَدْ رَبَّيْتُمْ فَأَحْسَنْتُمْ ، وَأَدَّبْتُمْ فَأَحْكَمْتُمْ ؛ فَقَالَتْ : يَا عَبْدَ اللَّهِ !  
لَا يَمْنَعُكَ مَكَانُهَا مِنَّا أَنْ تَرَى بَعْضَ مَا تَكْرَهُ فَتُحَسِّنَ أَدَبَهَا ، يَا عَبْدَ اللَّهِ !  
لَا تَمْلِكُهَا مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رِيحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ .

\* \* \*

زُهِدُهُمْ فِي الْعَجَائِزِ :

٩٦٨ - قَالَ أَغْرَابِيُّ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

لَا تَتَكَحَّنَ الدَّهْرَ مَا عِشْتَ أَيَّامًا      مُخَرَّمَةً قَدْ مُلَّ مِنْهَا وَمَلَّتِ<sup>(٢)</sup>  
تَحَكُّ قَفَاهَا مِنْ وَرَاءِ خِمَارِهَا      إِذَا فَقَدْتَ شَيْئًا مِنَ الْبَيْتِ جُتَّتِ<sup>(٣)</sup>  
تَجَوُّدُ بِرِجْلَيْهَا وَتَمْنَعُ دَرَّهَا      وَإِنْ طَلَيْتَ مِنْهَا الْمَوَدَّةَ هَرَّتِ<sup>(٤)</sup>

\* \* \*

(١) أَرَاةُ : حَمَلُهُ عَلَى الزَّيَارَةِ .

(٢) لَا تَتَكَحَّنَ : لَا تَتَزَوَّجَنَّ ؛ وَالْأَيَّامُ : الَّتِي مَاتَ عَنْهَا زَوْجُهَا ؛ وَمُخَرَّمَةٌ : كَثُرَ الدُّعَاءُ عَلَيْهَا بِأَنْ  
يَخْتَرِمَهَا الْمَوْتُ وَيَسْتَأْذِنَ بِهَا ؛ وَمُلَّ مِنْهَا وَمَلَّتِ : يُرِيدُ أَنَّهَا طَعَنْتْ فِي السَّنِّ وَقَضَّتْ مَا رُبَّ  
الشَّهَوَاتِ وَقَضَّتْ مِنْهَا .

(٣) تَحَكُّ قَفَاهَا ، أَيُّ : لِمَا فِيهَا مِنَ الْقَمَلِ ، يُرِيدُ إِنَّهَا غَيْرُ نَظِيفَةٍ ، فَلَا تَكْشِفُ رَأْسَهَا وَلَكِنْ تَحْكُمُهُ  
وَرَاءَ الْخِمَارِ ؛ وَقَوْلُهُ : إِذَا فَقَدْتَ شَيْئًا مِنَ الْبَيْتِ جُتَّتِ ، أَيُّ : إِذَا فَقَدْتَ مَا لَا خَطَرَ لَهُ كَانَ  
عِنْدَهَا كَالشَّيْءِ الَّذِي لَا عَوَضَ مِنْهُ .

(٤) قَالَ التَّبَرِيزِيُّ : هَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَثَلًا لِقَلْبِهِ خَيْرِهَا ، فَسَبَّهَا بِالشَّأَةِ الَّتِي تُعَالِجُ رِجْلَيْهَا ، فَإِذَا=

٩٦٩ - وَقَالَ آخَرُ [من الطويل] :

- أَلَامَ عَلَى بُغْضِي لِمَا بَيْنَ حَيَّةٍ      وَضَبِعَ وَتَمْسَحَ تَغَشَّاكَ مِنْ بَخْرِ<sup>(١)</sup>  
تُحَاكِي نَعِيمًا زَالَ فِي قُبْحٍ وَجْهَهَا      وَصَفَحْتُهَا لَمَّا بَدَتْ سَطَوَةُ الدَّهْرِ<sup>(٢)</sup>  
هِيَ الضَّرْبَانُ فِي الْمَفَاصِلِ خَالِيًا      وَشُعْبَةُ بَرْسَامٍ ضَمَمَتْ إِلَى التَّخْرِ<sup>(٣)</sup>  
إِذَا سَفَرْتَ كَانَتْ لِعَيْنِكَ سُخْنَةً      وَإِنْ بُرِقَتْ فَالْفَقْرُ فِي غَايَةِ الْفَقْرِ<sup>(٤)</sup>  
وَإِنْ حَدَّثَتْ كَانَتْ جَمِيعَ مَصَائِبِ      مُوقَّرَةٍ تَأْتِي بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ<sup>(٥)</sup>  
حَدِيثُ كَقْلَعِ الضُّرْسِ أَوْ تَنْفٍ شَارِبِ      وَغَنَجٍ كَحَطَمِ الْأَنْفِ عِيلَ بِهِ صَبْرِي<sup>(٦)</sup>  
وَتَفْتَرُ عَنْ قُلْحٍ عَدِمْتُ حَدِيثَهَا      وَعَنْ جَبَلِي طَيٍّ وَعَنْ هَرَمِي مِصْرٍ<sup>(٧)</sup>

\* \* \*

- = أَرِيدَ حَلْبَهَا مَنَعَتْ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ إِنْ قَعَدَتْ عَنِ الْوِلَادَةِ فَهِيَ تُسَاعِدُ فِي الْجِمَاعِ وَلَا تَحْمِلُ وَلَا تَلِدُ ؛ أَرَادَ يَهَيَّزُ : كَرِهَتْ وَتَقَبَّضَتْ .
- (١) جَمَعَ بَيْنَ الْحَيَّةِ وَالضَّبْعِ وَالتَّمْسَحِ لِأَنَّهُ لَا يَقْصِدُ التَّشْبِيهَ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ التَّشْبِيهَ مِنْ وَجْهِ كَثِيرَةٍ مِنَ الْخُلُقِ وَالْخُلُقِ . وَتَغَشَّاكَ ، أَيُّ : التَّمْسَاحُ ؛ أَنَاكَ .
- (٢) يَقُولُ : تُحَاكِي فِي قُبْحٍ وَجْهَهَا قُبْحَ زَوَالِ النَّعْمَةِ ، كَمَا قِيلَ فِي الْمَثَلِ : « أَقْبَحُ مِنْ زَوَالِ النَّعْمَةِ » ثُمَّ شَبَّهَ صَفَحَتَهَا - أَيُّ : غُرْضَ وَجْهَهَا - بِسَطَوَةِ الدَّهْرِ ، وَالسَّطَوُ : الْبَسْطُ عَلَى الْإِنْسَانِ بِقَهْرِهِ مِنْ فَوْقَ ، وَأَصْلُهُ : الْبَطْشُ وَالْقَهْرُ .
- (٣) الْبَرْسَامُ : الْتِهَابٌ فِي الْحِجَابِ الَّذِي بَيْنَ الْكَبِدِ وَالْقَلْبِ ؛ يَقُولُ : إِذَا خَلَوَتْ بِهَا كَانَتْ خَلَوْتُهَا كَمَوْجَانِ الْعُرُوقِ بِالْأَلَمِ فِي مَفَاصِلِ الْمُتَقَرِّسِ - الْمُصَابِ بِالْقُرْسِ [ أَزْدِيَادُ نِسْبَةِ حَمَضِ الْبَوْلِ فِي الدَّمِ عَنْ الْحَدِّ الطَّبِيعِيِّ ] : دَاءٌ يَأْخُذُ فِي الرَّجُلِ ، وَهُوَ وَرَمٌ يَخْذُ فِي مَفَاصِلِ الْقَدَمِ ، وَفِي إِبْهَامِهَا الْبُتْرُ [ حَيْثُ تَتَرَكَّزُ بِلَوَارَاتِ حَمَضِ الْبَوْلِ ، وَيُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى آلامٍ مُبْرِحَةٍ ] - وَإِنْ جَذَبَتْهَا إِلَى نَفْسِكَ قَاسَيْتَ مِنْهَا مَا يُقَاسِي الْمُبْرَسَمُ .
- (٤) سُخْنَةُ الْعَيْنِ نَقِيضُ قُرَّتِهَا ، وَيُقَالُ : أَسْحَنَ اللَّهُ عَيْنَهُ : إِذَا أَبْكَاهُ ؛ وَقَوْلُهُ : فَالْفَقْرُ فِي غَايَةِ الْفَقْرِ ، يَعْنِي : إِذَا تَنَاهَى الْفَقْرُ حَتَّى لَا يَكُونَ وَرَاءَهُ شَرٌّ مِنْهُ .
- (٥) قَاصِمَةُ الظَّهْرِ : الدَّاهِيَةُ .
- (٦) الْحَطَمُ : كَسَرُ الشَّيْءِ الْيَاسِ ؛ وَعِيلَ بِهِ صَبْرِي : غَلِبَ .
- (٧) تَفْتَرُ : تَبْتَسِمُ ؛ وَالْقُلْحُ ، أَيُّ : الْأَسْنَانُ الْمُصَابَةُ بِالْقُلْحِ ، وَهُوَ : صُفْرَةٌ فِي الْأَسْنَانِ .

٩٧٠ - وَقَالَ أَغْرَابِيٌّ [مَنْ الْبَسِيطُ] :

لَا تَنْكِحَنَّ عَجُوزاً إِنْ دَعُوكَ لَهَا      وَإِنْ حَبُوكَ عَلَى تَزْوِيجِهَا أَلْذَهَباً<sup>(١)</sup>  
وَإِنْ أَتُوكَ وَقَالُوا إِنَّهَا نَصَفٌ      فَإِنَّ أَمْثَلَ نِصْفَيْهَا الَّذِي ذَهَباً<sup>(٢)</sup>  
الْنَّصَفُ : الْمَرْأَةُ الْوَسْطَى بَيْنَ الْحَدَثَةِ وَالْمُسْتَةِ ؛ وَقِيلَ : هِيَ الَّتِي بَلَغَتْ  
خَمْسِينَ سَنَةً .

\* \* \*

٩٧١ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنْ خَيْرَ نِصْفَيِ الرَّجُلِ آخِرُهُمَا ، يَذْهَبُ جَهْلُهُ ،  
وَيَثُوبُ حِلْمُهُ ، وَيَجْتَمِعُ رَأْيُهُ ، وَإِنْ [ شَرٌّ ] نِصْفَيِ الْمَرْأَةِ آخِرُهُمَا ، يَسُوءُ  
خُلُقُهَا ، وَيَحْدُ لِسَانُهَا ، وَتَعْقُمُ رَحِمُهَا .

\* \* \*

٩٧٢ - وَقَالَ الْأَطِبَّاءُ : نِكَاحُ الْعَجُوزِ سُوءٌ مِنَ السُّمُومِ ، يُفْنِي الْبَدَنَ ،  
وَيُورِثُ أَلْهَمَ وَالْحَزْنَ .

\* \* \*

٩٧٣ - وَقَالُوا : لَا تَأْكُلْ وَلَا تَزَكَّبْ وَلَا تَنْكِحْ إِلَّا فِتْيَاً .

\* \* \*

(١) فِي « حِمَاسَةِ أَبِي تَمَّامٍ » بَدَلُ : إِنْ دَعُوكَ لَهَا ، إِنْ أَتَيْتَ بِهَا ؛ وَبَدَلَ قَوْلُهُ : وَإِنْ حَبُوكَ ... الخ ، وَأَخْلَعَ ثِيَابَكَ مِنْهَا مُمَعْنًا هَرَبًا . قَالَ التَّبَرِيزِيُّ : قَوْلُهُ : وَأَخْلَعَ ثِيَابَكَ مِنْهَا ، يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ : فَسَلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَسْلُ ؛ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ : تَشَمَّرَ وَتَحَقَّقَ ؛ وَمَعْنَى مِنْهَا ، أَنِّي : مِنْ أَجْلِهَا ؛ وَقَوْلُهُ هَرَبًا ، أَنِّي : هَارِبًا .

(٢) أَمْثَلَ نِصْفَيْهَا ، أَنِّي : أَصْلَحُهُمَا ، يُقَالُ : فُلَانٌ أَمْثَلُ مِنْ فُلَانٍ ، أَنِّي : هُوَ أَوْفَى إِلَى الْخَيْرِ مِنْهُ ؛ وَأَمَّا نِصْفُ الْقَوْمِ : خِيَارُهُمْ .

٩٧٤ - وَقَالُوا : مُضَاجَعَةُ الْعَجُوزِ يَخَافُ مِنْهَا مَوْتُ الْفَجَاءَةِ .

\* \* \*

٩٧٥ - وَلَمَّا أَسْنَتْ رَمْلَةً بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ - وَكَانَتْ ضَرَّةً لِعَائِشَةَ بِنْتُ طَلْحَةَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - جَعَلَتْ تَتَجَبَّهَ فِي مِثْلِ أَيَّامِ أَقْرَائِهَا - حَيْضَاتِهَا - تُرِيهِ أَنَّهَا فِي سِنٍّ مَنَ تَحِيضُ - مَعَ أَنَّهَا مُسِنَّةٌ لَا تَحِيضُ - فَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي ذَلِكَ : [من الخفيف] :

جَعَلَ اللَّهُ كُلَّ قَطْرَةٍ حَيْضٍ      قَطَرَتْ مِنْكَ فِي حِمَالِي قِي عَيْنِي

\* \* \*

٩٧٦ - وَقَدَّمَتْ أَمْرًا زَوْجَهَا إِلَى زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ تُنَازِعُهُ ، وَقَدْ كَانَتْ سِنَّهُ أَعْلَى مِنْ سِنَّهَا ، فَجَعَلَتْ تَعِيبُ زَوْجَهَا وَتَقَعُ فِيهِ ، فَقَالَ زَوْجُهَا : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! إِنَّ شَرَّ شَطْرِي الْمَرْأَةُ آخِرُهَا ، وَخَيْرَ شَطْرِي الرَّجُلُ آخِرُهُ ، الْمَرْأَةُ إِذَا كَبُرَتْ عُقِمَتْ رَحِمُهَا ، وَحَدَّ لِسَانُهَا ، وَسَاءَ خُلُقُهَا ، وَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَبُرَتْ سِنَّهُ اسْتَحْكَمَ رَأْيُهُ ، وَكَثُرَ حِلْمُهُ ، وَقَلَّ جَهْلُهُ .

\* \* \*

٩٧٧ - وَقَالَ أَعْشَى هَمْدَانَ لِأَمْرَأَتِهِ : إِنَّكَ لَسَلِيسَةُ الثُّقْبَةِ ، سَرِيعَةُ الْوُثْبَةِ ، حَدِيدَةُ الرُّكْبَةِ ؛ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ إِنَّكَ لَسَرِيعُ الْإِرَاقَةِ ، بَطِيءُ الْإِفَاقَةِ ، قَلِيلُ الطَّاقَةِ ؛ فَطَلَّقَهَا وَقَالَ [من المتقارب] :

تَقَادَمَ عَنْهُ دُكُّ أُمِّ الْحَلَالِ      وَطَاشَتْ نِبَالُكَ عِنْدَ النَّضَالِ  
وَقَدْ بُتَّ حَبْلُكَ فَاسْتَيْقَنِي      بِأَنِّي طَرَحْتُكَ ذَاتَ الشُّمَالِ  
وَأَنْ لَا رُجُوعَ فَلَا تُكَذِّبِ      نَ مَا حَنَّتِ النَّيْبُ إِثْرَ الْعِصَالِ

\* \* \*

٩٧٨ - وَطَلَّقَ بَعْضُهُمْ أَمْرَأَتَهُ ، فَقَالَتْ لَهُ : بَعْدَ صُحْبَةِ خَمْسِينَ سَنَةً !  
فَقَالَ : مَا لَكَ عِنْدِي ذَنْبٌ غَيْرُهُ .

\* \* \*

٩٧٩ - وَقَالَ شَاعِرٌ - وَقَدْ عَاتَبَتْهُ أَمْرَأَتُهُ هَوَى لَهُ - [من الخفيف] :

وَيْكَ إِنِّ الْمُلَامَ يُغَرِّي الْمَلُومَا      لَيْسَ جُزْمِي كَمَا زَعَمْتَ عَظِيْمَا  
إِنْ أَكُنْ عَاشِقًا فَلَمْ آتِ إِلَّا      مَا أَتَتْهُ الرِّجَالُ قَبْلِي قَدِيْمَا  
إِنَّمَا يَكْثُرُ التَّعَجُّبُ مِمَّنْ      كَانَ مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ سَلِيْمَا

[ راجع رقم : ٧٩١ ، حَيْثُ نُسِبَ الشُّعْرُ لِلْأَسْوَدِ الْخَافَانِيِّ ]

\* \* \*

٩٨٠ - وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ يَسِيرٍ<sup>(١)</sup> : عَلِقَ أَبِي جَارِيَةً - فَتَاءَ -  
لِيَغْضُ الْأَهَاشِمِيِّينَ ، فَبَعَثَتْ إِلَيْهِ أُمِّي تُعَاتِبُهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهَا [من البسيط] :

لَا تَتَّبِعْنَ لَوْعَةً إِثْرِي وَلَا هَلَعَا      وَلَا تُقَاسِنَنَّ بَعْدِي أَلْهَمَ وَالْجَزَعَا  
بَلْ أَتْسِي تَجِدِي إِنْ أَتْسَيْتِ أَسَى      بِمِثْلِ مَا قَدْ فُجِعْتَ الْيَوْمَ قَدْ فُجِعَا<sup>(٢)</sup>  
مَا تَصْنَعِينَ بَعِينَ عَنْكَ طَامِحَةً      إِلَى سِوَاكَ وَقَلْبٍ عَنْكَ قَدْ نَزَعَا  
إِنْ قُلْتَ قَدْ كُنْتُ فِي وُدٍّ وَتَكْرُمَةٍ      فَقَدْ صَدَقْتَ وَلَكِنْ ذَاكَ قَدْ مُنِعَا  
وَأَيُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمِعْتَ بِهِ      إِلَّا إِذَا صَارَ فِي غَايَاتِهِ أَنْقَطَعَا  
لَمْ تُبْقِ عَيْنَا حُسَيْنٍ عِنْدَ لَحْظِهِمَا      لِغَيْرِهَا فِي فُؤَادِي بَعْدَهَا طَمَعَا

(١) مُحَمَّدُ بْنُ يَسِيرٍ : شَاعِرٌ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، وَعَبَدَ اللَّهَ ابْنَهُ شَاعِرٌ كَذَلِكَ ، وَهُوَ غَيْرُ مُحَمَّدِ بْنِ بِشِيرٍ الْخَارَجِيِّ الْعُدَوَانِيِّ الشَّاعِرِ أَيْضًا :

(٢) يَقُولُ : مَا حَدَّثَ لَكَ مِثِّي حَدَثَ لِكَثِيرَاتٍ ، فَأَتْرُكِي أَلْهَمَ ، وَلَيْكُنْ لَكَ أَسْوَةٌ بِمَنْ قَدْ فُجِعَ بِمِثْلِ مَا فُجِعْتَ بِهِ .

وَهَلْ يُطَاقُ مُذَكُّ عِنْدَ صَبَوْتِهِ وَمَنْ يَقُومُ لِمَسْتُورٍ إِذَا خُلِعَا  
قَوْلُهُ : وَأَيُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا . . . أَلْبَيْتُ ، مِثْلُهُ قَوْلُ الْعَرَبِ : « مَنْ بَلَغَ  
غَايَةَ مَا يُحِبُّ فَلْيَتَوَقَّعْ غَايَةَ مَا يَكْرَهُ » .

وَقَوْلُ الشَّاعِرِ [من المتقارب] :

إِذَا تَمَّ أَمْرٌ دَنَا نَقْصُهُ تَوَقَّعَ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمَّ<sup>(١)</sup>  
وَقَوْلُهُ : لَمْ تَبْقَ عَيْنَا حُسَيْنٍ . . . أَلْبَيْتُ ، فَلَعَلَّهُ يُكْنِي بِحُسَيْنٍ عَنْ خَلِيلَتِهِ ،  
وَقَدْ جَرَتْ عَادَتُهُمْ بِأَنْ يُكْنُوا عَنِ الْحَبِيبِ بِمُذَكَّرٍ .

وَقَوْلُهُ : وَهَلْ يُطَاقُ مُذَكُّ . . . أَلْبَيْتُ ، فَالْمُذَكَّى مِنَ الدَّوَابِّ : الَّذِي أَتَى  
عَلَيْهِ سَنَةٌ بَعْدَ قُرُوحٍ ؛ وَذَكَى : أَسَنَّ وَكَبَّرَ ، وَمِثْلُ هَذَا أَلْبَيْتِ قَوْلُ الْحَارِثِ بْنِ  
وَعْلَةَ [من الكامل] :

الآنَ لَمَّا أَبْيَضَ مَسْرُبَتِي وَعَضَضْتُ مِنْ نَابِي عَلَى جِذْمٍ<sup>(٢)</sup>  
وَحَلَبْتُ هَذَا الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ وَأَتَيْتُ مَا آتَى عَلَى عِلْمٍ<sup>(٣)</sup>  
تَرْجُو الْأَعَادِي أَنْ أَسَالِمَهَا جَهْلًا تَوَهُّمَ صَاحِبِ الْحُلُمِ

(١) قَبْلَ هَذَا أَلْبَيْتِ :

هُمُومُكَ بِالْعَيْشِ مَقْرُونَةٌ فَمَا تَقَطَّعَ الْعَيْشُ إِلَّا بِهِمْ  
وَحُلُوءُ دُنْيَاكَ مُسْمُومَةٌ فَمَا تَأْكُلُ الشَّهْدَ إِلَّا بِسَمِّ

(٢) الْمَسْرُوبَةُ : الشَّعْرُ الْمُسْتَدَقُّ الَّذِي يَأْخُذُ مِنَ الصَّدْرِ إِلَى الشَّرَّةِ ؛ وَجِذْمُ الْأَسْنَانِ : مَنَابِتُهَا ؛  
يَقُولُ : كَبُرْتُ حَتَّى أَكَلْتُ عَلَى جِذْمِ نَابِي .

(٣) يُقَالُ : حَلَبَ فُلَانٌ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ ، أَيْ : خَبَرَ ضُرُوبَهُ ، يَعْنِي : إِنَّهُ مَرَّ بِهِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ وَشِدَّتُهُ  
وَرَخَاؤُهُ ، تَشْبِيهًا بِحَلَبِ جَمِيعِ أَخْلَافِ النَّاقَةِ ، مَا كَانَ مِنْهَا حِفْلًا وَغَيْرَ حِفْلٍ ، وَدَارًا وَغَيْرَ  
دَارٍ ، وَأَصْلُهُ مِنَ أَشْطَرَ النَّاقَةِ وَلَهَا خِلْفَانِ قَادِمَانِ وَآخِرَانِ ، كَأَنَّهُ حَلَبَ الْقَادِمَيْنِ وَهُمَا الْخَيْرُ ،  
وَالْآخِرَيْنِ وَهُمَا الشَّرُّ ، وَكُلُّ خِلْفَيْنِ شَطْرٌ ، وَقِيلَ : أَشْطَرُهُ : دِرَرُهُ ، جَمْعُ دِرَّةٍ : سَيْلَانُ  
اللَّبَنِ .

وَقَوْلُ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ الْقُدُّوسِ [من السريع] :

وَالشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ      حَتَّى يَوَارَى فِي ثَرَى رَمْسِهِ  
إِذَا أَرْعَوَى عَادَ إِلَى غِيِّهِ      كَذِي الضَّنَى عَادَ إِلَى نُكْسِهِ  
وَقَوْلُ الْآخَرِ [من الكامل] :

أَتَرَوْضُ عِرْسَكَ بَعْدَ مَا هَرِمْتَ      وَمِنْ أَلْعَاءِ رِيَاضَةِ الْهَرِمِ  
الْعِرْسُ : الزَّوْجَةُ .

وَرَجُلٌ مَسْتُورٌ وَسِتِيرٌ : عَفِيفٌ ؛ وَخَلَعَ الرَّجُلُ خِلَاعَةً ، فَهُوَ خَلِيعٌ : إِذَا تَشَطَّرَ  
وَحَبَثَ وَاسْتَهْتَرَ وَصَبَا حَتَّى لَكَأَنَّهُ خَلَعَ رَسَنَهُ ، أَوْ خَلَعَتْهُ عَشِيرَتُهُ وَتَبَرَّءُوا مِنْهُ .

\* \* \*

٩٨١ - وَحَدَّثَ بَعْضُهُمْ ، قَالَ : كُنَّا بِمَجْلِسٍ لَنَا بِالْبَصْرَةِ ، وَمَعَنَا خَالِدُ بْنُ  
صَفْوَانَ ، إِذْ جَلَسَ إِلَيْنَا أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ ، فَتَذَاكَرْنَا النِّسَاءَ ، فَقَالَ خَالِدٌ :  
خَيْرُ النِّسَاءِ الَّتِي أَحْتَنِكُ سِتْهَا ، وَأَسْتَحْكَمُ رَأْيَهَا ، وَخَمَصَ بَطْنُهَا ، وَعَظَمَتْ  
عَجِيزَتُهَا ، وَمَلَأَتْ حُضْنَ مُعَانِقِهَا ؛ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : دَعْ عَنْكَ الَّتِي أَسْتَحْكَمُ  
رَأْيَهَا وَعَلَيْكَ بِهَا حِينَ أَكْعَبْتَ إِلَيَّ أَنْ أَنْهَدْتَ ، غِرَّةٌ لَا تَذِرِي مَا يُرَادُ بِهَا ؛ وَأَنْشَأَ  
يَقُولُ [من الطويل] :

عَلَيْكَ أَبَا صَفْوَانَ إِنْ كُنْتَ نَاكِحًا      فَنَاءَ أَنْاسِ ذَاتِ إِثْبٍ وَمِثْرٍ<sup>(١)</sup>  
لَهَا كَفْلٌ وَافٍ وَبَطْنٌ مُعَكَّنٌ      وَأَخْتَمُ مِثْلَ الْقَعْبِ غَيْرُ مُنَوَّرٍ<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

(١) الْإِثْبُ : الْقَمِيصُ لَيْسَ لَهُ كُمَانٌ ؛ وَالْمِثْرُ : الْإِرَارُ .

(٢) الْكَفْلُ : الْعَجَزُ ؛ وَالْمُعَكَّنُ : الْمُسْتَنِي لَحْمُهُ سِمْنًا ؛ وَالْأَخْتَمُ : الْفَرْجُ ؛ وَالْقَعْبُ : الْقِدْحُ  
الضَّخْمُ الْغَلِيظُ ؛ وَغَيْرُ مُنَوَّرٍ ، بِكَسْرِ الْوَاوِ ، يُرِيدُ أَنَّهُ حُلِقَ وَلَمْ يَنْبُثْ بَعْدُ .

٩٨٢ - وَفِي مَعْنَى قَوْلِهِ : غِرَّةٌ لَا تَدْرِي مَا يُرَادُ بِهَا ، يَقُولُ الْمَجْنُونُ [من الطويل] :

وَعُلَّقْتُ لَيْلَى وَهِيَ غِرٌّ صَغِيرَةٌ      وَلَمْ يَبْدُ لِلْأَتْرَابِ مِنْ ثَدْيِهَا حَجْمٌ<sup>(١)</sup>  
صَغِيرَيْنِ نَزَعَى أَلْبَهُمَ يَا لَيْتَ أَنَّنَا      إِلَى الْآنَ لَمْ نَكْبِرْ وَلَمْ نَكْبِرِ أَلْبَهُمَ<sup>(٢)</sup>

[الديوان ، صفحة : ٩٧] .

\* \* \*

٩٨٣ - وَيَقُولُ خَالِدُ بْنُ أَلْمُهَاجِرِ [من الكامل] :

أَمَسْتُ مَنَازِلُكُمْ بِمَكَّةَ مِنْكُمْ<sup>(٣)</sup>      قَفَرًا وَأَصْبَحْتَ أَلْمَعَالِمُ خَالِيَهُ  
لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ رَجْعَكُمْ لَرَجَعْتُكُمْ      قَدْ كُنْتُ زَيْنِي بِهَا وَجَمَالِيَهُ  
عُلَّقْتُهَا غِرًّا غُلَامًا نَاشِئًا      غَضَّ الشَّبَابِ وَعُلَّقْتَنِي جَارِيَهُ  
حَتَّى اسْتَوَيْنَا لَمْ تَزَلْ لِي خَلَّةً      أَبْكِي إِذَا طَعَنْتَ بَعَيْنِ بَاكِيه

\* \* \*

٩٨٤ - وَقَالَ نَضِيبُ [وَيُسَبُّ لِأَبِي نُوَّاسٍ ، من الوافر] :

وَلَوْ لَا أَنْ يَقَالَ صَبَا نَضِيبٌ      لَقُلْتُ بِنَفْسِي أَلْنَشَأُ الصَّغَارُ  
بِنَفْسِي كُلُّ مَهْضُومٍ حَشَاهَا      إِذَا ظَلِمْتُ فَلَيْسَ لَهَا أَنْتِصَارُ

\* \* \*

٩٨٥ - وَقَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ فِي فَتَاةٍ يُقَالُ لَهَا : فَاطِمَةُ ، وَكَانَ قَدْ كُفَّ وَذَهَبَ

بَصْرُهُ ، فَسَمِعَهَا تُغْنِي فَهَوِيَهَا [من الرمل] :

(١) يُقَالُ : غِرٌّ ، لِلْمَذْكَرِ وَالْمُؤَنَّثِ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ ، وَقَدْ يُقَالُ لِلْمُؤَنَّثِ : غِرَّةٌ .

(٢) أَلْبَهُمُ : صِغَارُ الصَّبَّانِ .

(٣) أَنْظَرُ : « نَوَادِرُ الْقَالِي » .



بِنْتُ عَشْرِ وَثَلَاثِ قُسَمَتْ  
 دُرَّةٌ بِخَرِيَّةٍ مَكْنُونَةٍ  
 عَجِبْتُ فَطَمَةً مِنْ نَعْتِي لَهَا  
 أُمًّا بَدَّدَ هَذَا لُعْبِي  
 فَدَعَيْتَنِي مَعَهُ يَا أُمًّا  
 أَقْبَلْتُ مُغْضَبَةً تَضْرِبُهَا  
 بِأَبِي وَاللَّهِ مَا أَحْسَنَهُ  
 أَيُّهَا الْوَوَامُ هُبُوا وَيَحْكُمْ  
 بَيْنَ غَضَنِ وَكَيْبِ وَقَمَرِ  
 مَا زَهَا التَّاجِرُ مِنْ بَيْنِ الدُّرَرِ  
 هَلْ يُجِيدُ النَّعْتَ مَكْفُوفُ الْبَصَرِ  
 وَشَاحِي حَلَهُ حَتَّى أُتَشَرِ  
 عَلْنَا فِي خَلْوَةٍ نَقْضِي الْوَطَرِ  
 وَأَعْتَارَهَا كَجُنُونٍ مُسْتَعِزِ  
 دَمَعَ عَيْنِي يَغْسِلُ الْكُخْلَ قَطْرَ  
 وَأَسْأَلُونِي الْيَوْمَ مَا طَعُمُ السَّهَرِ

\* \* \*

٩٨٦ - وَلِلْأَغْرَابِيِّ الَّذِي أَوْرَدَنَا حَدِيثَهُ أَنِفًا مَعَ خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ أَبْيَاتٌ فِي تَرْتِيبِ أَسْنَانِ النِّسَاءِ هِيَ وَإِنْ كَانَتْ ضَعِيفَةً ، غَيْرَ أَنَّهَا مُسْتَمْلَحَةٌ ظَرِيفَةٌ ، وَمِنْ ثَمَّ نَوْرُهَا هُنَا ، قَالَ [ من الطويل ] :

مَتَى تَلَقَّ بِنْتُ الْعَشْرِ قَدْ نَصَّ ثَدْيُهَا  
 تَجِدُ لَذَّةً مِنْهَا لِخَفَةِ رُوحِهَا  
 وَصَاحِبَةُ الْعِشْرِينَ لَا شَيْءَ مِثْلُهَا  
 وَبِنْتُ الثَّلَاثِينَ الشِّفَاءُ حَدِيثُهَا  
 وَإِنْ تَلَقَّ بِنْتُ الْأَرْبَعِينَ فَعَبْطَةٌ  
 وَصَاحِبَةُ الْخَمْسِينَ فِيهَا بَقِيَّةٌ  
 وَصَاحِبَةُ السَّتِينَ لَا خَيْرَ عِنْدَهَا  
 وَصَاحِبَةُ السَّبْعِينَ إِنْ تُلِفَ مُعْرِسًا  
 وَذَاتُ الثَّمَانِينَ الَّتِي قَدْ تَحَلَّلَتْ  
 كُلُّوْلُوةُ الْعَوَاصِرِ يَهْتَزُّ جِيدُهَا  
 وَغَرَّتِهَا وَالْحُسْنُ بَعْدُ يَزِيدُهَا  
 فَتِلْكَ الَّتِي تَلْهُو بِهَا وَتُرِيدُهَا  
 هِيَ الْعَيْشُ مَا رَقَّتْ وَلَا دَقَّ عَوْدُهَا  
 وَخَيْرُ النِّسَاءِ وَدُّهَا وَلَوْ دُهَا  
 مِنْ الْبَاهِ وَاللَّدَاتِ صُلْبٌ عَمُودُهَا  
 وَفِيهَا ضِيَاعٌ وَالْحَرِيسُ يُرِيدُهَا  
 عَلَيْكُمْ فَلَكُمْ خَزِيَّةٌ يَسْتَفِيدُهَا  
 مِنَ الْكِبَرِ الْفَانِي وَقَدْ وَرِيدُهَا

وَصَاحِبَةُ التَّسْعِينَ يُرْعَشُ رَأْسُهَا وَبِالْأَلِيلِ مِقْلَاقٌ قَلِيلٌ هُجُودُهَا

\* \* \*

٩٨٧ - وَمِنْهُمْ مَنْ شَبَّ بِالْعَجَائِزِ ، قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤْلِيُّ [من الطويل] :

أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا أُمَّ عَوْفٍ وَحُبَّهَا عَجُوزاً وَمَنْ يُحِبُّ عَجُوزاً يُفْنَدِ  
كَسْحَقِ يَمَانٍ قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ وَرُفَعَتْهُ مَا شِئْتَ فِي الْعَيْنِ وَالْيَدِ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

٩٨٨ - وَأَرْسَلْتُ خَرَقَاءُ صَاحِبَةَ ذِي الرُّمَّةِ إِلَى الْقُحَيْفِ لِيُسَبِّبَ بِهَا ، فَقَالَ :

لَا أَشَبُّ بِعَجُوزٍ ؛ فَبَرَزَتْ لَهُ ، فَأَخَذَتْ بِمَجَامِعِ قَلْبِهِ ، وَرَأَى أَحْسَنَ النِّسَاءِ ،  
فَقَالَ [من الطويل] :

لَقَدْ أَرْسَلْتُ خَرَقَاءُ نَخْوِي رَسُولَهَا لِتَجْعَلَنِي خَرَقَاءُ مِمَّنْ أَضَلَّتْ  
وَخَرَقَاءُ لَا تَزْدَادُ إِلَّا مَلَاخَةً وَلَوْ عُمِّرْتَ تَغْمِيرَ نُوحٍ وَجَلَّتْ

\* \* \*

٩٨٩ - وَكَانَ بَنِيَامِينَ دُزْرَائِيلِي Benjamin Disraeli ، رَئِيسُ الْوَزَارَةِ

الْإِنْكِلِيزِيَّةِ ، صَبَا مُغْرَمًا بِالْمُسْتَنَاتِ مِنَ الْإِنْكِلِيزِيَّاتِ ، جَاءَ فِي مَجَلَّةِ « الْبَيَانِ »  
الَّتِي كَانَ يَقُومُ بِإِخْرَاجِهَا مُؤَلَّفُ هَذَا الْكِتَابِ مَا يَأْتِي ، وَهُوَ مِمَّا نَقَلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ  
الْمَرْحُومَ مُحَمَّدُ السَّبَاعِي :

(١) التَّفْنِيدُ : التَّوْبِيخُ وَاللُّومُ ؛ وَالسَّحَقُ : الْخَلْقُ مِنَ الثِّيَابِ الَّذِي قَدْ اُنْسَحَقَ وَانْجَرَدَ ، وَقَوْلُهُ :  
وَرُفَعَتْهُ ... الْخ يَقُولُ : هِيَ فِي النِّسَاءِ كَخَلَقِ الْبُرْدِ الْيَمَانِ فِي الثِّيَابِ وَقَدْ قَدَّمَ عَهْدَهُ ، فَإِذَا  
مُسْنَتُهُ وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ وَجَدَتْ رُفَعَتْهُ زَائِدَةً عَلَى كُلِّ رُفْعَةٍ دَقَّةً وَمَتَانَةً ، فَكَذَلِكَ مُنْظَرُ أُمِّ عَوْفٍ  
وَمُخْتَبَرُهَا ؛ وَقَوْلُهُ : مَا شِئْتَ ؛ يُرِيدُ : مَا شِئْتُهُ ، وَقَوْلُهُ : فِي الْعَيْنِ ؛ يُرِيدُ : فِي النَّظَرِ ؛  
وَفِي الْيَدِ ؛ يُرِيدُ : عِنْدَ اللَّمْسِ .

مِنْ مَأْثُورِ كَلِمَاتِ بَنِيَامِينَ دِزْرَائِيلِي Benjamin Disraeli قَوْلُهُ : إِنِّي مَدِينٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ لِلْمَرْأَةِ ، وَإِلَى تَأْثِيرِهَا فِيَّ ، وَسُلْطَانِهَا عَلَيَّ ؛ يُغْزَى كُلُّ مَا أُوتِيَتْ مِنْ الْفَخَارِ وَالْمَجْدِ وَالذِّكْرِ ، وَكُلُّ مَا صَادَفْتُ مِنَ النَّجَاحِ وَالْفَوْزِ ، وَإِذَا كُنْتُ لَا أَزَالُ فِي هَرَمِي أَحْمِلُ قَلْبًا فِتْيَا ، وَوَجْدَانًا ضَرِمًا ذَكِيًّا ، وَلَا أَبْرَحُ تَحْتَ وَقَارِ الشَّيْبِ وَجَلَالِ الشَّيْخُوخَةِ أَقْلُبُ لِسَانَ شَاعِرٍ مُتَخَيِّلٍ ، وَعَاشِقٍ مُتَغَزِّلٍ . وَأَقُولُ مَعَ الْقَائِلِ [وهو ابن المعتز ، من المجتث] :

يَا هِنْدُ مَا شَابَ قَلْبِي وَإِنَّمَا شَابَ الشَّعْرُ  
فَذَلِكَ أَيْضًا رَاجِعٌ إِلَى تَأْثِيرِ الْمَرْأَةِ .

فِي هَذَا الْإِفْرَارِ الصَّادِرِ مِنْ إِمَامِ الْبَلَاغَةِ وَالسِّيَاسَةِ تَغْلِيلُ شَافٍ لِمَا أُمْتَاَزَتْ بِهِ شَيْخُوخَةُ الرَّجُلِ الْعَظِيمِ مِنْ حَوَادِثِ الْحُبِّ الْعَجِيبَةِ ، وَرَوَايَاتِ الْغَرَامِ الْمُذْهِبَةِ الْغَرِيبَةِ . كَانَ دِزْرَائِيلِي Disraeli فِي كُلِّ أَدْوَارِ حَيَاتِهِ سَرِيعَ الْاِفْتِتَانِ بِجَمَالِ الْمَرْأَةِ مُفْرِطِ الْوُلُوعِ بِمَلَاحَاتِهَا ، فَكَانَ لَا يَنْفَكُ مِنْ شَغَفٍ بِالنِّسَاءِ ، وَحَيْنٍ إِلَيْهِنَّ ، وَطَرَبٍ إِلَى مُحَادَثَتِهِنَّ ، وَمُغَارَلَتِهِنَّ ، بَلْ هِيَامٍ فِي إِثْرِهِنَّ ، وَأَقْتِنَاصٍ لِأَوَانِسِهِنَّ وَشَوَارِدِهِنَّ ؛ وَكُلُّ ذَلِكَ كَانَ يَعْلَمُ مِنْ زَوْجَتِهِ الَّتِي كَانَتْ تَطِيبُ نَفْسًا عَنْ ذَلِكَ وَتَتَسَّعُ بِهِ صَدْرًا . وَكَانَتْ صَنَعَ اللَّهُ لَهَا وَلَهُ أَدَقُّ قَلْبًا وَأَكْرَمَ شَيْبَةً مِنْ أَنْ تُكْدَّرَ عَلَى زَوْجِهَا الْعَبْقَرِيِّ صَفْوُهُ فِي أَمْرِ لَيْسَ فِيهِ عَلَيْهَا كَبِيرُ شِفْوَةٍ وَلَا بَلَاءٍ . وَلَا جَرَمَ ، فَلَقَدْ كَانَتْ تَنْطَوِي عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْبُطُولَةِ ، فَكَانَتْ لِعَرَائِبِ خَصَائِصِ الْأَبْطَالِ أَفْهَمَ مِنْ طَبَقَةِ الْعَادِيَّاتِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَلِشَوَازِ نَزَعَاتِ الْعُظَمَاءِ أَفْطَنَ وَأَخْبَرَ . وَهِيَ بِمَا أُوتِيَتْ مِنْ طَبِيعَةِ الْبُطُولَةِ مَلِيَّةٌ أَنْ تُجِلَّ الْتَابِغَةُ الْعَبْقَرِيَّةُ - زَوْجَهَا - وَتُقَدَّسَهُ وَاهِبَةً لَهُ تِلْكَ الْهَفَوَاتِ الَّتِي هِيَ أَبَدًا مِنْ مُسْتَلْزِمَاتِ الْبُطُولَةِ وَالْعُظَمَةِ - بَلِ الَّتِي هِيَ أَسُّ الْبُطُولَةِ وَمَادَّتُهَا ، وَبِهَا غِذَاؤُهَا وَنَمَاطُهَا ، وَعَلَيْهَا مَدَارُهَا -

وَقَوَامُهَا . وَكَانَتْ زَوْجَةً دِزْرَائِيلِي Disraeli هَذِهِ أَرْمَلَةٌ أَحَدِ زُمَلَائِهِ السِّيَاسِيِّينَ ،  
أُورَثَهَا مَالًا جَمًّا ، وَعَقَّارًا كَثِيرًا ، فَأَقْتَرَنَ بِهَا دِزْرَائِيلِي Disraeli وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعَةِ  
وَثَلَاثِينَ . وَكَانَ يَقُولُ لَهَا مُمَازِحًا : إِنَّمَا أَغْرَاهُ بِزَوَاجِهَا مَالُهَا وَثَرَوَتُهَا .

وَلَكِنَّ اللَّيْدي بِيكُونسفيلْد Beaconsfield ( زَوْجَةُ دِزْرَائِيلِي Disraeli )  
صَرَّحَتْ مَرَّةً فِي بَعْضِ أَحَادِيثِهَا لِاتِّرَابِ لَهَا : كَلَّا وَاللَّهِ مَا كَانَ أَقْتِرَانُ بَنِيَامِينَ  
Benyamin بِي لَطَمَعَ فِي ثَرَوَتِي ، وَكَيْفَ ، وَلَقَدْ كَانَ يُبْدِي شَوْقَهُ لِي وَغَرَامَهُ فِي  
حَيَاةِ زَوْجِي الْأَوَّلِ ؟ ! .

وَلَقَدْ عَاشَ دِزْرَائِيلِي Disraeli وَزَوْجَتُهُ ثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ عَامًا فِي صَفَاءٍ وَرَخَاءٍ .  
وَلَقَدْ كَانَ بَلَغَ مِنْ فُزْطِ حُبِّهَا إِيَّاهُ أَنَّهَا جَعَلَتْ تَذْخِرُ قُصَاصَاتِ شَعْرِهِ طُولَ مُدَّةِ  
حَيَاتِهَا الزَّوْجِيَّةِ ، وَكَانَتْ تَقْصُّ شَعْرَهُ بِيَدَيْهَا كُلَّ أُسْبُوعَيْنِ أَوْ ثَلَاثِ .

وَالرَّسَالَةُ الْآتِيَّةُ ، وَهِيَ مَا كَتَبَهُ دِزْرَائِيلِي Disraeli إِلَى زَوْجَتِهِ أَثْنَاءَ تَأْلِيْفِهِ  
مَاسَاتِيهِ الْمَشْهُورَةِ « الْأُورِيُوس » ، تَنْمُّ عَمَّا كَانَ يَجِدُ لَهَا فِي أَعْمَاقِ قَلْبِهِ مِنْ شِدَّةِ  
الْغَرَامِ وَالْوُجْدِ ، وَهِيَ :

لَقَدْ أَدْمَنْتُ أَمْسَ الْكِتَابَةِ أَسْحُ بِهَا سَحًّا ، وَأَهْضِبُ بِهَا هَضْبًا ، وَلَقَدْ وَاللَّهِ  
جَعَلْتُ أَصْبُ فِي فُصُولِ قِصَّتِي الْخَيَالِيَّةِ وَجَدَانَاتِي الشَّخْصِيَّةِ وَمَشَاعِرِي الدَّائِيَّةِ ،  
فَجَاءَتْ وَكَانَتْهَا قِطْعَةً مِنْ حَيَاتِي الْمَاضِيَّةِ ، وَشُعْبَةً مِنْ عَيْشَتِي الْحَالِيَّةِ ، يَوْمَ  
أُطَارِحُكَ الْغَرَامَ ، وَأُحَادِثُكَ أَسْبَابَ الْهَوَى . فَإِذَا نَظَرْتُ فِي تِلْكَ الصُّحُفِ  
وَجَدْتُهَا مِرَاةَ مَاضِيكَ وَصَدَى ذِكْرِيَّاتِهِ ، وَإِذَا تَلَوْتُهَا تَلَوْتُهَا بِمُهْجَةٍ وَاقِدَةٍ ،  
وَأَنْفَاسٍ صَاعِدَةٍ ، وَبَحْشًا خَافِقَةٍ ، وَمُفْلَةً مَقْرُوحَةٍ . وَكَيْفَ وَقَدْ كُنْتُ أَكْتُبُهَا  
وَشَخْصُكَ مُرْتَسِمٌ عَلَى صَفْحَةِ جَنَانِي ، وَأَسْمُكَ يُرْفَرُ عَلَى أَسَلَةٍ لِسَانِي .  
وَلَا غَرَوْ ، فَمَنْ غَيْرُكَ مُلْهِمِي - إِذَا تَنَاوَلْتُ الْبِرَاعَةَ - وَمَصْدَرُ وَحْيِي وَشَيْطَانِي ؟

لَمْ يَكْذِبْ يَمْضِي عَلَى وَفَاةٍ هَذِهِ الزَّوْجَةُ نِصْفُ عَامٍ حَتَّى رَأَيْنَا صَاحِبَ الرِّيَاسَةِ وَدَاهِيَةَ الْحُكَّامِ وَالسِّيَاسَةِ ، يُحَرِّرُ الرِّسَائِلَ الْعَرَامِيَّةَ لِامْرَأَتَيْنِ كَانَتَا فِي تِلْكَ الْوَانَةِ جَدَّتَيْنِ ، لَهُمَا أَوْلَادٌ وَأَخْفَادٌ . وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْحِينِ قَدْ أَرَبَى عَلَى الثَّامِنَةِ وَالسُّتَيْنِ ، وَلَكِنَّ رَسَائِلَهُ كَانَ بِهَا مِنْ حَرَارَةِ الْوُجْدِ وَسَعِيرِ الْجَوَى مَا أَذْهَشَ مَعْشُوقَتَهُمَا وَأَسْتَشَارَ أَفْصَى عَجْبِهِمَا . وَكَانَتَا أُخْتَيْنِ : اللَّادِي بَرَاد فُورْد Celina of Bradford ، وَالكُنْتِيس سِيلِينَا أَوْف بَرَاد فُورْد Celina of Bradford . وَكَانَتْ الْأُولَى قَدْ أَنَاثَتْ عَلَى السَّبْعِينَ . وَلَكِنَّ الَّتِي شَغَفَ بِهَا دَرْزَائِيلِي Disraeli وَهَام ، وَرَاحَ فِيهَا نَهَبُ الْوَسَاوِسِ وَالْأَوْهَامِ ، هِيَ اللَّادِي بَرَاد فُورْد Celina of Bradford الَّتِي كَانَتْ مُتَزَوِّجَةً وَقَدْ نَاهَزَتْ الْخَامِسَةَ وَالْخَمْسِينَ . وَكَانَ قَدْ بَلَغَ مِنْ فَرْطِ وَجْدِهِ بِهَا أَنَّهُ بَعَثَ إِلَيْهَا بِمِئَةِ وَأَلْفِ رِسَالَةٍ ، وَكَانَ يَبْعَثُ إِلَيْهَا فِي سَحَابَةِ نَهَارٍ بِالْخَمْسِ وَالسُّتِ مِنَ الرِّسَائِلِ عَلَى أَيْدِي رُسُلٍ مُخْتَارَةٍ ، كَانَ يَقُولُ عَنْهُمْ فِي كُتُبِهِ إِلَى السَّيِّدَةِ الْمَذْكُورَةِ : « وَإِنَّ رُسُلِي إِلَيْكَ لَعَبِيدُكَ وَرِقُّ يَدَيْكَ ، لَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ سَيِّدِهِمْ صَبَّكَ الْمُتِّيمِ ، وَهُمْ تَحْتَ أَمْرِكَ ، وَاقْفُونَ بِبَابِكَ مِنَ الشُّرُوقِ إِلَى الْغُرُوبِ » .

وَيَذُلُّكَ عَلَى فَرْطِ وَقْدَةٍ لَوَعَتِهِ فِي الْعَرَامِ ، وَشِدَّةِ الْتِهَابِ غُلَّتِهِ فِي الْهَيْامِ ، الرِّسَالَةُ الْآتِيَّةُ ، وَهِيَ مَا كَتَبَهُ السِّيَاسِيُّ الدَّاهِيَةُ إِلَى اللَّادِي بَرَاد فُورْد Bradford عَقِبَ تَقْلُدِهِ مَنْصِبَ رِيَاسَةِ الْوَزَارَةِ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ بِثَلَاثَةِ أَسَابِيعَ . وَكَانَتْ السَّيِّدَةُ الْمَذْكُورَةُ قَدْ أَرْمَعَتْ مُغَادَرَةَ لَنْدُنْ London مَعَ أُخْتِهَا لِمُدَّةٍ لَا تَتَجَاوَزُ الْأُسْبُوعَيْنِ ، فَوَجَدَ لَوْشِكُ هَذَا الْبَيْنِ مِنْ شِدَّةِ الْكَرْبِ وَفَرْطِ الْجَزَعِ مَا أَجْرَى بِرَاعِهِ بِالْكَلِمَةِ الْآتِيَّةِ :

أَتَعْلَمِينَ ، يَا فِتْنَةَ الْعَالَمِ ، وَزِينَةَ الدُّنْيَا ؛ أَنَّكَ مَا كَانَتْ قَطُّ أَجْمَلَ وَلَا أَمْلَحَ مِنْكَ نِسَاءَ هَذَا الْيَوْمِ ، وَأَمَّا لَوْ اسْتَطَعْتُ وَسَاعَدَنِي الْقَدَرُ لَجَلَسْتُ إِلَى يَوْمٍ

الْقِيَامَةِ أَلْتَهُمْ بِعَيْنِي بِدَائِعِ جَمَالِكَ ، وَبِأُذُنِي رَوَائِعِ مَقَالِكَ . وَلَكِنْ كَانَ يُنْغَصُّ  
عَلَيَّ لَذَّتِي ، وَيُكَدِّرُ صَفَاءَ نِعْمَتِي ؛ عَلِمِي أَنَّ هَذَا الَّلِقَاءَ إِنَّمَا كَانَ لِيُودَاعٍ ، وَأَنَّ  
الْفِرَاقَ كَانَ رَهِينًا بِذَلِكَ الْاجْتِمَاعِ .

[ قَالَ الْبُخْتَرِيُّ ، مِنْ الْخَفِيفِ ] :

حَجَبُوهَا حَتَّى بَدَتْ لِفِرَاقٍ      كَانَ دَاءٌ لِعَاشِقٍ وَدَوَاءٌ  
أَضْحَكَ الْلَيْنَ يَوْمَ ذَاكَ وَأَبْكَى      كُلَّ ذِي لَوْعَةٍ وَسَرٍّ وَسَاءٍ  
فَجَعَلْنَا الْوُدَاعَ فِيهِ سَلَامًا      وَجَعَلْنَا الْفِرَاقَ فِيهِ لِقَاءَ  
وَالظَّاهِرُ أَنَّ اللادِي برادفورد Bradford اخْتَجَّتْ عَلَى طُعْيَانِ صَبَابَتِهِ ،  
وَأَنْكَرَتْ مِنْهُ غُلُوءَ هِيَامِهِ وَسُورَتِهِ ، حَتَّى كَتَبَ إِلَيْهَا ديزرائيلي Disraeli رَدًّا عَلَى  
إِنْكَارِهَا وَاخْتَجَّاجِهَا الرِّسَالَةَ الْآتِيَةَ : مَا أَحْسَبُ أَنِّي كُنْتُ فِي مُكَاشَفَتِي إِيَّاكَ  
الْهَوَى وَمُصَارَحَتِي مَا شَفَّنِي مِنَ الْجَوَى بِمُتَجَاوِزِ قَدْرِي ، وَمُتَعَدِّ حَدِّي  
وَطُورِي ؛ وَكَيْفَ وَلَمْ أَنْعِ مِنْكَ قَطُّ أَكْثَرَ مِنْ مُجَالَسَةِ الْأَصْحَابِ ، وَمُؤَانَسَةِ  
الْأَحْبَابِ ؛ وَلَا حَاوَلْتُ أَزِيدَ مِنَ التِّمَاسِ الْقَائِلِ [ وَهُوَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ ، مِنْ الْبَسِيطِ ] :

أَتَأْذَنُونَ لِصَبِّ فِي زِيَارَتِكُمْ      فَعِنْدَكُمْ شَهَوَاتُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ  
فَإِذَا بَلَغْتُ هَذَا كَانَ غَايَةَ مَا أُرِيدُ ، فَلَمْ أَطْمَحْ إِلَى مَا دُونَهُ ، وَلَمْ أَقُلْ : هَلْ  
مِنْ مَزِيدٍ ؟ فَجَبَّنِي - يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ - وَعَبَيْكَ بِالْحِزْمَانِ . وَلَا تُرَوِّعْنِي بِنَذِيرِ  
الْصَّدِّ وَالْهَجْرَانِ ، فَمَا أَرَانِي لِذَاكَ ، وَلَا مُسْتَوْجِبًا مُسَاءَتِكَ وَأَذَاكَ . وَعَلَى  
كُلِّ ، فَلَنْ يَكُونَ مِنِّي بَعْدَ الْيَوْمِ أَذْنَى مَا يُسَخِّطُكَ وَيَسُوءُكَ .

ثُمَّ مُشِيَ بِالْصُّلْحِ بَيْنَهُمَا ، وَجَاءَتْهُ رِسَالَةٌ مِنْ مَعْشُوقَتِهِ سَيْلِنَا لَادِي برادفورد  
Celina of Bradford تُنَبِّئُهُ عَنِ الْعَفْوِ وَالرِّضَا ، فَكَتَبَ إِلَيْهَا :

قَرَأْتُ كِتَابَكَ ، فَأَبْرَأَ عَلَيَّ ، وَشَفَى غُلَّتِي .

[ قَالَ أَبُو تَمَامٍ ، مِنْ الْوَافِرِ ] :

وَكَانَ أَلَذَّ فِي نَفْسِي وَأَنْدَى عَلَى كَيْدِي مِنَ الزَّهْرِ الْجَنِيِّ  
وَضُمَّنَ صَدْرُهُ مَا لَمْ تُضَمَّنْ صُدُورُ الْغَايَاتِ مِنَ الْحُلِيِّ  
وَأَقَامَا حِقْبَةً مِنَ الدَّهْرِ بَيْنَ ضُلْحٍ وَخِصَامٍ ، وَنَفَارٍ وَوِثَامٍ ، وَإِنَّ شَأْنَهُمَا فِي  
الْحُبِّ لَعَلَّى حَدَّ قَوْلِ الْقَائِلِ [مَنِ الْبَسِيطِ] :

لَا خَيْرَ فِي الْحُبِّ وَقَفَا لَا تُحَرِّكُهُ عَوَامِلُ الْيَأْسِ أَوْ يَزْتَاخُهُ الطَّمَعُ  
وَقَوْلِ الْآخَرِ [مَنِ الطَّوِيلِ] :

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُبِّ عَثَبٌ وَلَا رِضَا فَأَيْنَ حَلَاوَاتِ الرِّسَائِلِ وَالْكُتُبِ  
وَمِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ ، أَنَّهُ بَيْنَمَا كَانَتْ أَعْبَاءُ السِّيَاسَةِ تَتْرَاكُمُ عَلَى كَاهِلِ  
السِّيَاسِيِّ الْأَرِيبِ ، وَجَوُّ الْحَوَادِثِ مُظْلِمٌ مُكْفَهَرٌ ، كُنْتُ تَرَاهُ فِي هَذَا الْمَازِقِ  
الضَّنْكِ وَالْيَوْمِ الْعَصِيبِ يُوَالِي الرِّسَائِلَ إِلَى اللَّادِي بَرَادْفُورْدِ Bradford كَأَمْتَالِ  
الرِّسَالَةِ الْآتِيَةِ : « لَا أَكْذُبُكَ يَا مَوْلَاتِي إِنَّهُ لَا حَيَاةَ لِي إِلَّا بِرُؤْيَيْكَ ، وَلَا بَقَاءَ لِي  
إِلَّا بِسَمَاعِ صَوْتِكَ وَنَعْمَتِكَ ، أَوْ تِلَاوَةِ كِتَابِكَ وَرِسَالَتِكَ » .

« أَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي مَدَّ فِي أَجْلِي حَتَّى نَعِمْتُ بِفَجْرِ الْحُبِّ وَضُحَاهُ ، وَبُكْرَتِهِ  
وَمَمْسَاهُ ، وَبَسَحَرِهِ وَأَصِيلِهِ ، وَمَعْدَاهُ وَمَقِيلِهِ » .

« أَلَا إِنَّ رُؤْيِي إِيَّاكَ فِي الْمَجْلِسِ الْحَافِلِ لِلدَّهْرِ مُتَمَيِّزَةٌ عَنْ سِوَاهَا ، عَلَى أَنَّ  
خَلُوتِي بِكَ مُتَعَةٌ مُغَايِرَةٌ لِتِلْكَ لَسْتُ عَلَى مَمَرِ الدُّهُورِ أَنْسَاهَا . وَلِكِلْتَاهِمَا بَعْدُ  
مَذْهَبُهُمَا الْخَاصُّ مِنَ الرُّوحِ وَمَجْرَاهَا كُنُورُ الْقَمَرِ وَكَالشَّمْسِ فِي ضُحَاهَا » .

وَأَعْجَبُ مَا فِي غَرَامِيَّاتِ دِيزَرَايِيلِي Disraeli أَنَّهُ لَمَّا يَبَسَ مِنْ رِضَى اللَّادِي  
بَرَادْفُورْدِ Bradford بِالْأَقْتِرَانِ بِهِ ، خَطَبَ أُخْتَهَا الْكُبْرَى اللَّادِي شِيسترفيلد

Chesterfield مُخْتَجَاً لِذَلِكَ بِقَوْلِهِ : سَأُعْتِنُقُ إِحْدَاهُمَا كَزَوْجَةٍ لِي ، وَأَعْتِنُقُ الْأُخْرَى كَشَقِيقَةٍ<sup>(١)</sup> .

وَلَكِنَّ اللّادِي شِيسترفيلد Chesterfield أَبَتْ ذَلِكَ لِاعْتِقَادِهَا أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَشْغُلُ مِنْ قَلْبِهِ الْمَكَانَ الْأَعْلَى .

أَمَّا رَسَائِلُ السَّيِّدَتَيْنِ إِلَى ديزرائيلي Disraeli وَحَقِيقَةُ سُعُورِهِمَا نَحْوُهُ ، فَهَذَا مَا لَمْ يَتَّسِرْ تَحْقِيقُهُ وَتَثْبِيتُهُ ، وَلَنْ يَتَّسِرَ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ رَسَائِلَهُمَا إِلَيْهِ أُحْرِقَتْ عَقِبَ وَفَاتِهِ طَبَقاً لِمُرَادِهِمَا وَرَغْبَتِهِمَا الصَّرِيحَةِ . عَلَى أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّ اللّادِي بَرافورد Bradford كَانَتْ لَا تُغَالِي بِشَيْءٍ مُغَالَاتِهَا بِفُونُغَرَفِ Phonographe صَغِيرٍ لِدِيزرائيلي Disraeli أَهْدَتْهُ إِلَيْهِمَا الْمَلِكَةُ فَيَكْتُورِيَا Victoria الَّتِي كَانَتْ يُسَمِّيَهَا ديزرائيلي Disraeli : « الْحُورِيَّةُ » .

وَلَمْ يَفْتُرْ شَغْفُ الرَّجُلِ بِالنِّسَاءِ حَتَّى فِي أُخْرَيَاتِ عُمُرِهِ ، بَلْ بَقِيَ إِلَى ذَلِكَ الْحِينِ طَلَاباً لِلْغَوَانِي ، حَرِيصاً عَلَى مَجَالِسِهِنَّ ، حَتَّى آلَ الْأَمْرِ أَخِيراً إِلَى أَنَّهُ أَلَفَ نَادِيّاً مِنْ صُورِيَجَاتِهِ كَانَ فِيهِ اللَّذَّةُ الْكُبْرَى وَالنَّعْمَةُ الْعُظْمَى . . .



عَوْدٌ عَلَى عَنَقَرِيَّاتِهِمْ فِي الْمَشِيبِ :

٩٩٠ - وَمِنْ بَارِعِ مَا قِيلَ فِي دَمِّ الشَّيْبِ وَبُكْيِ بِهِ الشَّبَابُ ، قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ

حَازِمِ الْبَاهِلِيِّ [مِنْ الْبَسِطِ] :

لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا مِنْ الشَّبَابِ يَوْمَ وَاحِدٍ بَدَلُ  
شَرْخِ الشَّبَابِ لَقَدْ أَبْقَيْتَ لِي أَسْفاً مَا جَدَّ ذِكْرُكَ إِلَّا جَدَّ لِي ثَكْلُ<sup>(٢)</sup>

(١) كَذَا الْأَصْلُ ، فَهَلِ الصَّوَابُ هُوَ : « كَشَقِيقَةٍ » ؟

(٢) ثَكْلٌ : فَقْدٌ .



كَفَاكَ بِالشَّيْبِ عَيْباً عِنْدَ غَانِيَةٍ      وَبِالشَّبَابِ شَفِيعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ

٩٩١ - وَقَوْلُ مَنْصُورِ النَّمِرِيِّ فِي قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا هَارُونَ الرَّشِيدَ [من البسيط]:

مَا تَنْقُضِي حَسْرَةً مِنِّي وَلَا جَزَعُ      إِذَا ذَكَرْتُ شَبَاباً لَيْسَ يُزْتَجَعُ

مَا وَاجَهَ الشَّيْبَ مِنْ عَيْنٍ وَإِنْ وَمِثْتُ      إِلَّا لَهَا نَبْوَءٌ عَنْهُ وَمُزْتَدَعُ<sup>(١)</sup>

مَا كُنْتُ أَوْفِي شَبَابِي كُنْهَ غَرَّتِهِ      حَتَّى أَنْقَضِي فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعُ<sup>(٢)</sup>

إِنْ كُنْتُ لَمْ تَطْعَمِي ثُكُلَ الشَّبَابِ وَلَمْ      تَشْجِي بِعُصَّتِهِ فَالْعُذْرُ لَا يَقَعُ

أَبْكِي شَبَاباً سُلَيْنَاهُ وَكَانَ وَلَا      تُوفِي بِقِيَمَتِهِ الدُّنْيَا وَمَا تَسْعُ

قِيلَ : إِنَّ الرَّشِيدَ لَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُ : فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعُ ؛ قَالَ : نَعَمْ ، مَا خَيْرُ

دُنْيَا لَا يُخْطَرُ فِيهَا بِبُرْدِ الشَّبَابِ !

\* \* \*

(١) وَمِثْتُ : أَحْنْتُ ؛ وَالْمِثَّةُ : الْمَحَبَّةُ ؛ وَمُزْتَدَعُ : أُرْتَدَاعُ وَكَفْتُ .

(٢) كُنْهَ الشَّيْءِ : قُدْرُهُ وَوَجْهُهُ وَنَهَائَتُهُ وَغَايَتُهُ ، تَقُولُ : فَعِلْ فَلَانٍ فَوْقَ كُنْهِ اسْتِخْقَاقِهِ ، أَيْ : فَوْقَ قُدْرِهِ ، وَقَالَ الشَّاعِرُ [من الطويل]:

وَإِنْ كَلَامَ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ      لَكَائْتَبِلُ تَهْوِي لَيْسَ فِيهَا نِصَالُهَا

فِي غَيْرِ كُنْهِهِ : رُبِّي فِي غَيْرِ وَقْتِهِ وَمَوْضِعِهِ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « لَا تَسْأَلِ الْمَرْأَةَ طَلَاقَهَا فِي غَيْرِ

كُنْهِهِ » أَيْ : فِي غَيْرِ أَنْ تَبْلُغَ مِنَ الْأَذَى إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي تُعَذِّرُ فِي سُؤَالِ الطَّلَاقِ مَعَهَا ، قَالَ

الرَّيْدِيُّ : وَمِمَّا يُسْتَدْرَكُ : كُنْهَ الشَّيْءِ : حَقِيقَتُهُ ، أَيْ كَمَا يَقُولُ الْمُنْطِقِيُّونَ ، عُلَمَاءُ

الْمُنْطِقِ . قَالَ : نَقَلَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ ، وَنَسَبَهُ أَبْنُ دُرَيْدٍ إِلَى الْعَلَامَةِ ، وَأَقْرَبَهُ الْجَمَاهِيرُ ،

وَأَسْتَعْمَلُوهُ فِيهَا - أَيْ : فِي الْحَقِيقَةِ - حَتَّى صَارَ أَشْهَرَ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي - أَيْ : الَّتِي

أَسْلَفْنَا .

وَالْغَرَّةُ بِكَسْرِ الْغَيْنِ : الْغَفْلَةُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : كَانَ ذَلِكَ فِي غَرَارَتِي وَحَدَائِثِي ، أَيْ : فِي

غَرَّتِي وَأَيَّامِ غَفْلَتِي ؛ وَمِنْهُ الْحَارِثَةُ الْغَرَّةُ ، أَيْ : الشَّابَّةُ الَّتِي لَمْ تُجَرِّبِ الْأُمُورَ ، وَلَا تَعْلَمُ

مَا يَعْلَمُ النِّسَاءُ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبِّ - الْمَكْرِ - وَمِنْهُ يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا شَاخَ : أَدْبَرَ غَرِيرُهُ وَأَقْبَلَ

هَرِيرُهُ ، أَيْ : ذَهَبَتْ غَفْلَتُهُ وَطَبِيبَتُهُ ، وَجَاءَ سُوءُ خَلْقِهِ .

٩٩٢ - وَقَالَ الْغَزَّيُّ [من الكامل] :

لَا تَطْمَعَنَّ بِوَضَلٍ خَوْدٍ أَبْصَرْتَ      سَيْفَ الْمَشِيبِ عَلَى الشَّبَابِ مُجَرَّدَا  
عُذْرُ الْكَوَاعِبِ أَنَّهُنَّ كَوَاكِبٌ      لَا يَجْتَمِعْنَ مَعَ الصَّبَاحِ إِذَا بَدَا

\* \* \*

٩٩٣ - وَقَالَ [من الوافر] :

إِذَا أَشْتَعَلَتْ قُرُونُ الرَّأْسِ شَيْئًا      خَبَتْ نَارُ الْخَوَاطِرِ وَالطَّبَاعِ  
فَلَا تَقُلْ أَلْبِيَاضُ لَهُ شُعَاعٌ      بِيَاضُ الْعَيْنِ يَذْهَبُ بِالشُّعَاعِ

\* \* \*

٩٩٤ - وَقَالَ أَبُو الْغُضَنِ الْأَسَدِيُّ [من الوافر] :

أَتَأْمُلُ رَجْعَةَ الدُّنْيَا سَفَاهَا      وَقَدْ صَارَ الشَّبَابُ إِلَى ذَهَابِ  
فَلَيْتَ أَلْبَاكِيَاتٍ بِكُلِّ أَرْضٍ      جُمِعْنَ لَنَا فَتُخَنَ عَلَى الشَّبَابِ

\* \* \*

٩٩٥ - وَقَالَ صُرْدَرٌ [من الكامل] :

لَمْ أَبْكِ أَنْ رَحَلَ الشَّبَابُ وَإِنَّمَا      أَبْكِي لِأَنْ يَتَقَارَبَ الْمِيعَادُ  
شَعْرُ الْفَتَى أَوْرَاقُهُ فَإِذْ ذُوِي      جَفَّتْ عَلَى آثَارِهِ الْأَغْوَادُ

\* \* \*

٩٩٦ - وَلِلَّهِ عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ الرُّومِيُّ إِذْ يَقُولُ [من الكامل] :

لَا تَلَحْ مَنْ يَبْكِي شَيْئَهُ      إِلَّا إِذَا لَمْ يَبْكْهَا بِدَمٍ<sup>(١)</sup>

عَيْبُ الشَّيْبَةِ غَوْلٌ سَكَرَتِهَا      مِقْدَارَ مَا فِيهَا مِنَ النَّعْمِ<sup>(١)</sup>  
لَسْنَا نَرَاهَا حَقَّ رُؤْيَيْهَا      إِلَّا زَمَانَ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ  
كَالشَّمْسِ لَا تَبْدُو فَضِيلَتُهَا      حَتَّى تُغْشَى الْأَرْضُ بِالظُّلَمِ  
وَلَرُبَّ شَيْءٍ لَا يَبِينُهُ      وَجَدَانُهُ إِلَّا مَعَ الْعَدَمِ

\* \* \*

٩٩٧ - وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ [من الطويل] :

غَدَا الشَّيْبُ مُخْطَطًا بِفَوْدِي خُطَّةً      سَبِيلُ الرَّدَى مِنْهَا إِلَى النَّفْسِ مَهْيَعٌ<sup>(٢)</sup>  
هُوَ الزَّوْرُ يُجْفَى وَالْمُعَاشِرُ يُجْتَوَى      وَذُو الْأَلْفِ يُقْلَى وَالْجَدِيدُ يَرْقَعُ<sup>(٣)</sup>  
لَهُ مَنَظَرٌ فِي الْعَيْنِ أَيْضُ نَاصِعٌ      وَلَكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ  
وَنَحْنُ نُرْجِيهِ عَلَى الْكُزْهِ وَالرِّضَا      وَأَنْفُ الْقَتَى مِنْ وَجْهِهِ وَهُوَ أَجْدَعُ<sup>(٤)</sup>

\* \* \*

(١) «مِقْدَارٌ» مَقْعُولٌ «غَوْلٌ» ، وَغَوْلٌ يَمَعْنَى : أَغْتِيَالٌ ؛ يَقُولُ : إِنَّ عَيْبَ الشَّيْبِ أَنَّ سَكَرَتَهُ تَنْتَالُ وَتَذْهَبُ بِمِقْدَارِ مَا فِيهِ مِنْ نَعْمٍ ، وَهُمْ يُشَبِّهُونَ الْإِنْسَانَ فِي شَيْبَتِهِ بِالسَّكْرَانِ لَهُوَ وَغَفْلَةٌ ؛ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْمُتَنَبِّيُّ [من الوافر] :

إِذَا كَانَ الشَّيْبَابُ الشُّكْرَ وَالشَّيْبُ      هُمَا فَالْحَيَاةُ هِيَ الْحِمَامُ  
وَغَوْلٌ سَكَرَتِهَا ، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي وَضْفِ خَمْرِ الْجَنَّةِ ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ﴾ [ ٣٧ سورة الصافات/ الآية : ٤٧ ] .

(٢) «الشَّيْبُ» يُرْوَى : أَلْهَمٌ ؛ وَ«الْفُودَانِ» : جَانِبَا الرَّأْسِ ؛ وَ«مَهْيَعٌ» : بَيْنٌ وَاضِحٌ .

(٣) «الزَّوْرُ» : الزَّرَائِرُ ؛ وَ«يُجْتَوَى» : يُكْرَهُ ؛ وَ«يُقْلَى» : يُبْغَضُ ؛ وَقَوْلُهُ : «وَالْجَدِيدُ يَرْقَعُ» يَعْنِي : الْخِضَابُ ؛ يَقُولُ : إِنَّ الشَّيْبَ هُوَ الزَّرَائِرُ الْمَجْفُوءُ ، وَالْعَشِيرُ الْمَكْرُوءُ ، وَالْأَلَيْفُ الْبَيْضُ ، وَالْجَدِيدُ الَّذِي يَخْتِاجُ إِلَى التَّرْقِيعِ ؛ وَمَا تَرْقِيعُهُ إِلَّا خِضَابُهُ ، لِأَنَّهُ يُخْضَبُ مَرَّةً فَيَنْصِلُ ، وَهَلُمَّ .

(٤) «نُرْجِيهِ» مِنَ الرِّجَاءِ ، وَيُرْوَى : نُرْجِيهِ ، بِالزَّيِّ ، وَالتَّرْجِيَةُ : الْمُدَافَعَةُ وَالسَّوْقُ بِرَفْعٍ ؛ يَقُولُ : نَضَحَبُ الشَّيْبَ وَنُدَافِعُهُ وَنَسُوقُهُ كَارِهِينَ وَرَاضِينَ ، وَقَوْلُهُ : «وَأَنْفُ الْقَتَى ... الخ» يُبَيِّرُ إِلَى الْمَثَلِ : «أَنْفُكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَجْدَعُ» - أَيْ ؛ مَقْطُوعٌ - يَقُولُ : لَا سَبِيلَ إِلَى الْخَلَاصِ مِمَّا لَزِمَ .

٩٩٨ - وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ أَيْضاً [من الخفيف] :

شُعْلَةٌ فِي الْمَفَارِقِ اسْتَوْدَعْتَنِي      وَفِي صَمِيمِ الْفُؤَادِ نُكْلًا صَمِيمًا  
غُرَّةٌ بَهْمَةٌ أَلَا إِنَّمَا كُنْتُ      شُتَّ أَغَرَّ أَيَّامٍ كُنْتُ بِهِيمًا<sup>(١)</sup>  
دَقَّةٌ فِي الْحَيَاةِ تُدْعَى جَلَالًا      مِثْلُ مَا سُمِّيَ اللَّدِيغُ سَلِيمًا  
حَلَمْتَنِي زَعَمْتُمْوْ وَأَرَانِي      قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا

٩٩٩ - وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْمُتَنَبِّئِيِّ [من البسيط] :

لَيْتَ الْحَوَادِثَ بَاعَتَنِي الَّذِي أَخَذَتْ      مِنِّي بِحِلْمِي الَّذِي أَعْطَتْ وَتَجَرَّبِي  
فَمَا الْحَدَاثَةُ فِي حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ      قَدْ يُوْجَدُ الْحِلْمُ فِي الشُّبَّانِ وَالشُّيْبِ  
١٠٠٠ - وَذَلِكَ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ مَدَحَ الشُّيْبَ بِأَنَّهُ يُكْسِبُ صَاحِبَهُ الْعَقْلَ وَالْحُنْكَ  
وَالْوَقَارَ ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ أَبُو تَمَامٍ وَالْمُتَنَبِّئِيُّ بِأَنَّ الشُّبَّابَ لَا يُنَافِي الْعَقْلَ ، وَأَنَّ  
الشُّبَّابَ قَدْ يَكُونُ عَاقِلًا أَرِيبًا .

\* \* \*

١٠٠١ - هَذَا ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الشُّعْرَاءَ يَبْهِيْمُونَ فِي كُلِّ وَادٍ ، وَأَنَّهُمْ  
يَنْقُضُونَ الْيَوْمَ مَا أَبْرَمُوهُ بِالْأَمْسِ وَعَلَى الْعَكْسِ ، فَإِذَا كَانَ أَبُو تَمَامٍ قَدْ رَدَّ عَلَى  
مَنْ مَدَحَ الشُّيْبَ بِأَنَّهُ يُوْرِثُ الْحِلْمَ وَالْوَقَارَ ، فَإِنَّهُ وَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ فِي بَعْضِ  
شِعْرِهِ ، فَقَالَ [من البسيط] :

وَلَا يَرُوعَنَّكَ إِيْمَاضُ الْقَتِيرِ بِهِ      فَإِنَّ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ<sup>(٢)</sup>

(١) « الْغُرَّةُ » فِي الْأَصْلِ : الْبَيَاضُ فِي جَنْبَةِ الْفَرَسِ فَوْقَ قَدْرِ الدَّرْهِمِ ، وَمِنْهُ : فَرَسٌ أَغَرٌّ ؛  
وَالْبَهْمَةُ « كَالظُّلْمَةِ وَزَنًا وَمَعْنَى ، وَ« غُرَّةٌ بَهْمَةٌ » عَلَى مَعْنَى التَّضَادِّ ، أَيُّ : إِنَّ أَسْمَهَا غُرَّةٌ  
لِأَنَّهَا بَيَاضٌ وَهِيَ فِي الْوَاقِعِ وَعَلَى الْحَقِيقَةِ ظُلْمَةٌ فِي قُبْحِهَا ، كَمَا قَالَ أَنِفَا ، وَلَكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ  
أَسْوَدٌ أَسْفَعُ ، ثُمَّ قَالَ : وَهُوَ إِنَّمَا كَانَ أَغَرَّ فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ شِعْرُهُ أَسْوَدَ بِهِيمًا .

(٢) « الْقَتِيرُ » : الْمَشِيبُ ، وَفِي الْحَدِيثِ : أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ ﷺ عَنْ امْرَأَةٍ أَرَادَ نِكَاحَهَا =

١٠٠٢ - ويقول دُعِبِلْ [من الكامل] :

أَهْلًا وَسَهْلًا بِالْمَشِيبِ فَإِنَّهُ      سِمَةُ الْعَفِيفِ وَحِلْيَةُ الْمُتَحَرِّجِ  
ضَيْفٌ أَلَمَ بِمَفْرِقِي فَقَرَيْتُهُ      رَفَضَ الْغَوَايَةَ وَأَفْتَصَادَ الْمُنْهَجِ  
وَكَأَنَّ شَيْبِي نَظْمُ دُرٍّ زَاهِرٍ      فِي تَاجِ ذِي مُلْكٍ أَغَرَّ مُتَوَجِّجِ  
وَلَهُمْ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرٌ .

\* \* \*

١٠٠٣ - وَنَعُودُ إِلَى عِبْقَرِيَّاتِهِمْ فِي الْبُكَاءِ عَلَى السَّبَابِ وَذَمِّ الْمَشِيبِ ؛ فَمِنْ أَرْوَعِ مَا قِيلَ فِي وَضْفِ الشَّيْبِ مِنْ أَوَّلِ مَا يَبْتَدِي إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ قَوْلُ أَغْرَابِي [من الكامل] :

ذَهَبَ الشَّبَابُ فَلَا شَبَابَ جُمَانَا      وَكَأَنَّ مَا قَدْ كَانَ لَمْ يَكُ كَانَا<sup>(١)</sup>  
وَطَوَيْتُ كَفِّي يَا جُمَانَ عَلَى الْعَصَا      وَكَفَى جُمَانَ بِطَيْهَا حَدَثَانَا<sup>(٢)</sup>  
يَا مَنْ لَشَيْخٍ قَدْ تَخَدَّدَ لَحْمُهُ      أَفْنَى ثَلَاثَ عَمَائِمِ الْوَانَا<sup>(٣)</sup>  
سُودَاءَ حَالِكَةِ وَسَخَقَ مُفَوِّفٍ      وَأَجَدَّ لَوْنًا بَعْدَ ذَلِكَ هِجَانَا<sup>(٤)</sup>

= - زَوَّاجَهَا - ، قَالَ : « وَيَقْدِرُ أَيُّ النِّسَاءِ هِيَ ؟ » قَالَ : قَدْ رَأَتْ الْقَتِيرَ ؛ قَالَ : « دَعَهَا » .  
[مسند الإمام أحمد] ، رقم : ٢٦٥٢٤ ؛ « مجمع الزوائد » ، رقم : ٧٣٤٩ . وَأَضْلُ  
الْقَتِيرِ رُؤُوسُ الْمَسَامِيرِ فِي الدَّرْعِ تَلُوحُ فِيهَا ، شُبَّةٌ بِهَا الشَّيْبُ إِذَا نَقَبَ فِي سَوَادِ الشَّعْرِ .

(١) « جُمَانَا » يُرِيدُ : يَا جُمَانَةَ ؛ فَرَحَّمَ .  
(٢) « حَدَثَانُ الدَّهْرِ » : نُوبُهُ وَمَصَائِبُهُ ؛ يَقُولُ : كَفَى بِطَيِّ كَفِّي عَلَى الْعَصَا مُصِيبَةً وَمَرْزُوتَةً  
يَا جُمَانَةَ .

(٣) « تَخَدَّدَ لَحْمُهُ » : اضْطَرَبَ لَحْمُهُ مِنَ الْهَزَالِ وَتَقَبَّضَ جِلْدُهُ ؛ وَ« الْوَانَا » صِفَةٌ لـ « ثَلَاثَ »  
عَلَى الْمَعْنَى ، كَأَنَّهُ قَالَ : مُخْتَلِفَاتٌ ، وَقَدْ بَيَّنَّ الْعَمَائِمُ الثَّلَاثُ فِي الْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ .

(٤) يَقُولُ : إِنَّ الْعَمَائِمَ الثَّلَاثَ الَّتِي أَفْنَاهَا هِيَ : شَعْرَةُ الْأَسْوَدِ الصَّرْفُ إِذَا كَانَ شَابًا ، وَهُوَ قَوْلُهُ : =

صَحِبَ الزَّمَانَ عَلَى اخْتِلَافٍ فُنُونِهِ      فَأَرَاهُ مِنْهُ كَرَاهَةً وَهَوَانَا  
قَصَرَ اللَّيَالِي حَطْوَهُ فَتَدَانِي      وَحَنُونٌ قَائِمٌ صُلْبِهِ فَتَحَانِي <sup>(١)</sup>  
وَالْمَوْتُ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ      وَكَأَنَّمَا يُعْنَى بِذَاكَ سِوَانَا <sup>(٢)</sup>

\* \* \*

١٠٠٤ - وَمِنْ بَدِيعِ التَّشْبِيهِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ [من الكامل] :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي السَّوَادِ كَأَنَّهُ      لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارٌ  
وَقَبْلُهُ [من الكامل] :

قَالَتْ : وَكَيْفَ يَمِيلُ مِثْلَكَ لِلصَّبَا      وَعَلَيْكَ مِنْ سِمَةِ الْحَلِيمِ وَقَارٌ  
أَسْتَعَارَ اللَّيْلَ لِلشَّبَابِ ، وَالنَّهَارَ لِلْمَشِيبِ ، وَأَسْنَدَ الصِّيَاحَ إِلَى النَّهَارِ ،  
كَمَا أَنَّهُ تَحَيَّلَ أَنَّ النَّهَارَ مُقْبِلٌ إِقْبَالَ الْهَازِمِ ، وَأَنَّ اللَّيْلَ مُذْبِرٌ إِذْبَارَ الْمَهْزُومِ ،  
وَمِنْ الْعَادَةِ أَنْ يَصِيحَ الْهَازِمُ عَلَى الْمَهْزُومِ .

\* \* \*

= « سَوْدَاءُ حَالِكَةٌ » . ثُمَّ شَعَرُهُ الْأَسْوَدُ بَعْدَ أَنْ خَالَطَهُ الشَّيْبُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : « وَسَخَقَ مُفَوِّفٌ »  
وَالْتَفَوِّفُ : التَّنْقِيسُ ، مَأْخُذٌ مِنَ الْفَوْفِ ، وَهُوَ : الْكُتَّةُ الْبَيْضَاءُ الَّتِي تَحْدُثُ فِي أَظْفَارِ  
الْأَخْدَاطِ . وَالسَّخَقُ : الْخَلْقُ الْبَالِي . أَمَّا الْعِمَامَةُ الثَّلَاثَةُ ، فَذَلِكَ حِينَ يَغْمُ رَأْسُهُ الشَّيْبُ ،  
وَهُوَ قَوْلُهُ : « وَأَجَدُّ لُونًا بَعْدَ ذَلِكَ هِجَانًا » ، وَأَجَدُّ ، أَيُّ اسْتَجَدَّ ، وَالْهِجَانُ : الْبَيْضُ .  
(١) قَوْلُهُ : « اللَّيَالِي » فَاعِلٌ « قَصَرَ » ، وَ« حَطْوَهُ » مَفْعُولٌ ، وَقَوْلُهُ : « وَحَنُونٌ قَائِمٌ صُلْبِهِ  
فَتَحَانِي » ، يَقُولُ فِي مِثْلِهِ أَبُو الطَّمَحَانِ الْفَنِينِي ، وَأَجَادَ كُلَّ الْإِجَادَةِ [من الوافر] :

حَتَنِي حَايَاتِ الدَّهْرِ حَتَّى      كَأَنِّي خَاتِلٌ أَذْنُو لَصِينِدِ  
قَرِيبُ الْخَطْوِ يَخْسِبُ مَنْ رَأْنِي      - وَلَسْتُ مُقَيَّدًا - أَنِّي يَقِيدِ  
(٢) قَوْلُهُ : « وَكَأَنَّمَا يُعْنَى بِذَاكَ سِوَانَا » مِنْ أُنْبَغِ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَوْعِظَةِ ، يَقُولُ : كَأَنَّمَا الْمَقْصُودُ  
بِذَلِكَ غَيْرَنَا لَا نَحْنُ ، وَإِلَّا لَا غَيْرَنَا وَأَنْعَطْنَا .

١٠٠٥ - وَقَوْلُ بَعْضِهِمْ [من الكامل] :

كَالصُّبْحِ أَخَذَتْ لِلظَّلَامِ أَفْولَا

\* \* \*

١٠٠٦ - وَقَوْلُ الْآخِرِ [من الكامل] :

لَيْلٌ تَلْفَعُ مُذْبِرًا بِنَهَارٍ

\* \* \*

١٠٠٧ - وَقَوْلُ الْبُخْتَرِيِّ [من الطويل] :

مُشِيبٌ كُنْتُ السَّرَّ أَعْيَى بِحِمْلِهِ      مُحَدَّثُهُ أَوْ ضَاقَ صَدْرُ مُذِيعِهِ  
تَلَا حَقَّ حَتَّى كَادَ يَأْتِي بِطَيْئُهُ      لِحَثِّ اللَّيَالِي قَبْلَ آتِي سَرِيعِهِ

\* \* \*

١٠٠٨ - وَمِنْ بَدِيعِ التَّنْصِيهِ أَيْضاً قَوْلُ شَاعِرٍ يُسَمَّى دَاوُدَ بْنِ جَهْوَةَ [من

الطويل] :

وَأَنْكَزْتُ شَمْسَ الشَّيْبِ فِي رَأْسِ لِمَّتِي      لَعَمْرِي لِلْيَلِي كَانَ أَحْسَنَ مِنْ شَمْسِي  
كَأَنَّ الصَّبَا وَالشَّيْبُ يَطْمِسُ نُورَهُ      عَرُوسُ أَنْاسٍ مَاتَ فِي لَيْلَةِ الْغُرْسِ  
١٠٠٩ - وَقَدْ أَخَذَ ابْنُ الرُّومِيِّ مَعْنَى الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، فَقَالَ

[من الطويل] :

أَرَى الدَّهْرَ أَجْرَى لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ      يَعْدِلُ فَلَا هَذَا وَلَا ذَاكَ سَرْمَدُ  
وَجَارَ عَلَى لَيْلِ الشَّبَابِ فِضَامَهُ      نَهَارُ مُشِيبِ سَرْمَدٍ لَيْسَ يَنْقَدُ

وَيَقُولُ ابْنُ الرُّومِيِّ [من الطويل] :

أَبَيَّنَ ضُلُوعِي جَمْرَةَ تَتَوَقَّدُ  
خَلِيلِي مَا بَعْدَ الشَّبَابِ رَزِيَّةُ  
فَلَا تَلْعَبَا إِنْ فَاضَ دَمْعُ لِفْقْدِهِ  
وَلَا تَعْجَبَا لِلْجِلْدِ بِيَكِي ، فَرُبَّمَا  
شَبَابُ الْفَتَى مَجْلُودُهُ وَعَزَاؤُهُ  
وَفَقْدُ الشَّبَابِ الْمَوْتُ يُوجَدُ طَعْمُهُ  
رُزْنْتُ شَبَابِي عَوْدَةً بَعْدَ بَدَاةِ  
سُلَيْتُ سَوَادَ الْعَارِضِينَ وَقَبْلَهُ  
وَبَدَلْتُ مِنْ ذَاكَ الْبَيَاضِ وَحُسْنِهِ  
لَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْبَيَاضِينَ : مُعْجَبُ  
تَضَاخَكَ فِي أَفْئَانِ رَأْسِي وَلِخَيَّتِي  
وَكُنْتُ جَلَاءَ لِلْعُيُونِ مِنَ الْقَذَى  
هِيَ الْأَعْيُنُ التُّجُلُ الَّتِي كُنْتُ تَشْتَكِي  
فَمَا لَكَ تَأْسَى الْآنَ لَمَّا رَأَيْتَهَا  
تَشْكِي إِذَا مَا أَقْصَدْتِكَ سِهَامُهَا  
كَذَلِكَ تِلْكَ الْتُبْلُ مَنْ وَقَعَتْ بِهِ  
إِذَا عَدَلْتُ عَنَّا وَجَدْنَا عُذُولَهَا  
تُنْكَبُ عَنَّا مَرَّةً ، فَكَأَنَّمَا  
كَفَى حُزْنًا أَنْ الشَّبَابُ مُعْجَلُ  
إِذَا حَلَّ جَارِي الْمَرْءِ شَأَوْ حَيَاتِهِ  
أَرَى الدَّهْرَ أَجْرَى لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ

عَلَى مَا مَضَى أَمْ حَسْرَةٌ تَتَجَدَّدُ  
يَجْمُ لَهَا مَاءُ الشُّؤُونِ وَيَعْتَدُ  
فَقُلْ لَهُ بِخَرٍّ مِنَ الدَّمْعِ يَتُمَدُّ  
تَفْطَرُ عَنْ عَيْنٍ مِنَ الْمَاءِ جَلَمَدُ  
فَكَيْفَ ؟ وَأَنْتَى ؟ بَعْدَهُ يَتَجَلَّدُ  
صُرَاحًا ، وَطَعْمُ الْمَوْتِ بِالْمَوْتِ يُفْقَدُ  
وَهَنْ الرَّرَايَا بِأَدْيَاكُ وَعُودُ  
بَيَاضُهَا الْمَحْمُودُ إِذَا أَنَا أَمْرُدُ  
بَيَاضًا دَمِيمًا لَا يَزَالُ يَسْوَدُ  
أَنْتَقُ وَمَشْنُوهُ إِلَى الْعَيْنِ أَنْكَدُ  
وَأَقْبَحُ ضَحَّاكَيْنِ شَيْبُ وَأَذْرُدُ  
فَقَدْ جُعِلْتُ تَقْذَى بِشَيْبِي وَتَرْمَدُ  
مَوَاقِعَهَا فِي الْقَلْبِ ، وَالرَّأْسُ أَسْوَدُ  
وَقَدْ جُعِلْتُ مَرْمَى سِوَاكَ تَعْمَدُ  
وَتَأْسَى إِذَا نَكَبْنَ عَنْكَ وَتُكْمَدُ  
وَمَنْ صُرِفَتْ عَنْهُ مِنَ الْقَوْمِ مُقْصَدُ  
كَمَوْقِعِهَا فِي الْقَلْبِ ، بَلْ هُوَ أَجْهَدُ  
مُنْكَبُهَا عَنَّا إِلَيْنَا مُسَدَّدُ  
قَصِيرُ الْيَالِي وَالْمَشِيبُ مُخْلَدُ  
إِلَى أَنْ يَضُمَّ الْمَرْءَ وَالشَّيْبُ مَلْحَدُ  
يَعْدِلُ فَلَا هَذَا وَلَا ذَاكَ سَرْمَدُ



وَجَارَ عَلَى لَيْلِ الشَّبَابِ مَعَاشِرُ  
وَكَانَ نَهَارُ الْمَرْءِ أَهْدَى لِسَعِيهِ  
أَيَّامَ لَهْوِي هَلْ مَوَاضِيكَ عَوْدُ ؟  
أَقُولُ وَقَدْ شَابَتْ شَوَاتِي وَقُوسْتُ  
وَدَبَّ كَلَالٌ فِي عِظَامِي أَدْبَنِي  
وَبُورِكَ طَرْفِي فَالْشُّخُوصُ حِيَالُهُ  
وَلَذْتُ أَحَادِيثِي الرِّجَالِ ، وَأَعْرَضْتُ  
لِمَا تُؤْذِنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ صُدُوفِهَا  
وَالْأَفْأَمَ يُبْكِيهِ مِنْهَا وَأَنْتَ  
إِذَا أَبْصَرَ الدُّنْيَا اسْتَهْلَ كَأَنَّهُ  
وَلِلنَّفْسِ أَحْوَالٌ تَظَلُّ كَأَنَّهَا

فَقَالُوا نَهَارُ الشَّيْبِ أَهْدَى وَأَرْشَدُ  
وَلَكِنْ ظِلُّ اللَّيْلِ أُنْدَى وَأَبْرَدُ  
وَهَلْ لِسَبَابٍ ضَلَّ بِالْأَمْسِ مُنْشِدُ ؟  
قَنَاتِي ، وَأَضَحْتُ كِذْبَتِي تَتَخَدُّ (١)  
جَنِيبُ الْعَصَا أَنَادُ أَوْ أَتَأَيَّدُ  
قَرَأْتُ - مِنْ أَذْنِي مَدَى - وَهِيَ فَرْدُ  
سُلَيْمَى وَرِيًّا عَنْ حَدِيثِي وَمَهْدُ  
يَكُونُ بُكَاءُ الطِّفْلِ سَاعَةً يُوَلَّدُ  
لَا فَسَحَ مِمَّا كَانَ فِيهِ وَأَزْغَدُ  
بِمَا سَوْفَ يَلْقَى مِنْ أَذَاهَا يُهْدَدُ (٢)  
تُشَاهِدُ فِيهَا كُلَّ غَيْبٍ سَيَشْهَدُ

\* \* \*

لَعِبْتُ بِأَوَّلِي الدَّهْرِ فَأَغْتَالَ شِرْتِي  
فَصَبْرًا عَلَى مَا أَشْتَدَّ مِنْهُ ، فَإِنَّمَا  
يُذِيقُ الْفَتَى طُورِي رَخَاءً وَشِدَّةً  
وَمَالِي عَزَاءً عَنْ شَبَابِي عِلْمَتُهُ  
وَإِنْ مَشِيبِي « وَاعِدٌ » بِلِحَاقِهِ

بِأُخْرَى حَقُودِ ، وَالْجَرَائِمُ تُحَقِّدُ  
يَقُومُ لِمَا يَشْتَدُّ مَنْ يَتَشَدَّدُ  
حَوَادِثُهُ ، وَالْحَوْلُ بِالْحَوْلِ يُطْرَدُ  
سِوَى أَنِّي مِنْ بَعْدِهِ لَا أُخْلَدُ  
وَإِنْ قَالَ قَوْمٌ إِنَّهُ « يَتَوَعَّدُ »

وَهَذِهِ آيَاتُ ابْنِ الرُّومِي مِنْ قَصِيدَةٍ بَارِعَةٍ كَثِيرَةِ النَّوَادِرِ قَلِيلَةِ الْحَشْوِ عَلَى  
طُولِهَا ، إِذْ يَبْلُغُ عَدَدُ آيَاتِهَا أَرْبَعَ مِثَّةٍ بَيْتٍ يَمْدُحُ صَاعِدَ بْنَ مَخْلَدٍ ، وَيَذْكُرُ

(١) الْكُذْبَةُ بِضَمِّ الْكَافِ وَكُسْرُهَا : غُلَطُ الْجِسْمِ وَسَمْنُهُ .

(٢) اسْتَهْلَ : رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْبُكَاءِ صَارِخًا .

الْمُوقِّقَ وَصَاحِبَ الزَّنَجِ ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي الْمَدِيحِ [من الطويل] :  
تَرَاهُ عَنِ الْحَرْبِ أَلْعَوَانِ بِمَعَزِلٍ      وَآرَاؤُهُ فِيهَا وَإِنْ غَابَ شُهَدُ  
كَمَا اخْتَجَبَ الْمِقْدَارُ وَالْحُكْمُ حُكْمُهُ      عَلَى النَّاسِ طُرًّا لَيْسَ عَنْهُ مُعَرَّدُ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

١٠١٠ - وَلَنُعْطِفَ عَلَى قَوْلِهِمْ فِي التَّفَجِّعِ عَلَى أَيَّامِ الشَّبَابِ وَدَمَ الشَّيْبِ ،  
فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْمَعَرِّي [من البسيط] :

إِذَا أَلْفَتْنِي ذَمٌّ عَيْشًا فِي شَبِيبَتِهِ      فَمَا يَقُولُ إِذَا عَصُرَ الشَّبَابَ مَضًى<sup>(٢)</sup>  
وَقَدْ تَعَرَّضْتُ مِنْ كُلِّ بِمُشَبِّهِهِ      فَمَا وَجَدْتُ لِأَيَّامِ الصَّبَا عَوْضًا<sup>(٣)</sup>  
وَفِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ يَقُولُ فِي غَيْرِ هَذَا الْبَابِ [من البسيط] :

وَقَدْ غَرَضْتُ مِنَ الدُّنْيَا فَهَلْ زَمَنِي      مُعْطِ حَيَاتِي لِغُرٍّ بَعْدُ مَا غَرَضًا<sup>(٤)</sup>  
جَرَبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكْتُ      لِي التَّجَارِبُ فِي وَدِّ أُمْرِيءِ غَرَضًا

\* \* \*

١٠١١ - وَطَرِيفٌ كُلُّ الطَّرَافَةِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ [من مخلع البسيط] :

مَنْ شَابَ قَدْ مَاتَ وَهُوَ حَيٌّ      يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَشْيَ هَالِكٍ

- (١) الْمِقْدَارُ : الْقَدْرُ ، وَ « لَيْسَ عَنْهُ مُعَرَّدٌ » : لَيْسَ عَنْهُ فَرَارٌ وَمَهْرَبٌ ، فَالْتَعَرِيدُ : الْفَرَارُ .  
(٢) أَنِّي : إِذَا لَمْ يَحْمَدِ الْإِنْسَانُ عَيْشَهُ فِي زَمَنِ الشَّبَابِ ، فَكَيْفَ يَحْمَدُهُ إِذَا وَلَّى الشَّبَابَ وَحَلَّ بِهِ  
الْمَشِيبُ ، وَهُوَ تَخَاذُلُ الْقُوَى وَتَحَوُّلُ الْأَحْوَالِ !  
(٣) يَقُولُ : أَسْتَبَدَلْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَقَدْتُهُ بَدَلًا يُغْنِي عَنْهُ ، وَإِذَا فَقَدْتُ أَيَّامَ الصَّبَا لَمْ أَجِدْ بَدَلًا ،  
أَنِّي : لَا يَقُولُ مَقَامَ الشَّبَابِ حَالًا مِنَ الْأَحْوَالِ .  
(٤) الْغَرَضُ : الضَّجَرُ وَالْمَلَالُ ، وَغَرَضَ مِنْ كَذَا ، وَغَرَضَ بِالْمَقَامِ : ضَجَرَ وَقَلِقَ ؛ وَالْغُرُّ :  
الَّذِي لَمْ يُجَرِّبِ الْأُمُورَ ، يَقُولُ : تَمَرَّسْتُ بِالدُّنْيَا . . . حَتَّى ضَجِرْتُ مِنْهَا وَسَيِّئْتُ أَحْوَالَهَا ،  
فَهَلْ يَسْمَحُ زَمَنِي بِأَنْ يُعْطِيَ حَيَاتِي مَنْ لَمْ يُجَرِّبِ الدُّنْيَا وَلَمْ يَتَّيَرَمْ بِتَقْلُبِ أَحْوَالِهَا !

لَوْ كَانَ عُمْرُ الْفَتَى حِسَاباً لَكَانَ فِي شَيْهِ فَذَلِكَ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

١٠١٢ - وَلَا يَبِي تَمَام [من الخفيف] :

لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنَّ فِي الشَّيْبِ خَيْرًا جَاوَرَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْئاً  
يُسِيرُ أَبُو تَمَامٍ إِلَى مَا وَرَدَ فِي الْأَثَرِ مِنْ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا عَجُوزٌ ، وَأَنَّ  
الشَّيْبَ يَسْتَحِيلُونَ عِنْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَى شَبَابِ أَبْنَاءِ ثَلَاثَةِ وَثَلَاثِينَ . [راجع كتب  
التفسير في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْثَاءً ﴾ ﴿ جَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً ﴾ ﴿ عُرَا أَرْبَاباً ﴾ ٥٦ سورة الواقعة/ الآيات :  
٣٥ - ٣٧ ؛ و« الشمانل » للترمذي ، رقم : ٢٤١ ؛ و« الأنوار » للبغوي ، رقم : ٣٢٠ ] وَقَبْلَ هَذَا  
الْبَيْتِ [من الخفيف] :

لَعِبَ الشَّيْبُ بِالْمَفَارِقِ بَلْ جَدَّ فَأَبْكَى تَمَاضِيراً وَلَعُوباً<sup>(٢)</sup>  
خَضَبَتْ حَدَّهَا إِلَى لَوْلُو الْعِقْدِ دِمَاً أَنْ رَأَتْ شَوَاتِي خَضِيئاً<sup>(٣)</sup>  
كُلُّ دَاءٍ يُرْجَى الدَّوَاءُ لَهُ إِلَّا الْفُظْيَعَيْنِ مِيتَةً وَمَشِيئاً  
يَا نَسِيبَ الثَّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَى حَسَنَاتِي عِنْدَ الْحِسَانِ ذُنُوباً<sup>(٤)</sup>

(١) الْفَذَالِكُ : جَمْعُ فَذَلَكَةِ ، أَيِ : جُمْلَةُ الْحِسَابِ الَّتِي يُقَالُ عِنْدَهَا : فَذَلِكَ كَذَا ؛ قَالَ الْمُتَشَبِّهُ  
[من الكامل] :

نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدِّمًا وَأَتَى فَذَالِكَ إِذْ أَتَيْتَ مُؤَخَّرًا  
(٢) تَمَاضِيرٌ وَلَعُوبٌ أَسْمَاُ أَمْرَاتَيْنِ ، وَتَمَاضِيرٌ : أَسْمُ الْخَنَسَاءِ ، وَ« الْمَفَارِقُ » جَمْعُ مَفْرُقٍ كَمَقْعِدٍ  
وَمَجْلِسٍ ، وَهُوَ وَسَطُ الرَّأْسِ حَيْثُ يَفْرُقُ الشَّعْرُ ، يَقُولُ : لَمَّا بَدَأَ الشَّيْبُ فِي مَفْرِقِ رَأْسِي  
بَكَتِ النِّسَاءُ لَمَّا فَاتَهُنَّ مِنَ الصَّبَوَةِ إِلَيْهِ .

(٣) الشَّوَاءُ : جِلْدَةُ الرَّأْسِ ، وَخَضِيبٌ بِمَعْنَى مَخْضُوبٍ ، أَيِ : مَضْبُوعٌ ، وَقَوْلُهُ : « إِلَى لَوْلُو  
الْعِقْدِ » أَيِ : أَنْتَهَى الدَّمْعُ إِلَى صَدْرِهَا لِكَثْرَتِهِ ، وَقَوْلُهُ : « أَنْ رَأَتْ » أَيِ : لِأَنَّ رَأَتْ .

(٤) الثَّغَامُ : نَبْتُ أَبْيَضٌ ، شَبَّهَ بِهِ الشَّيْبَ فِي الْبَيَاضِ .

وَلَيْتَنِي عَيْنَ مَا رَأَيْتَنِي لَقَدْ أَنَا كَزَنَ مُسْتَكْرَأً وَعَيْنَ مَعِيَا  
أَوْ تَصَدَّعَنَ عَن قَلْبِي لَكَفَى بِاللَّشِّ نَيْبَ بَيْنِي وَبَيْنَهُنَّ حَسِيًّا<sup>(١)</sup>

\* \* \*

١٠١٣ - وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ [مِنَ الْكَامِلِ] :

رَاحَتْ غَوَانِي أَلْحِي عَنْكَ غَوَانِيَا يَلْبَسُنَ نَأْيَا تَارَةً وَصُدُودَا  
مِنْ كُلِّ سَابِغَةِ الشَّبَابِ إِذَا بَدَتْ تَرَكَتْ عَمِيدَ الْقَرِيَّتَيْنِ عَمِيدَا  
أَرْبَبْنَ بِالْمُرْدِ الْغَطَارِفِ بُدْنًا غِيدَا أَلْفَنُهُمْ لِدَانَا غِيدَا  
أَحْلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِعَا مَنْ كَانَ أَشْبَهُهُمْ بِهِنَّ خُدُودَا  
و« عَمِيدُ » الْأُولَى بِمَعْنَى رَئِيسٍ وَسَيِّدٍ ، وَالثَّانِيَةُ بِمَعْنَى الْمَعْمُودِ الْمَشْغُوفِ  
عِشْقًا أَوِ الَّذِي بَلَغَ بِهِ الْحُبَّ مَبْلَغًا ، وَلَا يُرِيدُ أَبُو تَمَّامٍ يَقُولُهُ : « عَمِيدَ الْقَرِيَّتَيْنِ »  
رَجُلًا بِعَيْنِهِ ، إِنَّمَا يُشِيرُ إِلَى الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ

(١) الْحَسِبُ : الْكَافِي ، يَقُولُ : إِذَا كَانَ تَعَرَّفُفَهُنَّ عَنِّي لِلْبُغْضِ ، فَإِنَّ الشَّيْبَ كَافٍ فِي أَنْ يَكُونَ  
سَبَبًا فِي ذَلِكَ ، قَالَ الشَّرِيفُ الْمُزْتَضِيُّ فِي « أَمَالِيهِ » : وَجَدْتُ الْأَمِيدِيَّ يَذْكُرُ أَنَّ قَوْمًا أَدْعُوا  
الْمُنَاقِضَةَ عَلَى أَبِي تَمَّامٍ فِي هَذِهِ الْأَنْبِيَاءِ يَقُولُهُ : « فَأَبْكِي تُمَاضِيرًا وَلَعُوبًا » وَقَوْلُهُ : « خَضَبَتْ  
خَدَّهَا ... » الْبَيْتَيْنِ ، وَقَوْلُهُ : « وَلَيْتَنِي عَيْنَ ... » الْبَيْتِ ، قَالُوا : كَيْفَ يَبْكِيئُهُ دَمًا عَلَى  
شَبَابِهِ ثُمَّ يُعَيْنُهُ ؟ قَالَ الْأَمِيدِيُّ : وَلَيْسَ هَاهُنَا مُنَاقِضٌ ، لِأَنَّ الشَّيْبَ إِنَّمَا أَبْكِي تُمَاضِيرًا وَلَعُوبًا  
أَسْفَا عَلَى شَبَابِهِ ، وَالْحِجْسَانُ اللَّوَاتِي عَيْنُهُ غَيْرُ هَاتَيْنِ الْمَرَاتِنِ ، فَيَكُونُ مَنْ أَشْفَقَ عَلَيْهِ مِنْ  
الشَّيْبِ مِنْهُنَّ وَأَسْفَ عَلَى شَبَابِهِ بَكَى ، كَمَا قَالَ الْأَخْطَلُ [مِنَ الْكَامِلِ] :

لَمَّا رَأَتْ بَدَلَ الشَّبَابِ بَكَتْ لَهُ إِنَّ الْمَشِيْبَ لَأَرْدَلُ الْـ رُذَالِ  
وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ حَالٌ مِنْ عَابِهِ . قَالَ الْمُزْتَضِيُّ : وَلَيْسَ يَخْتَاجُ فِي الْعُذْرِ لِأَبِي تَمَّامٍ إِلَى مَا تَكَلَّفَهُ  
الْأَمِيدِيُّ ، بَلِ الْمُنَاقِضَةُ زَائِلَةٌ عَنْهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَإِنْ كَانَ مَنْ قَدْ بَكَى شَبَابَهُ وَتَلَهَّفَ عَلَيْهِ مِنَ  
النِّسَاءِ هُنَّ اللَّوَاتِي أَنْكَرْنَ مَشِيْبَهُ وَعَيْنَهُ بِهِ ، وَمَا الْمُنْكَرُ مِنْ ذَلِكَ ؟ وَكَيْفَ يَتَنَاقِضُ أَنْ يَبْكِي  
عَلَى شَبَابِهِ وَتُزُولِ شَبَابُهُ ؟ مِنْهُنَّ مَنْ رَأَى الشَّيْبَ ذَنْبًا وَعَيْنًا مُنْكَرًا ، وَفِي هَذَا غَايَةُ الْمُطَابَقَةِ ،  
لِأَنَّهُ لَا يَبْكِي الشَّيْبَ وَيَجْرُعُ مِنْ حُلُولِهِ وَفِرَاقِ الشَّبَابِ إِلَّا مَنْ رَأَاهُ مُنْكَرًا وَمَعِيًّا .

الْقَرِيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٤٣﴾ سورة الزخرف/ الآية : ٣١ [ وَالْقَرِيَتَانِ فِي الْآيَةِ : مَكَّةُ وَالطَّائِفُ ، وَعَظِيمُ الْقَرِيَتَيْنِ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ <sup>(١)</sup> ، وَقَدْ شَاعَ اسْتِعْمَالُ أَبِي تَمَّامٍ حَتَّى قَالُوا فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ : لَيْسَ فُلَانٌ بِعَمِيدِ الْقَرِيَتَيْنِ ، يَغْنُونُ : لَيْسَ سَيِّدًا عَظِيمًا . وَقَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ : « أَرَبَيْنَ بِالْمُرْدِ الْعَطَارِفِ . . . » الْبَيْتُ ، فَأَرَبَيْنَ مِنْ أَرَبٍ بِالشَّيْءِ : إِذَا لَزِمَهُ وَأَقَامَ عَلَيْهِ ، يُقَالُ : أَرَبٌ وَالْأَبُّ بِالْمَكَانِ : إِذَا أَقَامَ فِيهِ وَلَزِمَهُ ؛ يُرِيدُ أَبُو تَمَّامٍ : إِنَّهُمْ لَزِمْنَ هَوَى الْمُرْدِ وَأَقَمْنَ عَلَيْهِ ، وَرَوَاهُ قَوْمٌ : « أَرَبَيْنَ بِالْمُرْدِ » ، مِنْ أَرَبًا ، الَّذِي مَعْنَاهُ الزِّيَادَةُ . يَقُولُ أَبُو تَمَّامٍ : أَرَبَيْنَ بِالْمُرْدِ ، أَيِ : أَرَدَدْنَ عَلَيْنَا بِهِمْ ، وَجَعَلْنَ الْمُرْدَ زِيَادَةً اخْتَرْنَاهَا عَلَيْنَا ؛ وَالْعَطَارِفُ جَمْعُ غَطْرِيفٍ ، وَهُوَ : الشَّابُّ الظَّرِيفُ الْحَسَنُ ؛ وَالْأَغْيَدُ : النَّاعِمُ الْمُتَشَبِّهِ مِنَ اللَّيْلِ . وَالْغَيْدَاءُ : الْمَرَأَةُ الْمُتَشَبِّهِةُ مِنَ اللَّيْلِ ، وَاللَّدَانُ ، جَمْعٌ لِدَيْنٍ ، وَهُوَ : اللَّيْلُ .

\* \* \*

١٠١٤ - وَلِيَخِي بِنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ - وَتُرَوَّى لِغَيْرِهِ [أبي العتاهية] - [من الكامل] :

الرَّاسِي بِكَثْرَةِ مَا تَدُورُ رَحَاهُمَا	الَّيْلُ شَيْبَ وَالنَّهَارُ كِلَاهُمَا
وَلُحُومَنَا عَمْدًا وَنَحْنُ نَرَاهُمَا	يَتَنَاهَبَانِ نَفُوسَنَا وَدِمَاءَنَا
أُولَاهُمَا وَتَأَخَّرَتْ أَخْرَاهُمَا	وَالشَّيْبُ إِحْدَى الْمَيْتَتَيْنِ تَقَدَّمَتْ

\* \* \*

١٠١٥ - وَقَالَ صُرْدُرٌ [من الكامل] :

لَمْ أَبْكِ أَنْ رَحَلَ الشَّيْبُ وَإِنَّمَا أَبْكِي لِأَنِّي تَقَارَبَ الْمِيعَادُ

(١) قَالَهُ الْمُفَسِّرُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرِيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [٤٣] سورة الزخرف/ الآية : ٣١ .

شَعَرُ الْفَتَى أَوْرَاقُهُ فَإِذَا ذَوَتْ جَفَّتْ عَلَى آثَارِهِ الْأَغْوَادُ

\* \* \*

١٠١٦ - وَقَالَ الطُّغْرَايُي [من الكامل] :

أَمَّا الشَّيْبَةُ وَالنَّعِيمُ فَإِنِّي لَمْ أَذِرْ أَيُّهُمَا أَلَذُّ وَأَنْضَرُ  
حَتَّى أَنْقَضِي عَصْرُ الشَّبَابِ قَبَانَ لِي أَنَّ الشَّبَابَ هُوَ النَّعِيمُ الْأَكْبَرُ  
لَا تُخْدَعُنْ عَنْهُ قَبَائِعُ سَاعَةٍ مِنْهُ بِدُنْيَاهُ جَمِيعاً يَخْسِرُ

\* \* \*

١٠١٧ - وَلِمَخْمُودِ الْوَرَّاقِ [وتنسب لمحمد بن حازم ألباهلي] [من المتقارب] :

أَلَيْسَ عَجِيباً بِأَنَّ الْفَتَى يُصَابُ بِبَغْضِ الَّذِي فِي يَدَيْهِ  
فَمِنْ بَيْنِ بَاكِ لَهُ مُوجِعِ وَيَبْنُ مُعَزُّ مُغْدٍّ إِلَيْهِ  
وَيَسْلُبُهُ الشَّيْبُ شُرْخَ الشَّبَابِ وَلَيْسَ يُعَزِّيه خَلْقٌ عَلَيْهِ

\* \* \*

١٠١٨ - وَلَأَبِي دُلْفَ [من البسيط] :

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرَى بَيِّضَاءَ قَدْ طَلَعَتْ كَأَنَّمَا طَلَعَتْ فِي نَاطِرِ الْبَصْرِ  
لَئِنْ قَصَصْتُكَ بِالْمِقْرَاضِ عَنْ بَصْرِي لِمَا قَرَضْتُكَ عَنْ هَمِّي وَعَنْ فِكْرِي

\* \* \*

١٠١٩ - وَلِمُنَاسِبَةِ قَصِّ الشَّيْبِ نُورِدُ هُنَا قَوْلَ كُشَاجِمَ فِي قَرْضِ طَلَائِعِ

الْمَشْيِبِ [من الوافر] :

نَظَرْتُ إِلَى الْمِرَاةِ فَرَوَعْتَنِي طَلَائِعُ شَيْتَيْنِ الْمَتَابِي (١)

(١) الْمِرَاةُ بِتَقْلٍ حَرَكَةُ الْهَمْزَةِ فَحَذَفُهَا .

فَأَمَّا شَيْبَةٌ فَفَزَعْتُ مِنْهَا      إِلَى الْمَقْرَاضِ مِنْ حُبِّ التَّصَابِي  
وَأَمَّا شَيْبَةٌ فَعَفَوْتُ عَنْهَا      لِتَشْهَدَ بِالْبَرَاءَةِ مِنْ خِصَابِي  
فِيَا لَكَ مِنْ مَشِيبٍ قَدْ تَبَدَّى      أَقَمْتُ بِهِ الدَّلِيلَ عَلَى شَبَابِي

\* \* \*

١٠٢٠ - وَمِنْ طَرِيفٍ مَا يُرَوَّى فِي هَذَا أَلْبَابٍ أَنَّ الْإِمَامَ أَبَا حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِلْحَجَّامِ : اَلْتَقِطْ هَذِهِ الشَّعْرَاتِ الْبَيْضَ ؛ فَقَالَ الْحَجَّامُ : لَا تَلْتَقِطْهَا ، فَإِنَّهَا تَكْثُرُ ؛ فَقَالَ الْإِمَامُ : إِذَنْ فَالْتَقِطِ السُّودَ ، فَلَعَلَّهَا تَكْثُرُ . . .

\* \* \*

١٠٢١ - وَكَانَ حَجَّامٌ يَلْتَقِطُ الْبَيْضَ مِنْ لَحْيَةِ رَجُلٍ ، فَلَمَّا كَثُرَ ، قَالَ : مَا تَرَى فِي الْحَصَادِ ، فَقَدْ ذَهَبَ وَقْتُ الْإِلْتِقَاطِ . . .

\* \* \*

١٠٢٢ - وَقَالَ ابْنُ طَبَاطَبَا [مِن الطَّرِيفِ] :

تَأَوَّنِي هَمٌّ لِبَيْضَاءِ نَابِتَةٍ      لَهَا بِغُضَّةٌ فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ ثَابِتَةٍ  
وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّي إِذَا رُمْتُ قَصَّهَا      قَصَصْتُ سِوَاهَا وَهِيَ تَضْحَكُ شَامِتَةٍ

\* \* \*

١٠٢٣ - وَقَالَ أَبُو دُلْفٍ [مِن السَّرِيعِ] :

أَشْتَعَلَ الشَّيْبُ فَأَحْفَيْتُهُ      وَكَلَّ مَقْرَاضِي فَأَعْفَيْتُهُ  
وَكُلَّمَا عَالَجْتُ قَصَّأَلَهُ      وَقُلْتُ فِي نَفْسِي أَخْفَيْتُهُ  
ظَالَعَنِي مِنْ طُرَّتِي طَالِعُ      كَأَنَّنِي بِالْأَمْسِ رَبَّيْتُهُ  
أَرُومُ مَا لَيْسَتْ لَهُ حِيلَةٌ      أَغْيَانِي الشَّيْبُ فَخَلَّيْتُهُ

\* \* \*

١٠٢٤ - وَإِنَّكَ لَتَرَاهُمْ يُعَلِّلُونَ الشَّيْبَ أَخِيَانًا بِأَنَّهُ نِتَاجُ الْهُمُومِ وَالشَّدَائِدِ ،  
فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ [ من الرمل ] :

إِنَّ شَيْبَ الرَّأْسِ نَوَارُ الْهُمُومِ

\* \* \*

١٠٢٥ - وَيَقُولُ ابْنُ الْمَعْتَرِ [ من الكامل ] :

قَالَتْ : كَبِرْتَ وَشَيْبَتْ ، قُلْتُ لَهَا : هَذَا غُبَارُ وَقَائِعِ الدَّهْرِ

\* \* \*

١٠٢٦ - وَيَقُولُ أَبُو تَمَّامٍ [ من الخفيف ] :

شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مَشَيْبَ الرَّأْسِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفُؤَادِ  
وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ فِي كُلِّ بُؤْسٍ وَنَعِيمٍ طَلَائِعُ الْأَجْسَادِ  
زَارَنِي شَخْصُهُ بِطَلْعَةِ ضَيْمٍ عَمَّرَتْ مَجْلِسِي مِنَ الْعُودِ  
نَالَ رَأْسِي مِنْ تُغْرَةِ الْهَمِّ دَاءٌ لَمْ يَنْلُهُ مِنْ تُغْرَةِ الْمِيلَادِ  
طَالَ إِنْكَارِي الْبَيَاضَ وَإِنْ عُمِّرْتُ شَيْئًا أَنْكَرْتُ لَوْنَ السَّوَادِ

مَعْنَى الْبَيْتِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي : شَابَ رَأْسِي لَا لِكَبَرِ سِنِي ، بَلْ لِهُمُومٍ شَمِلَتْ  
فُؤَادِي ، فَكُلُّ أَلَمٍ يَخْذُلُ بِالْبَدَنِ مِنْ حَادِثٍ ، وَيُظْهِرُ ، فَأَعْلَمْتُ أَنَّهُ قَدْ بَدَأَ بِالْقَلْبِ  
أَوَّلًا كَمَا أَنَّ كُلَّ مَا يَقَعُ بِالْجَيْشِ قَدْ وَقَعَ أَوَّلًا بِطَائِفِهِمْ<sup>(١)</sup> . فَالْقُلُوبُ أَسْبَقُ إِلَى  
حَالِي الْبُؤْسِ وَالنَّعِيمِ ، فَهِيَ تَجْرِي مِنَ الْأَجْسَادِ مَجْرَى الطَّلَائِعِ مِنَ الْأَجْنَادِ ،  
وَقَوْلُهُ : زَارَنِي شَخْصُهُ ... الْبَيْتُ فِي نِهَايَةِ الْبَلَاغَةِ وَالْحُسْنِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ  
يَقُولُ :

(١) الطَّائِفُ : الْعَسَسُ الَّذِي يَتَجَسَّسُ لِلْجَيْشِ ، وَمِثْلُهُ الطَّلِيْعَةُ ، فَهِيَ بِمَعْنَاهَا .



إِنَّ شَخْصَ الشَّيْبِ لَمَّا زَارَهُ كَثُرَ الْمُتَوَجِّعُونَ لَهُ ، وَالْمُتَأَسِّفُونَ عَلَى شَبَابِهِ ،  
وَالْمُتَفَجِّعُونَ مِنْ مُفَارَقَتِهِ ، فَكَانَهُمْ فِي مَجْلِسِ عَوَادٍ لَهُ ، لَأَنَّ مِنْ شَأْنِ أَلْعَائِدِ  
لِلْمَرِيضِ أَنْ يَتَوَجَّعَ وَيَتَفَجَّعَ - وَكَانَ يَقُولُهُ : « عَمَرْتُ مَجْلِسِي مِنَ الْعَوَادِ » عَنْ  
كَثْرَةِ مَنْ تَفَجَّعَ وَتَوَجَّعَ مِنْ مَشْيِهِ . وَقَوْلُهُ : « نَالَ رَأْسِي مِنْ نُغْرَةِ أَلْهِمَّ . . . »  
الْنَيْتِ ، فَالْنُغْرَةُ : الْفُرْجَةُ تَكُونُ فِي الشَّيْءِ ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ كُلُّ بَلَدٍ جَاوَرَ عَدُوًّا  
نُغْرًا ، كَانَ مَعْنَاهُ : مَكْشُوفٌ لِلْعَدُوِّ ، فَأَبُو تَمَّامٍ يَقُولُ : وَجَدَ الشَّيْبُ مِنْ أَلْهِمَّ  
فُرْجَةً دَخَلَ عَلَى رَأْسِي مِنْهَا ، لَأَنَّ أَلْهِمَّ يُشَيَّبُ لَا مَحَالَةَ .

وَقَوْلُهُ : « لَمْ يَنْلُهُ مِنْ نُغْرَةِ الْمِيلَادِ » أَرَادَ بِشُغْرَةِ الْمِيلَادِ : الْوَفْتَ الَّذِي  
يَهْجُمُ عَلَيْهِ فِيهِ الشَّيْبُ مِنْ عُمْرِهِ ، لِأَنَّهُ يَجِدُ السَّبِيلَ فِي ذَلِكَ الْوَفْتِ إِلَى الْخُلُولِ  
بِرَأْسِهِ ، فَجَعَلَهُ نُغْرَةً مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ، فَأَرَادَ : أَنَّ الشَّيْبَ حَلَّ بِرَأْسِهِ مِنْ جِهَةِ  
هُمُومِهِ وَأَحْزَانِهِ ، وَبَلَغَ مِنْ ذَلِكَ مَا لَمْ يَبْلُغِ السَّنَّ الَّتِي تُوجِبُ حُلُولَهُ بِهِ ، وَمِنْ  
حَيْثُ كِبَرُهُ . . . وَقَوْلُهُ : طَالَ إِنْكَارِي الْبَيَاضَ <sup>(١)</sup> . . . الْنَيْتِ ، فَالْأَصْلُ فِي هَذَا  
الْمَعْنَى قَوْلُ ثَعْلَبَةَ بْنِ مُوسَى [مِنَ الْبَسِيطِ] :

قَدْ كُنْتُ أَرْتَاغُ لِلْبَيَاضِ فِي حَلْكِ فَصِرْتُ أَرْتَاغُ لِلسَّوْدَاءِ فِي يَقَى <sup>(٢)</sup>

(١) وَقَالَ الْمَرْزُوقِيُّ : يَحْتَمِلُ هَذَا وَجُوهًا : أَحَدُهَا مَا قَالَ الْأَغْرَابِيُّ لَمَّا اسْتُوصِفَ حَالُهُ ، فَقَالَ :  
كُنْتُ أَكْبُرُ الشَّعْرَةَ الْبَيَضَاءَ ، فَصِرْتُ أَلَانَ أَكْبُرُ الشَّعْرَةَ السَّوْدَاءَ ؛ وَالْثَّانِي : إِنَّ عُمُرْتُ شَيْئًا  
أَسْوَدَ مِنْ جِلْدِي وَلَوْنِي مَا كَانَ مُبَيِّضًا فَأَنْكَرْتُهُ ، وَهَذَا كَمَا قَالَ الْعُزْيَانُ ابْنُ أَلْهِمِّ لَمَّا سَأَلَهُ  
عَبْدُ الْمَلِكِ ، عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ : أَبْيَضَ مِنِّي مَا كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ يَسْوَدَ ، وَأَسْوَدَ مِنِّي مَا كُنْتُ  
أَحِبُّ أَنْ يَبْيَضَ ؛ ثُمَّ قَالَ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

فَكُنْتُ شَبَابِي أَبْيَضَ اللَّوْنِ زَاهِرًا فَصِرْتُ بُعِيدَ أَسْوَدَ حَالِكَا  
وَالثَّلَاثُ : إِنَّ عُمُرْتُ شَيْئًا أَنْسْتُ بِالْبَيَاضِ وَسَكَنْتُ إِلَيْهِ حَتَّى أَكُونَ مُكْبَرًا لِلسَّوَادِ كإِنْكَارِي  
السَّاعَةَ لِلْبَيَاضِ .

(٢) لِلْبَيَاضِ : الشَّعْرَةُ الْبَيَضَاءُ ؛ وَالْحَلْكَ : شِدَّةُ السَّوَادِ ؛ يُرِيدُ : الشَّعْرَةُ الْأَسْوَدُ ؛ وَالْيَقَى : شِدَّةُ  
الْبَيَاضِ .

وَبَعْدَهُ :

أَفْنَى الشَّبَابِ الَّذِي أَفْنَيْتَ جِدَّتَهُ      كَرُّ الْجَدِيدَيْنِ مِنْ آتٍ وَمُنْطَلِقِ  
لَمْ يَتْرُكَا لِي فِي طُولِ اخْتِلَافِهِمَا      شَيْئاً أَخَافُ عَلَيْهِ لَذَعَةِ الْحَدَقِ<sup>(١)</sup>  
مَنْ لَمْ يَشِبْ لَيْسَ مِمْلَاقاً حَلِيلَتُهُ      وَصَاحِبُ الشَّيْبِ لِلنِّسْوَانِ ذُو مَلَقٍ<sup>(٢)</sup>  
قَدْ كُنَّ يَفْرَقْنَ مِنْهُ فِي شَبَابِهِ      فَصَارَ يَفْرَقُ مِمَّنْ كَانَ ذَا فَرْقٍ<sup>(٣)</sup>  
إِنَّ الْخِضَابَ لَتَذْلِيسٌ يُغَشُّ بِهِ      كَالثُّوبِ يُطَوَّى لِتَذْلِيسٍ عَلَى حَرَقٍ

\* \* \*

١٠٢٧ - وَقَدْ حَسَنَ هَذَا الْمَعْنَى أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَبَيَّنِيُّ فَقَالَ [من الكامل] :

رَاعَتْكَ رَائِعَةُ الْبَيَاضِ بِعَارِضِي      وَلَوْ أَنَّهَا الْأُولَى لَرَاعَ الْأَسْحَمُ<sup>(٤)</sup>  
لَوْ كَانَ يُمَكِّنُنِي سَفَرْتُ عَنْ الصَّبَا      فَالشَّيْبُ مِنْ قَبْلِ الْأَوَانِ تَلَثُّمُ<sup>(٥)</sup>

\* \* \*

١٠٢٨ - أَمَّا قَوْلُ ثَعْلَبَةَ بْنِ مُوسَى : « إِنَّ الْخِضَابَ لَتَذْلِيسٌ يُغَشُّ بِهِ . . . »

الْبَيْتَ ، فَإِنَّهُ يُرْوَى أَيْضاً عَلَى هَذَا الْوَجْهِ [من البسيط] :

- (١) قوله : « لَذَعَةُ الْحَدَقِ » فَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ : لَذَعَتْهُ النَّارُ : إِذَا لَفَحَتْهُ .
- (٢) حَلِيلَتُهُ : مَنْ تَحَالَهُ وَتَجَاوَرَهُ .
- (٣) يَفْرَقْنَ مِنْهُ : يَفْرَعْنَ وَيَزِيدْنَ مِنْ رَوْعَةِ جَمَالِهِ وَرَوْقَةِ شَبَابِهِ .
- (٤) رَائِعَةُ الْبَيَاضِ : الشَّعْرَةُ الَّتِي تَرْوَعُ النَّاطِرَ ، وَتُرْوَى : رَاعِيَةُ الْبَيَاضِ ، وَالرَّاعِيَةُ مِنَ الشَّعْرِ : أَوَّلُ شَعْرَةٍ تَطْلُعُ مِنَ الشَّيْبِ ، قَالَ [من البسيط] :
- (٥) أَهْلًا بِرَاعِيَةِ الشَّيْبِ وَاحِدَةً      تَنْعَى الشَّبَابَ وَتَنْهَانَا عَنِ الْغَزَلِ  
يَقُولُ : لَوْ أَمَكَّنَنِي أَنْ أَظْهَرَ صِبَايَ لَكَشَفْتُ عَنْهُ ، فَإِنِّي حَدِيثُ السِّنِّ وَلَكِنَّ الشَّيْبَ جَارٌ عَلَيَّ  
عَاجِلاً فَسَتَرَ شَبَابِي ، فَكَأَنَّهُ تَلَثَّمَ بِسِتْرِ مَا تَحْتَهُ مِنَ الْأَسْوَادِ ، يَعْنِي : إِنَّ عَلَى شَبَابِهِ لثَاماً مِنَ  
الشَّيْبِ الَّذِي عَجَّلَ إِلَيْهِ قَبْلَ وَقْتِهِ .

شَيْبٌ تُعَيِّبُهُ عَمَّنْ تَغُرُّ بِهِ كَيْبُكَ الثُّوبَ مَطْوِيًا عَلَى حَرَقِ

\* \* \*

١٠٢٩ - وَالَّذِي يَغْنِينَا هُوَ قَوْلُهُمْ فِي الْخِضَابِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِي

[من الخفيف] :

يَا بَيَاضَ الْمَشِيبِ سَوَدَّتْ وَجْهِي	عِنْدَ يِضِ الْوُجُوهِ سُودَ الْقُرُونِ
فَلَعَمْرِي لِأُخْفِيَنَّكَ جُهِدِي	عَنْ عِيَانِي وَعَنْ عِيَانِ الْعُيُونِ
وَلَعَمْرِي لِأَمْنَعَنَّكَ أَنْ تَضَحَ	كَ فِي رَأْسِ آسَفٍ مَحْزُونِ
بِخِضَابٍ فِيهِ أَبْيَضٌ لِوَجْهِي	وَسَوَادٌ لِوَجْهِكَ الْمَلْعُونِ

\* \* \*

١٠٣٠ - وَقَالَ آخَرُ [من الخفيف] :

إِنَّ شَيْئًا صَلَاحُهُ بِالْخِضَابِ	لَعَذَابٌ مُوَكَّلٌ بِعَذَابِ
وَلَعَمْرُ الْإِلَهِ لَوْلَا هَوَى الْيَدِ	ضِ وَأَنْ تَشْمِزْ نَفْسُ الْكِعَابِ
لَأَرَحْتُ الْخَذِينَ مِنْ وَضِرِ الْخِطِّ	رٍ وَأَذَعْتُ لَانْقِضَاءِ الشَّبَابِ <sup>(١)</sup>

\* \* \*

١٠٣١ - وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : أَلَا تَخْضِبُ بِالْوَسْمَةِ ؟ فَقَالَ : لِمَ ذَاكَ ؟ فَقَالَ :

لِتَضْبُوَ إِلَيْكَ النِّسَاءُ ؛ فَقَالَ : أَمَّا نِسَاؤُنَا فَمَا يُرْدُنَ مِنَّا بَدِيلًا ، وَأَمَّا غَيْرُهُنَّ فَمَا نَلْتَمِسُ صَبَوْتَهُنَّ .

\* \* \*

(١) الْخِطْرُ : نَبَاتٌ يُجْعَلُ وَرَقُهُ فِي الْخِضَابِ الْأَسْوَدِ ، يُخْتَضَبُ بِهِ .

١٠٣٢ - وَقَالَ الْعُتْبِيُّ [من الوافر] :

وَقَائِلَةٌ : بُيُضُ وَالْغَوَانِي      نَوَافِرُ عَنْ مُعَالَجَةِ الْقَتِيرِ <sup>(١)</sup> ؟  
عَلَيْكَ الْخِطَرُ عَلَيْكَ أَنْ تَدَانِي      إِلَى بِيضٍ تَرَائِبُهُنَّ حُورِ  
فَقُلْتُ لَهَا : الْمَشِيبُ نُذِيرُ عُمْرِي      وَلَسْتُ مُسَوِّدًا وَجْهَ النَّذِيرِ

\* \* \*

١٠٣٣ - وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ [من الوافر] :

صَبَغْتُ الرَّاسَ خَتَلًا لِلْغَوَانِي      كَمَا غَطَّى عَلَى الرِّيبِ الْمُرِيبُ <sup>(٢)</sup>  
أَسَوْفُ ثَوْبَتِي خَمْسِينَ عَامًا      وَظَنِّي أَنَّ مِثْلِي لَا يَتُوبُ  
يَقُومُ بِالثَّقَافِ الْعُودُ لَذْنَا      وَلَا يَتَقَوَّمُ الْعُودُ الصَّلِيبُ <sup>(٣)</sup>

\* \* \*

١٠٣٤ - وَقِيلَ لَأَفْلَاطُونِ Platon : لِمَ اخْتَضَبَ فُلَانٌ ؟ فَقَالَ : كَرِهَ أَنْ يُؤْخَذَ

بِحَنْكَةِ الْمَسَاخِ .

\* \* \*

١٠٣٥ - وَقِيلَ لِأَعْرَابِيَّةٍ : فُلَانٌ يَخْتَضِبُ ؛ فَقَالَتْ : لَا يُنَالُ الشَّبَابُ

بِالْخِضَابِ كَمَا لَا يُنَالُ الْغِنَى بِالْمُنَى .

\* \* \*

(١) قَوْلُهُ : « بُيُضُ » تُرِيدُ : أَنْتَرْضِي بِيَبَاضِ الشَّيْبِ ؛ وَ« الْقَتِيرُ » فِي الْأَصْلِ : رُؤُوسُ مَسَامِيرٍ  
حَلَقِ الدَّرْعِ ، يُشَبَّهُ الشَّيْبَ إِذَا ظَهَرَ فِي سَوَادِ الشَّعْرِ ، وَ« مُعَالَجَةٌ » لَكَ أَنْ تَقْرَأَهُ يَفْتَحِ الْأَمَ ،  
فَيَكُونُ مُضْذَرًّا ، أَوْ يَكْسِرُهَا عَلَى أَنَّهُ الْجَمَاعَةُ الَّتِي تُعَالِجُ ذَلِكَ الشَّيْءَ .

(٢) خَتَلًا ، مُضْذَرٌّ خَتَلُ الصَّبَاذِ الصَّبْدِ : إِذَا اسْتَرَّ عَنْهُ شَيْءٌ ، ثُمَّ جُعِلَ مَثَلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَرِيَ بَعْضُهُ  
وَسُتِرَ عَلَى صَاحِبِهِ ؛ وَ« الرِّيبُ » : الْظَنُّ وَالنَّهْمَةُ .

(٣) « الثَّقَافُ » : خَشَبَةٌ قَوِيَّةٌ قَدَرُ ذِرَاعٍ ، فِي طَرَفِهَا يَدْخُلُ فِيهِ مَا يُرَادُ تَقْوِيمُهُ مِنْ رُمْحٍ أَوْ قَوْسٍ ،  
وَاللَّذْنُ : الْكَلْبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

١٠٣٦ - وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ [من الكامل] :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُسَوَّدُ وَجْهَهُ      كَيْمَا يُعَدُّ بِهِ مِنَ الشُّبَّانِ  
أَقْصِرْ فَلَوْ سَوَّدَتْ كُلَّ حَمَامَةٍ      يَبِضَاءَ مَا عُدَّتْ مِنَ الْغُرَبَانِ

\* \* \*

١٠٣٧ - وَقَدْ مَدَحَ آخَرُونَ الْخِضَابَ ، فَقَدْ وَرَدَ فِي الْأَثَرِ : « اخْتَضَبُوا  
بِالسَّوَادِ ، فَإِنَّهُ أَسْكَنُ لِلزَّوْجَةِ ، وَأَهْيَبُ لِلْعَدُوِّ » .

\* \* \*

١٠٣٨ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ [من الكامل] :

الشَّيْبُ ضَيْفُكَ فَأَقْرِهِ بِخِضَابِ

\* \* \*

١٠٣٩ - وَقَالَ آخَرُ [من الكامل] :

إِنَّ الْخِضَابَ هُوَ الشَّبَابُ الثَّانِي

\* \* \*

١٠٤٠ - وَقَالَ شَاعِرٌ [من الطويل] :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ قَدْ شَاكَ أَهْلَهُ      تَفَنَّنْتُ وَابْتَعْتُ الشَّبَابَ بِدِرْهِمِ

\* \* \*

١٠٤١ - وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ وَقَدْ نَاقَضَ بِذَلِكَ مُحْمُودَ الْوَرَّاقِ حِينَ قَالَ [من

مجزوء الكامل] :

يَا خَاضِبَ الشَّيْبِ الَّذِي      فِي كُلِّ ثَالِثَةٍ يَعُودُ

إِنَّ التُّصُولَ إِذَا بَدَا      فَكَأَنَّهُ شَيْبٌ جَدِيدُ  
وَلَهُ بِدِيهَةٍ رَوْعَةٍ      مَكْرُوهٌهَا أَبَدًا عَتِيدُ  
فَدَعِ الْمَشِيبَ لِمَا أَرَا      دَفْلَنَ يُعُودَ لِمَا تُرِيدُ

\* \* \*

١٠٤٢ - فَقَالَ [من المتقارب] :

وَقَالُوا : التُّصُولُ شَيْبٌ جَدِيدُ !      فَقُلْتُ : الْخِضَابُ شَبَابٌ جَدِيدُ !  
إِسَاءَةٌ هَذَا بِإِحْسَانٍ ذَا      فَإِنْ عَادَ هَذَا فَهَذَا يُعُودُ

\* \* \*

١٠٤٣ - وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ [من الطويل] :

رَأَيْتُ خِضَابَ الْمَرْءِ عِنْدَ مَشِيبِهِ      حَدَادًا عَلَى شَرْخِ الْمَشِيبَةِ يُلْبَسُ  
وَالَا فَمَا يَغْزُو أَمْرُؤُ بِخِضَابِهِ      أَيُطْمَعُ أَنْ يَخْفَى شَبَابٌ مُدَلَّسُ  
وَكَيْفَ بَأَنْ يَخْفَى الْمَشِيبُ لِخَاضِبٍ      وَكُلُّ ثَلَاثِ صُبْحُهُ يَتَنَفَّسُ  
وَهَبْهُ يُوَارِي شَيْبَهُ أَيْنَ مَاؤُهُ      وَأَيْنَ أَدِيمٌ لِلشَّيْبَةِ أَمْلَسُ

\* \* \*

١٠٤٤ - وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : قَدْ شَيْبَتْ وَأَنْتَ شَابٌ فَلِمَ لَا تَخْضِبُ ؟  
فَقَالَ : إِنَّ التُّكْلَى لَا تَحْتَاجُ إِلَى الْمَاشِطَةِ .

\* \* \*

١٠٤٥ - وَرَأَيْتُ آيَاتًا ضَعِيفَةً فِي الْأَعْتِدَارِ عَنِ الْخِضَابِ أَوْرَدَهَا يَاقُوتُ فِي  
« مُعْجَمِ الْأَدْبَاءِ » فِي تَرْجَمَةِ الْإِمَامِ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ ، وَقَالَ : إِنَّهُ - أَبِي :  
أَبَا عَلِيٍّ - لَا يُعْرِفُ لَهُ شِعْرًا غَيْرَهَا ، وَهِيَ [من الوافر] :

خَضَبْتُ الشَّيْبَ لَمَّا كَانَ عَيًّا      وَخَضَبُ الشَّيْبِ أَوْلَى أَنْ يُعَابَا  
وَلَمْ أَخْضِبْ مَخَافَةَ هَجْرِ خَلٍّ      وَلَا عَيْنًا خَشِيتُ وَلَا عِتَابَا  
وَلَكِنَّ الْمَشِيبَ بَدَا ذَمِيمًا      فَصَيَّرْتُ الْخِضَابَ لَهُ عِقَابَا

\* \* \*

١٠٤٦ - وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : أَلَا تُعَيِّرُ شَيْبَكَ بِالْخِضَابِ ؟ فَقَالَ : بَلَى ؛ فَفَعَلَ  
ذَلِكَ مَرَّةً ثُمَّ لَمْ يُعَاوِذْ ، فَقِيلَ لَهُ : لِمَ لَا تُعَاوِذُ الْخِضَابَ ؟ فَقَالَ : يَا هَنَاهُ<sup>(١)</sup> ،  
لَقَدْ شُدَّ لَحْيَايَ<sup>(٢)</sup> إِخَالْنِي مَيِّنًا .

\* \* \*

١٠٤٧ - وَقَالَ ابْنُ الْأَرَوَمِيِّ [من الكامل] :

قُلْ لِلْمُسَوَّدِ حِينَ سَوَّدَ : هَكَذَا      غِشُّ الْغَوَانِي فِي الْهَوَىٰ إِيَّاكَ  
كَذَبَ الْغَوَانِي فِي سَوَادِ عِذَارِهِ      فَكَذَبْنَاهُ فِي وَدْهِنٍ كَذَاكَ

\* \* \*

١٠٤٨ - وَقَالَ أَيْضًا [من الطويل] :

إِذَا دَامَ لِلْمَرْءِ السَّوَادُ وَلَمْ تَدُمْ      غَضَارَتُهُ ظَنُّ السَّوَادِ خِضَابَا  
فَكَيْفَ يَظُنُّ الشَّيْخُ أَنَّ خِضَابَهُ      يُظَنُّ سَوَادًا أَوْ يُخَالُ شَبَابَا

\* \* \*

١٠٤٩ - وَقَالَ [من مَخْلَع البسيط] :

(١) « يَا هَنَاهُ » كَلِمَةٌ لَا تُسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي الدَّاءِ ، وَالْأَضَلُ : يَا هُنْ ، فَالْحَقُّهُ أَلْفَ إِشْبَاعٍ وَهَاءٍ  
سَكَتٌ تَضَمُّ أَوْ تُبْدَلُ فِي الْأَضَلِ تَاءً مَضْمُومَةً تَشْبِيهَا بِحَرْفِ الْإِعْرَابِ ، وَمَعْنَاهُ : يَا رَجُلُ .  
(٢) كَانَهُمْ كَانُوا يَضَعُونَ الْخِضَابَ فِي خِرْقَةٍ يُشَدُّ بِهَا اللَّحْيَانِ .

لَمْ أَخْضِبِ الشَّيْبَ لِلْغَوَانِي      أَبْغِي بِهِ عِنْدَهُنَّ وَدَادَا  
لَكِنْ خِضَابِي عَلَى شَبَابِي      لَبِسْتُ مِنْ بَعْدِهِ حِدَادَا

\* \* \*

١٠٥٠ - وَقَالَ آخِرُ [من الوافر] :

تَسْتَرِ بِالْخِضَابِ وَأَيُّ شَيْءٍ      أَدُلُّ عَلَى الْمَشِيبِ مِنَ الْخِضَابِ

\* \* \*

١٠٥١ - وَقَالَ الْمُتَنَبِّي [من البسيط] :

وَمِنْ هَوَى كُلِّ مَنْ لَيْسَتْ مُمَوَّهَةً      تَرَكْتُ لَوْنَ مَشِيبِي غَيْرَ مَخْضُوبٍ  
وَمِنْ هَوَى الصِّدْقِ فِي قَوْلِي وَعَادَتِهِ      رَغِبْتُ عَنْ شَعَرٍ فِي الْوَجْهِ مَكْذُوبٍ

\* \* \*

١٠٥٢ - وَمِنْ قَوْلِهِمْ فِي مَذْحِ الْخِضَابِ مَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ : « غَيِّرُوا الشَّيْبَ

وَجَنَّبُوهُ السَّوَادَ » [مسند الإمام أحمد ، رقم : ١٣١٧٦] .

يَقُولُ : لَوْنُوا الشَّيْبَ بِنَحْوِ حِنَاءٍ أَوْ كَتَمٍ وَلَا تَقْرُبُوا السَّوَادَ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُ ﷺ لَمَّا جِيءَ بِأَبِي قُحَافَةَ وَالِدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ يَوْمَ الْفَتْحِ ، وَكَانَ رَأْسُهُ وَلِحْيَتُهُ نُغَامَةً بَيْضَاءُ ، فَقَالَ ﷺ ذَلِكَ ؛ قَالَ أَبُو حَجْرٍ [ « فتح الباري » ، رقم : ٥٨٩٩ ] : يُسْتَحَبُّ الْخِضَابُ إِلَّا إِنْ كَانَتْ عَادَةُ أَهْلِ بَلَدِهِ تَزَكُّ الصَّبْغِ ، فَإِنَّ مَنْ يَنْفَرِدُ بِهِ عَنْهُمْ يَصِيرُ شُهْرَةً - مَفْضُوحًا - فَالْتَزَكُّ أَوْلَى ، وَقَدْ رَوَوْا أَنَّ الْمُصْطَفَى ﷺ لَمْ يَخْضِبْ ، وَكَذَا جَمْعٌ مِنَ الصَّحَابَةِ .

\* \* \*

١٠٥٣ - وَسُئِلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَنْ قَوْلِ الرَّسُولِ : « غَيِّرُوا الشَّيْبَ



وَلَا تَسْبَهُوا بِالْيَهُودِ « [الترمذي ، رقم : ١٧٥٢] ، فَقَالَ : إِنَّمَا قَالَ ﷺ ذَلِكَ وَالَّذِينَ قُلُّ ، فَأَمَّا الْآنَ وَقَدْ اتَّسَعَ نِطاقُهُ وَضُرِبَ بِجِرَانِهِ فَأَمْرٌ وَمَا اخْتَارَ .

غَيْرُوا الشَّيْبَ ، أَي : بِالْخِضَابِ ، لِيَرَاكُمْ الْأَعْدَاءُ كُھُولًا أَقْوِيَاءَ ؛ وَقُلُّ : أَي : قَلِيلٌ أَهْلُهُ ؛ وَالنِّطَاقُ : الْحِزَامُ الْعَرِيضُ ؛ وَاتَّسَاعُهُ : كِنَايَةٌ عَنِ الْإِنْتِشَارِ ؛ وَالْجِرَانُ : مُقَدَّمُ عُنُقِ الْبَعِيرِ يَضْرِبُ بِهِ عَلَى الْأَرْضِ إِذَا اسْتَرَاحَ وَتَمَكَّنَ ، أَي : بَعْدَ قُوَّةِ الْإِسْلَامِ ، إِنْ شَاءَ الْإِنْسَانُ خَضَبَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ .

\* \* \*

١٠٥٤ - وَقَالَ الْمُتَنَبِّي [من الطويل] :

وَمَا خَضَبَ النَّاسُ الْبَيَاضَ لِأَنَّهُ قَبِيحٌ وَلَكِنْ أَحْسَنُ الشَّعْرِ فَاحِمُهُ

\* \* \*

١٠٥٥ - وَقَالَ مَحْمُودُ الْوَرَّاقُ [من الكامل] :

لِلضَّيْفِ أَنْ يُقْرَى وَيُعْرَفَ حَقُّهُ وَالشَّيْبُ ضَيْفُكَ فَاقْرِهِ بِخِضَابٍ [راجع رقم : ١٠٩٣] .

\* \* \*

١٠٥٦ - وَهُنَاكَ مَنْ لَا يَأْبَهُ لِلشَّيْبِ وَلَا يَزْعَوِي عَنِ التَّصَابِي ، فَيَلْهُو وَيَلْعَبُ كَأَنَّهُ فِي مَنَعَةِ الصَّبَا وَجِنِّ الشَّبَابِ ، وَأَوَّلُ مَنْ تَهَاوَنَ بِالشَّيْبِ الشَّاعِرُ جَرِيرٌ إِذْ يَقُولُ [من الوافر] :

يَقُولُ الْعَاذِلَاتُ : عَلَكَ شَيْبٌ أَهَذَا الشَّيْبُ يَمْنَعُنِي مَرَاحِي

\* \* \*

١٠٥٧ - وَتَبِعَهُ النَّاسُ ، فَمِنْ أَحْسَنِهِمْ قَوْلًا فِي ذَلِكَ أَبُو الرُّومِيِّ حَيْثُ يَقُولُ

[من الخفيف] :

لَا حَ شَيْبِي فَرُخْتُ أَمْرُحُ فِيهِ      مَرَحَ الطَّرْفِ فِي الْعِذَارِ الْمُحَلَّى (١)  
وَتَوَلَّى الشَّبَابُ فَازْدَدْتُ رَكْضًا      فِي مَيَادِينِ بَاطِلِي إِذْ تَوَلَّى  
إِنْ مَنْ سَاءَهُ الزَّمَانُ بِشَيْءٍ      لِأَحَقِّ أَمْرِيءٍ بِأَنْ يَتَسَلَّى

\* \* \*

١٠٥٨ - وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ [من الطويل] :

أَلَا طَرَقْنَا آخِرَ اللَّيْلِ زَيْنَبُ      عَلَيْكَ سَلَامٌ هَلْ لِمَا فَاتَ مَطْلَبُ  
وَقَالَتْ : تَجَنَّبْنَا وَلَا تَقْرَبْنَا      وَكَيْفَ وَأَنْتُمْ حَاجَتِي أَتَجَنَّبُ  
يَقُولُونَ : هَلْ بَعْدَ الثَّلَاثِينَ مَلْعَبُ      فَقُلْتُ : وَهَلْ قَبْلَ الثَّلَاثِينَ مَلْعَبُ  
لَقَدْ جَلَّ قَدْرُ الشَّيْبِ إِنْ كَانَ كَلَّمَا      بَدَتْ شَيْبَةٌ يَغْرَى مِنَ اللَّهِوِ مَرْكَبُ

\* \* \*

١٠٥٩ - وَقِيلَ لِسَلَمِ الْخَاسِرِ : مَا أَكْبَرُ مَا صَنَعَ بِكَ الشَّيْبُ ! فَقَالَ :  
مَا صَنَعْتُ بِهِ أَكْبَرُ ، وَاللَّهِ مَا هِنْتُهُ وَلَا رَعَيْتُهُ وَلَا أُمْتَنَعْتُ لَهُ عَنْ تَعَاظِي مُحَرَّمِ  
وَأَزْيِكَابِ مَأْتَمِ .

\* \* \*

١٠٦٠ - وَلَأَبِي بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيُّ الْكَاتِبِ الشَّاعِرِ الْأَدِيبِ الْأَشْهَرِ ، وَهُوَ  
مَعْنَى غَرِيبٌ [من الطويل] :

قَالُوا : أَفَقِ مِنْ سَكْرَةِ اللَّهِوِ وَالصَّبَا      فَقَدْ لَاحَ صُبْحُ فِي دُجَاكَ عَجِيبُ  
فَقُلْتُ لَهُمْ : كُفُّوا أَلْمَامَ وَأَقْصِرُوا      فَإِنَّ الْكَرَى عِنْدَ الصَّبَاحِ يَطِيبُ

\* \* \*

(١) الطَّرْفُ مِنَ الْخَيْلِ : الْكَرِيمُ الْعَتِيقُ ، وَالْعِذَارُ هُنَا : اللَّجَامُ ، وَالْمُحَلَّى أَيِ : الْمُحَلَّى بِالْفِضَّةِ .

١٠٦١ - وَقَالَ الطُّغْرَائِيُّ [من المنسرح] :

قَدْ كَانَ لِي فِي شَيْتِي فَرْحٌ	يَخْذُ لِي بَغْتَةً بِلا سَبَبٍ
فَمَذُ تَوَلَّى الصُّبَا تَيَّنَ لِي	أَنَّ الصُّبَا كَانَ مُوجِبَ الطَّرَبِ
حَظٌّ تَوَلَّى فَلَسْتُ أُدْرِكُهُ	إِلَّا بِعَوْنٍ مِنْ ابْنَةِ الْعَنَبِ
فَهَايَهَا مِنْ شَيْتِي بَدَلًا	أَقْضِ بِهَا بَعْضَ ذَلِكَ الْأَرْبِ
صَفْرَاءُ مِثْلُ التُّضَارِ الْبَسْهَا	مِزَاجُهَا لَوْلُؤًا مِنَ الْحَبِّ
فَأَسْعَدُ النَّاسَ مَنْ حَوَتْ يَدُهُ	مَا شَاءَ مِنْ لَوْلُؤٍ وَمِنْ ذَهَبٍ

\* \* \*

١٠٦٢ - وَقَالَ بهَاءُ الدِّينِ زُهَيْرٌ وَقَدْ تَقَدَّمَ بِهِ السَّنُّ [من مجزوء الكامل] :

قَالُوا كَبِزْتَ عَنِ الصُّبَا	وَقَطَعْتَ تِلْكَ النَّاحِيَةَ
فَدَعِ الصُّبَا لِرَجَالِهِ	وَأَخْلَعْ ثِيَابَ الْعَادِيَةِ
وَنَعْمَ كَبِزْتُ وَإِنَّمَا	تِلْكَ الشَّمَائِلُ بَاقِيَةٌ
وَتَفُوحٌ مِنْ عِطْفِي أَنَا	فَاسُ الشُّبَابِ كَمَا هِيَ
وَيَمِيلُ بِي نَخْوُ الصُّبَا	قَلْبٌ رَقِيقُ الْحَاشِيَةِ
فِيهِ مِنَ الطَّرَبِ الْقَدِيدِ	مِمَّ بَقِيَّةٌ فِي الزَّائِدَةِ
[ الشُّوقُ نَارٌ حَامِيَةٌ	وَلَقَدْ تَزَايَدَ مَا بَيْنَهُ ]

\* \* \*

١٠٦٣ - وَمِنْ أَجْمَلِ مَا وَرَدَ فِي التَّرْحِيبِ بِالشَّيْبِ قَوْلُ أَحْمَدَ بْنِ زِيَادٍ

الْكَاتِبِ ، وَقِيلَ لِيَحْيَى بْنُ زِيَادٍ الْحَارِثِيُّ [من الطويل] :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ حَلَّ بِيَاضُهُ      بِمَفْرِقِ رَأْسٍ قُلْتُ لِلشَّيْبِ مَرْحَبَا

وَلَوْ خِلْتُ أَنِّي إِنْ كَفَفْتُ تَحِيَّتِي      تَنَكَّبَ عَنِّي رُمْتَ أَنْ يَتَنَكَّبَا  
وَلَكِنْ إِذَا مَا حَلَّ كُرْهُ فَسَامَحْتُ      بِهِ النَّفْسُ يَوْمًا كَانَ لِلْكَرْهِ أَذْهَبَا

\* \* \*

١٠٦٤ - وَلِمُسْلِمٍ بْنِ الْوَلِيدِ فِي نَحْوِهِ [من البسيط] :

الشَّيْبُ كُرْهُ وَكُرْهُ أَنْ يُفَارِقَنِي      أَعْجَبَ بِشَيْءٍ عَلَى الْبَغْضَاءِ مَوْرُودِ  
يَمْضِي الشَّبَابُ وَقَدْ يَأْتِي لَهُ خَلْفٌ      وَالشَّيْبُ يَذْهَبُ مَفْقُودًا بِمَفْقُودِ

\* \* \*

١٠٦٥ - وَقَالَ آخَرُ فِي بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ مَنْ لَمْ يَخْفَلْ بِحُلُولِ الشَّيْبِ :

وَتَنَكَّرْتُ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا      لَيْسَ الْمَشَيْبُ بِنَاقِصٍ عُمْرِي  
سَيَّانَ شَيْبِي وَالشَّبَابُ إِذَا      مَا كُنْتُ مِنْ أَجَلِي عَلَى قَدَرِ

\* \* \*

١٠٦٦ - وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّولِي ، وَكَانَ قَدْ أَنْحَدَرَ مَعَ الْمُكْتَفِي بِاللَّهِ

الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِي فِي سَفِينَةِ اللَّصِيدِ ، وَمَعَهُمَا يَحْيَى بْنُ عَلِي الْمُنْجَمُ وَآخَرُونَ ،  
ثُمَّ أَجْرُوا ذِكْرَ الشَّيْبِ ، فَتَرَعَ الْمُكْتَفِي عِمَامَتَهُ ، فَإِذَا شَيْبَتَانِ فِي مُقَدَّمِ رَأْسِهِ ،  
فَقَالَ : لَقَدْ غَمَّنِي طُلُوعُ هَاتَيْنِ الشَّيْبَتَيْنِ ؛ فَقَالَ لَهُ الصُّولِي : إِنَّمَا يَعِيشُ النَّاسُ  
فِي الشَّيْبِ ، فَأَمَّا السَّوَادُ فَلَا يَضْحَبُ النَّاسُ خَالِصًا أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَى  
خَمْسِينَ ، وَقَدْ يُعَاشُ فِي الْبَيَاضِ الَّذِي لَا سَوَادَ فِيهِ ثَمَانُونَ سَنَةً ؛ فَأَنشَدَهُ يَحْيَى  
أَبْنُ عَلِي الْمُنْجَمُ فِي مَعْنَى طُولِ الْعُمُرِ مَعَ الشَّيْبِ قَوْلَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ [من الطويل] :  
أَلَا إِنَّ بَعْدَ الْعُدْمِ لِلْمَرْءِ قُنُوءَةً      وَبَعْدَ الْمَشَيْبِ طُولَ عُمُرٍ وَمَلْبَسَا<sup>(١)</sup>

(١) الْقُنُوءَةُ : يَكْسِرُ الْقَافَ وَضَمَّهَا : مَا يُفْتَنَى وَيُكْتَسَبُ ؛ وَالْمَلْبَسُ : مَا يُلْبَسُ مِنَ الثِّيَابِ .

وَأَنْشَدْتُهُ أَنَا أَيْضاً آيَاتاً أَنْشَدَهَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُؤَصِّلِيُّ لِبَعْضِ  
الْقَيْسِيِّينَ [من الكامل] :

الشَّيْبُ إِنْ يَظْهَرُ فَإِنَّ وَرَاءَهُ      عُمْراً يَكُونُ خِلَالَهُ مُتَنَفِّسُ  
لَمْ يَنْتَقِصْ مِنِّي الْمَشِيبُ قِلَامةً      وَلَنَحْنُ حِينَ بَدَا أَلْبُ وَأَكْيَسُ

\* \* \*

١٠٦٧ - وَقَالَ رُوْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ [من الخفيف] :

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعَيَّرُ بِالشَّيْبِ      بِ أَفْلَنْ بِالشَّبَابِ أَفْتِخَارَا  
قَدْ لَيْسْتُ الشَّبَابَ غَضاً جَدِيداً      فَوَجَدْتُ الشَّبَابَ ثَوْباً مُعَارَا

\* \* \*

١٠٦٨ - وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ [من البسيط] :

أَبَدْتُ أَسَى أَنْ رَأَيْتَنِي مُخْلِيسَ الْقُصْبِ      وَآلَ مَا كَانَ مِنْ عُجْبٍ إِلَى عَجَبٍ <sup>(١)</sup>  
لَا تُنْكِرِي مِنْهُ تَخْدِيداً تَخَلَّلَهُ      فَالْسِّنْفُ لَا يُزْدَرِي إِنْ كَانَ ذَا شُطْبٍ <sup>(٢)</sup>  
وَلَا يُؤَزِّفُكَ إِمَاضُ الْقَتِيرِ بِهِ      فَإِنَّ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ <sup>(٣)</sup>

\* \* \*

عَبْقَرِيَّاتُهُمْ فِي مَدْحِ الشَّيْبِ غَيْرُ مَا أَسْلَفْنَا :

١٠٦٩ - وَلَنُعْطِفَ عَلَى عَبْقَرِيَّاتِهِمْ فِي مَدْحِ الشَّيْبِ : قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ

(١) أَخْلَسَ رَأْسُهُ ، فَهُوَ مُخْلِيسٌ وَخَلِيسٌ : إِذَا كَانَ فِيهِ بَيَاضٌ وَسَوَادٌ ؛ وَالْقُصْبُ جَمْعُ قَصْبَةٍ ، وَهِيَ : الْخُضْلَةُ الْمُلتَوِيَّةُ مِنَ الشَّعْرِ .

(٢) التَّخْدِيدُ : التَّشْجُجُ وَالْهَزَالُ ؛ وَشُطْبُ السِّنْفِ : طَرَائِقُهُ الَّتِي تَلْمَعُ مِنْ شِدَّةِ جَرَيَانِ مَائِهِ وَصَفَاءِ فِرْنْدِهِ .

(٣) الْقَتِيرُ : الشَّيْبُ ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْبَيْتُ فِي هَذَا الْبَابِ .

صَاحِبُ « أَلْعَقْدِ » [من الوافر] :

كَأَنَّ سَوَادَ لِمَتِّهِ ظِلَامٌ      يُطِلُّ مِنَ الْمَشِيبِ عَلَيْهِ نُورٌ

\* \* \*

١٠٧٠ - وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَسْبَاطِيُّ [من الخفيف] :

لَا يُرْعِكَ الْمَشِيبُ ، يَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ      هِ فَالْشَّيْبُ زِينَةُ وَقَارُ !  
إِنَّمَا تَحْسُنُ الرِّيَاضُ إِذَا مَا      ضَحِكْتُ فِي ظِلَالِهَا الْأَنْوَارُ

\* \* \*

١٠٧١ - وَقَالَ أَبُو عَوَانَةَ الْكَاتِبُ [من الخفيف] :

هَزِئْتُ إِذْ رَأْتُ مَشِيبِي ، وَهَلْ غَدَ      نِيرَ الْمَصَابِيحِ زِينَةُ لِلْسَّمَاءِ  
وَتَوَلَّيْتُ فَقُلْتُ قَوْلًا بِإِفْصَا      حِ لَهَا ، لَا بِالرَّمْزِ وَالْإِيمَاءِ  
إِنَّمَا الشَّيْبُ فِي الْمَفَارِقِ كَالْثَوِ      رِ بَدَا وَالسَّوَادُ كَالظُّلُمَاءِ  
لَا مَحِيصٌ عَنِ الْمَشِيبِ أَوْ الْمَوِ      تِ فَكُنْ لِلْحَوْبَاءِ أَوْ لِلنَّمَاءِ  
إِنَّ عُمرًا عَوَّضْتُ فِيهِ عَنِ الْمَوِ      تِ بِشَيْبٍ مِنْ أَعْظَمِ النِّعْمَاءِ

\* \* \*

١٠٧٢ - وَتَأَمَّلَ حَكِيمٌ شَيْبَهُ ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِزَهْرَةِ الْحِكْمَةِ ، وَيُمنِ  
الْهُدَى ، وَمُقَدِّمَةِ الْعِقَّةِ ، وَلِبَاسِ التَّقْوَى .

\* \* \*

١٠٧٣ - وَدَخَلَ أَبُو دُلْفٍ عَلَى الْمَأْمُونِ وَعِنْدَهُ جَارِيَةٌ لَهُ ، وَكَانَ أَبُو دُلْفٍ  
قَدْ تَرَكَ الْخِضَابَ ، فَأَشَارَ الْمَأْمُونُ إِلَى الْجَارِيَةِ ، فَقَالَتْ لَهُ : شَبَبَتْ  
يَا أَبَا دُلْفٍ ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ؛ فَسَكَتَ عَنْهَا أَبُو دُلْفٍ ، فَقَالَ لَهُ

أَلَمَأْمُونُ : أَجْنَبَهَا ؛ فَقَالَ [ وتنسب الأبيات للدبل الخزاعي ، من البسيط ] :

تَهَزَّأَتْ إِذْ رَأَتْ شَيْبِي ، فَقُلْتُ لَهَا : لَا تَهْزَيْ مَنْ يَطْلُ عُمُرٌ بِهِ يَشِبُ  
شَيْبُ الرِّجَالِ لَهُمْ زَيْنٌ وَمَكْرَمَةٌ وَشَيْبُكَ لَكِنَّ الْوَيْلُ فَأَكْتَيْبِي  
فِينَا لَكِنَّ - وَإِنْ شَيْبٌ بَدَا - أَرَبٌ وَلَيْسَ فَيَكُنْ بَعْدَ الشَّيْبِ مِنْ أَرَبٍ

\* \* \*

١٠٧٤ - وَقَالَ الْبُخْتَرِيُّ مُعَلَّلًا ظُهُورَ الشَّيْبِ بِصَدِّ الْحَبِيبِ وَهَجَرِهِ [من

الخفيف] :

عَيَّرْتَنِي الْمَشِيبَ وَهِيَ بَدَتْهُ فِي عِذَارِي بِالصَّدِّ وَالْاجْتِنَابِ  
لَا تَرِيهِ عَارًا فَمَا هُوَ بِأَلْ شَيْبٍ وَلَكِنَّهُ جَلَاءُ الشَّبَابِ  
وَيَبَاضُ الْبَازِي أَصْدَقُ حُسْنًا إِنْ تَأَمَّلْتَ مِنْ سَوَادِ الْغُرَابِ

\* \* \*

١٠٧٥ - وَقَالَ [من الخفيف] :

عَذَلْتَنِي فِي عَشِقِهَا أَمْ عَمِرُوا هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْعَاذِلِ الْمَعْشُوقِ  
وَرَأَتْ لِمَةً أَلَمَ بِهَا الشَّيْبُ بْ فَرِيعَتٌ مِنْ ظُلْمَةٍ فِي شُرُوقِ  
وَلَعَمْرِي لَوْ لَا الْأَفَاحِيُّ لِأَبْصَرِ تَ أَنْيَقَ الرِّيَاضِ غَيْرَ أَنْيَقِ  
وَسَوَادُ الْعُيُونِ لَوْ لَمْ يُحَجِّزْ هُ يَبَاضُ مَا كَانَ بِالْمَوْمُوقِ<sup>(١)</sup>  
وَمِزَاجُ الصَّهْبَاءِ بِالْمَاءِ أَمْلَى بِصُبُوحِ مُسْتَحْسَنِ وَغُبُوقِ  
أَيَّ لَيْلٍ يَبْهَى بِغَيْرِ نُجُومِ أَوْ سَحَابٍ تَنْدَى بِغَيْرِ بُرُوقِ !

\* \* \*

(١) حَجَرُهُ : دَارِيهِ ؛ وَالْمَوْمُوقُ : الْمَخْبُوبُ .

١٠٧٦ - وَقَالَ أَبُو هَفَّانَ<sup>(١)</sup> [من البسيط] :

تَعَجَّبْتُ دُرٌّ مِنْ شَيْبِي ، فَقُلْتُ لَهَا      لَا تَعْجَبِي فَيَبَاضُ الصُّبْحُ فِي السَّدَفِ<sup>(٢)</sup>  
وَزَادَهَا عَجَبًا أَنْ رُحْتُ فِي سَمَلٍ      وَمَا دَرْتُ دُرٌّ أَنَّ الدَّرَّ فِي الصَّدَفِ<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

١٠٧٧ - وَقَالَ مِهْيَارُ الدَّيْلَمِيِّ [من الطويل] :

أَرَاكَ تَرِيئِي نَاقِصًا وَتَقِصَّتِي      لَيَالٍ وَأَيَّامٌ عَلَيَّ تَزِيدُ  
لِكُلِّ جَدِيدٍ بِاعْتِرَافِكَ لَذَّةً      فَمَا لَكَ عِفْتُ الشَّيْبِ وَهُوَ جَدِيدُ

\* \* \*

مَنْ أَقْلَعَ عَنِ التَّصَابِي لَدَى ظُهُورِ الشَّيْبِ وَتَشْنِيعِهِمْ عَلَى التَّصَابِي بَعْدَ الْمَشِيبِ :

١٠٧٨ - قَالَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : مَا وَعَظَنِي شِعْرٌ مَا وَعَظَنِي مَا قَالَ

[ الدَّرِيدُ بْنُ الصَّمَّةِ ، من الطويل ] :

صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ      فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ أَبْعُدْ

\* \* \*

١٠٧٩ - وَقَالَ أَحْمَدُ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ [من الطويل] :

رَكِبْتُ الصَّبَا حَتَّى إِذَا مَا وَنَى الصَّبَا      نَزَلْتُ مِنَ التَّقْوَى بِأَكْرَمِ مَنْزِلِ  
وَدِينُ الْفَتَى بَيْنَ التَّشْكِ وَالْتِهَى      وَدُنِيَ الْفَتَى بَيْنَ الصَّبَا وَالتَّغْرِلِ

\* \* \*

(١) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَزْبِ الْمُهَزْمِيِّ الْعَبْدِيُّ [ ... - ٢٥٧هـ = ... - ٨٧١م ] ، رَاوِيَةٌ  
عَالِمٌ بِالشُّعْرِ وَالْغَرِيبِ ، وَشِعْرُهُ جَيِّدٌ ، إِلَّا أَنَّهُ مُقِلٌّ ، وَهُوَ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْهَاشِمِيَّةِ .

(٢) السَّدَفُ ، جَمْعُ سَدَفَةٍ ، وَهِيَ : الظُّلْمَةُ .

(٣) السَّمَلُ : الثُّوبُ الْخَلَقُ الْبَالِي .



١٠٨٠ - وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : فَلَانٌ وَضَعَ رِداءً مُجُونَهُ لَمَّا بَدَأَ الْفَجْرُ مِنْ لِيَالِي قُرُونِهِ .

\* \* \*

١٠٨١ - وَقِيلَ لِرَجُلٍ : أَلَا تَشْرَبُ ؟ فَقَالَ : فِي شَيْبِ الرَّأْسِ مَطْرَدَةٌ عَنْ الْكَأْسِ .

\* \* \*

١٠٨٢ - وَمِنْ كَلَامِهِمْ : ثَلَاثَةٌ كُلٌّ مِنْهَا يَقْتَضِي تَجَنُّبَ الصَّبَا : ظُهُورَ الشَّيْبِ ، وَالتَّحْضُنُ بِالتَّرْوِجِ ، وَالْحَجُّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ .

\* \* \*

١٠٨٣ - وَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ الْبَيْهَقِيُّ [ مِنْ الْبَسِيطِ ] :  
لَا عُذْرَ بَعْدَ عِذَارِ شَابٍ أَكْثَرُهُ فَالشَّيْبُ أَوْعَظُ إِعْذَارٍ وَإِنْذَارٍ

\* \* \*

١٠٨٤ - وَفِي الْأَثَرِ : « إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الشَّيْخَ الْغَرِيبَ » [ رَوَاهُ ابْنُ عَدِي فِي « الْكَامِلِ » ، وَالدِّيلَمِيُّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ « الْجَامِعُ الصَّغِيرُ » ، رَقْم : ١٨٥١ ؛ « كِتَابُ الْعَمَالِ » ، رَقْم : ١٧٣٣٥ ] .

الْغَرِيبُ : الَّذِي لَا يَشَيْبُ ، وَالْمُرَادُ : مَنْ يَعْمَلُ عَمَلًا مِنْ لِحْيَتِهِ سُودَاءَ ،  
يَعْنِي : عَمَلَ الشَّبَابِ مِنَ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَالتَّصَابِي وَالْإِكْبَابِ عَلَى الشَّهَوَاتِ .

\* \* \*

١٠٨٥ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ : حَانَ حَصَادِي وَلَمْ يَصْلُحْ فَسَادِي .

\* \* \*

١٠٨٦ - وَقَالَ شَاعِرٌ [من الخفيف] :

أَنْتَ فِي الْأَرْبَعِينَ مِثْلَكَ فِي الْعِشْرِ      رَيْنَ قُلْ لِي مَتَى يَكُونُ الْفَلَاحُ

\* \* \*

١٠٨٧ - وَقَالَ الْأَعْوَرُ الشَّنِّيُّ ، وَتُرْوَى لِيَزِيدَ بْنِ خَذَافٍ [من الوافر] :

إِذَا مَا الْمَرْءُ قَصَّرْتُمْ مَرَّتَ      عَلَيْهِ الْأَرْبَعُونَ مِنَ الرِّجَالِ  
وَلَمْ يَلْحَقْ مَصَالِحَهُمْ فَدَعَهُ      فَلَيْسَ بِلَاحِقٍ أُخْرَى أَلِّيَالِي

\* \* \*

١٠٨٨ - وَفِي مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ الْأَقْنَشُ - شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ - [من الطويل] :

إِذَا الْمَرْءُ وَفَى الْأَرْبَعِينَ وَلَمْ يَكُنْ      لَهُ دُونَ مَا يَأْتِي حَيَاءٌ وَلَا سِتْرُ  
فَدَعَهُ وَلَا تَنْفَسُ عَلَيْهِ الَّذِي أَرْتَأَى      وَإِنْ جَرَّ أَسْبَابَ الْحَيَاةِ لَهُ الدَّهْرُ<sup>(١)</sup>  
وَلَهُمْ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرٌ .

\* \* \*

١٠٨٩ - فِي قَوْلِهِمْ ، وَالْقَائِلُ هُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَيُّوبَ النَّيْمِيُّ [من

الطويل] :

إِذَا كَانَتْ الْخُمْسُونَ سِنَّكَ لَمْ يَكُنْ      لِدَائِكَ إِلَّا أَنْ تَمُوتَ طَبِيبُ  
وَإِنْ أَمَرًا قَدْ سَارَ خُمْسِينَ حِجَّةً      إِلَى مَنْهَلٍ مِنْ وَرْدِهِ لَقَرِيبُ  
إِذَا مَا مَضَى الْقُرْنُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِمْ      وَخُلِفْتَ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبُ

\* \* \*

(١) يُقَالُ : نَفِسْتُ عَلَيْهِ الشَّيْءَ أَنْفَسُهُ نَفَاسَةً ، وَنَفِسْتُ عَلَيْهِ بِهِ : إِذَا لَمْ تَرَهُ أَهْلًا لَهُ ، وَهَذَانِ  
الْبَيْتَانِ مِنْ أُبَيَّاتٍ أَوْرَدْنَاهَا فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْكِتَابِ [ ؟ ] ، وَنَسَبَهَا بَعْضُهُمْ لِأَيُّمَنَ بْنِ  
ضَرِيحِ بْنِ فَاتِكِ الْأَسَدِيِّ .

١٠٩٠ - يُقَالُ إِنَّ أَلْتَّيْمِي أَخَذَهَا مِنْ كَلِمَةٍ لِلْحَجَّاجِ كَتَبَهَا إِلَى قَتِيْبَةِ بْنِ مُسْلِمٍ ،  
وَهِيَ : إِنِّي نَظَرْتُ فِي عُمْرِي فَإِذَا أَنَا قَدْ بَلَغْتُ خَمْسِينَ سَنَةً ، وَأَنْتَ نَخْوِي فِي  
السَّنِّ ، وَإِنَّ أَمْرًا قَدْ سَارَ إِلَى مِنْهَلٍ خَمْسِينَ عَامًا لَقَمِنُ أَنْ يَكُونَ دَنَا مِنْهُ .

\* \* \*

١٠٩١ - وَنَخْتِمُ هَذَا الْمَعْنَى بِأَيَّاتِ جَمِيلَةٍ لِلشَّاعِرِ ابْنِ الرِّقَاعِ الْعَامِلِيِّ  
- شَاعِرُ أُمَوِيٍّ - [من الكامل] :

لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنْ رَأْسِي قَدْ عَسَا      فِيهِ الْمَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ  
فَكَأَنَّهَا بَيْنَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا      عَيْنِيهِ أَخَوْرُ مِنْ جَاذِرِ جَاسِمِ  
وَسَنَانُ أَقْصَدُهُ النَّعَاسُ فَرَنَّقْتُ      فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ  
يَضْطَاطُ يَقْظَانُ الرِّجَالِ حَدِيثُهَا      وَتُطِيرُ بِهَجَّتِهَا بَنُومَ الْحَالِمِ  
عَسَا فِيهِ الْمَشِيبُ : أَشْتَدَّ بَيَاضُهُ ، مِنْ عَسَا الْبَنَاتِ عُسْوًا ، عَلَى فُعُولٍ :  
أَشْتَدَّ وَغَلُظَ ؛ وَالْجَاذِرُ جَمْعُ جُوذِرٍ - يَفْتَحُ الذَّالِ وَضَمُّهَا - وَهُوَ وَلَدُ الْبَقَرَةِ  
الْوَحْشِيَّةِ ؛ وَجَاسِمُ : قَزِيَّةٌ بِالسَّامِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ دِمَشْقَ ثَمَانِيَّةُ فَرَاسِخَ ؛ وَأَقْصَدُهُ  
النَّعَاسُ : أَصَابَهُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : أَقْصَدُهُ : إِذَا رَمَاهُ بِسَهْمٍ فَلَمْ يُخْطِئْ مَقَاتِلَهُ ؛  
وَرَنَّقْتُ فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ ، مِنَ التَّرْنِيقِ ، بِمَعْنَى الْمُخَالَطَةِ .

\* \* \*

تَفَارِيقُ فِي الشَّيْبِ وَالشَّبَابِ :

١٠٩٢ - قَالَ الْمُتَنَبِّيُّ [من الرافع] :

إِذَا كَانَ الشَّبَابُ السُّكْرَ وَالشَّيْبَ      بٌ هَمًّا فَالْحَيَاءُ هِيَ الْحِمَامُ  
يَقُولُ : إِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ فِي شَبَابِهِ كَالسُّكَرَانِ لَهُوًا وَغَفْلَةً وَتَصَابِيًا وَجُنُونًا

مُسْتَعْرَاً ، وَفِي الْمَشِيبِ غَارِقاً فِي بَحْرِ مِنَ الْهَمِّ لِضَعْفِهِ وَتَلَفْتِهِ لِمَا فَاتَ مِنْ عُمُرِهِ ، وَلَأنَّهُ يَجْزُرُ وَرَاءَهُ سِنِينَ كَثُراً مُوقَرَةً بِالْآلَامِ وَغَيْرِ الدَّهْرِ فَإِنَّ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَوْتُ ، يَعْنِي : إِنَّ الْحَيَاةَ فِي الدُّنْيَا مُنْغَصَّةٌ مُكَدَّرَةٌ .

\* \* \*

١٠٩٣ - وَقَالَ الْمُتَنَبِّي [من الطويل] :

مُسِبُّ الَّذِي يَبْكِي السَّبَابَ مُشِيبُهُ      فَكَيْفَ تَوَقَّيْهِ وَبَانِيهِ هَادِمُهُ  
وَتَكْمِلَةُ الْعَيْشِ الْأَصْبَا وَعَقِيبُهُ      وَغَائِبُ لَوْنِ الْعَارِضِينَ وَقَادِمُهُ  
وَمَا خَضَبَ النَّاسُ الْبَيَاضَ لِأَنَّهُ      قَبِيحٌ وَلَكِنْ أَحْسَنُ الشُّعْرِ فَاحِمُهُ

[ راجع رقم : ١٠٥٥ ] .

يَقُولُ : إِنَّ الَّذِي يَجْزَعُ عَلَى فَقْدِ السَّبَابِ وَيَبْكِيهِ إِنَّمَا أَشَابَهُ مِنْ أَشْبَهَ ؛  
وَالشَّيْبُ حَصَلَ مِنْ لَدُنْ مَنْ حَصَلَ مِنْهُ السَّبَابُ ، فَكَيْفَ السَّيْلُ إِلَى التَّوَقِّي مِنْ  
الْمَشِيبِ وَالَّذِي بَنَى السَّبَابَ هُوَ الَّذِي هَدَمَهُ ، وَهَذَا الْمَعْنَى يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ ابْنِ  
الرُّومِي [من الطويل] :

تُضْغِضُهُ الْأَوْقَاتُ وَهِيَ بَقَاؤُهُ      وَتَغْتَالُهُ الْأَقْوَاتُ وَهِيَ لَهُ طَعْمُ  
إِذَا مَا رَأَيْتَ الشَّيْءَ يُبْلِيهِ عُمُرُهُ      وَيُفْنِيهِ أَنْ يَبْقَى فِي دَائِهِ عَقْمُ  
ثُمَّ قَالَ الْمُتَنَبِّي فِي الْبَيْتِ الثَّانِي : وَتَمَامُ الْعَيْشِ هُوَ الْأَصْبَا وَمَا يَتْلُوهُ مِنْ  
بُلُوغِ الْأَشَدِّ حَتَّى يَكُونَ يَافِعاً مُتَرَعِّعاً إِلَى أَنْ يَخْتَلِفَ إِلَى عَارِضِيهِ لَوْنَا سَوَادٍ  
وَبَيَاضٍ ، يُرِيدُ الْمُتَنَبِّي الْحَضَّ عَلَى السُّكُونِ إِلَى الشَّيْبِ وَالرِّضَا بِهِ .

\* \* \*

١٠٩٤ - [ وَقَالَ الْمُتَنَبِّي ، من الطويل ] :

مُنَى كُنَّ لِي أَنَّ أَلْيَاضَ خِضَابُ      فَيُخْفَى بِتَيِّضِ الْقُرُونِ شَبَابُ  
 لَيَالِي عِنْدَ أَلْيَاضِ فَوْدَايَ فِتْنَةُ      وَفَخْرٌ وَذَاكَ أَلْفَخْرُ عِنْدِي عَابُ  
 فَكَيْفَ أَذُمُّ أَلْيَوْمَ مَا كُنْتُ أَشْتَهِي      وَأَدْعُو بِمَا أَشْكُوهُ حِينَ أَجَابُ  
 جَلَا أَلَّلُونُ عَنْ لَوْنِ هَدَى كُلِّ مَسْلَكِ      كَمَا أَنْجَابَ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ ضَبَابُ  
 وَفِي الْجِسْمِ نَفْسٌ لَا تَشِيبُ بِشَيْبِهِ      وَلَوْ أَنَّ مَا فِي أَلْوَجْهِ مِنْهُ حِرَابُ  
 لَهَا ظُفْرٌ إِنْ كَلَّ ظُفْرُ أَعْدُوهُ      وَنَابُ إِذَا لَمْ يَبْقَ فِي أَلْفَمِ نَابُ  
 يُعَيِّرُ مِنِّي أَلْدَهْرُ مَا شَاءَ غَيْرَهَا      وَأَبْلُغُ أَقْصَى أَلْعُمْرِ وَهِيَ كَعَابُ

قوله : مُنَى كُنَّ لِي أَنَّ أَلْيَاضَ خِضَابُ ، أَلْبَيْتُ ؛ فَالْقُرُونُ : ضَفَائِرُ  
 أَلشَّعْرِ ؛ يَقُولُ : إِنْ مَشِيبِي هَذَا وَكَوْنُ أَلْيَاضِ خِضَابًا لِي يُخْفَى بِهِ سَوَادُ شَعْرِي  
 مِنِّي كَانَتْ لِي قَدِيمًا ، يَعْنِي : إِنَّهُ كَانَ يَتَمَتَّى أَلشَّيْبَ مِنْ قَدِيمٍ لِيُخْفَى شَبَابُهُ  
 بِأَبْيَاضِ شَعْرِهِ ، وَلِأَنَّهُ أَوْقَرَ وَأَجَلُّ فِي أَلْعَيْنِ ؛ وَقَوْلُهُ : لَيَالِي عِنْدَ أَلْيَاضِ  
 فَوْدَايَ فِتْنَةُ ، أَلْبَيْتُ ؛ فَأَلْيَاضُ : أَلنِّسَاءُ ؛ وَأَلْفَوْدَانِ : جَانِبَا أَلرَّأْسِ ؛  
 وَأَلْعَابُ : أَلْعَيْبُ ؛ يَقُولُ : إِنْ تَمَتَّى أَلْمَشِيبُ كَانَ فِي أَللَّيَالِي أَلَّتِي كَانَ شَعْرُ  
 رَأْسِهِ فِيهَا لَدَى أَلنِّسَاءِ فِتْنَةً ، لِحُسْنِ شَعْرِهِ وَفِتْنَتِهِ ، وَكُنَّ يَفْخَرُونَ بِوَضْلِي ، غَيْرَ  
 أَنَّ ذَلِكَ أَلْفَخْرَ عَيْنٍ عِنْدِي ، لِأَنِّي مِمَّنْ يَعْفُ عَنْ أَلنِّسَاءِ وَيَرْغَبُ عَنْ وَصَالِهِنَّ ،  
 وَأَلشَّيْبُ أَوْقَرُ وَأَلشَّيْبَةُ أَنْزَقُ . ثُمَّ قَالَ فِي أَلْبَيْتِ أَلثَّالِثِ : فَكَيْفَ أَذُمُّ أَلْمَشِيبَ  
 أَلْيَوْمَ وَقَدْ كُنْتُ أَتَمَنَّاؤُهُ ! وَكَيْفَ أَدْعُو لِنَفْسِي وَأَطْلُبُ لَهَا مَا إِذَا أُجِئْتُ إِلَيْهِ  
 شَكْوَتُهُ ! يَعْنِي : لَا يَتَبَغَّى أَنْ أَشْكُو أَلشَّيْبَ أَنْتِهَاءً وَقَدْ تَمَتَّيْتُهُ أَيْتِدَاءً ؛ وَقَدْ سَمَتَ  
 فِي هَذَا سَمَتَ أَبْنِ أَلرُّومِيِّ فِي قَوْلِهِ [مِن الطويل] :

هِيَ أَلْأَعْيُنُ أَلنُّجْلُ أَلَّتِي كُنْتُ تَشْتَكِي      مَوَاقِعَهَا فِي أَلْقَلْبِ وَأَلرَّأْسِ أَسْوَدُ  
 فَمَا لَكَ تَأْسَى أَلآنَ لَمَّا رَأَيْتَهَا      وَقَدْ جَعَلْتَ مَرْمَى سِوَاكَ تَعَمَّدُ

وَقَوْلُ الْمُتَنَبِّي : جَلَا اللَّوْنُ عَنْ لَوْنٍ هَدَى كُلَّ مَسَلِكٍ ، أَلْبَيْتَ ؛ فَجَلَا : زَالَ وَأُنْكَشَفَ ، وَاللَّوْنُ فَاعِلٌ ، يَقُولُ : إِنْ بَيَاضَ الشَّيْبُ كَانَ كَأَنَّهُ كَامِنٌ فِي السَّوَادِ ، فَلَمَّا زَالَ السَّوَادُ عَنْهُ بَدَأَ وَأُنْكَشَفَ ، فَاهْتَدَى صَاحِبُهُ إِلَى كُلِّ طَرِيقٍ مِنَ الرُّشْدِ وَالْخَيْرِ ، كَالنَّهَارِ إِذَا جَلَا عَنْهُ الضُّبَابُ اهْتَدَى السَّالِكُ فِي ضَوْئِهِ . وَقَوْلُهُ : وَفِي الْجِسْمِ نَفْسٌ لَا تَشِيبُ بِشَيْبِهِ ... الْأَبْيَاتُ الثَّلَاثَةُ ؛ لَمَّا ذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ يَتَمَنَّى الشَّيْبَ - وَالشَّيْبُ فِيهِ الضَّعْفُ وَالْعَجْزُ - ذَكَرَ أَنَّ هِمَّتَهُ لَا تَشِيبُ وَلَا يَنَالُ مِنْهَا الضَّعْفُ بِشَيْبِ جِسْمِهِ ، وَلَوْ أَنَّ الشَّعْرَاتِ الْبَيْضَ فِي وَجْهِهِ كَانَتْ حِرَابًا ؛ ثُمَّ قَالَ فِي أَلْبَيْتِ الْتَالِي : إِنْ كُلُّ ظُفْرِي وَلَمْ يَبْقَ فِيَّ نَابٌ ، مِنْ الْكِبَرِ فَهَمَّتِي لَا يَكِلُ ظُفْرُهَا وَلَا يَذْهَبُ نَابُهَا ؛ ثُمَّ قَالَ فِي أَلْبَيْتِ الْآخِرِ : إِنْ نَفْسِي شَابَةً أَبَدًا لَا يُغَيِّرُهَا الدَّهْرُ وَإِنْ تَغَيَّرَ جِسْمِي .

\* \* \*

١٠٩٥ - وَمِنْ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ - وَهُوَ مِنْ مَعَانِيهِ الَّتِي فَتَقَهَا - قَوْلُهُ يَعِيبُ مَنْ تَعَلَّلَ بِالتَّاسِي بِمَا نَالَ غَيْرَهُ وَهُوَ يَزِي شَبَابَهُ ، وَقَدْ صَدَقَ وَأَحْسَنَ [مِنْ الْخَفِيفِ] :

يَا شَبَابِي وَأَيْنَ مِنِّي شَبَابِي	أَذِنْتَنِي جِبَالُهُ بِأَنْفِصَابِ
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى نَعِيمِي وَلَهْوِي	تَحْتَ أَفْنَانِهِ اللَّدَانِ الْكَرْطَابِ
وَمُعْزٍ عَنِ الشَّبَابِ مُؤَسَّ	بِمَشِيبِ اللَّدَاتِ وَالْأَصْحَابِ
قُلْتُ لَمَّا أَنْتَحَى يَعْدُ أَسَاهُ	مِنْ مُصَابِ شَبَابِهِ فَمُصَابِ
لَيْسَ تَأْسُو كُلُّوْمُ غَيْرِي كُلُّوْمِي	مَا بِهِ مَا بِهِ وَمَا بِي مَا بِي

\* \* \*

١٠٩٦ - وَقَالَ الْعُنَيْبِيُّ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

مَنْ عَاشَرَ أَخْلَقَتْ الْأَيَّامُ جِدَّتَهُ      وَخَانَهُ الثَّقَتَانِ : أَسْمَعُ وَالْبَصَرُ

قَالَتْ : عَهْدُكَ مَجْنُونًا ، فَقُلْتُ لَهَا : إِنَّ الشَّبَابَ جُنُونٌ بُرْؤُهُ الْكِبَرُ

\* \* \*

١٠٩٧ - وَقَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ [من مجزوء الكامل] :

الْمَرْءُ يَأْمُلُ أَنْ يَعِيَ      شَ وَطُولُ عَيْشٍ قَدْ يُضُرُّهُ  
تَفْنِي بِشَاشَتِهِ وَيَأْتِي      بَعْدَ حُلُوِّ الْعَيْشِ مُرُّهُ  
وَتَسْوُهُ الْأَيَّامُ حَتَّى      مَا يَرَى شَيْئًا يَسُرُّهُ

\* \* \*

١٠٩٨ - وَقَالَ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ تَوْفِيقُ الْبَكْرِيُّ [من المتقارب] :

زَمَانٌ إِذَا مَا تَذَكَّرْتُهُ      تَخَيَّلْتُهُ حُلُمًا فِي الْكَرَى  
وَعَهْدُ الشَّبَابِ كَرُوبًا إِذَا      مَضَتْ أَذْرَكْتُهَا نَفْسُ الْوَرَى

\* \* \*

١٠٩٩ - وَقَالَ [من مجزوء الرجز] :

أَشْغَرَهُ بَيْضَاءُ أُمِّ      أَوَّلُ خَيْطِ الْكَفِّ  
أَمْ تِلْكَ سَهْمٌ مُرْسَلٌ      لَا يُتَّقَى بِالْجَنَنِ  
وَالزَّرْعُ إِنْ هَاجَ فَقَدْ      حَانَ الْخَصَادُ وَأَنِي

\* \* \*

١١٠٠ - وَبَدِيعُ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ [من الطويل] :

كَفَى بِسِرَاجِ الشَّيْبِ لِلرَّأْسِ هَادِيًا      لِمَنْ قَدْ أَضَلَّتْهُ الْمَنَايَا لِيَالِيَا  
أَمِنْ بَعْدِ إِبْدَاءِ الْمَشِيبِ مَقَاتِلِي      لِرَامِي الْمَنَايَا تَحْسَبُنِي نَاجِيَا

غَدَا الدَّهْرُ يَزِمْنِي فَتَذْنُو سِهَامُهُ لِسَخْصِي أَخْلِقُ أَنْ يَصْبَنَ سَوَادِيَا<sup>(١)</sup>  
وَكَانَ كَرَامِي اللَّيْلِ يَزِمِي وَلَا يَرَى فَلَمَّا أَضَاءَ الشَّيْبُ شَخْصِي رَمَانِيَا

\* \* \*

١١٠١ - وَكَانَ مِنْ عَادَةِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَلْبَسُوا الْبَيَاضَ عَلَى  
الْمُتَوَفَّى ، قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ فِي « الدَّخِيرَةِ » : وَفِي هَذَا يَقُولُ الْخُلَوَانِيُّ [من الوافر] :  
لَيْسَ كَانَ الْبَيَاضُ لِبَاسَ حُزْنٍ بِأَنْدَلُسٍ فَذَاكَ مِنَ الصَّوَابِ  
أَلَمْ تَرَنِي لِبَسْتُ بَيَاضَ شَيْبِي لِأَنِّي قَدْ حَزَنْتُ عَلَى الشَّبَابِ

\* \* \*

١١٠٢ - وَقَالَ ابْنُ بَسَّامٍ :

وَقَدْ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى بَعْضُ أَهْلِ عَصْرِنَا ، وَهُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ قَاسِمٍ  
الْمُحَدِّثُ بِقَرْطَبَةِ ، فَقَالَ [من الكامل] :

قَالَتْ وَقَدْ نَظَرْتُ فَرَوْعَهَا شَيْبٌ عَلَى فَوْدِي مُنْتَشِرٌ  
مَا شَأْنُ ذَاكَ الْبَيَاضِ ؟ قُلْتُ لَهَا : مَاتَ الشَّبَابُ فَبَيَّضَ الشَّعْرُ

\* \* \*

١١٠٣ - وَقَالَ عَوْفُ بْنُ مُحَلِّمٍ الْخُزَاعِيُّ أَوْ الشَّيْبَانِيُّ وَقَدْ دَخَلَ عَلَى الْأَمِيرِ  
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ ، فَلَمْ يَسْمَعْ ، فَأَعْلِمَ بِذَلِكَ ، فَأَنْشَدَ هَذِهِ  
الْأَبْيَاتَ ، وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُ أَرْتَجَلَهَا أَرْتِجَالًا [من السريع] :

يَا ابْنَ الَّذِي دَانَ لَهُ الْمَشْرِقَانِ طُرّاً وَقَدْ دَانَ لَهُ الْمَغْرِبَانِ  
إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلُغَتْهَا قَدْ أَخَوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانِ

(١) سَوَادِيَا : شَخْصِي ، فَالسَّوَادُ : الشَّخْصُ .



وَبَدَّلْتَنِي بِالشَّطَاطِ أَنْحَنِي      وَكُنْتُ كَالصَّعْدَةِ تَحْتَ السَّنَانِ<sup>(١)</sup>  
وَبَدَّلْتَنِي مِنْ زَمَاعِ الْفَتَى      وَهَمَّتِي هَمَّ الْجَبَانِ الْهَدَانِ<sup>(٢)</sup>  
وَقَارَبْتُ مِنِّي خُطَا لَمْ تَكُنْ      مُقَارِبَاتٍ وَثُتْ مِنْ عِنَانِ  
وَأَنْشَأْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْوَرَى      عَنَانَةً مِنْ غَيْرِ نَسْجِ الْعَنَانِ<sup>(٣)</sup>  
وَلَمْ تَدْعُ فِي لِمُسْتَمْتِعٍ      إِلَّا لِسَانِي وَبِحَسْبِي لِسَانِ  
أَدْعُو بِهِ اللَّهَ وَأُنْثِي بِهِ      عَلَى الْأَمِيرِ الْمُضْعَبِيِّ الْهَجَانِ<sup>(٤)</sup>  
فَقَرَّبَانِي بِأَبِي أَنْتَمَا      مِنْ وَطَنِي قَبْلَ أَصْفِرَارِ الْبَنَانِ<sup>(٥)</sup>  
وَقَبْلَ مَنْعَايَ إِلَى نِسْوَةٍ      أَوْطَانُهَا حَرَّانُ وَالرَّقَّتَانِ<sup>(٦)</sup>

\* \* \*

١١٠٤ - وَقَالَ النَّمِرُ بْنُ تَوَلِّبٍ - شَاعِرٌ مُحْضَرٌ ، وَفَدَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

- (١) الشَّطَاطُ : حُسْنُ الْقَوَامِ وَالْإِعْتِدَالُ ؛ وَالصَّعْدَةُ : الْقَنَاطَةُ الْمُسْتَوِيَّةُ تَنْبُتُ كَذَلِكَ لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَثْقِيفٍ .  
(٢) الزَّمَاعُ : الْمَضَاءُ فِي الْأَمْرِ وَالْعَزْمِ عَلَيْهِ ؛ وَالْهَدَانُ : الْأَخْمَقُ الْجَافِي ، الْوَحِيمُ الثَّقِيلُ فِي الْحَرْبِ .  
(٣) الْعَنَانُ ، يَفْتَحُ الْعَيْنَ : السَّحَابُ ، وَاجِدَتْهُ عَنَانَةٌ ؛ يُشِيرُ بِهَذَا إِلَى ضَعْفِ بَصَرِهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَرَى النَّاسَ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ سَحَابَةٍ .  
(٤) الْهَجَانُ : الْكَرِيمُ .  
(٥) قَبْلَ أَصْفِرَارِ الْبَنَانِ ، أَيِ : قَبْلَ الْمَوْتِ .  
(٦) هُوَ عَوْفُ بْنُ مُحَلِّمٍ ، مَوْلَى بَنِي أُمَيَّةَ ، وَيُقَالُ : مَوْلَى بَنِي شَيْبَانَ الْجَزْرِيِّ الْخَزَائِيُّ ، يُكْنَى أَبَا الْمِنْهَالِ ، شَاعِرٌ مُجِيدٌ مِنْ شُعَرَاءِ الدَّوْلَةِ الْهَاشِمِيَّةِ ، أَدْرَكَ سِنًا بِالْجَزِيرَةِ ، ثُمَّ قَدِمَ الْعِرَاقَ ، وَاتَّصَلَ بِذِي الْأَيْمَنِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ وَالِدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَكَانَ سَبَبَ اتِّصَالِهِ بِهِ أَنَّهُ نَادَى عَلَى الْجَيْشِ بِبَغْدَادَ أَيَّامَ الْفَتْحِ بِهَذِهِ الْآيَاتِ [ وَتَسَبُّ لِدَعْبِلِ الْخَزَاعِي ، مِنْ الْوَافِرِ ] :  
عَجِبْتُ لِحَرَّاقَةِ ابْنِ الْحُسَيْنِ      مِنْ كَيْفِ تَعُومُ وَلَا تَغْرَقُ  
وَبَخْرَانٍ مِنْ تَحْتِهَا وَاحِدٌ      وَآخَرُ مِنْ فَوْقِهَا مُطَبَّقُ  
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ عِيْدَانُهَا      وَقَدْ مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ

وَأَسْلَمَ - [من الطويل] :

تَدَارَكَ مَا قَبَلَ الشَّبَابِ وَبَعْدَهُ      حَوَادِثُ أَيَّامٍ تَمُرُّ وَأَغْفُلُ  
يَوْمُ الْفَتَى طُولَ السَّلَامَةِ جَاهِدًا      فَكَيْفَ يَرَى طُولَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ  
يَرُدُّ الْفَتَى بَعْدَ اغْتِدَالٍ وَصِحَّةٍ      يُسَوِّءُ إِذَا رَامَ الْقِيَامَ وَيُحْمَلُ

\* \* \*

١١٠٥ - وَقَالَ حُمَيْدُ بْنُ نُزْرِ الْهَلَالِيُّ [من الطويل] :

أَرَى بَصْرِي قَدْ رَابَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ      وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا  
وَلَا يَلْبَثُ الْعَضْرَانِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ      إِذَا طَلَبَا أَنْ يُذْرِكَمَا تَيْمَمًا

\* \* \*

١١٠٦ - وَقَالَ أَبُو حَيَّةَ التَّمِيمِيُّ [من الطويل] :

أَلَا حَيٍّ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمَغَانِيَا      لَيْسَنَ الْبَلَى مِمَّا لَيْسَنَ الْبَالِيَا  
إِذَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ      تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا

\* \* \*

١١٠٧ - وَقَالَ بَعْضُ شُعَرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ [هُوَ عَمْرُو بْنُ قُمَيْئَةَ ، من الكامل] :

كَأَنْتَ قَتَاتِي لَا تَلِينُ لِغَامِرٍ      فَالْأَنَّهُا لِإِضْبَاحٍ وَالْإِنْسَاءِ  
وَدَعَوْتُ رَبِّي فِي السَّلَامَةِ جَاهِدًا      لِيُصَحِّحَنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءٌ

\* \* \*

١١٠٨ - وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « كَفَى بِالسَّلَامَةِ دَاءً »<sup>(١)</sup> [رواه الدَّيْلَمِيُّ فِي

(١) يُرِيدُ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ أَنَّهُ إِذَا أَمْتَدَّ بِالْمَرْءِ الْعُمُرُ وَبَلَغَ مِنَ الْكِبَرِ عِتْيًا ، كَانَ هَذَا الْكِبَرُ الْمُسَبِّبُ =

« مسند الفردوس » ، عن ابن عباس ؛ « الجامع الصغير » ، رقم : ٦٢٣٤ ؛ « كنز العمال » ، رقم :

[ ٦٦٩٢ ] .

\* \* \*

١١٠٩ - وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : كَيْفَ حَالُكَ ؟ فَقَالَ : مَا حَالُ مَنْ يَفْنَى بِبَقَائِهِ ، وَيَسْقُمُ بِسَلَامَتِهِ ، وَيُؤْتَى مِنْ مَأْمَنِهِ ! .

\* \* \*

١١١٠ - وَحَدَّثَ مُجَمِّعُ بْنُ يَعْقُوبَ الْأَنْصَارِيُّ ، قَالَ : أَذْرَكْتُ حَسَانَ بْنَ الْغَدِيرِ شَيْخًا كَبِيرًا مِنْ أَجْمَلِ الشُّيُوخِ وَأَحْسَنِهِمْ ، فَحَدَّثَنِي ، قَالَ : سَارَتْ عَلَيْنَا سَائِرَةٌ مِنْ بَنِي جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ ، فَرَأَيْتُ فِيهِمْ فَتَاةً مَا رَأَيْتُ فِي نِسَاءِ الْعَرَبِ مِثْلَهَا حُسْنًا ، فَكُنْتُ أَخْطُبُهَا ، فَلَمْ يَقْدَرْ لِي تَرْوِيجُهَا ، فَضَرَبَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا ، فَإِنِّي بَعْدَ ذَلِكَ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً لَفِي بِلَادِي إِذْ أَهْلُوهَا قَدْ سَارُوا ، وَإِذَا بِهَا عَجُوزٌ تَسْأَلُ عَنِّي ،

عَنِ السَّلَامَةِ وَالْعَاقِبَةِ دَاءٌ مِنْ أَخْبَثِ الْأَدْوَاءِ لِمَا يَنْبَغُ الْكِبَرُ مِنَ الضَّعْفِ وَالْتِهَاشِ وَمَا إِلَيْهِمَا ؛ وَثَمَّةٌ مَعْنَى آخَرَ لِعَلَّهُ يُرِيدُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ أَنَّ الْحَيَاةَ الْإِنْسَانِيَّةَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى أَنَّ بَعْضَ الضَّعْفِ نَافِعٌ لَهَا ، فَلَوْ سَلِمَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْأَدْوَاءِ فَكَفَى بِسَلَامَتِهِ دَاءٌ ، لِأَنَّ السَّلَامَةَ تُفْسِدُ فِيهِ بَعْضَ الْغَرَائِزِ الْكَرِيمَةِ ، فَيَبْطُرُ وَيَطْغَى ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُشَاهَدُ فِي أَهْلِ الْغُرُورِ ، وَعِبَارَةُ الْمُنَاوِي شَارِحِ « الْجَامِعِ الصَّغِيرِ » : لِأَنَّ دَوَامَ سَلَامَةِ الْعَبْدِ فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ مِنَ الْمَصَابِ ثَوْرَتُهُ الْبَطَرُ وَالْعُجْبُ وَالْكَبَرُ وَتُحِبُّ إِلَيْهِ الدُّنْيَا . لِمَا يَأْلَفُهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ ، وَحُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَالتَّمَتُّعُ بِالشَّهَوَاتِ الْمُبَاحَاتِ يَحْجُبُ الْقُلُوبَ عَنِ الْآخِرَةِ وَكُلُّ ذَلِكَ يُسْقِمُ الدِّينَ ، وَيُكَدِّرُ الْإِيمَانَ ، وَيُخْرِجُ إِلَى الطُّغْيَانِ ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ طَافٍ ﴾ ﴿ ٦٦ ٥٦ ﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَقْبَلَ ﴿ ٩٦ ﴾ سورة العلق / الْآيَتَانِ : ٦ و ٧ . لَكِنَّ هَذَا لَا يُنَافِي طَلَبَ الْعَاقِبَةِ الْمَأْمُورَ بِهِ فِي عِدَّةِ أَحَادِيثَ ، لِأَنَّ الْمَطْلُوبَ عَاقِبَةً سَلِيمَةً الْعَاقِبَةِ مِمَّا ذَكَرَ .

وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ مَعْنَى الْحَدِيثِ : أَنَّ حُبَّ السَّلَامَةِ دَاءٌ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنْ رُكُوبِ الْغَرَرِ وَافْتِحَامِ الْخَطَرِ ، فِي عِزَّةِ الْمَجْدِ وَكَتْسَابِ الْحَمْدِ ، مُحَافَظَةً عَلَى صِحَّتِهِ وَسَلَامَتِهِ ؛ وَالْدَّاءُ : الْعَيْبُ ؛ وَمِنْهُ حَدِيثُ أُمِّ رَزْعٍ « كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ » تُرِيدُ : كُلُّ عَيْبٍ يَكُونُ فِي الرِّجَالِ فَهُوَ عَيْبٌ فِيهِ .

فَلَمَّا دَفَعَتْ إِلَيَّ وَرَأْتُ كِبَرِي ، قَالَتْ : أَأَنْتَ ابْنُ الْغَدِيرِ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ،  
قَالَتْ : لَقَدْ أَكَلَ الذَّهْرُ عَلَيْكَ وَشَرِبَ ! قَالَ : فَذَلِكَ قَوْلِي فِيهَا وَقَدْ كَبِرْتُ أَيْضاً  
وَتَغَيَّرْتُ [من الكامل] :

قَالَتْ أُمَامَةُ يَوْمَ بُرْقَةِ وَاسِطٍ : يَا ابْنَ الْغَدِيرِ لَقَدْ جَعَلْتَ تَنَكُّرُ  
أَصْبَحْتَ بَعْدَ شَبَابِكَ الْغَضُّ الَّذِي  
شَيْخاً دِعَامَتُهُ الْعَصَا وَمُشِيْعاً  
فَأَجَبْتُهَا أَنْ مَنْ يُعَمَّرُ يَعْتَرِفُ  
وَلَقَدْ رَأَيْتُ شَبِيهَ مَا عَيَّرْتَنِي  
وَجَعَلْتُ يُغْضِبُنِي الْيَسِيرُ وَمَلَّنِي  
وَشَرِبْتُ فِي الْقَنْبِ الصَّغِيرِ وَقَادَنِي  
يا ابْنَ الْغَدِيرِ لَقَدْ جَعَلْتَ تَنَكُّرُ  
وَلَّتْ شَبِيَّتُهُ وَغَضُنْكَ أَخْضَرُ  
لَا تَبْتَغِي خَبَراً وَلَا تُسْتَخْبِرُ<sup>(١)</sup>  
مَا تَزْعُمِينَ وَيَتُبُّ عَنْهُ الْمُنْظَرُ  
يَسْرِي عَلَيَّ بِهِ الزَّمَانُ وَيُبَكِّرُ  
أَهْلِي وَكُنْتُ مُكْرَماً لَا أَكْهَرُ<sup>(٢)</sup>  
نَحْوَ الْجَمَاعَةِ مِنْ بَنِي الْأَصْغَرُ

\* \* \*

الشَّبَابُ وَالشَّبَبُ وَالْكِبَرُ فِي اللُّغَةِ :

١١١١ - الْمَرْءُ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِينَ وَالْأَرْبَعِينَ فَهُوَ شَابٌّ ، ثُمَّ هُوَ كَهْلٌ إِلَى  
أَنْ يُسْتَوْفِيَ السَّنَّ ، وَيَقُولُونَ : فَلَانٌ نَاهَزَ الْأَرْبَعِينَ ، أَوْ الْخَمْسِينَ ، وَحَبَا  
لَهَا : إِذَا دَنَا لَهَا وَلَمْ يَبْلُغْهَا ، وَيَتَّفَعُ عَلَى الْخَمْسِينَ ، وَذَرَفَ ، وَأَرْقَى ،  
وَأَوْفَى ، وَأَرْبَى ، وَأَرْتَقَى ؛ كُلُّ هَذَا : جَاوَزَهَا وَزَادَ عَلَيْهَا ؛ فَإِذَا أُسْتَبَانَ فِيهِ  
السَّنُّ فَهُوَ شَيْخٌ ، وَقِيلَ : هُوَ شَيْخٌ مِنْ خَمْسِينَ إِلَى آخِرِ عُمُرِهِ ، وَالْمُخْلَدُ :  
الَّذِي أَسَنَّ وَلَمْ يَشِبْ ، فَإِذَا أُرْتَفَعَ عَنْ ذَلِكَ فَهُوَ مِسْنٌ وَنَهْشَلٌ ، وَإِذَا قَارَبَ  
الْخَطْوَ وَضَعُفَ قِيلَ : دَلَفَ يَذْلِفُ دَلْفًا وَدَلِيفًا ، وَيُقَالُ لِلشَّيْخِ إِذَا أَنْحَنَى : قَدْ

(١) مُشِيْعاً : يُرِيدُ قَوِيّاً بَعْصَاهُ ، أَيِ : إِنَّ الْعَصَا تُشَجِّعُهُ وَتُقَوِّيه .

(٢) أَكْهَرُ : أَتَاهُ .

رَقَعَ الشَّنَّ وَسَاقَ الْعَنَزَ ، وَكَذَلِكَ : قَوْسَ وَتَقَوْسَ وَهُوَ أَقْوَسُ ، فَإِذَا بَلَغَ أَقْصَى مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ هَمٌّ ، مِنْ قَوْمِ أَهْمَامٍ ، وَمِثْلُهُ : الْهَرِمُ ، فَإِذَا ذَهَبَ عَقْلُهُ فَهُوَ خَرِفٌ . وَهُنَالِكَ أَخْرَفْتُ كَثِيرَةً فِي هَذَا الْمَعْنَى لَا دَاعِيَ لِإِيرَادِهَا لِأَنَّهَا غَرِيبَةٌ .

وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ أَوَّلَ مَا يَظْهَرُ الشَّيْبُ بِهِ : قَدْ وَخَطَهُ الشَّيْبُ ، وَرَجُلٌ أَشِيبُ وَأَشْمَطُ ؛ وَمِنْ قَوْلِهِمْ : شَيْبٌ شَائِبٌ ، يُرِيدُونَ الْمُبَالَغَةَ ، وَشَيْبَ الْهَمِّ مَثَلًا رَأْسُهُ ؛ فَإِذَا زَادَ قِيلَ : قَدْ خَوَّصَهُ الشَّيْبُ وَخَصَّفَهُ ، وَقَدْ تَلَفَعَ بِالشَّيْبِ .

\* \* \*

الَّلْحَى وَالشَّوَارِبُ وَالصَّلَعُ :

١١١٢ - جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « أَخْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللَّحَى »

[ البخاري ، رقم : ٥٨٩٣ ؛ مسلم ، رقم : ٢٥٩ ] .

أَخْفُوا ، يَقْطَعُ الْهَمْزَةَ وَوَضْلَهَا ، مِنْ أَخْفَاهُ وَخَفَاهُ : اسْتَأْصَلَهُ ؛ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ : مِنَ الْإِخْفَاءِ ، وَأَصْلُهُ الْأَسْتِفْصَاءُ فِي اخْتِذِ الشَّارِبِ ، وَفِي مَعْنَاهُ : أَنَّهُكُوا الشَّوَارِبَ ، فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى ، وَالْإِنْهَاكُ : الْمُبَالَغَةُ فِي الشَّيْءِ ، وَالْمُرَادُ : بِالْعُغْوِ فِي قِصِّ مَا طَالَ مِنْهُمَا حَتَّى تَتَبَيَّنَ الشَّقَّةُ بَيَانًا ظَاهِرًا ؛ نَذْبًا . وَقِيلَ : وَجُوبًا . أَمَّا حَلْقُهُ بِالْكَلْبَةِ فَمَكْرُوهٌ عَلَى الْأَصَحِّ عِنْدِ الشَّافِعِيَّةِ ، وَصَرَّحَ مَالِكٌ بِأَنَّهُ بِدْعَةٌ . وَأَخَذَ الْحَنْفِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ بِظَاهِرِ الْخَبَرِ ، فَسُئِلُوا حَلْقَهُ . أَمَّا قَوْلُهُ : وَأَعْفُوا اللَّحَى ، فَالْإِعْفَاءُ : أَنْ يُوقَرَ شَعْرُهَا وَيُكَثَّرَ وَلَا يُقَصَّ ، يُقَالُ : أَعْفَيْتُهُ وَعَقَيْتُهُ - لُعْتَانِ - إِذَا فَعَلْتَ بِهِ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا حَثُّوا عَلَى إِعْفَاءِ اللَّحَى لِأَنَّ فِي ذَلِكَ جَمَالَاً لِلْوَجْهِ ، وَزِينَةً لِلرَّجُلِ ، وَتَمَيِّزاً لَهُ عَنِ الْمَرْأَةِ ، وَمُخَالَفَةً لِرِزْيِ الْمَجُوسِ أَوْ الْيَهُودِ أَوْ الْمُشْرِكِينَ .

\* \* \*

١١١٣ - وَكَانَ مِنْ يَمِينِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : « لَا وَالَّذِي زَيْنَ الرُّجَالَ

بِاللِّحَاءِ » [ قال العجلوني في « كشف الخفاء » ، رقم : ١٤٤٧ : رواه الحاكم عن عائشة وذكره في تخريج أحاديث « الفردوس » للحافظ ابن حجر في أثناء حديث ] .

\* \* \*

١١١٤ - قَالَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ [من الطويل] :

رَأَتْ شَعْرَاتٍ فِي عِذَارِي تَبَسَّمَتْ      كَمَا أَفْتَرَّ طِفْلُ الرُّوضِ عَنْ خَلْعِ الْوَسْمِيِّ  
فَقُلْتُ لَهَا : مَا الشَّعْرُ سَالَ بِعَارِضِي      وَلَكِنَّهُ نَبَتْ السِّيَادَةِ وَالْحِلْمِ  
يَزِيدُ بِهِ وَجْهِي ضِيَاءً وَبَهْجَةً      وَمَا تَنْقُصُ الظُّلُمَاءُ مِنْ بَهْجَةِ النَّجْمِ

\* \* \*

١١١٥ - وَقَالُوا : لَا تَصَافَيْنِ مَنْ لَا شَعَرَ عَلَى عَارِضِيهِ وَإِنْ كَانَتْ الدُّنْيَا خَرَابًا إِلَّا مِنْهُ .

\* \* \*

١١١٦ - وَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ ، وَكَانَ الرَّجُلُ عَظِيمَ اللَّحْيَةِ وَقُتَيْبَةُ خَفِيفَ اللَّحْيَةِ ، فَقَالَ قُتَيْبَةُ : لَقَدْ كَبُرَتْ لِحْيَتُكَ . فَقَالَ الرَّجُلُ : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبْتُ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ [٧ سورة الأعراف/ الآية : ٥٨] ؛ فَقَالَ قُتَيْبَةُ : ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ [٥ سورة المائدة/ الآية : ١٠٠] .

\* \* \*

١١١٧ - وَقَالَ النَّجَاحُظُ فِيمَنْ طَالَتْ لِحْيَتُهُ : مَا طَالَتْ لِحْيَةُ رَجُلٍ إِلَّا تَكُوسَجَ عَقْلُهُ<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

(١) يُرِيدُ النَّجَاحُظُ بِتَكُوسَجَ عَقْلُهُ : نَقَصَ عَقْلُهُ ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْكُوسَجُ : الْتَاقِصُ الْأَسْنَانِ ، وَيُقَالُ لِلَّذِي لَا شَعَرَ عَلَى عَارِضِيهِ : كُوسَجٌ وَتَطَّ . وَكُوسَجٌ ، فَارِسِيَّةٌ عُرْبَتْ ، قَالَ سَبْيَوْنَةُ : أَصْلُهَا بِالْفَارِسِيَّةِ كُوشَنُ .

١١١٨ - وفي الْحَدِيثِ : « مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ حِفْظُ لِحْيَتِهِ » [ رواه الطبراني في

« الكبير » وابن عدي في « الكامل » ، عن ابن عباس ؛ « الجامع الصغير » ، رقم : ٨٢٥١ ؛ « كنز العمال » ، رقم : ٣٠٧٤٨ . وَلَيْسَ هَذَا يُنَاقِضُ حَدِيثَ الْإِغْفَاءِ ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَأْخُذُ مِنْ لِحْيَتِهِ فِي طَوْلِهَا وَعَزْرِهَا .

\* \* \*

١١١٩ - وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : إِنَّهُ لَا بَأْسَ بِأَخْذِ الْعَارِضِينَ ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ فقيهِ الْعِرَاقِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدَ النَّخَعِيِّ أَنَّهُ كَانَ يُبْطِنُ لِحْيَتَهُ ، وَيَأْخُذُ مِنْ جَوَانِبِهَا ، قَالَ شَمِرٌ : مَعْنَى يُبْطِنُ لِحْيَتَهُ أَنْ يَأْخُذَ الشَّعْرَ مِنَ الْحَنَكِ وَالذَّقَنِ .

\* \* \*

١١٢٠ - وَكَانَ ابْنُ الرُّومِيِّ يَسْخَرُ مِنَ اللَّحَى الطَّوَالِ وَيُسَمِّيْهَا أَذْنَابًا وَمَخَالِي وَمَذَبَاتٍ ، وَقَدْ بَلَغَ بِهِ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ إِلَى حَدٍّ أَنَّهُ كَانَ يَشْكُ فِي أَدَبِ كُلِّ غَزِيرِ اللَّحْيَةِ بَلَّ يَجْعَلُ غَزَارَتَهَا دَلِيلًا عَلَى نَزَارَةِ أَدَبِهِ ، حَتَّى الْبُخْتَرِيُّ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ :  
الْبُخْتَرِيُّ ذَنْوَبُ الْوَجْهِ نَعْرِفُهُ      وَمَا رَأَيْنَا ذَنْوَبَ الْوَجْهِ ذَا أَدَبٍ <sup>(١)</sup>  
وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ يُغَالِطُ فِي هَذَا لِأَنَّهُ فِيمَا يَظْهَرُ كَانَ يَشْعُرُ بِهَيْبَةِ اللَّحْيَةِ ، وَأَنَّهَا آيَةُ التَّذْكِيرِ ، حَيْثُ يَقُولُ لِصَاحِبِ لِحْيَةٍ طَوِيلَةٍ [من الخفيف] :

إِرْعَ فِيهَا الْمَوْسَى فَإِنَّكَ مِنْهَا      - يَشْهَدُ اللَّهُ - فِي أَثَامِ كَبِيرٍ <sup>(٢)</sup>  
أَيُّمَا كُوسَجٍ يَرَاهَا فَيَلْقَى      رَبَّهُ بَعْدَهَا صَاحِبَ الضَّمِيرِ <sup>(٣)</sup>

(١) يُقَالُ : فَرَسٌ ذَنْوَبٌ ، أَيُّ : وَافِرٌ شَعْرَ الذَّنَبِ ؛ وَذَنْوَبُ الْوَجْهِ ، أَيُّ : إِنْ لَوَجْهِهِ ذَنْبًا وَافِرَ الشَّعْرُ مِنْ هَذَا .

(٢) أَرْعَ فِيهَا الْمَوْسَى ، أَيُّ : أَخْجَلَ الْمَوْسَى تَزَعَى فِيهَا ، أَيُّ : أَخْلَفَهَا .

(٣) يُرِيدُ بِالْكُوسَجِ : الْقَلِيلَ شَعْرِ اللَّحْيَةِ ، أَيُّ : الَّذِي لَا شَعْرَ فِي ذَقْنِهِ إِلَّا شَعْرَاتٌ فِي أَسْفَلِ =

هُوَ آخَرِي بِأَنْ يَشُكَّ وَيُغَيِّرِي      بَاتُّهُامِ الْحَكِيمِ فِي التَّقْدِيرِ  
لِخِيَةٍ أَهْمِلْتُ فَسَالَتْ وَفَاضَتْ      فَإِلَيْهَا تُشِيرُ كَفُّ الْمُشِيرِ  
مَا رَأَتْهَا عَيْنُ أَمْرِيءٍ مَا رَأَهَا      قَطُّ إِلَّا أَهْلٌ بِالتَّكْيِيرِ  
رَوْعَةً تَسْتَخِفُّهُ لَمْ يُرْعَهَا      مَنْ رَأَى وَجْهَهُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرِ  
فَأَتَّقَى اللَّهَ ذَا الْجَلَالِ وَغَيَّرَ      مُنْكَرًا فِيكَ مُمَكِّنَ التَّغْيِيرِ  
أَوْ فَقَضَرَ مِنْهَا فَحَسْبُكَ مِنْهَا      نِصْفُ شَبْرٍ عَلامَةُ التَّلْذِيرِ

\* \* \*

١١٢١ - وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ [من مجزوء الكامل] :

لَا تَفْخَرَنَّ بِلِخِيَةٍ      كَثُرَتْ مَنَايُهَا طَوِيلَةً  
تَهْوِي بِهَا هُوجُ الرِّيَا      حِ كَأَنَّهَا ذَنْبُ الْحَسِيلَةِ<sup>(١)</sup>  
قَدْ يُذْرِكُ الشَّرَفَ الْفَتَى      يَوْمًا وَلِخِيَتُهُ قَلِيلَةً

\* \* \*

١١٢٢ - وَقَالَ ابْنُ الْأَرَوَمِيِّ [من السريع] :

وَلِخِيَةٍ يَحْمِلُهَا مَائِقُ      مِثْلُ الشَّرَاعِيْنِ إِذَا أُشْرِعَا  
تَقْوَدُهُ الرِّيحُ بِهَا صَاغِرًا      قَوْدًا حَثِيثًا يُنْعَبُ الْأَخْدَعَا  
لَوْ غَاصَ فِي الْبَحْرِ بِهَا غَوْصَةً      صَادَ بِهَا حِثَانُهُ أَجْمَعَا

\* \* \*

١١٢٣ - وَقَالَ مَرْوَانُ ابْنُ أَبِي حَفْصَةَ [من الوافر] :

= حَنَكِهِ ، وَيُقَالُ لَهُ : نَطٌّ ، وَيُسَمَّى الْعَامَّةُ فِي مِصْرَ : أَجْرُودٌ .  
(١) الْحَسِيلَةُ : الْعَجَلَةُ .



لَقَدْ كَانَتْ مَجَالِسُنَا فِسَاحاً      فَضَيْتُهَا بِلِخْيَتِهِ رَبَاحُ  
مُبْغَثَرُهُ الْأَسَافِلِ وَالْأَعَالِي      لَهَا فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ جَنَاحُ

\* \* \*

١١٢٤ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ [من الوافر] :

أَنْفَسُ لِحْيَةٍ عَرُضَتْ وَطَالَتْ      مِنْ أَلْهَدَبَاتِ تَمَلُّأَ عُرْضِ صَدْرِي  
أَكَادُ إِذَا قَعَدْتُ أَبُولُ فِيهَا      إِذَا أَنَا لَمْ أُعَقِّضْهَا بِظُفْرِي

\* \* \*

١١٢٥ - وَأُورِدَ الْمُبَرَّدُ فِي « الْكَامِلِ » [٢/٦٥٢] لِأَعْرَابِيٍّ [من الطويل] :

كُلُّ أَمْرِيءَ ذِي لِحْيَةٍ عَثُولِيَّةٍ      يَقُومُ عَلَيْهَا ظَنٌّ أَنَّ لَهُ فَضْلًا  
وَمَا الْفَضْلُ فِي طُولِ السَّبَالِ وَعَرْضِهَا      إِذَا اللَّهُ لَمْ يَجْعَلْ لِحَامِلِهَا عَقْلًا  
قَالَ الْمُبَرَّدُ : عَثُولِيَّةٌ : كَثِيرَةٌ ، قَالَ : وَالْمُسْتَعْمَلُ : يُقَالُ : رَجُلٌ عَثُولٌ :  
إِذَا كَانَ كَثِيرَ الشَّعَرِ ، وَأَضْلُ ذَلِكَ فِي الرُّأْسِ وَاللِّحْيَةِ ، وَبَنَاهُ الْأَعْرَابِيُّ بِنَاءَ  
« جَذُولٍ » كَأَنَّهُ « عَثُولٌ » ، ثُمَّ نَسَبَ إِلَيْهِ ؛ وَالسَّبَلَةُ<sup>(١)</sup> : مُقَدَّمُ اللَّحْيَةِ ، وَيُقَالُ  
لِمَا أَسْبَلَ مِنَ الشَّارِبَيْنِ : سَبَلَتَانِ .

\* \* \*

١١٢٦ - وَنَظَرَ يَزِيدُ بْنُ مَزِيدٍ الشَّيْبَانِيَّ إِلَى رَجُلٍ ذِي لِحْيَةٍ عَظِيمَةٍ وَقَدْ

(١) وَجَمَعُهَا : سِبَالٌ .

وَقَالَ صَاحِبُ « الْقَامُوسِ » : السَّبَلَةُ - مُحَرَّكَةٌ - الدَّائِرَةُ فِي وَسْطِ الشَّقَةِ الْعُلْيَا ؛ أَوْ مَا عَلَى  
الشَّارِبِ مِنَ الشَّعَرِ ، أَوْ طَرَفُهُ ، أَوْ مُجْتَمَعُ الشَّارِبَيْنِ ، أَوْ مَا عَلَى الدَّقَنِ إِلَى طَرَفِ اللَّحْيَةِ  
كُلُّهَا ، أَوْ مُقَدَّمُهَا خَاصَّةً .

تَلَفَّفَتْ عَلَى صَدْرِهِ ، فَإِذَا هُوَ خَاضِبٌ ، فَقَالَ : إِنَّكَ مِنْ لِحْيَتِكَ فِي مَوْوَنَةٍ ؛  
فَقَالَ الرَّجُلُ أَجَلٌ ، وَلِذَلِكَ أَقُولُ [من الطويل] :

لَهَا دِرْهَمٌ لِلدُّهْنِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ      وَآخِرُ لِلْحِنَاءِ يَتَّيْدِرَانِ<sup>(١)</sup>  
وَلَوْ لَا نَوَالٌ مِنْ يَزِيدَ بْنِ مَزِيدٍ      لَصَيِّحٌ فِي حَافَاتِهَا الْجَلَمَانِ<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

١١٢٧ - وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ [من المتقارب] :

إِذَا عَرَضْتَ لِلْفَتَى لِحْيَةً      وَطَالَتْ وَصَارَتْ إِلَى سُرَّتِهِ  
فَنُقْصَانُ عَقْلِ الْفَتَى عِنْدَنَا      بِمِقْدَارِ مَا زِيدَ مِنْ لِحْيَتِهِ

\* \* \*

١١٢٨ - وَقَالُوا : اللَّحْيَةُ الطَّوِيلَةُ عَشُّ الْبَرَاعِيثِ ، وَمَزْبَلَةُ الْأَثَرَابِ  
وَالْعُبَارِ .

\* \* \*

١١٢٩ - وَقَالَ رَجُلٌ لِآخَرَ قَدْ مَلَأْتَ لِحْيَتُهُ وَجْهَهُ : خَنْدِيقٌ عَلَى وَجْهِكَ قَبْلَ  
أَنْ يَجْرِيَ الْمَاءُ فِي الْعُودِ ، فَيَصِيرَ وَجْهُكَ كُلُّهُ رَأْسًا . . .

\* \* \*

(١) قَبْلَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ [من الطويل] :

لَعَمْرُكَ لَوْ يُعْطَى الْأَمِيرُ عَلَى اللَّهِ حَى      لِأَنْفَيْكَ قَدْ أَيْسَرْتُ مُنْذُ زَمَانٍ  
إِذَنْ لَشَفَتْنِي لِحْيَتِي مِنْ عِصَابَةٍ      لَهُمْ عِنْدَهُ أَلْفٌ وَلِي مِثْلَانِ  
إِذَا نُشِرَتْ فِي يَوْمِ عِيدٍ رَأَيْتُهَا      عَلَى النَّخْرِ مِنْ مِثْلَيْنِ كَالْقَفْدَانِ  
مِنْ مِثْلَيْنِ ، يُرِيدُ : مِنْ مِثْلَيْنِ فَرَسَخٍ ؛ وَالْقَفْدَانِ : خَرِيطَةُ الْعَطَارِ ، أَوْ خَرِيطَةٌ مِنْ جِلْدٍ تَتَّخَذُ  
لِلْعِطْرِ .

(٢) لَصَيِّحٌ ، يُرْوَى : لَصَوْتُ ؛ وَالْجَلَمَانُ : الْمِقْصَصُ ، وَإِنَّمَا شِئِي لِإِرَادَةِ شَفَرَتَيْهِ وَلَا وَاحِدَ لَهُ .

١١٣٠ - وَقَالَ شَاعِرٌ [من الطويل] :

إِذَا لِحْيَةً خَفَّتْ وَفَى عَقْلُ رَبِّهَا      وَإِنْ ضَحُمْتَ لَمْ يَخْظَ إِلَّا بِهَا الصَّدْرُ

\* \* \*

وَمِنْ طَرَفِهِمْ فِيمَنْ يَنْتِفُ لِحْيَتَهُ أَوْ يَخْلُقُهَا :

١١٣١ - قِيلَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمَنْتُوفِ : لِمَ تَنْتِفُ لِحْيَتَكَ ؟ فَقَالَ : وَأَنْتَ ،

لِمَ لَا تَنْتِفُهَا ؟ .

\* \* \*

١١٣٢ - وَقَالَ ابْنُ طَبَاطَبَا فِي بَعْضِ مَنْ كَانَ يَنْتِفُ لِحْيَتَهُ [من مجزوء الرجز] :

يَا مَنْ يُزِيلُ خِلَّةَ الرَّحْمَةِ      مِنْ عَمَّا خُلِقَتْ  
هَلْ لَكَ عُذْرٌ عِنْدَهُ      إِذَا أَلَوْحُوشُ حُشِرَتْ  
فِي لِحْيَةٍ إِنْ سُئِلَتْ      بِأَيِّ ذَنْبٍ نُتِفَتْ

\* \* \*

١١٣٣ - وَقَالَ آخَرُ [من الكامل] :

إِنْ كَانَ بِالْمِلْقَاطِ يَخْصِدُ نَبْتَهَا      فَيَدُ اللَّيَالِي مِنْ وَرَاهُ تَزْرَعُ

\* \* \*

١١٣٤ - وَقِيلَ لِمُخَنَّثٍ : لِمَ تَنْتِفُ لِحْيَتَكَ وَهِيَ مِنْ هِبَةِ اللَّهِ ؟ فَقَالَ :

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنِي بِذَلِكَ ، فَقَالَ : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ [٤ سورة النساء/ الآية : ٨٦] وَلَمْ أَجِدْ أَحْسَنَ مِنْهَا فَرَدَدْتُهَا .

\* \* \*

١١٣٥ - وَقِيلَ لآخرَ : لِمَ تَتَنَفَّ لِحَيْتِكَ ، وَقَدْ زَيْنَ اللَّهُ بِهَا وَجْهَكَ ؟  
فَقَالَ : أَتُحِبُّ أَنْ يُزَيَّنَ بِهَا فَفَحَتَكَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يَطْلُعَ فِي  
أَسْنَتِكَ ، كَيْفَ اسْتَصْلَحَهُ لَوَجْهِي ! .

\* \* \*

١١٣٦ - وَمِنْ عِبْقَرِيَّاتِهِمْ فِي الصَّلَاحِ قَوْلُ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ : كَانَ الشَّرِيفُ  
إِذَا لَمْ يَصْلَحْ نَفَقُوا شَعْرَهُ تَشْبِيهاً بِذَلِكَ .

\* \* \*

١١٣٧ - وَأُنشِدَ الْعُتْبِيُّ [مِنَ الْبَسِيطِ] :

قَدْ حَصَّ رَأْسِي فَيَتُّ الْمِسْكِ أَخْلَطُهُ بِالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ حَتَّى مَا بِهِ شَعْرُ  
فَقَالَ : لَشَتَّانَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي قَيْسٍ ابْنِ الْأَسْلَتِ فِي قَوْلِهِ [مِنَ السَّرِيعِ] :  
قَدْ حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِي فَمَا أَطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاعٍ<sup>(١)</sup>  
حَصَّ شَعْرُهُ : أَنْجَرَدَ وَتَنَائَرَ وَذَهَبَ ؛ وَالْبَيْضَةُ : وَاحِدَةُ الْبَيْضِ مِنَ  
الْحَدِيدِ ، يُرِيدُ ابْنُ الْأَسْلَتِ أَنَّ الْبَيْضَةَ لَا تُفَارِقُهُ لِطُولِ مُمَارَسَتِهِ الْخُرُوبَ حَتَّى  
إِنَّهَا ذَهَبَتْ بِشَعْرِهِ ، وَيُرِيدُ الْعُتْبِيُّ أَنَّ فُرْقَانًا كَبِيرًا بَيْنَ مَنْ ذَهَبَ شَعْرُهُ مِنْ طُولِ  
الذَّهْنِ بِالطَّيِّبِ وَمَنْ ذَهَبَ شَعْرُهُ مِنْ طُولِ لُبْسِهِ الْمِغْفَرِ وَالْحَدِيدِ ، فَذَاكَ مُتَرَفٌّ  
وَهَذَا رَجُلٌ مَحْرَبٌ .

\* \* \*

١١٣٨ - وَالْحَاحُّ رَجُلٌ النَّظَرُ إِلَى عَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ لَهُ : إِلَى أَيِّ

(١) التَّهْجَاعُ : التَّوَمَةُ الْخَفِيفَةُ .

شَيْءٍ تَنْظُرُ؟ فَقَالَ: إِلَى بَطْنٍ مُنْدَحٍ<sup>(١)</sup>، وَهَامَةٌ صَلْعَاءٌ؛ فَقَالَ عَلِيٌّ: أَمَّا الْبَطْنُ فَاسْفَلُهُ طُعْمٌ وَأَعْلَاهُ عِلْمٌ، وَأَمَّا الْهَامَةُ فَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ [من البسيط]:

بَنَى لَنَا الْمَجْدَ آبَاءٌ لَهُمْ شَرَفٌ      صُلِعَ الرُّؤُوسُ وَسِيما السُّودُودِ الصَّلْعُ

\* \* \*

١١٣٩ - يُرَوَى أَنَّ الْأَبْرَشَ الْكَلْبِيَّ دَخَلَ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَحَجَّامٌ يَحْجُمُهُ، فَمَسَّ رَأْسَهُ، فَقَالَ: يَا أَبْرَشُ! مَا صُلِعَ لَيْسَمٌ قَطُّ؛ فَكَشَفَ الْحَجَّامُ فَإِذَا هُوَ أَصْلَعٌ؛ فَقَالَ: أَمِنْ كَرَمِ صُلِعَ هَذَا!.

\* \* \*

١١٤٠ - وَقَالَتْ أُمْرَأَةٌ لِرِزْوَجِهَا - وَكَانَ أَصْلَعًا -: لَسْتُ أَغِيطُ إِلَّا شَعْرَكَ، حَيْثُ فَارَقَكَ فَاسْتِرَاحَ مِنْكَ!.

\* \* \*

١١٤١ - وَكَانَ لِلْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ وَاضِعٍ عِلْمٍ الْعَرُوضِ صَدِيقٌ يُكْنَى أَبَا الْمُعَلَّى، مَوْلَى لِبَنِي يَشْكُرَ، وَكَانَ أَصْلَعًا شَدِيدَ الصَّلْعِ، فَبَيْنَا هُوَ وَالْخَلِيلُ جَالِسَانِ عِنْدَ قَضِرِ أَوْسٍ، إِذْ مَرَّتْ بِهِمَا أُمْرَأَةٌ يُقَالُ لَهَا: أُمُّ عُثْمَانَ، مِنْ وَلَدِ الْمُعَارِكِ ابْنِ عُثْمَانَ، وَمَعَهَا بَنَاتٌ لَهَا، فَقَالَ أَبُو الْمُعَلَّى لِلْخَلِيلِ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! أَلَا تُكَلِّمُ هَذِهِ الْأُمْرَأَةَ؟ قَالَ: وَنَحَكَ! لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّهُنَّ أَعَدَّ شَيْءَ جَوَابًا، وَالْقَوْلُ إِلَى مِثْلِكَ يُسْرِعُ؛ فَجَلَسْنَا يَتَرَوِّحْنَ، فَقَالَ لَأُمَّهُنَّ: يَا أُمَّةَ اللَّهِ! أَلَيْكَ زَوْجٌ؟ قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ، وَلَا لِيُوَاحِدَةٍ مِنَّا؛ قَالَ: فَهَلْ لَكُنَّ فِي أَزْوَاجٍ؟ قَالَتْ: وَدِدْنَا وَاللَّهِ؛

(١) أَنْدَحَ بَطْنٌ فَلَانٍ أَنْدِحَاحًا: اتَّسَعَ مِنَ الْبِطْنَةِ، أَنْدَحَ بَطْنُهُ أَنْدِحَاحًا: إِذَا اتَّفَحَ وَتَدَلَّى مِنْ سِمَنِ كَانَ ذَلِكَ أَوْ عَلَةً.

قَالَ : فَأَنَا أَتَزَوَّجُكِ وَيَتَزَوَّجُ هَذَا إِحْدَى بَنَاتِكَ ؛ فَقَالَتْ لَهُ : أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ  
 ابْتَلَاكَ اللَّهُ بِبِلَاءَيْنِ ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَإِنَّهُ قَدْ قَرَعَ رَأْسَكَ بِمَسْحَاةٍ ، وَجَعَلَ لَكَ  
 عَقْصَةً فِي قَفَاكَ بَيْضَاءً<sup>(١)</sup> ، فَكَأَنَّمَا صَارَتْ فِي قَفَاكَ نُخَامَةً ، فَبَلَغَ مِنْ نُوكِكَ أَنَّكَ  
 خَضَبْتَهَا بِحُمْرَةٍ ، فَلَوْ كُنْتَ إِذْ ابْتُلِيتَ خَضَبْتَهَا بِسَوَادٍ فَغَطَّيْتَ عَوَارِكَ هَذَا الَّذِي  
 أَبْدَاهُ مِنْكَ ! ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : أَظُنُّكَ مِنْ رَهْطِ الْأَعْشَى ؛ فَقَالَ لَهَا أَبُو الْمُعَلَّى : أَنَا  
 مَوْلَى لِبْنِي يَشْكُرُ ؛ قَالَتْ : أَفَتَزَوِّي بَيْنَ الْأَعْشَى [من البسيط] :

وَأُنْكِرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرْتَ مِنْ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبُ وَالصَّلَعَا  
 فَمَا بَقِيَ بَعْدَ الشَّيْبِ وَالصَّلَعِ إِلَّا أَنْ تَلْعَقَ الزُّبْدَ أَوْ تَمُوتَ هُزَالًا ؛ ثُمَّ انْتَفَتَحَ  
 إِلَى الْخَلِيلِ ، فَقَالَتْ : مَنْ أَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : أَنَا الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ ، كُفِّي  
 رَحِمَكَ اللَّهُ ، فَقَدْ وَاللَّهِ نَهَيْتُهُ عَنْ كَلَامِكَ وَحَذَرْتُهُ هَذَا ؛ قَالَتْ : أَمَّا إِنَّكَ قَدْ  
 نَصَحْتَ لَهُ ، أَمَّا عَلِمَ هَذَا الْأَحْمَقُ أَنَّ النِّسَاءَ يَخْتَرْنَ مِنَ الرِّجَالِ الْمُسْخُلَانِيَّ<sup>(٢)</sup>  
 الْمُنْظَرَانِيَّ الْمَخْبَرَانِيَّ ، الْغُلَيْظَ الْقَصْرَةَ ، الْعَظِيمَ الْكَمْرَةَ ، الَّذِي إِذَا طَعَنَ  
 فَأَصَابَ حَفَرَ ، وَإِذَا أَخْطَأَ قَشَرَ ، وَإِذَا أَخْرَجَهُ عَقَرَ ؛ قَالَ : فَضَحِكَ الْخَلِيلُ ،  
 ثُمَّ قَامَتِ الْمَرْأَةُ وَمَعَهَا بَنَاتُهَا يَتَهَادَيْنَ ، فَتَمَثَّلَ أَبُو الْمُعَلَّى بِقَوْلِ عُمَرَ ابْنِ  
 أَبِي رَيْبَعَةَ الْمَخْزُومِيِّ [من مجزوء الخفيف] :

فَتَهَادَيْنَ وَأَنْصَرَفْنَ ثِقَالُ الْحَقَائِبِ  
 فَقَالَتْ : يَا أَحْمَقُ ! أَمَا تَزَوِّي مَا قَالَ الشَّاعِرُ فِي قَوْمِكَ ؟ قَالَ : لَا ؛  
 فَقَالَتْ : قَالَ :

(١) الْعَقْصَةُ : الْخَصْلَةُ مِنَ الشَّعْرِ .

(٢) الْمُسْخُلَانِيُّ : الطَّوِيلُ الْحَسَنُ الْقَوَامُ ؛ وَالْمُنْظَرَانِيُّ : ذُو الْمُنْظَرِ وَالرُّوَاءِ وَالنَّهْيَةِ ؛  
 وَالْمَخْبَرَانِيُّ : ذُو الْمَخْبَرِ الْحَسَنِ .

وَيَشْكُرُ لَا تَسْتَطِيعُ الْوَنَاءَ وَتَعْجِزُ يَشْكُرُ أَنْ تَغْدِرَا  
وَإِنِّي أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَوْ كَانَ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَّا مِنَ الْأَخْرَاجِ بَعْدَدِ مَا أَهْدَى مَالِكٌ  
الْعُكْلِيُّ إِلَى عَمْرَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ التَّمِيرِيِّ ، مَا أَغْطَيْنَاكَ وَلَا صَاحَبَكَ مِنْهَا شَيْئًا ؛  
فَقَالَ الْخَلِيلُ : أَنْشَدْتُكَ بِاللَّهِ ، كَمْ كَانَتْ الْهَدِيَّةُ الَّتِي أَهْدَاهَا الْعُكْلِيُّ إِلَى  
التَّمِيرِيَّةِ ؟ قَالَتْ لَهُ : أَرَأَيْكَ حَازِقًا بِالتَّجْمِيشِ<sup>(١)</sup> ، قَلِيلَ الرِّوَايَةِ لِلشَّعْرِ ؛ ثُمَّ  
أَنْشَدَتْهُ قَوْلَ الْعُكْلِيِّ : [من الرجز]

هَدَيْتَنِي أُخْتَ بَنِي نُمَيْرٍ لِحِزِّكَ يَا عَمْرَةَ أَلْفُ عَيْرٍ  
فِي كُلِّ عَيْرٍ أَلْفُ كُرٍّ أَيْرٍ

قَالَ : فَقَالَ الْخَلِيلُ : أَمَا إِنَّهُ قَدْ قَصَرَ ! أَفَلَا جَعَلَ لاسْتِهَا بَعْضَ الْهَدِيَّةِ وَلَمْ  
يَدْعُهَا فَارِغَةً ! قَالَتْ : قَدْ أَشْفَقَ عَلَيَّ هَدِيَّتِهِ أَنْ تَخْتَرِقَ ، أَلَمْ تَزُورِ بَيْتَ جَرِيرٍ  
حَيْثُ يَقُولُ : [من الوافر]

وَلَوْ وُضِعَتْ فِقَاحُ بَنِي نُمَيْرٍ عَلَى خَبَثِ الْحَدِيدِ إِذَا لَذَابَا  
فَقَالَ الْخَلِيلُ لِأَبِي الْمُعَلَّى [من الوافر] :

نَصَحْتُكَ يَا مُحَمَّدُ إِنْ نُضِحِي رَخِيسٌ يَا رَفِيقِي لِلصَّادِقِ  
فَلَمْ تَقْبَلْ وَكَمْ مِنْ نُضَحٍ وَدُّ أَضْيَعَ فَحَادَ عَنْ وَضَحِ الطَّرِيقِ  
قَالَ : ثُمَّ أَنْصَرَفَتِ الْمَرْأَةُ وَبَقِيَ الْخَلِيلُ وَأَبُو الْمُعَلَّى مُتَعَجِّبَيْنِ مِنْهَا وَمِنْ  
ذَرَابَةِ لِسَانِهَا وَسُرْعَةِ جَوَابِهَا .

\*

\*

\*

(١) التَّجْمِيشُ : الْمُغَارَلَةُ وَمُحَادَثَةُ النِّسَاءِ .

١١٤٢ - وَإِلَيْكَ أَرْجُوزَةٌ لِأَبِي النَّجْمِ : [من الرجز]

قَدْ أَصْبَحْتَ أُمُّ الْخِيَارِ تَدَّعِي  
مِنْ أَنْ رَأَتْ رَأْسِي كَرَأْسِ الْأَضْلَعِ  
جَذْبُ اللَّيَالِي : أَبْطِئِي أَوْ أَسْرِعِي  
أَفْئَاهُ قِيلُ اللَّهِ لِلشَّمْسِ أَطْلَعِي  
يَا ابْنَةَ عَمَّا ، لَا تَلُومِي وَاهْجِعِي  
أَلَمْ يَكُنْ يَبِيضُ إِنْ لَمْ يَضْلَعْ  
لَا تُسْمِعِينِي مِنْكَ لَوْمًا وَاسْمِعِي  
هِيَ الْمَقَادِيرُ فَلُومِي أَوْ دَعِي  
وَلَا تُرَوِّعِينِي لَا تُرَوِّعِي  
فَذَاكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجْزَعِي

عَلَيَّ ذَنْبًا كُلُّهُ لَمْ أَضْنَعِ  
مَيَّزَ عَنْهُ قُنْزَعًا عَنْ قُنْزَعِ  
قَرْنَا أَشْيِيهِ وَقَرْنَا فَأَنْزَعِي  
حَتَّى إِذَا وَارَاكَ أَفَقٌ فَأَرْجِعِي  
لَا يَخْرِقُ اللَّوْمُ حِجَابَ مَسْمَعِي  
إِنْ لَمْ يُصْنِنِي قَبْلَ ذَاكَ مَضْرَعِي  
أَيْهَاتَ أَيْهَاتَ فَلَا تَطْلَعِي  
لَا تَطْمَعِي فِي فُرْقَتِي لَا تَطْمَعِي  
وَأَسْتَشْعِرِي أَلْيَاسَ وَلَا تَفْجَعِي  
فَتُحْبَسِي وَتُشْتَمِي وَتُوجَعِي

أُمُّ الْخِيَارِ ، هِيَ : زَوْجَةُ أَبِي النَّجْمِ ، وَكُلُّهُ تُقْرَأُ بِالرَّفْعِ وَبِالنَّضْبِ - أَنْظُرْ  
كُتِبَ التَّنْخُورِ وَالْبَيَانِ - وَمِنْ أَنْ رَأَتْ ، أَي : مِنْ أَجْلِ أَنْ رَأَتْ ؛ يَقُولُ  
أَبُو النَّجْمِ : إِنَّ زَوْجَتِي أَصْبَحَتْ تَدَّعِي عَلَيَّ ذَنْبًا - وَهُوَ الشَّيْبُ وَالصَّلَعُ وَالْعَجْزُ  
وغير ذلك مما تستتبعه الشَّيْخُوخَةُ ، مَعَ أَنِّي لَمْ أَضْنَعْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ ، ثُمَّ  
قَالَ : وَهَذَا الصَّلَعُ مَيَّزَ - أَي : فَصَلَ عَنْهُ - أَي : عَنْ رَأْسِي قُنْزَعًا بَعْدَ قُنْزَعِ ،  
جَذْبُ اللَّيَالِي ، أَي : مُضِيِّهَا وَكَرَّهَا ؛ وَالْقُنْزُعُ وَالْقُنْزَعَةُ : الشَّعْرُ حَوْلَ الرَّأْسِ  
وَالْخُصْلَةُ مِنَ الشَّعْرِ تُتْرَكُ عَلَى رَأْسِ الصَّبِيِّ ؛ وَعَنْ قُنْزَعِ ، أَي : بَعْدَ قُنْزَعِ ؛  
وَأَبْطِئِي أَوْ أَسْرِعِي ، حَالٌ مِنَ اللَّيَالِي عَلَى تَقْدِيرِ الْقَوْلِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ  
مُنْقَطِعًا ، أَي : أَضْنَعِي أَيْتَهَا اللَّيَالِي مَا بَدَأَ لَكَ ، فَلَا أَبَالِي بَعْدَ هَذَا ؛ ثُمَّ قَالَ  
يُخَاطَبُ اللَّيَالِي : قَرْنَا أَشْيِيهِ وَقَرْنَا فَأَنْزَعِي ؛ وَالْقَرْنُ : الْخُصْلَةُ مِنَ الشَّعْرِ ،



وَيَقَالُ : أَشَابَ الدَّهْرُ أَوْ أَلْهَمَ رَأْسَهُ : شَيْبُهُ ؛ وَأَنْزَعِي مِنَ النَّزَعِ ، وَهُوَ أَنْحَسَارُ  
الشَّعْرِ عَنْ جَانِبِي الْجَنْبَةِ ؛ ثُمَّ قَالَ : أَفْنَاهُ قِيلَ لِلشَّمْسِ أَطْلَعِي ، فَالْضَّمِيرُ  
فِي أَفْنَاهُ لِأَيِّ النَّجْمِ أَوْ لِلشَّعْرِ ؛ وَقِيلَ اللَّهُ : أَمْرُهُ ؛ وَيَا ابْنَةَ عَمَّا ، أَضْلُهُ :  
يَا ابْنَةَ عَمِّي ؛ وَيَبْيِضُ ، أَيِ : الرَّأْسُ ؛ وَأَيْهَاتَ أَيْهَاتَ لُغَةً فِي هَيْهَاتَ ، أَيِ :  
بَعْدَ ؛ وَتَطْلَعِي بِحَذَفٍ إِحْدَى التَّاءَيْنِ ، أَيِ : تَتَطْلَعِي ؛ وَأَسْتَشْعِرِي ، يُرِيدُ  
أَضْمِرِي ، يَقَالُ : أَسْتَشْعَرَ خَوْفًا ، يُرَادُ : أَضْمَرَ .

\* \* \*

١١٤٣ - وَمِنْ أَيْتَاتِ « الْحَمَاسَةِ » - حَمَاسَةِ أَبِي تَمَّامٍ - [من الطويل] :

أَلَا قَالَتِ الْعِصْمَاءُ يَوْمَ لَقِيَتْهَا      أَرَاكَ حَدِيثًا نَاعِمَ الْبَالِ أَفْرَعَا  
فَقُلْتُ لَهَا : لَا تُنْكِرِينِي فَقَلَمَا      يَسُودُ الْفَتَى حَتَّى يَشِيبَ وَيَضْلَعَا  
وَلَلْقَارِخِ الْيَغْبُوبُ خَيْرٌ عِلَالَةً      مِنَ الْجَذَعِ الْمُرْخَى وَأَبْعَدُ مَنْزَعَا  
الْعِصْمَاءُ : أَمْرَاءُ ؛ وَالْحَدِيثُ هُنَا نَقِيضُ الْقَدِيمِ ، وَهُوَ ظَرْفٌ ؛ يَقُولُ :  
قَالَتْ لِي هَذِهِ الْمَرْأَةُ لَمَّا أَلْتَقَيْتُ مَعَهَا : أَعْلَمُكَ عَنْ قَرِيبٍ نَاعِمَ الْحَالِ أَفْرَعُ ،  
أَيِ : تَامَ شَعْرُ الرَّأْسِ ، لَمْ يَسْلُطْ صَلَاحٌ وَلَا حَدَثٌ أَنْحَسَارُ شَعْرٍ ، فَكَيْفَ  
تَعَزَّيْتَ مَعَ قُرْبِ الْأَمْدِ ؟ ! ثُمَّ قَالَ : فَقُلْتُ لَهَا : لَا تَسْتَنْكِرِي مَا رَأَيْتِ مِنْ  
شُحُوبِ لَوْنِي وَأَنْحَسَارِ شَعْرِ رَأْسِي ! فَمَا يَنَالُ الْفَتَى السِّيَادَةَ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِشَيْبَتِهِ  
شَيْبًا وَبَوُفُورِ شَعْرِ رَأْسِهِ صَلَاحًا ؛ ثُمَّ قَالَ يُفَضِّلُ نَفْسَهُ مَعَ شَيْخُوخَتِهِ وَقَدْ حَنَكُهُ  
الدَّهْرُ عَلَى الْأَحْدَاثِ الَّذِينَ لَمْ يُجَرَّبُوا الْأُمُورَ : إِنَّ الْفَرَسَ الْمُتَنَاهِي فِي أَلْسِنِ  
وَالْقُوَّةِ الَّذِي يَجْرِي جَرِيَّةَ أَلْمَاءِ سُهولةً وَنَفَادًا خَيْرٌ بَقَاءً وَأَبْعَدُ غَايَةً مِنَ الْوَحْدِ  
وَهُوَ مُهْمَلٌ لَمْ يُؤَدَّبْ بِإِسْرَاجٍ وَلَا إِلْجَامٍ ، فَالْقَارِخُ مِنَ الْخَيْلِ بِمَنْزِلَةِ الْبَازِلِ مِنَ  
الْإِبِلِ ، وَهُوَ الَّذِي تَمَّتْ وَاسْتَحْكَمَتْ قُوَّتُهُ ؛ وَالْيَغْبُوبُ : الْفَرَسُ الْكَثِيرُ

الْجَزِي ؛ وَالْجَذَعُ : مَا لَهُ سَتَانِ ؛ وَالْعُلَالَةُ : بَقِيَّةُ الْجَزِي ؛ وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا :  
الْجَزِي ؛ وَالْمُرْخِي : الَّذِي يُرْخَى فِي سَيْرِهِ قَلِيلًا قَلِيلًا لَا يُكَلِّفُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ،  
وَيُرَوَّى الْمُرْخِي ، وَالْإِرْخَاءُ : لَيْنٌ فِي الْجَزِي ؛ وَالْمَنْزَعُ : التَّنْزُوعُ إِلَى الْعَايَةِ .

\* \* \*

١١٤٤ - وَقَالَ ابْنُ الرُّومِي يَصِفُ الصَّلْعَ [من السريع] :

يَأْخُذُ أَعْلَى الْوَجْهِ مِنْ رَأْسِهِ      أَخَذَ نَهَارَ الصَّيْفِ مِنْ لَيْلِهِ

\* \* \*

١١٤٥ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ [من البسيط] :

جَزَعْتُ لِلشَّيْبِ لَمَّا حَلَّ أَوَّلُهُ      فَجَاءَنِي حَدِيثُ أَنْسَانِي الْجَزَعَا  
هَبِ الْمَشِيبَ يُدَاوِي الْخِطْرُ شَائِعَهُ      فَكَيْفَ لِي بِدَوَاءٍ يُذْهِبُ الصَّلْعَا

\* \* \*

١١٤٦ - وَبَدِيعُ قَوْلِ أَبِي التَّجَمِ [من الرجز] :

قَالَتْ سُلَيْمَى : أَنْتَ شَيْخٌ أَنْزَعُ      فَقُلْتُ : مَا ذَاكَ وَإِنِّي أَصْلَعُ<sup>(١)</sup>  
ثُمَّ حَسَرْتُ عَنْ صَفَاةٍ تَلْمَعُ      فَأَقْبَلْتُ قَائِلَةً تَسْتَرْجِعُ<sup>(٢)</sup>  
مَا رَأْسُ ذَا إِلَّا جِيْنُ أَجْمَعُ

\* \* \*

١١٤٧ - وَمِثْلُهُ قَوْلُ رُؤْبَةَ [من الرجز] :

- (١) أَنْزَعُ ، مِنَ التَّنَزَعِ (بِالتَّخْرِيكِ) وَهُوَ أَنْحِسَارُ مُقَدِّمِ شَعْرِ الرَّأْسِ مِنْ جَانِبَيْ الْجَبْهَةِ ؛ وَأَصْلَعُ مِنَ  
الصَّلْعِ ، وَهُوَ ذَهَابُ شَعْرِ الرَّأْسِ كُلِّهِ أَوْ ذَهَابُ وَسْطِهِ .  
(٢) الصَّفَاةُ فِي الْأَصْلِ : الصَّخْرَةُ الْمُنْسَاءُ شَبَّهَ بِهَا رَأْسَهُ ؛ وَتَسْتَرْجِعُ : تَقُولُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ  
رَاجِعُونَ .

قَدْ تَرَكَ اللَّذْهَرُ صِفَاتِي صَفْصَفًا<sup>(١)</sup> فَصَارَ رَأْسِي جَنْهَةً إِلَى الْفَقَا  
كَأَنَّمَا قَدْ كَانَ رَبْعًا فَعَفْعًا يُنْسِي وَيُضْحِي لِلْمَنَايَا هَدَفًا

\* \* \*

١١٤٨ - وَقَدْ كَانَ أَبُو النَّجْمِ الْعِجْلِيُّ أَحَدَ رُجَّازِ الْعَرَبِ الْفُحُولِ ، وَمِنْ  
طَرِيفِ أَخْبَارِهِ مَا رَوَاهُ الْمُبَرِّدُ فِي « الْكَامِلِ » [ ٩٩٧/٢ - ٩٩٩ ] وَأَبُو الْفَرَجِ فِي  
« الْأَغَانِي » [ ١٥٥/١٠ - ١٥٧ ] ، وَهُوَ مِمَّا يَتَّصِلُ بِمَوْضُوعِ هَذَا الْمُعْجَمِ وَإِنْ لَمْ  
يَكُنْ هَذَا مَوْضِعُهُ [ راجع رقم : ١٢٣٢ ] ، قَالَا :

أَنشَدَ أَبُو النَّجْمِ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَرْجُوزَتَهُ الَّتِي مَطَّلِعُهَا : [ من الرجز ]  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَجَلِّ

حَتَّى إِذَا بَلَغَ قَوْلُهُ فِي صِفَةِ الشَّمْسِ :

حَتَّى إِذَا الشَّمْسُ جَلَاهَا الْمُجْتَلِي بَيْنَ سِمَاطِي شَفَقِ مُرْعَبِل<sup>(٢)</sup>  
صَغَوَاءُ قَدْ كَادَتْ وَلَمَّا تَفْعَلِ فِيهِ عَلَى الْأُفُقِ كَعَيْنِ الْأَخُولِ<sup>(٣)</sup>  
غَضِبَ هِشَامٌ - وَكَانَتْ عَيْنُ هِشَامٍ حَوْلَاءَ ، وَقَدْ ذَهَبَ الزَّوِيُّ بِأَبِي النَّجْمِ  
عَنِ الْفِكْرِ فِي عَيْنِ هِشَامٍ - فَأَمَرَ هِشَامُ بِطَرْدِهِ ، فَأَمَّلَ أَبُو النَّجْمِ رَجْعَتَهُ ، وَكَانَ  
يَأْوِي الْمَسَاجِدَ ، فَأَرَقَ هِشَامٌ لَيْلَةً ، فَقَالَ لِحَاجِبِهِ : أَبْغِنِي رَجُلًا عَرَبِيًّا فَصِيحًا  
يُحَادِثُنِي وَيُنْشِدُنِي ؛ فَطَلَبَ لَهُ مَا طَلَبَ ، فَوَقَفَ عَلَى أَبِي النَّجْمِ فَأَتَى ، فَلَمَّا  
دَخَلَ بِهِ إِلَيْهِ ، قَالَ : أَيْنَ تَكُونُ مُنْذُ أَفْصَيْنَاكَ ؟ قَالَ : بِحَيْثُ أَلْفَتَنِي رُسُلُكَ .  
قَالَ : فَمَنْ كَانَ أَبَا مَثْوَاكَ<sup>(٤)</sup> ؟ قَالَ : رَجُلَيْنِ : كَلْبِيًّا وَتَغْلِيًّا ، أَتَغْدِي عِنْدَ

(١) صَفْصَفًا : عَلَى الْمَثَلِ بِالْفَاعِ الصَّفْصَفِ ، وَهُوَ : الْأَمْلَسُ ، لَا نَبَاتَ فِيهِ .

(٢) السِّمَاطَانِ : الْجَانِبَانِ ؛ وَالْمُرْعَبُلُ : الْمُقَطَّعُ .

(٣) صَغَوَاءُ : مِنْ صَغَتِ الثُّجُومُ : إِذَا مَالَتْ لِلْفُرُوبِ ، يَقُولُ : كَادَتْ تَغِيْبُ .

(٤) يُقَالُ لِرَبِّ النَّبْتِ وَرَبِّهِ النَّبْتِ اللَّذِينَ يَنْزِلُ بِهِمَا الضَّيْفُ : هِيَ أُمُّ مَثْوَاهُ وَهُوَ أَبُو مَثْوَاهُ ؛ وَفِي =

أَحَدِهِمَا وَأَتَعَشَّى عِنْدَ الْآخَرِ ؛ فَقَالَ لَهُ : مَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ ؟ قَالَ : ثَلَاثُ بَنَاتٍ وَبَنِي ؛ فَقَالَ لَهُ : هَلْ أَخْرَجْتَ مِنْ بَنَاتِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ زَوَّجْتُ اثْنَتَيْنِ وَبَقِيَتْ وَاحِدَةٌ تُجْمَزُ فِي أَبْيَاتِنَا - بِيُوتِنَا - <sup>(١)</sup> كَأَنَّهَا نَعَامَةٌ ؛ قَالَ : فَمَا وَصَّيْتَ بِهِ الْأُولَى ؟ وَكَانَتْ تُسَمَّى بَرَّةً ، قَالَ [من الرجز] :

أَوْصَيْتُ مِنْ بَرَّةٍ قَلْبًا حُرًّا بِالْكَلْبِ خَيْرًا وَالْحَمَاةَ شَرًّا <sup>(٢)</sup>  
لَا تَسَامِي ضَرْبًا لَهَا وَجَرًّا حَتَّى يَرَوْا حُلُوَ الْحَيَاةِ مُرًّا  
وَإِنْ كَسْتُكَ ذَهَبًا وَدُرًّا وَالْحَيَّ عُمِّيهِمْ بِشَرِّ طُرًّا  
فَضَحِكَ هِشَامُ ، وَقَالَ : فَمَا قُلْتَ لِلْآخَرَى ؟ قُلْتَ [من الرجز] :

سُبِّي الْحَمَاةَ وَأَبْهَتِي عَلَيْهَا وَإِنْ رَنْتَ فَأَزْدِلْفِي إِلَيْهَا <sup>(٣)</sup>  
وَأَوْجِعِي بِالْفَهْرِ رُكْبَتَيْهَا وَمِرْفَقَيْهَا وَأَضْرِبِي جَنْبَيْهَا <sup>(٤)</sup>  
لَا تُخْبِرِي الدَّهْرَ بِذَلِكَ أَبْنَيْهَا

فَضَحِكَ هِشَامُ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، ثُمَّ قَالَ : مَا قُلْتَ فِي الثَّلَاثَةِ وَفِي تَأْخِيرِ تَرْوِيجِهَا ؟ قَالَ : قُلْتُ [من الرجز] :

كَأَنَّ ظَلَامَةَ أُخْتِ شَيْئَانِ يَتِيمَةً وَوَالِدَاهَا حَيَّانِ

= الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ : ﴿ أَكْثَرُ مَثَوِيَّةٍ ﴾ [ ١٢ سورة يوسف / الآية : ٢١ ] مَعْنَاهُ عِنْدَ الْعَرَبِ : إِضَافَتُهُ .

- (١) تُجْمَزُ ، يَكْسِرُ الْمِيمَ : تَعْدُو وَتُسْرِعُ .
- (٢) قَالَ الْمُبَرِّدُ : قَوْلُهُ : بِالْكَلْبِ خَيْرًا وَالْحَمَاةَ شَرًّا ، كَلَامٌ مَعِيْبٌ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ ، وَبَعْضُهُمْ لَا يُحِبُّهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ عَطَفَ عَلَى عَامِلَيْنِ بِالْبَاءِ وَعَلَى الْفِعْلِ .
- (٣) وَأَبْهَتِي عَلَيْهَا ، يُرِيدُ : أَبْهَتَيْهَا ، فَضَمَّنَتْهُ مَعْنَى أَكْذِبِي ، فَعَدَّاهُ يَعْلى ، إِذْ لَا يُقَالُ : بَهَتْ عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ : بَهَتْ إِذَا قَالَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَفْعَلْهُ ، وَيُرْوَى بِدَلٍّ : أَبْهَتِي عَلَيْهَا : أَنْهَتِي عَلَيْهَا بِالثُّونِ ، مِنَ اللَّهَيْتِ ، وَهُوَ صَوْتُ الْأَسَدِ دُونَ زَفِيرِهِ ، وَأَزْدِلْفِي إِلَيْهَا ، أَيُّ : تَقْرَبِي .
- (٤) الْفَهْرُ : الْحَجَرُ .

الْجِيدُ مِنْهَا عَطْلٌ وَالْأَذَانُ وَلَيْسَ فِي الرَّجْلَيْنِ إِلَّا خَيْطَانُ  
فَهِيَ الَّتِي يُذْعَرُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ

فَقَالَ هِشَامُ لِحَاجِبِهِ : مَا فَعَلْتَ بِالْذَّنَائِيرِ الْمَخْتُومَةِ الَّتِي أَمَرْتُكَ بِقَبْضِهَا ؟  
قَالَ : هَا هِيَ عِنْدِي ، وَوَزَنُهَا خَمْسُ مِئَةٍ ؛ قَالَ : فَأَذْفَعَهَا إِلَيَّ أَبِي النَّجْمِ  
لِيَجْعَلَهَا فِي رِجْلَيَّ ظَلَامَةً مَكَانَ الْخَيْطَيْنِ .

\* \* \*

١١٤٩ - وَمِنْ مُلْحِ أَبِي النَّجْمِ - وَهِيَ مِمَّا يَمُتُّ إِلَى مَوْضُوعِنَا بِسَبَبِ  
وَاصِلٍ - أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَدْ أَتَتْ لَهُ سَبْعُونَ سَنَةً ، فَقَالَ لَهُ  
هِشَامُ : مَا رَأَيْتُكَ فِي النِّسَاءِ ؟ قَالَ : إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِمْ شَرًّا وَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ  
خَرًّا<sup>(١)</sup> ؛ فَوَهَبَ لَهُ جَارِيَةً ، وَقَالَ لَهُ : أَغْدُ عَلَيَّ فَأَعْلِمْنِي مَا كَانَ مِنْكَ ؛ فَلَمَّا  
أَصْبَحَ غَدَا عَلَيْهِ ، قَالَ لَهُ : مَا صَنَعْتَ ؟ فَقَالَ : مَا صَنَعْتُ شَيْئًا وَلَا قَدَرْتُ  
عَلَيْهِ ، وَقَدْ قُلْتُ فِي ذَلِكَ أَيْبَاتًا ؛ ثُمَّ أَنْشَدَهُ [من الكامل] :

نَظَرْتُ فَأَعْجَبَهَا الَّذِي فِي ذِرْعِهَا مِنْ حُسْنِهِ ، وَنَظَرْتُ فِي سِرْبَالِيَا  
فَرَأْتُ لَهَا كَفَلًا يَمِيلُ بِخَضِرِهَا وَغَشًّا رَوَادِفُهُ وَأَجْنَمَ جَائِيَا<sup>(٢)</sup>  
[صَيِّقًا ، يَعَضُّ بِكُلِّ عَرْدٍ نَالَهُ ، كَالْقَعْبِ ، أَوْ صَرْحٍ يُرَى مُتَجَافِيَا]  
وَرَأَيْتُ مُنْتَشِرَ الْعِجَانِ مُقْلَصًا رِخْوًا مَفَاصِلُهُ وَجِلْدًا بَالِيَا<sup>(٣)</sup>  
أُذْنِي لَهُ الرِّكَبَ الْحَلِيقَ كَأَنَّمَا أُذْنِي إِلَيْهِ عَقَارِبًا وَأَفَاعِيَا<sup>(٤)</sup>

(١) الشَّرُّ : النَّظَرُ بِجَانِبِ الْعَيْنِ فِي إِغْرَاضٍ ؛ وَالْخَرُّ : أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ كَأَنَّهُ يَنْظُرُ بِمُؤَخَّرِ عَيْنِهِ .

(٢) الْوَعْتُ : اللَّيْنُ ، وَيُرِيدُ بِالْأَجْنَمِ فَرْجَهَا .

(٣) الْعِجَانُ : الْقَفْصِيبُ الْمَمْدُودُ مِنَ الْخُصْيَةِ إِلَى الدُّبُرِ .

(٤) الرِّكَبُ : الْفَرْجُ .

إِنَّ الْكِدَامَةَ وَالْكَدَامَةَ فَأَعْلَمَنْ ، لَوْ قَدْ صَبَرْتُكَ لِلْمُوَاسِي خَالِيَا  
 مَا بَالُ رَأْسِكَ مِنْ وَرَائِي طَالِعَا أَظَنَنْتَ أَنَّ حِرَّ الْفَتَاةِ وَرَائِيَا  
 فَأَذْهَبَ فَإِنَّكَ مَيْتٌ لَا يُزْتَجَى أَبَدَ الْأَيِّدِ ، وَلَوْ عَمَرْتَ لِيَالِيَا  
 أَنْتَ الْغُرُورُ إِذَا خُبِرْتَ ، وَرُبَّمَا كَانَ الْغُرُورُ لِمَنْ رَجَاهُ شَافِيَا  
 لَكِنَّ أَيْرِي لَا يُرَجَّى نَفْعُهُ حَتَّى أَعُودَ أَحَا فِتَاءَ نَاشِيَا<sup>(١)</sup>  
 فَضَحِكَ هِشَامٌ وَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ .

[ « طبقات فحول الشعراء » ٢/ ٧٤٥ - ٧٤٨ ؛ « الأغاني » ١٠/ ١٥٨ ؛ « المختار من شعر بشار »

٢٠٩ ؛ « معاهد التنقيص » ١١ ؛ « الحيوان » ٤/ ٢٥٨ ؛ « مجموعة المعاني » ٢١٩ ] .

\* \* \*

### الْصَّلَعُ فِي اللُّغَةِ :

١١٥٠ - إِذَا أُنْحَسَرَ الشَّعْرُ عَنْ جَانِبَيْ جَبْهَةِ الرَّجُلِ فَهُوَ أَنْزَعٌ ، فَإِذَا زَادَ شَيْئاً  
 فَهُوَ أَجْلَحُ ، فَإِذَا بَلَغَ الْأَنْحِسَارُ نِصْفَ رَأْسِهِ فَهُوَ أَجْلَى وَأَجْلَهُ ، فَإِذَا زَادَ فَهُوَ  
 أَضْلَعُ ، فَإِذَا ذَهَبَ الشَّعْرُ كُلُّهُ فَهُوَ أَحْصُ ، قَالَ الثَّعَالِبِيُّ فِي « فِقْهِ اللُّغَةِ » [ القسم  
 الأول الفصل العاشر ] : وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْقَرَعِ وَالْصَّلَعِ أَنَّ الْقَرَعَ ذَهَابُ الْبَشْرَةِ ، وَالْصَّلَعُ  
 ذَهَابُ الشَّعْرِ مِنْهَا .

\* \* \*

### فَائِدَةٌ :

١١٥١ - قَالَ ابْنُ سِينَا : لَا يَخْدُثُ الصَّلَعُ لِلنِّسَاءِ ، لِكَثْرَةِ رُطُوبَتِهِنَّ ،  
 وَلَا لِلْخِصْيَانِ ، لِقُرْبِ أَمْرِجَتِهِمْ مِنْ أَمْرِجَةِ النِّسَاءِ .

\* \* \*

(١) الْفِتَاءُ : الشَّبَابُ .

## البَابُ السَّابِعُ فِي الدَّمَامَةِ وَالْقُبْحِ

وَفِي هَذَا الْبَابِ نُورِدُ صَدْرًا مِنْ عِبْقَرِيَّاتِهِمْ فِي الدَّمَامَةِ وَالْقُبْحِ وَوَضَفِ بَعْضِ  
الْعُيُوبِ الْخَلْقِيَّةِ فِي الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ .

الْمَوْصُوفُ بِالْقُبْحِ :

١١٥٢ - يُقَالُ : فَلَانٌ أَقْبَحُ مِنْ زَوَالِ النَّعَمِ وَفَوَتْ الْمُنَى وَطَلَعَةَ الرَّدَى ،  
وَمِنْ سَنَةِ بِلَانِيل .

\* \* \*

١١٥٣ - وَلَمَّا سَمِعَ بَشَارُ بْنُ بُرْدٍ قَوْلَ حَمَادٍ عَجَزَ فِيهِ [من الهزج] :

شَيْبُهُ الْوَجْهَ بِالْقِرْدِ إِذَا مَا عَمِيَ الْقِرْدُ  
بَكَى وَقَالَ : أَلَمْ يَكْفِهِ تَشْبِيهِى بِالْقِرْدِ حَتَّى جَعَلَهُ أَعْمَى ! هُوَ يَرَانِي فَيَصِفُنِي  
وَلَسْتُ أَرَاهُ فَأَصِفْهُ ! وَفِيهِ يَقُولُ بَشَارُ [من الكامل]

نِعْمَ أَلْفَتَنِ لَوْ كَانَ يَعْبُدُ رَبَّهُ وَيُقِيمُ وَقْتَ صَلَاتِهِ حُمَادُ  
وَأَبْيَضَ مِنْ شُرْبِ الدَّمَامَةِ وَجْهُهُ وَبَيَاضُهُ يَوْمَ الْحِسَابِ سَوَادُ

\* \* \*

١١٥٤ - وَقَالَ الْمُتَنَبِّيُّ فِي ابْنِ كَيْغَلَعٍ [من الكامل] :

وَإِذَا أَشَارَ مُحَدَّثًا فَكَأَنَّهُ قِرْدٌ يَقْفُقه أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ

\* \* \*

١١٥٥ - وَقَالَ ابْنُ الرُّومِي [من المنسرح] :

يُنْزَعُ الصَّبِيَّةُ الصَّغَارُ بِهِ إِذَا بَكَى بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَنْمِ

\* \* \*

١١٥٦ - وَجِيءَ بِعَيَّارٍ - الَّذِي يَتَرَدَّدُ بِلا عَمَلٍ يُحَلِّي نَفْسَهُ وَهَوَاهَا - إِلَى

بَعْضِ الْكِبَارِ ، فَقَالَ لِغُلَامِهِ : أَطْمَ حُرٌّ وَجْهِهِ ؛ فَقَالَ : يَا سَيِّدِي لَيْسَ لِرُجْهِهِ حُرٌّ<sup>(١)</sup> ؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَبِيحًا .

\* \* \*

١١٥٧ - وَقَالَ شَاعِرٌ [من مجزوء الرجز] :

وَجْهَهُ قَبِيحٌ خَامِضٌ لَوْ عَضَّهُ الْكَلْبُ ضَرَسَ

\* \* \*

١١٥٨ - وَوَقَعَ بَيْنَ الْإِمَامِ الْأَعْمَشِ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ وَخَشَهُ<sup>(٢)</sup> ، فَسَأَلَ بَعْضَ

أَصْحَابِهِ أَنْ يَرْتَضِيَهَا وَيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا ، وَقَالَ : إِنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ شَيْخُنَا وَفَقِيهُنَا ، فَلَا يُزْهَدُنَا فِيهِ عَمَشُ عَيْنَيْهِ ، وَحُمُوشَةُ سَاقَيْهِ ، وَضَعْفُ رُكْبَتَيْهِ ، وَقَزْلٌ - عَرَجٌ - رِجْلَيْهِ ، وَتَنَنُ إِبْطَيْهِ ، وَبَخْرُ شِدْقَيْهِ ؛ فَقَالَ الْأَعْمَشُ : قُمْ عَنَّا قَبْحَكَ اللَّهُ ، فَقَدْ أَرَيْتَهَا مِنْ عُيُوبِي مَا لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُهُ وَتُبْصِرُهُ . . .

\* \* \*

(١) حُرُّ الْوَجْهِ : مَا أَقْبَلَ عَلَيْكَ مِنْهُ ؛ وَقِيلَ : أَخَذَ ؛ وَالْحُرُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ : أَحْسَنُهُ وَأَكْرَمُهُ .

(٢) الْأَعْمَشُ ، هُوَ : سُلَيْمَانُ بْنُ مَهْرَانَ الْكُوفِيُّ [٦١ - ١٤٨هـ = ٦٨١ - ٧٦٥م] ، كَانَ ثِقَةً عَالِمًا فَاضِلًا ، وَلَقِيَ كِبَارَ التَّابِعِينَ ، وَكَانَ لَطِيفَ الْخُلُقِ ، مَرَّاحًا ؛ أَنْظَرَ « وَقِيَّاتِ الْأَعْيَانِ » لِابْنِ خَلْكَانَ .



١١٥٩ - وَرُوي أَنَّ رَجُلًا وَأَمْرَأَتَهُ اخْتَصَمَا إِلَى أَمِيرٍ مِنْ أُمَرَاءِ الْعِرَاقِ ،  
وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ حَسَنَةً الْمُتَقَبِّ ، قَبِيحَةً الْمَسْفِرِ <sup>(١)</sup> ، وَكَانَ لَهَا لِسَانٌ ، فَكَانَ  
الْعَامِلَ - الْأَمِيرَ - مَالَ مَعَهَا ، فَقَالَ : يَعْمَدُ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَرْأَةِ الْكَرِيمَةِ  
فَيَتَزَوَّجُهَا ، ثُمَّ يُسِيءُ إِلَيْهَا ! فَأَهْوَى زَوْجُهَا فَأَلْقَى النَّقَابَ عَنْ وَجْهِهَا ، فَقَالَ  
الْأَمِيرُ : عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ ، كَلَامُ مَظْلُومٍ وَوَجْهُ ظَالِمٍ . . .

\* \* \*

١١٦٠ - وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ [ وَيُنْسَبُ لِذِي الرُّمَّةِ ، مِنْ الْوَافِرِ ] :

جَزَى اللَّهُ الْبَرَّاقِعَ مِنْ ثِيَابِ عَنِ الْفَتَيَانِ شَرًّا مَا بَقِينَا  
يُوَارِينِ الْحِسَانَ فَلَا نَرَاهَا وَيَزْهِنُ الْقَبَاحَ فَيَزْدَهِينَا

\* \* \*

١١٦١ - وَقَالَ أَبُو الْغَطَمَشِ الْحَفَفِيُّ [ وَيُنْسَبُ لِذِي الْخَزَاعِي ، مِنْ الْمُتَقَارِبِ ] :

مُيْنْتُ بِزَغَرْدَةٍ كَالْعَصَا أَلَصَّ وَأَخْبَثَ مِنْ كُنْدُشٍ <sup>(٢)</sup>  
[ تُحِبُّ النِّسَاءَ وَتَأْبَى الرِّجَالَ وَتَمْشِي مَعَ الْأَخْبَثِ الْأَطْيَشِ ]  
لَهَا وَجْهُ قِرْدٍ إِذَا أَرَيْنَتْ وَلَوْ كَبِيضٍ أَلْقَطَا الْأَبْرَشِ <sup>(٣)</sup>

- (١) أَيُّ : إِنَّهَا تُرَى جَمِيلَةً إِذَا كَانَ عَلَيْهَا النَّقَابُ ، أَمَّا إِذَا اسْفَرَّتْ بَانَ قُبْحُهَا الْأَصِيلُ .  
(٢) مُيْنْتُ : ابْتُلِيَتْ ؛ وَزَغَرْدَةٌ : صَاغَهَا اللَّهُ خَلْقًا وَخُلُقًا كَمَا يُصَاغُ الرِّجَالُ ، وَقَالَ أَبُو الْعَلَاءِ  
الْمَعَرِّيُّ : الزَّغَرْدَةُ فِيمَا قِيلَ : الصَّغِيرَةُ الْجِسْمِ ، وَشَبَّهَهَا بِالْعَصَا لِقِلَّةِ لَحْمِهَا وَهَزَالِهَا ؛  
[ وَيُزَوَّى : زَنْمَرْدَةٌ ، أَوْ زَمْرَدَةٌ ؛ وَهِيَ الَّتِي بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ ، مِنَ الْفَارِسِيَّةِ ، زَنْ :  
امْرَأَةٌ ؛ وَمَزْد : رَجُلٌ ] . وَكُنْدُشٌ : لَقَبٌ لِصِّ كَانَ مَعْرُوفًا عَنْهُمْ ؛ وَقِيلَ : هُوَ الْعَقْعَقُ ،  
طَائِرٌ عَلَى شَكْلِ الْغُرَابِ ، وَهُوَ مَوْصُوفٌ بِالسَّرْقَةِ ، وَقِيلَ : الْفَارَةُ .  
(٣) أَرَيْنَتْ ، أَيُّ : تَرَيْنَتْ ؛ وَالْقَطَا : طَائِرٌ مَعْرُوفٌ ؛ وَالْأَبْرَشُ : نَقَطٌ بَيْضٌ تَظْهَرُ عَلَى الْجِلْدِ  
يُخَالِفُ لَوْنَهَا لَوْنُ الْجِلْدِ .

- وَتَذِي يَجُولُ عَلَى نَحْرِهَا      كَقَرْبَةِ ذِي الثَّلَاةِ الْمُعْطَشِ<sup>(١)</sup>  
لَهَا رَكْبٌ مِثْلُ ظِلْفِ الْغَزَالِ      أَشَدُّ أَصْفَرَاراً مِنَ الْمِشْمِشِ<sup>(٢)</sup>  
وَفَخِذَانِ بَيْنَهُمَا نَعْنَفٌ      يُجِيزُ الْمَحَامِلَ لَمْ تَخْدِشِ<sup>(٣)</sup>  
وَسَاقٌ مُخْلَخَلُهَا حَمَشَةٌ      كَسَاقِ الْجَرَادَةِ أَوْ أَحْمَشِ<sup>(٤)</sup>  
كَأَنَّ الثَّالِيلَ فِي وَجْهِهَا      إِذَا أَسْفَرَتْ بِدَدِ الْكِشْمِشِ<sup>(٥)</sup>  
لَهَا جُمَّةٌ فَوْقَهَا جَثْلَةٌ      كَمِثْلِ الْخَوَافِي مِنَ الْمُرْعَشِ<sup>(٦)</sup>

\* \* \*

١١٦٢ - وَقَالَ أَغْرَابِي فِي أَمْرَاتِهِ [من البسيط] :

تَمَّتْ عُيْدَةٌ إِلَّا مِنْ مَحَاسِنِهَا      وَالْمِلْحُ مِنْهَا مَكَانَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ  
قُلْ لِلَّذِي عَابَهَا مِنْ عَائِبٍ حَقِ      أَقْصِرْ فَرَأْسُ الَّذِي قَدْ عُبْتُ لِلْحَجَرِ

- (١) الثَّلَاةُ : الْفِطْعَةُ مِنَ الْعَنَمِ ؛ وَالْمُعْطَشُ : الَّذِي قَدْ عَطِشَتْ غَنَمُهُ ، يَصِفُهَا بِعَظَمِ التَّذِي ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ أَنَّ تَذِيهَا طَوِيلٌ وَإِنْ كَانَتْ حَالِيَةً ، فَقَدْ وَصَفُهَا بِالطَّوْلِ وَالْتَّشْجِ .  
(٢) الرَّكْبُ : الْفَرْجُ ، أَوْ مَنَبْتُ شَعْرِ الْعَانَةِ ، يَصِفُهَا بِالْهَزَالِ وَصُفْرَةِ اللَّوْنِ .  
(٣) النَّعْنَفُ : الْمَهْوَاةُ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ ؛ وَالْمَحَامِلُ ، جَمْعُ مَحْمَلٍ ، وَهُوَ : الْهُودُجُ وَمَا يُرْكَبُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ أَيْضاً الرِّبِيلُ الَّذِي يُحْمَلُ فِيهِ الْعَنْبُ وَنَحْوُهُ إِلَى الْجَرِينِ ؛ يَصِفُهَا بِأَنَّ فَخْذَيْهَا فِي الْغَايَةِ مِنَ الْهَزَالِ وَقِلَّةِ الْأَمْتِلَاءِ ، بِحَيْثُ لَوْ مَرَّ بَيْنَهُمَا الْمَحْمَلُ لَا تَخْدِشُهُ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْهُوَّةِ وَالْإِتْسَاعِ .  
(٤) الْمُخْلَخَلُ مِنَ السَّاقِ : مَوْضِعُ الْخُلْخَالِ ؛ وَالْحَمَشَةُ : الرِّقِيقَةُ الْقَلِيلَةُ اللَّحْمِ كَمَا تَقَدَّمَ . وَإِنَّمَا أَنْتَ وَقَالَ : مُخْلَخَلُهَا حَمَشَةٌ ، لِأَنَّ الْمُخْلَخَلَ مِنَ السَّاقِ ، وَالسَّاقُ مُؤَنَّثَةٌ ، وَيَبْغُضُ الشَّيْءُ إِذَا أُطْلِقَ عَلَيْهِ اسْمُ الْكُلِّ أَجْرِي فِي الْأَخْوَالِ مَجَرَّاهُ إِلَّا أَنْ يَمْنَعَ مَانِعٌ .  
(٥) الثَّالِيلُ ، جَمْعُ ثُلُولٍ ، وَهُوَ : خُرَاجُ نَاتِيءٍ صُلْبٍ مُسْتَدِيرٍ ؛ وَالْبِدْدُ ، جَمْعُ بِدَّةٍ ، وَهِيَ : الْفِطْعُ الْمُنْفَرَقَةُ ؛ وَالْكِشْمِشُ : ضَرْبٌ مِنَ الْعَنْبِ صَغِيرٌ .  
(٦) الْجُمَّةُ مِنَ الشَّعْرِ : دَوْنُ اللَّحْيَةِ فِي الطَّوْلِ ، وَهِيَ تُشَبِّهُ الْقَصَّةَ ؛ وَالْجَثْلَةُ : الْكَثِيرَةُ ؛ وَالْخَوَافِي : مَا دُونَ الرِّيشَاتِ الْعَشْرِ فِي جَنَاحِ الطَّائِرِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْقَوَادِمِ ؛ وَالْمُرْعَشُ ، غُنِي بِهِ : التَّنْسُرُ الَّذِي قَدْ هَرِمَ .

يَقُولُ هَذَا الْأَعْرَابِيُّ : تَمَّتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ الْمَحَاسِنِ ،  
فَكَانَ تَمَامُهَا فِي الْمَقَابِحِ ، وَالْمِلْحُ - أَيْ : الْمَلَاَحَةُ - بَعِيدَةٌ مِنْهَا بَعْدَ الشَّمْسِ  
وَالْقَمَرِ ، يَصِفُهَا بِأَنَّهَا أَسْتَكْمَلْتُ جَمِيعَ أَوْصَافِ الْقُبْحِ ، ثُمَّ قَالَ : قُلْ لِلَّذِي  
عَابَهَا حَقًّا وَغَيْظًا : هَوْنٌ عَلَيْكَ وَأَقْلِيلٌ مِنْ ذِكْرِ مَعَائِبِهَا ، فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا كَسْرُ  
رَأْسِهَا بِالْحَجَرِ .

\* \* \*

١١٦٣ - وَقَالَ مُسْلِمٌ بْنُ الْوَلِيدِ يَهْجُو رَجُلًا يَقْبُحُ الْوَجْهَ وَالْأَخْلَاقَ [من  
الكامل] :

قَبَحَتْ مَنَاطِرُهُ فَحِينَ خَبَرْتُهُ حَسَنْتَ مَنَاطِرُهُ لِقُبْحِ الْمَخْبَرِ

\* \* \*

١١٦٤ - وَقَالَ الْجَاحِظُ : مَا أَخْجَلَنِي قَطُّ إِلَّا أَمْرَاءُ مَرَّتْ بِي إِلَى صَائِعٍ ،  
فَقَالَتْ لَهُ : أَعْمَلْ مِثْلَ هَذَا ؛ فَبَقِيتُ مَبْهُوتًا ، ثُمَّ سَأَلْتُ الصَّائِعَ فَقَالَ : هَذِهِ  
أَمْرَاءُ أَرَادَتْ أَنْ أَعْمَلَ لَهَا صُورَةَ شَيْطَانٍ ؛ فَقُلْتُ : لَا أَذْرِي كَيْفَ أَصُورُهُ ؟  
فَاتَتْ بِكَ إِلَيَّ لِأَصُورُهُ عَلَى صُورَتِكَ .

\* \* \*

١١٦٥ - وَفِي الْجَاحِظِ يَقُولُ بَعْضُهُمْ [من الكامل] :

لَوْ يُنْسَخُ الْخَنْزِيرُ مَسْخًا ثَانِيًا      مَا كَانَ إِلَّا دُونَ قُبْحِ الْجَاحِظِ  
رَجُلٌ يُتَوَّبُ عَنِ الْجَحِيمِ بِوَجْهِهِ      وَهُوَ الْقَذَى فِي عَيْنِ كُلِّ مُلَاحِظٍ  
وَلَوْ أَنَّ مِرَاةً جَلَتْ تِمْنَالُهُ      وَرَأَاهُ كَانَ لَهُ كَأَعْظَمِ وَاعِظٍ

\* \* \*

١١٦٦ - وَقَالَ الْأَضْمَعِيُّ : رَأَيْتُ بَدْوِيَّةً مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا ، وَلَهَا زَوْجٌ قَبِيحٌ ، فَقُلْتُ . يَا هَذِهِ ! أَنْزِصِينَ أَنْ تَكُونِي تَحْتَ هَذَا ؟ فَقَالَتْ : يَا هَذَا ! لَعَلَّهُ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ فَجَعَلَنِي ثَوَابُهُ ، وَأَسَأْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ رَبِّي فَجَعَلَهُ عَذَابِي ! أَفَلَا أَرْضَى بِمَا رَضِيَ اللَّهُ بِهِ ! راجع رقم : ١٤٥٩ .

\* \* \*

١١٦٧ - وَحَجَّ مُخَنِّتٌ فَرَأَى رَجُلًا قَبِيحَ الْوَجْهِ يَسْتَغْفِرُ ، فَقَالَ : يَا حَبِيبِي ! مَا أَرَاكَ تَبْخُلُ بِهَذَا الْوَجْهِ عَلَى جَهَنَّمَ !

\* \* \*

١١٦٨ - وَخَطَبَ رَجُلٌ عَظِيمُ الْأَنْفِ امْرَأَةً ، فَقَالَ لَهَا : إِنِّي رَجُلٌ كَرِيمٌ الْمُعَاشَرَةِ ، مُحْتَمِلٌ لِلْمَكَارِهِ ؛ فَقَالَتْ : لَا شَكَّ فِي أَحْتِمَالِكَ الْمَكَارِهِ مَعَ حَمَلِكَ هَذَا الْأَنْفِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ! [راجع رقم : ١٢٣٥] .

\* \* \*

١١٦٩ - وَقَالَ الْخُطَيْئَةُ يَهْجُو أُمَّهُ [من الوافر] :

تَنْخِي فَاجْلِسِي مِنِّي بَعِيدًا	أَرَاخَ اللَّهُ مِنْكَ الْعَالَمِينََا
أَغْرِبَالًا إِذَا أَسْتَوْدَعْتَ سِرًّا	وَكَاثُونًا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينََا <sup>(١)</sup>
[ أَلَمْ أَوْضِحْ لَكَ الْبَغْضَاءَ مِنِّي	وَلَكِنْ لَا أَخَالُكَ تَعْقِلِينََا ]
حَيَاتِكَ مَا عَلِمْتُ حَيَاةَ سُوءٍ	وَمَوْتِكَ قَدْ يَسُرُّ الصَّالِحِينََا

\* \* \*

١١٧٠ - وَقَالَ فِيهَا أَيْضًا [من الوافر] :

(١) الْغُرْبَالُ هُنَا : الْكَمَامُ ؛ وَالْكَاثُونُ : الثَّقِيلُ الْوَحِيمُ مِنَ النَّاسِ .

جَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا مِنْ عَجُوزٍ      وَلَقَّاكَ الْعُقُوقَ مِنَ الْبَيْنِ  
فَقَدْ مُلِكْتَ أَمْرَ بَيْتِكَ حَتَّى      تَرَكْتَهُمْ أَدَقَ مِنَ الطَّحِينِ  
لِسَانُكَ مَبْرَدٌ لَا خَيْرَ فِيهِ      وَدَرُّكَ دَرٌّ جَاذِبَةٌ دَهِينٌ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

الْمُسْتَقْبَحُ وَجْهَ نَفْسِهِ :

١١٧١ - قَالَ الشَّاعِرُ الْخَطِيبَةُ [من الطويل] :

[ أَبَتْ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلُّمًا      بِشَرٍّ فَمَا أَذْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ ]  
أَرَى لِي وَجْهًا قَبَّحَ اللَّهُ خَلْقَهُ      فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهِ وَقُبِّحَ حَامِلُهُ

\* \* \*

١١٧٢ - وَنَظَرَ بَعْضُهُمْ فِي الْمِرَاةِ - وَكَانَ قَبِيحًا - فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
لَا يُحَمِّدُ عَلَى الْمَكْرُوهِ سِوَاهُ . . .

\* \* \*

١١٧٣ - وَنَظَرَ بَعْضُهُمْ فِي الْمِرَاةِ - وَكَانَ قَدْ جُدَّرَ - أَصَابَهُ الْجُدَرِيُّ - فَبَدَّلَ  
خَلْقَهُ - فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَنِي فَأَحْسَنَ خَلْقِي ، ثُمَّ بَدَّلَهُ فَشَوَّهَنِي . . .

\* \* \*

١١٧٤ - أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى بَعْضُ الشُّعْرَاءِ ، فَقَالَ [من البسيط] :

قَدْ كَانَ رَبِّي سَوَى خَلْقِهِ فَطَعَنِي      فَأَحْسَنَ اللَّهُ فِي تَشْوِيهِ خِلْقَتِهِ

\* \* \*

---

(١) الْجَاذِبَةُ : الْتَائِقَةُ الَّتِي جَذَبَتْ لَبَنَهَا فِي ضِرْعِهَا فَلَذَبَ صَاعِدًا ؛ وَالْدَّهِينُ مِنَ الْإِبِلِ : الْتَائِقَةُ  
الْبَكِيَّةُ الَّتِي يُمَرَى ضِرْعُهَا فَلَا يَدُرُّ قَطْرَةً .

الْمُعَرَّضُ بِفُتْحِ غَيْرِهِ :

١١٧٥ - رَأَى خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ الْفَرَزْدَقَ ، فَقَالَ : يَا أَبَا فِرَاسٍ ! مَا أَنْتَ بِالَّذِي لَمَّا ﴿رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَعْتَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ <sup>(١)</sup> [١٢ سورة يوسف/ الآية : ٣١] ؟ فَقَالَ لَهُ :  
وَلَا أَنْتَ بِالَّذِي قَالَتِ الْفَتَاةُ لِأَيِّهَا : ﴿يَتَأَبَّتْ أَسْتَجِرُّهُ لِيَكْ خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجِرَّتِ الْقَوِيُّ  
الْأَمِينُ﴾ <sup>(٢)</sup> [٢٨ سورة القصص/ الآية : ٢٦] .

\* \* \*

١١٧٦ - وَأَخَذَ رَجُلٌ مِّنْ لِّخِيَةِ آخَرَ شَيْئًا ، فَلَمْ يَدْعُ لَهُ ، فَغَضِبَ ، فَقَالَ :  
لَا تَغْضَبْ ، فَمَا مَعْنِي أَنْ أَقُولَ : صَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ الْشُّوءَ إِلَّا الْخَوْفُ مِنْ أَنْ  
يَصْرِفَ عَنْكَ وَجْهَكَ ، فَإِنَّ الْشُّوءَ كُلَّهُ فِيهِ . . .

\* \* \*

١١٧٧ - وَقِيلَ لِرَجُلٍ : كَيْفَ رَأَيْتَ فُلَانًا ؟ فَقَالَ : ﴿لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ  
مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمْلَمْتُ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [١٨ سورة الكهف/ الآية : ١٨] .

\* \* \*

١١٧٨ - وَقَالَ رَجُلٌ لِلْفَرَزْدَقِ : مَا أَفْبَحَ وَجْهَكَ ، كَأَنَّمَا خُلِقَ مِنْ أَحْرَاحٍ !  
فَقَالَ : أَنْظُرْ ! هَلْ تَرَى حِرَاءُ مَكَ !

\* \* \*

١١٧٩ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِأَبِي الْعَيْنَاءِ : يَا قِرْدُ ! فَقَالَ : ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا  
وَنَسِيَ خَلْقَهُمْ﴾ <sup>ط</sup> [٣٦ سورة يس/ الآية : ٧٨] .

\* \* \*

(١) يُرِيدُ سَيِّدَنَا يُوسُفَ ، وَكَانَ مَوْصُوفًا بِالْجَمَالِ .  
(٢) يُرِيدُ سَيِّدَنَا مُوسَى ، وَيَعْرَضُ بِأَنَّ خَالِدًا لَيْسَ بِالْأَمِينِ .

الْمُعْتَذِرُ عَنْ قُبْحِهِ :

١١٨٠ - قَالَ رَجُلٌ لِلْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ : « تَسْمَعُ بِالْمُعْنِيَّ لَا أَنْ تَرَاهُ » .  
فَقَالَ : مَا ذَمَمْتَ مِنِّي يَا ابْنَ أَخِي ؟ قَالَ : الدَّمَامَةُ وَقِصَرَ الْقَامَةِ ! قَالَ : لَقَدْ  
عَبْتُ عَلَيَّ مَا لَمْ أُؤَامَرْ فِيهِ <sup>(١)</sup> .

\* \* \*

١١٨١ - وَقِيلَ لِحَكِيمٍ : مَا أَقْبَحَ صُورَتَكَ ! فَقَالَ : لَيْسَ حُسْنُكَ إِلَيْكَ فَتُحَمَّدَ  
عَلَيْهِ ، وَلَا قُبْحِي إِلَيَّ فَأَعَاتَبَ عَلَيْهِ ، إِنَّمَا ذَلِكَ صُنْعُ الْبَارِي تَعَالَى مَنْ ذَمُّهُ كَفَرَ .

\* \* \*

قَدْ يَكُونُ الْقَبِيحُ الْمَظْهَرُ جَمِيلَ الْمَخْبَرِ :

١١٨٢ - قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَرَ : قَدِمَ عَلَيْنَا الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ الْكُوفَةَ مَعَ  
الْمُضْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، فَمَا رَأَيْتُ خَضَلَةً تُدْمُ إِلَّا وَقَدْ رَأَيْتُهَا فِي الْأَخْنَفِ : كَانَ صَغَلَ  
الرَّأْسِ <sup>(٢)</sup> ، مُتْرَاكِبَ الْأَسْنَانِ ، أَشْدَقَ <sup>(٣)</sup> ، مَائِلَ الذَّقَنِ ، مَاتِيءَ الْوَجْهِ ، غَائِرَ  
الْعَيْنَيْنِ ، خَفِيفَ الْعَارِضِ ، أَخْنَفَ الرَّجُلِ <sup>(٤)</sup> ؛ وَلَكِنَّهُ إِذَا تَكَلَّمَ جَلَا عَنْ نَفْسِهِ <sup>(٥)</sup> .

\* \* \*

١١٨٣ - وَإِلَيْكَ الْأَبْيَاتُ الْمَشْهُورَةُ الْمُتَدَاوِلَةُ الَّتِي لَا تَزَالُ عَلَى قَدَمِهَا

(١) مَا لَمْ أُؤَامَرْ فِيهِ : مَا لَمْ أَشَاوَرْ فِيهِ .

(٢) صَغَلَ الرَّأْسُ : صَغِيرُ الرَّأْسِ .

(٣) الْأَشْدَقُ : الَّذِي فِي خَدِّهِ مَيْلٌ .

(٤) الْأَخْنَفُ : الَّذِي تَمِيلُ قَدَمَاهُ كُلُّ وَاحِدَةٍ إِلَى أُخْتِهَا .

(٥) جَلَا عَنْ نَفْسِهِ : كَلِمَةً عَبَقَرِيَّةً ، يُرِيدُ أَنَّهُ عَلَى قُبْحِ مَنْظَرِهِ إِذَا تَكَلَّمَ أَتَى بِمَا يَدُلُّ عَلَى عَظَمَتِهِ  
وَعُلُوِّ كُفَيْهِ وَجَمَالِ نَفْسِهِ ، وَظَهَرَ بِمَظْهَرِهِ الْحَقِيقِيِّ .

وَأَبْتَدَاهَا جَدِيدَةً ، وَقَدْ نَسَبَهَا أَبُو تَمَّامٍ فِي « حِمَاسَتِهِ » لِعَبَّاسِ بْنِ مُرْدَاسٍ  
الْصَّحَابِيِّ الشَّاعِرِ ، وَنَسَبَهَا آخَرُونَ لِمُعَاوِيَةَ بْنِ مَالِكٍ مُعَوِّدِ الْحُكَمَاءِ [وآخرون  
لِكثِيرٍ ، من الوافر] :

تَرَى الرَّجُلَ التَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ	وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ هَصُورٌ <sup>(١)</sup>
وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيهِ	فَيُخْلِفُ ظَنُّكَ الرَّجُلَ الطَّرِيرُ <sup>(٢)</sup>
بُغَاثُ الطَّيْرِ أَطْوَلُهَا رِقَاباً	وَلَمْ تَطْلِ الْبُرَاةَ وَلَا الصَّقُورُ <sup>(٣)</sup>
خَشَاشُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحاً	وَأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلَاتٌ نَزُورُ <sup>(٤)</sup>
ضِعَافُ الْأُسْدِ أَكْثَرُهَا زَيْراً	وَأَضْرُمُهَا اللَّوَاتِي لَا تَزِيرُ
وَقَدْ عَظُمَ الْبَعِيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ	فَلَمْ يَسْتَغْنِ بِالْعِظَمِ الْبَعِيرُ
يَتَوَخَّعُ ثُمَّ يُضْرَبُ بِالْهَرَاوِي	فَلَا عُرْفٌ لَدَيْهِ وَلَا نَكِيرُ <sup>(٥)</sup>
يُقَوِّدُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِّ أَرْضٍ	وَيَنْحَرُهُ عَلَى الثُّرْبِ الصَّغِيرُ
فَمَا عَظُمَ الرِّجَالِ لَهُمْ بَزِينِ	وَلَكِنْ زَيْنُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرُ <sup>(٦)</sup>

\* \* \*

- (١) هَصُورٌ يَزُورُ مَزِيرٌ ؛ وَالْهَصُورُ : الْأَسَدُ الشَّدِيدُ الَّذِي يَفْتَرِسُ وَيَكْسِرُ ؛ وَالْمَزِيرُ : الشَّدِيدُ  
الْقَلْبِ الْقَوِيُّ الثَّاقِدُ ، وَمِنْ مَعَانِيهِ : الْعَاقِلُ الْحَاذِمُ .
- (٢) الطَّرِيرُ : ذُو الرُّوَاءِ وَالْمَنْظَرِ وَالْجَمَالِ وَالْهَيْئَةِ الْحَسَنَةِ .
- (٣) الْبُغَاثُ - يَفْتَحُ الْبَاءَ وَضَمُّهَا - : كُلُّ طَائِرٍ لَيْسَ مِنْ جَوَارِحِ الطَّيْرِ ، أَيْ : يَصِيدُ ، وَيُضْرَبُ بِهَا  
الْمَثَلُ فِي الْكُلُومِ وَالشَّرِّ ، وَفِي الضَّعْفِ ، وَفِي الْمَثَلِ : « إِنَّ الْبُغَاثَ بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ » يُضْرَبُ  
مَثَلًا لِلنِّيمِ يَزْفَعُ أَمْرُهُ .
- (٤) خَشَاشُ الطَّيْرِ : شِرَارُهَا وَمَا لَا يَصِيدُ مِنْهَا ، كَالْبُغَاثِ ؛ وَالْمِقْلَاتُ : الَّتِي تَلْدُ وَاحِدًا ثُمَّ  
لَا تَلْدُ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَقِيلَ : الَّتِي لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ ، وَالْقَلْتُ : الْهَلَاكُ ، يَقُولُ : أَقْلَنْتِ  
الْمَرْأَةَ : إِذَا هَلَكَ وَلَدُهَا ، وَالتَّزُورُ : الْقَلِيلَةُ الْأَوْلَادِ .
- (٥) يَتَوَخَّعُ : يَبْرُكُ ؛ نَوَخَ الْجَمَلَ وَأَنَاحَهُ فَاسْتَنَاحَ : أَبْرَكَهُ فَبَرَكَ .
- (٦) الْخَيْرُ : الْكَرَمُ ، وَهُوَ أَيْضًا الشَّرَفُ .



## الْقَبِيحُ الْمُتَغَارِلُ :

١١٨٤ - قَالَ بَعْضُهُمْ [من السريع] :

جَارِيَةً أَعْجَبَهَا حُسْنُهَا      قُلْتُ لَهَا : إِنِّي مُحِبٌّ لَهَا  
فَأَقْبَلَتْ تَضْحَكُ مِنْ مَنْطِقِي      وَالْتَفَتَتْ نَحْوَ فَتَاةٍ لَهَا  
كَأَنَّهَا الرَّبْرَبُ فِي الْقُرْطُقِ<sup>(١)</sup>      قَالَتْ لَهَا : قَوْلِي لِهَذَا الْفَتَى  
أَنْظُرْ إِلَيَّ وَجْهَكَ ثُمَّ أَغْشِقْ

\* \* \*

١١٨٥ - وَقَالَ آخَرُ [من الكامل] :

تَيْسٌ تَنْفَقُ بِالْذَّلَالِ لِيُشْتَهَى      فَازْدَادَ مَقْتًا بِالْذَّلَالِ وَمَا نَفَقُ<sup>(٢)</sup>  
فَكَأَنَّهُ مِنْ يُسِّهِ وَسَوَادِهِ      مِخْرَاكُ تَشْوِرِ تَلَوَّى فَأَخْتَرَقُ<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

١١٨٦ - وَقِيلَ لِلْحُطُورَةِ : أَيْنَ تَذْهَبِينَ ؟ قَالَتْ : أَقَارِنُ الْقَبِيحَ .

وَقَدْ رَأَيْنَا كَثِيرًا مِنَ الْأَزْوَاجِ الْقَبِيحِ وَزَوْجَاتِهِمْ فِي الْأَغَايَةِ مِنَ الْجَمَالِ .  
وَالْعَكْسَ ، فَسُبْحَانَ مُقَسِّمِ الْحُطُورِ ، وَالْمُؤَدِّمِ بَيْنَ الْقُلُوبِ .

\* \* \*

(١) الرَّبْرَبُ : الْقَطِيعُ مِنَ الظَّبَاءِ ، وَمِنْ بَقَرِ الْوَحْشِ ؛ وَالْقُرْطُقُ : قَبَاءٌ أَيْبَضُ ، وَهُوَ تَعْرِيبُ : كُرْتُهُ .

(٢) نَفَقَ ، مِنْ نَفَقَ الْبَيْعُ : رَاجَ ، وَتَنَفَّقَ بِالْذَّلَالِ : حَاوَلَ بِالذَّلَالِ أَنْ يَرْوِجَ .

(٣) التَّشْوَرُ : الْفَزْنُ يُخْبِرُ فِيهِ ، وَهُوَ تَفْعُولٌ مِنَ التَّارِ ، وَقِيلَ : فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ ؛ وَالْمِخْرَاكُ : الْحَشْبَةُ الَّتِي تُحَرِّكُ بِهَا التَّارَ .

١١٨٧ - وَكَانَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَبِيحاً أَعْوَرَ ، فَخَطَبَ امْرَأَةً ، فَأَبَتْ أَنْ تَتَزَوَّجَهُ ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا : إِنْ تَزَوَّجْتِنِي مَلَأْتُ بَيْتَكَ خَيْرًا ، وَرَحِمَكَ أَيْرًا ؛ فَتَزَوَّجَتْ بِهِ .

\* \* \*

١١٨٨ - وَسُئِلَتْ عَنْهُ امْرَأَةٌ طَلَّقَهَا ، فَقَالَتْ : عَسَلُ يَمَانِيَّةٌ فِي ظَرْفِ سَوْءٍ .

\* \* \*

١١٨٩ - وَكَانَ ذُو الرُّمَّةِ الشَّاعِرُ يُسَبِّبُ بِمَيَّةَ ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ ، وَلَمْ تَرَهُ قَطُّ ، فَجَعَلَتْ لِلَّهِ عَلَيْهَا بَدَنَةً حِينَ تَرَاهُ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ رَأَتْ رَجُلًا دَمِيمًا أَسْوَدَ ، فَقَالَتْ : وَاسَوْءَ تَاهُ ! وَابُؤْسَاهُ ! فَقَالَ : ذُو الرُّمَّةِ [من الطويل] :

عَلَى وَجْهِ مَيِّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَاخَةٍ      وَتَحْتَ الثِّيَابِ الشَّيْنُ لَوْ كَانَ بِأَدْيَا  
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يَخْبُثُ طَعْمُهُ      وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ أَبْيَضَ صَافِيَا

\* \* \*

١١٩٠ - وَذَكَرَ أَغْرَابِيُّ امْرَأَةً حَسَنَةَ اللَّفْظِ ، قَبِيحَةَ الْوَجْهِ ، فَقَالَ : تُزْخِي ذَيْلَهَا عَلَى عَرْقُوبِي نَعَامَةً ، وَتُسَدِّلُ خِمَارَهَا عَلَى وَجْهِ كَالْجُعَالَةِ<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

١١٩١ - وَكَانَ بَعْضُ الْمُعَلِّمِينَ يُفْعِدُ أَبْنَاءَ الْمَيَاسِيرِ وَالْحِسَانَ الْوُجُوهِ فِي الظِّلِّ ، وَيُقْعِدُ الْآخَرِينَ فِي الشَّمْسِ ، وَيَقُولُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ! ابْزُقُوا فِي وُجُوهِ أَهْلِ النَّارِ .

\* \* \*

(١) الْجُعَالَةُ : الْخِزْقَةُ الَّتِي تُنْزَلُ بِهَا الْقِنْدَرُ (عَنِ النَّارِ) .

١١٩٢ - وَكَانَ حَافِظُ إِبْرَاهِيمَ شَاعِرٌ مِضْرَ الطَّرِيفِ فِي حَفْلٍ ، وَكَانَ عَنْ  
يَمِينِهِ غُلَامٌ جَمِيلٌ ، وَعَنْ يَسَارِهِ دَمِيمٌ ، فَقَالَ لِلدَّمِيمِ : إِنِّي حِينَ أَنْظُرُ مَنْ عَنْ  
يَمِينِي أَسْكُرُ ، وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ أَضْحُو وَأَفِيقُ .

\* \* \*

عَبَقْرِيَاتُهُمْ فِي مَقَابِحَ وَعُيُوبٍ شَتَّى :

فِي الْجَذَامِ :

١١٩٣ - فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « لَا عَدَوِي وَلَا طَيْرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ  
وَلَا غُولَ ، وَفَرٌّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفَرُّ مِنَ الْأَسَدِ » [ البخاري ، رقم : ٥٧٠٧ ؛ مسلم ،  
رقم : ٢٢٢٠ ] .

الطَّيْرَةُ : مَصْدَرُ تَطَيَّرَ طَيْرَةً كَتَخَيَّرَ خَيْرَةً ، وَلَمْ يَجِئْ مِنَ الْمَصَادِرِ هَكَذَا  
غَيْرُهُمَا ، وَأَصْلُهُ التَّطَيَّرُ بِالسَّوَانِحِ وَالْبَوَارِحِ مِنَ الطَّيْرِ وَالطَّبَاءِ وَغَيْرِهِمَا ، وَكَانَ  
ذَلِكَ يَصُدُّهُمْ عَنْ مَقَاصِدِهِمْ فَنَفَاهُ الشَّرْعُ وَأَبْطَلَهُ وَنَهَى عَنْهُ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ تَأْثِيرٌ  
فِي جَلْبِ نَفْعٍ وَلَا دَفْعِ ضَرَرٍ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « ثَلَاثَةٌ لَا يَسْلَمُ مِنْهَا أَحَدٌ :  
الطَّيْرَةُ وَالْحَسَدُ وَالظَّنُّ » ، قِيلَ : فَمَا نَصْنَعُ ؟ قَالَ : « إِذَا تَطَيَّرْتَ فَأَمْضِ ، وَإِذَا  
حَسَدْتَ فَلَا تَبْغِ ، وَإِذَا ظَنَنْتَ فَلَا تُصَحِّحْ » [ مجمع الزوائد ، رقم : ١٣٠٤٦ ] ،  
وَالْهَامَةُ فِي الْأَصْلِ : الرَّأْسُ ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَزْعُمُ أَنَّ رُوحَ الْقَتِيلِ الَّذِي لَمْ  
يُدْرِكْ بِثَأْرِهِ تَصِيرُ هَامَةً ، فَتَزُقُو عِنْدَ قَبْرِهِ ، تَقُولُ : أَسْقُونِي أَسْقُونِي ، فَإِذَا أُدْرِكَ  
بِثَأْرِهِ طَارَتْ ؛ قَالَ ذُو الْأَيْصِغِ الْعَدَوَانِيُّ [ من البسيط ] :

يَا عَمْرُو إِنَّ لَا تَدَعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي أَضْرِبَكَ حَتَّى تَقُولَ الْهَامَةُ أَسْقُونِي

يُرِيدُ : أَقْتَلِكَ ؛ وَمِنْ قَوْلِهِمْ : هَذَا هَامَةُ الْيَوْمِ أَوْ عَدِ ، أَيِ : يَمُوتُ الْيَوْمَ

أَوْ غَدَاً ، وَقِيلَ : كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ رُوحَ الْمَيِّتِ تَصِيرُ هَامَةً . فَتَطِيرُ ، وَيُسْمُونَهُ : الصَّدَى ، فَفَنَاهُ الْإِسْلَامَ وَنَهَاهُمْ عَنْهُ ؛ وَقِيلَ : أَلْهَامَةٌ : الْبُومَةُ ، وَقَدْ كَانُوا يَتَشَاءُمُونَ بِهَا . أَمَّا الصَّفَرُ فَقَدْ كَانَتْ الْعَرَبُ تَزْعُمُ أَنَّ فِي الْبَطْنِ حَيَّةً يُقَالُ لَهَا : الصَّفَرُ ، تُصِيبُ الْإِنْسَانَ إِذَا جَاءَ وَتُؤْذِيهِ ، وَأَنَّهَا تُعْدِي ، فَأَبْطَلَ الْإِسْلَامُ ذَلِكَ ، وَقِيلَ غَيْرُ هَذَا . أَمَّا الْغُولُ ، فَهُوَ أَحَدُ الْغِيلَانِ ، وَهِيَ كَمَا زَعَمُوا جِنْسٌ مِنَ الْجِنَّ وَالشَّيَاطِينِ ، كَانَتْ الْعَرَبُ تَزْعُمُ أَنَّ الْغُولَ فِي الْفَلَاةِ تَتَرَاءَى لِلنَّاسِ فَتَتَغَوَّلُ تَغَوُّلاً ، أَيْ : تَتَلَوَّنُ تَلَوُّناً فِي صُورٍ شَتَّى ؛ وَتَتَغَوَّلُهُمْ ، أَيْ : تُضِلُّهُمْ عَنِ الطَّرِيقِ وَتُهْلِكُهُمْ ، فَفَنَاهُ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبْطَلَهُ ؛ وَبَعْدُ ، فَمَعْنَى لَا عَدُوَّ ... الْخ ، أَنَّ مُصَاحِبَةَ الْمَغْلُولِ وَمُؤَاكَلَتَهُ لَا تُوجِبُ حُصُولَ تِلْكَ الْعِلَّةِ ، لَكِنَّهَا تَكُونُ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُقَدَّرَةِ الَّتِي تَعَلَّقَتْ مَشِيئَةُ اللَّهِ بِتَرْتُّبِ الْعِلَّةِ عَلَيْهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَعْضِ الْأَبْدَانِ ، فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَتَحَرَّزَ عَنْهَا مَا وَجَدَ لِذَلِكَ سَبِيلًا ، وَعَلَيْهِ مَعَ ذَلِكَ أَلَّا يَدَعَ الْأَوْهَامَ تَتَسَرَّبُ إِلَيْهِ ، وَيَكُلُّ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ : وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ .

\* \* \*

١١٩٤ - وَمَرَّ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالْمَجْذُومِينَ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ ، فَأَمَرَ بِإِخْرَاقِهِمْ ، وَقَالَ : لَوْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ بِهَؤُلَاءِ خَيْرًا مَا آتَبَلَاهُمْ بِهَذَا الْبَلَاءِ ...

\* \* \*

١١٩٥ - وَعَنْ قَتَادَةَ : أَنَّ مَجْذُومًا دَخَلَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ ، فَقَالَ : أَخْرِجُوهُ ، قَالُوا : وَلِمَ ؟ قَالَ : بَلَّغَنِي أَنَّهُ مَلْعُونٌ .

\* \* \*

الْبَرَصُ ، وَيُقَالُ لَهُ : الْوَضَحُ :

١١٩٦ - كَانَ الشَّاعِرُ الْأَمْوِيُّ الْمُغِيرَةُ ابْنُ حَبْنَاءِ بْنِ عَمْرِو بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ حَنْظَلَةَ يَأْكُلُ يَوْمًا مَعَ الْمُفَضَّلِ بْنِ الْمُهَلَّبِ ابْنِ أَبِي صُفْرَةَ ، فَقَالَ لَهُ الْمُفَضَّلُ [من الطويل] :

فَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْحَنْظَلِيِّ وَلَوْ فِيهِ أَكِيلَ كِرَامٍ أَوْ جَلِيسَ أَمِيرٍ  
فَرَفَعَ الْمُغِيرَةُ يَدَهُ مُغَضَّبًا ، ثُمَّ قَالَ [من البسيط] :

إِنِّي أَمْرُؤُ حَنْظَلِيٍّ حِينَ تَسُبُّنِي لَا مِلْعَتِكَ وَلَا أَخْوَالِي الْعَوَقُ  
لَا تَحْسَبَنَّ بِيَاضًا فِيَّ مَنْقَصَةً إِنَّ اللَّهَامِيمَ فِي أَقْرَابِهَا بَلَقُ  
لَا مِلْعَتِكَ ، أَيُّ : لَسْتُ مِنَ الْعَتِكَ ، وَهِيَ قَبِيلَةٌ ، وَالْعَوَقُ مِنْ يَشْكُرُ ،  
وَهُمْ أَخْوَالُ الْمُفَضَّلِ ؛ وَاللَّهَامِيمُ ، جَمْعُ لِهْمِيمٍ وَلِهْمُومٍ : الْجَوَادُ السَّابِقُ  
يَجْرِي أَمَامَ الْخَيْلِ ، وَسُمِّيَ كَذَلِكَ لِالْتِهَامِهِ الْأَرْضَ ، وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِلْجَوَادِ مِنَ  
النَّاسِ الَّذِي يَسْبِقُهُمْ إِلَى الْمَكَارِمِ ؛ وَالْأَقْرَابُ جَمْعُ قُرْبٍ ، وَهِيَ : الْخَاصِرَةُ ؛  
وَفِي أَقْرَابِهَا ، تُرَوَّى : فِي أَلْوَانِهَا .

وَلَمَّا بَلَغَ الْمُهَلَّبُ مَا جَرَى تَنَاوَلَ الْمُفَضَّلَ بِلسَانِهِ وَشَتَمَهُ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى  
الْمُغِيرَةِ بِعَشْرَةِ آلَافٍ ذَرَاهِمَ وَأَسْتَصَفَحَهُ عَنِ الْمُهَلَّبِ وَأَعْتَذَرَ إِلَيْهِ ، فَقَبِلَ رِفْدَهُ ،  
وَعَذَرَهُ ، وَأَنْقَطَعَ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ مُوََاكَلَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ .

\* \* \*

١١٩٧ - وَكَانَ بَلْعَاءُ بْنُ قَيْسٍ أَبْرَصَ ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : مَا هَذَا بِكَ يَا بَلْعَاءُ ؟  
فَقَالَ : سَيْفُ اللَّهِ جَلَاهُ .

\* \* \*

١١٩٨ - وَقَالَ شَاعِرٌ [من الطويل] :

أَيْشْتَمُنِي زَيْدٌ بِأَنْ كُنْتُ أَبْرَصًا      فَكُلُّ كَرِيمٍ لَا أَبَا لَكَ أَبْرَصُ

\* \* \*

١١٩٩ - وَقَالَ آخَرُ [من الرمل] :

نَفَرْتُ سَوْدَةٌ مِّنِّي إِذْ رَأَتْ      صَلَعَ الرَّأْسِ وَفِي الْجِلْدِ وَضَخُ  
قُلْتُ : يَا سَوْدَةُ هَذَا وَالَّذِي      يَفْرِجُ الْكُزْبَةَ عَنَّا وَالْكَلْخُ  
هُوَ زَيْنٌ لِي فِي الْوَجْهِ كَمَا      زَيْنَ الطَّرْفِ تَحَاسِينُ الْقَرْخُ

الْوَضَحُ : الْبَرَصُ ؛ وَالْكَلْخُ هُنَا : الشَّدَّةُ ؛ وَالطَّرْفُ : الْفَرْسُ الْكَرِيمُ ؛  
وَالْقَرْخُ : خُطُوطٌ مِنْ صُفْرَةٍ وَخُمْرَةٍ وَخُضْرَةٍ ، الْوَاحِدَةُ : قُرْحَةٌ ، وَمِنْهُ قَوْسُ  
قُرْحَ : طَرَائِقُ مُتَقَوِّسَةٌ تَبْدُو فِي السَّمَاءِ أَيَّامَ الرَّبِيعِ غَبَّ الْمَطَرِ بِخُمْرَةٍ وَصُفْرَةٍ  
وَخُضْرَةٍ .

\* \* \*

١٢٠٠ - وَقَالَ كَثِيرٌ عَزَّ يَهْجُو أَضْهَارَهُ بِأَنَّهُمْ بُرْصُ الْأَسْتَاهِ :

وَيُخْشَرُ نُورُ الْمُسْلِمِينَ أَمَامَهُمْ      وَيُخْشَرُ فِي أَسْتَاهِ ضَمْرَةٌ نُورُهَا

\* \* \*

١٢٠١ - وَكَانَ أَيْمَنُ بْنُ خُرَيْمٍ بْنِ فَاتِكِ الْأَسَدِيِّ أَبْرَصَ ، وَكَانَ أَثِيرًا عِنْدَ

عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَعَتَبَ عَلَيْهِ أَيْمَنُ يَوْمًا ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ طَرِفٌ مَلُولَةٌ<sup>(١)</sup> ؛  
فَقَالَ لَهُ : أَنَا مَلُولَةٌ وَأَنَا أُوَاكِلكَ مُذْ كَذَا ؟ فَلَحِقَ بِبِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَأَكْرَمَهُ

(١) الطَّرِفُ ، كَالْكَتِفِ : مَنْ لَا يَنْبُتُ عَلَى أَمْرَةٍ وَلَا صَاحِبٍ ؛ وَالْمَلُولَةُ : الْكَثِيرُ الْمَلَلِ وَالسَّامِ  
لِعَشِيرِهِ .

وَأَخْتَصَّهُ وَلَمْ يَكُنْ يُؤَاكِلُهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا وَبَيْنَ يَدَيْهِ لَبَنٌ قَدْ وُضِعَ ، فَقَالَ :  
قَدْ حَدَّثْتُ نَفْسِي الْبَارِحَةَ بِالصَّوْمِ ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَتُونِي بِهَذَا وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ،  
وَلَا أَرَى أَحَدًا أَحَقَّ بِهِ مِنْكَ ، فَذُونَكَ .

\* \* \*

١٢٠٢ - وَأَصَابَ أَبَا عَزَّةَ الْجُمَحِيُّ وَضَحٌ - بَرَصٌ - فَكَانَ لَا يُجَالِسُ ،  
فَأَخَذَ شَفْرَةً وَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ ، فَمَارَتْ <sup>(١)</sup> الشَّفْرَةُ وَخَرَجَ مَاءٌ أَصْفَرُ وَبَرِيءٌ ، فَقَالَ  
[من الرجز] :

لَاهُـمَّ رَبِّ وَاثِلٍ وَنَهْدٍ      وَرَبِّ مَنْ يَزْعُمُ بِيَاضَ لَحْدِي <sup>(٢)</sup>  
أَصْبَحْتُ عَبْدًا لَكَ وَابْنَ عَبْدٍ      أَبْرَأْتُ مِنِّي بَرَصًا بِجِلْدِي  
مِنْ بَعْدِ مَا طَعَنْتُ فِي مَعْدِي <sup>(٣)</sup>

\* \* \*

عَظَمُ الْأُذُنِ وَصَغَرُهَا :

١٢٠٣ - قَالُوا : إِنَّ طُولَ الْأُذُنِ دَلِيلٌ عَلَى طُولِ الْعُمُرِ .

\* \* \*

١٢٠٤ - وَقُدِّمَ رَجُلٌ لِلْقَتْلِ ، وَكَانَ طَوِيلَ الْأُذُنِ ، فَقِيلَ لَهُ : أَلَيْسُوا قَدْ  
زَعَمُوا أَنَّ طُولَ الْأُذُنِ دَلِيلُ طُولِ الْعُمُرِ ؟ فَقَالَ : لَوْ تَرَكُونِي لَطَالَ وَلَكِنْ حَالُوا  
بَنِي وَبَنِيَّه ! .

\* \* \*

(١) مَارَتْ الشَّفْرَةُ : نَفَّذَتْ إِلَى دَاخِلِ الْجِسْمِ .

(٢) نَهْدٌ : قَبِيلَةٌ مِنَ الْيَمَنِ .

(٣) الْمَعْدُ : الْبَطْنُ .

١٢٠٥ - وَأَخْضَرَ رَجُلٌ طَوِيلُ الْأُذُنِ لِلْقَتْلِ ، فَجَعَلَ يَلْمِسُ أُذُنَيْهِ ، وَيَقُولُ :  
وَاضْبَاعَ أَمْلِهِ وَأَنْقِطَاعَ رَجَائِهِ .

\* \* \*

١٢٠٦ - وَيُقَالُ لِصِغَرِ الْأُذُنِ السَّكْكُ ، فَالسَّكْكُ : صِغَرُ الْأُذُنِ وَلَزُوقُهَا  
بِالرَّأْسِ وَقِلَّةُ إِشْرَاقِهَا ، وَيُقَالُ مِنْ ذَا : سَكَّهُ يَسْكُهَا : إِذَا أَضْطَلَمَ أُذُنَيْهِ  
- قَطَعَهُمَا - وَمِنْ ذَلِكَ : اسْتَكَّتْ مُسَامِعُهُ ، أَيِ : صَمَّتْ وَضَاقَتْ ، قَالَ النَّابِغَةُ  
الذُّبْيَانِيُّ [من الطويل] :

أَتَانِي أَبَيْتَ اللَّغْنِ أَنَّكَ لُمْتَنِي      وَتِلْكَ أَلَّتِي تَسْتَكُّ مِنْهَا الْمَسَامِعُ

\* \* \*

١٢٠٧ - وَالْعَرَبُ تَقُولُ : كُلُّ سَكَّاءٍ تَبْيَضُ ، وَكُلُّ شَرْفَاءٍ تَلْدُ ؛ فَالسَّكَّاءُ :  
الَّتِي لَا أُذُنَ لَهَا ؛ وَالشَّرَفَاءُ : الَّتِي لَهَا أُذُنٌ وَإِنْ كَانَتْ مَشْقُوقَةً ، قَالَ الْحَاحِظُ :  
وَلَا نَذْرِي لِمَ كَانَ الْحَيَوَانُ إِذَا كَانَ أَشْرَفَ الْأَذَانِ وَلَدَ وَإِذَا كَانَ مَمْسُوحاً بَاضَ .

\* \* \*

الْأَدَرُ - الْقَيْلِطُ :

١٢٠٨ - الْأَدَرُ أَوْ الْقَيْلِطُ أَوْ الْقَيْلِيطُ : مَنِ انْتَفَخَتْ خُصْيَتَاهُ بِمَاءٍ يُصَيِّبُهَا ،  
وَهَذَا الدَّاءُ يُسَمَّى الْأَدَرَةَ أَوْ الْقَيْلَةَ الْمَائِيَّةَ .

\* \* \*

١٢٠٩ - يُرْوَى أَنَّ رَجُلًا أَخَذَبَ سَقَطَ فِي بَيْتٍ فَذَهَبَتْ حَدْبَتُهُ ، فَصَارَ آدَرًا ،  
فَدَخَلُوا يُهَيِّئُونَهُ ، فَقَالَ : الَّذِي جَاءَ شَرٌّ مِنَ الَّذِي ذَهَبَ .

\* \* \*



١٢١٠ - وَقَالَ طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ [من الطويل] :

فَمَا ذَنْبُنَا فِي أَنْ أَدَاءَتْ خُصَاكُمَ وَأَنْ كُنْتُمْ فِي قَوْمِكُمْ مَعْشَرًا أَذْرًا  
إِذَا جَلَسُوا خَيَّلَتْ تَحْتَ ثِيَابِهِمْ خَرَائِقُ تُوفِي بِالضَّعِيبِ لَهَا نَذْرًا  
أَدَاءَتْ : صَارَتْ ذَاتَ دَاءٍ ؛ وَخَيَّلَتْ : ظَنَنْتَ ؛ وَالْخَرَائِقُ ، جَمْعُ خَرْنِقٍ ،  
وَهُوَ : الْفَتِيُّ مِنَ الْأَرْزَبِ ؛ وَالضَّعِيبُ : صَوْتُ الْأَرْزَبِ وَالذَّنْبِ .

\* \* \*

١٢١١ - وَقَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ [من الوافر] :

كَذِي دَاءٍ بِإِخْدَى خُصْيَتَيْهِ وَأُخْرَى لَمْ تَوَجَّعْ مِنْ سَقَامٍ  
فَأَلْقَى ثَوْبَهُ حَوْلًا كَرِيئًا عَلَى شِعْرَاءِ تُنْقِضُ بِالْبَهَامِ  
حَوْلًا كَرِيئًا : تَامَ الْعَدَدُ ، يُقَالُ : حَوْلٌ كَرِيئٌ ، وَسَنَةٌ كَرِيئٌ ، وَكَذَلِكَ  
الْيَوْمُ وَالشَّهْرُ ، أَرَادَ بِالشُّعْرَاءِ : خُصْيَةً كَثِيرَةَ الشَّعْرِ النَّابِتِ عَلَيْهَا ؛ وَقَوْلُهُ :  
تُنْقِضُ بِالْبَهَامِ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : أَنْقَضْتُ بِالْعَنْزِ انْقِاضًا : إِذَا دَعَوْتَهَا ؛ وَالْبَهَامُ ،  
جَمْعُ بَهْمَةٍ : الصَّغِيرُ مِنَ أَوْلَادِ الضَّأْنِ وَالْمَغَزِ وَالْبَقَرِ ، مِنَ الْوَحْشِ وَغَيْرِهَا ،  
وَيُرِيدُ الْجَعْدِيُّ بِقَوْلِهِ تُنْقِضُ بِالْبَهَامِ : أَذْرَةً فِي خُصْيَتَيْهِ إِذَا فَشَّتْ خَرَجَ لَهَا صَوْتُ  
كَتْصُوبِ النَّقْضِ بِالْبَهْمِ إِذَا دَعَاَهَا .

\* \* \*

الْعَرَجُ :

١٢١٢ - قَالَ بَعْضُهُمْ [من الطويل] :

وَمَا بِي مِنْ عَيْبٍ أَلْفَتَنِي غَيْرَ أَنَّنِي جَعَلْتُ الْعَصَا رِجْلًا أَقِيمُ بِهَا رِجْلِي

\* \* \*

١٢١٣ - وَقَالَ آخِرُ [من البسيط] :

قَدْ كُنْتُ أَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ مُعْتَدِلًا      فَالْيَوْمَ أَمْشِي عَلَى أُخْرَى مِنَ الشَّجَرِ

\* \* \*

١٢١٤ - وَقَالَ آخِرُ [من الرجز] :

\* قَدْ صِرْتُ أَمْشِي بِثَلَاثِ أَزْجُلِ \*

\* \* \*

١٢١٥ - وَقَالَ [من البسيط] :

إِذَا غَدَوَا وَعِصِيَّ الطَّلَحِ أَزْجُلُهُمْ      كَمَا يُنْصَبُ وَنُطَّ الْبَيْعَةِ الصُّلْبُ

\* \* \*

١٢١٦ - وَكَانَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ أَعْرَجٌ ،

وَكَانَ وَالِيَّ الْكُوفَةِ ، وَوَلِيَّ شُرْطَةِ الْكُوفَةِ الْقَعْقَاعُ بْنُ سُوَيْدٍ ، وَكَانَ أَعْرَجٌ ،

فَقَالَ الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَانَ هُوَ الْآخِرُ أَعْرَجَ [من الكامل] :

أَلْقَى الْعَصَا وَدَعِ التَّنَاوُشَ وَالتَّمِيسَ      عَمَلًا فَهَذِي دَوْلَةُ الْعُرْجَانِ

لِأَمِيرِنَا وَأَمِيرِ شُرْطَتِنَا مَعًا      يَا قَوْمَنَا لِكُلَيْهِمَا رِجْلَانِ

التَّنَاوُشُ : التَّنَاوُلُ بِالْيَدِ ، وَهُوَ هُنَا كِنَايَةٌ عَنِ السُّؤَالِ ، وَفِي رِوَايَةٍ : وَدَعِ

التَّخَامِعَ ، وَالتَّخَامِعُ : التَّظَاهُرُ بِالْخَمْعِ ، وَهُوَ الْأَعْرَجُ ، يُقَالُ : خَمَعَتِ الضَّبْعُ

خَمْعًا وَخُمُوعًا وَخَمَعَانًا : إِذَا ظَلَعَتْ فِي مَشْيِهَا كَأَنَّ بِهَا عَرَجًا .

\* \* \*

## الْعَوْرُ وَالْعَمَى :

١٢١٧ - قِيلَ لَأَعُورٍ : أَعْمَى اللَّهُ عَيْنَكَ ؛ قَالَ : قَدْ أُجِيبَ نِصْفُ دَعْوَتِكَ .

\* \* \*

١٢١٨ - وَتَنَادَرَ قَوْمٌ فِي مَجْلِسٍ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : مَنْ كَانَ أَعُورَ فَهُوَ نِصْفُ رَجُلٍ ، وَمَنْ لَا يُحْسِنُ السَّبَاحَةَ فَهُوَ نِصْفُ رَجُلٍ ، وَمَنْ لَا يَتَزَوَّجُ فَهُوَ نِصْفُ رَجُلٍ ؛ وَكَانَ مَعَهُمْ رَجُلٌ اجْتَمَعَتْ فِيهِ هَذِهِ الْمَعَانِي كُلُّهَا ، فَقَالَ : إِنِّي أَحْتَاجُ إِلَى نِصْفِ رَجُلٍ حَتَّى أَكُونَ لَا شَيْءَ .

\* \* \*

١٢١٩ - وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ لِسُلَيْمَانَ الْأَعْمَشِ ، وَارَادَ أَنْ يُمَاشِيَهُ : إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْنَا مَعًا قَالُوا : أَعُورٌ وَأَعْمَشٌ ؛ قَالَ : مَا عَلَيْكَ أَنْ يَأْتُمُوا وَنُؤْجِرُ ؟ قَالَ : مَا عَلَيْكَ أَنْ يَسْلَمُوا وَنَسْلَمَ !

\* \* \*

١٢٢٠ - وَتَمَاشَى أَعُورَانِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا [مِنَ الْوَافِرِ] :

أَلَمْ تَرْنِي وَعَمْرًا حِينَ نَمْشِي      نُرِيدُ السُّوقَ لَيْسَ لَنَا نَظِيرُ  
أُمَاشِيهِ عَلَى يُمْنَى يَدِيهِ      وَفِيمَا بَيْنَنَا رَجُلٌ ضَرِيرُ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

(١) يَقُولُ : إِنَّهُ لَمَّا مَاشَاهُ عَلَى الصَّفَةِ الَّتِي وَصَفَ ، وَكَانَتْ عَيْنُهُ الْعَوْرَاءُ هِيَ الَّتِي سَرَى وَعَيْنُ صَاحِبِهِ الْعَوْرَاءُ هِيَ الَّتِي مَنَى ، كَأَنَّا كَانَا بَيْنَهُمَا أَعْمَى ، وَهُوَ مَعْنَى طَرِيفٍ ، وَمِثْلُهُ [مِنَ الْخَفِيفِ] :  
هِيَ عَوْرَاءُ بِالْيَمِينِ وَهَذَا      أَعُورٌ بِالشَّمَالِ وَافَقَ شَأْنَا  
بَيْنَ شَخْصَيْهِمَا ضَرِيرٌ إِذَا مَا      فَعَدَّتْ عَنْ شِمَالِهِ تَتَعَنَّى

١٢٢١ - وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ بَعْدَ مَا كُفَّ بَصَرُهُ ، وَقِيلَ : هُمَا

لِحَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ [من البسيط] :

إِنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنَيَّ نُورَهُمَا      فِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نُورُ  
قَلْبِ ذِكِّي وَعَقْلُ غَيْرِ ذِي دَخَلٍ      وَفِي فَمِي صَارِمٌ كَالسَّيْفِ مَأْثُورُ

\* \* \*

١٢٢٢ - وَقَدْ أَخَذَ أَبُو يَعْقُوبَ الْخُرَيْمِيُّ هَذَا الْمَعْنَى وَكَانَ أَعْمَى [من

المقارب] :

فَإِنْ تَكُ عَيْنِي خَبَا نُورُهَا      فَكَمْ قَبْلَهَا نُورُ عَيْنِ خَبَا  
فَلَمْ يَغْمَ قَلْبِي وَلَكِنَّمَا      أَرَى نُورَ عَيْنِي إِلَيْهِ سَرَى  
فَأَسْرَجَ فِيهِ إِلَى ضَوْؤِهِ      سَرَجًا مِنَ الْعِلْمِ يَشْفِي الْعَمَى

\* \* \*

١٢٢٣ - وَقَالَ الْخُرَيْمِيُّ أَيْضاً [من المنسرح] :

أَضْغِي إِلَيَّ قَائِدِي لِيُخْبِرَنِي      إِذَا التَّقَيْنَا عَمَّنْ يُخَيِّبُنِي  
أُرِيدُ أَنْ أَغْدِلَ السَّلَامَ وَأَنْ      أَفْصَلَ بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالْدُّونِ  
أَسْمَعُ مَا لَا أَرَى فَأُكْرَهُ أَنْ      أُخْطِئَ وَالسَّمْعُ غَيْرُ مَأْمُونِ  
لِلَّهِ عَيْنِي الَّتِي فُجِعْتُ بِهَا      لَوْ أَنَّ دَهْرًا بِهَا يُوَاتِينِي  
لَوْ كُنْتُ خَيْرْتُ مَا أَخَذْتُ بِهَا      تَغْمِيرُ نُوْحٍ فِي مُلْكِ قَارُونِ

\* \* \*

١٢٢٤ - وَقَالَ الْجُنَيْدُ : حَضَرْتُ أَبَا عَلِيٍّ الْأَشْثَانِيَّ - وَكَانَ ضَرِيرًا - فَقَرَأَ

قَارِيءٌ : ﴿ يَعْلَمُ حَآيَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [٤٠ سورة غافر/ الآية : ١٩]

فَقَالَ : سَقَطَ عَنِّي نِصْفُ الْعَمَلِ .

\* \* \*

١٢٢٥ - وَوُلِدَ بَشَارُ بْنُ بُرْدٍ أَعْمَى - أَكْمَه - فَمَا نَظَرَ إِلَى الدُّنْيَا قَطُّ ، وَكَانَ يُشَبِّهُ الْأَشْيَاءَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ فِي شِعْرِهِ ، فَيَأْتِي بِمَا لَا يَقْدِرُ الْبَصَرَاءُ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ ، فَقِيلَ لَهُ يَوْمًا ، وَقَدْ أَنْشَدَ قَوْلَهُ [من الطويل] :

كَأَنَّ مُثَارَ النَّفْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا      وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاجِبُهُ  
مَا قَالَ أَحَدٌ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا التَّشْبِيهِ ، فَمِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا وَلَمْ تَرَ الدُّنْيَا قَطُّ  
وَلَا شَيْئًا فِيهَا ؟ فَقَالَ : إِنَّ عَدَمَ النَّظَرِ يُقَوِّي ذِكَاءَ الْقَلْبِ ، وَيَقْطَعُ عَنْهُ الشُّغْلَ بِمَا  
يُنْظَرُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ فَيَتَوَفَّرُ حِسُّهُ وَتَذَكُّو قَرِيحَتُهُ ؛ ثُمَّ أَنْشَدَهُمْ قَوْلَهُ [من الطويل] :

عَمِيتُ جَنِينًا وَالذِّكَاءُ مِنَ الْعَمَى      فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَوْثِلًا  
وَعَاضَ ضِيَاءُ الْعَيْنِ لِلْعِلْمِ رَافِدًا      لِقَلْبٍ إِذَا مَا ضَيَّعَ النَّاسُ حَصْلًا

\* \* \*

١٢٢٦ - وَقِيلَ لِبَشَارٍ : مَا أَذْهَبَ اللَّهُ عَيْنِي أَمْرِيءَ إِلَّا عَوَّضَهُ عَنْهُمَا ، فَمَا الَّذِي عَوَّضَكَ ؟ قَالَ : أَلَا أَرَى مِثْلَكَ .

\* \* \*

١٢٢٧ - وَقِيلَ لِرَجُلٍ قَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ : قَدْ سُلِّيتَ حُسْنَ وَجْهِكَ ؛ فَقَالَ :  
لَكِنِّي مُنِعْتُ النَّظَرَ إِلَى مَا يُلْهِي وَعَوَّضْتُ الْفِكْرَةَ فِيمَا يُجِدِي ... فَحُكِّي ذَلِكَ  
لِبَعْضِ الْبُلْغَاءِ ، فَقَالَ : الْعَفَاءُ عَلَى التَّعْزِي إِلَّا بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ .

\* \* \*

١٢٢٨ - وَقَالَ فُلَانٌ : كُنَّا مَعَ بَشَارٍ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ ، فَسَأَلَهُ عَنْ مَنْزِلِ رَجُلٍ

ذَكَرَهُ لَهُ ، فَجَعَلَ يَهْمُهُ وَلَا يَفْهَمُ ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ ، وَقَامَ يَقُودُهُ إِلَى مَنْزِلِ الرَّجُلِ  
وَهُوَ يَقُولُ [من البسيط] :

أَعْمَى يَقُودُ بَصِيرًا لَا أَبَا لَكُمْ قَدْ ضَلَّ مَنْ كَانَتْ أَلْعُمَيَانُ تَهْدِيهِ  
حَتَّى صَارَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِ الرَّجُلِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : هَذَا هُوَ مَنْزِلُهُ يَا أَعْمَى .

\* \* \*

١٢٢٩ - وَقَالُوا : الْأَعْمَى مُكَابِرٌ ، وَالْأَعْوَرُ ظَلُومٌ ، وَالْأَخْوَلُ تَيَّاهٌ .

\* \* \*

١٢٠٣ - وَقَالَ شَاعِرٌ يَشْكُو ضَعْفَ بَصَرِهِ [من البسيط] :

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ أَهْوَالًا أَكَابِدُهَا إِذَا سَرَى الْقَوْمُ لَمْ أَبْصُرْ طَرِيقَهُمْ

\* \* \*

الْحَوْلُ :

١٢٣١ - خَرَجَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَتَلَقَّاهُ أَعْوَرٌ ، فَقَالَ : إِنِّي تَشَاءَمْتُ  
بِعَوْرِكَ ! فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : شُوْمُ الْأَعْوَرِ عَلَى نَفْسِهِ وَشُوْمُ الْأَخْوَلِ عَلَى النَّاسِ ؛  
وَكَانَ هِشَامٌ أَخْوَلٌ ، فَخَجِلَ .

\* \* \*

١٢٣٢ - وَأَنشَدَ أَبُو النَّجْمِ هِشَامًا أَرْجُوزَتَهُ الَّتِي أَوَّلُهَا [من الرجز] :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَهَّابِ الْمُجْزِلِ

فَلَمْ يَزَلْ هِشَامٌ يُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ حَتَّى بَلَغَ قَوْلُهُ فِي صِفَةِ الشَّمْسِ [من الرجز] :

حَتَّى إِذَا الشَّمْسُ جَلَاها الْمُجْتَلِي بَيْنَ سِمَاطِي شَفَقَ مُرْعَبِلِ

صَفَوَاءَ قَدْ كَادَتْ وَلَمَّا تَفَعَّلَ فَهِيَ فِي الْأُنْفِ كَعَيْنِ الْأَخْوَلِ  
أَمَرَ بَوَجِيءٍ رَقَبَتِهِ وَإِخْرَاجِهِ<sup>(١)</sup> . [ راجع رقم : ١١٤٨ ] .

\* \* \*

١٢٣٣ - وَعُرِضَ عَلَى أَمِيرِ أَثْوَابٍ خَزٍّ وَفِي الْمَجْلِسِ أَعْوَرٌ وَأَخْوَلٌ ، فَقَالَ  
الْأَعْوَرُ لِلْأَخْوَلِ : بِهَذَا الْكُثُوبِ عَيْبٌ ؛ فَقَالَ : يَا صَفْعَانُ ! إِنْ بَصَرَكَ بَعَيْنٍ وَاحِدَةً  
أَحَدٌ مِنْ بَصَرِي بِعَيْنَيْنِ ! فَقَالَ الْأَعْوَرُ : دُرَيْهِمْ جَيْدٌ خَيْرٌ مِنْ دِرْهَمَيْنِ مُزَيَّفَيْنِ .

\* \* \*

١٢٣٤ - وَاشْتَرَى أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّوْلِيُّ جَارِيَةً - فَنَاءً - حَوْلَاءَ ، فَأَعَارَ أَمْرَأَتَهُ  
أُمَّ عَوْفٍ ، وَكَانَتْ ابْنَةً عَمِّهِ ، وَكَانَتْ تُشَارُهُ - تَخَاصُمُهُ - كُلَّ يَوْمٍ ، وَتَقُولُ : مَنْ  
يَشْتَرِي حَوْلَاءَ ؟ فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ قَالَ [ من الطويل ] :

يَعْيِبُونَهَا عِنْدِي وَلَا عَيْبَ عِنْدَهَا سَوَى أَنْ فِي الْعَيْنَيْنِ بَعْضَ التَّأَخُّرِ  
فَإِنْ يَكُ فِي الْعَيْنَيْنِ سُوءٌ فَإِنَّهَا مُهْفَهَفَةٌ الْأَعْلَى رِدَاخُ الْمُؤَخَّرِ<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

كِبَرُ الْأُنْفِ وَقُبْحُهُ :

١٢٣٥ - خَطَبَ رَجُلٌ قَبِيحُ الْأُنْفِ أَمْرَأَةً ، فَقَالَ : عِنْدِي أَحْتِمَالٌ لِلْمَكْرُوهِ  
وَوَفَاءٌ عَظِيمٌ . . . فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : مَا أَشْكُ فِي أَحْتِمَالِكَ لِلْمَكْرُوهِ لِأَنَّكَ تَحْمِلُ  
هَذَا الْأُنْفَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ! [ راجع رقم : ١١٦٨ ] .

\* \* \*

(١) الْمُرْعَبِلُ : الْمُمَرَّقُ ؛ وَصَفَوَاءُ : مَائِلَةٌ لِلْعُرُوبِ ، يُقَالُ : صَغَتِ الشَّمْسُ تَصْغُو صَغَوًا ، فَهِيَ  
صَفَوَاءٌ ؛ وَجَوْ رَقَبَتِهِ كَنَائَةً عَنْ ضَرْبِهِ وَلَكْزِهِ .  
(٢) أَمْرَأَةٌ رِدَاخٌ : ضَخْمَةٌ الْأَوْرَاكِ .

١٢٣٦ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ : رَأَيْتُ أَغْرَابِيَا أَنْفَهُ كَأَنَّهُ كُوْزٌ مِنْ عِظْمِهِ <sup>(١)</sup> ، فَرَأَانَا نَضْحَكَ ، فَقَالَ : مَا يُضْحِكُكُمْ ! وَاللَّهِ لَقَدْ كُنَّا فِي قَوْمٍ مَا يُسْمُونَنَا إِلَّا الْأَفْنِطُسُ .

\* \* \*

١٢٣٧ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ [من المتقارب] :

إِذَا أَنْتَ أَقْبَلْتَ فِي حَاجَةٍ      فَكَلَّمْنَاهُ إِنْ شِئْتَ مِنْ خَلْفِهِ  
فَإِنْ أَنْتَ وَاجِهْتَهُ فِي الْكَلَامِ      مِمَّا لَمْ يَسْمَعْ الصَّوْتِ مِنْ أَنْفِهِ

\* \* \*

١٢٣٨ - وَقَالَ ذُو الْأِصْبَعِ الْعَدَوَانِيُّ [من المتقارب] :

أَرَى شَعْرَاتٍ عَلَى حَاجِبِي      بِيضاً نَبْشَنَ جَمِيعاً تَوَامَا <sup>(٢)</sup>  
ظَلَلْتُ أَهَاهِي بِهِنَّ الْكَلَامِ      بَ أَحْسَبُهُنَّ صَوَاراً قِيَامَا <sup>(٣)</sup>  
وَأَحْسَبُ أَنْفِي إِذَا مَا مَشَيْتُ      شَخْصاً أَمَامِي رَأَيْتُ فَقَامَا

\* \* \*

١٢٣٩ - وَمِنْ الطَّرِيفِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ [من مجزوء الرمل] :

لَكَ أَنْفٌ ذُو أَنْوْفٍ      أَنْفَتْ مِنْهُ الْأَنْوُفُ  
أَنْتَ فِي الْقُدْسِ تَصَلِّي      وَهُوَ فِي الْبَيْتِ يَطُوفُ

\* \* \*

(١) الْكُوْزُ ، جَمْعُهُ كِيزَانٌ وَأَكْوَارٌ ، [وَهُوَ : نَوْعٌ مِنَ الْكُوْزِ مِنَ الْكَبِيرَةِ] .

(٢) تَوَامَاتٌ ، جَمْعُ تَوَامٍ ، وَالتَّوَامَانِ : الْمَوْلُودَانِ فِي بَطْنٍ وَاحِدٍ .

(٣) أَهَاهِي : أُغْرِي ؛ وَالصَّوَارُ : الْقَطِيعُ مِنَ الْبَقَرِ .



الْحَدَبُ :

١٢٤٠ - قَالَ الْجَاحِظُ : مَنْ أَعْتَرَاهُ الْحَدَبُ طَالَ أَيُّرُهُ وَكَثُرَ خُبْنُهُ وَظَرْفُهُ .

\* \* \*

١٢٤١ - وَآتَى بَعْضُ الْوَلَاةِ بِأَحَدِ جَنَى جِنَايَةٍ ، فَقَالَ لَهُ الْوَالِي :  
لَا ضَرِيَّتَكَ ضَرْبًا يُقِيمُ ظَهْرَكَ ؛ فَقَالَ الْأَحَدُ : إِنَّكَ إِذَنْ لَعَظِيمُ الْبَرَكَاتِ .

\* \* \*

١٢٤٢ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ [من مجزوء الكامل] :

تَعْدُو الْجِيَادُ بِخَالِدٍ      فَكَأَنَّمَا تَعْدُو بِقِرْبَةٍ  
تَيْسٌ أَنْبٌ مِنَ التَّيْسِ      سِ فَكَأَنَّ لِحَيْتَهُ مِذْبَةَ  
نَبِّ التَّيْسِ ؛ صَاحَ عِنْدَ الْهَيَاجِ ؛ وَالْمِذْبَةُ : مَا يُذَبُّ بِهِ الدُّبَابُ ، الْمِنْشَةُ .

\* \* \*

الْثَّقَلَاءُ :

١٢٤٣ - وَمِمَّا يَنْدَرُجُ فِي هَذَا الْبَابِ عِبْقَرِيَّاتُهُمْ فِي الثَّقَلَاءِ .

قَالُوا : مَنْ خَافَ أَنْ يُثْقَلَ لَمْ يُثْقَلْ .

\* \* \*

١٢٤٤ - وَمِثْلُهُ : إِذَا عَلِمَ الْثَقِيلُ أَنَّهُ ثَقِيلٌ فَلَيْسَ بِثَقِيلٍ .

\* \* \*

١٢٤٥ - وَقَالَ بَخْيَشُوعُ الطَّبِيبُ لِلْمَأْمُونِ : لَا تُجَالِسِ الثَّقَلَاءَ ، فَإِنَّا نَجِدُ

فِي الطَّبِّ : مُجَالَسَةَ الثَّقَلَاءِ حُمَى الرُّوحِ .

\* \* \*

١٢٤٦ - وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ إِذَا اسْتَقْبَلَ رَجُلًا ، قَالَ : اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْنَا مِنْهُ .

\* \* \*

١٢٤٧ - وَكَتَبَ رَجُلٌ عَلَى خَاتَمِهِ : « أَتَرَمْتَ فَقُم » فَكَانَ إِذَا جَلَسَ إِلَيْهِ ثَقِيلٌ نَاقِلُهُ إِيَّاهُ .

\* \* \*

١٢٤٨ - وَقَالَ صَدَقَةُ بْنُ خَالِدٍ : أَتَيْتُ الْكُوفَةَ ، فَجَلَسْتُ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ ، فَقَالَ [مِنَ الْمُتَقَارِبِ] :  
فَمَا الْفِيلُ تَحْمِلُهُ مِيًّا بِأَثْقَلٍ مِنْ بَعْضِ جُلَاسِنَا  
فَمَا حَمَلْتُ عَنْهُ شَيْئًا ...

\* \* \*

١٢٤٩ - وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ [ هُوَ دِغْبِلُ الْخَزَاعِيُّ ، مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ ] :

إِنِّي أَجَالِسُ مَعْشَرًا	نَوَكِي أَخْفَهُمْ ثَقِيلُ
قَوْمٌ إِذَا جَالَسْتَهُمْ	صَدِئْتُ بِقُرْبِهِمْ أَلْعُقُولُ
لَا يُفْهِمُونِي قَوْلُهُمْ	وَيَدِقُّ عَنْهُمْ مَا أَقُولُ
فَهُمْ كَثِيرٌ بِي وَأَع	لَمْ أَنْبِي بِهِمْ قَلِيلُ

\* \* \*

١٢٥٠ - وَمَرَّ رَجُلٌ بِصَدِيقٍ لَهُ وَمَعَهُ رَجُلٌ ثَقِيلٌ ، فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ حَالُكَ ؟

فَقَالَ [مِنَ الْمُنْسَرَحِ] :

وَقَائِلِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ لَهُ هَذَا جَلِيسِي فَمَا تَرَى حَالِي

\* \* \*

١٢٥١ - وَقَالَ مَنْ لَا أَذْكَرُ اسْمَهُ [من مجزوء الرمل] :

أَنْتَ يَا هَذَا ثَقِيلٌ      وَثَقِيلٌ وَثَقِيلٌ  
أَنْتَ فِي الْمَظْهَرِ إِنْسَانٌ      نُّ وَفِي الْمَخْبَرِ فِيلٌ  
لَوْ تَعَرَّضْتَ لِظُلٍّ      فَسَدَ الظُّلُّ الظِّلُّ

\* \* \*

١٢٥٢ - وَقَالَ الْأَعْمَشُ فِي ثَقِيلٍ كَانَ يَجْلِسُ إِلَى جَانِبِهِ : وَاللَّهِ إِنِّي لَا بُغْضُ  
شَقِيٍّ الَّذِي يَلِيهِ مِنِّي .

\* \* \*

١٢٥٣ - وَكَانَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ إِذَا رَأَى مَنْ يَسْتَقِفُّهُ يَقْرَأُ : ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا  
الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ [٤٤ سورة الدخان/ الآية : ١٢] .

\* \* \*

١٢٥٤ - وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : نَزَلَتْ آيَةٌ فِي الثَّقَلَاءِ : ﴿ فَإِذَا  
طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثٍ ﴾ [٣٣ سورة الأحزاب/ الآية : ٥٣] .

\* \* \*

١٢٥٥ - وَقَالَ الشَّعْبِيُّ : مَنْ فَاتَتْهُ رَكْعَتَا الْفَجْرِ فَلْيَلْعِنِ الثَّقَلَاءَ .

\* \* \*

١٢٥٦ - وَسَلَّمْ ثَقِيلٌ عَلَى بَعْضِ الطَّرَفَاءِ ، فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ شَهْرًا .

\* \* \*

١٢٥٧ - وَسُئِلَ إِنْسَانٌ لَهُ ثَلَاثُ بَنِينَ ثَقَلَاءَ : أَيُّ بَنِيكَ أَثْقَلُ ؟ فَقَالَ : لَيْسَ

بَعْدَ الْكَبِيرِ أَثْقَلُ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَّا الْأَوْسَطُ .

\* \* \*

١٢٥٨ - وَقِيلَ لِحَالِيْنُوسَ Galen : لِمَ صَارَ الرَّجُلُ الثَّقِيلُ أَثْقَلَ مِنَ الْحِمْلِ الثَّقِيلِ ؟ قَالَ : لِأَنَّ ثِقْلَهُ عَلَى الْقَلْبِ دُونَ الْجَوَارِحِ ، وَالْحِمْلُ الثَّقِيلُ يَسْتَعِينُ الْقَلْبُ بِالْجَوَارِحِ عَلَيْهِ .

\* \* \*

١٢٥٩ - وَسَمِعَ الْأَعْمَشُ كَلَامَ ثَقِيلٍ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا الَّذِي يَتَكَلَّمُ وَقَلْبِي يَتَأَلَّمُ !

\* \* \*

١٢٦٠ - وَقَالَ رَجُلٌ لِعُغْلَامٍ هَاشِمِيٍّ : يَا بَغِيضُ ! فَشَكَاهُ إِلَى أَبِيهِ ، فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ بَغِيضٌ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَقُولَ لَكَ حَتَّى يَكُونَ بُغْضُكَ بِإِسْنَادِكَ .

\* \* \*

١٢٦١ - وَكَانَ أَبُو الْأَعْتَاهِيَةِ يَقُولُ لِابْنِهِ مُحَمَّدٍ : أَنْتَ وَاللَّهِ يَا مُحَمَّدُ ثَقِيلُ الظِّلِّ ، مُظْلِمُ الْهَوَاءِ ، جَامِدُ النَّسِيمِ ، بَارِدُ حَامِضٍ مُنْتِنٍ .

\* \* \*

١٢٦٢ - وَقَالَ سُهْلُ بْنُ هَارُونَ : مَنْ ثَقُلَ عَلَيْكَ بِنَفْسِهِ ، وَغَمَّكَ فِي سُؤَالِهِ ، فَأَعِزَّهُ أَذْنًا صَمَاءً ، وَعَيْنًا عَمِيَاءً .

\* \* \*

١٢٦٣ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ [من البسيط] :

يَا مَنْ تَبَرَّمْتَ الدُّنْيَا بِطَلْعَتِهِ      كَمَا تَبَرَّمْتَ الْأَجْفَانُ بِالسُّهْدِ

إِنِّي لِأَذْكُرُهُ حِينًا فَأَحْسِبُهُ مِنْ ثِقَلِهِ جَالِسًا مِنِّي عَلَى كَبَدِي

\* \* \*

١٢٦٤ - وَقَالَ الشَّاعِرُ الْحَكِيمُ الْأَنْدَلُسِيُّ أَبُو الصَّلْتِ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ [من

الخفيف] :

لِي جَلِيسٌ عَجِبْتُ كَيْفَ اسْتَطَاعَتْ هَذِهِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ثِقْلُهُ (١)  
أَنَا أَرْعَاهُ مُكْرَهَا وَيَقْلِبِي مِنْهُ مَا يُفْلِقُ الْجِبَالُ أَقْلُهُ  
فَهُوَ مِثْلُ الْمَشِيبِ أَكْرَهُ مَرًّا هُ وَلَكِنْ أَصُونُهُ وَأَجْلُهُ (٢)

\* \* \*

١٢٦٥ - وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى يَسْتَشْقِلُ جَلِيسًا أَسْمُهُ زَنْبَاعُ ، فَقَالَ  
لَهُ رَجُلٌ يَوْمًا : مَا الزَّنْبَعَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ؟ قَالَ : التَّنَاقُلُ ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ  
جَلِيسَنَا زَنْبَاعًا .

\* \* \*

١٢٦٦ - وَقَالَ الْحَمْدُونِيُّ [من المتقارب] :

سَأَلْتُكَ بِاللهِ إِلَّا صَدَقْتَ وَعَلِمِي بِأَنَّكَ لَا تَضَدُّقُ  
أَتَبْغِضُ نَفْسَكَ مِنْ ثِقَلِهَا وَإِلَّا فَأَنْتَ إِذَنْ أَحْمَقُ

\* \* \*

(١) ثِقْلُهُ : تَحْمِيلُهُ .

(٢) ذَلِكَ لِأَنَّ مُفَارَقَةَ الْمَشِيبِ إِنَّمَا تَكُونُ بِالْمَوْتِ ، قَالَ مُسْلِمٌ بْنُ الْوَلِيدِ [من البسيط] :

الشَّيْبُ كُزْرَةٌ وَكُزْرَةٌ أَنْ يُفَارِقَنِي فَأَعَجَبْتُ لِشَيْءٍ عَلَى الْبَغْضَاءِ مَوْدُودِ  
يَمْنُضِي الشَّبَابُ فَيَأْتِي بَعْدَهُ خَلْفٌ وَالشَّيْبُ يَذْهَبُ مَقْشُودًا بِمَقْشُودِ

١٢٦٧ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ [من الطويل] :

مَشَى فَدَعَا مِنْ ثِقَلِهِ الْحُوثُ رَبَّهُ      وَقَالَ : إِلَهِي زِيدَتْ الْأَرْضُ ثَامِنَةً<sup>(١)</sup>

\* \* \*

١٢٦٨ - وَقَالَ آخَرُ [من السريع] :

تَحْمِلُ مِنْهُ الْأَرْضُ أَضْعَافَ مَا      يَحْمِلُهُ الْحُوثُ مِنَ الْأَرْضِ

\* \* \*

١٢٦٩ - وَمِنْ كَلَامِهِمْ : مُجَالَسَةُ الثَّقَلَاءِ تُثِيرُ الْهُمُومَ ، وَتَجْلُبُ الْغُمُومَ ،  
وَتُؤْلِمُ الْقُلُوبَ ، وَتَقْدَحُ فِي الشَّسَاطِ ، وَتَطْوِي الْأَنْبِسَاطِ .

١٢٧٠ - وَقَالُوا : فَلَانٌ ثَقِيلُ الطَّلَعَةِ ، بَغِيضُ التَّفْصِيلِ وَالْجُمْلَةِ ، بَارِدُ  
السُّكُونِ وَالْحَرَكَةِ ، يَخْكِي ثِقَلَ الْحَدِيثِ الْمُعَادِ ، وَيَمْشِي فِي الْقُلُوبِ  
وَالْأَكْبَادِ ، كَأَنَّ وَجْهَهُ أَيَّامُ الْمَصَائِبِ وَلَيَالِي النَّوَائِبِ .

\* \* \*

١٢٧١ - يَا عَجَبِي مِنْ جِسْمٍ كَالْخَيَالِ وَرُوحٍ كَالْجِبَالِ .

\* \* \*

١٢٧٢ - هُوَ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْعَيْنِ قَذَاةٌ ، وَبَيْنَ الْأَخْمَصِ وَالنَّعْلِ حَصَاةٌ .

\* \* \*

١٢٧٣ - هُوَ أَثْقَلُ مِنْ خَرَجِ بِلَا غَلَّةٍ ، وَدَوَاءِ بِلَا عِلَّةٍ .

\* \* \*

(١) يُشِيرُ إِلَى الْخُرَافَةِ الَّتِي تَقُولُ : إِنَّ الْأَرْضَ يَحْمِلُهَا حُوثٌ .

١٢٧٤ - وَقَالَ جَحْظَةُ الْبَرْمَكِيُّ فِي ثَقِيلٍ مِنْ آيَاتٍ [من السريع] :

يَا لَفْظَةَ النَّعْيِ بِمَوْتِ الْخَلِيلِ	يَا وَقْفَةَ التَّوْدِيْعِ بَيْنَ الْحُجُولِ
يَا طَلْعَةَ النَّعْشِ وَيَا مَنْزِلَا	أَقْفَرَ مِنْ بَعْدِ الْأَيْسِ الْحُلُولِ
يَا شَرْبَةَ الْيَارَجِ يَا أَجْرَةَ الْمَنْزِ	لِ يَا وَجْهَ الْعَذُولِ الثَّقِيلِ <sup>(١)</sup>
يَا نَهْضَةَ الْمَخْبُوبِ عَنْ غَضْبَةٍ	يَا نِعْمَةَ قَدْ آذَنْتِ بِالرَّحِيلِ
وَيَا كِتَاباً جَاءَ مِنْ مُخْلِيفٍ	لِلْوَعْدِ مَمْلُوءاً بِعُذْرِ طَوِيلِ
يَا شَوْكَةً فِي قَدَمِ رَخْصَةٍ	لَيْسَ إِلَيَّ إِخْرَاجُهَا مِنْ سَبِيلِ <sup>(٢)</sup>
يَا عِشْرَةَ الْمَخْدُومِ فِي رَحْلِهِ	وَيَا صُغُودَ السَّعْرِ عِنْدَ الْمُعِيلِ <sup>(٣)</sup>
يَا رَدَّةَ الْحَاجِبِ عَنْ قَسْوَةٍ	وَنَكْسَةَ مِنْ بَعْدِ بُرْءِ الْعَلِيلِ

\* \* \*

١٢٧٥ - وَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ [من المقارب] :

ثَقِيلٌ يُطَالِعُنَا مِنْ أَمَمٍ	إِذَا سَرَّهُ رَعْفُ أَنْفِي أَلَمٍ
لِطَلْعَتِهِ وَخِزَّةٌ فِي الْحَشَا	كَوْخِزِ الْمَشَارِطِ فِي الْمُخْتَجَمِ
[ كَأَنَّ الْفُؤَادَ إِذَا مَا بَدَا	بِإِشْفَى إِلَيَّ كِبْدِي يَنْتَظِمُ ]
أَقُولُ لَهُ إِذْ بَدَا لَا بَدَا	وَلَا حَمَلَتْهُ إِلَّا نِينَا قَبْدَمِ

(١) الْيَارَجُ أَوْ الْإِيَارَجَةُ : مَعْجُونٌ مُسَهَّلٌ ، الْجَمْعُ أَيَارَج ، وَالْكَلِمَةُ فَارِسِيَّةٌ مُعَرَّبَةٌ ، [ وَتَفْسِيرُهُ :  
الدَّوَاءُ الْإِلَهِيُّ ] وَلَكَ أَنْ تَسْتَبْدِلَ بِهَا : يَا شَرْبَةُ الْخَزْوَعِ .

[ يَا بُكْرَةَ الثُّكْلَى إِلَى حُفْرَةٍ      مُسْتَوْدَعٌ فِيهَا عَزِيزُ الثُّكُولِ  
يَا وَثْبَةَ الْحَافِظِ مُسْتَعْجِلًا      بِصُرُوفِ الْفَيَّاتِ عِنْدَ الْأَصِيلِ  
وَيَا طَبِيبًا قَدْ أَتَى بِإِكْرَأ      عَلَى أَخِي سُقْمٍ بِمَاءِ الْبُقُولِ ]

(٢) رَخْصَةٌ : لَيْثَةٌ نَاعِمَةٌ .

(٣) فِي رَحْلِهِ : فِي مَتَرَلِهِ ، وَالْمُعِيلُ : مَنْ لَهُ عِيَالٌ كَثُرَ .

فَقَدْتُ خَيْالَكَ لَا مِنْ عَمَى      وَصَوْتُ كَلَامِكَ لَا مِنْ صَمَمٍ  
[ تَغَطُّ بِمَا شِئْتَ عَنْ نَاطِرِي      وَلَوْ بِالرِّدَاءِ بِهِ تَلْتَثِمُ ]

\* \* \*

١٢٧٦ - وَقَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ [من الخفيف] :

رُبَّمَا يُنْقَلُ الْجَلِيسُ وَإِنْ كَا      نَ خَفِيفًا فِي كَفَّةِ الْمِيزَانِ  
وَلَقَدْ قُلْتُ حِينَ وَتَدَفَى الْأَرْ      ضِ ثَقِيلُ أَرْبَى عَلَى تَهْلَانِ<sup>(١)</sup>  
كَيْفَ لَمْ تَحْمِلِ الْأَمَانَةَ أَرْضُ      حَمَلْتُ فَوْقَهَا أَبَا سُفْيَانَ

\* \* \*

١٢٧٧ - وَفِي الْبَارِدِ يَقُولُ بَعْضُهُمْ فِي شِعْرِ الصُّوْلِيِّ [من السريع] :

دَارِي بِلَا خَيْشٍ وَلَكِنِّي      عَقَدْتُ مِنْ خَيْشِي طَاقِينَ  
دَارَ مَتَى مَا أَشَدَّ بِي حَرْهَا      أَشَدْتُ لِلصُّوْلِيِّ بَيْتَيْنِ

\* \* \*

١٢٧٨ - وَقَالَ كُشَاجِمٌ فِي مَغْنً [من المتقارب] :

غَنَاءُ بُدِيحٍ بِأَرْضِ الْحَجَّازِ      يَطِيبُ وَأَمَّا بِحُمَصٍ فَلَا  
لِبَرْدِ الْغَنَاءِ وَبَرْدِ الْهَوَاءِ      فَإِنْ جُمِعَا خِفْتُ أَنْ يَقْتُلَا

\* \* \*

١٢٧٩ - وَلَقِيَ بَرْدُ الْخِيَارِ الْمُغْنِيَّ أَبَا الْعَبَّاسِ الْمُبَرَّدَ فِي يَوْمٍ بَارِدٍ بِالْجَسْرِ .  
فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ الْمُبَرَّدُ وَأَنَا بَرْدُ الْخِيَارِ ، وَالْيَوْمَ كَمَا تَرَى ، فَأَعْبِرْ بِنَا لَا يَهْلِكَ



النَّاسُ مِنَ الْفَالِحِ بِسَيِّئِنَا .

\* \* \*

١٢٨٠ - وَمِنْ كَلَامِهِمْ فِي ذَمِّ الْمُغْنَيْنِ غَيْرِ الْمُحْسِنِينَ : يَتَرَنَّمُ فَيَتَعَبُ ،  
وَلَا يُطْرَبُ ؛ ضَرْبُهُ<sup>(١)</sup> ، يُوجِبُ ضَرْبَهُ .

\* \* \*

١٢٨١ - مِنْ عَجَائِبِ غِنَائِهِ أَنَّهُ يُورِدُ الشِّتَاءَ فِي الصَّيْفِ ، وَمَا رُئِيَ قَطُّ فِي  
دَارِ مَرَّتَيْنِ .

\* \* \*

١٢٨٢ - وَحَضَرَ جَحْظَةَ الْبَزْمَكِيِّ - وَكَانَ يُعْنِي وَلَا يُحْسِنُ ، وَكَانَ دَمِيمًا  
جَاحِظَ الْعَيْنَيْنِ - حَضَرَ مَجْلِسًا فِيهِ الشَّاعِرُ عَلِيُّ بْنُ بَسَّامٍ ، فَتَوَزَّعَ الْقَوْمُ الْمَخَاضَ ،  
فَقَالَ جَحْظَةُ : فَمَا لِي لَمْ تُعْطُونِي مِخْدَةً ؟ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ بَسَّامٍ : غَنٌّ ، فَالْمَخَاضُ  
كُلُّهَا إِلَيْكَ تَصِيرُ .

\* \* \*

١٢٨٣ - وَفِيهِ يَقُولُ ابْنُ بَسَّامٍ [من السريع] :

يَا مَنْ هَجَوْنَاهُ فَعَنَّا نَا      أَنْتَ وَبَيْتِ اللَّهِ أَهْجَانَا  
سَيِّئَانِ أَنْ غَنَّى لَنَا جَحْظَةُ      أَوْ مَرَّ مَجْنُونٌ فَعَنَّا نَا

\* \* \*

١٢٨٤ - قَالَ الْحَضْرِيُّ : وَكَانَ خَالِدٌ يُسْتَبْرَدُ ، فَبَعَثَ بَعْضُ الطُّرَفَاءِ غُلَامَهُ

(١) أَيُّ : ضَرْبُهُ بِالْعُودِ وَنَحْوِهِ .

يَشْتَرِي لَهُ خَمْسَةَ أَرْطَالٍ ثُلْجًا ، فَأَتَاهُ بِخَالِدٍ ، وَقَالَ : يَا مَوْلَايَ ! طَلَبْتَ خَمْسَةَ أَرْطَالٍ ، وَهَذَا حِمْلٌ .

\* \* \*

١٢٨٥ - وَتَغْنَى بِحَضْرَةِ مَحْمُومٍ ، فَقَالَ : وَيْحَكَ ! دَعْنَا نَعْرِقُ .

\* \* \*

١٢٨٦ - وَالشَّيْءُ يُذَكَّرُ بِالشَّيْءِ ، قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو رَجُلًا [من الرجز] :

لَوْ كُنْتَ رِيحًا كَانَتْ الدُّبُورَا      أَوْ كُنْتَ غَيْمًا لَمْ تَكُنْ مَطِيرَا  
أَوْ كُنْتَ مَاءً لَمْ تَكُنْ طَهُورَا      أَوْ كُنْتَ مُخًّا كُنْتَ مُخَّ رِيرَا<sup>(١)</sup>  
أَوْ كُنْتَ بَزْدًا كُنْتَ زَمْهَرِيرَا

\* \* \*

١٢٨٧ - وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخِرِ [من الرجز] :

لَوْ كُنْتَ مَاءً لَمْ تَكُنْ بَعْدَبِ      أَوْ كُنْتَ سَيْفًا كُنْتَ غَيْرَ عَضْبِ<sup>(٢)</sup>  
أَوْ كُنْتَ لَحْمًا كُنْتَ لَحْمَ كَلْبِ      أَوْ كُنْتَ طَرْفًا كُنْتَ غَيْرَ نَذْبِ<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

(١) الرِّيرُ : الْمُخُّ الرَّقِيقُ ، يُقَالُ : مُخٌّ رِيرٌ وَرَارٌ .

(٢) غَيْرُ عَضْبٍ : غَيْرُ قَاطِعٍ .

(٣) الطَّرْفُ : الْكَرِيمُ مِنَ الْخَيْلِ ؛ وَالنَّذْبُ : السَّرِيعُ الْخَفِيفُ .

## البَابُ الثَّامِنُ

رَمِيْهُنَّ بِالْكَيدِ وَالْمَكْرِ وَالْغَدْرِ وَالتَّلَوْنِ وَالْكَفْرِ بِالْعَشِيرِ ،  
وَبِالْحُمَقِ وَالْخُرْقِ ، وَحَضُّهُمْ مِنْ نَمٍّ عَلَى مُخَالَفَتِهِنَّ وَعَدَمِ  
الْاعْتِمَادِ عَلَيْهِنَّ

١٢٨٨ - وَهَذَا بَابٌ لَقَدْ تَوَسَّعُوا فِيهِ وَأَكْثَرُوا مِنْ الْقَوْلِ حَتَّى لَكَانَ الْمُتَصَدِّي  
لِلْكَلَامِ عَلَى النِّسَاءِ يَكْفِيهِ أَنْ لَا يَعْدُوَ هَذَا الْبَابَ ، فَهُوَ حَسْبُهُ ، وَهَذَا مِنْهُمْ  
لَعَمْرِي لَوْ أَنَّ مِنَ الْمُغَالَاةِ وَالْجَوْرِ وَالتَّخْيِيفِ وَالتَّعَصُّبِ عَلَى الْمَرْأَةِ ، وَإِلَّا فَمَنْ  
يُنْكِرُ أَنَّ مِنَ الرِّجَالِ مَنْ هُوَ أَمْكُرُ وَأَغْدَرُ وَأَشَدُّ خَرَقًا وَحُمَقًا ، وَلَكِنَّهُمْ لَا حَظُوا  
فِي ذَلِكَ طَبِيعَةَ الْمَرْأَةِ ، وَأَنَّ هَذِهِ الْمَسَاوِيءَ أَكْثَرُ شُيُوعًا فِي النِّسَاءِ وَالزَّمُّ لِلْجَبِلَةِ  
الضَّعِيفَةِ ، عَلَى أَنَّهَا مِمَّا يَجْمَلُ أَنْ يُلَاحَظَ فِي ذَلِكَ أَنَّهَا لَيْسَ كُلُّ امْرَأَةٍ كَذَلِكَ ،  
كَمَا أَنَّهَا لَيْسَ كُلُّ رَجُلٍ خَيْرًا مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ ، وَإِلَّا فَمِنْ النِّسَاءِ الطَّيِّبَاتِ الْعَاقِلَاتِ  
الْخَيْرَاتِ ، وَإِنْ كُنَّ قَلِيلَاتٍ بِالإِضَافَةِ إِلَى مَنْ لَسَنَ كَذَلِكَ ، نَقُولُ هَذَا وَإِنْ جَاءَ  
فِي الْحَدِيثِ : « مَثَلُ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ فِي النِّسَاءِ مَثَلُ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ <sup>(١)</sup> » فِي  
الْغُرَبَانِ « [مجمع الزوائد ، رقم : ٧٤٤٠] وَهَذَا كِنَايَةٌ عَنْ نُدْرَةِ وُجُودِ الْمَرْأَةِ  
الصَّالِحَةِ ، قَلَا وَجُودَ فِي الْوَاقِعِ لِلْغُرَابِ الْأَعْصَمِ .

\* \* \*

(١) وَبَيَّيْنَةُ الْحَدِيثِ : قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَمَا الْغُرَابُ الْأَعْصَمُ ؟ قَالَ : « الَّذِي إِحْدَى رِجْلَيْهِ  
بَيَاضًا » .

١٢٨٩ - وَجَاءَ فِي حَدِيثِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ : « وَجَدْتُ إِنْسَانًا وَاحِدًا مِنْ أَلْفِ إِنْسَانٍ ، وَفِي كَافَّةِ النِّسَاءِ مَا وَجَدْتُ أَمْرًا » « أَلْجَامِعَةُ » لِسُلَيْمَانَ . [سفر الجامعة ، الإصحاح السابع ، الآية : ٢٨] .

وَبَعْدُ ؛ فَمِمَّا يَجِبُ أَنْ يُلَاحَظَ دَائِمًا أَنَّ هَذَا الْمُعْجَمَ مِنْ أَحْصَى خَصَائِصِهِ أَنْ يَغْرَضَ لِكُلِّ مَا قِيلَ فِي النِّسَاءِ ، سَوَاءً أَكَانَ لَهُنَّ أَمْ عَلَيْهِنَّ .



١٢٩٠ - قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَتَقَدَّسَ عَلَى لِسَانِ عَزِيزٍ مُضَرٍ يُخَاطِبُ أَمْرَأَتَهُ الَّتِي رَاوَدَتْ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ : ﴿ إِنَّ كَيْدَكَ عَظِيمٌ ﴾ [١٢ سورة يوسف / الآية : ٢٨] قَالَ الْإِمَامُ الزَّمَخْشَرِيُّ : وَإِنَّمَا اسْتَعْظَمَ كَيْدَ النِّسَاءِ لِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ فِي الرِّجَالِ ، إِلَّا أَنَّ النِّسَاءَ أَلْطَفُ كَيْدًا وَأَنْفَذُ حِيلَةً ، وَلَهُنَّ فِي ذَلِكَ نِيقَةٌ<sup>(١)</sup> وَرِفْقٌ ، وَبِذَلِكَ يَغْلِبَنَّ الرِّجَالُ . قَالَ : وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ [١١٣ سورة الفلق / الآية : ٤] <sup>(٢)</sup> ، وَالْقَصِيرَاتُ مِنْ بَيْنِهِنَّ مَعَهُنَّ مَا لَيْسَ مَعَ غَيْرِهِنَّ<sup>(٣)</sup> مِنَ الْبَوَائِقِ - الدَّوَاهِي - قَالَ : وَعَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ : إِنِّي أَخَافُ مِنَ النِّسَاءِ أَكْثَرَ مِمَّا أَخَافُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [٤ سورة

(١) النِّيقَةُ : اسْمٌ لِلتَّائِي فِي الْأَمْرِ .

(٢) الْمُرَادُ بِالنَّفَثَاتِ النِّسَاءُ الْكَيَّادَاتُ ، تَنْسِبُهَا لِكَيْدِهِنَّ بِالسَّحْرِ وَالنَّفَثِ فِي الْعُقَدِ ، أَوِ الْآلَتِي يَفْتِنَنَّ الرِّجَالَ بِتَعَرُّضِهِنَّ لَهُمْ وَعَرَضِهِنَّ مَحَاسِنَهُنَّ كَأَنَّهُنَّ يَسْحَرْنَ بِهِمْ بِذَلِكَ .

(٣) الظَّاهِرُ أَنَّ الزَّمَخْشَرِيَّ يُرِيدُ بِالْقَصِيرَاتِ ضِدَّ الطَّوِيلَاتِ ، مِنْ قِصْرِ الْقَامَةِ ، قَالَ كُثَيْبُ عَزَّةٍ مِنْ أَبْيَاتِ سَتَاتِي [ مِنْ الطَّوِيلِ ] :

\* شَرُّ النِّسَاءِ الْبَحَايِرُ \*

وَالْبَحَايِرُ : الْقَصِيرَاتُ ، وَلَعَلَّ الزَّمَخْشَرِيَّ يُرِيدُ بِالْقَصِيرَاتِ الْمَقْصُورَاتِ فِي الْبُيُوتِ ، أَيْ : الْمَحْدَرَاتِ .

البقرة/ الآية : ٧٦] وَقَالَ لِلنِّسَاءِ : ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ [١٢ سورة يوسف/ الآية : ٢٨] .

\* \* \*

١٢٩١ - وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « رَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَأَلْيَوْمٍ مَنظَرًا قَطُّ ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ » ، قَالُوا : لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « يَكْفُرِهِنَّ » ، قِيلَ : يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ ؟ قَالَ : « يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا ، قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ » [البخاري ، رقم : ١٠٥٢ ؛ مسلم ، رقم : ٩٠٧] .

الْمُرَادُ بِالْعَشِيرِ : الزَّوْجُ ، مِنَ الْمَعَاشِرَةِ ، وَهِيَ : الْمُخَالَطَةُ .

\* \* \*

١٢٩٢ - وَمِصْدَاقُ هَذَا الْحَدِيثِ فِي الْوَاقِعِ الْمُشَاهِدِ كَثِيرٌ جَدًّا ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا يُرَوَّى عَنِ الرُّمَيْلِيَّةِ زَوْجِ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ مَلِكِ إِسْبِيلِيَّةَ وَأَحَدِ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُعْتَمِدَ كَثِيرًا مَا كَانَ يَتَنَكَّرُ هُوَ وَوَزِيرُهُ الشَّاعِرُ ابْنُ عَمَّارٍ ، وَيَخْرُجَانِ إِلَى الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِمَرْجِ الْفِضَّةِ ، وَهُوَ مَكَانٌ بِهِيْجٌ يَسُرُّ النَّاطِرِينَ ، فَبَيْنَمَا الْمُعْتَمِدُ عَشِيَّةً عَلَى ضِفَّةِ الْوَادِي إِذْ هَبَّتْ رِيحٌ فَزَرَدَتْهُ ، فَقَالَ لِابْنِ عَمَّارٍ : أَجِزْ [ من الرمل ] :

صَنَعَ الرِّيحُ مِنْ أَلْمَاءِ زَرَدٍ

فَتَلَكَّأَ ابْنُ عَمَّارٍ ، وَبَدَرَتْهُ أَمْرَأَةٌ كَانَتْ بِمَقْرَبَةٍ مِنْهُمَا ، فَقَالَتْ [ من الرمل ] :

أَيُّ دِرْعٍ لِقَتَالِ لَوْ جَمَدُ

فَتَعَجَّبَ ابْنُ عَبَّادٍ مِنْ حُسْنِ مَا أَتَتْ بِهِ مَعَ عَجْزِ ابْنِ عَمَّارٍ وَإِفْحَامِهِ ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا ، فَرَأَى صُورَةً جَمِيلَةً . فَوَقَعَتْ بِقَلْبِهِ ، وَأَنْصَرَفَ إِلَى قَصْرِهِ بَعْدَ أَنْ وَكَلَ

بِهَا أَحَدَ خِصْيَانِهِ ، وَأَمَرَهُ بِحَمْلِهَا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ أَسْتَفْهَمَهَا عَنْ نَسَبِهَا ، فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ - أَيْ أَبَاهَا - مِنْ صِنْفِ الْمَاشِيَةِ الْمُشْتَغِلِينَ بِالْعُكُوفِ عَلَى الدَّوَابِّ . . . . وَأَنَّهَا خَلَوْا مِنَ الزَّوْجِ ؛ فَتَزَوَّجَهَا ، وَقَطَعَا حِينًا مِنَ الدَّهْرِ فِي سُرُورٍ مُتَوَالٍ وَغَبْطَةٍ يُحْسَدَانِ عَلَيْهَا ، وَحَدَّثَ أَنَّ رَأَتْ النِّسَاءَ يَوْمًا يَمْشِينَ فِي الطِّينِ ، فَاسْتَهْتِ الْمَشْيَ فِيهِ ، فَأَمَرَ الْمُعْتَمِدُ فَسُحِقَتِ الطُّيُوبُ وَذُرَّتْ فِي سَاحَةِ الْقَصْرِ حَتَّى عَمَّتْهُ ، ثُمَّ نَصَبَتِ الْغَرَائِلُ وَصَبَّ فِيهَا مَاءَ الْوَرْدِ عَلَى الطُّيُوبِ ، وَعُجِنَتْ بِالْأَيْدِي حَتَّى صَارَتْ كَالطِّينِ ، وَخَاضَتْهُ مَعَ جَوَارِيهَا ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا . وَغَاضِبَهَا فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ، فَأَقْسَمَتْ أَنَّهَا لَمْ تَرَ مِنْهُ خَيْرًا قَطُّ . . . . فَقَالَ لَهَا : وَلَا يَوْمَ الطِّينِ ؟ . . . . فَاسْتَحْيَتْ وَأَعْتَذَرَتْ . . . .

\* \* \*

١٢٩٣ - وَمِنْ كَلَامِ الْمَأْمُونِ : إِنَّ النِّسَاءَ شَرُّ كُلِّهِنَّ ، وَشَرُّ مَا فِيهِنَّ أَنْ لَا غِنَاءَ عَنْهُنَّ .

\* \* \*

١٢٩٤ - وَمَرَّتْ بِسُقْرَاطِ Socrates أَمْرَأَةً وَهُوَ يَسْشَرُّ - يَخْضِبُ شَعْرَهُ بِالزَّغْفَرَانِ وَنَحْوِهِ مِنْ كُلِّ صَبْغٍ أَحْمَرٍ - فَقَالَتْ : يَا شَيْخُ ! مَا أَقْبَحَكَ ! فَقَالَ : لَوْلَا أَنَّكَ مِنَ الْمَرَايَا الصِّدِّيقَةِ لَعَمِنِي مَا بَانَ مِنْ قُبْحِ صُورَتِي فِيكَ .

\* \* \*

١٢٩٥ - وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُتَيْبٍ : عَاقَبَ اللَّهُ الْمَرْأَةَ بِعَشْرِ خِصَالٍ : شِدَّةِ الْكُفَاسِ ، وَبِالْحَيْضِ ، وَبِالْتَّجَاسَةِ فِي بَطْنِهَا وَفَرْجِهَا ، وَجَعَلَ مِيرَاثَ امْرَأَتَيْنِ مِيرَاثَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَشَهَادَةَ امْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ رَجُلٍ ، وَجَعَلَ نَاقِصَةَ الْعَقْلِ وَالْدِّينِ - لَا تُصَلِّيَ أَيَّامَ حَيْضِهَا - وَلَا يُسَلِّمُ عَلَى النِّسَاءِ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُمُعَةٌ

وَلَا جَمَاعَةٌ ، وَلَا يَكُونُ مِنْهُنَّ نَبِيٌّ ، وَلَا تُسَافِرُ إِلَّا بِوَلِيِّ .

\* \* \*

١٢٩٦ - وَقَالَ شَاعِرٌ [من الخفيف] :

النِّسَاءُ نَاقِصَاتُ عَقْلِ وَدِينٍ      مَا رَأَيْنَا لَهُنَّ رَأْيًا سَنِيًّا  
وَلِأَجْلِ الْكَمَالِ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ      تَعَالَى مِنْ النِّسَاءِ نَبِيًّا

\* \* \*

١٢٩٧ - وَقَالُوا: لَا تَدْعُ أُمَّ صَبِيَّكَ تَضْرِبُهُ، فَإِنَّهُ أَعْقَلَ مِنْهَا وَإِنْ كَانَ طِفْلًا .

\* \* \*

١٢٩٨ - وَكَانَ يُقَالُ : مَا نُهِيتِ أُمْرَأَةٌ قَطُّ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَتَتْهُ ، وَفِي هَذَا

الْمَعْنَى يَقُولُ طَفِيلُ الْغَنَوِيِّ [من البسيط] :

إِنَّ النِّسَاءَ كَأَشْجَارٍ نَبْتَنَ مَعَا      مِنْهَا الْمُرَارُ وَبَعْضُ الْمُرِّ مَأْكُولُ  
إِنَّ النِّسَاءَ مَتَى يُنْهَيْنَ عَنْ خُلُقٍ      فَإِنَّهُ وَاقِعٌ لَا بُدَّ مَفْعُولُ  
الْمُرَارُ : شَجَرٌ مُرٌّ .

\* \* \*

١٢٩٩ - وَقَالُوا : إِذَا وُصِفَتِ الْمَرْأَةُ بِالْعَقْلِ ، فَهِيَ غَيْرُ بَعِيدَةٍ مِنَ الْجَهْلِ

- الْحَقُّقُ - .

\* \* \*

١٣٠٠ - وَرَأَى سُقْرَاطُ Socrates أُمْرَأَةً تَحْمِلُ نَارًا ، فَقَالَ : نَارٌ تَحْمِلُ نَارًا ،

وَالْحَامِلُ شَرٌّ مِنَ الْمَحْمُولِ .

\* \* \*

١٣٠١ - وَقَالَ النَّبِيُّ سُلَيْمَانُ : أَمْشِ وَرَاءَ الْأَسَدِ وَلَا تَمْشِ وَرَاءَ الْمَرْأَةِ .

\* \* \*

١٣٠٢ - وَقَالُوا : أَغْصِ هَوَاكَ وَالنِّسَاءَ وَأَصْنَعْ مَا شِئْتَ .

\* \* \*

١٣٠٣ - وَقَالَ الْفِيلَسُوفُ الْأَلْمَانِيُّ الْأَشْهَرُ آرتَر شُوبِنَهَوَر Arthurs Schopenhauer - وَكَانَ فِي طَلِيعَةِ السَّاحِطِينَ عَلَى الْمَرْأَةِ - : يَسْأَلُونَنِي عَنِ الْأَفْعَى اللَّيْنَةِ الْمَلْمَسِ ! وَهِيَ أَمَامَهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ ! بَلْ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ ! هِيَ الْمَرْأَةُ !

\* \* \*

١٣٠٤ - وَقَبَلَ شُوبِنَهَوَر Schopenhauer ، قَالَ عَلَيَّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ : الْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلُوُ اللَّسْبَةِ .

يُقَالُ : لَسَبَتِ الْحَيَّةَ وَالْعَقْرَبُ وَالزُّنْبُورُ تَلْسِبُهُ وَتَلْسَبُهُ لَسْبًا : لَدَغَتْهُ ، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْعَقْرَبِ .

\* \* \*

١٣٠٥ - وَقِيلَ لِحَيَّةِ سَامَّةٍ : أَكَانَ يَسْرُوكَ لَوْ خُلِقْتَ امْرَأَةً ؟ قَالَتْ : أَنَا امْرَأَةٌ ، غَيْرَ أَنَّ سُمِّيَ فِي النَّابِ وَسُمِّيَهَا فِي لِسَانِهَا .

\* \* \*

١٣٠٦ - وَقَالَ شُوبِنَهَوَر Schopenhauer : إِنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي تَضْطَرُّنِي إِلَى أَنْ أَخْتَرِمَهَا مَا خُلِقْتُ وَلَكِنْ تَخْلُقُ .

\* \* \*



١٣٠٧ - وَقَالَ : إِنَّ إِطْلَاقَنَا عَلَى الْمَرْأَةِ « سَيِّدَةٌ » لُغَةٌ يَجِبُ الْقَضَاءُ عَلَيْهَا ، حَتَّى لَا يَبْقَى غَيْرُ نُسَاءٍ غَارِقَاتٍ فِي السُّوْنِ الْمَنْزِلِيَّةِ .

\* \* \*

١٣٠٨ - وَقَالَ : أَتُرْكُوا لِلْمَرْأَةِ حُرِّيَّتَهَا ، وَلَا تَجْعَلُوهَا رَقِيبًا ، ثُمَّ قَابِلُونِي بَعْدَ سَنَةٍ وَأَخْبِرُونِي عَنِ النَّتِيجَةِ .

\* \* \*

١٣٠٩ - وَقَالُوا : مَنْ أَطَاعَ عِرْسَهُ لَمْ يَنْفَعْ نَفْسَهُ .  
الْعِرْسُ : الزَّوْجَةُ .

\* \* \*

١٣١٠ - وَقَالُوا : شَاوِرُهُنَّ وَخَالِفُوهُنَّ .

\* \* \*

١٣١١ - وَقَالُوا : أَكْثِرُوا لَهُنَّ مِنْ « لَا » ، فَإِنَّ « نَعَمْ » تُغْرِيهِنَّ بِالْمَسْأَلَةِ - أَيْ : السُّؤَالِ وَالطَّلَبِ -

\* \* \*

١٣١٢ - وَقَالَ شَاعِرٌ [من الطويل] :

تُعَيِّرُنِي بِالْغَزْوِ عِزِّي وَمَا دَرْتُ بِأَنِّي لَهَا فِي كُلِّ مَا أَمَرْتُ ضِدُّ

\* \* \*

١٣١٣ - وَعَارَضَتْ أَمْرَاءَ عُمَرَ فِي أَمْرِ يُدَبِّرُهُ ، فَقَالَ : مَا لَكُنَّ وَأُمُورَ  
الرِّجَالِ ! إِنَّمَا أَنْتُنَّ لُعْبَةٌ ، إِنْ كَانَتْ لَنَا يَكُنَّ حَاجَةٌ دَعَوْنَاكُنَّ .

\* \* \*

١٣١٤ - وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ [من الطويل] :

أَهْنُ عَوَادِي يُوسُفٍ وَصَوَاحِبُهُ فَعَزَمًا ، فَقَدِمَا أَذْرَكَ التُّجَحَ طَالِبُهُ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

١٣١٥ - وَقَالَ الْمُتَنَبِّيُّ [من الطويل] :

وَلِلْخُودِ مِنِّي سَاعَةٌ ثُمَّ بَيْنَنَا فَلَاةٌ إِلَى غَيْرِ اللِّقَاءِ تُجَابُ  
الْخُودِ مِنَ النِّسَاءِ : الشَّابَّةُ النَّاعِمَةُ ؛ وَتُجَابُ : تُفْطَعُ ؛ يَقُولُ : إِنَّمَا  
أَصْبَحْتُ الْمَرْأَةَ قَدْرًا يَسِيرًا ، ثُمَّ أَبْتَعِدُ عَنْهَا ، فَيَكُونُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا صَحْرَاءُ أَقْطَعُهَا  
إِلَى غَيْرِ لِقَائِهَا .

\* \* \*

١٣١٦ - وَكَانَ الْمُتَنَبِّيُّ عِزَّاهَ عُرُوفَ النَّفْسِ عَنِ النِّسَاءِ ، وَمَالَهُ وَالْغَوَانِي  
وَلَا هَمَّ لَهُ إِلَّا طَلَابُ الْمَجْدِ وَالْطَّمُوحُ إِلَى السُّودِدِ وَجَسِيمَاتِ الْأُمُورِ .

\* \* \*

١٣١٧ - وَقَالَ شَاعِرٌ ، مِنْ أُنْبِيَاءِ « الْحِمَاسَةِ » [من الكامل] :

إِنَّ النِّسَاءَ وَإِنْ ذُكِرْنَ بِعِفَّةٍ فِيمَا يُظَاهَرُ فِي الْأُمُورِ وَيُكْتَمُ

(١) هَذَا الْبَيْتُ مَطْلَعُ قَصِيدَةٍ لِأَبِي تَمَّامٍ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَقَوْلُهُ : أَهْنٌ ، فَالْهَمْزَةُ فِيهِ  
لِلِاسْتِفْهَامِ ، وَالْمُرَادُ بِهِ التَّقْرِيرُ ، يَقُولُ : إِنَّ النِّسَاءَ هُنَّ اللَّوَاتِي حَاوَلْنَ صَرْفَ يُوسُفَ عَنْ تَقَاهِ  
وَرُشْدِهِ ، وَإِذْنَ فَأَعَزَمَ عَزْمًا قَوِيًّا عَلَى مُخَالَفَتِهِنَّ حَتَّى تَذْرَكَ التُّجَحَ ، فَإِنَّ سَبِيلَ إِذْرَاكِ  
التُّجَحِ ، هُوَ تَضْمِيمُ الْعَزْمِ وَإِمْقَاءُ النَّيَّةِ . يُرْوَى أَنَّ أَبَا الْعَمَيْتِلَ ، وَكَانَ أَمِينًا لِخِزَانَةِ أَدَبِ  
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَكَانَ قَدْ طَرَحَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ لِيُغْمُضَ هَذَا الْمَطْلَعُ ، فَلَمَّا عَاتَبَهُ أَبُو تَمَّامٍ  
عَلَى هَذَا الْإِهْمَالِ ، قَالَ لَهُ أَبُو الْعَمَيْتِلَ : لِمَ لَا تَقُولُ مَا يُفْهَمُ ؟ فَأَجَابَهُ أَبُو تَمَّامٍ : وَأَنْتَ لِمَ  
لَا تَفْهَمُ مَا يُقَالُ !

لَحْمٌ أَطَافَ بِهِ سِبَاعٌ جُوعٌ      مَا لَا يُذَادُ فَإِنَّهُ يُتَقَسَّمُ  
 الْيَوْمَ عِنْدَكَ دَلُّهَا وَحَدِيثُهَا      وَغَدًا لِغَيْرِكَ كَفُّهَا وَالْمِعْصَمُ  
 كَالْخَانَ تَسْكُنُهُ وَتَزْحَلُ غَازِيَا      وَيَحُلُّ بَعْدَكَ فِيهِ مَنْ لَا تَعْلَمُ

\* \* \*

١٣١٨ - وَقَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ [من الكامل] :

لَا يُؤَسِّنُكَ مِنْ مُخَدَّرَةٍ      قَوْلٌ تُغْلُظُهُ وَإِنْ جَرَحَا  
 عُسْرُ النِّسَاءِ إِلَى مُيَاسِرَةٍ      وَالصَّغْبُ يُمَكِّنُ بَعْدَمَا جَمَحَا

\* \* \*

١٣١٩ - وَقَالَ آخِرُ [وهو قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ ، من الطويل] :

تَمَتَّعَ بِهَا مَا سَاعَفْتِكَ ، وَلَا تَكُنْ      عَلَيْكَ شَجَا فِي الْحَلْقِ حِينَ تَبِينُ  
 وَإِنْ هِيَ أَعْطَتْكَ أَلْيَانَ فَإِنَّهَا      لِغَيْرِكَ مِنْ خُلَانِهَا سَتَلِينُ  
 وَإِنْ حَلَفْتَ لَا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا      فَلَيْسَ لِمَخْضُوبِ الْبَنَانِ يَمِينُ

\* \* \*

١٣٢٠ - وَقَالَ الشَّاعِرُ الْأَنْدَلُسِيُّ الظَّرِيفُ يَحْيَى بْنُ الْحَكَمِ الْمُلقَّبُ بِالْغَزَالِ

[ من الكامل ] :

يَا رَاجِيَا وَدَّ الْغَوَانِي ضَلَّةً      وَفُؤَادُهُ كَلِفٌ بِهِنَّ مُوَكَّلُ  
 إِنَّ النِّسَاءَ لَكَالشُّرُوجِ حَقِيقَةً      فَالَسَّرَجُ سَرْجُكَ رَيْثَمَا لَا تَنْزِلُ  
 فَإِذَا نَزَلْتَ فَإِنَّ غَيْرَكَ نَازِلُ      ذَاكَ أَلْمَكَانَ وَفَاعِلُ مَا تَفْعَلُ  
 أَوْ مَنْزِلُ الْمُجْتَازِ أَصْبَحَ غَادِيَا      عَنْهُ وَيَنْزِلُ بَعْدَهُ مَنْ يَنْزِلُ  
 أَوْ كَالثَّمَارِ مُبَاحَةً أَغْصَانُهَا      تَذْنُو لِأَوَّلِ مَنْ يَمُرُّ فَيَأْكُلُ

أَعْطِ الشَّيْبَةَ - لَا أَبَا لَكَ - حَقَّهَا مِنْهَا فَإِنَّ نَعِيمَهَا مُتَحَوِّلٌ  
وَإِذَا سُلِّيتَ ثِيَابَهَا لَمْ تَتَفَنَّعْ عِنْدَ النِّسَاءِ بِكُلِّ مَا تَسْتَبْدِلُ

\* \* \*

١٣٢١ - وَقَالَ الْعُتْبِيُّ : سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ نَاسٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ : إِنَّ  
أَخَوَيْنِ كَانَا لِأَحَدِهِمَا زَوْجَةً ، وَكَانَ يَغِيبُ وَيَخْلُفُهُ الْآخَرُ فِي أَهْلِهِ ، فَهَوِيَتْهُ أَمْرَأَةٌ  
الْغَائِبِ ، فَأَرَادَتْهُ عَلَى نَفْسِهَا ، فَأَمْتَنَعَ ، فَلَمَّا قَدِمَ أَخُوهُ سَأَلَهَا عَنْ حَالِهَا ،  
فَقَالَتْ : مَا حَالُ أَمْرَأَةٍ تُرَاوِدُ فِي كُلِّ حِينٍ ! فَقَالَ : أَخِي وَابْنُ أُمِّي ! وَإِنِّي  
لَا أَفْضَحُهُ ! وَلَكِنَّ اللَّهَ عَلَيَّ إِلَّا أَكَلَمْتُهُ أَبَدًا ، ثُمَّ حَجَّ وَحَجَّ أَخُوهُ وَالْمَرَأَةُ ، فَلَمَّا  
كَانُوا بِوَادِي الدَّوْمِ <sup>(١)</sup> هَلَكَ الْآخُ وَدَفَنُوهُ وَقَضُوا حَجَّهُمْ وَرَجَعُوا ، فَمَرُّوا بِذَلِكَ  
الْوَادِي لَيْلًا ، فَسَمِعُوا هَاتِفًا يَقُولُ [من الطويل] :

أَجِدُّكَ تَمْضِي الدَّوْمَ لَيْلًا وَلَا تَرَى عَلَيْكَ لِأَهْلِ الدَّوْمِ أَنْ تَتَكَلَّمَ <sup>(٢)</sup>  
وَبِالدَّوْمِ ثَاوٍ لَوْ ثَوَيْتَ مَكَانَهُ وَمَرَّ بِوَادِي الدَّوْمِ لَسَلَّمَ  
فَطَلَّتِ الْمَرَأَةُ أَنَّ الدَّاءَ مِنَ السَّمَاءِ ، فَقَالَتْ لِزَوْجِهَا : هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ ،  
كَانَ مِنْ أَخِيكَ وَمَنِّي كَيْتَ وَكَيْتَ ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ ، لَوْ حَلَّ قَتْلُكَ لَوَجَدْتَنِي  
سَرِيعًا ؛ فَفَارَقَهَا وَضَرَبَ خَيْمَةً عَلَى قَبْرِ أَخِيهِ ، وَقَالَ [من الطويل] :  
هَجَرْتُكَ فِي طُولِ الْحَيَاةِ وَأَبْتَغِي كَلَامًا لَمَّا صِرْتَ رَمْسًا وَأَعْظَمًا  
ذَكَرْتُ ذُنُوبًا فِيكَ كُنْتُ أَجْتَرِمْتُهَا أَنَا مِنْكَ فِيهَا كُنْتُ أَسْوَأَ وَأَظْلَمًا  
وَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا حَتَّى مَاتَ وَدُفِنَ بِجَنْبِ أَخِيهِ ، فَالْقَبْرَانِ مَعْرُوفَانِ .

(١) مَكَانٌ بِالْحِجَازِ .

(٢) تَغْيِيرٌ عَرَبِيٌّ ، يُرِيدُونَ : أَبِجِدُ هَذَا مِنْكَ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ ؛ أَنْظِرِ « اللِّسَانَ » مَادَّة :

الرَّمْسُ : تُرَابُ الْقَبْرِ ؛ وَأَسْوَا ، أَصْلُهُ : أَسْوَأُ ، بِالْهَمْزِ ، وَسُهْلٌ لِضُرُورَةِ الشُّعْرِ .

\* \* \*

١٣٢٢ - وَكَانَ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ أَمْرَأَةٌ يُحِبُّهَا ، فَسَافَرَ عَنْهَا ، فَقَالَتْ لَهُ : أَشِيعُكَ ؛ فَشِيعَتْهُ ثَلَاثَ مَرَّاحِلَ ، فَلَمَّا مَضَى قَالَتْ لِخَادِمِهَا : نَاوِلْنِي بَعْرَةً وَرَوْثَةً وَحَصَاةً ؛ فَنَاوَلَهَا ، فَأَلْقَتْ الرَّوْثَةَ ، وَقَالَتْ : رَأَتْ<sup>(١)</sup> خَبْرُكَ ؛ وَأَلْقَتْ الْبَعْرَةَ ، وَقَالَتْ : وَعَرَ سَفْرُكَ ؛ وَأَلْقَتْ الْحَصَاةَ ، وَقَالَتْ : حُصَّ أَثْرُكَ<sup>(٢)</sup> ؛ فَسَمِعَهَا رَجُلٌ عَلَى الْمَاءِ ، فَلَحِقَهُ ، فَقَالَ لَهُ : مَا هَذِهِ مِنْكَ ! قَالَ : أَمْرَأَتِي وَأَعَزُّ النَّاسِ إِلَيَّ ؛ فَأَخْبَرَهُ بِالْخَبَرِ ، فَقَامَ عَلَى الْمَاءِ ، فَلَمَّا أَمْسَى أَقْبَلَ نَحْوَ مَنْزِلِهِ ، فَوَجَدَ مَعَهَا رَجُلًا ، فَقَتَلَهُمَا جَمِيعًا .

\* \* \*

١٣٢٣ - وَرَوَوْا : أَنَّ أَرْدَشِيرَ سَارَ إِلَى الْخَضِرِ<sup>(٣)</sup> ، وَكَانَ مَلِكُ السَّوَادِ مُتَحَصِّنًا فِيهَا ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ<sup>(٤)</sup> ، فَحَاصَرَهُ فِيهَا زَمَانًا لَا يَجِدُ

(١) رَأَتْ : أَبْطَأَ .

(٢) حُصَّ : قُطِعَ .

(٣) الْخَضِرُ : قَضْرٌ بِحَيَالٍ تُكْرِيتُ بَيْنَ دَجَلَةَ وَالْفَرَاتِ .

(٤) الطَّوَائِفُ : مُلُوكُ الطَّوَائِفِ هُمُ الْمُلُوكُ الَّذِينَ أَسْنَدَ كُلُّ مَلِكٍ مِنْهُمْ بِنَاحِيَّتِهِ بَعْدَ تَعَلُّبِ الإسْكَندَرِ عَلَى دَارًا مِنْ دَارَا ، وَمِنْهُمْ فُرسٌ وَنَبِيطٌ وَعَرَبٌ ، وَكَانَ غَرَضُ الإسْكَندَرِ مِنْ ذَلِكَ تَشْتِيتُ كَلِمَتِهِمْ وَتَحْزِينُهُمْ وَغَلَبَةُ كُلِّ رَئِيسٍ مِنْهُمْ عَلَى الصَّفْعِ الَّذِي هُوَ بِهِ فَيَنْعِدُ نِظَامُ الْمُلْكِ وَالْأَنْفِيَادُ إِلَى مُلْكِ وَاحِدٍ يَجْمَعُ كَلِمَتَهُمْ ، وَقَدْ أَسْتَمَرَ مُلْكُهُمْ ٥١٧ سَنَةً مِنْ مُلْكِ الإسْكَندَرِ إِلَى ظُهُورِ أَرْدَشِيرِ بْنِ بَابَكِ بْنِ سَاسَانَ الَّذِي ظَفَرَ بِهِمْ وَأَسْتَوْلَى عَلَى مُلْكِهِمْ ، وَسَاقَ صَاحِبُ « الْأَغَانِي » (ج ٢ ص ١٤٠ ، طبع دار الكتب المصرية) وَالطَّبْرِيُّ قِسم أول (ص ٨٢٩ طبع أوردية) وَكِتَابُ « أَخْبَارُ النِّسَاءِ » (٨٧) هَذَا الْخَبَرَ ، وَنَسَبَهُ إِلَى النُّصَيْرَةِ بِنْتِ الصُّيُونِ مَعَ سَابُورَ

إِلَيْهِ سَبِيلًا حَتَّى رَقِيتْ ابْنَةُ مَلِكِ السَّوَادِ يَوْمًا ، فَرَأَتْ أَرْدَشِيرَ ، فَعَشِقَتْهُ ، فَتَزَلَّتْ  
وَأَخَذَتْ نُسَابَةً وَكَتَبَتْ عَلَيْهَا : إِنْ أَنْتَ شَرَطْتَ أَنْ تَتَزَوَّجَنِي دَلَلْتُكَ عَلَى مَوْضِعٍ  
تَفْتَحُ مِنْهُ هَذِهِ الْمَدِينَةَ بِأَيْسَرِ حِيلَةٍ وَأَخَفِّ مَوْوَنَةٍ ؛ ثُمَّ رَمَتْ بِالنُّسَابَةِ نَحْوَ أَرْدَشِيرَ ،  
فَكَتَبَ الْجَوَابَ فِي نُسَابَةٍ : لَكَ الْوَفَاءُ بِمَا سَأَلْتَ ؛ ثُمَّ أَلْقَاهَا إِلَيْهَا ، فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ  
تَذْلُهُ عَلَى الْمَوْضِعِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَرْدَشِيرُ فَأَفْتَحَهُ وَدَخَلَ هُوَ وَجُنُودُهُ ، وَأَهْلُ  
الْمَدِينَةِ غَارُونَ<sup>(١)</sup> ، فَقَتَلُوا مَلِكَهَا وَأَكْثَرَ مُقَاتِلَتِهَا ، وَتَزَوَّجَهَا ، فَبَيْنَمَا هِيَ ذَاتَ  
لَيْلَةٍ عَلَى فِرَاشِهِ أَنْكَرَتْ مَكَانَهَا حَتَّى سَهَرَتْ لِذَلِكَ عَامَّةَ لَيْلَتِهَا ، فَنَظَرُوا فِي  
الْفِرَاشِ ، فَوَجَدُوا تَحْتَ الْمِخْبَسِ<sup>(٢)</sup> وَرَقَةً مِنَ الْآسِ قَدْ أَثَرَتْ فِي جِلْدِهَا ،  
فَسَأَلَهَا أَرْدَشِيرُ عِنْدَ ذَلِكَ عَمَّا كَانَ أَبُوها يَغْذُوها بِهِ ، فَقَالَتْ : كَانَ أَكْثَرُ غِذَائِي  
الشَّهْدَ وَالزُّبْدَ وَالْمُخَ ؛ فَقَالَ أَرْدَشِيرُ : مَا أَحَدٌ يَبَالِغُ لَكَ فِي الْحَيَاةِ وَالْإِكْرَامِ  
مَنْبَلِغِ أَبِيكَ ، وَلَئِنْ كَانَ جَزَاءُهُ عِنْدَكَ عَلَى جَهْدِ إِحْسَانِهِ مَعَ لُطْفِ قَرَابَتِهِ وَعِظَمِ  
حَقِّهِ جَهْدَ إِسَاءَتِكَ مَا أَنَا بِأَمِنٍ لِمِثْلِهِ مِنْكَ ؛ ثُمَّ أَمَرَ بِأَنْ تُعْقَدَ قُرُونُهَا بِذَنْبِ فَرَسٍ  
شَدِيدِ الْمِرَاحِ جَمُوحٍ ، ثُمَّ يُجْرَى ، فَفَعَلَ ذَلِكَ حَتَّى تَسَاقَطَتْ عُضْوًا عُضْوًا .

\* \* \*

١٣٢٤ - وَلَا يَبِي نُوَاسٍ فِي ذِمَّتِهِ [من الوافر] :

أَيَا مَنْ لَيْسَ يَكْفِيهَا خَلِيلٌ      وَلَا أَلْفَا خَلِيلٌ كُلَّ عَامٍ  
أَرَاكَ تَقِيَّةً مِنْ قَوْمِ مُوسَى      فَهُمْ لَا يَضْبِرُونَ عَلَى طَعَامِ

\* \* \*

= ابن أَرْدَشِيرَ ، فَأَنْظَرَهَا ، وَأَنْظَرَ « مُعْجَمُ يَأْقُوت » فِي أَسْمِ الْحَضِرِ .

(١) غَارُونَ : غَافِلُونَ .

(٢) الْمِخْبَسُ ، يَكْسِرُ الْمِيمَ وَفَتْحَ الْبَاءِ : الْمَقْدَمَةُ ، وَهِيَ : ثَوْبٌ يُطْرَحُ عَلَى ظَهْرِ الْفِرَاشِ لِلنَّوْمِ عَلَيْهِ .

١٣٢٥ - وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ [من السريع] :

يَسْتَغْفِرُ النَّاسُ بِأَيْدِيهِمْ      وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ بِالْأَرْجُلِ  
قِيَالَهُ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ      يَرْفَعُهُ اللَّهُ إِلَى أَسْفَلِ

\* \* \*

١٣٢٦ - وَقَالَ شَاعِرٌ [من الخفيف] :

كُلُّ أَنْثَى وَإِنْ بَدَا لَكَ مِنْهَا      آيَةُ الْحُبِّ حُبُّهَا خِينُورُ  
أَمْرَأَةً خِينُورُ : لَا يَدُومُ وَدُّهَا .

\* \* \*

وَفِي نَلَوْنِ الْمِلَاحِ وَتَخْيِيرِهِنَّ الْعَاشِقِينَ :

١٣٢٧ - يَقُولُ سَعِيدُ بْنُ حُمَيْدٍ [من المنسرح] :

مَا كُنْتُ أَيَّامَ كُنْتُ رَاضِيَةً      عَنِّي بِذَاكَ الرِّضَا بِمُغْتَبِطِ  
عِلْمًا بِأَنَّ الرِّضَا سَيَبُغُهُ      مِنْكَ التَّجَنِّي وَكَثْرَةُ السَّخَطِ  
فَكُلُّ مَا سَاءَنِي فَعَنَ خُلُقِ      مِنْكَ وَمَا سَرَّنِي فَعَنَ غَلَطِ

\* \* \*

١٣٢٨ - وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْهَاشِمِيُّ ، وَيُعْرَفُ بِأَبِي الْعَبْرِ

[ وَتُنْسَبُ لِلْعَبَّاسِ بْنِ الْأَخْنَفِ ، مِنْ الْبَسِطِ ] :

أَبْكِي إِذَا غَضِبْتَ حَتَّى إِذَا رَضِيتَ      بَكَيْتُ عِنْدَ الرِّضَا خَوْفًا مِنَ الْغَضَبِ  
[ أَتُوبُ مِنْ سُخْطِهَا خَوْفًا إِذَا سَخِطْتَ      فَإِنْ سَخِطْتَ تَمَادَتْ ثُمَّ لَمْ تَتَبِ ]  
فَالْمَوْتُ إِنْ غَضِبْتَ وَالْمَوْتُ إِنْ رَضِيتَ      إِنْ لَمْ يُرَجَّ السُّلُوءُ عِشْتُ فِي تَعَبِ

\* \* \*

١٣٢٩ - وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ [من الطويل] :

إِذَا رَضِيتَ لَمْ يَهْنِئْكَ ذَلِكَ الرَّضَا      لِيَصْحَةَ عَلَمِي أَنْ سَيَتَّبِعُهُ عَتَبُ  
وَأَبْكِي إِذَا مَا أَذْنَبْتَ خَوْفَ عَتَبِهَا      فَأَسْأَلُهَا مَرْضَاتَهَا وَلَهَا الذَّنْبُ  
وَصَالِكُكُمْ هَجَرَ وَقُرْبُكُمْ قَلْبِي      وَعَظْفُكُمْ صَدُّ وَسَلْمُكُمْ حَرْبُ  
وَأَنْتُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ فِيكُمْ فَطَاظَةٌ      وَكُلُّ ذَلُولٍ مِنْ أُمُورِكُمْ صَعْبُ

\* \* \*

١٣٣٠ - وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْقَائِلِ [من الوافر] :

وَمَا فِي الْأَرْضِ أَشْقَى مِنْ مُحِبِّ      وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلُوَ الْمَذَاقِ  
تَرَاهُ بَاكِياً فِي كُلِّ حِينٍ      مَخَافَةَ فِرْقَةٍ أَوْ لِاشْتِيَاقِ  
فَيَبْكِي إِنْ نَأَوْا حَذَرًا عَلَيْهِمْ      وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ الْفِرَاقِ  
وَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَائِي      وَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِ

\* \* \*

١٣٣١ - وَقَالَ أَغْرَابِيُّ [ ذكر ابن الجراح أنها لمحمد بن علي الضبي شاعر

ذي اليمينين طاهر بن الحسين ، من الطويل ] :

شَكُوتُ فَقَالَتْ كُلُّ هَذَا تَبَرُّمًا      بِحُبِّي أَرَاخَ قَلْبِكَ مِنْ حُبِّي<sup>(١)</sup>  
فَلَمَّا كَتَمْتُ الْحُبَّ قَالَتْ لَشَدَّ مَا      صَبَرْتُ وَمَا هَذَا بِفِعْلِ شَجِي الْقَلْبِ  
وَأَذْنُو فَتَقْصِينِي فَأَبْعُدُ طَالِبًا      رِضَاهَا فَتَعْتَدُ التَّبَاعِدَ مِنْ ذَنْبِي  
فَشَكُوَايَ تُؤْذِيهَا وَصَبْرِي يَسُوءُهَا      وَتَجْزَعُ مِنْ بُعْدِي وَتَنْفِرُ مِنْ قُرْبِي  
فَيَا قَوْمَ هَلْ مِنْ حِيلَةٍ تَغْرِفُونَهَا      أَشِيرُوا بِهَا وَاسْتَوْجِبُوا الشُّكْرَ مِنْ رَبِّي

\* \* \*

(١) « الكامل » ج ١/ ٣٧٢ أنظره للشرح .



١٣٣٢ - وَهُنَا نُورِدُ كَلِمَةً لِلشَّاعِرِ الْفَرْدِ دِي مُوسِيَه Alfred de Musset فِي كِتَابِهِ « اَعْتِرَافَاتُ فَتَى الْعَصْرِ » La confession d'un enfant du siècle وَبِهَا نَخْتِمُ هَذَا الْبَابَ ، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ<sup>(١)</sup> ، وَنَحَلَهَا الشَّاعِرُ لِصَاحِبٍ لَهُ أَخَذَ يَنْصَحُهُ بِهَا بَعْدَ أَنْ خَانَتْهُ خَلِيلَتُهُ وَأَخَذَهُ مِنْ جَرَاءِ ذَلِكَ الْمَعْلَمِ الْمُفْعَدِ<sup>(٢)</sup> ، قَالَ الشَّاعِرُ :

قَالَ ديزيه : أَيُّ أَوْكُتَافِ Octave ، يُلُوحُ لِي مِنْ شَوَاهِدِ أَحْوَالِكَ أَنْكَ تَرَى فِي الْحُبِّ رَأْيِي الشُّعْرَاءَ وَالرَّوَائِثِينَ ، كَمَا وَصَفُوهُ فِي تَصَانِيفِهِمْ ، فَأَنْتَ عَلَى الْأَقْوَالِ لَا عَلَى الْفِعَالِ تَعُولُ وَتَعْتَمِدُ ، وَمَنْشَأُ هَذَا السَّفْسَطَةُ وَالْفِيَّاسُ الْفَاسِدُ ، وَهَذَا يَجْلِبُ عَلَيْكَ شَرًّا كَثِيرًا .

فَاعْلَمْ رِعَاكَ اللَّهُ ، أَنَّ الشَّاعِرَ يُصَوِّرُ الْحُبَّ كَمَا يُصَوِّرُ النَّحَاتُ الْجَمَالَ ، وَكَمَا يَتَّبِعُ الْمَوْسِقَارُ النِّعَمَ ، أَغْنِي أَنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ لَمَّا كَانَتْ الطَّبِيعَةُ قَدْ وَهَبَتْهُمْ جِهَازًا عَصَبِيًّا دَقِيقًا حَسَّاسًا تَرَاهُمْ يَنْتَقُونَ وَيَخْتَارُونَ بِحَذَقٍ وَتَحَمُّسٍ أَضْفَى وَأَنْقَى عَنَاصِرِ الْحَيَاةِ وَأَجْمَلَ وَأَبْدَعَ أَصْنَافِ الْمَوَادِّ الَّتِي مِنْهَا يُؤَلَّفُونَ مَلَحَهُمْ وَتَحَفَّهُمْ ، وَأَشْجَى وَأَرْخَمَ أَصْوَاتِ الطَّبِيعَةِ ؛ يُرَوِّى أَنَّهُ كَانَ فِي أُيُنَّةٍ عَدَدَ جَمٍّ مِنَ الْفَتَيَاتِ الْحَسَنَاتِ ، فَقَامَ الْمُصَوِّرُ بَرَكْسِيْتِيل Praxitèle فَصَوَّرَهُنَّ جَمِيعًا وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى ، وَكَانَتْ كُلُّ حَسَنَاءٍ مِنْ هَؤُلَاءِ مَهْمَا أَفْرَطَ جَمَالُهَا لَا تَخْلُو مِنْ عَيْبٍ وَلَوْ فِي مُنْتَهَى الْغُمُوضِ وَالِدَقَّةِ ، فَعَمَدَ ذَلِكَ الْمُصَوِّرُ إِلَى هَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ الْعَجِيبَةِ ، فَأَخْتَارَ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ أَمْلَحَ مَا فِيهَا ، وَكَوَّنَ مِنْ هَذِهِ

(١) [ تُمَثِّلُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَاقِعَ الْمَجْتَمَعِ الْغَرْبِيِّ وَنَفْسِيَّةَ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِهِ ، وَهِيَ بَعِيدَةٌ كُلُّ الْبُعْدِ عَنِ الْحَيَاةِ السَّوِيَّةِ ، وَمَا تَتَضَمَّنُهُ مِنْ نَصَائِحَ وَوَصَايَا مَا هِيَ إِلَّا نَصَائِحُ فَتَى مُوتَوْرٍ مُحْبَطٍ مِنَ الْمَجْتَمَعِ الْغَرْبِيِّ ، لَا يَحْدُ سُلُوكُهُ شَرْعٌ وَلَا يَقِيْدُهُ خَلْقٌ ، فَيَكُنِ الْقَارِئُ عَلَى حَذَرٍ ، فَمَا هُوَ إِلَّا نَمُودَجٌ لِمَا يَكْتُبُهُ الْغَرْبِيُّونَ مِنْ أَدَبٍ ! ] .

(٢) تَرْجَمَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ لِمَجَلَّةِ « الْبَيَّانِ » الْمَرْحُومُ مُحَمَّدُ السَّبَاعِي .

الْمُخْتَارَاتِ صُورَةً جَاءَتْ أَلْغَايَةُ الْقُضُوءِ فِي الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ ، وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى فِي الْإِبْدَاعِ وَالْإِتْقَانِ - فِينَاسَ Venus « الزُّهْرَةُ » رَبَّةَ الْجَمَالِ ؛ وَكَذَلِكَ أَوَّلُ مَنْ ابْتَدَعَ آلَةَ الْمَوْسِيقَى وَوَضَعَ لِهَذَا الْفَنِّ قَوَاعِدَهُ وَقَوَائِنَهُ كَانَ أَمْرًا قَدْ طَالَ مَا أَصْغَى إِلَى وَسْوَسةِ النَّسِيمِ فِي عَذَبَاتِ الْأَغْصَانِ ، وَسَجَّعِ الْحَمَامِ عَلَى مَنَابِرِ الْقُضْبَانِ ؛ وَكَذَلِكَ الشُّعْرَاءُ الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَيَاةَ ، لَمَّا رَأَوْا الْجَمَّ الْكَثِيرَ مِنْ غَدَرَاتِ الْعُشَاقِ ، وَفَجَرَاتِ مَنْ كَانُوا يُظْهِرُونَ الصَّبَابَاتِ وَالْأَشْوَاقَ ، وَأَبْصَرُوا أَيْضًا مَا قَدْ يَبْلُغُهُ الْهَوَى الصَّادِقُ أَحْيَانًا مِنْ عَلَيَا أَفلاكِ اللَّذَّةِ الْفَرْدَوْسِيَّةِ ، وَالْغِنَطَةِ الْمَلَايِكِيَّةِ ، فَصَلُّوا مِنَ الطَّبِيعَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ كُلِّ مَا يُدْنِسُ أَرْدَانَهَا ، وَيُسَوِّهُ مَحَاسِنَهَا ، مِنْ الْخَبَائِثِ وَالْخَسَائِسِ ، فَخَالَفُوا تِلْكَ الْأَسْمَاءَ الْغَرِيبَةَ الْخَفِيَّةَ الَّتِي مَا بَرَحَتْ تَنْتَقِلُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْخَلْقِ مِنْ عَصْرِ إِلَى عَصْرٍ وَمِنْ جِيلٍ إِلَى جِيلٍ - « دافنيس » Daphne و« شلو » Cello و« هير » و« ليانداد » و« بيراميس » و« فسبي » .

فَالَّذِي يُفْتَشُّ فِي الْحَيَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ الْوَاقِعِيَّةِ عَنْ مِثْلِ مَا كَانَ لِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ الْخَيَالِيَّةِ مِنَ الْحُبِّ الصَّادِقِ وَالْهَوَى الْعُذْرِيِّ ، كَالَّذِي يُفْتَشُّ فِي الشُّوَارِعِ الْعُمُومِيَّةِ عَنْ نِسَاءٍ فِي مِثْلِ مَحَاسِنِ « فِينَاسَ » Venus ، أَوْ كَالَّذِي يَشْتَهِي أَنْ يَسْمَعَ مِنَ الْحَمَامِ وَالْبَلَابِلِ الْحَانَ الْمَوْسِيقَارِ الْبَدِيعِ « بِيتهوفن » Beethoven .

الْكَمَالُ لَا يُوجَدُ ، فَتَفَهُمُ مَعَانِيهِ هُوَ أَقْصَى مَا يَبْلُغُهُ الذِّهْنُ الْبَشَرِيُّ مِنْ ذَوِي الثُّبُوغِ وَالْعِظَمَةِ ، وَلَكِنْ الرَّغْبَةُ فِي امْتِلَاكِ الْكَمَالِ هُوَ أَقْصَى دَرَجَاتِ الْحُمُقِ وَالسَّخَافَةِ .

أَفْتَحْ نَافِذَتَكَ يَا أُوْكتَافَ Octave ! أَلَا تَرَى أَمَامَكَ اللَّانِهَيَاةَ ؟ أَلَا تَشْعُرُ أَنَّ الْجَوَّ لَا حَدَّ لَهُ وَلَا غَايَةَ ؟

أَلَا تَرَى أَنَّ عَقْلَكَ يُوجِي إِلَيْكَ بِهَذَا ؟ وَلَكِنْ هَلْ تَسْتَطِيعُ إِدْرَاكَ مَعْنَى هَذِهِ

أَلَا نِهَآيَةً؟ وَهَلْ فِي مَقْدُورِكَ وَأَنْتَ الْفَآنِي أَبْنُ الْفَآنِي ، وَالْمَخْدُودُ أَبْنُ الْمَخْدُودِ ،  
وَالْمَوْلُودُ بِالْأَمْسِ وَالْهَالِكُ غَدًا ؛ هَلْ فِي مَقْدُورٍ مِّنْ هَذَا شَأْنُهُ وَهَذِهِ حَالُهُ أَنْ  
يَتَصَوَّرَ أَنَّ شَيْئًا يَكُونُ بِلاَ غَايَةٍ وَلَا نِهَآيَةٍ ؟ أَلَا فَاعْلَمَنَّ أَنَّ هَذَا الْمَشْهَدَ الْهَائِلَ ،  
مَشْهَدُ اللَّانِهَآيَةِ ، مَا زَالَ أَعْظَمَ دَاعٍ إِلَى الْجُنُونِ فِي كُلِّ قِطْرٍ مِنْ أَقْطَارِ الْعَالَمِ ،  
وَهَذَا الْمَشْهَدُ مَشْهَدُ اللَّانِهَآيَةِ هُوَ الْمَصْدَرُ الَّذِي نَبَعَتْ مِنْهُ الْأَدْيَانُ وَالْعَقَائِدُ .

وَلَقَدْ رُويَ أَنَّ الْبَطَلَ الرُّومَانِيَّ الْعَظِيمَ كَارْتُو قَدْ انْتَحَرَ لِيَخْرُجَ مِنَ الْعَالَمِ  
الْمَخْدُودِ إِلَى الْعَالَمِ الْعَدِيمِ الْحُدُودِ ، أعْنِي أَنَّهُ أَلْقَى مَا يَمْلِكُ مِنْ عَالَمِ الْفَنَاءِ  
لِيَمْلِكَ عَالَمَ الْخُلُودِ ، وَاسْتَعْنَى عَنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ الْمَخْصُورَةِ لِيُخْرِزَ تِلْكَ اللَّانِهَآيَةَ ،  
وَمِنْ أَجْلِ إِحْرَازِ هَذِهِ اللَّانِهَآيَةِ أَلْقَى الْقِدِّيسُونَ مِنْ طَوَائِفِ عِيسَى وَالْمُتَّقُونَ  
وَالْأَبْرَارُ وَالصَّالِحُونَ الْأَخْيَارُ بِنَفْسِهِمْ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّيرانِ الْحَامِيَةِ ، وَفِي لَهَوَاتِ  
الْوُحُوشِ الضَّارِيَةِ ، وَقَذَفَتْ شِيعَةُ « الْهِيُوجِينُوت » <sup>(١)</sup> فِي يَوْمِ الْقِدِّيسِ  
« بَارْثِيلُومْيُوس » <sup>(٢)</sup> Barthelemy وَغَيْرِهِ أَنْفُسَهُمْ عَلَى أَسِنَّةِ رِمَاحِ الْكَاثُولِيكِ وَطَبَّئِ  
سُيُوفِهِمْ ، وَكُلُّ شُعُوبِ الدُّنْيَا وَأُمَمِ الْأَرْضِ قَدْ مَدُّوا أَذْرَعَهُمْ إِلَى هَذِهِ  
اللَّانِهَآيَةِ ، وَوَدُّوا لَوْ يَقْدِفُونَ بِنَفْسِهِمْ فِي أَعْمَاقِهَا ، وَكَمْ تَرَى الْمَجْنُونِ يَوَدُّ لَوْ  
يَمْلِكُ السَّمَاءَ ، وَلَكِنَّ الْعَاقِلَ الْحَكِيمَ يُعْجَبُ بِهَا وَيَطْرُبُ ، فَيَخْرُ لَهَا وَيَرْكَعُ ،  
وَبِذَلِكَ يَرْضَى وَيَقْنَعُ ، فَالْكَمَالُ كَاللَّانِهَآيَةِ ، كِلَاهُمَا لَا يُتَأَلَّ وَلَا يُذْرَكُ .  
وَمَا لَنَا خُلِقَ وَلَا وُجِدَ ، وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَرْجُو الْكَمَالَ فِي أَيِّ كَائِنٍ أَوْ نَبْتَغِيهِ فِي  
أَيِّ شَيْءٍ ، مِنْ حُبٍّ أَوْ جَمَالٍ أَوْ سَعَادَةٍ أَوْ فَضِيلَةٍ ، وَلَكِنَّ عَلَى الْمَرَّةِ أَنْ يَتِمَّادَى  
وَيَغْرَقَ مَا اسْتَطَاعَ فِي حُبِّ الْكَمَالِ لِيَكُونَ فَاضِلًا طَاهِرًا سَعِيدًا .

(١) Huguenot بروتستانتانْت الْفَرَنْسِيْس .

(٢) يَوْمُ الْمَذْبَحَةِ الشَّهِيرَةِ الَّتِي هَلَكَ فِيهَا آلَافٌ عَدِيدَةٌ مِنَ الْبُرُوتِسْتَانْتِ فِي بَارِيسِ Paris .

فَهَبْكَ تَمْلِكُ صُورَةً مِنْ صُنْعِ الْمُصَوِّرِ الْخَالِدِ « رُوفَائِيلَ » Rophael وَإِنَّكَ تَبْصُرُ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ آيَةَ الْكَمَالِ ، ثُمَّ هَبْكَ بَيْنَمَا تَتَأَمَّلُهَا ذَاتَ يَوْمٍ وَتُدَقِّقُ النَّظَرَ فِي أَجْزَائِهَا وَتَفَاصِيلِهَا عَثَرْتَ فِي بَعْضِ أَرْكَانِهَا عَلَى عَيْبٍ غُضِبَ عَنْهُ مَكْسُورٌ مَثَلًا ، أَوْ عَضَلَةٍ غَيْرِ طَبِيعِيَّةٍ ، كَالَّذِي يَرَى فِي إِحْدَى ذِرَاعَيْ (الْمُصَارِعِ الْقَدِيمِ) ، فَإِنَّ ذَلِكَ سَيُخْزِنُكَ بِلا شَكٍّ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَخِمْلُكَ عَلَى إِقْلَاءِ الصُّورَةِ فِي النَّارِ ، بَلْ أَقْصَى مَا تَقُولُهُ إِذْ ذَاكَ ، هُوَ أَنَّ الصُّورَةَ لَمْ تَبْلُغْ حَدَّ الْكَمَالِ ، وَلَكِنَّ فِيهَا مِنْ أَلْمَحَاسِنِ الْجَمِّ الْعَدِيدِ .

إِنَّ مِنَ النِّسَاءِ مَا يَكُونُ لَهُنَّ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ وَحُسْنِ الْوَفَاءِ مَا يَمْنَعُهُنَّ مِنْ اتِّخَاذِ حَبِيبَيْنِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ ، وَعَسَاكَ ظَنَنْتَ خَلِيلَتِكَ مِنْ هَذَا الصَّنْفِ ، وَحَبْدًا لَوْ كَانَتْ ، وَلَكِنَّكَ عَلِمْتَ أَنَّهَا خَدَعَتْكَ ، أَفَكَانَ ذَلِكَ مُوجِبًا لِأَنْ تَحْقِرَهَا وَتُسِيءَ مُعَامَلَتَهَا وَتَرَاهَا أَهْلًا لِبُغْضِكَ وَمَقْتِكَ .

فَهَبْ يَا أُوْكَتَافُ Octave هَذِهِ الْمَرْأَةَ لَمْ تَخْدَعَكَ ، وَلَمْ تَخُنْ عَهْدَكَ ، وَلَمْ تُشْرِكْ بِكَ حَبِيبًا آخَرَ ، أَفَكَانَ حُبُّهَا إِيَّاكَ مَعَ هَذَا كُلِّهِ بَالِغًا حَدَّ الْكَمَالِ أَوْ قُرَابِهِ ، كَلَّا ! فَمَا كَانَ أَبْعَدُهُ مِنَ الْكَمَالِ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ ، وَمَا كَانَ أَقْلَهُ وَأَضَالَهُ وَأَشَدَّهُ تَقْيِيدًا بِأَوْضَاعِ الدُّنْيَا وَتَقَالِيدِ الْحَيَاةِ مِنَ الْغِشِّ وَالنِّفَاقِ وَالرِّيَاءِ .

وَحَسْبُكَ دَلِيلًا أَنَّهَا كَانَتْ مِلْكَاً لَغَيْرِكَ مِنْ قَبْلِكَ ، وَسَتَكُونُ مِلْكَاً لَغَيْرِكَ مِنْ بَعْدِكَ .

فَتَأَمَّلْ ذَلِكَ تُذَرِّكَ أَنَّ الَّذِي يُطِيعُ بِكَ الْآنَ فِي مَهْوَاةِ أَلْيَاسٍ هُوَ مَعْنَى الْكَمَالِ الَّذِي أَسْنَدْتَهُ إِلَى خَلِيلَتِكَ ، ثُمَّ اتَّضَحَ لَكَ أَنَّهُ زُورٌ وَبَاطِلٌ ، فَتَمَتَّى عَلِمْتَ أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى - أَيْ : الْكَمَالِ - لَمْ يَكُنْ فِي ذَاتِهِ إِلَّا ضَمِيلًا بَشَرِيًّا مَحْدُودًا ، عَلِمْتَ أَنَّ أَرْتِفَاعَكَ أَوْ هُبُوطَكَ دَرَجَةٌ فِي ذَلِكَ السَّلَمِ الْعَفِيفِ الْقَدِيرِ ، سَلَّمَ النِّقْصِ وَالْعَيْبِ

الْبَشَرِيَّ ، إِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ حَقِيرٌ تَافِهٌ .

أَنْتَ لَا تُنْكِرُ أَنَّ خَلِيلَكَ قَدْ كَانَتْ تُحِبُّ وَسَوْفَ تَجِدُ أَنْاساً غَيْرَكَ ، فَعَسَاكَ قَائِلاً لِي : إِنَّ هَذَا لَا يَهُمُّكَ مَا دَامَتْ تُحِبُّكَ وَلَا تُشْرِكُ مَعَكَ غَيْرَكَ ، وَلَكِنِّي قَائِلٌ لَكَ : إِذَا كُنْتَ تُوقِنُ أَنَّهَا قَدْ أَحَبَّتْ سِوَاكَ ، فَسَيَّانِ كَانَ ذَلِكَ بِالْأَمْسِ أَوْ مُنْذُ عَامَيْنِ ، وَإِذَا كُنْتَ تُوقِنُ أَنَّهَا سَيَكُونُ لَهَا مَعْشُوقَانِ ، فَمَاذَا يَهُمُّكَ ، كَانَ ذَلِكَ غَدًا أَوْ بَعْدَ عَامَيْنِ ؟ وَإِذَا كَانَ حُبُّهَا إِيَّاكَ لَا يَكُونُ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً ، فَمَاذَا يَغْنِيكَ دَامَ ذَلِكَ عَامَيْنِ أَوْ لَيْلَةً وَاحِدَةً ؟ أَأَنْتَ رَجُلٌ يَا أُوْكَتَافُ Octave ؟ أَفَلَا تَرَى الْأَوْرَاقَ عَنِ شَجَرِهَا تَتَسَاقَطُ انْتِشَاراً ؟ وَالشَّمْسُ تُشْرِقُ ثُمَّ بِالْحِجَابِ تَتَوَارَى ؟ ...

أَفَلَا تَسْمَعُ سَاعَةَ الْحَيَاةِ تَدُقُّ لَدَى كُلِّ نَبْضَةٍ مِنْ فُؤَادِكَ ؟ فَهَلْ بَيْنَ حُبِّ عَامٍ وَحُبِّ سَاعَةٍ كُلُّ ذَلِكَ الْفَرْقِ الْعَظِيمِ فِي نَظَرِنَا نَحْنُ مَعْشَرَ الشُّخَفَاءِ وَالْحَقَمَى ؟ وَإِنَّا لَنَبْصُرُ مِنْ هَذِهِ النَّافِذَةِ - وَشِبْرٍ عَرْضُهَا - أَعْمَاقَ الْإِلَهِيَّةِ ؟

أَنْتَ تُسَمِّي الْمَرْأَةَ الَّتِي تَمَحَّضَتْ الْحُبَّ مُدَّةَ عَامَيْنِ مُخْلِصَةً وَفِيَّةً ، فَلَدَيْكَ فِيمَا يَظْهَرُ لِي تَقْوِيمٌ يُبَيِّنُ لَكَ كَمْ مَرَّةً تَحِفُّ لَثَمَاتِ الرِّجَالِ عَلَى شَفَاهِ النِّسَاءِ ، وَأَنْتَ تَرَى بَوْنًا شَاسِعًا بَيْنَ الَّتِي تَهَبُ نَفْسَهَا مِنْ أَجْلِ الْمَالِ ، وَالَّتِي تَهَبُ نَفْسَهَا مِنْ أَجْلِ اللَّذَّةِ ، وَبَيْنَ مَنْ تَهَبُ نَفْسَهَا عَنْ بَاعِثِ كِبْرِيَاءٍ وَزَهْوٍ ، وَبَيْنَ مَنْ تَهَبُ نَفْسَهَا عَنْ وَفَاءٍ وَإِخْلَاصٍ ؟

وَإِنَّ فِيمَنْ تَشْتَرِي مِنَ النِّسَاءِ مَنْ هُنَّ أَعْلَى ثَمَنًا مِنْ غَيْرِهِنَّ ، فَأَمَّا مَنْ تَحُوزُهُنَّ عَنْ بَاعِثِ زَهْوٍ وَتَعَاطُفٍ ، فَإِنَّكَ تُظْهِرُ مِنَ الْأُبْهَةِ وَالْجَلَالِ لِبَعْضِهِنَّ أَكْثَرَ مَا تُظْهِرُ لِبَعْضِ الْآخَرِ ، وَأَمَّا مَنْ تُخْلِصُ لَهُنَّ الْوُدَّ وَتَمَحَّضُهُنَّ الْوَفَاءَ ؛ فَإِلَى بَعْضِهِنَّ تَهَبُ نِصْفَ قَلْبِكَ ، وَإِلَى الْبَعْضِ ثُلُثُهُ ، وَإِلَى الْبَعْضِ رُبْعُهُ ، حَيْثُ

مُتَفَاوِتُ أَفْذَارِهِنَّ فِي التَّرْيِيَةِ وَالْأَدَبِ ، وَفِي الْحَسَبِ وَالنَّسَبِ ، وَفِي الْجَمَالِ  
وَالدَّلَالِ ، وَالشَّيْمِ وَالْخِصَالِ ، وَحَسَبِ الظُّرُوفِ وَأَحْيَانًا حَسَبِ السَّاعَةِ وَحَالَتِهَا  
الْجَوِّيَّةُ وَمَا قَدْ شَرِبْتَ مِنْ أَصْنَافِ الْخَمْرِ فِي غِذَائِكَ .

أَنْتَ تَمْلِكُ النِّسَاءَ الْيَوْمَ يَا أُوْكَتَافُ Octave بِفَضْلِ زَهْرَةِ صَبَاكَ وَنَارِ شَبَابِكَ  
وَحُسْنِ صُورَتِكَ ، وَأَنْتَ تُرْجِلُ رَأْسَكَ ، وَتُسَوِّي طُرْتَكَ ، وَلَكِنَّكَ لِعَيْنِ هَذِهِ  
الْأَسْبَابِ لَا تَعْرِفُ طَبَائِعَ الْمَرْأَةِ وَكُنْهَ حَقِيقَتِهَا . . . تَنَاسَلُ الْخَلَائِقُ أَهْمُ أَغْرَاضِ  
الطَّبِيعَةِ ، فَأَيْنَمَا طَرَحْتَ بَصْرَكَ مِنْ ذُرْوَةِ الْجَبَلِ إِلَى قَرَارَةِ الْبَحْرِ وَجَدْتَ الْحَيَاةَ  
تَرْهَبُ الْمَوْتَ . فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُحَافَظَةٌ عَلَى مَصْنُوعَاتِهِ وَضَعَ هَذَا الْقَانُونَ  
الْأَعْظَمَ ، وَهُوَ أَنَّ أَكْبَرَ مَلَاذُ الْمَخْلُوقَاتِ جَمِيعاً مَخْصُورَةٌ فِي الْعَمَلِ الْمُؤَدِّي  
إِلَى التَّنَاسُلِ ، فَالْفَحْلُ مِنَ النَّخِيلِ حِينَمَا يُرْسَلُ إِلَى أَنْثَاهُ الْمَادَّةُ الْمُلَفَّحَةُ تَرَاهُ  
يَخْفُقُ غَرَاماً وَيَرْجِفُ صَبَابَةً فِي الرِّيَّاحِ الْلَافِحَةِ الْمُلْتَهَبَةِ ، وَالْوَعْلُ إِذَا تَابَّتْ عَلَيْهِ  
أُنْثَاهُ وَتَصَعَّبَتْ فَرْبَمَا مَزَّقَ جِلْدَهَا وَهَتَكَ أَدِيمَهَا ، وَالْحَمَامَةُ تَخْفُقُ وَتَزْعَشُ  
تَحْتَ جَنَاحَيْ ذِكْرِهَا كَالْعَاشِقَةِ الْمُغْرَمَةِ ، وَالرَّجُلُ حِينَ يُعَانِقُ حَبِيبَتَهُ يَحْسُ فِي  
قَلْبِهِ تَطَايُرَ ذَلِكَ الشَّرَرِ الْمُقَدَّسِ الَّذِي مِنْهُ خُلِقَ .

فَيَا صَدِيقِي الْعَزِيزَ إِذَا عَانَقْتَ يَوْماً مَلِيحَةً حَسَنَاءَ فِتْنَةٍ قَوِيَّةً ، فَبَكَيْتَ مِنْ فَرْطِ  
اللَّذَّةِ ، وَأَخْسَنْتَ إِيمَانَ الْوَفَاءِ وَالْحِفَاطِ يَتَّبُ إِلَى شَفَتَيْكَ ، وَأَخْسَنْتَ السَّرَّ  
الْإِلَهِيَّ يَهْبِطُ عَلَى رُوحِكَ ، فَأَعْمَدَ إِلَى إِخْرَاجِ نَقْصِكَ مِنْ هَذِهِ الْغُمَرَةِ الرُّوحَانِيَّةِ  
وَالنُّوبَةِ الْخَيَالِيَّةِ ، وَأَرْسَلَ مِنْ ثَاقِبِ بَصِيرَتِكَ شُعَاعاً مِنْ نُورِ الْحَقِيقَةِ يُبَدِّدُ مَا  
يُلْفُ شَخْصَ هَذِهِ الْمَرْأَةِ مِنْ ضَبَابِ تِلْكَ الْفَضَائِلِ الْوَهْمِيَّةِ ، وَالْكَمَالَاتِ  
الْخَيَالِيَّةِ ، وَيَجْلُوهَا لَكَ عَلَى حَقِيقَتِهَا الْمُجَرَّدَةِ ، فَاتَّخِذْ مِنْهَا مَطِيَّةً لَذَّةً مَادِيَّةً  
وَأَظْفَرٍ مِنْهَا بِمُومِسٍ .

وَلَكِنْ لَا تَخْلُطْ بَيْنَ الْخَمْرِ وَالشُّوَّةِ ، وَلَا تَحْسَبَنَّ الْكَاسَ الَّتِي شَرِبْتَ مِنْهَا  
الرَّحِيقَ الْمُقَدَّسَ مُقَدَّسَةً ، وَلَا يُذْهِبْكَ أَنْ تَجِدَهَا فِي الْمَسَاءِ فَارِغَةً مَكْسُورَةً ؛  
فَمَا هِيَ أَمْرَةٌ ، أَيْ : قَارُورَةٌ ، مِنْ طِينٍ قَدْ صَنَعَهَا خَزَافٌ .

فَأَحْمَدُ اللَّهِ إِذْ أَرَاكَ السَّمَاءَ ؛ وَإِذَا رَأَيْتَ لَكَ أَجْنِحَةً تُصَفِّقُ بِهَا وَتُرْفِرُ فَلَا  
تَحْسَبَنَّ أَنَّكَ قَدْ صِرْتَ بِذَلِكَ طَائِرًا ، وَأَعْلَمْ أَنَّ الطُّيُورَ ذَاتَهَا لَا تَسْتَطِيعُ اخْتِرَاقَ  
السَّمَوَاتِ وَهَتْكَ حِجَابَ السَّحَابِ ، فَإِنَّ فِي أَعْمَاقِ السَّمَاءِ طَبَقَاتٍ لَا تَجِدُ فِيهَا  
هَوَاءً تَحْيَا بِهِ ، وَإِنَّ الْقُنْبُرَةَ الَّتِي تَطْمَعُ فِي ضَبَابِ الصَّبَاحِ ، تُرِيدُ مَطْلَعَ الشَّمْسِ  
رُبَّمَا سَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ مَيِّتَةً ، فَارْتَشَفْ كَأْسَ الْحُبِّ كَمَا يَرْتَشِفُ الْعَاقِلُ الرِّزِينَ  
كَأْسَ الْخَمْرِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ سَكِيرًا مُسْتَهْتِرًا ، فَإِذَا صَادَفْتَ فِي مَعْشُوقَاتِكَ  
مُخْلِصَةً أَمِينَةً فَأَحْبِبِهَا لِهَذَا ، فَإِذَا وَجَدْتَهَا خِلَافَ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ مَلِيحَةً حَسَنَاءَ  
فَأَحْبِبِهَا لِحُسْنِهَا وَمَلَا حَتَّهَا ، وَإِذَا أَلْفَيْتَهَا فَوْقَ ذَلِكَ ظَرِيفَةً لَيْسَةً فَرِذَهَا حُبًّا ، فَإِذَا  
كَانَتْ مِنْ كُلِّ هَذِهِ الْمَحَاسِنِ وَالْمَزَايَا عَارِيَةً ، وَكَانَ كُلُّ مَا فِيهَا أَنَّهَا تُحِبُّكَ  
فَأَحْبِبِهَا أَيْضًا ، فَإِنَّكَ لَمْ تَظْفَرْ بِمَنْ يَهْوَاكَ فِي كُلِّ آوِنَةٍ وَلَخِظَةٌ .

وَلَا تَحْمِلَنَّكَ الْغِيْرَةُ مِنَ النَّظِيرِ الْمَزَاحِمِ عَلَى نَتْفِ شَعْرِكَ وَحَثْوِ الثَّرَابِ عَلَى  
رَأْسِكَ وَإِرَادَةِ الْإِنْتِحَارِ ، فَإِنَّ الَّذِي يَتَأَلَّمُ فِيكَ إِذْ ذَاكَ إِنَّمَا رُوحُ الْكِبْرِيَاءِ  
وَالْتَعَاطُمِ ، وَلَكِنْ أَقْلِبْ سِيَاقَ الْأَلْفَاطِ ، وَهَبْهَا تَخُونُ خَضَمَكَ مِنْ أَجْلِكَ ،  
تَجِدُ فِي عَمَلِهَا هَذَا - وَإِنْ كَانَ لَا يَزَالُ خِيَانَةً وَغَدْرًا - مُنْتَهَى الشُّرُورِ وَاللَّذَّةِ .

لَا تَسَنَّ لِنَفْسِكَ قَوَانِينَ السُّلُوكِ خَاصَّةً ، وَلَا تُرِدْ أَنْ تُفَرِّدَكَ الْمَعْشُوقَةُ  
بِالْحُبِّ وَحْدَكَ وَتُوْثِرَكَ بِالْهَوَى عَلَى كُلِّ مَنْ عَدَاكَ ، لِأَنَّكَ لَمَّا كُنْتَ بَشَرًا ،  
وَقَلِيلُ الْوَفَاءِ ؛ فَإِنَّ قَانُونَكَ هَذَا يَضْطَرُّكَ إِلَى أَنْ تُقَيِّدَهُ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ : « عَلَى قَدْرِ  
الْإِمْكَانِ » .

أَرْضَ بِالْجَوِّ كَيْفَمَا كَانَ ، وَبِالرَّيْحِ كَيْفَمَا هَبَّتْ ، وَبِالْمَرْأَةِ كَيْفَمَا بَدَتْ ، إِنَّ  
الْأَسْبَابِيُولَاتِ خَيْرُ النِّسَاءِ ، يُحِبُّنَ بِإِخْلَاصٍ ، فَلَهُنَّ قَلْبٌ صِدْقٍ مُلْهَبٍ ،  
وَلَكِنَّهُنَّ يَلْبَسْنَ عَلَيْهِ خَنْجَرًا ؛ وَالْإِيطَالِيَّاتُ شَهَوِيَّاتُ شَبَقَاتٍ ، وَلَكِنَّهُنَّ يَخْتَزِنُ  
مِنَ الرِّجَالِ أَعْرَضَهُنَّ مَنَاقِبَ ، وَيَتَتَقِينَ عُشَّاقَهُنَّ بِمِقْيَاسِ الْخِيَاطِ ؛  
وَالْإِنْكَلِيزِيَّاتُ مَيَالَاتُ لِلْكَاتِبَةِ ، مُتَطَرِّفَاتُ ، وَلَكِنَّهُنَّ تَأْفِهَاتُ غَيْرُ مُتَفَنِّنَاتٍ ؛  
وَالْفِرَنْسِيَّاتُ لِبَقَاتُ مُتَأَنِّقَاتُ غِنَجَاتُ ، وَلَكِنَّهُنَّ مُجْبِرَبَاتُ .

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَلَا تَتَّهَمَنَّ النِّسَاءُ بِمَا لَهُنَّ مِنَ الصِّفَاتِ وَالْأَخْلَاقِ ، فَنَحْنُ  
الَّذِينَ الْبَسْنَاهُنَّ مَا تَرَى لَهُنَّ مِنَ الْخِلَالِ إِذْ كُنَّا لَا نَزَالُ نَخْلَعُ مَا كَسَتْهُنَّ الطَّبِيعَةُ  
مِنَ الطَّبَاعِ ، وَنُعَبِّرُهُنَّ الْمُتَكَلِّفَ الْمُضْطَنَعَ .

إِنَّ الطَّبِيعَةَ الَّتِي تُعْنَى بِكُلِّ شَيْءٍ قَدْ خَلَقَتْ الْعُذْرَاءَ مُلْحَةً لِلْعَاشِقِ ، فَلَمَّا  
وَلَدَتْ نَبَتْ شَعْرَهَا ، وَتَغَيَّرَ شَكْلُ ثَدْيِهَا ، وَوُسِمَ بَدْنُهَا بِمَنَسَمِ الْقُبْحِ ، فَخُلِقَتْ  
الْمَرْأَةُ لِتَكُونَ أُمًّا ، فَأَصْبَحَتْ بِذَلِكَ جَدِيرَةً أَنْ يَهْجُرَهَا الرَّجُلُ ، إِذْ كَانَتْ قَدْ  
فَقَدَتْ جَمَالَهَا ، وَلَكِنَّ طِفْلَهُ يَتَسَبَّثُ بِهِ بَاكِيًا ، وَهَذَا قَانُونُ الْأُسْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ ،  
وَكُلُّ مَا يَزِمِي إِلَى خَرْقِهِ يُعَدُّ مُنْكَرًا ، وَإِنَّ السَّبَبَ الْبَاعِثَ لِطَبَقَاتِ الْفَلَاحِينَ إِلَى  
أُسْتِشْعَارِ الصَّلَاحِ وَالتَّقْوَى هُوَ أَنَّ نِسَاءَهُنَّ لَسْنَ إِلَّا آلَاتِ لِلْوِلَادَةِ وَالرِّضَاعَةِ ،  
وَمَا رِجَالُهُنَّ سِوَى آلَاتِ لِلْكَدِّ وَالْكَسْبِ ، فَلَيْسَ لِنِسَائِهِنَّ شُعُورٌ مُسْتَعَارَةٌ ،  
وَلَا فِي ثَدْيَيْهِنَّ لَبَنُ الْعُدْرَةِ ، وَلَكِنَّ حُبَّ هَذِهِ الطَّبَقَاتِ صَحِيحُ الْأَدِيمِ صَافِيهِ ،  
غَيْرُ نَغْلٍ وَلَا أَبْرَصٍ ، وَهُمْ إِذَا تَعَانَقُوا فَعَلُوا ذَلِكَ وَهُمْ يَجْهَلُونَ النِّبَّةَ أَنَّ  
كُولُومْبَاسَ Columbus أَكْتَشَفَ أَمْرِيكَةَ America ، وَإِذَا كَانُوا غَيْرَ شَهَوِيِّينَ كَانَتْ  
نِسَاؤُهُمْ صَحِيحَاتُ مُعَافِيَاتٍ ، وَإِذَا كَانَتْ أَيْدِيَهُمْ صِلَابًا غِلَظًا فَمَا قُلُوبُهُمْ  
بِالصَّلَابِ وَلَا الْغِلَظِ ...



إِنَّ الْمَدِينَةَ لَتَجْرِى عَلَى نَقِیضِ الطَّبِیْعَةِ ، فَفِی مَدَائِنِنَا وَحَسْبِ عَادَاتِنَا تَرَى  
الْعَذْرَاءَ الَّتِی خُلِقَتْ لَتَمْرَحَ فِی ضِیَاءِ الشَّمْسِ لِتَقَرَّ نَاطِرَهَا بِرُؤِیَةِ الْمُصَارِعِینَ  
الْعُرَاءِ كَمَا كَانَتْ الْحَالُ فِی « لَاسِیدِمُونِیَا » وَلِتَخْتَارَ الْخَلِیلَ مِنْ بَیْنِهِمْ ، وَتَنْتَقِی  
وَتَعْشَقَ كَمَا تَشَاءُ وَتَهْوِی ، تُحْجَبُ فِی مَقْصُورَتِهَا وَتُسَجِّنُ ، وَلَكِنَّهَا تَكْتُمُ تَحْتَ  
صَلِیْبِهَا رِوَايَةً غَرَامِيَّةً ، فَتَجْلِسُ فِی سِجْنِهَا صَفْرَاءَ فَاتِرَةٍ كَسَلَى ، تَذْوِی  
نَضْرَتُهَا ، وَتَدْبُلُ زَهْرَتُهَا أَمَامَ مِرَاتِهَا . وَكَذَلِكَ تَسْهَرُ اللَّیْلَ الطَّوِيلَ ، وَفِی  
فَحْمَتِهِ تَخْبُو جَذْوَةُ جَمَالِهَا الْوَقَادِ ، وَتَنْطَفِئُ جَمْرَةُ حُسْنِهَا الْمَشْبُوبِ ، وَتَصُوحُ  
مَحَاسِنُهَا فَتَذْوِی إِذْ لَا تَجِدُ مَجَالًا لِلْإِزْهَارِ وَالْإِیْنَاعِ ، وَلَا تُصِيبُ جَوًّا فَضَاءً  
وَهَوَاءً طَلَقًا ، ثُمَّ تَخْرُجُ مِنْ سِجْنِهَا بَغْتَةً وَهِيَ لَا تَعْرِفُ شَيْئًا ، وَلَا تُحِبُّ شَيْئًا ،  
وَلَكِنَّهَا تَشْتَهِي كُلَّ شَيْءٍ ، فَتَتَوَلَّى تَعْلِيمَهَا عَجُوزٌ ، ثُمَّ تَهْمِسُ فِی أُذُنِهَا كَلِمَةً  
مُنْكَرَةً ، وَبَعْدَ ذَلِكَ تُطْرَحُ عَلَى فِرَاشِ رَجُلٍ مَجْهُولٍ ، فَيَغْتَصِبُهَا أَعْتِصَابًا ؛ وَهَذَا  
يُسَمُّونَهُ زَوَاجَ نِظَامِ الْأُسْرَةِ الْمُتَمَدِّدِيَّةِ ، ثُمَّ تَلِدُ الْفَتَاةُ الْمِسْكِينَةَ ، وَيَذْهَبُ جَمَالُ  
شَعْرِهَا وَثَدْيَيْهَا وَبَدَنِهَا . وَاهَا ! لَقَدْ فَقَدَتْ جَمَالَ عَاشِقَةٍ وَمَا ذَاقَتْ عِشْقًا . لَقَدْ  
حَمَلَتْ وَوَلَدَتْ وَأَنْهَا لَا تَعْرِفُ لِذَلِكَ عِلَّةً وَلَا سَبَبًا ، وَكَذَلِكَ تُزْرَقُ صَبِيًّا ،  
وَيُقَالُ لَهَا : « قَدْ أَصْبَحْتَ أُمًّا » فَتُجِيبُ قَائِلَةً : لَسْتُ أُمًّا . أَعْطُوا هَذَا الْوَلِيدَ  
لِامْرَأَةٍ ذَاتِ لَبَنٍ ، فَإِنَّهُ لَا لَبَنَ فِی ثَدْيِي ، وَمَا كَذَلِكَ يَسْرِى اللَّبَنُ إِلَى ثَدْيِي  
الْنِّسَاءِ . وَيَقُولُ زَوْجُهَا : إِنَّهَا لَعَلَى حَقٍّ . إِنَّ هَذَا الطِّفْلَ مَسْحُطَةٌ لَهَا وَمَضْجَرَةٌ .  
وَكَذَلِكَ تُعَالِجُ الْفَتَاةُ مِنْ دَاءِ الْأُمُومَةِ ، فَتَعَافَى ، وَلَا يَمْضِي شَهْرٌ حَتَّى تَجِدَهَا  
فِی أَحَدِ الْمَرَاقِصِ أَوْ دُورِ الْأَوْبَرِ وَطِفْلُهَا فِی ( شَابُوتِ ) أَوْ ( زِيرِ ) ، وَزَوْجُهَا  
فِی بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الْفُجُورِ ، وَتَرَى حَوْلَهَا الرِّجَالَ عَشْرَاتٍ يُغَارِلُونَهَا وَيُدَاعِبُونَهَا  
وَيَعِدُونَهَا الْحُبَّ وَالْإِخْلَاصَ وَالْوَفَاءَ ، وَيَخْلِفُونَ لَهَا بِأَعْلَظِ الْأَيْمَانِ أَنَّهُمْ عَبِيدُهَا  
وَأَسْرَاهَا ، وَأَنَّهُمْ فِيهَا هَائِمُونَ ، وَبِهَوَاهَا مَيِّتُونَ ، فَتَخْتَارُ مِنْهُمْ وَاحِدًا وَتَضُمُّهُ

إِلَى صَدْرِهَا ، فَيَدْنُسُ عِزَّهَا ، ثُمَّ يَدْعُهَا وَشَانَهَا ، فَتَقْضِي لَيْلَتَهَا بُكَاءً  
وَأَنْتِحَاباً ، ثُمَّ تَنْظُرُ ، فَإِذَا عَيْنَاهَا قَدْ أَحْمَرَتَا مِنَ الْبُكَاءِ ، فَتَلْتَمِسُ مَنْ يَهْوُنُ  
خَطْبَهَا وَيُسْرِِّي كَرْبَهَا ، وَيَهْبِهَا الْعِزَاءَ وَالسَّلَوَى ، فَتَخْذُهُ أُنَيْساً وَجَلِيساً وَصَدِيقاً  
وَرَفِيقاً ، حَتَّى إِذَا فَقْدَتْهُ اسْتَبَدَلَتْ بِهِ آخَرَ ، ثُمَّ آخَرَ ، وَهَكَذَا حَتَّى تَتَجَاوَزُ  
الْثَلَاثِينَ مِنْ عُمْرِهَا ، وَأَخِيراً تَمَلُّ وَتَسَامُ وَتَسَخَّطُ وَتَتَبَرَّمُ وَتَشْتَكِي كِطَّةَ السَّرَفِ  
وَفَقْدَانَ الْأَمَلِ ، ثُمَّ يَمْرُضُ يَقِينُهَا ، وَتَضْمَحِلُّ عَقِيدَتُهَا ، وَيَخْلُو فُؤَادُهَا مِنْ كُلِّ  
عَاطِفَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ حَتَّى مِنَ الْأَشْمِئَزَاءِ وَالتَّأَقُّفِ ، فَيَبْنِيهَا هِيَ كَذَلِكَ ، إِذْ تُصَادِفُ لَيْلَةً  
فِي بَغْضِ الْمَرَاقِصِ ، فَتَحِبُّ فَتَى جَمِيلاً ، أَسْوَدَ الشَّعْرِ ، مُتَلَالِيَّ الْعَيْنَيْنِ ،  
فَيَاضَ الْأَمَلِ ، تَعْرِفُ فِي وَجْهِهِ نَضْرَةَ الصَّبَا ، ثُمَّ تَتَذَكَّرُ آلامَهَا وَأَوْجَاعَهَا ،  
فَتَقْبِلُ عَلَيْهِ تُعْطِيهِ عِبْرَةً وَدُرُوساً مِنْ تَارِيخِ حَيَاتِهَا ، وَتُعَلِّمُهُ التَّشَاوُمَ ، وَتُبْرِهِنُ لَهُ  
عَلَى اسْتِحَالَةِ مَا يُسَمُّونَهُ الْحُبَّ ، وَتُحَذِّرُهُ مِنَ الْهَيْامِ عَبَثاً وَرَاءَ هَذَا السَّرَابِ  
الْخَادِعِ وَالْبَرْقِ الْخَلِبِ ، فَهَذِهِ هِيَ الْمَرْأَةُ كَمَا خَلَقْتُمُوهَا ، كَمَا صَوَّرَتْهَا يَدُ  
الْمَدَنِيَّةِ ، وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ حَبَائِبُنَا وَمَعْشُوقَاتُنَا . وَلَكِنَّهُنَّ عَلَى آيَةِ حَالٍ نِسَاءً ،  
وَلَهُنَّ مَحَاسِنُهُنَّ كَمَا لَهُنَّ عُيُوبُهُنَّ ، وَفِيهِنَّ مَلْهُىٌّ وَمُسْتَمْتَعٌ ، وَقَدْ تُصَابُ مِنْهُنَّ  
أَخْيَاناً فَرَصُ التَّعِيمِ وَخَلَسَاتُ اللَّذَّةِ !

فَإِذَا كُنْتَ يَا صَاحِبِي مَتِينَ الْخُلُقِ ، قَوِيَّ الْعَزِيمَةِ ، وَاثِقاً مِنْ نَفْسِكَ ،  
مُسْتَكْمِلَ الرُّجُولَةِ ، فَإِنِّي أُشِيرُ عَلَيْكَ بِهَذِهِ النَّصِيحَةِ : أَدْفَعْ بِنَفْسِكَ غَيْرَ هَيَابٍ  
وَلَا وَجَلٍ فِي عِمَارِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَارْكَبْ مَتْنِ لُجَّهَا وَعُجْبَابَ مَوْجِهَا ، وَانْعَمْ مِنَ  
النِّسَاءِ بِكُلِّ مَنْ حَصَلَتْ لَدَيْكَ ، مِنْ مُؤَمِّسٍ وَعَاثِرَةٍ وَرَقَاصَةٍ وَفَلَّاحَةٍ وَشَرِيفَةٍ  
وَكَرِيمَةٍ ، وَكُنْ نَارَةً وَفِيّاً ، وَطَوَّراً غَادِراً ، وَأَنَا فَرِحاً ، وَأَوْنَةً حَزِيناً ، وَسَاعَةً  
مُنْخَدِعاً ، وَأُخْرَى مُخْتَرِماً . وَلَكِنْ إِذَا ظَفِرْتَ مِنْ أَمْرَةٍ بِحُبِّهَا وَهَوَاهَا فَضِنْ  
بِنِعْمَةِ هَذَا الْعَرَامِ أَنْ تَضِيْعَهَا - وَلَا يَغْنِيكَ صَنْفُ الْمَرْأَةِ الَّتِي تَهْوَاكَ - فَكُلُّ مَا عَدَا

نَعَمْ الْحُبُّ بَاطِلٌ لَا قِيَمَةَ لَهُ ، وَإِذَا كُنْتَ أَمْرًا عَادِيًا فَأَكْبِرْ ظَنِّي أَنَّكَ تُطِيلُ التَّفَكِيرَ  
وَالْتَدَبُّرَ قَبْلَ عَقْدِ نَيْتِكَ وَإِجْمَاعِ أَمْرِكَ . وَلَكِنَّكَ تَكُونُ جَدِيرًا أَلَّا تُعَوَّلَ عَلَى أَدْنَى  
شَيْءٍ مِمَّا تَتَوَقَّعُ أَنْ تَجِدَهُ فِي عَشِيقَتِكَ .

وَإِنْ كُنْتَ ضَعِيفًا سَخِيفًا مَلِيئًا أَنْ تَرْسُوَ وَتُرْسَخَ وَتُرْسِلَ جُدُورَكَ حَيْثُ  
تُصَادِفُ قِطْعَةً مِنَ الطِّينِ ؛ مَهْمَا قُلْتَ ، فَإِنِّي أَنْصَحُ إِلَيْكَ أَنْ تَتَّخِذَ دِرْعًا تَنْتَقِي بِهَا  
كُلَّ شَيْءٍ ، فَإِذَا أَدْعَنْتَ لِخُلُقِكَ الضَّعِيفِ ، وَطَبْعِكَ السَّخِيفِ ، عِيقَ نَمَاؤِكَ ،  
وَأَكْدَى شَبَابِكَ ، وَلَمْ تَتَشِيرْ لَكَ فُرُوعُ وَأَغْصَانُ وَرَاءَ مَرْسَى أُصُولِكَ وَمَغْرَسِ  
جُدُورِكَ ، فَلَا تَلْبَثُ أَنْ تَذْبُلَ وَتَذْوَى كَالنَّبَاتِ الْعَقِيمِ ، ثُمَّ لَا تَزْهُو وَلَا تُثْمِرُ ،  
وَيُسْتَقِلُّ مَاءُ حَيَاتِكَ إِلَى شَجَرَةٍ أُخْرَى ، وَتَصِيرُ كُلُّ أَعْمَالِكَ وَمَجْهُودَاتِكَ أَصْغَرَ  
مِنْ وَرَقِ الصَّفْصَافِ ، ثُمَّ لَا تُسْقَى إِلَّا مِنْ رَيِّ مَدَامِيعِكَ ، وَلَا تُغْذَى إِلَّا مِنْ مَادَّةِ  
قَلْبِكَ ؛ وَإِذَا كُنْتَ مُتَحَمِّسًا ، مُلْتَهَبَ الْحَمِيَّةِ ، تُصَدِّقُ بِالْخَيَالَاتِ وَالْأَحْلَامِ ،  
وَتُرِيدُ تَحْقِيقَهَا ؛ فَلَيْسَ لَكَ عِنْدِي جَوَابٌ سِوَى : « لَا وَجُودَ لِلْحُبِّ » . لِأَنِّي  
مُؤَافِقٌ عَلَى مَا تَرَاهُ أَنْتَ مِنْ أَنَّ الْحُبَّ إِنَّمَا هُوَ أَنْ يَهَبَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ رُوحًا  
وَجِسْمًا ، وَبِعِبَارَةٍ أَبْلَغُ أَنْ يَجْعَلَ الْمَرْءُ مِنْ شَخْصَيْنِ شَخْصًا ، وَالْحُبُّ هُوَ  
الْتَّقَلُّبُ فِي ضِيَاءِ الشَّمْسِ ، وَفِي الْهَوَاءِ النَّقِيِّ ، وَبَيْنَ الزَّهْرِ وَالزَّرِينَحَانِ ، بِجِسْمِ  
ذِي أَذْرُعٍ وَرَأْسَيْنِ وَقَلْبَيْنِ ، وَالْحُبُّ هُوَ الْيَقِينُ وَالْإِيمَانُ ، وَهُوَ دِينُ السَّعَادَةِ  
الدُّنْيَوِيَّةِ وَالنَّعِيمِ الْأَرْضِيِّ ، وَهُوَ مِثْلُ مُسْتَنِيرٍ فِي سَقْفِ هَذَا الْمَعْبَدِ الْمُسَمَّى  
لَدِينَا . وَالْحُبُّ هُوَ أَنْ يَزْتَعَ الْمَرْءُ فِي أَرْجَاءِ هَذَا الْمَعْبَدِ وَإِلَى جَانِبِهِ مَخْلُوقٌ  
يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْهَمَ لِمَاذَا يَسْتَوْفِقُكَ خَاطِرٌ أَوْ كَلِمَةٌ أَوْ زَهْرَةٌ أَثْنَاءَ سَيْرِكَ فَتَدْعُوكَ إِلَى  
رَفْعِ رَأْسِكَ إِلَى ذَلِكَ الْمِثْلِ السَّمَائِيِّ هَذَا ، وَلَا تَنْسَى أَنَّ أَعْمَالَ الْمَرْءِ أَشْرَفَ  
مَلَكَاتِهِ نِعْمَةً كُبْرَى ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ لِلْعَبَرِيَّةِ مَا تَعْرِفُ مِنْ جَمَالِهَا وَرَوْعَتِهَا ، فَمَا  
بِالْكَ إِذَنْ بِمُضَاعَفَةِ هَذِهِ الْمَلَكَاتِ ، وَبِضْمِّ فُؤَادٍ إِلَى فُؤَادٍ ، وَذِهْنٍ إِلَى ذِهْنٍ ؛

إِلَّا أَنَّ هَذِهِ لَهِيَ السَّعَادَةُ الْقُصْوَى وَالنَّعْمَةُ الْعُلْيَا . وَمَا مِنْ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا وَلَا أَجْزَلَ ، وَمِنْ ثَمَّ فَضَّلَ الْحُبَّ حَتَّى عَلَى الْعَبَقَرِيَّةِ ، فَبِاللَّهِ إِلَّا مَا خَبَّرْتَنِي : أَكْذَلِكَ رَأَيْ زَوْجَاتِنَا فِي الْحُبِّ ؟ كَلَّا ، فَغَيْرُ ذَلِكَ فِي الْحُبِّ رَأْيُهُنَّ ، وَإِنَّمَا الْحُبُّ عِنْدَهُنَّ هُوَ السَّيْرُ مُقْتَعَاتٍ ، وَكِتَابَةُ الرِّسَائِلِ الْغَامِضَةِ الْمُبْهَمَةِ ، وَالْمَشْيُ عَلَى أَمْشَاطِ أَقْدَامِهِنَّ ، وَالتَّبَكُّيْتُ وَالتَّبَكُّيْتُ ، وَالتَّظَرَّاتُ الْفَاتِرَةُ ، وَالْأَلْحَاطُ الْمِرَاضُ ، وَإِرْسَالُ الزُّفَرَاتِ الْعَفِيفَةِ الطَّاهِرَةِ ، وَيُدَبَّرَنَ الْمَكَايِدَ وَهُنَّ فِي الْحُلَلِ الْبَيْضَاءِ الْمُنْشَاءِ ، ثُمَّ يَنْصِبْنَ الْحَبَائِلَ لِإِسْجَاءِ نَظِيرَةٍ ، أَوْ خَدِيعَةِ زَوْجٍ ، أَوْ تَغْذِيبِ عَاشِقٍ . وَالْحُبُّ فِي رَأْيِ زَوْجَاتِنَا هُوَ أَنْ يَلْعَبْنَ لُغْبَةً الْغِشِّ وَالْكَذِبِ كَمَا يَلْعَبُ الْأَطْفَالُ لُغْبَةَ الْمُرَاوَعَةِ ، وَهُوَ دَعَارَةُ الْقَلْبِ ، وَفُسُوقُ الرُّوحِ ، وَذَلِكَ أَخْبَثُ مِمَّا كَانَ يَخْدُثُ مِنْ دَعَارَةِ نِسْوَةِ الرُّومَانِ فِي ( سَاتورناليه بريابوس ) وَهُوَ صُورَةٌ مُمَوَّهَةٌ مِنَ الرِّذِيلَةِ وَالْفَضِيلَةِ ، وَهُوَ مَهْرَلَةٌ بَارِدَةٌ سَخِيفَةٌ يَظَلُّ كُلُّ الْمُمَثِّلِينَ فِيهَا يَتَهَامُسُونَ ، وَيُؤَدُّونَ أَعْمَالَهُمْ بِوُجُوهِ مَزُورِيَّةٍ ، وَأَعْيُنٍ مَغْضُوضَةٍ ، وَيَظَلُّ كُلُّ شَيْءٍ فِيهَا حَقِيرًا مُشَوَّهًا عَلَى فَرْطِ التَّأَنُّقِ وَالتَّكَلُّفِ ، مِثْلَ مَا تُصَدِّرُهُ إِلَيْنَا الصَّيْنُ مِنْ تِلْكَ التَّحْفِ الْخَرْفِيَّةِ الْبَشْعَةِ الْمُنْكَرَةِ . وَهُوَ خَلِيطٌ مَمْقُوتٌ مِنَ الْحُسْنِ وَالْقُبْحِ ، وَمِنْ غُنْصُرِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالرَّحْمَةِ وَالنَّقْمَةِ وَالنَّعِيمِ وَالْجَحِيمِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا . وَهُوَ ظِلٌّ بِلا جِسْمٍ ، وَخَيَالٌ بِلا حَقِيقَةٍ ، وَهُوَ هَيْكَلٌ عَظَمِيٌّ لِجُمْلَةِ مَخْلُوقَاتِ الْخَالِقِ .

هَذَا مَا قَالَهُ دِزِينِيهِ بِصَوْتِ صَارِمٍ فِي سَكِينَةِ اللَّيْلِ وَهْدُوئِهِ (١) .



(١) [ وهذا يمثلُ النفسِيَّةَ والعقليَّةَ الأوروبية والغربيَّةَ ونظرتها للمرأة ؟! ] .

حَتُّهُمْ الرِّجَالِ عَلَى التَّرْجُحِ :

١٣٣٣ - قَالَ عَزَّ وَتَقَدَّسَ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْدِلُوا الْحَبِثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّنْ وَثَلَّثَ وَرُبِعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ۝٣﴾ [سورة النساء/ الآيات : ١ - ٣] . يَقُولُ سُبْحَانَهُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! يَا بَنِي آدَمَ قَاطِبَةً ، اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، أَنِي : فَرَعَكُمْ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ نَفْسُ آدَمَ أَبِيكُمْ ، وَخَلَقَ مِنْ هَذِهِ النَّفْسِ ، مِنْ ضِلَعٍ مِنْ أَضْلَاعِهَا زَوْجَهَا ، وَهِيَ أُمُّكُمْ حَوَاءُ ، وَبَثَّ مِنْ تِلْكَ النَّفْسِ وَالزَّوْجَةِ الْمُتَفَرِّعَةَ مِنْهَا بَيْنَ وَبَنَاتٍ كَثِيرَةٍ تَفُوقُ الْحَضَرَ ؛ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ، أَنِي : وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَتَتَنَاشَدُونَ ، فَيَقُولُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ : أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ ، أَوْ أَنُشِدُكَ اللَّهَ ؟ وَآمَنَّا لَا لِذَلِكَ ، وَاتَّقُوا الْأَرْحَامَ ، فَصِلُوهَا وَلَا تَقْطَعُوهَا ، وَهَذَا كَمَا قَدَّمْنَا فِي بَابِ صَلَةِ الرَّحِمِ ، إِشَادَةً مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَنْوِيَةً بِمَكَانَةِ صَلَةِ الرَّحِمِ ، إِذْ قَرَنَهَا سُبْحَانَهُ بِأَسْمِهِ ، ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ ۝١﴾ أَنِي : الَّذِينَ مَاتَ عَنْهُمْ آبَاؤُهُمْ ﴿أَمْوَالَهُمْ﴾ فَلَا يَطْمَعُ فِيهَا الْأَوْلِيَاءُ وَالْأَصْفِيَاءُ وَوُلَاةُ السُّوءِ وَقُضَاتُهُ ، وَيَكْفُوا عَنْهَا أَيْدِيَهُمُ الْخَاطِطَةَ ، حَتَّى تَأْتِيَ الْيَتَامَى - إِذَا أُوْنِسَ مِنْهُمْ الرُّشْدُ - سَالِمَةً غَيْرَ مَحْذُوفَةٍ ، ﴿وَلَا تَبْدِلُوا الْحَبِثَ بِالطَّيِّبِ ۝٢﴾ أَنِي : لَا تَسْتَبْدِلُوا الْحَرَامَ ، وَهُوَ مَالُ الْيَتَامَى ، بِالْحَلَالِ ، وَهُوَ مَالُكُمْ وَمَا أُبِيحَ لَكُمْ مِنَ الْمَكَاسِبِ وَرِزْقِ اللَّهِ الْمَبْنُوثِ فِي الْأَرْضِ ، فَتَأْكُلُوهُ مَكَانَهُ ، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۝٣﴾ أَنِي : لَا تَضْمُوهَا إِلَيْهَا فِي الْإِنْفَاقِ ، حَتَّى لَا تَفَرَّقُوا بَيْنَ أَمْوَالِكُمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، قِلَّةً مُبَالَاةً بِمَا لَا يَحِلُّ

لَكُمْ وَتَسْوِيَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَلَالِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ حُوبٌ كَبِيرٌ ، أَي : ذَنْبٌ عَظِيمٌ ، ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا ﴾ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴿ فِي الْيَنْثَى فَانْكَحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ . . . الْآيَةُ ، أَي : إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فِي يَتَامَى النِّسَاءِ إِذَا تَزَوَّجْتُمْ بِهِنَّ فَتَزَوَّجُوا ﴿ مَا طَابَ ﴾ مَا حَلَّ ﴿ لَكُمْ ﴾ مِنْ غَيْرِهِنَّ ، وَذَلِكَ أَنْ رُبَّمَا كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَجِدُ الْيَتِيمَةَ لَهَا مَالٌ وَجَمَالٌ ، وَيَكُونُ وَلِيِّهَا ، فَيَزَوِّجُهَا ضَنًّا بِهَا عَلَى غَيْرِهِ ، فَرُبَّمَا اجْتَمَعَتْ عِنْدَهُ عَشْرٌ مِنْهُنَّ أَوْ أَكْثَرُ أَوْ أَقَلُّ ، فَيَخَافُ لِضَعْفِهِنَّ وَفَقْدِ مَنْ يَغْضَبُ لَهُنَّ ، أَنْ يظْلِمَهُنَّ حُقُوقَهُنَّ وَيَقْرُطَ فِيمَا يَجِبُ لَهُنَّ . وَقَدْ نَزَلَتْ الْآيَةُ فِي الْيَتَامَى وَمَا فِي أَكْلِ أَمْوَالِهِمْ مِنَ الْحُوبِ الْعَظِيمِ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَنْثَى فَانْكَحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ ﴾ ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ أَي : فَذَرُوا الْجَمْعَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ أَوْ أَرْبَعٍ وَانْكَحُوا بِوَاحِدَةٍ ، أَوْ لَدَيْكُمْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ، أَي : إِمَاؤُكُمْ ، وَ﴿ ذَلِكَ أَذْنَى أَلَّا تَعُولُوا ﴾ أَي : أَقْرَبُ مِنْ أَلَّا تَمِيلُوا ، وَأَذْنَى إِلَى الْعَدْلِ ، لِأَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ يَدُورُ مَعَ الْعَدْلِ ، فَأَيْنَمَا وَجَدْتُمْ الْعَدْلَ فَعَلَيْكُمْ بِهِ .

وَبَعْدُ ؛ فَإِنَّا أَوْرَدْنَا عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَسِعَ عَلَيْنَا فِي بَابِ الزَّوَاجِ إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ ، وَمِنْ ذَلِكَ نَعْلَمُ مِقْدَارَ حَقِّهِمْ عَلَى الزَّوَاجِ وَتَفْضُلِهِ عَلَى الْعُزُوبَةِ ، وَهَذَا هُوَ شَاهِدُنَا هُنَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ .

\* \* \*

١٣٣٤ - وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَّتَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ

إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٢٤ سورة النور/الآية : ٣٢] الْإِيَّامَى ، جَمْعُ أَيْمٍ ، وَهُوَ : الْعَزَبُ ، ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى ، بِكَرَاهٍ كَانَ أَوْ نَتِيئًا ، وَالْآيَةُ كَمَا تَرَى حَثٌّ عَلَى التَّزْوِيجِ ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ : زَوَّجُوا - أَيُّهَا الْأَوْلِيَاءُ

وَالسَّادَةُ - الْعَزَبَ وَكُلَّ صَالِحٍ لِلزَّوْاجِ ، فَبِالزَّوْاجِ بَقَاءُ النَّوْعِ ، وَإِذَا كُنْتُمْ فَقَرَاءَ وَظَنَنْتُمْ أَنَّ فَقْرَ الْخَاطِبِ أَوْ الْمَخْطُوبَةِ يَحُولُ دُونَ الزَّوْاجِ ، فَإِنَّ فِي فَضْلِ اللَّهِ غُنْيَةً عَنِ الْمَالِ ، فَإِنَّهُ غَادٍ وَرَائِحِ ، وَلَكَ أَنْ تَقُولَ : إِنَّ هَذَا وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ بِالْإِغْنَاءِ ، فَقَدْ وَرَدَ فِي الْأَثَرِ : أَطْلُبُوا الْغِنَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ؛ وَقَالَ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ : إِنِّي لَا عَجَبُ مِمَّنْ يَدْعُ النِّكَاحَ بَعْدَ سَمَاعِهِ لِهَذِهِ الْآيَةِ . . .

\* \* \*

١٣٣٥ - وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُطْلَقًا مِزْوَاجًا ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَّقَ بِهِمَا الْغِنَى ، فَقَالَ : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَى مِنْكُمْ ﴾ [٢٤ سورة النور/ الآية : ٣٢] . . الآية ، وَقَالَ : ﴿ وَإِنْ يَنْفَرَقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ ﴾ [٤ سورة النساء/ الآية : ١٣٠] . فَأَنَا أَنْزَوُجٌ لِلْغِنَى وَأُطْلِقُ لِلْغِنَى .

\* \* \*

١٣٣٦ - وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعْنَ أَجْلُهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية : ٢٣٢] نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فِي مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ الْمُزَنِيِّ ، وَكَانَ قَدْ زَوَّجَ أُخْتَهُ رَجُلًا ، فَطَلَّقَهَا ، فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا خَطَبَهَا ، فَالَى أَخُوَهَا أَلَّا يُزَوِّجَهُ إِثَامًا ، وَرَغِبَتْ فِيهِ أُخْتُهُ ، فَتَزَلَّتْ الْآيَةُ ؛ وَقِيلَ : الْخِطَابُ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ ، أَيْ : لَا يُوجَدُ بَيْنَكُمْ عَضْلٌ ، لِأَنَّهُ إِذَا وُجِدَ بَيْنَهُمْ وَهُمْ رَاضُونَ كَانُوا فِي حُكْمِ الْعَاضِلِينَ .

وَبَعْدُ ؛ فَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ نَهَى عَنِ الْعَضْلِ ، وَهَذَا يَتَضَمَّنُ الْحَثَّ عَلَى الزَّوْاجِ وَالتَّرْغِيبِ فِيهِ ؛ وَعَضَلَ الرَّجُلُ أَيْمَهُ يَعْضُلُهَا وَيَعْضِلُهَا عَضَلًا ، وَعَضَلَهَا : مَنَعَهَا مِنَ الزَّوْاجِ ظُلْمًا وَقَسْرًا ، كَمَا يَفْعَلُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَأَضْلُ

الْعُضْلُ : الْحَبْسُ وَالْمَنْعُ وَالتَّضْيِيقُ<sup>(١)</sup> ، وَمِنْهُ عَضَلَتْ الدَّلَجَاةُ : إِذَا نَشِبَ بِيَضُهَا فَلَمْ يَخْرُجْ ، وَعَضَلَتْ الْمَرْأَةُ إِذَا نَشِبَ الْوَلَدُ فَخَرَجَ بَعْضُهُ ، وَلَمْ يَخْرُجْ بَعْضُ فَبَقِيَ مُعْتَرِضًا ، وَأَعَضَلَتْ وَهِيَ مُعْضِلٌ - بِلا هَاءٍ - وَمُعْضَلٌ : عَسَرَ عَلَيْهَا وَلَادُهُ ؛ وَقَالَ ابْنُ هَرَمَةَ [من الوافر] :

وَإِنَّ قَصَائِدِي لَكَ فَاصْطِنِعْنِي عَقَائِلُ قَدْ عُضِلْنَ عَنِ النِّكَاحِ<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

١٣٣٧ - وَجَاءَ عَكَافُ بْنُ وَدَاعَةَ الْهَلَالِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا عَكَافُ ! أَلَيْكَ زَوْجَةٌ ؟ » قَالَ : لَا ؛ قَالَ : « وَلَا جَارِيَةٌ » قَالَ : لَا ! قَالَ : « وَأَنْتَ صَحِيحٌ مُوسِرٌ ؟ ! » قَالَ : نَعَمْ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ؛ قَالَ : « فَأَنْتَ إِذَا مِنْ إِخْوَانِ الشَّيَاطِينِ ، إِمَّا أَنْ تَكُونَ مِنْ رُهْبَانِ النَّصَارَى فَأَنْتَ مِنْهُمْ ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مِنَّا ، فَاصْنَعْ كَمَا نَصْنَعُ ، وَإِنْ مِنْ سُنَّتِنَا النِّكَاحُ ، شِرَارُكُمْ عُرَابُكُمْ ، وَأَرَادِلُ مَوْتَاكُمْ عُرَابُكُمْ ، وَيَحَكَ يَا عَكَافُ ! تَزَوَّجْ ! » فَقَالَ عَكَافُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! لَا أَتَزَوَّجُ حَتَّى تَزَوَّجَنِي مِنْ شَيْءٍ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « فَقَدْ زَوَّجْتُكَ عَلَى أَسْمِ اللَّهِ وَالْبَرَكَةِ كَرِيمَةَ بِنْتُ كُلْثُومِ الْحِمَيْرِيِّ » [راجع « مسند أحمد » ، رقم : ٢٠٩٣٩]

\* \* \*

١٣٣٨ - وَقَالَ شَاعِرٌ [من الطويل] :

- (١) وَمِنْهُ : أَعْضَلَ بِكَ الْأَمْرُ : إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْكَ فِيهِ الْحِيلُ ؛ وَدَاءُ عُضَالٍ : شَدِيدٌ مُعْنِي .  
 (٢) الْعَقَائِلُ ، جَمْعُ عَقِيلَةٍ ، وَهِيَ : الْمَعْقُولَةُ فِي خِدْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ ؛ وَقَوْلُهُ : فَاصْطِنِعْنِي ، اغْتَرِاضٌ ؛ يَقُولُ : إِنَّ قَصَائِدِي لَكَ مِثْلُ الْمُحَدَّرَاتِ ، فَلَسْتُ أَمْدُحُ بِهَا غَيْرَكَ ، فَاجْعَلْنِي صَنِيعَتَكَ .



إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي مَنْزِلِ الْمَرْءِ حُرَّةٌ تُدْبِرُهُ ضَاعَتْ مَصَالِحُ دَارِهِ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

١٣٣٩ - وَعَنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَيْسَرَةَ ، قَالَ : قَالَ لِي طَاوُسُ : لَتَتَزَوَّجَنَّ أَوْ لَأَقُولَنَّ لَكَ مَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي الزَّوَائِدِ : قَالَ : قَالَ لَهُ : مَا يَمْنَعُكَ مِنَ النِّكَاحِ إِلَّا عَجْزٌ أَوْ فُجُورٌ . . . « وَأَبُو الزَّوَائِدِ هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ » [أخرجه عبد الرزاق ، وابن أبي شيبة ، كما في « الدر المنثور » سورة المائدة ، الآية : ٨٧ ؛ و« كنز العمال » ، رقم : ٤٥٥٨٨ ؛ « الإصابة » لابن حجر ، رقم : ٩٩٤١ .

\* \* \*

١٣٤٠ - وَفِي الْحَدِيثِ : « يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ ! مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، فَإِنَّهُ أَغْضَى لِلْبَصْرِ ، وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ ؛ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ » [البخاري ، رقم : ١٩٠٥ ؛ مسلم ، رقم : ١٤٠٠ .

الْبَاءَةُ هُنَا : النِّكَاحُ - الزَّوْاجُ - وَقَدْ يُرَادُ بِالْبَاءَةِ : الْجِمَاعُ نَفْسُهُ ، وَالْأَصْلُ فِي الْبَاءَةِ : الْمَنْزِلُ ، ثُمَّ قِيلَ لِعَقْدِ التَّزْوِيجِ : بَاءَةٌ ، لِأَنَّ الرَّجُلَ يَتَبَوَّأُ مِنْ أَهْلِهِ ، أَيِ : يَتِمَكَّنُ مِنْ أَهْلِهِ كَمَا يَتَبَوَّأُ مِنْ دَارِهِ ، أَوْ تَقُولُ : لِأَنَّ مَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً بَوَّأَهَا

(١) قَبْلَ هَذَا أَلْبَيْتِ أَيْتَاتٍ أَوْزَدَهَا صَاحِبُ « نَزْهَةِ الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ » نُورِدَهَا هُنَا عَلَى سُوْقَةٍ مَبْنَاهَا ، وَإِنْ كَانَتْ سَدِيدَةً فِي مَعْنَاهَا [ من الطويل ] :

<p>وَفِي مَكْسَبٍ يَأْتِي بِطَوْلِ نَهَارِهِ إِذَا غَابَ فِي أَشْغَالِهِ عَنْ دِيَارِهِ مَا عَاقِلٌ يَرْضَى بِهِ بِاخْتِيَارِهِ تَأَخَّرَ تَبَقَّى عَيْنُهَا فِي أَنْتَظَارِهِ وَتَخَدَّمُهُ فِي فَرْشِهِ وَدَنَارِهِ تُدْبِرُهُ ضَاعَتْ مَصَالِحُ دَارِهِ</p>	<p>إِذَا اشْتَغَلَ الْإِنْسَانُ بِالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَلَيْسَ لَهُ فِي دَارِهِ مَنْ يَسُوسُهَا فَذَلِكَ عِنْدِي مُهْمَلٌ أَمَرَ نَفْسِهِ وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ إِذَا وَتَضْلِحُ مَا يَخْتَارُهُ مِنْ أُمُورِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي مَنْزِلِ الْمَرْءِ حُرَّةٌ</p>
--	--

مَنْزِلًا ؛ وَيُقَالُ : أَلْبَاءُ وَأَلْبَاءَةٌ وَأَلْبَاهُ ، وَتُجْمَعُ أَلْبَاءَةٌ عَلَى أَلْبَاءَاتٍ ؛ وَالْوَجَاءُ فِي الْأَضَلِّ ، وَمِثْلُهُ الْوَجَاءُ : أَنْ تُرَضَّ أُنثَى الْفَحْلِ رَضًّا شَدِيدًا يُذْهِبُ شَهْوَةَ الْجَمَاعِ وَيَنْزِلُ فِي قَطْعِهِ مَنْزِلَةَ الْخَصِيِّ ، وَالْمُرَادُ فِي الْحَدِيثِ : أَنَّ الصَّوْمَ يَقْطَعُ النِّكَاحَ كَمَا يَقْطَعُهُ الْوَجَاءُ . وَقَوْلُهُ : فَإِنَّهُ أَغَضَّ لِلْبَصَرِ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : غَضَّ طَرْفَهُ وَبَصَرُهُ يَغُضُّهُ غَضًّا : كَفَّهُ وَخَفَضَهُ وَكَسَرَهُ ؛ وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ ، أَيُّ : أَشَدُّ إِخْصَانًا لَهُ وَمَنْعًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْفَاحِشَةِ .

\* \* \*

١٣٤١ - وَفِي الْحَدِيثِ : « إِذَا أَحَدُكُمْ أَعْجَبَتْهُ الْمَرْأَةُ فَوَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ فَلْيَعْمَدْ إِلَى أَمْرَاتِهِ فَلْيُوقِعْهَا ، فَإِنْ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ . . . فَهَذَا مِنْ ذَاكَ » [مسلم ، رقم : ١٤٠٣ ؛ الترمذي ، رقم : ١١٥٨ ؛ أبو داود ، رقم : ٢١٥١ ؛ « مسند أحمد » ، رقم : ٢١٥١ و ١٤١٢٨ و ١٤٢٦١] .

\* \* \*

١٣٤٢ - وَفِي الْبُخَارِيِّ [رقم : ٥٠٦٣ ؛ مسلم ، رقم : ١٤٠١] : جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَهُمْ تَقَالُوهَا<sup>(١)</sup> ، فَقَالُوا : وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ! قَدْ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ؛ فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَّا أَنَا ، فَأَنَا أَصْلِي اللَّيْلَ أَبَدًا ؛ وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ ؛ وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا ؛ فَجَاءَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : « أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ! أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ ، وَأُصْلِي وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » .

\* \* \*

(١) تَقَالُوهَا ، أَيُّ : اسْتَقَالُوهَا ، وَأَضْلَاهَا تَقَالُوهَا ، أَيُّ : رَأَى كُلُّ مِنْهُمْ أَنَّهَا قَلِيلَةٌ .

١٣٤٣ - وَفِي بَعْضِ الْأَثَارِ : « أَرْبَعٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ : التَّعَطُّرُ ، وَالنِّكَاحُ ، وَالسَّوَاكُ ، وَالْخِتَانُ » [الترمذي ، رقم : ١٠٨٠ ؛ « مسند أحمد » ، رقم : ٢٣٠٦٩ ] .

\* \* \*

١٣٤٤ - وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ : أَلَاكَ أَمْرَاءُ ؟ قَالَ : لَا ! قَالَ : فَتَزَوَّجْ ، فَإِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَنْ كَانَ أَكْثَرَهَا نِسَاءً . [« كثر العمال » ، رقم : ٤٥٦٠٥ ] .

\* \* \*

١٣٤٥ - وَقَالَ حَكِيمٌ : الزَّوْاجُ مُضْدِرُّ آدَابِ الْمُجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ .

\* \* \*

١٣٤٦ - وَقَالَ آخَرُ : لَيْسَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَخِيَا الرَّجُلُ الْحَيَاةَ الْفَاضِلَةَ ، وَيَمُوتَ الْمَوْتَ الصَّالِحَةَ ، مَا لَمْ يَكُنْ بِجَانِبِهِ زَوْجَةٌ .

\* \* \*

١٣٤٧ - وَمِنْ حِكْمَةِ الْهِنْدِ : إِنَّ الزَّوْجَةَ هِيَ الصَّدِيقُ الَّذِي مَنَحَتْهُ الْإِلَهَةُ لِلْإِنْسَانِ .

\* \* \*

١٣٤٨ - وَمِنْ كَلِمَةِ لِيْجَانِ جَاكُ رُوشُو Jean - Jacques Rousseau : أَفْضَلُ أَنْ أَكُونَ زَوْجَةً فَخَامٍ عَلَى أَنْ أَكُونَ عَشِيقَةً مَلِكٍ .

\* \* \*

١٣٤٩ - وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي إِلَّا عَشْرَةُ أَيَّامٍ لَأَخْبَيْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ ، لِئَلَّا أَلْقَى اللَّهَ عَزَبًا .

\* \* \*

١٣٥٠ - [ وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ، أَنَّهُ قَالَ : زَوَّجُونِي ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَوْصَانِي أَنْ لَا أَلْقَى اللَّهَ عَزَبًا ] .

\* \* \*

١٣٥١ - [ وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، عَنْ الْحَسَنِ ، قَالَ : قَالَ مُعَاذُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ : زَوَّجُونِي ، إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ عَزَبًا ] .

\* \* \*

١٣٥٢ - وَجَاءَ فِي كِتَابِ « الصُّورِ » لِلْمَرْحُومِ مُحَمَّدِ السَّبَاعِيِّ طَيِّبَ اللَّهُ ثَرَاهُ ، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مُتَقَلَّبُهُ وَمَأْوَاهُ ، مَا يَلِي : الزَّوْجَةُ هِيَ الْمَلْجَأُ النَّاعِمُ ، وَالْمَلَاذُ اللَّيِّنُ ؛ هِيَ الْكَهْفُ الْخَلُوعُ كَأَنَّهُ خَلِيَّةُ الْعَسَلِ ؛ هِيَ حِضْنٌ مِنَ الْبِلُورِ فِي ضَمَانَةِ الشَّرَفِ ، وَقَلْعَةٌ مِنَ الْخَرِيرِ فِي خَفَارَةِ الْعَفَافِ ؛ هِيَ السَّاحِلُ الْمَتِينُ الَّذِي يَأْوِي إِلَيْهِ صَلَاحُ الْحَيَاةِ بَعْدَ صَوْلَةِ الْمَوْجِ وَثَوْرَةِ الْهَوَاءِ ؛ هِيَ الظِّلُّ الْخَصِيبُ الَّذِي يَلْبَسُهُ سَائِحُ الْإِنْسَانِيَّةِ بَعْدَ وَغْثَاءِ السَّفَرِ وَلَطْيِ الْهَجَائِرِ . . . فِي حَلَاوَةِ الزَّوْجَةِ وَرَفَقَتِهَا مَا يَمْحُو مَرَارَةَ الزَّمَنِ وَخُسُونَتَهُ ، وَكَذَلِكَ الْحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ أَلْسِنَاتِ .

إِنَّ الزَّوْجَةَ لَتَبْتُ حَوْلَهَا هَوَاءَ مِنَ الشُّرُورِ لَا تَكَادُ تَطْرُقُهُ الْأَخْرَانُ ، كَأَنَّهُ هَالَةٌ الْقَمَرِ أَوْ دَارَةُ الشَّمْسِ ؛ وَإِنَّ الْهُمُومَ لَتَضْمَحِلُّ فِي صَوْتِ الزَّوْجَةِ كَالْخَوْفِ أَمَامَ الْبُشْرَى ، وَإِذَا كَانَتِ الْمَوْسِيقَى فِتْنَةً الْأَلْبَابِ فَقُلْ فِي صَوْتِ الْمَرْأَةِ الَّذِي يَفْتِنُ

الْمُوسِقَى لَوْ أَنَّهَا تَعْقِلُ .

الْمَرْأَةُ تُحَفِّةُ الدُّنْيَا ، وَزِينَةُ الْحَيَاةِ ، فَمَنْ أَحْكَمَ تَذْيِيرَهَا وَجَنَى ثَمَرَهَا كَانَ  
أَمِيرًا عَلَى أَكْمَلِ بُقْعَةٍ وَأَجْمَلِ مَمْلَكَةٍ ، وَمَنْ أَسَاءَ التَّذْيِيرَ فَخَسِرَ الْمَرْأَةُ أَوْ حُبَّهَا  
وَطَاعَتَهَا فَجَدِيرٌ بِهِ أَنْ يَتَمَثَّلَ [من البسيط] :

أُعْطِيتُ مُلْكًا فَلَمْ أَحْسِنْ سِيَاسَتَهُ وَكُلُّ مَنْ لَا يَسُوسُ الْمُلْكَ يَخْلَعُهُ

\* \* \*

١٣٥٣ - وَرَوِيَ عَنْ زِيَادِ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَنَّهُ قَالَ لِجُلَسَائِهِ : مَنْ أَنْعَمُ النَّاسِ  
عَيْشَةً ؟ قَالُوا : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - يَعْنُونَ مُعَاوِيَةَ ابْنَ أَبِي سُفْيَانَ - فَقَالَ : وَأَيْنَ  
مَا يَلْقَى مِنْ قَرِيشٍ ! قِيلَ : فَأَنْتَ ؛ قَالَ : أَيْنَ مَا أَلْقَى مِنَ الْخَوَارِجِ وَالْثُّغُورِ ؟  
قِيلَ : فَمَنْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؟ قَالَ : رَجُلٌ مُسْلِمٌ ، لَهُ زَوْجَةٌ مُسْلِمَةٌ ، لَهُمَا كَفَافٌ مِنَ  
الْعَيْشِ ، قَدْ رَضِيَتْ بِهِ وَرَضِيَ بِهَا ، لَا يَعْرِفُنَا وَلَا نَعْرِفُهُ .

\* \* \*

١٣٥٤ - وَقَالَ قَاسِمُ أَمِينٍ : إِذَا كُنْتُ أَشْعُرُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ بِشَيْءٍ مِنْ  
السَّعَادَةِ ، فَفِي الْأَوْقَاتِ الَّتِي أَقْضِيهَا فِي بَيْتِي مَعَ زَوْجَتِي وَأَوْلَادِي .

\* \* \*

حَتُّهُمْ عَلَى التَّرَوُّجِ أَيَّامَ الشَّبَابِ :

١٣٥٥ - قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَنِيفٍ حَكِيمُ الْعَرَبِ [من الرجز] :

إِنَّ بَنِي صَنِيفٍ صَفِيُّونَ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِبْعِيُونَ  
يُقَالُ : أَصَافَ الرَّجُلُ ، يُصِيفُ إِصَافَةً : إِذَا لَمْ يُولَدْ لَهُ حَتَّى يُسَنَّ وَيَكْبُرَ ،  
وَأَوْلَادُهُ صَفِيُّونَ ؛ وَالرَّبْعِيُّونَ : الَّذِينَ وُلِدُوا فِي حَدَاتِهِ وَأَوَّلِ شَبَابِهِ ؛ وَلَمَّا

حَضَرَتْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْوَفَاةَ تَمَثَّلَ بِهَذَا الْبَيْتِ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي أَوْلَادِهِ مَنْ يُقَلِّدُهُ الْعَهْدَ بَعْدَهُ ؛ وَمَعْنَى ذَلِكَ عِنْدَهُمْ أَنَّ الْأَوْلَادَ الْكِبَارَ أَفْضَلُ مِنَ الصَّغَارِ لَدَى الْوَالِدِ ، وَلَا سِيَّما إِذَا كَبُرَ .

\* \* \*

١٣٥٦ - وَمرَّ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الْعَجَمِ بِشَيْخٍ يَعْمَلُ فِي أَرْضٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الشَّيْخُ ، هَلَّا أَذْلَجْتَ فَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا يَكْفِيكَ ! فَقَالَ : أَذْلَجْتُ ، وَلَكِنْ الْقَضَاءُ لَمْ يَذْلِجْ . . . فَقَالَ : أَكُتُمُ كَلَامَنَا هَذَا حَتَّى تَرَانِي ؛ ثُمَّ أَنْصَرَفَ الْمَلِكُ ، فَأَخْضَرَ وَزِيرَهُ ، وَقَالَ : مَا مَعْنَى كَلَامِ الشَّيْخِ ؟ قِيلَ لَهُ كَذَا فَأَجَابَ بِكَذَا ؟ وَقَدْ أَنْظَرْتُكَ حَوْلًا ؛ فَجَعَلَ الْوَزِيرُ يَسْأَلُ النَّاسَ وَلَا يُجِيبُهُ أَحَدٌ ، حَتَّى وَقَعَ بِالشَّيْخِ ، فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ الْمَلِكَ اسْتَكْتَمَنِي الْأَمْرَ حَتَّى أَرَاهُ ؛ فَبَدَّلَ لَهُ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ : إِنَّهُ قَالَ لِي : لِمَ لَا تَزَوِّجْتَ أَيَّامَ الشَّبَابِ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : قَدْ تَزَوَّجْتُ ، وَلَكِنْ لَمْ يَأْتِنِي أَوْلَادٌ ! فَجَاءَ الْوَزِيرُ ، فَأَخْبَرَ الْمَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ : عَلَيَّ بِالشَّيْخِ ؛ فدَعَاهُ ، فَلَمَّا حَضَرَ ، قَالَ لَهُ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ أَكُتُمُ أَمْرَنَا حَتَّى تَرَانِي ؟ قَالَ : قَدْ رَأَيْتُكَ عَشْرَةَ آلَافٍ مَرَّةً ؛ فَعَلِمَ أَنَّ الْوَزِيرَ دَفَعَ إِلَيْهِ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، وَأَنَّهُ رَأَى اسْمَهُ مَكْتُوبًا عَلَى كُلِّ دِرْهَمٍ مِنْهَا وَصُورَتَهُ ، فَقَالَ : زِهْ ؛ وَدَفَعَ إِلَيْهِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ أُخْرَى .

\* \* \*

الْأَبْكَارُ وَالنِّبَاتُ :

١٣٥٧ - فِي الْحَدِيثِ : « عَلَيْكُمْ بِالْأَبْكَارِ ، فَإِنَّهُمْ أَطِيبُ أَفْوَاهَا ، وَاتَّقُوا أَرْحَامًا ، وَأَعَزُّ غُرَّةً ، وَأَرْضَى بِالْيَسِيرِ » [ابن ماجه ، رقم : ١٨٦١] .

وَأَنْتَقُ أَزْحَامًا ، يُرِيدُ : أَكْثَرُ وَلَدًا ، يُقَالُ أَمْرَأَةٌ مِنتَاقٌ إِذَا كَثُرَ وَلَدُهَا ، وَقَوْلُ  
النَّبِيعَةِ [ من الكامل ] :

لَمْ يُخْرَمُوا حُسْنَ الْغِذَاءِ وَأُمُّهُمْ - طَفَحَتْ عَلَيْكَ بِنَاتِي مِذْكَارٍ  
يَعْنِي بِالنَّاتِقِ : الرَّحِمِ ، وَذَكَرَ عَلَى مَعْنَى الْفَرْجِ أَوْ الْعُضْوِ .  
وَأَعَزُّ غُرَّةً ، يَخْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ غُرَّةِ الْبَيَاضِ وَصَفَاءِ اللَّوْنِ ، لِأَنَّ طُولَ  
التَّغْنِيسِ يُحِيلُ اللَّوْنَ ؛ وَيَخْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ وَالْعِشْرَةِ ؛ وَأَرْضَى  
بِالْيَسِيرِ ، يَعْنِي : بِالْيَسِيرِ مِنَ الْجَمَاعِ .

\* \* \*

١٣٥٨ - وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّ الْمَرْأَةَ لَا تَنْسَى أَبَا عُدْرَتِهَا .

الْعُدْرَةُ : الْبَكَارَةُ ، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : الْعُدْرَةُ : مَا لِلْبِكْرِ مِنَ الْإِلْتِحَامِ قَبْلَ  
الْإِفْتِضَاضِ ، وَيُقَالُ : فُلَانٌ أَبُو عُدْرٍ فُلَانَةٍ ، وَأَبُو عُدْرَتِهَا : إِذَا كَانَ أَفْتَرَعَهَا  
وَأَفْتَضَّهَا .

\* \* \*

١٣٥٩ - وَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ [ من الطويل ] :

أُحِبُّ الْخَلَاوِيَّ النَّزِيهَ مِنَ الْهَوَى وَأَكْرَهُ أَنْ أُسْقَى عَلَى عَطَشٍ فَضْلاً  
يَقُولُ : أَكْرَهُ الْمَرْأَةَ الَّتِي أَكْثَرَتْ الْأَزْوَاجَ وَإِنْ كُنْتُ مُضْطَرّاً إِلَيْهَا .

\* \* \*

١٣٦٠ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَوْلَيْهِ : يَا بَنِي ! لَا تَتَّخِذْهَا حَنَانَةً ، وَلَا أَنَانَةً ،  
وَلَا مَنَانَةً ، وَلَا حَذَاقَةً ، وَلَا ذَاتَ الدَّايَاتِ ، وَلَا عُشْبَةَ الدَّارِ ، وَلَا كُبَّةَ  
الْقَفَا . . . .

الْحَنَانَةُ : أَلَّتِي لَهَا وَلَدٌ مِنْ سِوَاهُ ، فَهِيَ تَحْنُ عَلَيْهِمْ . وَالْأَنَانَةُ : أَلَّتِي مَاتَ زَوْجُهَا ، فَهِيَ إِذَا رَأَتْ الزَّوْجَ الثَّانِي أَنْتَ ، وَقَالَتْ : رَحِمَ اللَّهُ فُلَانًا ، لِزَوْجِهَا الْأَوَّلِ . وَالْمَنَانَةُ : أَلَّتِي لَهَا مَالٌ ، فَهِيَ تَمْنُ عَلَى زَوْجِهَا كُلَّمَا أَهْوَى إِلَى شَيْءٍ مِنْ مَالِهَا . وَالْحَدَاقَةُ : أَلَّتِي تُحَدِّقُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ فَتَقُولُ : لَيْتَهُ لِي ! وَذَاتُ الدَّلَايَاتِ : أَلَّتِي عِنْدَهَا عَجُوزٌ ، وَتَقُولُ : هِيَ دَائِي . وَعُشْبَةُ الدَّارِ : يُرِيدُ بِهَا : الْهَجِينَةُ<sup>(١)</sup> عَلَى الْمَثَلِ ؛ كَقَوْلِهِمْ : خَضِرَاءُ الدَّمَنِ - وَهِيَ عُشْبَةُ الدَّارِ - فِي الْأَضَلِ : أَلَّتِي تَنْبُثُ فِي دِمْنَةِ الدَّارِ وَحَوْلَهَا عُشْبٌ فِي بِيَاضِ الْأَرْضِ وَالْأَثَرِ الطَّيِّبِ . وَكُبَّةُ الْقَفَا<sup>(٢)</sup> ، هِيَ : أَلَّتِي يَأْتِي زَوْجُهَا أَوْ ابْنُهَا الْقَوْمَ ، فَإِذَا أَنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِهِمْ ، قَالَ رَجُلٌ مِنْ جُبْنَاءِ الْقَوْمِ : قَدْ وَاللَّهِ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَمْرَةِ هَذَا الْمَوْلَى أَوْ أُمِّهِ أَمْرٌ . . . .



١٣٦١ - هَذَا ، وَعَلَى ذِكْرِ الْأَنَانَةِ ، ذَكَرَ الرُّوَاهُ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ لَقِيْطِ بْنِ زُرَّارَةَ قَدُورٌ بَنَتْ قَيْسَ بْنَ خَالِدِ الشَّيْبَانِيِّ سَيِّدَ بَنِي رَبِيعَةَ ، وَكَانَ يُحِبُّهَا وَتُحِبُّهُ ، فَلَمَّا قُتِلَ عَنْهَا تَزَوَّجَهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِهَا ، وَكَانَ يَسْمَعُهَا تُكْثِرُ ذِكْرَ لَقِيْطِ ، وَتُظْهِرُ الْجَزَعَ عَلَيْهِ ، وَتَصِفُ مَحَاسِنَهُ ، فَقَالَ لَهَا يَوْمًا : وَبِئْسَ ! وَاللَّهِ مَا كَانَ إِلَّا كَبَعْضِ عَيْيِدِي ، فَصِفِي لِي بَعْضَ مَا أَعْجَبَكَ مِنْ مَحَاسِنِهِ ؛ فَقَالَتْ : نَعَمْ ، كُلُّ أُمُورِهِ كَانَتْ حَسَنَةً ، وَلَكِنِّي أَحَدْتُكَ أَنَّهُ تَطَيَّبَ يَوْمًا<sup>(٣)</sup> ، وَقَدْ ظَعَنَ الْحَيُّ ، فِي يَوْمِ ذِي زَهْرٍ وَطَلٍّ ، وَكُنْتُ نَائِمَةً ، فَكَّرَهُ أَنْ يُوقِظَنِي ، فَقَعَدَ يَنْتَظِرُ أَنْتَبَاهِي ،

(١) الْهَجِينُ عِنْدَ الْعَرَبِ : الَّذِي أَبُوهُ شَرِيفٌ وَأُمُّهُ وَضِيعَةٌ ؛ وَقِيلَ : الْعَرَبِيُّ ابْنُ الْأَمَةِ ، مِنْ الْهَجْنَةِ ، وَهِيَ : الْعَيْبُ ، وَسَيَّأَتِي كَلَامٌ وَافٍ فِي ذَلِكَ .

(٢) جَاءَتْ فِي « لِسَانِ الْعَرَبِ » - مَادَّةُ عُشْبٍ - : كُبَّةُ الْقَفَا .

(٣) أَنْظِرِ « الْكَامِلِ » ج ٥ ص ٩٣ .



وَمَعَهُ فَضْلَةٌ مِنْ شَرَابٍ ، فَجَعَلَ يَشْرَبُ مِنْهَا حَتَّى اسْتَيْقَظَتْ ، فَحَمَلَنِي وَرَكِبَ فَرَسَهُ ، فَعَرَضَتْ لَنَا عَانَةً - أَلْقَطِيعٌ مِنْ حُمْرِ الْوَحْشِ - فَحَمَلَ عَلَيْهَا ، فَصَرَاعَ مِنْهَا حِمَارًا ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ وَمِنْهُ رِيحُ الْمِسْكِ وَرِيحُ الشَّرَابِ وَرِيحُ الطَّلِّ وَرِيحُ الزَّهْرِ ، فَتَدَلَّيْتُ إِلَيْهِ ، فَضَمَمَنِي ضَمَّةً ، وَشَمَمَنِي شَمَّةً ، فَلَيْتَنِي كُنْتُ مِثَّ ثَمَّةَ . فَتَطَيَّبَ عُمُرُ وَتَنَاولَ مِنَ الشَّرَابِ ، وَخَرَجَ ، فَتَصَيَّدَ ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهَا ، فَضَمَمَهَا إِلَيَّ نَفْسِهِ ، وَقَالَ : أَيْنَ أَنَا مِنْ لَقِيطٍ ؟! فَقَالَتْ : مَرَعَى وَلَا كَالسَّعْدَانِ ، وَمَاءٌ وَلَا كَصَدَاءَ <sup>(١)</sup> ! فَطَلَّقَهَا ، فَرَجَعَتْ إِلَى قَوْمِهَا ، وَقَالَتْ : أَبْنُو عَلِيٍّ قُبَّةُ الْأَيْمِ ، فَوَاللَّهِ لَا جَمْعَنِي اللَّهُ مَعَ رَجُلٍ بَعْدَ لَقِيطٍ أَبَدًا .

\* \* \*

١٣٦٢ - وَكَانَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ مُعَايِظَةً لَأَزْوَاجِهَا ، وَكَانَتْ كَثِيرًا مَا تَصِفُ مُضْعَبَ بْنِ الزُّبَيْرِ لِعُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ مَعْمَرٍ ، وَكَانَتْ عِنْدَ مُضْعَبٍ قَبْلَهُ ، وَتَذْكُرُ جَمَالَهُ وَكَرَمَهُ وَحُسْنَ خُلُقِهِ ، فَيَكَادُ يَمُوتُ غَمًّا ، دَخَلَ عُمَرُ يَوْمًا عَلَى عَائِشَةَ ، وَقَدْ نَالَهُ حَرٌّ شَدِيدٌ وَعُجْبَارٌ ، فَقَالَ لَهَا : أَنْفُضِي الْعُجْبَارَ عَنِّي ؛ فَأَخَذَتْ مِنْدِيلًا وَجَعَلَتْ تَنْفُضُ التُّرَابَ بِهِ عَنْهُ ، ثُمَّ قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ الْعُجْبَارَ عَلَى وَجْهِ أَحَدٍ أَحْسَنَ مِنْهُ عَلَى وَجْهِ مُضْعَبٍ ، لِعَهْدِي بِهِ يَوْمًا وَقَدْ دَخَلَ عَلَيَّ ، وَكَانَ قَدْ فَتَحَ فَتْحًا عَظِيمًا ، وَهُوَ فِي الْحَدِيدِ - آلَةُ الْحَرْبِ - وَكَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَخْشَةٌ فَخَرَجْتُ ، فَهَنَأْتُهُ وَالْعُجْبَارُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَقَالَ : إِنِّي لَأُسْفِقُ عَلَيْكَ مِنْ رَائِحَةِ

(١) السَّعْدَانُ : نَبْتُ كَثِيرُ الْحَسَكِ ، تَأْكُلُهُ الْإِبِلُ ، فَتَسْمَنُ عَلَيْهِ ، وَيَغْدُوها غِذَاءٌ لَا يُوجَدُ فِي غَيْرِهِ ؛ وَمَرَعَى خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَخْدُوفٌ ، تَقْدِيرُهُ : هَذَا مَرَعَى جَيِّدٌ ، وَلَيْسَ فِي الْجُودِ مِثْلُ السَّعْدَانِ ؛ وَصَدَاءُ : أَسْمُ مَاءٍ بَعِيْنِهِ ؛ وَهَذِهِ الْأَمْثَالُ ثَلَاثَةٌ ، مِنْهَا قَوْلُهُمْ : مَرَعَى وَلَا كَالسَّعْدَانِ ، وَمَاءٌ وَلَا كَصَدَاءَ ، وَفَتَى وَلَا كَمَالِكٍ ؛ تُضْرَبُ هَذِهِ الْأَمْثَالُ لِلشَّيْءِ الَّذِي فِيهِ فَضْلٌ وَغَيْرُهُ أَفْضَلُ مِنْهُ ؛ وَمَالِكٌ الَّذِي ذَكَرُوا هُوَ مَالِكُ بْنُ نُؤَيْرَةَ ، أَخُو مُتَمِّمِ بْنِ نُؤَيْرَةَ .

الْحَدِيدِ ! وَأَقْبَلْتُ تَصِفُهُ وَعُمَرُ يَقْدُ غَيْظًا ، وَيَكَادُ يَمُوتُ غَيْرَةً وَحَيْرَةً .

\* \* \*

١٣٦٣ - وَتَزَوَّجَ الْحَجَّاجُ هِنْدَ بِنْتَ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، حَمَلَهَا مَعَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَبَنَى هُنَالِكَ الْقَصْرَ الْمُنْسُوبَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا كَمُلَ بِنَاؤُهُ قَالَ لَهَا : هَلْ رَأَيْتِ قَطُّ مِثْلَهُ ؟ قَالَتْ : إِنَّهُ لَحَسَنٌ ؛ قَالَ لَهَا : لِتُصَدِّقَنِي ؟ قَالَتْ : أَمَّا إِذْ آتَيْتَ ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ الْقَصْرِ الْأَحْمَرِ وَفِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ ! وَالْقَصْرُ الْأَحْمَرُ هُوَ دَارُ الْإِمَارَةِ بِالْبَصْرَةِ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ بَنَاهُ بِطِبْنِ أَحْمَرَ - فَغَضِبَ الْحَجَّاجُ غَضَبًا شَدِيدًا ، وَطَلَّقَهَا بِسَبَبِ ذَلِكَ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى الْقَصْرِ الْأَحْمَرِ فَهَدَمَهُ وَبَنَاهُ بِنِيَانًا آخَرَ ، ثُمَّ هُدِمَ بَعْدَ ذَلِكَ وَأُدْخِلَ فِي جَامِعِ الْبَصْرَةِ .

\* \* \*

١٣٦٤ - وَجَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُ : « تَزَوَّجْتَ يَا زَيْدُ ؟ » قَالَ : لَا ! يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ قَالَ : « تَزَوَّجْ تَسْتَعِفَّ ، وَلَا تَتَزَوَّجْ حَمْسًا ، لَا تَتَزَوَّجْ شَهْبَرَةً وَلَا لَهْبَرَةً وَلَا نَهْبَرَةً وَلَا هَيْدَرَةً وَلَا لَفُونًا » ، قَالَ زَيْدُ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَعْرِفُ مِمَّا قُلْتَ شَيْئًا ؛ قَالَ : « أَمَّا الشَّهْبَرَةُ : فَالزَّرْقَاءُ الْبَدِيَّةُ ؛ وَأَمَّا اللَّهْبَرَةُ : فَالطَّوْبِيلَةُ الْهَزِيلَةُ ؛ وَأَمَّا النَّهْبَرَةُ : فَالْعَجُورُ الْمُدْبِرَةُ ؛ وَأَمَّا الْهَيْدَرَةُ : فَالْقَصِيرَةُ الْقَبِيحَةُ ؛ وَأَمَّا اللَّفُونُ : فَذَائِلُ الْوَلَدِ مِنْ غَيْرِكَ » [ كنز العمال ، رقم : ٤٤٥٩٥ ] .

\* \* \*

١٣٦٥ - وَقَالُوا : إِنْ لَمْ تَتَزَوَّجْ بِكْرًا فَتَزَوَّجْ مُطَلَّقَةً ، وَلَا تَتَزَوَّجْ مُمِيتَةً - أَلَّتِي مَاتَ زَوْجُهَا - فَإِنَّ الْمُطَلَّقَةَ تَقُولُ لَهَا : لَوْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ لَمَا طَلَّقَكَ

زَوْجِكَ؛ وَالْمُمِيَّةُ تَقُولُ لَكَ : رَحِمَ اللَّهُ فُلَانًا ، إِنَّهُ كَانَ لِي خَيْرًا مِنْكَ بِكَذَا . . .

\* \* \*

١٣٦٦ - وَكَانَتْ فَضْلُ الشَّاعِرَةِ لِرَجُلٍ مِنَ النَّخَّاسِينَ ، فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ مُحَمَّدُ ابْنُ الْفَرَجِ وَأَهْدَاهَا إِلَى الْمُتَوَكِّلِ ، وَكَانَتْ بَرْزَةً ، تَجْلِسُ لِلرِّجَالِ وَتَتَحَدَّثُ مَعَ الشُّعْرَاءِ ، فَقَالَ لَهَا يَوْمًا أَبُو دُلْفٍ الْعِجْلِيُّ يُعَرِّضُ لَهَا بِأَنَّ الْمُتَوَكِّلَ إِنَّمَا اشْتَرَاهَا وَهِيَ ثِيْبٌ [من الكامل] :

قَالُوا : عَشِقتَ صَغِيرَةً ، فَاجَبْتُهُمْ كَمْ بَيْنَ حَبَّةِ لَوْلُؤٍ مَثْقُوبَةٍ  
أَشْهَى الْمَطِيِّ إِلَيَّ مَا لَمْ يُزَكَّبِ نَظِمْتُ وَحَبَّةَ لَوْلُؤٍ لَمْ تُثَقِّبِ  
فَاجَابَتْهُ [من الكامل] :

إِنَّ الْمَطِيَّةَ لَا يَلْدُ رُكُوبُهَا مَا لَمْ تُذَلَّلْ بِالزَّمَامِ وَتُرَكَّبِ  
وَالدُّرُّ لَيْسَ بِنَافِعٍ أَرْبَابَهُ حَتَّى يُجْمَعَ لِلنُّظَامِ بِمِثْقَبِ

\* \* \*

١٣٦٧ - وَلِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ الرُّقَيَّاتِ [من الخفيف] :

حَبَّذَا الْحَجَّ وَالْثَرِيَّا وَمَنْ بِالْخَيْدِ فِ مِنْ أَهْلِهَا وَمَلَقَى الرَّحَالَ  
دُرَّةً مِنْ عَقَائِلِ الْبَحْرِ بِكُرٍّ لَمْ تَنْلَهَا مَقَابُ الْلَأَالِ  
الْلَأَالُ : صَاحِبُ اللَّوْلُؤِ .

\* \* \*

١٣٦٨ - وَعُرِضَتْ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ جَارِيَةٌ ، فَقَالَ لَهَا : أَبِكُرُّ أَنْتِ أَمْ إِيْنِشْ ؟  
فَقَالَتْ : إِيْنِشْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! فَضَحِكَ مِنْهَا وَاشْتَرَاهَا .

\* \* \*

١٣٦٩ - وَفِي الْحَدِيثِ [البخاري ، رقم : ٤٤٣ ؛ مسلم ، رقم : ٧١٥] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

قَالَ لِحَبِيبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : « أَنْكَحْتَ يَا حَبِيبُ ؟ » قَالَ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ قَالَ : « أَبِكَرًا أَمْ ثَنِيًّا ؟ » قَالَ : بَلْ ثَنِيًّا ؛ قَالَ : « فَهَلَّا بِكَرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ ، وَتُضَاحِكُهَا وَتُضَاحِكُكَ ! » .

\* \* \*

١٣٧٠ - وَقَالَ حَكِيمٌ لِمَنْ أَسْتَشَارَهُ : أَمَّا الْبِكْرُ فَلَكَ لَا عَلَيْكَ ، وَأَمَّا الثَّيْبُ فَلَكَ وَعَلَيْكَ ، وَأَمَّا ذَاتُ الْوَلَدِ فَعَلَيْكَ لَا لَكَ .

\* \* \*

١٣٧١ - وَمِنْ طَرِيفٍ مَا يُرَوَّى فِي هَذَا الْمَعْنَى ، أَنَّ رَجُلًا أَرَادَ النِّكَاحَ ، فَقَالَ : لَأَسْتَشِيرَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَطْلُعُ ، ثُمَّ لَأَعْمَلَنَّ بِرَأْيِهِ ؛ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ طَلَعَ عَلَيْهِ هَبِيقَةُ الْقَيْسِيِّ ، وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَى قَصْبَتِهِ ، وَكَانَ مِنْ عُقْلَاءِ الْمَجَانِينِ ؛ فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَرَدْتُ النِّكَاحَ ، فَمَا تُشِيرُ عَلَيَّ ؟ قَالَ : الْبِكْرُ لَكَ ، وَالثَّيْبُ عَلَيْكَ ، وَذَاتُ الْوَلَدِ لَا تَقْرَبُهَا ، وَأَخْذَرُ جَوَادِي أَنْ يَرْمَحَكَ .

\* \* \*

١٣٧٢ - وَمِنْ كَلِمَةِ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ : الْبِكْرُ كَالْبُرَّةِ<sup>(١)</sup> ، تُطْحَنُ ، ثُمَّ تُعْجَنُ ، ثُمَّ تُخَبَزُ ، ثُمَّ تُؤْكَلُ ؛ وَالثَّيْبُ عُجَالَةُ الرَّاكِبِ ، تَمُرٌّ وَسَوِيقٌ . يُشِيرُ عُمَرُ بِذَلِكَ إِلَى سُهولةِ أَمْرِ الثَّيْبِ ، وَأَنَّ الْبِكْرَ تَحْتَاجُ فِي تَزْوُجِهَا وَالْبِنَاءِ بِهَا إِلَى كُلْفٍ شَدِيدَةٍ ؛ وَكَانَتْ الْعَرَبُ يَمُرُّ بِهَا الرَّاكِبُ الْمُسْتَعِجِلُ فَتَعْرِضُ عَلَيْهِ الْكُرُورُ لِلْقَرَى - الْضَيَافَةِ - فَيَمْتَنِعُ لِعَجَلَتِهِ ، فَتُخْرِجُ لَهُ مَا أَسْنَسَرَ ، فَيَأْكُلُهُ وَهُوَ رَاكِبٌ ، فَذَلِكَ هُوَ عُجَالَةُ الرَّاكِبِ .

\* \* \*

(١) كَالْبُرَّةِ ، فِي « عُيُونِ الْأَخْبَارِ » : كَالدَّرَةِ . وَالثُّرَّةُ وَاحِدَةُ الثُّرَى : الْقَمَحُ .

١٣٧٣ - وَلِلْحَرِيرِيِّ فِي الْمَقَامَةِ الثَّالِثَةِ وَالْأَرْبَعِينَ ، وَهِيَ الْبِكْرِيَّةُ ، قِطْعَةٌ فِي تَفْضِيلِ الْبِكْرِ عَلَى الثَّيِّبِ يَقُولُ فِيهَا : أَمَّا الْبِكْرُ ، فَالْدَّرَةُ الْمَخْزُونَةُ<sup>(١)</sup> ، وَالْبَيْضَةُ الْمَكُونَةُ<sup>(٢)</sup> ، وَالْبَاكُورَةُ الْجَنِيَّةُ<sup>(٣)</sup> ، وَالسَّلَافَةُ الْمَذْخُورَةُ الْهَنِيَّةُ<sup>(٤)</sup> ، وَالرَّوْضَةُ الْأَنْفُ<sup>(٥)</sup> ، وَالطُّوقُ الَّذِي ثُمْنٌ وَشَرْفُ<sup>(٦)</sup> ، لَمْ يُدَنَّسْهَا لَامِسٌ<sup>(٧)</sup> ، وَلَا أَسْتَغْشَاهَا لِابِسٍ<sup>(٨)</sup> ، وَلَا مَارَسَهَا عَابِثٌ<sup>(٩)</sup> ، وَلَا وَكَّسَهَا طَامِثٌ<sup>(١٠)</sup> ، وَلَهَا أَلْوَجُهُ الْخَبِيثُ ، وَالطَّرْفُ الْخَفِيُّ ، وَاللِّسَانُ الْعَبِي<sup>(١١)</sup> ، وَالْقَلْبُ النَّقِيُّ ، ثُمَّ هِيَ

- (١) الدَّرَةُ : الْجَوْهَرَةُ ؛ وَالْمَخْزُونَةُ : الَّتِي تُجْعَلُ فِي الْخِزَانَةِ لِرِفْعَتِهَا ؛ يُرِيدُ : إِنَّ الْبِكْرَ تُخْجَبُ وَتُصَانُ .  
(٢) أَرَادَ بِالْبَيْضَةِ بَيْضَةَ التَّلَامِ ، وَيُسَبِّحُ بِهَا النِّسَاءُ لِبَيَاضِهَا وَالضَّفَرَةُ الَّتِي تَضْرِبُ فِيهَا ؛ قَالَ ذُو الرُّمَّةِ [مِنَ الْبَسِيطِ] :

كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ

- وَالْمَكُونَةُ : الْمَصُونَةُ ؛ وَالنِّعَامَةُ تَكُنُ بَيْضَتَهَا بِرِيشِهَا وَلَا تُبْدِيهَا لِلشَّمْسِ وَالرَّيْحِ لِئَلَّا تَتَغَيَّرَ ، وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ : ﴿ كَاذِبِينَ بَيْضٌ مَكُونُونَ ﴾ [سورة الصافات/ الآية : ٤٩] .  
(٣) الْبَاكُورَةُ : أَوَّلُ مَا يَبْكُرُ مِنَ الثَّمَارِ .  
(٤) السَّلَافَةُ : الْخَمْرُ ؛ وَالْمَذْخُورَةُ : الْمَخْجُوبَةُ فِي آيَتِهَا .  
(٥) الْأَنْفُ : الَّتِي لَمْ تُزَعْ بَعْدُ .  
(٦) الطُّوقُ : الثَّوْبُ الرَّفِيعُ ؛ وَالطُّوقُ : الْحُلِيُّ يُجْعَلُ فِي الْعُنُقِ ؛ وَثُمْنٌ : كَثُرَ ثَمْنُهُ .  
(٧) مِنْ قَوْلِهِمْ : فَلَانَةٌ لَا تَرُدُّ يَدَ لَامِسٍ ، أَيْ : لَا تَمْنَعُ مُقَارَبَتَهَا مَنْ أَرَادَهَا . وَلَعَلَّهُ يُرِيدُ : لَمْ يُلَاعِبْهَا أَحَدٌ .  
(٨) أَسْتَغْشَاهَا : جَامَعَهَا ؛ وَاللَّابِسُ : الَّذِي لَا بَسَّهَا وَأَخْتَلَطَ بِهَا .  
(٩) مَارَسَهَا : عَالَجَهَا وَعَانَاهَا ؛ وَعَابِثٌ : مُفْسِدٌ ؛ أَرَادَ مَنْ يَعْثُبُ بِهَا عِنْدَ الْجَمَاعِ كَمَا يَخْدُثُ لِلثَّيِّبِ .  
(١٠) وَكَّسَهَا : نَقَصَهَا وَوَضَعَ مِنْهَا ، وَالْوَكْسُ : الْخَسَارَةُ فِي الْبَيْعِ ؛ وَالطَّامِثُ : التَّائِيحُ ؛ وَالطَّامِثُ : الْمُفْتَضُّ لِلْبِكْرِ ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْفُسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴾ [سورة الرحمن/ الآية : ٧٤] أَيْ : لَمْ يَفْتَضُّهُمْ أَوْ لَمْ يَمَسْسَهُمْ .  
(١١) الْعَبِي : الَّذِي لَا يَعْرِفُ تَصَرُّفَاتِ الْكَلَامِ .

الذُّمِّيَّةُ الْمُلَاعِبَةُ<sup>(١)</sup> ، وَاللُّعْبَةُ الْمُدَاعِبَةُ<sup>(٢)</sup> ، وَالْغَزَالَةُ الْمُغَازِلَةُ<sup>(٣)</sup> ، وَالْمِلْحَةُ الْكَامِلَةُ<sup>(٤)</sup> ؛ وَالْوِشَاحُ الطَّاهِرُ الْقَشِيبُ<sup>(٥)</sup> ، وَالضَّجِيعُ الَّذِي يُشِبُّ وَلَا يُشِيبُ<sup>(٦)</sup> .  
ثُمَّ قَالَ فِي مَسَاوِي الْبِكْرِ : وَهِيَ الْمُهْرَةُ الْأَيُّهُ الْعِنَانُ<sup>(٧)</sup> ، وَالْمَطِيَّةُ الْأَيُّهُ الْإِذْعَانُ<sup>(٨)</sup> ؛ وَالزَّنْدَةُ الْمُتَعَسِّرَةُ الْاِقْتِدَاحُ<sup>(٩)</sup> ، وَالْقَلْعَةُ الْمُسْتَضَعْبَةُ الْاِفْتِتَاحُ ؛ ثُمَّ إِنَّ مُؤَنَّتَهَا كَثِيرَةً ، وَمَعُونَتَهَا يَسِيرَةٌ ، وَعِشْرَتَهَا صَلِيفَةٌ<sup>(١٠)</sup> ، وَدَالَتَهَا مُكَلَّفَةٌ<sup>(١١)</sup> ، وَيَدَهَا خَرْقَاءُ<sup>(١٢)</sup> ، وَفِتْنَتَهَا صَمَاءُ<sup>(١٣)</sup> ، وَعَسْرِيكَتَهَا

- (١) الذُّمِّيَّةُ : الصُّورَةُ ؛ وَقَوْلُ الشَّاعِرِ [من مجزوء البسيط] :  
إِنْ شِـوَءٌ وَنَشْـوَءٌ وَخَبَبٌ أَلْبَازِلِ الْأُمُـونِ  
وَالْبِضْ يَزْفُلْنَ كَالذُّمَى فِي الرِّئِطِ وَالْمُذْهَبِ الْمَصُونِ  
يُرِيدُ الشَّاعِرُ : ثِيَابًا فِيهَا تَصَاوِيرُ .
- (٢) اللَّعْبَةُ : مَا يُلْعَبُ بِهِ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « الْمَرْأَةُ لُعْبَةُ الرَّجُلِ » ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُسْتَحْسِنَ لُعْبَتَهُ فَلْيَفْعَلْ » ، وَالْمُدَاعِبَةُ : الْمُتَمَارَحَةُ .
- (٣) تَقُولُ : غَازَلْتَنِي الْمَرْأَةُ : إِذَا تَمَاجَنَّتْ عَلَيْكَ فِي كَلَامِهَا ، وَأَشَارَتْ إِلَيْكَ بِعَيْنِهَا ، وَغَمَزَتْكَ بِحَاجِبِهَا ، حَتَّى إِذَا طَمِعَتْ فِيهَا صَدَّتْ عَنْكَ .
- (٤) الْمِلْحَةُ : الصُّورَةُ الْمُسْتَمْلَحَةُ كَالذُّمَى وَكَالصُّورِ الَّتِي تَلْعَبُ بِهَا الْبَنَاتُ ، وَهِيَ اللَّعْبُ ، وَجَاءَ بِمِلْحَةٍ ، أَيْ : بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ مَلِيحَةٍ .
- (٥) الْوِشَاحُ : الْحِزَامُ ؛ وَالْقَشِيبُ : الْجَدِيدُ ؛ جَعَلَهَا كَالْوِشَاحِ عِنْدَ عُنَاقِهَا وَجَمَاعِهَا .
- (٦) يُشِبُّ : يَرُدُّكَ شَابًا ؛ وَلَا يُشِيبُ : لَا يَكْسُوكَ الشَّيْبَ .
- (٧) الْأَيُّهُ الْعِنَانُ : الْمُؤَنَّنَةُ الْقِيَادُ .
- (٨) الْإِذْعَانُ : الْخُضُوعُ وَالذَّلَّةُ .
- (٩) الزَّنْدَةُ : مَا تُزْنَدُ مِنْهُ النَّارُ ؛ وَالْمُتَعَسِّرَةُ الْاِقْتِدَاحُ : الَّتِي يُعَسِّرُ إِخْرَاجُ النَّارِ مِنْهَا .
- (١٠) صَلِيفَةٌ : مُجَاوِرَةٌ حَدَّ الطُّوقِ ؛ وَأَصْلُ الصَّلَفِ الْإِعْرَاضُ عَنِ الشَّيْءِ كَأَنَّهُ إِذَا اسْتَقْبَلَكَ أَبْدَيْتَ لَهُ صَلِيفَكَ ، وَهُوَ : صَفْحَةُ عُنُقِكَ .
- (١١) دَالَتُهَا : أَنْبَسَاطُهَا ، يُرِيدُ : إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تُدِلَّ عَلَيْكَ تَتَكَلَّفُ ذَلِكَ .
- (١٢) خَرْقَاءُ : لَا تُحْسِنُ الْعَمَلَ .
- (١٣) فِتْنَتُهَا : شَرُّهَا ؛ وَصَمَاءُ : شَدِيدَةٌ كَأَنَّهَا لَا تَسْمَعُ النَّهْيَ وَالْعَدَلَ .

خَشْنَاءُ<sup>(١)</sup>، وَلَيْلَتَهَا لَيْلَاءُ<sup>(٢)</sup>، وَفِي رِيَاضَتِهَا عَنَاءُ، وَعَلَى خَيْرَتِهَا غِشَاءُ<sup>(٣)</sup>، وَطَالَمَا  
أَخْرَزَتِ الْمُنَازِلَ، وَفَرَكَتِ الْمَغَازِلَ<sup>(٤)</sup>، وَأَخْتَقَتِ الْهَازِلَ، وَأَضْرَعَتِ الْفَنِيْقَ  
الْبَازِلَ<sup>(٥)</sup>، ثُمَّ إِنَّهَا الَّتِي تَقُولُ : أَنَا أَلْبَسُ وَأَجْلِسُ، فَأَطْلُبُ مَنْ يُطْلِقُ وَيَخْبِسُ<sup>(٦)</sup>.

ثُمَّ قَالَ فِي مَحَاسِنِ الْكَيْبِ : أَمَّا الْكَيْبُ، فَالْمَطِيَّةُ الْمَذَلَّةُ، وَاللَّهْنَةُ  
الْمُعْجَلَةُ<sup>(٧)</sup>، وَالْبُعْيَةُ الْمُسَهَّلَةُ، وَالطَّبَةُ الْمُعَلَّلَةُ<sup>(٨)</sup>، وَالْقَرِينَةُ الْمُتَحَبِّبَةُ،  
وَالْخَلِيلَةُ الْمُتَقَرَّبَةُ<sup>(٩)</sup>؛ وَالصَّنَاعُ<sup>(١٠)</sup> الْمُدَبَّرَةُ، وَالْفَطْنَةُ الْمُخْتَبِرَةُ؛ ثُمَّ إِنَّهَا  
عُجَالَةُ الرَّكَّابِ<sup>(١١)</sup>، وَأَنْشُوطَةُ الْحَاطِبِ<sup>(١٢)</sup>؛ وَقَعْدَةُ الْعَاجِزِ<sup>(١٣)</sup>، وَنَهْزَةُ

(١) عَرِيكْتُهَا : طَبِيعَتُهَا ؛ وَفُلَانٌ لَيْنٌ الْعَرِيكَةُ : إِذَا كَانَ لَيِّنَ الْخُلُقِ، سَلِسُهُ ؛ وَشَدِيدُ الْعَرِيكَةِ :  
إِذَا كَانَ شَدِيدَ النَّفْسِ أَيْبًا ؛ وَالْعَرِيكَةُ : النَّفْسُ، يُقَالُ : صَعِبَ الْعَرِيكَةُ وَسَهَّلَ الْعَرِيكَةُ،  
أَيُّ : النَّفْسِ .

(٢) لَيْلَاءُ : شَدِيدَةُ السَّوَادِ طَوِيلَةٌ .

(٣) الْخَبِيرَةُ : التَّجَرِبَةُ وَالْعِلْمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ ؛ وَالْغِشَاءُ : الْغِطَاءُ، أَيُّ : إِنْ أَلْبَسَ لَا يُعْرِفُ حَالَهَا  
كَالشَّيْءِ الَّذِي يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ حَاجِزٌ، فَلَا يُعْرِفُ إِلَّا بَعْدَ زَوَالِهِ، وَذَلِكَ بِطَوْلِ  
الْمُعَاشَرَةِ .

(٤) فَرَكَتِ : أَبْغَضَتْ ؛ وَالْمَغَازِلُ : الْمُحَادِثُ لَهَا الْمُمَارِجُ .

(٥) الْفَنِيْقُ الْبَازِلُ، يُرِيدُ : الرَّجُلُ الْمُجَرَّبُ، وَأَصْلُ الْفَنِيْقِ : الْفَخْلُ مِنَ الْإِبِلِ ؛ وَالْبَازِلُ :  
الَّذِي طَعَنَ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ .

(٦) أَيُّ : أَطْلُبُ مَنْ لَهُ حَبْسٌ وَإِطْلَاقٌ وَنَفَادٌ وَتَصَرُّفٌ .

(٧) اللَّهْنَةُ : مَا يُعْمَلُ لِلصَّنْفِ قَبْلَ الْقُرَى .

(٨) وَالطَّبَةُ : الْخَبِيرَةُ ؛ وَالْمُعَلَّلَةُ : الَّتِي تُعْطِيكَ مَا تُرِيدُ مِنْهَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ .

(٩) الْخَلِيلَةُ : الزَّوْجَةُ .

(١٠) الصَّنَاعُ : الْحَاضِرَةُ بِالصَّنْعَةِ .

(١١) عُجَالَةُ الرَّكَّابِ : مَا يُعَجَّلُ لِلرَّكَّابِ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، مِثْلُ : التَّمْرِ وَالسَّوِيْقِ وَمَا لَا تَعَبَ  
فِي مُعَالَجَتِهِ .

(١٢) الْأَنْشُوطَةُ : عِقْدَةٌ تُحَلُّ بِسُهُولَةٍ .

(١٣) قَعْدَةُ الْعَاجِزِ، أَيُّ : مَطِيَّتُهُ، لِأَنَّ الْعَاجِزَ لَا يَقْدِرُ عَلَى تَزْوِجِ الْبَكْرِ .

الْمُبَارِزِ<sup>(١)</sup> ؛ عَرِيكَتُهَا لَيْتَةً<sup>(٢)</sup> ، وَعُقْلَتُهَا هَيْئَةً<sup>(٣)</sup> ؛ وَدَخَلْتُهَا مُتَّبِعَةً<sup>(٤)</sup> ، وَخَدَمْتُهَا مُزَيَّنَةً .

ثُمَّ قَالَ فِي مَسَاوِيهَا : هِيَ فُضَالَةٌ الْمَأْكَلِ<sup>(٥)</sup> ، وَثُمَالَةٌ الْمَنْهَلِ<sup>(٦)</sup> ، وَاللِّبَاسُ الْمُسْتَبْدَلُ ، وَالْوِعَاءُ الْمُسْتَعْمَلُ ؛ وَالذَّوْقَةُ الْمُنْتَطَرَفَةُ<sup>(٧)</sup> ، وَالْخَرَّاجَةُ الْمُنْتَصَرَفَةُ<sup>(٨)</sup> ؛ وَالْوَقَاحُ الْمُنْتَسَلِطَةُ<sup>(٩)</sup> ؛ وَالْمُخْتَكِرَةُ الْمُنْتَسَخِطَةُ<sup>(١٠)</sup> ؛ ثُمَّ كَلِمَتُهَا : كُنْتُ وَصِرْتُ<sup>(١١)</sup> ، وَطَالَمَا بُغِيَ عَلَيَّ فَصِرْتُ<sup>(١٢)</sup> ؛ وَشَتَانٌ بَيْنَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ ، وَأَيْنَ الْقَمَرُ مِنَ

- (١) التُّهْزَةُ : الْغَنِيمَةُ السَّهْلَةُ ، وَالْفُرْصَةُ .
- (٢) عَرِيكَتُهَا لَيْتَةٌ ، يُرِيدُ : إِنَّ طَبِيعَتَهَا سَهْلَةٌ لَيْتَةٌ ، وَأَصْلُ الْعَرِيكََةِ : سَنَامُ الْبَعِيرِ ، وَكَانُوا يَغْمِدُونَ إِلَى الْبَعِيرِ إِذَا كَانَ فِيهِ شِمَاسٌ وَأَمْتِنَاعٌ فَيَقْطَعُونَ مِنْ حَوِيَّتِهِ ، وَهِيَ مُزْتَفَعَةٌ يَضْعُبُ الرُّكُوبُ عَلَيْهَا ، فَإِذَا قُطِعَ مِنْهَا سَكَنَ الْبَعِيرُ وَلَانَ وَيُوطَأُ مَوْضِعُ الرُّكُوبِ مِنْهُ ، فَيَقَالُ : قَدْ لَانَتْ عَرِيكَتُهُ .
- (٣) عُقْلَتُهَا : حَبَسْتُهَا ؛ يُرِيدُ : إِنَّ مَا يَغْقِلُهَا بِهِ رَوْجُهَا شَيْءٌ هَيِّنٌ .
- (٤) دَخَلْتُهَا : بَاطِنُ أَمْرِهَا ؛ وَمُتَّبِعَةٌ : ظَاهِرَةٌ ؛ يُرِيدُ : إِنَّ شَرَّهَا ظَاهِرٌ .
- (٥) فُضَالَةٌ : بَقِيَّةٌ .
- (٦) ثُمَالَةُ الْمَنْهَلِ : بَقِيَّةُ الْمَاءِ .
- (٧) الذَّوْقَةُ : الَّتِي تَذُوقُ طَرَفَ الشَّيْءِ . وَتَرْكُهُ ، أَوْ تَذُوقُ بِطَرَفٍ لِسَانِهَا ثُمَّ تَبْصُقُهُ ؛ وَالْمُنْتَطَرَفَةُ ، مِنْ تَطَرَّفَتِ الثَّاقَةُ : رَعَتْ بِأَطْرَافِ الْمَرْعَى ، يُرِيدُ : إِنَّهَا لَا تُبْقِي عَلَى زَوْجٍ وَاحِدٍ ، إِنَّمَا هِيَ تَذُوقُ كُلَّ زَوْجٍ وَتَجْرِبُ لَذَّةَ مُبَاشَرَتِهِمْ .
- (٨) الْخَرَّاجَةُ : الْكَثِيرَةُ الْخُرُوجُ ، وَالْمُنْتَصَرَفَةُ : الْجَوَالَةُ .
- (٩) الْوَقَاحُ : الْقَلِيلَةُ الْحَيَاةِ ؛ وَالْمُنْتَسَلِطَةُ مِنَ السَّلَاطَةِ ، وَامْرَأَةٌ سَلِيطَةٌ : صَحَابَةٌ .
- (١٠) الْمُخْتَكِرَةُ : الَّتِي تَسْرِقُ مَالَ زَوْجِهَا ثُمَّ تَخْتَكِرُهُ ، أَيْ : تَذْخِرُهُ ، فَإِذَا أَحْتَاجَ زَوْجُهَا لِشِرَائِهِ أَخَذَتْ مِنْهُ ثَمَنَ مَا عِنْدَهَا مُحْتَكِرًا .
- (١١) تُخَاطَبُ بِذَلِكَ زَوْجِهَا ، أَيْ : كُنْتُ فِي نِعْمَةٍ مَعَ الزَّوْجِ الْأَوَّلِ وَأَنَا مَعَكَ فِي شَقَاءٍ .
- (١٢) بُغِيَ عَلَيَّ ، أَيْ : ظَلِمْتُ .



الشَّمْسُ<sup>(١)</sup> ؛ وَإِنْ كَانَتْ الْحَنَانَةُ الْبُرُوكَ<sup>(٢)</sup> ، وَالطَّمَّاحَةُ الْهَلُوكَ<sup>(٣)</sup> ؛ فَهِيَ الْعُلُّ الْقَمِلُ<sup>(٤)</sup> ، وَالْجُرْحُ الَّذِي لَا يَنْدَمِلُ<sup>(٥)</sup> .

\* \* \*

١٣٧٤ - وَمِنْ طَرَفِهِمْ فِي هَذَا أَلْبَابِ مَا أوردَهُ ابْنُ قَيْمٍ الْجَوَازِيَّةُ [ بَلْ هُوَ ابْنُ الْجَوَازِيِّ ] فِي كِتَابِ « الْمَغْقَلِينَ » ، وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا اشْتَرَى جَارِيَةً عَلَى أَنَّهَا بِكَرٌ ، وَحَمَلَهَا إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَذَكَرَ لَهُ نِسَاؤُهُ أَنَّهَا تَيْبٌ ، فَاخْتَصَمَ فِيهَا مَعَ الْبَائِعِ ؛ فَأَمَرَ الْقَاضِي أَنْ تُوَضَعَ عِنْدَ أَمِينٍ ، إِلَى أَنْ يَكْشِفَ الْقَوَابِلُ أَمْرَهَا ، فَأُودِعَتْ عِنْدَ إِمَامِ الْمَسْجِدِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ الْإِمَامُ وَصَلَ إِلَى الْقَاضِي وَهُوَ يَتَأَوَّهُ وَيَقُولُ : ذَهَبَتِ الْأَمَانَةُ مِنَ النِّسَاءِ ؛ فَسَأَلَهُ الْقَاضِي عَنْ قَضِيَّتِهِ ، فَقَالَ : إِنَّ مُشْتَرِيَ الْجَارِيَةِ قَدْ أَطْمَأَنَّ إِلَى بَائِعِهَا وَأَخَذَهَا مِنْهُ عَلَى أَنَّهَا بِكَرٌ ، فَخَدَعَهُ فِيهَا وَخَانَهُ ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُهَا الْبَارِحَةَ فَوَجَدْتُهَا ثَيِّبًا وَاسِعَةً . . . فَمَنْ ذَا الَّذِي يُوثِقُ بِهِ ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي يُزَكِّنُ إِلَيْهِ !

\* \* \*

- (١) وَشَتَانٌ : بَعْدُ ؛ وَالْيَوْمُ وَالْأَمْسُ : الزَّوْجُ الْحَاضِرُ مَعَهَا وَالزَّوْجُ الْمَفْقُودُ ، وَهُوَ الَّذِي أَرَادَ بِالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ .
- (٢) الْحَنَانَةُ : ذَاتُ الْوَلَدِ مِنْ زَوْجِهَا الْأَوَّلِ ، فَمَتَى رَأَتْ وَلَدَهَا حَنَّتْ لِوَالِدِهِ ؛ وَالْبُرُوكُ : الَّتِي تَتَزَوَّجُ وَلَهَا وَلَدٌ كَبِيرٌ بِالْبُحْ .
- (٣) الطَّمَّاحَةُ : الَّتِي فَارَقَهَا زَوْجُهَا فَتَطْمَحُ لَهُ أَبَدًا ، وَتَتَهَالَكُ فِي مَحَبَّتِهِ ، أَوِ الَّتِي تَطْمَحُ إِلَى كُلِّ شَهْوَةٍ ؛ وَالْهَلُوكُ : الْفَاجِرَةُ .
- (٤) الْعُلُّ : الْقَيْدُ الَّذِي يَقْتَدُ بِهِ الْأَسِيرُ ، أَيْ : يُوضَعُ فِي عُنُقِهِ وَيَدَيْهِ ؛ وَالْقَمِلُ : الَّذِي كَثُرَ فِيهِ الْقَمْلُ .
- (٥) لَا يَنْدَمِلُ : لَا يَبْرَأُ .

١٣٧٥ - وَمِنْ هَذِهِ الطَّرَفِ مَا رَوَاهُ الْجَا حِظُّ فِي « الْبَيَانِ » ، قَالَ : تَزَوَّجَ مُعَاوِيَةُ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بَعْضَ بَنَاتِ الْأَشْرَافِ ، وَكَانَتْ بِكْرًا ، فَافْتَضَّهَا ، فَلَمَّا أَضْبَحَ ، قَالَ لِأَبِيهَا عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ : مَا أَرْتَنَا أَبْنَتُكَ الْبَارِحَةَ دَمًا ! فَاسْتَحْيَا ، وَقَالَ : إِنَّهَا مِنْ نِسَاءِ يَخْبَانُ ذَلِكَ لِأَزْوَاجِهِنَّ . . . . وَمُعَاوِيَةُ هَذَا هُوَ شَقِيقُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، أُمُّهُمَا عَائِشَةُ بِنْتُ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، وَكَانَ يُحَمِّقُ ، وَهُوَ الَّذِي رَأَى جَرَسًا عَلَى بَعْضِ دَوَابِّ الطَّخَنِ ، فَسَأَلَ رَبَّ الدَّابَّةِ عَنْ ذَلِكَ ! فَقَالَ : رُبَّمَا أَذْرَكْتَنِي نَعْسَةً ، فَإِذَا لَمْ أَسْمَعْ صَوْتَ الْجَرَسِ عَلِمْتُ أَنَّهَا قَدْ وَقَفَتْ ، فَصِخْتُ بِهَا ؛ قَالَ : فَإِنْ وَقَفَتْ وَحَرَكْتَ رَأْسَهَا هَكَذَا - وَجَعَلَ مُعَاوِيَةُ يُحَرِّكُ رَأْسَهُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً . . . ! فَقَالَ : وَمَنْ لِدَابَّتِي بِمِثْلِ عَقْلِ الْأَمِيرِ . . . !

\* \* \*

١٣٧٦ - وَمِمَّا يَتَّصِلُ بِهَذَا الْأَبَابِ ذَلِكَ التَّشْبِيهُ الْبَدِيعُ لِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ [من

الوافر] :

تَظَلُّ الشَّمْسُ تَزْمُقُنَا بِطَرْفٍ      خَفِي لَحْظُهُ مِنْ تَحْتِ سِتْرِ  
تُحَاوِلُ فَتَقَ غَيْمٍ وَهُوَ يَأْبَى      كَعَيْنٍ يُحَاوِلُ فَتَقَ بِكْرِ

\* \* \*

١٣٧٧ - وَمِمَّا لَهُ تَعَلَّقُ بِهَذَا الْأَبَابِ قَوْلُ بَشَّارٍ أَوْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَرَمَةَ [من

المتقارب] :

أَبُو ثَابِتٍ يَشْهَى الْمَدِيحَ      وَيَزْغَبُ عَنْ صِلَةِ الْمَادِحِ  
كَبِكْرِ تُحِبُّ لَذِيذَ النِّكَاحِ      وَتَزْهَبُ مِنْ صَوْلَةِ النَّكَاحِ

\* \* \*

١٣٧٨ - وَقَدْ كَرَّرَ ابْنُ هَزْمَةَ هَذَا الْمَعْنَى ، فَقَالَ يَهْجُو الْعَبَّاسَ بْنَ الْوَلِيدِ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ لَا يُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَ أَحَدًا شَيْئًا ، وَكَانَ يُنْكِرُ عَلَى الشُّعْرَاءِ عَدَمَ مَدْحِهِمْ إِيَّاهُ<sup>(١)</sup> [من البسيط] :

فَأَنْتُ وَالْمَدْحُ كَالْعَذْرَاءِ يُعْجِبُهَا مَسُّ الرِّجَالِ وَيَنْبِي قَلْبَهَا الْفَرْقُ

\* \* \*

١٣٧٩ - وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ صَاحِبِ « الْإِعْقَدِ » [من الوافر] :

نَهَارٌ لَاحَ فِي سِرْبَالٍ لَيْلٍ      فَمَا عُرِفَ الرَّوَاحُ مِنَ الْبُكُورِ  
وَعَيْنُ الشَّمْسِ تَزْنُو مِنْ بَعِيدٍ      رُنُوءُ الْيَكْرِ مِنْ خَلْفِ الشُّثُورِ

\* \* \*

١٣٨٠ - وَرَأَى الْقَاسِمُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ جَارِيَةً ، فَعَشِقَهَا ، وَلَمْ يَزَلْ يَسْعَى فِي تَمْلِكِهَا إِلَى أَنْ اشْتَرَاهَا ، فَلَمَّا هَيَّئَتْ لَهُ وَعَزَمَ عَلَيْهَا أَفْتِضَاضَهَا - وَكَانَتْ بِكَرًا - أَذْرَكَهَا الْحَيْضُ ، فَأَعْلَمَتْهُ بِذَلِكَ ، فَكَفَتْ عَنْهَا ، وَأَعْلَمَ بِذَلِكَ أَبَا إِسْحَاقَ الرَّجَّاجَ النَّخْوِيُّ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَنْظُمَ فِي ذَلِكَ شِعْرًا ، فَقَالَ [من المديد] :

فَارِسٌ مَاضٍ بِحَزَنَتِهِ      دَرَبٌ بِالطَّغْنِ فِي الظُّلَمِ  
رَامَ أَنْ يُذْمِيَ فَرِيستَهُ      فَأَتَقَتْهُ مِنْ دَمٍ بِدَمِ

\* \* \*

وَمِنْ كِنَايَاتِهِمْ :

١٣٨١ - تَقُولُ الْعَرَبُ : بَاتَتْ فُلَانَةٌ بِلَيْلَةِ حُرَّةٍ ؛ يَعْنُونَ أَنَّهَا لَمْ تُمْكِّنْ

(١) أَنْظَرِ « الْأَغَانِي » ج ٦ / ص ١٠٢ .

رَوْجَهَا مِنْ أَفْتِضَاضِهَا فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي رُفَّتْ فِيهَا ، أَوْ لَمْ يَقْدِرْ بَعْلُهَا عَلَى  
أَفْتِضَاضِهَا ؛ قَالَ النَّابِغَةُ يَصِفُ نِسَاءً :

شُمُسٌ مَوَانِعُ كُلِّ لَيْلَةٍ حُرَّةٍ يُخْلِفْنَ ظَنَّ الْفَاحِشِ الْمِغْيَارِ<sup>(١)</sup>  
قالوا : فَإِنْ أَفْتَضَّهَا رَوْجُهَا فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي رُفَّتْ إِلَيْهِ فَهِيَ بِلَيْلَةٍ شَبَاءٌ ؛ قَالَ  
الزَّمْخَشَرِيُّ فِي « آسَاسِ الْبَلَاغَةِ » : وَبَاتَتْ بِلَيْلَةٍ شَبَاءٌ : إِذَا غَلَبَهَا عَلَى نَفْسِهَا  
الزَّوْجُ لَيْلَةً هِدَائِهَا - زَفَافُهَا - كَأَنَّهَا دُهِيتُ بِأَمْرِ شَدِيدٍ تَشِيبُ مِنْهُ الذَّوَابُّ ، وَجَاءَ  
فِي « اللَّسَانِ » مَا يُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّ يَاءَ شَبَاءٍ بَدَلٌ مِنْ وَاوٍ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ لِأَنَّ مَاءَ  
الرَّجُلِ شَابَ مَاءَ الْمَرْأَةِ .

\* \* \*

١٣٨٢ - وَعَرِضَ عَلَى رَجُلٍ جَارِيَتَانِ ، إِحْدَاهُمَا بِكَرٍّ وَالْأُخْرَى ثَيِّبٌ ،  
فَمَالَ إِلَى الْبَكْرِ وَرَغِبَ عَنِ الثَّيِّبِ ، فَقَالَتِ الثَّيِّبُ : لِمَ رَغِبْتَ عَنِّي بِهَا دُونِي  
وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَهَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ ؟ فَقَالَتِ الْبَكْرُ : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ  
مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [٢٢ سورة الحج/ الآية : ٤٧] .

\* \* \*

١٣٨٣ - وَمِنْ طَرِيفِ كِنَايَاتِهِمْ عَنِ أَفْتِضَاضِ الْعُذْرَةِ مَا يُرَوَى فِي أَخْبَارِ  
بَشَّارِ بْنِ بُزْدٍ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ مَنصُورِ الْحِمَيْرِيِّ دَخَلَ عَلَى الْمَهْدِيِّ - الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ  
وَالِدِ مُوسَى الْهَادِي وَهَارُونَ الرَّشِيدِ - وَبَشَّارٌ بَيْنَ يَدَيْهِ يُنْشِدُهُ قَصِيدَةً أَمْتَدَحَهُ  
بِهَا ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ يَزِيدُ - وَكَانَتْ فِيهِ غَفْلَةٌ - فَقَالَ لَهُ : يَا شَيْخُ !

(١) الْفَاحِشُ : الْبَخِيلُ ، أَوْ ذُو الْفُحْشِ وَالْحَنَّا ؛ وَالْمِغْيَارُ : الشَّدِيدُ الْغَيْرَةُ ؛ وَمِنْ شَأْنِ الْفَاحِشِ  
الْمِغْيَارِ سُوءُ الظَّنِّ بِالنِّسَاءِ ، فَهَؤُلَاءِ النِّسَاءُ يُخْلِفْنَ ظَنَّهُ ، لِأَنَّهُنَّ عَفِيفَاتٌ ؛ وَشُمُسٌ ، جَمْعُ  
شَمْسٍ ، وَالشَّمْسُ مِنْ النِّسَاءِ : الَّتِي لَا تَطَالُعُ الرِّجَالُ وَلَا تَطْمِعُهُمْ .

مَا صِنَاعَتُكَ ؟ فَقَالَ : أَتَقْبُ اللَّؤْلُؤُ ؛ فَضَحِكَ الْمَهْدِيُّ ، ثُمَّ قَالَ لِبَشَارَ : أَغْزَبَ  
وَيْلَكَ ! أَتَتَنَادَرُ عَلَى خَالِي ! فَقَالَ بَشَارُ : وَمَا أَصْنَعُ بِهِ ! يَرَى شَيْخًا أَعْمَى يُنْشِدُ  
الْخَلِيفَةَ شِعْرًا وَيَسْأَلُهُ عَنْ صِنَاعَتِهِ ! .

\* \* \*

١٣٨٤ - وَقَالَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ لِأَبِي الْعَلَاءِ الْأَسَدِيِّ وَقَدْ دَخَلَ بِأَهْلِهِ ،  
مِنْ أَبْيَاتٍ [من السريع] :

وَقَدْ مَضَى يَوْمَانِ مِنْ شَهْرِنَا      فَقُلْ لَنَا : هَلْ تُقَبِّبُ الدُّرُّ ؟

\* \* \*

١٣٨٥ - وَقَالَ أَيْضًا [من السريع] :

قَلْبِي عَلَى الْجَمْرَةِ يَا أَبَا الْعَلَا      فَهَلْ فَتَحْتَ الْمَوْضِعَ الْمُقْفَلَا  
وَهَلْ فَكَّكَتِ الْكَيْسَ عَنْ خَتَمِهِ      وَهَلْ كَحَلَّتِ النَّاطِرَ الْأَخْوَلَا

\* \* \*

الْمُهْوَرُّ :

١٣٨٦ - قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ

فَقَسَا فَاكْلُوهُ هَبْنِي مَرِيئًا ﴾ [٤ سورة النساء/ الآية : ٤] .

صَدُقَاتِهِنَّ : مُهُورُهُنَّ ؛ وَنِحْلَةً ، مِنْ نَحْلِهِ كَذَا : إِذَا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَوَهَبَهُ لَهُ  
عَنْ طَيِّبَةِ نَفْسٍ ، وَنَضَبُهُ عَلَى الْمَصْدَرِ ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ : وَأَنْحِلُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ  
نِحْلَةً ، أَيِ : أَعْطُوهُنَّ مُهُورَهُنَّ عَنْ طَيِّبَةِ نَفْسٍ .

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : هِيَ نِحْلَةٌ مِنَ اللَّهِ لِلنِّسَاءِ ، أَنْ جَعَلَ عَلَى الرَّجُلِ  
الصَّدَاقَ وَلَمْ يَجْعَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ شَيْئًا مِنَ الْغُرْمِ ، وَالْمُخَاطَبُ بِهَذِهِ الْآيَةِ

الْأُولِيَاءُ ، وَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا يُعْطُونَ النِّسَاءَ مِنْ مُهُورِهِنَّ شَيْئًا ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَقُولُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لِلرَّجُلِ إِذَا وُلِدَتْ لَهُ بِنْتُ : هَيْنَا لَكَ النَّافِجَةُ ، أَيْ : الْمُعْظَمَةُ لِمَالِكَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَزَوِّجُهَا فَيَأْخُذُ مَهْرَهَا مِنَ الْإِبِلِ فَيَضُمُّهَا إِلَى إِبِلِهِ ، فَيَنْفُجُهَا ، أَيْ : يُكَثِّرُهَا ، وَيُقَالُ لِلْإِبِلِ الَّتِي يَرْنُهَا الرَّجُلُ فَتَكْثُرُ بِهَا إِبِلُهُ : نَافِجَةٌ ؛ وَقِيلَ : الْخِطَابُ لِلزَّوْجِ ، أَيْ : أَذْوَ الْمُهُورِ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْكُمْ كَمَا تَطْيِبُونَ نَفْسًا بِسَائِرِ الْمُعَارِضَاتِ ، ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ : فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُّوهُ ، فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي أَنَّ الْمَالِكَةَ لِأَمْرِ نَفْسِهَا إِذَا وَهَبَتْ مَهْرَهَا لِزَوْجِهَا يُنْفَذُ عَنْهَا وَلَا رُجُوعَ لَهَا فِيهِ ، إِلَّا مَا رَوَى عَنِ الْقَاضِي شَرِيحٍ أَنَّهُ رَأَى أَنَّ لَهَا الرُّجُوعَ فِي ذَلِكَ ، قَالَ : فَإِنَّهَا لَوْ طَابَتْ بِهِ نَفْسًا لَمْ تُطَالِبْ بِهِ . ( أَنْظَرُ كُتُبَ الْفِقْهِ ) .

\* \* \*

١٣٨٧ - وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَاتٍ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهَيْئَتِنَا وَإِنَّمَا مِثْلُنَا ۝ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِثْلَهَا غُلِظًا ۝ ﴾ [٤ سورة النساء/ الآيتان : ٢٠ و ٢١] .

قَالَ عُلَمَاؤُنَا : هَذَا إِذَا لَمْ يَكُنْ بِمُرَادِهِنَّ وَأَخْتِيَارِهِنَّ ، وَأَمَّا إِذَا طَبِنَ بِهِ نَفْسًا فَيَجُوزُ لَهُمْ أَخْذُهُ كَمَا تَقَدَّمَ ، هَذَا ؛ وَقَدْ رَوَوْا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَامَ خَطِيبًا عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ! لَا تَغَالُوا بِبِصْدَاقِ النِّسَاءِ ، فَلَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ لَكَانَ أَوْلَاكُمْ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، مَا أَصْدَقَ أَمْرًا مِنْ نِسَائِهِ أَكْثَرَ مِنْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً - ٤٨٠ ذِرْهَمًا<sup>(١)</sup> فَقَامَتْ إِلَيْهِ

(١) يعادل الدرهم ٢,٨ غرام ، فيكون ٤٨٠ × ٢,٨ = ١٣٤٤ غراماً فضةً .

أَمْرًا ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! لِمَ تَمْنَعُنَا حَقًّا جَعَلَهُ اللَّهُ لَنَا ؟ وَاللَّهُ يَقُولُ : ﴿وَمَا تَيْسَتْ إِحَدُهُنَّ قِنطَارًا﴾ [٤ سورة النساء/ الآية : ٢٠] ؟ فَقَالَ عُمَرُ : كُلُّ أَحَدٍ أَعْلَمُ مِنْ عُمَرَ ! ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : تَسْمَعُونَنِي أَقُولُ مِثْلَ هَذَا الْقَوْلِ فَلَا تُنْكِرُونَهُ عَلَيَّ حَتَّى تَرُدَّ عَلَيَّ أَمْرًا لَيْسَتْ مِنْ أَعْلَمِ النِّسَاءِ !

قَالَ الْغَزَالِيُّ : وَهَذَا لَمْ يَقُلْهُ عُمَرُ عَلَى وَجْهِ التَّخْرِيمِ ، وَلَكِنْ عَلَى وَجْهِ النَّذْبِ وَالتَّعْلِيمِ ، قَالَ : وَقَدْ تَنَاهَى النَّاسُ فِي الصَّدَقَاتِ حَتَّى بَلَغَ صَدَاقُ أَحَدِهِمْ أَلْفَ أَلْفٍ ، وَهَذَا قَلَّ أَنْ يُوجَدَ مِنْ حَلَالٍ . . .

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ : لَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ لَا حَدٌّ لِأَكْثَرِ الصَّدَاقِ ؛ وَأَمَّا أَقْلُهُ ، فَقَالَ مَالِكٌ : لَا يَجُوزُ النِّكَاحُ بِأَقَلِّ مِنْ رُبْعِ دِينَارٍ ؛ وَهَذَا مِمَّا تَفَرَّدَ بِهِ مَالِكٌ ، وَكَافَّةُ الْعُلَمَاءِ عَلَى جَوَازِهِ بِمَا تَرَضَى عَلَيْهِ الزَّوْجَانِ أَوْ مَنْ لَهُ الْعَقْدُ مِمَّا فِيهِ مَنَفَعَةٌ وَإِنْ كَانَتْ قِيمَتُهُ أَقَلَّ مِنْ دِرْهَمٍ ، وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ وَرَبِيعَةَ الرَّائِي وَأَبْنِ أَبِي الزَّنَادِ وَالْأَوْزَاعِيِّ وَدَاوُدَ الظَّاهِرِيِّ وَفَقَهَاءَ الْحَدِيثِ ، مَعَ اسْتِخْبَابِ بَعْضِهِمْ أَنْ يَكُونَ الْمَهْرُ مِمَّا لَهُ بَالٌ ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ : أَقْلُهُ عَشْرَةُ دَرَاهِمٍ ، وَقَالَ ابْنُ شُبْرُمَةَ : أَقْلُهُ خَمْسَةُ دَرَاهِمٍ ؛ وَكَرِهَ النَّخَعِيُّ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِأَقَلِّ مِنْ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا . ( انْظُرْ كُتُبَ الْفِقْهِ ) .

\* \* \*

١٣٨٨ - وَقَالَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُنَّ مُؤُونَةً »

[الجامع الصغير ، رقم : ١١٨٧] .

\* \* \*

١٣٨٩ - وَقَالَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ : « تَيَاسَرُوا فِي الصَّدَاقِ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ

لَيُعْطِيَ الْمَرْأَةَ حَتَّى يُبْقِيَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ حَسِينَةً » [كنز العمال ، رقم : ٤٤٧٣١] .

حَسِيكَةً ، أَيْ : عِدَاوَةً وَحِقْدًا .

\* \* \*

١٣٩٠ - وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ : أَوَّلُ سُؤْمِ الْمَرْأَةِ كَثْرَةُ صَدَاقِهَا .

\* \* \*

١٣٩١ - وَسَأَلَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : كَمْ كَانَ صَدَاقُ النَّبِيِّ ﷺ لِأَزْوَاجِهِ ؟ قَالَتْ : كَانَ صَدَاقُهُ ثِنْتِي عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَنَشًا ، قَالَتْ : وَالنَّشُ : نِصْفُ أُوقِيَّةٍ . [مسلم ، رقم : ١٤٢٦ ؛ النسائي ، رقم : ٣٣٤٧ ؛ أبو داود ، رقم : ٢١٠٥ ؛ ابن ماجه ، رقم : ١٨٨٦ ؛ « مسند أحمد » ، رقم : ٢٤١٠٥ ؛ الدارمي ، رقم : ٢١٩٩] .

قَالَ الْإِمَامُ الْجَوْهَرِيُّ : النَّشُ : عِشْرُونَ دِرْهَمًا ، وَهُوَ نِصْفُ أُوقِيَّةٍ ، لِأَنَّهُمْ يُسَمُّونَ الْأَرْبَعِينَ دِرْهَمًا أُوقِيَّةً ، وَيُسَمُّونَ الْعِشْرِينَ نَشًا ، وَيُسَمُّونَ الْخَمْسَةَ نَوَآةً .

أَقُولُ : وَلَا يُغْتَرَضُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ بِالْحَدِيثِ الَّذِي يُرَوَّى عَنِ الزُّهْرِيِّ ، أَنَّ النَّجَاشِيَّ زَوَّجَ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ وَأَمَّهَرَهَا عَنْهُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ دِرْهَمًا ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَبِلَهُ ؛ فَإِنَّ هَذَا شَيْءٌ فَعَلَهُ النَّجَاشِيُّ وَتَطَوَّعَ بِهِ مِنْ مَالِهِ وَلَمْ يَتَدَبَّطْهُ النَّبِيُّ وَلَا أَذَاهُ مِنْ مَالِهِ .

\* \* \*

١٣٩٢ - وَرَوَى أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً عَلَى وَزْنِ نَوَآةٍ ، فَرَأَى النَّبِيُّ بِشَاشَةِ الْعُرْسِ ، فَسَأَلَهُ ؟ فَقَالَ : تَزَوَّجْتُ عَلَى وَزْنِ نَوَآةٍ . [البخاري ، رقم : ٥٠٧٢ ؛ مسلم ، رقم : ١٤٢٧] .

النَّوَّاةُ : خَمْسَةُ دَرَاهِمٍ كَمَا تَقَدَّمَ .

\* \* \*



١٣٩٣ - وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنِّي تَزَوَّجْتُ  
 أَمْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ ؛ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ : « هَلْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا ؟ » قَالَ : قَدْ  
 نَظَرْتُ ؛ قَالَ : « عَلَى كَمْ تَزَوَّجْتَهَا ؟ » قَالَ : عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ ؛ فَقَالَ  
 النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ ؟ لَكَاثِمًا تَنَحُّتُونَ الْفِضَّةَ مِنْ عُرْضِ  
 هَذَا الْجَبَلِ ! مَا عِنْدَنَا مَا نُعْطِيكَ ، وَلَكِنْ عَسَى أَنْ نَبْعَثَكَ فِي بَعْثٍ تُصِيبُ  
 مِنْهُ » ، فَبَعَثَ بَعْثًا إِلَى بَنِي عَبْسٍ بُعِثَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فِيهِمْ . [مسلم ، رقم : ١٤٢٤ ؛  
 النسائي ، رقم : ٢٢٣٤ ؛ « مسند أحمد » ، رقم : ٧٧٨٣ و ٧٩١٩] .

\* \* \*

١٣٩٤ - وَأَصْدَقَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَاطِمَةَ بِنْتَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ دِرْعًا مِنْ  
 حَدِيدٍ .

وَهَذِهِ الدَّرْعُ هِيَ دِرْعُهُ الْمَعْرُوفَةُ بِالْحُطَمِيَّةِ ، نِسْبَةً إِلَى بَطْنٍ مِنْ عَبْدِ  
 الْقَيْسِ ، يُقَالُ لَهُمْ : حُطَمَةٌ بَنُ مُحَارِبٍ كَانُوا يَعْمَلُونَ الدَّرُوعَ ، وَالْحُطَمِيَّةُ أَيْضًا  
 هِيَ الَّتِي تَحْطِمُ السُّيُوفَ ، أَيْ تَكْسِرُهَا ، وَقَدْ بَاعَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ هَذِهِ الدَّرْعَ  
 بِأَرْبَعِ مِئَةٍ وَثَمَانِينَ دِرْهَمًا وَزَوَّجَ عَلِيًّا عَلَيْهَا .

\* \* \*

١٣٩٥ - وَقَالَ رَجُلٌ لِحَكِيمٍ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَزَوَّجَ ؟ فَقَالَ : كَمْ الْمَهْرُ ؟  
 قَالَ : مِئَةٌ دِينَارٍ ؛ قَالَ : لَا تَفْعَلْ ، تَزَوَّجْ بِعِشْرَةِ دَنَانِيرٍ فَإِنْ وَافَقَتْكَ رَبِحْتَ  
 تِسْعِينَ ، وَإِنْ لَمْ تُوَافِقْكَ تَزَوَّجْتَ بِعِشْرَةِ أُخْرَى ، وَلَا بُدَّ فِي عَشْرِ نِسْوَةٍ مِنْ أَمْرَأَةٍ  
 تُوَافِقُكَ .

\* \* \*

١٣٩٦ - وَتَزَوَّجَ مُضْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ سُكَيْنَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ وَعَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ ، فَأَمَهَرَ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَنَسُ بْنُ زُرَيْمٍ اللَّيْثِيُّ [من الكامل] :

أَبْلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً      مِنْ نَاصِحٍ لَكَ لَا يُرِيدُ خِدَاعًا  
بُضْعُ أَلْفَتَاةٍ بِأَلْفِ أَلْفٍ كَامِلٍ      وَتَبِيتُ حُرَّاسُ الثُّغُورِ جِيَاعًا !  
فَبَلَغَ ذَلِكَ أَخَا مُضْعَبٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ ، فَقَالَ : إِنَّ مُضْعَبًا قَدَّمَ أَيْرَهُ وَأَخَّرَ  
خَيْرَهُ ! وَكَتَبَ إِلَيْهِ يُؤْتِيهِ عَلَى مَا فَعَلَ ، وَيَأْمُرُهُ بِالشُّحُوصِ ، وَيُقْسِمُ عَلَيْهِ أَلَّا  
يَنْزِلَ بِمَكَّةَ وَلَا بِالْمَدِينَةِ ، وَأَنْ يَكُونَ نُزُولُهُ بِالْبَيْدَاءِ ، وَقَالَ : إِنِّي لَا رَجُو أَنْ  
يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُخَسِّفُ بِهِ فِي الْبَيْدَاءِ ؛ فَصَارَ إِلَيْهِ مُضْعَبُ يَتَرَضَّاهُ ، فَقَالَ :  
وَيْحَكَ يَا مُضْعَبُ ! أَرَأَيْتَ مَنْ صَنَعَ مَا صَنَعْتَ ! اتَّعَمَدُ إِلَى مَالِ اللَّهِ فَتَمَهَرُ مِنْهُ  
عَائِشَةُ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ! أَتُرَاكَ تَغْرِفُ مِنْ بَحْرِ ! فَلَانَ لَهُ مُضْعَبُ ، وَقَالَ : قَدْ  
كَانَ مَا كَانَ ؛ فَتَعَاوَلَ عَنْهُ ، وَعَادَ مُضْعَبُ إِلَى عَمَلِهِ وَدَخَلَ بِعَائِشَةَ . . . وَكَانَ  
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ بَخِيلًا ، وَلَمْ يَكُنْ فِي آلِ الزُّبَيْرِ جَوَادٌ غَيْرَ مُضْعَبٍ .

\* \* \*

نَظَرُ الرَّجُلِ إِلَى الْمَرْأَةِ الَّتِي يُرِيدُ تَزَوُّجَهَا :

١٣٩٧ - قَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ : خَطَبْتُ أَمْرَأَةً عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،  
فَقَالَ لِي : « أَنْظَرْتِ إِلَيْهَا ؟ » قُلْتُ : لَا ؛ قَالَ : « فَانْظُرِي إِلَيْهَا ، فَإِنَّهُ أُخْرَى أَنْ  
يُؤَدَّمَ بَيْنَكُمَا » [الترمذي ، رقم : ١٠٨٧ ؛ النسائي ، رقم : ٢٢٣٥ ؛ ابن ماجه ، رقم : ١٨٦٦ ؛

« مسند أحمد » ، رقم : ١٧٦٧١ و ١٧٦٨٨ ؛ الدارمي ، رقم : ٢١٧٢ ] .

أَنْ يُؤَدَّمَ بَيْنَكُمَا ، أَيْ : تَكُونُ بَيْنَكُمَا الْمَحَبَّةُ وَالْإِتِّفَاقُ ، يُقَالُ : أَدَمَ اللَّهُ

بَيْنَهُمَا يَأْدُمُ أَدَمًا ، أَنِي : أَلْفَ وَوَقَّ ، وَيُقَالُ : آدَمُ بَيْنَهُمَا يُؤْدِمُ إِدَمًا أَيْضًا ،  
فَعَلَ وَأَفْعَلَ بِمَعْنَى .

\* \* \*

١٣٩٨ - وَقَالَ الْغَزَالِيُّ : كَانَ بَعْضُ الْمُتَوَرِّعِينَ لَا يُنْكِحُونَ كَرَائِمَهُمْ إِلَّا  
بَعْدَ النَّظَرِ أَخْتِرَازًا مِنَ الْغُرُورِ - يُرِيدُ الْخِدَاعَ - وَقَالَ الْأَعْمَشُ : كُلُّ تَزْوِيجٍ يَقَعُ  
عَلَى غَيْرِ نَظَرٍ فَآخِرُهُ هَمٌّ وَغَمٌّ ، وَهُوَ مَعْلُومٌ أَنَّ النَّظَرَ لَا يَعْرِفُ الْخُلُقَ وَالَّذِينَ  
وَالْمَالُ ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُ الْجَمَالَ مِنَ الْقُبْحِ ، فَيَسْتَحِبُّ إِزَالََةَ الْغُرُورِ - الْخِدَاعَ - فِي  
الْجَمَالِ بِالنَّظَرِ ، وَفِي الْخُلُقِ بِالْوَصْفِ وَالْأَسْتِصَافِ ، وَمِنْ ثَمَّ يَنْبَغِي أَنْ يُقَدَّمَ  
ذَلِكَ عَلَى النِّكَاحِ - الزَّوَاجِ - وَلَا يَسْتَوْصَفُ إِلَّا بِصِيرًا حَازِقًا خَيْرًا بِالظَّاهِرِ  
وَالْبَاطِنِ مِنْ أَحْوَالِهَا ، ذَا دِينَ ، لَا يَمِيلُ إِلَيْهَا فَيَفْرِطُ فِي الثَّنَاءِ ، وَلَا يَحْسُدُهَا  
فَيَقْصُرُ ، فَالطَّبَاعُ مَائِلَةٌ فِي مَبَادِي النِّكَاحِ وَوَصْفِ الْمُنْكَوْحَاتِ إِلَى الْإِفْرَاطِ  
وَالْتَفْرِيطِ ، وَقَلٌّ مَنْ يَصْدُقُ فِيهِ وَيَقْتَصِدُ ، وَالْخِدَاعُ أَغْلَبُ ، فَالْاِخْتِيَاظُ فِي ذَلِكَ  
فِي الْغَايَةِ مِنَ الْأَهَمِّيَّةِ .

\* \* \*

١٣٩٩ - قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَلَا يُحْتَاجُ فِي نَظَرِ الرَّجُلِ إِلَى الْمَرْأَةِ بَعْدَ عَزْمِهِ  
عَلَى نِكَاحِهَا وَخِطْبَتِهِ لَهَا إِلَى اسْتِئْذَانِهَا ، خِلَافًا لِمَالِكٍ ، فَإِنَّهُ شَرَطَ اسْتِئْذَانَهَا  
وَكَرِهَ أَنْ يَسْتَغْفِلَهَا مِنْ كُوءٍ وَنَحْوِهَا ، وَذَلِكَ سَدًّا لِلذَّرِيعَةِ ، وَهَذَا مِنْ أَصُولِ  
مَالِكٍ ، كَأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَتَسَبَّبَ بِهِ أَهْلُ الْفَسَادِ إِلَى الْأُطْلَاعِ عَلَى مَوَاضِعِ الْفِتَنِ ،  
فَإِذَا غُيِّرَ عَلَى أَحَدِهِمْ قَالَ : أَنَا خَاطِبٌ . . . وَأَقْتَصَرَ مَالِكٌ عَلَى جَوَازِ النَّظَرِ إِلَى  
الْوَجْهِ وَالْكَفَّيْنِ خَاصَّةً ، وَزَادَ أَبُو حَنِيفَةَ ظُهُورَ الْقَدَمَيْنِ عَلَى أَصْلِهِ فِي أَنَّهَا لَيْسَ  
عَلَيْهَا سِتْرُهُمَا فِي الصَّلَاةِ ، وَأَبَاحَ غَيْرُهُمَا النَّظَرَ إِلَى جَمِيعِ بَدَنِهَا مَا عَدَا

السَّوَّتَيْنِ ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ خَطَبَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ابْنَتَهُ  
أُمَّ كُلثُومَ ، فَذَكَرَ لَهُ صِغَرَهَا ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ رَدَّكَ ! فَعَاوَدَهُ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ :  
أَبْعَثْ بِهَا إِلَيْكَ ، فَإِنْ أَرْضَيْتَكَ فَهِيَ أَمْرَأَتُكَ ؛ فَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ ، فَكَشَفَ عَنْ  
سَاقَيْهَا ، فَقَالَتْ : مَهْ ! لَوْلَا أَنَّكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَلَطَمْتُ عَيْنَكَ ؛ وَكَانَتْ  
أُمَّ كُلثُومَ هَذِهِ وَلِدَتْ قَبْلَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ، وَأُمُّهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ،  
وَيَزِيدُ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ رُؤَاةُ الْأَخْبَارِ أَنَّهُ بَعَثَ إِلَيْهِ بِثَوْبٍ ، وَقَالَ لَهَا : قُولِي لَهُ :  
هَذَا هُوَ الَّذِي أَخْبَرَكَ عَنْهُ ؛ فَقَالَ لَهَا عُمَرُ : قُولِي لَهُ : رَضِينَا بِهِ ؛ فَلَمَّا أَذْبَرَتْ  
كَشَفَ عَنْ سَاقَيْهَا ، فَقَالَتْ لَهُ مَا تَقْدَمَ ، وَلَمَّا رَجَعَتْ إِلَى أَبِيهَا قَالَتْ : بَعَثَنِي  
إِلَى شَيْخٍ سُوءٍ فَعَلَّ كَذَا وَكَذَا ! فَقَالَ : هُوَ زَوْجُكَ يَا بَنِيَّةُ .

\* \* \*

١٤٠٠ - فَأَمَّا السَّوَّتَانِ ، فَلَا يُبَاحُ النَّظَرُ إِلَيْهِمَا إِلَّا مَا يُحْكِي عَنْ دَاوُدَ  
الظَّاهِرِيِّ مِنْ إِبَاحَةِ النَّظَرِ إِلَى سَائِرِ جَسَدِ الْمَخْطُوبَةِ حَتَّى إِلَى الْفَرْجِ ، وَهَذِهِ  
الرُّوَايَةُ إِنَّمَا حَكَاهَا عَنْهُ أَبُو حَامِدٍ الْأَسْفَرَايِينِيُّ ، وَلَمْ تُرَوْ عَنْ دَاوُدَ فِي كُتُبِ  
أَصْحَابِهِ ، وَالْأَدِلَّةُ الْمَنَاعَةُ مِنَ النَّظَرِ إِلَى الْعَوْرَةِ تَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ .

\* \* \*

١٤٠١ - وَلَا بَأْسَ أَنْ يَبْعَثَ أَمْرَأَةً تَنْظُرُ لَهُ وَتُوَدِّي إِلَيْهِ مَا رَأَتْهُ ، قَالَ أَنَسُ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرْسَلَ أُمَّ سُلَيْمٍ تَنْظُرُ إِلَى أَمْرَأَةٍ ، وَقَالَ لَهَا :  
« شَمِّي عَوَارِضَهَا - أَسْنَانَهَا - وَأَنْظُرِي إِلَى عُرْقُوبَيْهَا » . [« مسند أحمد » ، رقم : ١٣٠١١ ] .

\* \* \*

١٤٠٢ - وَخَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَأَةً ، فَبَعَثَ عَائِشَةَ تَنْظُرُ إِلَيْهَا ،  
فَجَاءَتْ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَا رَأَيْتُ طَائِلًا ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « لَقَدْ

رَأَيْتِ بِخَدِّهَا خَالًا أَفْشَعَرَ لَهُ كُلُّ شَعْرَةٍ مِنْكَ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ !  
مَا دُونَكَ سِرًّا . [كنز العمال ، رقم : ٣٥٤٦٠] .

\* \* \*

١٤٠٣ - وَيَجُوزُ لِلْمَرْأَةِ الْمَخْطُوبَةِ مَعَ ذَلِكَ أَنْ تَتَجَمَّلَ لِمَنْ أَرَادَ رُؤْيَيْهَا مِنْ  
الرِّجَالِ ، وَأَنْ تُشَوِّقَ بِرَبِّتِهَا .

\* \* \*

الرَّهْزُ :

١٤٠٤ - الرَّهْزُ وَالْأَرْهَازُ : كِنَايَةٌ عَنْ حَرَكَاتٍ وَأَصْوَاتٍ وَالْفَاطِ تَصْدُرُ عَنِ  
الْمُتَنَاقِضِينَ فِي أَثْنَاءِ عَمَلِهِمَا ، تَعْظُمُ بِهِمَا لَذَّتُهُمَا ، وَتَقْوَىٰ بِهَا شَهْوَتُهُمَا .

\* \* \*

١٤٠٥ - قَالَتْ أُمُّ الضَّحَّاكِ الْمُحَارِبِيَّةُ [من الوافر] :

شِفَاءُ الْخُبِّ تَقْيِيلٌ وَضَمٌّ      وَجَرٌّ بِالْبُطُونِ عَلَى الْبُطُونِ  
وَرَهْزٌ تَهْمُلُ الْعَيْنَانِ مِنْهُ      وَأَخْذٌ بِالذَّوَائِبِ وَالْقُرُونِ

\* \* \*

١٤٠٦ - وَعُضِرَتْ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ جَارِيَةٌ ، فَقَالَ لَهَا : مَا تُحْسِنِينَ ؟  
قَالَتْ : عِشْرِينَ فَنًا مِنَ الرَّهْزِ ... فَاشْتَرَاهَا ...

\* \* \*

١٤٠٧ - وَقَالَ الْأَضْمَعِيُّ : قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْحَاضِرَةِ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ  
الْبَادِيَةِ : أَتَعْرِفُونَ الزَّنَا عِنْدَكُمْ بِالْبَادِيَةِ ؟ قَالَ : فَمَا عِنْدَكُمْ ؟ قَالَ : الْأَضْمَةُ  
وَالشَّمَّةُ وَالْقَبْلَةُ ؛ قَالَ الْحَضِرِيُّ : لَيْسَ الْأَمْرُ عِنْدَنَا هَكَذَا ، هُوَ أَنْ يُبَاضِعَ

الرَّجُلُ الْمَرْأَةُ ؛ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : هَذَا طَالِبٌ وَلَدٍ .

\* \* \*

١٤٠٨ - وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ الْمَأْمُونُ [من مجزوء الرجز] :

مَا الْحُبُّ إِلَّا قُبْلَةٌ      وَغَمَزُ كَفٍّ وَعَضْدُ  
أَوْ كُتِبَ فِيهَا رُقَى      أَنْفَذُ مِنْ نَفْسِ الْعُقْدِ  
مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَا حُبِّهِ      فَإِنَّمَا يَبْغِي الْوَلْدُ  
مَا الْحُبُّ إِلَّا هَكَذَا      إِنْ نِكَحَ الْحُبُّ فَسَدُ

\* \* \*

١٤٠٩ - وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيُّ : حَدَّثَنِي أُمُّ الْهَيْثَمِ ، قَالَتْ :

حَجَّتْ زُبَيْدَةُ فِي بَعْضِ الْأَعْوَامِ ، فَلَمَّا أَنْتَهَتْ إِلَى حِمَى صَرِيَّةٍ ضُرِبَتْ لَهَا الْقِيَابُ  
وَالْفَسَاطِيطُ ، ثُمَّ أَحَبَّتْ أَنْ تَأْتِيَ بِجَوَارِي الْحَيِّ ، فَأَمَرَتْ بِجَمْعِهِنَّ إِلَيْهَا .  
قَالَتْ : وَكُنْتُ فِيْمَنْ دُعِيَ ، فَلَمَّا صِرْنَا عِنْدَهَا أَطْعَمَتْنَا طَعَامًا خِلْنَاهُ وَاللَّهِ مِنْ  
الْجَنَّةِ ، ثُمَّ سَقَيْنَا شَرَابًا حُلُومًا مَالِ بِنَا كُلِّ مُمِيلٍ ، وَشَرِبْتُ هِيَ مِنْهُ ، وَجَعَلَتْ  
تُحَدِّثُنَا بِحَدِيثِ كَقَطْعِ الرُّوضِ ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا أَعْرَابِيَّاتُ ؟ مَا تَعْدُدْنَ الْعِشْقَ  
فِيَكُنَّ ؟ قُلْنَا : أَيْتُهَا الْمَلِكَةُ ، يُحِبُّ الْفَتَى الْفَتَاةَ فَيَجْتَمِعَانِ ، فَيَتَشَاكِيَانِ وَيَتَبَاكِيَانِ  
وَيَتَوَاصِفَانِ مَا يَجِدَانِ ، ثُمَّ يَفْتَرِقَانِ ؛ قَالَتْ : أَبَحِيثُ يُرِيَانِ ؟ قُلْنَا : بَلْ بِحِيثُ  
لَا يُرِيَانِ ؛ قَالَتْ : مَا صَنَعْتُنَّ شَيْئًا ؛ قُلْنَا : أَيْتُهَا الْمَلِكَةُ ! وَكَيْفَ الْأَمْرُ فِي أَهْلِ  
الْحَضَرِ ؟ قَالَتْ : تَكُونُ اللَّظَرَةُ فَتَزْرَعُ الْمَحَبَّةَ ، ثُمَّ يَتَرَاوُحَانِ وَيَتَخَاطَبَانِ ، ثُمَّ  
يَتَوَاعَدَانِ ، فَيَجْتَمِعَانِ ، ثُمَّ يَضْرِبُ عَبْدُ اللَّهِ زَيْدًا ؟ قَالَتْ : إِنْ دَخَلَ الْحَضَرَ  
عَرَفْتَ ذَلِكَ ؛ قُلْتُ : دَخَلَ الْعِرَاقَ وَلَا أَعْرِفُهُ ؛ قَالَتْ : فَضَحِكْتُ وَحَرَكَتْ  
بِيَدِهَا عَلَى مِنْكَبِي ، وَقَالَتْ : تَجَاهَلْنَ يَا أُمُّ الْهَيْثَمِ تَجَاهَلْنَ !

\* \* \*

١٤١٠ - [من الطويل] :

أُحِبُّكَ يَا سَلَمَى عَلَى غَيْرِ رِيْبَةٍ      وَمَا خَيْرُ حُبٍّ لَا تَعْفُ سَرَائِرُهُ  
وَمَاذَا الَّذِي يَشْفِي مِنَ الْحُبِّ بَعْدَمَا      تَشْرَبُهُ بَطْنُ الْفَوَادِ وَظَاهِرُهُ

\* \* \*

١٤١١ - نَعُودُ إِلَى قَوْلِهِمْ فِي الرَّهْزِ .

وَمِنْ بَدِيعِ كِنَايَاتِهِمْ عَنِ الرَّهْزِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ [من المتقارب] :

وَأَنْتِ أَمَامَةٌ مَا تَعْلَمِينَ      فَضَلَّتِ السَّاءَ بِضِيقٍ وَحِزٍ  
وَيُعْجِبُنِي مِنْكَ عِنْدَ الْجَمَاعِ      حَيَاةُ الْكَلَامِ وَمَوْتُ النَّظَرِ

\* \* \*

١٤١٢ - وَقَالَتْ فَلَانَةٌ : كُنْتُ عِنْدَ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ ، فَقِيلَ : قَدْ جَاءَ  
عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ - تعني : زَوْجَهَا - فَتَخَيَّنْتُ ، وَدَخَلَ ؛ فَكُنْتُ أَسْمَعُ  
كَلَامَهُمَا ، فَلَاعَبَهَا مُدَّةٌ ، ثُمَّ وَقَعَ عَلَيْهَا ، فَشَحَرَتْ وَنَحَرَتْ وَأَتَتْ بِالْعَجَائِبِ  
مِنَ الرَّهْزِ وَأَنَا أَسْمَعُ ، فَلَمَّا خَرَجَ ، قُلْتُ لَهَا : أَنْتِ فِي نَفْسِكَ وَشَرَفِكَ  
وَمَوْضِعِكَ تَفْعَلِينَ هَذَا ! فَقَالَتْ عَائِشَةُ : إِنَّ الْخَيْلَ لَا تَشْرَبُ إِلَّا بِالْصَّفِيرِ .

\* \* \*

١٤١٣ - وَقَدْ أَخَذَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ هَذَا الْمَعْنَى ، وَنَقَلَهُ إِلَى بَابٍ آخَرَ ، فَقَالَ

[من الوافر] :

أَدْرَاهَا بِالصَّغِيرِ وَبِالْكَبِيرِ      وَخُذَهَا مِنْ يَدَيِ قَمَرٍ مُنِيرِ  
وَلَا تَشْرَبْ بِلَا طَرَبٍ فَإِنِّي      رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَشْرَبُ بِالْصَّفِيرِ

\* \* \*

١٤١٤ - وَكَانَ الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيُّ الْمُتَوَكِّلُ مُسْتَهْتَرًا بِالنِّسَاءِ مُشْغُوفًا بِهِنَّ ، وَكَانَ رُبَّمَا يُجَامِعُ وَيَمِيلُ إِلَى الْمُعَاوَدَةِ ، فَيَجِدُ أَعْضَاءَهُ قَدْ ضَعُفَتْ مِنْ حَرَكَاتِ الزَّهْرِ ، فَجُعِلَ لَهُ حَوْضٌ قَدْ مَلِئَ زُبْقًا ، وَبُسِطَ لَهُ عَلَيْهِ الْفُرْشُ ، فَكَانَ يُجَامِعُ عَلَيْهِ ، وَكَانَ الزُّبْقُ يُحَرِّكُهُ دُونَ أَنْ يَلْجَأَ إِلَى الْحَرَكَةِ ، فَلِذَلِكَ وَأَعْجَبُهُ ، فَسَأَلَ عَنْ مَعْدِنِ هَذَا الزُّبْقِ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ بِالشَّيْرِ مِنْ أَذْرِيَجَانٍ ، فَوَجَّهَ إِلَى حَمْدُونَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ النَّدِيمِ لِيُوجِّهَ إِلَيْهِ بِكُلِّ مَا يُحْصَلُ مِنَ الزُّبْقِ ، وَوَلَاهُ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى شَيْزِ هَذِهِ ، فَكَرِهَهَا ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ [من المجت]:

وَلَايَةُ الشَّيْرِ عَزْلٌ وَالْعَزْلُ عَنْهَا وَلَايَةُ  
فَوَلَّنِي الْعَزْلَ عَنْهَا إِنْ كُنْتَ بِي ذَا عِنَايَةٍ  
وَمَا زَالَ يُلِحُّ فِي طَلَبِ الْعَزْلِ حَتَّى عَزَلْتُ وَأُغْفِي مِنَ الْوَلَايَةِ<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

١٤١٥ - وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ فَتَاةِ بَنِي الْحَجَّاجِ لَمَّا أُنْشِدَتْ قَوْلَ عُمَارَةَ [من الطويل]:

وَمِنْ لَيْلَةٍ قَدْ بَثَّهَا غَيْرَائِمٍ بِسَاجِيَةِ الْحِجْلَيْنِ رِيَانَةَ الْقُلُبِ<sup>(٢)</sup>  
فَضَحِكْتُ وَضَرَبْتُ بِكُمِّهَا عَلَى وَجْهِهَا ، وَقَالَتْ : فَهَلَا أَيْمٌ ، صَرَمَهُ اللَّهُ !

\* \* \*

١٤١٦ - وَقَالَتْ أَمْرَأَةُ الْعَجَّاجِ ، وَأَسْمُهَا الدَّهْنَاءُ بِنْتُ مِسْحَلٍ [من الرجز]:

(١) أَنْظَرُ « شَيْزٍ » فِي « مُعْجَمِ يَأْقُوت » وَكِتَابِ « تُخْفَةِ الْعَرُوسِ » . [ وَالْآنَ فِي عَضْرَنَا ، يَسْتَعْمِلُونَ الْفِرَاشَ الْمَخْشُومَ بَدَلًا مِنَ الصُّوفِ وَغَيْرِهِ لِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْمَرْيَةِ ] .  
(٢) الْحِجْلُ : الْخَلْخَالُ ؛ وَالْقُلُبُ : السَّوَارِ . [ رَاجِعِ « سَمَطُ اللَّالِي » صَفْحَةُ : ٦٩٢ ] .



وَاللّٰهُ لَا تَخْدَعُنِيْ بِضَمِّ وَلَا يَتَّقِيْلُ وَلَا يَشَمُّ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

١٤١٧ - وَقَالَتْ أُخْرَى [من الرجز] :

لَا يُقْنِعُ الْجَارِيَةَ اللَّعَابُ وَلَا الْوِشَاحَانِ وَلَا الْجِلْبَابُ<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

١٤١٨ - قَالَ الْبَكْرِيُّ بَعْدَ هَذَا الَّذِي نَقَلْنَا عَنْهُ : وَ أَكْثَرُ النَّاسِ يَرَى أَنَّ الظَّفَرَ بِالْمَعْشُوقَةِ يُسْقِطُ شَطْرَ عَشْقِيهِمَا :

قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ - وَقَدْ طَالَ عِشْقُهُ لِيَجَارِيَةَ - : مَا كُنْتَ صَانِعًا لَوْ ظَفِرْتَ بِهَا وَلَا يَرَاكُمَا غَيْرُ اللَّهِ ؟ قَالَ : إِذَنْ وَاللَّهِ لَا أَجْعَلُهُ أَهْوَنَ النَّاطِرِينَ ، لِكُنِّي أَفْعَلُ بِهَا مَا أَفْعَلُهُ بِحَضْرَةِ أَهْلِهَا ؛ شَكْوَى ، وَحَدِيثُ عَذْبٍ ، وَإِعْرَاضٌ عَمَّا يُسْخِطُ أَلْرَبَّ ، وَيَقْطَعُ أَلْحُبَّ .

\* \* \*

١٤١٩ - وَقَالَ ابْنُ الدُّمَيْنَةِ [من الطويل] :

[ وَبِتْنَا فَوَيْقَ الْحَيِّ لَا نَحْنُ مِنْهُمْ وَلَا نَحْنُ بِالْأَعْدَاءِ مُخْتَلِطَانِ ]

(١) قَالَ ابْنُ بَرِّي : هَذَا الشَّعْرُ لِلدَّهْنَاءِ بِنْتِ مِسْحَلٍ زَوْجِ الْعَجَّاجِ ، وَكَانَتْ رَفَعَتْهُ إِلَى الْمُغِيرَةِ بِنِ شُعْبَةَ ، فَقَالَتْ لَهُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، إِنِّي مِنْهُ بِجُمُعٍ - أَي : لَمْ يَفْتَضِّنِي - فَقَالَ الْعَجَّاجُ [ من الكامل ] :

اللَّهُ يَغْلَمُ بِأَمْغِيرَةٍ أَنْسَى وَأَخَذْتُهَا أَخَذَ الْمُقْصَبِ شَاتَهُ  
قَدْ دُسْتُهَا دَوْسَ الْحِصَانِ الْمُرْسَلِ  
عَجَلَانِ يَذْبَحُهَا لِقَوْمٍ نَزَلِ  
فَقَالَتْ الدَّهْنَاءُ هَذِهِ الْآيَاتُ .

(٢) اللَّعَابُ : اللَّعِبُ .

وَبَاتَ يَقِينًا سَاقِطَ الطَّلِّ وَالْأَنْدَى      مِنْ اللَّيْلِ بُرْدًا يَمْنَةً عَطِرَانِ  
نَذُودُ بِذِكْرِ اللَّهِ عَنَّا غَوَى الصَّبَا      إِذَا كَانَ قَلْبَانَا بِنَا يَرِدَانِ  
وَنُضْدُرُّ عَنْ رِيِّ الْعَفَافِ وَرُبَّمَا      نَقَعْنَا غَلِيلَ الْحُبِّ بِالرَّشْفَانِ [

\* \* \*

١٤٢٠ - وَجَلَسَ أَغْرَابِيٌّ فِي حَلَقَةِ يُونُسَ بْنِ حَبِيبٍ فَتَذَاكَرُوا النِّسَاءَ وَأَفَاضُوا  
فِي أَوْصَافِهِنَّ ، فَقَالُوا لِلْأَغْرَابِيِّ : أَيُّ النِّسَاءِ أَفْضَلُ عِنْدَكَ ؟ قَالَ : الْبَيْضَاءُ  
الْعَطِرَةُ ، اللَّيْنَةُ الْخَفِرَةُ ؛ [ الْعَظِيمَةُ الْمَتَاعِ ، الشَّهِيَّةُ لِلْجِمَاعِ ؛ الَّتِي إِذَا  
ضُوجِعَتْ أَنْتَ ، وَإِنْ تُرِكَتْ حَنْتَ ] .  
يُسِيرُ بِقَوْلِهِ : « إِذَا ضُوجِعَتْ أَنْتَ » إِلَى رَهْزِمَا .

\* \* \*

١٤٢١ - وَسَمِعَ عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ بِنْتًا لَهُ ضَحِكَتْ ، ثُمَّ شَهِقَتْ فِي آخِرِ  
ضَحِكِهَا ، فَأَخْزَطَ السَّيْفَ وَحَمَلَ عَلَيْهَا وَهُوَ يَقُولُ [ مِنَ الرِّجْزِ ] :  
فَرِقْتُ إِنِّي رَجُلٌ فَرُوقٌ      مِنْ ضَحِكِ آخِرُهُ شَهِيقُ  
فَاسْتَعَاثَ بِإِخْوَتِهَا ، فَحَالُوا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ . وَكَانَ عَقِيلٌ شَدِيدَ الْغَيْرَةِ كَمَا  
سَيَمُرُّ بِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ .

\* \* \*

١٤٢٢ - وَفِي رِقَّةٍ كَلَامُ الْمَرْأَةِ يَقُولُ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ [ مِنَ الطَّوِيلِ ] :

وَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ وَأَسْمَحْتَ      هَصَرْتُ بِغَضَنِ ذِي شَمَارِيخِ مَيَالِ  
وَصَرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقَّ كَلَامُنَا      وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيَّ إِذْلالِ

\* \* \*

١٤٢٣ - وَيَقُولُ [ من الطويل ] :

تَقُولُ - وَقَدْ جَرَدْتُهَا مِنْ ثِيَابِهَا      كَمَا رُغِبَ مَكْحُولَ الْمَدَامِيعِ أَتْلَعَا<sup>(١)</sup>  
وَحَقِّكَ لَوْ شِئْتُ أَتَانَا رَسُولُهُ      سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

١٤٢٤ - وَأَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى عُمَرُ ابْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، فَقَالَ [ من الطويل ] :

وَنَاهِدَةَ الْتَدْيِينِ قُلْتُ لَهَا : أَتَكِي      عَلَى الرَّمْلِ مِنْ دَيْمُومَةٍ لَمْ تُمَهِّدِ<sup>(٣)</sup>  
فَقَالَتْ : عَلَى أَسْمِ اللَّهِ أَمْرُكَ طَاعَةٌ      وَإِنْ كُنْتُ قَدْ كُلُّفْتُ مَا لَمْ أَعُودِ  
فَلَمَّا دَنَا الْأَضْبَاحُ قَالَتْ : فَضَخْتَنِي      فَقُمْ غَيْرَ مَطْرُودٍ وَإِنْ شِئْتَ فَازْدِدِ

\* \* \*

١٤٢٥ - وَعَلَى قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ : وَرَقَّ كَلَامُنَا ، حَكَى الْجَاحِظُ ،

قَالَ : عِنْدَنَا بِالْبُصْرَةِ مُخَنَّثٌ يَجْتَمِعُ النَّاسُ فِي مَنْزِلِهِ ، وَكَانَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا  
يَتَعَشَّقُ امْرَأَةً مَشْهُورَةً بِالْجَمَالِ ، فَلَمْ يَزَلِ الْمُخَنَّثُ يَتَلَطَّفُ بِهَا حَتَّى جَمَعَ بَيْنَهُ  
وَبَيْنَهَا . قَالَ الْجَاحِظُ : فَاجْتَمَعْتُ بِهِ وَسَأَلْتُهُ عَنْ كَيْفِيَّةِ اجْتِمَاعِهِمَا ، فَقَالَ : لَمَّا  
اجْتَمَعْنَا رَقَّ الْكَلَامُ ، وَوَقَعَ الْأَلْتِزَامُ - الضَّمُّ - ؛ وَقُضِيَتِ الْأُمُورُ ، وَشَفِيَتِ  
حَرَارَاتُ الصُّدُورِ . فِي كَلَامٍ غَيْرِ هَذَا . قَالَ الْجَاحِظُ : فَلَوْ كَانَ قَدْ أَعَدَّ هَذَا  
الْكَلَامَ لِمَسْأَلَتِي قَبْلَ ذَلِكَ بِدَهْرٍ لَكَانَ قَدْ أَجَادَ وَأَمْلَحَ .

\* \* \*

(١) الْأَتْلَعُ : طَوِيلُ الْعُنُقِ ، وَهُوَ : الطَّبْنِيُّ .

(٢) أَرَادَتْ : لَوْ أَحَدْتُ أَتَانَا رَسُولُهُ سِوَاكَ لَدَفَعْنَاهُ ، فَحَذَفَ جَوَابُ « لَوْ » لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ : « وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا » .

(٣) الدَّيْمُومَةُ : الْفَلَاةُ الْوَاسِعَةُ يَدُومُ السَّيْرُ فِيهَا لِغِدْهَا ؛ وَلَمْ تُمَهِّدْ : لَمْ تُدَلِّلْ ، وَلَمْ تُصْلَحْ ، وَلَمْ تُسَوِّ .

## التَّحْمِيضُ :

١٤٢٦ - التَّحْمِيضُ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ مِنْ حَمَضَتِ الْإِبِلُ ، فَهِيَ حَامِضَةٌ : إِذَا كَانَتْ تَزَعَى الْخَلَّةَ ، وَهِيَ مِنَ التَّنَبَتِ مَا كَانَ حُلُوءًا ، ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى الْحَمَضِ تَزَعَاهُ ، وَهُوَ مَا كَانَ مِنَ التَّنَبَتِ مَالِحًا أَوْ حَامِضًا ، وَمِنْهُ : تَحَمَّضَ الرَّجُلُ : إِذَا تَحَوَّلَ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ ، وَيُقَالُ : أَحْمَضَ الْقَوْمُ إِحْمَاضًا : إِذَا أَفَاضُوا فِيمَا يُؤْنِسُهُمْ مِنَ الْحَدِيثِ وَالْكَلامِ ، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ إِذَا أَفَاضَ مَنْ عِنْدَهُ فِي الْحَدِيثِ بَعْدَ الْقُرْآنِ وَالتَّفْسِيرِ : أَحْمَضُوا ، وَذَلِكَ لَمَّا خَافَ عَلَيْهِمُ الْمَلَالُ أَحَبَّ أَنْ يُرِيحَهُمْ ، فَأَمَرَهُمْ بِالْإِحْمَاضِ ، بِالْأَخْذِ فِي مُلْحِ الْكَلَامِ وَالْحِكَايَاتِ .

هَذَا هُوَ أَصْلُ التَّحْمِيضِ أَوْ التَّحْمُضِ أَوْ الْإِحْمَاضِ .

وَالَّذِي نُرِيدُهُ هُنَا مِنْ هَذَا الْحَرْفِ هُوَ إِتْيَانُ الزَّوْجَةِ فِي دُبْرِهَا !

وَبَعْدُ ، فَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي جَوَازِ وَطْءِ الْمَرْأَةِ - الزَّوْجَةِ - فِيمَا عَدَا الدُّبْرَ ، مِنْ مَغَايِبِهَا<sup>(١)</sup> وَسَائِرِ جَسَدِهَا ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا فِي جَوَازِ وَطْئِهَا فِي الدُّبْرِ ، وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى مَنَعِهِ ، وَوَصَفُوهُ بِأَنَّهُ اللَّوْطُ الْأَضْعَرُ .

١٤٢٧ - وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية : ٢٢٣]

شِئْتُمْ<sup>ط</sup> [٢ سورة البقرة/ الآية : ٢٢٣]

حَرْثٌ لَكُمْ ، أَيِ : مَوَاضِعُ حَرْثٍ لَكُمْ ، وَهَذَا مَجَازٌ ، شُبِّهَ بِالْمَحَارِثِ تَشْبِيهًا لِمَا يُلْقَى فِي أَرْحَامِهِنَّ مِنَ الْطُفْلِ الَّتِي مِنْهَا الْتَسْلُ بِالْبُدُورِ ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية : ٢٢٣] تَمْثِيلٌ ، أَيِ : فَأَتُوهُنَّ كَمَا تَأْتُونَ أَرْضِيكُمْ الَّتِي تُرِيدُونَ أَنْ تَحْرُثُوهَا مِنْ أَيِّ جِهَةٍ شِئْتُمْ ، لَا تُحْظَرُ

(١) الْمَغَايِبُ ، جَمْعُ مَغْبٍ ، كَمَجْلِسٍ ، وَهُوَ : النَّاحِيَةُ .

عَلَيْكُمْ جِهَةٌ دُونَ جِهَةٍ ، وَالْمَعْنَى : جَامِعُهُنَّ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ أَرَدْتُمْ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ  
الْمَأْتِي وَاحِدًا ، وَهُوَ مَوْضِعُ الْحَرْثِ .

\* \* \*

١٤٢٨ - وَرُوِيَ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَقُولُونَ : إِذَا نَكَحَ الرَّجُلُ أَمْرَأَتَهُ مُجَبَّةً جَاءَ  
الْوَلَدُ أَخَوَلَ .

مُجَبَّةً ، أَيُّ : مُنْكَبَةٌ عَلَى وَجْهِهَا - فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ، فَقَالَ :  
« كَذَبَتِ الْيَهُودُ » وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ . [البخاري ، رقم : ٤٥٢٨ ؛ مسلم ، رقم : ١٤٣٥] .

\* \* \*

١٤٢٩ - وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : كَانَ هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَهُمْ أَهْلُ وَثْنٍ ،  
مَعَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ يَهُودَ ، وَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَكَانُوا يَرَوْنَ لَهُمْ فَضْلًا عَلَيْهِمْ  
فِي الْعِلْمِ ، وَكَانُوا يَقْتَدُونَ بِكَثِيرٍ مِنْ فِعْلِهِمْ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا يَأْتُوا  
نِسَاءَهُمْ إِلَّا عَلَى حَرْفٍ ، وَذَلِكَ أَسْتَرَّ مَا تَكُونُ الْمَرْأَةُ ، وَكَانَ هَذَا الْحَيِّ مِنَ  
الْأَنْصَارِ قَدْ أَخَذُوا ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ ، وَكَانَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ يَشْرَحُونَ النِّسَاءَ  
شَرْحًا مُتَكَرِّرًا<sup>(١)</sup> ، وَيَتَلَذَّذُونَ بِهِنَّ مُقْبِلَاتٍ وَمُذْبِرَاتٍ وَمُسْتَلْقِيَاتٍ ، فَلَمَّا قَدِمَ  
الْمُهَاجِرُونَ الْمَدِينَةَ تَزَوَّجَ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَمْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَذَهَبَ يَصْنَعُ ذَلِكَ ،  
فَأَنْكَرَتْهُ عَلَيْهِ ، وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّمَا كُنَّا نُوْتِي عَلَى حَرْفٍ ، فَأَصْنَعُ ذَلِكَ وَإِلَّا  
فَاجْتَنِبْنِي ؛ حَتَّى شَرِيَّ أَمْرَهَا<sup>(٢)</sup> ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ نِسَاؤُكُمْ  
حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ شَتْمٌ ﴾ [سورة البقرة/ الآية : ٢٢٣] أَيُّ : مُقْبِلَاتٍ أَوْ مُذْبِرَاتٍ  
أَوْ مُسْتَلْقِيَاتٍ أَوْ عَلَى حَرْفٍ ، وَلَكِنْ فِي مَوْضِعِ الْوَلَدِ .

\* \* \*

(١) قَالَ فِي «اللسان» : شَرَحَ جَارِيَتُهُ : إِذَا وَطِئَهَا نَائِمَةً عَلَى قَفَاهَا .

(٢) شَرِيَّ ، اسْتَشْرَى : ارْتَقَعَ وَلَجَّ .

١٤٣٠ - وَقِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ : كَيْفَ تَرَى التَّخْمِيضَ ؟ قَالَ : وَمَا التَّخْمِيضُ ؟ قَالَ السَّائِلُ : أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ فِي دُبْرِهَا ؛ قَالَ ابْنُ عُمَرَ : أَوْ يَفْعَلُ هَذَا أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ <sup>(١)</sup> ؟

\* \* \*

كَيْفَ كَانَ نِكَاحُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ :

١٤٣١ - جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ [رقم : ٥١٢٧] : حَدَّثَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ النِّكَاحَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءَ : فَنِكَاحٌ مِنْهَا نِكَاحُ النَّاسِ الْيَوْمَ ؛ يَخْطُبُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ وَلَيْتَهُ أَوْ ابْنَتَهُ ، فَيُضَدِّقُهَا ، ثُمَّ يَنْكِحُهَا <sup>(٢)</sup> ؛ وَنِكَاحٌ آخَرُ : كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ لِامْرَأَتِهِ إِذَا طَهَّرَتْ مِنْ طَمَنِهَا <sup>(٣)</sup> : أَرْسِلِي إِلَى فُلَانٍ فَاسْتَبْضِعِي مِنْهُ <sup>(٤)</sup> ، وَيَعْتَزِّلُهَا زَوْجُهَا وَلَا يَمَسُّهَا أَبَدًا ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَمْلُهَا مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي تَسْتَبْضِعُ مِنْهُ ، فَإِذَا تَبَيَّنَ حَمْلُهَا أَصَابَهَا زَوْجُهَا إِذَا أَحَبَّ ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي نَجَابَةِ الْوَلَدِ ، فَكَانَ هَذَا النِّكَاحُ نِكَاحَ الْأَسْتَبْضَاعِ ؛ وَنِكَاحٌ آخَرُ : يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ (مَا دُونَ الْعَشْرَةِ) ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ كُلُّهُمْ يُصِيبُهَا <sup>(٥)</sup> ، فَإِذَا حَمَلَتْ وَوَضَعَتْ وَمَرَّ عَلَيْهَا لَيْالٍ بَعْدَ أَنْ تَضَعَ حَمْلَهَا أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ

(١) أَنْظُرِ الْخِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي جَوَازِ هَذَا الْأَمْرِ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ . [أَقُولُ ، وَأَنَا بَسَامُ : بَلِ الْأَوَّلَى أَنْ يُقَالَ : أَنْظُرْ حُكْمَ ذَلِكَ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ ، بَلِ الْأَوَّلَى أَنْ يُقَالَ : أَنْظُرْ عَدَمَ جَوَازِ هَذَا الْأَمْرِ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ] .

(٢) يُضَدِّقُهَا ثُمَّ يَنْكِحُهَا ، أَيْ : يُعَيِّنُ صِدَاقَهَا ، وَيُسَمِّي مِقْدَارَهُ ، ثُمَّ يَنْفِقُ عَلَيْهَا .

(٣) إِذَا طَهَّرَتْ مِنْ طَمَنِهَا ، أَيْ : حَيْضِهَا ، وَكَانَ السَّرُّ فِي ذَلِكَ أَنْ يُسْرِعَ عُلوْفُهَا مِنْهُ .

(٤) فَاسْتَبْضِعِي مِنْهُ ، أَيْ : أَطْلُبِي مِنْهُ الْمُبَاضِعَةَ ، أَيْ : الْمُجَامَعَةَ ، فِي الْبُضْعِ ، وَهُوَ : الْفَرْجُ .

(٥) يُصِيبُهَا : يَطُوقُهَا ، وَكَانَ ذَلِكَ عَنْ رِضَا مِنْهَا وَاتِّفَاقٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا .

يَمْتَنِعَ ، حَتَّى يَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا . تَقُولُ لَهُمْ : قَدْ عَرَفْتُمْ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِكُمْ ، وَقَدْ وَلَدْتُ ، فَهُوَ ابْنُكَ يَا فُلَانُ<sup>(١)</sup> ؛ تُسَمِّي مَنْ أَحَبَّتْ بِاسْمِهِ ، فَيَلْحَقُ بِهِ وَلَدُهَا ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْتَنِعَ مِنْهُ الرَّجُلُ ؛ وَنِكَاحُ الرَّابِعِ : يَجْتَمِعُ النَّاسُ الْكَثِيرُ فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ لَا تَمْنَعُ مَنْ جَاءَهَا ، وَهُنَّ الْبَغَايَا ، كُنَّ يُنْصَبْنَ عَلَى أَبْوَابِهِنَّ رَايَاتٍ تَكُونُ عَلَمًا ، فَمَنْ أَرَادَهُنَّ دَخَلَ عَلَيْهِنَّ ، فَإِذَا حَمَلَتْ إِحْدَاهُنَّ وَوَضَعَتْ حَمْلَهَا ، جُمِعُوا لَهَا ، وَدَعُوا لَهُمُ الْفَاقَةَ<sup>(٢)</sup> ، ثُمَّ أَلْحَقُوا وَلَدَهَا بِالَّذِي يَرَوْنَ ، فَأَلْتَا بِه<sup>(٣)</sup> ، وَدُعِيَ ابْنُهُ لَا يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ ؛ فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِالْحَقِّ ، هَدَمَ نِكَاحَ الْجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ إِلَّا نِكَاحَ النَّاسِ الْيَوْمَ .

حُقُوقُ الزَّوْجِ عَلَى الزَّوْجَةِ :

١٤٣٢ - قَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ فِي « الْإِحْيَاءِ » : الْقَوْلُ الشَّافِي ، ذَلِكَ أَنَّ النِّكَاحَ نَوْعُ رِقٍّ ، فَهِيَ رَقِيقَةٌ لَهُ ، فَعَلَيْهَا طَاعَةُ الزَّوْجِ مُطْلَقًا فِي كُلِّ مَا طَلَبَ مِنْهَا فِي نَفْسِهَا مِمَّا لَا مَعْصِيَةَ لَهُ فِيهِ<sup>(٤)</sup> ، قَالَ : وَقَدْ وَرَدَ فِي تَعْظِيمِ حَقِّ الزَّوْجِ عَلَيْهَا أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ ، قَالَ ﷺ « أَيُّمَا أَمْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ »

[الترمذي ، رقم : ١١٦١ ، وقال : حديث حسن] .

\* \* \*

(١) أَي : إِنْ كَانَ ذَكَرًا ، فَلَوْ كَانَتْ أُنْثَى ، لَقَالَتْ : هِيَ ابْنَتُكَ ؛ لَكِنْ يَخْمَلُ إِلَّا تَفَعَّلَ ذَلِكَ إِلَّا إِذَا كَانَ ذَكَرًا ، لِمَا عُرِفَ مِنْ كَرَاهَتِهِمُ ابْنَتَ ، وَقَدْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ يَقْتُلُ ابْنَتَهُ الَّتِي يَتَحَقَّقُ أَنَّهَا ابْنَتُهُ فَضْلًا عَمَّنْ تَجِيءُ بِهِدِهِ الْحَالِ .

(٢) الْفَاقَةُ ، جَمْعُ قَائِفٍ ، وَهُوَ : الَّذِي يَعْرِفُ شُبُهَ الْوَلَدِ بِالْوَالِدِ بِوَاسِطَةِ آثَارِ خَفِيَّةٍ .

(٣) التَّصَوُّقُ بِهِ وَالْحَقُّ بِهِ .

(٤) قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : لَا يَصِحُّ هَذَا الْإِطْلَاقُ ، فَإِنَّ الْعَزَلَ لَا مَعْصِيَةَ فِيهِ ، وَمَعَ ذَلِكَ ، فَلَا يَلْزَمُهَا طَاعَتُهُ فِيهِ اتِّفَاقًا .

١٤٣٣ - وَكَانَ رَجُلٌ قَدْ خَرَجَ إِلَى سَفَرٍ وَعَهْدَ إِلَى أَمْرَاتِهِ أَلَّا تَنْزِلَ مِنَ الْعُلُوِّ إِلَى السُّفْلِ ، وَكَانَ أَبُوهَا فِي الْأَسْفَلِ ، فَمَرَضَ ، فَأَرْسَلَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ تَسْتَأْذِنُ فِي التَّزْوُلِ إِلَى أَبِيهَا ، فَقَالَ ﷺ : « أَطِيعِي زَوْجَكَ » ، فَمَاتَ ، فَأَسْتَأْمَرَتْهُ ، فَقَالَ : « أَطِيعِي زَوْجَكَ » ، فَذَفِنَ أَبُوهَا ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْهَا يُخْبِرُهَا أَنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَهَا بِطَاعَتِهَا زَوْجَهَا . [ « مجمع الزوائد » ، رقم : ٧٦٦٦ ] .

\* \* \*

١٤٣٤ - وَقَالَ ﷺ : « إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا ، وَصَامَتْ شَهْرَهَا ، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا ، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا ؛ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ » . [ « مجمع الزوائد » ، رقم : ٧٦٣٢ ] .

\* \* \*

١٤٣٥ - وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « لَوْ كُنْتُ أَمِراً أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا » [ الترمذي ، رقم : ١١٥٩ ، وقال : حديث حسن صحيح ] .

\* \* \*

١٤٣٦ - وَقَالَ أَبُو عَبَّاسٍ : أَنْتِ أَمْرَأَةٌ مِنْ خَنَعَمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنِّي أَمْرَأَةٌ أَيْمٌ ، وَأُرِيدُ أَنْ أَتَزَوَّجَ ، فَمَا حَقُّ الزَّوْجِ ؟ قَالَ : « إِنَّ مِنْ حَقِّ الزَّوْجِ عَلَى الزَّوْجَةِ إِذَا أَرَادَهَا فَرَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا وَهِيَ عَلَى ظَهْرِ بَعِيرٍ أَلَّا تَمْنَعَهُ ، وَأَلَّا تُعْطِيَ شَيْئاً مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَإِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ كَانَ الْوِزْرُ عَلَيْهَا وَالْأَجْرُ لَهُ ، وَمِنْ حَقِّهِ أَلَّا تَصُومَ تَطَوُّعاً إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَإِنْ فَعَلْتَ جَاعَتْ وَعَطِشَتْ وَلَمْ يُنْقَبَلْ مِنْهَا ، وَإِنْ خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا بِغَيْرِ إِذْنِهِ لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ أَوْ تَتُوبَ » . [ قال الحافظ العراقي في « تخریج أحادیث الإحياء » : أخرجه البيهقي مختصراً على شطر الحديث ، ورواه بتمامه من حديث ابن عمر وفيه ضعف ] .



١٤٣٧ - إِلَى أَنْ قَالَ الْغَزَالِيُّ : فَحَقَّقُ الزَّوْجَ عَلَى الزَّوْجَةِ كَثِيرَةً ، وَأَهْمُهَا أَمْرَانِ : أَحَدُهُمَا الصِّيَانَةُ وَالْتِسُّرُ ، وَالْآخَرُ تَرْكُ الْمُطَالَبَةِ مِمَّا وَرَاءَ الْحَاجَةِ ، وَالتَّعَقُّفُ عَنْ كَسْبِهِ إِذَا كَانَ حَرَامًا ، وَهَكَذَا كَانَتْ عَادَةُ النِّسَاءِ فِي السَّلَفِ ، كَانَ الرَّجُلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ يَقُولُ لَهُ أَمْرَأَتُهُ أَوْ ابْنَتُهُ : إِيَّاكَ وَكَسْبَ الْحَرَامِ ، فَإِنَّا نَضْبِرُ عَلَى الْجُوعِ وَالضَّرِّ وَلَا نَضْبِرُ عَلَى النَّارِ ...

١٤٣٨ - إِلَى أَنْ قَالَ الْغَزَالِيُّ : وَالْقَوْلُ الْجَامِعُ فِيمَا يَجِبُ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَكُونَ قَاعِدَةً فِي عَقْرِ بَيْتِهَا ، لَازِمَةً لِمَغْزَلِهَا ، لَا يَكْثُرُ صُعُودُهَا وَأَطْلَاعُهَا ، قَلِيلَةٌ الْكَلَامِ لِجِيرَانِهَا ، لَا تَدْخُلُ عَلَيْهِمْ إِلَّا فِي حَالٍ يُوجِبُ الدُّخُولَ ، تَحْفَظُ بَعْلَهَا فِي غَيْبَتِهِ ، وَتَطْلُبُ مَسَرَّتَهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهَا ، وَلَا تَخُونُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ ، وَلَا تَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَإِنْ خَرَجَتْ بِإِذْنِهِ فَمُخْتَفِيَةً فِي هَيْئَةٍ رَثَّةٍ تَطْلُبُ الْمَوَاضِعَ الْخَالِيَةَ دُونَ الشَّوَارِعِ وَالْأَسْوَاقِ ، مُحْتَزَّةً مِنْ أَنْ يَسْمَعَ غَرِيبٌ صَوْتَهَا أَوْ يَعْرِفَهَا بِشَخْصِهَا ، لَا تَتَعَرَّفُ إِلَى صَدِيقٍ بَعْلِهَا فِي حَاجَاتِهَا ، بَلْ تَتَنَكَّرُ عَلَى مَنْ تَظُنُّ أَنَّهُ يَعْرِفُهَا أَوْ تَعْرِفُهُ ، هَمُّهَا صَلَاحُ شَأْنِهَا وَتَذْيِيرُ بَيْتِهَا ، مُقْبِلَةً عَلَى صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا ، وَإِذَا أَسْتَاذَنَ صَدِيقٌ لِبَعْلِهَا عَلَى الْبَابِ وَلَيْسَ الْبَعْلُ حَاضِرًا لَمْ تَسْتَفْهِمْ وَلَمْ تُعَاوِذْهُ فِي الْكَلَامِ غَيْرَةً عَلَى نَفْسِهَا وَبَعْلِهَا ، وَتَكُونَ قَانِعَةً مِنْ زَوْجِهَا بِمَا رَزَقَ اللَّهُ ، وَتُقَدِّمُ حَقَّهُ عَلَى حَقِّ نَفْسِهَا وَحَقِّ سَائِرِ أَقَارِبِهَا ...

١٤٣٩ - قَالَ : وَالْأَوَّلُ تَفَاخَرُ عَلَى الزَّوْجِ بِجَمَالِهَا ، وَلَا تَزْدَرِي زَوْجَهَا لِقُبْحِهِ ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ الْأَصْمَعِيَّ قَالَ : دَخَلْتُ الْبَادِيَةَ فَإِذَا أَنَا بِأَمْرَأَةٍ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا ، تَحْتَ رَجُلٍ مِنْ أَقْبَحِ النَّاسِ وَجْهًا ، فَقُلْتُ لَهَا : يَا هَذِهِ ! أَنْتَ ضَيْنٌ لِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونِي تَحْتَ مِثْلِهِ ؟ فَقَالَتْ : يَا هَذَا ، أَسْكُتْ ! فَقَدْ أَسَأْتَ فِي قَوْلِكَ ، لَعَلَّهُ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَالِقِهِ ، فَجَعَلَنِي ثَوَابَهُ ، أَوْ لَعَلِّي أَسَأْتُ

فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ خَالِقِي ، فَجَعَلَهُ عُقُوبَتِي ، أَفَلَا أَرْضَى بِمَا رَضِيَ اللَّهُ لِي ؟  
فَأَسْكَنْتَنِي . [ راجع رقم : ١١٦٦ ] .

\* \* \*

١٤٤٠ - وَقَالَ الْأَضْمَعِيُّ : رَأَيْتُ فِي الْبَادِيَةِ امْرَأَةً عَلَيْهَا قَمِيصٌ أَحْمَرٌ ،  
وَهِيَ مُخْتَضِبَةٌ ، وَبِيَدِهَا سُبْحَةٌ ؛ فَقُلْتُ : مَا أَبْعَدَ هَذَا مِنْ هَذَا ! فَقَالَتْ [ من  
الطويل ] :

وَلِلَّهِ مِنِّي جَانِبٌ لَا أُضِيعُهُ وَلِلَّهِ مِنِّي وَالْبَطَالَةَ جَانِبٌ  
فَعَلِمْتُ أَنَّهَا امْرَأَةٌ صَالِحَةٌ لَهَا زَوْجٌ تَزْرَعُ لَهُ .

\* \* \*

١٤٤١ - قَالَ الْغَزَالِيُّ : وَمِمَّا يَجِبُ عَلَيْهَا إِذَا مَاتَ عَنْهَا زَوْجُهَا أَلَّا تَحْدَّ  
- مِنَ الْحِدَادِ - عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَعَشْرِ ، وَأَنْ تَتَجَنَّبَ الطَّيِّبَ وَالزَّيْنَةَ فِي  
هَذِهِ الْمُدَّةِ .

\* \* \*

١٤٤٢ - وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « لُعِنَتِ الْغَائِصَةُ وَالْمُغَوَّصَةُ » .  
الْغَائِصَةُ : الْحَائِضُ الَّتِي لَا تُعْلِمُ زَوْجَهَا أَنَّهَا حَائِضٌ لِيَجْتَنِبَهَا ، فَيُجَامِعُهَا  
وَهِيَ حَائِضٌ ؛ وَالْمُغَوَّصَةُ : الَّتِي لَا تَكُونُ حَائِضًا فَتَكْذِبُ ، فَتَقُولُ لِرِزْوَجِهَا :  
إِنِّي حَائِضٌ . [ « النهاية في غريب الحديث » مادة غوص ] .

\* \* \*

١٤٤٣ - وَاتَى رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّ لِي امْرَأَةً ،  
إِذَا أَتَيْتُ مَهْمُومًا قَامَتْ فَأَخَذَتْ بِطَرْفِ رِدَائِي ، وَمَسَحَتْ عَلَيَّ وَجْهِي ،

وَقَالَتْ : إِنْ كَانَ هَمُّكَ لِلدُّنْيَا فَصَرَفَهُ اللَّهُ عَنْكَ ، وَإِنْ كَانَ هَمُّكَ لِلْآخِرَةِ فَزَادَكَ اللَّهُ هَمًّا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « إِنْ لَهَا أَجْرُ الشَّهَدَاءِ وَرِزْقُهُمْ » .

\* \* \*

١٤٤٤ - وَقَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ - ابْنُ الْعَوَّامِ - وَمَا لَهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلَا مَمْلُوكٍ ، وَلَا شَيْءٍ غَيْرُ نَاضِحٍ<sup>(١)</sup> وَغَيْرِ فَرَسِهِ ، فَكُنْتُ أَغْلِفُ فَرَسَهُ ، وَأَسْتَقِي الْمَاءَ ، وَأَخْرِزُ غَرْبَهُ<sup>(٢)</sup> ، وَأَعْجِنُ ، وَلَمْ أَكُنْ أَحْسِنُ أَخْبِزُ ، وَكَانَ يَخْبِزُ جَارَاتُ لِي مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَكُنَّ نِسْوَةَ صَدِيقٍ ، وَكُنْتُ أَنْقُلُ التَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَأْسِي وَهِيَ مَنِي عَلَى ثُلْثِي فَرَسَخٍ ، فَجِئْتُ يَوْمًا وَالتَّوَى عَلَى رَأْسِي ، فَلَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَدَعَانِي ، ثُمَّ قَالَ : « إِنْخُ »<sup>(٣)</sup> لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ ، فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أُسِيرَ مَعَ الرِّجَالِ ، وَذَكَرْتُ الزُّبَيْرَ وَغَيْرَتَهُ ، وَكَانَ أَغْيَرَ النَّاسِ ، فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ أَنِّي قَدْ اسْتَحْيَيْتُ ، فَمَضَى ، فَجِئْتُ الزُّبَيْرَ ، فَقُلْتُ : لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ وَعَلَى رَأْسِي التَّوَى وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَأَنَاخَ لِارْكَبَ ، فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ ، وَعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ ، لَحَمْلُكَ التَّوَى كَانَ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ رُكُوبِكَ مَعَهُ . . . حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَادِمٍ تَكْفِينِي سِيَاسَةَ الْفَرَسِ ، فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَنِي . . . انْظُرِ الْبُخَارِيَّ [رقم : ٥٢٢٤] وَشُرَّاحَهُ [ومسلم ، رقم : ٢١٨٢] .

\* \* \*

(١) النَّاضِحُ : الْبَعِيرُ يُسْتَقَى عَلَيْهِ .

(٢) الْغَرْبُ : الدَّلْوُ .

(٣) كَلِمَةٌ تُقَالُ لِلْبَعِيرِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّحَهُ .

١٤٤٥ - وَكَانَ الزُّبْرَقَانُ بُنُ بَذَرٍ إِذَا زَوْجَ ابْنَتِهِ لَهُ دَنَا مِنْ خِدْرِهَا ، وَقَالَ :  
أَتَسْمَعِينَ ؟ لَا أَعْرِفَنَّ مَا طَلَبْتَ ، كُونِي لَهُ أُمَةً يَكُنْ لَكَ عَبْدًا .

\* \* \*

١٤٤٦ - وَقَالَ أَسْمَاءُ بُنُ خَارِجَةَ الْفَزَارِيِّ لَابْنَتِهِ عِنْدَ الزُّفَافِ : إِنَّكَ خَرَجْتَ  
مِنَ الْعُشِّ الَّذِي فِيهِ دَرَجْتَ ، وَصِرْتَ إِلَى فِرَاشٍ لَمْ تَعْرِفِيهِ ، وَقَرِينَ لَمْ تَأْلَفِيهِ ،  
فَكُونِي لَهُ أَرْضًا يَكُنْ لَكَ سَمَاءٌ ، وَكُونِي لَهُ مِهَادًا يَكُنْ لَكَ عِمَادًا ، وَكُونِي لَهُ أُمَةً  
يَكُنْ لَكَ عَبْدًا ، لَا تُلْحِفِي بِهِ فَيَفْلَاكَ<sup>(١)</sup> ، وَلَا تَبَاعِدِي عَنْهُ فَيَنْسَاكَ ، إِنْ دَنَا مِنْكَ  
فَأَقْرُبِي مِنْهُ ، وَإِنْ نَأَى فَأَبْعِدِي عَنْهُ ، وَأَحْفَظِي أَنْفَهُ وَسَمْعَهُ وَعَيْنَهُ ، فَلَا يَشْمَنَّ  
مِنْكَ إِلَّا طَيِّبًا ، وَلَا يَسْمَعْ مِنْكَ إِلَّا حُسْنًا ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَّا جَمِيلًا . . . وَإِيَّاكَ وَالْغَيْرَةَ ،  
فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ الطَّلَاقِ ، وَعَلَيْكَ بِالزَّيْنَةِ ، فَازِينَ الزَّيْنَةَ الْكُحْلُ ، وَعَلَيْكَ بِالطَّيِّبِ ،  
وَأَطِيبِ الطَّيِّبِ إِسْبَاغَ الْوُضُوءِ ، وَكُونِي كَمَا قُلْتُ لِأُمِّكَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ<sup>(٢)</sup>  
[من الطويل] :

خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي      وَلَا تَنْطَقِي فِي سَوَرَتِي حِينَ أَعْضَبُ<sup>(٣)</sup>  
وَلَا تَنْقُرِيَنِي نَقْرَكَ الدُّفَّ مَرَّةً      فَإِنَّكَ لَا تَذَرِينَ كَيْفَ الْمُغَيَّبُ  
وَلَا تَكْثِرِي الشُّكُوى فَتَذْهَبَ بِالْهَوَى      وَيَأْبَاكَ قَلْبِي وَالْقُلُوبُ تَقْلَبُ  
فَإِنِّي وَجَدْتُ الْحُبَّ فِي الصَّدْرِ وَالْأَذَى      إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثِ الْحُبُّ يَذْهَبُ

\* \* \*

١٤٤٧ - وَزَوْجَ عَامِرُ بْنُ الظَّرِبِ ابْنَتَهُ مِنْ ابْنِ أَخِيهِ ، فَلَمَّا أَرَادَ تَحْوِيلَهَا ،

(١) لَا تُلْحِفِي بِهِ : لَا تُلْحِفِي عَلَيْهِ وَلَا تُعْتَبِيهِ ؛ فَيَفْلَاكَ : فَيَبْغِضُكَ ، وَلَيْسَ لِلْمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ .

(٢) وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ وَالشَّعْرَ لِأَبِي الْأَسْوَدِ الدَّؤْلِيِّ .

(٣) الْعَفْوُ : الْفَضْلُ الَّذِي لَا عُسْرَ فِي إِعْطَائِهِ .

قَالَ لِأُمِّهَا : مُرِّي أَبْنَتَكَ أَلَّا تَنْزِلَ مَفَازَةً إِلَّا وَمَعَهَا مَاءٌ ، فَإِنَّهُ لِلْأَعْلَى جَلَاءٌ ،  
وَلِلْأَسْفَلِ نَقَاءٌ ، وَلَا تُكْثِرِ مُضَاجَعَتَهُ ، فَإِنَّهُ إِذَا مَلََّ الْبَدَنُ مَلََّ الْقَلْبُ ، وَلَا تَمْنَعُهُ  
شَهْوَتُهُ ، فَإِنَّ الْحُطُوءَ فِي الْمُوَافَقَةِ ؛ فَلَمْ تَلْبَثْ إِلَّا شَهْرًا حَتَّى جَاءَتْهُ مَشْجُوجَةً ،  
فَقَالَ لِابْنِ أَخِيهِ : يَا بُنَيَّ ! أَرْفَعْ عَصَاكَ عَنْ بَكَرَتِكَ <sup>(١)</sup> ، فَإِنْ كَانَتْ نَفَرَتْ مِنْ غَيْرِ  
أَنْ تُنْفَرَفَ فَذَلِكَ الدَّاءُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَكُمَا وَفَاقٌ فَفِرَاقُ  
الْخُلْعِ <sup>(٢)</sup> أَحْسَنُ مِنَ الطَّلَاقِ ، وَلَنْ تَتْرَكَ مَالَكَ وَأَهْلَكَ ؛ فَرَدَّ عَلَيْهِ صَدَاقَهُ  
وَحَلَعَهَا ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَلَعَ مِنَ الْعَرَبِ . . .

\* \* \*

١٤٤٨ - وَقَالَ عَزَّ وَتَقَدَّسَ : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ  
بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقِ لِحَتُكَ قِنْدَكَ حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ  
بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [٤ سورة النساء/ الآية : ٣٤] .

قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ : يَقُومُونَ عَلَيْهِنَّ أَمِيرِينَ نَاهِينَ ، كَمَا يَقُومُ الْوَلَاءُ عَلَى  
الرَّعَايَا ، ثُمَّ عَلَّلَ سُبْحَانَهُ هَذِهِ الْقَوَامَةَ بِأَمْرَيْنِ : وَهَبِيَّ وَكَسْبِي ؛ أَمَّا الْأَوَّلُ ،  
فَهُوَ : أَنَّ الرِّجَالَ أَفْضَلُ مِنَ النِّسَاءِ .

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : وَقَدْ ذَكَرُوا فِي فَضْلِ الرِّجَالِ الْعَقْلَ وَالْحَزْمَ وَالْعَزْمَ  
وَالْقُوَّةَ وَالْفَرُوسِيَّةَ ، وَأَنَّ مِنْهُمْ الْأَنْبِيَاءَ وَالْعُلَمَاءَ ، وَفِيهِمُ الْإِمَامَةُ الْكُبْرَى  
- الْخِلَافَةُ - وَالصُّغْرَى - الْإِمَامَةُ فِي الصَّلَاةِ - وَالْجِهَادُ وَالْأَذَانُ وَالْخُطْبَةُ  
وَالْإِعْتِكَافُ وَتَكْبِيرَاتُ التَّشْرِيقِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّهَادَةُ فِي الْحُدُودِ وَالْقِصَاصِ  
وَزِيَادَةُ السَّهْمِ وَالنَّعْصِيبُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْحِمَالَةُ وَالْقَسَامَةُ وَالْوِلَايَةُ فِي النِّكَاحِ .

\* \* \*

(١) الْبَكَرَةُ : الْفَتِيَّةُ مِنَ الْإِبِلِ .

(٢) الْخُلْعُ : الطَّلَاقُ عَلَى عَوَضٍ .

السَّرَارِي وَأُمّهَاتُ الْأَوْلَادِ وَأَجْناسُ الْأُمّهَاتِ :

١٤٤٩ - كَانَتِ النَّاسُ قِدَمًا - مُلُوكًا كَانُوا أَوْ سُوقَةً - يَسَرُّونَ ، أَيْ : يَمْتَتِعُونَ بِالسَّرَارِي <sup>(١)</sup> ، جَمْعُ سُرِّيَّةٍ ، بِضَمِّ السِّينِ ، نِسْبَةً إِلَى السَّرِّ <sup>(٢)</sup> ، عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ ، وَهِيَ الْأَمَةُ يَسَرُّ بِهَا مَالِكُهَا وَيَتَّخِذُهَا لِلْوَطْءِ ، وَاشْتَرَطَ الْفُقَهَاءُ فِي صَدَقِ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ حُصُولَ الْوَطْءِ وَلَوْ مَرَّةً ، وَتَظْهَرُ فَائِدَةُ الْأَشْطِرَاطِ فِيمَنْ جَعَلَ يَدَ زَوْجَتِهِ عِتَقَ السَّرِّيَّةِ الَّتِي يَتَّخِذُهَا عَلَيْهَا ، فَإِنْ لَمْ يَطَّأَهَا لَمْ يَكُنْ لَهَا عِتْقُهَا ، وَالسَّرَارِي يُسَمَّوْنَ بَعْدَ أَنْ يُوطَّأْنَ : أُمّهَاتُ أَوْلَادٍ ، وَقَدْ كَانَتِ السَّرَارِي مِنْ أُمَّمِ شَتَّى . . .

وَكَانَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْتَقَى فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمٍ إِلَّا بِالْتَّقَوِي ، وَلَا يُفَضِّلُونَ عَرَبِيًّا عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا صَرِيحَ النَّسَبِ عَلَى هَجِينٍ ، لِأَنَّ ذَاكَ عَرَبِيٌّ خَالِصُ النَّسَبِ وَهَذَا عَجَمِيٌّ أَوْ هَجِينٌ ، وَإِنْ كَانَتْ هُنَاكَ مَنْ مَلَكَتْ رَأْسَهُ الثُّعْرَةُ وَالْعَصِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ وَالْعَنْجُفِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةُ ، فَيَحْتَقِرُونَ أَوْلَادَ أُمّهَاتِ الْأَوْلَادِ ، وَكَانُوا يُعَيِّرُونَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا بِذَلِكَ . . .

قَالَ الْمُبَرِّدُ فِي « الْكَامِلِ » [صفحة : ١٣٧٤] : وَلَمْ يَكُنِ الْإِكْرَامُ لِلْمَوَالِي فِي جُفَاءِ الْأَعْرَابِ .



(١) كَانَ التَّمَتُّعُ بِالسَّرَارِي إِلَى أَنْ حُورِبَ الرِّقُّ وَأَبْطُلَ فِي أَكْثَرِ مَا يُسَمَّوْنَ « أَوْلَادِ الْمُتَمَدِّيَّةِ » . [ أَقُولُ وَأَنَا بَسَامٌ : وَيَبْدُو أَنَّ الْمُجْتَمَعَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمُتَمَدِّينُ بَدَأَ فِي إِعَادَةِ الرِّقِّ تَذَرِيحِيًّا ، مُبْتَدَأً بِمُعْتَقِلِ غَوَانَتْنَامُو ، وَهَلُمَّ جَرًّا ، فَمَا حَقَّقَ الْإِنْسَانُ الْمَعْلَنَةَ فِي عَصْرِنَا الْحَاضِرِ سِوَى أَكْذُوبَةٍ تَفْسِّرُهَا الْبُذُولُ الْقَوِيَّةُ كَمَا تَرِيدُ ، وَتَلْغِي مَسْلَمَاتِهَا مَتَى تَرِيدُ ؟! ] .

(٢) السَّرُّ ، أَيْ : الْنِكَاحُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ [ سورة البقرة / الآية : ٢٣٥ ] وَعِنْدِي أَنَّ تَسْمِيَةَ الْأَمَةِ الْمُتَّخَذَةِ لِلْوَطْءِ سُرِّيَّةً ، نِسْبَةً إِلَى السَّرِّ ، لِأَنَّهُمْ فِي الْغَالِبِ كَانُوا يَتَّخِذُونَ السَّرِّيَّةَ فِي سِرٍّ مِنْ زَوْجَاتِهِمْ الْحَرَائِرِ . [ وَأَصَافُ بَعْضَهُمْ أَنَّهُ لَعَلَّهَا مِنَ السَّرُورِ حَيْثُ يَجِدُ لَدَيْهَا مَا لَا يَجِدُهُ لَدَى الْحَرَائِرِ ] .

عَبْقَرِيَّائُهُمْ فِي أَوْلَادِ السَّرَارِي :

١٤٥٠ - قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : لَيْسَ قَوْمٌ أَكْبَسَ مِنْ أَوْلَادِ السَّرَارِي ،  
لَأَنَّهُمْ يَجْمَعُونَ عِزَّ الْعَرَبِ وَدَهَاءَ الْعَجَمِ ...  
يُرِيدُ إِذَا كُنَّ مِنَ الْعَجَمِ .

\* \* \*

١٤٥١ - وَقَالَ شَاعِرُهُمْ [مِنَ الْبَسِطِ] :

لَا تَشْتُمَنَّ أَمْرًا فِي أَنْ تَكُونَ لَهُ      أَمْ مِنَ الرُّومِ أَوْ سَوْدَاءُ عَجْمَاءُ  
فَإِنَّمَا أُمَّهَاتُ النَّاسِ أَوْعِيَةٌ      مُسْتَوْدَعَاتٌ وَلِلْأَبْنَاءِ آبَاءُ<sup>(١)</sup>  
وَرُبَّ وَاضِحَةٍ لَيْسَتْ بِمُنْجِبَةٍ      وَرُبَّمَا أَنْجَبَتْ لِلْفَحْلِ سَوْدَاءُ

\* \* \*

١٤٥٢ - وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْوَلِيدِ لِلْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ : إِنَّكَ لِمُعْجَبٌ بِالْإِمَاءِ !  
قَالَ : وَكَيْفَ لَا أَعْجَبُ بِهِنَّ وَهُنَّ يَأْتِينَ بِمِثْلِكَ ! ... !

\* \* \*

١٤٥٣ - وَكَانَ لِمُعَاوِيَةَ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ عَيْنٌ - جَاسُوسٌ - بِالْمَدِينَةِ ، يَكْتُبُ  
إِلَيْهِ بِمَا يَكُونُ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ وَقُرَيْشٍ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ أَعْتَقَ  
جَارِيَةً لَهُ وَتَزَوَّجَهَا ، فَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْحُسَيْنِ :

مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ : أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ  
تَزَوَّجْتَ جَارِيَتَكَ ، وَتَرَكْتَ أَكْفَاءَكَ مِنْ قُرَيْشٍ ، مِمَّنْ تَسْتَخْسِنُهُ لِلْوَلَدِ ، وَتَمَجِّدُ

(١) فِي رِوَايَةٍ : « وَلِلْأَخْسَابِ آبَاءُ » .

بِهِ فِي الصُّهْرِ ؛ فَلَا لِنَفْسِكَ نَظَرَتْ ، وَلَا لَوْلَدِكَ أَنْتَقَيْتَ . . .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ :

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ ، وَتَغْيِيرُكَ إِيَّايَ بَأَنِّي تَزَوَّجْتُ مَوْلَاتِي ، وَتَرَكْتُ أَكْفَائِي مِنْ قُرَيْشٍ ، فَلَيْسَ فَوْقَ رَسُولِ اللَّهِ مُنْتَهَى فِي شَرَفٍ ، وَلَا غَايَةُ فِي نَسَبٍ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ مِلْكَ يَمِينِي خَرَجْتُ عَنْ يَدِي بِأَمْرِ الْتِمَسُ فِيهِ ثَوَابَ اللَّهِ تَعَالَى ، ثُمَّ أَرْتَجِعُهَا عَلَى سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ ، وَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ الْخَسِيسَةَ ، وَوَضَعَ عَنَّا بِهِ اللَّقِيسَةَ ، فَلَا لَوْمَ عَلَى أَمْرِيءِ مُسْلِمٍ إِلَّا فِي أَمْرِ مَا نَمِ ، وَإِنَّمَا اللَّوْمُ لَوْمُ الْجَاهِلِيَّةِ .

فَلَمَّا قَرَأَ مُعَاوِيَةُ الْكِتَابَ نَبَذَهُ إِلَى يَزِيدَ ، فَقَرَأَهُ وَقَالَ : لَشَدَّ مَا فَخَرَ عَلَيْكَ الْحُسَيْنُ ! قَالَ : لَا ، وَلَكِنَّهَا أَلْسَنَةُ بَنِي هَاشِمٍ الْحِدَادُ الَّتِي تَفْلُقُ الصَّخْرَ وَتَغْرِفُ مِنَ الْبَحْرِ .

\* \* \*

١٤٥٤ - وَمِثْلُ هَذِهِ الْقِصَّةِ حَدَّثَ بَيْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَبَيْنَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ - الْمَعْرُوفِ بِزَيْنِ الْعَابِدِينَ - حِينَ تَزَوَّجَ أُمَّ وَلَدٍ لِبَعْضِ الْأَنْصَارِ ، فَلَامَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ فِي ذَلِكَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ كِتَابًا يُشْبِهُ كِتَابَ أَبِيهِ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ يَشَرِّفُ مِنْ حَيْثُ يَتَضَعُ النَّاسُ .

\* \* \*

١٤٥٥ - وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ وَلَدِ الرُّومِيَّةِ ؟ فَقَالَ : صَلِفٌ ، مُعْجَبٌ ، بَخِيلٌ ؛ قِيلَ : فَوَلَدَ الصَّقَلِيَّةِ ؟ قَالَ : طَفِيسٌ ، زَنِيمٌ ؛ قِيلَ : فَوَلَدَ السُّودَاءِ ؟ قَالَ : شُجَاعٌ ، سَخِيٌّ ؛ قِيلَ : فَوَلَدَ الصَّفَرَاءِ ؟ قَالَ : هُمْ أَنْجَبُ أَوْلَادًا ،



وَأَلَيْنُ أَجْسَادًا ، وَأَطِيبُ أَفْوَاهًا ؛ قِيلَ : فَوَلَدُ الْعَرَبِيَّةِ ؟ قَالَ : أَنْفٌ ، حَسُودٌ ؛  
قِيلَ : فَوَلَدُ الْكُوبِيَّةِ ؟ قَالَ : فَاسِقٌ ؛ قِيلَ : فَوَلَدُ الْيَهُودِيَّةِ ؟ قَالَ : دَغِلٌّ ،  
قَذِرٌ ؛ قِيلَ : فَوَلَدُ الْفَارِسِيَّةِ ؟ قَالَ : مَكْرٌ وَخَدِيعَةٌ .

\* \* \*

١٤٥٦ - وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : مَنْ أَرَادَ الْبَاءَةَ فَعَلَيْهِ بِالْبَرْبَرِيَّاتِ ،  
وَمَنْ أَرَادَ الْخِدْمَةَ فَعَلَيْهِ بِالرُّومِيَّاتِ ، وَمَنْ أَرَادَ النَّجَابَةَ فَعَلَيْهِ بِالْفَارِسِيَّاتِ .

\* \* \*

١٤٥٧ - وَقَالَ مُوسَى الْكَاطِمُ : عَلَيْكَ بِالْقِيَانِ ، فَإِنَّ لَهُنَّ فِطْنًا وَعُقُولًا  
لَيْسَتْ لِكَثِيرٍ مِنَ النِّسَاءِ .

الْقِيَانُ ، جَمْعُ قَيْنَةٍ ، وَهِيَ : الْأَمَةُ ، مُغْنِيَّةٌ كَانَتْ أَوْ غَيْرَ مُغْنِيَّةٍ ، وَبَعْضُ  
النَّاسِ يَظُنُّ الْقَيْنَةَ : الْمُغْنِيَّةَ خَاصَّةً ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ؛ هَذَا كَلَامُ عُلَمَاءِ  
اللُّغَةِ ، وَلَكِنَّ الظَّاهِرَ أَنَّ الْكَاطِمَ إِنَّمَا أَرَادَ بِالْقِيَانِ الْإِمَاءَ الْمُغْنِيَّاتِ بِالْإِصْطِلَاحِ  
الْعُرْفِيِّ .

\* \* \*

١٤٥٨ - وَقَالَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ<sup>(١)</sup> : إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ رَجُلٍ أَخْفَى  
شَعْرَهُ ثُمَّ أَعْفَاهُ<sup>(٢)</sup> ، وَمِنْ رَجُلٍ لَبَسَ الْقَصِيرَ كَيْفَ يَلْبَسُ الطَّوِيلَ ، وَمِمَّنْ كَانَ  
صَاحِبَ سَرَائِي ثُمَّ اتَّخَذَ الْمَهِيرَاتِ .

الْمَهِيرَةُ : الْحُرَّةُ الْمَمْهُورَةُ ، فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ ، مِنْ قَوْلِكَ : مَهَرْتُهَا :

(١) هُوَ مِنْ أُمَّهَاتِ الْأَوْلَادِ .

(٢) أَخْفَى الرَّجُلُ شَارِبَهُ : بَالَعَ فِي أَخْذِهِ وَأَسْتَقْصَى قَصَّهُ .

إِذَا جَعَلْتَ لَهَا مَهْرًا ، وَقَدْ يُقَالُ : أَمَهَرْتُهَا ، بِالْأَلِفِ ، وَهُوَ قَلِيلٌ .

\* \* \*

١٤٥٩ - وَقَالُوا : الْأَمَةُ تُشْتَرَى بِالْعَيْنِ ، وَتُرَدُّ بِالْعَيْنِ ، وَالْحُرَّةُ غُلٌّ فِي عُنُقٍ مَنْ صَارَتْ إِلَيْهِ « وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ تَصِحُّ أَنْ تَكُونَ تَعْلِيلًا لِقَوْلِهِ مَسْلَمَةٌ أَنْفَاءً : مِمَّنْ كَانَ صَاحِبَ سَرَارٍ ثُمَّ اتَّخَذَ الْمَهِيرَاتِ » .

\* \* \*

١٤٦٠ - وَقَالَ الْجَاحِظُ فِي ذَلِكَ : قَالَ بَعْضُ مَنْ أَخْتَجَّ لِلْعِلَّةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا صَارَ أَكْثَرُ الْإِمَاءِ أَخْطَى عِنْدَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ الْمَهِيرَاتِ أَنَّ الرَّجُلَ قَبْلَ أَنْ يَمْلِكَ الْأَمَةَ قَدْ تَأَمَّلَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهَا وَعَرَفَ مَا خَلَا الْخُلُوةَ ، فَأَقْدَمَ عَلَى ابْتِياعِهَا بَعْدَ وَقُوعِهَا بِالْمُوَافَقَةِ ، وَالْحُرَّةُ إِنَّمَا يُسْتَشَارُ فِي جَمَالِهَا النَّسَاءِ ، وَالنِّسَاءُ لَا يُبْصِرُونَ مِنْ جَمَالِ النَّسَاءِ وَحَاجَاتِ الرِّجَالِ وَمُوَافَقَتِهِنَّ ، قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا ! وَالرِّجَالُ بِالنِّسَاءِ أَبْصَرُ ! وَقَدْ تُحْسِنُ الْمَرْأَةُ أَنْ تَقُولَ : كَانَ أَنْفَهَا أَلْسَيْفٌ ، وَكَانَ عَيْنُهَا عَيْنُ غَزَالٍ ، وَكَانَ عُنُقُهَا إِبْرِيْقُ فِضَّةٍ ! وَكَانَ شَعْرُهَا أَلْعَنَاقِيدُ . . ! وَهُنَاكَ أَسْبَابٌ أُخْرُ بِهَا يَكُونُ الْحُبُّ وَالْبُغْضُ .

أَقُولُ : هَذَا كَلَامٌ بِمَكَانٍ مِنَ الصَّدَقِ وَالسَّدَادِ مَكِينٍ ، فَلْيَعْتَبِرْ بِهِ مَنْ يُعَوِّلُ عَلَى الْخَاطِبَاتِ ، وَعَلَى النِّسَاءِ كَافَّةً ، حِينَ يَهْمُ بِالزَّوْاجِ وَيُوسِّطُهُنَّ فِي الْخِطْبَةِ ، فَهِنَّ لَعَمْرِي فَاسِدَاتُ الذَّوْقِ ، وَفَاسِدُ الذَّوْقِ لَا يُعْطِيهِ كَمَا يَقُولُ فَقَهَاؤُنَا ، ذَلِكَ إِلَى أَنَّهُنَّ قَدْ يَكْذِبْنَ تَمَشُّيًا مَعَ هَوَاهُنَّ وَضِلْعِهِنَّ مَعَ مَنْ يَغْنِيهِنَّ زَوَاجُهُنَّ .

\* \* \*

١٤٦١ - وَكَانَ عِنْدَ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَاحِ أُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ يَغُثُوبَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَخْزُومِيِّ ، وَكَانَ قَدْ أَحَبَّهَا حُبًّا شَدِيدًا ، وَوَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ مَوْعِدًا لَطِيفًا ، فَحَلَفَ لَهَا أَنْ لَا يَتَّخِذَ عَلَيْهَا سُرِّيَّةً وَلَا يَتَزَوَّجَ عَلَيْهَا أَمْرًا ، فَوَفَّى لَهَا بِذَلِكَ ، فَخَلَا بِهِ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ يَوْمًا ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! فَكَّرْتُ فِي أَمْرِكَ وَسَعَةِ مُلْكِكَ ، وَأَنَّكَ قَدْ مَلَكَتْ نَفْسَكَ أَمْرًا وَاقْتَصَرْتَ عَلَيْهَا ، فَإِنْ مَرَضْتَ مَرَضْتُ ، وَإِنْ حَاضَتْ حِضَّتْ ، وَحَرَمْتَ نَفْسَكَ التَّلَذُّذَ بِالسَّرَّارِيِّ ، وَاسْتِظْرَافَ الْجَوَارِيِّ ، وَمَعْرِفَةَ اخْتِلَافِ حَالَاتِهِنَّ ، وَأَجْنَاسِ التَّمَتُّعِ بِمَا يُشْتَهَى مِنْهُنَّ ، فَمِنْهُنَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الطَّوِيلَةُ الْغِنْدَاءُ ، وَالْبَيْضَةُ الْبَيْضَاءُ ، وَالْعَتِيقَةُ الْأَذْمَاءُ ، وَالذَّهَبِيَّةُ السَّمَرَاءُ ، وَالزَّبْرِيَّةُ الْعَجْزَاءُ ، وَالْمَوْلِدَاتُ الْمَدَنِيَّاتُ اللَّوَاتِي يَنْتَنَ بِمُجَاوَرَتِهِنَّ ، وَيَخْلِينَ بِحِلَاوَتِهِنَّ ؛ وَلَوْ رَأَيْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ السَّمَرَاءَ وَاللَّعْنَاءَ مِنْ مَوْلِدَاتِ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ ، ذَوَاتِ الْأَلْسُنِ الْعَذْبَةِ ، وَالْقُدُودِ الْمُتَهَفِّفَةِ ، وَالْأَوْسَاطِ الْمُخْتَصِرَةِ ، وَالْثِدِّيِّ النَّوَاهِدِ الْمُحَقِّقَةِ ، وَحُسْنَ زِينَتِهَا وَشَكْلِهِنَّ ؛ لَرَأَيْتَ فِتْنًا وَمَنْظَرًا حَسَنًا ؛ وَأَيْنَ أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَنَاتِ الْأَحْرَارِ وَالنَّظَرِ فِيمَا عِنْدَهُنَّ مِنَ الْحَيَاءِ وَالتَّحْضُرِ وَالذَّلَالِ وَالتَّعَطُّرِ ؛ وَأَقْبَلَ خَالِدٌ يُجِيدُ فِي الْوَصْفِ وَيَكْثُرُ فِي الْإِطْنَابِ بِحِلَاوَةِ لَفْظِهِ وَجُودَةِ كَلَامِهِ ؛ فَلَمَّا فَرَغَ ، قَالَ لَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ : وَيْحَكَ يَا خَالِدُ ! وَاللَّهِ مَا سَلَكَ مَسَامِعِي قَطُّ كَلَامٌ أَحْسَنُ مِمَّا سَمِعْتُهُ مِنْكَ ، فَأَعَدُّهُ عَلَيَّ ؛ فَأَعَادَهُ عَلَيْهِ ، وَزَادَ فِيهِ ؛ ثُمَّ أَنْصَرَفَ خَالِدٌ وَبَقِيَ أَبُو الْعَبَّاسِ مُتَفَكِّرًا مَغْمُومًا ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ أُمُّ سَلَمَةَ ، وَكَانَتْ تُبْرُهُ بَرًّا كَثِيرًا ، وَتَتَقَمَّنُ مَسَرَّتَهُ وَمُوَافَقَتَهُ فِي جَمِيعِ مَا أَرَادَهُ ، فَقَالَتْ لَهُ : مَا لِي أَرَاكَ مَغْمُومًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَهَلْ حَدَثَ أَمْرٌ تَكْرَهُهُ ؟ أَوْ أَتَاكَ خَبْرٌ أَرْتَعْتَ لَهُ ؟ قَالَ : لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ؛ قَالَتْ : فَمَا قِصَّتُكَ ؟ فَجَعَلَ يَكْتُمُ عَنْهَا ، فَلَمْ

تَزَلُّ بِهِ حَتَّى أَخْبَرَهَا بِمَقَالَةِ خَالِدٍ ، قَالَتْ : فَمَا قُلْتَ لِابْنِ الْفَاعِلَةِ ؟ قَالَ :  
 سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَيَنْصَحُنِي وَتَشْتُمِينِي ! فَخَرَجَتْ مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَرْسَلَتْ إِلَى خَالِدٍ  
 عَبِيداً لَهَا ، وَأَمَرَتْهُمْ بِضَرْبِهِ وَالتَّنْكِيلِ بِهِ ؛ قَالَ خَالِدٌ : وَكُنْتُ أَنْصَرَفْتُ إِلَى  
 مَنْزِلِي مَسْرُوراً بِمَا رَأَيْتُ مِنْ إِضْغَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى كَلَامِي وَإِعْجَابِهِ بِمَا أَلْفَيْتُ  
 إِلَيْهِ ، وَأَنَا لَا أَشْكُ فِي الصَّلَةِ ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ جَاءَ أَوْلَيْكَ الْعَبِيدُ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ  
 أَقْبَلُوا نَحْوِي أَتَيْتُ بِالْجَائِزَةِ ، فَوَقَفُوا عَلَيَّ ، وَسَلَّأُوا عَنِّي فَعَرَفْتُهُمْ بِنَفْسِي ،  
 فَأَهْوَى إِلَيَّ أَحَدُهُمْ بِعُمُودٍ كَانَ فِي يَدِهِ ، فَبَادَرْتُ إِلَى الدَّارِ ، وَأَغْلَقْتُ الْبَابَ ،  
 وَمَكُنْتُ أَيَّاماً لَا أَخْرُجُ مِنْ مَنْزِلِي ، وَطَلَبَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ طَلَباً شَدِيداً ، فَلَمْ  
 أَشْعُرْ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَّا بِقَوْمٍ قَدْ هَجَمُوا عَلَيَّ ، فَقَالُوا : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ !  
 فَأَيْقَنْتُ بِالْمَوْتِ ، وَقُلْتُ : لَمْ أَرِ دَمَ شَيْخٍ أَضِيعَ مِنْ دَمِي ؛ وَرَكِبْتُ ، فَلَمْ أَصِلْ  
 إِلَى الدَّارِ حَتَّى اسْتَقْبَلَنِي عِدَّةُ رُسُلٍ ، فَدَخَلْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَوَجَدْتُهُ  
 جَالِساً ، فَأَوْمَأَ إِلَيَّ بِالْجُلُوسِ ، فَتَابَ إِلَيَّ عَقْلِي ، فَجَلَسْتُ ، وَفِي الْمَجْلِسِ  
 بَابٌ عَلَيْهِ سُتُورٌ قَدْ أُزْحِيَتْ ، وَخَلْفَهُ حَرَكَةٌ ، فَقَالَ لِي : يَا خَالِدُ ! لَمْ أَرَكَ مِنْذُ  
 ثَلَاثٍ ؛ قُلْتُ : كُنْتُ عَلِيلاً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَالَ : إِنَّكَ وَصَفْتَ لِي آخِرَ دَخَلَةٍ  
 مِنْ أَمْرِ النِّسَاءِ وَالْجَوَارِي مَا لَمْ يَخْرُقْ سَمْعِي قَطُّ كَلَامٌ أَحْسَنَ مِنْهُ ، فَأَعِدُّهُ  
 عَلَيَّ ؛ قُلْتُ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَعْلَمْتُكَ أَنَّ الْعَرَبَ إِنَّمَا اسْتَقْتَّ اسْمَ  
 الضَّرَةِ مِنَ الضَّرَرِ ، وَأَنَّ أَحَدًا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ أَمْرَانِ إِلَّا كَانَ فِي ضَرَرٍ وَتَنْغِيصٍ ،  
 قَالَ : وَيْحَكَ ! لَمْ يَكُنْ هَذَا فِي حَدِيثِكَ ! قُلْتُ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،  
 وَأَخْبَرْتُكَ أَنَّ الثَّلَاثَ مِنَ النِّسَاءِ كَأَنِّي فِي الْقَدْرِ ، تَغْلِي عَلَيْهَا أَبَدًا ، وَأَنَّ الْأَرْبَعَ  
 شَرُّ مَجْمُوعٍ لِصَاحِبِهِ ، يَهْرِمُنَّهُ وَيُسْقِمُنَّهُ وَيُضْعِفُنَّهُ ، وَأَنَّ أَبْكَارَ الْإِمَاءِ رِجَالٌ ،  
 وَلَكِنْ لَا خُصَى لَهُنَّ ؛ قَالَ : فَقَالَ : بَرِئْتُ مِنْ قَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنْ كُنْتُ  
 سَمِعْتُ مِنْكَ مِنْ هَذَا شَيْئاً قَطُّ ؛ قَالَ خَالِدٌ : بَلَى ، وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،

وَعَرَفْتُكَ أَنَّ بَنِي مَخْزُومٍ رِيحَانُهُ قُرَيْشٌ ، وَأَنَّ عِنْدَكَ رِيحَانَةُ الرَّيَّاحِينَ ، وَأَنْتَ تَطْمَحُ بِعَيْنِكَ إِلَى الْإِمَاءِ وَالسَّرَارِي ! قَالَ : فَقَالَ : وَيْحَكَ ! أَتَكْذِبُنِي وَتَكْذِبُنِي ؟ قُلْتُ : أَفْتَقْتُلُنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : فَسَمِعْتُ ضَحْكَاً مِنْ وَرَاءِ السُّتْرِ ، وَقَائِلًا يَقُولُ : صَدَقْتَ وَاللَّهِ يَا عَمَّاهُ ، بِهَذَا حَدَّثْتُهُ ، وَلَكِنَّهُ بَدَّلَ وَغَيَّرَ وَنَطَقَ عَلَى لِسَانِكَ بِمَا لَمْ تَنْطِقْ بِهِ ؛ قَالَ خَالِدٌ : فَقُمْتُ عَنْهُمَا ، وَتَرَكْتُهُمَا يَتَرَاوَضَانِ فِي أَمْرِهِمَا ، فَمَا شَعَرْتُ إِلَّا بِرُسُلٍ أُمِّ سَلَمَةَ وَمَعَهُمُ الْمَالُ وَتُحَفٌ وَثِيَابٌ ؛ فَقَالُوا لِي : تَقُولُ لَكَ أُمُّ سَلَمَةَ : إِذَا حَدَّثْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَحَدِّثْهُ بِمِثْلِ حَدِيثِكَ هَذَا .

\* \* \*

١٤٦٢ - وَقَالَ الْأَضْمَعِيُّ : كَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَكْرَهُونَ اتِّخَاذَ أُمَهَاتِ الْأَوْلَادِ ، حَتَّى نَشَأَ فِيهِمْ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ ، وَسَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، فَفَاقُوا أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَفَهَاوُورَعَا ، فَرَزَغَ النَّاسُ فِي السَّرَارِي <sup>(١)</sup> .

\* \* \*

(١) أُمُّ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمَعْرُوفِ بِزَيْنِ الْعَابِدِينَ هِيَ سُلَاقَةُ بِنْتُ يَزْدَجَرْدَ آخِرُ مُلُوكِ فَارِسٍ ، وَهِيَ أَخْتُ أُمَهَاتِ الْقَاسِمِ وَسَالِمٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ الصَّحَابَةَ لَمَّا اتُّوا الْمَدِينَةَ بِسَنِي فَارِسٍ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، كَانَ مِنْهُمْ ثَلَاثُ بَنَاتٍ لِيَزْدَجَرْدَ ، فَأَمَرَ عُمَرُ بِبَيْعِهِنَّ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : إِنَّ بَنَاتِ الْمُلُوكِ لَا يُعَامَلْنَ مُعَامَلَةَ السُّوقَةِ ؛ قَالَ : وَكَيْفَ الطَّرِيقُ مَعَهُنَّ ؟ قَالَ : يَقُومْنَ ، وَمَهُمَا بَلَغَ ثَمَنُهُنَّ قَامَ بِهِ مَنْ يَخْتَارُهُنَّ ؛ فَقُومْنَ ، فَاشْتَرَاهُنَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَدَفَعَ وَاحِدَةً لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، وَأُخْرَى لَوْلَدِهِ الْحُسَيْنِ ، وَأُخْرَى لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ ؛ فَأَوْلَدَ عَبْدُ اللَّهِ أُمَّتَهُ سَالِمًا ، وَأَوْلَدَ الْحُسَيْنُ أُمَّتَهُ وَلَدَهُ زَيْنَ الْعَابِدِينَ ، وَأَوْلَدَ مُحَمَّدٌ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ أُمَّتَهُ وَلَدَهُ الْقَاسِمَ ؛ قَالَ الْمُبَرِّدُ : وَكَانَتْ أُمُّ عَلِيٍّ بِنْتُ الْحُسَيْنِ مَعْرُوفَةً النَّسَبِ خَيْرَتَانِ ؛ وَكَانَ يُقَالُ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ : ابْنِ الْخَيْرَتَيْنِ ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ : « اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ خَيْرَتَانِ ، فَيُخَيَّرُهُ مِنَ الْعَرَبِ قُرَيْشٌ وَمِنَ الْعَجَمِ فَارِسٌ » ، وَيَزْدَجَرْدُ هُوَ ابْنُ شَهْرِيَارِ بْنِ أَبَرْويزِ بْنِ هُرْمُزِ بْنِ أَوْشِرَوَانَ آخِرُ مُلُوكِ الْفَرَسِ ، مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ لِلْهِجْرَةِ .

١٤٦٣ - وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرَّدُ [« الكامل » ٦٤٥/٢] : يُرَوَّى لَنَا عَنْ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ لَمْ يُسَمَّ لَنَا ، قَالَ : كُنْتُ أَجَالِسُ سَعِيدَ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، فَقَالَ لِي يَوْمًا : مَنْ أَحْوَالُكَ ؟ فَقُلْتُ : أُمِّي فَتَاةٌ - يُرِيدُ : سُرِّيَّةٌ - أُمَةٌ ؛ فَكَأَنِّي نَقَضْتُ فِي عَيْنِهِ ، فَأَمْهَلْتُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ قُلْتُ : يَا عَمَّ ! مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ ، أَتَجْهَلُ مِثْلَ هَذَا مِنْ قَوْمِكَ ! هَذَا سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ؛ قُلْتُ : فَمَنْ أُمُّهُ ؟ قَالَ : فَتَاةٌ ؛ قَالَ : ثُمَّ أَنَا هَذَا الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَحِمَهُ اللَّهُ ؛ فَجَلَسَ عِنْدَهُ ، ثُمَّ نَهَضَ ، فَقُلْتُ : يَا عَمَّ ! مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : أَتَجْهَلُ مِنْ أَهْلِكَ مِثْلَهُ ! مَا أَعْجَبَ هَذَا ! هَذَا الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ ؛ فَقُلْتُ : فَمَنْ أُمُّهُ ؟ قَالَ : فَتَاةٌ ؛ فَأَمْهَلْتُ شَيْئًا حَتَّى جَاءَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ نَهَضَ ، فَقُلْتُ : يَا عَمَّ ! مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا الَّذِي لَا يَسْعُ مُسْلِمًا أَنْ يَجْهَلَهُ ! هَذَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ؛ قُلْتُ : فَمَنْ أُمُّهُ ؟ قَالَ : فَتَاةٌ ؛ قَالَ : قُلْتُ : يَا عَمَّ ! رَأَيْتُنِي نَقَضْتُ فِي عَيْنِكَ لَمَّا عَلِمْتَ أَنِّي لَأُمٌّ وَلَدٌ ، أَفَمَالِي فِي هَؤُلَاءِ أَسْوَةٌ ؟ ! . . . قَالَ : فَجَلَلْتُ فِي عَيْنِهِ جِدًّا .

\* \* \*

١٤٦٤ - وَقَالَ الْجَاحِظُ : قَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ : لَوْ كَانَ رَجُلٌ مِنْ ذَهَبٍ لَكُنْتُهُ ؛ قَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لَمْ تَلِدْنِي أُمَةٌ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ آدَمَ إِلَّا هَاجِرٌ ؛ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ؛ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : لَوْ لَا هَاجِرٌ لَكُنْتَ كَلْبًا مِنَ الْكِلَابِ .

\* \* \*

١٤٦٥ - وَيُقَالُ : إِنَّ أَوَّلَ مَلِكٍ وُلِدَ مِنْ سُرِّيَّةٍ فِي الْإِسْلَامِ هُوَ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَذَلِكَ أَنَّ قُتَيْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ حِينَ افْتَتَحَ الصُّغْدَ وَجَدَ جَارِيَتَيْنِ - فَتَاتَيْنِ - مِنْ أَوْلَادِ فَيْرُوزَ بْنِ يَزْدَجَرْدَ ، فَبَعَثَ بِهِمَا إِلَى الْحَجَّاجِ ، فَبَعَثَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُمَا إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ؛ فَوَلَدَتْ لَهُ يَزِيدَ ، وَكَانَتْ سُلَافَةً أُمِّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَمَّةُ أُمِّ يَزِيدَ .

\* \* \*

١٤٦٦ - قَالَ ابْنُ حَزْمٍ فِي كِتَابِهِ : « نَقَطَ الْعُرُوسِ » [صفحة : ١٠٤] : وَلَمْ يَلِ الْخِلَافَةَ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ مَنْ أُمُّهُ أَمَةٌ ، حَاشَا يَزِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ ؛ وَلَا وَلِيَهَا مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ مَنْ أُمُّهُ حُرَّةٌ حَاشَا السَّقَّاحَ وَالْمَهْدِيَّ وَالْأَمِينَ ؛ قَالَ : وَلَمْ يَلِهَا مِنْ بَنِي أُمِّيَّةٍ فِي الْأَنْدَلُسِ مَنْ أُمُّهُ حُرَّةٌ أَضَلًّا .

\* \* \*

١٤٦٧ - قَالَ التَّيْجَانِيُّ صَاحِبُ « تُخْفَةِ الْعُرُوسِ » [صفحة : ١٨٥] : وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مِثْلَ هَذَا مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، فَقَالَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ ، عَنْهُ ﷺ حِينَ سَأَلَهُ جَبْرِيلُ عَنْ أَمَارَتِهَا فَقَالَ : « أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رَبَّتَهَا ، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ » [مسلم ، رقم : ٨] .

قَالَ الْعُلَمَاءُ [« تخفة العروس » صفحة : ١٨٥] : مَعْنَى قَوْلِهِ : « أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رَبَّتَهَا » : أَنَّ الْإِسْلَامَ يَتَّسِعُ وَتَكْثُرُ السَّرَارِي وَيَسْتَوْلِدُهُنَّ الْمُلُوكُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ ، فَكَأَنَّ ابْنَةَ السُّرِّيَّةِ - وَهِيَ الْأُمَةُ - رَبَّتَهَا ، لِأَنَّهَا مِلْكٌ لِأَيِّهَا ، وَمِلْكُ الْأَبِ فِي التَّقْدِيرِ كَأَنَّهُ مِلْكٌ لِلْوَلَدِ .

أَقُولُ : هَذَا بَعْضُ حَدِيثٍ أَوْرَدَهُ الْبُخَارِيُّ فِي بَابِ الْإِيمَانِ [رقم : ٥٠] وَفِي

بَابِ الْفِتَنِ وَفِي بَابِ التَّفْسِيرِ [رقم : ٤٧٧٧] ، كَمَا أوردَهُ مُسْلِمٌ [رقم : ٨] وَغَيْرُهُ .  
وَنَحْنُ نُورِدُهُ عَلَى الْوَجْهِ الْآتِي ، قَالَ الْكُرَوَاءُ : بَيْنَمَا نَحْنُ ذَاتَ يَوْمٍ عِنْدَ رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ ، لَا يُرَى  
عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ  
إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَا الْإِيمَانُ ؟  
قَالَ : « الْإِيمَانُ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، [ وَكُتُبِهِ ] ، وَبِلِقَائِهِ ، وَرُسُلِهِ ،  
وَتُؤْمِنَ بِالْبُعْثِ » ، قَالَ : مَا الْإِسْلَامُ ؟ قَالَ : « الْإِسْلَامُ : أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ  
وَلَا تُشْرِكَ بِهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ » ؛  
قَالَ : مَا الْإِحْسَانُ ؟ قَالَ : « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ  
يَرَاكَ » ؛ قَالَ : مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ ؟ قَالَ : « مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ  
السَّائِلِ ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا - عَلَامَاتِهَا - إِذَا وَلَدَتِ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا - وَفِي  
رِوَايَةٍ : رَبَّهَا - وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الْإِبِلِ الْبُهْمُ فِي الْبُنْيَانِ ، فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ  
إِلَّا اللَّهُ » <sup>(١)</sup> ؛ ثُمَّ تَلَا النَّبِيُّ ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [٣١ سورة لقمان/ الآية :  
٣٤] الْآيَةَ <sup>(٢)</sup> ، ثُمَّ أَذْبَرَ - أَيِ : السَّائِلِ - فَقَالَ - أَيِ : الرَّسُولُ - : « رُدُّوهُ » ،

(١) فِي خَمْسٍ ، أَيِ : إِنَّ عِلْمَ وَقْتِ السَّاعَةِ دَاخِلٌ فِي جُمْلَةِ خَمْسٍ ، أَيِ : إِنَّ هُنَاكَ أُمُورًا خَمْسَةً  
مِنَ النَّبِيِّ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ ، وَمِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الْخَمْسَةِ عِلْمُ وَقْتِ السَّاعَةِ .

(٢) قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ : الْمَقْصُودُ الْإِخْبَارُ عَنْ تَبَدُّلِ الْحَالِ بِأَنْ يَسْتَوِلِيَ أَهْلُ الْبَادِيَةِ عَلَى الْأَمْرِ  
وَيَسْتَلْكُوا الْبِلَادَ بِالْقَهْرِ ، فَتَكْثُرَ أُمُورُهُمْ وَتَنْصَرِفَ هِمْمُهُمْ إِلَى تَشْيِيدِ الْبُنْيَانِ وَالتَّفَاخُرِ بِهِ ، وَمِنْهُ  
الْحَدِيثُ الْآخَرُ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدُ النَّاسِ بِالْذُّنْيَا لُكْعُ بَنِي لُكْعٍ ! »  
[الترمذي ، رقم : ٢٢٠٩] « أَلُّكْعُ : الْكَيْسُ » ، وَمِنْهُ : « إِذَا وَسَدَ الْأَمْرُ - أَيِ : أُسْنِدَ - إِلَى  
غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظَرُوا السَّاعَةَ » .

قَالَ عَلَمَاؤُنَا : إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لِإِفْضَائِهِ إِلَى اخْتِلَالِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَوَهْنِ الدِّينِ وَضَعْفِ  
الْإِسْلَامِ وَعَلَيَّةِ الْجَهْلِ وَرَفْعِ الْعِلْمِ وَعَجْزِ أَهْلِ الْحَقِّ عَنِ الْقِيَامِ بِهِ وَنُصْرَتِهِ .



فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا ؛ فَقَالَ : « هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ » . . .

وَنَحْنُ لَا نَرَى دَاعِيًا لِتَفْسِيرِ هَذَا الْحَدِيثِ<sup>(١)</sup> ، اَللّٰهُمَّ اِلَّا مَا تَعَلَّقَ مِنْهُ بِمَوْضُوعِنَا ، وَهُوَ قَوْلُهُ : « اَنْ تَلِدَ الْاُمَّةُ رَبَّتَهَا » ، وَفِي رِوَايَةٍ : « رَبَّهَا » ؛ وَقَدْ ذَهَبَ عُلَمَاؤُنَا فِي مَعْنَى ذَلِكَ مَذَاهِبَ شَتَّى ، أَحَدُهَا مَا أوردَهُ التَّيْجَانِيُّ آفَاءً ، وَمِنْ هَذِهِ التَّفَاسِيرِ : اَنْ يَكْثُرَ الْعُقُوقُ فِي الْاَوْلَادِ ، فَيُعَامِلَ الْوَلَدُ اُمَّهُ مُعَامَلَةً السَّيِّدِ اَمَتَهُ ، مِنْ الْاِهَانَةِ ، بِالسَّبِّ وَالضَّرْبِ وَالْاِسْتِخْدَامِ .

رَاجِعْ « فَتْحُ الْبَارِي شَرْحُ الْبُخَارِيِّ » بَابُ الْإِيمَانِ [رقم : ٥٠] .

\* \* \*

١٤٦٨ - وَقَالَ الْمُبَرِّدُ فِي « الْكَامِلِ » [٦٥٠/٢] : أَنْشَدَنِي الرِّيَاشِيُّ [مِنْ مَجْزُوءِ

الرَّمْلِ] :

إِنَّ أَوْلَادَ السَّـرَّارِي كَثُرُوا يَا رَبَّ فِينَا  
رَبِّ أَذْخَلْنِي بِـلَادَا لَا أَرَى فِيهَا هَاجِنَا

\* \* \*

١٤٦٩ - وَقَالَ السُّلَيْكُ بْنُ السُّلَيْكَةِ<sup>(٢)</sup> [« الْكَامِلِ » ٦٤٣/٢] - وَالسُّلَيْكَةُ أُمُّهُ ،

وَكَانَتْ سَوْدَاءَ حَبَشِيَّةً [مِنْ الْوَاثِقِ] :

(١) نَظْمُ الْآيَةِ هَكَذَا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُرْسِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [٣١ سورة لقمان/ الآية : ٣٤] [ وَهَذِهِ الْأُمُورُ الْخَمْسُ هِيَ الْمَقْصُودَةُ فِي قَوْلِهِ ﷺ : « مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ » الْبُخَارِيُّ ، رَقْم : ٤٧٧٨ ] .

(٢) شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ لِصِّ فَتَاكُ ، وَكَانَ أَحَدَ الْعَدَائِينَ الَّذِينَ لَا تَلْحَقُهُمُ الْخَيْلُ ، وَهُمْ : السَّنْفَرِيُّ ، وَتَابِطُ شَرًّا ، وَعَمْرُو بْنُ بَرَّاقٍ ، وَنُقَيْلُ بْنُ بَرَّاقَةٍ .

أَشَابَ الرَّأْسَ أَنِّي كُلَّ يَوْمٍ أَرَى لِي خَالَةً وَسَطَ الرَّحَالِ<sup>(١)</sup>  
يَشُوُّ عَلَيَّ أَنْ يَلْقَيْنَ ضَيْمًا وَيَعْجِزُ عَنْ تَخْلُصِهِنَّ مَالِي

\* \* \*

١٤٧٠ - وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُرِّ [« الكامل » ٦٤٦/٢] ، وَكَانَ شَاعِرًا مُتَقَدِّمًا ،  
وَكَانَ لَأُمِّ وَلَدٍ ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ [من الطويل] :

فَإِنْ تَكُ أُمِّي مِنْ نِسَاءِ أَفَاءِهَا جِيَادُ أَلْقَنَا وَالْمُزْهَفَاتِ الصَّفَائِحِ<sup>(٢)</sup>  
فَتَبًّا لِفَضْلِ الْحُرِّ إِنْ لَمْ أَنْلِ بِهِ كَرَائِمَ أَوْلَادِ النِّسَاءِ الصَّرَائِحِ  
قَالَ الْمُبَرِّدُ [« الكامل » ٦٤٦/٢] : وَإِنَّمَا أَخَذَ هَذَا مِنْ قَوْلِ عَنَتَرَةَ [من الكامل] :

وَأَنَا أَمْرُؤُ مِنْ خَيْرِ عَنَسٍ مَنُصِبًا شَطْرِي وَأَخِي سَائِرِي بِالْمُنْصَلِ<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

١٤٧١ - وَقَالَ بِلَالُ بْنُ جَرِيرٍ ، وَبَلَغَهُ أَنَّ مُوسَى بْنَ جَرِيرٍ كَانَ إِذَا ذَكَرَهُ نَسَبَهُ  
إِلَى أُمِّهِ ، لِأَنَّهُ ابْنُ أُمِّ وَلَدٍ ، فَيَقُولُ : قَالَ ابْنُ أُمِّ حَكِيمٍ ؛ فَقَالَ بِلَالُ [من الرجز] :  
يَا رَبَّ خَالٍ لِي أَغَرَّ أَبْلَجَا مِنْ آلِ كِسْرَى يَغْتَدِي مُتَوَجًّا  
لَيْسَ كَخَالٍ لَكَ يُدْعَى عَشْنَجَا

وَالْعَشْنَجُ : الْمُتَقَبِّضُ الْوَجْهِ ، السَّيِّئُ الْمَنْظَرُ ، وَهُوَ مُخَفَّفٌ مِنْ عَشْنَجٍ ،

(١) الرَّحَالُ : الْبُيُوتُ .

(٢) أَفَاءُهَا مِنَ الْفَيءِ ، وَهُوَ : الْغَنِيمَةُ ، تَقُولُ : أَفَاتُ عَلَى قَوْمِي فَيْئًا : إِذَا أَخَذْتَ لَهُمْ يَسَلَبَ قَوْمٍ  
آخَرِينَ فَجِئْتَهُمْ بِهِ ؛ وَجِيَادُ فَاعِلٌ أَفَاءٌ ؛ وَالصَّفَائِحُ : السُّيُوفُ الْغَرَاضُ .

(٣) شَطْرِي مُبْتَدَأٌ ، وَالْخَيْرُ هُوَ « مِنْ خَيْرِ عَنَسٍ » وَالْمُنْصَلُ بِضَمِّ الْمِيمِ مَعَ ضَمِّ الصَّادِ وَفَتْحِهَا :  
اسْمٌ لِلنِّسَاءِ ، قَالَ ابْنُ سَيِّدَةَ : لَا نَعْرِفُ فِي الْكَلَامِ اسْمًا عَلَى مُفْعَلٍ وَمُفْعَلٍ إِلَّا هَذَا ،  
وَقَوْلُهُمْ : مُنْخَلٌ وَمُنْخَلٌ .

بِفَتْحِ الشَّيْنِ وَالنُّونِ الْمُشَدَّدَةِ . قَالَ الْمُبَرِّدُ [الكامل ، ٢/٦٤٧] : وَكَانَ سَبَبُ أُمِّ بِلَالٍ عِنْدَ جَرِيرٍ أَنَّ جَرِيرًا فِي أَوَّلِ دُخُولِهِ الْعِرَاقَ دَخَلَ عَلَى الْحَكَمِ بْنِ أُتُوبَ ابْنِ أَبِي عَقِيلٍ الثَّقَفِيِّ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ الْحَجَّاجِ وَعَامِلُهُ عَلَى الْبَصْرَةِ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ جَرِيرٌ [من الرجز] :

أَقْبَلَنَ مِنْ تَهْلَانٍ أَوْ وَادِي خَيْمٍ عَلَى قِلَاصٍ مِثْلِ خِيَطَانِ السَّلَمِ<sup>(١)</sup>  
 إِذَا قَطَعْنَ عِلْمًا بَدَا عِلْمٌ حَتَّى أَنْخَنَاهَا إِلَى بَابِ الْحَكَمِ<sup>(٢)</sup>  
 خَلِيفَةَ الْحَجَّاجِ غَيْرِ الْمُتَّهَمِ فِي ضِئْضِئِ الْمَجْدِ وَبُخْبُوحِ الْكَرَمِ<sup>(٣)</sup>  
 فَكَتَبَ الْحَكَمُ بَعْدَ أَنْ فَاطَنَهُ<sup>(٤)</sup> إِلَى الْحَجَّاجِ ، وَذَلِكَ فِي أَوَّلِ سَبَبِهِ ، أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى أَغْرَابِيٍّ بَاقِعَةٍ<sup>(٥)</sup> لَمْ أَرِ مِثْلَهُ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ أَنْ يَحْمِلَهُ مَعَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ ، قَالَ لَهُ : بَلَّغْنِي أَنَّكَ ذُو بَدِيهَةٍ ، فَقُلْ فِي هَذِهِ الْجَارِيَةِ ؛ لِجَارِيَةٍ قَائِمَةٍ عَلَى رَأْسِهِ ، فَقَالَ جَرِيرٌ : مَالِي أَنْ أَقُولَ فِيهَا حَتَّى أَتَأَمَّلَهَا ، وَمَالِي أَنْ أَتَأَمَّلَ جَارِيَةَ الْأَمِيرِ ! فَقَالَ : بَلَى ، فَتَأَمَّلَهَا وَاسْأَلَهَا ؛ فَقَالَ لَهَا : مَا اسْمُكَ يَا جَارِيَةُ ؟ فَأَمْسَكَتْ ، فَقَالَ لَهَا : الْحَجَّاجُ : خَبْرِيهِ يَا لَخْنَاءِ<sup>(٦)</sup> ؛ فَقَالَتْ :

- 
- (١) أَقْبَلَنَ ، يُرِيدُ جَمَاعَةَ الرُّكْبَانِ الَّذِينَ مَعَهُ ؛ وَتَهْلَانٌ وَخَيْمٌ : جَبَلَانِ بِنَجْدٍ ؛ وَالْقِلَاصُ جَمْعُ قُلُوصٍ ، وَهِيَ : النَّاقَةُ الْفَيْيَةُ ؛ وَالْخِيَطَانُ جَمْعُ خُوطٍ - بِالضَّمِّ - جَمْعُ خُوطَةٍ ، وَهِيَ : الْغُضْنُ النَّاعِمُ ؛ وَالسَّلَمُ : شَجَرٌ وَاحِدُهُ سَلَمَةٌ ، يَصِفُ ضُمُورَ النَّاقَةِ .  
 (٢) الْعِلْمُ : الْجَبَلُ ؛ وَقَوْلُهُ : أَنْخَنَاهَا إِلَى بَابِ الْحَكَمِ ، يُرْوَى : حَتَّى تَنَاهَيْنَا بِنَا إِلَى الْحَكَمِ .  
 (٣) الضِّئْضِئُ : الْأَضْلُ ؛ وَبُخْبُوحُ الْكَرَمِ : وَسَطُهُ .  
 (٤) فَاطَنَهُ : رَاجِعُهُ فِي الْحَدِيثِ ، قَالَ الزَّاعِي [من الطويل] :  
 إِذَا فَاطَطْتَنِي فِي الْحَدِيثِ تَهْزَهْزَتْ إِلَيْهَا قُلُوبٌ دُونَهُنَّ الْجَوَانِحُ تَهْزَهْزُ إِلَيْهِ قُلُوبِي : أَرْتَاحٌ وَهَشٌّ .  
 (٥) الْبَاقِعَةُ فِي الْأَضْلِ : الطَّائِرُ الْحَذِيرُ الْحَاقِظُ الْبَصِيرُ بِالْأُمُورِ لَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ .  
 (٦) مِنَ اللَّحْنِ ، وَهُوَ : نَتْنُ الرِّيحِ ، وَأَكْثَرُ مَا يُقَالُ لِلْأَمَةِ السُّودَاءِ ، وَيُقَالُ : هِيَ أَلْتِي لَمْ تُحْتَسَنَ .

أُمَامَةٌ ؛ فَقَالَ جَرِيرٌ [من الكامل] :

وَدَّعْ أُمَامَةً حَانَ مِنْكَ رَحِيلُ      إِنَّ الْوَدَاعَ لِمَنْ تُحِبُّ قَلِيلُ  
مِثْلَ الْكُثْبِ تَمَايَلَتْ أَغْطَافُهُ      فَالرَّيْحُ تَجْبُرُ مَتْنَهُ وَتَهِيلُ  
هَذَا الْقُلُوبُ صَوَادِيَا تَيَمَّتْهَا      وَأَرَى الشِّفَاءَ وَمَا إِلَيْهِ سَبِيلُ  
فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ : قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكَ السَّبِيلَ إِلَيْهَا ، خُذْهَا هِيَ لَكَ ؛ فَضَرَبَ  
بِيَدِهِ إِلَى يَدِهَا ، فَتَمَنَّعَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ [من الكامل] :

إِنْ كَانَ طَبَّكُمُ الدَّلَالُ فَإِنَّهُ      حَسَنٌ دَلَالِكَ يَا أُمَامَ جَمِيلُ<sup>(١)</sup>  
فَأَسْتُضْحِكَ الْحَجَّاجُ ، وَأَمَرَ بِتَجْهِيزِهَا مَعَهُ إِلَى الْيَمَامَةِ . قَالَ الْمُبَرِّدُ [«الكامل»  
٦٤٨/٢] : وَخُبِرْتُ أَنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ ، وَكَانَ إِخْوَتُهَا أَخْرَارًا ، فَأَتَّبَعُوهُ ،  
فَأَعْطَوْهُ بِهَا حَتَّى بَلَغُوا عِشْرِينَ أَلْفًا ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ [من الطويل] :

إِذَا عَرَضُوا عِشْرِينَ أَلْفًا تَعَرَّضْتُ      لِأُمِّ حَكِيمٍ حَاجَةً هِيَ مَا هِيََا  
لَقَدْ زِدْتُ أَهْلَ الرَّيِّ عِنْدِي مَوَدَّةً      وَحَبَبْتُ أَضْعَافًا إِلَيَّ أَلْمَوَالِيَا  
فَأَوْلَدَهَا حَكِيمًا وَبِلَالًا وَحَزْرَةَ بَنِي جَرِيرٍ ، وَهُؤُلَاءِ مَنْ أَذْكَرُ مِنْ وَلَدِهَا .  
وَيُقَالُ : إِنَّ الْحَمَّانِيَّ - شَاعِرَ رَاجِزٍ - قَاوَلَ بِلَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِيمَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِنْ  
شَرٍّ ، فَقَالَ : يَا ابْنَ أُمِّ حَكِيمٍ ! فَقَالَ لَهُ بِلَالُ : مَا تَذْكَرُ مِنْ ابْنَةِ دُهْقَانَ<sup>(٢)</sup>  
وَأَخِيذَةِ رِمَاحٍ<sup>(٣)</sup> وَعَظِيَّةِ مَلِكٍ ! لَيْسَتْ كَأَمِّكَ الَّتِي بِالْمُرُوتِ<sup>(٤)</sup> تَغْدُو عَلَى إِثْرِ

(١) لَكَ أَنْ تَرْفَعَ « الطَّبَّ » وَتَنْصِبَ « الدَّلَالَ » وَلَكَ أَنْ تَعَكِسَ ؛ وَالطَّبُّ : الْمَذْهَبُ ؛ وَالْدَّلَالُ :  
الدَّالَّةُ .

(٢) الدُّهْقَانُ : التَّاجِرُ ، [ بَلْ هُوَ رَئِيسُ الْفَلَاحِينَ ، وَمَا يُقَالُ عَنْهُ : الْإِفْطَاعِيُّ ، أَوْ الْإِفْطَاعِيُّونَ ] .

(٣) أَخِيذَةُ : أَسِيرَةٌ .

(٤) الْمُرُوتُ : أَسْمُ وَادٍ لِبَنِي حَمَانَ بِالْعَالِيَةِ .

ضَائِبَهَا ، كَانَمَا عَقِبَاهَا حَافِرَا حِمَارٍ ! فَقَالَ لَهُ الْحِمَّانِي : أَنَا أَعْلَمُ بِأَمِّكَ ، إِنَّمَا عَتَبَ عَلَيْهَا الْحَجَّاجُ فِي أَمْرِ اللَّهِ أَعْلَمُ بِهِ ، فَحَلَفَ أَنْ يَذْفَعَهَا إِلَى الْأَمِّ الْعَرَبِ ، فَلَمَّا رَأَى أَبَاكَ لَمْ يَشْكُكَ فِيهِ .

\* \* \*

١٤٧٢ - وَمِنْ كَلِمَةِ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ رَحِمَهُمُ اللَّهُ ، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ الْمُنْصُورِ سَنَةَ ١٤٥ هـ ، وَكَانَ يُلَقَّبُ بِالْمَهْدِيِّ وَبِالنَّفْسِ الزَّكِيَّةِ ، فَكَتَبَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ مَا هَذَا بَعْضُهُ : وَأَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ مِنْ أَوْلَادِ الطُّلَقَاءِ<sup>(١)</sup> ، وَلَا أَوْلَادِ اللَّعَنَاءِ<sup>(٢)</sup> ، وَلَا أَعْرَقْتُ فِيَّ الْإِمَاءَ<sup>(٣)</sup> ، وَلَا حَضَنْتَنِي أُمّهَاتُ الْأَوْلَادِ ؛ وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ الْمُنْصُورُ بِرِسَالَةٍ مُسْتَحْسَنَةٍ جَدًّا تَرَاهَا فِي آخِرِ « الْكَامِلِ » [ ٢١٤٩٠ - ١٤٩٤ ، ١٤٥٠ ] يَقُولُ فِيهَا مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِغَرَضِنَا : وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ أَنَّهُ لَمْ تُعْرِقْ فِيكَ الْإِمَاءَ فَقَدْ فَخَرْتَ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ طَرًّا ، أَوْلَهُمْ إِبْرَاهِيمُ<sup>(٤)</sup> ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، زَيْنُ الْعَابِدِينَ ، الَّذِي لَمْ يُولَدْ فِيكُمْ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَوْلُودٌ مِثْلُهُ .

\* \* \*

- (١) الطُّلَقَاءُ ، جَمْعُ طَلِيقٍ ، وَهُوَ : الْأَسِيرُ يُخْلَى عَنْهُ وَيُطْلَقُ فَلَا يُسْتَرْقُ ، يُعَرِّضُ بَنِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ، وَكَانَ قَدْ أَسَرَ يَوْمَ بَدْرٍ . [ وَكَانَ يُقَالُ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : صَرِيحُ قُرَيْشٍ ، لِأَنَّ أُمَّهُ وَجَدَانِيَّةً لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أُمٌّ وَلَدٌ ] .
- (٢) يُعَرِّضُ بِمُعَاوِيَةَ وَأَخِيهِ يَزِيدَ وَأَبِيهِ أَبِي سُفْيَانَ ، لِقَوْلِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ وَقَدْ رَأَى أَبَا سُفْيَانَ رَاكِبًا جَمَلًا بِقُوْدِهِ مُعَاوِيَةَ وَيُسُوْقُهُ يَزِيدُ أَخُوهُ : « لَعَنَ اللَّهُ الْجَمَلَ وَرَاكِبَهُ وَقَائِدَهُ وَسَائِقَهُ » .
- (٣) يُرِيدُ : لَمْ تَمْسِسْ عُرُوقَ الْإِمَاءِ وَلَمْ تُخَالِطِنِي ، يُقَالُ : أَعْرَقَ فِيهِ اللَّثَامُ ، وَعَرَقُوا : إِذَا خَالَطَهُ مِنْ لَوْمِهِمْ شَيْءٌ وَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِمْ ، يُرِيدُ بِذَلِكَ آخِرَ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ : مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ الَّذِي مَزَّقَتْ مُلْكُهُ شَيْعَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَبَدَّدُوا شَمْلَهُ ، وَأُمُّهُ أَمَةٌ كَانَتْ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْثَرِ التَّخَعِي .
- (٤) إِذْ أَنَّهُ ابْنُ مَارِيَةَ الْقِنْطِيَّةِ الَّتِي أَهْدَاهَا إِلَيْهِ الْمُقَرَّرُ .

١٤٧٣ - وَرَوَى عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ حَبِيبٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : جَاءَ عُمَرُ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَرَأَى أَمْرَأَةً عَلَيْهَا جِلْبَابٌ - خِمَارٌ تَغْطِي بِهِ الْمَرْأَةُ رَأْسَهَا وَصَدْرَهَا - فَرَجَعَ ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى مَنْزِلِهِ ثَانِيَةً ، ثُمَّ رَجَعَ ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ مَرَارًا ، فَلَمَّا أَنْصَرَفَتْ ، قَالَ لِأَهْلِهِ : مَنْ هَذِهِ الَّتِي عَتَنَّا مِنْذُ الْيَوْمِ ؟ قَالُوا : هِيَ أَمَةُ فُلَانٍ ؛ فَلَمَّا رَاحَ عُمَرُ ، قَالَ لِلنَّاسِ : لَا تَتَشَبَّهُ الْأَمَةُ بِسَيِّدَتِهَا ، لَا تُلْبِسُوهُنَّ الْجَلَابِيبَ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ يَكْفُرُ الْبَغِيُّ قُلُوبَهُ لِمَا رَزَقَهُ رَبُّكَ وَيُنَافِقُ فِي عَمَلِهِ خِيفَتُهُ عَلَى النَّاسِ وَمَا يَحْكُمُونَ ﴾ [سورة الأحزاب/ الآية : ٥٩] . قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ : وَلَمْ أَرِ بِالْمَدِينَةِ أَمَةً تَخْرُجُ ، وَإِنْ كَانَتْ رَابِيَةً ، إِلَّا مَكْشُوفَةَ الرَّأْسِ ، لَا تُلْقِي جِلْبَابًا عَلَى رَأْسِهَا ؛ قَالَ : وَلَا بَأْسَ أَنْ تُصَلِّيَ الْأَمَةُ كَذَلِكَ مَكْشُوفَةَ الرَّأْسِ وَالْمَعْصَمِ ، وَلَا بَأْسَ أَنْ تُبْدِيَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ ، وَالسَّرَارِي فِي هَذَا وَغَيْرِ السَّرَارِي بِمَنْزِلَةِ وَاحِدَةٍ ، وَفَرَّقَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي هَذَا بَيْنَ الْإِمَاءِ الْحَسَانِ الْمَصُونَاتِ الْمَقْصُورَاتِ الْحَامِلَاتِ مِنَ الْجَمَالِ أَكْثَرَ مِمَّا تَحْمِلُهُ الْحَرَائِرُ ، وَبَيْنَ الْإِمَاءِ الْمُتَبَذَلَاتِ ، فَمَالَ إِلَى وَجُوبِ التَّسْتُرِ عَلَى مَنْ كَانَتْ مِنْهُنَّ بِالْصَّفَةِ الْأُولَى ، وَسُقُوطِهِ عَنْ مَنْ كَانَتْ بِضِدِّ ذَلِكَ ، وَحُكِيَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، أَنَّهُ كَانَ يُوجِبُ الْخِمَارَ عَلَى السَّرِيَّةِ ، يَغْنِي الْأَمَةَ الَّتِي اتَّخَذَهَا الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ ، سَوَاءً كَانَتْ جَمِيلَةً أَوْ شَوْهَاءً ، وَأَمَّا أُمَّهَاتُ الْأَوْلَادِ ، فَإِنَّ حُكْمَهُنَّ حُكْمُ الْحَرَائِرِ فِي لِبَاسِهِنَّ وَصَلَاتِهِنَّ .

\* \* \*

طُرِفَ مِنْ أَسْتِنْكَارِ الْعَرَبِ فِي الْهَجْنَةِ :

١٤٧٤ - ذَهَبَ أَغْرَابِيُّ إِلَى سَوَّارِ الْقَاضِي <sup>(١)</sup> ، فَقَالَ : إِنَّ أَبِي مَاتَ ،

(١) هُوَ سَوَّارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، كَانَ قَاضِيًا بِالْبَصْرَةِ لِأَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ .

وَتَرَكْنِي وَأَخَا لِي ؛ وَحَطَّ خَطَيْنِ نَاحِيَةً ، ثُمَّ قَالَ : وَهَجِينَا لَنَا ؛ وَحَطَّ خَطًا آخَرَ نَاحِيَةً ، ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ يُقَسَّمُ أَلْمَالُ بَيْنَنَا ؟ فَقَالَ : أَلْمَالُ بَيْنَكُمْ أَثْلَاثًا إِنْ لَمْ يَكُنْ وَارِثٌ غَيْرُكُمْ ؛ فَقَالَ لَهُ : لَا أَحْسَبُكَ فَهَمْتُ ! إِنَّهُ تَرَكَنِي وَأَخِي وَهَجِينَا لَنَا ؛ فَقَالَ سَوَّارُ : أَلْمَالُ بَيْنَكُمْ سَوَاءٌ ؛ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : أَيَأْخُذُ الْهَجِينُ كَمَا آخُذُ وَيَأْخُذُ أَخِي ؟ قَالَ : أَجَلْ ! فَعَضِبَ الْأَعْرَابِيُّ ، وَقَالَ : تَعَلَّمْ ! وَاللَّهِ إِنَّكَ قَلِيلُ الْخَالَاتِ بِاللَّهْنَاءِ <sup>(١)</sup> .

\* \* \*

١٤٧٥ - وَحَكَى الْجَاحِظُ قَالَ : قُلْتُ لِعُبَيْدِ الْكِلَابِيِّ ، وَكَانَ فَصِيحًا فَقِيرًا : أَيَسُرُّكَ أَنْ تَكُونَ هَجِينًا وَلَكَ أَلْفُ جَرِيبٍ <sup>(٢)</sup> ؟ قَالَ : لَا أَحِبُّ أَلْفَ لُؤْمٍ بِشَيْءٍ ؛ قُلْتُ : فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ابْنَ أُمَّةٍ ! قَالَ : أَخَزَى اللَّهُ مَنْ أَطَاعَهُ !

\* \* \*

١٤٧٦ - وَكَانَ عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ الشَّاعِرُ مِنَ الْغَيْرَةِ وَالْأَنْفَةِ عَلَى مَا لَيْسَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ، فَخَطَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ابْنَتَهُ عَلَى أَحَدِ بَنِيهِ ، وَكَانَتْ لِعَقِيلٍ إِلَيْهِ حَاجَاتٌ ، فَقَالَ عَقِيلُ : أَمَّا إِذْ كُنْتُ فَاعِلًا فَجَبَّنِي هُجْنَاءُكَ يُرِيدُ أَبْنَاءَ الْإِمَاءِ ، وَهُمْ : عَبْدُ اللَّهِ ، وَمَسْلَمَةُ ، وَالْمُنْدُرُ ، وَعَنْبَسَةُ ، وَمُحَمَّدُ ، وَسَعِيدُ الْخَيْرِ ، وَالْحَجَّاجُ . [ راجع رقم : ٧٥٥ ] .

\* \* \*

(١) قَالُوا : إِنَّهُ لَيْسَ بِاللَّهْنَاءِ أُمَّةٌ ، وَإِنَّمَا كَانَ بِهَا الْحَرَائِرُ .  
 (٢) الْجَرِيبُ : الْمَرْعَةُ ، [ أَوْ ، هُوَ : مِكْيَالٌ مِقْدَارُهُ : أَرْبَعَةُ أَقْفِزَةٍ ، وَالْجَرِيبُ مِنَ الْأَرْضِ : مَبْدَرُ الْجَرِيبِ ، أَوْ مِقْدَارُ الْأَرْضِ الَّتِي تَسْتَهْلِكُ جَرِيبًا فِي بَذْرِهَا ] .

١٤٧٧ - وَخَطَبَ إِلَيْهِ أَبْنَتُهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، وَهُوَ خَالَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَوَالِي الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ أَبْيَضَ ، شَدِيدَ الْبَيَاضِ ؛ فَرَدَّهُ عَقِيلٌ وَقَالَ [من الوافر] :

رَدَدْتُ صَحِيفَةَ الْقُرَشِيِّ لَمَّا أَبَتْ أَعْرَافُهُ إِلَّا أَحْمَرَارًا  
[ راجع رقم : ٧٥٦ ] .

\* \* \*

١٤٧٨ - وَقَالَ الْمُخْتَارُ ابْنُ أَبِي عُبَيْدٍ الثَّقَفِيُّ <sup>(١)</sup> لِإِبْرَاهِيمَ <sup>(٢)</sup> بْنِ الْأَشْتَرِ يَوْمَ حَازِرٍ ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ : إِنَّ عَامَّةَ جُنْدِكَ هَؤُلَاءِ الْحَمَرَاءُ ، وَإِنَّ الْحَزْبَ إِنْ ضَرَسْتَهُمْ هَرَبُوا ، فَأَحْمِلِ الْعَرَبَ عَلَى مُتُونِ الْخَيْلِ وَأَرْجِلِ الْحَمَرَاءَ أَمَامَهُمْ ( انظر « الكامل » ج ٤ ص ١٩٥ وَمَا بَعْدَهَا ) .

\* \* \*

الْمَوْلَى فِي اللُّغَةِ :

١٤٧٩ - الْمَوَالِي صُنُوفٌ وَشُكُولٌ ، فَمِنْهُمْ الْهَجِينُ ، وَهُوَ : الْعَرَبِيُّ ابْنُ الْأَمَةِ <sup>(٣)</sup> ، مِنْ الْهَجْنَةِ ، وَهِيَ : الْعَيْبُ ، وَقَالَ الْإِمَامُ ثَعْلَبٌ : الْهَجِينُ : الَّذِي

(١) هَذَا الْمُخْتَارُ هُوَ الَّذِي رَعِمَ أَنَّهُ وَزِيرُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ ، وَأَنَّهُ أَمَرَهُ بِقِتَالِ عَدُوِّهِ وَالطَّلَبِ بِدَمِ الْحُسَيْنِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، فَتَبِعَهُ الشَّيْعَةُ وَخَلَقَ كَثِيرٌ .

(٢) وَكَانَ قَدْ وَجَّهَهُ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ لِقِتَالِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَكَانَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ لَمَّا اسْتَوْثَقَتْ لَهُ طَاعَةُ الشَّامِ بَعَثَهُ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَجَعَلَ لَهُ مَا غَلَبَ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَنْهَبَ الْكُوفَةَ إِنْ هُوَ ظَفِرَ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَالْتَقَى الْجَيْشَانِ عِنْدَ نَهْرِ بَيْنَ إِزْدِيلَ وَالْمَوْصِلِ ، يُقَالُ لَهُ : حَازِرٌ .

(٣) الْأَمَةُ ، أَيْ : وَلَوْ أَعْجَمِيَّةٌ .



أَبُوهُ خَيْرٌ مِنْ أُمِّهِ ، قَالَ الْمُبَرَّدُ : إِنَّمَا قِيلَ لَوْلِدِ الْعَرَبِيِّ مِنْ غَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ هَجِينٌ ،  
لَإِنَّ الْغَالِبَ عَلَى أَلْوَانِ الْعَرَبِ الْأُذْمَةُ - السُّمْرَةُ - وَكَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمَّى الْعَجَمَ :  
الْحَمْرَاءَ وَرِقَابَ الْمَزَاوِدِ - جَمْعُ مَزَادَةٍ : وَعَاءٌ يُزَوَّدُ فِيهِ الْمَاءُ كَالْقُرْبَةِ وَنَحْوَهَا -  
لِغَلَبَةِ الْبَيَاضِ عَلَى أَلْوَانِهِمْ ، وَيَقُولُونَ لِمَنْ عَلَا لَوْنُهُ أَلْبَيَاضُ : أَحْمَرٌ ، وَلِذَلِكَ  
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَائِشَةَ : « يَا حُمَيْرَاءُ ! » لِغَلَبَةِ الْبَيَاضِ عَلَى لَوْنِهَا ، وَقَالَ  
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ : « بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ » [راجع «مسند أحمد» رقم :  
١٣٨٥٢ ، ١٩٢٣٦ ، ٢٠٧٩٢ ، ٢٠٨٠٧] ؛ فَاسْوَدُّهُمْ الْعَرَبُ ، وَأَحْمَرُهُمُ الْعَجَمُ ؛  
وَقَالَتِ الْعَرَبُ لِأَوْلَادِهَا مِنَ الْعَجَمِيَّاتِ اللَّاتِي يَغْلِبُ عَلَى أَلْوَانِهِنَّ الْبَيَاضُ :  
هُجْنٌ وَهُجَنَاءٌ ، لِغَلَبَةِ الْبَيَاضِ عَلَى أَلْوَانِهِنَّ وَشَبَهِهِمْ أُمَّهَاتِهِنَّ .

\* \* \*

١٤٨٠ - قَالَ الْمُبَرَّدُ [«الكامل» صفحة : ٦٥١] : وَإِذَا كَانَتِ الْأُمُّ كُرِيمَةً ،  
وَالْأَبُ خَسِيسًا قِيلَ لَهُ : الْمُدَّرَعُ ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ [من الطويل] :  
إِذَا بَاهِلِي تَحْتَهُ حَنْظَلِيَّةٌ لَهُ وَلَدٌ مِنْهَا فَذَاكَ الْمُدَّرَعُ<sup>(١)</sup>  
وَقَالَ ابْنُ قَيْسٍ الْعَدَوِيُّ [من البسيط] :  
إِنَّ الْمُدَّرَعَ لَا تُغْزِي خُوْلَتُهُ كَالْبَغْلِ يَعْجِزُ عَنْ شَرْطِ الْمَحَاضِيرِ<sup>(٢)</sup>  
وَإِنَّمَا سُمِّيَ مُدَّرَعًا لِلرَّقَمَتَيْنِ<sup>(٣)</sup> اللَّتَيْنِ فِي ذِرَاعِ الْبَغْلِ ، وَإِنَّمَا صَارَتَا فِيهِ مِنْ

(١) الْبَاهِلِيُّ نِسْبَةٌ إِلَى بَاهِلَةَ : أَمْرَأَةٌ مِنْ هَمْدَانَ سُمِّيَتْ قَبِيلَةُ الْلُؤْمِ بِأَسْمِهَا ، وَحَنْظَلِيَّةٌ نِسْبَةٌ إِلَى  
حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكٍ . . . وَهِيَ أَكْرَمُ قَبِيلَةٍ ، يُقَالُ لَهَا : حَنْظَلَةُ الْأَكْرَمُونَ .

(٢) الْمَحَاضِيرُ ، جَمْعُ مَحْضَرٍ ، وَهُوَ : الْفَرَسُ السَّرِيعُ .

(٣) الرَّقَمَتَانِ ، وَاحِدَتُهُمَا رَقْمَةٌ ، وَهُمَا : أَثَرَانِ بَاطِنِ الذَّرَاعَيْنِ ، لَا يُثْبِتَانِ الشَّعْرَ .

نَاجِيَةِ الْحِمَارِ<sup>(١)</sup> ، قَالَ بَغْضُهُمْ يَهْجُو قَوْمًا [من البسيط] :  
قَوْمٌ تَوَارَثَ بَيْتَ اللَّؤْمِ أَوْلَهُمْ      كَمَا تَوَارَثَ رَقَمَ الْأَذْرُعِ الْحُمْرُ  
الْحُمْرُ جَمْعُ حِمَارٍ .

\* \* \*

١٤٨١ - وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ : مَنْ أَبُوكَ يَا بَغْلُ ؟ فَقَالَ : خَالِي الْفَرَسُ .

\* \* \*

١٤٨٢ - قَالُوا : فَإِذَا تَرَدَّدَ فِي الْهَجِينَ أَعْرَاقُ الْعَجَمِ فَهُوَ الْمُعْلَهَجُ .

\* \* \*

١٤٨٣ - وَأَمَّا الْفَلَنْقَسُ ، فَهُوَ الَّذِي أُمُّهُ أَمَةٌ وَخَالُهُ عَبْدٌ .

\* \* \*

١٤٨٤ - وَالْمُكَزَّكْسُ : الَّذِي أُمُّ أُمِّهِ وَأُمُّ أَبِيهِ وَأُمُّ أُمِّهِ وَأُمُّ أُمِّ أَبِيهِ إِمَاءٌ ؛  
كَأَنَّهُ الْمُرَدَّدُ فِي الْهَجْنَاءِ .

\* \* \*

١٤٨٥ - وَإِذَا أَخْدَقَتْ بِهِ الْإِمَاءُ فِي كُلِّ وَجْهِ ، فَهُوَ : الْمَخْيُوسُ ، مِنْ  
الْحَيْسِ ، وَهُوَ الْخَلْطُ ، وَإِذَا وَصَفُوا الْإِنْسَانَ بِغَايَةِ اللَّؤْمِ قَالُوا : قِنٌّ ، وَهُوَ  
الَّذِي مُلِكَ هُوَ وَأَبَوَاهُ ، وَعَبْدُ الْأَعْصَا لِكُلِّ ذَلِيلٍ .

\* \* \*

١٤٨٦ - وَمِنْ أَلْمَوَالِي مَوْلَى السَّائِيَةِ . وَهَذَا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

(١) يُرِيدُ أَنَّهُ نَزَعَ بِهِمَا إِلَى أَبِيهِ الْحِمَارِ .

وَذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ إِذَا نَذَرَ لِقُدُومِ مَنْ سَفَرَ أَوْ بُرِئَ مِنْ مَرَضٍ ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، قَالَ : نَاقَتِي سَائِبَةٌ ؛ فَلَا تُمْنَعُ مِنْ مَاءٍ وَلَا مَرَعَى ، وَلَا تُحْلَبْ وَلَا تُرْكَبْ ؛ وَكَانَ إِذَا أَعْتَقَ عَبْدًا فَقَالَ : هُوَ سَائِبَةٌ ؛ فَلَا عَقْلَ - دِيَّةً - بَيْنَهُمَا وَلَا مِيرَاثَ ، وَيَصِيرُ طَلِيقًا خَلِيعًا .

\* \* \*

### أَلْمَوَالَةُ قَرَابَةُ :

١٤٨٧ - قَالَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَلَوْلَاءُ لُحْمَةٌ كُلُّحِمَّةِ النَّسَبِ » [كنز

العمال ، رقم : ٢٩٦٢٤ ] .

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : قَدْ اخْتَلَفَ فِي ضَمِّ اللَّحْمَةِ وَفَتْحِهَا ، فَقِيلَ : هِيَ فِي النَّسَبِ بِالضَّمِّ وَفِي الثَّوْبِ بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ ، وَقِيلَ : الثَّوْبُ بِالْفَتْحِ وَخَدُهُ ، وَقِيلَ : النَّسَبُ وَالثَّوْبُ بِالْفَتْحِ ، وَأَمَّا بِالضَّمِّ فَهُوَ مَا يُصَادُ بِهِ الصَّيْدُ ، قَالَ : وَمَعْنَى الْحَدِيثِ : أَلْمُخَالَطَةُ فِي أَلَوْلَاءِ ، وَأَنَّهَا تَجْرِي مَجْرَى النَّسَبِ فِي أَلْمِيرَاثِ ، كَمَا تُخَالِطُ أَلُلْحَمَةُ سَدَى الثَّوْبِ حَتَّى يَصِيرَا كَالشَّيْءِ أَلْوَاحِدِ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ أَلْمُدَاخَلَةِ أَلشَّدِيدَةِ .

\* \* \*

حُثُّهُمْ عَلَى اخْتِيَارِ ذَوَاتِ الدِّينِ وَالْحَسَبِ وَالنَّسَبِ وَالتَّرْغِيبِ عَنْ لِقَامِ ذَوَاتِ أَلْمَالِ وَ مَنْ يَجِبُ تَجَنُّبُهُ مِنَ أَلنِّسَاءِ :

١٤٨٨ - مِنْ أَبْرَعِ مَا قِيلَ فِي بَابِ أَلنِّهْيِ عَنِ أَلتَّرُوجِ مِنْ أَلْمَرَأَةِ أَلشُّوءِ أَلَّتِي لَا دِينَ لَهَا وَلَا حَسَبَ ، قَوْلُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ : « إِيَّاكُمْ وَخَضِرَاءَ أَلدَّمَنِ » ، قِيلَ : وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « أَلْمَرَأَةُ أَلْحَسَنَاءُ فِي أَلْمُنْتَبِتِ أَلشُّوءِ » [كنز

العمال « رقم : ٤٤٥٨٧ » .

الدَّمَنُ جَمْعُ دِمْنَةٍ ، كَسِدْرَةٍ وَسِدْرٍ ، وَهِيَ : الْمَوْضِعُ تَتَلَبَّدُ فِيهِ أَبْعَارُ الْأَبِلِ وَأَبْوَالُهَا ، أَيْ : مَرِيضُهَا ، فَرُبَّمَا نَبَتْ فِيهِ الْبَنَاتُ الْحَسَنُ النَّضِيرُ ، وَأَصْلُهُ مِنْ دِمْنَةٍ ؛ شَبَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَرْأَةَ الْحَسَنَاءَ الْخَيِّثَةَ الْأَصْلِيَّ بِمَا يَنْبُتُ فِي الدَّمَنِ مِنَ الْكَلَالِ يَرَى لَهُ غَضَارَةً وَهُوَ وَيِيءُ الْمَرْعَى ، مُتَيْنُ الْأَصْلِ . قَالَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ [من الطويل] :

وَقَدْ يَنْبُتُ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى وَتَبَقَى حَرَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَ<sup>(١)</sup>  
وَالْمَنْبِتُ بِكَسْرِ أَلْبَاءٍ كَمَا نَطَقَ بِهِ الْعَرَبُ ، وَإِنْ كَانَ أَلْقِيَا سُفْتُحُ أَلْبَاءٍ ، لِأَنَّهُ  
مِنْ نَبَتْ يَنْبُتُ ، وَمِثْلُهُ أَحْرَفٌ مَعْدُودَةٌ جَاءَتْ بِالْكَسْرِ ، مِنْهَا : الْمَسْجِدُ  
وَالْمَطْلِعُ وَالْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ وَالْمَسْكِنُ وَالْمَنْسِكُ .

\* \* \*

١٤٨٩ - وَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ زَيْنَاعٍ الْعَبْسِيُّ : يَا بَنِي عَبْسِ ! أَحْفَظُوا عَنِّي ثَلَاثًا :  
أَعْلَمُوا أَنَّهُ لَمْ يَنْقُلْ أَحَدٌ إِلَيْكُمْ حَدِيثًا إِلَّا نَقَلَ عَنْكُمْ مِثْلَهُ ؟ وَإِبَاكُمُ وَالْتَزْوِيجَ فِي  
بُيُوتَاتِ السَّوَاءِ ، فَإِنَّ لَهُ يَوْمًا نَاجِثًا<sup>(٢)</sup> ، أَسْتَكْثِرُوا مِنَ الصَّدِيقِ مَا قَدَرْتُمْ ،  
أَسْتَقِيلُوا مِنَ الْعَدُوِّ ، فَإِنَّ أَسْتَكْثَارَهُ مُمَكِّنٌ . [« الأُمَالِي » للْقَالِي ١٨٧/٢ و ١٨٨ ] .

\* \* \*

١٤٩٠ - وَمِنْ بَارِعِ مَا جَاءَ فِي هَذَا قَوْلُهُ ﷺ : « وَإِنَّ مِنَ النِّسَاءِ غُلًّا قَمَلًا ،

(١) الْحَرَازَاتُ ، جَمْعُ حَرَازَةٍ : وَجَعُ الْقَلْبِ مِنْ غَيْظٍ وَنَحْوِهِ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : وَالْيَبْتُ ضَرْبٌ مَثَلًا  
لِلرَّجُلِ يُظْهِرُ مَوَدَّةَ وَقَلْبُهُ نَعْلٌ بِالْعَدَاوَةِ .

(٢) النَّاجِثُ : الَّذِي يَخْفِرُ الْبُيُوتَ لِيَسْتَخْرِجَ التُّرَابَ ، وَنَجِثُ الْبُيُوتِ وَالْحُفَرَةِ : مَا خَرَجَ مِنْ  
تُرَابِهَا ، وَيُقَالُ : هَذَا أَمْرٌ لَهُ نَجِثٌ ، أَيْ : عَاقِبَةُ سُوءٍ .

يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي عُنُقٍ مِّنْ يِّشَاءُ ، ثُمَّ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا هُوَ . . . » . [ « لسان العرب » مادة : غل ] .

الْغُلُّ : الْقَيْدُ يُوضَعُ فِي الْعُنُقِ أَوْ الْيَدِ ؛ وَقَمِلَ كَكَتِفٌ مِّنْ قَمِلَ رَأْسُهُ كَتَبَ : كَثُرَ قَمِلُ رَأْسِهِ ؛ وَأَصْلُ هَذَا أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا إِذَا أَسْرَوْا أَسِيرًا جَعَلُوا فِي عُنُقِهِ غُلًّا - قَيْدًا - مِنْ جِلْدٍ ، وَعَلَيْهِ شَعْرٌ ، فَرَبَّمَا قَمِلَ فِي عُنُقِهِ إِذَا قَبَّ وَيَبَسَ ، فَتَجْتَمِعُ عَلَيْهِ مِخْتَنَانِ : الْغُلُّ وَالْقَمْلُ ، ضَرْبُهُ مَثَلًا لِلْمَرْأَةِ السَّيِّئَةِ الْخُلُقِ الْكَثِيرَةِ الْمَهْرِ ، لَا يَجِدُ زَوْجَهَا مِنْهَا مَخْلَصًا ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ لِمَنْ أَتْلِي بِهَا أَنْ يُلْهِمَهُ الصَّبْرَ عَلَيْهَا كَمَا نُلْهِمُ الصَّبْرَ عَلَى الْمَصَائِبِ الْمُنْهَظَةِ .

\* \* \*

١٤٩١ - وَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : لَا يُفْتِنَنَّكُمْ جَمَالُ النِّسَاءِ عَنْ صِرَاحَةِ النَّسَبِ ، فَإِنَّ الْمَنَاحِيحَ الْكَرِيمَةَ مَذْرَجَةُ أَكْشَرِ . [ « آداب الملوك » صفحة : ١١١ ، « ربيع الأبرار » ٦٧١/٣ ؛ « المعمرون والوصايا » صفحة : ١٥ ، « ألف باء » للبلوي ٤٠٣/١ ؛ « بهجة المجالس » ٣٥/٢ ؛ « تحفة العروس » ، رقم : ٩٥ ] .

\* \* \*

١٤٩٢ - وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْمَعَاصِي [الْعَاصِي] لِأَوْلَادِهِ : يَا بَنِيَّ ! إِنَّ الْمَنَاحِيحَ مُغْتَرَسٌ ، فَلْيَنْظُرِ الْمَرْءُ حَيْثُ يَضَعُ غَرْسَهُ ، فَإِنَّ عِزَّ السُّوءِ قَلَمًا يَنْجِبُ ، وَإِنِّي قَدْ أَنْجَبْتُكُمْ مِنْ أُمَّهَاتِكُمْ .

[ « البيان والتبيين » ٦٧/٢ ؛ « تحفة العروس » ، رقم : ١٠٤ ] .

\* \* \*

١٤٩٣ - وَقَالَ بَعْضُ شُعْرَاءِ بَنِي أَسَدٍ [وَهُوَ بَكَيْرُ الْأَسَدِيِّ ، من الطويل] :  
وَأَوَّلُ خُبْثِ الْمَاءِ خُبْثُ نُرَابِهِ وَأَوَّلُ خُبْثِ الْقَوْمِ خُبْثُ الْمَنَاحِ  
[ « عيون الأخبار » ٤/٤ ؛ « تحفة العروس » ، رقم : ٩٦ ] .

\* \* \*

١٤٩٤ - وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ : مَا رَفَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ بِمِثْلِ  
مَنْكِحٍ صِدْقٍ ، وَلَا وَضَعَ نَفْسَهُ بَعْدَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ بِمِثْلِ مَنْكِحٍ سُوءٍ ، ثُمَّ قَالَ :  
لَعَنَ اللَّهُ فُلَانَةً ، أَلْفَتْ بَنِي فُلَانٍ بَيْضاً طَوَالاً فَقَلَبَتْهُمْ سُوداً قِصَاراً .

\* \* \*

١٤٩٥ - وَقَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْأَعْلَاءِ : قَالَ رَجُلٌ : لَا أَتَزَوَّجُ أَمْرَأَةً حَتَّى  
أَنْظُرَ إِلَى وَلَدِي مِنْهَا ؛ قِيلَ لَهُ : كَيْفَ ذَاكَ ؟ قَالَ : أَنْظُرَ إِلَى أَبِيهَا وَأُمِّهَا ، فَإِنَّمَا  
تَجِيءُ بِأَحَدِهِمَا . [ « عيون الأخبار » ٤/٤ ] .

\* \* \*

١٤٩٦ - [ قَالَ ابْنُ الدُّمَيْنَةِ ، من الطويل ] :  
إِذَا كُنْتَ مُرْتَاداً لِنَفْسِكَ أَيَّاماً      مِنْ النَّاسِ فَانْظُرْ مَنْ أَبُوهَا وَخَالُهَا  
فَإِنَّهُمَا مِنْهَا كَمَا هِيَ مِنْهُمَا      كَمَا التَّغْلُ إِنْ قِيسَتْ بِنَعْلِ مِثْلِهَا  
[ وَلَا تَطْلُبِ الْبَيْتَ الدُّنْيَى فِعَالُهُ      وَلَا تَدْعُ ذَا عَقْلِ لِرُزْهَاءِ مَالِهَا ]  
وَإِنَّ الَّذِي تَزْجُو مِنَ الْمَالِ عِنْدَهَا      سَيَأْتِي عَلَيْهِ شَوْمُهَا وَخَبَالُهَا  
الْأَيْمُ يُرِيدُ بِهَا الزَّوْجَةَ أَيَّةَ كَانَتْ ، بِكَرٍّ كَانَتْ أَوْثِيئاً ؛ وَقَوْلُهُ : كَمَا  
التَّغْلُ ... الخ . هُوَ كَقَوْلِهِمْ : حَدَّوْكَ التَّغْلَ بِالتَّغْلِ : وَالْحَدُّ : التَّقْدِيرُ ،  
وَأَنْتَ إِذَا قَدَّرْتَ وَقِسْتَ وَقَطَعْتَ نَعْلًا عَلَى مِثَالِ نَعْلٍ فَهِيَ مِثْلُهَا : وَقَدْ رُوِيَ

هَذِهِ الْأَبْيَاتُ عَلَى وُجُوهِ أُخْرَى [ « تحفة العروس » ، رقم : ٩٨ ] .

\* \* \*

١٤٩٧ - وَقَالَ الْأَعَشَى لِسَلَامَةَ ذِي فَائِشٍ الْحَمِيرِيِّ ، مِنْ كَلِمَةٍ لَهُ يَمْدَحُهُ  
هُوَ وَقَوْمُهُ [من المتقارب] :

وَقَوْمُكَ إِنْ يَضْمَنُوا جَارَةً      يَكُونُوا بِمَوْضِعِ أَنْضَادِهَا  
فَلَنْ يَطْلُبُوا سِرَّهَا لِلْغِنَى      وَلَنْ يُسْلِمُوهَا لِأَزْهَادِهَا  
الْأَنْضَادُ ، جَمْعُ نَضِيدٍ ، وَهُمْ : الْأَعْمَامُ وَالْأَخْوَالُ الْمُتَقَدِّمُونَ فِي الشَّرَفِ ،  
يُرِيدُ : أَنَّهُمْ يَكُونُونَ بِمَوْضِعِ ذَوِي شَرَفِهَا وَحَسَبِهَا ؛ وَالسُّرُّ : النِّكَاحُ ؛  
وَأَزْهَادُهَا : قِلَّةُ مَالِهَا ، يُقَالُ : أَزْهَدَ الرَّجُلُ إِزْهَادًا : إِذَا كَانَ مُزْهَدًا ، أَيْ :  
يُزْهَدُ فِي مَالِهِ لِقِلَّتِهِ ؛ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ فِي « الْكَامِلِ » [صفحة : ٨٨٧] :

فِي هَذَا الْبَيْتِ قَوْلَانِ : أَحَدُهُمَا : أَنَّهُمْ لَا يَطْلُبُونَ أَجْتِرَارَهَا - جَرَّهَا - إِلَيْهِمْ  
عَلَى رَغَمِ أَوْلِيَائِهَا ، مِنْ أَجْلِ مَالِهَا ، تَعَصُّبًا لِلْجَوَارِ ، وَلَا يُسْلِمُونَهَا إِذَا انْقَطَعَ  
رَجَاؤُهُمْ مِنَ الثَّوَابِ وَالْمُكَافَأَةِ ؛ وَالْآخَرُ : أَنَّهُمْ لَا يَرْغَبُونَ فِي ذَوَاتِ الْأَمْوَالِ ،  
وَأِنَّمَا يَرْغَبُونَ فِي ذَوَاتِ الْأَخْسَابِ ، اخْتِيَارًا لِلْأَوْلَادِ ، وَصِيَانَةً لِلْأَضْهَارِ أَنْ  
يَطْمَعَ فِيهِمْ مَنْ لَا حَسَبَ لَهُ .

وَفِي « اللَّسَانِ » جَاءَ الْبَيْتُ الثَّانِي هَكَذَا [من المتقارب] :

فَلَنْ يَطْلُبُوا سِرَّهَا لِلْغِنَى      وَلَنْ يَتْرُكُوهَا لِأَزْهَادِهَا  
قَالَ : يَقُولُ : لَا يَتْرِكُونَهَا لِقِلَّةِ مَالِهَا ، وَهُوَ الْإِزْهَادُ ، وَقَالَ أَبُو مَنْصُورٍ  
الْأَزْهَرِيُّ : أَلْمَعْنَى أَنَّهُمْ لَا يُسْلِمُونَهَا إِلَى مَنْ يُرِيدُ هَتَكَ حُرْمَتِهَا لِقِلَّةِ مَالِهَا .

\* \* \*

١٤٩٨ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :  
« تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا ، فَأَظْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ  
تَرَبَّتْ يَدَاكَ » [ البخاري ، رقم : ٥٠٩٠ ؛ مسلم ، رقم : ١٤٦٦ ] .

وَقَبْلَ أَنْ نَمْضِيَ فِي شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ نُورِدُ عَلَيْكَ حَدِيثَيْنِ آخَرَيْنِ  
فِي مَعْنَاهُ ، أَمَّا أَوَّلُهُمَا فَهُوَ : « لَا تَزَوَّجُوا النِّسَاءَ لِحُسْنِهِنَّ ، فَلَعَلَّ حُسْنَهُنَّ أَنْ  
يُزْدِيَهُنَّ ، وَلَا تَزَوَّجُوهُنَّ لِأَمْوَالِهِنَّ فَلَعَلَّ أَمْوَالَهُنَّ أَنْ تُطْغِيَهُنَّ ، وَلَكِنْ تَزَوَّجُوهُنَّ  
لِدِينِهِنَّ ، وَلَأَمَّةٍ سَوْدَاءُ ذَاتُ دِينٍ أَفْضَلُ » [ ابن ماجه ، رقم : ١٨٥٩ ] .

وَأَمَّا الْآخَرُ ، فَقَوْلُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ : « مَا أَفَادَ رَجُلٌ بَعْدَ الْإِسْلَامِ خَيْرًا  
مِنْ أَمْرَةٍ ذَاتِ دِينٍ تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَهَا ، وَتَحْفَظُهُ فِي نَفْسِهَا  
وَمَالِهَا إِذَا غَابَ » [ كثر العمال ، رقم : ٤٤٤٧٦ ] .

أَمَّا قَوْلُهُ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ : « تَرَبَّتْ يَدَاكَ » فَإِنَّهُ يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا قَلَّ  
مَالُهُ : قَدْ تَرَبَّ ، أَيْ : أَفْتَقَرَ حَتَّى لَصِقَ بِالثَّرَابِ ، وَاتَّرَبَّ : إِذَا اسْتَعْنَى وَكَثُرَ  
مَالُهُ ؛ وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ - تَرَبَّتْ يَدَاكَ - جَاءَتْ عَلَى أَلْسِنَةِ الْعَرَبِ - لَا يُرِيدُونَ بِهَا  
الدُّعَاءَ عَلَى الْمُخَاطَبِ وَلَا وَقُوعَ الْأَمْرِ بِهِ ، وَهَذَا كَمَا يَقُولُونَ : قَاتَلَهُ اللَّهُ ،  
وَكَثِيرًا تَرَدُّ لِلْعَرَبِ أَلْفَاظُ ظَاهِرُهَا الدِّمُّ ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهَا الْمَدْحَ ، كَقَوْلِهِمْ :  
لَا أَبَ لَكَ ، وَلَا أُمَّ لَكَ ، وَنَحْوَ ذَلِكَ ، وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ : لَمْ يَكُنْ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَبَابًا وَلَا فَحَاشًا ، كَانَ يَقُولُ لِأَحَدِنَا عِنْدَ الْمُعَاتَبَةِ : تَرَبَّ  
جَبِينُكَ ، يُرِيدُ بِذَلِكَ الدُّعَاءَ لَهُ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ . . . هَذَا وَلِيُلْحِظَ أَنَّ الْمُرَادَ بِذَاتِ  
الدِّينِ : الَّتِي صَقَلَهَا الدِّينُ وَهَذَبَهَا وَكَسَاهَا قُنْيَانُ الْحَيَاءِ وَالْعِفَّةِ وَالْخُلُقِ الطَّاهِرِ  
الْكَرِيمِ .

وَأَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِذَا كَانَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ نَصَحَ لَنَا بِأَنْ نُؤَثِّرَ ذَاتَ الدِّينِ



عَلَى مَنْ لَا دِينَ لَهَا وَإِنْ كَانَتْ جَمِيلَةً أَوْ ذَاتَ مَالٍ ؛ فَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنْ نُسْقِطَ  
 الْمَالَ وَالْجَمَالَ مِنَ الدِّينِ ، فَحَبَّذَا ذَاتَ الدِّينِ إِذَا كَانَتْ عَلَى ذَلِكَ ذَاتُ مَالٍ  
 وَجَمَالٍ ، أَمَّا الْمَالُ وَالْجَمَالُ ... لَا يَصْحَبُهُمَا دِينٌ وَخُلُقٌ كَرِيمٌ فَإِنَّهُمَا  
 يُصْبِحَانِ مَصْدَرَ بَلَاءٍ وَمِخْنَةٍ ، وَلَا سِيَّما الْجَمَالُ الْفَائِقُ وَالْمَالُ الْكَثِيرُ ، وَقَدْ  
 رَوَوْا فِي ذَلِكَ : أَنَّ رَجُلًا شَاوَرَ حَكِيمًا فِي التَّرَوُّجِ ، فَقَالَ لَهُ : أَفْعَلْ ، وَإِيَّاكَ  
 وَالْجَمَالَ الْفَائِقُ ، فَإِنَّهُ مَزْعَى أُنِيقُ ؛ فَقَالَ الرَّجُلُ : مَا نَهَيْتَنِي إِلَّا عَمَّا أَطْلُبُ ؛  
 فَقَالَ الْحَكِيمُ : أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الْقَائِلِ [من البسيط] :

وَلَنْ تُصَادِفَ مَزْعَى مُنْزِعًا أَبَدًا إِلَّا وَجَدْتَ بِهِ آثَارَ مَا أَكُولُ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

١٤٩٩ - وَقَالُوا : الْجَمَالُ لِلرِّجَالِ مَطْمَعٌ .

\* \* \*

١٥٠٠ - وَأَنْشَدُوا [من البسيط] :

لَا تَطْلُبِ الْحُسْنَ إِنْ الْحُسْنَ آفَتُهُ      أَنْ لَا يَزَالَ طَوَالَ الدَّهْرِ مَطْلُوبَا  
 وَمَا تُصَادِفُ يَوْمًا لَوْلَوْا حَسَنًا      بَيْنَ اللَّالِيءِ إِلَّا كَانَ مَثْقُوبَا

\* \* \*

(١) جاء في « مُحَاضِرَاتِ الْأَدَبَاءِ » مَا يَأْتِي : كَانَ عِنْدَ الْأَخْنَفِ امْرَأَةٌ ، فَطَلَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا ابْنُ عَمِّ

لَهَا ، وَكَتَبَ إِلَى الْأَخْنَفِ [من البسيط] :

إِنْ كُنْتَ أَرْمَعْتَ أَمْرًا فَاْمُضِ بِنِّ لَهُ      إِنَّ الْغَزَالَ الَّذِي ضَيَّعْتَ مَشْغُولُ  
 فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْأَخْنَفُ [من البسيط] :

إِنْ كُنْتَ مُشْتَغِلًا فَاللَّهُ يُضْلِحُهُ      فَقَدْ لَهَوْنَا بِأَمْرِ مِنْهُ مَوْضُولُ

وَلَنْ تُصَادِفَ مَزْعَى مُونِقًا أَبَدًا      إِلَّا وَجَدْتَ بِهِ آثَارَ مَا أَكُولُ

وَإِذَنْ يَكُونُ مَا جَاءَ فِي « عُيُونِ الْأَخْبَارِ » بِدَلِّ « مَاكُولٍ » : مُتَجَعِّعٌ لَيْسَ بِذَاكَ .

١٥٠١ - وَقِيلَ لِحَكِيمٍ تَزَوَّجْ أَمْرَأَةً دَمِيمَةً : هَلَّا تَزَوَّجْتَ بِحَسَنَاءٍ ؟ فَقَالَ :  
أَخْتَرْتُ مِنَ الشَّرِّ أَقْلَهُ .

\* \* \*

١٥٠٢ - قُلْنَا : حَبِّذَا أَلْمَالُ وَالْجَمَالُ إِذَا صَحِبَهُمَا الدِّينُ وَالْحَسَبُ ، فَفِي  
الْحَدِيثِ : « أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكََةً أَحْسَنُهُنَّ وَجُوهًا وَأَرْخَصُهُنَّ مُهَوْرًا » [ قال العراقي  
في « تخريج أحاديث الإحياء » : رواه أبو عمر النوفلي في كتاب « معاشره الأهلين » ] .

\* \* \*

١٥٠٣ - وَفِيهِ : « إِنَّمَا النِّسَاءُ لُعْبٌ ، فَمَنْ اتَّخَذَ لُعْبَةً فَلَيْسَتْ خَيْرَ نِسَاءٍ » [ راجع  
« كنز العمال » ، رقم : ٤٤٥٩٢ ] .

\* \* \*

١٥٠٤ - وَقَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ فِي « الْإِحْيَاءِ » : وَلَيْسَ أَمْرُهُ ﷺ بِمُرَاعَاةِ  
الدِّينِ نَهْيًا عَنْ مُرَاعَاةِ الْجَمَالِ ، وَلَا أَمْرًا بِالْإِضْرَابِ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ نَهْيٌ عَنْ  
مُرَاعَاتِهِ مُجَرَّدًا عَنِ الدِّينِ ، فَإِنَّ الْجَمَالَ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ يُرْغَبُ الْجَاهِلُ فِي  
النِّكَاحِ دُونَ الْأَلِفَاتِ إِلَى الدِّينِ وَلَا النَّظَرَ إِلَيْهِ ، فَوَقَعَ النَّهْيُ عَنْ هَذَا ، وَأَمَرَ أَلَّا  
نُغْفَلَ النَّظَرُ فِيهِ ، قَالَ : وَأَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ يُرِيدُ التَّزَوُّجَ بِالنَّظَرِ إِلَى الْمَخْطُوبَةِ  
يَدُلُّ عَلَى مُرَاعَاةِ الْجَمَالِ ، إِذِ النَّظَرُ لَا يُفِيدُ مَعْرِفَةَ الدِّينِ ، وَإِنَّمَا يُعَرِّفُ بِهِ  
الْجَمَالَ وَالْقُبْحُ ؛ قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ : وَفِي قَوْلِهِ ﷺ تَنْكِحُ الْمَرْأَةَ لِمَالِهَا دَلِيلٌ  
عَلَى أَنَّ لِلرَّجُلِ الْأَسْتِمْتَاعَ بِمَالِ الزَّوْجَةِ ، وَإِلَّا كَانَتْ كَالْفَقِيرَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِهَذَا  
الْكَلَامِ فَائِدَةٌ ، قَالَ : فَإِنْ كَانَ اسْتِمْتَاعُهُ عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ مِنْهَا ، فَذَلِكَ  
مَا لَا إِشْكَالَ فِي جَوَازِهِ ، وَإِنْ أَمْتَنَعَتْ فَلَهُ بِقَدْرِ مَا بَدَلَ مِنَ الصَّدَاقِ .

قَالَ : وَمِنْ هَذَا اخْتَلَفُوا فِي إِجْبَارِهَا عَلَى التَّجْهِيزِ بِصَدَاقِهَا ، فَأَلَزَمَهَا مَالِكُ ذَلِكَ ، وَلَمْ يُجْزَ لَهَا قَضَاءُ دَيْنٍ وَلَا نَفَقَةٌ فِي غَيْرِ الْجِهَازِ ، إِلَّا الشَّيْءَ الْيَسِيرَ مِنَ الْكَثِيرِ ، وَقَالَ غَيْرُهُ : لَا تُجْبَرُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَهُوَ مَالُهَا تَفْعَلُ فِيهِ مَا شَاءَتْ .

بَقِيَ أَنْ نُفَسِّرَ لَكَ الْحَسَبَ الَّذِي جَاءَ فِي الْحَدِيثِ ، فَالْحَسَبُ فِي الْأَصْلِ الشَّرَفُ بِالْأَبَاءِ وَمَا يَعُدُّهُ الْإِنْسَانُ مِنْ مَفَاخِرِهِمْ ، وَلَكِنَّهُ فِي الْحَدِيثِ : أَلْفَعَالُ الْحَسَنُ لِلرَّجُلِ وَالْأَبَائِهِ ؛ وَبِلُغَةِ الدِّينِ : التَّقْوَى ، وَهِيَ جَمَاعُ كُلِّ خَيْرٍ .

\* \* \*

١٥٠٥ - وَحَضَرَتْ رَجُلًا مِنْ رِبِيعَةَ الْوَفَاءِ ، فَقَالَ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ ! إِذَا حَزَبَكَ أَمْرٌ فَأَحْكُوكَ رُكْبَتَيْكَ بِرُكْبَةٍ مِنْهُ هُوَ أَسَنُّ مِنْكَ ، ثُمَّ اسْتَشِيرَهُ<sup>(١)</sup> .

قَالَ الْإِبْنُ : فَمَاتَ أَبِي ، فَأَرَدْتُ التَّزْوُجَ ، فَجِئْتُ شَيْخًا مِنْ قَوْمِهِ ، فَجَلَسْتُ فِي نَادِيهِ ، فَلَمَّا قَامَ النَّاسُ مِنْ عِنْدِهِ قَالَ : أَلَيْكَ حَاجَةٌ يَا ابْنَ أَخِي ؟ قُلْتُ : نَعَمْ يَا عَمَّ ! إِنِّي أُرِيدُ التَّزْوُجَ ؛ قَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ! أَقْصِيرَةُ النَّسَبِ أَمْ طَوِيلَتُهُ ؟ فَلَمْ أَفْهَمْ عَنْهُ ... فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ! إِنِّي أَعْرِفُ فِي الْعَيْنِ إِذَا عَرَفْتُ ، وَأَعْرِفُ فِي الْعَيْنِ إِذَا نَكَرْتُ ، وَأَعْرِفُ فِي الْعَيْنِ إِذَا لَمْ تَعْرِفْ وَلَمْ تُنَكِرْ<sup>(٢)</sup> ، أَمَا إِذَا عَرَفْتَ فَإِنَّهَا تُحَاوِصُ<sup>(٣)</sup> ، وَأَمَا إِذَا نَكَرْتَ فَإِنَّهَا تَجْحَظُ ، وَأَمَا

(١) قَالَ أَبُو جَهْلٍ : حَتَّى إِذَا تَحَاكَّتِ الرُّكْبَتَانِ قَالُوا : مِثْلُ نَبِيٍّ ! وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ؛ أَنَّى : تَمَاسَّتْ وَأَضْطَلَّتْ ؛ يُرِيدُ : تَسَاوَيْهِمْ فِي الشَّرَفِ وَالْمَنْزِلَةِ ، أَوْ يُرِيدُ تَجَانُّبَهُمْ عَلَى الرُّكْبَتَيْنِ لِلتَّفَاخُرِ ، فَذَاكَ مِنْ ذَلِكَ .

(٢) يُقَالُ : نَكَرَ الشَّيْءُ وَأَنْكَرَهُ ، قَالَ [مَنْ الْبَسِيطُ] :

وَأَنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكَرْتُ مِنْ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبُ وَالصَّلَعُ وَمِنْ ثَمَّ اسْتَعْمَلْنَا مُضَارِعَ أَنْكَرَ وَإِنْ اسْتَعْمَلْنَا نَكَرَ فِي الْمَاضِي .

(٣) يُقَالُ : هُوَ يُحَاوِصُ فُلَانًا ، أَيْ : يَنْظُرُ إِلَيْهِ بِمُؤَخَّرِ عَيْنَيْهِ .

إِذَا لَمْ تُعْرِفْ وَلَمْ تُنَكِرْ فَإِنَّهَا تَسْجُو سُجُوءًا ، وَقَدْ رَأَيْتُ عَيْنَكَ سَاجِدَةً ، فَالْقَصِيرَةُ  
النَّسَبِ ، الَّتِي إِذَا ذَكَرْتَ أَبَاهَا أَكْتَفَتْ بِهِ - لِمَكَانِهِ مِنَ الصَّيْتِ وَالسِّيَادَةِ وَالْمَجْدِ  
- وَالطَّرِيقَةِ النَّسَبِ : الَّتِي لَا تُعْرِفُ حَتَّى تُطِيلَ فِي نِسْبَتِهَا - لِمَكَانِهَا مِنَ الْخُمُولِ  
وَالدَّنَاءَةِ - فَإِيَّاكَ يَا ابْنَ أَحْيٍ أَنْ تَتَزَوَّجَ إِلَى قَوْمِ أَهْلِ دَنَاءَةٍ قَدْ أَصَابُوا مِنْ دُنْيَاهُمْ  
شَيْئًا ، فَتُشْرِكُهُمْ فِي دَنَاءَتِهِمْ وَيَسْتَأْثِرُوا عَلَيْكَ بِدُنْيَاهُمْ . . .

[ « الأخبار الموفقيات » للزبير بن بكار، صفحة: ٥٢١ و ٥٢٢ ؛ « تحفة العروس » ، رقم: ١٠٥ ] .

\* \* \*

١٥٠٦ - وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : مَنْ تَزَوَّجَ أَمْرَأَةً فَلْيَتَزَوَّجْهَا عَزِيزَةً فِي  
قَوْمِهَا ، ذَلِيلَةً فِي نَفْسِهَا ، أَدْبَهَا الْغِنَى وَأَذَلَّهَا الْفَقْرُ ، حَصَانًا مِنْ جَارِهَا ، عَفِيفَةً  
رِزَانًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَنْ عَدَا زَوْجَهَا ، مَاجِنَةً عَلَى زَوْجِهَا .

\* \* \*

١٥٠٧ - وَرَوَى عَنْ هَذَا خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ أَنَّهُ قَالَ لِذَلَالٍ - وَهُوَ أَحَدُ  
الْمُخْتَشِينَ الَّذِينَ يَخْطُبُونَ النِّسَاءَ عَلَى الرِّجَالِ - : أَطْلُبْ لِي بِكَرًا كَثِيبًا أَوْ ثِيًّا  
كَبِيرًا ، لَا ضَرْعًا صَغِيرَةً وَلَا عَجُوزًا كَبِيرَةً ، قَدْ عَاشْتُ فِي نِعْمَةٍ وَأَذْرَكْتُهَا  
حَاجَةً ، فَخُلِقُ النُّعْمَةُ مَعَهَا وَذُلُّ الْحَاجَةِ فِيهَا ، حَسْبِي مِنْ جَمَالِهَا أَنْ تَكُونَ  
فَحْمَةً مِنْ بَعِيدٍ ، مَلِيحَةً مِنْ قَرِيبٍ ، وَحَسْبِي مِنْ حَسْبِهَا أَنْ تَكُونَ وَاسِطَةً فِي  
قَوْمِهَا ، مِنْ خِيَارِهِمْ وَأَمْثَلِهِمْ .

\* \* \*

١٥٠٨ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِآخَرَ : أَبْغِي أَمْرَأَةً لَا تُؤْهِلُ دَارًا - أَيِ : لَا تَجْعَلْ  
دَارَهَا آهْلَةً بِدُخُولِ النَّاسِ عَلَيْهَا - وَلَا تُؤْنِسُ جَارًا - أَيِ : لَا تُؤْنِسُ الْجِيرَانَ

بُدْخُولِهَا عَلَيْهِمْ - وَلَا تَنْفُثُ نَارًا - أَيُّ : لَا تَنْفُثُ - تَشِي - وَتُغْرِ بَيْنَ النَّاسِ .

\* \* \*

١٥٠٩ - وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : ثَلَاثٌ مِنَ الْفَوَاقِرِ - الدَّوَاهِي - : جَارُ مُقَامَةٍ ، إِنْ رَأَى حَسَنَةً سَتَرَهَا ، وَإِنْ رَأَى سَيِّئَةً أَدَاعَهَا ؛ وَأَمْرَأَةٌ إِنْ دَخَلَتْ عَلَيْهَا لَسَنَتَكَ - أَخَذَتْكَ بِلِسَانِهَا وَذَكَرَتْكَ بِالسُّوءِ - وَإِنْ غَبَتْ عَنْهَا لَمْ تَأْمَنْهَا ؛ وَسُلْطَانٌ إِنْ أَحْسَنْتَ لَمْ يَحْمَدَكَ ، وَإِنْ أَسَأْتَ قَتَلَكَ .

\* \* \*

١٥١٠ - وَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَدْرٍ : أَحَبُّ كَنَائِي إِلَى<sup>(١)</sup> الدَّلِيلَةُ فِي نَفْسِهَا ، الْعَزِيزَةُ فِي رَهْطِهَا ، الْبُرْزَةُ<sup>(٢)</sup> الْحَيَّةُ ، الَّتِي فِي بَطْنِهَا غَلَامٌ وَيَتَّبِعُهَا غَلَامٌ ؛ وَأَبْغَضُ كَنَائِي إِلَى<sup>(٣)</sup> الطَّلْعَةِ الْخُبَاءِ<sup>(٤)</sup> الَّتِي تَمْشِي الدَّفِئِي ، وَتَجْلِسُ الْهَبْنَقَةَ<sup>(٥)</sup> ، الدَّلِيلَةُ فِي رَهْطِهَا ، الْعَزِيزَةُ فِي نَفْسِهَا ، الَّتِي فِي بَطْنِهَا جَارِيَةٌ وَتَتَّبِعُهَا جَارِيَةٌ<sup>(٥)</sup> .

\* \* \*

تَفْضِيلُهُمُ الْعَرَبِيَّةَ عَلَى الْقَرِيبَةِ :

١٥١١ - فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « أَغْتَرَبُوا لَا تُضَوْوَا » . وَفِيهِ أَيْضًا :

(١) الْكَنَائِنُ ، جَمْعُ كَنَى ، يَفْتَحُ الْكَافِ ، وَهِيَ : أَمْرَأَةُ الْإِبْنِ أَوْ الْآخِ .

(٢) الْبُرْزَةُ ، يُرِيدُ الَّتِي تَبْرُزُ لِلرِّجَالِ ثِقَةً بِرَأْيِهَا وَعَقَائِفِهَا .

(٣) أَيُّ : نَكْثَرُ النَّطْلُوعِ ثُمَّ تَخْتَبِيءُ .

(٤) الدَّفِئِي : مَسْنِيٌّ وَاسِعٌ ؛ وَالْهَبْنَقَةُ : أَنْ تَتَرَبَّعَ وَتَمُدَّ إِحْدَى رِجْلَيْهَا فِي تَرَبُّعِهَا .

(٥) هُوَ فِي هَذَا يَضْرِبُ عَلَى نَعْمَةٍ جَاهِلِيَّةٍ ، إِذَا كَانُوا إِذَا بَشَّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ، وَكَانُوا مِنْ ثَمَّ يَكْدُونَ بَنَاتَهُمْ .

« لَا تَنْكِحُوا الْقَرَابَةَ الْقَرِيبَةَ ، فَإِنَّ الْوَلَدَ يُخْلَقُ ضَاوِيًا » [قال العراقي في « تخريج أحاديث الإحياء » : قال ابن الصلاح : لم أجذ له أصلاً معتمداً . قلت : إنما يُعَرَّفُ مِنْ قول عمر أنه قال لآل السائب : قد أضويتم ، فانكحوا في التزائيع . رواه إبراهيم الحربي في « غريب الحديث » . ثم قال : ويقال : « أغربوا لا تَضُؤُوا » .]

أَغْتَرَبُوا لَا تَضُؤُوا ، أَي : فِي الْبَعَادِ الْأَنْسَابِ ، لَا فِي الْأَقَارِبِ ، لِأَنَّ وَلَدَ الرَّجُلِ مِنْ قَرَابَتِهِ يَجِيءُ ضَاوِيًا ، أَي : نَحِيفًا .

\* \* \*

١٥١٢ - وَرَوَوْا : أَنَّ عُمَرَ نَظَرَ إِلَى قَوْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ صِغَارِ الْأَجْسَامِ ، فَقَالَ : إِنَّكُمْ قَدْ أَضُويْتُمْ ، فَانْكَحُوا فِي الْغَرَائِبِ .

فِي الْغَرَائِبِ ، تُرَوَّى : فِي التَّزَائِعِ ، أَي : فِي النِّسَاءِ الْغَرَائِبِ مِنْ عَشِيرَتِكُمْ ، لِأَنَّهَا تُتَزَعُ مِنْ عَشِيرَتِهَا .

\* \* \*

١٥١٣ - وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ [من الطويل] :

فَتَى لَمْ تَلِدْهُ بِنْتُ عَمِّ قَرِيبَةٍ      فَيَضُوئِي وَقَدْ يَضُوئِي رَدِيدُ الْقَرَائِبِ  
رَدِيدُ : مَزْدُودُ .

[« إيضاح شواهد الإيضاح » ٢٠٨/١ ؛ « غريب الحديث » ٧٣٧/٣ ؛ « جمهرة الأمثال » ٦٠/١ ؛

« تحفة العروس » ، رقم : ١٢٣ ] .

\* \* \*

١٥١٤ - وَقَالَ آخَرُ [من الرجز] :

أَنْذِرْ مَنْ كَانَ بَعِيدَ أَلْهَمٍ      تَزْوِيجَ أَوْلَادِ بَنَاتِ أَلْعَمِ

فَلَيْسَ بِنَاجٍ مِنْ ضَوَىٰ وَسُقْمٍ

\* \* \*

١٥١٥ - وَقَالَ الْأَضْمَعِيُّ : بَنَاتُ أَلْعَمِ أَصْبَرُ ، وَالْغَرَائِبُ أَنْجَبُ ،  
وَمَا ضَرَبَ رُؤُوسَ الْأَبْطَالِ كَاتِبِينَ الْأَعْجَمِيَّةِ .

أَنْجَبُ : أَكْثَرُ إِنْجَابًا ، كَمَا قَالُوا : مَا أَوْلَاهُ لِلْمَعْرُوفِ .

\* \* \*

رَغْبَةُ الْمَرْأَةِ فِي الزَّوَّاجِ :

زَوْجٌ مِنْ عَوْدٍ خَيْرٌ مِنْ قُعُودٍ :

١٥١٦ - كَانَ ذُو الْإِصْبَعِ الْعَدَوَانِيَّ - وَأَسْمُهُ خُزْثَانُ بْنُ مُحَرَّرٍ ، وَإِنَّمَا لُقِّبَ  
ذُو الْإِصْبَعِ لِأَنَّهُ حَيَّةٌ لَسَعَتْ إِصْبَعَهُ ، فَقَطَعَهَا ، وَكَانَ أَحَدُ حُكَّامِ الْعَرَبِ فِي  
الْبَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ شَاعِرًا - كَانَ غَيُورًا ، وَكَانَتْ لَهُ بَنَاتٌ أَرْبَعُ ، وَكَانَ لَا يَرُوجُهُنَّ  
غَيْرَةً ، فَاسْتَمَعَ عَلَيْهِنَّ يَوْمًا وَقَدْ خَلَوْنَ يَتَحَدَّثْنَ ، فَقَالَتْ قَائِلَةٌ مِنْهُنَّ : لَتَقُلَّ كُلُّ  
وَاحِدَةٍ مِنْكُنَّ مَا فِي نَفْسِهَا ، وَلَتَضُدَّ جَمِيعًا ، فَقَالَتْ كُبْرَاهُنَّ [من الطويل] :

أَلَا لَيْتَ زَوْجِي مِنْ أَنَاسٍ ذَوِي غَنَى      حَدِيثُ الشَّبَابِ طَيِّبُ النَّشْرِ وَالذِّكْرِ  
لَصُوقٌ بِأَكْبَادِ النِّسَاءِ كَأَنَّهُ      خَلِيقَةُ جَانٍ ، لَا يَنَامُ عَلَى وَتَرٍ  
فَقُلْنَ لَهَا : أَنْتِ تُرِيدِينَ فَتَيَّ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ؛ وَقَالَتْ الثَّانِيَةُ [من الطويل] :

أَلَا لَيْتَهُ يُكْسَى الْجَمَالَ بَدِئَةً      لَهُ جَفَنَةٌ تَشْقَى بِهَا الْنَيْبُ وَالْجُزُرُ  
لَهُ حَكَمَاتُ الدَّهْرِ مِنْ غَيْرِ كِبَرَةٍ      تَشِينُ فَلَا فَاِنْ وَلَا ضَرَعُ غُمُرُ

فَقُلْتَ لَهَا : أَنْتِ تُرِيدِينَ سَيِّدًا شَرِيفًا ؛ فَقَالَتْ الثَّالِثَةُ [من الطويل] :

أَلَا هَلْ أَرَاهَا مَرَّةً وَضَجِيعُهَا      أَشْمُ كَنْضَلِ السَّيْفِ عَيْنُ الْمُهَنْدِ

عَلِيمٌ بِأَذْوَاءِ النِّسَاءِ وَأَصْلُهُ إِذَا مَا أَنْتَمَى مِنْ سِرِّ أَهْلِي وَمَحْتَدٍ  
فَقُلْنَ لَهَا : أَنْتِ تُرِيدِينَ ابْنَ عَمِّ لِكَ قَدْ عَرَفْتِهِ ؛ وَقُلْنَ لِلصُّغْرَى :  
مَا تَقُولِينَ ؟ فَقَالَتْ : لَا أَقُولُ شَيْئاً ؛ فَقُلْنَ : لَا نَدْعُكَ ، إِنَّكَ أَطْلَعْتَ عَلَى  
أَسْرَارِنَا وَتَكْتُمِينَ سِرَّكَ ! فَقَالَتْ : زَوْجٌ مِنْ عُوْدٍ خَيْرٌ مِنْ قُعودٍ . . . فُخِطْنَ ،  
فَزَوَّجَهُنَّ جُمَعَ ، ثُمَّ أَمَهَلَهُنَّ حَوَلاً ، ثُمَّ زَارَ الْكُبْرَى ، فَقَالَ لَهَا : كَيْفَ رَأَيْتِ  
زَوْجَكَ ؟ قَالَتْ : خَيْرَ زَوْجٍ ، يُكْرِمُ أَهْلَهُ ، وَيُنْسِي فَضْلَهُ ؛ قَالَ : فَمَا مَالُكُمْ ؟  
قَالَتْ : الْإِبِلُ ؛ قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَتْ : نَأْكُلُ لُحْمَانَهَا مُزْعَاً ، وَنَشْرَبُ أَلْبَانَهَا  
جُرْعَاً ، وَتَحْمِلُنَا وَضَعَفَتْنَا مَعَاً ؛ فَقَالَ : زَوْجٌ كَرِيمٌ ، وَمَالٌ عَمِيمٌ ؛ ثُمَّ زَارَ  
الْثَانِيَةَ ، فَقَالَ لَهَا : كَيْفَ رَأَيْتِ زَوْجَكَ ؟ قَالَتْ : يُكْرِمُ الْحَلِيلَةَ ، وَيُقَرِّبُ  
الْوَسِيلَةَ ؛ قَالَ : فَمَا مَالُكُمْ ؟ قَالَتْ : الْبَقَرُ ؛ قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَتْ : تَأْلَفُ  
الْفِئَاءَ ، وَتَمْلَأُ الْإِنَاءَ ، وَتُوَدِّدُكَ السَّقَاءَ ، وَنِسَاءٌ مَعَ نِسَاءٍ ؛ قَالَ لَهَا : رَضِيتِ  
وَحَظِيتِ ؛ ثُمَّ زَارَ الثَّلَاثَةَ ، فَقَالَ لَهَا : كَيْفَ رَأَيْتِ زَوْجَكَ ؟ فَقَالَتْ : لَا سَمْعُ  
بَدْرٍ ، وَلَا بَخِيلٌ حَكِيزٌ ؛ قَالَ : فَمَا مَالُكُمْ ؟ قَالَتْ : الْغِمْزَى ؛ قَالَ :  
وَمَا هِيَ ؟ قَالَتْ : لَا بَأْسَ بِهَا ، نُؤَلِّدُهَا فُطْمَاً ، وَنَسْلُخُهَا أَدَمَاً ، لَمْ نَبْغِ بِهَا  
نَعْمَاً ؛ فَقَالَ لَهَا : جَذْوَةٌ مُغَيَّبَةٌ ؛ ثُمَّ زَارَ الرَّابِعَةَ ، فَقَالَ لَهَا : كَيْفَ رَأَيْتِ  
زَوْجَكَ ؟ فَقَالَتْ : شَرُّ زَوْجٍ ، يُكْرِمُ نَفْسَهُ ، وَيُهِينُ عِرْسَهُ ؛ قَالَ لَهَا : فَمَا  
مَالُكُمْ ؟ قَالَتْ : شَرُّ مَالٍ ، الضَّأْنُ ؛ قَالَ لَهَا : وَمَا هُنَّ ؟ قَالَتْ : جُوفُ  
لَا يَشْبَعْنَ ، وَهَيْمٌ لَا يَنْقَعْنَ ، وَصُمٌّ لَا يَسْمَعْنَ ، وَأَمْرٌ مُغْوِيَتِهِنَّ يَتَّبِعْنَ ! فَقَالَ :  
أَشْبَهَ أَمْرُؤُ بَعْضُ بَزِهِ . . . فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا . [ « مجمع الأمثال » ، رقم : ١٧٢٩ ] .

قَوْلُ الْكُبْرَى : « ذَوِي غَنَى » ، يُرْوَى : « ذَوِ عَدَى » ، وَمَعْنَاهُ : أَنْ يَكُونَ  
لَهُمْ أَعْدَاءٌ لِأَنَّ مَنْ لَا عَدُوَّ لَهُ هُوَ الْفَسْلُ الْرَّذَلُ الَّذِي لَا خَيْرَ عِنْدَهُ ، أَمَّا الْكُرَيْمُ



الْفَاضِلُ مِنَ النَّاسِ فَهُوَ الْمُحَسَّدُ الْمُعَادَى . وَ « النَّشْرُ » : مَا أُنتَشَرَ مِنَ الرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ ، وَقَوْلُهَا : « لَصَوْقٌ بِأَكْبَادِ النِّسَاءِ » كُنْتُ بِذَلِكَ عَنْ شِدَّةِ مَحَبَّتِهِنَّ لَهُ وَمِيلِهِنَّ إِلَيْهِ ، وَمِنْ الْمُحْتَمَلِ أَنْ تَكُونَ أَرَادَتْ فِي الْمُضَاجَعَةِ ؛ وَقَوْلُهَا : « كَأَنَّهُ خَلِيقَةُ جَانٍ » أَيُّ : كَأَنَّهُ حَيَّةٌ لِلصَّوْقِ ، وَالْجَانُّ : جِنْسٌ مِنَ الْحَيَّاتِ ؛ فَخَفَّفَ لِضَرُورَةِ الشَّعْرِ ؛ وَ « الْوَتْرُ » بفتح الواو وكسرها: الثَّأْرُ ؛ وَقَوْلُ الثَّانِيَةِ : « بَدِيئَةٌ » فَالْبَدِيئَةُ أَوَّلُ مَا يَفْجُوكَ مِنْهُ ، كَالْبَدَاءَةِ وَالْبَدَاهَةِ ، وَرَوَاهَا الْمُزْتَضَى : [ من الطويل ]

... يَكْسَى الْجَمَالَ نَدِيئُهُ .....

وَقَالَ : النَّدِيُّ : الْمَجْلِسُ ؛ وَ « النَّيْبُ » جَمْعُ نَابٍ ، وَهِيَ الْمُسِنَّةُ مِنَ الثُّوْقِ ، وَ « الْجُزُرُ » جَمْعُ جَزْوِرٍ : النَّاقَةُ الَّتِي تُنَحَّرُ ، وَإِنَّمَا عَطَفْتُ أَحَدَهُمَا عَلَى الْآخِرِ لِأَنَّ مِنَ الْإِبِلِ مَا يَكُونُ لِلنَّحْرِ لَا غَيْرَ ؛ وَقَوْلُهَا : « لَهُ حَكَمَاتُ الدَّهْرِ مِنْ غَيْرِ كَبْرَةٍ » ، تَقُولُ : لَهُ تَجَرِبَةٌ وَخُنْكَةٌ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ كَبِيرًا كَبْرَةً تُشِينُهُ ، يُقَالُ : عَلَتْهُ كَبْرَةٌ ، مِثْلُ تَمْرَةٍ ، إِذَا كَبِرَ وَأَسَنَّ ، وَ « الْفَانِي » : الشَّيْخُ الْهَرَمُ ، وَ « الضَّرْعُ » : الضَّعِيفُ ، وَ « الْعُمَرُ » بِضَمِّ الْعَيْنِ وَفَتْحِهَا : الَّذِي لَمْ يُجَرَّبِ الْأُمُورَ ؛ وَقَوْلُ الثَّالِثَةِ : « أَشَمُّ » فَالشَّمَمُ : ارْتِفَاعُ أَرْزَبَةِ الْأَنْفِ وَوُرُودُهَا ، يُقَالُ : رَجُلٌ أَشَمٌّ ، وَأَمْرَأَةٌ شَمَاءُ ، وَقَوْمٌ شُمَّ ؛ قَالَ حَسَّانُ [ من الكامل ] :

بِيضُ الْوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ شُمَّ الْأَنْوَفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ  
الشَّمَمُ : الارتفاعُ في كُلِّ شَيْءٍ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ حَسَّانُ أَرَادَ بِ « شُمَّ الْأَنْوَفِ » مَا ذَكَرْنَا مِنْ وَرُودِ الْأَرْزَبَةِ لِأَنَّ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ دَلِيلُ الْعِتْقِ وَالنَّجَابَةِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِذَلِكَ الْكِنَايَةَ عَنْ نَرَاهَتِهِمْ وَتَبَاعُدِهِمْ عَنْ دُنَايَا الْأُمُورِ وَسَفْسَافِهَا ، وَخَصَّ الْأَنْوَفَ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْحَمِيَّةَ وَالْغَضَبَ وَالْأَنْفَ يَكُونُ فِيهَا ، وَهَذَا أَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ مُرَادَهُ ؛ لِأَنَّهُ قَالَ : بِيضُ الْوُجُوهِ وَلَمْ يُرِدِ اللَّوْنُ فِي

الْحَقِيقَةَ ، وَإِنَّمَا كُنْتُ بِذَلِكَ عَنْ نَقَاءِ أَغْرَاضِهِمْ وَجَمِيلِ أَخْلَاقِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ ،  
وَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ : جَاءَنِي فَلَانٌ بِوَجْهِ أَيْبَضَ ، وَقَدْ يَبِضُّ فَلَانٌ وَجْهِي إِلَّا وَيَغْنِي  
مَا ذَكَرْنَا ؛ وَقَوْلُ الْمَرْأَةِ : « أَشْمُ كَنْضِلِ السَّيْفِ » يَحْتَمِلُ الْوَجْهَيْنِ أَيْضاً ،  
وَقَوْلُ حَسَّانٍ : « مِنْ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ » أَيُّ : إِنَّ أَفْعَالَهُمْ هِيَ أَفْعَالُ آبَائِهِمْ  
وَسَلَفِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يُخْدِثُوا أَخْلَاقاً مَذْمُومَةً لَا تُشَبِّهُ نِجَارَهُمْ وَأُصُولَهُمْ ؛  
وَقَوْلُهَا : « عَيْنُ الْمُهَنْدِ » أَيُّ : هُوَ الْمُهَنْدُ بِعَيْنِهِ ، كَمَا يُقَالُ : هَذَا بِعَيْنِهِ ، وَعَيْنُ  
الشَّيْءِ : نَفْسُهُ ؛ وَتُرْوَى : « غَيْرُ الْمُهَنْدِ » أَيُّ : لَيْسَ هُوَ السَّيْفُ الْمَنْسُوبُ إِلَى  
الْهِنْدِ فِي الْحَقِيقَةِ ، وَإِنَّمَا هُوَ يُشَبِّهُهُ فِي مِصَافِهِ ؛ وَقَوْلُهَا : « مِنْ سِرِّ أَهْلِي »  
أَيُّ : مِنْ أَكْرَمِهِمْ وَأَخْلَصِهِمْ ، يُقَالُ : فَلَانٌ مِنْ سِرِّ قَوْمِهِ ، أَيُّ : فِي صَمِيمِهِمْ  
وَشَرَفِهِمْ ؛ وَالْمَخْتِدُ : الْأَصْلُ ؛ وَقَوْلُ الْكُبْرَى : « نَأْكُلُ لُحْمَانَهَا مُرْعَاً »  
فَاللُّحْمَانُ جَمْعُ لَحْمٍ ، كُلُّ حَوْمٍ وَالْحُمُ ، وَ« مُرْعَاً » جَمْعُ مُرْعَةٍ ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ ،  
وَالْتَمَزِيعُ : التَّقْطِيعُ وَالتَّشْقِيقُ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ لَيَكَادُ يَتَمَزَّعُ مِنَ الْغَنِيظِ ؛  
وَ« الْجُرْعُ » جَمْعُ جُرْعَةٍ ، وَهِيَ : الْمَاءُ الْقَلِيلُ يَبْقَى فِي الْإِنَاءِ ؛ وَقَوْلُهُ :  
« وَمَالٌ عَمِيمٌ » أَيُّ : كَثِيرٌ ؛ وَقَوْلُ الثَّانِيَةِ : « يُكْرِمُ الْحَلِيلَةَ ، وَيُقَرِّبُ الْوَسِيلَةَ »  
فَالْحَلِيلَةُ : أَمْرَأَةُ الرَّجُلِ ، وَالْوَسِيلَةُ : كُلُّ مَا يُقَرَّبُ بِهِ مِنْ عَمَلٍ الْخَيْرِ ،  
وَقَوْلُهَا : « وَتَوَدُّكَ السَّقَاءُ » أَيُّ : تَجْعَلُ فِيهِ الْوَدَّكَ ؛ وَهُوَ دَسَمُ اللَّحْمِ وَدُهْنُهُ  
الَّذِي يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ ؛ وَقَوْلُ الثَّالِثَةِ : « لَا سَمْحُ بَذَرٍ » فَالْبَذَرُ : الَّذِي يُبْذَرُ مَالُهُ ،  
يَسْطُ يَدُهُ فِيهِ كُلُّ الْبَسْطِ ، وَهُوَ وَضْفٌ مُبَالِغٌ فِيهِ ، مِثْلُ : حَكِرَ ، وَهُوَ الَّذِي  
لَا يَزَالُ يَحْسِسُ سِلْعَتَهُ حَتَّى يَبِيعَ بِالْكَثِيرِ مِنْ شِدَّةِ حَكْرِهِ ، وَقَوْلُهَا : « نَوَلَّدُهَا  
فُطْماً » ، فَنَوَلَّدُهَا بِتَشْدِيدِ اللَّامِ ، تُرِيدُ مَعْنَى الْكَثَرَةِ ، مِثْلُ قَوْلِهِمْ : نَتَجَّ فَلَانٌ  
إِبِلَهُ ، بِتَشْدِيدِ التَّاءِ ، وَ« فُطْماً » بِضَمَّتَيْنِ ، جَمْعُ فَطِيمٍ ، بِمَعْنَى مَفْطُومٍ ، وَهَذَا  
مِنْ قَبِيلِ مَجَازِ الْأَوَّلِ تُرِيدُ الْإِنْتِفَاعَ بِهَا ، وَ« الْأَدَمُ » مِنَ الْأَدِيمِ ، وَهُوَ :  
الْجِلْدُ ؛ وَقَوْلُهُ : « جَذْوَةٌ مُغْنِيَّةٌ » ، يُرِيدُ : قِلَّتَهَا ، وَالْجَذْوَةُ فِي الْأَصْلِ :

الْقِطْعَةُ مِنَ الْخَشَبِ فِيهَا نَارٌ ؛ وَقَوْلُ الرَّابِعَةِ : « يَهِينُ عِزُّهُ » فَأَلْعِزْسُ :  
الزَّوْجَةُ ، وَقَوْلُهَا : « جَوْفٌ لَا يَشْبَعْنَ » فَأَلْجَوْفُ جَمْعُ جَوْفَاءَ ، وَهِيَ :  
الْعَظِيمَةُ الْجَوْفِ ، وَقَوْلُهَا : « هَيْمٌ لَا يَنْقَعْنَ » فَأَلْهَيْمُ : الْغِطَاشُ ،  
و« لَا يَنْقَعْنَ » : لَا يَزَوْنِ ؛ وَقَوْلُهَا : « صُمٌّ لَا يَسْمَعْنَ » مِنْ طَرِيفِ كَلَامِ  
الْعَرَبِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُقَالُ لِكُلِّ صَحِيحِ الْبَصَرِ وَلَا يُعْمَلُ بَصَرُهُ : أَعْمَى ، يُرَادُ أَنَّهُ  
قَدْ حَلَّ مَحَلَّ مَنْ لَا يُبْصِرُ أَلْبَتَّ إِذَا لَمْ يُعْمَلْ بَصَرُهُ ، وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِلْسَّمِيعِ الَّذِي  
لَا يَقْبَلُ : أَصَمٌّ ؛ وَالْعَرَبُ تَقُولُ : أَبْلَدُ مَا يُرْعَى الضَّأْنُ ، فَقَوْلُهَا : « وَأَمْرٌ  
مُغْوِيَتِهِنَّ يَنْبَعْنَ » مَعْنَاهُ : إِنَّ الْقَطِيعَ مِنَ الضَّأْنِ يَمُرُّ عَلَى قَنْطَرَةٍ فَتَنْزِلُ وَاحِدَةٌ فَتَقَعُ  
فِي الْمَاءِ ، فَيَقَعْنَ كُلُّهُنَّ إِنْتِبَاعًا لَهَا ، فَمِنْ ثَمَّ تُوصَفُ الضَّأْنُ بِالْبَلَادَةِ ، أَيْ : قِلَّةِ  
الذِّكَاةِ ؛ وَقَوْلُهُ : « أَشْبَهَ أَمْرُوْهُ بَعْضَ بَرِّهِ » فَهَذَا مِثْلُ يُضْرَبُ لِلْمُتَشَابِهَيْنِ  
أَخْلَاقًا ، وَالْبَرُّ : مَتَاعُ الْبَيْتِ مِنَ الثِّيَابِ خَاصَّةً ، كُنِيَ بِهِ عَنِ الضَّأْنِ وَهِيَ مَتَاعٌ .

\* \* \*

حَدِيثُ بِنْتِ مَلِكِ الْيَمَنِ وَالنِّسْوَةِ اللَّاتِي أَشْرَنَ عَلَيْهَا بِالزَّوْاجِ وَوَضَفُوهِنَّ لَهَا  
مَحَاسِنَ الزَّوْجِ :

١٥١٧ - جَاءَ فِي « أَمَالِي الْقَالِي » مَا يَلِي : حَدَّثَنَا فُلَانٌ ... عَنْ ابْنِ  
الْكَلْبِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كَانَ قِيلٌ مِنْ أَقْيَالِ حِمَيْرٍ مُنِعَ الْوَلَدَ دَهْرًا ، ثُمَّ وُلِدَتْ  
لَهُ بِنْتُ ، فَبَنَى لَهَا قَصْرًا مُنِيفًا بَعِيدًا مِنَ النَّاسِ ، وَوَكَلَ بِهَا نِسَاءً مِنْ بَنَاتِ الْأَقْيَالِ  
يَخْدُمْنَهَا وَيُؤَدِّبْنَهَا ، حَتَّى بَلَغَتْ مَبْلَغَ النِّسَاءِ ، فَنَشَأَتْ أَحْسَنَ مَنْشَأً وَأَتْمَهُ فِي  
عَقْلِهَا وَكَمَالِهَا ، فَلَمَّا مَاتَ أَبُوهَا مَلَكَهَا أَهْلٌ مُخْلَافِيهَا<sup>(١)</sup> ، فَأَصْطَنَعَتْ النِّسْوَةَ  
اللَّوَاتِي رَبَّنَّهَا وَأَحْسَنَتْ إِلَيْهِنَّ ، وَكَانَتْ تُشَاوِرُهُنَّ وَلَا تَقْطَعُ أَمْرًا دُونَهُنَّ . فَقُلْنَ

(١) الْمِخْلَافُ : الْكُورَةُ ، وَالْأَرْشَاقُ .

لَهَا يَوْمًا : يَا بِنْتَ الْكِرَامِ ! لَوْ تَزَوَّجْتِ لَتَمَّ لَكَ الْمُلْكُ ؛ فَقَالَتْ : وَمَا الزَّوْجُ ؟  
 فَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : الزَّوْجُ عِزٌّ فِي الشَّدَائِدِ ، وَفِي الْخُطُوبِ مُسَاعِدٌ ؛ إِنْ غَضِبْتَ  
 عَطَفَ ، وَإِنْ مَرَضْتَ لَطَفَ ؛ قَالَتْ : نِعَمَ الشَّيْءُ هَذَا ! فَقَالَتِ الثَّانِيَةُ : الزَّوْجُ  
 شِعَارِي حِينَ أَضْرُدُ<sup>(١)</sup> ، وَمُتَكَنِّي حِينَ أَرْقُدُ ، وَأُنْسِي حِينَ أَفْرُدُ ؛ فَقَالَتْ : إِنْ  
 هَذَا لَمِنْ كَمَالِ طِيبِ الْعَيْشِ . فَقَالَتِ الثَّلَاثَةُ : الزَّوْجُ لِمَا عَنَانِي كَافٍ ، وَلِمَا  
 شَفَّنِي شَافٍ ، يَكْفِينِي فَقَدْ أَلَا لَافٍ ؛ رِيقُهُ كَالشَّهْدِ ، وَعِنَاقُهُ كَالْخُلْدِ ؛ لَا يُمَلُّ  
 قِرَانُهُ ، وَلَا يُخَافُ حِرَانُهُ ؛ فَقَالَتْ : أَمْهَلْنِي أَنْظُرُ فِيمَا قُلْتُنَّ ؛ فَأَخْتَجَبَتْ عَنْهُنَّ  
 سَبْعًا ، ثُمَّ دَعَتْهُنَّ ، فَقَالَتْ : قَدْ نَظَرْتُ فِيمَا قُلْتُنَّ ، فَوَجَدْتُنِي أَمْلَكُهُ رَقِي ،  
 وَأَبْنُهُ بَاطِلِي وَحَقِّي ، فَإِنْ كَانَ مَحْمُودَ الْخَلَائِقِ ، مَأْمُونِ الْبَوَائِقِ ؛ فَقَدْ أَدْرَكْتُ  
 بُعْيَتِي ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ طَالَتْ شِقْوَتِي ، عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ  
 كُفْتًا كَرِيمًا ، يَسُودُ عَشِيرَتَهُ ، وَيَرْبُثُ فَصِيلَتَهُ<sup>(٢)</sup> ؛ لَا أَتَقَنَّعُ بِهِ عَارًا فِي حَيَاتِي ،  
 وَلَا أَرْفَعُ بِهِ شَنَارًا لِقَوْمِي بَعْدَ وَفَاتِي ، فَعَلَيْكُنَّ فَأَبْغِينَهُ ، وَتَفَرَّقْنَ فِي الْأَحْيَاءِ ،  
 فَأَيْتُكُنَّ أَتْنِي بِمَا أَحِبُّ فَلَهَا أَجْزَلُ الْحَبَاءِ<sup>(٣)</sup> ، وَعَلَيَّ لَهَا الْوَفَاءُ ؛ فَخَرَجْنَ فِيمَا  
 وَجَّهْتُهُنَّ لَهُ ، وَكُنَّ بَنَاتٍ مَقَاوِلَ ذَوَاتِ عَقْلِ وَرَأْيٍ ، فَجَاءَتْهَا إِحْدَاهُنَّ وَهِيَ  
 عَمْرَاطَةٌ بِنْتُ زُرْعَةَ بْنِ ذِي خَنْفَرٍ ، فَقَالَتْ : قَدْ أَصَبْتُ الْبُغْيَةَ ؛ فَقَالَتْ : صِفِيهِ  
 وَلَا تُسَمِّهِ ؛ فَقَالَتْ : غَيْثٌ فِي الْمَحَلِّ<sup>(٤)</sup> ، ثِمَالٌ فِي الْأَزْلِ<sup>(٥)</sup> ، مُفِيدٌ

(١) أَضْرُدُ : أَبْرُدُ .

(٢) يَرْبُثُ : يَجْمَعُ وَيُضْلِحُ .

(٣) الْحَبَاءُ : الْعَطَاءُ .

(٤) الْمَحَلُّ : الْمَجْدُبُ ، ضِدُّ الْخَضْبِ .

(٥) الْأَزْلُ : الشَّدَّةُ وَالضُّيْقُ ؛ وَالْثِمَالُ : الْغِيَاثُ وَالْمُطْعِمُ فِي الشَّدَّةِ ، قَالَ أَبُو طَالِبٍ يَمْدَحُ سَيِّدَنَا

مُيِّدٌ<sup>(١)</sup> ، يُضْلِحُ النَّائِرَ<sup>(٢)</sup> ، وَيُنْعِشُ الْعَائِرَ<sup>(٣)</sup> ، وَيَغْمُرُ النَّدِيَّ ، وَيَقْتَادُ الْأَبْيَّ ، عَرِضُهُ وَافِرٌ ، وَحَسْبُهُ بَاهِرٌ ، غَضُّ الشَّبَابِ ، طَاهِرُ الْأَنْوَابِ ؛ قَالَتْ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَتْ : سَبْرَةُ بْنُ عَوَالٍ بْنِ شَدَادِ بْنِ الْهَمَالِ . ثُمَّ خَلَتْ بِالثَّانِيَةِ ، فَقَالَتْ : أَصَبْتَ مِنْ بُعَيْتِكَ شَيْئًا ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ؛ قَالَتْ : صِفِيهِ وَلَا تُسَمِّيهِ ؛ قَالَتْ : مُصَامِصُ النَّسَبِ<sup>(٤)</sup> ، كَرِيمُ الْحَسَبِ ، كَامِلُ الْأَدَبِ ، غَزِيرُ الْعَطَايَا ، مَالُوفُ السَّجَايَا ، مُقْتَبِلُ الشَّبَابِ<sup>(٥)</sup> ، خِصْبُ الْجَنَابِ ، أَمْرُهُ مَاضٍ ، وَعَشِيرُهُ رَاضٍ ؛ قَالَتْ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَتْ : يَغْلَى بْنُ هَزَالِ بْنِ ذِي جَدَنِ . ثُمَّ خَلَتْ بِالثَّالِثَةِ ، فَقَالَتْ : مَا عِنْدَكَ ؟ قَالَتْ : وَجَدْتُهُ كَثِيرَ الْفَوَائِدِ ، عَظِيمَ الْمَرَافِدِ ، يُعْطِي قَبْلَ السُّؤَالِ ، وَيُنِيلُ قَبْلَ أَنْ يُسْتَنَالَ ، فِي الْعَشِيرَةِ مُعْظَمٌ ، وَفِي النَّدِيِّ مُكْرَمٌ ، جَمَّ الْفَوَاضِلِ ، كَثِيرَ النَّوَافِلِ ، بَذَالُ أُمُورٍ ، مُحَقِّقُ أَمَالٍ ، كَرِيمُ أَعْمَامٍ وَأَخْوَالٍ ؛ قَالَتْ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَتْ : رَوَاحَةُ بْنُ خُمَيْرِ بْنِ مُضْحَى بْنِ ذِي هُلَاهِلَةَ ؛ فَاخْتَارَتْ يَغْلَى بْنَ هَزَالٍ فَتَزَوَّجَتْهُ ، فَاخْتَجَبَتْ عَنْ نِسَائِهَا شَهْرًا ، ثُمَّ بَرَزَتْ لَهُنَّ ، فَأَجَزَلَتْ لَهُنَّ الْجَبَاءَ ، وَأَعْظَمَتْ لَهُنَّ الْعَطَاءَ .

\* \* \*

- = وَأَبْيَضَ يُسْتَقَى الْعَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ الْيَنَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرْمِلِ
- (١) نُرِيدُ أَنَّهُ يَسْتَفِيدُ الثَّمَالُ وَيَتَكَسَّبُهُ ثُمَّ يُبِيدُهُ ، أَيُّ : يَجُودُ بِهِ عَلَى مُغْتَفِيهِ ، أَيُّ : إِنَّهُ كَسُوبٌ لِلْمَالِ مِغْطَاءٌ لَهُ .
- (٢) نُرِيدُ أَنَّهُ يُضْلِحُ مَا بَيْنَ الْمُتَشَاحِنِينَ الَّذِينَ بَيْنَهُمْ نَائِرَةٌ ، أَيُّ : عِدَاوَةٌ وَبَغْضَاءٌ .
- (٣) الْعَائِرُ : مَنْ عَثَرَ بِهِ الدَّهْرُ وَنَكَبَهُ ، فَهُوَ يُنْعِشُهُ بِالْعَطَاءِ .
- (٤) الْمُصَامِصُ : الْخَالِصُ ، وَإِنَّهُ لِمُصَامِصٌ فِي قَوْمِهِ : إِذَا كَانَ زَاكِي الْحَسَبِ .
- (٥) مُقْتَبِلُ الشَّبَابِ : مُسْتَقْبِلُهُ لَمْ يَرِ عَلَيْهِ أَثَرُ كِبَرٍ .

حَنِينُ النِّسَاءِ إِلَى الرِّجَالِ :

١٥١٨ - وَكَانَ لِهَمَّامِ بْنِ مُرَّةَ<sup>(١)</sup> ، ثَلَاثُ بَنَاتٍ ، فَعَتَّسَهُنَّ ، فَقَالَتْ  
الْكُبْرَى : أَنَا أَكْفِيكُمْوهُ الْيَوْمَ ؛ فَقَالَتْ [من الوافر] :

أَهَمَّامُ بْنُ مُرَّةَ حَنَّ قَلْبِي إِلَى قَتْنَاءَ مُشْرِفَةِ الْقَذَالِ  
فَقَالَ هَمَّامُ : قَتْنَاءَ مُشْرِفَةِ الْقَذَالِ ! تَصِفُ فَرَسًا ؛ فَقَالَتْ الْوُسْطَى :  
مَا صَنَعْتَ شَيْئًا ؛ وَقَالَتْ [من الوافر] :

أَهَمَّامُ بْنُ مُرَّةَ حَنَّ قَلْبِي إِلَى اللَّائِي يَكُنَّ مَعَ الرِّجَالِ  
فَقَالَ هَمَّامُ : يَكُونُ مَعَ الرِّجَالِ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ ؛ فَقَالَتْ الصَّغْرَى :  
مَا صَنَعْتُمَا شَيْئًا ؛ وَقَالَتْ [من الوافر] :

أَهَمَّامُ بْنُ مُرَّةَ حَنَّ قَلْبِي إِلَى عَزْدٍ أَسُدَّ بِهِ مَبَالِي  
فَقَالَ هَمَّامُ : قَاتِلُكُنَّ اللَّهُ ! وَاللَّهِ ، لَا أَمْسَيْتُ أَوْ أَرْوَجُكُنَّ ؛  
فَزَوَّجَهُنَّ<sup>(٢)</sup> ...

الْقَتْنَاءُ ، تُرِيدُ الذَّكْرَ ، وَالْقَتْنَاءُ فِي الْأَصْلِ : الْأُذُنُ الْغَلِيظَةُ الْمُسْتَرْخِيَّةُ فِي  
الْإِنْسَانِ وَالشَّاةِ ، وَيُقَالُ : أَقْنَفَ الرَّجُلُ : إِذَا أَجْمَعَ أَمْرُهُ ؛ وَمُشْرِفَةٌ : مُرْتَفَعَةٌ ؛  
وَالْقَذَالُ : جِمَاعٌ مُؤَخَّرِ الرَّأْسِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْفَرَسِ ، وَرَوَى الْمُبَرِّدُ [« الكامل »  
صفحة : ٨٩١] هَذَا الْعَجَزَ :

إِلَى صَلْعَاءَ مُشْرِفَةِ الْقَذَالِ

(١) هُوَ هَمَّامُ بْنُ مُرَّةَ بْنِ ذُهَلٍ بْنِ شَيْبَانَ ، شَاعِرٌ قَدِيمٌ جَاهِلِيٌّ .

(٢) « الأماشي » للقالبي ١٠٥/٢ ؛ « محاضرات الراغب » ٢٠٦/٢ ؛ « المختار من شعر بشار »

٢٤٦ ؛ « شعار النساء » صفحة ١٩٢ و ١٩٣ ؛ « القاموس المحيط » مادة : قنف .

أَسْتَعَارَتِ الْقَدَالَ لِمَا تُرِيدُ كَمَا اسْتَعَارَتْ لَهُ الصَّلَعَ ، وَهُوَ ذَهَابُ الشَّعْرِ ،  
وَفِي « الْكَامِلِ » [صفحة : ٨٩١] لَمَّا أُنْشِدَتْ هَذَا أَلْبَيْتَ قَالَ هَمَّامٌ : يَا فُجَارُ !  
أَرَدْتَ بَيِّضَةَ حَصِينَةَ ؛ مَا يُلْبَسُ فَوْقَ الرَّأْسِ .

وَاللَّائِي مَعَ الرَّجُلِ : مَتَاعُهُ ، أَيْرُهُ وَخَصِيَّتَاهُ ؛ وَالْعَرْدُ : ذَكَرُ الْإِنْسَانِ ،  
وَقِيلَ : هُوَ الذَّكَرُ الصُّلْبُ الشَّدِيدُ ، وَجَمْعُهُ أَغْرَادُ .

\* \* \*

النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ :

١٥١٩ - وَكَانَ لِرَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ ثَلَاثُ بَنَاتٍ قَدْ عَصَلَهُنَّ وَمَنَعَهُنَّ الْأَكْفَاءَ ،  
فَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : إِنْ أَقَامَ أَبُونَا عَلَى هَذَا الرَّأْيِ فَارْقُنَا وَقَدْ ذَهَبَ حَظُّ الرِّجَالِ  
مِنَّا ، فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَعْرِضَ لَهُ مَا فِي نَفْسِنَا - وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ  
يَوْمًا - فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى الْكُبْرَى تَحَادَّثَا سَاعَةً ، فَحِينَ أَرَادَ الْأَنْصِرَافَ أُنْشِدَتْ [من  
الطويل] :

أَيُعَذَّلُ لَاهِنَا وَيُلْحَى عَلَى الصَّبَا وَمَا نَحْنُ وَالْفَتَيَانُ إِلَّا شَقَائِقُ<sup>(١)</sup>  
يُؤْبِنُ حَيِّبَاتٍ مَرَارًا كَثِيرَةً وَتَبْأَقُ أَخْيَانًا بِهِنَّ الْبَوَائِقُ<sup>(٢)</sup>

(١) يُعَذَّلُ : يُلَامُ ، وَيُلْحَى : يُلَامُ .

وَقَوْلُهَا : وَمَا نَحْنُ وَالْفَتَيَانُ إِلَّا شَقَائِقُ ، هُوَ كَالْمَثَلِ « إِنَّ النِّسَاءَ شَقَائِقُ الْأَقْوَامِ » وَفِي  
الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : « إِذَا رَأَتِ الْمَرْأَةُ الْمَاءَ فَلْتَغْتَسِلْ » ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : يَا رَسُولَ  
اللَّهِ ! وَهَلْ لِلْمَرْأَةِ مَاءٌ ؟ قَالَ : « فَأَنَّى يُشْبِهُنَّ الْوَلَدُ ؟ إِنَّمَا هُنَّ شَقَائِقُ » ، [مسند أحمد] ،  
رقم : [٢٦٥٧٧] يَعْنِي : إِنَّ الرِّجُلَ وَالْمَرْأَةَ كَعَصَا أَرْفَضَتْ شَقَتَيْنِ .

(٢) الْبَوَائِقُ : الدَّوَاهِي ، وَيُقَالُ : أَنْبَأَتْ عَلَيْهِمْ بَائِقَةً شَرًّا ، أَيْ : أَنْفَقَتْ ، كَمَا يَخْرُجُ الصَّوْتُ  
مِنَ الْبُقِ .

فَلَمَّا سَمِعَ الشَّعْرَ سَاءَهُ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى الْوُسْطَى ، فَتَحَادَّثَا ، فَلَمَّا أَرَادَ  
الْأَنْصِرَافَ أُنْشِدَتْ [من الطويل] :

أَلَا أَيُّهَا الْفَتَيَانِ إِنَّ فَتَاتِكُمْ دَهَاهَا سَمَاعُ الْعَاشِقِينَ فَحَنَّتِ  
فَدُونَكُمْ أَبْغُوها فَتَى غَيْرُ زُمَلٍ وَإِلَّا صَبَبْتَ تِلْكَ الْفَتَاةُ وَجُنَّتِ<sup>(١)</sup>

فَلَمَّا سَمِعَ شِعْرَهَا سَاءَهُ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى الصُّغْرَى فِي يَوْمِهَا ، فَتَحَادَّثَا ،  
فَلَمَّا أَرَادَ الْأَنْصِرَافَ أُنْشِدَتْ [من الطويل] :

أَمَّا كَانَ فِي ثِنْتَيْنِ مَا يَزْعُ الْفَتَى وَيَعْقِلُ هَذَا الشَّيْخُ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ  
فَمَا هُوَ إِلَّا الْحِلُّ أَوْ طَلَبُ الصَّبَا وَلَا بُدَّ مِنْهُ فَاتِمِرْ كَيْفَ تَفْعَلُ

فَلَمَّا رَأَى تَوَاطَوْهُنَّ عَلَى ذَلِكَ زَوَّجَهُنَّ . [« الأماشي » للقلالي ، صفحة ١٠٥ و ١٠٦ ،

وراجع رقم : ٣ السابق ] .

\* \* \*

عَجُوزٌ رَاغِبَةٌ فِي الزَّوْاجِ :

١٥٢٠ - مَرَضَتْ عَجُوزٌ ، فَأَتَاهَا ابْنُهَا بِطَبِيبٍ ، فَرَأَاهَا الطَّبِيبُ مُتَزَيِّنَةً  
بِأَثْوَابٍ مَصْبُوغَةٍ ، فَعَرَفَ مَا بِهَا ، فَقَالَ الطَّبِيبُ : مَا أَحْوَجُهَا إِلَى زَوْجٍ ! فَقَالَ  
الْأَبْنُ : وَمَا حَاجَةُ الْعَجَائِزِ لِلزَّوْاجِ ؟ ! فَقَالَتْ : وَيَحَاكَ ! الطَّبِيبُ أَعْلَمُ مِنْكَ  
عَلَى كُلِّ حَالٍ .

\* \* \*

١٥٢١ - وَقَالَ حَكِيمٌ لِامْرَأَةٍ تَعَرَّضَتْ لَهُ [من الوافر] :

(١) الزَّمَلُ : الْفَسْلُ الرَّذْلُ الضَّعِيفُ الْجَبَانُ .



وَصَاحِكَةً إِلَيَّ مِنَ النَّقَابِ      تُلَاحِظُنِي بِطَرْفِ مُسْتَرَابٍ  
فَمَا زَالَتْ تُجَمِّسُنِي طَوِيلًا      وَتَأْخُذُ فِي أَحَادِيثِ التَّصَابِي<sup>(١)</sup>  
فَقُلْتُ لَهَا حَلَلْتَ بِشَرٍّ وَادٍ      كَرِيهِهِ الْمُجْتَنَى قَحْطِ الْجَنَابِ  
وَبَعْدَ ذَلِكَ بَيْتٌ ذَاعِرٌ ، وَمَعْنَاهُ إِنَّ الْعَجُوزَ لَا يَنْفَعُ غُلَّتَهَا عَجُوزٌ مِثْلُهَا ،  
وَلَكِنَّ الشَّابَّ هُوَ الَّذِي يَشْفِيهَا .

\* \* \*

أَخْيَالُ الْمَرْأَةِ فِي التَّرْوِيجِ مِنْ رَجُلٍ :

١٥٢٢ - كَانَ لِرَجُلٍ ابْنَةٌ ، وَلَهَا ابْنٌ عَمٌّ مَشْغُوفٌ بِهَا ، وَهُوَ يَرْجُو أَنْ يَتَزَوَّجَ  
بِهَا ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَرْغَبَهُ فِي الصَّدَاقِ ، فَقَالَتِ الْفَتَاةُ لِأُمِّهَا : مَا أَحْسَبُ أَبِي  
يُرَبِّي ابْنَ أَخِيهِ صَغِيرًا وَيَقْطَعُهُ كَبِيرًا ! فَقَالَتِ الْأُمُّ : كَانَ ذَلِكَ قَدْرًا مَقْدُورًا ؛  
فَقَالَتِ الْفَتَاةُ : أَنَا حُبْلَى مِنْ ابْنِ عَمِّي ؛ فَقَالَتِ أُمُّهَا : مَا تَقُولِينَ وَيَحْكُ ؟  
فَقَالَتْ : أَتُكْذِبُ الْحُرَّةُ عَلَى نَفْسِهَا ! فَأَخْبَرَتْ أَبَاهَا ، فَزَوَّجَهَا مِنْ ابْنِ عَمِّهَا ،  
فَلَمَّا وَقَعَ الْعَقْدُ قَالَتْ الْفَتَاةُ : بَرِئْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ إِنْ رَأَى وَجْهِي إِلَى سَنَةِ ، لِيُغْلَمَ  
أَنِّي مُتَقَوْلَةٌ فِيمَا أَدْعَيْتُ ...

\* \* \*

أُمُّ خَارِجَةٍ وَسُرْعَةُ إِجَابَتِهَا إِلَى النِّكَاحِ :

١٥٢٣ - كَانَتْ أُمُّ خَارِجَةَ الْبَجَلِيَّةُ أَمْرَاءَةً مِنَ الْعَرَبِ ، وَكَانَتْ قَدْ عُرِفَتْ بِأَنَّهَا  
تُجِيبُ كُلَّ مَنْ خَطَبَهَا إِلَى طَلَبَتِهِ ، حَتَّى ضَرَبُوا بِهَا الْمَثَلَ ، فَقَالُوا : أَسْرَعُ مِنْ

(١) التَّجْمِيشُ : الْمُعَازَلَةُ .

نِكَاحٍ أُمَّ خَارِجَةٍ ، فَكَانَ الْخَاطِبُ يَقُومُ عَلَى خِبَائِهَا ، فَيَقُولُ : « خِطْبُ »  
فَتَقُولُ : « نِكَحٌ » فَكَانَتْ قَدْ وَلَدَتْ فِي الْعَرَبِ فِي نَيْفِ وَعِشْرِينَ حَيًّا مِنْ آبَاءِ  
مُتَفَرِّقِينَ ، وَنَظَرَ بَنُوهَا يَوْمًا إِلَى عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ قَدْ وَرَدَ بِلَادَهُمْ ، فَأَحْسُوا بِأَنَّهُ  
أَرَادَ أُمَّهُمْ ، فَبَادَرُوا إِلَيْهِ لِيَمْنَعُوهُ تَزْوُجَهَا ، وَسَبَقَهُمْ ، لِأَنَّهُ كَانَ رَاكِبًا ، فَقَالَ  
لَهَا : إِنَّ فِيكَ لَبَقِيَّةً ؛ فَقَالَتْ : إِنْ شِئْتَ ؛ فَجَاءُوا وَقَدْ بَنَى عَلَيْهَا ، ثُمَّ نَقَلَهَا بَعْدُ  
إِلَى بَلَدِهِ ، فَتَزَعَمُ الرُّوَاةُ أَنَّهَا جَاءَتْ بِالْعَنْبَرِ مَعَهَا صَغِيرًا - وَالْعَنْبَرُ هَذَا هُوَ أَبْنَاهَا  
مِنْ رَجُلٍ أَسَمُهُ عَمْرُو بْنُ بَهْرَاءَ ، مِنْ قُضَاعَةَ - وَأَوْلَدَهَا عَمْرُو بْنُ تَمِيمٍ أَسِيدًا  
وَالْهَجِيمَ وَالْقَلْبِيبَ ، فَخَرَجُوا ذَاتَ يَوْمٍ يَسْتَقُونَ ، فَقَلَّ عَلَيْهِمُ الْمَاءُ ، فَأَنْزَلُوا  
مَائِحًا مِنْ تَمِيمٍ ، فَجَعَلَ الْمَائِحُ يَمْلَأُ الدَّلْوَ إِذَا كَانَتْ لِلْهَجِيمِ وَأُسَيْدِ وَالْقَلْبِيبِ ،  
فَإِذَا وَرَدَتْ دَلْوُ الْعَنْبَرِ تَرَكَهَا تَضْطَرِبُ ؛ فَقَالَ الْعَنْبَرُ [من الرجز] :

قَدْ رَأَيْتِي مِنْ دَلْوِي أَضْطَرَابُهَا      وَالنَّأْيُ عَنِ بَهْرَاءَ وَأَغْتَرَابُهَا  
إِلَّا تَجِيءُ مَلَأَى يَجِيءُ قُرَابُهَا

النَّأْيُ عَنِ بَهْرَاءَ ، يُرِيدُ : وَالْبُعْدُ عَنْ قَوْمِهِ بَنِي بَهْرَاءَ بْنِ عَمْرِو ؛ وَقَوْلُهُ :  
قُرَابُهَا ، وَهُوَ : مَا قَارَبَ قَدْرَ الشَّيْءِ ، مِثْلُ الْقُرَابَةِ ، يُرِيدُ : يَجِيءُ مَا يَقْرُبُ أَنْ  
يَمْلَأَهَا [راجع « لسان العرب » ، مادة : قرب] .

\* \* \*

١٥٢٤ - وَكَانَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنَّ الْمَرْأَةَ مِنْهُمْ كَانَتْ إِذَا عَسَرَ  
عَلَيْهَا خَاطِبُ النِّكَاحِ - الزَّوْاجِ - نَشَرَتْ جَانِبًا مِنْ شَعْرِهَا ، وَكَحَلَتْ إِحْدَى  
عَيْنَيْهَا مُحَالِفَةً لِلشَّعْرِ الْمُنْشُورِ ، وَحَجَلَتْ عَلَى إِحْدَى رِجْلَيْهَا<sup>(١)</sup> ، وَيَكُونُ ذَلِكَ

(١) الْحَجَلُ : أَنْ يَرَفَعَ الْإِنْسَانُ رِجْلًا وَيَقْفِزُ عَلَى الْأُخْرَى .

لَيْلًا ، وَتَقُولُ : يَا لَكَاحُ ! أَبْغِي النِّكَاحَ ، قَبْلَ الصَّبَاحِ ؛ فَيَسْهُلُ أَمْرُهَا وَتَتَزَوَّجُ  
عَنْ قُرْبٍ ، قَالَ رَجُلٌ لِصَدِيقِهِ وَقَدْ رَأَى أُمَّهُ تَفْعَلُ ذَلِكَ [من الرجز] :

أَمَّا تَرَى أُمَّكَ تَبْغِي بَعْلًا      قَدْ نَشَرَتْ مِنْ شَعْرِهَا الْأَقْلًا  
وَلَمْ تُوفِّ مُقْلَتَيْهَا كُحْلًا      تَزْفَعُ رِجْلًا وَتَحُطُّ رِجْلًا  
هَذَا وَقَدْ شَابَ بُوْهَا أَضْلًا      وَأَصْبَحَ الْأَصْغَرُ مِنْهُمْ كَهْلًا  
خُذِ الْقَطِيعَ ثُمَّ سُمْهَا ذَلًّا      ضَرْبًا بِهِ تَتْرُكُ هَذَا الْفِعْلًا<sup>(١)</sup>

\* \* \*

١٥٢٥ - وَقَالَ آخَرُ [من الرجز] :

تَصْنَعِي مَا شِئْتِ أَنْ تَصْنَعِي      وَكَحْلِي عَيْنِيكَ أَوْ لَا فَدَعِي  
ثُمَّ أَحْجِلِي فِي الْبَيْتِ أَوْ فِي الْمَجْمَعِ      مَا لَكَ فِي بَعْلِي أَرَى مِنْ مَطْمَعِ

\* \* \*

١٥٢٦ - وَقَالَ آخَرُ [من الرجز] :

قَدْ كَحَلْتُ عَيْنًا وَأَغْفَتُ عَيْنًا      وَحَجَلْتُ وَنَشَرْتُ قُرَيْنًا<sup>(٢)</sup>  
تُظُنُّ زَيْنًا مَا تَرَاهُ شَيْنًا

\* \* \*

الْغَيْرَةُ وَالتَّدْيِثُ :

الْغَيْرَةُ فِي اللُّغَةِ :

١٥٢٧ - الْغَيْرَةُ - يَفْتَحِ الْغَيْنِ - الْمَصْدَرُ مِنْ قَوْلِكَ : غَارَ الرَّجُلُ عَلَى

(١) الْقَطِيعُ : السَّوْطُ يُقَطَّعُ مِنْ جِلْدٍ سَيَرٍ وَيُعْمَلُ مِنْهُ .

(٢) قُرَيْنًا ، تَصْغِيرُ قُرَيْنٍ ، يُرِيدُ شَعْرَ رَأْسِهَا ، وَصَغَرَهُ لِقَلَّتْ .

أَهْلِهِ ، يُقَالُ : غَارَ الرَّجُلُ عَلَى امْرَأَتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ عَلَى بَعْلِهَا ، تَغَارُ غَيْرَةٌ وَغَيْرًا وَغَارًا وَغِيَارًا ، وَرَجُلٌ غَيْرَانٌ ، وَالْجَمْعُ غِيَارِي وَغِيَارِي ، وَرَجُلٌ غَيُورٌ ، وَامْرَأَةٌ غَيُورٌ - بِلا هاءٍ ، لَأَنَّ فَعُولًا يَشْتَرِكُ فِيهِ الذَّكَرُ وَالْأُنْثَى - وَالْجَمْعُ فِي الْأُنْثَيْنِ غَيْرٌ ، قَالَ الْإِمَامُ الْجَوْهَرِيُّ : امْرَأَةٌ غَيُورٌ وَنِسْوَةٌ غَيْرٌ ، وَامْرَأَةٌ غَيْرِي وَنِسْوَةٌ غِيَارِي . وَيُقَالُ : أَغَارَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ تَزَوَّجَ عَلَيْهَا فَعَارَتْ ، وَيُقَالُ : فُلَانٌ لَا يَتَعَيَّرُ عَلَى أَهْلِهِ ، أَيْ : لَا يَغَارُ ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ : أَغَيْرُ مِنَ الْحُمَى ، لَأَنَّ الْحُمَى تَلْزِمُ الْمَحْمُومَ مَلَازِمَةَ الْغَيُورِ لِبَعْلِهَا .

وَالْغَيْرَةُ : الْحَمِيَّةُ وَالْأَنَفَةُ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ تَغْيِيرِ الْقَلْبِ وَهَيْجَانِ الْغَضَبِ بِسَبَبِ الْمُشَارَكَةِ فِيمَا بِهِ الْأَخْتِصَاصُ ، وَأَشَدُّ مَا يَكُونُ ذَلِكَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ .

وَالْغَيْرَةُ جِبِلَّةٌ جَبَلَ اللَّهُ عَلَيْهَا بَنِي آدَمَ وَجَمِيعَ الْحَيَوَانِ ، وَلِذَلِكَ تَرَى الْعَيْرَ - حِمَارَ الْوَحْشِ - يُقَاتِلُ عَنِ الْعَانَةِ - الْأَتَانِ - كُلَّ فَحْلٍ يَعْزِضُ لَهَا ، غَيْرَ أَنَّ طِبَاعَ النَّاسِ تَخْتَلِفُ فِيهَا ، فَمِنْ مُفْرِطٍ آخِذٍ بِالظَّنَّةِ ، وَمِنْ مُتَعَاظٍ مُخِلٍّ بِالذِّينِ وَالْمُرُوءَةِ ، وَكِلَا الطَّرَفَيْنِ ذَمِيمٌ ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا . [ « تحفة العروس » للتجاني ، رقم : ١٠١٣ ] .

\* \* \*

مَذْحُ الْغَيْرَةِ :

١٥٢٨ - فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « لَا خَيْرَ فِي مَنْ لَا يَغَارُ » .

\* \* \*

١٥٢٩ - وَفِيهِ : « الْغَيْرَةُ مِنَ الْإِيمَانِ » [ « كنز العمال » ، رقم : ٨٠٦٨ ] .

\* \* \*

١٥٣٠ - وَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ : لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ أَمْرَاتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُضَفِّحٍ <sup>(١)</sup> ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ ؟ ! لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ ، وَاللَّهِ أَغْيَرُ مِنِّي » [ البخاري ، رقم : ٦٨٤٦ ؛ مسلم ، رقم : ١٤٩٩ ] .

غير مُضَفِّحٍ ، يُرِيدُ : إِنَّهُ يَضْرِبُهُ بِحَدِّهِ لَا بِعَرَضِهِ ، وَالَّذِي يَضْرِبُ بِالْحَدِّ إِنَّمَا يَقْصِدُ إِلَى الْقَتْلِ ، أَمَّا الَّذِي يَضْرِبُ بِالْعَرَضِ فَإِنَّهُ يَقْصِدُ التَّأْدِيبَ .

\* \* \*

١٥٣١ - أَمَّا غَيْرَةُ اللَّهِ فَقَدْ جَاءَ مَعْزَاهَا فِي حَدِيثٍ آخَرَ : « إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ » [ البخاري ، رقم : ٥٢٢٣ ؛ الترمذي ، رقم : ١١٦٨ ؛ « مسند أحمد » ، رقم : ٢٦٤٠٣ و ٢٦٤٢٩ و ٢٦٤٣١ ] .

\* \* \*

١٥٣٢ - هَذَا ، وَحَدِيثُ سَعْدٍ مُقْتَضَبٌ ، وَالْحَدِيثُ كَمَا وَرَدَ فِي أَكْثَرِ الرُّوَايَاتِ هَكَذَا : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ... ﴾ [ ٢٤ سورة النور / الآية : ٤ ] آيَةُ ؛ قَالَ سَعْدُ : أَهَكَذَا أَنْزَلْتُ ! فَلَوْ وَجَدْتُ لُكَاعًا مُتَفَخِّخًا رَجُلٌ لَمْ يَكُنْ لِي أَنْ أُحَرِّكَهُ أَوْ أُهَيِّجَهُ حَتَّى آتِيَ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ! فَوَاللَّهِ لَا آتِيَ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ! أَلَا تَسْمَعُونَ مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ ! » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! لَا تَلْمُهُ ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ غَيُورٌ ، وَاللَّهِ مَا تَزَوَّجَ أَمْرَأَةً قَطُّ إِلَّا عَذْرَاءً ، وَلَا طَلَّقَ أَمْرَأَةً فَاجْتَرَ أَرْجُلٌ مِنَّا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا مِنْ شِدَّةِ غَيْرَتِهِ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ .. » الخ ، فَقَالَ سَعْدُ :

(١) غَيْرُ مُضَفِّحٍ ، أَي : غَيْرُ مَائِلٍ عِزْضًا .

وَاللَّهُ إِنِّي لَا أَعْلَمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّهَا لَحَقْتُ وَأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَكِنِّي عَجَبْتُ .

\* \* \*

١٥٣٣ - وَقَبْلَ أَنْ نَمْضِيَ فِي إيرادِ سَائِرِ عَقَرِيَّاتِهِمْ فِي الْغَيْرَةِ نَذْكُرُ هُنَا لِمُنَاسَبَةِ حَدِيثِ سَعْدِ حُكْمِ اللَّهِ فِيْمَنْ يَرَى مَعَ أَمْرَاتِهِ رَجُلًا فِي فِرَاشِهَا ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَتَقَدَّسَ : ﴿ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدُوا أَحَدِهِمْ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ① وَالْخَمِيسَةَ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ② وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ③ وَالْخَمِيسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿ [٢٤ سورة النور/ الآيات : ٦ - ٩] .

أَقُولُ : وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ يُقَالُ لَهَا : اللَّعَانُ<sup>(١)</sup> ، قَالَ صَاحِبُ « أَلْسَانِ » :  
وَالْمُلاعِنَةُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ إِذَا قَذَفَ الرَّجُلُ أَمْرَاتَهُ ، أَوْ رَمَاهَا بِرَجُلٍ أَنَّهُ زَنَى بِهَا ،  
فَالْإِمَامُ يُلَاعِنُ بَيْنَهُمَا ، وَيَبْدَأُ بِالرَّجُلِ وَيَقْفُهُ حَتَّى يَقُولَ : أَشْهَدُ بِاللَّهِ إِنَّهَا زَنَتْ  
بِفُلَانٍ ، وَإِنَّهُ لَصَادِقٌ فِيمَا رَمَاهَا بِهِ ؛ فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ ، قَالَ فِي  
الْخَامِسَةِ : وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ فِيمَا رَمَاهَا بِهِ ؛ ثُمَّ تَقَامُ الْمَرْأَةُ ،  
فَتَقُولُ أَيْضًا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ : أَشْهَدُ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ فِيمَا رَمَانِي بِهِ مِنَ الزَّنا ؛  
ثُمَّ تَقُولُ فِي الْخَامِسَةِ : وَعَلَيَّ غَضَبُ اللَّهِ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ، فَإِذَا فَرَعْتَ مِنْ  
ذَلِكَ بَانَثَ مِنْهُ - أَنْفَصَلْتَ - وَلَمْ تَحِلَّ لَهُ أَبَدًا ، وَإِنْ كَانَتْ حَامِلًا فَجَاءَتْ بِوَلَدٍ  
فَهُوَ وَلَدُهَا ، وَلَا يُلْحَقُ بِالزَّوْجِ ، لِأَنَّ السُّنَّةَ نَفَتْهُ عَنْهُ ، أَقُولُ : ثُمَّ إِنَّهَا تَرْتُهُ  
وَيَرِثُ مِنْهَا مَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ؛ قَالَ صَاحِبُ « أَلْسَانِ » : سُمِّيَ ذَلِكَ كُلُّهُ لِعَانًا  
لِقَوْلِ الزَّوْجِ : عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وَقَوْلِ الْمَرْأَةِ : عَلَيْهِ  
غَضَبُ اللَّهِ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ .

(١) وَقَدْ عَقَدَ لَهَا الْفُقَهَاءُ بَابًا فِي كُتُبِ الْفِقْهِ الْإِسْلَامِيِّ .

وَجَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ [ رَقْم : ٤٧٤٥ ؛ مُسْلِم ، رَقْم : ١٤٩٢ ؛ النَّسَائِي ، رَقْم : ٣٤٠٢ ؛ أَبُو دَاوُد ، رَقْم : ٢٢٤٥ و ٢٢٤٨ و ٢٢٥١ ؛ ابْنُ مَاجَه ، رَقْم : ٢٠٦٦ ؛ « مُسْنَدُ أَحْمَد » ، رَقْم : ٢٢٢٩٧ و ٢٢٣٢٠ و ٢٢٣٣٦ و ٢٢٣٣٦ ؛ « مُوطَأُ مَالِك » ، رَقْم : ١٢٠١ ؛ الدَّارِمِي ، رَقْم : ٢٢٢٩ ] مَا يَلِي : أَنَّ عُؤَيْمِرًا أَتَى عَاصِمَ بْنَ عَدِيٍّ ، وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي عَجْلَانَ ؛ فَقَالَ : كَيْفَ تَقُولُونَ فِي رَجُلٍ وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا ، أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُوهُ ؟ أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ ؟ سَلَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ ؛ فَأَتَى عَاصِمُ النَّبِيَّ ﷺ وَسَأَلَهُ ، فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسَائِلَ وَعَابَهَا <sup>(١)</sup> حَتَّى كَبُرَ عَلَى عَاصِمٍ مَا سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا رَجَعَ عَاصِمٌ إِلَى أَهْلِهِ جَاءَهُ عُؤَيْمِرٌ ، فَقَالَ : يَا عَاصِمُ ! مَاذَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ فَقَالَ عَاصِمٌ لِعُؤَيْمِرٍ : لَمْ تَأْتِنِي بِخَيْرٍ ، قَدْ كَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي سَأَلْتَهُ عَنْهَا ؛ فَقَالَ عُؤَيْمِرٌ : وَاللَّهِ لَا أَنْتَهِيَ حَتَّى أَسْأَلَهُ عَنْهَا ؛ فَأَقْبَلَ عُؤَيْمِرٌ حَتَّى جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَسَطَ النَّاسِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَرَأَيْتَ رَجُلًا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا ، أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُوهُ ، أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيكَ وَفِي حَاجَتِكَ ، فَأَذْهَبْ فَأْتِ بِهَا » ، فَأَمَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمُلَاعَنَةِ ، فَتَلَاعَنَّا ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنْ حَبَسْتُهَا فَقَدْ ظَلَمْتُهَا ؛ فَطَلَّقَهَا . فَكَانَتْ سُنَّةً لِمَنْ كَانَ بَعْدَهُمَا فِي الْمُتَلَاعِنِينَ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَنْظَرُوا ، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَسْحَمَ أَدْعَجَ الْعَيْنَيْنِ ، عَظِيمَ الْأَلَيْتَيْنِ ، خَدَلَجَ <sup>(٢)</sup> السَّاقَيْنِ » ، فَلَا أَحْسِبُ عُؤَيْمِرًا إِلَّا قَدْ صَدَقَ عَلَيْهَا ، وَإِنْ

(١) كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْكَرُهُ مِنَ الْمَسَائِلِ مَا كَانَ فِيهِ هَتْكَ سِتْرٍ أَوْ إِسَاعَةُ فَاحِشَةٍ ، وَكَانَ يُحِبُّ النَّبَسِيرَ عَلَى أُمَّتِهِ ، هَذَا مِنْ جِهَةٍ ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى كَانَتْ الْمَسَائِلُ فِيمَا لَمْ يَنْزَلْ فِيهِ حُكْمٌ زَمَنَ نَزُولِ الْوَحْيِ غَيْرَ مَرْغُوبٍ فِيهَا ، لِئَلَّا يَنْزَلَ الْوَحْيُ بِالتَّخْرِيمِ فِيمَا لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ مُحَرَّمًا .

(٢) خَدَلَجٌ : مُمْتَلِئُ السَّاقَيْنِ .

جاءت به أُحَيْمَرُ كَأَنَّهُ وَحَرَةٌ<sup>(١)</sup> فلا أَحَسِبُ عُؤَيْمِرًا إِلَّا قَدْ كَذَبَ عَلَيْهَا ، فَجَاءَتْ  
بِهِ عَلَى النَّعْتِ الَّذِي نَعَتْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ تَصْدِيقِ عُؤَيْمِرٍ ، فَكَانَ بَعْدَهُ يُنْسَبُ  
إِلَى أُمِّهِ .

أُحَيْمَرُ : أَحْمَرُ ؛ وَأَسْحَمُ : أَسْوَدُ .

\* \* \*

١٥٣٤ - وَفِي الْحَدِيثِ : « الْغَيْرَةُ غَيْرَتَانِ ، فَغَيْرَةٌ يُحِبُّهَا اللَّهُ ، وَغَيْرَةٌ  
يَكْرَهُهَا » قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّهَا اللَّهُ ؟ قَالَ : « يَغَارُ أَنْ تُؤْتَى  
مَعَاصِيهِ وَتُنْتَهَكَ مَحَارِمُهُ » وَمِنْ هَذِهِ الْمَعَاصِي طَبْعًا أَنْ تُقَدِّمَ الزَّوْجَةَ عَلَى  
مَا يُغَيِّرُ الزَّوْجَ ، فَإِذَا غَارَ كَانَتْ غَيْرَتُهُ مِمَّا يُحِبُّهُ اللَّهُ ، قُلْنَا : فَمَا الْغَيْرَةُ الَّتِي  
يَكْرَهُهَا اللَّهُ ؟ قَالَ : « أَنْ يَغَارَ أَحَدُكُمْ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ » [ « أخبار النساء » ، صفحة :  
٨٢ ؛ « تحفة العروس » للتجاني ، رقم ١٠٠٤ ] .

وَمَعْنَى ذَلِكَ ظُهُورُ أَثَرِ الْغَيْرَةِ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ يُوجِبُ ذَلِكَ ، اَللَّهُمَّ إِلَّا سُوءُ  
الظَّنِّ بِالْمَرْأَةِ ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ : الْغَيْرَةُ غَيْرَتَانِ : غَيْرَةٌ يُصْلِحُ  
بِهَا الرَّجُلُ أَهْلَهُ ، وَغَيْرَةٌ تُدْخِلُهُ النَّارَ .

١٥٣٥ - وَقَالَ الْغَزَالِيُّ [ « الإحياء » ٢ / الصفحات : ٤٥ و ٤٦ ] : وَمِنْ ذَلِكَ - أَيِ مَنْ  
آدَابِ الْمُعَاشَرَةِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ - الْأَعْتِدَالُ فِي الْغَيْرَةِ ، وَهُوَ أَلَّا يَتَغَافَلَ عَنْ مَبَادِي  
الْأُمُورِ الَّتِي تُخْشَى غَوَائِلُهَا ، وَلَا يُبَالِغُ فِي إِسَاءَةِ الظَّنِّ وَالتَّعَتُّتِ وَالتَّجَسُّسِ عَلَى  
الْبُؤَاطِنِ مِنْ غَيْرِ رِيْبَةٍ ، فَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ تَتَبُّعِ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ،  
وَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْغَيْرَةَ مِنْ غَيْرِ رِيْبَةٍ » ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ الَّذِي



نُهِينَا عَنْهُ ، فَإِنْ بَغَضَ الظَّنَّ إِنْهُمْ .

وَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ سَفَرَةٍ ، قَالَ قَبْلَ دُخُولِ الْمَدِينَةِ : « لَا تَطْرُقُوا  
النِّسَاءَ لَيْلًا » [ « المستدرک علی الصحیحین » ٣٢٦/٤ ؛ « مجمع الزوائد »  
٤/ ٣٣٠ ] ، فَخَالَفَهُ رَجُلَانِ ، فَسَبَقَا ، فَرَأَى كُلُّ وَاحِدٍ فِي مَنْزِلِهِ مَا يَكْرَهُ .

قَالَ : وَأَمَّا الْغَيْرَةُ فِي مَحَلِّهَا فَلَا بُدَّ مِنْهَا كَمَا أَسْلَفْنَا ، وَكَانَ الْحَسَنُ  
الْبَصْرِيُّ يَقُولُ : اتَدْعُونَ نِسَاءَكُمْ يُزَاحِمُنَّ الْعُلُوجَ فِي الْأَسْوَاقِ ! قَبَّحَ اللَّهُ مَنْ  
لَا يَغَارُ ؛ إِلَى أَنْ قَالَ : وَالطَّرِيقُ هُوَ أَلَّا يَدْخُلَ عَلَيْهَا الرِّجَالُ ، وَأَلَّا تَخْرُجَ هِيَ  
إِلَى الْأَسْوَاقِ ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِابْنَتِهِ فَاطِمَةَ : « أَيُّ شَيْءٍ خَيْرٌ لِلْمَرْأَةِ ؟ »  
قَالَتْ : أَلَّا تَرَى رَجُلًا ، وَلَا يَرَاهَا رَجُلٌ ؛ فَضَمَّهَا إِلَيْهِ ، وَقَالَ : « دُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ  
بَعْضٍ » [ ٣ سورة آل عمران / الآية : ٣٤ ] ، فَاسْتَحْسَنَ قَوْلَهَا ؛ وَكَانَ أَصْحَابُ  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسُدُّونَ الْكُوَى وَالثَّقُوبَ فِي الْحِيطَانِ لَيْلًا تَطْلُعُ النِّسَاءُ إِلَى الرِّجَالِ .

وَرَأَى مُعَاذُ أَمْرَأَتَهُ قَدْ دَفَعَتْ إِلَى غُلَامِهِ تَفَاحَةً قَدْ أَكَلَتْ مِنْهَا ، فَضَرَبَهَا ،  
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَذِنَ لِلنِّسَاءِ فِي حُضُورِ الْمَسْجِدِ ، وَالصَّوَابُ الْآنَ الْمَنْعُ ؛  
إِلَّا الْعَجَائِزَ ، بَلِ اسْتُضِيبَ ذَلِكَ فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ ، حَتَّى قَالَتْ عَائِشَةُ : لَوْ  
عَلِمَ النَّبِيُّ مَا أَخَذَتِ النِّسَاءُ بَعْدَهُ لَمَنَعَهُنَّ مِنَ الْخُرُوجِ . وَكَذَلِكَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
قَدْ أَذِنَ لَهُنَّ فِي الْأَعْيَادِ خَاصَّةً أَنْ يَخْرُجْنَ ، وَلَكِنْ بِشَرْطِ رِضَا أَزْوَاجِهِنَّ ،  
وَالْخُرُوجُ الْآنَ مُبَاحٌ لِلْمَرْأَةِ الْعَفِيفَةِ بِرِضَا زَوْجِهَا ، وَلَكِنَّ الْقُعُودَ أَسْلَمَ ، وَيَنْبَغِي  
أَلَّا تَخْرُجَ إِلَّا لِمِهِمْ ، فَإِنَّ الْخُرُوجَ لِلنَّظَارَةِ وَالْأُمُورِ الَّتِي لَيْسَتْ مُهِمَّةً تَقْدَحُ فِي  
الْمَرْوَةِ ، وَرُبَّمَا تُفْضِي إِلَى الْفَسَادِ ! فَإِذَا خَرَجَتْ فَيَنْبَغِي أَنْ تَغُضَّ بَصَرَهَا عَنِ  
الرِّجَالِ .

١٥٣٦ - وَكَانَتْ أَمْرَاءُ بَنِي سَابُورَ قَدْ حَمَلَتْ زَوْجَهَا إِلَى الْقَاضِي ، تَدْعِي عَلَيْهِ خَمْسَ مِئَةِ دِينَارٍ ، فَأَنْكَرَ الرَّجُلُ ! فَاسْتَدْعَى الْقَاضِي مِنْهَا إِخْضَارَ الشُّهُودِ فَأَخْضَرْتَهُمْ ، فَقَالُوا : حَتَّى تَكْشِفَ عَنْ وَجْهِهَا ثُمَّ نَشْهَدْ . فَهَمَّتْ أَنْ تُسْفِرَ عَنْ وَجْهِهَا ، فَصَاحَ الرَّجُلُ وَأَدْرَكَتْهُ الْغَيْرَةُ وَقَالَ : أَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْظُرُوا إِلَى وَجْهِ زَوْجَتِي ! أَيُّهَا الْقَاضِي ! أَشْهَدْ أَنَّ لَهَا حَقًّا عَلَيَّ وَاجِبًا سِتُّ مِئَةِ دِينَارٍ ؛ فَتَعَجَّبَ الْقَاضِي وَالْحَاضِرُونَ مِنْ حِمِيَّتِهِ وَغَيْرَتِهِ ، فَقَالَتْ الْمَرْأَةُ : أَيُّهَا الْقَاضِي ! أَشْهَدُكَ أَنِّي بَرِيئَةٌ مِنْ حَقِّي وَأَنِّي قَدْ أَخْلَلْتُهِ مِنْ ذَلِكَ ! فَتَعَجَّبُوا غَايَةَ الْعَجَبِ ، ثُمَّ قَالَ الْقَاضِي : اكْتُبُوهُ وَضَعُوهُ فِي بَابِ الْفُتُوَّةِ .

الْفُتُوَّةُ ، يُرِيدُونَ بِهَا مَجْمُوعَ صِفَاتِ حَمِيدَةٍ مِنَ الْكَرَمِ - ضِدُّ اللَّؤْمِ - وَالسَّخَاءِ وَالنَّجْدَةِ وَالْحَمِيَّةِ وَالْأَنْفَةِ وَالْغَيْرَةِ وَتَحْمُلِ الْمَشَاقِّ فِي سَبِيلِ الْغَيْرِ .

\* \* \*

١٥٣٧ - وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ إِذَا كَانَ لَهُ خَصِيٌّ وَضِيٌّ أَمَرَ أَنْ يُخَجَّبَ عَنْ نِسَائِهِ ، وَقَالَ : هُوَ رَجُلٌ وَإِنْ قُطِعَ مِنْهُ مَا قُطِعَ ، وَرُبَّمَا أُجْتَرَّاتِ أَمْرَاءُ بِمِثْلِهَا ، وَلِلْعَيْنِ حَظُّهَا .

\* \* \*

١٥٣٨ - وَكَانَ لِهِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ خَصِيٌّ يُقَالُ لَهُ : خَالِدٌ ؛ وَكَانَ وَضِيًّا ، تَأْخُذُهُ الْعَيْنُ ، مَدِيدُ الْقَامَةِ ، فَخْمًا أَبْيَضٌ ؛ فَأَمَرَ هِشَامُ مَسْلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالْغَدُوِّ عَلَيْهِ ، فَغَدَا ، فَقِيلَ : اسْتَوْذِنَ لِأَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ؛ فَاسْتَحَفَّ - أَيُّ الْخَصِيِّ - وَقَالَ كَلِمَةً سَمِعَهَا مَسْلَمَةُ ، فَحَقَّقَهَا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ مَسْلَمَةُ إِلَى هِشَامٍ لَمْ يَزَلْ يُذَاكِرُهُ شَيْئًا ، وَيُسِيرُ عَلَيْهِ حَتَّى حُطَّ عَنْ فُرْشِهِ وَجَلَسَا عَلَى الْبَسَاطِ ، وَمَسْلَمَةُ فِي ذَلِكَ يَرْمُقُ الْخَصِيَّ مَتَى يَمُرُّ بِهِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَرَّ

بِعِمَامَةٍ وَشِيٍّ ، فَقَالَ مَسْلَمَةُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! أَيُّ فِتْيَانِنَا هَذَا ؟ قَالَ :  
 غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا سَعْدٍ ! هَذَا خَالِدُ الْخَصِيِّ ؛ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! لَضَمَّةٌ  
 مِنْ هَذَا خَيْرٌ مِنْ مُجَامَعَةِ رَجُلٍ ؛ فَقَلِقَ هِشَامٌ ، وَجَعَلَ يَتَصَوَّرُ حَتَّى قَامَ مَسْلَمَةُ ،  
 ثُمَّ أَمَرَ بِالْخَصِيِّ ، فَأَخْرَجَ مِنَ الرُّصَافَةِ ، فَأَتَّصَلَ بِبَعْضِ بَنِيهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ  
 هِشَامٌ : إِنِّي نَحَيْتُهُ لِمَا بَلَغَكَ ؛ فَجَفَاهُ ، فَلَحِقَ الْخَصِيَّ بِالنَّعْرِ .

\* \* \*

١٥٣٩ - وَقَالُوا : كُلُّ حُبٍّ بِلا غَيْرَةٍ فَهُوَ حُبٌّ كاذِبٌ .

\* \* \*

١٥٤٠ - وَقَالَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ - شَاعِرُ فَارِسٍ جَاهِلِيٍّ - لَمَّا تَزَوَّجَ فِي غَيْرِ  
 قَوْمِهِ ، لَامَرَاتِهِ : أَنَا غَيُورٌ هَجُورٌ [ فَخُورٌ ] أَنْفٌ ، وَلَكِنِّي لَا أَنْفُ حَتَّى أَضَامَ ،  
 وَلَا أَفْخُرُ حَتَّى أَفَاخِرَ ، وَلَا أَغَارُ حَتَّى أَرَى . [ « العقد الفريد » صفحة : ١٦٨٥ ؛ « أخبار  
 النساء » ، صفحة : ٨٥ ] .

قَوْلُهُ : حَتَّى أَرَى ، إِنَّمَا عَنْهُ رُؤْيَا الْأَمَارَةِ وَشَوَاهِدِ الْحَالِ ، لَا رُؤْيَا  
 الْمُوَافَقَةِ وَدُخُولِ الْمِرْوَدِ فِي الْمُمْكُحَلَةِ<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

١٥٤١ - وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : غَيْرَةُ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ ، وَغَيْرَةُ الرَّجُلِ  
 إِيْمَانٌ .

وَإِنَّمَا عَدَّ غَيْرَةَ الْمَرْأَةِ كُفْرًا لِأَنَّهَا تُحَرِّمُ عَلَى الرَّجُلِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ مِنْ زَوَاجٍ

(١) الْمِرْوَدُ : الْإِمِيلُ ، مَا يُجْعَلُ بِهِ الْكُحْلُ فِي الْعَيْنِ ؛ وَالْمُمْكُحَلَةُ : الَّتِي فِيهَا الْكُحْلُ ، وَهُوَ أَحَدُ  
 مَا جَاءَ عَلَى الصَّمِّ فِي الْأَدَوَاتِ .

مُتَعَدِّدَاتٍ ، وَأَمَّا غَيْرَةُ الرَّجُلِ فَتَحْرِيمٌ لِمَا حَرَّمَهُ اللَّهُ ، وَهُوَ الزَّنا .

\* \* \*

١٥٤٢ - وَقَالَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ : ثَلَاثَةٌ مِنَ الْمَجَانِينِ وَإِنْ كَانُوا عُقْلَاءَ :  
الْغَيْرَانُ وَالْغَضْبَانُ وَالسَّكَرَانُ ، وَكَانَ الْخَلِيعُ الشَّاعِرُ حَاضِرًا ، فَقَالَ :  
وَالْمُنْعِظُ ؛ وَضَحِكَ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ إِذْ ذَاكَ [من الوافر] :

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أَمَّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكِ الَّذِي لَا تَصْبَحِينَا

[ « بهجة المجالس » ١ / ٥٤٤ « أخبار النساء » صفحة : ٤٨ ؛ « تحفة العروس » ، رقم : ١٠١٧ ] .

\* \* \*

١٥٤٣ - وَقَالُوا [من الكامل] :

إِنَّ الْكَرِيمَةَ رُبَّمَا أَزْرَى بِهَا لَيْنُ الْحِجَابِ وَضَعْفُ مَنْ لَا يَخْزُمُ  
وَكَذَاكَ حَوْضُكَ إِنْ أَضَعْتَ فَإِنَّهُ يُوطَأُ وَيَشْرَبُ مَاؤُهُ وَيَهْدَمُ

\* \* \*

مَدَحُ تَرْكِ الْإِفْرَاطِ فِي الْغَيْرَةِ :

١٥٤٤ - قَالَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مِنَ السُّودَدِ الصَّلَعُ ، وَأَنْدِحَاقُ  
الْبَطْنِ ، وَتَرْكُ الْإِفْرَاطِ فِي الْغَيْرَةِ . [ « أخبار النساء » صفحة : ٨٥ ؛ « تحفة العروس » ،  
رقم : ١٠٠٨ ] .

أَنْدِحَاقُ الْبَطْنِ : سَعَتُهَا ، وَأَنْظَرُ قَوْلَهُمْ فِي الصَّلَعِ . [ « الأرقام » :

١١٣٦ - ١١٥١ ] .

\* \* \*

١٥٤٥ - وَكَانَ الْمَأْمُونُ يَقُولُ : الْغَيْرَةُ بِهِمِيَّةٌ . يُرِيدُ الْإِفْرَاطَ فِيهَا .

\* \* \*

١٥٤٦ - وَقَالَ أَيْضاً : هِيَ ضَرْبٌ مِنَ الْبُخْلِ .

\* \* \*

١٥٤٧ - وَقَالَ مَسْكِينُ الدَّارِمِيِّ ، وَقِيلَ : الْقَائِلُ أَبُو يَعْقُوبَ الْخَرَنِيمِيُّ [من

السريع] :

مَا أَحْسَنَ الْغَيْرَةَ فِي حِينِهَا      وَأَقْبَحَ الْغَيْرَةَ فِي كُلِّ حِينٍ  
مَنْ لَمْ يَزَلْ مُتِّهِماً عِزْسَهُ      مُتَّبِعاً فِيهَا لِقَوْلِ الظَّنُونِ<sup>(١)</sup>  
يُوشِكُ أَنْ يُغَرِّبَهَا بِالَّذِي      مِنْكَ إِلَى عِزْضٍ صَحِيحٍ وَدِينٍ  
لَا تَطْلَعَنَّ مِنْكَ عَلَى رِيَّةٍ      فَيَتَّبِعَ الْمَقْرُوءُ حَبْلَ الْقَرِينِ<sup>(٢)</sup>  
قَالَ بَعْضُهُمْ : مَا أَرَاهُ إِلَّا وَكَانَ يَقُولُ بِالْإِبَاحَةِ ، وَإِلَّا فَلَيْمَ يُجَوِّزُ مَا يَأْنَفُ مِنْهُ  
الْأَخْرَارُ ؟

\* \* \*

١٥٤٨ - وَكَانَ مَسْكِينُ كَثِيرَ اللَّهَجِ بِالْقَوْلِ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ

[من المتقارب] :

أَلَا أَيُّهَا الْغَائِرُ الْمُسْتَشِيطُ      عَلَامَ تَغَارٍ إِذَا لَمْ تُغَرِّ

(١) عِزْسُهُ : زَوْجَتُهُ ؛ وَالظَّنُونُ : السَّيِّئُ الظَّنِّ وَمَنْ لَا يُوثِقُ بِخَبْرِهِ ، وَيُزَوِّى هَذَا الْعَجْزُ : ( مُتَّبِعاً فِيهَا لِيَوْمِ الظَّنُونِ ) ، وَهُوَ وَاضِحٌ .

(٢) مَا أَجْمَلَ هَذَا الْبَيْتِ وَالَّذِي قَبْلَهُ ، يَقُولُ : إِذَا أَرَدْتَ تَخْصِيْنَ أَمْرَاتِكَ فَحَصِّنْ نَفْسَكَ وَإِلَّا كُنْتَ قُدُوءَ سَيِّئَةٍ لَهَا .

فَمَا خَيْرُ عَرَسٍ إِذَا خِفْتَهَا      وَمَا خَيْرُ بَيْتٍ إِذَا لَمْ يُزَرَ  
تَغَارَ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَنْظُرُوا      وَهَلْ يَفْتِنُ الصَّالِحَاتِ النَّظَرُ  
فَإِنِّي سَأُخْلِي لَهَا بَيْتَهَا      فَتَحْفَظُ لِي نَفْسَهَا أَوْ تَذَرُ  
إِذَا اللَّهُ لَمْ يُعْطِهِ وَدَّهَا      فَلَنْ يُعْطِيَ الْوَدَّ سَوْطُ حُمَزٍ  
وَمَنْ ذَا يُرَاعِي لَهُ عَرْسَهُ      إِذَا ضَمَّهُ وَالْمِطْيَى السَّفَرُ

[« شرح نهج البلاغة » ١٢٧/١٦ و ١٢٨ ؛ « أخبار النساء » صفحة : ٨٩ ؛ « ديوان مسكين

الدارمي » صفحة : ٤٠ و ٤١ ، رقم : ٣٦ ؛ « تحفة العروس » رقم : ١٠١١ ] .

\* \* \*

مُغَالَاةُ بَعْضِ النَّاسِ فِي الْغَيْبَةِ :

١٥٤٩ - قَالَ بَعْضُهُمْ : لِأَنْ يَرَى أَمْرَاتِي أَلْفُ رَجُلٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَرَى  
أَمْرَاتِي رَجُلًا وَاحِدًا .

\* \* \*

١٥٥٠ - وَحَجَّ بَعْضُهُمْ بِأَمْرَاتِهِ ، فَنَظَرَ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ التَّزْوِيَةِ ، فَهَالَه  
كَثْرَتُهُمْ ، فَقَالَ : إِنَّ رَجُلًا يُدْخِلُ أَمْرَاتُهُ وَسَطَ هَؤُلَاءِ لَمَجْنُونٌ ؛ وَضَرَبَ وَجْهَ  
رَاحِلَتِهِ وَعَادَ وَلَمْ يَحْجَّ .

\* \* \*

١٥٥١ - وَحَدَّثَ أَبُو عُبَيْدَةَ ، قَالَ : تَزَوَّجَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَغَصَةَ  
أَمْرَأَةً مِنْ قَوْمِهِ ، فَخَرَجَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، ثُمَّ قَدِمَ وَقَدْ وَلَدَتْ أَمْرَاتُهُ وَكَانَ  
خَلَقَهَا حَامِلًا ، فَنَظَرَ إِلَى آيِنِهِ فَإِذَا هُوَ أَحْمَرُ غَضْبٌ<sup>(١)</sup> ، أَزْبُ

(١) أَحْمَرُ غَضْبٌ : شَدِيدُ الْحُمْرَةِ .

الْحَاجِبِينَ<sup>(١)</sup> ، فَدَعَاَهَا وَأَنْتَضَّ السَّيْفَ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ [من الرجز] :

لَا تَمْشُطِي رَأْسِي وَلَا تَقْلِينِي      وَحَازِرِي ذَا الرِّبْقِ فِي يَمِينِي<sup>(٢)</sup>  
وَأَقْتَرِبِي دُونَكَ أَخْبِرِينِي      مَا شَأْنُهُ أَحْمَرَ كَالْهَجِينِ  
خَالَفَ أَلْوَانَ بَنِي الْجُونِ ؟

فَقَالَتْ تُجِيبُهُ [من الرجز] :

إِنَّ لَهُ مِنْ قِبَلِي أَجْدَادًا      يَبِضُ أَلْوُجُوهَ كُرْمَا أَنْجَادًا  
مَا ضَرَّهُمْ إِنْ حَضَرُوا أَمْجَادًا      أَوْ كَافَحُوا يَوْمَ أَلْوَعَى الْأَنْدَادَا  
أَلَّا يَكُونَ لَوْنُهُمْ سَوَادَا

\* \* \*

وَمِنَ الْغَيْرَةِ السَّخِيفَةِ مُحَاوَلَةُ الرَّجُلِ أَلَّا تَتَزَوَّجَ أَمْرَانُهُ بَعْدَهُ :

١٥٥٢ - وَقَدْ تَنْتَهَى الْغَيْرَةُ بِالرَّجُلِ إِلَى أَنْ يُوصِيَ الْمَرْأَةَ عِنْدَ وَفَاتِهِ أَلَّا تَنْكِحَ  
أَحَدًا بَعْدَهُ ، أَوْ لَا تَنْكِحَ فُلَانًا بِعَيْنِهِ ، وَيُحْلِفُهَا عَلَى ذَلِكَ ، وَرُبَّمَا يُحْلِفُ فُلَانًا  
عَلَى أَلَّا يَنْكِحَهَا ، وَهَذَا عَمَرُكَ اللَّهُ غَايَةً فِي الْحَقِّ وَالسُّخْفِ ، فَقَدْ يَكُونُ هَذَا  
إِغْرَاءً لَهَا بِنِكَاحِهِ وَمُبْهَةً لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى الْفِكْرَةِ فِي أَمْرِ صَاحِبِهِ .

كَانَ الْهَادِي بْنُ الْمَهْدِيِّ الْعَبَّاسِيُّ وَأَخُو هَارُونَ الرَّشِيدِ قَدْ اشْتَرَى أُمَّتَهُ أُمَّةَ  
الْعَزِيزِ ، وَهِيَ الْتَيْ تَسْمَى غَادِرٌ ، بِمِئَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَيُقَالُ : إِنَّ الرِّبْعَ أَهْدَاهَا  
إِلَيْهِ ؛ وَلَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِهَا أَجْمَلُ مِنْهَا وَلَا أَحْسَنُ غِنَاءً ، وَلَا أَجْمَعُ لِكُلِّ فَنٍّ  
يُجْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مِثْلِهَا ، وَكَانَ الرَّشِيدُ يَهْوَاهَا وَيَكْتُمُ ذَلِكَ ، وَكَانَ الْهَادِي يُتَوَمَّهَهَا

(١) أَرَبُ الْحَاجِبِينَ : كَثِيرُ الشَّعْرِ فِيهِمَا .

(٢) ذُو الرِّبْقِ : السَّيْفُ ، يُقَالُ لَهُ ذَلِكَ لِكثَرَةِ مَائِهِ وَبَرِّيقِهِ .

فِي حِجْرِهِ ، وَلَا يُوقِظُهَا حَتَّى تَنْتَبِهَ مِنْ نَوْمِهَا ، لِشِدَّةِ مَحَبَّتِهِ إِيَّاهَا ، وَبَيْنَمَا  
الْهَادِي ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ مَعَهَا إِذْ اسْتَوْذَنْ عَلَيْهِ لِأَخِيهِ هَارُونَ ، فَأَسْرَعَتْ إِلَى  
بَعْضِ الْمَوَاضِعِ الْقَرِيبَةِ ، وَأَسْرَعَتْ فِي مَشْيِهَا ، وَدَخَلَ الرَّشِيدُ عَلَى أَخِيهِ  
الْهَادِي ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْهَادِي : يَا هَارُونُ ! قَدْ  
حَدَّثْتَنِي نَفْسِي بِشَيْءٍ ، وَهُوَ يَجُولُ فِي فِكْرِي ، وَقَدْ تَنَغَّصَ لَهُ عَيْشِي ؛ قَالَ لَهُ :  
وَمَا هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ لَا نَغْصَ اللَّهُ لَكَ عَيْشًا ؛ فَقَالَ الْهَادِي : يَا هَارُونُ !  
إِنَّهُ وَقَعَ فِي خَلْدِي أَنَّي أَمُوتُ قَرِيبًا وَأَنْتَ تَتَرَوَّجُ أَمْرَآئِي أَمَّةَ الْعَزِيزِ مِنْ بَعْدِي !  
فَقَالَ الرَّشِيدُ : بَلِ اللَّهُ يَجْعَلُنِي فِدَاءَكَ وَيُقَدِّمُنِي قَبْلَكَ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،  
لَا يَخْطُرُ لَكَ هَذَا عَلَى بَالٍ ، فَبُسْ الظَّنَّ هَذَا ، وَلَا أَسْمَعِنِي اللَّهُ فِيكَ سُوءًا  
وَلَا أَفْجَعِنِي فِيكَ ؛ فَقَالَ الْهَادِي : دَعْنِي مِنْ هَذَا ، فَهُوَ مَا أَخْبَرْتُكَ ؛ فَقَالَ لَهُ  
الرَّشِيدُ : وَمَا الَّذِي يُرِيْلُ هَذَا مِنْ قَلْبِكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : الْإِيمَانُ وَالْعُهُودُ  
وَالْمَوَاطِيقُ ؛ فَأَعْطَاهُ مَا أَرَادَ مِنَ الطَّلَاقِ وَالْحَجِّ مَاشِيًا وَالْعِتْقِ وَالصَّدَقَةِ وَكُلِّ  
يَمِينٍ مُؤَكَّدَةٍ ، فَكَانَ الْهَادِي قَدْ سَكَنَ مَا بِهِ لِدَلِكْ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثِ الْهَادِي إِلَّا أَيَّامًا  
قَلِيلًا حَتَّى مَاتَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا الرَّشِيدُ مِنْ سَاعَتِهِ يُعَرِّضُ لَهَا بِالْخُطْبَةِ ، فَأَذْكَرْتُهُ  
مَا كَانَ قَدْ حَلَفَ بِهِ ، فَقَالَ لَهَا : مَا أَهْوَنَ ذَلِكَ ! أَحُجْ ، وَأُطْلُقْ ، وَاتَّصَدَّقْ ،  
وَأَعْتِقْ ؛ فَطَلَّقَ زُبَيْدَةَ طَلَقَةً أَنْعَزَلَ بِهَا عَنْهَا ، وَأَعْتَقَ حُسَيْنًا وَمَسْرُورًا الْخَادِمَيْنِ ،  
وَتَصَدَّقَ بِمِئَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَحَجَّ فِي تِلْكَ السَّنَةِ مَاشِيًا ، وَكَانَتْ تُفَرِّشُ لَهُ الْكُبُودُ  
مِيلًا بَعْدَ مِيلٍ ، فَيَقَالُ : إِنَّهُ خَرَجَ فِي أَوَّلِ الْحَوْلِ فَوَصَلَ فِي آخِرِهِ ، وَتَرَوَّجَ أَمَّةَ  
الْعَزِيزِ لَمَّا قَضَى حَجَّتَهُ ، فَأَقَامَتْ عِنْدَهُ يَسِيرًا ، فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهِيَ نَائِمَةٌ  
وَرَأْسُهَا فِي حِجْرِهِ إِذْ انْتَبَهَتْ فَرِزَةً مَرْغُوبَةً مَذْعُورَةً ، فَاسْتَخْبَرَهَا عَنْ شَأْنِهَا !  
فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! رَأَيْتُ الْهَادِي أَخَاكَ وَقَدْ دَخَلَ ، فَأَخَذَ بَعْضَ دَنَاتِي  
الْبَابِ وَتَأَوَّاهُ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ [من مجزوء الكامل] :



أَخْلَفْتُ وَغَدِي بَعْدَ مَا      جَاوَزْتُ سُكَّانَ الْمَقَابِرِ  
وَحَلَفْتُ لِي وَحَثُّتِ فِي      أَيْمَانِكَ الْكَذِبَ الْفَوَاجِرِ  
وَنَكَحْتَ غَادِرَةَ أَخِي      صَدَقَ الَّذِي سَمَّاكَ غَادِرِ  
لَا يَهْنِكَ إِلَّا لَفُ الْجَدِ      يَدٌ وَلَا تَخَطَّتْكَ الدَّوَائِرِ  
فَأَقَامْتُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ عَامًا ، وَقِيلَ : شَهْرًا ، وَقِيلَ : جُمُعَةً ، وَمَاتَتْ .

[« المحاسن والأضداد » صفحة : ٣٩٥ ؛ « تحفة العروس » ، رقم : ١٠١٩ و ١٠٢٠ ؛

« الفيان » ، رقم : ٢٤ ] .



١٥٥٣ - وَكَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَهِيَ أُخْتُ  
السَّيِّدَةِ سُكَيْنَةَ - عِنْدَ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَكَانَ مُحِبًّا  
لَهَا ، فَلَمَّا اخْتُصِرَ ، قَالَ لَهَا : إِنَّكَ أَمْرَأَةٌ مَرْغُوبٌ فِيكَ ، وَكَأَنِّي بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ  
عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَدْ جَاءَ خَلْفَ جَنَازَتِي عَلَى فَرَسٍ مُرَجَّلًا شَعْرَهُ ، لَا بِسَأْ  
جُبَّتُهُ ، يَسِيرُ فِي جَانِبِ النَّاسِ ، مُتَعَرِّضًا لَكَ ، فَأَنْكِحِي مَنْ شِئْتَ غَيْرَهُ ، فَإِنِّي  
لَا أَدْعُ مِنَ الدُّنْيَا وَرَائِي هَمًّا غَيْرُكَ ؛ وَحَلَفَهَا بِالْإِيمَانِ الْمُغْلَظَةِ ، مِنَ الْعِتْقِ  
وَالصَّدَقَةِ عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمَّا مَاتَ الْحَسَنُ جَرَى الْأَمْرُ عَلَى مَا وَصَفَهُ قَبْلَ وَفَاتِهِ ،  
وَكَانَ يُقَالُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ : « الْمُطْرَفُ » لِحُسْنِهِ وَجَمَالِهِ ، فَرَأَاهَا  
حَاسِرَةً وَهِيَ تَضْرِبُ وَجْهَهَا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا : أَلَا تَضْرِبِي وَجْهَكَ ، فَإِنَّ بِنَا إِلَيْهِ  
حَاجَةً ، فَأَرْفُقِي بِهِ ؛ فَاسْتَرْخَتْ يَدَاهَا ، وَعُرِفَ ذَلِكَ مِنْهَا ، ثُمَّ عَوَّضَهَا مَكَانَ  
كُلِّ مَمْلُوكٍ حَلَفَتْ بِهِ مَمْلُوكَيْنِ ، وَمَكَانَ كُلِّ شَيْءٍ شَيْئَيْنِ ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا ، فَوَلَدَتْ  
لَهُ الدِّيْبَاجَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَهُ أَبُو جَعْفَرٍ  
الْمَنْصُورُ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهَا هِيَ وَأُخْتُهَا سُكَيْنَةُ فِي عَامٍ وَاحِدٍ .

[ « أخبار النساء » صفحة : ١٤٩ ؛ « تاريخ دمشق » لابن عساكر ، تراجم النساء ، صفحة : ٢٨١ ؛

« تحفة العروس » ، رقم : ١٠٩٨ .



### غَدْرُ الْمَرْأَةِ<sup>(١)</sup> :

١٥٥٤ - يَقْضُونَ فِي بَعْضِ الْأَسَاطِيرِ الْقَدِيمَةِ أَنَّ حَكِيمًا مِنْ حُكَمَاءِ الْيُونَانِ كَانَ يُحِبُّ زَوْجَتَهُ حُبًّا مَلَكَ عَلَيْهِ عَقْلُهُ وَقَلْبُهُ ، وَأَحَاطَ بِهِ إِحَاطَةُ الشُّعَاعِ بِالْمِضْبَاحِ الْمُتَّقِدِ ، وَكَانَ يَمَازُجُ هَنَاءَتَهُ الْحَاضِرَةَ شِقَاءَ مُسْتَقْبَلِ يَسْوَفِهِ إِلَى نَفْسِهِ الْخَوْفِ مِنْ أَنَّ تَدَوَّرَ الْأَيَّامُ دَوَّرَتَهَا ، فَيَمُوتُ وَيُقْلِتُ مِنْ يَدِهِ ذَلِكَ الْقَلْبُ الَّذِي كَانَ مُغْتَبِطًا بِاعْتِلَاقِهِ إِلَى صَائِدٍ آخَرَ يَغْتَلِقُهُ مِنْ بَعْدِهِ ، وَكَانَ كُلَّمَا أَبَتْ زَوْجَتَهُ سِرَّهُ ، وَشَكَا إِلَيْهَا مَا يُسَاوِرُ قَلْبَهُ مِنْ ذَلِكَ الْهَمِّ ، حَنْتَ عَلَيْهِ ، وَعَلَّلْتُهُ بِمَعْسُولِ الْأَمَانِيِّ ، وَأَفْسَمَتْ لَهُ بِكُلِّ مُخْرِجَةٍ مِنَ الْإِيمَانِ أَنَّهَا لَا تَسْتَرِدُّ هَبَةً قَلْبِهَا مِنْهُ حَيًّا وَمَيِّتًا ، فَكَانَ يَسْكُنُ إِلَى ذَلِكَ الْوَعْدِ سُكُونَ الْجُرْحِ الذَّرِبِ تَحْتَ الْمَاءِ الْبَارِدِ ، ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَعُودَ إِلَى هَوَاجِسِهِ وَوَسَاوِسِهِ ، حَتَّى مَرَّ فِي بَعْضِ رَوْحَاتِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ فِي إِحْدَى اللَّيَالِي الْمُقْمَرَةِ بِمَقْبَرَةِ الْمَدِينَةِ ، فَبَدَأَ لَهُ أَنْ يَدْخُلَهَا لِيُرَوِّحَ عَنْ نَفْسِهِ هُمُومَ الْمَوْتِ بِوَقْفَةٍ بَيْنَ قُبُورِ الْمَوْتَى ، وَكَثِيرًا مَا يَتَدَاوَى شَارِبُ الْخَمْرِ بِالْخَمْرِ ، وَيَلْدُّ لِلْجَبَانِ وَهُوَ يَزْتَعِدُّ فَرَقًا الْإِضْغَاءِ إِلَى حَدِيثِ الْمَرَدَةِ وَالْجَانِّ ، فَرَأَى فِي بَعْضِ مَذَاهِبِهِ بَيْنَ تِلْكَ الْقُبُورِ امْرَأَةً مُتَسَلِّيَةً جَالِسَةً أَمَامَ قَبْرِ جَدِيدٍ لَمْ يَجِفَّ تَرَابُهُ ، وَبِيَدِهَا مِزْوَحَةٌ مِنَ الْحَرِيرِ الْأَبْيَضِ مُطَرَّزَةٌ بِأَسْلَافِ الذَّهَبِ ، تُحَرِّكُهَا يَمْنَةً وَيَسْرَةً لِتُجَفَّفَ بِهَا بَلَلُ ذَلِكَ التُّرَابِ ، فَعَجِبَ لِشَأْنِهَا ، وَتَقَدَّمَ

(١) هَذِهِ مَقَالَةٌ لِمَصْطَفَى لُطْفِي الْمُنْقَلُوطِي ، تَنَاسَبَ الْمَقَامُ ، لِذَلِكَ أَضَفْتُهَا هُنَا . رَاجِعِ « النَّظَرَاتِ » ٢ / ٢٩٠ - ٢٩٦ . بِسَامِ .

نَحْوَهَا ، فَازْتَاعَتْ لِمَرَّاهُ ، ثُمَّ أَنْسَتْ بِهِ حِينَما عَرَفَتْهُ ، فَسَأَلَهَا مَا شَأْنُهَا ، وَمَا مَقَامُهَا هُنَا ؟ وَمِنْ هَذَا الدَّفِينِ ، وَمَا هَذَا الَّذِي تَفْعَلُ ؟ فَأَبَتْ أَنْ تُجِيبَهُ عَمَّا سَأَلَ حَتَّى تَفْرُغَ مِنْ شَأْنِهَا ، فَجَلَسَ إِلَيْهَا ، وَتَنَاوَلَ الْمِرْوَحةَ مِنْهَا ، وَظَلَّ يُسَاعِدُهَا فِي عَمَلِهَا حَتَّى جَفَّ التُّرَابُ ، فَحَدَّثَتْهُ أَنَّ هَذَا الدَّفِينِ زَوْجُهَا ، وَأَنَّهُ مَاتَ مِنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَأَنَّهَا جَالِسَةٌ مِنْذُ الصَّبَاحِ مَجْلِسُهَا هَذَا لِتُجَفَّفَ تُرَابُ قَبْرِهِ وَفَاءَ يَمِينٍ كَانَتْ قَدْ أَقْسَمَتْهَا لَهُ فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ أَلَّا تَتَزَوَّجَ مِنْ غَيْرِهِ حَتَّى يَجَفَّ تُرَابُ قَبْرِهِ ، وَأَنَّ هَذِهِ اللَّيْلَةَ هِيَ لَيْلَةُ بِنَائِهَا بِزَوْجِهَا الثَّانِي ، فَأَبَى لَهَا وَفَاؤُهَا لِهَذَا الدَّفِينِ الَّذِي كَانَ يُحِبُّهَا وَيُحْسِنُ إِلَيْهَا أَنْ تَحْنُتَ يَمِينٍ أَقْسَمَتْهَا لَهُ ، أَوْ تَخِيَسَ بِمَا عَاهَدَتْهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : هَلْ لَكَ يَا سَيِّدِي أَنْ تَقْبَلَ هَذِهِ الْمِرْوَحةَ هَدِيَّةً مِنِّي إِلَيْكَ ، وَجِزَاءً لَكَ عَلَى حُسْنِ صَنِيعِكَ مَعِي ؟ .

فَتَقَبَّلَهَا مِنْهَا شَاكِرًا بَعْدَ أَنْ هَنَأَهَا بِزَوَاجِهَا الْجَدِيدِ !! ثُمَّ انْصَرَفَ وَلَيْسَ وَرَاءَ مَا بِهِ مِنَ الْهَمِّ غَايَةً ، وَمَشَى فِي طَرِيقِهِ مِشْيَةً الرَّائِحِ النَّشْوَانِ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ وَيَقُولُ : إِنَّهُ أَحَبُّهَا وَأَحْسَنَ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا مَاتَ جَلَسَتْ فَوْقَ قَبْرِهِ لَا لِتَبْكِيَهُ ، وَلَا لِتَذْكُرَ عَهْدَهُ ، بَلْ لِتَسَحَّلَ مِنْ يَمِينِ الْوَفَاءِ الَّتِي أَقْسَمَتْهَا لَهُ ، فَكَانَتْهَا وَهِيَ جَالِسَةٌ أَمَامَ زَوْجِهَا الْأَوَّلِ تُعَدُّ عُددَ الزَّوْاجِ مِنْ زَوْجِهَا الثَّانِي ، وَكَأَنَّمَا اتَّخَذَتْ مِنْ صِفَائِحِ قَبْرِهِ مِرَّاةً تَصْقُلُ أَمَامَهَا جَبِينَهَا ، وَتُصَفِّقُ طُرَّتَهَا ، وَتَلْبَسُ حِلِّيَّتَهَا ، لِلزَّفَافِ إِلَى غَيْرِهِ .

وَمَا زَالَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِمِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ حَتَّى رَأَى نَفْسَهُ فِي مَنْزِلِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ ، وَرَأَى زَوْجَهُ مَائِلَةً أَمَامَهُ مُرْتَاعَةً لِمَنْظَرِهِ الْمُؤْلِمِ الْمُخْزِنِ ، فَقَالَ لَهَا : إِنَّ امْرَأَةً خَائِنَةً غَادِرَةً أَهْدَتْ إِلَيَّ هَذِهِ الْمِرْوَحةَ فَقَبِلْتُهَا مِنْهَا لِأَهْدِيهَا إِلَيْكَ ، لِأَنَّهَا أَدَاةٌ مِنْ أَدَوَاتِ الْغَدْرِ وَالْخِيَانَةِ ، وَأَنْتِ أَوْلَى بِهَا مِنِّي ؛ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقْصُصُ عَلَيْهَا قِصَّةَ

الْمَرْأَةُ حَتَّى أَتَى عَلَيْهَا ، فَغَضِبَتْ وَانْتَرَعَتِ الْمَرْوَحَةَ مِنْ يَدِهِ وَمَزَّقَتْهَا إِزْبَاءً إِزْبَاءً ، وَأَنْشَأَتْ تَسُبُّ تِلْكَ الْمَرْأَةَ وَتَسْتُمُّهَا ، وَتَنْعَى عَلَيْهَا غَذَرَهَا وَخِيَانَتَهَا وَسَفَالَتَهَا وَدَنَاءَتَهَا ، ثُمَّ قَالَتْ : أَلَا يَزَالُ هَذَا الْوَسْوَاسُ عَالِقًا بِصَدْرِكَ مَا دُمْتَ حَيًّا ؟ وَهَلْ تَحْسَبُ أَنَّ امْرَأَةً فِي الْعَالَمِ تَرْضَى لِنَفْسِهَا بِمَا رَضِيتَ بِهِ لِنَفْسِهَا تِلْكَ الْمَرْأَةُ الْغَادِرَةُ ؟ .

فَقَالَ لَهَا : إِنَّكَ أَقْسَمْتَ لِي أَلَّا تَتَرَوَّجِي مِنْ بَعْدِي ، فَهَلْ تَفِينِ بِعَهْدِكَ ؟ .  
قَالَتْ : نَعَمْ ، وَرَمَانِي اللَّهُ بِكُلِّ مَا يُرْمَى بِهِ الْغَادِرُ إِنْ أَنَا فَعَلْتُ ؛ فَاطْمَأَنَّ لِقَسَمِهَا ، وَعَادَ إِلَى هُدُوثِهِ وَسُكُونِهِ .

مَضَى عَلَى ذَلِكَ عَامٌ ، ثُمَّ مَرَضَ الرَّجُلُ مَرَضًا شَدِيدًا ، فَعَالَجَ نَفْسَهُ ، فَلَمْ يُجِدِ الْعِلَاجَ حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ ، فَدَعَا زَوْجَتَهُ وَذَكَرَهَا بِمَا عَاهَدَتْهُ عَلَيْهِ فَأَذْكَرَتْ ، فَمَا غَرَبَتْ شَمْسُ ذَلِكَ الْيَوْمِ حَتَّى غَرَبَتْ شَمْسُهُ ، فَأَمَرَتْ أَنْ يُسَجَّيَ بِرِدَائِهِ وَيُتْرَكَ وَحْدَهُ فِي قَاعَتِهِ حَتَّى يُخْتَفَلَ بِدَفْنِهِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي ، ثُمَّ خَلَتْ بِنَفْسِهَا فِي غُرْفَتِهَا تَبْكِيهِ وَتَنْدُبُهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَفْعَلَ ، وَإِنَّهَا لَكَذَلِكَ إِذْ دَخَلَتْ عَلَيْهَا الْخَادِمُ وَأَخْبَرَتْهَا أَنَّ فَتَى مِنْ تَلَامِيذِ مَوْلَاهَا حَضَرَ السَّاعَةَ مِنْ بَلَدَتِهِ لِيَعُودَهُ حِينَمَا سَمِعَ بِخَبَرِ مَرَضِهِ ، فَلَمَّا سَمِعَ حَدِيثَ مَوْتِهِ ذَعِرَ ذُعْرًا شَدِيدًا وَخَرَّ فِي مَكَانِهِ صَعِقًا ، وَأَنَّهُ لَا يَزَالُ صَرِيحًا عِنْدَ بَابِ الْمَنْزِلِ لَا تَذَرِي مَا تَصْنَعُ فِي أَمْرِهِ ، فَأَمَرَتْهَا أَنْ تَذْهَبَ بِهِ إِلَى غُرْفَةِ الْأَضْيَافِ ، وَأَنْ تَتَوَلَّى شَأْنَهُ حَتَّى يَسْتَفِيقَ ، ثُمَّ عَادَتْ إِلَى بُكَائِهَا وَنَحْيِهَا ، فَلَمَّا مَرَّ الْهَزِيعُ الثَّانِي مِنَ اللَّيْلِ دَخَلَتْ عَلَيْهَا الْخَادِمُ مَرَّةً أُخْرَى مَذْعُورَةً مُرْتَاعَةً وَهِيَ تَقُولُ : رَحِمَتَكَ وَإِحْسَانَكَ يَا سَيِّدَتِي ! فَإِنَّ ضَيْفَنَا يَعَالِجُ مِنْ آلَامِهِ وَأَوْجَاعِهِ عَذَابًا أَلِيمًا ، وَقَدْ حِزْتُ فِي أَمْرِهِ ، وَمَا أَحْسَبُهُ إِنْ نَحْنُ أَغْفَلْنَا أَمْرَهُ إِلَّا هَالِكًا ؛ فَأَهْمُّهَا الْأَمْرُ ، وَقَامَتْ تَتَحَامَلُ عَلَى نَفْسِهَا حَتَّى

وَصَلَّتْ إِلَى غُرْفَةِ الضَّيْفِ ، فَرَأَتْهُ مُسَجَّيًى عَلَى سَرِيرِهِ ، وَالْمِضْبَاحُ عِنْدَ رَأْسِهِ ،  
فَاقْتَرَبَتْ مِنْهُ وَنَظَرَتْ فِي وَجْهِهِ ، فَرَأَتْ أَبْدَعَ سَطْرِ خَطِّهِ يَدُ الْقُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ فِي  
لَوْحِ الْوُجُودِ ، فَخُيِّلَ إِلَيْهَا أَنَّ الْمِضْبَاحَ الَّذِي أَمَامَهَا قَبَسٌ مِنْ ذَلِكَ الثُّورِ  
الْمُتَلَأْلِ فِي ذَلِكَ الْوَجْهِ الْمُنِيرِ ، وَأَنَّ أَيْنَهُ الْمُنبِعَثُ مِنْ صَدْرِهِ نِعْمَةٌ مُوسِيقِيَّةٌ  
مُخْزِنَةٌ تَرِنٌ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ ، فَأَنَسَاها الْحُزْنُ عَلَى الْمَرِيضِ الْمُشْرِفِ  
الْحُزْنَ عَلَى الْفَقِيدِ الْهَالِكِ ، وَعَنَاها أَمْرُهُ ، فَلَمْ تَتْرُكْ وَسِيلَةً مِنْ وَسَائِلِ الْعِلَاجِ  
إِلَّا تَوَسَّلَتْ بِهَا إِلَيْهِ حَتَّى اسْتَفَاقَ ، وَنَظَرَ إِلَى طَبِيبَتِهِ الرَّائِعَةِ بِجَانِبِ سَرِيرِهِ نَظْرَةَ  
الشُّكْرِ وَالشَّاءِ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقْصُصُ عَلَيْهَا تَارِيخَ حَيَاتِهِ ، فَعَرَفَتْ مَسْقِطَ رَأْسِهِ ،  
وَسِيرَةَ حَيَاتِهِ ، وَصِلَتَهُ بِزَوْجِهَا ، وَأَنَّهُ فَتَى غَرِيبٌ فِي قَوْمِهِ ، لَا أَبَ لَهُ وَلَا أُمٌّ ،  
وَلَا زَوْجَةٌ وَلَا وَلَدٌ ، وَهُنَا أَطْرَقَتْ بِرَأْسِهَا سَاعَةٌ طَوِيلَةٌ عَالَجَتْ فِيهَا مِنْ هَوَاجِسِ  
النَّفْسِ وَنَوَازِعِهَا مَا عَالَجَتْ ، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا وَأَمْسَكَتْ بِيَدِهِ ، وَقَالَتْ لَهُ :  
إِنَّكَ قَدْ تَكَلَّمْتَ أَسْتَاذَكَ ، وَأَنَا تَكَلَّمْتُ زَوْجِي ، فَأَصْبَحَ هَمُنًا وَاحِدًا ، فَهَلْ لَكَ أَنْ  
تَكُونَ عَوْنًا لِي وَأَنْ أَكُونَ عَوْنًا لَكَ عَلَى هَذَا الدَّهْرِ الَّذِي لَمْ يَتْرُكْ لَنَا مَسَاعِدًا  
وَلَا مُعِينًا .

فَالَمْ بِخَبِيئَةٍ نَفْسِهَا ، فَابْتَسَمَ لَهَا ابْتِسَامَةً الْحُزْنِ وَالْمَضْضِ ، وَقَالَ لَهَا : مَنْ  
لِي يَا سَيِّدَتِي أَنْ أَظْفَرَ بِهَذِهِ الْأُمْنِيَّةِ الْعُظْمَى ، وَهَذَا الْمَرَضُ الَّذِي يُسَاوِرُنِي  
وَلَا يَكَادُ يَهْدَأُ عَنِّي قَدْ نَعَصَ عَلَيَّ عَيْنِي ، وَأَفْسَدَ عَلَيَّ شَأْنَ حَيَاتِي ، وَقَدْ  
أُنْذَرَنِي الطَّبِيبُ بِاقْتِرَابِ سَاعَةِ أَجَلِي إِنْ لَمْ تُدْرِكْنِي رَحْمَةُ اللَّهِ ، فَاطْلُبِي سَعَادَتَكَ  
عِنْدَ غَيْرِي ، فَأَنْتِ مِنْ بَنَاتِ الْحَيَاةِ ، وَأَنَا مِنْ أَبْنَاءِ الْمَوْتِ .

فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّكَ سَتَعِيشُ ، وَسَأَعَالِجُكَ وَلَوْ كَانَ دَوَاؤُكَ بَيْنَ سَخْرِي وَنَخْرِي .

قَالَ : لَا تُصَدِّقْنِي مَا لَا يَكُونُ يَا سَيِّدَتِي ، فَأَنَا عَالِمٌ بِدَوَائِي ، وَعَالِمٌ بِأَنِّي

لا أَجِدُ السَّبِيلَ إِلَيْهِ .

قَالَتْ : وما دَوَاؤُكَ ؟ .

قال : حَدَّثَنِي طَبِيبِي أَنَّ شِفَائِي فِي أَكْلِ دِمَاحٍ مِثْلَ لَيُومِهِ ، وما دَامَ ذَلِكَ يُعْجِزُنِي فلا دَوَاءَ لِي ولا شِفَاءَ .

فَارْتَعَدَتْ وَشَحَبَ لَوْنُهَا ، وَأَطْرَقَتْ إِطْرَاقَةُ طَوِيلَةٍ لَا يَعْلَمُ إِلَّا اللَّهُ مَاذَا كَانَتْ تُحَدِّثُهَا نَفْسُهَا فِيهَا ، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا ، وَقَالَتْ : كُنْ مَطْمَئِنًّا ، فَدَوَاؤُكَ لَا يُعْجِزُنِي . ثُمَّ أَمَرَتْهُ أَنْ يَعُودَ إِلَى رَاحَتِهِ وَسُكُونِهِ ، وَخَرَجَتْ مِنَ الْغُرْفَةِ مُتَسَلِّلَةً حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى غُرْفَةِ سِلَاحِ زَوْجِهَا ، فَأَخَذَتْ مِنْهَا فَأَسَا قَاطِعَةً ، ثُمَّ مَشَتْ تَخْتَلِسُ خُطَوَاتِهَا اخْتِلَاسًا حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى غُرْفَةِ الْمَيْتِ ، فَفَتَحَتْ الْبَابَ ، فَدَارَ عَلَى عَقِبِهِ وَصَرَ صَرِيرًا مُزْعِجًا ، فَجَمَدَتْ فِي مَكَانِهَا رُغْبًا وَخَوْفًا ، ثُمَّ دَارَتْ بِعَيْنَيْهَا حَوْلَهَا ، فَلَمْ تَرَ شَيْئًا ، فَتَقَدَّمَتْ لِشَأْنِهَا حَتَّى دَنَتْ مِنَ السَّرِيرِ ، وَرَفَعَتْ الْفَأْسَ لِتَضْرِبَ بِهَا رَأْسَ زَوْجِهَا الَّذِي عَاهَدَتْهُ أَلَّا تَتَزَوَّجَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَلَمْ تَكُذْ تَهْوِي بِهَا حَتَّى رَأَتْ الْمَيْتَ فَاتِحًا عَيْنَيْهِ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ، فَسَقَطَتِ الْفَأْسُ مِنْ يَدِهَا ، وَسَمِعَتْ حَرَكَةَ وَرَاءِهَا ، فَالْتَفَتَتْ ، فَرَأَتْ الضَّيْفَ وَالْخَادِمَ وَاقِفَيْنِ يَتَضَاحِكَانِ ، فَفَهِمَتْ كُلَّ شَيْءٍ .

وَهُنَا تَقَدَّمَ نَحْوَهَا زَوْجُهَا ، وَقَالَ لَهَا : أَلَيْسَتْ الْمِزْوَحَةُ فِي يَدِ تِلْكَ الْمَرْأَةِ أَجْمَلَ مِنْ هَذِهِ الْفَأْسِ فِي يَدِكَ ! أَلَيْسَتْ الَّتِي تُجَفِّفُ تُرَابَ قَبْرِ زَوْجِهَا بَعْدَ دَفْنِهِ أَفْضَلَ مِنَ الَّتِي تَكْسِرُ دِمَاحَهُ قَبْلَ نَعْيِهِ ! فَصَارَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ نَظْرًا غَرِيبًا ، ثُمَّ شَهِقَتْ شَهَقَةً كَانَتْ فِيهَا نَفْسُهَا .

\* \* \*

١٥٥٥ - وَمَاتَ زَوْجُ امْرَأَةٍ ، فَرَأَسَهَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ رَجُلٌ يَخْطُبُهَا ، فَقَالَتْ :

هَلَا سَبَقْتُ ! فَإِنِّي قَدْ قَاوَلْتُ غَيْرَكَ ! فَقَالَ : إِذَا مَاتَ الثَّانِي فَلَا تُفَوِّتْنِي !

\* \* \*

١٥٥٦ - وَأَسْخَفُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَشْتَرِطَ الزَّوْجَةُ عَلَى زَوْجِهَا أَلَّا يَتَزَوَّجَ بَعْدَ مَوْتِهَا : مَاتَ أَمْرَأَةٌ لِرَجُلٍ ، وَكَانَ عَاهِدَهَا أَلَّا يَتَزَوَّجَ بَعْدَهَا ، فَحَطَبَ أَمْرَأَةٌ فِي جَنَازَتِهَا ، فَعُوتِبَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ [من الطويل] :

حَطَبْتُ كَمَا لَوْ كُنْتُ قَدْ مِتُّ قَبْلَهَا      لَكَانَتْ بِلا شَيْءٍ لِأَوَّلِ خَاطِبٍ  
إِذَا غَابَ بَعْلٌ جَاءَ بَعْلٌ مَكَانَهُ      وَلَا بُدَّ مِنْ آتٍ وَآخِرٍ ذَاهِبٍ

\* \* \*

وَمِنْ النِّسَاءِ مَنْ لَا تَتَزَوَّجُ بَعْدَ زَوْجِهَا :

١٥٥٧ - فَمِنْهُنَّ نَائِلَةٌ بِنْتُ الْفَرَاغِصَةِ زَوْجُ عُمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .  
أَنْظَرَ خَبَرَهَا فِي السَّبَابِ وَالشَّيْبِ . [رقم : ٩٦٤] .

\* \* \*

١٥٥٨ - وَتَزَوَّجَ رَجُلٌ بِابْنَتِهِ عَمَّ لَهُ يُقَالُ لَهَا : رَبَابُ ، وَتَعَاهَدَا عَلَى أَلَّا يَتَزَوَّجَ أَحَدُهُمَا بَعْدَ مَوْتِ الْآخَرِ ، فَمَاتَ الرَّجُلُ ، وَأُكْرِهَتْ الْمَرْأَةُ عَلَى التَّزْوِيجِ ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الزَّفَافِ رَأَتْ فِي مَنَامِهَا أَنَّ ابْنَ عَمِّهَا آخِذٌ بِعَضَادَتِي أَلْبَابَ ، وَأَنْشَدَ [من البسيط] :

حَيِّثُ سُكَّانَ هَذَا أَلْبَيْتِ كُلُّهُمْ      إِلَّا الرَّبَابَ فَإِنِّي لَا أَحْيِيهَا  
أَمْسَتْ عَرُوسًا وَأَمْسَى مَنَزَلِي خَرِبًا      وَلَمْ تُرَاعِ حُقُوقًا كُنْتُ أُرْعِيهَا<sup>(١)</sup>

(١) قَوْلُهُ : « كُنْتُ أُرْعِيهَا » إِذَا قُلْتَ : « أُرْعِيهَا » مِنَ الْإِزْعَاءِ ، وَهُوَ الْإِنْبَاءُ ، أَيُّ : كُنْتُ أَبْقِي عَلَيْهَا وَأَشْفِقُ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « نِسَاءٌ قُرَيْشٍ خَيْرُ نِسَاءٍ ، أَخْنَاهُ عَلَى طِفْلٍ فِي =

فَانْتَبَهَتْ مَذْعُورَةً وَحَلَفَتْ أَلَّا يَجْمَعَ رَأْسُهَا وَرَأْسَ رَجُلٍ وَسَادَةٍ .

\* \* \*

١٥٥٩ - وَكَانَ شِيرَوَيْهَ لَمَّا قَتَلَ أَبَاهُ كِسْرَى أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ شِيرِينَ أَمْرَةً أُبَيِّهِ ، فَقَالَتْ لَهُ : عَلَى ثَلَاثِ شَرَائِطَ : أَنْ تُخْضِرَ الْحُكَمَاءَ فَأُخْطِطَ لَهُمْ فِي مُعَاوَنَتِهِمْ إِيَّاكَ عَلَى قَتْلِ أَبِيكَ ، حَتَّى لَا يَجْرُؤُوا عَلَى مِثْلِهِ فَيْكَ ، وَأَنْ تَسْتَخْضِرَ لِي نِسَاءَ الْعُظَمَاءِ لِإِسْتَفْيِي بِالْبُكَاءِ عَلَيْهِ ، وَأَنْ تَأْذَنَ لِي فِي حُضُورِ الْمَكَانِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ مَرَّةً ؛ فَقَالَ : كُلُّ ذَلِكَ لَكَ ؛ فَلَمَّا خَطَّأَتْهُمْ وَبَكَتْ عَلَيْهِ وَحَضَرَتْ الْمَكَانَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، أَخْرَجَتْ فَصًّا مَسْمُومًا ، فَمَصَّتْهُ ، فَمَاتَتْ مَكَانَهَا ، وَكَانَتْ قَدْ عَمَدَتْ إِلَى سُمٍّ فَوَضَعَتْهُ فِي بَعْضِ الْخَزَائِنِ ، وَكَتَبَتْ عَلَيْهِ : إِنَّ مَنْ تَنَاوَلَ مِنْهُ وَزَنَ دَانِقًا أَعَانَهُ عَلَى الْجَمَاعِ ؛ فَلَمَّا ظَفَرَ بِهِ [ شِيرَوَيْهَ ] تَنَاوَلَ مِنْهُ ، فَمَاتَ فِي مَكَانِهِ .

\* \* \*

غَيْرَةُ النِّسَاءِ :

١٥٦٠ - جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « أَيُّمَا أَمْرَأَةٍ غَارَتْ فَصَبَرَتْ دَخَلَتْ

الْجَنَّةَ » .

\* \* \*

= صِغَرِهِ ، وَأَزْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ [ البخاري ، رقم : ٣٤٣٤ ؛ مسلم ، رقم : ٢٥٢٧ ] هُوَ مِنَ الْمُرَاعَاةِ : الْحِفْظُ وَالرَّفَقُ وَتَخْفِيفُ الْكُلْفِ وَالْإِثْقَالِ عَنْهُ ، وَذَاتُ يَدِهِ كِتَابَةٌ عَمَّا يُمْلِكُ مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ ... وَإِنَّمَا قُلْتُ : « كُنْتُ أُرْعِيهَا » أَيْ أُرْعِيهَا إِيَّاهَا ، يُقَالُ : أَرْعَاهُ الشَّيْءَ وَأَسْتَرْعَاهُ أَيْ : أَسْتَحْفَظُهُ ، فَرَعَاهُ .



١٥٦١ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ : غَيْرَةُ النِّسَاءِ أَشَدُّ مِنْ غَيْرَةِ الرِّجَالِ ، فَقَالَ آخَرُ : هَذَا وَهُمْ ، فَلَيْسَ مَا يَنَالُ الْمَرْأَةَ إِذَا رَأَتْ امْرَأَةً عَلَى فِرَاشِ زَوْجِهَا مِنْ جِنْسِ مَا يَنَالُ الرَّجُلَ إِذَا رَأَى رَجُلًا عَلَى فِرَاشِ امْرَأَتِهِ .

١٥٦٢ - وَقَالُوا : إِنَّ غَيْرَةَ الْمَرْأَةِ عَلَى الرَّجُلِ لَا تَبْلُغُ وَإِنْ أَفْرَطَتْ مَبْلَغَ غَيْرَةِ الرَّجُلِ عَلَى الْمَرْأَةِ ، أَوْ تَقُولُ : لَا يَنْبَغِي أَنْ تَبْلُغَ غَيْرَةُ الْمَرْأَةِ غَيْرَةَ الرَّجُلِ ، وَمِنْ هُنَا أَحَلَّ اللَّهُ لِلرَّجُلِ وَطْءَ أَرْبَعٍ مِنَ النِّسَاءِ ؛ وَوَطْءَ مَا شَاءَ مِنَ السَّرَّارِ ، لِأَنَّ فِي صَبْرِ الْمَرْأَةِ مُحْتَمَلًا ، وَلَمْ يَجْعَلْ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى غَيْرِ زَوْجِهَا ، لِأَنَّ صَبْرَهُ لَا يَحْتَمِلُهُ ، هَذَا إِلَى حِكْمٍ أُخْرَى لَا تَكَادُ تَخْفَى . . . وَلَكِنَّهُمْ عَلَى هَذَا كُلِّهِ قَالُوا : الْغَيْرَةُ مِنَ النِّسَاءِ مَسْمُوحٌ لَهَا فِيهَا ، وَلَا تُنْكَرُ مِنْ أَخْلَاقِهَا ، وَلَا يُعَاقَبَنَّ عَلَيْهَا<sup>(١)</sup> ، لِأَنَّهُنَّ فُطِرْنَ عَلَيْهَا ، وَلَا يَمْلِكُنَّ أَنْفُسَهُنَّ عِنْدَهَا ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : « لَا تَذَرِي الْغَيْرَى أَعْلَى الْوَادِي مِنْ أَسْفَلِهِ » [كنز العمال ، رقم : ١٣٥٠٧ و ١٣٥٠٨] .

\* \* \*

١٥٦٣ - خَرَجَ رَجُلٌ مَعَ قَتِيْبَةٍ بَنِ مُسْلِمٍ إِلَى خُرَاسَانَ ، وَخَلَفَ امْرَأَةً يُقَالُ لَهَا هِنْدٌ مِنْ أَجْمَلِ نِسَاءِ زَمَانِهَا ، وَلَبِثَ هُنَاكَ سِنِينَ ، فَاشْتَرَى جَارِيَةً أَسْمُهَا جُمَانَةُ ، وَكَانَ لَهُ فَرَسٌ يُسَمِّيهِ الْوَرْدَ ، فَوَقَعَتِ الْجَارِيَةُ مِنْهُ مَوْعِعًا ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ : [من الطويل] :

أَلَا لَا أَبَالِي الْيَوْمَ مَا فَعَلْتَ هِنْدُ      إِذَا بَقِيَتْ عِنْدِي الْجُمَانَةُ وَالْوَرْدُ  
شَدِيدُ مَنَاطِ الْمُنْكَبِينَ إِذَا جَرَى      وَبَيْضَاءُ صِنْهَاجِيَّةٍ زَانَهَا الْعِفْدُ

(١) فَقَدْ ذَهَبَ الْإِمَامُ مَالِكٌ وَغَيْرُهُ مِنْ عُلَمَاءِ الْمَدِينَةِ إِلَى إِسْقَاطِ الْحَدِّ عَنِ الْمَرْأَةِ إِذَا قَدَفَتْ زَوْجَهَا عَلَى جِهَةِ الْغَيْرَةِ .

فَهَذَا لِأَيَّامِ الْحُرُوبِ وَهَذِهِ لِحَاجَةِ نَفْسِي حِينَ يَنْصَرِفُ الْجُنْدُ  
فَنَمِي الشَّعْرَ إِلَيْهَا ، فَقَالَتْ [من الطويل] :

أَلَا أَقْرِهْ مِنِّي السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ غَنِينَا بِفَتَيَانِ غَطَارِفَةٍ مُرْدٍ<sup>(١)</sup>  
مُحَمَّدُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَقَرَّهُمْ شَبَابًا وَأَغْرَاكُم حَوَاقِلَةَ الْجُنْدِ<sup>(٢)</sup>  
إِذَا شِئْتُ غَنَانِي غُلَامٌ مُرَجَّلٌ وَنَازَعَنِي مِنْ مَاءٍ مُعْتَصِرٍ وَرْدٍ<sup>(٣)</sup>  
وَإِنْ شَاءَ مِنْهُمْ نَاشِئٌ مَدَّ كَفَّهُ عَلَى كَتِدِ مَلَسَاءٍ أَوْ كَفَلَ نَهْدٍ<sup>(٤)</sup>  
فَمَا كُنْتُمْ تَقْضُونَ مِنْ حَاجِ أَهْلِكُمْ شُهُودًا ، قَضَيْنَاهَا عَلَى الثَّأْيِ وَالْبُعْدِ<sup>(٥)</sup>  
فَعَجَّلْ عَلَيْنَا بِالسَّرَاحِ فَإِنَّهُ مُنَانَا وَلَا نَدْعُو لِقَوْلِكَ بِالرَّدِّ<sup>(٦)</sup>  
فَلَا قَوْلَ الْجُنْدِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِمْ وَزَادَكَ رَبُّ النَّاسِ بُعْدًا إِلَى بُعْدِ  
فَلَمَّا وَرَدَ كِتَابُهَا لَمْ يَزِدْ عَلَى أَنْ رَكِبَ فَرَسَهُ وَأَزْدَفَ الْجَارِيَةَ ، وَلِحَقَّ بِهَا ،  
فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ بَدَأَ بِهِ بَعْدَ السَّلَامِ أَنْ قَالَ : يَا اللَّهِ ! هَلْ كُنْتُ فَاعِلَةً ؟ قَالَتْ : اللَّهُ  
أَجَلٌ فِي قَلْبِي وَأَعْظَمُ ، وَأَنْتَ فِي عَيْنِي أَذَلُّ وَأَخْقَرُ مِنْ أَنْ أَغْصِيَ اللَّهَ فِيكَ !  
فَكَيْفَ ذُقْتَ طَعْمَ الْغَيْرَةِ ؟ فَوَهَبَ لَهَا الْجَارِيَةَ وَانْصَرَفَ إِلَى بَعْثِهِ .

\* \* \*

- (١) غَطَارِفَةٌ ، جَمْعُ غَطْرِيفٍ ، وَهُوَ الْفَتَى الْجَمِيلُ ، أَوْ الشَّابُّ السَّرِيفُ السَّخِيُّ .  
(٢) الْحَوَاقِلَةُ ، جَمْعُ حَوَقَلٍ ، وَهُوَ : الرَّجُلُ الْمُسْنُ .  
(٣) « مُرَجَّلٌ » : مُسَرَّحُ الشَّعْرِ ، وَ« وَرْدٌ » : أَحْمَرُ ، وَ« مُنَازَعَةُ الْكَأْسِ » : مُعَاطَاةُهَا ، قَالَ  
عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَنْتَزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا تَغُولُ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِ ﴾ [٥٢ سورة الطور/ الآية : ٢٣] ، أَيْ :  
يَتَعَاطَوْنَ ، وَالْأَصْلُ فِيهِ يَتَجَادَبُونَ ، تُرِيدُ : تَعَاطَى مَعِيَ مِنْ بَنَاتِ الْخَانِ .  
(٤) الْكَتِدُ ، كَتَيْفٍ وَسَبَبٍ : مُجْتَمَعُ الْكَتَفَيْنِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْفَرَسِ ، وَتُرْوَى \* عَلَى عُنِي  
مَلَسَاءَ \* وَالْعُكْنُ : ثَنَاءُ الْبَطْنِ ، وَ« الْكَفَلُ الْنَهْدُ » : الْعَجْزُ الْمَشْرِفُ الْمُرْتَفِعُ الْجَسِيمُ  
الْكَثِيرُ اللَّحْمِ .  
(٥) تَقُولُ : إِنَّ الَّذِي كُنْتُمْ تَقْضُونَهُ مِنْ حَاجَاتِ أَهْلِكُمْ ، وَأَنْتُمْ حَاضِرُونَ قَضَيْنَاهُ وَأَنْتُمْ غَائِبُونَ .  
(٦) السَّرَاحُ : الْطَّلَاقُ .

١٥٦٤ - وَكَانَ رَجُلٌ بِالْكُوفَةِ مُتَزَوِّجاً بِابْنَةِ عَمِّهِ ، وَلَهُ ضَيْعَةٌ بِالْبَصْرَةِ ،  
يَخْرُجُ إِلَيْهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ ، فَتَزَوَّجَ امْرَأَةً بِالْبَصْرَةِ ، فَسَقَطَ خَبْرُهَا إِلَى ابْنَةِ عَمِّهِ ،  
فَكَتَبَتْ يَوْمًا كِتَابًا عَنْ أُمِّ الْبَصْرِيَّةِ تُعْزِيهِ فِي ابْنَتِهَا وَتُسْتَعِجِلُهُ لِقِسْمَةِ مِيرَاثِهَا ،  
وَدَفَعَتْهُ إِلَى رَجُلٍ غَرِيبٍ ، وَأَمَرَتْهُ بِأَنْ يُوصِلَهُ إِلَيْهِ خُفِيَّةً ، فَلَمَّا قَرَأَهُ تَجَهَّزَ ،  
وَقَالَ : إِنَّ أَمْرَ ضَيْعَتِي قَدْ تَشَعَّثَ بِالْبَصْرَةِ ؛ وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ أَلِمَّ بِهَا ؛ فَقَالَتْ  
الْمَرْأَةُ : كَمْ تَقُولُ الْبَصْرَةُ ! أَحْسِبُكَ ذَا امْرَأَةٍ بِالْبَصْرَةِ تَشْتَاقُ إِلَيْهَا ! أَخْلِفْ لِي  
بِطَلَاقِ كُلِّ زَوْجَةٍ لَكَ بِالْبَصْرَةِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ فِي نَفْسِهِ : وَمَا يَضُرُّنِي ذَلِكَ وَقَدْ  
مَاتَ امْرَأَتِي بِهَا ! فَحَلَفَ لَهَا ، فَقَالَتْ : اسْتَقَرَّ الْأَمْرُ ، فَلَا بَأْسَ بِالضَّيْعَةِ ؛  
وَأَخْبَرْتُهُ بِالْخَبَرِ .

\* \* \*

وَمِنْ النِّسَاءِ مَنْ يُنْكِرُ الْغَيْرَةَ :

١٥٦٥ - وَمِنْ النِّسَاءِ أَلْعَاقِلَاتُ الطَّيِّبَاتِ اللَّائِي يُذَرِّكْنَ الْفُرْقَانَ بَيْنَ غَيْرَةِ  
النِّسَاءِ وَغَيْرَةِ الرِّجَالِ ، وَأَنَّهُ يَجْمَلُ بِالْمَرْأَةِ أَنْ تَضْرِبَ صَفْحاً عَنِ الْغَيْرَةِ وَتَعْلِزَ  
الرِّجَالَ إِذَا هُمْ أَقْدَمُوا عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوهُنَّ .

كَانَتْ صَفِيَّةُ [ حَفْصَةُ ] بِنْتُ سِيرِينَ ، أُخْتُ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ ، تَقُولُ : أَمَا  
تَسْتَحْيِ الْحُرَّةُ أَنْ تَغَارَ ! . . . وَارَادَتْ يَوْمًا أَنْ تَدْخُلَ إِلَى بَيْتِهَا ، فَإِذَا زَوْجُهَا مَعَ  
جَارِيَةٍ لَهُ عَلَى فِرَاشِهَا ، فَأَغْلَقَتْ عَلَيْهِمَا الْأَبَابَ ، وَأَنْصَرَفَتْ ! فَضَحِكَ وَقَالَ :  
قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ عَرَفْتَ ، وَالْجَارِيَةُ لَكَ . [ تحفة العروس ، رقم : ١٠٣١ ] .

\* \* \*

قَدْ تَكُونُ إِغَارَةُ الْعَاقِرِ سَبِيًّا فِي حَمْلِهَا :

١٥٦٦ - قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُضْعَبٍ : شَكَا إِلَيَّ هَارُونُ الرَّشِيدُ وَهُوَ وَلِيُّ عَهْدٍ أَنْ أُمَّ جَعْفَرَ لَا تَحْمِلُ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : أَغْرَهَا ؛ وَحَدَّثَنِي حَدِيثَ إِبْرَاهِيمَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ سَارَةَ ، وَأَنَّهَا كَانَتْ لَا تَحْمِلُ ، فَاتَّخَذَ هَاجِرَ ، فَحَمَلَتْ بِإِسْمَاعِيلَ ، فَعَارَتْ سَارَةَ ، فَحَمَلَتْ بِإِسْحَاقَ ؛ قَالَ : فَاتَّخَذَ هَارُونُ الرَّشِيدُ مَرَاجِلَ ؛ فَحَمَلَتْ بِالْمَأْمُونِ ، وَحَمَلَتْ زُبَيْدَةَ بِالْأَمِينِ . وَكَانَ الرَّشِيدُ يُبْجِلُ أُمَّ جَعْفَرَ وَيُعْظِمُهَا ، وَكَانَ يَقُولُ : رُبَّمَا أَرَدْتُ غَشِيَانَهَا فَأَهَايُهَا ، فَيَأْخُذُ فِي الزَّمْعِ <sup>(١)</sup> حَتَّى يَمْنَعَنِي مِنْهَا ؛ وَلَوْلَا رَغْبَتُهُ فِي الْوَلَدِ لَمْ يُغْرَهَا بِالتَّسْرِي عَلَيْهَا ، قَالَ : وَكَانَتْ تَقُولُ لِي : إِيَّاكَ أَنْ تَجْعَلَنِي فِي مَنْزِلَةِ إِمَائِكَ الْإِلَاتِي تُرِيدُ الْتَلَذُّذَ وَالتَّمَتُّعَ بِهِنَّ .

[ تحفة العروس ، ١ ، رقم : ١٠٣٢ ] .

\* \* \*

أَبْيَاتٌ مُخْتَارَةٌ فِي غَيْرَةِ الْمَرْأَةِ :

١٥٦٧ - قَالَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، أَوْ بَعْضُ الْحِجَازِيِّينَ ، وَهِيَ مِمَّا اخْتَارَهُ أَبُو تَمَّامٍ فِي « حِمَاسَتِهِ » [ من الخفيف ] :

خَبَرُوهَا بِأَنِّي قَدْ تَزَوَّجْتُ فَظَلَّتْ تُكَاتِمُ الْغَيْظَ سِرًّا  
ثُمَّ قَالَتْ لِأُخْتِهَا وَلِأُخْرَى جَزَعًا <sup>(٢)</sup> : لَيْتَهُ تَزَوَّجَ عَشْرًا  
وَأَشَارَتْ إِلَى نِسَاءٍ لَدَيْهَا لَا تَرَى دُونَهُنَّ لِلْسَّرِّ سِتْرًا <sup>(٣)</sup>

(١) الزَّمْعُ : الدَّهْشُ . وَالزَّمْعُ : رَغْدَةٌ تَغْتَرِي الْإِنْسَانَ إِذَا هَمَّ بِأَمْرٍ .

(٢) جَزَعًا : مَفْعُولٌ لِأَجْلِهِ .

(٣) سِتْرًا ، يَجُوزُ فَتُحَ السَّيْنِ وَكُسْرُهَا فِيهَا ، فَالْسِتْرُ : الْمَصْدَرُ ، وَالْسِتْرُ أَخَذَ السُّتُورِ .

مَا لِقَلْبِي كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي وَعِظَامِي كَأَنَّ فِيهِنَّ فَتْرًا<sup>(١)</sup>  
مِنْ حَدِيثٍ نَمَا إِلَيَّ فَطِيعٌ خِلْتُ فِي الْقَلْبِ مِنْ تَلْظِيهِ جَمْرًا

[ ديوان الحماسة ، صفحة : ٦٢٠ ، رقم : ٨٤٧ ؛ « تحفة العروس » ، رقم : ١٠٣٣ .

[ راجع رقم : ١٥٩٩ .

\* \* \*

جَوَارُ ذَبِّ الرَّجُلِ عَنْ ابْنَتِهِ فِي الْغَيْرَةِ :

١٥٦٨ - جاء في « صحيح البخاري » [رقم : ٥٢٣٠ ؛ مسلم ، رقم :  
٢٤٤٩] : قَالَ الْمِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ عَلَى  
الْمِنْبَرِ : « إِنَّ بَنِي هِشَامَ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُوا فِي أَنْ يُنكِحُوا ابْنَتَهُمْ<sup>(٢)</sup> عَلِيَّ ابْنَ  
أَبِي طَالِبٍ ، فَلَا آذَنُ ، ثُمَّ لَا آذَنُ ، ثُمَّ لَا آذَنُ ، إِلَّا أَنْ يُرِيدَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ  
يُطْلَقَ ابْنَتِي وَيُنْكَحَ ابْنَتَهُمْ ، فَإِنَّمَا هِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي ، يَرِيئُنِي مَا رَابَهَا ، وَيُؤْذِنُنِي  
مَا آذَاهَا » ..

وَكَانَ هَذَا مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِشْفَاقًا عَلَى فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنْ  
تَنَالَ مِنْهَا الْغَيْرَةُ ، وَتُفْتَنَ فِي دِينِهَا مِنْ جِهَةٍ ، وَلَئِنْ بِنْتُ أَبِي جَهْلٍ هِيَ بِنْتُ عَدُوِّ  
الْمُصْطَفَى ، وَإِنْ كَانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ ؛ وَيُرَوَّى أَنَّ عَلِيًّا لَمَّا رَأَى مِنَ الْمُصْطَفَى  
إِنْكَارًا لِهَذَا الزَّوْجِ قَالَ : لَا آتِي شَيْئًا تَكْرَهُهُ ؛ وَكُلُّ هَذَا وَإِنْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ :  
« جَدَعَ الْحَلَالُ أَنْفَ الْغَيْرَةِ » [ « مجمع الأمثال » ، رقم : ٨٥٤ ] وَمَعْنَاهُ حَتَّى الزَّوْجَةُ  
عَلَى تَرْكِ الْغَيْرَةِ إِذَا تَزَوَّجَ زَوْجُهَا عَلَيْهَا .

\* \* \*

(١) فَتْرَ الْإِنْسَانُ : لَانَتْ مَقَاصِلُهُ .

(٢) هِيَ بِنْتُ أَبِي جَهْلٍ ، وَأَخَذَهَا عِكْرِمَةُ ابْنُ أَبِي جَهْلٍ بِنِ هِشَامٍ .

الْمَيْلُ إِلَى الْمَمْنُوعِ وَالرَّغْبَةُ عَمَّنْ يُشْرِكُ فِيهِ غَيْرُكَ :

١٥٦٩ - قَالَ يَزِيدُ ابْنُ الطَّحْطِثَةِ [من الطويل] :

أَعَافُ الَّذِي لَا هَوْلَ دُونَ لِقَائِهِ وَأَهْوَى مِنَ الشُّرْبِ الْحَرِيرِ الْمُمْتَعَا

\* \* \*

١٥٧٠ - وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ [من الكامل] :

غَالِي الْهَوَى مِمَّا يُرْقِصُ هَامَتِي وَرَوَيْتِي الْكُتْفُ الَّتِي لَمْ تُنْهَلْ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

١٥٧١ - وَقَالَ دِغْبَلُ [من الكامل] :

قَصَرَ الْغَوَايَةَ عَنْ هَوَى قَمَرٍ وَجَدَ السَّبِيلَ إِلَيْهِ مُشْتَرَكَا

\* \* \*

١٥٧٢ - وَقَالَ آخَرُ [من الطويل] :

تَبِعْتُكَ لَمَّا كُنْتَ عِنْدِي مُمْتَعَاً وَأَمْسَكْتُ لَمَّا صِرْتَ نَهَباً مُقَسَّمَا  
وَلَا يَلْبَثُ الْحَوْضُ الْجَدِيدُ بِنَاؤُهُ إِذَا كَثَرَ الْوَرَادُ أَنْ يَتَهَدَّمَا

\* \* \*

١٥٧٣ - وَكَانَ لِأَبِي نُوَّاسٍ صَدِيقَةٌ اتَّصَلَتْ بِصَدِيقٍ لَهُ<sup>(٢)</sup> ، فَأَنْشَأَ قَصِيدَةً

(١) رَوَيْتِي : مُؤَنَّثُ رَوَيْتِي ، وَهُوَ أَلْمَاءُ النَّأَمِ الرَّيِّ ، وَالْكَتْفُ ، جَمْعُ نَظْفَةٍ ، وَهُوَ : أَلْمَاءُ الصَّافِي قَلَّ أَوْ كَثُرَ ؛ وَلَمْ تُنْهَلْ : لَمْ يَشْرَبْ مِنْهَا أَوَّلًا ، يَقُولُ : إِنَّهُ لَا يَرَوِينِي إِلَّا أَلْمَاءَ الَّذِي لَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ أَحَدٌ قَبْلِي ، وَذَلِكَ تَمْثِيلٌ يُرِيدُ أَنَّهُ لَا يُرْضِيهِ مِنَ الصَّبَابَةِ إِلَّا مَا لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، أَيْ : الْهَوَى الْعَالِي الَّذِي لَا يُطْرَبُنِي سِوَاهُ .

(٢) قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ شَيْبَةَ : قُلْتُ لِأَبِي نُوَّاسٍ : مَاذَا أَرَدْتَ بِقَوْلِكَ : لَا أَدُودُ الطَّيْرِ عَنْ شَجَرٍ ... =

يَمْدَحُ بِهَا الْعَبَّاسَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ ابْنَ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ ، وَجَعَلَ مَطْلَعَهَا مُعْرِضاً  
لِهَذِهِ الْقِصَّةِ ، وَقَالَ [من المديد] :

أَيُّهَا الْمُنتَابُ عَنْ عُفْرَةٍ      لَسْتُ مِنْ لَيْلِي وَلَا سَمَرِهِ<sup>(١)</sup>  
لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ      قَدْ بَلَوْتُ الْمُرَّ مِنْ ثَمَرِهِ<sup>(٢)</sup>  
قَدْ لَبَسْتُ الدَّهْرَ لَيْسَ فَتًى      أَخَذَ الْأَدَابَ عَنْ غَيْرِهِ<sup>(٣)</sup>  
فَأَتَّصِلُ إِنْ كُنْتُ مُتَّصِلاً      بِقَوًى مَنْ أَنْتَ مِنْ وَطَرِهِ<sup>(٤)</sup>  
خِفْتُ مَأْثُورَ الْحَدِيثِ غَدَاً      وَغَدَّ أَدْنَى لِمُتَّظَرِهِ<sup>(٥)</sup>  
خَابَ مَنْ أَسْرَى إِلَى بَلَدٍ      غَيْرِ مَعْلُومٍ مَدَى سَفَرِهِ  
وَسَدَّتْهُ ثَنِي سَاعِدِهِ      سِنَّةٌ حَلَّتْ إِلَى شُفْرِهِ<sup>(٦)</sup>

\* \* \*

الْبَيْتُ ؟ فَقَالَ : أَخْبِرْكَ ، كَانَتْ لِي صَدِيقَةٌ تُحِبُّنِي ، فَقِيلَ لِي : إِنَّهَا تَخْتَلِفُ إِلَى آخَرٍ مِنْ أَهْلِ  
الرَّيِّبِ ، فَلَمْ أَصْدُقْ ، حَتَّى تَبْتَغِيَهَا ، فَرَأَيْتُهَا تَدْخُلُ إِلَى مَنْزِلِ ذَلِكَ الرَّجُلِ ، ثُمَّ زَارَنِي بَعْدَ  
ذَلِكَ الرَّجُلِ ، وَكَانَ صَدِيقاً ، فَصَرَفْتُ وَجْهِي عَنْهُ ، وَقُلْتُ : أَيُّهَا الْمُنتَابُ ... الْبَيْتَيْنِ ، ثُمَّ  
أَخْبَيْتُ أَنْ أَجْعَلَهُمَا مَطْلَعَ مِدْحَةٍ لِلْعَبَّاسِ ...

(١) الْمُنتَابُ ، مِنْ قَوْلِكَ : أَنْتَابُ الرَّجُلِ : قَصْدُكَ وَأَنَّاكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَالْعُفْرُ بِضَمِّتَيْنِ هُنَا وَبِضَمٍّ  
فَسُكُونٍ : طُولُ الْعَهْدِ ، يُقَالُ : مَا أَلْفَاكَ إِلَّا عَنْ عُفْرٍ ، تُرِيدُ : بَعْدَ حِينٍ أَوْ بَعْدَ شَهْرٍ وَنَحْوِهِ ،  
وَقَوْلُهُ : لَسْتُ مِنْ لَيْلِي وَلَا سَمَرِهِ : بَرَاءَةٌ مِنْهُ ، وَالسَّمَرُ : حَدِيثُ اللَّيْلِ خَاصَّةً ، وَمَجْلِسُ  
السَّمَرِ ، كَالسَّامِرِ .

(٢) شَبَّهَ صَدِيقَهُ بِالطَّيْرِ ، وَصَاحِبَتَهُ بِالشَّجَرِ ، وَخِيَانَتَهَا لَهُ بِمُرِّ ثَمَرِهِ .

(٣) يَقُولُ : صَاحِبَتِ الدَّهْرَ حَتَّى تَعْلَمْتُ مِنْ حَوَادِثِهِ ، فَلَسْتُ أَخْذَعُ .

(٤) الْوَطَرُ : الْحَاجَةُ ؛ وَالْقَوًى : الْأَسْبَابُ - الْحِبَالُ - يَقُولُ : أَتَّصِلُ بِمَنْ يُحِبُّ الْأَتَّصَالَ بِكَ دُونِي .

(٥) يَقُولُ : خِفْتُ الشُّهُرَةَ وَالسَّمْعَةَ السَّيِّئَةَ .

(٦) يَتَذَكَّرُ أَنَّ يَكُونَ هَذَا تَمْثِيلاً لِحَالِهِ مَعَهَا إِذَا أَتَّصَلَ بِهَا دُونَ أَنْ يَتَبَصَّرَ فِي الْعَوَاقِبِ فَخَاتِنَتُهُ ؛  
وَأَسْرَى : سَافَرَ ؛ وَالْمَدَى : الْغَايَةُ وَالنَّهْيَاةُ ؛ وَالسُّفْرُ : مُتَّبِعُ السُّفْرِ مِنَ الْجَفْنِ ؛ وَسِنَّةٌ  
حَلَّتْ إِلَى شُفْرِهِ ، يُرِيدُ : ثِقَلَتِ الْتَّوَمُ ، وَأَنَّ هَذَا الْتَّوَمُ الْثَقِيلُ يَجْعَلُهُ يَتَّخِذُ سَاعِدَهُ وَسَادَةً لَهُ .

أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَ :

١٥٧٤ - وَلِمُنَاسَبَةِ مَا أوردنا في هَذَا الْمَعْنَى نَسْتَوْفِي الْقَوْلَ فِيهِ وَإِنْ كَانَ  
مَا نُورِدُهُ الآنَ لَيْسَ مِنْ نَصِّ الْبَابِ ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ قَبِيلِ آخَرٍ أَعَمٍّ وَأَتْمَلُ ، مِنْ  
قَبِيلِ أَنَّ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْأَخْوَصِ [من البسيط] :  
وَزَادَهُ كَلَفًا بِالْحُبِّ أَنْ مَنَعَتْ وَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا<sup>(١)</sup>

\* \* \*

١٥٧٥ - وَقَوْلُ ابْنِ الْرُّومِيِّ [من الطويل] :

إِذَا أَلِفَ الشَّيْءُ اسْتَهَانَ بِهِ الْفَتَى فَلَمْ يَرَهُ بُؤْسَى تُعَدُّ وَلَا نُعْمَى  
كَإِنْفَاقِهِ مِنْ عُمْرِهِ وَمَسَاغِهِ مِنْ الرِّيقِ عَذْبًا لَا يُحْسِنُ لَهُ طَعْمًا

\* \* \*

١٥٧٦ - وَقَالُوا : كُلُّ مَقْدُورٍ عَلَيْهِ مَمْلُوءٌ مَخْقُورٌ .

\* \* \*

١٥٧٧ - وَالْعَجَمُ تَقُولُ : كُلُّ عِزٍّ تَحْتَ الْقُدْرَةِ فَهُوَ ذَلِيلٌ .

\* \* \*

(١) جَاءَ هَذَا الْبَيِّنَاتُ فِي « لِسَانِ الْعَرَبِ » :

وَزَادَهُ كَلَفًا بِالْحُبِّ أَنْ مَنَعَتْ وَحَبُّ شَيْئًا إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا  
وَأَصْلُ حَبِّ حَبِّ بِضَمِّ الْبَاءِ ، ثُمَّ أَسْكَنْتُ وَأَذْغَمْتُ فِي الثَّانِيَةِ ، وَ« مَا » مِنْ قَوْلِهِ : مَا مُنِعَا ؛  
فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِحَبِّ ؛ أَمَّا الرَّوَايَةُ الْأُولَى ، فَقَدْ أوردَهَا النُّحَوِيُّونَ عَلَى أَنَّ حَبَّ ، أَفْعَلُ  
تَفْضِيلِ حَذَفَتْ هَمْزَتُهُ ، مِثْلُ : خَيْرٌ وَشَرٌّ ، إِلَّا أَنَّ الْحَذَفَ فِيهِمَا هُوَ الْكَثِيرُ ، وَالْحَذَفُ فِي  
أَحَبِّ قَلِيلٌ .



الْغَيْرَةُ عَلَى الْمَحْبُوبِ :

١٥٧٨ - قَالَ بَعْضُهُمْ [من المتقارب] :

أَغَارُ عَلَيْكَ مِنَ النَّاطِرِينَ      فَلَوْ أَسْتَطِيعُ طَمَسْتُ أَلْعُيُونَا

\* \* \*

١٥٧٩ - وَقَالَ آخَرُ [من مجزوء الوافر] :

أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْ قُبْلِي      وَإِنْ أُعْطِيتَنِي أَمْلِي  
وَأُشْفِقْتُ أَنْ أَرَى خَدِّي      كِ نَضَبَ مَوَاقِعِ الْمَقَلِّ

\* \* \*

١٥٨٠ - وَقَالَ [من الطويل] :

أَغَارُ عَلَى نَفْسِي لَهَا وَتَغَارُ لِي      عَلَى نَفْسِهَا إِنَّ أَلْهَوَى لَعَجِيبُ  
عَلَى أَنَا لَمْ نَذُنْ يَوْمًا لِرِيَّةٍ      وَلَا مِثْلُنَا فَيَمَنْ يُرِيبُ يُرِيبُ

\* \* \*

١٥٨١ - وَقَالَ الْخُبَزَارِيُّ [من الكامل] :

إِنِّي لِأَخْسُدُ نَاطِرِي عَلَيْكَ      حَتَّى أَغْضَّ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ

\* \* \*

١٥٨٢ - وَكَانَ لِلشَّاعِرِ دِيكَ الْجِنَّ ، وَأَسْمُهُ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ رَغْبَانَ ، شَاعِرٌ

فَحُلَّ مِنْ شُعَرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، كَانَ لَهُ جَارِيَةٌ يَهْوَاهَا ، وَغُلَامٌ وَصِيفٌ كَانَ يَهْوَاهُ ، فَاتَّهَمَ الْجَارِيَةَ بِالْوَصِيفِ ، وَقَتْلَهُمَا ، ثُمَّ نَدِمَ عَلَى ذَلِكَ ، فَأَكْثَرَ فِي

التَّغْزُلِ فِيهَا ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ [من الكامل] :

يَا طَلْعَةَ طَلَعَ الْحِمَامُ عَلَيْهَا      وَجَنَى لَهَا ثَمَرَ الرَّدَى بِيَدِهَا  
رَوَيْتُ مِنْ دَمِهَا الثَّرَى وَلَطَالَمَا      رَوَى الْهَوَى شَفَتَيَّ مِنْ شَفَتَيْهَا  
مَكَّنْتُ سِنْفِي مِنْ مَجَالٍ وَشَاحِهَا      وَمَدَامَعِي تَجْرِي عَلَى خَدَّيْهَا  
فَوَحَقَّ نَعْلَيْهَا وَمَا وَطِئَ الْخَصَا      شَيْءٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَعْلَيْهَا  
مَا كَانَ قَتْلُهَا لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ      أَبْكِي إِذَا سَقَطَ الْغُبَارُ عَلَيْهَا  
لَكِنْ بَخَلْتُ عَلَى سِوَايَ بِحُبِّهَا      وَأَنْفَتُ مِنْ نَظَرِ الْغُلَامِ إِلَيْهَا

\* \* \*

١٥٨٣ - وَلَهُ فِي الْغُلَامِ آيَاتٌ ، مِنْهَا هَذَا الْبَيْتُ [من الكامل] :

لَوْ كَانَ يَذْرِي الْمَيِّتُ مَاذَا بَعْدَهُ      بِالْحَيِّ مِنْهُ بَكَى لَهُ فِي قَبْرِهِ

\* \* \*

١٥٨٤ - وَمِنْ قَوْلِ الْبَهَاءِ زُهَيْرٍ فِي غَيْرَتِهِ عَلَى مَنْ يَهْوَاهُ [من الكامل] :

وَأَنْزَرُهُ أَسْمَكَ أَنْ تَمُرَّ حُرُوفُهُ      مِنْ غَيْرَتِي بِمَسَامِعِ الْجُلَاسِ  
فَأَقُولُ : بَعْضُ النَّاسِ ، عَنْكَ كِنَايَةٌ      خَوْفُ الْوُشَاةِ ، وَأَنْتِ كُلُّ النَّاسِ  
وَأَغَارُ إِنْ هَبَّ النَّسِيمُ لِأَنَّهُ      مُغَرِّى بِهِزْ قَوَائِمِ الْمَيَّاسِ  
وَيَرُوعُنِي سَاقِي الْمُدَامِ إِذَا بَدَا      فَأُظَنُّ خَدَّكَ مُشْرِقًا فِي الْكَاسِ

\* \* \*

يَصُونُ مَخْبُوبَهُ عَنْ ذِكْرِهِ عِنْدَ الرِّجَالِ :

١٥٨٥ - قَالَ [من الوافر] :

وَلَسْتُ بِوَاصِفٍ أَبَدًا خَلِيلًا      أَعَرَّضُهُ لِأَهْوَاءِ الرِّجَالِ

وَمَا بَالِي أُشَوِّقُ عَيْنَ غَيْرِي إِلَيْهِ وَدُونَهُ سَجَمًا أَلْحَجَالَ<sup>(١)</sup>  
كَأَنِّي أَشْتَهِي الشُّرَكَاءَ فِيهِ وَأَمَّنْ فِيهِ تَغْيِيرَ أَلْيَالِي

\* \* \*

١٥٨٦ - وَلَمَّا أَنْشَدَ نَضِيبُ الشَّاعِرُ بِحَضْرَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ [من الطويل]

أَهِيْمُ بِدَعْدٍ مَا حَيْثُ فَإِنْ أُمْتُ أَوْكُلُ بِدَعْدٍ مَنْ يَهِيْمُ بِهَا بَعْدِي  
فَكُلُّ عَابَةٍ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : فَلَوْ كَانَ إِلَيْكُمْ ، كَيْفَ كُنْتُمْ قَائِلِينَ ؟

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : كُنْتُ أَقُولُ [من الطويل] :

أَهِيْمُ بِدَعْدٍ مَا حَيْثُ فَإِنْ أُمْتُ فَوَاحِزَنَا مَنْ ذَا يَهِيْمُ بِهَا بَعْدِي  
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَا قُلْتَ وَاللَّهِ أَسْوَأُ مِمَّا قَالَهُ ؛ فَقِيلَ لَهُ : فَكَيْفَ كُنْتَ  
قَائِلًا فِي ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ : كُنْتُ أَقُولُ [من الطويل] :

أَهِيْمُ بِدَعْدٍ مَا حَيْثُ فَإِنْ أُمْتُ فَلَا صَلَاحَتْ دَعْدٌ لِذِي خُلَّةٍ بَعْدِي  
فَقَالُوا : أَنْتَ وَاللَّهِ أَشْعَرُ الثَّلَاثَةِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

\* \* \*

١٥٨٧ - وَلَمَّا قَالَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجَعْفَرِيُّ مِنْ وَلَدِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

[من الطويل] :

وَلَمَّا بَدَأَ لِي أَنْهَا لَا تُحِثِّنِي وَأَنْ هَوَاهَا لَيْسَ عَنِّي بِمُنْجَلٍ  
تَمَنِّيْتُ أَنْ تُبْلَى بِغَيْرِي لَعَلَّهَا تَذُوقُ مَرَارَاتِ الْهَوَى فَتَرِقَّ لِي  
عَيْرَ بِهَذَا حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يُسَمَّى الْمُتَدَيِّثَ فِي شِعْرِهِ ، قَالَ : وَكُنْتُ مَحْبُوسًا

(١) أَلَسَّجَفَانِ : السُّرَّانِ ؛ وَالْحَجَّالُ ، جَمْعُ حَجَلَةٍ ، وَهِيَ : شَيْءٌ يُشَبُّهُ الْقُبَّةُ ، لَهُ سِتْرَانِ .

فِي بَعْضِ الْأَحَابِينِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى بَابِ السَّجَنِ ، فَقَالَ : أَيْنَ الْمُتَدَيُّثُ فِي  
شِعْرِهِ ؟ فَقُلْتُ : لَيْتَنِي كَانَ مِنِّي ذَلِكَ الْقَوْلُ ، إِنِّي أَقُولُ [مِنَ الْخَفِيفِ] :  
رُبَّمَا سَرَّني صُدُودُكَ عَنِّي فَإِذَا مَا خَلَرْتُ كُنْتَ التَّمَنِّي

\* \* \*

التَّدْيُثُ :

١٥٨٨ - التَّدْيُثُ فِي اللَّغَةِ :

دَيُّتَ الْأَمْرَ : دَلَّلُهُ ، وَدَيُّتَ الطَّرِيقَ : دَلَّلَهُ وَوَطَّأَهُ ؛ وَدَيُّتَ الرَّجُلَ : دَلَّلَهُ  
وَلَيَّنَّهُ ؛ وَالدَّيُّوثُ : الْقَوَادُ عَلَى أَهْلِهِ ؛ وَالَّذِي لَا يَغَارُ عَلَى أَهْلِهِ : دَيُّوثٌ ؛  
وَفِي « الْمُحْكَمِ » : الدَّيُّوثُ : الَّذِي يَدْخُلُ الرِّجَالُ عَلَى حُرْمَتِهِ بِحَيْثُ يَرَاهُمْ ،  
كَأَنَّهُ لَيْتَنَ نَفْسَهُ ؛ وَقَالَ الْإِمَامُ ثَعْلَبُ : الدَّيُّوثُ ، هُوَ : الَّذِي تُؤْتَى أَهْلُهُ وَهُوَ  
يَعْلَمُ ، مُشْتَقٌّ مِنْ ذَلِكَ ( قَوْلُ ثَعْلَبٍ : تُؤْتَى أَهْلُهُ ) أَنْتَ الْأَهْلُ ، فَقَالَ : تُؤْتَى  
عَلَى مَعْنَى الْمَرْأَةِ .

وَقَالَ الثَّعَالِبِيُّ فِي « فِقْهِ اللَّغَةِ » : إِذَا كَانَ الرَّجُلُ يُغْضِي عَلَى مَا يَسْمَعُ مِنْ  
هَنَاتِ أَهْلِهِ فَهُوَ دَيُّوثٌ ، فَإِذَا كَانَ يُغْضِي عَلَى مَا يَرَى مِنْهَا فَهُوَ قُنْدُغٌ ، فَإِذَا  
زَادَتْ جَفَلَتُهُ وَعُدِمَتْ غَيْرَتُهُ فَهُوَ طَسِيعٌ طَرِيعٌ ، فَإِذَا كَانَ يَتَغَافَلُ عَنْ فُجُورِ أَمْرَأَتِهِ  
فَهُوَ مَغْلُوبٌ ، فَإِذَا تَغَافَلَ عَنْ فُجُورِ أُخْتِهِ فَهُوَ مَرْمُوثٌ .

\* \* \*

ذَمُّ التَّدْيُثِ :

١٥٨٩ - فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « تَحْرُمُ الْجَنَّةُ عَلَى الدَّيُّوثِ » أَيْ : الَّذِي  
لَا يَغَارُ عَلَى أَهْلِهِ . وَأَنْظُرْ مَا قِيلَ فِي مَدْحِ الْغَيَرَةِ . [ الْأَرْقَامُ : ١٥٢٨ - ١٥٤٣ ] .

\* \* \*

عُذِرُ الرَّاغِبِينَ عَنِ الزَّوْاجِ :

١٥٩٠ - قِيلَ لِمَالِكِ بْنِ دِينَارٍ : لَوْ تَزَوَّجْتَ ! فَقَالَ : إِنِّي طَلَقْتُ الدُّنْيَا ثَلَاثًا ، فَلَا رَجْعَةَ لِي فِيهَا !

\* \* \*

١٥٩١ - وَقَالُوا : مَا فَكَّرَ فَيَلْسُوفُ إِلَّا وَرَأَى الْعُزُوبَةَ أَجْمَعَ لَهُمْ ، وَأَجُودَ لِحَاطِرِهِ .

\* \* \*

١٥٩٢ - وَسُئِلَ حَكِيمٌ عَنِ التَّزْوُجِ ، فَقَالَ : بَقُلْ شَهْرٍ ، وَشَوْكُ دَهْرٍ .

\* \* \*

١٥٩٣ - وَقَالَ آخَرُ : مُكَابَدَةُ الْعِفَّةِ عَنْهُمْ أَيْسَرُ مِنَ الْاِخْتِيَالِ لِمَصْلَحَتِهِمْ وَمَصْلَحَةِ عِيَالِهِمْ .

\* \* \*

١٥٩٤ - وَقَالَ رَجُلٌ آخَرُ : كُنَّا فِي إِمْلَاكِ فُلَانٍ ، فَقَالَ : لَا تَقُلْ فِي إِمْلَاكِ ، وَلَكِنْ فِي إِهْلَاكِ<sup>(١)</sup> . . . ثُمَّ أَنْشَدَ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

يَقُولُونَ : تَزْوِيجٌ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ الرِّقُّ إِلَّا أَنَّ مَنْ شَاءَ يَكْذِبُ

\* \* \*

١٥٩٥ - وَفِي الْحَدِيثِ : « لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُغَبَطُ الرَّجُلُ فِيهِ لِخِفَّةِ

(١) إِمْلَاكٌ ، يَكْسِرُ الِهْمَزَةَ ، مُضَدَّرُ أَمْلَكَةٍ إِذَاهَا : زَوْجُهُ وَعَقْدُ نِكَاحِهِ ، مِنْ مَلِكِ الرَّجُلِ فُلَانَةٌ ، يَمْلِكُهَا مَلِكًا ، « مُثَلَّثُ الْمِيمِ » : تَزَوَّجَهَا ، وَيُقَالُ : شَهِدْنَا إِمْلَاكَهُ : زَوَّاجَهُ .

الْحَاذِ ، كَمَا يُغْبِطُ الْيَوْمَ أَبُو الْعَشْرَةِ « [مجمع الزوائد ، ٧ / ٢٨٢] .

أَصْلُ الْحَاذِ : طَرِيقَةُ الْمَتَنِ - الظَّهْرِ - مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَفُلَانٌ خَفِيفُ الْحَاذِ ،  
أَيُّ : خَفِيفُ الظَّهْرِ ، أَوْ خَفِيفُ الْحَالِ مِنَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ  
ضَرْبُهُ مَثَلًا لِقِلَّةِ الْمَالِ وَالْعِيَالِ .

\* \* \*

التَّرْوُجُ بِأَكْثَرٍ مِنْ وَاحِدَةٍ :

١٥٩٦ - قَالَ بَعْضُهُمْ : إِيَّاكَ أَنْ تَتَزَوَّجَ عَلَى أَمْرَاتِكَ أَوْ تَتَسَرَّى عَلَيْهَا ، إِلَّا  
إِنْ وَطَّنتَ نَفْسَكَ عَلَى نَكْدِ الدَّهْرِ .

\* \* \*

١٥٩٧ - وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ صَبْرِي بَاشَا [من الكامل] :

يَا مَنْ تَزَوَّجَ بِأُنْتَيْنِ إِلَّا اتَّيَدَ      أَوْقَعْتَ نَفْسَكَ ظَالِمًا فِي الْهَوَايَةِ  
مَا أَلْعَدَلُ بَيْنَ الضَّرَّتَيْنِ بِمُمْكِنِ      لَوْ كُنْتَ تَعْدِلُ مَا أَخَذْتَ الثَّانِيَةَ

\* \* \*

١٥٩٨ - وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَنْ لَمْ يَتَزَوَّجْ أَمْرَاتَيْنِ لَمْ يَذُقْ حَلَاوَةَ الْعَيْشِ !

فَتَزَوَّجْ أَمْرَاتَيْنِ ، ثُمَّ نَدِمَ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ [من الوافر] :

تَزَوَّجْتُ أُنْتَيْنِ لِفَرْطِ جَهْلِي      بِمَا يَشْقَى بِهِ زَوْجُ أُنْتَيْنِ  
فَقُلْتُ : أَصِيرُ بَيْنَهُمَا خَرُوفًا      أَنْعَمُ بَيْنَ أَكْرَمِ نَعَجَتَيْنِ  
فَصِزْتُ كَنَعْجَةٍ تُضْحِي وَتُمْسِي      تُدَاوِلُ بَيْنَ أَخْبَثِ ذُبَّتَيْنِ  
رِضًا هَذَا يَهْجُ سُخْطَ هَذَا      فَمَا أَعْرَى مِنْ إِخْدَى السُّخْطَتَيْنِ  
وَأَلْقَى فِي الْمَعِيشَةِ كُلَّ ضُرٍّ      كَذَلِكَ الضُّرُّ بَيْنَ الضَّرَّتَيْنِ

لِهَذِي لَيْلَةٍ وَلِلنَّاسِ أُخْرَى      عَتَابٌ دَائِمٌ فِي الْيَلْتَيْنِ  
فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَبْقَى كَرِيماً      مِنْ الْخَيْرَاتِ مَمْلُوءَ الْيَدَيْنِ  
وَتُذْرِكَ مُلْكَ ذِي يَزْنَ وَعَمْرُو      وَذِي جَدْنٍ وَمُلْكَ الْحَارِثَيْنِ  
وَمُلْكَ الْمُنْذَرَيْنِ وَذِي نُوَاسٍ      وَتُبَّعِ الْقَدِيمِ وَذِي رُعَيْنِ  
فَعِشْ عَزَباً ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْهُ      فَضَرْباً فِي عِرَاضِ الْجَحْفَلَيْنِ

قوله : « فَضَرْباً فِي عِرَاضِ الْجَحْفَلَيْنِ » قَالَ الْبُكْرِيُّ شَارِحُ « الْأَمَالِي » :  
عِرَاضُ : مَصْدَرُ عَارَضَ الْجَحْفَلُ مُعَارَضَةً وَعِرَاضاً : إِذَا أَلْتَقَيَا ، يَقُولُ :  
تَعَرَّضَ لِلْمَوْتِ وَالشَّهَادَةِ كَيْ تَسْتَرِيحَ ؛ وَقَدْ رَوَاهُ قَوْمٌ فِي عِرَاضِ الْجَحْفَلَيْنِ ،  
بِضْمِ الْعَيْنِ ، وَالْجَحْفَلَانِ كِنَايَةٌ عَنِ الشُّفْرَتَيْنِ ، مَاخُودٌ مِنْ جَحْفَلَةِ الدَّابَّةِ ،  
يُرِيدُ : فَأَرْجِعْ إِلَى مَا عَزَبْتَ عَنْهُ وَأَقْبِلْ عَلَيْهِ وَأَضْبِرْ عَلَى مَكْرُوهِهِ ، وَقَالَ  
آخَرُونَ : يُقَالُ : تَجَحْفَلَ إِذَا اجْتَمَعَ ، وَجَحْفَلْتُهُ إِذَا جَمَعْتُهُ ، فَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ  
الْخُضْخُضَةِ ، وَهِيَ : التَّذْلِيكُ وَالْاسْتِمْنَاءُ ، وَهِيَ الْاِغْتِمَارُ<sup>(١)</sup> ، يَعْنِي جَمْعُ  
الْيَدَيْنِ وَضَمُّهَا لِذَلِكَ .

\* \* \*

١٥٩٩ - وَقَالَ عُمَرُ ابْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحَجَازِيِّينَ ، وَهِيَ فِي

« حِمَاسَةِ أَبِي تَمَّامٍ » [من الخفيف] :

خَبَرُوهَا بِأَنِّي قَدْ تَزَوَّجْتُ      فَظَلَّتْ تُكَاتِمُ الْغَيْظَ سِرّاً  
ثُمَّ قَالَتْ لِاخْتِيهَا وَلِأُخْرَى      جَزَعاً لَيْتَهُ تَزَوَّجَ عَشْرًا  
وَأَشَارَتْ إِلَى نِسَاءٍ لَدَيْهَا      لَا تَرَى دُونَهُنَّ لِلْسَّرِّ سِتْرًا

(١) الْاِغْتِمَارُ ، مَصْدَرٌ مِنْ عُمِيرَةِ الْيَمِّ تُجَلَدُ ، وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ الْكَفِّ ، هَذَا : وَالْإِلْطَافُ لِلنِّسَاءِ  
مِثْلُ الْاِغْتِمَارِ لِلرِّجَالِ ، وَتَرَى عِبْقَرِيَّاتَهُمْ فِي الْاِغْتِمَارِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ .

مَا لِقَلْبِي كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي وَعِظَامِي إِخَالٌ فِيهِنَّ فَتَرَا  
مِنْ حَدِيثٍ نَمَى إِلَيَّ فَطِيعٌ خِلْتُ فِي الْقَلْبِ مِنْ تَلْطِئِهِ جَمْرًا

[ « ديوان الحماسة » صفحة : ٦٢٠ ؛ « تحفة العروس » ، رقم : ٨٤٧ .

وَقَدْ تَقَدَّمَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ فِي الْغَبِيرَةِ . [ رقم : ١٥٦٧ ] .

\* \* \*

١٦٠٠ - وَقَالَ أَغْرَابِي لِآخَرٍ : لَا تَتَزَوَّجْ بِأَرْبَعَةٍ ، فَكُلُّ تَأْخُذِكَ لِجَمَاعِهَا  
وَأَنْتَ كَأَلٍّ ؛ وَلَا بِثَلَاثٍ ، فَإِنَّهُنَّ كَأَلْثَافِيٍّ ، تَصِيرُ بَيْنَهَا كَالْقَدْرِ ، فَيَكُونُ نِكَاحُكَ  
كَيَا ؛ وَلَا بِأُتْنَتَيْنِ ، فَإِنَّهُمَا يَكُونَانِ كَجَمْرَتَيْنِ ؛ وَلَا وَاحِدَةٍ ، فَإِنَّكَ تَمْرَضُ إِذَا  
مَرَضْتَ ، وَتَحِيضُ إِذَا حَاضَتْ ، وَتَلِدُ إِذَا وَلَدَتْ ؛ فَقَالَ لَهُ : قَدْ نَهَيْتَ عَنْ كُلِّ  
مَا أَمَرَ اللَّهُ ! فَمَا الَّذِي أَصْنَعُ ؟ قَالَ : كُوزَانِ ، وَطِمْرَانِ ، وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ .

\* \* \*

١٦٠١ - وَمِنْ طَرِيفٍ مَا يُرَوَّى فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ الْحَجَّاجَ قَالَ يَوْمًا وَعِنْدَهُ  
أَصْحَابُهُ : أَمَا إِنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ لِرَجُلٍ لَذَّةٌ حَتَّى تَجْتَمَعَ أَرْبَعُ حَرَائِرَ فِي مَنْزِلِهِ  
يَتَزَوَّجُهُنَّ ؛ فَسَمِعَ ذَلِكَ شَاعِرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يُقَالُ لَهُ : الْأَضْحَاكُ ، فَعَمَدَ إِلَى كُلِّ  
مَا يَمْلِكُ فَبَاعَهُ ، وَتَزَوَّجَ أَرْبَعَ نِسَوَةٍ ، فَلَمْ تُوَافِقْهُ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ ، فَأَقْبَلَ إِلَى  
الْحَجَّاجِ ، فَقَالَ : سَمِعْتُكَ - أَضْلَحَكَ اللَّهُ - تَقُولُ : لَا تَجْتَمِعُ لِرَجُلٍ لَذَّةٌ حَتَّى  
يَتَزَوَّجَ أَرْبَعَ حَرَائِرَ ، فَعَمَدْتُ إِلَى قَلِيلِي وَكَثِيرِي فَبِعْتُهُ وَتَزَوَّجْتُ أَرْبَعًا ، فَلَمْ  
تُوَافِقْنِي وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ ؛ أَمَا وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ فَلَا تَعْرِفُ اللَّهَ وَلَا تُصَلِّي وَلَا تَصُومُ ،  
وَالثَّانِيَةُ حَمَقَاءُ لَا تَتَمَالَكُ ، وَالثَّلَاثَةُ مُذْكَرَةٌ<sup>(١)</sup> مُتَبَرِّجَةٌ ، وَالرَّابِعَةُ زُهَاءُ خَرْقَاءُ

(١) مُذْكَرَةٌ : مُشَبَّهَةٌ بِالذَّكَورِ .



لَا تَعْرِفُ ضَرَّهَا مِنْ نَفْعِهَا ؛ وَقَدْ قُلْتُ فِيهِنَّ شِعْرًا ؛ قَالَ : هَاتِ مَا قُلْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ ! فَقَالَ [من الطويل] :

تَزَوَّجْتُ أَبْغِي قُرَّةَ الْعَيْنِ أَرْبَعًا      فَيَا لَيْتَنِي وَاللَّهِ لَمْ أَتَزَوَّجْ  
وَيَا لَيْتَنِي أَغْمَى أَصَمَّ وَلَمْ أَكُنْ      تَزَوَّجْتُ بَلْ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مُخْدَجٌ <sup>(١)</sup>  
فَوَاحِدَةٌ لَا تَعْرِفُ اللَّهَ رَبَّهَا      وَلَمْ تَذَرْ مَا التَّقْوَى وَلَا مَا التَّحَرُّجُ  
وَتَانِيَّةٌ حَمَقَاءُ تَزْنِي مَخَانَةً      تُوَابِبُ مَنْ مَرَّتْ بِهِ لَا تُعْرِجُ  
وَتَالِثَةٌ مَا إِنْ تُوَارَى بِشَوْبِهَا      مُذْكَرَةٌ مَشْهُورَةٌ بِالتَّبَرُّجِ  
وَرَابِعَةٌ وَزَهَاءُ فِي كُلِّ أَمْرِهَا      مُفْرَكَةٌ هَوَجَاءُ مِنْ نَسْلِ أَهْوَجٍ <sup>(٢)</sup>  
فَهِنَّ طَلَقَ كُلُّهُنَّ بَوَائِنُ      ثَلَاثًا يَتَانَا وَإِلَّا أَلْجَلُجُ

فَضَحِكَ الْحَجَّاجُ ، وَقَالَ : وَيْلَكَ ! كَمْ مَهْرْتَهُنَّ ؛ قَالَ : أَرْبَعَةُ آلَافٍ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؛ فَأَمَرَ لَهُ بِأَتْنِي عَشَرَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ .

وَهَذِهِ آيَاتُ الْأَعْرَابِيِّ عَلَى مَا فِيهَا مِنْ إِقْوَاءٍ قَبِيحٍ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ وَالْجَرِّ ، وَلَكِنَّهَا تُسْتَطَرَفُ مِنْ هَذَا الْأَعْرَابِيِّ .

\* \* \*

عَبَقَرِيَّةُ الْإِسْلَامِ فِي تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ :

١٦٠٢ - فِي الْحَقِّ إِنَّ لِي أَنْ أَقُولَ ، وَأَعْنِي مَا أَقُولُ : إِنَّ الْإِسْلَامَ بَرَاءٌ مِنْ تَهْمَةِ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ ! نَعَمْ ، وَأَقُولُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، إِنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الَّذِي أُلْفِذُ الَّذِي حَارَبَ تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ <sup>(٣)</sup> ، وَنَعَى عَلَى الْعَرَبِ وَعَلَى غَيْرِ الْعَرَبِ هَذِهِ

(١) الْمُخْدَجُ : نَاقِصُ الْخَلْقِ .

(٢) الْمُفْرَكَةُ : الْمَرْأَةُ الَّتِي يَبْغِضُهَا الرِّجَالُ .

(٣) [ إِنَّ مَوْفِقَ مُؤَلِّفِ الْكِتَابِ ، وَكَذَلِكَ مَوَاقِفَ الْكِتَابِ الَّتِي سَيَسُوقُهَا فِيمَا بَعْدُ ، تُخَالِفُ صَرِيحَ =

الْعَادَةُ الْمُنْكَرَةُ ، إِنَّ تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ كَانَ شَائِعًا بَيْنَ الْأَيْسِيِّينَ وَالْفُرْسِ وَالْعَبْرَانِيِّينَ وَعَرَبِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَجَمِيعُ هَؤُلَاءِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ دُسْتُورٌ يُحَدِّدُ عَدَدَ الزَّوْجَاتِ الْأَلَايِي يُمَكِّنُ الرَّجُلُ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِهِنَّ ، بَلْ إِنَّ هَذِهِ الْعَادَةَ كَانَتْ شَائِعَةً فِي الْعَالَمِ الْمَسِيحِيِّ ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ نَهْيِ جُسْتِنْيَانِ عَنْهَا . وَلَمْ يَكُنْ شَيْعُهَا مَقْصُورًا عَلَى الْأَرِسْتَقْرَاطِيَّةِ (١) .

الْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ ، بَلْ هُوَ مُخَالَفَةٌ لِصَرِيحِ الْقُرْآنِ ، وَمَعْرُوفٌ حُكْمٌ مُنْكَرٌ صَرِيحِ الْقُرْآنِ . لَكِنْ يَبْدُو لِي ، أَنَّ هَذِهِ الْهَفْوَةَ أَنْجَزَ إِلَيْهَا بَعْضُ الْكُتَّابِ ، جِزْأً مِنْهُمْ عَلَى أَنْ يُظْهِرُوا الْإِسْلَامَ وَأَحْكَامَهُ بِمَظْهَرٍ ظَنُّوا أَنَّهُ هُوَ الْأَصْلَحُ وَالْأَنْسَبُ ، وَالْأَصْلُ أَنْ يُنْطَلِقَ الْبَاحِثُ عَنْ حُكْمِ الْإِسْلَامِ فِي أَمْرِ مَا مِنْ مَادَّةِ الْإِسْلَامِ دُونَ النَّظَرِ لِأَرَاءِ غَيْرِهِ ، وَدُونَ التَّمَحْكُكِ فِي إِجَادِ تَغْلِيلَاتٍ وَأَحْكَامٍ لَيْسَ لَهَا عِلَاقَةٌ فِي هَذَا الْحُكْمِ أَوْ هَذَا الْأَمْرِ . وَلَعَلَّ حُسْنَ نِيَّةِ الْكَاتِبِ تَشْفَعُ لَهُ ، لَكِنَّ الْخَشْيَةَ مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الشَّفَاعَةُ مُزْدَوْدَةً . فَتَعَدُّدُ الزَّوْجَاتِ ثَابِتٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَفِعْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالصَّحَابَةِ الْكَرَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَبَاقِي الْمُسْلِمِينَ .

وَهُوَ نِظَامٌ إِسْلَامِيٌّ يَحُلُّ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَشْكِلاتِ ، وَلَا بَأْسَ بِهِ ، بَلْ يَكْفِي أَنْ نُلَاحِظَ أَنَّ الزَّوْجَةَ الْأُولَى فَقَطْ هِيَ الَّتِي تَقِفُ ضِدَّهُ ، فَأَمَّا الزَّوْجَاتُ الثَّلَاثُ : الثَّانِيَّةُ وَالثَّلَاثَةُ وَالرَّابِعَةُ ، فَهُنَّ مَعَهُ ، بِدَلِيلٍ أَنَّهُنَّ يَقْبَلْنَ أَنْ يَكُنَّ الثَّانِيَّةُ وَالثَّلَاثَةُ وَالرَّابِعَةُ .

لَكِنَّ النَّاسَ يَظُنُّونَ أَنَّ النِّسَاءَ ضِدُّ التَّعَدُّدِ ، وَذَلِكَ لِقَوَّةِ صُرَاخِ الزَّوْجَةِ الْأُولَى وَكَثْرَةِ ضَجِيجِهَا ؛ وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ عِنْدَمَا تَفْقُدُ زَوْجَهَا بِوَفَاةٍ مَثَلًا ، تَرْضَى بِهَدْوٍ وَبِدُونِ ضَجِيجٍ أَنْ تَكُونَ الثَّانِيَّةُ أَوْ الثَّلَاثَةُ أَوْ الرَّابِعَةُ . فَتَعَدُّدُ الزَّوْجَاتِ حُلٌّ شَرِيفٌ وَمُبَاحٌ لِمَشْكِلَةِ اجْتِمَاعِيَّةٍ .

وَلِمَاذَا يَخْجَلُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ هَذَا الْحُكْمِ ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الَّذِينَ يُحَرِّمُونَهُ يَمَارِسُونَهُ فِي الْوُقُوعِ خَارِجَ مُؤَسَّسَةِ الزَّوَاجِ ؟! حَيْثُ تَضَيُّعُ الْحُقُوقِ ، أَغْنَى حُقُوقَ النِّسَاءِ ، مِنْ خِلَالِ مُحَارَبَةِ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ . [ . ]

[ هَذَا ، وَإِنِّي أُجِيبُ الْقَارِئَ إِلَى كِتَابِ « قَوْلِي فِي الْمَرْأَةِ » لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ مُصْطَفَى صَبْرِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، حَيْثُ يَجِدُ نِقَاشًا حَوْلَ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ ؛ وَهُوَ مِنْ مَطْبُوعَاتِ الْجَعْفَانِ وَالْجَابِي لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ ، لِيَمَاسُول ، قُبْرُص ] .

(١) [ عَنْ ] سَيِّدِ أَمِيرِ عَلِيِّ الْأَهْنَدِيِّ قَاضِيِ الْأَهْنَدِ سَابِقًا ، وَعُضُو مَجْلِسِ مَلِكِ الْإِنْكَلِيزِ الْخَاصِّ وَمَجْلِسِ وَزَارَةِ الْأَهْنَدِ وَمَجْلِسِ الْأَمْبَرَاطُورِيَّةِ الْأَهْنَدِيَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ مِنَّا بِتَصَرُّفٍ فِي =

أَقُولُ : إِنَّ تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ كَانَ شَائِعاً بَيْنَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الْقَدَامَى ، وَمِنْ بَيْنِهَا عَرَبُ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ حَدٌّ يَقِفُ دُونَهُ الرَّجُلُ ، فَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَ الْعَرَبِ يَجْمَعُ بَيْنَ عَشْرِ نِسَاءَ ، وَمِنْ بَيْنِهِمْ ، غَيْلانُ بْنُ سَلَمَةَ ، كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَشْرُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ أَرْبَعاً » [الترمذي ، رقم : ١١٢٨ ؛ ابن ماجه ، رقم : ١٩٥٣ ؛ « مسند أحمد » ، رقم : ٤٥٩٥ ، ٤٦١٧ ، ٥٠٠٧ ، ٥٥٣٣ ؛ « موطأ مالك » ، رقم : ١٢٤٣ .

وَهَكَذَا لَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ ضَرَبَ حَوْلَ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ نِطَاقاً مُحْكَمًا ، وَقَيَّدَهُ بِقِيُودٍ ثِقَالٍ ، إِذْ فَرَضَ فِيهِ الْعَدْلَ الشَّامِلَ ، وَاجْتَنَابَ الْأَنْسِيَاقِ مَعَ النَّفْسِ فِي مِيلِهَا وَهَوَاهَا ، وَاتَّقَاءَ كُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَسْتَشِيرَ الْحَقْدَ وَالْأَمْنَ بَيْنَ زَوْجَاتِهِ ، وَكَمْ فِي النَّاسِ مَنْ يَقْوَى عَلَى ذَلِكَ ! وَآيُ أَمْرِيءِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُبَدِّلَ فِطَامَ غَرِيزَتِهِ وَجِبِلَّتِهِ وَيَمْنَحُو فَضْلَ عَاطِفَتِهِ ! وَجُمْلَةُ الْقَوْلِ : إِنَّ الْإِسْلَامَ اشْتَرَطَ شُرُوطاً شَدِيدَةً فِي إِبَاحَةِ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ ، هِيَ لَدَى التَّصَفَةِ وَالْمَعْدَلَةِ وَالنَّظَرِ إِلَى رُوحِ التَّشْرِيعِ تَعَدُّ بِمِثَابَةِ التَّخْرِيمِ <sup>(١)</sup> . . .

يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتْنً وَتِلْكَ وَرِيعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [٤ سورة النساء / الآية : ٣] وَلَيْسَ الْعَدْلُ الَّذِي ذَكَرَ هُوَ الْمُسَاوَاةُ فِي الْمَسْكَنِ وَالتَّفَقُّةِ فَحَسَبُ كَمَا قَدْ يُظُنُّ ، وَإِنَّمَا هُوَ يَقْتَضِي الْمُسَاوَاةَ

= الْعِبَارَةُ مَعَ الْمُحَافَظَةِ الثَّامَّةِ عَلَى الْمَعْنَى ، وَأَنْظُرْ أَيْضاً كِتَابَ « الْمُقَارَنَاتِ وَالْمُقَابَلَاتِ » .  
(١) قَالَ سَيِّدُ أَمِيرِ عَلِي : لَقَدْ عَمِلَ بِذَلِكَ الرَّأْيِ مِنْهُ الْقَرْنُ الثَّامِنُ لِلْمَسِيحِ بِوَاسِطَةِ عُلَمَاءِ الْمُعْتَرَلَةِ الَّذِينَ قَرَّرُوا أَنَّهُ مَا دَامَتِ الْمُسَاوَاةُ الثَّامَّةُ فِي الْحُبِّ وَالشُّعُورِ مُسْتَحِيلَةً لِلتَّحْقِيقِ ، فَإِنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ظَاهِرَةٌ الْمَعْنَى وَالْمَبْنَى فِي أَنَّهَا تَنْهَى عَنِ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ ؛ قَالَ : وَهَذَا الرَّأْيُ أَخِذَ الْآنَ فِي الْأَنْتِشَارِ ، حَتَّى بَيْنَ أَتْبَاعِ الْمَذَاهِبِ الْأُخْرَى ، فِيهِ الْهِنْدُ لَا يَكَادُ يُوجَدُ أَتْنَانٍ فِي الْمِئَةِ مُتَزَوِّجَانِ بِأَكْثَرِ مِنْ أَمْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي فَارِسَ ، بَيْنَمَا يَنْدُرُ تَعَدُّدُ الزَّوْجَاتِ فِي تَرْكِيبَةٍ .

الْتَّامَّةَ فِي الْحُبِّ وَالْمَيْلِ وَالْاخْتِرَامِ<sup>(١)</sup> ، وَهَذَا لَعَمْرِي خَارِجٌ عَنْ نِطَاقِ  
الْإِسْطَاعَةِ وَطَوْقِ الْبَشْرِ ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ  
النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ [٤ سورة النساء/ الآية : ١٢٩] وَإِنَّمَا نَظَرَ الْإِسْلَامُ فِي تِلْكَ الْإِبَاحَةِ  
إِلَى أُمُورٍ : أَحَدُهَا شُيُوعُهَا وَكَثْرَةُ انْتِشَارِهَا ، فَكَانَ ذَلِكَ مِنَ الْإِسْلَامِ لَوْناً مِنْ  
الْمُرُوءَةِ التَّشْرِيعِيَّةِ وَضَرْباً مِنَ التَّسَامُحِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْ مِثْلِهِ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ .  
ثَانِيهَا أَنَّ هُنَاكَ أَنَاثاً لَا تُمْكِنُهُنَّ طَبَائِعُهُنَّ وَلَا تَكْوِينُ جُسُومِهِنَّ مِنَ الْاِكْتِفَاءِ  
بِوَاحِدَةٍ ، فَأُولَئِكَ رُوِيَ أَمْرُهُنَّ حَتَّى لَا يَفْزَعُوا إِلَى مَا هُوَ أَذْهَى وَأَمْرٌ مِنْ تَعَدُّدِ  
الزَّوْجَاتِ . . . ثَالِثُهَا الْاِخْتِفَاطُ بِكَيَانِ الْأُمَّةِ ، لِأَنَّ الرِّجَالَ مَذْفُوعُونَ فِي كَثِيرٍ مِنَ  
الْمَوَاطِنِ إِلَى خَوْضِ الْقِتَالِ ، وَافْتِحَامِ الْأَخْطَارِ ، مِمَّا عَسَاهُ يُنْضِبُ عَدَدَهُمْ ،  
وَيَذْهَبُ بِجَمْرَتِهِمْ ، فَإِنْ لَمْ يُبَيِّحْ لِرِجَالٍ أَنْ يَتَجَاوَزُوا الْوَاحِدَةَ لَمْ يَتِمَّ كَثِيرٌ مِنَ  
النِّسَاءِ مِنْ أَنْ يَكُنَّ أُمَهَاتٍ يَنْسِلْنَ ، فَتَضَوَّلُ الْأُمَّةُ وَيَقِلُّ رِجَالُهَا ، وَرُبَّمَا أَسْرَعَ  
إِلَيْهَا الْفَنَاءُ . وَهَا هُوَ ذَا الْيَوْمُ يَقُومُ فَرِيقٌ مِنْ عُقَلَاءِ الْفِرَنْجِ وَمُشْتَرِعِيهِمْ فَيَحْثُونَ  
عَلَى تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ اسْتِكْثَاراً لِلنَّسْلِ ، حَتَّى يَسُدُّوا بِذَلِكَ مَا أَصَابَهُمْ وَيُصِيبُهُمْ  
مِنَ الْفَرَاغِ الْعَظِيمِ الَّذِي جَلَبَهُ فَقْدَانُ الْمَلَائِكِينَ مِنْ رِجَالِهِمْ فِي هَذِهِ الْحُرُوبِ .

وَقَالَ غُوسْتَا فُ لُوبُون Gustave le bon فِي كِتَابِهِ « حَضَارَةُ الْعَرَبِ »<sup>(٢)</sup> :

لَيْسَ مِنَ الْهَيْئِ الْيَسِيرِ أَنْ تُذَرِكَ أُسْلُوباً مِنَ الْحَيَاةِ لِأُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ حَتَّى

(١) أَيْنَ هَذَا الْكَلَامُ ، مِنْ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ كَانَ يَقْسِمُ بَيْنَ نِسَائِهِ فَيَعْدِلُ : « اَللّٰهُمَّ هَذِهِ  
فِيْسَمَتِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تَلْمَنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ » رواه الترمذي ، رقم : ١١٤ ؛  
النسائي ، رقم : ٣٩٤٣ ؛ أبو داود ، رقم : ٢١٣٤ ؛ ابن ماجه ، رقم : ١٩٧١ ؛ مسند  
أحمد ، رقم : ٢٤٥٨٧ ؛ الدارمي ، رقم : ٢٢٠٧ ، الَّذِي يُعِيدُ أَنَّ الْعَدَلَ وَالنِّسَاءَ  
لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ فِي الْحُبِّ وَالْمَيْلِ وَالْاخْتِرَامِ ، وَبِالتَّالِي لَيْسَتْ هِيَ مِنْ مُفْتَضَى الْآيَةِ  
الْكَرِيمَةِ . بِسَام .

(٢) الْمَرْأَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَمَجْلَةُ الْبَيَانِ .

تَفْتَرِضَ كَوْنَكَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ يُحِيطُ بِكَ مَا يُحِيطُ بِهَا ، وَتَحْتَكِمَ بِذَاتِ نَفْسِكَ مَا يَحْتَكِمُ بِذَوَاتِ نَفْسِهَا ، فَأَمَّا أَنْ تَحْكُمَ - وَأَنْتَ مُتَأَثِّرٌ بِطَبَائِعِ قَوْمِكَ وَعَادَاتِهِمْ ، وَمَا يُحِيطُ بِهِمْ مِنْ جَوِّ وَبَيْتَةٍ - عَلَى نِظَامِ قَوْمٍ لَا يُشَاكِلُونَكَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ ، فَذَلِكَ لَيْسَ مِنَ السَّدَادِ وَالنَّصَفَةِ وَالْمَعْدَلَةِ فِي شَيْءٍ .

ذَلِكَ مَا يُرَادُ بِالنَّاقِدِ أَنْ يَأْخُذَ بِهِ وَيَنْهَجُهُ إِذَا شَاءَ أَنْ يَتَوَلَّى بِقَفْدِهِ نِظَاماً كِنِظَامِ تَعَدُّدِ الزُّوْجَاتِ قَبْلَ أَنْ تَصِلَ الْأُمَمُ غَيْرُ الْمُسْلِمَةِ إِلَى أَعْمَاقِهِ . وَكَثِيراً مَا تُدِيعُ الزَّرَايَةُ بِهِ ، وَالسَّخْطُ عَلَيْهِ ؛ بَلْ لَا تَجِدُ نِظَاماً أَجْمَعَ النَّاسُ فِي أُرْبَةٍ عَلَى الْتَيْلِ مِنْهُ ، وَتَوَكِيلِ الظُّنُونِ وَالْأَوْهَامِ بِهِ ، كِاجْمَاعِهِمْ بِذَلِكَ عَلَى هَذَا النِّظَامِ ، فَالْمُؤَرِّخُونَ الْأَوْرَبِيُّونَ - وَفِيهِمْ مَنْ عَرَفَ بِالِدَقَّةِ وَالنَّفَادِ فِي اسْتِفْصَاءِ الْحَقَائِقِ وَتَمْحِصِ الْحَوَادِثِ - يَرَوْنَ ذَلِكَ نِظَامَ دِعَامَةِ الْإِسْلَامِ ، وَمَدْعَاةَ انْتِشَارِ الْقُرْآنِ ، وَالْهَآوِيَةِ الْبَعِيدَةِ الْقَرَارِ ، فِي سَبِيلِ نُهُوضِ الْمُسْلِمِينَ .

يَقُولُونَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُنْبِعُونَ مَا يَقُولُونَ بِنَوَافِرِ الْكَلِمِ عَنْ حِجَابِ الْمُسْلِمَاتِ الْبَائِسَاتِ فِي كُسُورِ دُورِهِنَّ ، يَقُومُ بِحِرَاسَتِهِنَّ ، وَيَتَوَلَّى رِتَاجَ أَبْوَابِهِنَّ جَمَاعَةٌ مِنَ الْحَرَسِ وَالْخِضْيَانِ غِلَاطٌ شِدَادٌ ، وَقَدْ يُقْتَلْنَ عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ وَجَرِيرَةٍ ، بِغَيْرِ هَوَادَةٍ وَلَا مَرْحَمَةٍ ، إِذَا صُرِفَ عَنْهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ إِلَى مَنْ سِوَاهُنَّ .

إِنَّ تَصْوِيرَ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ بِهَذِهِ الْأَلْوَانِ الْقَائِمَةِ بَرِيءٌ مِنَ الْحَقِّ . وَسَيَعْلَمُ الْقَارِئُ - إِذَا شَاءَ أَنْ يَطْرَحَ عَنْهَا ظُنُونَهُ وَأَوْهَامَهُ قَبْلَ تِلَاوَةِ ذَلِكَ الْبَحْثِ - أَنَّ تَعَدُّدَ الزُّوْجَاتِ عَلَى مِثَالِ مَا شَرَعَهُ الْإِسْلَامُ مِنْ أَفْضَلِ الْأَنْظِمَةِ ، وَأَنْهَضَهَا بِأَدَبِ الْأُمَّةِ الَّتِي تَذْهَبُ إِلَيْهِ ، وَتَعْتَصِمُ بِهِ ، وَأَوْثِقَهَا لِلْأُسْرَةِ عِقْداً ، وَأَشَدَّهَا لِأَصْرَتِهَا أَرْزَآ . وَسَبِيلُهُ أَنْ تَكُونَ الْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةُ أَسْعَدَ حَالاً ، وَأَوْجَهَ شَأناً ، وَأَحَقَّ بِاخْتِرَامِ الرَّجُلِ مِنْ أُخْتِهَا الْغَرَبِيَّةِ .

وَقَبْلَ سِيَاقِ الدَّلِيلِ عَلَى تِلْكَ الْحَقِيقَةِ النَّاطِقَةِ النَّاصِعَةِ أَذْكَرُ لِلْقَارِيءِ أَنَّ تَعَدُّ الزَّوْجَاتِ لَمْ يَكُنْ مِنْ مُخَدَّنَاتِ الْإِسْلَامِ . بَلْ كَانَ ذَائِعًا فِي أُمَمِ الشَّرْقِ مِنْ فُرْسٍ وَعَرَبٍ وَيَهُودٍ وَمَنْ سِوَاهُمْ ، فَإِذَا كَانَتِ الشُّعُوبُ الَّتِي رَضِيَتْ الْإِسْلَامَ دِينًا قَدْ أَخَذَتْ بِهِ ، فَلَمْ يَكْ ذَلِكَ بِرَبْحٍ جَدِيدٍ نَالَتْهُ مِنْ ذَلِكَ الدِّينِ الْجَدِيدِ . وَإِنَّمَا هُوَ أَثَرٌ مِنْ تَأْثِيرِ الْبَيْئَةِ ، وَضُرُورَةٍ مِنْ ضَرُورَاتِ الْجِنْسِ ، وَنَتِيجَةٌ مِنْ نَتَائِجِ احْتِكَامِ الْأَحْوَالِ وَالْأَوْسَاطِ عِنْدَ الشَّرْقِيِّينَ . وَتَأْثِيرُ الْبَيْئَةِ وَالْجِنْسِ مِنَ الْوَاضِحِ وَالْبَيِّنِ بِحَيْثُ لَا نَجْهَدُ فِي إِفَاضَةِ الْقَوْلِ فِيهِ ، فَإِنَّ النَّظَامَ الْعُضُويَّ لِلْمَرْأَةِ ، وَمَا يُصِيبُهَا مِنَ الْحَمْلِ وَالْوِلَادَةِ ، وَمَا يَنَالُهَا فِي سَبِيلِ ذَلِكَ مِنْ أَوْجَاعٍ وَأَلَامٍ ، كُلُّ أُولَئِكَ يَضْطَرُّهَا إِلَى اغْتِرَالِ فِرَاشِ الزَّوْجِ أَمَدًا غَيْرَ مَخْدُودٍ . وَلَمَّا كَانَ سَبِيلُ ذَلِكَ الْاِغْتِرَالِ أَنْ يَعِيشَ الرَّجُلُ عَلَى قَدَرِهِ عَيْشَةً الْأَغْزَبِ - وَهِيَ عَيْشَةٌ لَا يَسْنِغُهَا الشَّرْقِيُّونَ لِمَا يُحِيطُ بِهِمْ مِنْ تَأْثِيرِ الْأَقَالِيمِ وَغَلَبَةِ الْأَمْرِجَةِ - أَصْبَحَ تَعَدُّ الزَّوْجَاتِ أَمْرًا لَا مَحِيدَ عَنْهُ .

أَمَّا فِي الْأَغْزَبِ ، فَإِنَّ حُكْمَ الْوَسْطِ ، وَتَأْثِيرَ الْأَمْرِجَةِ ، وَغَلَبَةَ الْحَالَةِ ، مِمَّا يَفْعَلُ فِعْلُهُ بِالرَّجُلِ . وَرَغْمَ ذَلِكَ نَجِدُ الْبَقَاءَ عَلَى الْوَاحِدَةِ نَصًّا مِنْ نُصُوصِ الْقَانُونِ ، لَا أَمْرًا وَاقِعًا وَلَا حُكْمًا نَافِذًا . وَلَيْسَ فِي قُدْرَةِ أَحَدٍ أَنْ يَغْتَرِضَ مَا أَقُولُ أَوْ يُنْكِرَ أَنَّ الْوُقُوفَ دُونَ ذَلِكَ السِّيَاحِ - سِيَاحِ الزَّوْجَةِ الْوَاحِدَةِ - أَمْرٌ لَا يَسْتَمْسِكُ بِهِ الْأَقْلُونَ . وَلَسْتُ أَذْرِي عَلَى أَيِّ قَاعِدَةٍ يَتَنَبَّهُ الْأَوْرُيُّونَ حُكْمَهُمْ بِإِنْحِطَاطِ ذَلِكَ النَّظَامِ - نِظَامِ تَعَدُّ الزَّوْجَاتِ - عَنْ نِظَامِ التَّفَرُّدِ الْمَشُوبِ بَيْنَ الْأَوْرِيِّينَ بِالْكَذِبِ وَالتَّفَاقِ ؟! . عَلَى حِينِ أَرَى هُنَالِكَ أَسْبَابًا تَحْمِلُنِي عَلَى إِثَارِ نِظَامِ التَّعَدُّ عَلَى مَا سِوَاهُ . وَلَيْسَ عَجِيبًا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ نَرَى الشَّرْقِيِّينَ الَّذِينَ يَنْتَجِعُونَ إِلَيْنَا ، وَيَتَقَلَّبُونَ بَيْنَ مَدَائِنِنَا ، يَحَارُونَ مِنْ قَسَوَتِنَا فِي الْحُكْمِ عَلَى نِظَامِ

تَعَدُّ الزَّوْجَاتِ فِيهِمْ .

وَإِنَّ يَسِيرًا عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَعْرِفَ السَّبَبَ فِي إِفْرَارِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِذَلِكَ  
النِّظَامِ ، بَعْدَ مَا أَسْلَفْنَا مِنَ الدَّوَاعِي النَّفْسِيَّةِ لِلْقَوْمِ . وَإِنَّ رَغْبَةَ الشَّرَقِيِّينَ فِي  
خُلُودِ الذَّكَرِ بِالْأَبْنَاءِ ، وَغَرَامَهُمْ بِتَكْوِينِ الْأُسْرِ وَالْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ بَيْنَهَا ،  
وَمَا فُطِرُوا عَلَيْهِ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ - كُلُّ ذَلِكَ لَا يُجِيزُ لَهُمْ إِغْفَالَ الزَّوْجَةِ الَّتِي  
لَا يَتَحَوَّلُ حُبُّهَا عَنْ صَمِيمِ قُلُوبِهِمْ عَلَى مِثَالِ مَا نَرَاهُ فِي أَوْرَبَةِ .

ثُمَّ إِنَّ هُنَاكَ أَسْبَابًا - سَاعُودُ إِلَى بَيَانِهَا - تَدْعُو إِلَى إِفْرَارِ الشَّرَائِعِ لِلْعَادَاتِ  
الَّتِي أَصْبَحَتْ مِنْ خُلُقِ الْأُمَّةِ وَتَقَالِيدِهَا . وَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّ تَعَدُّ الزَّوْجَاتِ  
الَّذِي نَدَّ عَنْ حُدُودِ الشَّرِيعَةِ عِنْدَ الْأُورُوبِيِّينَ ، سَيَنْتَهِي الْأَمْرُ إِلَى قَوَانِينَا بِإِقْرَارِهِ  
وَالْاعْتِرَافِ بِهِ .

وَهُنَالِكَ - فَوْقَ مَا أَسْلَفْتُ - أَسْبَابٌ تُؤَيِّدُ ذَلِكَ النَّظَامَ وَتَدْعُو إِلَيْهِ ، وَهِيَ  
عَلَى اخْتِصَاصِهَا بِطَبَقَاتٍ مُعَيَّنَةٍ ، لَا يَخْلُو الْوَفَاءُ بِهَا مِنَ الْفَائِدَةِ ، لِتَعْلَمَ أَنَّ  
بَعْضَ الْبُلْدَانِ أَخْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَى الْأَخْذِ بِهِ . عَلَى أَنَّ بَيْنَ أَشَدِّ النَّاسِ اسْتِمْسَاكَ  
بِعُزَّةِ الدِّينِ مِنَ الْأُورُوبِيِّينَ مَنْ هُمْ مَسُوقُونَ بِغَلَبَةِ الضَّرُورَةِ إِلَى الْاعْتِرَافِ  
بِالْحَاجَةِ إِلَيْهِ ، وَخَاصَّةً إِذَا أَمَعُنَا فِي أَحْوَالِ الشُّعُوبِ الْآخِذَةِ بِهِ .

وَمِنْ قَبِيلِ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ الْمُسَيُّو لَابَلَايَ صَاحِبُ كِتَابِ « الْعُمَالُ فِي الشَّرْقِ »  
فَقَدْ أَنْتَهَى بِهِ الْقَوْلُ إِلَى الضَّرُورَةِ الَّتِي تَدْعُو كَبِيرَ الْأُسْرَةِ مِنَ الْقُرُوبِيِّينَ إِلَى  
الاسْتِكْنَارِ مِنَ الزَّوْجَاتِ ، وَكَيْفَ أَنَّ النِّسَاءَ أَنْفُسَهُنَّ الْكُلَّاتِي يَطْلُبْنَ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ  
ابْتِغَاءَ سِوَاهُنَّ غَيْرَ هَائِبَاتٍ وَلَا أَسْفَاتٍ عَلَى مَا فَعَلْنَ . وَذَلِكَ بَعْضُ قَوْلِهِ :  
يَخْرِصُ الشَّرَقِيُّونَ عَلَى أَنْ يَزُوجُوا بِكَرِّ الْأُسْرَةِ فِي بَوَاكِرِ أَيَّامِهِ . لِذَلِكَ تَرَى  
أَمْرَآتَهُ بَعْدَ تَتَابُعِ الْوَضْعِ بَعْدَ الْوَضْعِ ، تُسْرِعُ إِلَيْهَا الْكُهُولَةُ ، بَيْنَا يَكُونُ زَوْجُهَا

نَضْرَافَتِيَا . فَلَا يَدْعُ أَنْ يَغُوزَهُ الزَّوْاجَ بِغَيْرِهَا ، وَهُوَ إِذَا هَمَّ بِذَلِكَ فَإِنَّمَا يَضْدُرُّ فِي أَكْثَرِ الْمَوَاطِنِ عَنْ رَأْيِ زَوْجَتِهِ .

وَقَدْ يَعْجَبُ الْبَاحِثُ مِنْ أَنْ تُغْرِيَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا بِالْإِنْصِرَافِ إِلَى سِوَاهَا ، عَلَى أَنَّهُ لَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ ، فَإِنَّ رَبَّاتِ الْمَنَازِلِ فِي الْجَمَاعَاتِ الزَّرَاعِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، عِمَادُ الْبُيُوتِ ، وَقِيَامُ أَمْرِهَا ، فَإِذَا شُغِلَتِ الْمَرْأَةُ بِتَرْبِيَةِ أَبْنَائِهَا وَالْإِنْصِرَافِ إِلَى شُؤُونِهِمْ ، فَلَيْسَ هُنَاكَ مَنْ يَشُدُّ أَرْزَاقَهَا فِي مُهِمَّةِ بَيْتِهَا إِلَّا الْجَوَارِي أَوْ بَعْضُ بَنَاتِ عَشِيرَتِهَا . وَقَدْ لَا تُوجَدُ الْمُؤَازَرَةُ مِنْ بَنَاتِ الْعَشِيرَةِ ، كَمَا قَدْ تَضَيَّقُ الْبَيْدُ دُونَ شِرَاءِ الْجَوَارِي ، فَلَيْسَ لَهَا يَوْمَئِذٍ إِلَّا أَنْ تُشِيرَ عَلَيْهِ بِالزَّوْاجِ ، حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ الْأُمُومَةِ .

وَقَدْ ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ أَلَّا أَثَرَ لِلْغَيْرَةِ ، وَلَا لِلْخُصُومَةِ بَيْنَ زَوْجَاتِ الزَّوْجِ الْوَاحِدِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّنَا بِمَا وَقَرَّ فِي نَفُوسِنَا مِنَ الْأَوْهَامِ الْبَاطِلَةِ ، نَقُولُ بِاسْتِحَالَةِ ذَلِكَ .

وَالْحَقُّ أَنَّا لَمْ نَقُلْ بِالْإِسْتِحَالَةِ إِلَّا لِأَنَّنَا نَرْجِعُ فِي حُكْمِنَا إِلَى حِسْنَا وَعَوَاطِفِنَا ، فَأَمَّا عَوَاطِفُ غَيْرِنَا فَلَسْنَا بِأَبْهِنَ بِهَا ؛ وَلَا مُقِيمِينَ لَهَا وَزْنَ .

وَقَدْ أَثَرْنَا أَنْ نُورِدَ هُنَا كَلِمَةَ سَيِّدِ أَمِيرِ عَلِيٍّ الَّتِي يَذُودُ فِيهَا عَنْ تَعَدُّدِ الزَّوْاجِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَهِيَ كَلِمَةُ جَامِعَةٍ مُوقِفَةٍ عَلَى الْغَايَةِ مِنَ الصَّدَقِ وَالسَّدَادِ وَإِنَارَةِ الْبُرْهَانِ وَنَصَاعَةِ الْبَيَانِ - نَقَلْنَاهَا عَنْ كِتَابِ « رُوحِ الْإِسْلَامِ » لِهَذَا الْقَاضِي الْعَادِلِ - وَقَدْ كُنَّا نَشُرُ هَذَا الْكِتَابَ تَبَاعًا فِي « الْبَيَانِ » (١) .

فِي أَذْوَارِ مُعَيَّنَةٍ مِنَ التَّطَوُّرِ الْاجْتِمَاعِيِّ لَا يَكُونُ تَعَدُّدُ الزَّوْجَاتِ أَوْ أَرْتِبَاطُ



الرَّجُلِ بَعْدَ نِسَاءٍ إِلَّا أَمْرًا لَا بُدَّ مِنْهُ وَحَالًا لَا مَقَرَّ مِنْهَا ، وَلَقَدْ كَانَتْ الْحُرُوبُ الَّتِي نَشَبَتْ بَيْنَ الْقَبَائِلِ وَمَا كَانَ مِنْهَا مِنْ إِقْلَالٍ عَدَدِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ عَدَدِ النِّسَاءِ ، وَالسُّلْطَانُ الْمُطْلَقُ الَّذِي كَانَ يَنْعَمُ بِهِ زُعَمَاءُ الْقَبَائِلِ وَسَادَةُ الْعَشَائِرِ وَالْأَفْخَاذِ وَالْبُطُونِ ؛ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ السَّبَبُ فِي إِيجَادِ عَادَةِ تَعَدُّدِ الْأَزْوَاجِ الَّتِي أَصْبَحْنَا نَعُدُّهَا بِحَقِّ فِي هَذَا الْعَصْرِ الْمُتَحَضَّرِ نَقِصَةً وَأَذَاةً وَشَرًّا مِنْ شُرُورِ الْمُجْتَمَعِ .

وَقَدْ كَانَ تَعَدُّدُ الزَّوْجَاتِ فِي الْأُمَمِ الشَّرْقِيَّةِ الْقَدِيمَةِ جَمْعَاءَ ، شَرِيعَةً مُقَرَّرَةً وَسُنَّةً مُتَّبَعَةً ، وَقَدْ كَانَ آغْتِيَادُ الْمُلُوكِ إِيَّاهَا وَالْأَكَاسِرَةُ وَأَهْلُ بَيْتِ الْمَلِكِ - وَكَانُوا إِذْ ذَاكَ يَنْزِلُونَ مِنْ أُمَمِهِمْ مَنَازِلَ الْأَرْبَابِ وَيَحْمِلُونَ عِلْمَ الْأُلُوهِيَّةِ - بَاعِثًا لِلنَّاسِ عَلَى اتِّبَاعِهَا ، وَالْجَزْيِ عَلَى سُنَنِ مُلُوكِهِمْ مِنْ نَاحِيَّتِهَا . فَقَدْ ذَاعَ تَعَدُّدُ الْأَزْوَاجِ ( مِنْ كِلْتَا نَاحِيَّتَيْهِ ، أَيِ : إِكْثَارُ الرَّجُلِ مِنَ النِّسَاءِ وَارْتِبَاطُ النِّسَاءِ بِعَدَدِ مِنَ الرِّجَالِ ) بَيْنَ أَهْلِ الْهِنْدِ مُنْذُ زَمَنِ بَعِيدٍ مِنَ التَّارِيخِ ، وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ بَيْنَ الْأَشُورِيِّينَ وَالْمِیْدِيِّينَ وَالْبَابِلِيِّينَ ، أَيَّ حَدٍّ لِعَدَدِ النِّسَاءِ وَالزَّوْجَاتِ الَّتِي يَجُوزُ لِلرَّجُلِ الْإِغْرَاسُ بِهِنَّ . وَلَا يَزَالُ الرَّجُلُ فِي الْبَرَاهِمَةِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْزَوِّجَ مِنَ النِّسَاءِ الْعَدَدَ الَّذِي يُحِبُّ وَيَخْتَارُ . وَلَقَدْ كَانَ تَعَدُّدُ الزَّوْجَاتِ وَاقِعًا بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ عَهْدِ مُوسَى وَفِي أَيَّامِهِ ، إِذْ أَقَرَّ تِلْكَ السُّنَّةَ وَلَمْ يَضَعْ لِعَدَدِ الزَّوْجَاتِ حَدًّا وَلَا قَيْدًا ، وَلَكِنْ وُضِعَ ذَلِكَ الْقَيْدُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي التَّلْمُودِ ، وَنَصَّ عَلَى جَوَازِ الزَّوْجِ بِعَدَدٍ مِنَ النِّسَاءِ عَلَى قُدْرَةِ مَكْنَةِ الرَّجُلِ مِنْ إِطْعَامِهِنَّ وَالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِنَّ ، وَلِأَنَّ كَانَ زُعَمَاءُ الْيَهُودِيَّةِ قَدْ قَالُوا بِتَحْرِيمِ الزَّوْجِ بِأَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعِ نِسْوَةٍ ، فَقَدْ خَالَفَهُمْ قَوْمٌ فِي ذَلِكَ وَلَمْ يَغْتَرِفُوا بِحَدٍّ وَلَا شَرْطٍ .

أَمَّا الْفُرْسُ ، فَإِنَّ دِينَهُمْ أَبَاحَ الْإِكْثَارَ مِنْ اتِّخَاذِ الزَّوْجَاتِ ، وَقَدْ أَنْحَطَّ تَعَدُّدُ الزَّوْجَاتِ بَيْنَ الْفَرَنْجِيَّةِ - السُّورِيَّةِ - الَّتِي هَزَمَهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَبَادُوهَا ، إِلَى ذَلِكَ

لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَيَوَانِيَّةِ أَيُّ فَارِقٍ أَوْ خِلَافٍ ؛ وَكَذَلِكَ فَشَتْ سُنَّةُ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ فِي أَهْلِ طَرَاقِيَّةٍ وَلَيْدِيَّةٍ وَكَثِيرٍ مِنَ الشُّعُوبِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي كَانَتْ تَسْكُنُ أَقَالِيمَ عِدَّةٍ مِنْ بِلَادِ الْغَزْبِ وَالْأَقَالِيمِ الْوَاقِعَةِ فِي غَرْبِيَّ آسِيَةِ ، وَزَادَتْ عَنِ الْحَدِّ وَتَمَادَتْ حَتَّى تَجَاوَزَتْ الْوُصْفَ .

وَلَقَدْ كَانَتْ الزَّوْجَةُ فِي أَهْلِ أَيْتَةِ الْقَدِيمَةِ - وَهِيَ وَلَا خَفَاءَ أَكْبَرُ الْأُمَمِ الْأَثَرِيَّةِ الْقَدِيمَةِ حَضَارَةِ - مَتَاعًا يُبَاعُ وَيُشْتَرَى ، وَسِلْعَةً فِي السُّوقِ تَنْتَقِلُ مِنْ حَوْزَةِ رَجُلٍ إِلَى رَجُلٍ ، وَكَانَتْ تُعَدُّ شَرًّا لَا غِنَى عَنْهُ فِي الْبَيْتِ ، وَلِلابْتِدَالِ فِي الْخِدْمَةِ وَإِخْرَاجِ الذَّرَارِيِّ وَالْأَطْفَالِ ، وَكَانَ لِلْأَيْتِيِّ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِمَنْ شَاءَ مِنَ النِّسَاءِ ، حَتَّى لَقَدْ جَعَلَ الْخَطِيبُ دِيمُوسْتِينُس - وَهُوَ هُوَ فِي بَرَاةِ الْخَطَابَةِ - يَفْخَرُ بِأَنَّ فِي أُمَّتِهِ ثَلَاثَ طَبَقَاتٍ مِنَ النِّسَاءِ ، طَبَقَتَانِ مِنْهُمَا أَزْوَاجٌ شَرْعِيَّةٌ ، وَأُخْرَيَاتٌ غَيْرُ شَرْعِيَّةٍ .

وَلِإِنْ كَانَ الرِّجَالُ فِي أَسْبَازِطَةِ الْقَدِيمَةِ لَا يُبَاحُ لَهُمْ الزَّوْاجُ بِأَكْثَرِ مِنْ زَوْجَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَقَدْ كَانَ لِنِسَائِهِمْ أَنْ يَتَزَوَّجْنَ بِأَكْثَرِ مِنْ رَجُلٍ وَاحِدٍ .

وَلَعَلَّ الطُّرُوفَ الْخَاصَّةَ الَّتِي وُضِعَتْ فِيهَا أَنْظِمَةُ الدَّوْلَةِ الرُّومَانِيَّةِ هِيَ الَّتِي حَالَتْ دُونَ إِبَاحَةِ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ فِي إِبَانِ نَشْأَةِ تِلْكَ الدَّوْلَةِ ، وَمَهْمَا كَانَ نَصِيبُ قِصَّةِ اخْتِطَافِ نِسَاءِ السَّابِقِينَ وَسَبِيهِنَّ فِي أَوَائِلِ الْعَهْدِ بِدَوْلَةِ الرُّومَانِ مِنَ الصَّحَّةِ وَالْحَقِّ ، فَإِنَّ ثُبُوتَ تِلْكَ الْقِصَّةِ فِي سِجْلِ التَّارِيخِ بَاعِثٌ عَلَى الظَّنِّ بِأَنَّهَا كَانَتْ الْعَامِلَ فِي وَضْعِ الْأَنْظِمَةِ الْأُولَى عِنْدَهُمْ فِي الزَّوْاجِ وَالْأُسْرَةِ ، عَلَى حِينِ أَنْ تَعَدَّدَ الزَّوْجَاتِ فِي الْوِلَايَاتِ الْمُجَاوِرَةِ لِرُومَةِ وَفِي وِلَايَةِ أَتْرُوسْكَانِ خَاصَّةً كَانَ عَادَةً شَائِعَةً وَسُنَّةً مَأْلُوفَةً ، وَجَاءَتْ بَعْدَ ذَلِكَ الْحُرُوبُ الْكَثِيرَةُ وَالْغَزَوَاتُ الطَّوِيلَةُ وَالْفَتْوحُ الْمُسْتَمِرَّةُ وَمَا كَانَ مِنْهَا مِنْ حُدُوثٍ اخْتِلَاطٍ بِالْأُمَمِ الْأُخْرَى

الَّتِي كَانَتْ تَسْكُنُ إِيْطَالِيَّةَ . ثُمَّ الْتَرَفُ النَّاشِئُ مِنَ النَّجَاحِ ، وَالرَّفَاهِيَّةُ الَّتِي تَغْقِبُ الْإِنْتِصَارَاتِ ، فَكَانَتْ كُلُّهَا سَبَبًا فِي جَعْلِ مَشْرُوعِيَّةِ الزَّوْاجِ عِنْدَ الرُّومَانِ أَمْرًا لَا أَهْمِيَّةَ لَهُ وَلَا ضَرُورَةَ ، فَلَمْ يَكْتَفُوا بِإِبَاحَةِ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ وَجَعَلَهُ شِرْعَةً وَنِظَامًا مُقَرَّرًا ، بَلِ اسْتَحَالَ الزَّوْاجُ كَذَلِكَ ضَرْبًا مِنَ التَّسَرِّي لَا أَكْثَرَ وَلَا أَقَلَّ . وَلَمْ يَلْبَثِ التَّسَرِّي بَعْدَ أَنْ أَقَرَّتْهُ شَرَائِعُ الدَّوْلَةِ الرُّومَانِيَّةِ أَنْ أَضْحَى فِي قُوَّةِ الشَّرِيعَةِ الْمُبَاحَةِ وَالسُّنَّةِ الْمُقَرَّرَةِ ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ حُرِّيَّةُ النِّسَاءِ وَضَعْفُ الرِّابِطَةِ الَّتِي تُمَسِّكُهُنَّ بِالرِّجَالِ وَتَبَادُلُ الزَّوْجَاتِ بَيْنَ الرِّجَالِ أَوْ التَّنَازُلُ عَنْهُنَّ ؛ لَمْ تَكُنْ جَمِيعًا إِلَّا تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ بِعَيْنِهِ ، وَإِنَّمَا تَحْتَ اسْمٍ آخَرَ ، وَفِي شَكْلِ مُخْتَلَفٍ .

وَبَدَأَتْ يَوْمَئِذٍ تَعَالِيمُ الْمَسِيحِيَّةِ الْأُولَى تُلْقَى عَلَى سَوَاحِلِ غَالِيلِيَّةِ ، وَتَشُعُّ عَلَى الْعَالَمِ الرُّومَانِيِّ بِأَسْرِهِ ، عَلَى أَنَّ نَبِيَّ النَّاصِرَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَقْدِرَ مَسْأَلَةَ الزَّوْاجِ حَقَّ قَدْرِهَا عَامَّةً . وَكَذَلِكَ شَاعَتْ سُنَّةُ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ وَفَشَتْ وَسَادَتْ ، حَتَّى جَاءَتْ قَوَانِينُ جُوسْتِنْيَانِ Justinian فَأَبْطَلَتْهَا وَحَرَّمَتْهَا ، وَلَكِنْ أَمَرَ تَحْرِيمُهَا فِي تِلْكَ الْقَوَانِينِ الْمَدَنِيَّةِ لَمْ يُحْدِثْ أَيَّ تَغْيِيرٍ فِي أَخْلَاقِ الشَّعْبِ وَمَبَادِيءِ الْأَدَابِ عِنْدَهُمْ . فَظَلَّ تَعَدُّدُ الزَّوْجَاتِ بَاقِيًا مَعْمُولًا بِهِ مُتَّبَعًا ، حَتَّى جَاءَتْ مَدَنِيَّةُ الْمُجْتَمَعِ الْمُتَحَضَّرِ فَقَطَّعَتْ بِتَحْرِيمِهِ ، وَحَكَمَتْ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ .

وَكَانَتْ الزَّوْجَاتُ ، عَدَا الزَّوْجَةَ الْأُولَى الَّتِي بَنَى الرَّجُلُ بِهَا قَبْلَ الْأُخْرَيَاتِ ، فِي شَرِّ حَالٍ وَأَسْوَأَ عَيْشَةٍ ، سَلِيَّةَ الْحُقُوقِ ، لَا تَتَنَعَّمُ بِشَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الرُّعَايَةِ الَّتِي تَرَعَى الْقَوَانِينُ بِهَا حَقَّ الزَّوْجَةِ الْأُولَى ، عَمِيدًا أَرْقَاءَ ، مُسْتَهْدَفَاتٍ لِنَقْلِ الزَّوْجِ ، رَهَائِنَ أَوْهَامِهِ ، غَرَضًا لِمَنَازِعِهِ وَأَهْوَاءِ نَفْسِهِ ، وَكَانَ أَطْفَالُهُنَّ يُوسَمُونَ بِمَيْسَمِ الزَّنَا ، وَيُدْعَوْنَ مُزْنَمِينَ ، وَيُحْرَمُونَ حَقَّهُمْ فِي

إِزْثِ أَبِيهِمْ ، وَيُعَامِلُونَ كَأَنَّهُمْ طَرَائِدُ الْمُجْتَمَعِ ، مُشَرَّدِينَ مَبْنُودِينَ مِنْ صُفُوفِهِ .  
وَلَمْ يَكُنِ التَّمَتُّعُ بَعْدَ مِنَ الزَّوْجَاتِ ، شَرْعِيَّاتٍ وَغَيْرِ شَرْعِيَّاتٍ ، مَقْصُوراً  
عَلَى طَبَقَةِ الثُّبَلَاءِ وَالْأَشْرَافِ ، بَلْ لَقَدْ كَانَ كَثِيرُونَ مِنْ رِجَالِ الدِّينِ يَتَنَاسَوْنَ  
الْعَهْدَ الَّذِي عَاهَدُوهُ وَالْقَسَمَ الَّذِي اتَّخَذُوهُ مِنَ الْبَقَاءِ عَلَى الْعُزُوبَةِ وَالتَّحْرِجِ مِنَ  
الزَّوْاجِ ، فَيَزَبْطُونَ بِزِيْجَةٍ أَوْ زِيْجَتَيْنِ شَرْعِيَّتَيْنِ أَوْ غَيْرِ شَرْعِيَّتَيْنِ ، وَالتَّارِيخُ يَدُلُّ  
عَلَى أَنَّ تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ لَمْ يَكُنْ فِي نَظَرِ الْإِنْسَانِيَّةِ مُحَرَّماً غَيْرَ جَائِزٍ كَمَا هُوَ  
الْيَوْمُ ، بَلْ إِنَّ الْقُدِّيسَ أَوْغُسْتِينَ Augustine نَفْسَهُ لَمْ يَكُنْ يَرَى فِيهِ شَيْئاً مِنَ الْإِثْمِ  
أَوْ الْمَعَابَةِ أَوْ مُخَالَفَةِ نَوَامِيسِ الْأَدَابِ ، وَاعْتَرَفَ بِأَنَّهُ لَا يُعَدُّ جَرِيْماً ، إِذْ كَانَ  
سُنَّةً مُقَرَّرَةً فِي [ كُلِّ ] بَلَدٍ مِنَ الْبُلْدَانِ ، وَقَرَّرَ الْمُضْلِحُونَ الدِّيْنِيُّونَ مِنَ الْجِزْمَانِ  
فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ عَشَرَ صِحَّةَ الزَّوْاجِ بِأَمْرَةٍ ثَانِيَةٍ أَوْ ثَالِثَةٍ بِجَانِبِ الزَّوْجَةِ الْأُولَى  
لِأَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ ، مِنْهَا الْعُقْمُ وَقِلَّةُ النَّسْلِ .

وَنَحْنُ نَرَى كَثِيرِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الدِّيْنِيِّينَ يَغْتَرِفُونَ بِأَنَّ لَيْسَ فِي تَعَدُّدِ  
الزَّوْجَاتِ أَيُّ مُخَالَفَةٍ لِقَوَاعِدِ الْأَدَابِ ، وَأَنَّ عَيْسَى لَمْ يُحَرِّمِ التَّعَدُّدَ تَحْرِيماً  
قَاطِعاً ، وَلَمْ يَقُلْ بِمَنْعِهِ مَنَعاً بَاطِلاً ، وَمَعَ ذَلِكَ تَرَاهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّ فِكْرَةَ الْفَرْدِيَّةِ  
فِي الزَّوْاجِ لَمْ تَعُمَّ فِي الْغَرْبِ وَلَمْ تَنْتَشِرْ إِلَّا بِفَضْلِ التَّعَالِيمِ الَّتِي بَثَّهَا الْجِزْمَانُ أَوْ  
أَهْلُ الدَّوْلَةِ الْرُومَانِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ فِي تَضَاعِيفِ الْمَسِيحِيَّةِ ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الْفِكْرَةَ  
الْآخِرَةَ تُخَالِفُ الْوَاقِعَ وَالتَّارِيخَ ، وَلَا أَثَرَ لَهَا مِنَ الصَّحَّةِ . إِذْ لَمْ يَقُلْ  
بِاسْتِمْسَاكِ الْجِزْمَانِ بِسُنَّةِ الْاِفْتِصَارِ عَلَى زَوْجٍ وَاحِدَةٍ غَيْرِ وَاحِدٍ أَوْ اثْنَيْنِ لَا تَصِحُّ  
شَهَادَتُهُمَا ، ثُمَّ لَا يَنْبَغِي أَنْ نَنْسَى الْغَرَضَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ وَضَعَ الْمُؤَرِّخُ تَاسِيْتَاسَ  
كِتَابَهُ « فِي آدَابِ الْجِزْمَانِ » ، فَقَدْ كَانَ كِتَابُهُ ذَاكَ نَقْداً حَارّاً شَدِيداً عَلَى الْإِلْبَاحِيَّةِ  
الَّتِي كَانَتْ مُتَفَشِّئَةً فِي بَنِي وَطْنِهِ ، وَكَانَ غَرَضُهُ إِدْخَالَ مَبَادِيءِ أَطْهَرِ مِنَ

الْمَبَادِيءِ الَّتِي كَانَتْ سَائِدَةً يَوْمَذَاكَ فِي رُومَةٍ . وَإِذَا نَحْنُ فَرَضْنَا أَنَّ تَاسِيَتَاسَ  
كَانَ عَلَى الْحَقِّ ، فَبِمَاذَا نُوَوِّلُ عَادَةً تَعَدُّدِ الْأَزْوَاجِ الَّتِي ظَلَّ عَلَيْهَا طَبَقَاتُ الثُّبُلَاءِ  
مِنَ الْجِزْمَانِ حَتَّى الْقَرْنِ الثَّاسِعِ عَشَرَ . وَمَهْمَا كَانَتْ عَادَةُ الرُّومَانِ فِي الْعُهُودِ  
الْأُولَى مِنْ تَارِيخِهِمْ ، فَلَا نِزَاعَ فِي أَنَّ تَعَدُّدَ الْأَزْوَاجِ فِي أُخْرِيَاتِ أَيَّامِ الْجُمْهُورِيَّةِ  
الرُّومَانِيَّةِ وَأَبَانَ عَهْدِ الْأَمْبِرَاطُورِيَّةِ كَانَ وَلَا رَيْبَ مُقَرَّرًا كَسُنَّةٍ مَشْرُوعَةٍ ، أَوْ لَمْ  
يَكُنْ عَلَى الْأَقْلِ مُعْتَبَرًا إِنَّمَا مُحَرَّمًا وَأَمْرًا غَيْرَ مَشْرُوعٍ ، فَإِنَّ الْأَمْبِرَاطُورَ فَالْتَّيْنَانَ  
Valentinian الثَّانِي أَصْدَرَ قَانُونًا أَبَاحَ بِهِ لِرِعَايَا مَمْلَكَتِهِ الزَّوَاجَ بَعْدَةَ نِسَاءٍ إِذَا  
شَاؤُوا ، وَلَيْسَ فِي التَّارِيخِ الدِّينِيِّ لِتِلْكَ الْأَزْمِنَةِ دَلِيلٌ مَّا عَلَى أَنَّ أَسَاقِفَةَ ذَلِكَ  
الْعَصْرِ وَرُؤُوسَ الْكَنِيسَةِ أَقَامُوا أَيَّ اعْتِرَاضٍ عَلَى إِصْدَارِ ذَلِكَ الْقَانُونِ . بَلْ لَقَدْ  
تَابَعَ الْقِيَاصِرَةُ الَّذِينَ جَاؤُوا بَعْدَ ذَلِكَ الْأَمْبِرَاطُورِ سُنَّةَ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ ، وَمَشَى  
قَوْمُهُمْ فِي آثَارِهِمْ . وَبَقِيَتْ تِلْكَ الْقَوَانِينُ عَلَى حَالِهَا حَتَّى عَهْدِ جُوسْتِنْيَانَ  
Justinian ، إِذْ كَانَ أَكْبَرُ نَصَحَاءِ ذَلِكَ الْأَمْبِرَاطُورِ وَوُزَرَائِهِ رَجُلًا مُلْحِدًا وَثَنِيًا .  
وَلَكِنَّ تَحْرِيمَ ذَلِكَ الْمَلِكِ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَزْجُرَ مِثْلَ ذَلِكَ الْعَصْرِ  
وَيَقْمَعَ رَغْبَتَهُ ، بَلْ لَمْ يَكُنْ قَانُونُ تَحْرِيمِ تِلْكَ السُّنَّةِ الْقَدِيمَةِ إِلَّا دَلِيلًا عَلَى تَقَدُّمِ  
الْفِكْرِ الْإِنْسَانِيِّ فِي تِلْكَ الْعُصُورِ وَآثَرًا مِنْ تَطَوُّرِ الْأَدَابِ لَيْسَ غَيْرِ ، وَلَمْ يَتَعَدَّ  
تَأْثِيرُهَا فِتْنَةً مِنَ الْمُفَكِّرِينَ ، وَرَاحَتْ فِي الْجَمَاهِيرِ ضَعِيفَةً الْأَثَرِ لَا سُلْطَانَ لَهَا  
وَلَا نَفُوذَ .

وَفِي الْأَقَالِيمِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْ أَوْرُبَةٍ لَمْ يَكُنْ مِنْ عُلُوِّ كَفَّةِ الْبَرَابَرَةِ وَاخْتِلَاطِ  
مَبَادِيءِ السُّكَّانِ بِمَبَادِيءِ الْفَاتِحِينَ إِلَّا أَنْ حَطَّتْ مِنْ عِلَاقَةِ الرَّجُلِ بِالْمَرْأَةِ ،  
وَحَاوَلَتْ جُمْلَةً مِنْ قَوَانِينِ أَوْلَئِكَ الْبَرَابَرَةِ أَنْ تَضَعَ نُصُوصًا خَاصَّةً بِتَعَدُّدِ  
الزَّوْجَاتِ ، وَلَكِنَّ التَّعَالِيمَ وَالنُّصُوصَ لَمْ تُغْنِ شَيْئًا وَلَمْ تُفِذْ فِتْيَلًا . إِذْ كَانَتْ

الشُّعُوبُ وَالْجَمَاهِيرُ تَرَى مُلُوكَهُمْ مُكْثَرِينَ مِنَ الزَّوْجَاتِ ، فَلَا تَجِدُ عَنْ  
أَخْتِدَائِهِمْ حَوْلًا ، وَلَا تَرَى بُدًّا مِنْ الْاِفْتِدَاءِ بِهِمْ ، حَتَّى أَنْ رِجَالَ الدِّينِ عَلَى رَغْمِ  
وَصَايَا الْأَسْتِمْسَاكِ بِالْعُزُوبَةِ الَّتِي كَانَتْ تُلْقَنُ فِي الْكَنِيسَةِ ، جَعَلُوا يَتَسَرَّوْنَ بِأَمْرَاءَ  
أَوْ بِأَكْثَرٍ مِنْ أَمْرَاءَ . وَذَلِكَ بِإِذْنٍ مِنْ رَئِيسِ أَسْفُفِيَّتِهِمْ .

وَالْخَطَا الْأَكْبَرُ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ كُتَابُ الْمَسِيحِيَّةِ قَوْلُهُمْ : إِنَّ مُحَمَّدًا اتَّخَذَ  
تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ سُنَّةً مِنْ سُنَنِ دِينِهِ ، وَأَقَرَّهُ ، وَأَبَاحَهُ ، وَأَجَازَهُ .

وَالْفِكْرَةُ الْقَدِيمَةُ الَّتِي تَجْرِي فِي أَذْهَانِهِمْ مِنْ أَنَّ نَبِيَّ الْإِسْلَامِ هُوَ الَّذِي كَانَ  
أَوَّلَ مَنْ سَنَّ تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ وَجَعَلَهُ شَرِيعَةً مِنَ الشَّرَائِعِ الْأَجْتِمَاعِيَّةِ ، وَهِيَ فِكْرَةٌ  
تَدُلُّ عَلَى مِقْدَارِ جَهْلِ الَّذِينَ حَمَلُوهَا أَدْمِغَتُهُمْ ، قَدْ هُدِمَتِ الْيَوْمَ وَدُحِضَتْ  
وَوَظَّهَرُ لَهُمْ فَسَادُهَا ، وَلَكِنَّ الْخَطَا الَّذِي لَا تَزَالُ جَمَاهِيرُ الْعَامَّةِ عِنْدَهُمْ تَسْتَمْسِكُ  
بِهِ وَتُصِرُّ عَلَيْهِ ، وَلَا يَزَالُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَعَلِّمِينَ وَرِجَالِ الْمَسِيحِيَّةِ يَقُولُونَ  
بِهِ ؛ هُوَ مَا قَدَّمْنَا ، مِنْ أَنَّ مُحَمَّدًا اتَّخَذَ تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ شَرِيعَةً ، وَأَقَرَّهُ سُنَّةً  
وَقَانُونًا ، وَتِلْكَ فِكْرَةٌ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا أَفْسَدُ مِنْهَا وَأَبْعَدُ عَنِ الْحَقِّ ، وَأَضْعَفُ  
أَسَاسًا ؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا وَجَدَ تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ مَعْمُولًا بِهِ بَيْنَ أُمَّتِهِ وَجِيرَانِ أُمَّتِهِ  
وَالْبِلَادِ الْوَاقِعَةِ حَوْلَ جَزِيرَتِهِ ، حَيْثُ اتَّخَذَتْ ثَمَّةً مَظْهَرًا مُخِيفًا ، وَكَانَتْ فِي  
حَالٍ مِنَ التَّفَشِّي سَيِّئَةٍ نَكَرَاءَ ، وَنَحْنُ لَا نُنْكِرُ أَنَّ قَوَانِينَ الْأَمْبَرَاطُورِيَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ  
حَاولَتْ أَنْ تُصْلِحَ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ التَّقْيِصَةِ ، وَتُكْسِرَ مِنْ حَدِيثِهَا ، وَلَكِنَّهَا عَجَزَتْ  
وَعَادَتْ مُخَيَّبَةً طَائِشَةً السَّهَامِ ، فَظَلَّتْ تِلْكَ الْعَادَةُ نَامِيَةً مُتَاصِّلَةً لَا رَادَّ لَهَا  
وَلَا زَاجِرَ يَزْجُرُهَا . وَظَلَّتْ الزَّوْجَاتُ الْمَسْكِينَاتُ اللَّاتِي تَزَوَّجَ مِنْهُنَّ الرَّجُلُ بَعْدَ  
زَوْجَتِهِ الْأُولَى يُعَانِينَ أَلْوَانًا مِنَ الْأَلَامِ وَضُرُوبًا مِنَ الشَّقَاءِ . وَكَانَ فَسَادُ أَمْرِ  
الْأَخْلَاقِ فِي بِلَادِ فَارِسَ عَلَى عَهْدِ ظُهُورِ النَّبِيِّ وَتَحْطُمِ مَبَادِيءِ الْأَدَبِ مِنْ

السَّانَعَةِ وَالشُّوءِ بِحَالٍ مُرَوَّعَةٍ . فَلَمْ يَكُنْ ثَمَّتَ لِلزَّوْاجِ قَانُونٌ أَوْ شِرْعَةٌ مَعْرُوفَةٌ ،  
وَإِنْ كَانَ ثَمَّتَ قَانُونٌ ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَعْتَرِفُ بِهِ أَوْ يَرْتَضِيهِ .

وَلَمَّا كَانَ كِتَابُ الزَّرَنْدَادِيسْتَا<sup>(١)</sup> Zend Avesta لَمْ يَضَعْ حَدًّا مَحْدُودًا لِعَدَدِ  
النِّسَاءِ الَّلَاتِي يَجُوزُ لِلرَّجُلِ الْإِبْتِنَاءُ بِهِنَّ ، لَمْ يَكُنْ مِنَ الْفُرْسِ إِلَّا أَنْ جَعَلُوا  
يَنْعُمُونَ بِعَدَدٍ عَدِيدٍ مِنَ النِّسَاءِ وَعَدَدٍ مِثْلِهِ مِنَ السَّرَارِي . وَكَانَتْ هُنَاكَ عَادَةٌ  
أُخْرَى غَيْرَ تَعْدُدِ الزَّوْجَاتِ عِنْدَ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْيَهُودِ وَهِيَ عَادَةُ زَوَاجِ الْمُتْنَعَةِ ، فَكَانَ  
لِهَذَا التَّحَلُّلِ الشَّنِيعِ فِي الْمَبَادِيءِ الْأَجْتِمَاعِيَّةِ أَثَرٌ مُخِيفٌ سَيِّءٌ مُنْكَرٌ فِي حَيَاةِ  
الْمُجْتَمَعِ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ .

عَلَى أَنْ الْإِضْلَاحَاتِ الَّتِي اسْتَنْهَى النَّبِيُّ أَحَدَثَتْ تَحْسِينًا مُتَّسِعَ الْمَدَى بَيْنَا  
مَخْسُوسًا مِنْ وَجْهَةِ مَرْكَزِ الْمَرْأَةِ .

عَلَى حِينٍ ، كَانَتْ حَالَةُ النِّسَاءِ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالْعَرَبِ غَيْرِ الْمُسْتَعْرِبَةِ نِهَآيَةً فِي  
الْإِنْحِطَاطِ وَالْمَهَانَةِ وَالشُّوءِ ، فَقَدْ كَانَتْ الْفَتَاةُ الْيَهُودِيَّةُ فِي بَيْتِ أَبِيهَا فِي مَكَانِ  
الْخَادِمِ لَا أَكْثَرَ وَلَا أَقَلَّ ، وَكَانَ لِأَبِيهَا أَنْ يَبِيعَهَا فِي السُّوقِ إِنْ كَانَتْ قَاصِرَةً ،  
وَلِأَبْنَائِهِ الذُّكْرَانِ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ يَتَصَرَّفُوا فِي أَمْرِهَا كَمَا تَشَاءُ أَهْوَاؤُهُمْ ، وَكَانَتْ  
الْفَتَاةُ لَا تَرِثُ أَبَوَيْهَا إِلَّا إِذَا كَانَتْ وَحِيدَةً لَا ذُكُورَ مَعَهَا ، وَكَانَ أَهْلُ الْوُثْنِيَّةِ  
الْقَدِيمَةِ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ جَرَاءِ تَأْثِيرِ اخْتِلَاطِهِمْ بِالْبُلْدَانِ الْمُحِيطَةِ بِهِمْ يَعُدُّونَ الْمَرْأَةَ  
سِلْعَةً وَمِلْكًا مِنْ سِلْعِ الرَّجُلِ وَأَمْلَاكِهِ ، وَكَانَتْ الْأَرَامِلُ تَتَّقِلُ بَعْدَ مَوْتِ بُعُولَتِهِنَّ  
إِلَى حُوزَةِ أَبْنَائِهِمْ بِحَقِّ الْإِزْثِ .

وَكَانَ ذَلِكَ مَنَشَأَ زِيَجَاتٍ كَبِيرَةٍ بَيْنَ أَبْنَاءِ الزَّوْجِ وَأَرَامِلِ آبَائِهِمْ ، وَهِيَ الَّتِي  
جَاءَ الْإِسْلَامُ فَمَنْعَهَا ، وَسُمِّيَتْ بَعْدَ ذَلِكَ « زَوَاجِ الْمَقْتِ » ؛ وَتَمَادَتْ بِعَرَبِ

(١) هو الكتاب المقدس لاتباع زرادشت Zoroaster = Zarathustro .

الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى الْكَرَاهِيَّةُ لِلنِّسَاءِ حَتَّى جَعَلُوا يَدُونُ الْبَنَاتِ وَيَدُسُّونَ الْوَلَدَ الْإِنَاثَ فِي الثَّرَى أَحْيَاءَ ، وَهَذِهِ الْعَادَةُ الشَّنْعَاءُ الَّتِي كَانَتْ سَائِدَةً بَيْنَ أَهْلِ قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ كِنْدَةَ حَارَبَهَا الْإِسْلَامُ وَشَدَّدَ مُحَمَّدٌ التَّنْكِيرَ عَلَيْهَا ، وَأَسْتَنَّ لَهَا الْعُقُوبَةُ الصَّارِمَةُ وَالْمَثَلَاتِ الشَّدِيدَةُ ، وَكَذَلِكَ قُلُوبُ عَادَةِ تَقْرِيبِ الْأَطْفَالِ قَرَابِينَ لَا إِلَهَتِهِمْ .

وَكَانَ مَكَانُ الْمَرْأَةِ فِي دَوْلَةِ الْفُرْسِ ، وَكَذَلِكَ فِي دَوْلَةِ بِيْزَانْطَةَ حَقِيرًا مَهِينًا فِي نِظَامِ الْمُجْتَمَعِ ، وَأَنْبَرَى قَوْمٌ مِنَ الْمُتَهَوِّسِينَ الدِّينِيِّينَ خَلَعَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسِيحِيَّةُ بَعْدَ ذَلِكَ الْقَابِ الْقِدِّيسِينَ وَالْأَوْلِيَاءَ الصَّالِحِينَ ، فَجَعَلُوا يَحْطُطُونَ مِنْ قَدْرِ الْمَرْأَةِ ، وَيُنْكِرُونَ فَضِيلَتَهَا ، وَيَحْكُمُونَ بِشَيْطَانِيَّتِهَا ، نَاسِينَ أَنَّ النَّفَائِصَ الَّتِي رَأَوْهَا فِي الْمَرْأَةِ لَيْسَتْ إِلَّا صُورَةُ أَذْهَانِهِمُ النَّاقِصَةِ الصَّفَرَاءِ الْمَرِيضَةِ مَعْكُوسَةً أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ .

فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ ، وَبِنَاءِ الْمُجْتَمَعِ يَكَادُ يَخْرُ إِلَى الْأَرْضِ ، وَيَنْتَقِضُ حَجَرًا حَجَرًا ، وَالرَّابِطَةُ الَّتِي كَانَتْ تَرْبِطُ ذَلِكَ الْبِنَاءَ هَاوِيَةً مَتَحَلِّلَةً ، ظَهَرَ مُحَمَّدٌ بِتَعَالِيهِ الْجَدِيدَةِ وَسُنَنِهِ الصَّالِحَةِ ، فَوَضَعَ ذَلِكَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ الْمَبْدَأَ الْأَوَّلَ فِي رَأْسِ تَعَالِيهِ الْوُصَاةِ بِالنِّسَاءِ وَاخْتِرَامِهِنَّ ، وَتَغْلَغَلَ أَثَرُ ذَلِكَ الْمَبْدَأِ فِي صَحَابَتِهِ وَاتِّبَاعِهِ وَأَنْصَارِهِ ، فَاسْمُوا ابْنَةَ النَّبِيِّ تَقْدِيرًا لِمَكَانَتِهَا وَإِجْلَالًا لِطُهْرِهَا وَقَدَّاسَتِهَا : « سَيِّدَةُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ » ، وَفَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ ؛ ثُمَّ قَفَّتْ عَلَى آثَارِ ابْنَةِ النَّبِيِّ طَائِفَةٌ طَوِيلَةٌ مِنَ النِّسَاءِ أَعْلَيْنَ مِنْ شَأْنِ جِنْسِهِنَّ لِفَضِيلَتِهِنَّ وَمَرَايَاهُنَّ ، وَمِنْ بَيْنِ الشَّرَائِعِ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا النَّبِيُّ وَسَنَّهَا مِنْهُ عَادَةُ الزَّيْجَةِ الْوَقْتِيَّةِ ، زَوَاجِ الْمُتَعَةِ ، وَلَئِنْ كَانَ قَدْ أَبَاحَهَا اضْطِرَارًا فِي مَبْدَأِ الْأَمْرِ ، لَقَدْ عَادَ فَحَرَّمَهَا تَحْرِيمًا فِي الْعَامِ الثَّالِثِ مِنَ الْهِجْرَةِ ، بَلْ لَقَدْ وَضَعَ مُحَمَّدٌ لِلنِّسَاءِ حُقُوقًا لَمْ تَكُنْ لَهُنَّ مِنْ



قَبْلُ ، وَأَسَسَ لَهُنَّ أُمْنِيَّاتٍ سَيُذَرِّكُ الْعَالَمُ قِيَمَتَهَا عَلَى مَمَرِ الزَّمَنِ ، بَلْ لَقَدْ رَفَعَهُنَّ مِنْ وَهْدَتِهِنَّ ، فَسَوَّى بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ الرِّجَالِ فِي الْوُظَائِفِ وَالْحُقُوقِ ، وَكَسَرَ مِنْ شَوْكَةِ تَعَدُّدِ الْأَزْوَاجِ ، فَوَضَعَ حَدًّا لِعَدَدِ الزَّوْجَاتِ الَّتِي يَجُوزُ لِلرَّجُلِ الْإِبْتِنَاءُ بِهِنَّ مَعًا ، وَلَا نَسَى أَنَّ الْآيَةَ الَّتِي جَاءَتْ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ لِتَحْدِيدِ عَدَدِ الزَّوْجَاتِ وَإِبَاحَةِ الزَّوَاجِ بِأَرْبَعِ نِسْوَةٍ ، إِنَّمَا عُقِبَتْ بِآيَةٍ أُخْرَى ، وَهِيَ : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ [ ٤ سورة النساء / الآية : ٣ ] فَإِنَّ هَذَا الشَّرْطَ مِنَ الْأَهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ عَظِيمٍ <sup>(١)</sup> ، وَلَمْ يُغْفَلْ قِيَمَتُهُ عُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ وَسَادَاتُ الدِّينِ ، فِيهِ الْقَرْنِ الثَّلَاثِ مِنْ الْهَجْرَةِ جَعَلَ عُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ فِي عَهْدِ الْمَأْمُونِ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ أَنَّ مَبَادِيءَ الْقُرْآنِ إِنَّمَا تَبَتْ فِكْرَةَ الْاِفْتِصَارِ عَلَى زَوْجٍ وَاحِدَةٍ وَتُوْجِي إِلَى الْمُسْلِمِينَ الْاِسْتِمْسَاكَ بِتِلْكَ الْفِكْرَةِ ، وَأَنَّهَا فِي صَفِّ فَرْدِيَّةِ الزَّوَاجِ ، وَعَلَى الرِّغْمِ مِنَ الْاَضْطِهَادَاتِ الَّتِي حَمَلَ بِهَا ذَلِكَمُ الْخَلِيفَةُ الْمَمْرُورُ « الْمُتَوَكَّل » عَلَى أَوْلَيْكَ الْعُلَمَاءِ وَمَنَعَ بِهَا اَنْتِشَارَ تِلْكَ التَّعَالِيمِ الَّتِي بَثُّهَا فِي النَّاسِ وَالْمَبَادِيءُ الَّتِي نَادَاوُا الْجَمَاهِيرَ إِلَيْهَا ، فَإِنَّ الْاِعْتِقَادَ بِصِحَّةِ تِلْكَ الْمَبَادِيءِ لَا يَرَالُ يَنْشُرُ نَفْسُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَيُكْرِهُ الْجَمِيعَ عَلَى الْاِفْتِنَاعِ بِهِ ، وَيُوْجِي إِلَى الْجَمَاعَاتِ الْاِسْلَامِيَّةِ الْمُسْتَنِيرَةِ الْمُهَذَّبَةِ أَنَّ تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ يُنَاقِضُ تَعَالِيمَ الْاِسْلَامِ كَمَا هُوَ مُنَاقِضٌ لِتَقَدُّمِ الْمُجْتَمَعِ الْمُتَحَضَّرِ وَالْآدَابِ الْخُلُقِيَّةِ الْحَقَّةِ وَالْمَدَنِيَّةِ الْحَدِيثَةِ .

وَيَنْبَغِي أَلَّا يَنْسَى النَّاسُ أَنَّ وُجُودَ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ يَتَوَقَّفُ عَلَى ظُرُوفٍ خَاصَّةٍ وَأَحْوَالٍ مُعَيَّنَةٍ وَأَزْمَنَةٍ مَعْلُومَةٍ تَجْعَلُ الْعَمَلَ بِهِ لِزَامًا وَأَمْرًا لَا بُدَّ مِنْهُ لِحِمَايَةِ الْعُنْصُرِ النَّسَائِيِّ مِنْ شَرِّ الْجُوعِ وَالْفَقَاةِ ، وَإِذَا صَحَّتِ التَّقَارِيرُ وَصَدَقَتْ الْإِحْصَائِيَّاتُ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا ، فَإِنَّ أَغْلَبَ الْفَسَادِ الْخُلُقِيِّ وَالْإِبَاحِيَّةِ وَتَهْدُمُ

(١) [ وَهَذِهِ الْآيَةُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَضْلَّ هُوَ التَّعَدُّدُ ، وَأَنَّ الْاِسْتِثْنَاءَ هُوَ الْاِكْتِفَاءُ بِوَاحِدَةٍ . بِسَام ] .

الْمَبَادِيءِ الْأَدَبِيَّةِ الْمُتَفَشِّيَةِ فِي أَكْبَرِ حَوَاضِرِ الْمَدِينَةِ فِي بِلَادِ الْفَرَنْجَةِ لَا مَنَشَأَ لَهُ إِلَّا الْفَاقَةُ الشَّدِيدَةُ وَقَدْ أَبَانَ الْأَبُ هُوكَ وَالسَّيِّدَةُ دُو غُوزْدُون فِي تَوَالِيْفِهِمَا أَنَّ مُجَرَّدَ الْحَاجَةِ فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ يَدْفَعُ النَّاسَ فِي الْمَشْرِقِ إِلَى اتِّبَاعِ فِكْرَةِ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ ...

\* \* \*

١٦٠٣ - وَبَعْدُ ؛ فَإِنَّهُ عَلَى تَقَدُّمِ الْفِكْرِ وَازْتِقَائِهِ وَتَقَلُّبَاتِ هَذَا الْعَالَمِ الْمُسْتَمِرَّةِ ، وَتَطَوُّرَاتِ أَحْوَالِهِ الْمُتَعَاقِبَةِ : تَنَمَّجِي ضَرُورَةُ الْحَاجَةِ إِلَى تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ ، وَتَبْطُلُ هَذِهِ الْعَادَةُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهَا ، أَوْ تُبْطِلُهَا الْقَوَانِينُ وَالشَّرَائِعُ <sup>(١)</sup> . وَمِنْ ثَمَّ نَرَى أَنَّهُ فِي الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي قَدْ أَخَذَتْ تَنَمَّجِي فِيهَا تِلْكَ الْأَسْبَابُ الَّتِي كَانَتْ قَدْ اسْتَلْزَمَتْ تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ فِي بَادِيءِ الْأَمْرِ ، قَدْ أَضْبَحَتْ هَذِهِ الْعَادَةُ تَعَدُّ شَرًّا وَنُكْرًا ، وَنِظَامًا مُنَافِيًا لِتَعَالِيمِ الرَّسُولِ ! بَيْنَمَا فِي الْبِلَادِ الَّتِي أَحْوَالُ الْمُجْتَمَعِ فِيهَا خِلَافُ ذَلِكَ ، وَالَّتِي يَنْعَدِمُ فِيهَا مِنْ وَسَائِلِ مُعَاوَنَةِ الْمَرْأَةِ نَفْسِهَا بِنَفْسِهَا مَا هُوَ مُتَوَفَّرٌ فِي الْبِلَادِ الْأَعْظَمِ رُقِيًّا وَالْأَرْقَى تَمَدُّنًا ، نَرَى أَنَّ مَذْهَبَ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ هُوَ مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا مَنَاصَ عَنْهُ .

وَلَمَّا كَانَتْ حُرِّيَّةُ التَّفْسِيرِ تَتْرُكُ مَجَالًا وَاسِعًا لِاخْتِلَافِ أَرْبَابِ الْفَتَاوَى ، فَسَيَكُونُ مِنَ الصَّعْبِ جِدًّا إِبْطَالُ الْمَذْهَبِ التَّعَدُّدِيِّ إِبْطَالًا تَامًا . وَنَحْنُ لَا نُنْكِرُ مَا لِهَذَا الْأَعْتِرَاضِ مِنْ قُوَّةِ الْحُجَّةِ وَصَرَامَةِ الْبُرْهَانِ مِمَّا هُوَ جَدِيدٌ بِالتِّقَاتِ مَنْ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْغِي خِلَاصَ التَّعَالِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِمَّا لِحَقِّهَا مِنَ الْإِنْتِقَاصِ وَالْعَيْبِ ، وَيُرِيدُ التَّمَشُّيَ مَعَ رُوحِ الْعَصْرِ وَالْمَدِينَةِ الْحَدِيثَةِ ، عَلَى أَنَّهُ لَا يَفُوتُنَا أَنَّ مُرُونَةَ الْقَوَانِينِ وَالشَّرَائِعِ هِيَ أَنْصَعُ دَلِيلٍ عَلَى نَفْعِهَا وَفَائِدَتِهَا ، وَهَذِهِ الْمُرُونَةُ

(١) [ هَذَا كَلَامٌ غَرِيبٌ مُنْكَرٌ ، فَإِنَّ مَا أَبَاحَهُ الدِّينُ لَا يُبْطِلُهُ الْقَوَانِينُ . بِسَام ] .

هِيَ أَعْظَمُ مَرَايَا الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، فَهَذِهِ الشَّرِيعَةُ مُلَائِمَةٌ عَلَى السَّوَاءِ لِمَطَالِبِ  
 أَرْقَى الشُّعُوبِ وَأَشَدِّهَا تَهْدُبًا وَلَا خِتَاجَاتٍ أَوْضَعَهَا وَأَحْطَهَا مَدَنِيَّةً ، وَالشَّرِيعَةُ  
 الْإِسْلَامِيَّةُ لَا تَتَجَاهَلُ مَطَالِبَ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمُتَطَوِّرَةِ الْمُتَدَرِّجَةِ كَمَا أَنَّهَا لَا تَتَجَاهَلُ  
 أَيْضًا أَنَّ فِي الدُّنْيَا شُعُوبًا قَدْ يُضْبِحُ بَيْنَهُمْ مَذْهَبُ تَوْحِيدِ الْمَرْأَةِ آفَةٌ وَشَرًّا . بَيَدَ أَنَّ  
 مُحَاوَلَةَ الْإِنْعَاءِ « تَعَدُّ الزَّوْجَاتِ » لَيْسَ مِنَ الصُّعُوبَةِ كَمَا يُتَوَهَّمُ ، وَلَا خِفَاءَ فِي أَنَّ  
 شَرًّا مَا نَكَبَتْ بِهِ الشُّعُوبُ الْإِسْلَامِيَّةُ مِنَ الْآفَاتِ وَالْمَصَائِبِ إِنَّمَا أَنَاهُمْ مِنْ نَاحِيَةِ  
 الْمَذْهَبِ التَّقْلِيدِيِّ ( الْوُقُوفُ عِنْدَ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ ) الَّذِي حَرَّمَ الْأَسْتِقْلَالَ  
 بِالرَّأْيِ الْفَرْدِيِّ ( الْأَجْتِهَادِ ) ، وَلَيْسَ بِبَعِيدِ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي يُرْجَعُ فِيهِ إِلَى نَصِّ  
 الْقُرْآنِ ذَاتِهِ لِلْفَضْلِ فِيمَا إِذَا كَانَ الْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَأْخُذَ بِصَرِيحِ آيَاتِ  
 الْكِتَابِ الْحَكِيمِ وَحَقِيقِ مَعَانِيهَا أَوْ بِتَأْوِيلَاتِ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ تَوَسَّلُوا بِاسْمِ النَّبِيِّ إِلَى  
 إِرْضَاءِ أَهْوَائِهِمُ الدَّائِيَّةِ ، أَوْ إِلَى تَأْيِيدِ أَوَامِرِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ الَّذِينَ كَانَ  
 أُولَئِكَ الْأَئِمَّةُ بَعْضُ خُدَامِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ<sup>(١)</sup> . وَلَقَدْ كَابَدَتْ أَوْرُبَةَ عَيْنٍ هَذِهِ  
 الصُّعُوبَاتِ وَالْمَشَاقِّ ، وَافْتَحَمَتْ عَيْنَ هَاتِيكَ الْعُقَبَاتِ وَالْحَوَائِلِ ، فَكَانَ أَوْلَى  
 بِهَا مِنْ قَذْفِ الْإِسْلَامِ بِهِذِهِ الْمَطَاعِينَ وَالْمَسَالِبِ أَنْ تَرْقُبَ بَعَيْنِ الْعُطْفِ وَالرَّفْقِ ،  
 وَتَلَحَّظَ بِنَاطِرِ التَّمَهُّلِ وَالتَّائِي ، مَا تَبْدُلُهُ الشُّعُوبُ الْإِسْلَامِيَّةُ النَّاهِضَةُ الْمُتَحَفِّزَةُ  
 مِنَ الْمَجْهُودَاتِ الْجَسِيمَةِ فِي سَبِيلِ التَّخْلُصِ مِنْ رِقِّ الْمَذْهَبِ التَّقْلِيدِيِّ ؛ وَمَتَى  
 تَمَّ لِلْإِسْلَامِ هَذَا ، فَهَبْ وَانْتَعَشْ ، وَنَفِضْ عَنْهُ غَبَارَ الْأَفْكَارِ الْعَتِيقَةِ ، وَصَدِّعْ

(١) [ هَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ ، يُكَذِّبُهُ الْوَأَنُوعُ وَالتَّارِيخُ ، فَلَمْ يَكُنْ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ابْنُ حَنْبَلٍ ، وَهُوَ أَحَدُ أَئِمَّةِ  
 الْفُقَهَاءِ ، خَادِمًا وَلَا صَنِيعَةً لِأَحَدٍ ، بَلْ أَوْذَى وَعُدَّبَ ، لِإِتَابِهِ عَلَى مَوْقِفِهِ وَالْجَهْرِ بِحُكْمِ  
 الشَّرِيعَةِ ، وَكَذَلِكَ بَاقِي الْأَئِمَّةِ ؛ وَمَا ذُكِرَ لَيْسَ سِوَى بَهْرَجٍ وَزَيْفٍ يُكَذِّبُهُ عَمَلُ الْمُسْلِمِينَ مُنْذُ  
 بَدَايَةِ الْإِسْلَامِ إِلَى الْيَوْمِ . بِسَام ] .

فَيُؤَدُّ الْعَقَائِدَ الْقَدِيمَةَ ، أَصْبَحَ مِنَ السَّهْلِ عَلَى مُشْرَعِي<sup>(١)</sup> كُلِّ أُمَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ أَنْ تُلْغِيَ بِأَمْرِ حُكُومَتِهَا مَذْهَبَ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ فِي بِلَادِهَا . وَلَكِنَّ هَذَا الْحَدَّ مِنَ الْكَمَالِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَنْتُجَ إِلَّا عَنْ رُفْيِ عَامٍّ فِي اكْتِنَاهِ حَقَائِقِ الْحَيَاةِ وَأُمَّهَاتِ الْمَسَائِلِ وَتَفْهَمِ أَسْرَارِ مَعَانِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ . وَلَا أَرَانِي مُبَالِغاً إِذَا قُلْتُ : إِنَّ مَذْهَبَ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ آخِذٌ فِي الْأَضْمِخْلَالِ أَوْ سَيُضْمَحِلُّ سَرِيعاً تَحْتَ أَشْعَةِ ضِيَاءِ التَّأْوِيلِ الْحَدِيثِ الَّذِي أَصْبَحَتْ تُؤَوَّلُ بِهِ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ .

وَكَذَلِكَ يَبَيِّنُ لَنَا أَنَّ مَلَائِمَةَ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِكُلِّ دَوْرٍ مِنْ أَدْوَارِ التَّمَدُّنِ وَكُلِّ طَوْرٍ مِنْ أَطْوَارِ الرُّفْيِ تَشْهَدُ بِمَا أُوتِيَ صَاحِبُهَا مُحَمَّدٌ ﷺ مِنَ السَّدَادِ وَالْحِكْمَةِ . فَنَحْنُ نَرَى أَنَّهُ فِي الشُّعُوبِ الْإِسْلَامِيَّةِ غَيْرِ الْبَالِغَةِ دَرَجَةً مَذْكُورَةً مِنَ التَّمَدُّنِ أَنَّ الْقِيُودَ وَالْحُدُودَ الَّتِي وَضَعَهَا الرَّسُولُ عَلَى مَذْهَبِ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ قَدْ حَالَتْ دُونَ مَصِيرِ هَذَا الْمَذْهَبِ آفَةً وَشَرّاً عَلَى تِلْكَ الشُّعُوبِ ، فَإِنَّ الْمَذْهَبَ الْمَذْكُورَ هُوَ بِلَا شَكٍّ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ مِنْ تِلْكَ الْعَوَائِدِ وَالتَّقَالِيدِ وَالْأَسَالِيبِ الْإِبَاحِيَّةِ الْكَذَالَةِ عَلَى التَّجَرُّدِ النَّامِ مِنْ كُلِّ مَسْئُولِيَّةٍ أَدَبِيَّةٍ ، وَالتَّمَلُّصِ الْكَامِلِ مِنْ كُلِّ قَيْدٍ أَخْلَاقِيٍّ ، وَقَدْ شُوهِدَ أَنَّهُ بِتَقَدُّمِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ يَزْدَادُ الشُّعُورُ بِسُوءِ مَوْقِعِ الْآفَاتِ النَّاجِمَةِ عَنْ مَذْهَبِ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ ، وَتَزْدَادُ تِلْكَ الْآفَاتُ وَضُوحاً وَتَقْتَرِبُ الْأَذْهَانُ مِنْ إِدْرَاكِ مَعْنَى التَّحْرِيمِ لِذَلِكَ الْمَذْهَبِ ، وَيَذْنُو عَلَى مُتَنَاوِلِ الْأَفْهَامِ مَاهِيَةُ الْعَرَضِ مِنَ الْغَائِثِ . وَنَحْنُ لَا يَسَعُنَا قَطُّ الْقَوْلُ بِأَنَّ مُسْلِمِي الْهِنْدِ قَدْ اسْتَفَادُوا كَثِيراً مِنَ الْاِخْتِلَاطِ بِالْبَرَاهِمَةِ الَّذِينَ قَدْ حُلِّلَ بَيْنَهُمْ مَذْهَبُ السَّفَاحِ ،

(١) [ يِلَاحَظْ أَنَّ أَغْلَبَ الرِّجَالِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ السُّلْطَةَ الشَّرِيعِيَّةَ ، يَكُونُوا مُعَدِّدِي الزَّوْجَاتِ ، أَوْ أَنَّهُمْ يُعَدِّدُونَهَا بَعْدَ أَنْ يُصْبِحُوا مِنَ السُّلْطَةِ الشَّرِيعِيَّةِ ! تَجِدُ صِدْقَ قَوْلِي بِالنَّظَرِ إِلَى أَعْضَاءِ مَجَالِسِ الشُّعُوبِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ . بِسَامِ ] .

فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الطَّوَائِفَ مِنَ الْهُنُودِ قَدْ تَرَاحَتْ عَنْهُمْ بِسَبَبِ تِلْكَ الْمَبَادِيءِ  
الْأَخْلَاقِيَّةِ ، وَتَلَوَّثَتْ بَيْنَهُمْ نَقَاوَةُ الْعَقِيدَةِ فِي وُجُوبِ طَهَارَةِ الرُّوحَانِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ  
وَرَفَعَةِ الشَّرَفِ الْإِنْسَانِيِّ ، وَقَدْ أَصْبَحَ الْفُسُوقُ وَالْفُجُورُ مَأْلُوفًا لَدَيْهِمْ ، كَالْفَتَنِ  
لَدَى جِيرَانِهِمْ مِنَ الْوُثْنِيِّينَ ، عَلَى أَنَّ لَدَيْنَا مِنَ الشُّوَاهِدِ مَا يَحْمِلُنَا عَلَى الظَّنِّ بِأَنَّ  
نُورَ اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ الَّذِي أَضَاءَ بِلَادَ الْعَرَبِ فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ سَوْفَ يَنْزِلُ عَلَى  
قُلُوبِ تِلْكَ الطَّوَائِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ الضَّالَّةِ فَيُخْرِجُهُمْ مِنْ دِيَاغِيرِ مَا يَغْشَاهُمْ الْيَوْمَ  
مِنْ تِلْكَ الْجَهَالَةِ وَالْعَمَايَةِ . وَلَا مِرَاءَ فِي أَنَّ كَرَاهَةَ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ قَدْ أَصْبَحَتْ  
الْيَوْمَ عَقِيدَةً رَاسِخَةً أَجْتِمَاعِيَّةً إِنْ لَمْ تَكُنْ أَخْلَاقِيَّةً . وَفِي الْبِلَادِ الْيَوْمَ مِنَ  
الظُّرُوفِ الْقَهْرِيَّةِ مَعَ مَا يَبْهَا مِنْ تِلْكَ الْكَرَاهِيَّةِ لِلْمَذْهَبِ التَّعَدُّدِيِّ الْإِنْفِ الذَّكَرِ  
مَا يَتَّجِعُهُ إِلَى افْتِلَاعِ هَذَا الْمَذْهَبِ مِنَ أُمَمِ الْهِندِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، فَقَدْ أَصْبَحَ مِنَ  
الشَّائِعِ بَيْنَ جَمِيعِ هَذِهِ الْأُمَمِ أَنْ يُدَوَّنَ فِي عَقْدِ الزَّوْاجِ فُقْرَةٌ تُنصُّ عَلَى أَنَّ الزَّوْجَ  
يَتَعَهَّدُ بِالتَّنَازُلِ عَنْ كُلِّ حَقِّهِ الْمَفْرُوضِ فِي التَّرَوُّجِ مِنْ أَيِّ أَمْرَأَةٍ أُخْرَى طَوْلَ  
اسْتِمْرَارِ الزَّيْنَجَةِ الْأُولَى .

وَنَحْنُ نَرَى أَنَّ - ٩٥ فِي الْمِئَةِ - مِنْ مُسْلِمِي الْهِندِ الْآنَ كُلُّهُمْ عَلَى مَذْهَبِ  
تَوْحِيدِ الزَّوْجَةِ ، إِمَّا عَنْ عَقِيدَةٍ أَوْ ضَرُورَةٍ . أَمَّا بَيْنَ الطَّبَقَاتِ الْمُهَذَّبَةِ الْعَلِيمَةِ  
بِتَارِيخِ أَسْلَافِهَا الْقَادِرَةِ عَلَى الْمُقَارَنَةِ بَيْنَ هَذَا التَّارِيخِ وَتَارِيخِ غَيْرِهَا مِنَ الْأُمَمِ  
فَإِنَّ الْمَذْهَبَ التَّعَدُّدِيَّ مَكْرُوهٌ غَيْرُ مُسْتَضَوَّبٍ .

وَكَذَلِكَ فِي بِلَادِ الْفَرَسِ ، نَرَى أَنَّ نِسْبَةَ قَلِيلَةٍ جِدًّا مِنَ السُّكَّانِ - ٢ فِي  
الْمِئَةِ - هُمْ الَّذِينَ يَمْتَنِعُونَ بِلَذَةِ الْمَذْهَبِ الْمَشْكُوكِ فِي صِحَّتِهِ ، وَالَّذِي يَرْجُوهُ  
الْعُقْلَاءُ مِنَ صَمِيمِ أَفِيدَتِهِمْ ، أَنَّهُ لَنْ يَمْضِيَ إِلَّا قَلِيلٌ مِنَ الْوَقْتِ حَتَّى نُبْصِرَ أَيْمَةً  
الَّذِينَ قَدْ اجْتَمَعُوا ، فَقَرَّرُوا نِهَائِيًّا قَرَارًا سَارِي الْمَفْعُولِ ، نَافِذَ الْحُكْمِ ، أَنَّ

الْمَذْهَبِ التَّعَدُّدِيِّ ، كَالرَّقِّ ، مَكْرُوهٌ فِي نَظَرِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ .

وَالآنَ نَنْتَقِلُ إِلَى مَسْأَلَةِ زِيَجَاتِ النَّبِيِّ الَّتِي قَدْ جَعَلَهَا ذَوُو الْجَهْلِ بِالْحَقَائِقِ الْمَقْرَّرَةِ أَوْ ذَوُو الْإِنْكَارِ لَهَا ، مَيْلًا مَعَ الْهَوَى ، وَقِلَّةَ نَزَاهَةِ ، حُجَّةً لِتَوَجِيهِ الْمَطَاعِينَ ضِدَّ مُحَمَّدٍ ، فَقَدْ اخْتَجَّ الْمُعْتَرِضُونَ مِنَ النَّصَارَى بِأَنَّ مُحَمَّدًا بِكَثْرَةِ زِيَجَاتِهِ قَدْ خَصَّ نَفْسَهُ بِمَا لَمْ تُبَحُّهُ الشَّرِيعَةُ مِنَ الْمَلَادِّ ، فَأَظْهَرَ بِذَلِكَ مِنْ وَهْنِ الْعَزِيمَةِ وَقِلَّةِ الْحَزْمِ مَا يُنَافِي وَاجِبَاتِ الرُّسُلِ وَسِيرَ الْأَنْبِيَاءِ . وَلَكِنَّ مَنْ تَأَمَّلَ الْأَمْرَ بِبَصِيرَةِ الْوَاسِعِ الْأَطْلَاعِ عَلَى الْحَقَائِقِ التَّارِيخِيَّةِ وَإِنْصَافِ الْحُكْمِ الْعَادِلِ حَكَمَ قَطْعًا بِأَنَّ مُحَمَّدًا لَمَّا تَحَمَّلَ عِبَاءَ مُعَاوَنَةِ السَّيِّدَةِ الْمُسْنَنَةِ « السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ » بِتَرْؤُجِهِ إِيَّاهَا حَسَبَ النَّوَامِيسِ الْقَدِيمَةِ الْمُتَّبَعَةِ ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ فَقِيرًا مُغْوَرًّا كَانَ إِنَّمَا يُكَلِّفُ نَفْسَهُ تَضَحِيَّةً ذَاتِيَّةً لَا يُسْتَهَانُ بِهَا ، وَلَا مِرَاءً فِي أَنَّ مَنْ حَلَّلَ نَوَايَا مُحَمَّدٍ وَمَرَامِيهِ فِي ذَلِكَ الصَّدَدِ تَخْلِيلًا تَامًا مِنَ الْوَجْهَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمَخْضَةِ الْمُجَرَّدَةِ مِنَ الْأَغْرَاضِ الشَّخْصِيَّةِ تَبَيَّنَ الْكَذِبُ الصُّرَاحُ وَسُوءُ النِّيَّةِ فِيمَا يُوجَّهُ إِلَى « بَطْلِ الْعَرَبِ » مِنَ الْتَّهَمِ فِي ذَلِكَ الشَّانِ .

نَقُولُ : إِنَّ مُحَمَّدًا فِي الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ عُمُرِهِ ، فِي زَهْرَةِ شَبَابِهِ ، تَزَوَّجَ خَدِيجَةَ ، وَكَانَتْ تَتَقَدَّمُ عَنْهُ فِي السِّنِّ بِمَرَّاحِلَ ، وَقَدْ لَبِثَ مَعَهَا خَمْسًا وَعِشْرِينَ عَامًا ، كَانَ سُلُوكُهُ مَعَهَا خِلَالَهَا مَضْرِبَ الْمَثَلِ فِي الصَّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْأَمَانَةِ ، وَفِي الرِّخَاءِ وَالصَّفَاءِ وَالسَّعَادَةِ ، وَمَا بَرِحَتْ خَدِيجَةُ أَثْنَاءَ مَا أَنْهَالَ عَلَيْهِ مِنْ مَطَاعِينِ الْوَثْنِيِّينَ وَإِسَاءَاتِهِمْ ، وَمِنْ مَظَالِمِهِمْ وَأَضْطِهَاذَاتِهِمْ عَوْنَهُ الْوَحِيدَ وَعِصْدَهُ وَسَاعِدَهُ ، لَمْ تَرَإِلْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وَلَمْ تَأَلْ مُوَاسَاةً لَهُ وَمُؤَاوَزَةً .

وَلَمَّا تُوَفِّيَتْ خَدِيجَةُ ، كَانَ مُحَمَّدٌ فِي الْوَاحِدَةِ وَالْخَمْسِينَ مِنْ عُمُرِهِ ، وَلَا يُنْكَرُ أَعْدَاؤُهُ ، بَلْ عَلَى الرَّغْمِ مِنْهُمْ يُسَلِّمُونَ ، أَنَّ مُحَمَّدًا لَبِثَ طُولَ هَذِهِ

الْمُدَّةِ مُبَرَّأً مِنْ كُلِّ سَوْءَةٍ ، طَاهِرَ الدَّلِيلِ مِنْ كُلِّ مُدْنَسَةٍ ، نَقِيَّ الْجَنِبِ مِنْ كُلِّ لَوْثَةٍ ، نَاصِعَ الصَّحِيفَةِ ، مَأْمُونِ الْغَيْبِ ، وَفِي حَيَاةِ خَدِيجَةَ لَمْ يَتَزَوَّجْ مُحَمَّدٌ أَمْرَأَةً قَطُّ غَيْرَهَا ؛ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ عَادَاتِ الْبِلَادِ وَتَقَالِيدَهَا يَوْمَئِذٍ كَانَتْ تُخَوِّلُهُ هَذَا الْحَقَّ لَوْ أَرَادَ .

وَبَعْدَ وَفَاةِ خَدِيجَةَ بِيضَعَةَ أَشْهُرٍ ، يَوْمَ عَادَ مُحَمَّدٌ مِنَ الطَّائِفِ مُضْطَهَدًا ، لَا عَوْنَ لَهُ وَلَا نَصِيرَ ، تَزَوَّجَ سَوْدَةَ بِنْتَ زُمَعَةَ ، أَرْمَلَةً رَجُلٍ مِنَ الْأَعْرَابِ (١) ، كَانَ قَدْ أَعْتَقَ الْإِسْلَامَ دِينًا ، ثُمَّ اضْطَرَّ إِلَى الْفِرَارِ إِلَى الْحَبَشَةِ هَرَبًا مِنْ أَدَى الْمُشْرِكِينَ ، ثُمَّ مَاتَ هَذَا الشَّرِيدُ فِي بِلَادِ الْغُرَبَةِ ، وَخَلَفَ سَوْدَةَ أَرْمَلَةً لَا عَائِلَ لَهَا وَلَا نَاصِرَ ، فَلَمْ يَجِدْ مُحَمَّدٌ حَسَبَ عَادَاتِ الْبِلَادِ وَتَقَالِيدَهَا سَبِيلًا إِلَى حِمَايَةِ الْمَرْأَةِ أَوْ صِيَانَتِهَا أَوْ إِنْقَادِهَا غَيْرَ التَّزَوُّجِ بِهَا ، وَلَا مِرَاءَ فِي أَنْ مَبَادِيءُ الْمَرْوَةِ وَالشَّرَفِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ ، وَبَوَاعِثُ الرَّحْمَةِ وَالْعَطْفِ وَالرَّأْفَةِ ، كَانَتْ تَقْضِي عَلَى الرَّسُولِ بِذَلِكَ ، وَكَيْفَ لَا ، وَإِنَّمَا فِي سَبِيلِ مُحَمَّدٍ ، وَمِنْ أَجْلِهِ ، وَتَذَرُّعًا إِلَى نَضْرِ دِينِهِ وَتَأْيِيدِهِ بِذَلِكَ زَوْجَهَا رُوحَهُ ، وَقَدْ لَازَمَتْهُ زَوْجَتُهُ سَوْدَةُ فِي مَنْفَاهُ وَأَعْتِرَابِهِ وَأَيَّامِ مِخْتَبِهِ وَمُصَابِهِ ، ثُمَّ عَادَتْ إِلَى مَكَّةَ مَضِيْمَةً ، مَنْكُوبَةً ، مَهِيضَةَ الْجَنَاحِ ، دَامِيَةَ الْجِرَاحِ ، وَحِيدَةً ، مُسْتَوْحِشَةً ، فَرِيدَةً ؛ فَرَأَى مُحَمَّدٌ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ فَرْطِ فَاقَتِهِ إِذْ ذَاكَ ، وَشِدَّةِ عَوَزِهِ وَآخْتِيَاجِهِ ، حَتَّى إِلَى الْقُوَّةِ الضَّرُورِيِّ ، أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لِإِنْقَادِ الْمُسْكِينَةِ إِلَّا التَّزَوُّجُ بِهَا .

\* \* \*

آيَةُ حُبِّ الْمَرْأَةِ لَزَوْجِهَا وَبُغْضِهَا لَهُ ، وَبَعْضُ أَوْصَافِ الْفَوَارِكِ :

١٦٠٤ - قَالَ الْمُبَرِّدُ فِي « الْكَامِلِ » [صفحة : ٩٣٩] : وَيُقَالُ : إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا

(١) هُوَ السَّكْرَانُ بْنُ عَمْرٍو .

كَانَتْ مُبْغِضَةً لِرُزُوجِهَا فَآيَةً ذَلِكَ أَنَّ تَكُونَ عِنْدَ قُرْبِهِ مِنْهَا مُرْتَدَّةً النَّظَرِ عَنْهُ ، كَأَنَّمَا تَنْظُرُ إِلَى إِنْسَانٍ مِنْ وَرَائِهِ ، وَإِذَا كَانَتْ مُحِبَّةً لَهُ لَا تَقْلُعُ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِ ، وَإِذَا نَهَضَ نَظَرَتْ مِنْ وَرَائِهِ إِلَى شَخْصِهِ حَتَّى يَزُولَ عَنْهَا ، فَقَالَ رَجُلٌ : أَرَدْتُ أَنْ أَعْلَمَ كَيْفَ حَالِي عِنْدَ أَمْرَاتِي ، فَالْتَفَتُ وَقَدْ نَهَضْتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا ، فَإِذَا هِيَ تُكَلِّحُ فِي قَفَايَ . . .

تُكَلِّحُ ، مِنْ التَّكْلِيحِ ، وَهُوَ : تَكَشَّرُ فِي عُبُوسٍ ، كَأَلْكُلُوحِ .

١٦٠٥ - وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَالنَّوَارُ زَوْجُهُ تُخَاصِمُهُ عِنْدَ

عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ <sup>(١)</sup> [من الطويل] :

فَدُونَكَهَا يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ فَإِنَّهَا      مُوَلَّعَةٌ يُوهِي الْحِجَارَةَ قِيلَهَا  
وَمَا خَاصَمَ الْأَقْوَامَ مِنْ ذِي خُصُومَةٍ      كَوَزْهَاءَ مَشْنُوءِ إِلَيْهَا حَلِيلَهَا  
تَرَاهَا إِذَا أَلْتَجَّ الْخُصُومُ كَأَنَّهَا      تَرَى رُفْقَةً مِنْ خَلْفِهَا تَسْتَحِيلَهَا

(١) وَقَدْ كَانَتْ النَّوَارُ هَذِهِ قَدْ وَكَلَتْ الْفَرَزْدَقُ أَنْ يَنْكِحَهَا رَجُلًا خَطَبَهَا ، فَقَالَ : لَا أَفْعَلُ أَوْ تُسَهِّدِينَ أَنَّكَ قَدْ رَضِيتِ بِمَنْ زَوَّجْتُكَ ؛ فَفَعَلْتُ ، فَلَمَّا أَتَى الْخَاطِبُ وَالشُّهُودُ ، قَامَ الْفَرَزْدَقُ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ النَّوَارَ قَدْ وَلَّتْنِي أَمْرَهَا ، وَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ زَوَّجْتُهَا نَفْسِي عَلَى مِثْلِ نَاقَةِ حَمْرَاءِ سُودِ الْحَدَقِ ؛ فَأَبَتْ ، وَأَرَادَتْ الشُّخُوصَ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ أَمِيرَ الْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ ، يُدْعَى لَهُ بِالْخِلَافَةِ ، فَلَمْ تَجِدْ مَنْ يَحْمِلُهَا ، فَآتَتْ فِتْنَةً يُقَالُ لَهُمْ بَنُو التُّسَيْرِ ؛ فَسَأَلَتْهُمْ بِرَحِمِ تَجْمَعُهُمْ ، فَحَمَلُوهَا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْفَرَزْدَقَ ، فَتَبِعَهَا ، وَقَالَ آيَاتًا ، مِنْهَا الْآيَاتُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي أوردناه ، وَهِيَ فِي بَنِي التُّسَيْرِ الَّذِينَ حَمَلُوهَا ، فَلَمَّا قَدِمَتْ مَكَّةَ نَزَلَتْ عَلَى زَوْجِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَاسْتَشْفَعَتْ بِهَا إِلَى زَوْجِهَا ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَاسْتَشْفَعَ الْفَرَزْدَقُ بِحَمْرَةٍ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَبَعْدَ لَأَيِّ زَوْجِهِ عَبْدُ اللَّهِ إِثَّاها ، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ : خَرَجْنَا مُتَبَاغِضِينَ وَرَجَعْنَا مُتَحَابِّينَ ؛ ثُمَّ خَرَجَ بِهَا مِنْ مَكَّةَ ، وَكَانَتْ لَا تَزَالُ تَسَارُهُ وَتُخَالِفُهُ ، لِأَنَّهَا كَانَتْ صَالِحَةً ، حَسَنَةً الدِّينِ ، وَكَانَتْ تَكْرَهُ كَثِيرًا مِنْ أَمْرِهِ ، فَتَزَوَّجَ عَلَيْهَا غَيْرَهَا ، وَأَخِيرًا طَلَّقَهَا ، وَتَرَى خَيْرَ طَلَاقِهَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ أَنْظُرْ حَدِيثَ تَزْوِيجِهَا مِنَ الْفَرَزْدَقِ فِي « الْأَغَانِي » ج ٩ ، طَبْعَةُ دَارِ الْكُتُبِ .



مَوْلَعَةٌ ، أَيْ : مُوَلَّعَةٌ بِالنَّظَرِ مَرَّةً هَا هُنَا وَمَرَّةً هَا هُنَا ؛ وَالْوَزْهَاءُ :  
الْحَمَقَاءُ ؛ وَمَشْنُوءٌ : مَكْرُوهٌ بَغِيضٌ ؛ وَحَلِيلُهَا : زَوْجُهَا ؛ وَالرَّفْقَةُ : الْقَوْمُ  
الْمُجْتَمِعُونَ فِي مَجْلِسٍ أَوْ مَسِيرٍ ، فَإِذَا مَا تَفَرَّقُوا زَالَ عَنْهُمْ ذَلِكَ الْأَسْمُ ؛  
وَتَسْتَحِيلُهَا ، أَيْ : تَتَبَيَّنُ حَالَاتُهَا ؛ قَالَ حَمِيدُ بْنُ ثَوْرٍ [من المتقارب] :

مُرُوعَةٌ تَسْتَحِيلُ الشُّخُوصَ مِنْ الْخَوْفِ تَسْمَعُ مَا لَا تَرَى

\* \* \*

١٦٠٦ - وَتَزَوَّجَ رَجُلٌ أَمْرَأَةً ، فَاجْتَمَعَ مَعَهَا فِي بَيْتٍ ، فَفَرَّكَتُهُ - أَبْغَضَتْهُ -  
فَرَمَتْ بِبَصَرِهَا إِلَى الْكُوَّةِ ، فَرَأَتْ الصُّبْحَ ، فَقَالَتْ [من الوافر] :

وَأَنْقَذَنِي بَيَاضُ الصُّبْحِ مِنْهُ لَقَدْ أَنْقَذْتُ مِنْ شَرِّ طَوِيلٍ

\* \* \*

١٦٠٧ - وَقَالَ الْجَمَّازُ لِامْرَأَتِهِ فِي يَوْمٍ غَنِيمٍ : مَا يَطِيبُ فِي هَذَا الْيَوْمِ ؟  
قَالَتْ : الْطَّلَاقُ ! ...

\* \* \*

١٦٠٨ - وَكَانَ أَمْرُ الْقَيْنِسِ مُفْرَكًا - أَيْ : تُبْغِضُهُ النِّسَاءُ - وَكَانَ قَدْ تَزَوَّجَ  
أَمْرَأَةً تُسَمَّى أُمَّ جُنْدَبٍ ، تَزَوَّجَهَا حِينَ هَرَبَ مِنَ الْمُنْدِرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ ، فَأَتَى  
جَبَلِي طَيِّئًا ، بَيْنَمَا هُوَ مَعَهَا ذَاتَ لَيْلَةٍ إِذْ قَالَتْ لَهُ : قُمْ يَا خَيْرَ الْفَتَيَانِ ، فَقَدْ  
أَصْبَحْتَ ؛ فَلَمْ يَقُمْ ، فَكَرَّرَتْ عَلَيْهِ ، فَقَامَ ، فَوَجَدَ الْفَجَرَ لَمْ يَطْلُعْ ، فَارْجَعَ ،  
فَقَالَ لَهَا : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ فَأَمْسَكَتْ ، وَالْحَ عَليهَا ، فَقَالَتْ :  
حَمَلَنِي أَنْكَ ثَقِيلُ الصَّدْرِ ، خَفِيفُ الْعَجِيزَةِ ، سَرِيعُ الْإِرَاقَةِ ، بَطِيءُ الْإِفَاقَةِ ؛  
فَعَرَفَ تَصْدِيقَ قَوْلِهَا وَسَكَتَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى عَلْقَمَةَ بِنَ عَبْدِ الْفَحْلِ وَهُوَ فِي

خَيْمَتِهِ وَخَلْفَهُ أُمُّ جُنْدَبٍ ، فَتَذَاكُرُوا الشَّعْرَ ، فَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ : أَنَا أَشْعُرُ مِنْكَ ؛ وَقَالَ عَلَقَمَةُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَتَحَاكَمَا إِلَى أُمِّ جُنْدَبٍ . فَفَضَّلَتْ أُمُّ جُنْدَبٍ عَلَقَمَةَ عَلَى أَمْرِئِ الْقَيْسِ ، وَمَطْلَعُ قَصِيدَةِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ [من الطويل] :

خَلِيلِي مُرًّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ أَقْضُ لُبَانَاتِ الْفُؤَادِ الْمَعْدَبِ  
وَمَطْلَعُ قَصِيدَةِ عَلَقَمَةَ [من الطويل] :

ذَهَبَتْ مِنَ الْهَجْرَانِ فِي غَيْرِ مَذْهَبٍ وَلَمْ يَكْ حَقًّا كُلُّ هَذَا التَّجَبُّبِ  
فَقَالَ لَهَا زَوْجُهَا أَمْرُؤُ الْقَيْسِ : بِأَيِّ شَيْءٍ غَلَبْتِهِ ؟ قَالَتْ : لِأَنَّكَ قُلْتَ [من  
الطويل] :

فَلِلْسَوِّطِ الْهُوبِ وَلِلْسَاقِ دِرَّةٌ وَلَلْجَرِ مِنْهُ وَقْعُ أَهْوَجٍ مِنْعَبٍ<sup>(١)</sup>  
فَجَهَدْتَ فَرَسَكَ بِسَوِّطِكَ ، وَمَرَيْتَهُ بِسَاقِكَ وَزَجْرَكَ<sup>(٢)</sup> ، وَأَتَعَبْتَهُ بِجُهْدِكَ .  
وَقَالَ عَلَقَمَةُ [من الطويل] :

فَوَلِيَّ عَلَى آثَارِهِنَّ بِحَاصِبٍ وَغَبِيَّةَ شُؤْبُوبٍ مِنَ الشَّدِّ مُلْهَبٍ<sup>(٣)</sup>  
فَأَذْرَكُهُنَّ ثَانِيًا مِنْ عَنَائِهِ يَمُرُّ كَمَرُ الرِّائِحِ الْمُتَحَلِّبِ<sup>(٤)</sup>  
فَلَمْ يَضْرِبْ فَرَسَهُ بِسَوِّطٍ ، وَلَمْ يَمِرْهُ بِسَاقٍ ، وَلَمْ يُتْعَبْهُ بِزَجْرِ . فَغَضِبَ

(١) مِنْعَبٌ : أَحْمَقُ ، مُصَوِّتٌ ؛ وَالْمِنْعَبُ أَيْضًا : الَّذِي يَمُدُّ عُقْفَهُ فِي الْعَدُوِّ ، الْجَزِي .

(٢) مَرَى الْفَرَسَ : اسْتَخْرَجَ جَزِيَهُ .

(٣) عَلَى آثَارِهِنَّ ، يَغْنِي : الْبَقَرُ ؛ وَبِحَاصِبٍ ، يَغْنِي : يَعْذُو ، جَزِي شَدِيدٍ ، كَالْحَاصِبِ مِنَ الْمَطَرِ ، وَهُوَ الْعَظِيمُ الْقَطَرُ ؛ وَالْغَبِيَّةُ : الْمَطَرَةُ الَّتِي تَجِيءُ شَدِيدَةً ؛ وَالشُّؤْبُوبُ : أَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ وَجَدْتُهُ ؛ وَمُلْهَبٌ : مُبِيرٌ لِلْهَبِ مِنْ شِدَّةِ جَزِيهِ ؛ وَاللَّهَبُ : الْغَبَارُ السَّاطِعُ كَالدُّخَانِ الْمُرْتَفِعِ مِنَ النَّارِ .

(٤) الرِّائِحُ : السَّحَابُ الَّذِي يَأْتِي بِالْعَشِيِّ ، وَالسَّحَابُ أَغْرُرُ مَا يَكُونُ بِالْعَشِيِّ ؛ وَالْمُتَحَلِّبُ : الْمُسَاقِطُ الْمُنْتَابِعُ .

أَمَرُوا الْفَيْسَ مِنْ قَوْلِهَا وَطَلَّقَهَا ، وَخَلَفَ عَلَيْهَا عِلْمَةً .

\* \* \*

١٦٠٩ - وَفِي ضِدِّ ذَلِكَ يَقُولُ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ : « خَيْرُ نِسَائِكُمُ الَّتِي إِذَا خَلَعَتْ ثَوْبَهَا خَلَعَتْ مَعَهُ الْحَيَاءَ ، وَإِذَا لَبِسَتْ لَبِسَتْ مَعَهُ الْحَيَاءَ » يَعْنِي مَعَ زَوْجِهَا .

\* \* \*

١٦١٠ - وَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَاللَّي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَصْرِيوهُنَّ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾ [٤ سورة النساء/ الآية : ٣٤] .

١٦١١ - يَقُولُ سُبْحَانَهُ : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحُونَ قَدِ انْتَحَتْ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ [٤ سورة النساء/ الآية : ٣٤] .

\* \* \*

أَنْجَبُ الْأَوْلَادِ وَلَدُ الْفَارِكِ :

١٦١٢ - وَقَالَ الْمُبَرِّدُ فِي « الْكَامِلِ » : [صفحة : ١٧٥] وَيُقَالُ : أَنْجَبُ الْأَوْلَادِ وَلَدُ الْفَارِكِ - الْفَارِكُ : الَّتِي تُبْغِضُ زَوْجَهَا - وَذَلِكَ لِأَنَّهَا تُبْغِضُ زَوْجَهَا فَيَسْبِقُهَا بِمَائِهِ ، فَيَخْرُجُ الشَّبَهُ إِلَيْهِ ، فَيَخْرُجُ الْوَلَدُ مُذْكَرًا ، قَالَ : وَكَانَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ يَقُولُ : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَطْلُبَ وَلَدَ الْمَرْأَةِ فَأَغْضِبْهَا ثُمَّ قَعْ عَلَيْهَا ، فَإِنَّكَ تَسْبِقُهَا بِالْمَاءِ ، وَكَذَلِكَ وَلَدُ الْفَرْعَةِ - الْخَافِتَةُ - كَمَا قَالَ أَبُو كَبِيرٍ الْهَذَلِيُّ<sup>(١)</sup>

(١) هُوَ عَامِرُ بْنُ حُلَيْسٍ ، أَحَدُ بَنِي سَعْدِ بْنِ هَذِيلٍ ، وَهُوَ مُحَضَّرٌ ، أَسْلَمَ ، وَاتَى إِلَى سَيِّدِنَا =

- وَنُورِدُ جَمِيعَ أَيْبَاتِهِ الَّتِي اخْتَارَهَا أَبُو تَمَامٍ فِي « حِمَاسَتِهِ » ، وَهِيَ أَيْبَاتُ قَالَهَا الشَّاعِرُ يَصِفُ رَيْبَهُ « تَابَطَ شَرًّا »<sup>(١)</sup> ، بِالنَّجَابَةِ ، وَأَنَّهُ تَلَاقَى فِي بُرْدَيْهِ جَمِيعُ صِفَاتِ الرِّجَالِ الْمَحْمُودَةِ ؛ قَالَ [من الطويل] :

وَلَقَدْ سَرَيْتُ عَلَى الظَّلَامِ بِمَغْشَمٍ جَلِدَ مِنَ الْفَتَيَانِ غَيْرِ مُثْقَلِ<sup>(١)</sup>  
مِمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ وَهْنٌ عَوَاقِدُ حُبِّكَ الْنَّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهَبَّلِ<sup>(٢)</sup>

= رَسُولُ اللَّهِ بَعْدَ إِسْلَامِهِ ، وَقَالَ لَهُ : أَجِلْ لِي الزَّنَا ؛ فَقَالَ لَهُ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ : « أَتُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْكَ مِثْلُ ذَلِكَ ؟ » قَالَ : لَا ، قَالَ : « فَارْضَ لِأَخِيكَ مَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ » ، قَالَ : فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ عَنِّي ؛ وَكَانَ سَبَبُ قَوْلِ أَبِي كَبِيرٍ هَذِهِ الْأَيْبَاتُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ أُمَّ تَابُطَ شَرًّا ، وَكَانَ تَابُطُ شَرًّا صَغِيرًا . فَلَمَّا رَأَى أَبَا كَبِيرٍ يُكْثِرُ الدُّخُولَ عَلَى أُمِّهِ تَتَكَرَّرُ لَهُ ، وَعَرَفَ ذَلِكَ أَبُو كَبِيرٍ فِي وَجْهِهِ ، فَقَالَ أَبُو كَبِيرٍ لِأُمِّهِ : وَيْحَكَ ! قَدْ وَافَقَ رَبِّي أَمْرَ هَذَا الْغُلَامِ وَلَا أَمْنَهُ ، فَلَا أَقْرَبَكَ ؛ قَالَتْ : فَاخْتَلِ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْتُلَهُ ؛ فَقَالَ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ : هَلْ لَكَ أَنْ تَغْزُو ؟ فَقَالَ : ذَاكَ مِنْ أَمْرِي ؛ فَخَرَجَا لَيْلًا ، حَتَّى أَذْرَكَهُمَا مَسَاءَ الْيَوْمِ الثَّانِي أَبْصَرَ نَارًا يَعْرِفُ أَبُو كَبِيرٍ أَنَّهَا نَارُ أَغْدَاءٍ لَتَابُطَ شَرًّا ، فَوَجَّهَهُ إِلَيْهَا ، فَرَأَى عَلَيْهَا رَجُلَيْنِ مِنَ الْأَصْصِ الْعَرَبِ ، فَوَتَبَا إِلَيْهِ يُرِيدَانِ قَتْلَهُ ، فَلَمَّا كَانَ أَحَدُهُمَا أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ آخَرٍ عَطَفَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ ، وَرَجَعَ إِلَى الْآخَرِ فَوَمَأَهُ أَيْضًا فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى نَارِهِمَا ، فَأَخَذَ الْخُبْزَ ، وَجَاءَ إِلَى أَبِي كَبِيرٍ ، فَأَلَحَّ عَلَيْهِ حَتَّى أَخْبَرَهُ الْخُبْرَ ، فَخَافَ أَبُو كَبِيرٍ مِنْهُ ، فَلَمَّا رَجَعَا ، قَالَ : إِنَّ أَمْرَ هَذَا الْغُلَامِ لَا أَقْرَبُهَا أَبَدًا ؛ وَقَالَ هَذِهِ الْأَيْبَاتُ ؛ أُمَّا تَابُطَ شَرًّا ، فَهُوَ أَشْهُرُ مَنْ أَنْ يَعْرِفَ ، إِذْ هُوَ الشَّاعِرُ الْجَاهِلِيُّ ، أَحَدُ لُصُوصِ الْعَرَبِ ، وَأَحَدُ غُزْبَانِهَا - سُودَانِهَا - وَأَحَدُ رَائِبِلِهَا - جَمْعُ رَبَائِلَ ، وَهُوَ : الَّذِي وَلَدَتْهُ أُمُّهُ وَحْدَهُ - وَقَدْ اخْتَارَ لَهُ أَبُو تَمَامٍ فِي « حِمَاسَتِهِ » عِدَّةَ مَقْطُوعَاتٍ بِدِيعَةٍ .

(١) عَلَى الظَّلَامِ ، أَيُّ : فِي الظَّلَامِ ، أَوْ تَقُولُ : وَأَنَا رَاكِبُ الظَّلَامِ ؛ وَالْمَغْشَمُ : الَّذِي يَغْتَسِفُ الطَّرِيقَ عَلَى خَفَائِهَا ، أَوْ الَّذِي يَرْتَكِبُ الْأُمُورَ مِنْ غَيْرِ تَمَيُّزٍ ؛ وَالْجَلْدُ : الصُّلْبُ الْقَوِيُّ ؛ وَغَيْرُ مُثْقَلٍ ، أَيُّ : إِنَّهُ مُقْبُولٌ ، حَبِيبٌ إِلَى الْقُلُوبِ ، فَهُوَ لَيْسَ بِثِقَلٍ عَلَى النَّفْسِ .

(٢) الضَّمِيرُ فِي « حَمَلْنَ » لِلنِّسَاءِ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَهُنَّ ذِكْرٌ ؛ وَالْحُبُّ ، جَمْعُ حَبَاكَ : مَا يُسَدُّ بِهِ النَّطَاقُ ، وَ« النَّطَاقُ » يُرْوَى « الْكَيْبَاتُ » ، وَالنَّطَاقُ : بِهِ شِقَّةٌ تَلْبَسُهَا الْمَرْأَةُ ، تُرْسِلُ أَغْلَاهَا لِلرُّكْبَةِ بَعْدَ شَدِّ وَسْطِهَا بِالْحَبَاكِ ، وَتَدْعُ الْأَسْفَلَ يَنْجِرُ عَلَى الْأَرْضِ ؛ وَالْمُهَبَّلُ : الْمَدْعُو عَلَيْهِ بِالْمُهَبَّلِ ، وَهُوَ التُّكُلُ ، يَقُولُ : إِنَّهُ مِنَ الْفَتَيَانِ الَّذِينَ حَمَلَتْ أُمَّهَاتُهُمْ وَهْنٌ غَيْرُ مُسْتَعِدَاتٍ لِلْفِرَاشِ ، فَتَسَاءُ مَحْمُودًا مَرْضِيًّا لَمْ يَذْعَ عَلَيْهِ بِالتُّكُلِ وَالْفَقْدِ .

- حَمَلْتُ بِهِ فِي لَيْلَةِ مَزْءُودَةٍ كَرَهَا وَعَقَدُ نِطَاقَهَا لَمْ يُخْلَلِ<sup>(١)</sup>  
فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْفُؤَادِ مُبْطِنًا سُهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهَوَجَلِ<sup>(٢)</sup>  
وَمُبْرَأً مِنْ كُلِّ غُبْرِ حَيْضَةٍ وَفَسَادِ مُرْضِعَةٍ وَدَاءِ مُغِيلِ<sup>(٣)</sup>  
فَإِذَا نَبَذَتْ لَهُ الْحَصَاةَ رَأَيْتَهُ يَنْزُو لَوْقَعَتِهَا طُمُورَ الْأَخِيلِ<sup>(٤)</sup>

- (١) الرَّؤُودُ : الْفَرْعُ ، وَنَسَبَهُ إِلَى اللَّيْلَةِ لِوُقُوعِهِ فِيهَا ؛ يَقُولُ : إِنَّهَا أَكْرَهَتْ عَلَى الْجَمَاعِ إِذْ لَمْ يُخْلَلِ نِطَاقُهَا ، فَجَاءَ الْوَلَدُ نَجِيًّا .
- (٢) حُوشُ الْفُؤَادِ : ذِكْيُ الْفُؤَادِ مُتَوَقِّدُهُ ؛ الْمُبْطِنُ : الْخَمِيسُ الْبَطْنُ ؛ وَالسُّهْدُ : الَّذِي لَا يَتَامُ مِنَ الشَّهَادِ ؛ وَالْهَوَجَلُ : الْقَبِيلُ الْكَسْلَانُ ، وَجَعَلَ الْفِعْلُ لِلَّيْلِ لِأَنَّهُ يَقَعُ فِيهِ ، يَقُولُ : إِنَّ الْأُمَّ أَنْتَ بِهَذَا الْوَلَدِ ذَكِيًّا ، حَدِيدَ الْقَلْبِ ، نَشِيطًا ، قَلِيلَ النَّوْمِ ، إِذَا نَامَ الْكَسْلَانُ الْوَحْشُ .
- (٣) غُبْرُ الْحَيْضِ : بَقَايَاهُ ؛ وَالْمُغِيلُ ، مِنَ الْغَيْلِ ، وَهُوَ : أَنْ تُرْضِعَ الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا وَهِيَ تُؤْتِي ، أَوْ تُرْضِعُهُ وَهِيَ حُبْلَى ، وَذَلِكَ يَضُوعِي مِنْهُ الْوَلَدُ ؛ وَفِي الْحَدِيثِ : « لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ سِرًّا ، فَإِنَّ الْغَيْلَ يُدْرِكُ الْفَارِسَ فَيَدْعِيهِ مِنْ قَرَسِهِ » [أبو داود ، رقم : ٣٨٨١ ؛ ابن ماجه ، رقم : ٢٠١٢ ؛ « مسند أحمد » رقم : ٢٧٠١٥ ، ٢٨٠٣٨ ، ٢٧٠٤٣ ] قَالَ فِي « اللَّسَانِ » : الْغَيْلُ : لَبَنُ الْمَرْأَةِ إِذَا حَمَلَتْ وَهِيَ تُرْضِعُ ، وَسُمِّيَ هَذَا الْفِعْلُ قِتْلًا لِأَنَّهُ يُفْضِي إِلَى الْقَتْلِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَضْعِفُهُ وَيُرْخِي قِيَاهُ وَيَفْسِدُ مَزَاجَهُ ، وَإِذَا كَبُرَ وَاحْتِاجَ إِلَى نَفْسِهِ فِي الْحَرْبِ وَمُنَازَلَةِ الْأَقْرَانِ عَجَزَ عَنْهُمْ وَضَعُفَ ، فَرُبَّمَا قُتِلَ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ خَفِيًّا لَا يُدْرِكُ جَعَلَهُ سِرًّا ، وَالْأَسْمُ : الْغَيْلَةُ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « لَهَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الْغَيْلَةِ » [مسلم ، رقم : ١٤٤٢ ؛ الترمذي ، رقم : ٢٠٧٦ ، ٢٠٧٧ ؛ النسائي ، رقم : ٣٣٢٦ ؛ أبو داود ، رقم : ٢٨٨٢ ؛ ابن ماجه ، رقم : ٢٠١١ ؛ « مسند أحمد » ، رقم : ٢٦٤٩٤ و ٢٦٩٠١ ؛ « موطأ مالك » ، رقم : ١٢٩٢ ؛ الدارمي ، رقم : ٢٢١٧] الْغَيْلَةُ : أَنْ يُجَامَعَ الرَّجُلُ أَمْرَأَتَهُ وَهِيَ تُرْضِعُ ؛ يَقُولُ الشَّاعِرُ : إِنَّهَا حَمَلَتْ بِهِ وَهِيَ طَاهِرٌ لَيْسَ بِهَا بَقِيَّةُ حَيْضٍ ، وَوَضَعَتْهُ وَلَا دَاءَ بِهِ اسْتَضْحَبَهُ مِنْ بَطْنِهَا فَلَا تَقْبَلُ عِلَاجًا ، لِأَنَّ دَاءَ الْبَطْنِ لَا يَفَارِقُ ، وَلَمْ تُرْضِعْهُ أُمَّهُ غَيْلَةً ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَذْهَبُ إِلَى أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا حَمَلَتْ فِي قُبْلِ الطَّهْرِ ، أَوَّلَ الشَّهْرِ ، عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ ، ثُمَّ أَذْكَرَتْ ؛ جَاءَتْ مِمَّا لَا يُطَاقُ . قَالَ قَائِلُهُمْ [من الخفيف] :
- لَقِحَتْ فِي الْهَلَالِ عَنْ قُبْلِ الطَّهْرِ — وَكَذَلِكَ لَاحَ لِلصَّبَاحِ بَشِيرُ<sup>(٤)</sup>  
يَنْزُو : يَنْبُ ، وَطُمُورُ : وَثُوبٌ ؛ الْأَخِيلُ : طَائِرٌ ؛ يَقُولُ : إِنَّكَ إِذَا رَمَيْتَهُ بِحَصَاةٍ وَهُوَ نَائِمٌ وَجَدْتَهُ يَنْتَبِهُ أَنْبِيَاءَ مَنْ سَمِعَ بِوَقْعَتِهَا بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ ، فَيَنْبُ وَثُوبُ الطَّائِرِ الْفَرْعُ الْجَبَانِ .

وَإِذَا يَهُبُّ مِنَ الْمَنَامِ رَأَيْتَهُ      كَرُثُوبٍ كَعْبِ السَّاقِ لَيْسَ بِزُمْلٍ<sup>(١)</sup>  
مَا إِنْ يَمَسُّ الْأَرْضَ إِلَّا مُنْكِبٌ      مِنْهُ وَحَرْفُ السَّاقِ طَيِّ الْمِخْمَلِ<sup>(٢)</sup>  
وَإِذَا رَمِيتَ بِهِ الْفَجَاجَ رَأَيْتَهُ      يَهْوِي مَخَارِمَهَا هُوِيَّ الْأَجْدَلِ<sup>(٣)</sup>  
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أُسْرَةٍ وَجْهِهِ      بَرَقَتْ كَبْرَقِ الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ<sup>(٤)</sup>  
صَغْبُ الْكَرِيهَةِ لَا يُرَامُ جَنَابُهُ      مَاضِي الْعَزِيمَةِ كَالْحُسَامِ الْمِفْصَلِ<sup>(٥)</sup>  
يُخِمِّي الصُّحَابَ إِذَا تَكُونُ عَظِيمَةً      وَإِذَا هُمُو نَزَلُوا فَمَاوَى الْعَيْلِ<sup>(٦)</sup>

\* \* \*

بَعْضُ أَوْصَافِهِمْ لِلنِّسَاءِ :

١٦١٣ - قَالَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ : النِّسَاءُ أَرْبَعُ : رَبِيعٌ مُرْبِعٌ ، وَجَمِيعٌ تَجْمَعُ ،  
وَشَيْطَانٌ سَمْعَمَعٌ ، وَغُلٌّ لَا يُخْلَعُ ؛ أَمَّا الرَّبِيعُ : فَالَّتِي إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهَا سَرَنَكَ ،  
وَإِذَا أَفْسَمْتَ عَلَيْهَا بَرَنَكَ ؛ وَأَمَّا الْجَمِيعُ : فَالْمَرَأَةُ تَزَوَّجُهَا وَلَهَا نَشَبٌ - مَالٌ  
وَعَقَارٌ - فَتَجْمَعُ نَشَبُكَ إِلَى نَشَبِهَا ؛ وَأَمَّا الشَّيْطَانُ السَّمْعَمَعُ : فَالْكَالِحَةُ فِي  
وَجْهِكَ إِذَا دَخَلَتْ ، وَالْمَوْلُولَةُ فِي إِثْرِكَ إِذَا خَرَجَتْ ؛ وَأَمَّا الْغُلُّ الَّذِي لَا يُخْلَعُ ،

- (١) الْكُرْثُوبُ : الْقِيَامُ وَالْإِنْصَابُ ؛ وَالزُّمْلُ : الضَّعِيفُ ؛ يَقُولُ : إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنْ مَنَامِهِ انْتَصَبَ  
انْتِصَابَ كَعْبِ السَّاقِ ، وَكَعْبُ السَّاقِ مُنْتَصِبٌ أَبَدًا فِي مَوْضِعِهِ .
- (٢) الْمِخْمَلُ : حِمَالَةُ السِّنْفِ ؛ يَقُولُ : إِذَا نَامَ لَا يَنْبَسِطُ عَلَى الْأَرْضِ وَلَا يَتَمَكَّنُ مِنْهَا بِأَعْضَائِهِ  
كُلِّهَا حَتَّى لَا يَكَادُ يَسْمُرُ عِنْدَ الْإِنْتِبَاهِ بِسُرْعَةٍ .
- (٣) الْفَجَاجُ ، جَمْعُ فَجٍّ : الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ فِي جَبَلٍ أَوْ غَيْرِهِ ؛ وَالْمَخَارِمُ ، جَمْعُ مَخْرَمٍ ، وَهُوَ :  
مُنْقَطِعُ أَنْفِ الْجَبَلِ ؛ وَالْأَجْدَلُ : الضَّفَرُ ؛ يَقُولُ : إِنَّهُ هُمَامٌ إِذَا نِيَطَتْ بِهِ الصُّعَابُ ذَلِكَهَا ،  
وَيَهْوِي مَخَارِمَهَا ، يُرِيدُ : يَهْوِي فِي مَخَارِمِهَا .
- (٤) يَصِفُهُ بِحُسْنِ الْبُشْرِ وَطَلَاةِ الْوَجْهِ ؛ يَقُولُ : إِذَا نَظَرْتَ إِلَى وَجْهِهِ رَأَيْتَ أَسَارِيرَ وَجْهِهِ تُشْرِقُ  
إِشْرَاقَ السُّحَابِ الْمُتَلَالِيِ بِالْبَرْقِ .
- (٥) الْكَرِيهَةُ ، مِنْ أَسْمَاءِ الْحَزَبِ ؛ وَالْمِفْصَلُ : الْقَطَاعُ .
- (٦) الْعَيْلُ ، جَمْعُ عَائِلٍ ، وَهُوَ : الْفَقِيرُ ؛ هَا هُنَا يَصِفُهُ بِأَنَّهُ شُجَاعٌ كَرِيمٌ .

فَبِنْتُ عَمَّكَ الدِّمِيمَةَ السَّوْدَاءَ ، الْقَصِيرَةَ الْوَزْهَاءَ ، الَّتِي نَثَرْتُ لَكَ ذَا بَطْنِهَا - أَيْ :  
نَسَلْتُ أَوْلَادًا كَثْرًا - إِنْ طَلَّقْتُهَا ضَاعَ وَلَدُكَ ، وَإِنْ أَمْسَكْتُهَا فَعَلَى جَدْعِ أَنْفِكَ . . .  
وَالسَّمْعَمُ : الشَّيْطَانُ الْخَبِيثُ ؛ وَالْوَزْهَاءُ : الْحَمَقَاءُ الْخَرَقَاءُ .

\* \* \*

النِّسَاءُ ثَلَاثَةٌ أَضْرَابٍ ، وَالرِّجَالُ كَذَلِكَ :

١٦١٤ - قَالَ أَعْرَابِيٌّ : كَانَ يُقَالُ : النِّسَاءُ ثَلَاثٌ : هَيِّنَةٌ لَيِّنَةٌ عَفِيفَةٌ مُسْلِمَةٌ ، تُعِينُ  
أَهْلَهَا عَلَى الْعَيْشِ ، وَلَا تُعِينُ الْعَيْشَ عَلَى أَهْلِهَا ؛ وَأُخْرَى وَعَاءٌ لِلْوَلَدِ ؛ وَأُخْرَى غُلٌّ  
قَمِلٌ يَضَعُهُ اللَّهُ فِي عُنُقِ مَنْ يَشَاءُ ؛ [أخرجه ابن أبي شيبة والبيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛  
« الدر المنثور » ٤ سورة النساء/ الآية : ٣٤] وَالرِّجَالُ ثَلَاثَةٌ : فَهَيِّنٌ لَيِّنٌ عَفِيفٌ مُسْلِمٌ ،  
يُصَدِّرُ الْأُمُورَ مَصَادِرَهَا ، وَيُورِدُهَا مَوَارِدَهَا ؛ وَآخَرُ يَنْتَهِي إِلَى رَأْيِ ذِي الْكُلْبِ  
وَالْمَقْدِرَةِ ، فَيَأْخُذُ بِقَوْلِهِ وَيَنْتَهِي إِلَى أَمْرِهِ ؛ وَآخَرُ حَائِزٌ بَائِثٌ ، لَا يَأْتِمُرُ لِرُشْدٍ ،  
وَلَا يُطِيعُ الْمُرْشِدَ . [« مجمع الأمثال » ، رقم : ٢١٥ ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه] .

\* \* \*

الطَّلَاقُ :

ذَمُّهُمْ الطَّلَاقُ <sup>(١)</sup> :

١٦١٥ - فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « مَا مِنْ حَلَالٍ أَبْغَضُ إِلَى اللَّهِ مِنْ  
الطَّلَاقِ » [أبو داود ، رقم : ٢١٧٨ ؛ ابن ماجه ، رقم : ٢٠٨] .

\* \* \*

(١) إِنَّ نِظَامَ الطَّلَاقِ فِي الْإِسْلَامِ لَا يُدَانِيهِ نِظَامٌ غَيْرُهُ ، فَلَا هُوَ بِالْمُغْلَقِ الْمَحْظُورِ حَتَّى يَكُونَ أَحَدُ  
الزَّوْجَيْنِ شَجَاعًا فِي حَلْقِ صَاحِبِهِ ، وَلَا هُوَ بِالسَّهْلِ الْهَيِّنِ فَيَتَّخِذُ مَنْ لَا ذِمَامَ لَهُمْ مَزْنَعًا خَضْبًا  
يَسْتَفْلُونَ فِيهِ كَمَا شَاءَتْ أَهْوَاؤُهُمْ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ قَاعِدَةَ الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ :  
﴿ فَاِمْسَاكُ الْمَعْرُوفِ وَأَتْسَرِيعُ بِالْإِحْسَنِ ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية : ٢٢٩] ، فَإِنْ مُحِيطَ آيَةُ الْمَعْرُوفِ  
فَدَبَّتِ الْفُرْةُ وَسَاءَتِ الْعُشْرَةُ ، سَوَاءٌ أَكَانَ ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ الزَّوْجِ أَوْ الزَّوْجَةِ أَوْ مِنْ جِهَتِهِمَا  
مَعًا ، فَمَا خَيْرُ تِلْكَ الْحَيَاةِ ؟ وَمَا مَرِيَّةُ الْبَقَاءِ عَلَيْهَا ! لِذَلِكَ أُبَيِّحُ الطَّلَاقَ .

١٦١٦ - وَفِيهِ : « لَا تُطَلِّقُوا النِّسَاءَ إِلَّا مِنْ رِبْيَةٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الذَّوَاقِينَ وَالذَّوَاقَاتِ » [مجمع الزوائد ، رقم : ٧٧٦١] .

لَا يُحِبُّ الذَّوَاقِينَ ، يَعْنِي : السَّرِيعِي النِّكَاحِ السَّرِيعِي الطَّلَاقِ .

\* \* \*

١٦١٧ - وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِرَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ : لِمَ طَلَّقْتَهَا ؟ قَالَ : لَا أَحِبُّهَا ؛ فَقَالَ : أَكُلُّ أَلْيُوتٍ بَيْنَتْ عَلَى الْحُبِّ ؟ أَيْنَ الرِّعَايَةُ وَالذَّمُّ ؟

\* \* \*

مَنْ يُطَلِّقُونَ تَبَرُّماً أَوْ لِقَلَّةِ الْمُوَافَقَةِ أَوْ لِسَبَبٍ مَا :

١٦١٨ - طَلَّقَ أَغْرَابِيٌّ امْرَأَتَهُ وَقَالَ [من مجزوء الكامل] :

رَحَلْتُ أُمَيْمَةً بِالطَّلَاقِ	وَعَتِفْتُ مِنْ رِقِّ الْوَثَاقِ
بَانَتْ فَلَمْ يَأْلَمْ لَهَا	قَلْبِي وَلَمْ تَبِكِ الْمَاقِي
لَوْ لَمْ أُرْخِ بِطَلَاقِهَا	لَأَرَخْتُ نَفْسِي بِالْإِبَاقِ
وَدَوَاءُ مَـــــــا لَا تَشْتَهِي	هُ الْنَفْسُ تَعْجِيلُ الْفِرَاقِ
وَالْعَيْشُ لَيْسَ يَطِيبُ بَــــ	يْنِ اثْنَيْنِ فِي غَيْرِ اتِّفَاقِ
عَتِقَ الْعَبْدُ : خَرَجَ مِنَ الرِّقِّ ؛ وَيُرِيدُ بِالْوَثَاقِ : عِقْدَةَ الزَّوْاجِ ؛ وَيُرِيدُ بِالْمَاقِي : الْعُيُونُ ؛ وَالْإِبَاقِ : الْهَرَبَ .	

\* \* \*

١٦١٩ - وَشَكَا الْفَرَزْدَقُ امْرَأَتَهُ ، فَقَالَ لَهُ شَيْخٌ مِنْ بَنِي مُضَرَ كَانَ أَسَنَ مِنْهُ : أَفَلَا تَكْسَعُهَا - تَطْرُدُهَا - بِالْمُخْرِجَاتِ ! - يَعْنِي : الطَّلَاقَ - فَقَالَ : قَاتَلَكَ اللَّهُ ! مَا أَعْلَمَكَ مِنْ شَيْخٍ !

\* \* \*



١٦٢٠ - وَقَالَ بَعْضُ الظُّرَفَاءِ لِرَجُلٍ شَكَاَ إِلَيْهِ سُوءَ خُلُقِ امْرَأَتِهِ : بَخَرَهَا بِمُثْلَتِهِ .

بِمُثْلَتِهِ ، أَي : بِيَمِينِ مُثْلَتِهِ ، بِالطَّلَاقِ الثَّلَاثِ .

\* \* \*

١٦٢١ - وَطَلَّقَ رَجُلٌ امْرَأَةً عَدَدَ التُّجُومِ ؛ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : يَكْفِيهِ مِنْ ذَلِكَ هَقْعَةُ الْجُزَاءِ .

الْهَقْعَةُ : ثَلَاثَةُ كَوَاكِبَ نَبْرَةٍ فَوْقَ مِنْكَبِي الْجُزَاءِ قَرِيبٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، كَالْأَنَافِيِّ<sup>(١)</sup> ، إِذَا طَلَعَتْ مَعَ الْفَجْرِ أَشَدَّ حَرًّا الصَّيْفِ .

\* \* \*

١٦٢٢ - وَكَانَ بِالْمَدِينَةِ زَمَنَ الْمَنْصُورِ وَالْمَهْدِيِّ قَاضٍ يُقَالُ لَهُ : عَبْدُ الْعَزِيزِ ابْنُ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ضَطَبِ الْمَخْزُومِيِّ ، فَخَاصَمَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ زَوْجَهَا ، وَكَانَتْ قَالَتْ : أَجَعْتَنِي وَأَسَأْتَ إِلَيَّ ، وَاللَّهِ مَا تَسْتَطِيعُ فِيرَانُ بَيْتِكَ أَنْ يَمْشِينَ مِنْ الْجَهْدِ ، وَمَا يَقْمَنَ إِلَّا عَلَى الْوَطَنِ ! فَقَالَ الرَّجُلُ : أَنْتِ طَالِقٌ إِنْ كُنَّ مَا يَقْمَنَ إِلَّا عَلَى الْوَطَنِ ؛ فَخَبَّرَتِ الْمَرْأَةُ الْقَاضِيَّ بِمَا قَالَتْ وَقَالَ زَوْجُهَا ، فَقَالَ الْقَاضِي يَطْلُبُ لَهُ الْمَعَاذِيرَ : وَرَبِّكَ إِنْ الْإِبِلَ لَتَكُونُ بِالْمَكَانِ الْجَدِيدِ الْخَسِيسِ الْمَرْعَى ، فَتَقِيمُ بِهِ لِحُبِّ الْوَطَنِ ؛ فَقَالَ الزَّوْجُ حِينَ رَأَاهُ يَحْتَالُ لِيَلَّا يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا : كَأَنَّمَا أَشْكَلْتُ عَلَيْكَ ، هِيَ طَالِقٌ عَشْرِينَ ؛ فَقَالَ الْقَاضِي : قَدْ خَفَّفْتَ الْأَمْرَ عَلَيْنَا .

\* \* \*

(١) الْأَنَافِي : الْقِطْعَةُ فِي الْجَبَلِ تُجْعَلُ الْقَنْدُرُ عَلَيْهَا وَعَلَى حَجَرَيْنِ أَمَامَهَا ، وَمِنْ ذَلِكَ الْمَثَلُ : رَمَاهُ اللَّهُ بِثَلَاثَةِ الْأَنَافِي ، أَي : بِدَاهِيَةٍ ، وَثَلَاثَةُ الْأَنَافِي ، هِيَ : الْقِطْعَةُ فِي الْجَبَلِ .

١٦٢٣ - وَطَلَّقَ رَجُلٌ أَمْرَأَتَهُ ، فَقَالَتْ : أَبْعَدَ صُحْبَةِ خَمْسِينَ سَنَةً ؟ فَقَالَ :  
مَالِكٍ عِنْدَنَا ذَنْبٌ غَيْرُهُ .

\* \* \*

١٦٢٤ - وَمِنْ طُرْفِ الْأَضْمَعِيِّ مَا حَدَّثَهُ ، قَالَ : قُلْتُ لِلرَّشِيدِ يَوْمًا : بَلَّغْنِي  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ طَلَّقَ خَمْسَ نِسْوَةٍ ، قَالَ الرَّشِيدُ : إِنَّمَا  
يَجُوزُ مَلِكُ رَجُلٍ عَلَى أَرْبَعِ نِسْوَةٍ ، فَكَيْفَ طَلَّقَ خَمْسًا ؟ ! قُلْتُ : كَانَ لِرَجُلٍ  
أَرْبَعُ نِسْوَةٍ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِنَّ يَوْمًا ، فَوَجَدَهُنَّ مُتَلَا حِيَاتٍ مُتَنَارِعَاتٍ - وَكَانَ الرَّجُلُ  
سِنْظِيرَةً<sup>(١)</sup> - فَقَالَ : إِلَى مَتَى التَّنَارُغُ ؟ مَا إِخَالُ هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا مِنْ قِبَلِكَ - يَقُولُ  
ذَلِكَ لِامْرَأَةٍ مِنْهُنَّ - أَذْهَبِي ، فَأَنْتِ طَالِقٌ ! فَقَالَتْ لَهُ صَاحِبَتُهَا : عَجَلْتَ عَلَيْهَا  
بِالطَّلَاقِ ، وَلَوْ أَذْبَنْتَهَا بِغَيْرِ ذَلِكَ لَكُنْتُ حَقِيقًا ، فَقَالَ لَهَا : وَأَنْتِ أَيْضًا طَالِقٌ !  
فَقَالَتْ لَهُ الثَّالِثَةُ : قَبِّحَكَ اللَّهُ ! فَوَاللَّهِ لَقَدْ كَانَتَا إِلَيْكَ مُحْسِنَتَيْنِ ، وَعَلَيْكَ  
مُفْضِلَتَيْنِ ! فَقَالَ : وَأَنْتِ أَيْتُهَا الْمُعَدَّدَةُ أَيَادِيهِمَا طَالِقٌ أَيْضًا ، فَقَالَتْ لَهُ  
الرَّابِعَةُ ، وَكَانَتْ هَلَالِيَّةً وَفِيهَا أَنَاةٌ شَدِيدَةٌ : ضَاقَ صَدْرُكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّبَ نِسَاءَكَ  
إِلَّا بِالطَّلَاقِ ! فَقَالَ لَهَا : وَأَنْتِ طَالِقٌ أَيْضًا ! وَكَانَ ذَلِكَ بِمَسْمَعِ جَارَةٍ لَهُ ،  
فَاشْرَفَتْ عَلَيْهِ وَقَدْ سَمِعَتْ كَلَامَهُ : فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا شَهِدَتِ الْعَرَبُ عَلَيْكَ  
وَعَلَى قَوْمِكَ بِالضَّعْفِ إِلَّا لِمَا بَلَّوْهُ مِنْكُمْ وَوَجَدُوهُ مِنْكُمْ ، أَيْبَتُ إِلَّا طَلَاقَ نِسَائِكَ  
فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ! قَالَ : وَأَنْتِ أَيْضًا أَيْتُهَا الْمُؤَنَّبَةُ الْمُتَكَلِّفَةُ طَالِقٌ ، إِنْ أَجَازَ  
رَوْجُكَ ! فَاجَابَهُ مِنْ دَاخِلِ بَيْتِهِ : قَدْ أَجَزْتُ ! قَدْ أَجَزْتُ !

\* \* \*

(١) سِنْظِيرَةٌ : سَيِّءُ الْخُلُقِ .

١٦٢٥ - وَطَلَّقَ رَجُلٌ أَمْرَأَتَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا صَنَعْتَ ! قَالَ : طَلَّقْتُهَا  
وَالْأَرْضَ مِنْ وَرَائِهَا .  
يُرِيدُ : لَا أَقْرَبُ نَاحِيَةَ هِيَ بِهَا .

\* \* \*

١٦٢٦ - وَكَانَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ أَمْرَأَةٌ ، فَأَسَاءَتْ إِلَيْهِ يَوْمًا ، فَقَالَ لَهَا : أَمْرُكَ  
بِيَدِكَ ؛ فَقَالَتْ : لَقَدْ كَانَ فِي يَدِكَ عَشْرِينَ سَنَةً فَأَحْسَنْتَ حِفْظَهُ وَلَمْ تُضَيِّعْهُ ،  
أَفَأُضَيِّعُهُ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ إِذْ صَارَ فِي يَدِي ! قَدْ صَرَفْتُهُ إِلَيْكَ وَرَدَدْتُ عَلَيْكَ  
حَقَّكَ ؛ فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ ! مِنْهَا وَأَمْسَكَهَا .

\* \* \*

١٦٢٧ - وَدَخَلَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ يَوْمًا عَلَى زَوْجَتِهِ فَارِعَةَ الثَّقَفِيَّةِ ، فَوَجَدَهَا  
تَتَخَلَّلُ حِينَ انْفَتَكَتْ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ ، فَقَالَ لَهَا : إِنْ كُنْتَ تَتَخَلَّلِينَ مِنْ طَعَامِ  
الْبَارِحَةِ فَإِنَّكَ لَقَدِيرَةٌ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ طَعَامِ الْيَوْمِ إِنَّكَ لَنَهْمَةٌ ، كُنْتَ فَبِتِ ؛  
قَالَتْ : وَاللَّهِ ، مَا فَرَحْنَا إِذْ كُنَّا ، وَلَا أَسَفْنَا إِذْ بَنَّا ؛ وَمَاهُوَ بِشَيْءٍ مِمَّا ظَنَنْتَ  
وَلَكِنِّي أَسْتَكْتُ فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَخَلَّلَ بِالسَّوَاكِ ؛ فَتَدِمِ الْمُغِيرَةُ عَلَى مَا بَدَرَ مِنْهُ ،  
فَخَرَجَ أَسِفًا ، فَلَقِيَ يُوسُفَ ابْنَ أَبِي عَقِيلٍ - وَالِدَ الْحَجَّاجِ - فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ  
إِلَى شَيْءٍ أَذْعُوكَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : إِنِّي نَزَلْتُ السَّاعَةَ عَنْ سَيِّدَةِ نِسَاءِ  
ثَقِيفَ ، فَتَزَوَّجَهَا ، فَإِنَّهَا تُنْجِبُ لَكَ ؛ فَتَزَوَّجَهَا ، فَوَلَدَتْ لَهُ الْحَجَّاجَ .

\* \* \*

الْمُتَبَرِّمُ بِأَمْرَأَتِهِ ، أَلْمَتَمَنِي طَلَاقَهَا :

١٦٢٨ - حَدَّثَ الْأَصْمَعِيُّ ، قَالَ : كُنْتُ مُوَاخِيًا لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ حِمَى

ضَرِيَّةَ ، وَكَانَ جَوَادًا رَثَّ الْحَالِ ، فَمَرَزْتُ بِهِ يَوْمًا فِي بَعْضِ تَرْدُدِي عَلَى  
الْأَحْيَاءِ ، فَإِذَا هُوَ كَثِيبٌ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ شَأْنِهِ ، فَقَالَ [من الطويل] :

دِمَشْقُ خُذِيهَا وَأَعْلِمِي أَنَّ لَيْلَةَ      تَمُرُّ بِعُودِي نَعِشَهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ  
شَرِبْتُ دَمًا إِنْ لَمْ أُرْعَكَ بِضَرَّةٍ      بَعِيدَةٍ مَهْوَى الْقُرْطِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ<sup>(١)</sup>  
أَمَّا لِكَ عُمُرٍ إِنَّمَا أَنْتِ حَيَّةٌ      إِذَا هِيَ لَمْ تُقْتَلْ تَعِشْ آخِرَ الدَّهْرِ  
ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَرَى مِنْكَ رَاحَةً      لِهَنَّاكَ فِي الدُّنْيَا لَبَاقِيَةَ الْعُمُرِ<sup>(٢)</sup>  
فَإِنْ أَنْقَلَبَ مِنْ عُمُرٍ صَعْبَةٍ سَالِمًا      تَكُنْ مِنْ نِسَاءِ الْحَيِّ لِي بَيْضَةَ الْعُمْرِ<sup>(٣)</sup>  
وَالْبَيْنَانِ الْأَخِيرَانِ لِعُرْوَةِ الرَّحَالِ<sup>(٤)</sup> ؛ فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ أَعْظُهُ وَأَصْبَرُهُ ، فَأَنْشَأَ  
يَقُولُ [من الطويل] :

فَلَوْ أَنَّ نَفْسِي فِي يَدَيِّ مُطِيعَتِي      لَأَرْسَلْتُهَا مِمَّا أَلَا قِي مِنْ أَلْهَمِّ

(١) « شَرِبْتُ دَمًا » ذَهَبُوا فِي مَغْنَاهَا مَذَاهِبَ ، أَحَدُهَا أَنَّ الدَّمَ حَرَامٌ فِي الْإِسْلَامِ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ :  
أَتَيْتُ حَرَامًا ؛ وَالثَّانِي أَنَّ الْعَرَبَ كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ إِذَا أَرْمَلَ - أَفْتَقَرَ - وَلَمْ يَجِدْ زَادًا فَصَدَّ  
بَعِيرُهُ ، فَأَرْسَلَ مِنْ دَمِهِ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ ، ثُمَّ أَذْنَاهُ مِنَ الثَّأْرِ ، فَأَكَلَهُ ؛ وَالثَّلَاثُ أَنَّ يُرِيدُ بِقَوْلِهِ :  
شَرِبْتُ دَمًا : عَجَزْتُ عَنْ إِذْرَاكِ الثَّأْرِ وَأَخَذْتُ الدَّيَّةَ إِيْلَا فَشَرِبْتُ أَلْبَانَهَا ، فَكَأَنَّهُ قَدْ شَرِبَ  
دَمًا ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ [من الطويل] :

وَأَنَّ أَلَّذِي أَصْبَحْتُمْ تَشْرَبُونَهُ      دَمٌ غَيْرَ أَنَّ أَلَّلُونَ لَيْسَ بِأَحْمَرَ  
لِهَنَّاكَ : لِأَنَّكَ . (٢)

(٣) بَيْضَةُ الْعُمْرِ ، مِثْلُ يُضْرَبُ لِلْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ ، يُقَالُ : كَانَتْ بَيْضَةَ الْعُمْرِ ، أَيُّ : لَا أَعُودُ إِلَيْهَا .  
أَنْظُرِ « أَلْسَانُ » مَادَّةٌ : عَقَر .

(٤) سُمِّيَ رَجُلًا لِأَنَّهُ كَانَ وَقَادًا عَلَى الْمُلُوكِ ، وَذَا قَدْرٍ عِنْدَهُمْ ، وَهُوَ الَّذِي أَجَارَ لَطِيمَةَ الثُّغَمَانِ  
الَّتِي كَانَ يَبْعَثُ بِهَا فِي كُلِّ عَامٍ إِلَى عُكَاظَ ، فَقَتَلَهُ الْبَرَّاضُ بْنُ قَيْسِ الْكِنَانِيِّ ، وَأَسْتَأَقَ الْبَعِيرَ ،  
فَقِيلَ : « أَفْنَكُ مِنَ الْبَرَّاضِ » وَبِسَبَبِهِ هَاجَتْ حَرْبُ الْفُجَارِ بَيْنَ حَبْنَى خِنْذَفٍ وَقَيْسٍ ؛ وَقَالَ أَبُو  
تَمَّامٍ [من الخفيف] :

وَأَلْفَتْنِي مَنْ تَعَرَّفْتُهُ أَلِّيَالِي      وَالْفَيَافِي كَالْحَيَّةِ التَّنْضَاصِ  
كُلَّ يَوْمٍ لَهُ بِصَرْفِ أَلِّيَالِي      فَتَكَّةٌ مِثْلُ فَتَكَّةِ الْبَرَّاضِ

وَلَوْ كَانَ قَتْلُهَا حَلَالًا قَتَلْتُهَا      وَكَانَ وُرُودُ الْمَوْتِ خَيْرًا مِنَ الْغَمِّ  
تَعَرَّضْتُ لِلْأَفْعَى أَحَاوِلُ وَطَاهَا      لَعَلِّي أَنْجُو مِنْ صُعَيْبَةٍ بِالسُّمِّ  
فَيَا رَبِّ أَكْفِنِيهَا وَإِلَّا فَتَجْنِسِي      وَإِنْ كَانَ يَوْمِي قَبْلَهَا فَأَقْضِيَنَّ حَتْمِي

\* \* \*

مَنْ طَلَّقَ أَمْرَأَتَهُ فَتَبِعَتْهَا نَفْسُهُ :

الْفَرَزْدَقُ وَالنَّوَارُ :

١٦٢٩ - حَدَّثَ أَبُو شَفَقَلٍ رَاوِيَةَ الْفَرَزْدَقِ<sup>(١)</sup> ، قَالَ : قَالَ لِي الْفَرَزْدَقُ  
يَوْمًا : أَمْضِ بِنَا إِلَى حَلَقَةِ الْحَسَنِ - الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ - فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُطَلِّقَ  
النَّوَارَ ؛ فَقُلْتُ : إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَّبِعَهَا نَفْسُكَ ، وَيَشْهَدَ عَلَيْكَ الْحَسَنُ  
وَأَصْحَابُهُ ؛ فَقَالَ : أَمْضِ بِنَا ؛ فَجِئْنَا حَتَّى وَقَفْنَا عَلَى الْحَسَنِ ، فَقَالَ : كَيْفَ  
أَصْبَحْتَ يَا أَبَا سَعِيدٍ ؟ فَقَالَ : بِخَيْرٍ ، كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أَبَا فِرَاسٍ ؟ قَالَ :  
تَعَلَّمُنْ<sup>(٢)</sup> أَنْ النَّوَارَ مِنِّي طَالِقٌ ثَلَاثًا ؛ فَقَالَ الْحَسَنُ وَأَصْحَابُهُ : قَدْ سَمِعْنَا ؛  
قَالَ : فَاَنْطَلَقْنَا ؛ قَالَ : فَقَالَ لِي الْفَرَزْدَقُ : يَا هَذَا ! إِنَّ فِي قَلْبِي مِنَ النَّوَارِ  
شَيْئًا ؛ فَقُلْتُ : قَدْ حَدَرْتُكَ ؛ فَقَالَ [من الوافر] :

نَدِمْتُ نَدَامَةً الْكُسَعِيِّ لَمَّا      غَدَتُ مِنِّي مُطَلَقَةً نَوَارُ<sup>(٣)</sup>  
وَكُنْتُ كَفَاقِيءَ عَيْنَيْهِ عَمْدًا      فَأَصْبَحَ لَا يُضِيءُ لَهُ النَّهَارُ  
وَمَا فَارَقْتُهَا شِبَعًا وَلَكِنْ      رَأَيْتُ الزُّهْدَ يَأْخُذُ مَا يُعَارُ<sup>(٤)</sup>

(١) وَفِيهِ يَقُولُ الْفَرَزْدَقُ [من الطويل] :

أَبُو شَفَقَلٍ شَيْخٌ عَنِ الْحَقِّ جَائِرٌ      بِيَابَ الْهُدَى وَالرُّشْدِ غَيْرُ بَصِيرٍ  
(٢) تَعَلَّمُنْ : فِعْلٌ أَمْرٌ مُسْتَدِلٌّ إِلَى وَابِ الْجَمَاعَةِ الْمَخْذُوقَةِ مُؤَكَّدًا بِالتَّوْنِ الْخَفِيفَةِ .

(٣) الْكُسَعِيُّ ، هُوَ : رَجُلٌ مِنْ كُسَعٍ كَزُفَرٍ ؛ حَيٌّ مِنَ الْيَمَنِ رُمَاءٌ ، وَحَدِيثُهُ مَشْهُورٌ .

(٤) وَمَا فَارَقْتُهَا شِبَعًا ، كَثُرَ بِذَلِكَ عَنِ الْبَطْرِ ، وَقَوْلُهُ : رَأَيْتُ الزُّهْدَ ، فَالزُّهْدُ ضِدُّ الرَّغْبَةِ فِي =

وَكَاثَ جَنَّتِي فَخَرَجْتُ مِنْهَا      كَادَمَ حِينَ أَخْرَجَهُ الضَّرَارُ  
وَلَوْ أَنِّي مَلَكَتُ يَدِي وَنَفْسِي      لَكَانَ عَلَيَّ لِلْقَدَرِ الْخِيَارُ

\* \* \*

قَيْسُ وَلُبْنَى :

١٦٣٠ - أَمَا قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ وَلُبْنَى بِنْتُ الْحُبَابِ الْكَعْبِيَّةُ فَحَدِيثُهُمَا  
يَطُولُ<sup>(١)</sup> ، وَلَيْسَ مِمَّا يُغْنِينَا هُنَا ، وَلَكِنَّ الَّذِي يُغْنِينَا هُوَ مَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُ قَيْسٍ بَعْدَ  
أَنْ طَلَّقَهَا ، قَالُوا : لَمَّا أَلَحَّ ذَرِيحٌ عَلَى ابْنِهِ قَيْسٍ فِي طَلَاقِ لُبْنَى ، فَأَبَى ذَلِكَ  
قَيْسٌ ، طَرَحَ ذَرِيحٌ نَفْسَهُ فِي الرَّمْضَاءِ ، وَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا أَرِيهِ هَذَا الْمَوْضِعَ  
حَتَّى أَمُوتَ أَوْ يُخَلِّيَهَا ؛ فَجَاءَهُ قَوْمُهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، فَعَظَّمُوا عَلَيْهِ الْأَمْرَ ،  
وَذَكَّرُوهُ بِاللَّهِ ، وَقَالُوا : أَتَفْعَلُ هَذَا بِأَبِيكَ وَأُمِّكَ ؟ إِنْ مَاتَ شَيْخُكَ عَلَى هَذِهِ  
الْحَالِ كُنْتَ مُعِينًا عَلَيْهِ وَشَرِيكًا فِي قَتْلِهِ ! فَفَارَقَ لُبْنَى عَلَى رَغَمِ أَنْفِهِ ، وَقَلَّةِ  
صَبْرِهِ ، وَبُكَاءِ مِنْهُ ؛ حَتَّى بَكَى لَهَا مَنْ حَضَرَهُمَا ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ [مَنْ الْوَافِر] :

أَقُولُ لِخُلَّتِي فِي غَيْرِ جُزْمٍ      أَلَا بَيْنِي ، بِنَفْسِي أَنْتِ ، بَيْنِي  
فَوَاللَّهِ الْعَظِيمِ لَنَزَعُ نَفْسِي      وَقَطَعُ الرَّجُلَ مِثِّي وَالْيَمِينَ  
أَحَبُّ إِلَيَّ يَا لُبْنَى فِرَاقًا      فَبَكِّي لِلْفِرَاقِ وَأَسْعِدِينِي  
ظَلَمْتُكَ بِالطَّلَاقِ بِغَيْرِ جُزْمٍ      فَقَدْ أَذْهَبْتُ آخِرَتِي وَدِينِي

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِذَلِكَ لُبْنَى بَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا ، وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ [مَنْ الْوَافِر] :

رَحَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ بَلَدِي وَأَهْلِي      فَجَازَانِي جَزَاءَ الْخَائِنِينَ

= الشَّيْءُ وَالْحِزْبُ عَلَيْهِ .

(١) أَنْظَرَ حَدِيثَ قَيْسٍ وَلُبْنَى فِي « الْأَغَانِي » ج ٩ طَبْعَةُ دَارِ الْكُتُبِ ، فَهَنَّاكَ مَا يُثْبِتُ غِلَّتَكَ .

فَمَنْ رَأَى فَلَا يَغْتَرُّ بَعْدِي بِحُلُوِّ الْقَوْلِ أَوْ يَيْلُو الدِّفِينَا  
 فَلَمَّا أَنْقَضَتْ عِدَّتُهَا وَأَرَادَتْ الشُّخُوصَ إِلَى أَهْلِهَا أُتِيَتْ بِرَاحِلَةٍ لِتُحْمَلَ  
 عَلَيْهَا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَيْسٌ دَاخِلُهُ مِنْهُ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، وَاشْتَدَّ لَهُفُهُ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ  
 شِعْرًا ، ثُمَّ أَزْتَحَلَّتْ لُبْنَى ، فَجَعَلَ قَيْسٌ يَقْبَلُ مَوْضِعَ رِجْلَيْهَا مِنَ الْأَرْضِ وَحَوْلَ  
 حَبَائِهَا . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَوْمُهُ أَقْبَلُوا عَلَى أَبِيهِ بِالْعُدْلِ وَاللُّومِ ، فَقَالَ ذَرِيحٌ لَمَّا  
 رَأَى حَالَهُ تِلْكَ : قَدْ جَنَيْتُ عَلَيْكَ يَا بُنَيَّ ؛ فَقَالَ لَهُ قَيْسٌ : قَدْ كُنْتُ أَخْبِرُكَ أَنِّي  
 مَجْنُونٌ بِهَا فَلَمْ تَرْضَ إِلَّا بِقَتْلِي ، فَاللَّهُ حَسْبُكَ وَحَسْبُ أُمِّي !

وَأَقْبَلَ قَوْمُهُ يَغْدُلُونَهُ فِي تَقْيِيلِهِ التُّرَابَ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ [من الوافر] :

فَمَا حُبِّي لِطَيْبِ تُرَابِ أَرْضٍ وَلَكِنْ حُبٌّ مِنْ وَطْئِ التُّرَابِ  
 فَهَذَا فِعْلٌ شَيْخِنَا جَمِيعاً أَرَادَا لِي الْبَلِيَّةَ وَالْعَذَابَا

\* \* \*

١٦٣١ - وَمِنْ جَيْدِ شِعْرِ قَيْسٍ فِي لُبْنَى قَصِيدَتُهُ الْعَيْنِيَّةُ ، وَالْمُخْتَارُ مِنْهَا قَوْلُهُ

[من الطويل] :

أُنَبِّئُكَ عَلَى لُبْنَى وَأَنْتَ تَرَكْتَهَا      وَكُنْتَ كَاتٍ حَتْفَهُ وَهُوَ طَائِعُ  
 يَا قَلْبُ صَبْرًا وَأَعْتِرَافًا لِمَا تَرَى      وَيَا حُبَّهَا قَعٌ بِالَّذِي أَنْتَ وَاقِعُ<sup>(١)</sup>  
 وَيَا قَلْبُ خَبْرَنِي إِذَا شَطَطَ النَّوَى      بَلْبُنَى وَبَانَ عَنكَ مَا أَنْتَ صَانِعُ ؟  
 أَنْصَبِرُ لِلْبَيْنِ الْمُشِثِ مَعَ الْجَوَى      أَمْ أَنْتَ أَمْرٌ نَاسِي الْحَيَاءِ فَجَارِعُ ؟  
 كَأَنَّكَ بِدُعٍ لَمْ تَرَ النَّاسَ قَبْلَهَا      وَلَمْ يَطْلِعْكَ الدَّهْرُ فِيمَنْ يُطَالِعُ<sup>(٢)</sup>

(١) يَقَالُ : اُعْتَرَفَ لِلْأَمْرِ ، أَيْ : صَبَرَ .

(٢) الْبِدْعُ : الْغَمْرُ مِنَ الرُّجَالِ ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يُجَرَّبِ الْأُمُورَ .

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ قَدْ طُرْتَ بِالَّذِي      أَحَازِرُ مِنْ لُبْنَى فَهَلْ أَنْتَ وَاقِعٌ ؟  
 فَلَيْسَ مُحِبٌّ دَائِمًا لِحَبِيبِهِ      وَلَا ثِقَةٌ إِلَّا لَهُ الْدَّهْرَ فَاجِعُ  
 كَانَ بِلَادَ اللَّهِ مَا لَمْ تَكُنْ بِهَا      وَإِنْ كَانَ فِيهَا النَّاسُ ، قَفَّرَ بِلَاقِعُ  
 فَمَا أَنْتَ إِذْ بَانَثَ لُبْنَى بِهَاجِعِ      إِذَا مَا أَطْمَأَنْثَ بِالنِّيَامِ الْمَضَاجِعُ  
 أَقْضِي نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى      وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمَّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ  
 نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا دَجَا      لِيِ اللَّيْلُ هَزَنِي إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ  
 لَقَدْ رَسَخْتُ فِي الْقَلْبِ مِنْكَ مَوَدَّةٌ      كَمَا رَسَخَتْ فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ  
 إِلَى أَنْ قَالَ :

وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَاوَلَ اللَّهُ جَمْعَهُ      مُشِثٌ وَلَا مَا فَرَّقَ اللَّهُ جَامِعُ  
 فَلَا تَبْكِيَنَّ فِي إِنْثَرِ لُبْنَى نَدَامَةً      وَقَدْ نَزَعَتْهَا مِنْ يَدَيْكَ التَّوَازِعُ

\* \* \*

١٦٣٢ - وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي آخِرِ أَمْرِ قَيْسٍ وَلُبْنَى ، فَذَكَرَ أَكْثَرُ الرُّوَاةِ أَنَّهُمَا مَاتَا عَلَى أَفْرِاقِهِمَا ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : إِنَّهُ مَاتَ قَبْلَهَا ، وَبَلَغَهَا ذَلِكَ ، فَمَاتَتْ أَسْفَا عَلَيْهِ ، وَفِيهِمْ مَنْ قَالَ : بَلْ مَاتَتْ قَبْلَهُ ، وَمَاتَ بَعْدَهَا أَسْفَا عَلَيْهَا ، وَذَكَرَ آخَرُونَ أَنَّ ابْنَ أَبِي عَتِيقٍ صَارَ إِلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ابْنَيْ عَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَجَمَاعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ لِي حَاجَةً إِلَى رَجُلٍ أَخْشَى أَنْ يَرُدَّنِي فِيهَا ، وَإِنِّي أَسْتَعِينُ بِجَاهِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ فِيهَا عَلَيْهِ ؛ قَالُوا : ذَلِكَ لَكَ مُبْتَدَلٌ مِنَّا ؛ فَاجْتَمَعُوا لِيَوْمٍ وَعَدَهُمْ فِيهِ ، فَمَضَى بِهِمْ إِلَى زَوْجِ لُبْنَى ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ أَغْظَمَ مَصِيرَهُمْ إِلَيْهِ ، وَأَكْبَرَهُ ، فَقَالُوا : لَقَدْ جِئْنَاكَ بِأَجْمَعِنَا فِي حَاجَةِ لَابْنِ أَبِي عَتِيقٍ ؛ قَالَ : هِيَ مَقْضِيَّةٌ كَائِنَ مَا كَانَتْ ؛ قَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : قَدْ قَضَيْتَهَا كَائِنَ مَا كَانَتْ مِنْ مِلْكٍ أَوْ مَالٍ أَوْ أَهْلٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛



قَالَ : تَهَبْ لَهُمْ وَلِي لَبْنِي زَوْجَتَكَ وَتُطَلِّقْهَا ؛ قَالَ : فَإِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَنَّهَا طَالِقٌ ثَلَاثًا ؛ فَاسْتَحْيَا الْقَوْمَ وَأَعْتَذَرُوا ، وَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا عَرَفْنَا حَاجَتَهُ ، وَلَوْ عَلِمْنَا أَنَّهَا هَذِهِ مَا سَأَلْنَاكَ إِيَّاهَا ؛ قَالُوا : فَعَوَّضَهُ الْحَسَنُ مِنْ ذَلِكَ مِثَّةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ ، وَحَمَلَهَا ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ إِلَيْهِ ، فَلَمْ تَزَلْ عِنْدَهُ حَتَّى انْقَضَتْ عِدَّتُهَا ، فَسَأَلَ الْقَوْمَ أَبَاهَا ، فَرَوَّجَهَا قَيْسًا ، فَلَمْ تَزَلْ مَعَهُ حَتَّى مَاتَا ، قَالُوا :

فَقَالَ قَيْسُ يَمْدَحُ ابْنَ أَبِي عَتِيقٍ [من الوافر] :

جَزَى الرَّحْمَنُ أَفْضَلَ مَا يُجَازِي      عَلَى الْإِحْسَانِ خَيْرًا مِنْ صَدِيقِ  
فَقَدْ جَرَّبْتُ إِخْوَانِي جَمِيعًا      فَمَا أَلْفَيْتُ كَأَبْنِ أَبِي عَتِيقِ  
سَعَى فِي جَنَعِ شَمْلِي بَعْدَ صَدْعِ      وَرَأَيْ حِذْتُ فِيهِ عَنِ الطَّرِيقِ  
وَأَطْفَاءَ لَوْعَةٍ كَانَتْ بِقَلْبِي      أَغْصَنِي حَرَارَتُهَا بِرِيقِي  
فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : يَا حَبِيبِي ! أَمْسِكْ عَنْ هَذَا الْمَدِيحِ ، فَمَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا ظَنَنِي قَوَادًا .

\* \* \*

١٦٣٣ - وَطَلَّقَ أَعْرَابِيٌّ أَمْرَأَتَهُ ، ثُمَّ نَدِمَ ، فَقَالَ [من الطويل] :

نَدِمْتُ وَمَا تُغْنِي النَّدَامَةُ بَعْدَمَا      خَرَجْنَا ثَلَاثَ مَا لَهُنَّ رُجُوعُ  
ثَلَاثَ يُحَرِّمُنَ الْحَلَالَ عَلَى الْفَتَى      وَيَصُدُّعْنَ شُعْبَ الدَّارِ وَهُوَ جَمِيعُ

\* \* \*

وَمَنْ طَلَّقَتْ فَتَأَلَّبَتْ :

١٦٣٤ - جَاءَ فِي « أَمَالِي الْقَالِي » [٨٦/٢] : كَانَتْ أُمُّ الضَّحَّاكِ الْمُحَارِبِيَّةُ تَحْتَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي الضَّبَابِ ، وَكَانَتْ تُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا ، فَطَلَّقَهَا ، فَقَالَتْ [من

الطويل] :

هَلِ الْقَلْبُ إِنْ لَاقَى الضَّبَابِيَّ خَالِيًا  
وَأَعْجَلْنَا قُرْبُ الْمَحَلِّ وَبَيْنَنَا  
حَدِيثٌ لَوْ أَنَّ اللَّحْمَ يَصْلَى بِحَرِّهِ  
لَدَى الرُّكْنِ أَوْ عِنْدَ الصِّفَا مُتَحَرِّجٌ  
حَدِيثٌ كَتَشْنَجِ الْمَرِيضِينَ مُزْعَجٌ<sup>(١)</sup>  
طَرِيًّا أَتَى أَصْحَابَهُ وَهُوَ مُنْضَجٌ

\* \* \*

١٦٣٥ - وَلَهَا أَيْضاً [من الطويل] :

سَأَلْتُ الْمُحِبِّينَ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا  
فَقُلْتُ لَهُمْ : مَا يُذْهِبُ الْحُبَّ بَعْدَمَا  
فَقَالُوا : شِفَاءُ الْحُبِّ حُبُّ يُزِيلُهُ  
أَوْ الْبَأْسُ حَتَّى تَذْهَلَ النَّفْسُ بَعْدَمَا  
تَبَارِيحَ هَذَا الْحُبِّ مِنْ سَالِفِ الدَّهْرِ  
تَبَوَّأَ مَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالصَّدْرِ ؟  
مِنْ آخِرٍ أَوْ نَائِي طَوِيلٌ عَلَى هَجْرٍ  
رَجَتْ طَمَعاً وَالْيَأْسُ عَوْنٌ عَلَى الصَّبْرِ

[« الأماي » للقالى ٢/٨٦]

\* \* \*

١٦٣٦ - وَلَهَا حِينَ سَلَتْ عَنْهُ [من الطويل] :

تَعَزَّيْتُ عَنْ حُبِّ الضَّبَابِيَّ حِقْبَةً  
يَقُولُ خَلِيلُ النَّفْسِ : أَنْتِ مُرِيبَةٌ  
وَأَرْبِينَا مَنْ لَا يُؤَدِّي أَمَانَةً  
أَلْهَفَا بِمَا ضَيَّعْتَ وَدِّي وَمَا هَفَا  
وَكُلُّ عَمَايَا جَاهِلٍ سَتُّوبُ  
كِلَانَا لَعَمْرِي قَدْ صَدَقْتَ مُرِيبُ  
وَلَا يَخْفَظُ الْأَسْرَارَ حِينَ يَغِيبُ<sup>(٢)</sup>  
فُؤَادِي بِمَنْ لَمْ يَذَرِ كَيْفَ يُثِيبُ

[« الأماي » للقالى ٢/٨٧]

\* \* \*

- (١) كَتَشْنَجَ ، يُزَوِّى أَيْضاً : كَتَشْنِجَ ، وَكِلَاهُمَا : الْإِنْسَانُ .  
(٢) أَجْمَعَ الرُّوَاهُ عَلَى أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ وَالَّذِي قَبْلَهُ لِجَمِيلِ بُيُنَةِ .

قُرْبُ تَطْلِيْقِ الْمَرْأَةِ مِنْ تَزْوُجِهَا :

١٦٣٧ - زَوْجَ بَعْضُهُمْ أَبْنَتُهُ مِنْ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ ، فَلَمَّا مَضَتْ إِلَيْهِ طَلَّقَهَا عَلَى الْمَنْصَةِ<sup>(١)</sup> . فَجَاءَ أَبُوهَا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، فَقَالَ : إِنَّ عَمْرُو بْنَ عُثْمَانَ طَلَّقَ ابْنَتِي فِي الْمَنْصَةِ ! وَأَخْشَى أَنْ يَظُنَّ النَّاسُ أَنَّ ذَلِكَ لِعَاهَةِ ! وَأَنْتَ عَمُّهُ ، فَعَاتِنَهُ ؛ فَقَالَ : أَوْ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ؟ أَتُتُونِي بِالْمُضْعَبِ - هُوَ الْمُضْعَبُ أَخُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ - فَزَوَّجَهَا مِنْهُ ، وَأَقْسَمَ لِيَدْخُلَنَّ بِهَا مِنْ لَيْلَتِهِ ، فَمَا رُؤِيتِ أَمْرًا نُصِبَتْ عَلَى رَجُلَيْنِ فِي لَيْلَةٍ سِوَاهَا . . .

\* \* \*

١٦٣٨ - وَتَزَوَّجَ الْوَلِيدُ فِي خِلَافَتِهِ نَيْفًا وَسَبْعِينَ أَمْرًا ، فَلَمَّا دَخَلَ بِالْآخِرَةِ وَأَرَادَ أَنْ يَقُومَ أَخَذَتْ بِثَوْبِهِ ، وَقَالَتْ : مَا تَرَى ؟ أَقِمْ لَكَ كَفِيلًا إِلَّا تَأْمُرُ بِتَسْرِيجِي ! فَضَحِكَ وَاسْتَمْلَحَهَا وَأَمْسَكَهَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ طَلَّقَهَا بَعْدَ ذَلِكَ .

\* \* \*

مُرَاجَعَةُ الْمَرْأَةِ بَعْدَ طَلَاقِهَا :

١٦٣٩ - قَالَ عَزَّ وَتَقَدَّسَ : ﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْصِلُوهُنَّ أَنْ يَكُنَّ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية : ٢٣٢] .

أَنْظُرْ : حَضُّهُمْ عَلَى الزَّوْاجِ . [ الأرقام : ١٣٣٣ - ١٣٥٦ ] .

\* \* \*

(١) الْمَنْصَةُ : الْكُرْسِيُّ تَرْفَعُ عَلَيْهِ الْعُرْسُ فِي جَلَالِهَا .

١٦٤٠ - وَطَلَّقَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ أَمْرَأَتَيْنِ : قُرَشِيَّةً وَجُعْفِيَّةً<sup>(١)</sup> . فَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ عَشْرِينَ أَلْفًا ، وَقَالَ لِلرَّسُولِ : أَخْفِظْ مَا تَقُولُ كُلُّ وَاحِدَةٍ ؛ فَقَالَتْ الْقُرَشِيَّةُ : جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا ؛ وَقَالَتِ الْجُعْفِيَّةُ : مَتَاعٌ قَلِيلٌ مِنْ حَبِيبِ مُفَارِقٍ ؛ فَرَجَعَ الْجُعْفِيَّةَ .

\* \* \*

١٦٤١ - وَتَزَوَّجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ عَاتِكَةَ بِنْتَ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو ، وَقَدْ أَلْفَهَا حَتَّى اشْتَغَلَ بِهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : طَلِّقْهَا ؛ فَطَلَّقَهَا ، وَقَالَ : فَلَمْ أَرِ مِثْلِي طَلَّقَ الْيَوْمَ مِثْلَهَا وَلَا مِثْلَهَا فِي غَيْرِ شَيْءٍ تُطَلِّقُ فَلَمَّا سَمِعَ أَبُوهُ مِنْهُ ذَلِكَ قَالَ لَهُ : رَاجِعْهَا يَا بُنَيَّ ، فَإِنِّي أَرَاكَ مُحِبًّا لَهَا .

\* \* \*

تَفْوِضُ الطَّلَاقَ إِلَيْهَا :

١٦٤٢ - رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلًا لَازِلًا رِجْلًا إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْتُمْ أُمْتِعْتَكُمْ وَأَسْرِحْتَكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ [٣٣ سورة الأحزاب / الآيات ٢٨ و ٢٩] دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ : « إِنِّي ذَاكِرٌ لَكَ أَمْرًا ، فَلَا عَلَيْكَ إِلَّا تَعَجَّلِي بِشَيْءٍ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكَ » ، وَخَشِيَ النَّبِيُّ حَدَاثَةَ سِنِّي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : « إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُخِيرَكُن » ، ثُمَّ تَلَا آيَةَ عَلَيْنَا ، فَقُلْتُ : فِيمَ اسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ ! بَلْ اخْتَارَ اللَّهُ

(١) جُعْفِيَّةٌ ، نِسْبَةٌ إِلَى الْجُعْفِ ، حَيٍّ مِنَ الْيَمَنِ ؛ وَجُعْفِيٌّ : أَبُو قَيْلٍ فِي الْيَمَنِ .

وَرَسُولُهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ ؛ فَسُرَّ ﷺ بِذَلِكَ ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ مَعَ سَائِرِ نِسَائِهِ .

[البخاري ، رقم : ٤٧٨٦ ؛ مسلم ، رقم : ١٤٧٥] .

وَأَقُولُ : وَكَانَ سَبَبُ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ، أَوْ هَذَا التَّخْيِيرِ ؛ أَنَّ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَرَدْنَ يَوْمًا شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا ، مِنْ ثِيَابٍ وَزِيَادَةِ نَفَقَةٍ ، وَتَغَايِرْنَ<sup>(١)</sup> ، فَعَمَّ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، لِأَنَّ مَتَاعَ الدُّنْيَا لَيْسَ مِمَّا يَغْنِيهِ ، وَلَيْسَ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْنَى بِهِ أَزْوَاجُهُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِنَ . فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فَاتَّزَنَ الْآخِرَةُ عَلَى الدُّنْيَا ، وَزَالَتْ غَيْرَتُهُنَّ ، قَالَ عُلَمَاؤُنَا فِي حِكْمَةِ التَّخْيِيرِ فِي الطَّلَاقِ : إِذَا قَالَ لَهَا : أَخْتَارِي ، فَقَالَتْ لِرِزْوَجِهَا : أَخْتَرْتُكَ ؛ لَمْ يَقَعْ شَيْءٌ بِاجْتِمَاعِ فُقَهَاءِ الْأَمْصَارِ ، وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : خَيْرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْتَرَنَاهُ ، فَلَمْ يَعُدَّ ذَلِكَ طَلَاقًا ، [راجع « فتح الباري » ، الحديث رقم : ٥٢٦٢ و ٥٢٦٣] أَمَّا إِنْ قَالَتْ : أَخْتَرْتُ نَفْسِي ، فَقَدْ اخْتَلَفُوا : هَلْ يَقَعُ طَلَقٌ وَاحِدَةً رَجْعِيَّةً أَوْ بَائِنًا أَوْ يَقَعُ ثَلَاثًا ؟ ( رَاجِعْ كُتُبَ الْفِقْهِ ) هَذَا : وَأَمَّا الْمُنْعَةُ الَّتِي جَاءَتْ فِي الْآيَةِ وَفِي آيَاتٍ أُخْرَى فَهِيَ عَلَى وَجْهَيْنِ ، أَحَدُهُمَا وَاجِبٌ لَا يَسَعُهُ تَرْكُهُ ، وَالْآخَرُ غَيْرُ وَاجِبٍ يُسْتَحَبُّ لَهُ فِعْلُهُ ؛ فَالْوَاجِبُ لِلْمُطَلَّقةِ ، الَّتِي لَمْ يَكُنْ زَوْجُهَا حِينَ تَزَوَّجَهَا سَمَى لَهَا صَدَاقًا وَلَمْ يَكُنْ دَخَلَ بِهَا حَتَّى طَلَّقَهَا ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُمَتِّعَهَا بِمَا عَزَّ وَهَانَ مِنْ مَتَاعٍ يَنْفَعُهَا بِهِ ، مِنْ ثَوْبٍ يُلْبِسُهَا إِثَاءً أَوْ خَادِمٍ يَخْدُمُهَا أَوْ دَرَاهِمٍ أَوْ طَعَامٍ ، وَهُوَ غَيْرُ مُؤَقَّتٍ ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَخْصِرْ بِوَقْتٍ ، وَإِنَّمَا أَمَرَ بِتَمَتُّعِهَا فَقَطْ ، وَقَدْ قَالَ : ﴿ عَلَى الْكُوسِيعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [ ٢ سورة البقرة / الآية : ٢٣٦ ] وَأَمَّا الْمُنْعَةُ الَّتِي لَيْسَتْ بِوَاجِبَةٍ ، وَهِيَ مُسْتَحَبَّةٌ مِنْ جِهَةِ الْإِحْسَانِ

(١) تَغَايِرْنَ : شَاعَتْ فِيهِنَّ الْغَنِيرَةُ مِمَّا يَرَوْنَ مِنْ نَعْمَةٍ غَيْرِهِنَّ وَتَوَسَّعَةِ أَزْوَاجِهِنَّ فِي الْأَعْيَادِ عَلَيْهِنَ .

وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى الْعَهْدِ ، فَإِنْ يَتَزَوَّجَ الرَّجُلُ امْرَأَةً وَيُسَمِّي لَهَا صَدَاقًا ثُمَّ يُطَلِّقُهَا ، قَبْلَ دُخُولِهِ بِهَا أَوْ بَعْدَهُ ، فَيُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يُمَتِّعَهَا بِمُتْعَةٍ سِوَى نِصْفِ الْمَهْرِ الَّذِي وَجِبَ عَلَيْهِ لَهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ دَخَلَ بِهَا ، أَوْ الْمَهْرَ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ كُلَّهُ إِنْ كَانَ دَخَلَ بِهَا فَيُمَتِّعَهَا بِمُتْعَةٍ يَنْفَعُهَا بِهِ ، وَهِيَ غَيْرُ وَاجِبَةٍ عَلَيْهِ ، لَكِنَّهُ اسْتِحْبَابٌ . أَمَّا تَسْرِيحُ الْمَرْأَةِ ، فَهُوَ : تَطْلِيقُهَا .

\* \* \*

### طَلَاقُ السَّنَةِ :

١٦٤٣ - قَالَ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ يَتَابِعُهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ ﴾

[ ٦٥ سورة الطلاق / الآية : ١ ] .

هَذَا هُوَ أَحْسَنُ الطَّلَاقِ وَأَدْخَلَهُ فِي السَّنَةِ وَأَبْعَدَهُ مِنَ النَّدَمِ : أَنْ يُطَلِّقَ النِّسَاءَ فِي طَهْرٍ لَمْ يُجَامَعْنَ فِيهِ ، ثُمَّ يَدْعُوهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ حَتَّى تَنْقَضِيَ عِدَّتُهُنَّ ، وَيُرَوِّى أَنْ ابْنَ عُمَرَ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ ، فَأَتَى عُمَرُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُرَاجِعَهَا ، ثُمَّ لِيُمْسِكَهَا حَتَّى تَطْهَرَ ، ثُمَّ تَحِيضُ ، ثُمَّ تَطْهَرُ ، ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ بَعْدُ وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ قَبْلَ أَنْ يَمَسَّ ، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ [ راجع رقم : ١٦٥١ ] .

\* \* \*

### الطَّلَاقُ الثَّلَاثُ :

١٦٤٤ - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : كَانَ الطَّلَاقُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَسَتَيْنِ مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ طَلَاقُ الثَّلَاثِ وَاحِدَةً ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ اسْتَعْجَلُوا فِي أَمْرِ كَانَتْ لَهُمْ فِيهِ آثَاءٌ ، فَلَوْ أَمْضَيْنَاهُ عَلَيْهِمْ ؛ فَأَمْضَاهُ عَلَيْهِمْ

[مسلم ، رقم : ١٤٧٢] . أَيَّ : إِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا رَأَى النَّاسَ أَكْثَرُوا مِنْ الطَّلَاقِ بِلَفْظِ الثَّلَاثِ جَعَلَهُ بَائِنًا بَيْنُونَةَ كُبْرَى ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُ اجْتِهَادًا ، وَعَلَيْهِ الْعَمَلُ إِلَى الْآنَ إِلَّا عِنْدَ الشَّيْعَةِ . أَنْظِرْ « إِعْلَامُ الْمُوقِّعِينَ » وَشُرُوحُ الْبُخَارِيِّ [ بَلْ شُرُوحُ مُسْلِمٍ ] .

\* \* \*

مَنْعُ الزَّوْجِ مِنْهَا بَعْدَ الثَّلَاثِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ :

١٦٤٥ - قَالَ عَزَّ وَتَقَدَّسَ : ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾

[٢ سورة البقرة/ الآية : ٢٣٠] .

وَرُوي أَنَّ رِفَاعَةَ الْقُرْطَبِيِّ تَزَوَّجَ امْرَأَةً ثُمَّ طَلَّقَهَا وَبَتَّ طَلَقَهَا ، فَتَزَوَّجَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَمْسَهَا ، فَأَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ ، فَذَكَرَتْ لَهُ أَنَّهُ لَا يَأْتِيهَا وَأَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ إِلَّا مِثْلُ هَذَبَةِ الثُّوبِ ، فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : « لَعَلَّكَ تُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَيَّ رِفَاعَةَ ! لَا ، حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتِكَ » ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ جَالِسًا عِنْدَ الرَّسُولِ وَخَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ الْعَاصِ جَالِسًا عَلَى بَابِ الْحُجْرَةِ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ ، فَطَفِقَ خَالِدٌ يَتَأَذَّى وَيَقُولُ : أَلَا تَزَجُرُ هَذِهِ عَمَّا تَجْهَرُ بِهِ . وَفِي رِوَايَةٍ : عَمَّا تَهْجُرُ بِهِ . [البخاري ، رقم : ٣٦٣٩ ؛ مسلم ، رقم : ١٤٣٣] . مِنْ الْهَجْرِ ، وَهُوَ الْفُحْشُ فِي الْقَوْلِ .

\* \* \*

١٦٤٦ - وَسُئِلَ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَنِ الْمُحَلَّلِ ، فَقَالَ : « لَا ،

إِلَّا نِكَاحَ رَغْبَةٍ ، لَا مُسْتَهْزَأَ بِكِتَابِ اللَّهِ ، لَعَنَ اللَّهُ الْمُحَلَّلَ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ » .

[الترمذي ، رقم : ١١١٩ ؛ ابن ماجه ، رقم : ١٩٣٥] .

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ : الْمُحْلَلُ الَّذِي يَتَزَوَّجُ مُطَلَّقَةً غَيْرِهِ ثَلَاثًا بِقَصْدٍ أَنْ يُطَلِّقَهَا بَعْدَ الْوَطْءِ لِيُحِلَّ لِلْمُطَلَّقِ نِكَاحَهَا ، فَكَأَنَّهُ يُحِلُّهَا عَلَى الزَّوْجِ الْأَوَّلِ بِالنِّكَاحِ وَالْوَطْءِ ، وَالْمُحْلَلُ لَهُ : الْأَوَّلُ .

وَأِنَّمَا لَعَنَهُمَا لِمَا فِيهِ مِنْ هَتِكِ الْمَوَدَّةِ وَقِلَّةِ الْحَيَاءِ وَالِدَّلَالَةِ عَلَى خِسَّةِ النَّفْسِ ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلْمُحْلَلِ لَهُ فَظَاهِرٌ ، وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلْمُحْلَلِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَطْوُهَا لِتَحِلَّ لِلأَوَّلِ ، فَكَأَنَّهُ تَيْسُّ مُسْتَعَارٌ كَمَا جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ .

\* \* \*

ذَمُّهُمْ الرَّاغِبَةَ فِي الطَّلَاقِ وَالْمُخْتَلِعَةَ :

١٦٤٧ - جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « أَيُّمَا أَمْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ » . [الترمذي ، رقم : ١١٨٦ و ١١٨٧ ؛ أبو داود ، رقم : ٢٢٢٦ ؛ ابن ماجه ، رقم : ٢٠٥٥ ؛ « مسند أحمد » رقم : ٢١٨٧٤ و ٢١٩٣٤ ؛ الدارمي ، رقم : ٢٢٢٧] .

مَنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ ، بِزِيَادَةِ « مَا » لِلتَّأْكِيدِ ؛ وَالْبَأْسُ : الشَّدَّةُ ، أَيُّ : فِي غَيْرِ حَالَةٍ شِدَّةٍ تُلْجِئُهَا إِلَى الْمُفَارَقَةِ ، كَأَن تَخَافَ أَنْ لَا تُقِيمَ حُدُودَ اللَّهِ فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهَا مِنْ حُسْنِ الصُّحْبَةِ وَجَمِيلِ الْعِشْرَةِ ، لَكَرَاهَتِهَا إِيَّاهُ ، أَوْ بِأَنْ يُضَارَّهَا لِتَخْتَلِعَ مِنْهُ .

\* \* \*

١٦٤٨ - وَعَنْ أَبِي عُبَّاسٍ : أَنَّ أَمْرَأَةً ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ مَا أَغْتَبُ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلَا دِينٍ وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْكُفْرَ فِي الْإِسْلَامِ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَتُرَدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيثَهُ ؟ » قَالَتْ : نَعَمْ ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « أَقْبِلِ الْحَدِيثَ وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً » . [البخاري ،

رقم : ٥٢٧٣ ؛ النسائي ، رقم : ٣٤٦٢ ؛ ابن ماجه ، رقم : ٢٠٥٦] .



قَوْلُهَا : وَلَكِنِّي أَكْثَرُهُ الْكُفْرَ فِي الْإِسْلَامِ ، فَقَدْ قِيلَ : إِنَّ مُرَادَهَا بِالْكَفْرِ كُفْرَانِ الْعَشِيرِ ، إِذْ هُوَ - كُفْرَانُ الْعَشِيرِ - تَقْصِيرُ الْمَرْأَةِ فِي حَقِّ الزَّوْجِ ، وَعِبَارَةُ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ : أَخَافُ عَلَى نَفْسِي فِي الْإِسْلَامِ مَا يُتَنَافَى حُكْمُهُ ، مِنْ نُسُوزٍ وَفَرْكِ - بَعْضٍ - وَغَيْرِهِ مِمَّا يُتَوَقَّعُ مِنَ الشَّابَّةِ الْجَمِيلَةِ الْمُنْغِصَةِ لَزَوْجِهَا ، وَقِيلَ : إِنَّ الْمَعْنَى : إِنَّهَا تَخَافُ أَنْ تَحْمِلَهَا شِدَّةُ كَرَاهَتِهَا لَهُ عَلَى إِظْهَارِ الْكُفْرِ لِيَنْفَسِخَ نِكَاحُهَا مِنْهُ ، وَهِيَ تَعْرِفُ أَنَّ ذَلِكَ حَرَامٌ ؛ وَقَوْلُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ : « أَرَدْتَنَ عَلَيْهِ حَقِيقَتَهُ ؟ » فَحَقِيقَتُهُ : بُسْتَانُهُ ، وَقَدْ كَانَ أَصْدَقَهَا حَقِيقَةً نَحْلُ ، وَكَانَ هَذَا أَوَّلَ خُلْعٍ وَقَعَ فِي الْإِسْلَامِ .

\* \* \*

الْعِدَّةُ :

١٦٤٩ - وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا مَاتَ زَوْجُهَا تَعِمِدُ إِلَى أَحْسَنِ ثِيَابِهَا فَتَلْبَسُهُ وَتَقْعُدُ فِي الْبَيْتِ سَنَةً ، فَإِذَا كَانَ رَأْسُ الْحَوْلِ خَرَجَتْ وَرَمَتْ بِبَغْرَةٍ عَلَى حِمَارٍ ، وَقَالَتْ : قَدْ حَلَلْتُ الْآنَ ؛ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية : ٢٤٠] .

يَقُولُ سُبْحَانَهُ : إِنَّهُ يَجِبُ عَلَى الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ أَنْ يُوصُوا قَبْلَ أَنْ يَخْتَصِرُوا لَزَوْجَاتِهِمْ بِأَنْ يُمَتِّعَنَّ بَعْدَهُمْ حَوْلًا بِالسُّكْنَى وَالنَّفَقَةِ ؛ وَكَانَ ذَلِكَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ نُسِخَتْ الْأَمْلَةُ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَعَشْرِ .

\* \* \*

١٦٥٠ - وَقَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أُمُّ سَلَمَةَ : جَاءَتْ أَمْرَأَةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،

فَقَالَتْ : إِنَّ أَبْتِي تُوفِّي عَنْهَا زَوْجُهَا ، وَقَدْ أَشْتَكَّتْ عَيْنُهَا ، أَفَتَكْحُلُهَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « لَا » ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ : « لَا »<sup>(١)</sup> ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « إِنَّمَا هِيَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ ، وَقَدْ كَانَتْ إِحْدَاكُنَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَرْمِي بِالْبَعْرَةِ عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ » ، قَالَ رَاوِي الْحَدِيثِ : فَقُلْتُ لِرِزْبٍ - بِنْتُ أَبِي سَلَمَةَ - : وَمَا تَرْمِي بِالْبَعْرَةِ عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ<sup>(٢)</sup> ؟ فَقَالَتْ زَيْنَبُ : كَانَتْ الْمَرْأَةُ إِذَا تُوفِّي عَنْهَا زَوْجُهَا دَخَلَتْ حِفْشًا<sup>(٣)</sup> وَلَبَسَتْ شَرَّ ثِيَابِهَا وَلَمْ تَمَسَّ طَبِيبًا ، حَتَّى تَمُرَّ بِهَا سَنَةٌ ، ثُمَّ تُؤْتَى بِدَابَّةٍ ، حِمَارٍ أَوْ شَاةٍ أَوْ طَائِرٍ ، فَتَقْتَضُ بِهِ<sup>(٤)</sup> ، فَقَلَمًا تَقْتَضُ بِشَيْءٍ إِلَّا مَاتَ ، ثُمَّ تَخْرُجُ فَتُعْطَى بَعْرَةً فَتَرْمِي بِهَا ، ثُمَّ تَرَاوِجُ بَعْدَ مَا شَاءَتْ مِنْ طَبِيبٍ أَوْ غَيْرِهِ [البخاري ، رقم : ٥٣٣٧ ؛ مسلم ، رقم : ١٤٨٨ و ١٤٨٩] .



١٦٥١ - وَأَمَّا عِدَّةُ الْمُطَلَّاقَةِ ثَلَاثَةُ قُرُوءٍ ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَالْمُطَلَّاقَتِ يَرْبِصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية : ٢٢٨]<sup>(٥)</sup> وَالْقُرْءُ : الطُّهْرُ عِنْدَ

(١) جَاءَ فِي حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ فِي « الْمُوْطَأِ » [رقم : ١٢٧٠] وَغَيْرِهِ : « أَجْعَلِيهِ بِاللَّيْلِ وَأَمْسَحِيهِ بِالنَّهَارِ » .

(٢) أَيُّ : بَيْنَ لِي الْمُرَادُ بِهَذَا الْكَلَامِ الَّذِي خُوطِبَتْ بِهِ الْمَرْأَةُ .

(٣) « الْحِفْشُ » فِي الْأَصْلِ : الْخَصُّ ، اسْتُعِيرَ إِلَى الْبَيْتِ الدَّلِيلِ الشَّعَثِ الْبِنَاءِ .

(٤) قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ : سَأَلْتُ الْحِجَازِيَّينَ عَنِ الْإِفْتِضَاضِ ، فَذَكَرُوا أَنَّ الْمُعْتَدَّةَ كَانَتْ لَا تَمَسُّ مَاءً ، وَلَا تُقْلِمُ ظَفَرًا ، وَلَا تُزِيلُ شَعْرًا ، ثُمَّ تَخْرُجُ بَعْدَ الْحَوْلِ بِأَقْبَحِ مَنْظَرٍ ، ثُمَّ تَقْتَضُ ، أَيُّ : تُكْسِرُ مَا هِيَ فِيهِ مِنَ الْعِدَّةِ بِطَائِرٍ تَمْسَحُ بِهِ فَرْجَهَا وَتَنْبِذُهُ ، فَلَا يَكَادُ يَعِيشُ بَعْدَ مَا تَقْتَضُ بِهِ .

(٥) قَالَ الْأَصْمَعِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [٢ سورة البقرة/ الآية : ٢٢٨] : جَاءَ هَذَا عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ ، وَالْقِيَاسُ : ثَلَاثَةُ أَقْرَاءَ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ : ثَلَاثَةُ فُلُوسٍ ، وَإِنَّمَا يُقَالَ : ثَلَاثَةُ أَفْلُسٍ ، فَإِذَا كَثُرَتْ فِيهِ الْفُلُوسُ . وَلَا يُقَالَ : ثَلَاثَةُ رِجَالٍ ، إِنَّمَا هِيَ ثَلَاثَةُ رِجُلَةٍ ، وَلَا يُقَالَ : ثَلَاثَةُ كِلَابٍ ، إِنَّمَا هِيَ ثَلَاثَةُ أَكْلَبٍ ، وَالنَّحْوِيُّونَ قَالُوا فِي مِثْلِ هَذَا : إِنَّ التَّقْدِيرَ ثَلَاثَةُ أَقْرَاءَ ، مِنْ قُرُوءٍ ، وَخَمْسَةٌ مِنَ الْفُلُوسِ ، وَهَلُمَّ جَرًّا .

أَلْشَّافِعِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ : الْحَيْضُ ؛ قَالَ الشَّافِعِيُّ : الْقَرْءُ :  
 أَسْمٌ لِلْوَقْتِ ، فَلَمَّا كَانَ الْحَيْضُ يَجِيءُ لَوَقْتِ وَالطُّهُرُ يَجِيءُ لَوَقْتٍ جَازَ أَنْ يَكُونَ  
 الْأَقْرَأُ حَيْضًا وَأَطْهَارًا ؛ قَالَ : وَدَلَّتْ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرَادَ  
 بِقَوْلِهِ : ﴿وَالْمُطَلَّقَتُ يَتَرَبَّصُ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [سورة البقرة/ الآية : ٢٢٨]  
 الْأَطْهَارَ ، وَذَلِكَ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ لَمَّا طَلَّقَ أَمْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ ، فَاسْتَفْتَى عُمَرُ النَّبِيَّ  
 فِيمَا فَعَلَ ، فَقَالَ : « مُرُّهُ فَلْيُرَاجِعْهَا ، فَإِذَا طَهُرَتْ فَلْيُطَلِّقْهَا » ، إِلَى آخِرِ  
 الْحَدِيثِ [البخاري ، رقم : ٥٢٥٢ ؛ مسلم ، رقم : ١٠١٥] وَقَدْ سَلَفَ [راجع رقم : ١٦٤٣] ،  
 وَصَحَّ عَنْ عَائِشَةَ وَابْنِ عُمَرَ أَنَّهُمَا قَالَا : الْأَقْرَأُ : الْأَطْهَارُ ، وَحَقَّقَ هَذَا الَّلَفْظَ  
 مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ قَوْلُ الْأَعْشَى [من الطويل] :

مُورَثَةٌ مَالًا وَفِي الْحَيِّ رِفْعَةً لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَ  
 فَالْقُرُوءُ هُنَا : الْأَطْهَارُ لَا الْحَيْضُ ، لِأَنَّ النِّسَاءَ إِنَّمَا يُؤْتَيْنِ فِي أَطْهَارِهِنَّ  
 لَا فِي حَيْضِهِنَّ ، فَإِنَّمَا ضَاعَ بِغَيْبِهِ عَنْهُنَّ أَطْهَارُهُنَّ .

هَذَا ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [سورة  
 الطلاق/ الآية : ٤] فِي الْمُطَلَّقَةِ وَالْمُتَوَفَّى عَنْهَا جَمِيعًا .

\* \* \*

### الظَّهَارُ وَالْإِيلَاءُ :

١٦٥٢ - الظَّهَارُ : أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِامْرَأَتِهِ : أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي <sup>(١)</sup> ؛

(١) قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : قِيلَ : أَرَادُوا أَنْتِ عَلَيَّ كَبَطْنِ أُمِّي ، أَيْ : كَجَمَاعِهَا ، فَكَتَبُوا بِالظَّهَرِ عَنِ  
 الْبَطْنِ لِلْمُجَاوَرَةِ ، وَقِيلَ : إِنَّ ابْنَانَ الْمَرْأَةِ وَظَهْرَهَا إِلَى السَّمَاءِ كَانَ حَرَامًا عِنْدَهُمْ ، وَكَانَ أَهْلُ  
 الْمَدِينَةِ يَقُولُونَ : إِذَا أُتِيَتِ الْمَرْأَةُ وَوَجْهُهَا إِلَى الْأَرْضِ جَاءَ الْوَلَدُ أَحْوَلَ ، فَلَقَضَى الرَّجُلُ  
 الْمُطَلَّقُ مِنْهُمْ إِلَى التَّغْلِيظِ فِي تَحْرِيمِ أَمْرَاتِهِ عَلَيْهِ شَبَّهَهَا بِالظَّهَرِ ، ثُمَّ لَمْ يَقْنَعْ بِذَلِكَ حَتَّى جَعَلَهَا =

وَكَانَتْ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تُطَلِّقُ نِسَاءَهَا بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ ، وَكَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ طَلَاقًا ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ نَهَوْا عَنْهُ وَأُوجِبَتْ الْكِفَّارَةُ عَلَى مَنْ ظَاهَرَ مِنْ أَمْرَاتِهِ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ ظَاهَرَ فِي الْإِسْلَامِ أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ أَخُو عَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، وَكَانَ تَحْتَهُ ابْنَةُ عَمٍّ لَهُ تُسَمَّى : خَوْلَةَ ، رَأَاهَا وَهِيَ تُصَلِّي ، وَكَانَتْ حَسَنَةُ الْجِسْمِ ، فَلَمَّا سَلِمَتْ رَاوَدَهَا ، فَأَبَتْ ، فَغَضِبَ ، وَكَانَ بِهِ خِفَّةٌ ، فَظَاهَرَ مِنْهَا ، أَيْ : قَالَ لَهَا : أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي ؛ فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَتْ : إِنَّ أَوْسًا تَزَوَّجَنِي وَأَنَا شَابَةٌ مَرْغُوبٌ فِيَّ ، فَلَمَّا خَلَا سَنِي وَنَثَرْتُ بَطْنِي - أَيْ : كَثُرَ وَلَدِي - جَعَلَنِي عَلَيْهِ كَأُمِّهِ ، وَإِنَّ لِي صَبِيَّةً صِغَارًا ، إِنْ ضَمَمْتُهُمْ إِلَيْهِ ضَاعُوا ، وَإِنْ ضَمَمْتُهُمْ إِلَيَّ جَاعُوا ؛ فَقَالَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ : « مَا أَمْرُنَا فِي أَمْرِكَ بِشَيْءٍ » ؛ وَرَوِي أَنَّهُ قَالَ لَهَا : « حُرْمَتِ عَلَيْهِ » ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَا ذَكَرَ طَلَاقًا ، وَإِنَّمَا هُوَ أَبُو وَلَدِي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ؛ فَقَالَ : « حُرْمَتِ عَلَيْهِ » ، فَقَالَتْ : أَشْكُو إِلَى اللَّهِ فَاقْتَبِي وَوَجِدِي ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ١ ﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهُتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ٢ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تَوْعَظُوتَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٣ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ٤ [ سورة المجادلة/ الآيات : ١ - ٤ ] فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ ، قَالَ

= لَظْهَرِ أُمِّهِ ، وَقَالَ فِي « اللَّسَانِ » : الَظْهَارُ مَاخُودٌ مِنَ الظَّهْرِ ، وَإِنَّمَا خَصُّوا الظَّهَرَ دُونَ الْبَطْنِ وَالْفَخْذِ وَالْفَرْجِ - وَهَذِهِ أَوْلَى بِالْتَّخْرِيمِ - لِأَنَّ الظَّهَرَ مَوْضِعُ الرُّكُوبِ ، وَالْمَرْأَةُ مَرْكُوبَةٌ إِذَا غُشِيَتْ ، فَكَأَنَّهُ إِذَا قَالَ : أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي ، أَرَادَ : رُكُوبُكَ لِلتَّكَاحِ حَرَامٌ عَلَيَّ كَرُكُوبِ أُمِّي لِلتَّكَاحِ ، لِأَنَّ التَّكَاحَ رَاكِبٌ ، وَهَذَا مِنْ لَطِيفِ الْاِسْتِعَارَاتِ لِلْكِنَايَةِ .

سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ لِلْمَرْأَةِ : « أَذْعِي زَوْجَكَ » ، فَدَعَتْهُ ، فَقَالَ : « هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تَعْتِقُهَا ؟ » فَقَالَ : لَا أَمْلِكُ رَقَبَةً غَيْرَ هَذِهِ ! وَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى عُنُقِهِ ، فَقَالَ : « هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ؟ » فَقَالَ : إِذَا لَمْ أَكُلْ فِي الْيَوْمِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ غُشِيَّ عَلَيَّ ! فَقَالَ : « أَطْعِمُ سِتِّينَ مِسْكِينًا » ، فَقَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لَقَدْ بَنَّا لَيْلَتَنَا أَوْحَاشًا - جِيَاعًا - مَا لَنَا طَعَامٌ ؛ فَدَفَعَ إِلَيْهِ خَمْسَةَ عَشَرَ صَاعًا ، فَقَالَ : مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَخْوَجَ إِلَيْهِ مِنِّي <sup>(١)</sup> ! فَقَالَ : « كُلْهُ أَنْتَ وَعِيَالُكَ » . [راجع أبو داود ، رقم : ١٢١٤ ؛ « مسند أحمد » رقم : ٢٦٧٧٤] .

\* \* \*

١٦٥٣ - أَمَّا الْإِيلَاءُ ، فَقَدْ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [٢٢٧] وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿ ٢٢٨ ﴾ [سورة البقرة / الآيةان : ٢٢٦ و ٢٢٧] وَالْإِيلَاءُ مِنَ الْمَرْأَةِ أَنْ يَقُولَ : وَاللَّهِ ، لَا أَقْرَبُكَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَصَاعِدًا ، أَوْ لَا أَقْرَبُكَ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَلَا يَكُونُ فِيمَا دُونَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ - إِلَّا مَا يُحْكِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ ، وَحُكْمُ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا فَاءَ - رَجَعَ - إِلَيْهَا فِي الْمُدَّةِ بِالْوُطْءِ إِنْ أَمَكْنَهُ أَوْ بِالْقَوْلِ إِنْ عَجَزَ ، صَحَّ الْفَيْءُ ، وَحَثَّ الْقَادِرُ ، وَلَزِمَتُهُ كَفَّارَةُ الْيَمِينِ ، وَلَا كَفَّارَةَ عَلَى الْعَاجِزِ ، وَإِنْ مَضَتْ الْأَرْبَعَةُ بَانَثٍ بِتَطْلِيقَةٍ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ لَا يَصِحُّ الْإِيلَاءُ إِلَّا فِي أَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ يُوقَفُ الْمُؤَلِي ، فَإِمَّا أَنْ يَفِيءَ وَإِمَّا أَنْ يُطْلَقَ ، وَإِنْ أَبَى طَلَّقَ عَلَيْهِ الْحَاكِمُ (أَنْظُرْ كُتِبَ الْفَيْءُ) .

\* \* \*

(١) مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا ، أَيُّ : لَابَتَيِ الْمَدِينَةِ ، وَهُمَا حَرَّتَانِ تَكْتَفِيَانِ بِهَا ، وَاللَّابَةُ حِجَارَةٌ سَوْدُ .

عَبْقَرِيَّةُ الْإِسْلَامِ فِي الطَّلَاقِ :

١٦٥٤ - مِمَّا لَا رَيْبَ فِيهِ ، وَلَا يَجْمُلُ بِنَظَارٍ أَرِيبٍ مُنْصِفٍ أَنْ يُسَاوِرَهُ الشُّكُّ فِي صِدْقِهِ وَسَدَادِهِ ، أَنَّ نِظَامَ الْإِسْلَامِ فِي الطَّلَاقِ هُوَ خَيْرُ نِظَامٍ ، فَلَا هُوَ بِالْمُغْلَقِ الْمَحْظُورِ حَتَّى يَكُونَ أَحَدُ الزَّوْجَيْنِ شَجَاً فِي حَلْقِ صَاحِبِهِ وَغُلًّا فِي عُنُقِهِ ، وَلَا هُوَ بِالسَّهْلِ الْهَيِّنِ ، فَيَتَّخِذُهُ مَنْ لَا خَلَقَ لَهُمْ فِي الذَّمَامِ وَالرَّعَايَةِ مَرْتَعاً خَصِيباً يَنْتَقِلُونَ فِيهِ كَمَا شَاءَتْ أَهْوَاؤُهُمْ ، ذَلِكَ أَنَّ دُسْتُورَ الْإِسْلَامِ فِي الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ هُوَ ﴿فَأَمْسَاكُ مَعْرُوفٍ أَوْ تَفْرِيقُ بِإِحْسَنِ﴾ [سورة البقرة/ الآية : ٢٢٩] فَإِذَا لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ مَعْرُوفٍ ، وَنَشَبَ الشَّقَاقُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ ، وَسَاءَتِ الْعَشْرَةُ ، وَدَبَّتْ عَقَارِبُ الثُّفْرِ ، وَاتَّسَعَ الْخَرَقُ عَلَى الرَّاقِعِ ، فَمَا خَيْرُ تِلْكَ الْحَيَاةِ ، وَمَا فَضْلُ الْبَقَاءِ عَلَيْهَا ؟! وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الزَّوْاجَ دَاعِيَةً أَلُوْدً وَالرَّحْمَةَ وَالسَّعَادَةَ ، لَا التَّعْسِ وَالْبُؤْسَ وَالشَّقَاءَ ، وَمِنْ هُنَا أُبَيِّحُ الطَّلَاقَ .

وَلَقَدْ يَكُونُ الطَّلَاقُ مِنْ حَقِّ الْمَرْأَةِ إِذَا اشْتَرَطَتْهُ فِي عَقْدِ زَوْجِهَا ، فَأَمَّا إِذَا لَمْ تَفْعَلْ فَهُوَ حَقُّ الرَّجُلِ وَحْدَهُ ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ لِأَنَّ الرَّجُلَ فِي الْأَعْمِ الْأَغْلَبِ يَمْلِكُ مِنَ الْأُنَاةِ وَالْجِلْمِ وَكُظْمِ الْغَيْظِ مَا لَا تَمْلِكُ الْمَرْأَةُ . . . عَلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ ضَيَّقَ عَلَى الرَّجُلِ مَذَاهِبَهُ فِي هَذَا الْحَقِّ بِهَذِهِ الْوَسَائِلِ :

(١) حَضُّهُ الرَّجُلَ عَلَى مُحَاسَنَةِ الزَّوْجَةِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى نَزَوَاتِهَا ، وَحَسْبُكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيجعلَ اللهُ فيه خيراً كثيراً﴾ [سورة النساء/ الآية : ١٩] وَقَدْ أوردنا عليك في [الباب الثالث] باب الحَضِّ عَلَى الْوَصَاةِ بِالنِّسَاءِ مَا فِيهِ غَنَاءٌ .

(٢) نَعْيُهُ الطَّلَاقَ عَلَى الْمُطَلَّاقِينَ ، وَقَدْ سَمِعْتَ قَوْلَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

« إِنَّ أَبْغَضَ الْحَلَالِ إِلَى اللَّهِ الطَّلَاقُ »<sup>(١)</sup> [أبو داود ، رقم : ٢١٧٨ ؛ ابن ماجه ، رقم :

. [٢٠١٨

(٣) تَحْكِيمُهُ فِي الْخُصُومَةِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ إِذَا بَدَأَ الشَّقَاقُ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ

اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّي اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [٤ سورة النساء/ الآية : ٣٥ .

(٤) جَعَلَ اللَّهُ لِلْمَرْأَةِ بَعْدَ الطَّلَاقِ عِدَّةً تَعْتَدُهَا فِي بَيْتِهِ ، وَهِيَ وَفَاءُ الْحَمَلِ

لِلْحَامِلِ حَتَّى تَضَعَ ، وَثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ لِمَنْ سِوَاهَا ، وَبَيْنَ أَثْنَاءِ تِلْكَ الْمُدَّةِ يُرَاجِعُ الرَّجُلُ نَفْسَهُ وَتَفِيءُ الْمَرْأَةُ إِلَى عَقْلِهَا ، فَإِنْ نَزَعَا إِلَى عَهْدِهِمَا الْقَدِيمِ فِي هَذَا الْعَهْدِ الْقَصِيرِ رَاجَعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ . وَكَانَ ذَلِكَ خَيْرًا وَأَبْقَى ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ بَيِّنَاتٍ لِّلنِّسَاءِ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا

(١) قَالَ فِي « رَحْمَةِ الْأُمَّةِ » : إِنَّ الطَّلَاقَ مَعَ اسْتِقَامَةِ حَالِ الزَّوْجَيْنِ مَكْرُوهٌ بِالْإِتِّفَاقِ ؛ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ بِتَحْرِيمِهِ ، وَقَالَ الْغَزَالِيُّ فِي « الْإِحْيَاءِ » : وَلْيُعْلَمَ أَنَّ الطَّلَاقَ مُبَاحٌ ، وَلَكِنَّهُ أَبْغَضُ الْمُبَاحَاتِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مُبَاحًا إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِذَاءٌ بِالْبَاطِلِ ، وَمَهْمَا طَلَّقَهَا فَقَدْ آذَاهَا ، وَلَا يُبَاحُ إِذَاءُ الْغَيْرِ [ إِلَّا ] بِجَنَائِهِ مِنْ جَانِبِهَا أَوْ بِضُرُورَةٍ مِنْ جَانِبِهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ أَطَعْتُم مِّنْهُنَّ فَلَا تَعْتَوْنَ سَبِيلًا ﴾ [٤ سورة النساء/ الآية : ٣٤] أَيُّ : لَا تَطْلُبُوا حِيلَةً لِلْفِرَاقِ .

وَقَالَ صَاحِبُ « فَتَحِ الْقَدِيرِ » : وَأَمَّا سَبِيُّهُ ، فَالْحَاجَةُ إِلَى الْخَلَاصِ عِنْدَ تَبَايُنِ الْأَخْلَاقِ وَعُرُوضِ الْبُغْضَاءِ الْمَوْجِبَةِ عَدَمَ إِقَامَةِ حُدُودِ اللَّهِ . . . إِلَى أَنْ قَالَ : غَيْرَ أَنَّ الْحَاجَةَ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى الْكِبَرِ وَالرَّيْبَةِ ، فَمِنْ الْحَاجَةِ الْمُبِيحَةِ أَنْ يُلْقَى إِلَيْهِ عَدَمُ اشْتِهَائِهَا ، بِحَيْثُ يَنْعَزُ أَوْ يَضُرُّ بِإِكْرَاهِهِ نَفْسِهِ عَلَى جِمَاعِهَا ، وَأَمَّا إِذَا لَمْ تَكُنْ حَاجَةً فَمَحْضُ كُفْرَانِ نِعْمَةٍ وَسُوءِ آدَبٍ ، فَيُكْرَهُ .

اللَّهُ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿٦٥﴾ سورة الطلاق/ الآية : ١ [ ٦٥ ] أَمَّا الْأَمْرُ الَّذِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُهُ ، فَمَعَاوَدَةُ الرَّأْيِ ، وَمُرَاجَعَةُ النَّفْسِ بَعْدَ رِيَاضَتِهَا ، وَرَدُّ جِمَاحِهَا ، وَإِسْلَاسِ قِيَادِهَا بَعْدَ ذَلِكَ الْهَجْرِ الْقَصِيرِ الْأَمْدِ . . . فَإِذَا اسْتَكْمَلْتَ الْعِدَّةَ فَلَهُ أَنْ يُعِيدَهَا إِلَى فَيْئِهِ أَوْ أَنْ يَبْتَ فِي فِرَاقِهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَى التَّوْفِيقِ سَبِيلٌ ، فَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ فَإِذَا بَلَغَ أَجَلَئِنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ [ ٦٥ سورة الطلاق/ الآية : ٢ ] وَلِلرَّجُلِ أَنْ يُعَاوِدَ زَوْجَتَهُ بَعْدَ أَنْ يُطَلِّقَهَا مَرَّتَيْنِ ، فَإِنْ عَادَ إِلَى الثَّلَاثَةِ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا ، فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ، تَأْدِيبًا لَهُ وَإِذْلَالًا لِنَفْسِهِ ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الرَّجَالَ بِمُجَاجَلَةِ زَوْجَاتِهِمْ وَالرَّفْقِ بِهِنَّ وَبَذَلِ كُلِّ مَا يَسْتَطِيعُونَ بِذَلِكَ فِي سَبِيلِ مَرْضَاتِهِنَّ ، فِي أَيَّامِ عِدَّتِهِنَّ ، فَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ : ﴿ أَشْكُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَئِكَ حَمَلٍ فَلْيَبْقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَارْتُدَّنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَنْتُمْ بِبَيْنِكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَ رُمْ فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى ۖ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَنَّهُا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [ ٦٥ ] سورة الطلاق/ الآيتان : ٦ و ٧ .

ثُمَّ لَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهَا بَقِيَّةَ مَا سَمَّاهُ مِنْ مَهْرِهَا حِينَ طَلَّقَهَا ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَرِدَّ شَيْئًا مِمَّا أَجْتَلَبَ لَهَا كَاتِنًا مَا كَانَ ذَلِكَ الْمُجْتَلَبُ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّتْ آيَاتُهُ : ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا



وَإِنَّمَا مِثْلُنَا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِثْلَهَا غَلِيظًا ﴿٤﴾ [سورة النساء/ الآيتان : ٢٠ و ٢١] (١).

أَقْبَعَدَ هَذَا يُنْعَى عَلَى الْإِسْلَامِ نِظَامُهُ فِي الطَّلَاقِ (٢) ؟

\* \* \*

(١) مُلَحَّصٌ مِنْ كِتَابِ « الْمَرْأَةُ الْعَرَبِيَّةُ »

(٢) أَمَّا الْأُورِثُونَ ، فَقَدْ قَالَ الْمَرْحُومُ مُحَمَّدٌ حَافِظُ صَنْبَرِي فِي كِتَابِهِ الْقَيْمِ : « الْمُتَقَارِنَاتُ وَالْمُقَابِلَاتُ » : إِنَّ لَهَا أَحْكَامًا مُخْتَلِفَةً فِي جَوَازِ الطَّلَاقِ وَعَدَمِهِ ، تَتَغَيَّرُ تَبَعًا لِلظُّرُوفِ وَالْأَحْوَالِ ، فَمِنْ هَذِهِ الْأَمَمِ مَنْ لَا يُجِيزُهُ إِلَّا بِعِلَّةِ الزَّنا وَالْعُقْمِ وَالْمَرَضِ الْمُزْمِنِ الْمَانِعِ مِنَ التَّمَتُّعِ بِالْمَرْأَةِ ، وَمِنْهَا مَنْ تُجِيزُهُ لِعَدَمِ اسْتِقَامَةِ حَالِ الزَّوْجَيْنِ ، وَمِنْهَا مَنْ تُجِيزُهُ بِالتَّرَاضِي وَلَوْ لَغَيْرِ سَبَبٍ ، وَمِنْهَا مَنْ تَقْبَلُ الْفِرْقَةَ مَعَ بَقَاءِ الزَّوْجِيَّةِ وَتَحْرِيمِ الزَّوْاجِ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ مَا دَامَ أَحَدُهُمَا عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ . « أَنْظُرِ التَّفْصِيلَ فِي هَذَا الْكِتَابِ » .

## الفهرس

الموضوع	الصفحة
كلمة الناشر	٥
مؤلفات البرقوقي	٦
دولة النساء	٧
هذه الطبعة	٩
هذا الكتاب ، بقلم نجل المؤلف محمد عاطف البرقوقي	١١
حياة المؤلف : بقلم زوج كريمة المؤلف إسماعيل محمد حسنين	١٤
نسبه	١٤
حياته	١٥
مجلة البيان	١٥
الفقيد بالبرلمان	١٧
أخلاقه	١٨
مؤلفاته	٢٠
وفاته	٢٢
كلمة الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني عن عبد الرحمن البرقوقي	٢٣
المرحوم الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي بقلم أمين الخزانة الزكية :	
محمود حسن زناتي	٢٩
محتويات الكتاب	٣١
دولة النساء	٣٣
الباب الأول : مركز المرأة	٣٣
النساء شقائق الرجال	٣٣
المرأة سَكَنُ الرجل	٣٥

الموضوع	الصفحة
أقوال في المرأة .....	٣٧
المرأة في اللغة .....	٣٩
ترتيب أسنان المرأة .....	٤١
كناياتهم عن المرأة .....	٤٣
أسماء الزوجة .....	٥٣
الباب الثاني: الملاحه والجمال، وعبقرياتهم في جمال المرأة إجمالاً وتفصيلاً،	
وحضهم إياها على التجميل والنظافة والزينة .....	٦٠
الجمال إجمالاً .....	٦٠
التمثيلية ونصر بن حجاج .....	٦٩
أبو دهبيل وصاحبه .....	٧٥
وصفهم المرأة الجميلة .....	٨٦
صفة أخرى لفتاة جميلة .....	٨٨
أوصاف شتى للجماليات .....	٩٢
الحُسنُ في اللغة .....	١٠٠
حضهم المرأة على النظافة والتجميل والزينة ، وعبقرياتهم في وصف جمال	
المرأة تفصيلاً .....	١٠٠
السواك وعبقرياتهم فيه ، وفي الثغور والأفواه .....	١٠١
الثغور والأفواه في اللغة .....	١١١
ذمهم ألبخَر .....	١١٥
وصفهم الحديث .....	١١٧
عبقريات شتى في الحديث كافة .....	١٢٢
ومما يتصل بالتقبيل العناق .....	١٢٨
الصُّبحك .....	١٢٩
تقليم الأظفار ووصف الأنامل .....	١٣١
تطريف الأنامل بالحمرة والسواد .....	١٣٣

الموضوع	الصفحة
الكحل ووصفهم العيون	١٣٧
وصفهم العيون تصاب بالرمد	١٤٩
وصفهم الدموع والبكاء	١٥٠
وصفهم الحواجب	١٥٣
الشعر وجماله	١٥٥
الشعر واللغة	١٥٩
الجبهة والجبين وما يتصل بهما من الطُّرَر والسوالمف	١٦١
الطُّرَّة	١٦٢
السَّوالمف	١٦٣
الخدود والوجنات	١٦٦
النحور والصدور	١٦٩
الأنوف	١٧٣
الأعناق	١٧٥
المعاصم والأعضاء	١٨١
الفَرْج والأرداف	١٨٤
الفَرْج في اللغة	١٨٤
النظر إلى الفَرْج	١٩١
عيوب الفَرْج	١٩١
الأرداف	١٩٢
الثدي والنهود	٢٠٠
الخُصُورُ والسَّرُّ والعُكُنُ	٢٠٥
الاستحداد وتتنظيف المغابن والخفَاض	٢٠٨
السيقان	٢١٤
الأقدام	٢١٧
الألوان	٢٢٠

الموضوع	الصفحة
البياض	٢٢٠
الشُّمْرَة	٢٢٣
السواد	٢٢٥
السَّمْنُ والضُّمُور	٢٣١
الطول والقِصْر	٢٣٣
الثياب والحُلِيِّ والطَّيب	٢٤٠
الثياب	٢٤٤
من ساء لبْسُهُ وحَسَنَتْ نَفْسُهُ	٢٥٠
ذَمٌّ من حَسَنَ لِبَاسُهُ وَلَوَّمٌ فِعْلُهُ	٢٥٤
حَضُّهُمْ على التَّطْيِب	٢٥٥
الحُلِيِّ	٢٦١
إلى نساء اليوم	٢٦٣
ثياب المرأة العربية وحُلِيِّها وطبيها	٢٦٥
حُلِيِّها	٢٦٨
الطيب	٢٧٢
حَضُّهُمْ الرجال على أن يتَجَمَّلُوا لزوجاتهم	٢٧٢
الباب الثالث : حَضُّهُمْ الرجال على الوصاة بالنساء	٢٧٥
حديث أبي زرع وأم زرع	٢٨٨
المرأة ربحانة	٣٠٠
كيف تُسَاسُ النساءُ	٣٠٥
حَثُّهُمْ على مَنعِ النساءِ من الخمر وسماع الغناء	٣٠٧
حَضُّهُمْ على مَنعِ النساءِ من كل ما يُضَيِّهِنَّ	٣١١
الزُّهُوُّ والبخل والجبن والخَفَرُ من محاسن النساء	٣١٤
مما قيل في مَشْيِ النساءِ	٣٢٠
حَضُّهُمْ النساءِ على الحشمة ونهيَّهُمْ إياهُنَّ عن التَّبَرُّج	٣٢٣

الموضوع	الصفحة
الكفاءة ، وَحَضُّهُمْ عَلَى تَزْوِيجِ النِّسَاءِ مِنْ أَكْفَاءِ الرِّجَالِ	٣٣١
حَثُّهُمْ عَلَى اعْتِبَارِ الْكَفَاءَةِ فِي الرِّجَالِ	٣٣٢
حديث البنات اللاتي وضعن ما يُخْبِنُ مِنَ الْأَزْوَاجِ	٣٤٩
أمرأتان من حكيّمات العرب تصفان الرجال والنساء	٣٥١
الباب الرابع : فتنّة النِّسَاءِ وَحَضُّهُمْ عَلَى تَوْقِيهِهَا	٣٥٤
وصفهنّ بغلبة الرجال	٣٦٨
الباب الخامس : حَثُّهُمْ عَلَى الْعِفَّةِ وَصَوْنِ النَّفْسِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَقَوْلِهِمْ فِي الزَّانَا	
وما إليه	٣٧٢
ومن كناياتهم عن العفة	٤٠٠
الزَّانَا وَالسَّحَاقِ	٤٠٥
نَهْيُهُمْ عَنِ الزَّانَا	٤٠٥
عقوبة الزاني	٤٠٦
قبح المعصية	٤٠٩
خاتمة الزناة	٤١٦
الباب السادس : اختيارهن الشباب والمرد وتفجّع الرجال من جراء ذلك على	
الشباب وذمّهم المشيب وزهد الرجال في العجائز ، وقولهم	
في الخضاب واللّحي والصلع وسائر ما يتّصل بهذه المعاني	٤١٨
تفضيلهن الشباب والأغنياء	٤١٨
ومنهن من يفضل الكهول	٤٢٥
كما أن من النساء والرجال من يُفَضِّلُ الْفُقَرَاءَ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ	٤٢٧
زهدهم في العجائز	٤٢٩
عود على عبقرياتهم في المشيب	٤٤٤
عود على عبقرياتهم في البكاء على الشباب وذمّ المشيب	٤٤٩
قولهم في الخضاب	٤٦٢
عبقرياتهم في مدح الشيب غير ما أسلفنا	٤٧٣

## الصفحة

## الموضوع

٤٧٦	من أفلح عن التصابي لدى ظهور الشيب وتشنيعهم على التصابي بعد المشيب
٤٧٩	تفاريق في الشيب والشباب
٤٨٨	الشباب والشيب والكبر في اللغة
٤٨٩	اللَّحَى والشوارب والصَّلَع
٤٩٥	من طرفهم فيمن ينتف لحيته أو يحلقها
٥٠٦	الصَّلَع في اللغة
٥٠٧	الباب السابع : في الدمامة والقبح
٥٠٧	الموصوف بالقبح
٥١٣	المستقبح وجه نفسه
٥١٤	المعرّض بقبح غيره
٥١٥	المعتذر عن قبحه
٥١٥	قد يكون القبيح المَظهر جَمِيلَ الْمَخْبَر
٥١٧	القبيح المتغازل
٥١٩	عبقرياتهم في مقابح وعيوب شتى
٥١٩	في الجذام
٥٢١	البرص ، ويقال له : الوَضْحُ
٥٢٣	عظم الأذن وصغرها
٥٢٤	الآذَر - القَيْلَط
٥٢٥	العَرَج
٥٢٧	العَوْر والعَمَى
٥٣١	كِبَر الأنف وقُبْحُهُ
٥٣٣	الحَدَب
٥٣٣	الثقلاء
٥٤٠	الباردون
٥٤١	ذم المغنين غير المحسنين

الصفحة

الموضوع

الباب الثامن : رَمَيْتُهُنَّ بِالْكِيدِ وَالْمَكْرِ وَالْغَدْرِ وَالتَّلَوْنِ وَالْكَفْرِ بِالْعَشِيرِ ، وَبِالْحَمَقِ

وَالْخَرَقِ ، وَحَضُّهُمْ مِنْ ثَمَّ عَلَى مَخَالَفَتِهِنَّ وَعَدَمِ الْاعْتِمَادِ عَلَيْهِنَّ ٥٤٣

تَلَوْنُ الْمَلَا حِ وَتَحْيِيرُ هُنَّ الْعَاشِقِينَ ..... ٥٥٥

حَضُّهُمْ الرِّجَالُ عَلَى التَّرْوَجِ ..... ٥٦٩

حَضُّهُمْ عَلَى التَّرْوَجِ أَيَّامَ الشَّبَابِ ..... ٥٧٧

الْأَبْكَارُ وَالثِّيَابُ ..... ٥٧٨

وَمِنْ كُنَايَاتِهِمْ عَنِ الْبَكَارَةِ وَالثِّيَابَةِ ..... ٥٩١

الْمَهْوَرُ ..... ٥٩٣

نَظَرَ الرَّجُلُ إِلَى الْمَرْأَةِ الَّتِي يَرِيدُ تَرْوِجَهَا ..... ٥٩٨

الرَّهْزُ ..... ٦٠١

التَّحْمِيضُ ..... ٦٠٨

كَيْفَ كَانَ نِكَاحُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ..... ٦١٠

حَقُوقُ الزَّوْجِ عَلَى الزَّوْجَةِ ..... ٦١١

السَّرَارِيُّ وَأَمَهَاتُ الْأَوْلَادِ وَأَجْنَاسُ الْأَمَهَاتِ ..... ٦١٨

عَبْقَرِيَّاتُهُمْ فِي أَوْلَادِ السَّرَارِيِّ ..... ٦١٩

طُرْفٌ مِنْ اسْتِنْكَارِ الْعَرَبِ فِي الْهَجْنَةِ ..... ٦٣٤

الْمَوْلَى فِي اللُّغَةِ ..... ٦٣٦

الْمَوَالَاةُ قَرَابَةٌ ..... ٦٣٩

حَثُّهُمْ عَلَى اخْتِيَارِ ذَوَاتِ الدِّينِ وَالْحَسَبِ وَالنَّسَبِ وَالتَّرْغِيبِ عَنْ لَثَامِ ذَوَاتِ

الْمَالِ وَمَنْ يَجِبُ تَجَنُّبُهُ مِنَ النِّسَاءِ ..... ٦٣٩

تَفْضِيلُهُمُ الْغَرِيبَةَ عَلَى الْقَرِيبَةِ ..... ٦٤٩

رَغْبَةُ الْمَرْأَةِ فِي الزَّوْاجِ ..... ٦٥١

زَوْجٌ مِنْ عُودٍ خَيْرٌ مِنْ قَعُودٍ ..... ٦٥١

حَدِيثُ بِنْتِ مَلِكِ الْيَمَنِ وَالنِّسْوَةُ اللَّاتِي أُشْرِنَ عَلَيْهَا بِالزَّوْاجِ وَوَضَفُوهُنَّ لَهَا

مَحَاسِنُ الزَّوْجِ ..... ٦٥٥



الموضوع	الصفحة
حنين النساء إلى الرجال	٦٥٨
النساء شقائق الرجال	٦٥٩
عجوز راغبة في الزواج	٦٦٠
احتيال المرأة في التزويج من رجل	٦٦١
أم خارجة وسرعة إجابتها إلى النكاح	٦٦١
الغيرة والتديت	٦٦٣
الغيرة في اللغة	٦٦٣
مدح الغيرة	٦٦٤
مدح ترك الإفراط في الغيرة	٦٧٢
مغالاة بعض الناس في الغيرة	٦٧٤
ومن الغيرة السخيفة محاولة الرجل ألا تتزوج امرأته بعده	٦٧٥
غدر المرأة	٦٧٨
ومن النساء من لا تتزوج بعد زوجها	٦٨٣
غيرة النساء	٦٨٤
ومن النساء من يُنكرُ الغيرة	٦٨٧
قد تكون إغارة العاقر سبباً في حملها	٦٨٨
أبيات مختارة في غيرة المرأة	٦٨٨
جواز ذب الرجل عن ابنته في الغيرة	٦٨٩
الميل إلى الممنوع والرغبة عمن يشرك فيه غيرك	٦٩٠
أحب شيء إلى الإنسان ما منع	٦٩٢
الغيرة على المحبوب	٦٩٣
يصون محبوبه عن ذكره عند الرجال	٦٩٤
التديت	٦٩٦
التديت في اللغة	٦٩٦
ذم التديت	٦٩٦

الموضوع	الصفحة
عذر الراغبين عن الزواج	٦٩٧
التزوج بأكثر من واحدة	٦٩٨
عبقريّة الإسلام في تعدّد الزوجات	٧٠١
آية حُبِّ المرأة لزوجها وبغضها له ، وبغضُ أوصاف الفوارك	٧٢٣
أنجب الأولاد ولد الفارك	٧٢٧
بعض أوصافهم للنساء	٧٣٠
النساء ثلاثة أضراب ، والرجال كذلك	٧٣١
الطلاق	٧٣١
ذمهم الطلاق	٧٣١
من يطلقون تبرّماً أو لقلّة الموافقة أو لسبب ما	٧٣٢
المتبرّم بامرأته ، المُتَمَنّي طلاقها	٧٣٥
من طلق امرأته فتبعته نفسه	٧٣٧
الفرزدق والنّوار	٧٣٧
قيس ولبنى	٧٣٨
ومن طلقت فتألّبت	٧٤١
قُرْبُ تطليق المرأة من تزوجها	٧٤٣
مراجعة المرأة بعد طلاقها	٧٤٣
تفويض الطلاق إليها	٧٤٤
طلاق السنة	٧٤٦
الطلاق الثلاث	٧٤٦
منع الزوج منها بعد الثلاث حتى تنكح زوجاً غيره	٧٤٧
ذمهم الراغبة في الطلاق والمختلعة	٧٤٨
العِدّة	٧٤٩
الظهار والإيلاء	٧٥١
عبقريّة الإسلام في الطلاق	٧٥٤
الفهرس	٧٥٨